السلوك لمعرفة دول الملوك

المقريزي

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول

المقدمة

"قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتترع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذلك من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب."

فسبحان الله من إله حكيم قادر، ومليك مقتدر قاهر، يعطي العاجز الحقير، ويمنع البطل الأيد الكبير، ويرفع الخامل الذليل، ويضع ذا العز المنيع والمجد الأثيل، ويعز المحتقر الطريد المجفو الشريد، ويذل أولى الحد الحديد، والعد العديد، وأرباب الألوية والبنود، ومالكي أزمة العساكر والجنود، ويؤتى مله من لم يكن شيئاً مذكورا، ولا عرف له أبا نبيها وجدا مشهوراً، بل نشأ كلاًّ على مولاه وخادما لسواه، تجبهه وتشنؤه الناس، ولا يرعاه سائر الأجناس، لا يقدر على نفع نفسه فضلا عن الغير، ولا يستطيع دفع ما يترل به من مساءة وضير، عجزا وشقاء وخمولا واختفاء، ويترع نعت الملك ممن تهابه أسد الشرى في غِيلها، وتخضع لجلالته عتاة الأبطال بقظّها وقظِيظها، وتخنع لخزوانة سلطانه حماة الكماة بجمعها وجميعها، وتذل لسطوته ملوك الجبابرة وأقيالها، ويأتمر بأوامره العساكر الكثيرة العدد، ويقتدي بعوائده الخلائق مدى الأبد.

والحمد لله على حالتي منعه وعطائه، وابتلاءه وبلائه، وسراته وضرائه، ونعمه وبأسائه، أهل الثناء والمجد، ومستحق الشكر والحمد: "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"، "بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون" ولا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" والله أكبر ، "لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" ولا تدرك من عظمته العقول إلا ما أخبر به عنه الرسل والأنبياء. وصلى الله على نبينا محمد الذي أذهب الشرك من الأكاسرة، ومحا بشريعته عظماء الروم القياصرة، وأزال بملته الأصنام والأوثان، وأخمد بظهوره بيوت النيران، وجمع له أسود العب وقد كانت في جزيرتها متفرقة، ولم ببركته شعثها بعدما غبرت زماناً وهي متمزقة، وألف قلوبها على موالاته وطاعته، وحبب إليها المبادرة إلى مبايعته على الموت ومتابعته، فتواصلوا بعد القطعية والتدابر، وتحابوا في الله كأن لم ينشئوا على البغضاء والتنافر، حتى صاروا باتباع ملته، والإقتداء بشريعته، من رعاية الشاء والبعير، إلى سياسة الجم الغفير، وبعد اقتعاد سنام الناقة والقعود، وملازمة بيت الشعر والعمود، وأكل القصوم والشيح، ونزول القفر الفسيح، إلى ارتقاء المنابر والسرير، وتوسد الأرائك على الحرير، وارتباط المسومة الجياد، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والعتاد، بما فتح الله عليهم من غنائم ملوك الأرض، الذين أخذوهم بالقوة والقهر، وحووا ممالكهم بتأييد الله لهم والنصر، وأورثوها أبناء أبنائهم، وأحفادهم وأحفاد أحفادهم. فلما خالفوا ما جاءهم به رسولهم من الهدى، أحلهم الرزايا المجيحة والردى، وسلط عليهم من رعاع الغوغاء وآحاد الدهماء من ألحقهم بعد الملك بالهلك، وحطهم بعد الرفعة، وأذلهم بعد المنعة، وصيرهم من رتب الملوك إلى حالة العبد المملوك، جزاء بما اجترحوا من السيئات، واقترفوا

من الكبائر الموبقات، واستحلوا من الحرمات، واستهواهم به الشيطان من إتباع الشهوات، وليعتبر أولو البصائر والأفهام، ويخشى أهل النهى مواقع نقم الله العزيز ذي الانتقام، لا إله إلا هو سبحانه.

أما بعد، فإنه لما يسر الله وله الحمد، بإكمال كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط، وكتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء، وهما يشتملان على ذكر من مَلَكَ مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان في أيامهم من الحوادث والأنباء، منذ فحت إلى أن زالت الدولة الفاطمية وانقرضت، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية، والسلاطين المماليك التركية والجركسية، في كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقصي أعلمهم الذائعة، ويحوى أكثر ما في أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالتراجم والوفيات، لأني أفردت لها تأليفاً بديع المثال بعيد المنال، فألفت هذا الديوان، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل، وسميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك. وبالله أستعين فهو المعين، وبه أعتضد فيما أريد وأعتمد، فإنه حسبي ونعم الوكيل.

سنة ثمان وستين وخمسمائة

فيها خرج السلطان صلاح الدين بعساكره يريد بلاد الكرك والشوبك ، فإنه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها من الفرنج ، فأراد التوسيع في الطريق وتسهيلها، وسار إليها وحاصرها، فلم ينل منها قصدا وعاد. وفيها جهز صلاح الدين الهدية إلى السلطان نُور الدين ، وفْيها من الأمتعة والآلات الفضْية والذهبية والبلور واليشم أشياء يعز وجود مثلها، ومن الجواهر واللآلىء شيء عظيم القدر، ومن العين ستون ألف دينار، وكثير من الغرائًب المستحسنة، وفيل وحمار عتابي، وثلاث قطع بلخش فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالا، وكان ذلك في شوال . وفيها خرج العبيد من بلاد النوبة لحصار أسوان ، وبها كنز الدولة، فجهز السلطان الشجاع البعلبكي في عسكر كبير فسار إلى أسوان ، وقد رحل العبيد عنها، فتبعهم ومعه كنز الدولة، وواقعهم وقتل منهم كثيرا، وعاد إلى القاهرة.
وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين ، إلى بلاد النوبة، وفتح قلعة إبريم وسبى وغنم ، وعاد إلى أسوان ، وأقطع إبريم رجلا يعرف بإبراهيم الكردي، فسار إليها في عدة من الأكراد، وانبثوا يشنون الغارات على بلاد النوبة، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشي بعد فقر وجهد فوافى كتاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو بقوص مع هدية، فأكرم رسوله وخلع عليه ، وأعطاه زوجين من نشاب ، وقال له : "قل للملك مالك عندي جواب إلا هذا" وجهز معه رسولا ليكشف له خبر البلاد، فسار إلى دمقلة وعاد إليه ، فقال : "وجدت بلادا ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم ، ويخرج الملك وهو عريان على فرس عرى، وقد التف في ثوب أطلس ، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى، وأمر بي فكويت على يدي هيئة صليب ، وأنعم علي بنحو خمسين رطلا من دقيق وليس في دمقلة عمارة سوى دار الملك ، وباقيها أخصاص". وفيها عظم هم السلطان نور الدين بأمر مصر، وأخذه من استيلاء صلاح الدين عليها المقيم المقعد، وأكثر من مراسلته بحمل الأموال ، ثم بعث بوزيره الصاحب موفق الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني إلى مصر، لعمل حساب البلاد،

وكشف أحوالها، وتقرير القطيعة على صلاح الدين في كل سنة، واختيار طاعته ، فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتي ذ كره إن شاء الله.

وفيها مات أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل أبي سعيد الكردي، والد السلطان صلاح الدين يوسف وذلك أنه خرج من باب النصر بالقاهرة، فألقاه الفرس إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجة، فحمل إلى داره في تاسع عشره وقيل لثلاث بقين منه، فقبر عند أخيه أسد الدين شيركوه، ثم نقلا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين وخمسمائة.

سنة تسع وستين وخمسمائة

فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد بن محمد ين نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني من عند السلطان الملك العادل نور الدين ، مطالبا لصلاح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصل من الارتفا ع.

فشق ذلك عليه وقال : "إلى هذا الحد وصلنا ؟" وأوقفه على ما تحصل له ، وعرض عليه الأجناد، وعرفه مبالغ إقطاعاتهم وجامكياتهم ، ورواتب نفقاتهم ثم قال : "وما يضبط هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم ، ولا يسمحون بأن ينقص من ارتفاعها"، وأخذ يجمع المال.

وفيها سار الأمير شمس الدولة تورانشاه ، أخو السلطان صلاح الدين ، إلى اليمن وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل إلى مصر وينتزعهم منها، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها .وكان اختيارهم قد وقع على النوبة، فلما سار إليها لم تعجبه وعاد. وكان الفقيه عمارة اليماني قد انقطع الى الأمير شمس الدولة، ومدحه واختص به ، وحدثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها، وهون أمرها عنده، وأغراه بأن يستبد بملك اليمن ، وتعرض لذلك في كلمته التي أولها :

وشفرة للسيف تستغني عن القلم　　العلم مذ كان محتاج إلى العلم

ومنها :

إلى سواك وأور النار في العلم	فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به
كما يقول الورى لحما على وضم	هذا ابن تومرت قد كانت بدايته

وكان شمس الدولة مع ذلك جوادا كثير الإنفاق ، فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر، وأحب الوسع ، فاستأذن صلاح الدين في المسير، فأذن له واستعد لذلك ، وجمع وحشد، وسار مستهل رجب . فوصل إلى مكة فزار، ثم خرج منها يريد اليمن ، وبها يومئذ أبو الحسن علي بن مهدى ويقال له عبد النبي. فاستولى على زبيد في سابع شوال ، وقبض على عبد النبي، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن ، وتلقب بالملك المعظم ، وخطب له بذلك بعد

الخليفة المستضيء بأمر الله في جميع ما فتحه ، وبعث إلى القاهرة بذلك . فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك ، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستضيء ببغداد.

وفي سادس شعبان : قبض على أولاد العاضد وأقاربه ، وأخرجوا من القصر إلى دار المظفر بحارة برجوان ، في العشر الأخير من رمضان.

وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين ، وكاتبوا الفرنج ، منهم القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله بن كامل القاضي، والشريف الجليس ، ونجاح الحمامي، والفقيه عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب ، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديوان النظر ثم القضاء، وداعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى والواعظ زين الدين بن نجا، فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان ، وسأله في أن ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور والموجود كله ، فأجيب إلى ذلك ، فأحيط بهم وشنقوا في يوم السبت ثاني شهر رمضان بين القصرين ، فشنق عمارة وصلب فيما بين بابي الذهب وباب البحر، وابن كامل ش رأس الخروقيين التي تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش ، والعوريس على درب السلسلة، وعبد الصمد وابن سلامة وابن المظبي ومصطنع الدولة والحاج ابن عبد القوي بالقاهرة، وشنق ابن كامل القاضي بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال ، وشنق أيضا شبرما وأصحابه وجماعة من الأجناد والعبيد والحاشية وبعض أمراء صلاح الدين ، وقبض صلاح الدين سائر ما وجد عندهم من مال وعقار، ولم يمكن ورثتهم من شيء البتة، وتتبع من له هوى في الدولة الفاطمية، فقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا، ونودي بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد.وقبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية، من دعاة الفاطميين ، يوم الأحد خامس عشرى رمضان ، وقبض على كثير من السودان، وكووا بالنار في وجوههم وصدورهم.

وفيها جهز السلطان مع الوزير ابن القيسراني ما تحصل عنده من المال ، وأصحبه هدية لنور الدين ، وهي خمس ختمات إحداها فى ثلاثين جزءا، مغشاة بأطلس أزرق ومضببة بصفائح ذهب ، وعليها أقفال من ذهب مكتوبة بخط ذهب ، وأخرى في عشرة أجزاء مغشاة بديباج فستقي، وأخرى في جلد بخط ابن البواب بقفل ذهب وثلاثة أحجار بلخش ، منها حجر زنته اثنان وعشرون مثقالا، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا، وآخر عشرة مثاقيل ونصف وست قصبات زمرد إحداها وزنها ثلاثة مثاقيل ، وحجر ياقوت أحمر، وزنه سبعة مثاقيل ، وحجر ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل ، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا، وخمسون قارورة دهن بلسان ، وعشرون قطعة بلور، وأربع عشرة قطعة جزع ما بين زبادي وسكارج ، وإبريق يشم وطشت يشم ، وسقرق مينا مذهب ، بعروة فيها حبتا لؤلؤ وفي الوسط فص ياقوت أزرق ، وصحون وزبادي وسكارج من صيني عدهًا أربعون قطعة، وعود قطعتين كبارا، وعنبر منه قطعة زنتها ثلاثون رطلا، وأخرى عشرون رطلا، ومائة ثوب أطلس ، وأربعة وعشرون بقيارا مذهبا وأربعة وعشرون ثوبا وشيا حريرية بيضاء، وحلة خلفي مذهب ، وحلة مرايش اصفر مذهب ، وحلة مرايش أزرق مذهب ، وحلة مرايش بقصب أحمر وأبيض ، وحلة فستقي بقصب مذهبة، وقماش كثير، قدر قيمتها بمائتي ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار. وساروا بذلك ، فبلغهم موت نور الدين ، فأعيدت وهلك بعضها.

وفيها مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي، في يوم الأربعاء حادي عشر شوال ، بعلة الخوانيق ، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد خطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن . وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، فخطب له السلطان صلاح الدين بمصر، وضرب السكة باسمه وفيها نزل أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية، لأربع بقين من ذي الحجة بغتة، وكان الذي جهز هذا الأسطول غليالم بن غليالم بن رجار متملك صقلية، ولي ملك صقلية بعد أبيه في سنة ستين وخمسمائة وهو صغير، فكفلته أمه ، وتولى التدبير خادم اسمه باتر مدة سنة، ثم فر إلى السيد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد المغربية.

ثم استبد غليا لم بتدبير ملكه ، واحتفل في سنة إحدى وسبعين بعمارة هذا الأسطول ، فاجتمع له ما لم يجتمع لجده رجار، وحمل في الطرائد ألف فارس . وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكيم موذقة، وقصد الإسكندرية، ومات غليالم في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. ولما أرسى هذا الأسطول على البر، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسمائة فرس ، وكانت عدهم ثلاثين ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، وعدة طرائدهم ستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل ، ومائتي شيني في كل شيني مائة وخمسون رجلا، وعدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن ، وللتى تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبا، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل . ونزلوا على البر مما يلي المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السمور، وقتل من المسلمين سبعة. وزحفت مراكب الفرنجة إلى الميناء، وكان بها مراكب المسلمين فغرقوا منها. وغلبوا على البر وخيموا بها فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها، وثلاثة مجانيق كبارا تضرب بحجارة سود عظيمة.

وكان السلطان علي فاقوس فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنجة، فشرع في تجهيز العساكر، والقتال والرمي بالمجانيق مستمر. فوصلت العساكر، وفتحت الأبواب ، وهاجم المسلمون الفرنجة، وحرقوا الدبابات ، وأيدهم الله بنصره ، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر، وهو الرابع من نزول الفرنجة. ثم حملوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام ، فتسلموها بما فيها، وقتلوا من الرجالة عددا كثيرا ومن الفرسان . فاقتحم المسلمون البحر، وأخذوا عدة مراكب خسفوها فغرقت ، وولت بقية المراكب منهزمة، وقتل كثير من الفرنجة، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يقدر على مثله إلا بعناء وأقلع باقي الفرنجة مستهل سنة سبعين.

وفيها، "أعني سنة تسع وستين وخمسمائة" وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى، وثلث ناحية سندبيس من القليوبية، على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح الشريف النبوي، وضمن ذلك كتابا ثابتا تاريخه ثامن عشري شهر ربيع الآخر منها، فاستمر ذلك إلى اليوم.
وكان قاع النيل ستة أذرع وعشرين أصبعا، وبلغ سبعة عشر ذراعا وعشرين أصبعا.

سنة سبعين وخمسمائة

وفيها جمع كنز الدولة والي أسوان العرب والسودان ، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق في جموعه أموالا جزيلة ، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين . وخرج في قرية طود رجل يعرف بعباس بن شادي، وأخذ بلاد قوص ، وانتهب أموالها. فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ، ومعه الخطير مهذب بن مماتي، فسار وأوقع بشادي وبدد جموعه وقتله ، ثم سار فلقيه كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة، بعدما قتل أكثر عسكره. ثم قتل كنز الدولة في سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة في ثامن عشريه.

وفيها ورد الخبر على السلطان بسير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين إلى حلب ، ومصالحته للسلطان سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فأهمه وخرج يريد المسير إلى الشام فنزل ببركة الجب أول صفر، وسار منها في ثالث عشر ربيع الأول ، على صدر وأيلة، في سبعمائة فارس ، .واستخلف على ديار مصر أخاه الملك العادل . ونزل بصرى وخرج منها، فنزل الكسوة يوم الأحد تاسع عشري ربيع الأول ، وخرج الناس إلى لقائه ، فدخل إلى دمشق يوم الإثنين أول شهر ربيع الآخر، وملكها من غير مدافع . وأنفق في الناس مالا جزيلا، وأمر فنودي بإطابة النفوس وإزالة المكوس ، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبائح والمنكرات والضرائب ، وأظهر أنه إنما جاء لتربية الصالح بن نور الدين ، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته ،وكاتب الأطراف بذلك . وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع ، فأنزل بها أخاه ظهير الإسلام طغتكين بن أيوب ، وبعث بالبشارة إلى القاهرة، وخرج مستهل جمادى الأولى، فنازل حمص حتى تسلمها في حادي عشرة ، وامتنعت عليه قلعتها، فأقام على حصارها طائفة، وسار إلى حماة فنزل عليها في ثالث عشريه ، وبها عز الدين جرديك ، فسلمها إليه.

وفى جمادى الأولى :ولي ابن عصرون القضاء بديار مصر.

وسار صلاح الدين إلى حلب ، وبعث إلى الصالح إسماعيل في الصلح مع جرديك ، فأبى أصحابه ذلك ، وقبضوا على جرديك وقيدوه ، فبلغ ذلك صلاح الدين ، وقد سار عن حماة يريد حلب ، فعاد إليها . ثم سار منها إلى حلب ، ونزل حبل جوش ثالث جمادى الآخرة، واستعد أهل حلب وخرجوا لقتاله ، وقاتلوه قتالا شديدا إلى أول رجب . فرحل صلاح الدين يريد حمص ، وقد بلغه مسير القومص ملك الفرنج بطرابلس ، بمكاتبة أهل حلب ، وأنه منازل لحمص . فلما ترب من حمص عاد القومص إلى بلاده ، فنازل صلاح الدين قلعتها، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان ، في حادي عشري شعبان ، وسار إلى بعلبك، حتى تسلم قلعتها في رابع رمضان ، وعاد إلى حمص . وكانت بينه وبن أصحاب الصالح وقعة على قرون حماة، في يوم الأحد تاسع عشرة ، انتصر فيها صلاح الدين ، وهزمهم وغنم كل ما معهم ، ولم يقتل فيها أكثر من سبع أنفس ، وسار حتى نزل على حلب ، وقطع الخطبة للصالح، وأزال اسمه عن السكة في بلاده ، فبعث أهل الصالح إليه يلتمسون منه الصلح ، فأجاب إليه على أن يكون له ما بدهر من بلاد الشام ، ولهم ما بأيديهم منها، واستزاد منهم المعرة وكفر طاب ، وكتبت نسخة يمين وعليها خط صلاح الدين ، بعدما حلف وعاد إلى حماة.

وكان صلاح الدين قد كتب إلى بغداد يعدد فتوحاته وجهاده للفرنج ، وإعادته الخطبة العباسية بمصر واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها، وأنه قدم إليه في هذه السنة وفد سبعين راكبا، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا. وطلب صلاح الدين من الخليفة تقليد مصر واليمن والمغرب والشام ، وكل

ما يفتحه بسيفه . فوافته بحماة رسل الخليفة المستضيء بأمر الله ، بالتشريف والأعلام السود، وتوقيع بسلطنة بلاد مصر الشام وغيرها . فسار ونزل على بعرين ويقال بارين ، وحاصر حصنها حتى تسلمه في العشرين منه ، ورجع إلى حماة.

وفيها تقرر العماد الأصفهاني نائبا في الكتابة عن القاضي الفاضل بسعاية نجم الدين محمد بن مصال . وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها، فترل مرج الصفر ووافته به رسل الفرنج في طلب الهدنة، فأجابهم إليها بشروط اشترطها. وأذن للعساكر في المسير إلى مصر لجدب الشام فساروا،ورجع هو إلى دمشق في محرم سنة إحدى وسبعين ، وفوض أمرها إلى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة

وفيها سار شرف الدين قراقوش " أحد أصحاب تقي الدين عمر " إلى بلاد المغرب س حادي عشر محرم في جيش، فأخذ من صاحب أوجلة عشرين ألف دينار فرقها في أصحابه ، وعشرة آلاف دينار لنفسه ، وسار منها إلى غيرها، ثم بلغه موت صاحب أوجلة، فعاد إليها وحاصر أهلها، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة، وقتل من أهلها سبعمائة رجل ، وغنم منها غنيمة عظيمة، وعاد إلى مصر.
وفيها تجهز الحلبيون لقتال صلاح الدين ، فاستدعى عساكر مصر، فلما وافته بدمشق في شعبان سار في أول رمضان ، فلقيهم في عاشر شوال . وكانت بينهما وقعة تأخر فيها السلطان سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فظن الناس أنها هزيمة، فولت عساكرهم ، وتبعهم صلاح الدين ، مهلك منهم جماعة كثرة، وملك خيمة غازي، وأسر عالما عظيما، واحتوى على أموال وذخائر وفرش وأطعمة وتحف تجل عن الوصف . وقدم عليه أخوه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من اليمن ، فأعطاه سرادق السلطان غازي بما فيه من الفرش والآلات ، وفرق الإسطبلات والخزائن على من معه ، وخلع على الأسرى وأطلقهم . ولحق سيف الدين غازي بمن معه ، فالتجأوا جميعا لحلب ، ثم سار إلى الموصل وهو لا يصدق أنه ينجو، وظن أن صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل . ورحل صلاح الدين ونزل على حلب في رابع عشر شوال ، فأقام عليها إلى تاسع عشره ، ورحل إلى بزاعة، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه . وسار إلى منبج ، فترل عليها يوم الخميس رابع عشريه ، ولم يزل يحاصرها أياما حتى ملكها، واخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار، ومن الفضة والآنية والأسلحة ما يناهز ألفي ألف دينار. ورحل إلى عزاز، وحاصرها من يوم السبت رابع ذي القعدة إلى حادي عشر ذي الحجة، فتسلمها وأقام فيها من يثق به ، وعاد إلى حلب.
وفي يوم الثلاثاء رابع عشرة : وثب عدة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين ، فظفر بهم بعدما جرحوا عدة من الأمراء والخواص . ثم سار إلى حلب فترل عليها في سادس عشره ، وأقطع عسكره ضياعها، وإمر بجباية أموالها، وضيق على أهل حلب من غير قتال ، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها.

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

فلما كان رابع المحرم سنة اثنتين وسبعين : ركب العسكران وكانت الحروب ، فقتل جماعة من أصحاب صلاح الدين . ثم تقرر الصلح بينه وبن الملك الصالح، على أن يكون للصالح حلب وأعمالها . ورحل صلاح الدين في عاشره ، فنازل مصياب ، وفيها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية، وإليه تنسب الطائفة السنانية، ونصب عليها المجانيق والعرادات من ثالث عشريه إلى أيام ، ثم رحل ولم يقدر عليهم ، وقد امتلأت أيدي أصحابه بما أخذوه من القرى. وفوض صلاح الدين قضاء دمشق لشرف الدين أبي سعد عبد الله أبي عصرون ، عوضا عن كمال الدين الشهرزوري بعد وفاته. وفيه أغار الفرنج على البقاع فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم من بعلبك ، فأوقع بهم وقتل منهم وأسر. وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقيهم بعين الحر، وأوقع بهم ، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين ، فوافاه فى الثاني من صفر. ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره ، فأقام بها إلى رابع شهر ربيع الأول ، وخرج منها إلى القاهرة، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب ، فوصل إليها لأربع بقين منه.

وفيها أمر للسلطان ببناء السور على القاهرة والقلعة ومصر ،ودوره تسعة وعشرون ألف فراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل . فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، وشرع في بناء القلعة،وحفر حول السور خندقا عميقا،وحفر واديه وضيق طريقه . وكان في مكان القلعة عدة مساجد منها مسجد سعد الدولة، فدخلت في جملة القلعة، وحفر فيها بئرا ينزل لليها بدرج منحوتة في الحجر إلى الماء.
وفيها أمر السلطان ببناء المدرسة بجوار قبر الشافعي بالقرافة، وأن تعمل خزانة الأشربة التي كانت للقصر مارستانا للمرضى، فعمل ذلك . وسار السلطان إلى الإسكندرية في ثاني عشري شعبان ، ومعه ابناه الأفضل علي والعزيز عثمان ، فصام بها شهر رمضان ، وسمع الحديث علي الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفى وأمر بتعمير الأسطول بها، ووقف صادر الفرنج على الفقهاء بالاسكندرية.ثم عاد إلى القاهرة، فصام بها بقية رمضان.
وفيها عاد شرف الدين قراقوش غلام تقي الدين إلى بلاد المغرب ، وعاد فأخذ جماعة من الجند، وخرج إلى المغرب ، فأمر العادل الأمير خطلبا بن موسى وإلى القاهرة بالقبض عليه ، فسار إلى الفيوم وأخذه محمولا إلى القاهرة.
وفيها أبطل السلطان المكس المأخوذ من الحجاج في البحر إلى مكة على طريق عيذاب وهو سبعة دنانير مصرية ونصف على كل إنسان ، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب أو بجدة ، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج ، وعذب بتعليقه بأنثييه ، وعوض أمير مكة عن هذا المكس بألفي دينار، وألف أردب قمح ، سوى إقطاعات بصعيد مصر وباليمن ، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه إلى جدة.

سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة

وخرج السلطان من القاهر، لثلاث مضين من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، لجهاد الفرنج . وسار إلى عسقلان فسبى وغنم وقتل وأسر ومضى إلى الرملة ، فاعترضه نهر تل الصافية في يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة، فازدحم الناس بأثقالهم عليه وأشرف الفرنج عليهم ، ومقدمهم البرنس أرناط صاحب الكرك في جموع

كثيرة، فانهزم المسلمون وثبت السلطان في طائفة، فقاتل قتالا شديدا، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أثقال المسلمين ، فمر بهم في مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف ، ومات منهم ومن دوابهم كثير، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري. ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة، لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج ، وقطع أخبار جماعة من الأكراد، من أجل أنهم كانوا السبب فى هذه الكسرة.

وفيها نزل الفرنج على حماة، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة أشهر، ثم رحلوا إلى بلادهم.

وفيها أطلق شرف الدين قراقوش التقوى، وسار إلى أوجلة وغرها من بلاد المغرب . وخرج السلطان في سادس عشري شعبان سنة ثلاث وسبعين من القاهرة يريد الشام ، واستخلف بديار مصر أخاه العادل ، فلم يزل مقيما على بركة الجب إلى أن صلى صلاة عيد الفطر. فبلغه نزول الفرنج على حماة، فأسرع في المسير حتى دخل دمشق في رابع عشري شوال ، فرحل الفرنج عن حماة .ووافته بدمشق رسل الخليفة بالتشريفات.

وفيها سار الفرنج إلى قلعة صدر، وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصدا، فساروا يريدون الغارة على ناحية فاقوس ، ثم عادوا بنية الحشد والعود. وفيها عصى شمس الدين بن المقدم بمدينة بعلبك على السلطان.

وفيها ولد الملك الزاهد مجير الدين داود، شقيق الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان صلاح الدين ، لسبع بقين من ذي القعدة.

وفيها غلت الأسعار ببلاد الشام لكثرة الجدب ، واشتد الأمر بحلب.

وفيها سار الأمير ناصر الدين إبراهيم ، سلاح دار تقي الدين عمر في عسكر إلى بلاد المغرب ، فوصل إلى قراقوش التقوى، وسارا إلى مدينة الروحان ، فنازلاها أربعين يوما، حتى فتحت وقتل حاكمها، وقررا عليها أربعة عشر ألف دينار، وملكا مدينة غدامس بغير قتال ، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف دينار، وسار إبراهيم إلى جبال نفوسة، فملك عدة قلاع ، وصار إليه مال كثير ورجال ، وسار البعث من عند قراقوش إلى بلاد السودان ، فغنموا غنيمة عظيمة.

وفيها ظهر العمل في سور القاهرة ، وطلع البناء وسلكت به الطرق المودية إلى الساحل بالمقس.

وفيها مات الأمير شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي، خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، في سابع عشري جمادى الآخرة بحماة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعا عاقلا سيوسا ممدحا.

سنة أربع وسبعين وخمسمائة

وفى أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين ، هجم العدو من الفرنج على مدينة حماة، فنهض إليهم المسلمون وأسروا مقدمهم في جماعة، وبعثوا بهم إلى السلطان بدمشق ، فضرب أعناقهم.

وفيها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم ببعلبك ، في جيش كثيف ، فحاصرها مدة، ثم سار إليه السلطان ، وأقام على الحصار حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان ، وسلمها لأخيه تورانشاه في شوال ، فبنى الفرنج في مدة اشتغال السلطان ببعلبك حصنا على مخاضة بيت

الأحزان ، وهو بيت يعقوب عليه السلام ، وبينه وبين دمشق نحو يوم ، ومنه إلى طبرية وصفد نصف يوم . فعاد السلطان إلى دمشق ، وقدم عليه من الديوان العزيز خادم اسمه فاضل فأصحبه معه للغزو، حي وقف على الحصن ، وتخطف من حوله من الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لغزو بلاد المسلمين ، فأخرج السلطان ابن أخيه الأمير عز الدين فرخشاه أمامه ، فواقعه الفرنج وقعة قتل فيها جماعة من مقدمي الفرنج وغيرهم ، منهم الهنفرى وصاحب الناصرة، فانهزموا وأسر منهم جماعة. فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة لنجدة عز الدين ، فوافته الأسرى والرءوس ، فسر بذلك وعاد إلى دمشق.

وفيها أغار أبرنس مالك الفرنج بأنطاكية على شيزر، وغدر القومص ملك طرابلس بالتركمان.

وفيها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لجدب الشام فى سادس عشري ذي القعدة ، وأغار السلطان على حصن بيت الأحزان وعاد بالغنائم والأسرى، ووالى الغارة والبعث إلى بلاد الفرنج.

وفيها قوي قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب ، وأخذا عدة حصون.

ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة

والسلطان مواصل الإغارة على بلاد الفرنج ، وكان نازلا على بانياس ، وسرح العساكر ومقدمها عز الدين فرخشاه بن أيوب ، فأكثر من قتلهم وأسرهم . وفتح بيت الأحزان في رابع عشري ربيع الآخر، بعد قتال وحصار، فغنم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة، وشيئا كثيرا من الأقوات وغيرها، وأسر عدة نحو السبعمائة، وخرب الحصن حتى سوى به الأرض ، وسد البئر التي كانت به ، وعاد بعدما أقام عليه أربعة عشر يوما، فأغار على طبرية وصور وبيروت ثم رجع إلى دمشق ، وقد مرض كثير من العسكر ومات عدة من الأمراء.

وفي يوم الأحد ثامن المحرم : ركب السلطان ومعه صمصام الدين أجك وإلى بانياس في عسكره ، فلقيه الفرنج في ألف رمح وعشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فاقتتلوا قتالا كثيرا انهزم فيه الفرنج ، وركب المسلمون أقفيتهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل ، وعاد السلطان إلى مخيمه ، وقد مض أكثر الليل ، وعرض الأسرى، فقدم أولهم بادين بن بارزان ، ثم أود مقدم الداوية، وابن القومصية، وأخو صاحب جبيل في آخرين ، فقيدوا بأجمعهم وهم نحو المائتين وسبعين ، وحملوا إلى دمشق فاعتقلوا بها، وعاد السلطان إلى دمشق ، ففدى ابن بارزان بعد سنة بمائة وخمسين ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وفدى ابن القومصية بخمسة وخمسين ألف دينار صورية، ومات أود فأخذت جيفته بأسير أفرج عنه. وقدم الخبر بان الملك المظفر تقي الدين أوقع بعسكر قلج أرسلان صاحب الروم السلجوقية فهزمهم وأسر منهم جماعة، فكتب السلطان البشائر بظفره بالفرنج على مرج عيون وبظفر أخيه بعسكر الروم وسيرها إلى الأقطار فأتته تهاني الشعراء من الأمصار، ثم اهتم السلطان بأمر بيت الأحزان ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرموا عليه ، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة ألف دنيار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركمان وأجناد البلاد يستدعيهم ، وحمل إليهم الأموال والخيول والتشاريف ، فقدم إليه خلق كثر، وسار الملك المظفر من حماة، فقدم دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلقاه السلطان ، ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس خامسه ، في

عسكر عظيم ، ونزل على حصن بيت الأحزان يوم الثلاثاء حادي عشره ، وكانت قلعة صفد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صفد، وحاصر الحصن ونقبه من جهات ، وحشاه بالحطب وأحرقه ، حتى سقط في رابع عشريه ، وأخذه فقتل من فيه وأسرهم ، ووجد فيه مائة أسير من المسلمين ، فقتل عدة من أسرى الفرنج ، وبعث باقيهم في الحديد إلى دمشق ، وأخرب الحصن حتى سوى به الأرض ، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوما وعاد إلى دمشق،فمدحه عدة من الأمراء والشعراء وهنأوه بالفتح.

وفي صفر: ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذي كان في جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته ، ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند نقصان الماء في قاع المقياس ، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس ، وأكثر الناس ما علموا ما هو.

وفيها نافق جلدك الشهابي بالواحات ، فأخذه العادل بالأمان وسيره إلى دمشق.

وفيها أغار عز الدين فرخشاه على صفد فأكثر من القتل والسبي وأحرق الربض في رابع عشر ذي القعدة، وعاد إلى دمشق.

وفيها مات الخليفة المستضيء بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتي عشرة مضت من شوال ، وكانت خلافته عشر سنين غير أربعة أشهر .واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ، فخرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان صلاح الدين وسار معه إلى مصر شهاب الدين بشير الخاص كما يأتي ذكره.

وفيها ختن السطان ابنه الملك العزيز عثمان ، وسلمه إلى صدر الدين بن المجاور معلما له.

وفيها فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر ،وتغيرت رائحة الهواء ،ومات بالقاهرة ومصر في أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.

ودخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة

وفيها سار السلطان إلى حرب عز الدين قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب قونية وعاد بغير قتال ، فدخل دمشق أول شهر رجب.

وفيها مات السلطان سيف الدين غازي بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل في ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه ، فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يفوض إليه ، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمن وشهاب الدين بشير الخاص ، بالتفويض والتقليد والتشريف في رجب ، فتلقاهم السلطان وترجل لهم ، ونزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقبل الأرض ، ودخل دمشق بالخلع ، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبته ضياء الدين الشهرزورى.

وسار السلطان إلى بلاد الأرمن لقمع ملكهم،فأوغل فيها وأطاعه ملكهم، ثم عاد بعدما وصل إلى بهسنا وأحرق حصنا وخربه ، وخرج من دمشق يريد مصر في ثامن عشر رجب ، ومعه شيخ الشيوخ صدر الدين ، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان ، وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة في البحر، وعاد منها إلى بغداد.

وفيها مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة السلفي في يوم الجمعة خامس

ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة.
ومات الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شادي في خامس صفر بالإسكندرية، وحمل إلى دمشق فدفن بها.
وفيها ولدت امرأة غرابا.
وفيها كان قاع النيل ثلاثة أذرع وعشرين إصبعا، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلثي ذراع.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

في محرم خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية، وأمروا بالتعدية إلى البحيرة، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثعلبة، لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج ، وكثر الفار بالمقاثي والغلال بعد حصادها، فأتلف شيئا كثيرا، واحترق النيل حتى صار يخاض ، وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر، وربى جزائر رملة خيف منها على المقياس أن يتقلص الماء عنه ، ويحتاج إلى عمل غيره ، وبعد الماء عن السور بالمقس ،وصارت قوته من بر الغرب ، وخيم السلطان في بركة الجب للصيد ولعب الأكرة، وعاد بعد ستة أيام وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط ملك الفرنج بالكرك جمع وعزم على المسير إلى تيماء ودخول المدينة النبوية، فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بعساكره إلى الكرك ، ونهب وحرق ، وعاد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به ، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج.
وفي صفر: قدم رسول ملك القسطنطينية إلى القاهرة، فوقع الصلح مع صاحبها، وأطلق في جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيرا من المسلمين ، وسار صارم الدين خطلبا إلى الفيوم ، وقد أضيفت إليه ولايتها، وأفردت برسمه الخاص ، ونقل عنها مقطوعها ، ثم صرف عن ولاية الفيوم بابن شمس الخلافة، وأحضر خطلبا ليسير إلى اليمن ، وكتب إلى دمياط بترتيب المقاتلة على البرجين ، وسد مراكب السلسلة وتسييرها ليقاتل عليها، ويدافع عن الدخول من بين البرجين بها.
وفي ربيع الأول : طرق الفرنج ساحل تنيس وأخذوا مركبا للتجار، ووصلت مراكب من دمياط كانت استدعيت من خمسين مركبا لتكون في ساحل مصر وكمل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارسا، ورتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد، التي يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج ، وأمر بعمارة قلعة تنيس ، وورد تجار الكارم من عدن ، فطلب منهم زكاة أربع سنين . وكثرت بيوت المزر بالإسكندرية، فهدم منها مائة وعشرون بيتا.
ووصل المفرد في حادي عشرين ربيع الأول بالوفاء في سابع عشره ، فأوفى النيل بمصر في سادس عشريه الموافق يوم السادس عشر من مسرى، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم ، فركب السلطان لتخليق المقياس في غده ، وخلع على ابن أبي الرداد في سلخه ، وفتح الخليج في رابع ربيع الآخر، والماء على خمسة عشر إصبعا من سبعة عشر ذراعا، بمحضر والي القاهرة.
وفيه أنفق السلطان في الأجناد البطالين وجردهم إلى الثغور، وأنفق في رجال الشواني وجردهم للغزو، وورد الخبر بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم ، وأن ذلك خرج عن الحد في الزيادة على المعهود، وأن الغزال في البرية كله أتأم ، وكذلك النسوان أتأمن أكثر من الإفراد، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة

ظهرت.

وفيه ماتت امرأة الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعمى، بعد الدنيا والملك الذي كانت فيه.

وركب السلطان في أول جمادى الأولى لفتح بحر أبي المنجا، وعاد إلى قلعة الجبل ، وركب منها إلى المخيم بالبركة. وسار متسلم الأمير صارم الدين خطلبا إلى اليمن ، وانتصب السلطان ليلا ونهارا في ترتيب أحوال الأجناد، واقتطع من إقطاعات العربان الثلثين ، وعوض به مقطعو الفيوم ، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان.

وفيه قرر ديوان الأسطول وفيه الفيوم والحبس الجيوشي والخراجي والنطرون، وضمن الخراج بثمانية آلاف دينار.

وفي هذه السنة: رتبت المقاتلة على البرجين بدمياط وجهزت خمسمائة دينار لعمارة سورها والنظر في السلسلة التي بين البرجين ، وعمل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تنيس وإعادته كما كان في القديم ، فجاء ثلاثة آلاف دينار، وكتب إلى قوص بإبطال المكوس التي تستأدي من الحجاج وتجار اليمن.

وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد هوارة، وزواوة ولواتة، وجبل نفوسة، وغدامس ، وأعمالا طولها وعرضها خمسة وعشرون يوما، وأنه خطب على منابرها للسلطان وضربت السكة باسمه ، وانه إذا أنعم عليه بتقوية بلغ أغراضا بعيدة، وسير أموالا عتيدة. وأنشئت أربع حراريق بصناعة مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن وجردت أمراء العسكر السائرين إلى اليمن ، وكبر في بحر تنيس تعدي العربان على المراكب ، وعمرت عليهم حراريق فيها، فلم يظفر بهم لإيوائهم إلى الهيش . وفي جمادى الآخرة : قطع الفرنج أكثر نخل العريش وحملوه إلى بلادهم ، وسيرت مراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن ، وأسند أمر الجسور إلى والي الغربية ووالي الشرقية، ليتوفرا على عمارتها، وكتب إلى الأمير فخر الدين نشر الملك بن فرحون والي البحيرة ومشارفها بذلك.

وفي رجب : استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستمائة وأربعين ، وأمراء مائة أحد عشر، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعين ، وقرا غلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين . والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، خارج عن المحلولين وعن العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، والكنانيين والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين ، ولا يقصر ما معهم عن ألف ألف دينار. ووصل الإبرنس أرناط إلى أيلة، وسار عسكره إلى تبوك.

وفي شعبان: كثر المطر بأيلة حتى تهدمت قلعتها، وشرع في بناء سور دمياط ، وذرعه أربعة آلاف وستمائة وثلاثون ذراعا، و شرع أيضا في بناء برج بها.

وفي شوال :مات منكورس الأسدي أحد الأمراء المماليك ، وأخذ إقطاعه يازكج الأسدي، وقبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل الكناني، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن ، وأخذ منه ثمانون ألف دينار وأفرج عنه . وسار خطلبا والي مصر واليا على زبيد، وصحبته خمسمائة رجل ، ومعهم الأمير باخل ، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف دينار، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن ، إن كان من الإقطاعية، وللبطالين والمترجلة في الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا، وسيرت الحراريق" وهى خمس " وقد شحنت بالرماة.

وفي سابع عشره :سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشري شوال ، وشرع في قراءة الموطأ يوم الخميس" ثاني يوم دخوله" على الفقيه أبي الطاهر بن عوف ، وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة، ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه ، وشرع في عمارة الخليج ، ونقل فوهته إلى مكان أخر، وسار منها أول ذي القعدة إلى دمياط ، وعاد إلى القاهرة في سابعه.

وفي تاسعه : أمر بفتح المارستان الصلاحي ، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلات جهتها الفيوم ، واستخدم له أطباء وغيرهم.

وفي جمادى الآخرة : قطع الفرنج أكثر نخل العريش وحملوه إلى بلادهم ، وسيرت مراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن ، وأسند أمر الجسور إلى والي الغربية ووالي الشرقية، ليتوفرا على عمارتها، وكتب إلى الأمير فخر الدين نشر الملك بن فرحون والي البحيرة ومشارفها بذلك.

وفي رجب : استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستمائة وأربعين ، وأمراء مائة أحد عشر، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعين ، وقرا غلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين . والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، خارج عن المحلولين وعن العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، والكنانيين والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين ، ولا يقصر ما معهم عن ألف ألف دينار. ووصل الإبرنس أرناط إلى أيلة، وسار عسكره إلى تبوك.

وفي شعبان: كثر المطر بأيلة حتى تهدمت قلعتها، وشرع في بناء سور دمياط ، وذرعه أربعة آلاف وستمائة وثلاثون ذراعا، و شرع أيضا في بناء برج بها.

وفي شوال :مات منكورس الأسدي أحد الأمراء المماليك ، وأخذ إقطاعه يازكج الأسدي، وقبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل الكناني، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن ، وأخذ منه ثمانون ألف دينار وأفرج عنه . وسار خطلبا والي مصر واليا على زبيد، وصحبته خمسمائة رجل ، ومعهم الأمير باخل ، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف دينار، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن ، إن كان من الإقطاعية، وللبطالين والمترجلة في الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا، وسيرت الحراريق " وهى خمس" وقد شحنت بالرماة.

وفي سابع عشره :سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشري شوال ، وشرع في قراءة الموطأ يوم الخميس" ثاني يوم دخوله" على الفقيه أبي الطاهر بن عوف ، وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة، ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه ، وشرع في عمارة الخليج ، ونقل فوهته إلى مكان أخر، وسار منها أول ذي القعدة إلى دمياط ، وعاد إلى القاهرة في سابعه.

وفي تاسعه : أمر بفتح المارستان الصلاحي ، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلات جهتها الفيوم ، واستخدم له أطباء وغيرهم.

وفي حادي عشره : خرج السلطان إلى بركة الجب ، لتجريد العساكر والمسير إلى الشام ، وخرج الملك العادل في ثالث عشره إلى المخيم ، ونزل ناحية بركة الجب وسومح برسوم للولاة بمصر والقاهرة، ورسوم الفيوم ورسوم الصيد الأعلى، وأخرجت منجنيقات إلى الخيام برسم الغزاة.

وفي حادي عشره :سار سيف الإسلام طغتكين أخو السلطان صلاح الدين إلى أخميم ، لجباية الجوالي والنظر في

أمر الشب.
وظفر والي قوص برجلين من أهل إسنا يدعوان الى مذهب الباطنية.
وفي ثالث عشريه : عقد نكاح بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين ، وهم: غياث الدين غازي، ومظفر الدين خضر، ونجم الدين مسعود، وشرف الدين يعقوب ، والصداق في كل كتاب عشرون ألف دينار.
وعقد السلطان الهدنة مع رسول القومص ملك الفرنج بطرابلس ، ونودي بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال ، من غير استثناء طبيب ولا كاتب.
ومات الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي صاحب حلب في يوم الجمعة خامس عشري رجب ، فقام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي. وكان موت الصالح هو المحرك للسلطان صلاح الدين على السفر، وكتب لابن أخيه المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وغيره من النواب بالتأهب ، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب.

سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

وأهلت سنة ثمان وسبعين ، والسلطان مبرز بظاهر القاهرة، فلما خرج الناس لوداعه ، وقد اجتمع عنده من العلماء والفضلاء كثير، وهم يتناشدون ما قيل في الوداع ، فأخرج بعض مؤدبي أولاد السلطان رأسه من الخيمة، وقال :

فما بعد العشية من عرار   تمتع من شميم عرار نجد

فتطير الحاضرون من ذلك ، وصحت الطيرة، فإن السلطان رحل من ظاهر القاهرة
في خامس المحرم من هذه السنة، ولم يعد بعد ذلك إلى القاهرة، فسلك في طريقه على أيلة، فأغار على بلاد الفرنج ، وسار على سمت الكرك ، وبعث أخاه تاج الملوك بالعسكر على الدرب ، وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق ، فأغار على طبرية وعكا، وأخذ الشقيف أرنون ، وعاد بألف أسير وعشرين ألف رأس غنم ، وأنزل فيه طائفة من المسلمين وألقى الريح بطسة للفرنج إلى بر دمياط ، فأسر منها ألف وستمائة وتسعون نفسا سوى من غرق ، فدخل السلطان إلى دمشق ، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فأقام بها يسيرا، ثم أغار على طبرية، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة كوكب ، واستشهد جماعة من المسلمين ، وعاد إلى دمشق في رابع عشر ربيع الأول ، وخيم بالفوار من عمل حوران ، وأقام به حتى رحل إلى حلب .وخرج سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب بن شادي، من القاهرة إلى اليمن ، بعد مسير السلطان ، ووصل إلى زبيد فملكها، وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار، واحتوى على عدن أيضا.
وخرج السلطان من دمشق يريد حلب ، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، ونازلها ثلاثة أيام ، ثم رحل إلى الفرات ، فخيم على غربي البيرة، ومد الجسر، وكاتب ملوك الأطراف ، ورحل إلى الرها فتسلمها، وسار عنها إلى حران فرتبها، وانفصل عنها إلى الرقة فملكها وما حولها، ونازل نصيبين حتى ملكها وقلعتها، فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى، فسار ونازل الموصل في يوم الخميس حادي عشر رجب ، وألح في القتال فلم ينل غرضا، ورحل يريد سنجار، فنازلها وضايقها من يوم الأربعاء سادس عشري شعبان.
ودخل رمضان : فكف عن القتال ، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانيه ، وأعطاها ابن أخيه الملك المظفر تقي

الدين عمر، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد، وسار عنها إلى حران ، ثم رحل ونزل على آمد، لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة.

وفيها قصد الفرنج بلاد الحجاز، وأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفنا، وحملها على البر إلى بحر القلزم ، وأركب فيها الرجال ، وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة القلزم ، لمنع أهلها من استقاء الماء.

وسارت البقية نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا، وأحرقوا في بحر القلزم نحو ست عشرة مركبا وأخذوا بعيذاب مركبا ياتي بالحجاج من جدة، وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب ، وقتلوا الجميع ، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن ، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين ، وأحدثوا حوادث لم يسمع في الإسلام بمثلها، ولا وصل قبلهم رومي إلى ذلك الموضع ، فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة النبوية. فجهز الملك العادل ، وهو يخلف السلطان بالقاهرة، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم فعمر مراكب بمصر والإسكندرية ،وسار إلى أيلة، وظفر بمراكب للفرنج ، فحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب ، وتبع مراكب الفرنج ، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها، وأطلق من فيها من التجار المأسورين ، ورد عليهم ما أخذ لهم ، وصعد البر، موكب خيل العرب حتى أدرك من فر من الفرنج وأخذهم ، فساق منهم اثنين إلى منى ونحرهما بها كما تنحر البدن ، وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذي الحجة ، فضربت أعناقهم كلهم . وعاد الأسطول من بحر الروم بعد نكاية أهل الجزائر، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلا.

ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور في دمشق في أول جمادى الآخرة. ومات الشيخ الزاهد روزبهار بن أبي بكر بن محمد أبي القاسم الفارسي الصوفي، يوم الأربعاء الخامس من ذي القعدة، ودفن بقرافة مصر.

وفيها انقرضت دولة آل سبكتكين ، وكان ابتداؤها سنة ست وستين وثلاثمائة، فملكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة .وأولهم محمود بن سبكتكين ، وآخرهم خسروشاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين . وقام بعدهم الغورية وأولهم عز الدين حسن ، صاحب بلاد الغور.

وفيها ورد الخبر بأن الماء الذي في زقاق سبتة قل ، حتى ظهرت القنطرة التي كان يعبر الناس عليها في قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمها، فلما قل الماء في هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قامتين ، ورأى الناس آثار بنيانها، وأن مركبا انكسر عليها.

سنه تسع وسبعين وخمسمائة

وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، فتسلمها في أوئل المحرم ، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان . وخرج الفرنج إلى نواحى الداروم ينهبون ، فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر وأيلة، فاظفرهم الله ، وقتلوا وغنموا وعادوا سالمن.

وفيه سار الأسطول من مصر، فظفر ببطسة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون علجا، قدموا بهم في خامس المحرم إلى القاهرة، وتوجه سعد الدين كمشبه الأسدي وعلم الدين قيصر إلى الداروم ، فأوقعوا بالفرنج على ماء، وقتلوهم جميعا، وقدموا بالرءوس إلى القاهرة في رابع عشريه . ورحل السلطان عن آمد، وعبر الفرات يريد

حلب ، فملك عين تاب وغيرها، ونزل على حلب " بكرة يوم السبت سادس عشري المحرم" وقد خرب السلطان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قلعته في جمادى من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. وتسلمها صلاح الدين بصلح ، يوم السبت ثامن عشر صفر، على أن تكون لعماد الدين منجار.

ومات تاج الملوك بوري بن أيوب بن شادي في يوم الخميس ثالث عشريه بحلب . وسار عماد الدين إلى سنجار، فولى السلطان قضاء حلب محيي الدين محمد بن الزكي علي القرشي قاضي دمشق ، فاستناب بها زين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسي، وولي يازكج قلعتها، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي ملكا بها،ورحل عنها لثمان بقين من ربيع الآخر.فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى، وأقام بها إلى سابع عشريه ، وبرز وسار إلى بيسان ، فعبر نهر الأردن في تاسع جمادى الآخرة، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها وفعل ذلك بعدة قلاع ، وأوقع بكثير من الفرنج واجتمع بعين جالوت من الفرنج خلق كثير، ثم رحلوا، وأسر السلطان منهم كثيرا، وخرب من الحصون حصن بيسان وحصن عفر بلا وزرعين ، ومن الأبراج والقرى عشرة، وعاد إلى دمشق لست بقين من جمادى الآخرة، ثم خرج في يوم السبت ثالث رجب يريد الكرك ، فنازله مدة ولم ينل منه عرضا، فسار إلى دمشق ، وقد وصل إليه أخوه الملك العادل من مصر في رابع شعبان . فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك ، وقد خرج إليه بعسكر مصر.

وفي يوم الخميس خامس عشره : رحل الملك المظفر تقي الدين من الكرك إلى مصر عوضا عن العادل ، وارتجع عن العادل إقطاعه بمصر، وهو سبعمائة ألف دينار في كل سنة، فجهز إليها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ومعه القاضي الفاضل ، وأنعم على تقي الدين بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش وأبقى عليه مدينة حماة وجميع أعمالها.

ووصل السلطان إلى دمشق لثمان بقين من رمضان ، وبعث بالملك العادل إلى حلب في ثاني رمضان . فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج ، وقدم شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر، ليصلحا بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل ، ومعهما القاضي محيي الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزورى، وبهاء الدين بن شداد، فأقاموا مدة ورحلوا بغير طائل ، في سابع ذي الحجة.

وفيها ظهر بقرية بوصير بيت هرمس ، فخرج منه أشياء، منها كباش وقرود وضفادع بازهر ودهنج وأصنام من نحاس.

وفيها قتل شرف الدين برغش على الكرك في ثاني عشري رجب ، فحمل إلى زرع ودفن في تربته.

وفي سنة تسع وسبعين هذه وقعت بالوجه البحري قطع برد كبيض الأوز أخربت ما صادفته من العامر، ودمرت الزروع ، وأهلكت كثيرا من الماشية والناس.

سنة ثمانين وخمسمائة

في خامس المحرم : توجهت قافلة بغلات وسلاح وبدل مجرد إلى قلعتي أيلة وصدر، وخرج من الشرقية جماعة يخفرونها مع قيصر وإلى الشرقية، فأوصلها إلى أيلة وصدر. وعاد في خامس عشريه ، وكان العدو قد نهض إليها وعاد عنها.

وأهلت هذه السنة : والسلطان بدمشق ، فبعث إلى الأطراف يطلب العساكر، فقدم عليه ابن أخيه تقي الدين

بعساكر مصر ،ومعه القاضي الفاضل .و خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول إلى جسر الخشب ، وقدم الملك العادل من حلب ومعه نور الدين بن قرا أرسلان إلى دمشق يوم الخميس رابع عشريه ، وخرجا إلى الكسوة، فرحل السلطان في ثاني ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك ، وخرج تقي الدين في عسكر مصر، ومعهم أولاد الملك العادل وأهله ، يوم الأربعاء مستهله ، فساروا إلى أيلة، ووصلوا إلى السلطان في تاسع عشره وهو على الكرك.

وسارت أولاد العادل في حادي عشريه ، فلقوا العادل وهو على الفوار في خامس عشريه ووصل معهم زرافة، فاجتمعوا به وساروا إلى حلب ، ومعهم بكمش بن عين الدولة الياروقي، وعلي بن سليمان بن جندر، ونزل العسكر الحلبي على عمان مدينة البلقاء في ثامن جمادى الأولى، ورحل عنها في ثاني عشره إلى الكرك ، وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك في سابع عشره ، وعملت المجانيق إلى ليلة الخميس حادي عشريه ثم رميت تلك الليلة، ورحل العسكر كله لخبر ورد عن اجتماع الفرنج ، وساروا إلى اللجون ، ونزل الفرنج بالواله . ثم سار العسكر إلى ناحية البلقاء، فنزلوا حسبان تجاه الفرنج ، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشريه . فرحل الفرنج إلى الكرك ، والعسكر وراءهم إلى نابلس ، فهاجمها العسكر يوم الجمعة سلخه ، وحرقوها ونهبوها، وساروا فأخذوا أربعة حصون ، ونزلوا على جينين ونقبوا قلعتها حتى وقعت ، وقتل تحتها من النقابين عدة، وأخذت عنوة وغنم منها شيء كثير. ورحلوا في ليلتهم إلى زرعين وعين جالوت ، وأحرقوهما في الليل ، وعبروا الأردن يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة، ونزلوا الفوار رابعه.

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعه ، ومعه عساكره كلها، وقدم أخوه العادل من حلب ، وأتته العساكر المشرقية وعساكر الحصن وآمد، وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج ، فنازلها في رابع عشر جمادى الأولى ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها.

وقدمت الأمداد من الفرنج ، فرحل السلطان إلى نابلس ، ونهب كل ما مر به من البلاد، وأحرق نابلس وخربها ونهبها، وقتل وسبى وأسر، واستنقذ عدة من المسلمين كانوا أسرى، وسار إلى جينين ، وعاد إلى دمشق ، فقدم عليه رسل الخليفة، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد أحمد، وشهاب الدين بشير الخادم ، ومعهما خلع السلطان والملك العادل ، فلبساها .وطلب الرسولان تقرير الصلح بين السلطان وبن عز الدين صاحب الموصل ، فلم يتقرر بينهما صلح ، وخرجا من دمشق ، فماتا قبل وصولهما إلى بغداد.

وخلع السلطان على جميع العساكر، وأذن لهم في المسير إلى بلادهم ، بعدما أعطاهم شيئا كثيرا، فساروا.

وفي نصف شعبان : سار المظفر تقي الدين بعساكر مصر يريد العود إلى القاهرة، وقرأت وصية سلطانية، تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر، وولاية الملك الأفضل أكبر أبناء السلطان على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب ، وان مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر، ويستقر الكافلان في خبزيهما وما بأيديهما، ومن عدم من الولدين قام الأمثل من إخوته مقامه ، أو من الكافلين قام الباقي منهما مقام الآخر، واستحلف الحاضرون من الأمراء، وولى قراءة العهد بذلك القاضي المرتضى بن قريش . وسومح بهلإلي البهسنا، وهو ألف ومائتا دينار، وسومح بالأتبان ، وما تقصر عن ألفي دينار، ومنع من ضمان المزر والخمر والملاهي، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان

بديار مصر.

وخرج السلطان من دمشق يريد البلاد الشرقية، فأقام بحماة بقية السنة، وكان نزوله عليها في عشري ذي القعدة.

وفي هذه السنة : أقيمت خطبة في سابع المحرم عند قبر سارية بلحف الجبل ، في غير بنيان وبغير سكان ، وتم ذلك بعصبية جماعة، ثم أحدث جامع عند قبة موسك وبقيت سنين.

وبلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم ، وغرقت البساتين والأقصاب ، وفاضت الآبار، وانقطعت الترع ، وكثر الضرر،كما حصل في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وفي هذه السنة : مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب ، لسبع خلون من رجب.

ومات إيلغازي بن نجم الدين بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق الأرتقي قطب الدين ، صاحب ماردين ، في جمادى الآخرة.

وفيها مات آقسنقر الساقي، صهر قراجا الهمام ، بحلب في يوم الجمعة حادي عشر وفيها رسم السلطان بتقييد أولاد الخليفة العاضد الفاطمي ومن بقي من أقاربه.

تتمة سنة ثمانين وخمسمائة

أول المحرم يوم الإثنين : فيه ابتدئ بالتدريس في المدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا من القاهرة.

وفي خامسه : توجهت القافلة بالبدل المجرد إلى قلعتي صدر وأيلة مع قيصر والي ا لشرقية.

وفي سابعه : أقيمت الخطبة عند قبر سارية بلحف الجبل في غير بنيان ولا سكان.

وفي ثامنه : وردت كتب السلطان من دمشق ، باستدعاء العساكر، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة.

وفي حادي عشره : كانت فتنة بين العرب الجذاميين ، فخرج عسكر إلى الشرقية، وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده ، لدعوة عملها الطواشي قراقوش عند قناة طرة، وعاد من الغد.

وفي ثامن عشره : وردت كتب السلطان من دمشق ، لاستنهاض العساكر لغزاة الكرك ، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه ، فبرزت الخيام إلى بركة الجب في عشريه ، وخرج من الغد الملك المظفر تقي الدين النائب بمصر.

وفي ثاني عشريه: ورد الخبر من ناظر قوص بغرق أربع جلاب ، بها ألف وثلاثمائة رجل من الحجاج ، هلكوا كلهم.

وفي خامس عشريه : عاد قيصر وإلى الشرقية من صدر، بعد أن أوصل القافلة إلى أيلة، وعاد بالقافلة العائدة، وكان العدو قد نهض إليها، ثم عاد عنها.

وفي سلخه : ورد الخبر بأن المؤيد سيف الإسلام ملك بلاد اليمن ، واعتقل خطاب ابن منقذ بزبيد.

وأهل صفر: في رابعه : ورد الخبر بوصول تابوتي نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، إلى المدينة النبوية،

ودفنهما بها، وكان قد حمل بهما إلى قوص ، وعدى بهما من بحر عيذاب إلى المدينة، وكان سيرهما في أول السنة الماضية.

وفي سادسه : سار الأسطول ، وهو أحد وثلاثون شينيا وحراقة.

وقي سابعه : جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة، سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة من مسائل الكلام في مجلس وعظه ، وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه ، فرسم برفع كراسي وعظ الفريقين ، وقد أطلق كل من الفريقين لسانه في الآخر.

وفي ثامنه : وقع مطر عظيم ، ورعد قاصف وريح عاصف ، وبرق خاطف وبرد كثير كبار، فحل بالعسكر المبرز بلاء شديد، وعطبت الثمار، وتفسخت الأشجار، وانقعر النخل ، وعمت الجائحة الثمار والزروع ، التي لم تحصد وما حصد، وتلفت المقاثي.

وفي عاشره : عقد مجلس لأصحاب الدواوين للمفاضلة ما بين ابن شكر وابن عثمان ، فتسلم ابن عثمان الدواوين ، بعد أن أخذ خطه بزيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع ، ثم صرف بابن شكر في ثالث عشره.

وأهل شهر ربيع الأول : في ثاني عشره : سار المظفر تقي الدين من بركة الجب ، يريد السلطان بدمشق ، وعاد ابن السلار إلى القاهرة نائبا عن المظفر.

وعاد ابن شكر ناظر الدواوين إلى القاهرة في خامس عشره ، ومعه ولد المظفر، فخرج الناس لتلقيه.

وأهل شهر ربيع الآخر: في عشريه : قدم المظفر على السلطان صلاح الدين بالقرب من الكرك.

و في عاشر جمادى الآخرة : أخلت أهل بلبيس بلدقم في ليلة واحدة، وقد سمعوا بمسير الفرنج إلى فاقوس ، واضطرب الناس بالقاهرةومصر والجيزة، فسميت الهجة الكذابة.

وقدم الخبر بأن سيف الإسلام قتل خطاب بن منقذ ومثل به ، واستصفى أمواله باليمن ، وقبض على ألزامه . وكان العسكر عقيب الهجة خرج إلى بلبيس ، فنهبها الغلمان ، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيرا، وساقوا أغناما لا تدخل تحت حصر.

وفي رابع عشري شعبان : قدم المظفر تقي الدين إلى القاهرة بالعسكر، بعد شدة لحقتهم في طريقهم.

وفي ذي القعدة : ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلثة وسبعين حصنا، وقدم أهل خطاب بن منقذ وأخوه محمد إلى مصر.وخرج تقي الدين ابن أخي صلاح الدين إلى البحيرة ليكشف أحوالها.

وكان معه كاتبه الرضى بن سلامة، فاستدفع من الدواوين حساباقم ، وسار بها على بغل صحبة تقي الدين ، فأرسل الله صاعقة من السماء أحرقت البغل وما عليه من الحساب ، وعاد تقي الدين.

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

وأهلت سنة إحدى وثمانين فسار السلطان وبلغ حران ، في يوم الجمعة ثامن عشري صفر فقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبري، واستولى عليها. ورحل عنها في ثاني ربيع الأول فوافته رسل الملك قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي صاحب الروم باتفاق ملوك الشرق بأجمعهم على قصده، إن لم يعد عن الموصل وماردين ،

فسار يريد الموصل ، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل ، ونزل عليها وحاصر أهلها وقاتلهم. فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقمان الثاني ناصر الدين محمد بن إبراهيم صاحب خلاط في تاسع ربيع الأول ، فرحل صلاح الدين في آخره يريد خلاط ، ثم عاد و لم يملكها، وسار إلى ميافارقين فتسلمها، ثم عاد إلى الموصل ، ونزل على دجلة في شعبان ، وأقام إلى رمضان ، فمرض مرضا مخوفا، فرحل في آخر رمضان ، وهو لما به وقد أيس منه ، فترل بحران ، فتقرر فيها الصلح بينه وبين المواصلة في يوم عرفة، وخطب له بجميع بلاد الموصل ، وقطعت خطبة السلجوقية، وخطب له في ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية، وضربت السكة باسمه ، وأمر بالصدقات في جميع ممالكه.

وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول : حدثت بمصر زلزلة، وفي مثل تلك الساعة كانت زلزلة في بعلبك أيضا.

وفيه كانت بالاسكندرية فتنة بين العوام ، نهبوا فيها المراكب الرومية، فقبض على عدة منهم ومثل بهم.

ومات في هده السنة

الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، ليلة عيد الأضحى . واتهم السلطان بأنه سمه فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده.

ومات فخر الدولة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسواني ابن أخت الرشيد والمهذب ابني الزبير فيها. وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان ، ثم كتب لأخيه العاد ل.

ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد.

ومات الأمير مالك بن ياروق في منبج ليلة السبت مستهل رجب ، محمل إلى حلب ودفن بها.

وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين أنار التي تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق ، وكانت وفاتها يوم الاثنين ثالث ذي القعدة.

وفيها خرج المظفر تقي الدين عمر إلى كشف أحوال الإسكندرية، وشرع في عمل سور على مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسي، واتصلت العمارة في خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين وبجوار جامع ابن طولون والكبش، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع بشقاف القتر والخرشتف وتراب الأرض ، وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة.

وفي شعبان ورمضان : وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة، وكثر الوباء في الدجاج أيضا.

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

وأهلت سنة اثنتين وثمانين : وقد أبل السلطان من مرضه ،فرحل من حران ، و نزل حلب في رابع عشر المحرم ،ومر من حلب إلى حمص ، فرتب أمورها واسقط المكوس منها. ودخل إلى دمشق في ثاني ربيع الأول ، واستدعى ابنه الأفضل عليا من مصر ، لمنافرة كانت بينه وبن ابن عمه المظفر تقي الدين ، فقدم عليه بأهله وحشمه ، لسبع بقين من جمادى الأولى، وصرف العادل عن حلب ، ولقرر عوضه بها الملك الظاهر غياث الدين

غازي ابن السلطان ، وعوض العادل الشرقية بديار مصر.
وصرف المظفر تقي الدين عمر من ديار مصر ونيابتها، فغضب لذلك ، وعبر بأصحابه إلى الجيزة يريد اللحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى، وأخذ بلاد المغرب ، وجعل مملوكه بوري في مقدمته ، فبلغ ذلك السلطان ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فقبح الأكابرعليه مشاقته السلطان وحذروه ، فأجاب وتوجه إلى دمشق ، فوصلها ثالث عشري شعبان ، واستمر على ما بيده من حماة والمعرة ومنبج وأضيف إليه ميافارقين، وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه من مصر، ماخلا زين الدين بوري مملوكه ، فإنه سار إلى المغرب ، وملك هناك مواضع كثيرة. ثم قصده صاحب المغرب وأسره ، ثم أطلقه وقدمه.
ووصل الأفضل على ابن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى، وهو أول قدومه إليها، وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر، ومعه عمه العادل أتابكا.
وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشري صفر، فدخلا إلى القاهرة في خامس رمضان.

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس ، فالتجأ القومص إلى السلطان ، وصار يناصحه ، واستولى الإبرنس ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة، فأسر من فيها وامتنع من إجابة السلطان إلى إطلاقهم ، فتجهز السلطان لمحاربته ، وكاتب الأطراف بالمسير لقتاله.
وفيها مات بمصر عبد الله بن أبي الوحش بري بن عبد الجبار بن بري النحوي، ليلة السبت لثلاث بقين من شوال ،ومولده بدمشق في خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وأهلت سنة ثلاث وثمانين وقد برز السلطان من دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول المحرم ، واقر ابنه الأفضل على رأس الماء، ونزل بصرى، فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا في آخر صفر. فسار إلى الكرك ، في اثني عشر ألف فارس ، ونازلها وقطع أشجارها، ثم قصد الشوبك ، ففعل بها مثل ذلك . وخرج الحاجب لؤلؤ على الأسطول من مصر، وهو خمسة عشر شينيا، ليسير إلى الإسكندرية. وخرج العادل من القاهرة في سابع المحرم إلى بركة الجب ، وسار إلى الكرك ، فمر على أيلة، والتقى مع السلطان على القريتين ، وعادا إلى الكرك ، فنازلاها في ربيع الأول ، وضايق السلطان أهلها، ثم رحل عنها، ونازل طبرية، فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفا بأرض عكا، ورفعوا صليب الصلبوت ، فافتتح السلطان طبرية عنوة في ثالث عشري ربيع الآخر، وغاظ ذلك الفرنج وتجمعوا، فسار إليهم السلطان ، وكانت وقعة حطين ، التي نصر الله فيها دينه ، في يوم السبت رابع عشريه . وانهزم الفرنج بعد عدة وقائع ، وأخذ المسلمون صليب الصلبوت ، وأسروا الإبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك ، وعدة ملوك آخرين وقتل وأسر من سائر الفرنج ما لا يعد كثرة.
ثم قدم الإبرنس أرناط ، وضرب السلطان عنقه بيده ، وقتل جميع من عنده من الفرنج الداوية والاسبتارية ورحل السلطان إلى عكا، فنازلها سلخ ربيع الآخر، ومعه عالم عظيم.
قال العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: كان السوق الذي في عسكر السلطان على عكا عظيما، ذا مساحة فسيحة، فيه مائة وأربعون دكان بيطار، وعددت عند طباخ واحد ثمانيا وعشرين قدرا، كل قدر تسع

رأس غنم.

وكنت أحفظ عدد الدكاكين، لأنها كانت محفوظة عند شحنه السوق ، وأظنها سبعة آلاف دكان ، وليست مثل دكاكين المدينة، بل دكان واحد مثل مائة دكان ، لأن الحوائج في الأعدال والجوالقات ، ويقال إن العسكر أنتنت مترلتهم لطول المقام ، فلما ارتحلوا غير بعيد، وزن سمان أجرة نمل متاعه سبعين دينارا، وأما سوق البز العتيق والجديد، فشيء يبهر العقل . وكان في العسكر اكثر من ألف حمام ، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة ، يجتمع متهم اثنان أو ثلاثة ويحفرون ذراعين فيطلع الماء، ويأخذون الطين فيعملون منه حوضا وحائطا، ويسترونه بحطب وحصير، ويقطعون حطبا من البساتين التي حولهم ، ويحمون الماء في قدور، وصار حماما يغسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر.

فلم يزل صلاح الدين على محاصرة عكا إلى أن تسلمها بالأمان ، في ثاني جمادى الأولى، واستولى على ما فيها من الأموال والبضائع ، وأطلق من كان بها من المسلمين مأسورا، وكانوا أربعة آلاف نفس ، ورتب في كنيستها العظمى منبرا، وأقيم فيها الجمعة.

وأقطع عكا لابنه الأفضل على، وأعطى جميع ما للداوية من إقطاع وضياع للفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري.

وسار العادل بعساكر مصر إلى مجدليابا فحصره وفتحه وغنم ما فيه . وافتتحت عدة حصون حول عكا: وهي الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والتولع والطور ونهب ما فيها، وسبيت النساء والأطفال ، فقدموا بما سد الفضاء. وأخذت سبسطية ونابلس ، وكتب السلطان للخليفة بخبر فتح هذه البلاد. ونزل العادل على يافا، حتى ملكهاعنوة ونهبها، وسبى الحريم وأسر الرجال ، ونازل المظفر تقي الدين عمر تبنين ، وأدركه السلطان فوصل إليها في حادي عشر جمادى الأولى ومازال محاصرا لها حتى تسلمها في ثامن عشره بأمان ، وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم السلطان العدد والدواب والخزائن ، وسار فأخذ صرخد بغير قتال ،ثم رحل إلى صيداء،ففر أهلها وتركوها، فتسلمها السلطان في حادي عشريه . ونازل بيروت وضايقها ثمانية أيام ، إلى أن طلب أهلها الأمان ، فأجابهم واستولى عليها في تاسع عشريه ،وأخذ جبيل فكان من استنقذ الله من المسلمين المأسورين عند الفرنج ، في هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان ، وأسر المسلمون من الفرنج مائة ألف أسير.

وهلك في هذه السنة القومص صاحب طرابلس ، وقدم المركيس" أكبر طواغيت الفرنج" إلى صور، وقد اجتمع بها أمم من الفرنج ، فتملك عليهم ، وحصن البلد، فسار السلطان بعد فتح بيروت ، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم ، واجتمع بأخيه العادل ،ونازلا عسقلان ،في سادس عشر جمادى الآخرة،ونصبا المجانيق عليها،ووقع الجد في القتال ، إلى أن تسلم السلطان البلد في سلخه ، وخرج منه الفرنج إلى بيت المقدس ، بعد أن ملكوه خمسا وثلاثين سنة. وتسلم السلطان حصون الداوية وهي غزة والنطرون وبيت جبريل وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، ووافته الأساطيل وعليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كسفت ،قبل أخذ عسقلان بيوم ،حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب في يوم الجمعة ثامن عشريه.

وسار السلطان " وقد اجتمعت إليه العساكر " يريد فتح بيت المقدس ، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب ، وبه حشود الفرنج وجميعهم ، فنصب المجانيق ، واقتتل الفريقان أشد قتال ، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور ونقبوه ، وأشرفوا على أخد البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان ،

فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان ، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة ، دنانير مصرية،سواء كان غنيا أو فقيرا،وعن المرأة خمسة دنانير،وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين . ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشري رجب ، وأخرج من فيه من الفرنج ، وكانوا نحو الستين ألفا،بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفا،مابين رجل وامرأة وصبي،وهم من لايقدر على شراء نفسه.

وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء ، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس ، فأتوه رجالا وركابنا من كل جهة لزيارته ،حتى كان من الجمع مالا ينحصر،فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان ، وخطب القاضي محيي الدين بن الزاكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين ، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا ،فوعظ الناس.

وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم ، وحمل منبر مليح من حلب ، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت ، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه ، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة قمامة، ثم فتحت ، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح ، وإلى سائر الأطراف . ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به . وسار العادل مع السلطان ، فنزلا على عكا أول شهر رمضان ، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه ، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان ، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شواني ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالإعتذار ، ورحل عن صور في آخر شوال . وعادت العساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا ، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب ، وقتلوا بها جماعة من المسلمين ، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس.

وفي هذه السنة : " أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة": اجتمع الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري وزحل وأظفار الذئب ، في برج الميزان ، أربع عشره ساعة، فاجتمع المنجمون كلهم ، وحكموا بكون طوفان الريح ، وأنه كائن وواقع ولابد، فتنقلب الأرض من أولها إلى آخرها، وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات ، ولا شجرة ولا جدار إلا سقط . وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم ، وأرجفوا بأنها هي القيامة، فاتخذ قوم الكهوف والمغائر في الجبال ، وبالغوا في الاعتداد لهول ذلك اليوم . وقال القوم" : كتب القدماء كلها أحالت على هذا الاجتماع ، وإن فيه دمار الدنيا" . وكان ذلك في مسرى، وفي جمادى الآخرة للسابع والعشرين منه ، وهو يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم الأربعاء. فلم تهب ريح ، ولا تحرك نيل مصر، وهو في زيادته في مسرى، ومن العادة أن تهب الريح من العصر إلى العشاء في وجه الماء، ليقف بإذن الله ، فتكون فيه الأمواج ، فلم يحدث تلك الليلة، ولا ثاني يوم ولا قبلها بيوم شيء من ذلك ، وطلع الناس بالسرج

الموقدة على السطوحات لاختبار الهواء، فلم تتحرك نار البتة. كان أشد الناس إرجافا بهذه الكواكب الروم ، فأكذبهم الله،و سلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ،فأخذ كبارهم،وملأ الأرض من الأسرى شرقا وغربا، وأخذ القدس ، وأصاب جماعة ممن كان يرجف بهذه الريح آفات ، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم.

وفيها خرج في سادس عشر جمادى الآخرة قفل شامي إلى مصر، وهو أول قفل سلك بلاد الساحل ، بلا حق يسمعه ولا مكس يوديه.

وفيها سار قراقوش التقوى، واستولى على القيروان ، وحاربه ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه ، وأقيمت الخطبة في ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين . فجمع ابن عبد المؤمن ، وواقع قراقوش وهزمه ، ففر قراقوش في البرية.

وفيها أمر السلطان بأن تبطل النقود التي وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها، وأن يكون ما يضرب من الدنانير ذهبا مصريا، ومن الدراهم الفضة الخالصة، وأبطل الدراهم السود لاستثقال الناس الميزان ، فسر الناس ذلك.

سنة أربع وثمانين وخمسمائة

فيها نازل السلطان حصن كوكب أياما، و لم ينل منها شيئا، فأقام الأمر صارم الدين قايماز النجمي في خمسمائة فارس عليها، ووكل بصفد الأمير طغرل الخازندار في خمسمائة فارس ، وبعث إلى الكرك والشوبك الأمير سعد الدين كمشبه الأسدي ، واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي من مصر، فاستخلف على عمارة سور القاهرة، وقدم والسلطان على كوكب ، فندبه لعمارة عكا، فشرع في تجديد سورها وتعلية أبراجها، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والدواب ، وسار السلطان يريد دمشق ، فدخلها سادس ربيع الأول ، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام ، كسر فيها الفرنج ، وفتح بيت المقدس ، فلازم الجلوس في دار العدل بحضرة القضاة، وكتب إلى الجهات باستدعاء الأجناد للجهاد، وخرج بعد خمسة أيام على بعلبك ،فوافاه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار على أعمال حمص ، فنزلا على بحيرة قدس. وبعث السلطان ابنه الظاهر وابن أخيه المظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية ، وسار أول ربيع الآخر وشن الغارات على صافيتا وتلك الحصون المجاورة. وسار في رابع جمادى الأولى على تعبية لقاء العدو، فأخذ أنطرسوس ، واستولى على ما بها من المغانم ، وخرب سورها وبيعتها، وكانت من أعظم البيع ، ووضع النار في البلد فأحرق جميعه ، وسار يريد جبلة، فنازلها لاثنتي عشرة بقيت منه ، وتسلمها بغير حرب ، ثم أخذ اللاذقية بعد قتال ، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة. وسار إلى صهيون ، فقاتل أهلها إلى أن ملكها في ثاني جمادى الآخرة، واستولى على قلعتي الشغر وبكاس وعدة حصون ، وأسر من فيها، وغنم شيئا كثيرا.

فلما فتح بغراس بعث الإبرنس ملك أنطاكية يسأل الصلح ، فأجيب إلى ذلك ، على

شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين ، وهم ألف إنسان ، وعاد صاحب سنجار إلى بلده، وسار السلطان إلى حلب ، فأقام بها ثم سار عنها، ودخل إلى دمشق في آخر شعبان وما زال كمشبه محاصرا للكرك حتى تسلم قلعتها، ومعها الشوبك والسلع ، وعدة حصون هناك ، في رمضان . فلما وردت البشرى بذلك

على السلطان سار من دمشق ، ونازل صفد حتى ملك قلعتها بالأمان في رابع عشر شوال ولحق من كان فيها من الفرنج بصور ثم سار إلى كوكب وضايقها حتى تسلمها، في نصف ذي القعدة بأمان ، وأرسل أهلها إلى صور. فكثر بها جموع الفرنج ، وكاتبوا إفرنج صقلية والأندلس ، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بخبر هذه الفتوح ، ورحل فترل في صحراء بيسان.

وفيها ثار بالقاهرة اثنا عشر رجلا من الشيعة في الليل ، نادوا: "يال علي. . يال علي". وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك ، ظنا منهم أن رعية البلد يلبون دعوقم ، ويقومون في إعادة الدولة الفاطمية، فيخرجون من في الحبوس ، ويملكون البلد. فلما لم يجبهم أحد تفرقوا.

وسار السلطان إلى القدس ، فحل به في ثامن ذي الحجة، وسار بعد النحر إلى عسقلان ، وجهز أخاه العادل إلى مصر لمعاضدة الملك العزيز، وعوضه بالكرك عن عسقلان ، وكان قد وهبها له ، ثم نزل بعكا.

سنة خمس وثمانين وخمسمائة

ودخلت سنة خمس وثمانين : فسار السلطان عن عكا، ودخل دمشق أول صفر، فورد عليه في ثاني عشره ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة، رسول الخليفة الناصر، بالخطبة لابنه ولي العهد ، عدة الدنيا والدين أبي نصر محمد، فأقيمت له . وجهز الرسول ، ومعه ضياء الدين القاسم بن يحيى الشهرزوري، وبعث معه بمدايا وتحف وأسارى من الفرنج للخليفة، ومعهم تاج ملك الفرنج والصليب الذي كان فوق صخرة بيت المقدس ، وأشياء كثيرة . فدفن الصليب تحت عتبة باب النوبي ببغداد وديس عليه ، وكان من نحاس مطلي بالذهب.

وخرج السلطان من دمشق في ثالث ربيع الأول ونازل شقيف أرنون وهو متزعج ، لانقضاء الهدنة مع صاحب أنطاكية، ولاجتماع الفرنج بصور، واتصال الأمداد بهم ، فكانت للمسلمين مع الفرنج في بلادهم الساحلية عدة وقائع ، قتل فيها من الفريقين عدة، وكثر القتل في المسلمين ، واشتدت نكاية الفرنج فيهم ، فرحل السلطان إلى عكا، وقد سبقه الفرنج ونزلوا عليها. ونزل السلطان بمرج عكا وصار محاصرا للفرنج ، والفرنج محاصرين للبلد. وتلاحقت به العساكر الإسلامية، والأمداد تصل إلى الفرنج من البحر. فلم يقدر السلطان على الوصول إلى البلد، ولا استطاع أهل عكا أن يصلوا إلى السلطان . وشرع السلطان في قتال الفرنج من أول شعبان ، إلى أن تمكن من عكا، ودخلها في ثانيه ، فما زالت الحرب قائمة إلى رابع رمضان . فتحول إلى الخروبة، وأغلق من في عكا من المسلمين أبوابها، وحفر الفرنج خندقا على معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر، وأداروا حولهم سورا مستورا بالستائر، ورتبوا عليه الرجال ، فامتنع وصول المسلمين إلى عكا.

وقدم العادل بعسكر مصر في نصف شوال ، وقدم الأسطول من مصر إلى عكا في خمسين قطعة، وعليه الحاجب لؤلؤ في منتصف ذي القعدة ، فبدد شمل مراكب الفرنج ، وظفر ببطستين للفرنج . فاستظهر المسلمون الذين بعكا، وقوي جأشهم بالأسطول ، وكانوا نحو العشرة آلاف.

وبعث السلطان إلى الأطراف يحث الناس على الجهاد، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طغتكين باليمن ، يطلب منه الإعانة بالمال ، وإلى مظفر الدين قر أرسلان صاحب العجم ، وكتب إلى الخليفة. ووصلت الأمداد إلى الفرنج ، وورد الخبر من حلب بخروج ملك الألمان من القسطنطينية، في عدة عظيمة تتجاور الألف ألف ، يريدون البلاد الإسلامية، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين.

وتوفي في هذه السنة حسام الدين سنقر الخلاطي ليلة الاثنين سابع عشري رجب ، والأمير حسام الدين طمان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان ، والأمير عز الدين موسك بن جكو في شعبان ، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين.

ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون بدمشق ، يوم الثلاثاء حادي عشر رمضان ، ومولده أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

ومات ضياء الدين عيسى الهكاري، يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة بمنزلة الخروبة.

سنة ست وثمانين وخمسمائة

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج ، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتي عشرة بقيت من ربيع الأول إلى تل كيسان وتتابع مجيء العساكر.

وكملت أبراج الفرنج الثلاثة، التي بنوها تجاه عكا في مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتلأت بالعدد والعدة، وطموا كثيرا من الخندق ، وضايقوا البلد .واشتد خوف المسلمين ، واشتدت الحرب بين الفريقين ، حتى احترقت الأبراج الثلاثة، وخرج أهل عكا منها، فنظفوا الخندق ، وسدوا الثغر، وغنموا ما كان في الأبراج من الحديد، فتقووا به.

وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك ، فتل فيها كثير من الفرنج. ودخل ملك الألمان بجيوشه إلى حدود بلاد الإسلام ، وقد فني منهم كثير، فواقعهم الملك عز الدين قلج بن أرسلان السلجوقي، فانكسر منهم ، فلحق به الفرنج إلى قونية وهاجموها، وأحرقوا أسواقها، وساروا إلى طرسوس يريدون بيت المقدس ، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون ، فمات بها ملكهم . وقام من بعده ابنه ، فسار إلى أنطاكية . وندب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب عكا إلى جهة أنطاكية، ووقع فيمن بقي معه مرض كثير، وأمر بتخريب سور طبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا وجبيل فخرب ذلك ، ونقل من كان فيها إلى بيروت وطمع الفرنج في السلطان لقلة من بقي معه ، فركبوا لحربه ونهبوا وطاق الملك العادل . وكانت للمسلمين معهم حرب ، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم ، وقتل منهم آلاف ، فوهت قواهم . غير أن المدد أتاهم ، ونصبوا المجانيق على عكا، فتحول السلطان إلى الحزوبة، فوافى كتاب ملك الروم بقسطنطينية، يخبر بوصول المنبر من عند السلطان ، وكذلك الخطيب والمؤذنين والقراء، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر لدين الله.

وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس في جيوشه ، وركب منها البحر إلى عكا، فوصل إليها سادس رمضان ، فأقام عليها إلى أن هلك ثاني عشر ذي الحجة، بعدما حارب المسلمين فلم ينل منهم كبير عرض .

ودخل الشتاء وقد طالت مدة البيكار، وضجرت العساكر من كثرة القتال ، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل.

وفيها تولى سيف الدولة أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ شد الدواوين بديار مصر، وباشر الأسعد بن مماتي معه الديوان في محرم.

ودخلت سنة سبع وثمانين : فسار الظاهر صاحب حلب إليها، وسار المظفر إلى حماة.

وبقي السلطان في جمع قليل ، والحرب بين أهل عكا وأمرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج . ودخل فصل الربيع ، فوافت العساكر السلطان ، ووصل إلى الفرنج مددهم ، فضايقوا عكا وجدوا في حصارها، ونصبوا عليها المجانيق . وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج ، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفا . وخرجوا يريدون الحرب ، فواقعهم السلطان وكسرهم ، ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم.

فلما كان في سابع عشري رجب برز الفرنج بخيامهم ، وأحضروا أسارى المسلمين ، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا فيها بأجمعهم في سبيل الله صبرا، واليزك الإسلامي ينظر إليهم . فحمل المسلمون عليهم ، وجرت بينهما حرب شديدة، قتل فيها عدة من الفريقين.

ولما أهل شعبان : سار الفرنج إلى عسقلان ، ورحل السلطان في أثرهم ، وواقعهم في رابع عشره بأرسوف ، فانهزم المسلمون ، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى القتال ، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف.

ورحل السلطان في تاسع عشره ، ونزل على عسقلان يريد تخريبها، لعجزه عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء ،وو قع الضجيج والبكاء في الناس أسفا وغما لخرابها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكنا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلخ شعبان.

قال الحافظ عبد العظيم المنذري في المعجم المترجم : "سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله" يعنى أبا المنصور البانياسي الناصري" يقول : لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج برجا وجدنا عليه مكتوبا عمر على يدي خطلج ، وهذا من عجيب الإتفاق . وشبيه بذلك ما أخبرني به القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى

الكاتب قال : رأيت بعسقلان برج الدم ، وخطلج المعزى يهدمه يعني في شعبان.

ورأيت عليه مكتوبا: مما أمر بعمارته السيد الأجل أمير الجيوش يعنى بدرا الجمالي على يد عبده ووليه خطلج في شعبان فعجبت من هذا الاتفاق ،كيف عمر في شعبان على يد خطلج ، وهدم في شعبان على يد خطلج.

ثم رحل السلطان عن عسقلان وقد خربت في ثاني رمضان ، ونزل على الرملة فخرب حصنها، وسم كنيسة لد، وركب إلى الفدس جريدة، ثم عاد وهدم حصن النطرون.

وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع في البر والبحر، فعاد السلطان إلى القدس في آخر ذي القعدة . وقدم أبو الهيجاء السمين بعسكر مصر، ووقع الاهتمام في عمارة سور بيت المقدس وحفر الخندق.

وفيها مات علم الدين سليمان بن جندر في آخر ذي الحجة.

ومات الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماة، وهو الذي أوقف منازل المعز بمصر مدرسة، في ليلة الجمعة تاسع رمضان ، ودفن بحماة.

ومات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن حسن بن عبد ا لله الخبوشاني الفقيه الشافعي الصوفي، يوم

الأربعاء ثاني عشري ذي القعدة، ودفن بالقرافة.

وفيها سلم أمر الأسطول بمصر للملك العادل ، فاستخدم فيه من قبله ، وأفرد برسمه الزكاة بمصر والحبس الجيوشي بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرظ وساحل السنط والمراكب الديوانية وإشنين وطنبذة فاستناب العادل في مباشرة ذلك ، واستخدم في ديوان الأسطول صفي الدين عبد ا لله بن علي بن شكر.

وأحيل الورثة الجيوشية على غير الحبس الذي لهم.

وعظمت زيادة النيل وغرق النواحي، وكثر رخاء الأسعار بمصر، فأبيع القمح كل مائة أردب بثلاثين دينارا، والخبز البائت ستة أرطال بربع درهم ، والرطب الأمهات ستة أرطال بدرهم ، والموز ستة أرطال بدرهم ، والرمان الجيد مائة حبة بدرهم ، وحمل الخيار بدرهمين ، والتين ثمانية أرطال بدرهم ، والعنب ستة أرطال بدرهم في شهر بابه بعد انقضاء موسمه المعهود بشهرين ، والياسمين خمسة أرطال بدرهم ، وثمر الحناء عشرة أرطال بدرهم ، والبسر الجيد عشرة أرطال بدرهم ، وما دونه خمسة عشر رطلا بدرهم . وكثربمصر والقاهرة التجاهر بمعاصي الله ، وظفر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف جبنة، كل جبنة قدر الرحى لا يقلها الراجل .

وحصلت بمصر زلزلة، وهبت سموم حارة فيها إعصار ثلاثة أيام ، أتلفت الخضروات التي فضلت من الغرق .

وانشقت زريبة جامع المقس لقوة الزيادة، وخيف على الجامع أن يسقط ، فأمر بعمارتها.

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

وأهلت سنة ثمان وثمانين : والسلطان بالقدس مجتهد في عمارته.

وفي ثالث المحرم : نزل الفرنج على ظاهر عسقلان ، لقصد عمارتها فما مكنوا، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج وغيره ، وتوالت الوقائع بينهم.

وفي صفر: سار الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان إلى البلاد الشرقية، على ما كان بيد الملك المظفر تقي الدين عمر من البلاد التي هي قاطع الفرات ، وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع والتشريفات . ثم نزل الملك العادل أبو بكر عن كل ماله في الشام ، ماخلا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ونصف خاصة بديارمصر، وعوض البلاد الشرقية.

وسار السلطان من القدس في أوائل جمادى الأولى، وكتب بعود الملك الأفضل ،فعاد منكسر القلب إلى السلطان . ولحق العادل بحران والرها وقرر أمرهما، ثم عاد إلى السلطان في أخر جمادى الآخرة.

وفي جمادى الآخرة : ملك الفرنج قلعة الداروم ، وخرج العسكر المصري يريدون السلطان ، فكبسهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم ، وتبدد الناس في البرية. وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل ، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل ، وعادوا إلى خيمهم وقد طمعوا،فقصدوا المسير إلى القدس ، ثم اختلفوا ونزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم في طلب الصلح ،فبرز السلطان من القدس في عاشر رجب ، وسار إلى يافا فحاصرها، و لم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة، وغنم الناس منها شيئا عظيما. وتسلم السلطان القلعة، وأخرج من كان فيها من الفرنج ، فقدم من الفرنج نجدة كبيرة في خمسين مركبا، فغدر أهل يافا بجماعة من المسلمين، وعاد القتال والمراكب في البحر لم تصل إلى البر، فسارع أهل المراكب إلى البر، وحملوا على السلطان، فرحل إلى يازور وأمر

بتخريبها، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس ، وعزم على لقاء الفرنج ، فاختلف عليه أصحابه ،وأسمعه بعضهم كلاما جافيا، فانثنى عن ذلك . وقدم عسكر مصر فخرج إلى الرملة، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثمان بقين من شعبان . وعقدت هدنة عامة في البر والبحر مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر أولها حادي عشر شعبان وهو أول شهر أيلول على أن يكون للفرنج من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وأنطاكية . ونودي في الوطاقات وأسواق العسكر: ألا إن الصلح قد انتظم ، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفعل . وكان يوم الصلح يوما مشهودا، عم فيه الطائفتين الفرح والسرور، لما نالهم من طول الحرب . فاختلط عسكر الفرنج بعسكر المسلمين ، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة، ودخل خلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة، فأكرمهم السلطان ومد لهم الأطعمة وباسطهم . ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا، ورحل السلطان إلى القدس ، وسار منها إلى دمشق ، ملقيه الأمر بهاء الدين قراقوش " وقد تخلص من الأسر " على طبرية.

ودخل السلطان إلى دمشق ، لخمس بقين من شوال ، فكانت غيبته عنها أربع سنين.

وأذن للعساكر في التفرق إلى بلادهم فساروا إليها، وبقي عند السلطان ابنه الأفضل علي والقاضي الفاضل.

وفيها انتقل سعر الفول بديار مصر من خمسة عشر دينارا إلى ثلاثين دينارا المائة أردب ، بحكم ان المشتري لعلوفة الوسية العادلية خمسون ألف أردب.

وفيها عثر على رجل اسمه عبد الأحد، من أولاد حسن ابن الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة، فقيل له :"أنت تدعي أنك الخليفة ؟" قال :"نعم". فقيل له : " أين كنت في هذه المدة ؟ " فذكر أن أمه أخرجته من القصر فتاه ، ووصل إلى طنبذة فاختفى بها، ثم خرج إلى مصر، فأواه رجل وشرع يتحدث له في الخلافة، وأنه وقع بعدة بلاد وأقطع أناسا ممن بايعه ، فسجن . وعثر على بعض أقارب الوزير شاور، وقد ثار بالقاهرة ، فسجن هو وجماعته.

وفيها انعقد ارتفاع الديوان الخاص السلطاني على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف دينار وأربعمائة وأربعة وأربعين دينارا.

ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطائحي جامع السيرة المأمونية وهوبقية بيته في سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة.

وفيها وقع الشروع في حفر الخندق من باب الفتوح إلى المقس.

وكتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين في الإيوان ودار المظفر ليلا،بحيث لا يشعر بهم أحد، حتى يوصلهم المكلف بذلك إلى صرخد.

وفيها كتب بإخلاء مدينة تنيس ، ونقل أهلها إلى دمياط ، وقطع أشجار بساتين دمياط وإخراج النساء منها.

فخلت تنيس إلا من المقاتلة، وحفر خندق دمياط وعمل جسر عند سلسلة البرج بها.

وفيها كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر، وعظمت الشناعات ، وارتفعت الأسعار.

وفيها ورد الخبر في كتاب من اليمن بأن ثلاثة أنهار بالحبشة تغيرت بعدما كانت عذبة، فصار أحدها أجاجا، والآخر لبنا، والآخر دما.

وفيها مات قلج ارسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وقد تغلب عليه ابنه قطب الدين " صاحب سيواس وأقصرا " وزاد في أن حجر عليه . وكان موته في شعبان، فولى تونية بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان ، وبقيت أخوته على ولاياقم من عهد أبيهم ، فاختلفوا، وثار عليه أخوه ركن الدين سليمان صاحب ووقاط وملك سيواس وأقصرا وقيسارية وهي أعمال أخيه قطب الدين ثم ملك قونية من غياث الدين ، ففر غياث الدين ونزل حلب.

سنة تسع وثمانين وخمسمائة

أهلت : والسلطان بدمشق ، فخرج العادل إلى الكرك ، وقدم من اليمن الملك المعز إسماعيل ابن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين في نصف صفر، فسربه السلطان.

فلما كانت ليلة السبت سادس عشره : نزل بالسلطان مرض ، فأمر يوم السبت ولده الفضل أن يجلس على الطعام ، فجلس في مرضع السلطان. وتزايد به المرض إلى اليوم الحادي عشر من مرضه ، فحلف الأفضل الناس ، واستمر السلطان في تزايد من المرض إلى ليلة الأربعاء سابع عشري صفر" وهى ليلة الثاني عشر من المرض" فاحتضر ومات بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور. فركب الأفضل ، ودار في الأسواق ، وطيب قلوب العامة.

وكان رحمه الله كثير التواضع ، قريبا من الناس ، كثير الاحتمال ، شديد المداراة، محبا للفقهاء وأهل الدين والخير محسنا إليهم ، مائلا إلى الفضائل ،يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلسه . ومدحه كثير من الشعراء، وانتجعوه من البلدان . وكان شديد التمسك بالشريعة، سمع الحديث من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبي سعد، وأبي محمد بن بري النحوي، وأبي الفتح محمود بن أحمد الصابوني، وأبي الطاهر السلفي، وابن عوف ، وجماعة غيرهم . وكان كريما: أطلق من الخيل بمرج عكا لمن معه اثني عشر ألف رأس ، سوى أثمان الخيل التي أصيبت في الجهاد. و لم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه ، وتأخر عنه الأمير أيوب بن كنان في بعض سفراته لدين لزمه ، فتقبل لغرمائه باثني عشر ألف دينار مصرية.

وكان ورعا، رأى يوما العماد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها، وقال هذا حرام ، فلم يعد يكتب منها عنده . وكان لا يصلى إلا في جماعة، وله إمام راتب ملازم ، وكان يصلي قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ ، وكان يسوي في المحاكمة بين أكبر الناس وبين خصمه . وكان شجاعا في الحروب ، يمر في الصفوف وليس معه سوى صبي . وقرىء ، عليه جزء من الحديث بين الصفين ، وهو على ظهر فرسه ، وكان ذاكرا لوقائع العرب وعجائب الدنيا، ومجلسه طاهر من المعايب، رحمه الله وغفر له.

ولما مات جلس الأفضل للعزاء، وكثر بكاء الناس عليه . وغسله الفقيه خطيب دمشق ، أخرج بعد صلاة الظهر، وصلى الناس عليه أرسالا، ودفن بداره التي مرض فيها بالقلعة، ثم نقل في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بني أمية . وكتب بوفاته إلى العزيز بمصر، وإلى العادل بالكرك .

وكان عمره يوم مات نحوا من سبع وخمسين سنة، منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وأيام . وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرا وبنتا واحدة صغيرة، ولم يخلف في خزائنه سوى سبعة وأربعين درهما، و لم يترك دارا ولا عقارا. وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني صاحب سره ، وبمترلة الوزير

منه.

وفيها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق في رابع عشري شهر ربيع الأول ، وهو أخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية، وابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وأولهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق ، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانيا وخمسين سنة.

السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة، ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة، وعنده جل العساكر والأمراء من الأسدية والصلاحية والأكراد . فلما بلغه موت أبيه جلس للعزاء وأخذ بالحزم ، وقرر أمور دولته ،وخلع على الأمراء وأرباب الدولة يعد انقضاء العزاء. فقام أخوه الأفضل نور الدين علي بدمشق ، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه بوفاة أبيه ، من إنشاء العماد الكاتب . وبعث بذلك مع القاضي ضياء الدين أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد ا لله الشهرزوري، ومعه عدد والده وملابسه وخيله ، وهدية نفيسة. وسار العادل من الكرك إلى بلاد المشرق ، فأقام بقلعة جعبر وبعث نوابه إلى حران والرها، واستوزر الأفضل الوزير ضياء الدين نصر ا لله بن محمد بن الأثير، وفوض إليه أموره كلها، فحسن له إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه ، وأن يستجد أمراء غيرهم ، ففارقه جماعة منهم الأمر فخر الدين جهاركس، وفارس الدين ميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير، وكانوا عظماء الدولة، فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم ، وولى فخر الدين أستاداره، وفوض إليه أمره ، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيداء وأعمالها، وكان ذلك لهما، وزادهما نابلس وبلادها، وسار القاضي الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة، فخرج العزيز إلى لقائه وأجل قدومه وأكرمه ، فشرع القوم في تقرير قواعد ملك العزيز والأفضل في شغل عنهم ، وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل ، فكتب إلى أخيه العزيز يرغب عنها له . وكان ذلك من تدبير وزيره ابن الأثير، لأنها كانت تحتاج حينئذ إلى أموال ورجال لمدافعة الفرنج، فسر العزيز بذلك ، وجهز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك النوري متولي القدس ، لينفقها في عسكر القدس ، فخطب له به . وخشي العزيز من نقض الهدنه بينه وبن الفرنج ، فبعث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج . ثم بدا للأفضل أن يعود فيما رغب عنه لأخيه من القدس ، ورجع عن ذلك ، فتغير العزيز من هذا، وأخذ الأمراء في الإغراء بينهما، وحسنوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه ، فبلغ ذلك الأفضل.

سنة تسعين و خمسمائة

ودخلت سنة تسعين : وقد تنافرت القلوب ، وقويت الوحشة بين الأخوين ، واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزيز، فاضطربت أحوال الأفضل . وخرج العزيز من القاهرة بعساكر مصر، من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم ، يريد الشام وانتزاعها من أخيه الأفضل ، من أجل أمور منها أن جبيل " وهو من جملة الفتوح الصلاحية " كان مع رجل كردي فقيه أقامه صلاح الدين مستحفظا بها، فأرغبه الفرنج

بمال حتى سلمه لهم . وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه من الفرنج ، فتعذر عليه ، وظهر العجز عن استخلاصه ، فامتعض الأمراء لذلك ، وخوفوا العزيز من عاقبة أمر الفرنج ، فسار في صفر واستخلف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود، وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدي وصيرم وسيف الدين يازكج وخطلج في تسعمائة فارس . واتفق أن الأمير صارم الدين قايماز النجمي " أحد أكابر الأمراء الصلاحية " استوحش من الأفضل لإعراضه عنه ، فخرج من دمشق يريد إقطاعه ، ولحق بالعزيز فأكرمه ورفع محله . وهم الأفضل بمراسلة أخيه العزيز واستعطافه ، فمنعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه ، وحسنوا له محاربته ، فمال إليهم . وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق ، وإلى أخيه الظاهر بحلب ، وإلى المنصور بحماة، وإلى الأمجد صاحب بعلبك وإلى المجاهد شيركوه صاحب حمص ، يستنجدهم على أخيه العزيز. فوردت رسلهم في جمادى الآخرة، يعدون بالقدوم عليه . ثم إنه برز من دمشق ، ونزل برأس الماء. فلما وصل العزيز إلى القصير من الغور ضاق الأفضل ، ورجع من الفوار إلى رأس الماء، فأدركت مقدمة العزيز ساقته ، وكادوا يكبسونه فانهزم إلى دمشق ، ودخلها لخمس مضين منه . ونزل العزيز في غده على دمشق في قوة قوية، ونازل البلد .وكان الأفضل قد استعد لقتاله ، فقدم العادل والظاهر والمنصور والمجاهد والأمجد إلى دمشق . وبعث العادل إلى ابن أخيه الملك العزيز يشفع في الأفضل ، ويستأذنه في الاجتماع به ، فأذن له . وخرج العادل فاجتمع بالعزيز " وكل منهما راكب " وتحدث معه في الصلح ، وأن ينفس الخناق عن البلد، وكان قد اشتد الحصار، وقطعت الأنهار، ونهبت الثمار، والوقت زمن المشمش. فوافق العزيز عمه ، وتأخر إلى داريا ونزل على العوج ، وسير الأمير فخر الدين جهاركس الأستادار " وهو يومئذ أجل الصلاحية " إلى العادل ، فقرر الصلح على شروط ، وعاد إلى العزيز. فرحل ونزل مرج الصفر فحدث له مرض شديد، وأرجف بموته ، ثم أبل منه . وأمر بعمل نسخة اليمن ، وهي جامعة لمقترحات جميع الملوك ، وحسم مواد الخلاف ، وأن الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه ، والملك المجاهد شيركوه ، يكونان مؤازرين للملك الأفضل وتابعين له ، وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون في حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزرا له . وبعث كل من الملوك أميرا من أمرائه ليحضر الحلف ، فاجتمعوا يوم السبت ثاني عشر شهر رجب ، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دخن.

وتزوج العزيز بابنة عمه العادل ، وقبل العقد عنه القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدي. ووكل العادل القاضي محيي الدين محمد بن شرف الدين بن عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز، وعقد بينهما قاضي القضاة محيي الدين. وكتب العماد الكاتب الكتاب في ثوب أطلس ، وقرئ بين يدي الملك الظاهر، وعقد العقد عنده.

فلما كان يوم الجمعة أول شعبان : خرج الملك الظاهر غازي صاحب حلب لوداع أخيه ، فركب العزيز إلى لقائه وأنزله معه ، وأكلا ثم تفرقا، بعد ما أهدى كل منهما لأخيه هدية سنية. ثم خرج العادل لوداع العزيز في خواصه ، ثم خرج الأفضل فودعه أيضا، وهو آخر من ودعه . ورحل العزيز من مرج الصفر في ثالث شعبان يريد مصر، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لعمه وبقية الملوك ووادعهم ، ثم رحلوا من الغد إلى بلادهم إلا العادل ، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان ، ثم رحل إلى بلاده بالشرق.

وقدم العزيز إلى القاهرة في يوم وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح ، فأماله عن ذلك

خواصه ، وأغروه بأخيه ، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكاتبون العزيز، فاستوحش منهم ، وفطنوا بذلك فتفرقوا عنه . وسار الأمير عز الدين أسامة صاحب كوكب وعجلون عن الأفضل ، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام ، وأخذ يحرضه على الفضل ، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه ، ويقول له : إن الأفضل قد غلب على اختياره ، وحكم عليه وزيره الضياء ابن الأثير الجزري، وقد افسد أحوال دولته برأيه الفاسد، ويحمل أخاك على مقاطعتك ، ويحسن له نقض اليمن ، فإن من شرطها صفو الوداد وصحة النية، ولم يوجد ذلك ، فحنثهم في اليمين قد تحقق، وبرئت أنت من العهدة، فاقصد البلاد فإنها في يدك ، قبل أن يحصل في الدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه"، وبينا هو في ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدمر بن السلار، وصل إلى العزيز، فساعد الأمر أسامة على قصده ، ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضي محيي الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بق أبي عصرون ، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية، وضم إليه نظر الأوقاف.

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره ، وتظاهر بلذاته، وفوض الأمور إلى وزيره ، ثم ترك اللعب من غير سبب ، وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمور، وأقبل على العبادة، ولبس الخشن من الثياب ، وشرع في نسخ مصحف بخطه ، واتخذ لنفسه مسجدا يخلو فيه بعبادة ربه ، وواظب على الصيام ، وجالس الفقراء، وبالغ في التقشف ، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل.

وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مصر، فأفسد جماعة على السلطان ، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية ، فسار إليه العسكر فلم يظفروا به . وقطع العزيز أيضا خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه ، فساروا من القاهرة إلى دمشق ، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات.

وفي شهر رمضان : كسر بحر أبي المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام ، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم.

وفيه وقعت الآفة في البقر والجمال والحمير، مهلك منها كثير.

وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بلاد المغرب ، لشدة الغلاء بها، وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم ، فقصروا في عمارة البلاد. وارتفع السعر بالإسكندرية، ونقص ماء النيل بعدما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا، فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد، وبلغ القمح كل أردب بدينار، وأخذ في الزيادة وتعذر وجود الخبز، وضج الناس ، وكثرت المنكرات ، وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره . وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وحميت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب ، فمنها ما كان عليه في اليوم ستة عشر دينارا، ومنع من عمل المزر البيوتي، وتجاهر الكافة بكل قبيح ، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

وفيها قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصلبوت، فأحضر من القدس، وكان مرصعا بالجوهر، وسلم إليه على أن يعاد ثغر جبيل من الفرنج . وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك.

تتمة سنة تسعين وخمسمائة

في يوم الخميس رابع محرم : عقد مجلس بحضرة السلطان ، حضره أصحاب الدواوين.

وفي عاشره : قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاه السلطان

والأمراء، وحمل إليه سماط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل.
وفي سادس عشره : ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر بباب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الحوانيت في الأسواق ، ورسم بهدمها، فهدمت بمباشرة محتسب القاهرة . ومر بصناعة العمائر، فرسم بسد طلقات الدور المجاورة للنيل فسدت.
وفي صفر: غيرت ولاة الأعمال.
وفي عاشره : حلف العزيز لعمه العادل.
وفي ثالث عشريه :عاد العزيز من الصيد بالجيزة.
وفي هذا الشهر: غلت الأسعار، فبلغ كل مائة أردب ثمانين دينارا.
وفي خامس عشره : قدم فارس الدين ميمون القصري مقطع صيداء، وسيف الدين سنقر المشطوب ، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف ، مفارقين الملك الأفضل ، فدفع العزيز لميمون خمسمائة دينار، ولسنقر أربعمائة دينار، وللمشطوب ثلاثمائة دينار.

وفي ربيع الأول : اشتد الأمر في للزحام على الخبز لقلته في الأسواق ، ووقع الحريق في عدة مراضع بالقاهرة.
وفي عاشره : أخرجت خيمة السلطان للسفر.
وفي ثالث عشره: انحل السعر قليلا، ووجد الخبز في الأسواق.
وفي نصفه : ورد كتاب علم الدين قيصر بأنه تسلم القدس من جرديك في تاسعه ، وتسلم صليب الصلبوت ، وقرر أيضا إعادة جبيل من الفرنج.
وفي سادس عشره : قدم بدر الدين لؤلؤ بكتاب الأفضل بخبر جبيل ، وسبب قدوم ميمون ورفيقيه.
وفيه نزع السعر، وبلغ كل مائة أردب إلى مائة وخمسة وسبعين دينارا، وعظم ضجيج الناس من الجوع.
وفي سابع عشريه: وصل صليب الصلبوت من القدس ، وهو خشبة مرصعة بجواهر في ذهب.
وفي ثامن عشريه : ولى زين الدين علي بن يوسف الدمشقي قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن صدر الدين بن درباس ، بعناية جماعة من المماليك به ، وخلع عليه.
وفي سلخه : قدم رسول الملك العادل.
وفي تاسع ربيع الآخر: هدم المحتسب حوانيت وإصطبلا كان صدر الدين بن درباس أنشأها في زيادة الجامع الأزهر بجوار داره ، ورفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره.
وقوي عزم السلطان على السفر، وبعث بهرام يقترض له مالا من تجار الإسكندرية، وطلب من قاضي القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام ، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار، فحملت إلى الخزانة .وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه ، وأحال به على بيت المال ، وقرر استخراجه منه وأمر بحمله إلى القاضي . هذا وقد تأخر القرض الذي كان السلطان صلاح الدين أقرضه في نوبة عكا، وهو ثلاثون ألف دينار، فلم يوف منه إلا يسيرا.
وفي سادس عشره : توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبيل.
وفي يوم الخميس تاسع عشره : خرج السلطان إلى مخيمه ببركة الجب ، واستناب في غيبته بهاء الدين قراقوش ،

ومعه ثلاثة عشر أميرا، ونحو سبعمائة فارس . وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميرا، في ألفي فارس وألف من الحلقة.
وفي ثالث جمادى الأولى : استقل السلطان بالمسير، ونزل على دمشق في تاسع جمادى الآخرة، ورحل عنها في ثامن عشريه بشفاعة عمه الملك العادل.
وفي تاسع رجب : دخل الأفضل دمشق ، بعد أن تقرر الصلح بينه وبن أخيه الملك العزيز في سادسه.
وفي رابع شعبان : دقت البشائر بالقاهرة، فرحا بالصلح بين الأولاد الناصرية، وزينت الأسواق.
وفيه انحط السعر.
وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلخ شعبان.
وفي سابع رمضان: وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعيالهم من دمشق ، والديوان في ضائقة شديدة، فعجزوا عن إقامة وظائفهم ومطابخهم وجراياتهم ، فنزلوا في الدار العزيزية . ونزعت الأسعار في المأكولات كلها.
وفي تاسع عشره : وصل عز الدين أسامة مفارقا للأفضل.

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

ودخلت سنة إحدى وتسعين ، والعزيز على عزم المسير إلى الشام ، فاستشار الأفضل أصحابه، فمنهم من أشار عليه بمكاتبة العزيز واسترضائه ، وأشار الوزير ابن الأثير عليه بالاعتصار بعمه العادل ، واستنجاده على العزيز، فأصغى إليه ، وكثرت الإشاعة بقصد العزيز إقامة الخطبة في دمشق باسمه ، وضرب السكة له . فانزعج الأفضل ، وخرج من دمشق في رابع عشر جمادى الأولى، وسار جريدة إلى عمه العادل ، فلقيه بصفين ، فلما نزلا ألحف الأفضل في المسألة له أن ينزل عنده بدمشق ، ليجيره من أخيه العزيز، فأجابه وأنزله بقلعة جعبر، ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها في تاسعه ، ودخل الأفضل إلى حلب على البرية، مستصرخا بأخيه الملك الظاهر، فتلقاه وحلف له على مساعدته ، ثم رحل عنه إلى حماة، فتلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد ابن المظفر، وحلف له ، ثم سار عنه إلى دمشق ، فدخلها في ثالث عشره وبها العادل ، فأفضى إليه بأسراره . وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل ، وسوء تدبيره وقبيح سيرته ، فانحرف عنه ونهاه فلم ينته إلا أنه مبالغ في كرامة عمه ، حتى أنه ترك له السنجق . وصار العادل يركب بالسنجق السلطاني في كل يوم، ويركب الأفضل في خدمته.

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة، من أجل ميل الملك المنصور صاحب حماة إلى العادل . فسير الظاهر إلى أخيه العزيز يحرضه على قصد الشام ، ووعده بالمساعدة له على الأفضل ، فوافق ذلك غرضه ، وخرج من القاهرة بعساكره.
فلما قارب العزيز دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستمالهم ، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسدية تنافس ، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسدية. فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطائفتين ، ونفرت الأسدية من الملك العزيز. وكاتب العادل العزيز سرا يخوفه من الأسدية، ويحثه على

إبعادهم عنه ، وكاتب الأسدية، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه . فحاق ما مكره وتم له ما دبره ، وعزموا على مفارقة العزيز، وحسنوا للأكراد والمهرانية موافقتهم ، فانقادوا إليهم . وكان مقدم أمراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين ، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية، واتفقوا بأجمعهم على مفارقة العزيز والانضمام إلى العادل والأفضل ، ومضايقة العزيز وعقدوا النية على مكاتبة من بقي منهم بمصر، أن يستقبلوا العزيز ويحولوا بينه وبين القاهرة، فيصير بذلك بين الفريقين، ويؤخذ باليد.

فلما كان في عشية الرابع من شوال : رحل الأمير أبو الهيجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية، وهم لابسون لامة الحرب ، ولحقوا بالعادل فسر بهم ، لأنهم معظم الجيش . فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل العزيز يريد مصر، وهو متخوف من الأسدية المقيمين بالقاهرة . وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، فلم يتغير على العزيز، ووصل إلى القاهرة فاستقر بها.ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق ، ومعه العساكر يريد اخذ القاهرة، لما داخله من الطمع في العزيز، واتفق مع الأفضل على أن يكون للعادل ثلث البلاد المصرية، ويكون ثلثاها للأفضل . فأجابه إلى ذلك ورحلا من دمشق ، وخرج معهم أيضا المنصور صاحب حماة، وعز الدين بن المقدم وسابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر واستخلف الأفضل بدمشق أخاه الملك الظافر خضر صاحب بصرى وانضم إليهم عز الدين جرديك النوري نائب القدس ، فلما وصلوا تل العجول ، أخلع الأفضل على جميع الأسدية، وعلى الأكراد الأفضلية، وأعطاهم الكوسات . وسار الأفضل إلى القدس، وتسلمه من جرديك ، وأعطاه بيسان وكوكب والجولان والمنيحة ثم سار العسكر حتى نزل على بلبيس ، وبها، جموع الصلاحية والعزيزية، ومقدمهم فخر الدين جهاركس على الصلاحية، والأمير هكدري ابن يعلي الحميدي على طائفة الأكراد، فنازلهم العادل والأفضل.

وكانت أيام زيادة ماء النيل ، والأسعار غالية والعلف متعذر، فبلغ العسكر الواصل الجهد، وندم أكابرهم على ما كان منهم ، هذا والعزيز يمد أهل بلبيس بالمراكب المشحونة بالرجال والعدد، فبلغ ذلك الأسدية، فركبوا إلى المراكب ، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها، وأسروا خلقا، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة، واشتد الحصارعلى بلبيس حتى كادت تؤخذ، وضاق العزيز بالقاهرة، وقلت الأموال عنده ، وكان محببا إلى الرعية، لما فيه من حسن السيرة، وكثرة الكرم والرفق ، فلما نازل العادل والأفضل بلبيس احتاج إلى استخدام الرجال ، فلم يجد عنده مالا، فبذل له الأغنياء جملة أموال ، فلم يقبلها، وكان القاضي قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال ، وكان عبد الكريم بن علي البيساني يتولى الحكم والإشراف في البحيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جما. ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضي الفاضل مشاجرة اقتضت اتضاع حاله عند الناس بعد احترامهم إياه ، فصرف عن عمله . وكان متزوجا بامرأة موسرة من بنى ميسر، فسكن بها في ثغر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه ، فسار أبرها إلى الإسكندرية، وأثبت عند قاضيها ضرر ابنته ، فمضى القاضي بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذي من داخله المرأة، فأمر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها وأعاد بناء النقب ، فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمير فخر الدين جهاركس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية، وحمل ذلك بأجمعه إلى فخر الدين جهاركس . فأحضره جهاركس إلى العزيز، وهو حينئذ في

غاية الضرورة إلى المال ، وقال:" هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب "، وعرفه الخبر. فأطرق العزيز مليا، ثم رفع رأسه وقال :" أعد المال إلى صاحبه ، وقل له إياك والعود إلى مثلها، فما كل ملك يكون عادلا، وعرفه أني إذا قبلت هذا منه أكون قد بعت به أهل الإسكندرية، وهذا لا افعله أبدا". فلما سمع هذا جهاركس وجم ، وظهر في وجهه التغير. فقال له العزيز:" أراك واجما، أظنك أخذت على الوساطة شيئا".
قال :" نعم خمسة آلاف دينار". فأطرق العزيز، ثم قال :"أعطاك مالا تنتفع به ، وأنا أعطيك في قبالته ما تنتفع به مرات عديدة"، ثم وقع له بخطه إطلاق جهة طنبدة، ومغلها في السنة سبعة آلاف دينار، فلامه أصحابه وألحوا عليه في الاقتراض من القاضي الفاضل ، فاستدعاه إلى مجلسه ، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق ، فعندما عاين القاضي الفاضل استحيا منه ، ومضى إلى دار الحرم ، احتراما له من مخاطبته في القرض ، فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من عند الحرم . فلما اجتمع بالفاضل قال له ، بعد أن أطنب في الثناء عليه :" قد علمت أن الأمور قد ضاقت علي، وقلت الأموال عندي، وليس لي إلا حسن نظرك ، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك". فقال القاضي الفاضل :"جميع ما أنا فيه من نعمتكم ، ونحن نقدم أولا الرأي والحيلة، ومتى احتيج إلى المال فهو في يديك."
واتفق أن العادل " لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق " استدعى القاضي الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه . وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التي جهزها إلى بلبيس ما جرى، خاف على الملك أن يخرج من يده ، فسير إلى عمه في السر يعرفه أنه قد أخطأ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب ، ويسأله الاحتفاظ بحرمه وأولاده . فرق له العادل ، واستدعى القاضي الفاضل ، فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه ، ومازالا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز، من غير أن يؤاخذهم بشيء، ويرد عليهم إقطاعاتهم ، ويحلف العزيز لهم ويحلفون له ، وأن يكون العادل مقيما بمصر عند العزيز، ليقرر قواعد ملكه ، وأن العزيز والأفضل يصطلحان ، ويستقر كل منهما على ما بيده. فعاد القاضي الفاضل ، وقد تقرر الأمر على ما ذكر، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء.

وخرج العزيز من القاهرة إلى بلبيس ، فالتقاه عمه العادل وأخوه الأفضل ، ووقع الصلح التام في الظاهر.
ورحل الأفضل يريد الشام ، ومعه الأمير أبو الهيجاء السمين ، وصار الساحل جميعه مع الأفضل ، وعاد العزيز إلى القاهرة، وصحبته عمه العادل ، فأنزله في القصر من القاهرة . وأخذ العادل في إصلاح أمور مصر، والنظر في ضياعها ورباعها، وأظهر من محبة العزيز شيئا زائدا، وصار إليه الأمر والنهي والحكم والتصرف في سائر أمور الدولة، جليلها وحقيرها، وصرف القاضي محيي الدين محمد بن أبي عصرون عن قضاء مصر، وولى زين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي.
وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج.
وفيها ورد كتاب ملك الروم ، يتضمن أن كلمة الروم اجتمعت عليه ، وأنه أحسن إلى المسلمين وأمرهم بإقامة الجامع ، فأقيمت الصلاة فيه يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة، وأنه عمر جانبا منه كان انهدم من ماله ، فتمكن من في القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها. والتمس ملك الروم الوصية بالبطرك والنصارى، وأن يمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد، وإظهار شعائرهم بكنائسهم ، وأن يفرج عن أسارى الروم

بمصر.

وفيها عزل زين الدين علي بن يوسف بن بندار عن القضاء، في حادي عشر جمادى الأولى، بمحيي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن عصرون.

سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة

وأهلت سنة اثنتين وتسعين : ففي أولها : وصل الملك الأفضل إلى دمشق ، وتفرقت العساكر إلى بلادها، ولزم الأفضل الزهد، وأقبل على العبادة، وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثر، فاختلت به الأحوال غاية الاختلال ، وكثر شاكوه . وضبط العادل أمور مملكة مصر، وغير الإقطاعات، ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال ، وثمر الأموال ، وقرب إلى العزيز الأمير عز الدين أسامة، فصار صاحب سره وحاجبه ، والواسطة بينه وبين عمه . واختص الأمير صارم الدين قايماز النجمي بالعادل ، وصار صفوته.

وفي يوم السبت ثاني عشر المحرم : رفعت يد ابن أبي عصرون وأيدي نوابه من الحكم ، وأمر أن يعتزل في بيته ، وأن يخرج عن مصر، فأغلق بابه ، وشرع في تجهيز نفسه ، وتوسل في إقامته.

وفي سابع عشريه : خلع علي زين الدين علي بن يوسف بن بندار وأعيد إلى القضاء، عوضا عن ابن أبي عصرون.

وفي أول صفر: حبس الملك العزيز ناحية الخربة من المنوفية على زاوية الإمام الشافعي بالجامع العميق بمصر، وفرض تدريسها إلى البهاء بن الجميزي.

وفي صفر وشهر ربيع الأول : كثرت الطرحى من الأموات على الطرقات ، وزادت عدقم بمصر والقاهرة في كل يوم عن مائتي نفس ، وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه ، وأكثرهم يموت جوعا.

وانتهى القمح إلى مائة وثمانين دينارا المائة أردب ، والخبز إلى ثلاثة أرطال بدرهم ، وعمد الضعفاء إلى شراء الجرار، وغدوا إلى البحر وترددوا إليه ، ليستقوا منه في الجرار، ويبيعوها بثمن درهم الجرة، وقد لا يجدون من يشتريها منهم ، فيصيحون" : من يتصدق علينا بثمن هذه الجرة، ومن يشتريها منا بكسرة ؟". وزاد السعر، وضاق الخناق ، وهلك الضعفاء، وفشا الموت، وأكثره في الجياع . وصارت الأقفاص التي يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات ، ولا يقدر على النعوش إلا بالنوبة، وامتدت الأيدي إلى خطف ألواح الخبز " ويضرب من ينهب ، ويشج رأسه ، ويسال دمه ، ولا ينتهي ولا يرمي ما في يده مما خطفه ، وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب ، فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه.

وورد الخبر في تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نقل في يوم عاشوراء، من قلعة دمشق إلى تربة عملت له ، فكان يوما مشهودا.

وفي تاسع عشريه : قدم الملك الزاهر داود مجير الدين صاحب البيرة، وسابق الدين عثمان صاحب شيرز، وبهاء الدين بن شداد قاضي حلب ، فخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب ، وقدم العماد الكاتب أيضا. وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة، واشتروا القمح كل ويبة بدينار، وأن بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات في السنة الخالية، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة، وزاد الجراد بالشام ، وعظم خطبه ، وكثرت بمصر

والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة ، وزادت وأفرطت . وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما، وصار لفروج لا يقدر عليه ، وانتهى سعر القمح إلى مائتي دينار كل مائة أردب ، وغلظ الأمر في الغلاء، وعدم القوت ، وكثر السؤال ، وكثرت الموتى بالجوع . وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب ، ومن يأكل الزبل.

وازدحم الناس على الطير الذي يرمى من مطابخ السكر . وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات ، وعدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس ، وعلى نقاضات الموائد وكناسات الآدر، ومن يقفل بابه ويموت ، ومن عمي من الجوع ويقف على الحوانيت ويقول : أشموني رائحة الخبز. واستخدم رجل في ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة، وجعل الطواشي ببهاء الدين قراقوش الشاد في هذا المال ، وألا يتصرف فيه ، وأن يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب الشريف الجعفري بخبز مبلغه في السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس وعلم . وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية عليه من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل في بعض الأوقات لا كلها، لبعض ما يتبلغ به أهلها من خبز، وكثر ضجيجهم وشكواهم ، فلم يسمع.

وفي شهر ربيع الآخر : صرف صارم الدين خطلج الغزي عن شد الأموال بالدواوين ، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش ، مضافا إلى شد الزكوات ، فكمل شد المال له.

وفيه كثر الموت ، بحيث لم تبق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض ، واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب ، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام ، وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضي يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطاع مقالتها، ولا زيارة قبورها، وأخذت الأسعار في الانحلال.

وفي جمادى الأولى : تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق ، فوقع العزم على المسير إلى الشام ، ووقع الشروع في الإنفاق في الحاشية، فقبضوا شهرا واحدا، وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا، فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم ، فأحيل بعضهم على جهات . وامتنع الجاندارية من قبض شهر، وأنهى ذلك إلى العزيز، فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى المخيم ، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشي قراقوش، واستخدمه في السور، فخرجوا بأنفس غير طيبة، وألسنة بالشكوى معلنة، وكاد المال الذي أنفق في الحاشية قد افترض من الأمراء، وأحيل به على الجوالي لسنة ثلاث وتسعين ، وخرج العزيز إلى المخيم ، وحرك الأمراء تحريكا قويا، وسير الحجات إلى البلاد تحت الأجناد، فتتابع خروج الناس ، ووقع الرحيل من بركة الجب في ثامنه ، فرحل السلطان العادل والعزيز، وجميع الأسدية والمماليك . وفشت الأمراض الحادة، فما ينقضي وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز. وغلت الأدوية، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهما، والبطيخة إلى مائة درهم . وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية، وأموات لا تتلاحق . وكثر الوباء والموت بالإسكندرية.

وفي آخره : انحلت الأسعار، ونزلت الغلة إلى ثمانين دينارا كل مائة أردب ، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم . وقل السؤال ، وارتفع الموتان ، بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دنانير، وهذا لم يسمع بمثله في مصر قبل ذلك . وفيه نودي في القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج ،

فليتجهز أرباب النيات.

وفي جمادى الآخرة : وقف الحال فيما ينفق في دار السلطان ، وفيما يصرف إلى عياله ، وفيما يقتات به أولاده ، وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن ، وما يغصب من أربابه ، وأفض هذا إلى غلاء أسعار المأكولات ، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان ، فاقتضى ذلك النظر في المكاسب الخبيثة. وضمن باب المزر والخمر باثني عشر ألف دينار، وفسح في إظهاره وبيعه في القاعات والحوانيت ، و لم يقدر أحد على إنكار ذلك ، وصار ما يؤخذ من هذا النيحت ينفق في طعام السلطان وما يحتاج إليه ، وصار مال الثغور والجوالي إلى من لا يبالي من أين أخذ المال.
وفيه وصل العادل والعزيز إلى الداروم وأمر بإخراب حصنها، فقسم على الأمراء والجاندارية فشق على الناس تجريبه ، لما كان به من الرفق للمسافرين ، وانتهى الملكان إلى دمشق" وقد استعد الأفضل للحرب في أول شهر رجب " فحاصراها إلى أن ملكاها في العشرين منه ، بعد عدة حروب ، خان الأفضل فيها أمراءه، فلما أخذ المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما، فاستحيا العادل منه ، لأنه هو الذي حمل العزيز على ذلك ، ليوطيء لنفسه ، كما يأتي . وأمره العادل أن يعود إلى القلعة، فلم يزل بها أربعة أيام ، حتى بعث إليه العزيز أيبك فطيس أمير جاندار، وصارم الدين خطلج الأستادار، فأخرجاه عياله وعيال أبيه.
وأنزل الأفضل في مكان ، وأوفي ما كان عليه من دين ، وما للحواشي من الجوامك .فبلغ ذلك نيفا وعشرين ألف دينار، بيع فيها بركه وجماله وبغاله وكتبه ومماليكه وسائر ماله ، فلم توف بما عليه ، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حظه ، ثم بعث إليه عمه العادل يأمره أن يسير إلى صرخد، فلم يجد عنده من يسير بأهله ، حتى بعث إليه جمال الدين محاسن عشرة أوصلوه إلى صرخد. وأخذت من الملك الظافر مظفر الدين خضر بصرى وأعطيت للملك العادل ، وأمر الظافر أن يسير إلى حلب ، فلحق بأخيه الظاهر صاحبها. ويقال إن العادل كان قد قرر مع الملك العزيز " وهو بالقاهرة " أن الملك العزيز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل إلى مصر نائبا عن العزيز فلما ملك العزيز دمشق ، وأخرجه أخاه الأفضل منها، انكشفت له مستورات مكائد عمه ، فندم على ما قرره معه ، وبعث إلى أخيه الأفضل سرا يعتذر إليه ، ويقول له : لا تتزل عن ملك دمشق . فظن الأفضل هنا من أخيه خديعة، وأعلم عمه العادل به ، فقامت قيامته ، وعتب على العزيز وأنبه . فأنكر العزيز أن يكون صدر هذا منه ، وحنق على أخيه الأفضل ، وأخرجه إلى صرخد على قبح صورة. واختفى الوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزري خوفا من القتل ، ثم لحق بالموصل . واستقر الأمر بدمشق للعزيز في رابع عشر شعبان ، فأظهر العدل ، وأبطل عدة مكوس ، ومنع من استخدام أهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية، وألزموا لبس الغيار، ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة، واستخلف عمه العادل على دمشق ، وسار إلى القدس ، فملكها من أبي الهيجاء السمين وسلمها إلى الأمير شمس الدين سنقر الكبير، وسار أبو الهيجاء إلى بغداد. ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان ، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعا للملك العادل ، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط.
وفي ثامن عشره : ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلقه ، ونودي فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع السابعة عشرة.

وفي العشرين منه : فتح سد الخليج ، فركب العزيز لذلك ، وكثر المتفرجون وازدحم الغوغاء، وحملوا العصي وتراجموا بالحجارة، وقلعت أعين ، وخطفت مناديل . وكانت العادة جارية بأن يوقر شهر رمضان من اعتصار الخمر، وألا يجهر بشراء العنب والجرار، ولا يحدث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك الستر.
وفي هذا الشهر: غلا سعر الأعناب لكثرة العصير منها، وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطاني، واستيفاء رسمه بأيد مستخدميه ، وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار، وحصل منه شيء حمل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب.
وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج " لما فتح " وعلى ساحل مصر، وتلوث النيل بمعاصي قبيحة .
واستمر جلوس العزيز للمظالم في يومي الاثنين والخميس.

وفي ثاني شوال : كان النوروز، فجرى الأمر فيه على العادة من رش الماء ، واستجد فيه التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع. وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس في إظهار المنكرات ، و لم ينههم أحد.
وفيه و قفت وجوه المال ، وانقطعت جباية الديوان بمصر ، وأحيل على الجهات بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها، وانتمى العاملون إلى من حماهم ، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من بحميهم ، فضلا عن أخذ الحق منهم ، ورفع يده عن حماية من حماه . وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر.
وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلى مثلها.
وفي رابع عشره : خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج ، وخيم على سقاية ريدان وكثر القتل بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن المنكر بها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المعربدين . وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق ، نهارا نادرا وليلا راتبا.
واستقرت المظالم للطواشي قراقوش ، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد الأموال لفخرالدين جهاركس ، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج.
وفي تاسع عشره : كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره ، وزاد النيل فيه إصبعا، وهي الإصبع الثامنة عشرة، من ثماني عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى.
وفي ثاني عشريه : رحل الحاج ، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسي حكمه في مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفايع التي كان القبط يختلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات ، وخراب البيوت ، وعمارة الحبوس ، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت ، فأجمع ابن وهيب وكاتب نصراني وغيرهما على أوراق عملت ، وانتدب الأسعد بن مماتي والشاد للكشف والرفع إلى فخر الدين جهاركس.
وفي ذي القعدة :كثر وثوب السكارى بمن يلقونه ليلا، وضربهم إياه بالسكاكين،فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ، ولم يؤخذ لأحد بثأر، ولا وقع كشف عن مقتول منهم ، ولا تمكن والي القاهرة من منعهم . ووجد في الخليج ستة نفر قتلى مربطين ، فلم يسأل عنهم ، ولا وقع إنكار لأمرهم.
وفي ذي الحجة : عزم العزيز على نقض الأهرام ، ونقل حجارتها إلى سور دمياط ، فقيل له إن المؤنة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير " وهو مبني بالحجارة الصوان "

فشرع في هدمه.

وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش ، وفخر الدين جهاركس.

وتوفي في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية، وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة في سابع عشري شوال . ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة.

وفي خامس ذي الحجة : مات القاضي الرشيد ابن سناء الملك . قال القاضي الفاضل فيه : "ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأقوام : أمانة سمينة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع في نفع المعارف جاهدة. وكان حافظا لكتاب الله، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات ، نفعه الله، والأعمال الصالحات ، عرفه الله بركاتها. "

وفيها حج بالناس الشرفي ابن ثعلب ، وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفرنج ، وفيها أموال فغنموها.

وفيها بنى الأمير فخر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة.

وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف المخزومي، يوم الجمعة حادي عشر جمادى الأولى، ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ علي بن بري، وله شعر.

سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ، وفيها أقيمت الخطبة للعزيز بحلب ، وضربت السكة باسمه ، بصلح وقع بين العزيز وبن أخيه الظاهر وقد تولاه القاضي بهاء الدين أبو المحاسن بن شداد، وغرس الدين قلج ، قدما من حلب إلى العزيز بالقاهرة بهدايا، فانعقد الصلح بين الأخوين على ذلك.

وعادا إلى الظاهر، فخطب للعزيز في شهر ربيع الأول وضربت السكة باسمه.

وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام ، فخرج العادل من دمشق ، وسير جيشا إلى بيروت لهدم ربضها.

وفيها مات الملك العزيز ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب ملك اليمن في شوال ، وقام من بعده بمملكة اليمن المعز ابنه الملك فتح الدين أبو الفداء إسماعيل.

وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق يافا عنوة، وغنم وأسر كثيرا، يقال إنهم سبعة آلاف نفس ، ما بين ذكر وأنثى.

وفيها سار العادل من يافا إلى صيداء وبيروت فأخربهما، ونهبت بيروت ، وفر من كان بها. وبعث العادل إلى الملك العزيز يستنجده ، فسير إليه عسكرا خرج من القاهرة أول شوال ، وسار إلى بلبيس . ثم بدا للعزيز أمر ففرق العسكر ولم يسر.

ودخلت سنة أربع وتسعين ، فانتشر من وصل في البحر من الفرنج ببلاد الساحل ، وملكوا قلعة بيروت ، وقتلوا عدة من المسلمين في أطراف بلاد القدس ، وأسروا وغنموا شيئا كثيرا، فبعث الملك العادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة، فسارت إليه العساكر من مصر، ومن القدس وغيرها. ثم خرج الملك العزيز بنفسه ، ومعه سائر عساكر مصر لقتال الفرنج ، فنزل على الرملة في سادس عشري صفر، وقدم الصلاحية والأسدية، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادار، وسرا سنقر وعلاء الدين شقير، وعدة من الأكراد، فلحقوا العادل وهو على تبنين . وسار العزيز في أثرهم ، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور، وركب العادل والعزيز أقفيتهم ، فقتلوا منهم . وترك العزيز العساكر عند العادل ، ورجع إلى القاهرة في ثامن جمادى الآخرة، قبل انفصال الحال مع الفرنج ، من أجل أن ميمون القصري، وأسامة وسرا سنقر، والحجاف ، وابن المشطوب ، كانوا قد عزموا على قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقائه ، وكان يوما مشهودا.

ووقعت الهدنة بين العادل وبين الفرنج سنة ثلاث سنين ، وعاد العادل إلى دمشق.

وفي رجب : تجدد للعادل والعزيز رأي في تخريب عسقلان ، وتعفية جدرانها وهدم بنيانها. فندب من القدس جماعة لتغليقها وحط أبرجة سورها، فتلفت مدينة لا مثل لها، وثغر لا نظير له في الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف بها، لعجز الملوك عن ممانعة الفرنج بالسلاح ، واضطرارهم إلى هدم المدن وتعفية رسومها.

وفي شعبان : ركب قاضي القضاة صدر الدين بن درباس لرقبة الهلال وكلف الشهود ما بين شمعتي كل شاهد إلى شمعة. فخرجوا بالشموع ، وقد كثر الجمع والشمع ، واحتفل الموكب ، وثقلت على الشهود الوطأة.

وفيه أمر الملك العزيز بمنع البناء في المواضع التي كان الأمراء قد شرعوا في بنائها على النيل ، واستولوا فيها على الساحل ، فخرج الجاندارية وألزموا كل من حفر أساسا بردمه ، فامتثل الأمر.

وفي شهر رمضان : أمر العزيز بقطع أشجار بستان البغدادية تجاه قصر اللؤلؤة وجعله ميدانا.

وفيه كثر التظاهر بعصير العنب واستباحة الحرمان ، وعدم المنكر لهذا الأمر، فغلا العنب حتى بلغ أربعة أرطال بدرهم.

وفيه قصر مد النيل ، وارتفعت الأسعار، وعدمت الأرزاق من جانب الديوان ، وتعذرت وجوه المال حتى عم المرتزقة الحرمات . واستبيح ما كان محظورا من فتح أبواب التأويلات ، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات : فاخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار، وصودر جماعة آخرون وصار الإنفاق في السماط السلطاني في هذه الوجوه.

وفي يوم عيد الفطر :أقيمت سنة العيد بظاهر البلد، وحضر العزيز الصلاة والخطبة، وعم الأمراء وأرباب العمائم بخلعه ، وقدم سماط توسعت الهمة فيه.

وفي ثالث عشره : وفي النيل ستة عشر ذراعا، فركب العزيز في سادس عشره لتخليق المقياس ، وفتح الخليج في ثامن عشره ، وتظاهر الناس في هذه الأيام بالمنكرات من غير منكر.

وفي ثالث عشريه : كان النوروز، فجرى الرسم في لعبه على العادة.

وفي يوم السبت سابع عشر ذي القعدة : قتل ابن مرزوق بالقاهرة ، قتله ابن المنوفي قاضي بلبيس غيلة، بدار سكنها بالفهادين ، وحفر له فيها ودفنه ، ومملوكا صغيرا معه ، وبلط فوقه ، وجعل عليه شعيرا، فشنق ابن المنوفي، بعدما طيف به على جمل مصر والقاهرة.
وفي هده السنة : توجه العادل من دمشق إلى مدينة ماردين ، ونازلها واخذ ربضها. وفيها خرج الملك الكامل محمد بن العادل من حران، وقاتل عسكر المواصلة.
وفيها أغار الفرنج ، ونهبوا وأسروا خلقا، وانتهوا إلى عكا. فعاد العادل إلى دمشق في رمضان ، ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردين.
وفيها ادعى معز الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين ملك اليمن الإلهية نصف نهار، وكتب كتابا وأرخه من مقر الإلهية . ثم رجع عن ذلك ، وادعى الخلافة، وزعم أنه من بني أمية، ودعا لنفسه في سائر مملكته بالخلافة، وقطع الدعاء من الخطبة لبني العباس ، ولبس ثيابا خضرا وعمائم خضرا مذهبة، وأكره من كان في مملكته من أهل الذمة على الإسلام ، وخطب بنفسه ، وعزم على قصد مكة، وجهز من بنى له بها دارا، فأسرهم الشريف أبو عزيز قتادة.

سنة خمس وتسعين وخمسمائة

ودخلت سنة خمس وتسعن وخمسمائة والعادل مضايق مدينة ماردين، والمعز صاحب اليمن قد تجهز يريد مكة، والعزيز صاحب مصر قد سار إلى الإسكندرية ، من آخر ذي الحجة. فتصيد العزيز إلى سابع المحرم، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه ثم ركب وقد حم، فدخل القاهرة يوم عاشوراء فلم يزل لما به حتى مات، منتصف ليلة السابع والعشرين منه، ودفن بجوار قبر الشافعي، رحمة الله عليه. وكان عمره سبعاً وعشرين سنة وأشهراً، ومدة ملكه ست سنين تنقص شهراً وستة أيام.
وكان ملكاً كريماً، عادلاً رحيماً، حسن الأخلاق شجاعاً، سريع الانقياد مفرط السخاء. سمع الحديث من السلفي، وابن عوف، وابن برى، وحدث. وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة، وكان يعطى العشرة آلاف دينار، ويعمل سماطاً عظيماً يجمع الناس لأكله، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله، ولا يطيب له ذلك، وهذا من غرائب الأخلاق.
وفيها عظمت الفتنة في عسكر غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام ملك الغورية، وسببها أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الفقيه الشافعي المشهور، كان قد بالغ غياث الدين في إكرامه، وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة، ومعظم أهلها كرامية. فاجمعوا على مناظرته، وتجمعوا عند غياث الدين معه، وكبيرهم القاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة. فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة، واستطال عليه وبالغ في شتمه، وهو لا يزجو على أن يقول : لا يفعل مولانا لا أخذك الله استغفر الله. فغضب الملك ضياء الدين له، ونسب الإمام الرازي إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة. وقام من الغد ابن عمر بن القدوة بالجامع، وقال في خطبته. "ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين" . أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله، وأما علم أرسطو، وكفريات ابن سينا، وفلسفة الفارابي، فلا نعلمها.
فلأي حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة نبيه؟. وبكى وأبكى، فثار الناس من

كل جانب، وامتلأت البلد فتنة، فسكتهم السلطان غياث الدين، وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة، فخرج إليها، ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية، وتقلد الشافعي رحمه الله.

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد ابن الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة .... جمادى الأولى، سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ومات أبوه وعمره تسع سنين وأشهر. وقد أوصى له أبوه بالملك من بعده، وأن يكون مدبر أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي. فأجلس على سرير الملك في غد وفاة أبيه، يوم الاثنين حادي عشر المحرم، وجعل قراقوش أتابكاً. وحلف له الأمراء كلهم، ماخلا عماه الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك المعز، فانهما أرادا أن تكون الأتابكية لهما، وجرت منهما منازعة، ثم حلفا. ووقع الخلف بي أمراء الدولة، فطعن عدة منهم في قراقوش، بأنه مضطرب الرأي ضيق العطن، ولا يصلح لهذا الأمر، وتعصب جماعة معه، ورأوا أنه أطوع من غيره. وكثر النزاع في ذلك، وصاروا إلى القاضي الفاضل، ليأخذوا رأيه، فامتنع من المشورة عليهم، فزكوه.

وأقاموا ثلاثة أيام يمحصون الرأي، حتى استقر على مكاتبة الملك الأفضل، ليحضر أتابكاً عوض قراقوش، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنجق، ولا يذكر له اسم في خطبة ولا سكة، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين، فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدبير، وسيروا إليه القصاد بذلك، وأقيم الملك الظافر مظفر الدين خضر ابن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة، حتى يقدم الأفضل. فخرج الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر، في تسعة عشرة نفساً، متنكراً، خوفاً من العادل.

وكان الأمير فخر الدين جهاركس - لما قرر أمراء مصر أمر الأفضل، وكتبوا إليه بالحضور - كره ذلك، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس، ينهاه عن الموافقة على إقامة الأفضل .فوقع الأفضل على القاصد، وأخذ منه الكتاب، وعلم ما فيه، وقال له: ارجع فقد قضيت الحاجة، وسار الأفضل، ومعه ذلك القاصد، حتى وصل بلبيس، وقد خرج الأمراء إلى لقائه، في خامس شهر ربيع الآخر. فنزل في خيمة أخيه الملك المؤيد مسعود. وكان فخر الدين جهاركس يؤمل أنه ينزل في خيمته، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل، ولم يجد بداً من المجيء إلى عنده، فأكرمه الأفضل. ثم لما فرغ الأفضل من طعام أخيه، صار إلى خيمة فخر الدين وأكل طعامه، فحانت من فخر الدين التفاتة، فرأى القاصد الذي بعثه إلى نابلس، فدهش وخاف من الأفضل، وأخذ يستأذنه في التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أمرهم، فأذن له. وللحال قام فخر الدين واجتمع بزين الدين قراجا وأسد الدين سراسنقر، وسار بهما مجداً إلى القدس، فإذا بشجاع الدين طغرل السلاح دار سائر إلى مصر، فألفتوه عن الأفضل، وساروا به إلى القدس، فاتفق معهم الأمر صارم الدين صالح نائب القدس، ووافقهم أيضاً الأمير عز الدين أسامة وميمون القصرى، وقدما إلى القدس، ومع ميمون سبعمائة فارس منتخبة، وكاتبوا الملك العادل، يستدعونه لأتابكية الملك المنصور.

وأما الأفضل فإنه سار من بلبيس إلى القاهرة، فخرج المنصور وتلقاه، في سابع ربيع الآخر وكانت مدته شهرين و........وتحكم الأفضل. ولما استقرا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل، يخبره بوصوله إلى مصر،

حفظاً لدولة ابن أخيه، وأنه لا يخرج عما يأمره به، فورد جوابه بان العزيز إن كان مات عن وصية فلا يعدل عنها، وإن كان مات عن غير وصية، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك، حتى نرى الرأي. فاستولى الأفضل على أمر مصر كله و لم يبق للمنصور غير مجرد الاسم فقط. وعزم الأفضل على قبض من بقي من الأمراء الصلاحية. بمصر ففر منهم جماعة، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس. وقبض الأفضل على جماعة : منهم الأمير علاء الدين شقير، والأمير عز الدين البكي الفارس، والأمير عز الدين أيبك فطيس، وخطلبا، ونهب أموالهم، ثم برز إلى بركة الجب، فأقام أربعة أشهر، وحلف بها الأمراء والأجناد، مبلغه عن أخيه الملك المؤيد مسعود أنه يريد الوثوب عليه، فقبضه وسجنه.

وبعث الملك الظاهر غازي صاحب حلب إلى أخيه الأفضل يحثه على سرعة القدوم من مصر إلى دمشق، واغتنام الفرصة في أمرها والملك العادل غائب عنها في حصار ماردين. فقبض الصلاحية بالشام على القاصد، وأهانوه ثم أطلقوه، فسار إلى الأفضل، وبلغه رسالة أخيه الظاهر .فرحل الأفضل من بركة الجب ثالث شهر رجب، ومعه الملك المنصور، فأقام بالعباسة خمسة أيام. واستخلف على القاهرة سيف الدين يازكج الأسدي ثم سار إلى دمشق، فنزل عليها في ثالث عشر شعبان، وقد بلغ العادل خروجه من مصر، وهو على حصار ماردين، فرتب ابنه الكامل محمداً على حصارها، وسار في مائتي فارس إلى دمشق فقدمها في ثمانية أنفس، لكثرة ما أسرع في السير، قبل منازلة الأفضل لها بيومين وتلاحق به أصحابه وقدم الأفضل منزل الشرفين والميدان الأخضر، وهجم بعض أصحابه على البلد وأحرقوا، وصاحوا : يا أفضل يا منصور. فصاحت العامة معهم بذلك، لميلهم إلى الأفضل، فبرز إليهم العادل، وأخرجهم من البلد، وامتنع بها، ففر من أمراء الأفضل عدة، فتأخر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة. فدس العادل إلى جماعة ممن في صحبة الأفضل بكلام منه. إني أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أخي، ففندوا الأفضل عن الحرب. وبذل العادل لهم مالاً، فمشى ذلك من مكره عليهم، وخذلوا الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم أخوه الظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مدة، والعادل يكاتب الأمراء ويستميلهم شيئاً بعد شيء، وهم يأتونه فيبذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان، فقوى به الأفضل، ورحلا إلى مسجد القدم، وحاربا العادل وحاصراه، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة الحصار. فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل، فاشتد عضد العادل بقدومهم، وجهز إلى القدس من يمنع الميرة الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا يازكج قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر نجدة للأفضل، فقاتلوهم وكسروهم وغنموا ما معهم. وصارت أهل دمشق في جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالاً من التجار. وقوي الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبن أخيه الأفضل.

سنة ست وتسعين وخمسمائة

وأهلت سنة ست وتسعين والأخوان على حصار عمهما العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت الغلال، وقلت الأقوات. وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه من المال، وكانت

أموال العادل بها، فسار إليه الكامل في العسكر الذي معه، وأخذ من قلعة جعبر أربعمائة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوي بقدومه قوة عظيمة، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهرة لكثرة من خامر منهم، ودس العادل مكيدة بين الأخوين، وهي أن الظاهر كان له مملوك يقال له أيبك وقد شغفه حباً، ففقده وظن أنه دخل دمشق فعلق، وبلغ ذلك العادل، فبعث إليه بكلام فيه : أن محمود بن الشكري أفسد مملوكك، وحمله إلى الفضل، فقبض الظاهر حينئذ على ابن الشكري، وظهر المملوك عنده، فما شك في صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وأمتنع من لقائه، وكان البرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسار إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء، فغلت الأسعار، وقوي البرد، فرحل الظاهر على القريتن، ورحل الأفضل بعساكره يريد مصر، وتركوا من أثقالهم ما عجزوا عن حمله فأحرقوه، وهلك لهم عدة مماليك ودواب، ودخل الأفضل إلى بلبيس في خامس عشرى شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها.

وورد الخبر بأن العادل خرج من دمشق، ونزل تل العجول، وأنه كتب الإقامات للعربان، واستدعى الكنانية، فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بلبيس، وأمر قراقوش بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقي من سور مصر والقاهرة، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويجعل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون مثل الباشورة، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقس، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها.

وفي ثاني ربيع الآخر: نزل العادل قطية فهم الفضل بتحريق بلبيس، فنفرت القلوب منه، وقطع أرزاق المرتزقة من جانب السلطان، ومن الأحباس على مكة والمدينة والفقهاء وأرباب العمائم، ليغلق الذي للجند، فما سد المأخوذ، ولا انقطع الطلب من الأجناد، وثار الضجيج من المساكن. ووصل العادل فواقعه الأفضل، فانكسر منه وانهزم، فتبعهم العادل إلى بركة الجب، فخيم بها وأقام ثمانية أيام، ولحق الأفضل بالقاهرة، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر، وخامر جماعة عليه، وصاروا إلى العادل، وألجأت الضرورة الأفضل إلى مراسلة العادل، فطلب منه أن يعوضه عن ديار مصر بدمشق، فامتنع العادل، وقال : لا تحوجني أن أخرق ناموس القاهرة، وآخذها بالسيف، اذهب إلى صرخد، وأنت أمن على نفسك فلم يجد الأفضل بداً من التسليم، لتخاذل أصحابه عنه. فتسلم العادل القاهرة، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر، وخرج منها الفضل منهزماً في ذلك اليوم، وكان الوزير ضياء الدين ابن الأثير قد قدم إلى مصر، وتمكن من الأفضل فلما تسلم العادل القاهرة فر، ولحق بصرخد، وكانت مدة استيلاء الفضل على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوماً، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بدمياط، وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه في ليل ولا نهار، وكان الأمراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم. وأقام العادل بالقاهرة على أتابكية الملك المنصور، وحلف له الأمراء على مساعدته، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأمور المملكة، فلم يستمر ذلك ......، فانتقض الأمر في الحادي والعشرين من شوال، وذلك أن الملك العادل احضر جماعة من الأمراء وقال لهم : إنه قبيح بي أن أكون أتابك صبي، مع الشيخوخة والتقدم، والملك ليس هو بالارث، وإنما هو لمن غلب، وأنه كان يجب أن أكون بعد أخي الملك الناصر صلاح الدين، غير أني تركت ذلك إكراماً لأخي، ورعاية لحقه، فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد أولاد أخي، فسست

الأمر إلى آخره، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامي فيه، ونهوضي بأعبائه، فلما ملكت هذه البلاد، وطنت نفسي على أتابكية هذا الصبي، حتى يبلغ أشده، فرأيت العصبيات باقية، والفتن غير زائلة، فلم آمن أن يطرأ على ما طرأ على الملك الأفضل، ولا آمن أن يجتمع جماعة ويطلبون إقامة إنسان آخر، وما يعلم ما يكون عاقبة ذلك، والرأي أن يمضي هذا الصبي إلى الكتاب، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه، فإذا تأهل وبلغ أشده نظرت في أمره، وقمت بمصالحه. هذا والأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأي، فلم يجد من عداهم بداً من موافقته، فحلفوا له، وخلعوا المنصور في يوم الخميس، وخطب للعادل من الغد يوم الجمعة حادي عشرى شوال، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوماً.

السلطان سيف الدين أبو بكر بن أيوب

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر في حادي عشرى شوال، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميافارقن، واستحلف النلس بهذه البلاد، وضربت السكة باسمه واستدعى العادل ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً، فحضر إلى القاهرة في يوم الخميس لثمان بقين من رمضان، ونصبه نائباً عنه بديار مصر، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعه كما كانت إقطاعاً للعادل في أيام السلطان صلاح الدين، وجعله ولي عهده، وحلف له الأمراء.

وفيها أقيمت الخطبة للعادل بحماة وحلب، وضربت السكة باسمه.

وفيها توقفت زيادة النيل، فلم يجر إلا ثلاثة عشر ذراعاً تنقص ثلاثة أصابع، وشرق معظم أرض مصر فارتفعت الأسعار.

وفيها استناب العادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، وبحماة الملك المنصور بن تقي الدين عمر.

وفيها أخرج الملك العادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر، ومعه إخوته وأخواته ووالدته فساروا إلى الشام، ثم سيرهم إلى الرها، فهربوا منها إلى حلب وبقي الملك المنصور. بمدينة الرها، حتى مات سنة عشرين وستمائة، وكان قد أصبح أميراً عند الظاهر صاحب حلب.

ومات في هذه السنة

إبراهيم بن منصور بن المسلم أبو إسحاق المعروف بالعراقي، خطيب الجامع العتيق بمصر، في حادي عشرى جمادى الأولى، عن ست وثمانين سنة.

ومات القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج ابن أحمد اللخمي، العسقلاني مولداً، البيساني، أبو علي محيى الدين، فى سابع ربيع الآخر.

ومات الأثير ذو الرياستين أبو الطاهر محمد بن ذي الرياستين أبي الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنباري في ليلة الثالث من ربيع الآخر، ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة.

وفي هذه السنة: ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد، ورأس فيه وجهان، فى كل وجه عينان وأذنان وأنف

وحاجب.

وولد أيضاً بها مولود له غرة كغرة الفرس، ويداه ورجلاه محجلتان، وأليته ملمعة.

وولد بها أيضاً مولود أشيب الرأس ونعجة لها أربع أيادي، وأربع أرجل. ووجد في بطن نعجة ذبحت خروف صدره ووجهه صورة إنسان، وله أظافير الآدمي.

سنة سبع وتسعين وخمسمائه

فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه صلاح الدين وهما الملك المؤيد مسعود والملك المعز إسحاق، وسجنهما فى دار بهاء الدين قراقوش بالقاهرة، وتسلم الأمير فخر الدين جهاركس بانياس من الأمير حسام الدين بشارة بعد حصار وقتال.

وفيها حدثت الوحشة بين الملك العادل وبن الصلاحية من أجل أنه خلع المنصور ابن العزيز، وكتب الأمر فارس الدين ميمون القصرى من نابلس إلى العادل بإنكار خلع المنصور، فأجابه العادل جواباً خشناً، وتكررت المكاتبة بينهما غير مرة، فكتب ميمون إلى الصلاحية يغريهم بالعادل، فلم يجد فيهم نهضة للقيام، وفي أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل، وسير إليه وزيره علم الدين قيصر ونظام الدين، فمنعهما العادل أن يعبرا إلى القاهر، وأمرهما أن يقيما ببلبيس، ويحملا قاضي بلبيس ما معهما من الرسالة، فعادا مغضبين، واجتمعا. بميمون القصرى فى نابلس، ومازالا به حتى مال إلى الفضل وإلى أخيه الظاهر، فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه، وكاتب الصلاحية ورغبهم، وكاتب ميمون القصرى، وشرع الأفضل أيضاً فى مكاتبتهم وهو بصرخد، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة صاحب عجلون وكوكب، وصلت له، فبلغ ذلك العادل فتيقظ لنفسه، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق. بمحاصرة الأفضل فى صرخد، فجمع وخرج من دمشق، فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظافر خضر، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عاشر جمادى الأولى، فنزل المعظم على بصرى، وكاتب فخر الدين جهاركس وميمون القصرى، يأمرهما بالمسير إليه لحصار صرخد، فلم يجيبا، وجمعا من يوافقهما، وصارا إلى الظافر بصرخد. وكتبوا إلى الظاهر بحلب يحثونه على الحركة وأخذ دمشق، فوافته الكتب وعنده الأفضل، فجمع الناس وعزم على المسير، ثم سار الظاهر، فلم يوافقه المنصور صاحب حماة، فحاصره مدة، ثم رحل عنه بغير طائل، فنازل دمشق ومعه الأفضل، وأتته الصلاحية هناك، فخرج العادل من القاهرة بعساكره، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل محمداً، وسار حتى نازل نابلس.

وقدم العادل طائفة من العسكر، فساروا إلى دمشق، واستولوا عليها قبل نزول الأفضل والظاهر عليها، فقدما بعد ذلك، وضايقا دمشق فى رابع عشر ذي القعدة، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد، فوقع بينهما الاختلاف. بمكيدة دبرها العادل، ففترت الهمة عن القتال، وذلك أن العادل كتب إلى كل من الأفضل وإلى الظاهر سراً، بأن : أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على ذلك فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منها من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع، فبعث العادل فى السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهى رأس عين والخابور وميافارقن، وغير ذلك، وبذل له مع ذلك مالاً من مصر فى كل

سنة.بمبلغ خمسين ألف دينار، فانخدع الأفضل وقال للأمراء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد: لا إن كنتم جئتم إذ فقد أذنت لكم فى العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أخي فأنتم به أخبر. وكانوا يحبون الفضل من أجل أنه لين العريكة، فقالوا كلهم : لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك. فأذن لهم في العود إلى العادل، فسار إليه الأمير فخر الدين جهاركس، والأمير زين الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر، فوقع الوهن والتقصير فى القتال بعدما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق.

وفيها تعذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، وعظم الغلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضاً، وتبع ذلك فناء عظيم، وابتدأ الغلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير، وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا مداً يسيراً، حتى عدمت الأقوات، وخرج من مصر عالم كبير بأهليهم وأولادهم إلى الشام، فماتوا في الطرقات جوعاً. وشنع الموت في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفنه العادل من الأموات - في مدة يسيرة - نحواً من مائتي ألف إنسان وعشرين ألف إنسان، وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرته بحيث لا ينكر، ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض، ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوي ضعيفاً ذبحه وأكله، وفقد كثير من الأطباء لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله، واتفق أن شخصاً استدعى طبيباً، فخافه الطبيب وسار معه على تخوف، فصار ذلك الشخص يكثر فى طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقير إلا ويتصدق عليه، حتى وصلا إلى الدار، فإذا هي خربة. فارتاب الطبيب مما رأى، وبينا هو يريد الدخول اليها إذ خرج رجل من الخربة، وقال للشخص الذي قد أحضر الطيب: مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحدة". فارتاع الطبيب، وفر على وجهه هارباً. فلولا عناية الله به، وسرعة عدوه، لقبض عليه، وخلت مدينة القاهرة ومصر أكثر أهلها، وصار من يموت لا يجد من يواريه، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو يبلى، واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين، فخاف الناس، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء، وكثر الجوع، وعدم القوت حتى أكلت صغار بنى آدم، فكان الأب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً، وكذلك الأم، وظفر الحاكم منهم بجماعة، فعاقبوهم حتى أعياهم ذلك، وفشا الأمر: فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عبها كتف الصغير أو فخذه، وكذلك الرجل، وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار، فينتظرها حتى تنزل ليأكل منها، فإذا فيها لحم الأطفال، وأكثر ما كان يوجد ذلك فى أكابر البيوت، ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات، ومعهم لحوم الأطفال، واحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة وجد معهن لحوم الأطفال، لم فشا ذلك حتى اتخذه الناس غذاء وعشاء وألفوه، وقل منعهم منه، فإنهم لم يجدوا شيئاً من القوت، لا الحبوب ولا الخضروات.

فلما كان قبل أيام زيادة النيل - فى سنة ست وتسعين هذه - احترق الماء في برمودة، حتى صار فيما بين المقياس والجيزة بغير ماء، وتغير طعم الماء وريحه، وكان القاع ذراعين، وأخذ يزيد زيادة ضعيفة إلى سادس عشر مسرى، فزاد، إصبعاً، ثم وقف، ثم زاد زيادة قوية أكثرها ذراع حتى بلغ خمسة عشر ذراعاً وستة عشرة إصبعاً، ثم انحط من يومه فلم ينتفع به، وكان الناس قد فنوا بحيث بقي من أهل القرية الذين كانوا خمسمائة نفر إما

نفران أو ثلاثة، فلم تجد الجسور من يقوم بها، ولا القرى من يعمل مصالحها، وعدمت الأبقار بحيث بيع الرأس بسبعين ديناراً، والهزيل بستين ديناراً. وجافت الطرقات بمصر والقاهرة وقراهما، ثم أكلت الدودة ما زرع، فلم يوجد من التقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده.

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة: والناس تأكل الأطفال، وقد صار أكلهم طبعاً وعادة، وضجر الحكام من تأديبهم، وأبيع القمح - إن وجد - بثمانية دنانير الأردب، والشعير والفول بستة دنانير، وعدم الدجاج من أرض مصر، فجلبه رجل من الشام، وباع كل فروج بمائة درهم، وكل بيضتين بدرهم. هذا وجميع الأفران إنما تقد بأخشاب المساكن، حتى دخلت سنة ثمان وتسعين، وكان كثير من المساتير يخرجون ليلاً، ويأخذون أخشاب الدور الخالية، ويبيعونها نهاراً، وكانت أزقة القاهرة ومصر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة، ولم يبق بمصر عامر إلا شط النيل، وكانت أهل القرى تخرج للحرث فيموت الرجل وهو ماسك المحراث.

وفى هذه السنة: قدم غلام سنه نحو عشر سنين - من عرب الحوف بالشرقية - إلى القاهرة، أسمر حلو السمرة، على بطنه خطوط بيض ناصعة البياض، متساوية القسمة من أعلاه إلى أسفله، كأحسن ما يكون من الخطوط.

وفيها مات الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي، فى غرة شهر رجب بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم.

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

في أول المحرم: رحل الأفضل والظاهر عن دمشق، فصار الظاهر إلى حلب ومعه جماعة من الأمراء الصلاحية، منهم فارس الدين ميمون القصرى، وسرا سنقر، والفارس البكى، فاقطعهم الاقطاعات وأكرمهم، وتوجه الأفضل إلى حمص، وبها أمه وأهله عند الملك المجاهد، وقدم العادل إلى دمشق، ونزل بالقلعة ثم سار منها إلى حماة، ونزل عليها بعساكره، فقام له الملك المنصور بجميع كلفه ونفقاته، وأظهر أنه يريد حلب، فخافه الظاهر واستعد للقائه، وراسل العادل وبعث إليه بهدايا جليلة ولاطفه، فانتظم الصلح بينهما على أن يكون للعادل مصر ودمشق والسواحل وبيت المقدس وجميع ما هو فى يده ويد أولاده من بلاد الشرق، وأن يكون للظاهر حلب وما معها، وللمنصور حماة وأعمالها، وللمجاهد حمص والرحبة وتسمر، وللأمجد بعلبك وأعمالها، وللأفضل سميساط وبلادها لا غير، وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد جميعها، وحلفوا على ذلك. فخطب للعادل بحلب فى يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة، وأقطع الأفضل قلعة النجم مع سروج وسميساط، وجهز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى الجزيرة، ليتسلم حران والرها وما معهما، ويستقر بالجزيرة ويستقر الأوحد أيوب أخوه فى ميفارقين وترتب بقلعة جعبر ابنه الحافظ نور الدين أرسلان. وأقر العادل ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق، وعاد العادل من حماة إلى دمشق، وقد اتفقت كلمة بنى أيوب.

وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الدين أيوب، وذلك لما ملك اليمن - بعد أبيه - خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى، ثم خرج عليه نحو ثمانمائة من مماليكه، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء، فكسرهم وجلاهم عنها، فادعى الربوبية، وأمر أن يكتب عنه ويكاتب بذلك، وكتب صدرت هذه المكاتبة من مقر الالهية. ثم خاف المعز إسماعيل من الناس، فادعى الخلافة وانتسب إلى بنى أمية، وجعل شعاره الخضرة، ولبس ثياب الخلافة، وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبراً في سعة ستة أشبار، وقطع من الخطبة

الدعاء لبنى العباس، وخطب لنفسه على منابر اليمن، وخطب هو بنفسه يوم الجمعة، فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه، فلم يلتفت إلى قوله، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة، فثار عليه مماليك أبيه لهوجه وسفكه الدماء وحاربوه وقتلوه، ونصبوا رأسه على رمح، وداروا به بلاد اليمن، ونهبوا زبيد تسعة أيام، وكان قتله في رابع عشر رجب، من سنة ثمان وتسعن، وقام من بعده أخوه الناصر أيوب - وقيل : محمد- ، وترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر، ثم استقل سنقر بالسلطة.

وفيها كان الغلاء بمصر، فلما طلع النيل رويت البلاد، وانحل السعر.

سنة تسع وتسعين وخمسمائة

فيها وصل الفرنج إلى عكا، وتحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر، فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل نجدة إلى العادل وهو بدمشق، فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن خمارتكن، صاحب صهيون، يخبر بنزول صاحب الأرمن على جسر الحديد لحرب أنطاكية، وأن أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر، و لم يبق بها إلا من عجزعن السفر، وأن بها غلاءً عظيماً.

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة، ومعه الأفضل، ثم تقرر الصلح على أن يحمل ناصر الدين أرسلان الأرتقي صاحب ماردين للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار صورية، ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه، فعاد الأشرف إلى حران.

وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز عثمان من صمر إلى الرها بأمه وإخوته، خوفاً من شيعته.

وفيها شرع العادل فى بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير، وفى تعميق، الخندق وإجراء الماء إليه، وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج. وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة، فركب إليهم المنصور في ثالث رمضان، وقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وغنم، وعاد مظفراً، فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر فى نحو سبعين ألفاً، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين، وخرج جمع من الاسبتار من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضاً، وخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهزم من بقي.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل على ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف موسى أن ينتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا ذلك، ولم يبق معه سوى سميساط لا غير، فسير الأفضل أمه إلى العادل لتشفع فيه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها وأعادها خائبة، وكان هذا عبرة، فإن صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكيات، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن زنكى، يستغثن إليه فى أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات، فعوقب صلاح الدين فى ولده الأفضل على بمثل ذلك، وعادت أمه خائبة من عند العادل، ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه تطع خطبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان السلجوقي، صاحب الروم.

وفيها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار.

وفيها انقضت دولة الهواشم بمكة، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع، فخرج منها مكثر

بن عيسى بن فليتة إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة، ثم وصل محمد بن مكثر إلى مكة، فحاربوه وهزموه، ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة.

سنة ستمائة

فيها تقرر الصلح بين العادل وبين الفرنج، وانعقدت الهدنة بينهما، وتفرقت العساكر.
وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس بقلعتها، فخرج الظاهر من حلب نجدة له، ففر ابن لاون.

وفيها أوقع الأشرف موسى بن العادل بعسكر الموصل، وهزمهم ونازلها وبها السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي أتابك بن آقسنقر، ونهب الأشرف البلاد نهباً قبيحاً، وبعث إلى أبيه العادل بالبشارة، فاستعظم ذلك وما صدقه، وسر به سروراً كثيراً.
وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنينية من الروم.
وفيها تجمع الإفرنج بعكا من كل جهة يريدون أخذ بيت المقدس، فخرج العادل من دمشق، وكتب إلى سائر الممالك يطلب النجدات، فنزل قريباً من جبل الطور على مسافة يسيرة من عكا، وعسكر الفرنج بمرج عكا، وأغاروا على كفر كنا وأسروا من كان هناك، وسبوا ونهبوا، وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك.
وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلوش بن بيغو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم، فى سادس ذي القعدة، وقام من بعده ابنه عز الدين قلج أرسلان، وكان صغيراً، فلم يستتب أمره.
وفيها عاد الأشرف موسى بن العادل إلى حران بأمر أبيه، وهم العادل برحيله إلى مصر، فقدم عليه ابنه الأشرف، ثم عاد إلى حران.
وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر، وعبر النيل من جهة رشيد، فوصل إلى فوة، وأقام خمسة أيام ينهب، والعسكر تجاهه ليس له إليه وصول لعدم وجود الأسطول العادلي.
وفيها أوقع الأمير شرف الدين قراقوس التقوى المظفري ببلاد المغرب، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن.
وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر أرض مصر والشام، والجزيرة وبلاد الروم، وصقلية وقبرص، والموصل والعراق وبلغت إلى سبتة ببلاد المغرب، وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدي الروم، فلم يزالوا بها حتى استعادها الروم منهم، فى سنة ستين وستمائة.

سنة إحدى وستمائة

فيها تم الصلح بين الملك العادل وبن الفرنج، وتقررت الهدنة مدة، وشرطوا أن تكون يافا لهم، مع مناصفات لد والرملة، فأجابهم العادل إلى ذلك، وتفرقت العساكر، وسار العادل إلى القاهرة، فنزل بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل، وشرع فى ترتيب أمور مصر.
وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجويني والي القاهرة، في سلخ جمادى الأولى.

وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية من الروم.
وفيها غارت الفرنج الإسبتارية على حماة فى جمع كبير، لأن هدنتهم انقضت، فقتلوا ونهبوا، ثم عادوا.
وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة، فسر به وأكرمه، ثم رجع بعد أيام.
وفيها أغار الفرنج على حمص، وقتلوا وأسروا، فخرج العادل من القاهرة إلى بركة الجب، ثم عاد.
وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية، وقتلوا عدة من المسلمين، وغنموا وسبوا شيئاً كثيراً.
وفيها أخذ الصاحب صفي الدين عبد الله بن شكر يغرى الملك العادل بأبي محمد مختار بن أبي محمد بن مختار، المعروف بابن قاضى دارا، وزير الملك الكامل، حتى نقم عليه وطلبه، فخاف عليه الكامل، وأخرجه من مصر - ومعه ابناه فخر الدين وشهاب الدين - إلى حلب، فأكرمهم الملك الظاهر، ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر، فخرج ونزل بعين المباركة ظاهر حلب.
فلما كان فى ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة: أحاط به - نحو الخمسين فارساً في أثناء الليل، وأيقظهوه وقتلوه، ثم قالوا لغلمانه: احفظوا أموالكم، فما كان لنا غرض سواه. فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له، وركب بنفسه حتى شاهده، وبعث الرجال فى سائر الطرقات، فلم يقف لقتله على خبر، فكانت هذه القضية من أعجب ما سمع.

سنة اثنتين وستمائة

فيها قبض على السعد أبي المكارم بن مهدي بن مماتى صاحب الديوان في جمادى الآخرة، وعلق برجليه.
وفيها قبض على الأمير عبد الكريم أخي القاضي الفاضل، وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأداها، وأخذ من شرف الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن قريش خمسة آلاف دينار.
وفيها باشر التاج......بن الكعكي ديوان الجيش.
وفيها ضرب الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر الفقيه نصراً في وجهه بالدواة، فأدماه.

سنة ثلاث وستمائة

فيها كثرت الغارات من الفرنج على البلاد، فخرج الملك العادل إلى العباسة، ثم أغذ السير إلى دمشق، ثم برز منها إلى حمص، فأتته العساكر من كل ناحية، فاجتمع عنده عشرات آلاف، وأشاع أنه يريد طرابلس، فلما انقض شهر رمضان توجه الى ناحية حصن الأكراد فنازله، وأسر خمسمائة رجل وغنم، وافتتح قلعة أخرى. ثم نازل طرابلس، وعاثت العساكر فى قراها، ولم يزل على ذلك إلى أيام من ذي الحجة، ثم عاد إلى حمص - وقد ضجرت العساكر - فبعث صاحب طرابلس يلتمس الصلح، وسير مالاً وثلاثمائة أسير وعدة هدايا، فانعقد الصلح فى آخر ذي الحجة.
وفيها حدثت وحشة بين العادل وبن ابن أخيه الملك الظاهر، صاحب حلب، فازدادت بينهما الرسل حتى زالت، وحلف كل منهما لصاحبه.
وكثر فى هذه السنة تخريب العادل لقلاع الفرنج وحصونهم.

وفيها عزل الصاحب ابن شكر البدر بن الأبيض قاضي العسكر، وقرر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودي الحموي.
وفيها قدم مانع بن سلمان شيخ أل دعيج من غزية التي فيما بين بغداد ومكة.

ومات في هذه السنة

عبد الرحمن بن سلامة قاض الإسكندرية بها، يوم الأربعاء ثامن صفر.
وفيها نفى الأشرف .... بن عثمان الأعور، واعتقل أخوه علم الملك.
وفيها ماتت أم الملك المعظم بن العادل بدمشق، في يوم الجمعة عشرى ربيع الأول، ودفنت بسفح قاسيون.

سنة أربع وستمائة

فيها عاد الملك العادل إلى دمشق، بعد انعقاد الصلح بينه وبن ملك الفرنج بطرابلس. وفيها بعث العادل أستاداره الأمر ألذكر العادلي، وقاضي العسكر نجم الدين خليل المصمودي إلى الخليفة في طلب التشريف والتقليد بولاية مصر والشام والشرق وخلاط، فلما وصلا إلى بغداد أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله، وأحسن إليهما وأجابهما، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي ومعه التشريف الخليفتي والتقليد، وخلعة للصاحب صفي الدين بن شكر، وخلع لأولاد العادل وهم الملك المعظم والملك الأشرف، والملك الكامل، فعندما قارب بالشيخ أبو حفص حلب خرج الملك الظاهر بعساكره إلى لقائه، وأكرم نزله.
وفى ثالث يوم من قدومه أمر بكرسي فنصب له، وجلس عليه للوعظ، وجلس الظاهر ومعه الأعيان، فصدع بالوعظ حتى وجلت القلوب ودمعت العيون، وأخبر الشيخ في وعظه بأن الخليفة أطلق - في بغداد وغيرها - من المؤن والضرائب، ما مبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار، ثم سار من حلب، ومعه القاضي بهاء الدين بن شداد، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار، برسم النثار إذا لبس عمه العادل خلعة الخليفة، وبعث الملك المنصور من حماة أيضاً مبلغاً للنثار، وخرج العسكر من دمشق إلى لقائه، ثم خرج العادل بابنيه الأشرف موسى والمعظم عيسى، وبرز سائر الناس لمشهادة ذلك، فكان يوماً مشهوداً، ولما دخل الشيخ أبو حفص دمشق جلس العادل فى دار رضوان، وأفيضت عليه الخلع، وهى جبة أطلس أسود واسعة الكم بطراز ذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب بجوهر ثقيل، وقلد العادل أيضاً بسيف محلى، جميع قرابه من ذهب، وركب حصاناً أشهب بركب ذهب، ونشر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة، مركب في قصبة ذهب، وتقدم القاضي ابن شداد فنثر الذهب، وقدم له خمسين خلعة ونثرت رسل الملوك بعده، ثم لبس الأشرف والمعظم خلعتيهما، وهما عمامة سوداء، وثوب أسود واسع الكم، ثم خلع على الصاحب صفي الدين بن شكر الوزير كذلك، وركب العادل - ومعه ابناه ووزيره - بالخلع الخليفتية، وقد زينت البلد، ثم عادوا إلى القلعة، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام، وقرأ التقليد الصاحب صفي الدين على كرسي، وخوطب العادل فيه بشاهنشاه، ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين، وكان الوزير في حال تركض قائماً على الكرسي، والعادل وسائر

الناس أيضاً قياماً، إجلالاً للخليفة، ثم سار الشهاب السهروردي إلى مصر، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفتية، وجرى من الرسم كما وقع بدمشق، ثم عاد إلى بغداد.

وفيها أمر العادل بعمارة قلعة دمشق، وفرق أبراجها على الملوك، فعمروها من أموالهم وفيها اتسعت مملكه العادل، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده، فاعطى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً مملكة مصر، ورتب عنده القاضي الأعز فخر الدين مقدام بن شكر، وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش إلى حمص، وأدخل فى ولايته بلاد الساحل الإسلامية، وبلاد الغور وأرض فلسطين، والقدس والكرك، والشوفي وصرخد، وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وهى الرها وما معها من حران وغيرها، وأعطى ابنه الملك الأوحد نجم الدين أيوب خلاط وميافارقن وتلك النواحي، وكان الأوحد قد بعث إليه أهل خلاط ليملكها، فسار من ميافارقن وملكها.
وفيها كمل الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل، وتحول إليها من دار الوزارة بالقاهرة، فكان أول من سكنها من ملوك مصر، ونقل إليها أولاد الخليفة العاضد الفاطمي وأقاربه فى بيت على صورة حبس، فأقاموا به إلى أن حولوا منه فى سنة إحدى وسبعن وستمائة.
وفيها توفى الأمير داود بن العاضد فى محبسه. وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد إليه، وأنه الإمام من بعده، فاستأذن أصحابه من الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه، فأذن لهم، فبرزت النساء حاسرات، والرجال فى ثياب الصوف والشعر، وأخذوا فى ندبه والنياحة عليه، واجتمع معهم من كان فى الاستتار من دعاتهم، فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم، وقبضوا على المعروفين منهم، فملأ بهم السجون، واستصفى أموال ذوى اليسار منهم، ففر من بقي، وزال من حينئذ أمر الإسماعيلية من ديار مصر، ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم.

سنة خمس وستمائة

فيها سار الكرج ونهبوا أعمال خلاط، وأسروا وغنموا فلم يجسر الأوحد أن يخرج إليهم من مدينة خلاط، فلما بلغ ذلك الملك العادل أخذ في التجهيز لحرب الكرج، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق.
وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي، صاحب الجزيزة، قتله ابنه محمود، وقام فى الملك من بعده.
وفيها بعث الأمير سيف الدين سنقر، أتابك اليمن عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل، عليها اسمه.
وفيها مات القاضي مكين الدين مطهر بن حمدان، بقلعة بصرى في شهر رجب، ومات هلال الدولة وشاب بن رزين، والي القاهرة، وعزل الأمر سيف الدين على بن كهدان عن ولاية مصر، وعزل الأسعد بن حمدان عن الشرقية، وباشرها خشخاش الوراق.
وفيها توفى قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، يوم الأربعاء خامس رجب، وكان قد قدم مصر في رابع رجب سنة خمس وستين خمسمائة، فتكون مدة مقامه بديار مصر أربعين سنة.

سنة ست وستمائة

فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة الكرج ، ومعه الملوك من بني أيوب . وهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك المجاهد صاحب حمص ، والملك الأمجد صاحب بعلبك ، وأرسل إليه الملك الظاهر غازي صاحب حلب جيشا، فنزل العادل حران ، وأتته النجدات مع ولديه الملك الأوحد صاحب خلاط وميافارقين ، والملك الأشرف موسى، وغيرهما ، فاستولى على نصيبين ، ونازل سنجار، وبها الملك قطب الدين محمد بن زنكي، فكانت بينهما عدة وقائع ، بعث في أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر لدين الله، وإلى الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وإلى كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم ، وغيرهم يستنجد بهم على العادل ، فمال إليه عدة من الملوك عونا على العادل ، ففارقه عدة ممن كان معه على حصار سنجار، ودسوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس ، ففسدت أحواله ، وقدم عليه رسول الخليفة، وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك يأمره بالرحيل ، فقال له عم الإمام الخليفة الناصر: "قال لك بحياتي ياخليلي ارحل" . فعاد العادل إلى حران ، وتفرقت العساكر عنه.

وفيها حصلت بين العادل وبن وزيره الصاحب ابن شكر منافرة أوجبت غضبه وسفره في البرية فركب المنصور صاحب حماة، وفخر الدين جهاركس صاحب بانياس حتى لحقاه في رأس عين ، وقدما به على العادل فرضي عنه ، ومن حينئذ انحطت منزلته . وفيها مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين ، وقيل إنه سم ، فحمل إلى حلب ليدفن بها.

وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق.

وفيها ولي الأمير المكرم بن اللمطي قوص ، في ذي القعدة.

سنة سبع وستمائة

فيها ظفر الملك الأوحد بن العادل بملك الكرج ، ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين ، وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة، وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها، فأطلقه الأوحد، وردت على المسلمين عدة قلاع. .

وفيها مات الأوحد، وملك خلاط بعده أخوه الأشرف.

وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل ، واجتمعوا في عكا، فخرج الملك العادل من دمشق ، فوقع بينه وبينهم صلح ، وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا، وسار إلى الكرك ، فأقام بها أياما، ثم رحل إلى مصر، فدخل القاهرة، ونزل بدار الوزارة.

وفيها مات الأمير فخر الدين جهاركس.

وفيها تحرك الفرنج ثانيا، فتجهز العادل للسفر إلى الشام.

وفيها كفت يد الصاحب صفي الدين بن شكر عن العمل.

وفيها مات السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكي صاحب الموصل ، في شهر رجب ،

وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا، وقام من بعده ابنه الملك القاهر عز الدين مسعود، وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، مملوك ابيه.

وفيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر، ولبسوا سراويل الفتوة أيضا،فوردت عليهم الرسل بذلك ، ليكون انتماؤهم له ، وأمر كل ملك أن يسقي رعيته ويلبسهم ، لتنتمي كل رعية إلى ملكها، ففعلوا ذلك ، وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها، وألبس كلا منهم له ، وسقاه كأس الفتوة، وكان الخليفة الناصر مغرما بهذا الأمر، وأمر الملوك أيضا ان تنتسب إليه في رمي البندق ، وتجعله قدوتها فيه.

وفيها قدم إلى القاهرة كليام الفرنجي الجنوي تاجرا، فاتصل بالملك العادل ، وأهدى إليه نفائس ، فاعجب العادل به ، وأمره بملازمته ، وكان كليام في باطن الأمر عينا للفرنج ، يطالعهم بالأحوال ، فقيل هذا للعادل ، فلم يلتفت إلى ما قيل عنه.

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن مماتي، في الرابع من جمادى الأولى بالقاهرة.

ومات الأمر سياروخ في خامس عشر رجب.

وفيها قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب قونية، وقد حدث ذلك في أوائل السنة، وهو يواقع الأرمن حلفاء الروم ، عند بلده خونا من أعمال أذربيجان ، وكان قد غلبه أخوه ركن الدين سليمان بن قلج أرسلان على قونية، وألجأه إلى الفرار منها سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ثم مات ركن الدين سليمان سنه ستمائة، وقام بعده في قونية ابنه قلج أرسلان بن ركن الدين ، وعند ذلك عاد كيخسرو إلى بلاده بعد فراره إلى حلب وغيرها، وملك كيخسرو قونية ثانيا، بعد خطوب جرت له ، وقد قبض أهلها على قلج أرسلان بن ركن الدين ، ثم قتل كيخسرو بعدما استفحل أمره ، وولى ابنه عز الدين كيكاوس بن غياث الدين.

وفيها كانت وقعة بين حاج العراق وبين أهل مكة بمنى، قتل فيها عبد للشريف قتادة اسمه بلال ، فقيل لها سنة بلال.

سنة ثمان وستمائة

فيها قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أسامة الصلاحي، نائب كوكب وعجلون واعتقله وأخذ ماله ، وسيره إلى الكرك فاعتقل فيها هو وولده ، وتسلم المعظم قلعة كوكب وعجلون ، وهدم قلعة كوكب ، وعفى أثرها.

وفيها توجه الملك العادل إلى الإسكندرية ، لكشف أحوالها.

وفيها قدم بهاء الدين بن شداد من حلب إلى القاهرة يخطب صفية خاتون ابنة العادل شقيقة الكامل ، لابن عمها الظاهر، فأجيب إلى ذلك ، وعاد مكرما.

وفيها ماتت أم الملك الكامل ، يوم الأحد خامس عشري صفر، فدفنت عند قبر الإمام الشافعي، ورتب ابنها عند قبرها القراء والصدقات ، وأجرى الماء من بركة الحبش إلى قبة الشافعي، ولم يكن قبل ذلك ، فنقل الناس أبنية القرافة الكبرى إلى هذه القرافة من حينئذ، وعمروها.

وفيها خرج العادل من القاهرة، فسار إلى دمشق وبرز منها يريد الجزيرة، فوصل إليها ورتب أحوالها، وعاد إلى

دمشق ، ومعه كليام الفرنجي.
وفيها انقضى أمر الطائفة الصلاحية بانقضاء الأمير قراجا والأمير عز الدين أسامة، والأمير فخر الدين جهاركس ،وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم.

وفيها نقل أولاد العاضد الفاطمي وأقاربه إلى قلعة الجبل في يوم الخميس ثاني عشري رمضان ، وتولى وضع القيود في أرجلهم الأمير فخر الدين ألطونبا أبو شعرة بن الدويك ، وإلى القاهرة، وكانت عدتهم ثلاثة وستون نفسا.
وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر، وزلزت الكرك والشوبك ، فمات تحت الهدم خلق كثير، وسقط عدة من أبراج قلعتها، ورؤي بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض ، فيما بي المغرب والعشاء عند أرض قصر عاتكة.
وفيها مات الموفق بن أبي الكرم التنيسي في يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول.
ومات ظافر بن الأرسوفي بمصر في سلخ رجب.
وفيها اجتمع بالإسكندرية ثلاثة آلاف تاجر وملكان من الفرنج ، فسار العادل وقبض على التجار، وأخذ أموالهم ، وسجن الملكين.
وفيها" أعني سنة ثمان وستمائة" كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة، سببها ان حشيشيا جاء لقتل الشريف قتادة، فقتل شريفا اسمه أبو هارون عزيز، ظنا منه أنه قتادة، فثارت الفتنة، وانهزم أمير الحاج ، ونهب الحاج عن أخره ، وفر من مكة من بمكة من نواب الخليفة، ومن المجاورين ، فبعث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة إلى الخليفة يعتذر له عما جرى، فقبل عذره وعفي عنه.

سنة تسع وستمائة

فيها نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور، وأحضر الصناع من كل بلد، استعمل جميع أمراء العسكر في البناء ونقل الحجارة، فكان في البناء خمسمائة بناء، سوى الفعلة والنحاتين ، ومازال مقيما حتى كملت.
وفيها قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق بمال كثير وخلع ، برسم عقد نكاح صفية خاتون ابنة العادل على ابن عمها الظاهر صاحب حلب ، فخرج إلى لقائه عامة الأمراء والأعيان ، وعقد النكاح في المحرم على مبلغ خمسين ألف دينار، ونشر النثار على من حضر بقلعة دمشق ، وذلك في المحرم ، ثم جهزت إليه بحلب في تجمل عظيم ، من جملة قماش وآلات ومصاغ يحمله خمسون بغلا، ومائة بختي، وثلاثمائة جمل ، وجواري في المحامل على مائة جمل ، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع الملهى، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة، فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما، وقدم لها الظاهر تقادم : منها خمسة عقود جوهر بمائة وخمسين ألف درهم ، وعصابة جوهر لا نظير لها، وعشر قلائد عنبر مذهب ، وخمس قلائد بغير ذهب ، ومائة وسبعون قطعة من ذهب وفضة،وعشرون تختا من ثياب ، وعشرون جارية، وعشرة خدام.
وفيها عزل الهمام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة، وولى فخر الدين ألطونبا أبوشعرة مملوك المهراني في.
فيها تغير الملك العادل على الوزير صفي الدين بن شكر، ورفع يده من الوزارة،وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى

آمد، فلم يزل بها حتى مات العادل.

وفيها فوض العادل تدبير مصر، والنظر في أموالها ومصالحها إلى ولده الملك الكامل ، فرتب الكامل القاضي الأعز فخر الدين مقدام بن شكر ناظر الدولتين.

وفيها خرج العادل من الشام يريد خلاط ، فسار إليها ودخلها، وفيها ابنه الأشرف ، وقد استولى على ما بها من الأموال.

سنة عشر وستمائة

فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه العادل ، وأخذ في الاستعداد، ثم تراسلا حتى سكن الحال.

وفيها ولدت صفية ابنة العادل لابن عمها الظاهر مولودا سماه محمدا ولقبه بالملك العزيز غياث الدين ، وذلك في خامس ذي الحجة، فزينت حلب ، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا، وأمر فصيغ له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطير، وصاغ له عشرة مهود من ذهب وفضة ، سوى ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره ، ونسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولعل وزمرد، ودرعان وخوذتان وبركستوان ، كل ذلك من لؤلؤ، وثلاثة سروج مجوهرة، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد، وثلاثة سيوف علائقها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر، وعدة رماح من ذهب أسنتها جوهر.

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب ، فلما قارب مكة صده قصاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج ، وقالوا: " إنما جئت لأخذ بلاد اليمن"، فقال الظاهر خضر: "ياقوم ! قيدوني، ودعوني أقضي مناسك الحج" . فقالوا : " ليس معنا مرسوم إلا بردك". فرد إلى الشام ، من غير أن يحج ، فتألم الناس لذلك.

وفيها مات الأمير فخر الدين إسماعيل والى مصر بها.

وفيها دخل بنو مرين إحدى قبائل زناتة من القفر، ونهبوا أعمال المغرب ، وحاربوا الموحدين وهزموهم ، وكان أمير بني مرين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورصيص بن فكوس بن كوماط بن مرين.

تتمة سنة عشر وستمائة

فيها حفر خندق مدينة حلب ، فوجد فيه بلاطة صوان عليها أحرف مكتوبة بالقلم السرياني، فترجموه بالعربية، فإذا هو: "لما كان العالم محدثا دل أن له محدثا، لا كهو" ، وكتب تحت هذه الأحرف :" لخمسة آلاف من السنين خلون من الأسطوان الصغير". فقلعت البلاطة، فوجد تحتها تسع عشرة قطعة من ذهب وفضة وصورى على هيئة اللبن ، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين رطلا بالحلبي، وكان منها فضة أربعة وعشرين رطلا، وحلقة ذهب وزنها رطلان ونصف رطل ، وصورى عشرة أرطال ونصف ، فكان الجمع زنته قنطار واحد بالحلبي.

سنة إحدى عشر وستمائة

فيها فر الملك المنصور بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف من اعتقال عم أبيه الملك العادل ، ولحق بالظاهر صاحب حلب ، ولاذ به هو و إخوته ، فأكرمهم الظاهر.

وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، وانضم إليهم عسكر ابن ملك الأرمن ، لقصد بلاد المسلمين ، فخافهم المسلمون ، وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فنازلوا قلعة الخوابي ، ثم ساروا عنها إلى أنطاكية.

وفيها ظفر السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم بالأشكري ملك الروم.

وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصر، فتزل في القاهرة بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل ، وأمر العادل أن يقيم معه كليام الفرنجي الجنوي بدار الوزارة.

وفيها ورد الخبر بموت سنقر أتابك اليمن ، واستقر بعده الملك الناصر أيوب صاحب اليمن في ملكه ، وقام بأتابكيته غازي.

وفيها شرع الملك العادل في تبليط جامع بني أمية بدمشق ، وكانت أرضه حفرا وجورا، وتولى العمل الوزير صفي الدين بن شكر.

وفيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية، ثم بطلت بعد ذلك وفنيت.

وفيها تولى سهم الدين عيسى القاهرة في شوال ، وتولى جمال الدين بن أبي المنصور وكالة بيت المال بها.

ومات سعد بن سعد الدين بن كوجيا في عشر ربيع الآخر.

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن العادل من دمشق ، وحج معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة النبوية، فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه فلم يتمكن منه ، فعاد الشريف سالم صحبة الملك المعظم إلى دمشق ، فبعثه المعظم على عسكر إلى مكة ،فمات في الطريق قبل وصوله مكة فقام جماز بن قاسم "وهو ابن أخيه "بتدبير الجيش،فجمع قتادة ، وسار إلى ينبع ولقيه، فهزم قتادة.

سنة اثنتي عشرة وستمائة

فيها نازل الفرنج قلعة الخوابي ، وحاربوا الباطنية، ثم صالحوهم.

وفيها سير الخليفة الناصر لدين الله كتابه الذي ألفه وسماه "روح العارفين" إلى الشام ومصر وغيرها ليسمع.

وفيها ملك الفرنج أنطالية، وقتلوا من بها من المسلمين ، وكانت بيد الملك غياث الدين كيخسرو منذ فتحها سنة اثنتين وستمائة إلى أن أجلاه الفرنج عنها سنة سبع وستمائة، ثم استردها منهم الملك الغالب عز الدين كيكاوس سنة ثلاث عشرة وستمائة، بعد أن بقيت بأيدي الفرنج تلك المدة.

وفي هذه السنة أيضا : سار عز الدين إلى بلاد الأرمن ، وحاصر قلعة جابان ، وهزم عندها جيوش الأرمن ، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولي على قلعة جابان ، ثم طلب الأرمن الصلح ، وأجابهم إليه عز الدين ، فأخذ في مقابل الصلح من بلاد الأرمن قلعة لؤلؤة ولوزاد.

وفيها مات الملك المعظم أبو الحسن علي ابن الخليفة الناصر لدين الله ، وهو أصغر أولاده ، فلما قدم نعيه على ملوك الأطراف جلسوا في العزاء، لابسين شعار الحزن خدمة للخليفة.

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن ، فخرج في جيش كثيف من مصر، وسار إلى بلاد اليمن ، فاستولى على معاقلها، وظفر بصاحبها الملك سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب فسيره تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فخرج إلى المنصورة غازيا، فقتل شهيدا، ودانت بلاد اليمن للملك المسعود.
وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى القاهرة، فلما قرىء عليه ما أنفق على الملك المسعود في خروجه إلى اليمن استكثره وأنكر العادل خروجه ، فإنه كان بغير أمره ، وأمر العادل بالقاضي الأعز فضرب وقيد، واعتقل بقلعة الجزيزة، ثم حمله إلى قلعة بصرى، فسجنه بها.
وفيها نقل العادل أمواله وذخائره وأولاده إلى الكرك.
وفيها أبطل الملك العادل ضمان الخمر والقيان.
وفيها مات تقي الدين اللر، شيخ الخانقاه الصلاحية، دار سعيد السعداء، في المحرم . وفيها مات ابن سوروس بن أبي غالب بطريق اليعاقبة في يوم الخميس عيد الغطاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة للشهداء" وهو الرابع عشر من رمضان" وله في البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما، وكان أولا يتجر إلى بلاد اليمن ، فغرق مرة، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بحشاشته ، وكان لأولاد الجباب معه مال ، فأيسوا منه فلما اجتمع بهم أعلمهم أن مالهم سلم ، فإنه كان قد عمله في مقابر من خشب ، وسمرها في المراكب ، وأحضره إليهم ، فتميز عندهم بذلك ، حتى مات البترك مرقص بن زرعة، فتحدث ابن سوروس في البتركية للقس أبي ياسر، وكان مقيما بالعدوية فحسن له بنو الجباب أن يقوم هو بأمر البتركية، فتحدث في ذلك ، وزكوه فتولى، وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية، فرقها في مدة بطركيته على الفقراء، وأبطل الديارية، ومنع الشرطونية، ولم يأكل في ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا، ولا قبل لصغير ولا لكبير منهم هدية، وكان القس داود بن يوحنا" المعروف بابن لقلق ، من أهل الفيوم" ملازما للشيخ نشىء الخلافة أبي الفتوح بن الميقاط ، كاتب الجيوش العادلية، وكان يسافر معه ويصلي به ، فلما مات ابن سوروس سأل أبو الفتوح الملك العادل أن يولي القس داود البتركية، فأجابه وكتب له توقيعا بذلك ، من غير أن يعلم الملك الكامل ، فلم يعجب بعض النصارى ولاية داود، وقام منهم رجل يعرف بالأسعد بن صدقة، كاتب دار التفاح بمصر، وجمع كثيرا من النصارى العصارين بمصر، وطلع في الليلة التي وقع الاتفاق على تقدمة القس داود في صبيحتها، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل ، واستغاثوا بالملك الكامل ، وقالوا :" إن هذا الذي يريد أبو الفتوح يعمله بطركا بغير أمرك ما يصلح ، ونحن في شريعتنا لا يقدم البطرك إلا باتفاق الجمهور عليه ." فخرج إليهم الأمر من عند الكامل بتطييب قلوبهم ،وفي سحر النهار ركب القس داود، ومعه الأساقفة" وعالم كبير من النصارى" ليقدموه بكنيسة المعلقة بمصر، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتونة. فركب الملك الكامل إلى أبيه ، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطركية داود، ولا يجوز عندهم تقدمته إلا باتفاق جمهورهم . فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضرهم حتى يتحقق الأمر، فوافاهم الرسل مع القس داود، عند زقاق كنيسة الحمراء،

فأحضرت الأساقفة إلى الملك العادل ، ودخل داود إلى كنيسة الحمراء، وانحل أمره ، وخلا الكرسي من بطريق تسع عشرة سنة ومائة وستين يوما.

وفي جمادى الأولى : صرف الملك العادل زكي الدين الطاهر بن محيي الدين محمد بن علي القرشي عن قضاء دمشق ، وألزم جال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني بولاية القضاء بها وله من العمر اثنتان وتسعون سنة.

وفيها قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار له سنام كسنام الجمل ، يرقص ويدور، ويستجيب له إذا دعاه..

سنة ثلاث عشرة وستمائة

فيها ولي بهاء الدين بن الجميزي خطابة القاهرة في ثالث عشر المحرم.

وولي أبو الطاهر المحلي خطابة مصر في ثاني صفر.

وفيها سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية، فرتب أمورها وعاد.

وفيها قدم البهاء بن شداد برسالة الظاهر من حلب إلى العادل ، وهو بالقاهرة، فمرض الظاهر في خامس عشري جمادى الأول ، ومات في ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة عن أربع وأربعين سنة وأشهر، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون سنة، وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب ، وكان سفاكا للدماء، شهما يقظا صاحب سياسة، وله شعر حسن ، وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد، وعمره يومئذ سنتان وأشهر، بعهد من أبيه ، وكان الملك العادل " عندما مرض الظاهر " رتب بريدا من مصر إلى حلب يطالعه بخبره ، فأتاه نعيه قبل كل أحد، فأحضر الملك العادل ابن شداد، وقال له : "ياقاضي! صاحبك قد مات في ساعة كذا من يوم كذا". فعاد ابن شداد إلى حلب.

وفيها كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العجم.

وفيها قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية، فأغار على جدة، فخرج إليه الشريف قتادة أمير مكة، وكسره يوم عيد النحر.

سنة أربع عشرة وستمائة

فيها وصل الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد، بجواب رسالة الملك العادل إلى ، الخليفة الناصر لدين الله.

وفيها تتابعت أمداد الفرنج في البحر من روما وغيرها إلى عكا، وفيهم عدة من ملوكهم" وقد نقضوا الصلح ، وعزموا على أخذ القدس وسائر بلاد الساحل وغيرها "فعظم جمعهم ، فخرج العادل من مصر بعساكره ، وسار إلى لد، فبرز الفرنج من عكا في خلق عظيم ، فرحل العادل على نابلس ، ونزل في بيسان ، فقال له ابنه المعظم لما رحل :" إلى أين يابه ؟". فسبه العادل بالعجمية، وقال:" بمن أقاتل ؟ أقطعت الشام مماليك ، وتركت من ينفعني من أبناء الناس الذين يرجعون إلى الأصول" وذكر كلاما في هذا المعنى.

فقصده الفرنج ، فلم يطق لقاءهم ، لقلة من معه ، فاندفع من بين أيديهم على عقبة فيق ، وكتب بتحصين

دمشق ، ونقل الغلات من داريا إلى القلعة، وإرسال الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور ففزع الناس وابتهلوا إلى الله، وكثر ضجيجهم بالجامع ، فزحف الفرنج على بيسان " وقد اطمأن أهلها بترول العادل عليهم " فانتهبوها وسائر أعمالها، وبذلوا في أهلها السيف ، وأسروا وغنموا ما يجل وصفه ، وانبثت سراياهم فيما هنالك حتى وصلت إلى نوى ونازلوا بانياس ثلاثة أيام ، ثم عادوا إلى مرج عكا، وقد أنكوا في المسلمين أعظم نكاية، وامتلأت أيديهم بالأسر، والسبي والغنائم ، وأتلفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف . فلم يمكثوا بالمرج سوى قليل ، ثم أغاروا ثانيا، ونهبوا صيداء والشقيف ورجعوا، وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد الفطر، ونزل العادل بمرج الصفر، ورأى في طريقه رجلا يحمل شيئا، وهو يمشي تارة ويقعد أخرى، فقال له : "ياشيخ ! لا تعجل ، ارفق بنفسك ". ففال له :" ياسلطان المسلمين ! أنت لا تعجل ، أو أنا؟ إذا رأيناك قد سرت من بلادك ، وتركتنا مع الأعداء، كيف لا نعجل ؟". وعندما استقر بمرج الصفر، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه : فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، وهو ابن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين يوسف ، ثم إن العادل جهز ابنه المعظم عيسى صاحب دمشق ، بطائفة من العسكر إلى نابلس ، كي يمنع الفرنج من بيت المقدس ، فنازل الفرنج قلعة الطور التي أنشأها العادل ، وجدوا في قتال أهلها، حتى تمكنوا من سورها، وأشرفوا على أخذها. فقدر الله أن بعض ملوكهم قتل ، فانصرفوا عنها إلى عكا بعدما أقاموا عليها سبعة عشر يوما، وانقضت السنة والحال على ذلك ، من إقامة الفرنج بمرج عكا، والعادل بمرج الصفر.

وفيها مات القاضي الأجل قاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال الدين الحرستاني، في رابع ذي الحجة، ومولده بدمشق في أحد الربيعين، سنة عشرين وخمسمائة.

ومات الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري قتله الفرنج على حصن الطور، فنقل إلى القدس ، ودفن بتربته.

ومات الشجاع محمود بن الدباغ ، مضحك الملك العادل ، وترك مالا جزيلا.

سنة خمس عشرة وستمائة

فيها اجتمع رأي الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر، والاجتهاد في تملكها، فأقلعوا في البحر، وأرسوا على دمياط ، في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول " الموافق لثامن حزيران" على بر جيزة دمياط ، فصار النيل بينهم وبين البلد، وكان إذ ذاك على النيل برج منيع ، في غاية القوة والامتناع ، فيه سلاسل من حديد، عظام القدر والغلظ ، تمتد في النيل لتمنع المراكب الواصلة في بحر الملح من عبور أرض مصر، وتمتد هذه السلاسل في برج آخر يقابله ، وكانا مشحونين بالمقاتلة، ويعرف اليوم مكانهما في دمياط بين البرجين . وصار الفرنج في غربي النيل ، فأحاطوا على معسكرهم خندقا، وبنوا بدائره سورا . وأخذوا في محاربة أهل دمياط ، وعملوا آلات ومرمات ، وأبراجا متحركة يزحفون بها في المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه ، حتى يتمكنوا من البلد، فخرج الكامل بمن بقي عنده من العسكر، في ثالث يوم من سقوط الطائر، لخمس خلون من ربيع الأول ، وتقدم إلى

والي الغربية بجمع سائر العربان ، وسار في جمع كثير، وخرج الأسطول ، فأقام تحت دمياط ، ونزل السلطان الكامل بناحية العادلية، قريبا من دمياط ، وسير البعوث ليمنع الفرنج من العبور، وصار يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط ، بتدبير الأمور وإعمال الحيلة في مكايدة الفرنج.

وألح الفرنج في مقاتلة أهل البرج ، فلم يظفروا بشيء، وكسرت مرماهم وآلاهم ، وتمادى الأمر على ذلك أربعة اشهر، هذا والملك العادل يجهز عساكر الشام شيئا بعد شيء إلى دمياط ، حتى صار عند الكامل من المقاتلة ما لا يكاد ينحصر عدده.

وفي أثناء ذلك ورد الخبر بحركة الملك الغالب عز الدين كيكاوس السلجوقي، سلطان الروم ، إلى البلاد الشامية، بموافقة الملك الصالح صاحب آمد وغيره من ملوك الشام ، وأنه وصل إلى منبج ، وأخذ تل باشر واتفق كيكاوس مع الملك الأفضل علي بن صلاح الدين صاحب سميساط أنه يسلمه ما يفتحه من البلاد، فلم يف كيكاوس بما وعد، وسلم ما فتحه لنوابه ، فتقاعد عنه كثير من الناس ، وأوقع العرب بطائفة من عسكره ، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا، ونهبوا لهم شيئا له قدر ، فرجع إلى بلاده بغير طائل . هذا والعادل بمرج الصفر، فبينا هو في الاهتمام بأمر الفرنج ، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرنج برج السلسلة بدمياط ، فتأوه تأوها شديدا، ودق بيده على صدره أسفا وحزنا ،ومرض من ساعته ، فرحل من المرج إلى عالقين ، وقد اشتد مرضه ، فمات في سابع جمادى الآخرة يوم الخميس ، فكتم أصحابه موته ، وقالوا:" قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى، محمل في محفة، وعنده خادم ، والطبيب راكب بجانب المحفة ، والشربدار يصلح الأشربة، ويحملها إلى الخادم ليشربها السلطان ، يوهم الناس بذلك أنه حي، إلى أن دخل قلعة دمشق ، وصارت بها الخزائن والحرم وجميع البيوتات ، فأعلم بموته ، بعدما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله ، التي كانت معه ، وسائر رخته وثقله ، ودفنه بالقلعة، فاختبط الناس حتى ركب المعظم ، وسكن أمر الناس ، ونادى في البلد:"ترحموا على السلطان الملك العادل ، وادعوا لسلطانكم الملك المعظم " أبقاه الله فبكى الناس بكاء كثيرا، واشتد حزنهم لفقده.

وكان مولده في المحرم سنة أربعين " وقيل سنة ثمان وثلاثين " وخمسمائة بدمشق ، وسمع من السلفي وابن عوف ، وعرفت مواقفه في جهاد العدو بثغر دمياط في سنة خمس وستين وخمسمائة، في أيام الخليفة العاضد، وفي مدينة عكا، وملك دمشق في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة، وملك مصر، في سنة ست وتسعين ، فكانت مدة ملكه لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما، ورزق في أولاده سعادة قلما يتفق مثلها لملك ، فبلغوا تسعة عشر ولدا ذكرا، سوى البنات ، وهم : الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط ، وكان قصيرا في الغاية، شهما مقداما سفاكا للدماء، مات في حياة أبيه ، والملك الفائز إبراهيم ، والملك المغيث عمر " وقد توفيا أيضا في حياته " وترك عمر ابنا سمي بالملك المغيث وشهاب الدين محمود، رباه عمه الملك المعظم عيسى، والملك الجواد شمس الدين مودود، ومات في حياته أيضا " وترك الملك الجواد ولدا اسمه مظفر الدين يونس بن مودود بقي عند عمه الملك الكامل بمصر، ثم ملك دمشق وغيرها، وكان جوادا شجاعا، والملك الكامل ناصر الدين محمد، صاحب مصر، والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى صاحب دمشق ، وشقيق الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب بانياس " وكان جوادا شهما " والملك الأمجد مجد الدين حسن ، ومات في حياة أبيه بالقدس ، ودفن في مدرسة بنيت له ، ثم نقل إلى الكرك والملك الأشرف

مظفر الدين موسى صاحب الشرق وخلاط ، بعد أخيه الملك الأوحد، والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارتن ، وشقيقاه الملك المعز مجير الدين يعقوب ، والملك القاهر بهاء الدين تاج الملوك إسحاق ، والملك الصا لح عماد الدين إسماعيل ، صاحب بصرى، ثم دمشق ، والملك المفضل قطب الدين أحمد، ومات بمصر في أيام أخيه الكامل بالفيوم ، ووصل في تابوت إلى القاهرة، في نصف رجب سنة ثمان عشرة وستمائة، والملك الأمجد تقي الدين عباس ، وهو أصغرهم ، ولد في سنة ثلاث وستمائة، ومات آخرهم بدمشق ، في سنة تسع وستين وستمائة، في أيام الملك الظاهر بيبرس ، والملك الحافظ نور الدين أرسلان صاحب قلعة جعبر، والملك القاهر بهاء الدين خضر، والملك المغيث شهاب الدين محمود، والملك الناصر صلاح الدين خليل.

ووزر للملك العادل صنيعة الملك أبو سعيد بن أبي اليمن بن النحال مدة يسيرة، وكان نصرانيا فأسلم على يده بعد عوده مع الأفضل علي بن صلاح الدين إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، فلما مات ابن النحال استوزر العادل الصاحب صفي الدين عبد الله بن شكر الدميري،فتجبر وسطا، وتمكن من السلطان ، واستولى عليه ، وعظم قدره . وأوقع ابن شكر بعدة من الأكابر، وصادر أكابر كتاب الدولة، واستصفى أموالهم . ففر منه القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل إلى بغداد، واستشفع بالخليفة الناصر لدين ا لله ، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل ، وفر منه علم الدين بن أبي الحجاج ، صاحب ديوان الجيش ، والأسعد بن مماتي صاحب ديوان المال ، إلى حلب ، فأكرمهما الملك الظاهر، حتى ماتا عنده ، وصادر بني حمدان وبني الجباب وبني الجليس ، وأعيان الكتاب المستوفين ، والعادل لا يعارضه في شيء، هذا وهو يتغضب على السلطان ، واستمر على هذا الحال إلى أن غضب على السلطان مرة في سنة تسع وستمائة، وحلف أنه ما بقي يخدمه ، فأخرجه السلطان العادل من مصر، بجميع أمواله وحرمه ، فكان ثقله على ثلاثين جملا، وحسن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله ، فامتنع واكتفى بإخراجه إلى آمد .وسار صفي الدين إلى آمد، فأقام عند الصالح بن أرتق ، فأقام العادل من بعده القاضي فخر الدين مقدام بن شكر، ثم نقم عليه في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وضربه وقيده ، وأخرجه من مصر، ولم يستوزر بعده أحدا.

من أعجب الاتفاقات أن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه : فأول ذلك أن أباه أقطعه حران والرها وميافارقن في سنة ست وثمانين وخمسمائة، فسار إليها، حتى إذا بلغ حلب رده أبوه ، وبعث الملك العادل بدله ، ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق ، فأخذها العادل منه ، ثم ملك مصر بعد ذلك ، فأخذها منه العادل ، ثم ملك صرخد، فأخذها منه العادل ، وعوضه قلعة نجم وسروج ، ثم استرجعهما منه بعد ذلك.

فلما تمهدت للملك العادل الممالك قسمها بين أولاده ، فملك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن ، ورأى العادل في أولاده ما يحب ، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى في أولاده ما رآه العادل ، فإنه اجتمع في كل منهم من النجابة والنبل ، والكفاية والمعرفة، والفضيلة وعلو الهمة، ما لا مزيد عليه ، ودانت لهم العباد، وملكوا خيار البلاد، وكان كثيرا ما يتردد العادل في ممالك أولاده ، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق ، ويشتي بمصر، وكان أكولا نهما، يأكل خروفا مشويا بمفرده ، وله اقتدار زائد على النكاح ، ومتع في دنياه بأرغد عيش ، وتمكن من السعادة في سائر أحواله ، وكان حميد السيرة، حسن العقيدة، كثير

السياسة، صاحب معرفة بدقائق الأمور، قد حنكته التجارب ، فسعدت آراؤه ، ونجحت تدبيراته ، وكان لا يرى محاربة أعدائه ، ويستعمل في مقاصده المكائد والخدع ، فهادنته الفرنج لقوة حزمه وشدة تيقظه ، وغزارة عقله وقوة كيده ، ومكره ومداومته على المخادعة والمخاتلة، وكثرة صبره وحلمه وأناته ، بحيث إنه كان إذا سمع مايكره يغضي عنه تجاوزا وصفحا، كأنه لم يبلغه ، وكان لا يخرج المال إلا عند الاحتياج إلى إخراجه ، فيسمح حينئذ ببدل الكثير منه ، ولا يتوقف فيما ينفق ، فإذا لم يحتج إلى أخرج المال ضن به وأمسكه ، فثابت له بذلك أغراضه كما يجب ، وانقادت له الأمور مثل ما يختار، وكان يحافظ على أداء الصلوات في أوقاها، ويحب السنة، ويكرم العلماء، مع العظمة وقوة المهابة المتمكنة في القلوب ، وله صنف الإمام فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس ، وبعث به إليه من بلاد خراسان.

ومات الملك العادل عن خمس وسبعين " وقيل ثلاث وسبعين " سنة، وترك مالا كثيرا، منه في خزائنه " التي استولى عليها ابنه المعظم " سبعمائة ألف دينار مصرية، سوى ما كان له في الكرك ، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم ، وكتب المعظم إلى أخوته بموت أبيه ، فجلس الملك الكامل للعزاء في معسكره بظاهر دمياط ، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج.

السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، سادس ملوك مصر من الأيوبيين ، استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه ، بعهده إليه في حياته ، وكانت سلطنته بعد السابع من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة عندما وصل إليه نعي أبيه ، وهو بالمنزلة العادلية على محاربة الفرنج ، وقد ملكوا البر الغربي، واستولوا على برج السلسلة، وقطعوا السلاسل المتصلة به ، لتعبر مراكبهم في بحر النيل ، ويتمكنوا من أرض مصر، فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما، يمنع الفرنج من عبور النيل ، فقاتل الفرنج عليه قتالا كثيرا حتى قطعوه ، وكان قد أنفق على هذا البرج والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار، فأمر الكامل بتغريق عدة من المراكب في النيل ، منعت الفرنج من سلوكه ، فعدل الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالأزرق ، كان النيل يجرى فيه قديما، فحفروه حفرا عميقا، وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح ، فجرت سفنهم فيه إلى ناحية بورة على أرض جيزة دمياط ، تجاه المنزلة التي فيها الكامل ، ليقاتلوه من هناك ، فلما استقروا في بورة حاذوه ، وقاتلوه في الماء، وزحفوا إليه غير مرة، فلم ينالوا منه غرضا طائلا، و لم يضر أهل دمياط ذلك ، لتواصل الأمداد والميرة إليهم ، وكون النيل يحجز بينهم وبين الفرنج ، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة، وليس عليها حصر ولا ضيق ألبتة.

هذا والعربان تخطف الفرنج في كل ليلة، بحيث منعهم ذلك من الرقاد، خوفا من غاراتهم، فتكالب العرب عليهم حتى صاروا يختطفونهم نهارا، ويأخذون الخيم بمن فيها، فأكمن لهم الفرنج عدة كمناء، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأدرك الناس الشتاء، فهاج البحر على معسكر المسلمين ، وغرق الخيم ، فعظم البلاء، واشتد الكرب ، وألح الفرنج في القتال ، و لم يبق إلا أن يملكوا البلاد، فأرسل الله سبحانه ريحا قطعت مراسي مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا، فمرت تلك المرمة إلى البر الذي فيه المسلمون فملكوها، فإذا هي مصفحة بالحديد، لا تعمل فيها النار، ومساحتها خمسمائة ذراع ، وفيها من المسامير ما زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا، وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا، يستنجد أهل الإسلام على قتال الفرنج ، ويستحثهم على إنقاذ

المسلمين منهم واغاثتهم ، ويخوفهم من تغلب الفرنج على مصر، فإنه متى ملكوها لا يمتنع عليهم شيء من الممالك بعدها، فسارت الرسل في شوال ، فقدمت النجدات من حماة وحلب ، إلا أنه لما قدم على المعسكر موت العادل وقع الطمع في الملك الكامل ، وثار العرب بنواحي أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم ، واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، والمعروف بابن المشطوب ، وكان أجل الأمراء الأكابر، وله لفيف من الأكراد الهكارية ، ينقادون إليه ويطيعونه ، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك ، معدودا بينهم كواحد منهم ، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود، وسعة الكرم والشجاعة، تهابه الملوك ، وله وقائع مشهورة في القيام عليهم ، ولما مات أبوه ، وكانت نابلس إقطاعا له ، أرصد ثلثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس ، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها، فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية، فاتفق عماد الدين مع جماعة من الأكراد والجند على خلع الملك الكامل ، وتمليك أخيه الفائز إبراهيم ، ليصير لهم التحكم في المملكة، ووافقه على ذلك الأمير عز الدين الحميدي، والأمير أسد الدين الهكاري، والأمير مجاهد الدين ، وعدة من الأمراء، فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم ، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف ، وهم يحلفون لأخيه الفائز، فعندما رأوه تفرقوا، فخشي على نفسه منهم ، وخرج ، فاتفق قدوم الصاحب صفي الدين بن شكر من آمد، فإنه كان قد استدعاه الكامل بعد موت أبيه ، فتلقاه الكامل وأكرمه ، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء، فشجعه وضمن له تحصيل المال وتدبير الأمور، فلما كان في الليل ركب الكامل من المنزلة العادلية، في الليل جريدة، وسار إلى أشموم طناح فنزل بها، وأصبح العسكر وقد فقدوا السلطان ، فركب كل أحد هواه ، ولم يعرج واحد منهم على آخر، وتركوا أثقالهم وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم ، و لم يأخذ كل أحد إلا ما خف حمله ، فبادر الفرنج عند ذلك ، وعبروا بر دمياط وهم آمنون ، من غير منازع ولا مدافع ، وأخذوا كل ما كان في معسكر المسلمين ، وكان شيئا لا يقدر قدره ، وذلك لبضع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، فكان نزول الفرنج قبالة دمياط في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة، ونزولهم في البر الشرقي " حيث مدينة دمياط " يوم الثلاثاء سادس ذي القعدة سنة ست عشرة، فتزلزل الملك الكامل، وهم بمفارقة أرض مصر، ثم تثبت ، فتلاحق به العسكر، وبعد يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق " وهو بأشموم " في ثامن عشر ذي القعدة ، فقويت به شوكته ، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب ، فوعده بإزالته عنه . ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب ، واستدعاه للركوب معه للمسايرة، فاستمهله حتى يلبس خفيه وثيابه ، فلم يمهله وأعجله ، فركب معه وهو آمن ، وسايره حتى خرج به من المعسكر وبعد عنه ، فالتفت إليه المعظم ، وقال . "يا عماد الدين ! هذه البلاد لك ، أشتهي أن تهبها لنا ."وأعطاه نفقة، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم ، كان قد أعدهم لهذا الأمر، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرمل ، ويحتفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام ، فما وجد ابن المشطوب سبيلا إلى الامتناع ، ولا قدر على المدافعة، لأنه بمفرده بينهم ، فساروا به على تلك الحالة إلى الشام ، فنزل بحماة عند الملك المنصور، وسه أربعة من خدمه ، ولما سار ابن المشطوب رجع

المعظم إلى أخيه الكامل ، وتقدم إلى أخيه الفائز بأن يمضي إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق رسولا عن الملك الكامل ، بسبب إرسال عساكر الإسلام ، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرنج ، وكتب الكامل إلى أخيه الأشرف موسى شاه أرمن ، يستحثه على سرعة الحضور، وصدر المكاتبة بهذه الأبيات :

فانهض بغير تلبث وتوقف   يامسعدي إن كنت حقا مسعفي

بتجشم في سيرها وتعسف   واحثث قلوصك مرقلا أو موجفا

إلا على باب المليك الأشرف   واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ

متوقع لقدومه متشوف   واقر السلام عليه من عبد له

عني بحسن توصل وتلطف   وإذا وصلت إلى حماة فقل له

ما بين كل مهند ومثقف   إن تأت عبدك عن قليل تلقه

بل في القيامة في عراص الموقف   أو تبط عن إنجاده فلقاؤه

فسار الفائز " وكان الغرض إخراجه من أرض مصر " فمضى إلى دمشق، ورحل إلى حماة، ثم سار إلى الشرق ، فانتظم أمر الكامل ، وقوى ساعده ، وترتبت قواعد ملكه ، وسار عنه المعظم ، هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر، وأحدقوا بها وحصروها، وضيقوا على أهلها، ومنعوا الأقوات أن تصل إليهم ، وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقا، وبنوا عليه سورا، وأهل دمياط يقاتلونهم أشد قتال ، وأنزل الله عليهم الصبر، فثبتوا مع قلة الأقوات عندهم وشدة غلاء الأسعار، وأخذ الكامل في محاربة الفرنج ، وهم قد حالوا بينه وبينها، ولم يصل إليها أحد من عنده سوى رجل من الجاندارية، وكان هذا الرجل قد قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة، و يسمى شمايل ، فتوصل حتى صار يخدم في الركاب السلطاني جاندار، وكان يخاطر بنفسه ، ويسبح في النيل " ومراكب الفرنج به محيطة، والنيل قد امتلأت به شواني الفرنج " فيدخل إلى مدينة دمياط ، ويأتي السلطان بأخبار أهلها، فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها، ووعدهم بقرب وصول النجدات ، فحظي بذلك عند الكامل ، وتقدم تقدما كثيرا، وجعله أمير جانداره وسيف نقمته ، وولاه القاهرة، وإليه تنسب خزانة شمايل ، وكان في دمياط من أهلها الأمير جمال الدين الكناني، فكتب هذه الأبيات ، وألقاها إلى الملك الكامل في سهم نشاب ، وهي :

الله ضامن أجره وكفيلهشرفاته   يا مالكي دمياط ثغر هدمت

كادت تجث أصوله   يقريك من أزكى السلام تحية

كالمسك طاب دقيقه وجليله   ويقول عن بعد وإنك سامع

حتى كأنك جاره ونزيله   يأيها الملك الذي ما إن يرى

بي الملوك شبيهه وعديله   هذا كتاب موضح من حالتي

ما ليس يمكنني لديك أقوله   أشكو إليك عدو سوء أحدقت

بجميعه فرسانه وخيوله   فالبر قد منعت إليه طريقه

والبحر عز لنصره أسطوله   فخضوعه باد على أبراجه

وحنينه وبكاؤه وعويله   ولو استطاع لأم بابك لائذا

لكنه سدت عليه سبيله   ورسوله في أن تجيب دعاءه

دين الإله وخلقه ورسوله فقد انتهت أدواؤه وتحكمت

علاته ونحا عليه نحوله وبقي له رمق يسيريرتجى

أن يشتفي لما دعاك عليله فاحرس حماك بعزمة تشفى بها

داء لمثلك يرتجى تعليله فالله أعطاك الكثير بفضله

ورضاه من هذا الكثير قليله فالعذر في نصر الإله ودينه

ما ساغ عند المسلمين قبوله والثغر ناظره إليك محدق

ما إن يمل من الدموع همولة ولئن قعدت عن القيام بنصره

جفت نضارته وبان ذبوله ووهت قوى القرآن فيه ورفعت

صلبانه وتلى به إنجيله وعلا صدى الناقوس في أرجائه

وخفي على سمع الورى تهليله هذا وحقك وصف صورة حاله

حقا وجملته وذا تفصيله وكفاك يابن الأكرمين بأنه

أضحى عليك من الورى تعويله حقق رجاء فيك يا من لم يخع

أبدا لراجي جوده تأميله واذخر ليوم البعث فعلا صالحا

فلما وقف السلطان على هذه الأبيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد،وخرجت السنة والحال على ذلك.

وفيها استدعى الملك الغالب كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان ، ملك الروم ، بالملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين يوسف " وكان بسميساط" ، ويخطب للملك الغالب ، فلما قدم عليه أكرمه ، وحمل إليه شيئا كثيرا من المال والخيل والسلاح وغيره ، وتحالفا على المسير إلى المملكة الحلبية وأخذها، بشرط أن يدفعها الملك الغالب ، هي وسائر ما يفتحه إلى الملك الأفضل ، ليقيم له فيها الخطبة والسكة، ويصير في طاعته ، فإذا تم ذلك سارا إلى الشرق ، وأخذا حران والرها وغيرها، فسارا يالعساكر وأخذا قلعة رعبان فتسلمها الأفضل ، ومال إليه الناس ، واجتمعوا على الملك الغالب ، لمحبتهم في الأفضل ، ثم سار إلى قلعة تل باشر، فحصراها حتى ملكاها، فلم يسلمها الملك الغالب للأفضل ، وأقام نائبا من قبله ، فنفر منه الأفضل وفترت همته ، وعلم أن هذأ أول الغدر، وأعرض أهل البلاد أيضا عن الملك الغالب ، واستعد أهل حلب ، واستدعوا الملك الأشرف من بحيرة قدس ، وكان نازلا عليها تجاه الفرنج ، فقدم إليهم بعساكره ، وحضرت عرب طيء وغيرها، إلى ظاهر حلب ، فحسن الأفضل للملك الغالب التوجه إلى منبج ، فسارا إليها، فواقع العرب مقدمة الملك الغالب ، فانهزمت ، وأسر العرب وأصحاب الأشرف كثيرا منهم ، فرجع عند ذلك الملك الغالب إلى بلاده ، وسار الأشرف ، فاستولى على رعبان وتل باشر.

وفيها مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي آقسنقر، صاحب الموصل ، لثلاث بقين من ربيع الأول ، وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر، وقام من بعده ابنه

نور الدين أرسلان شاه ، وعمره عشر سنين ، فدبر أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك ، فأقرهما الخليفة الناصر.

سنة ست عشرة وستمائة

فيها قدم الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب -صاحب حماة - إلى الملك الكامل، نجدة في عسكر كثيف، ومعه الطواشي مرشد المنصوري، فتلقاه السلطان وأعظم قدره، وأنزله على مينته، وهي المترلة التي كانت لأبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف، ووصل الفائز إبراهيم بن العادل إلى أخيه الأشرف موسى برسالة أخيهما الكامل للاستنجاد على الفرنج، فأكرمه وأمسكه عنده، فإن الغرض إنما كان إخراجه من أرض مصر.

وفيها اشتد قتال الفرنج، وعظمت نكايتهم لأهل دمياط، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل، فنهكتهم الأمراض، وغلت عندهم الأسعار، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير، وامتلأت الطرقات من الأموات، وعدمت الأقوات، وصار السكر في عزة الياقوت، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه، وآلت بالناس الحال إلى أن لم يبق عندهم غير شيء يسير من القمح والشجر فقط، فتسور الفرنج السور، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً، وعندما أخذوا دمياط وضعوا السيف في الناس، فلم يعرف عدد من قتل لكثرقم، ورحل السلطان بعد ذلك بيومين، ونزل قبالة طلخا، على رأس بحر أكوم ورأس بحر دمياط، وخيم بالمترلة التي عرفت بالمنصورة وحصن الفرنج أسوار في مياط، وجعلوا جامعها كنيسة، وبثوا سراياهم في القرى يقتلون ويأسرون، فعظم الخطب واشتد البلاء، وندب السلطان الناس وفرقهم في الأرض، فخرجوا إلى الآفاق يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدي الفرنج، وشرع السلطان في بناء الحور والفنادق والحمامات والأسواق بمترلة المنصورة وجهز الفرنج من حصل في أيديهم من أسارى المسلمين في البحر إلى عكا وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة، فنازلوا السلطان تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين العسكر بحر أشموم وبحر دمياط، وكان الفرنج في مائتي ألف رجل وعشرة آلاف فارس، فقدم السلطان الشواني تجاه المنصورة، وهي مائة قطعة، واجتمع الناس من أهل ومصر وسائر النواحي ما بين أسوان إلى القاهرة، ووصل الأمير حسام الدين يونس، والفقيه تقي الدين طاهر المحلي، فأخرجا الناس من القاهرة ومصر، ونودي بالنفير العام، وألا يبقى أحد وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه.

فقال :

أن يملكونا وأهل يافا يهددونا بأهل عكا

فالروم خير من الريافا ومن لنا أن يلوا علينا

يعني أهل الريف، فإنه كان قد كثر تسلطهم، وطمعوا في أمر السلطان، واستخفوا به، لشغله بالفرنج عنهم، وخرج الأمير علاء الدين جلدك، والأمير جمال الدين بن صيرم، لجمع الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحوف

الشرقي فأجمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصر، وأنزل السلطان على ناحية شار مساح ألفي فارس، في آلاف من العربان، ليحولوا بين الفرنج وبين دمياط، وسارت الشواني -ومعها حراقة كبيرة - إلى رأس بحر المحلة، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون، فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر، وقدمت النجمات للملك الكافي من بلاد الشام، وخرجت أمم الفرنج من داخل البحر تريد مدد الفرنج على دمياط فوافى دمياط منهم طوائف لا يحصي لهم عدد فلما تكامل جمعهم بدمياط خرجوا منها، في حدهم وحديدهم، وقد زين لهم سوء عملهم أن يملكوا أرض مصر، ويستولوا منها على مماليك البسيطة كلها، فلما قدمت النجدات كان أولها قدوماً الملك الأشرف موسى بن العادل، وآخرها على السكة الملك المعظم عيسى، وفيما بينهما بقية الملوك: وهم المنصور صاحب حماة، والناصر صلاح الدين قلج أرسلان، والمجاهد صاحب حمص، والأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك وغيرهم، فهال الفرنج ما رأوا، وكان قدوم هذه النجدات في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، وتتابع قدوم النجدات حتى بلغ عدد فرسان المسلمين نحو الأربعين ألفاً، فحاربوا الفرنج في البر والبحر، وأخفوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة، وأسروا منهم ألفين ومائتي رجل، ثم ظفروا أيضاً بثلاث قطائع فتضعضع الفرنج لذلك، وضاق بهم المقام، وبعثوا يسألون في الصلح، كما سيأتي إن شاء الله.

وفيها مات قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود، صاحب سنجار، وقام من بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه، ثم قتله أخوه الأمجد عمر.

ومات نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل، فقام من بعده الأمير بحر الدين لؤلؤ بأمر أخيه ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين، وعمره ثلاث سنين.

وفيها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفاً من استيلاء الفرنج عليها، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود -وكان من غربي البلد - فإنه أبقاه، وخرج معظم من كان في القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نفر يسير، ونقل المعظم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط.

وفيها هدم المعظم أيضاً قلعة الطور التي بناها أبوه العادل، وعفى أثارها.

وفيها خرجت كتب الخليفة الناصر لدين الله إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط.

وفيها مات عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، ملك قونية، بعدما ملك أرزن الروم من عمه طغرل شاه ابن قلج شاه بن قلج أرسلان، وملك أنكورية من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم، وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد.

وفيها ابتدأ ظهور التتار -ومساكنهم جبال طمغاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر - واستولوا على كثير من بلاد الإسلام، وكانوا لا يدينون بدين، إلا أنهم يعرفون بالله تعالى، من غير اعتقاد شريعة، فملكوا الصين- وكان ملكهم يقال له جنكزخان - ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر فملكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم استولوا على بخاري وغيرها من بلاد العجم.

سنة سبع عشرة وستمائة

أهلت وانقضت، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط، في مترلة المنصورة.
وفيها استولى التتر على سمرقند وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الري وهمذان وقزوين، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة والترمذ وخوارزم، وخراسان ومرو ونيسابور، وطوس وهراة وغزنة.
وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردين وسنجار.
وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماة -وكان إماماً مفتياً في عدة علوم، وله شعر جيد -في ذي القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة، وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج، فقام بمملكة حماة الملك الناصر قلج أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة، فشق بذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة، ظناً منه أنه يملكها، فإنه كان ولي عهد أبيه، فأذن له الملك الكامل، وسار فلقى الملك المعظم في الغور، فخوفه من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق، ثم رجع المظفر إلى الملك الكامل، فأقطعه إقطاعاً، وأقام في خدمته.
وفيها كثرت مصادرة الصاحب صفي الدين بن شكر أرباب الأموال بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب: وقرر التبرع على الأملاك، وهو مال جبي من الناس، وأحدث ابن شكر حوادث كثيرة، وحصل مالاً جماً.
وفيها قوي طمع الفرنج في ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين، ليدفعوهم عن مترلتهم، ويستولوا على البلاد، فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط.
وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدها على أهل مصر.
وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في أخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة، وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع .وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة فسار راجح بن قتادة مغاضباً له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش أمير الحاج العراقي، فبعث الشريف حسن لأقباش يعده بمال ليسلمه راجحاً، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم أقباش على أن يسلمه مكة، وتقدم لمقاتلة أميرها، فقتل أقباش، وفر راجح إلى الملك المسعود باليمن.

سنة ثمان عشرة وستمائة

فيها اشتدت قوة الفرنج، بكثرة من قدم إليهم في البحر، فتابع الملك الكامل الرسل في طلب النجدات، فقدمت عليه الملوك كما تقدم، واشتد القتال بين الفريقين براً وبحراً، وقد اجتمع من الفرنج والمسلمين ما لا يعلم عددهم إلا الله، وكانت العامة تكر على الفرنج أكثر ما يكر عليهم العسكر، وتقدم جماعة من العسكر إلى خليج من النيل في البر الغربي، يعرف ببحر المحلة، وقاتلوا الفرنج منه، وتقدمت الشواني الإسلامية في بحر النيل، لتقاتل شواني الفرنج، فأخفوا منها ثلاث قطع برحالها وأسلحتها.

هذا والرسل تزدد من عند الفرنج في طلب الصلح بشروط: منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية، وجبلة واللاذقية، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل، فأجابهم الملوك إلى ذلك، ماخلا الكرك والشوبك، فأبى الفرنج، وقالوا: لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله فرضي الكامل، فامتنع الفرنج، وقالوا: لا بد أن تعطونا خمسمائة ألف دينار، لنعمر بها ما خربتم من أسوار القدس، مع أخذ ما ذكر من البلاد، وأخذ الكرك والشوبك أيضاً، فاضطر المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم، وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة إلى الأرض التي عليها معسكر الفرنج، وفتحوا مكاناً عظيماً في النيل، وكان الوقت في قوة الزيادة، فإنه كان أول ليلة من توت، والفرنج لا معرفة لهم بحال أرض مصر، ولا بأمر النيل، فلم يشعر الفرنج إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التي هم عليها، وصار حائلاً بينهم وبين دمياط، وأصبحوا وليس لهم جهة يسلكونها، سوي جهة واحدة ضيقة، فأمر السلطان في الحال بنصب الجسور عند بحر أشموم طناح، فتهيأ الفراغ منها، وعبرت العساكر الإسلامية عليها، وملكت الطريق التي تسلكها الفرنج إلى دمياط، فانحصروا من سائر الجهات، وقدر الله سبحانه بوصول فرقة عظيمة في البحر للفرنج، وحولها عدة حراقات تحميها، وسائرها مشحونة بالميرة والسلاح، وسائر ما يحتاج إليه، فأوقع بها شواني الإسلام، وكانت بينهما حرب، أنزل الله فيها نصره على المسلمين، فظفروا بها وبما معها من الحراقات، ففت ذلك في أعضاد الفرنج، وألقي في قلوبهم الرعب والذلة، بعدما كانوا في غاية الاستظهار والعنت على المسلمين، وعلموا أنهم مأخوذون لا محالة، وعظمت نكاية المسلمين بهم، برميهم إياهم بالسهام، وحملهم على أطرافهم، فاجمعوا أمرهم على مناهضة المسلمين، ظناً منهم أنهم يصلون إلى دمياط، فخربوا خيامهم ومجانيقهم، وعزموا على أن يحطموا حطمة واحدة. فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، لكثرة الوحل والمياه التي قد ركبت الأرض من حولهم، فعجزوا عن الإقامة لقلة الأزواد عندهم، ولاذوا إلى طلب الصلح، وبعثوا يسألون الملك الكامل -وإخوته الأشرف والمعظم - الأمان لأنفسهم، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض، فاقتضى رأي الملك الكامل إجابتهم، واقتضى رأي غيره من إخوته مناهضتهم، واجتثاث أصلهم البتة، فخاف الملك الكامل إن فعل ذلك أن يمتنع من بقي منهم بدمياط أن يسلمها، ويحتاج الحال إلى منازلتها مدة، فإنها كانت ذات أسوار منيعة، وزاد الفرنج عندما استولوا عليها في تحصينها، ولا يؤمن في طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرنج نجدة لمن فيها، وطلباً لثأر من قتل من أكابرهم، هذا وقد ضجرت عساكر المسلمين، وملت من طول الحروب، فإنها مقيمة في محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهراً، وما زال الكامل قائماً في تأمين الفرنج إلى أن وافقه بقية الملوك على أن يبعث الفرنج برهائن من ملوكهم -لا من أمرائهم - إلى أن يسلموا دمياط فطلب الفرنج أن يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة، إلى أن تعود إليهم رهائنهم، فتقرر الأمر على ذلك، وحلف كل من ملوك المسلمين والفرنج، في سابع شهر رجب، وبعث الفرنج بعشرين ملكاً من ملوكهم رهناً، منهم يوحنا صاحب عكا، ونائب البابا، وبعث الملك الكامل إليهم بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة، ومعه جماعة من خواصه، وعندما قدم ملوك الفرنج جلس لهم الملك الكامل مجلساً عظيماً، ووقف الملوك من اخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر البرمون، في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب، فهال الفرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبهاء ذلك الناموس، وقدمت قسوس الفرنج ورهبانهم إلى دمياط، ليسلموها إلى المسلمين، فتسلمها المسلمون في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب،

فلما تسلمها المسلمون قدم في ذلك اليوم من الفرنج نجدة عظيمة، يقال أنها ألف مركب، فعد تأخرهم إلى ما بعد تسليمها من الفرنج صنعاً جميلاً من الله سبحانه، وشاهد المسلمون عندما تسلموا دمياط من تحصين الفرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة البتة، وبعث السلطان بمن كان عنده في الرهن من الفرنج، وقدم الملك الصالح ومن كان معه، وتقررت الهدنة بين الفرنج وبين المسلمين مدة ثماني سنين، على أن كلاً من الفريقين يطلق ما عنده من الأسرى، وحلف السلطان وإخوته، وحلف ملوك الفرنج، على ذلك، وتفرق من كان قد حضر للقتال،
فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، ثم دخل الملك الكامل إلى دمياط بعساكره وأهله، وكان لدخوله مسرة عظيمة وابتهاج زائد، ثم سار الفرنج إلى بلادهم وعاد السلطان إلى قلعة الجبل في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رمضان، ودخل الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر في البحر، وأطلق من كان بمصر من الأسرى، وكان فيهم من أسر من الأيام الصلاحية، وأطلق الفرنج من كان في بلادهم من أسرى المسلمين، واتفق أنه لما رحل الفرنج اجتمع في ليلة عند الملك الكامل أخواه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس، فأمر الأشرف جاريته ست الفخر فغنت على عودها :

وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض   ولما طغى فرعون عكا ببغيه
فأغرقهم في اليم بعضاً على بعض   أتى نحوهم موسى وفي يده العصا

فطرب الأشرف، وقال لها: كرري، فشق ذلك على الملك الكامل، وأمرها فسكتت، وقال لجاريته: غن أنت فغنت على العود :

لما قد جرى في وقتنا وتجددا   أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا
وموسى جميعاً ينصرون محمدا   أعباد عيسى إن عيسى وقومه

فأعجب الكامل بها، وأمر لها بخمسمائة دينار، ولجارية أخيه الأشرف بخمسمائة دينار، فنهض القاضي الأجل هبة الله بن محاسن، قاضي غزة وكان في جملتهم، وانشد :

مبيناً وإنعاماً وعزاً مجددا   حبانا إله الخلق فتحنا لنا بدا
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا   تهلل وجه الدهر بعد قطوبه
طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا   ولما طغى البحر الخضم بأهله ال
صقيلاً كما سل الحسام المجردا   أقام لهذا الدين من سل عزمه
ثوى منهم أو من تراه مقيدا   فلم تر إلا كل شلو مجدل
عقيرته في الخافقين ومنشدا   ونادى لسان الكون في الأرض رافعا
وموسى جميعاً ينصران محمدا   أعباد عيسى إن عيسى وحزبه

ويقال إن هذا المجلس كان بالمنصورة، ولما استقر الملك الكامل على تخت ملكه سارت الملوك إلى ممالكها، وعمت بشارة أخذ المسلمين دمياط أفاق الأرض، فإن التتار كانوا قد دمروا ممالك الشرق، وكادت مصر مع الشام يستأصل شأفة أهلها الفرنج، حتى من الله بجميل صنعه وخفي لطفه، ونصر عباده المؤمنين، وأيدهم بجنده،

بعدما ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وقدمت على الملك الكامل تهاني الشعراء بها الفتح، فكان أولهم إرسالاً شرف الدين بن عنين، بكلمته التي أولها :

إذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا   سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا

من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا   غداة التقينا دون دمياط جحفلاً

وعزماً وإن كانوا قد اختلفوا سنا   قد اجتمعوا رأياً وديناً وهمة

تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت   جموع كأن الموج كان لهم سفنا

إلينا سراعا بالجهاد وأرقلنا   وأطمعهم فينا غرور فأرقلوا

بأطرافها حتى استجاروا بنا منا   فما برحت سمر الرماح تنوشهم

وكيف ينام الليل من عدم الأمنا   سقيناهم كأساً نفت عنهم الكرى

طويلاً فما أجدى دفاع ولا أغنى   لقد صبروا صبراً جميلاً ودافعوا

فألقوا بأيديهم إلينا فأحسنا   بما الموت من زرق الأسنة أحمرا

نورثها من صيد آبائنا الإبنا   وما برح الإحسان منا سجية

تعلم غمر القوم منا بها الطعنا   وقد جربونا قبلها في وقائع

لما لبسوا فيما ولا سكنوا سجنا   أسود وغى لولا وقائع سمرنا

وكم يوم قر ما طلبنا له كنا   وكم يوم حر ما وقينا هجيره

ينال وحلو العيش من مره يجنى   فإن نعيم الملك في وسطه الشقا

أبي عزمه أن يستقر بنا مغنى   يسير بنا من آل أيوب ماجد

جميل المحيا كامل الحسن والحسنى   كريم الثنا عار عن العار باسل

إمام يرى حسن الثنا المغنم الأسنى   سرى نحو دمياط بكل سميدع

طوال المدى يفني الزمان ولا تفنى   مآثر مجد خمرتها سيوفه

مواقعها منا فإن عاودوا عدنا   وقد عرفت أسيافنا ورقابهم

فعاشوا بأعناق مقلدة منا   منحناهم منا حياة جديدة

ولوغا ولكنا ملكنا فأسجحنا   ولو ملكونا لاستباحوا دمائنا

وقال :

وبمن حواه من الحجيج الموقف   قسماً بما ضمت أباطح مكة

لرقى على درج الخطب الأسقف   لو لم يقم موسى بنصر محمد

في ثغر دمياط وعز المصحف   لولاه ما ذل الصليب وأهله

ووردت أيضاً قصيدة القاضي الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي القاضي، وغيره من الشعراء. وفيها ملك التتر مراغة وهمذان وأفربيجان وتبريز.

وفيها مات الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق الأرتقي، صاحب حصن كيفا، وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود.

وفيها ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى منظرة الصاحب صفي الدين بن شكر- التي على الخليج بمصر - في ذي القعدة، وتحدث معه في نفي الأمراء الذين وافقوا الفائز وكانوا في جيزة دمياط لعمارتها، فكتب لهم بالتوجه من أرض مصر إلى حيث شاءوا، فمضوا بأجمعهم من الجيزة إلى الشام، ولم يتعرض الملك الكامل لشيء من موجودهم، وفرق أخبازهم على مماليكه.

وفيها مات أمين الدين مرتفع بن الشعار والي مصر، في يوم الجمعة ثالث محرم. ومات متولي تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى بن أبي حفص عمر بن ونودين الهنتاتي في يوم الخميس أول المحرم، وكان قد ولي تونس من قبل الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف العسري بن عبد المؤمن ملك الموحدين، في سنة اثنتين وستمائة، وكان أبو محمد قد قدم أكبر بنيه، الشيخ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد فقام بأمر تونس، حتى قدم أخوه، أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد، متولياً إفريقية من قبل العادل عبد الله بن المنصور يعقوب ملك الموحدين، في خامس رمضان منها، فاستمر أبو محمد عبد الله حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد.

هذا والأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص هو أول من قام من الحفصيين بإمرة تونس، وهو جد ملوك تونس الحفصيين.

سنة تسع عشرة وستمائة

فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر، فأقام بها عند أخيه السلطان الملك الكامل مدة، ثم عاد في رمضان. وفيها أوقع التتر بالكرج.

وفيها قدم المظفر موسى على أخيه الكامل بمصر.

وفيها قدم الملك المسعود يوسف بن الكامل من اليمن إلى مكة في ربيع الأول، وقد وحل عنها الشريف حسن بن قتادة، وقدم معه راجح بن قتادة إلى مكة، فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من الحور بمكة والوادي، ثم عاد إلى اليمن بعدما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة، وبدا منه بمكة ما لا يحمد من رمي حمام الحرم بالبندق من فوق زمزم، ونحو ذلك، فهم أهل العراق بقتاله، فلم يقدروا على ذلك عجزاً عنه، واستناب الملك المسعود بمكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس وكان الشريف حسن بن قتادة قد نزل ينبع، وولي الملك المسعود أيضاً راحج بن قتادة السرين وحلى ونصف المخلاف، فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة، وكسر ابن رسول، وملك منه مكة.

وفيها مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، في الاعتقال بحران، في ربيع الآخر.

سنة عشرين وستمائة

فيها أخذ المعظم عيسى المعرة وسليمة ونازل حماة، فشق ذلك على أخيه الأشرف - وكان بمصر - وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك، فبعث السلطان الكامل إلى المعظم يسأله في الرحيل عن حماة، فتركها وهو حنق.
وفيها حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل في طلوع عرفة.
وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسلطة حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي، فوصل إلى حلب في شوال، وتلقاه العزيز- وعمره عشر سنين - فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الغاشية بين يديه، وأقام عنده أياماً، ثم سار إلى حران.
وفيها عم الجراد بلاد العراق والجزيرة، وديار بكر والشام. وفيها أوقع التتر بالروس.
وفيها شنق سهم الدين عيسى والي القاهرة نفسه- وهو معتقل بدار الوزارة - ليلة الخميس سادس شوال.

سنة إحدى وعشرين وستمائة

فيها ملك التتر قم وقاشان وهمذان.
وفيها اختلف الحال بين المظفر غازي، صاحب إربل وبين أخيه الأشرف، فخرج المعظم من دمشق يريد محاربة الأشرف، فبعث إليه الكامل يقول له: إن تحركت من بلدك سرت وأخذته منك. فخاف وعاد إلى دمشق.
وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد، المعروف بفخر الدين مقدام بن شكر، في آخر شعبان بالقاهرة.
وفيها أخذ عسكر مصر ينبع من بني حسن، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين.

سنة اثنتين وعشرين وستمائة

فيها فر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر، خوفاً من عمه الملك الكامل، ولحق بعده المعظم.
وفيها تخوف الكامل من أمرائه، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم، فقبض على جماعة، وبعث إلى الطرقات من يحفظها، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق وألا يخالفوه.
وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خورازم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاده، وقوي أمره على التتر، واستولى على عراق العجم، وسار إلى ماردين وأخذها، وسار إلى خوزستان، وشاقق جلال الدين الخليفة الناصر لدين الله، وسار حتى وصل بعقوبا، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ، فاستعد الخليفة للحصار، ونهب جلال الدين البلاد، وأخذ منها ما لا يقع عليه حصر، وفعل أشنع ما يفعله التتر، فكاتبه الملك المعظم، وأتفق معه

معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية، فسير السلطان جلال الدين بن القاضي مجد الدين -قاضي الممالك - في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فظاهر بأنواع الفسوق، وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فملك همذان وتبريز، وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط فجأة بسميساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس -وقيل ست - وستين وخمسمائة، وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده، وسمع الأفضل من ابن عوف وابن بري، واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينتظم له أمر لقلة حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر، ثم صار الأفضل أتابكاً للمنصور بن العزيز بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه العادل، وأشرف على أخذها منه، فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فانتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخد ثم قصد الأفضل دمشق ثانياً، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكاوس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم لهما أمر، وعاد الأفضل إلى سميساط، فلم يزل بها يتجرع الغصص حتى مات كمداً، وكان فاضلاً أديباً حليماً، حسن السيرة متجاوزاً، يكتب الخط المليح، جامعاً لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ، وشعره جيلط كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله -لما انتزع منه دمشق أخوه عثمان وعمه العادل أبو بكر - في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كتاباً يشكو إليه اغتصابهما ميراثه من أبيه، وأوله.

عثمان قد أخذ بالسيف إرث علي مولاي إن أبا بكر وصاحبه

من الأواخر ما لاقي من الأول فانظر إلى حظ ههذا اقسم كيف لقي

وله أيضاً في معناه :

لإدراكه يوماً يرى وهو طالبي أما آن للسعد الذي أنا طالب

تمكن يوماً من نواصي النواصب ترى هل يريني الدهر أيدي شيعتي

فأجابه الخليفة بقوله.

بالود يخبر أن أصلك طاهر وافي كتابك يا بن يوسف معلناً

بعد النبي له بيثرب ناصر غصبوا علياً حقه إذ لم يكن

واصبر فناصرك الإمام الناصر فابشر فإن غداً يكون حسابهم

ومن شعره :

لعساه من أهل الشبيبة يحصل أيا من يسود شعره بخضابه

ولك اللمان بأنه لا ينصل ها فاختضب بسواد حظي مرة

وقام من بعده بسميساط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى شقيقه، فاختلف عليه أولاد الأفضل.

وفيها مات الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيئ بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف، في ثاني شوال، ومولده في العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وله في الحلافة سبع وأربعون سنة، غير ستة

وثلاثين يوماً، وكانت أمه أم ولد يقال لها زمرد، وقيل نرجس، وكان شهماً أبي النفس، حازماً متيقظاً، صاحب فكر صائب، ودهاء ومكر، وكان مهيباً، وله أصحاب أخبار- بالعراق وفي الأطراف - يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته، حتى أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته، لما يظن أن ذلك يطلع عليه الخليفة فيعاقب عليه، وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يده قبل أضيافه، فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره، فكتب في الجواب: سوء أدب من صاحب البلد، وفضول من كاتب المطالعة. وكان رديء السيرة في رعيته، ظالماً عسوفاً، خرب العراق في أيامه، وتفرق أهله في البلاد، فأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يحب جمع المال، ويباشر الأمور بنفسه، ويركب بين الناس ويجتمع بهم، مع سفكه للدماء، وفعله للأشياء المتضادة :فيغتصب الأموال ويتصدق، وشغف برمي الطير بالبندق، ولبس سراويلات الفتوة، وحمل أهل الأمصار على ذلك، وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموي في ذلك رسالة بديعة، وصنف الناصر لدين الله كتاباً في مروياته، سماه روح العارفين، وأعده للفقهاء بمصر والشام، وله شعر، وفي خلافته خرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا إلى همذان، وكان هو السبب في ذلك، فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد، خوفاً من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه لما هم بالاستيلاء على بغداد، وأن يجعلها دار ملكه، كما كانت السلجوقية، ولم يمت الخليفة الناصر لدين الله حتى عمي، وقيل كان يبصر بإحدى عينيه، وقام من بعده في الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد -بعهد من أبيه - يوم مات أبوه، وعمره ما ينيف على خمسين سنة، وكان يقول من يفتح دكانه العصر متى يستفتح .ولما ولي أظهر العدل، وأزال عدة مظالم، وأطلق أهل السجون، وظهر للناس، وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادراً.

وفيها وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة، ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب، فقدم على أبيه الكامل بقلعة الجبل، ومعه هدايا جليلة.

وفيها مات الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن أبي الحسن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن علي الشيبي، أبو محمد المعروف بابن شكر، الفقيه الدميري المالكي، في يوم الجمعة ثامن شعبان -وقيل شوال - بالقاهرة، ودفن برباطه منها، وكان مولده بدميرة إحدى قرى مصر البحرية، في تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وجمع من ابن عوف وغيره، وحدث، وكان جباراً جباهاً عاتياً، عانيا بتقدمة الأراذل وتأخر الأماثل، أفقر علقاً كثيراً.

وفيها قدم الشريف قاسم الحسيني أمير المدينة، بعسكر إلى مكة، وحصرها نحو شهر، وبها نواب الملك الكامل، فلم يتمكن منها، بل قتل.

سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها تأكدت الوحشة بين المعظم وبين أخويه الكامل والأشرف.

وفيها بعث الخليفة الظاهر بأمر الله التشاريف لملوك بني أيوب، على يد محيي الدين أبي المظفر بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي: فبما بالأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية، وأفاض عليه الخلع الخليفتية، ثم بالعزيز غياث الدين محمد بن الظاهر صاحب حلب، فأفاض عليه فرجية واسعة الكم سوداء، وعمامة سوداء

مذهبة، وثوباً مطرزاً بالذهب أيضاً، ثم ألبس المعظم عيسى، صاحب دمشق، بدمشق. وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلع للملك الكامل، ولأولاده الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود، وللصاحب صفي الدين بن شكر، فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة، ولبس الخلع الخليفتية هو وولداه. وكان الصاحب صفي الدين قد مات، فألبس الكامل الخلعة التي باسمه للقاضي فخر الدين سليمان بن محمود بن أبي غالب أبي الربيع الدمشقي، كاتب الإنشاء، وعبر الكامل من باب النصر، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل، فكان يوماً مشهوداً.

وفيها قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفي الدين بن شكر، وأحاط بجميع موجوده، واعتقل ابنيه تاج الدين يوسف وعز الدين محمد في قاعة سهم الدين، بدرب الأسواني من القاهرة، ولم يستوزر الكامل بعد ابن شكر أحداً.

وفيها سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن.

وفيها كثر وهم الملك الكامل من عسكره، فإن المعظم أرسل إليه في جملة كلام: وإن قصدتني لا آخذك إلا بعسكرك،. فوقع في نفسه الخوف ممن معه، وهم آن يخرج من مصر، فلم يجسر، وخرج المعظم فنازل حمص، وخرب قراها ومزارعها، ولم ينل من قلعتها شيئاً، لامتناعها هي والمدينة عليه، فلما طال مقامه على حمص رحل عنها، لما أصاب عسكره ودوابه من الموت، وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة، فسر به سرور عظيماً وأكرمه زائداً.

وفيها مات الخليفة الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر، في رابع عشر شهر رجب، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام، وكان حسن السيرة كثير المعروف، واستقر في الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وعمره عشرون سنة، فوردت عليه رسل ملوك الأطراف، وبعث الملك الكامل في الرسالة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه فلما قدم بغداد قال نيابة عن الملك الكامل، وهو بين يدي الوزير مؤيد الدين أبي الحسن محمد بن محمد القمي: عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات التي يستشفي بتقبيل ثراها، ويستكفي بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها، ويوالي شكر الله تعالى على إماطة ليل العزاء الذي عم مصابه، بصبح الهناء الذي تم نصابه، حتى تزحزح عن شمس الهدى شفق الإشفاق، فجعل كلمتها العليا، وكلمة معاديها السفلي، وزادها شرفاً في الآخرة والأولى.

وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد، ملك الروم، بتقدمة جليلة إلى الملك الكامل.

سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق، بعدما حلف للمعظم أنه يعاضده على أخيه الملك الكامل، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص، والناصر صاحب حماة.

وفيها سافر رسول علاء الدين كيقباد ملك الروم، من مصر إلى مخدومه.

وفيها تأكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المعظم والأشرف، وخاف الكامل من انتماء أخيه المعظم إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، فبعث الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه إلى ملك الفرنج، يريد منه أن يقدم إلى عكا، ووعده أن يعطه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل، ليشغل

سر أخيه المعظم، فتجهز الإمبراطور ملك الفرنج لقصد الساحل، وبلغ ذلك المعظم، فكتب إلى السلطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل، ووعده أن يخطب له، ويضرب السكة بأسمه، فسير إليه جلال الدين خلعة لبسها، وشق بها دمشق، وقطع الخطبة للملك الكامل، فبلغ ذلك الكامل، فخرج من القاهرة بعساكره، ونزل بلبيس في شهر رمضان فبعث إليه المعظم: إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدي أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكرك معي، وكتبهم عندي، وأنا آخذك بعسكرك، وكتب المعظم مكاتبة بهذا في السر، ومعها مكاتبة في الظاهر فيها: بأني مملوكك، وما خرجت عن محبتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلني، وأنا أول من أنجدك وحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق، فأظهر الكامل هذا بين الأمراء، ورجع من العباسة إلى قلعة الجبل، وقبض على عدة من الأمراء ومماليك أبيه، لمكاتبتهم المعظم :منهم فخر ألطبنا الحبيشي، وفخر الدين ألطن الفيومي -وكان أمير جانداره، وقبض أيضاً على عشرة أمراء من البحرية العادلية، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم، وأنفق في العسكر ليسير إلى دمشق.

وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنية وتحف غريبة إلى الملك الكامل، وكان فيها عدة خيول، منها فرس الملك بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر، فتلقاه الكامل بالإقامات، من الإسكندرية إلى القاهرة، وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه، وأكرمه إكراماً زائداً، وأنزله في دار الوزير صفي الدين بن شكر، واهتم الكامل بتجهيز هدية سنية إلى ملك الفرنج فيها من تحف الهند واليمن، والعراق والشام، ومصر والعجم ما قيمته أضعاف ما سيره، وفيها سرج من ذهب، وفيها جوهر بعشرة آلف دينار مصرية، وعين الكامل للسير بهذه الهدية جمال الدين بن منقذ الشيزري.

وفيها وصل رسول الأشكري في البحر إلى الملك الكامل، فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فخرب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس، لما بلغه من حركة ملك الفرنج. وفيها جهز الملك الكامل كمال الدين ومعين الدين، ولدى شيخ الشيوخ ابن حمويه -ومعهما الشريف شمس الدين الأرموي، قاضي العسكر - إلى المعظم، وأمر السلطان الكامل أن يسير الكمال بجواب المعظم إلى الملك المجاهد أسد الدين شركوه بحمص، ويعرفه الحال، وأن يتوجه المعين إلى بغداد، برسالة إلى الخليفة، فتوجها في شعبان. وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصارى.

وفيها ختن الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل في تاسع شوال.

وفيها مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل، صاحب دمشق، يوم الجمعة سلخ ذي القعدة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى الصالحية، ومولده بدمشق، في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وكان قد خافه الملك الكامل، فسر بموته، وكان كريماً شجاعاً، أديباً ليناً، فقيها متغالياً في التعصب لمنصب أبي حنيفة -رحمه الله - وشارك في النحو وغيره، وقال له أبوه مرة: كيف اخترت مذهب أبي حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟ فقال: ياخوند أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟. وصنف كتاباً سماه السهم المصيب في الرد على الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن ثابت، فيما تكلم به في حق أبي حنيفة، وفي تاريخ بغداد. وكان مقداماً، لا يفكر في عاقبة، جباراً مطرحاً للملابس، وهو الذي أطمع الخوارزمي في البلاد، وكانت مدة ملكه -بعد أبيه - ثماني سنين وسبعة أشهر غير ثمانية أيام، فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود وعمره إحدى وعشرون سنة، وسير الناصر كتبه إلى عمه الملك الكامل، فجلس الكامل للعزاء، وشر إليه الأمير علاء الدين بن شجاع الدين جلدك

المظفري التقوى بالخلعة وسنجق السلطة، وكتب معه بما طيب قلبه، فلبس الناصر خلعة الكامل، وركب بالسنجق، ثم أرسل إليه الكامل يريد منه أن يترك له قلعة الشوبك، ليجعلها خزانة له، فامتنع من ذلك، وبهذا وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل.

وفيها أمر الملك الكامل بتخريب مدينة تنيس، فخربت أركانها الحصينة وعمائرها المكينة، ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حينئذ خرابا.
وفي شهر رجب من هذه السنة: دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص وتلقب بالسلطان السعيد فلم ينازعه أحد في مملكة إفريقية، وكان قد ضعف أمر بني عبد المؤمن.

سنة خمس وعشرين وستمائة

فيها سير الملك الكامل شيخ الشيوخ ابن حمويه بالخلع إلى ابن أخيه الناصر داود ابن المعظم، بدمشق، فحمل الرسول الغاشية بين يديه، ثم حلها عماه: الملك العزيز عثمان صاحب بانياس والملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بصرى.
وفيها جهز الملك الكامل أيضاً الخلع للمجاهد صاحب حمص.
وفيها استوحش الملك الكامل من أخيه الناصر داود، وعزم على قصده، وأخذ دمشق منه، وعهد الكامل إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده بديار مصر، وأركبه بشعار السلطنة -وشق الصالح القاهرة، وحملت الغاشية بين يديه، تداول حملها الأمراء بالنوبة - وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة.
وفيها ظلم الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه -صاحب بعلبك - وتعدى، وأخذ أموال أهل بعلبك وأولادهم، فقام عدة من جنده مع العزيز فخر الدين عثمان بن العادل في تسليمه بعلبك، فسار العزيز إليها ونازلها، فقبض الأمجد على أولئك الذين قاموا معه، وقتل بعضهم، واعتقل باقيهم، ثم إن الناصر داود صاحب دمشق، بعث إليه من رحله عن بعلبك قهراً، فغضب وسار إلى الملك الكامل ملتجئاً إليه، فسر به الكامل، ووعده بانتزاع بعلبك من الأمجد وتسليمها إليه.

وفيها ظلم الناصر داود أهل دمشق، وأخذ أموالهم، واشتغل باللهو، وأعرض عن مصالح الدولة، فشق ذلك على الكامل، وجعله سبباً يؤاخذه به، وتجهز في شهر رجب للسير لمحاربته، واستناب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقام معه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، ليحصل الأموال ويدبر أمور المملكة، وخرج الكامل من القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان -في عساكره المتوافرة - ومعه المظفر تقي الدين محمود بن المنصور، وقد وعده أن يسلمه حماة، وكانت بيد أخيه قلج أرسلان، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل، وكان قد رباه عمه الملك الكامل بعد موت أبيه، وأقطعه البحيرة من ديار مصر، فلما بلغ الناصر خروج عمه لم يمل إلى استعطافه، والتجأ إلى عمه الأشرف، فسار الكامل بالعسكر والعربان إلى تل العجول، وبعث منها إلى نابلس والقدس وأعمالها، وشر الكامل الأمير حسام الدين أبا علي بن محمد بن أبي

علي الهذباني -أحد أصحاب المظفر تقي الدين محمود - إلى القاهرة، فاستخدمه الملك الصالح، وجعله أستاداره، فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس، وبلغ ذلك الناصر، فحلف عسكره، واستعد للحرب، وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى، والأمير عز الدين أيبك من صرخد، وأصله مملوك أبيه المعظم، فقويت بهما نفسه، وسير بالناصر يستدعي عمه الأشرف من لبلاد الشرقية، مع الأمير عماد الدين بن موسك، وفخر القضاة نصر الله بن بصاقة، وأردفهما بالأشرف بن القاضي الفاضل، فأجاب الأشرف إلى معاونته، واستناب في بلاده الملك الحافظ بن العادل، وسار إلى دمشق، فتلقاه قلج أرسلان صاحب حماة من سليمة بأموال وخيول، وتلقاه أسد الدين شركوه، صاحب حمص، وأولاده، وقدم لأشرف إلى دمشق، فتلقاه الناصر في أخريات شهر رمضان، وزين دمشق لقدومه، فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير، وهو مشدود الوسط بمنديل، وقد سر الناصر به سروراً كبيراً، وحكمه في بلاده وأمواله، فأعجب الأشرف بدمشق، وعمل في الباطن على انتزاعها لنفسه من الناصر، ثم قدم إلى خدمة الأشرف بدمشق المجاهد أسد الدين شركوه بن محمد صاحب حمص، وسار العزيز بن العادل إلى خدمة الملك الكامل، وهو في الطريق، فسر بقدومه، وأعطاه شيئاً كثيراً، وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين علي بن قلج، يشفع في الناصر، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه، ويقول :إنا كلنا في طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك، فأكرم الملك الكامل الرسول، ثم سار الأشرف- ومعه الناصر - من دمشق، يريدان ملاقاة الملك الكامل والترامي عليه، ليصلح الأشرف الأمر بينهما، فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه، ورحل من نابلس يريد العود إلى القاهرة فنزل الأشرف والناصر بنابلس، فأقام بها الناصر، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل، فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل العجول، فقام إلى لقائه، وقدم به إلى معسكره، ونزلا، فكان الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيهما الناصر داود، وأن تكون للملك الأشرف وما معها إلى عقبة فيق، ويكون للكامل ما بين عقبة فيق وغزة من البلاد والحصون، وهو الفتح الصلاحي بأسره، ويكون للناصر عوضاً من دمشق -حران والرقة وسروج، رأس عين، وهي ما كان مع الأشرف، وأن تنزع بعلبك من الأمجد بهرام، وتعطى لأخيهما العزيز عثمان، وأن تنزع حماة من الملك الناصر قلج أرسلان بن المنصور، وتعطى للمظفر تقي الدين محمود بن المنصور، وأن تؤخذ من المظفر سليمة، وتضاف إلى المجاهد صاحب حمص.

وفيها مات طاغية المغل والتتر جنكزخان، بالقرب من صارو بالق، وحمل ميتاً إلى كرسي ملك الخطا. ورتب بعده ابنه الأصغر عوضه خاناً كبيراً، على كرسي مملكة الخطا، وأخذ إخوته الثلاثة بقية الأقاليم.

وفيها خرج التتار إلى بلاد الإسلام، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين خوارزم شاه، كسر فيها غير مرة، ثم ظفر أخيراً بهم، وهزمهم، فلما خلا سره منهم سار إلى خلاط -من بلاد الأشرف - فنهب وسبي الحريم، واسترق الأولاد، وقتل الرجال، وخرب القرى، وفعل ما لا يفعله أهل الكفر، ثم عاد إلى بلاده، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك، ورحل أهل سروج إلى منبج، وكان قد عزم على قصد بلاد الشام، لكن صرفه الله عنها.

وفيها قم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا، باستدعاء الملك الكامل له -كما تقدم - ليشغل سر أخيه المعظم، فاتفق موت المعظم، ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل، وأمره أن يقول له: الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبلوا كل شيء، ولا أجيء إليهم، والآن فقد كنتم بذلتم لنائبي -

في زمن حصار دمياط - الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادها إليكم. ومن نائبي إن هو إلا أقل غلماني، فلا أقل من إعطائي ما كنتم بذلتموه له .فتحير الملك الكامل، ولم يمكنه دفعه ولا محاربته، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق، فراسله ولاطفه، وسفر بينهما الأمير فخر الدين بن الشيخ، وشرع الفرنج في عمارة صيداء- وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج، وسورها خراب - فعمروها وأزالوا من فيها من المسلمين، وخرجت السنة والكامل على تل العجول، وملك الفرنج بعكا، والرسل تتردد بينهما.

سنة ست وعشرين وستمائة

فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق، ووصلت نجدة من حلب إلى الغور.

وفيها قفز الأمير عز الدين أيدمر المعظمي إلى الملك الكامل، فأحسن إليه. ففارق الناصر داود من نابلس لما بلغه اتفاق الأشرف مع الكامل عليه، وعاد إلى دمشق، فبلغ الأشرف وهو بتل العجول ذلك، فسار ليدركه، فوافاه بقصير ابن معين الدين من الغور، تحت عقبة فيق، وأعلمه الأشرف -بحضور الملك الصالح إسماعيل، والملك المغيث، والأمير عز الدين أيبك المعظمي - أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما. وأنه اجتهد وحرص على أن يرجع عنك، فامتنع وأبى إلا أن يأخذ دمشق، وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم، وصاحب الديار المصرية، ولا يمكن الخروج عما يأمر به وقد وقع الاتفاق على أن تسلم إليه دمشق، وتعوض عنها من الشرق كذا، وذكر ما وقع الاتفاق عليه، فلما فرغ الأشرف من كلامه قام الأمير عز الدين أيبك وهو أكبر أمير مع الناصر داود وقال: لا كيد ولا كرامة، ولا نسلم من البلاد حجراً واحداً، ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم، ومعنا العساكر المتوافرة، وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا، وقوضت الخيام، وسارا إلى دمشق، وتحالف على الناصر عمه الصالح، وابن عمه المغيث، ولما وصل الناصر إلى دمشق استعد للحصار، وقام معه أهل البلد، لمحبتهم في أبيه، وسار الأشرف بمن معه، وحاصر دمشق، وقطع عنها أنهارها -باناس، والقنوات، ويزيد وثورا - فخرج إليه العسكر وأهل البلد وحاربوه، وفي أثناء ذلك كثر تردد الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف شمس الدين الأرموي قاضي العسكر، بين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج، إلى أن وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين، ويبقيها على ما هي من الخراب، ولا يجدد سورها، وأن يكون سائر قوى القدس للمسلمين، لا حكم فيها للفرنج، وأن الحرم بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى - يكون بأيدي المسلمين، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقيمون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة، وأن تكون القرى التي فيما بين عكا وبين يافا، وبين القدس، بأيدي الفرنج، دون ما عداها من قرى القدس، وذلك أن الكامل تورط مع ملك الفرنج، وخاف من غائلته، عجزا عن مقاومته، فأرضاه بذلك، وصار يقول: إنا لم بسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب، والمسجد على حاله، وشعار الإسلام قائم، ووالي المسلمين متحكم في الأعمال والضياع. فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنين وخمسة أشهر وأربعين يوماً، أولها ثامن عشري شهر ربيع الأول من هذه السنة، واعتذر ملك الفرنج للأمير فخر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه، ما كلف السلطان شيئاً من ذلك، وأنه ما له غرض في القدس ولا غيره،

وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج، وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر، وبعث السلطان فنودي بالقدس بخروج المسلمين منه، وتسليمه إلى الفرنج، فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذنوا على بابه في غير وقت الأذان، فعز عليه ذلك، وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات، وزجرهم. وقيل لهم: امضوا إلى حيث شئتم، فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه في سائر الأقطار، وبعث الإمبراطور بعد ذلك يطلب تبنين وأعمالها، فسلمها الكامل له، فبعث يستأذن في دخول القدس، فأجابه الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات، واعجب الأمبراطوار بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة، وصعد درج المنبر، فرأى قسيساً بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى، فزجره وأنكر مجيئه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه، فإنما نحن مماليك هنا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد نصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس، على سبيل الأنعام منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره، فانصرف القس وهو يرعد خوفاً منه. ثم نزل الملك في دار، وأمر شمس الدين قاضي نابلس المؤذنين إلا يؤذنوا تلك الليلة، فلم يؤذنوا البتة، لما اصبح قال الملك للقاضي: لم لم يؤذن المؤذنون على المنابر؟ فقال له القاضي: منعهم المملوك إعظاماً لمملك واحتراماً له. فقال له الإمبراطور: أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضي في المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسبيحهم في الليل.ن وتسبيحهم في الليل.

ثم رحل الإمبراطور إلى عكا، وكان هذا الملك عالماً متبحراً في علم الهندسة الحساب والرياضيات، وبعث إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشكلة في الهندسة الحكمة والرياضة، فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفي -المعروف بتعاسيف - غيره، فكتب جوابها، وعاد الإمبراطور من عكا إلى بلاده في البحر، آخر جمادى الآخرة، وسير الكامل جمال الدين الكاتب الأشرف إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة، في تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس.

وفي خامس جمادى الأولى -وهو يوم الأحد -: وقعت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل، وحملت خزائن الكتب، جميعها إلى قلعة الجبل، في سادس عشريه، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة، وحمل من داره -في ثالث جمادى الآخرة -خشب خزائن الكتب مفصلة، وحملها تسعة وأربعون جملاً، وكانت الجمال التي حملت الكتب تسعة وخمسون جملاً، ثلاث دفعات.

وفي يوم السبت ثاني عشري رجب منها: حملت الكتب والخزائن من القلعة إلى دار الفاضل، وقيل إن عدها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك والغصون لأبي العلاء المعري، في ستين مجلداً.

وفيها وصل ملك ملطية فكثرت غاراته وقتله وسبيه.

وفيها اشتد تشنيع الملك الناصر داود بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج، فنفرت قلوب الرعية، وجلس الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزي بجامع دمشق، وذكر فضائل بيت المقدس، وحزن الناس على استيلاء الفرنج عليه، وبشع القول في هذا الفعل، فاجتمع في ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس، وعلت أصواتهم بالصراخ، واشتد بكاؤهم، وانشد الحافظ شمس الدين قصيدة، أبياتها ثلاثمائة بيت، منها :

تفاخر ما في الأرض من صخرات   على قبة المعراج والصخرة التي

ومترل وحي مقفر العرصات   مدارس آيات خلت من تلاوة

فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم، وكان الأشرف على منازلة دمشق، فبعث إلى الكامل يستحثه، فرحل الكامل من تل العجول بعد طول مقامه بها، فتلقاه في قرية يبنا أخوه العزيز عثمان، صاحب بانياس، بابنه الظاهر غازي، فوصل الكامل العزيز بخمسين ألف في ينار، وابنه غازي بعشرة آلاف دينار، وقماش وخلع سنية، وأمر الكامل فضربت له خيمة عظيمة، وحولها بيوتات، وسائر ما يحتاج إليه من الآلات والخيام، برسم أصحابه ومماليكه، ثم وصل إليه أيضاً الأمير عز الدين أيدمر المعظمي، فدفع إليه الكامل عشرة آلاف دينار -وقيل عشرين ألف دينار - وكتب له على الأعمال القوصية بعشرين ألف أردب غلة، وأعطاه أملاك الصاحب صفي الدين بن شكر، ورباعه وحمامه، وسار الكامل إلى دمشق، فترل على ظاهرها في جمادى الأولى، وجد هو والأشرف في حصارها، حتى اشتد عطش الناس في دمشق، لانقطا ع الأنهار عنهم، ومع ذلك فالحرب بينهم قائمة في كل يوم إلى آخر رجب، فغلت الأسعار ونفدت أموال الناصر، وفارقه جماعة من أصحابه، وصاروا إلى الكامل والأشرف، وأخذ الناصر في ضرب أوانيه من النصب والفضة دنانير ودراهم، وفرقها حتى نفد أكثر ما كان عنده من الذخائر، وناصحته العامة مناصحة كبيرة، وابلوا في عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيماً.

وفي أثناء ذلك قدم القاضي بهاء الدين بن شداد ومعه أكابر حلب وعدولها، من عند الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي صلاح الدين، صاحب حلب، لتزويج ابنة الملك الكامل بالملك العزيز، خرج الملك الكامل من مخيمه بمسجد القدم إلى لقائه، وأنزله قريباً منه، ثم أحضره فقدم لقدمة كانت معه من الملك العزيز، وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، فقبل العقد ابن شداد في سادس عشر شهر رجب، فضعف قلب الملك الناصر داود، وقلت أمواله، فخرج ليلاً من قلعة دمشق في آخر شهر رجب، ومعه نفر يسير، وألقى نفسه على مخيم الكامل، فخرج إليه الكامل، وأكرمه إكراماً زائداً، وباسطه وطيب قلبه، بعد عتب كثير، وأمره أن يعود إلى القلعة، فعاد إليها، ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى القلعة -وكان يوم جمعة - فصلى بها الجمعة، وخرج ومعه الناصر داود إلى الملك الكامل فتحالفاً، وعوضه الكامل عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالهما، مع الصلت والبلقاء والأغوار جميعها، ونابلس وأعمال القدس وبيت جبريل، ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام، وطبرية وغزة، وعسقلان والرملة ولد وما بأيدي المسلمين من الساحل.

وفتحت أبواب دمشق في أول يوم من شعبان، فشق ذلك على أهل دمشق، وتأسفوا على مفارقة الناصر، وكثر بكاؤهم، ثم تسلمها الملك الأشرف، وبعث الكامل قصاده لتسلم بلاد الأشرف، وهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والخادم شمس الدين صواب، وجماعة، فتسلما حران والرها وسروج، ورأس عين والرمة، وغير ذلك، وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك، وسار الكامل إلى حماة، وبها الناصر صلاح الدين قلج أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وقدم مع الكامل المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في جماعة،

فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلج أرسلان، وسبق إلى الملك الكامل وهو بسليمة، فأهانه واعتقله، وتسلم المظفر حماة، فكانت مدة الناصر بحماة تسع سنين تنقص شهرين، وبعث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر، فاعتقل بها، ثم سار الكامل يريد البلاد الشرقية، فقطع الفرات، ودخل قلعة جعبر، ثم توجه إلى الرقة، وخافه ملوك الشرق، فعيد بالرقة عيد الفطر، وسار إلى حران والرها، واستخدم بها عسكراً عدته نحو ألفي فارس، فقدمت عليه رسل ماردين وآمد، والموصل وإربل وحضر إليه أيضاً عدة ملوك، وبعث الكامل فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى الخليفة، وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلج ارسلان من اعتقاله، وخلع عليع، وأعطاه بارين، وكتب له بها توقيعاً، وأمر أن يحمل إليه ما كان في قلعة حماة -وهو أربعمائة ألف درهم - وكتب إلى المظفر تقي الدين بتسليم ذلك إليه.

فوصل الناصر إلى بارين وتسلمها، ثم ورد الخبر على الكامل بأن جلال الدين خورازم شاه نازل خلاط، ونصب عليها عشرين منجنيقاً، وكان وصوله إليها في نصف شوال، وكانت خلاط للملك الأشرف، وبها عسكره، فأرسلوا إلى الملك الكامل يسألون في نجدة، فلم يرسل الكامل إليهم أحداً، وورد الخبر بإقامة الخطبة في ماردين للملك الكامل، وضربت السكة بأحده هناك. ثم توالت الرسل من خلاط، وكلها تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد فبعث الكامل يطلب عساكر حلب وحماة وحمص، فخرجت عساكر حلب إلى خلاط، ومعها الأشرف، ثم ورد الخبر بأن الفرنج قد أغارت على بارين، وأنهم نهبوا ما بها، وأسروا وسبوا.

وفيها مات الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بمكة، عن ست وعشرين سنة، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة، وهو آخر ملوك بني أيوب ببلاد اليمن، وترك المسعود ابنا يقال له صلاح الدين يوسف، ولقب بالملك المسعود، ولقب أبيه، وبقي يوسف هذا حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر.

ثم ولي ابنه موسى بن يوسف بن يوسف بن الكامل مملكة مصر، ولقب بالأشرف، شركة مع المعز أيبك، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، فاشتد حزن الملك الكامل على ولده يوسف، وتسلم مماليكه وخزائنه وأولاده، ولبس لشدة حزنه البياض، وكان المسعود قد استخلف على اليمن نور الدين علي بن رسول التركماني، فتغلب عليها، وبعث إلى الملك الكامل عدة هدايا، وقال :أنا نائب السلطان على البلاد، فاستمر ملك اليمن في عقبه بعد ذلك.

سنة سبع وعشرين وستمائة

أهلت والملك الكامل بحران، والخوارزمي على خلاط، والأشرف محاصر بعلبك.

وفيها قدم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد.

وفيها ورد رسول الإمبراطور، ملك الفرنج، بكتابه إلى الملك الكامل بحران، ومعه أيضاً كتاب للأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ. وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة.

وفيها استولى الأشرف بن العادل على بعلبك، بعدما أقام على حصارها عشرة أشهر، وعوض الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي، عوضاً من بعلبك وأعمالها، قصير دمشق

والزبداني، فكانت مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة، فبعث الكامل الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الأشرف، في مهمات تتعلق به، وولي كمال الدين بن شيخ نائباً بالجزيرة.

وفيها قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي -صاحب الروم - على الملك الكامل، وأخبره بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى أرزنجان وعشرة آلاف إلى ملطية، وأنا حيث تأمر. فطاب قلب السلطان الكامل بذلك، وكان مهتماً من أمر الخوارزمي.

وفيها سار الأشرف، صاحب دمشق، من الشام إلى جهة الشرق، فوصل إلى الكامل وهو بالرقة، ووصل أيضاً مانع بن حديثة أمير العرب.

وفيها ملك الخوارزمي مدينة خلاط بعد حصار طويل وقتال شديد في ثامن عشري جمادى الأولى فوضع السيف في الناس، وأسرف في القتل والنهب، فرحل الملك الكامل يريد مصر، لأمور منها أنه بلغه موت ولده الملك المسعود صاحب اليمن، فكتمه وكان قد ورد عليه أيضاً من أم ولده العادل كتاب تشكو فيه من ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه قد عزم على التوثب على الملك، واشترى جماعة كبيرة من المماليك الأتراك، وأنه أخذ مالاً جزيلاً من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال، ومتى لم تتدارك البلاد وإلا غلب عليها، وأخرجني أنا وابنك الملك العادل منها، فانزعج الكامل لذلك، وغضب غضباً شديداً، ثم ورد عليه الخبر بان ابنه الصالح اشترى ألف مملوك فعزم على الرحيل إلى مصر، فرتب الطواشي شمس الدين صواب العادلي نائباً في أعمال المشرق، وأعطاه إقطاع أمير مائة فارس، زيادة على ما بيده من الديار المصرية، وهي أعمال أخميم بكمالها، وقاي والقايات ودجوة بإمرة مائتين وخمسين فارساً، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارساً، ورتب الملك الكامل كمال الدين ابن شيخ الشيوخ وزيرا، وتوجه الكامل إلى مصر، فدخلها في رجب، وتغير على ابنه الملك الصالح تغيراً كثيراً، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنهم، وألزمهم إحضار الأموال التي فرط فيها الملك الصالح، وخلع الصالح من ولاية العهد.

وفيها واقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين خوارزم شاه وكسره، وقتل كثيراً ممن كان معه، وخلص جلال الدين في عدة من أصحابه إلى تبريز، وكان ذلك في سابع عشري رمضان، فملك الأشرف - صاحب دمشق - مدينة خلاط.

وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين، وانتهت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعا لا غير، فارتفعت الأسعار.

وفيها قصد الفرنج حماة، فأوقع بهم المظفر تقي الدين، وقتل عدة منهم، وأسر كثيراً، وذلك في رمضان.

وفيها مات الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب -صاحب بعلبك - ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال، وكانت مدة ملكه تسعاً وأربعين سنة، وكان أديباً شاعراً .ومات الملك الظافر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعرف بالمشمر.

سنة ثمان وعشرين وستمائة

فيها عاد الأشرف إلى دمشق.

وفيها انفرد العزيز صاحب حلب بالملك، وقد بلغ ثماني عشرة سنة، وتسلم الخزائن من أتابكه شهاب الدين طغريل، ففام بتدبير الملك قياماً مشكوراً، وسير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل، بسبب إحضار صفية خاتون ابنة الكامل -وهي زوجة العزيز - فأقام بالقاهرة حتى سنة تسع وعشرين وستمائة.

وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل ومعه الملك المعظم -صاحب الجزيرة - في عاشر جمادى الأولى، فسر السلطان بقدومهما.

وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية، وترك الأشرف بالقاهرة، واستصحب معه صاحب الجزيرة بعدما أنعم عليه إنعاماً موفوراً. وفيها تحرك التتر.

وفيها قدم الملك مجير الدين بن العادل إلى القاهرة، وكان مأسوراً عند الخوارزمي، فسر به الكامل، وأكرمه هو وأخوه تقي الدين عباس.

وفيها مات السلطان جلال الدين خوارزم شاه، بعدما هزمه التتر ببعض قرى ميافارقين قتله بعض الأكراد.

وفيها وصل التتر إلى إربل، وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم.

وفيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل، الذي فيما بين المقياس وبر مصر، وعمل فيه بنفسه، واستعمل الملوك والأمراء والجند، فلما فرغ من الحفر صار في أيام احتراق النيل يمشي من المقياس والروضة إلى بر الجيزة، واستمر الماء فيما بين مصر والروضة لا ينقطع في زمن الاحتراق البتة، وكان السلطان قد قسط حفر هذا البحر على الدور التي بالقاهرة، ومصر والروضة، بالمقياس، واستمر العمل فيه -من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر.

وفيها قدم رسول الخليفة المستنصر بالله بالخلع والتقليد للملك الكامل، وميز بزيادات كثيرة، لم تفعل في حق غيره، من السلجوقية وغيرهم، ووردت خلع للملك الأشرف أيضاً. وفيها تسلطن عمر بن علي بن رسول باليمن، ونشر دعوته.

سنة تسع وعشرين وستمائة

فيهما تكمل استيلاء التتر على إقليم أرمينية وخلاط وسائر ما كان بيد الخوارزمي. فاهتم الخليفة المستنصر بالله غاية الاهتمام، وسير عدة رسل يستنجد الأشرف من مصر، ويستنجد العربان وغيرهم، وأخرج الخليفة الأموال، فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر.

وفيها خرج الملك الكامل من القاهرة في جمادى الآخرة، واستخلف على مصر ابنه الملك العادل أبا بكر، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه، واخرج الصالح أيوب معه، وقدم الأشرف -والمعظم صاحب الجزيرة - بالعساكر، ومضى الكامل جريدة إلى الشوبك والكرك، وسار إلى دمشق، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بعساكره، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون، وعقد عقده عليها بمنزلة اللجون، وأقام الكامل بدمشق يسرح العساكر، وجعل في مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب، وورد الخبر بدخول التتر بلاد خلاط، فأسرع الكامل في الحركة، وخرج من دمشق، فنزل سليمة -وقد اجتمع فيها بعساكر يضيق بها الفضاء - وسار منها في أخريات رمضان على البرية، وتفرقت العساكر في عدة طرق لكثرتها، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب، لقلة الماء، وأتته رسل ملوك الأطراف، وهم عز الدين بيقرا، وفخر الدين بن الدامغاني، رسل الخليفة المستنصر بالله،

وألبسوه خلعة السلطنة، فاستدعي الكامل عند ذلك رسل الخوارزمي، ورسول الكرج، ورسل حماة وحمص، ورسول الهند ورسل الفرنج، ورسل أتابك سعد صاحب شيراز، ورسل صاحب الأندلس ولم تجتمع هذه الرسل عند ملك في يوم واحد قط غيره، وقدم عليه بهاء اللين اليزدي -شيخ رباط الخلاطية - من بغداد وجماعة من النخاس، يحثونه على الغزاة.
فرحل التتر عن خلاط، بعد منازلتها عدة أيام، وجاء الخبر برحيلهم والكامل بحران، فجهز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولاً إلى الخليفة، وسار إلى الرها، وقدم العساكر إلى آمد، وسار بعدهم، فترل على آمد، ونصب عليها عدة مجانيق، فبعث إليه صاحبها يستعطفه، ويبذل له مائة ألف، وللأشرف عشرين ألف دينار، فلم يقبل، ومازال عليها حتى أخذها، في سادس عشري ذي الحجة، وحضر صاحبها إليه بأمان، فوكل به حتى سلم جميع حصونها، فاعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب -وفيها وردت هدية من ماردين.

وفيها سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالي الصاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة، والستر العالي الصاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة الملك العزيز، صاحب حلب، وخرج معها أيضا الأمير فخر الدين البانياسي، والشمريف شمس الدين قاضي العسكر.
وفيها مات الأمير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل، و صاحب المدوسة الفخرية بالقاهرة، في ثامن عشر ذي الحجة بحران.
وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، صاحب اليمن، عسكراً إلى مكة، فيه الشريف راجح بن قتادة، فملكها من الأمير شجاع الدين طغتكين، نائب الملك الكامل، في ربيع الآخر. وفر شجاع الدين إلى نخلة ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك، فبعث إليه الكامل عسكراً سار هم إلى مكة، فقدموها في شهر رمضان، وملكوها بعدما قتلوا جماعة، وكان مقدم العسكر الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ.

سنة ثلاثين وستمائة

فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا، وسيره إليها، وعاد هو إلى الديار المصرية، ومعه الملك المسعود، صاحب آمد، فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر.
وفيها قبض الكامل على جماعة من الأمراء المصرية.
وفيها استولى الملك المظفر، صاحب حماة على حصن بارين، وانتزعه من أخيه الناصر قلج أرسلان، فسار قلج أرسلان إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات.
وفيها جهز الملك الكامل عسكراً من الغز والعربان إلى ينبع، من أرض الحجاز -عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدي - في شوال وعدتهم سبعمائة، وسبب ذلك وورود الخبر بمسير الشريف راجح من اليمن بعسكر إلى مكة، وأنه قدمها في صفر، وأخرج من بها من المصريين بغير قتال، فقدم الزاهدي في الموسم، وتسلم مكة، وحج بالناس، وترك بمكة ابن محلي، ومعه خمسون فارساً، ورجع إلى مصر.
وفيها توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب الدمشقي، كاتب الإنشاء. فاستحضر الملك الكامل ناسخاً يقال له الأمين الحلبي، كان عند الأمير عز الدين أيبك -أستادار الملك المعظم - في خدمته يكتب له، فلما حضر

الأمين ليكتب بين يديه خلع عليه، وأعاده إلى صاحبه، فتزهد استحياء من الناس، وبعث الكامل إلى ميافارقين، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكنبه، فلما حضر خلع عليه، وأعاده ولم يستكتبه الأشرف صاحب دمشق.
وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان: سلطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر، وأركبه بشعار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه، ويحب أمه حبا زائداً.
وفي ذي القعدة :وصل محيي الدين يوسف بن الجوزي من بغداد، بالتقليد من الخليفة المستنصر بالله للملك الكامل.
وفيها أبطل السلطان المعاملة بالفلوس في القاهرة ومصر، فتلف مال كثير للناس.
وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة، أمير العربان من آل فضل، فأمر الأشرف بعده ابنه مهنا.
وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر، فنزل بدار الوزارة من القاهرة، وركب في خدمة عمه الملك الكامل.
وفيها مات العزيز فخر الدين عثمان بن العادل بدمشق، يوم الاثنين عاشر رمضان. فيها مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك، ملك إربل، في تاسع عشري شعبان عن أربع وثمانين سنة، وكان يهتم بعمل المولد النبوي في كل سنة اهتماماً زائداً، فتسلم إربل من بعده نواب الخليفة، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة

فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقي، صاحب بلاد الروم، مدينة خلاط، فخرج الملك الكامل من القاهرة بعسكره، ليلة السبت خامس شعبان، واستناب ابنه الملك العادل، فوصل إلى دمشق، وكتب إلى ملوك بني أيوب يأمرهم بالتجصنز، للمس!ر بعساكرهم إلى بلاد الروم، وخرج الكامل من دمشق، فنزل على سليمة في شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وغيره من العساكر، فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزاً، لستة عشر ملكاً -وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكاً، فعرضهم الكامل على إلبيرة أطلابا بأسلحتهم، فلكثرة ما أعجب بنفسه قال :هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام.

وأمر بها فسارت شيئاً بعد شيء نحو الدربند، وقد جد السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتله، ونزل الكامل على النهر الأزرق، وهو بأول بلد الروم، ونزل عساكر الروم فيما بينه وبين الدربند وأخفوا عليه رأس الدربند وبنوا علمه سوراً يمنع العساكر من الطلوع، وقاتلوا من اعلاه، فقلت الأقوات عند عسكر الكامل، واتفق -مع قلة الأقوات وامتناع الدربند - نفور ملوك بني أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حفظ عنه أنه لما أعجبته كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: إن صار لنا ملك الروم فإنا نعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم، ونجعل الشام والشرق مضافاً إلى ملك مصر .فحذر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق، فأوجس في نفسه خيفة موسى، وأحضر بني عمه وأقاربه من الملوك وأعلمهم ذلك، فاتفقوا على الملك الكامل، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل،

وسيروا الكتب بذلك، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل، فكتمها ورحل راجعاً، فأخذ السلطان علاء الدين طيقباد- ملك الروم - قلعة خرتبرت وست قلاع أخر كانت مع الملوك الأرتقية، في ذي القعدة، فاشتد حنق الملك الكامل، لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع خرتبرت، ونسب ذلك إلى أهله من الملوك، فتنكر ما بينه وبينهم.

وفيها مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، في ذي الحجة.

وفيها بعث المنصور عمر بن على بن رسول -ملك اليمن - عسكراً، وخزانة مال إلى الشريف راجح بن قتادة، فأخرج من بمكة من المصريين.

وفيها حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي جماعاً، بزقاق الطباخ بمدينة مصر، في أول يوم من شهر رجب، وكان هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي، وأبو عباس القسطلاني، وجماعة غيرهما، فلما أنشد القوال صفق أبو يوسف الدهماني بيديه، وارتفع عن الأرض متربعا، إلى أن بلغ إلى أنبدارية المجلس، ودار ثلاث دورات، ثم نزل إلى مكانه، فقام الشيخ القرطبي، وقدر ارتفاع الأنبدارية، فكان أطول من قامته رافعاً يديه.

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق -في جمادى الأولى - وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف -صاحب دمشق - وغيره من الملوك.

فقبض الكامل على المسعود صاحب آمد واعتقله في برج هو وأهله، يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، لممالأته لهم، فملك صاحب الروم وحران بالسيف، وعاد إلى بلاده، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال، فلما بلغ الكامل ذلك أمر العساكر أن تتجهز للمسير إلى الشرق، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلي صنافير بالقليوبية، وجعل أقارب والده ومماليكه معه، وعدهم سبعة عشر رجلاً.

وفيها بعث ابن رسول إلى الشريف راجح بن قتادة بخزانة مال، ليستخدم عسكراً، فلم يتمكن من ذلك، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جغريل، أحد المماليك الكاملية، إلى مكة بسبعمائة فارس، وحضر جغريل إلى مكة، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن، وملك جغريل مكة في شهر رمضان، وأقام العسكر بها.

وفيها مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب -صاحب البيرة -في سابع صفر، فاستولى العزيز -صاحب حلب - عليها من بعده.

وفيها مات الأمير شمس الدين صواب -الطواشي الكاملي - بحران في أواخر شهر رمضان.

سنة ثالث وثلاثين وستمائة

فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثر، بلغت عدهم زيادة على اثني عشر ألفاً، سوى من مات بالريف.

وفيها سار التتر إلى جهة الموصل، فقتلوا ونهبوا وسبوا.

وفيها سار الناصر داود -صاحب الكرك - إلى الخليفة المستنصر بالله، خوفاً من عمه الملك الكامل، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل، فخشي أن ينتزع منه الكرك فوصل إلى بغداد، فأكرمه الخليفة، ومنعه من الاجتماع به، رعاية للملك الكامل، ثم اجتمع به سراً، وخلع عليه، وبعث معه رسولاً مشربشاً، من خواصه إلى الكامل، يشفع فيه، فلما وصل الرسول إلى الكامل تلقاه وقبل الشفاعة.

وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بعساكره يريد بلاد الشرق، فنازل الرها حتى أخذها، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى، وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء، وهدم قلعتها، ونازل حران، وأخذها بعد حصار وقتال في رابع عشر جمادى الآخر، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين، وأمرائه ومقدميه الصوباشية، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلاً، فمات كثير منهم في الطرقات، ثم نزل الكامل على دنيسر وخربها. فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار، في مائة طلب، كل طلب خمسمائة فارس، وأخذ الكامل قلعة السويداء عنوة، وأسر من بها في سابع عشر جمادى الآخر، وهدمها، وأخذ قطينا، وأسر من بها في رجب.

وفي تاسع عشره: بعث الكامل جميع الأسرى إلى ديار مصر، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف، وعاد إلى دمشق، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح أيوب.

وفيها هدمت دنيسر، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين.

وفيها خرج عسكر الروم، بعد عود الكامل، وحاصر آمد وأخرب داراً في خامس ذي القعدة.

وفيها استولى الفرنج على مدينة قرطبة بالأندلس.

وفيها قدم أنبا كيرلس داود بن لقلق بطركا على الإسكندرية لليعاقبة، في يوم الأحد ثالث عشري بؤونة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء، الموافق لتاسع عشري رمضان، فأقام في البطركية سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وكان عالماً، محباً للرياسة، وجمع المال، وأخذ الشرطونية، وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة، قبل اعتلائه كرسي البطركية، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير، ومرت به شدائد كثيرة، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى في ولايته البطركية، وشرط عليه ألا يقدم أسقفا إلا برأيه، فلم يف له، ولا التفت إليه، فانحرف عنه ورافعه، فوكل عليه وعلى عدة من أقاربه وألزامه، وقام أيضاً عليه الشيخ السني بن التعبان الراهب، وعانده وذكر مثالبه، وأنه إنما تقدم بالشوة، وأنه أخذ الشرطونية، فلا تصح له كهنوتية، على حكم القوانين، ومال معه جماعة، وعقدوا له مجلساً بحضور الصاحب -معين الدين بن شيخ الشيوخ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبتوا عليه أموراً شنعة، وعزموا على خلعه، فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين، فقرر مالاً حمله البطريك إلى السلطان، واستمر أنبا كيرلس على بطركيته حتى مات يوم الثلاثاء رابع عشر برمهات، سنة تسعمائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستمائة وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوماً.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول -ملك اليمن - عسكراً إلى مكة، مع الشهاب بن عبد الله، ومعه خزانة مال، فقاتله المصريون وأسروه، وحملوه إلى القاهرة مقيداً.

سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل في ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه محيي الدين يوسف بن الجوزي رسولاً من الخليفة، وهو بها، وسافر محيي الدين إلى السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان -صاحب الروم - ومعه الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنفري، رسولاً من جهة الملك الكامل.

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب -صاحب حلب - يوم الأربعاء رابع عشري شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر، وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين، وقام بتدبير أمره الأميران لؤلؤ الأميني، وعز الدين عمر بن محلي، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستر الرفيع صفية خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال، وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبي الهيجاء وزين الدين قاضي حلب، إلى الملك الكامل، بزردية العزيز وكزا غنده، وخوذته ومركوبه، فأظهر الكامل الألم لموته، وقصر في إكرامهما، وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرسولين، ثم أرسل خلعة للناصر بغير مركوب، ومعها عدة خلع للأمراء الحلبيين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازي، صاحب عينتاب، فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمراء الخلع، فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، ورد الرسول الوارد إلى الصالح صلاح الدين بخلعته.

وفيها تنكر الأشرف -صاحب دمشق - على الملك الكامل، وراسل أهل حلب، فوافقوه على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبة السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون معهم، فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعز ذلك عليه، وكان حيي بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلاً، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع في تدبير أمره، فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان- ملك الروم - وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد من بعده، في سابع شوال، قبل اجتماعه بالحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري رسول السلطان فبعث ملوك الشام رسلهم إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقي -صاحب الروم - يعزونه في أبيه، ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل، وشر الكامل أفضل الدين محمد الخونجي يعزي غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه، وثياب أطلس برسم أغشية القبر.

وفيها كان الوباء أشد من السنة الماضية. وفيها ضرب الملك الكامل الفلوس.

وفيها بعث الملك الكامل القاضي الأشرف بن القاضي الفاضل إلى الملك الناصر داود -صاحب الكرك - يدعوه إلى موافقته. فرحل الملك الناصر إلى القاهرة مع القاضي الأشرف، فسر الكامل بقدومه، وركب إلى لقائه، وأنزله بحار الوزارة، وقدم له أشياء كثيرة، وخلع عليه، وقلده الكامل دمشق، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية، فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحداً بعد واحد، إلى أن صعد قلعة الجبل، وجدد الناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل، في تاسع عشر ذي الحجة، فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس، وأخذ ما كاد فيها للناصر داود.

وفيها سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيفا، يستأذن أباه في استخدام من خالف السلطان غياث الدين كيخسرو -صاحب الروم - من الخوارزمية، فأذن له في ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم.

وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى نتنت من كثرة القتلى، ثم رحلوا عنها.

وفيها قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: إنا اتفقت كلمتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك. فاتفق مرض الأشرف بالقرب، فكان لا يستقر بباطنه طعام البتة، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب. وفيها قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فحاربهم الأمير أسد الدين جغريل، وكسرهم، فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بغير قتال، وتصدق بمال، وترك بها جماعة، فقدم الشريف شيحة بن قاسم -أمير المدينة - وملك مكة منهم ونهبهم، ولم يقتل أحداً.

سنة خمس وثلاثين وستمائة

فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب -صاحب دمشق بها - يوم الخميس رابع المحرم، وعمره نحو من ستين سنة، ومدة ملكه بدمشق ثماني سنين وأشهر، ولم يترك سوى ابنة، تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل، فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، صاحب بصرى، بعهد من أخيه له، فاستولى الملك الصالح عماد الدين على دمشق وبعلبك، وبعث ابنه الملك المنصور محموداً إلى الشرق، ليتسلم سنجار ونصيبين والخابور من نواب الشرق، وبعث إلى المجاهد صاحب حمص، والي المظفر صاحب حماة، وإلى الحلبيين أيضاً، ليحلفوا له ويتفقوا معه -على القاعدة التي تقررت بينهم وبين الأشرف - على مخالفة الكامل، فأجابوا إلا صاحب حماة، فإنه مال مع الكامل، وبعث إليه يعلمه بميله إليه، فسر الكامل بذلك، ثم إن الملك الصالح عماد الدين صادر جماعة من الدماشقة، الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد مزهر، وحبسهم في بصرى، فتجهز الكامل، وخرج من قلعة الجبل بعساكره، بكرة يوم الخميس ثالث عشري صفر، واستناب على مصر ابنه الملك العادل، وأخذ معه الناصر داود، وهو لا يشك أن الملك الكامل يسلم إليه دمشق، لما كان قد تقرر بينهما. فكاتب الكامل نائب قلعة عجلون حتى سلمها، ونزل على دمشق بمسجد القدم، في ثالث عشري ربيع الأول، وقد تحصنت وأتتها النجدات، فحاصرها وقطع عنها المياه، وضايقها حتى غلت بها الأسعار، وأحرق العقيبة والطواحين، وألح على أهلها بالقتال، وكان الوقت شتاء فأذن الصالح إسماعيل، وسلم دمشق لأخيه الكامل، فعوضه عنها بعلبك والبقاع، وبصرى والسواد.

وكان السفير بينهما الصاحب محيي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي -رسول الخليفة - الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بني أيوب، فتسلم الكامل دمشق في عاشر جمادى الأولى، وسار الصالح إسماعيل إلى بعلبك، لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى، فنزل الملك الكامل بالقلعة، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص، وأطلق الفلك المسيري من سجن قلعة دمشق -وكان قد سجنه الملك الأشرف - ونقل الأشرف إلى تربته، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصلي أحد من أئمة الجامع المغرب، سوى الإمام الكبير فقط، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين، وورد الخبر

باستيلاء الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على سنجار ونصيبين والخابور، وقدم رسول الخليفة بمال إلى الملك الكامل، ليستخدم به عسكراً للخليفة، فإنه بلغه توجه التتر إلى بغداد، فقام الملك الكامل لما سلم إليه كتاب الخليفة، ووضعه على رأسه، وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية، فأمر الملك الكامل أن يخرج من بيت المال مائتا ألف دينار، ليستخدم بها العساكر، وأن يجرد من عساكر مصر والشام عشرة آلاف، نجدة للخليفة، وأن يكون مقدم العساكر الناصر داود، وألا يصرف مما حضر من المال شيء، بل يعاد بكماله إلى خزانة الخليفة، فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجاوي، وعماد الدين بن موسك، وأن يكونا مع الناصر داود في خدمته، فاستخدم الناصر العسكر، وسار إلى بغداد، وهم نحو ثلاثة آلاف فارس، وشرع الكامل يتجهز لأخذ حلب، فخاف المجاهد صاحب حمص، وبعث ابنه المنصور إبراهيم فتقرر الأمر على أن يحمل المجاهد كل سنة للملك الكامل ألفي ألف درهم، فعفا عنه.

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام، فدخل في ابتدائه إلى الحمام، وصب على رأسه الماء الحار، فاندفعت المراد إلى معدته، فتورم وعرضت له حمى، فنهاه الأطباء عن القيء، وحفروه منه، فاتفق أنه تقيا لوقته، في آخر نهار الأربعاء حادي عشري شهر رجب، بقاعة الفضة من قلعة دمشق، فحفن بها بكرة الغد وعمره نحو من ستين سنة، وذلك بعد موت أخيه الأشرف بنحو ستة أشهر، فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحداً وسبعين يوماً، ومدة مملكته بمصر -بعد موت أبيه - عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوماً - وقيل وخمسة وأربعين يوماً - وكانت في أيام أبيه نحوها فحكم مصر قريباً من أربعين سنة، ومولده في الخامس والعشرين من ربيع الأول، سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وكان يحب أهل العلم، ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوي، وحدث بالإجازة من أبي محمد بن بري، وأبي القاسم البوصيري، وعدة من المصريين، وغيرهم، وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية، وبني له دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وجعل عليهما أوقافاً، وكان يناظر العلماء وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم: كالجمال اليمني النحوي، والفقيه عبد الظاهر، وابن دحية، والأمير صلاح الدين الإربلي -كان أحد الفضلاء - فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره، ليسامروه، فنفقت العلوم والآداب عنده، وقصده أرباب الفضائل، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة، فممن قصده التاج بن الأرموي، وأفضل الدين الخونجي، والقاضي الشريف شمس الدين الأرموي -قاضي العسكر -وهؤلاء أئمة وقتهم في المنقول والمعقول، وكان مهيباً، حازماً سديد الآراء، حسن التدبير لممالكه، عفيفاً عن الدماء، وبلغ من مهابته أن الرمل -فيما بين العريش ومصر - كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحمال من الثياب، من غير خوف، وسرق مرة فيه بساط، فاحضر الكامل العربان الذين يخرون الطريق، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه، فبذلوا عوضه شيئاً كثيراً، وهو يأبى إلا إحضار السارق، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله، فلم يجدوا بداً من إحضار السارق والبساط، وكان يباشر أمور الملك بنفسه، من غير اعتماد على وزير ولا غيره، واستوزر أولا الصاحب صفى الدين بن شكر ست سنين، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات، وكان الأمير فخر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه في الأشغال، فلما مات الصاحب صفي الدين لم يستوزر الكامل بعده أحداً، بل كان يستنهض من يختار في تدبير الأشغال: فأقام معين

الدين بن شيخ الشيوخ مدة، وسماه نائب الوزارة، ومرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفي الدين، ومرة جمال الدين البوري، وصار يباشر أمور الدولة بنفسه، ويحضر عنده الدواوين، فيحاققهم ويحاسبهم، وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور، ورتب في كل جسر من الأمراء من يتولاه، ويجمع الرجال لعمله، ثم يشرف على الجسور بعد ذلك، فمتى اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة، فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة زائدة.

وأخرج الكامل من زكوات الأموال -التي كانت تجبى - سهمي الفقراء والمساكين، وجعلهما مصروفين، ورتب عليهما جامكيات الفقهاء والفقراء والصلحاء وكان يجعل في كل ليلة جمعة مجلساً لأهل العلم عنده، ويجلس معهم للمباحثة، وكانت كثير السياسة، وأقام في كل طريق خفراء تحفظ المسافرين، إلا أنه كان معري بجمع المال، مجتهداً في تحصيله وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق، لم تكن في أيام من تقدمه، وله شعر، منه قوله :

إذا تحققتم ما عند صاحبكم — من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادي وهو مترلكم — وصاحب البيت أثري بالذي فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد، من قصيدة عند فتح دمياط :

فيا طرب الدنيا ويا فرح العصر — هو الكامل المولى الذي إن ذكرته

به ارتجعت دمياط قهراً من العدى — وطهر بالسيف والملة الطهر

لك الله من ملك إذا جاد أوسطا — فناهيك من عرف وناهيك من نكر

يقصد عنه المدح من كل مادح — ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه هم أكابر دولته وأعيانها، وهم الأمير فخر الدين يوسف، وعماد الدين عمر، وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن، وكان فخر الدين قد ترك لبس العمامة، ولبس الطربوش والقباء ونادم السلطان، وكان فاضلاً أديباً، يشارك في فنون، وإخوته لهم فضائل، وإليهم مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وتدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبر الشافعي من القرافة، وتدريس المشهد الحسيني بالقاهرة، وما منهم إلا من تقدم على الجيوش، وباشر الحرب، وأرضعت أمهم -وهي ابنة القاضي شهاب الدين ابن عصرون - الملك الكامل، فصاروا إخوته من الرضاع.

فلما مات السلطان الكامل اتفق أولاد الشيخ، والأمير سيف الدين علي بن قلج، وأخوه الأمير عماد الدين، والملك الناصر داود، وأرباب الدولة، على تحليف الأجناد للملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل -وهو يومئذ يخلف أباه بقلعة الجبل - على ديار مصر، وأن يرتب الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبي بكر بن أيوب، في نيابة دمشق، وكتموا ذلك الأمر الثاني عن الناصر داود، وحلفوا على ذلك في يوم الخميس ثاني عشري رجب، وبعثوا الأمير نور الدين علي بن الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الناصر داود، فأخرجه من دمشق إلى الكرك، واستقر الجواد بدمشق، نائباً لابن عمه الملك العادل، وسار العسكر من دمشق إلى مصر، وتأخر بدمشق أمراء عدة -في جمع من عسكر مصر ومماليك الأشرف - لحفظها، ومقدمهم عماد

الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبذل الجواد الأموال، وطمع في الاستبداد بملك دمشق، وألزم الخطيب بذكره في الخطبة بعد العادل.

السلطان الملك العادل الثاني

سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. أمه الست السوداء، المعروفة بنت الفقيه نصر، ومولده في سنة سبع عشرة وستمائة. استقر الأمر له بسلطنة مصر و دمشق في يوم الخميس ثاني عشري رجب، سنة خمس وثلاثين وستمائة، الموافق لسادس عشر برمهات. وخطب له بالقاهرة ومصر في رابع شعبان، وهو السلطان السابع من بني أيوب بديار مصر، فقدمت عليه القصاد من دمشق بوفاة أبيه واستقراره من بعده، فشرع الأمير سيف الدين قلج في تحليف الأمراء للملك العادل في داره، وحط الملك العادل المكوس، ووسع في العطاء وفي الرزاق على كل أحد.
وفي رابع شعبان: خطب له بمصر، وأعلن بموت الملك الكامل.
وفي رابع عشر شعبان: ضربت السكة باسمه.
وفي ثامن عشر رمضان: نقش الدينار والدرهم باسمه.
وفي عشريه: قرئ توقيعه على المنبر، بإبطال جميع المكوس.
وفي سابع عشري شوال: وصل محيي الدين أبو محمد يوسف بن الجوزي، رسولاً من بغداد، بتعزية الملك العادل، وهنأه بالملك من قبل الخليفة، وكان العادل قد بعث إلى دمشق بالخلع والسنجق، فركب الجواد بالخلع في تاسع عشر رمضان. وفيها أنفق العادل على العساكر.
وفي ثاني ذي القعدة: استحلف ابن الجوزي الملك العادل للخليفة المستنصر.
وفيه ورد الخبر بأن الناصر داود تحالف هو والجواد وقد اتفقا وخرجا عن طاعة العادل ووصل الناصر داود إلى غزة، وخطب بها لنفسه، ثم وقع بينه وبين الجواد خلف، فأظهر الجواد أنه عاد إلى طاعة الملك العادل، ولما قربت العساكر الواردة من دمشق إلى القاهرة ركب العادل إلى لقائهم وأكرمهم، وسير إليهم في منازلهم الأموال والخلع والخيول، فجددوا له الأيمان والعهود، فاستقر أمره، وأخرج العادل الأموال، وبذلها في الأجناد، وأكثر من العطاء والبذل، حتى بدد في مدة يسيرة ما جمعه أبوه في مدد متطاولة، وأخذ في إبعاد أمراء الدولة عنه، وقطع رواتب أرباب الدولة، واختص بمن أنشأه فنفرت قلوب الأكابر منه، واشتغل هو عنهم لانهماك شرب الخمر، وكثرة اللهو والفساد، وسار الناصر وأبو داود من الكرك، واستولى على غزة والسواحل، واستجد عسكراً كبيراً، وبرز عن غزة، وبعث إلى الملك العادل يريد منه المساعدة على أخذ دمشق.

وقوي المجاهد أسد الدين صاحب حمص بعد موت الكامل، وأغار على حماة وحصرها واستعد أهل حلب، واستجدوا عسكرا من الخوارزمية، وعسكراً من الزكمان، كان قد صار إليهم عدة من أصحاب الملك الكامل، فأكرموهم، وبعثوا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد، ملك الروم، يسألونه إرسال نجدة، فأمدهم بخيار عسكره، وخرجوا فملكوا المعرة، ونازلوا حماة، وقاتلوا المظفر صاحبها، فثبت لهم، وامتنع عليهم وقاتلهم، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على الرحبة، منازلاً لها، فلما بلغه موت أبيه الملك الكامل رحل

عنها، فطمع فيها من معه من الخوارزمية، وخرجوا عن طاعته، وهموا بالقبض عليه، فقصد سنجار، وامتنع بها مدة، وترك خزائنه وأثقاله، فأنتهبها الخوارزمية، وتحكموا في البلاد الجزرية، وطمع فيه السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد -ملك الرومية - وبعث إلى الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف صاحب حلب توقيعاً بالرها وسروج، وكانا مع الصالح نجم الدين أيوب، وأقطع المنصور ناصر الدين الأرتقي، صاحب ماردين، مدينة نجار ومدينة نصيبين، وهما من بلاد الصالح أيضاً، وأقطع المجاهد أسد الدين شيركوه، صاحب حمص بلدة عانة وغيرها من بلاد الخابور، وعزم السلطان غياث الدين كيخسرو على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح أيضا آمد وسميساط وصار الملك الصالح محصوراً بسنجار، فطمع فيه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ -صاحب الموصل - وحصره بسنجار في ذي القعدة، وأراد حمله إلى بغداد في قفص جديد، كراهة فيه، لما كان عنده من التجبر والظلم والمكبر، فلما أشرف بدر الدين لؤلؤ على أخذ سنجار بعث الصالح إليه القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري قاضي سنجار، بعد ما حلق لحيته، ودلاه من السور.

وكان القاضي الزرزاري متقدماً في الدولة الأشرفية، ولاه الملك الأشرف موسى قضاء بعلبك ثم بعد موت الملك الأشرف ولاه الصالح نجم الدين أيوب قضاء سنجار، وكان كثير التجمل جداً، واسع البر والمعروف، وله مماليك وغلمان وحواشي، لهم من التجمل ما ليس لغيرهم، فصار كأحد الأمراء الأكابر، وصار يقصد لسائر من يرد عليه من أهل العلم وذوي البيوتات، فتوجه القاضي في خفية إلى الخوارزمية، واستمالهم وطيب خواطرهم، بكثرة ما وعدهم به فمالوا إليه، بعد ما كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردين، وقصدوا بلاد الملك الصالح نجم الدين أيوب، واستولوا على العمال، ونازلوا حران وكان الملك الصالح قد ترك بها ولده المغيث فتح الدين عمر بن الصالح فخاف من الخوارزمية، وسار مختفياً حتى فرد إلى قلعة جعبر، فساروا خلفه، ونهبوا ما كان معه، وأفلت منهم في شرذمة يسيرة إلى منبج، فاستجار بعمة أبيه، الصاحبة ضيفة خاتون، أم الملك العزيز، صاحب حلب، فلم تقبله، فر إلى حران، وفيها أتاه كتاب أبيه يأمره بموافقة الخوارزمية، والوصول بهم إليه لدفع بحر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فاجتمع المغيث عمر، والقاضي بدر الدين قاضي سنجار بالخوارزمية، والتزم لهم القاضي أن يقطعوا سنجار وحران والرها، فطابت قلوبهم، وحلفوا للملك الصالح، وقاموا في خدمة ابنه الملك المغيث، وساروا معه إلى سنجار، فأفرج عنها عسكر الموصل، يريدون بلادهم. وادركهم الخوارزمية، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، فر فيها بدر الدين لؤلؤ بمفرده على فرس سابق، ثم تلاحق به عسكره. واحتوت الخوارزمية على سائر ما كان معه، فاستغنوا بذلك، وقوي الملك الصالح بالخوارزمية وبها الفتح قوة زائدة، وعظم شأنه، وسير الخوارزمية إلى آمد، وعليها عسكر السلطان غياث الدين كيخسرو صاحب الروم، وبها المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو محصور منهم، فأوقعوا بهم ورحلوهم عن آمد فخرج الصالح من سنجار إلى حسن كيفا، وبعث الملك العادل من مصر إلى أهل حلب يريد منهم أن يجروا معه على ما كانوا عليه مع أبيه الملك الكامل -من إقامة الخطبة له على منابر حلب، وأن تضرب له السكة - فلم يجب إلى ذلك، وقدم رسول غياث الدين كيخسرو ملك الروم، فزوج غازية خاتون ابنة العزيز السلطان غياث الدين، وأنكح الملك الناصر -صاحب حلب - أخت السلطان غياث الدين، وتولى العقد الصاحب كمال الدين بن أبي جرادة بن العديم، وخرج في الرسالة إلى بلاد الروم، وعقد للملك الناصر صاحب حلب على ملكة خاتون

أخت السلطان غياث الدين، فبعث غياث الدين رسولاً إلى حلب، فأقيمت له بها الخطبة، وخرج الملك الجواد من دمشق في أول ذي الحجة، يريد محاربة الناصر داود صاحب كرك، بأذنبا بالقرب من نابلس فانكسر الناصر كسرة قبيحة، في يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة، وانهزم إلى الكرك. فغنم الجواد ما كان مه، وعاد إلى دمشق، وفرق ستمائة ألف دينار وخمسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى المغاني. وعاد من كان في دمشق من عسكر مصر ومعهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ إلى القاهرة، بسناجق الناصر، في سادس عشري ذي الحجة، فلم يعجب الملك العادل ذلك، وخاف من تمكن الملك الجواد. وفيها قصد التتار بغداد، فبعث إليهم الخليفة جيشاً، قتل كثيراً منه، وفر من بقي.

وفيها مات قاضي القضاة بدمشق وهو شمس الدين أبو البكرات يحيي بن هبة الله ابن الحسن بن بني الدولة الشافعي، في خامس ذي القعدة فأعيد في سابعه قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويي، ورتب مراكز الشهود -وكانوا أولاً بدمشق وراقين يورقون المكاتيب وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا إلى بيوت العدول، فيشهدونهم على ما يريدون، واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة ومصر بهم.

وفيها تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسن الأرموي قضاء العسكر ونقابة الأشراف بديار مصر، وقرئ سجله بجامع مصر، بحضرة الأمير جمال الدين موسى ابن يغمور والملك المسيري. وفيها بطلت الفلوس.

وفيها سار الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن يريد مكة، أحرق الأمير أسد الدين جغريل ما كان معه من الأثقال، وخرج هو رمن معه من مكة في سابع شهر رجب، قبل وصول ملك اليمن بيومين، فالتقوا بين مكة والسرين، انهزم العرب أصحاب الشريف راجح، وأسر الأمير شهاب الدين بن عدان من أمراء اليمن، فقيده الأمير جغريل، وحث به إلى القاهرة، وسار هو إلى المدينة النبوية فبلغه موت السلطان الملك الكامل، فسار بمن معه إلى القاهرة، فدخلوها أثناء شهر شعبان متفرقين، وأقام عسكر اليمن بمكة.

سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها قبض الملك الجواد على صفي الدين بن مرزوق، وأخذ منه أربعمائة ألف دينار، وسجنه بقلعة حمص، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء، وأقام الجواد بدمشق خادماً لزوجته يقال له الناصح، فصادر الناس، وأخذ منهم مالاً كثيراً، وقبض الملك الجواد على عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، ثم خاف من أخيه فخر الدين، وقلق من ملك دمشق، وقال: إيش أعمل بالملك باز؟ وكلب أحب إلى من هذا، ثم خرج إلى الصيد، وكاتب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، على أن يعوضه عن دمشق بحصن كيفا وسنجار، فسر الصالح بذلك وتحرك للمسير إلى دمشق. وفيها قدم رسول ملك الروم إلى القاهرة بالعزاء للملك العادل.

وفيها أفرج أهل حلب عن حصار حماة، بعد ما ضاق الأمر على المظفر صاحب حماة، عنه رحلوا عناهم قلعة بارين وكانت حصينة.

وفيها استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل، لتقريبه الشباب والترابي، وإعطائهم الأموال والإقطاعات، والاقتداء بآرائهم، ولكثرة تحجبه، واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة. فطمع الناصر داود صاحب الكرك في ملك مصر، فسار إليها ومعه تقادم فاخرة: ما بين جواري جنكيات، وعوديات ورقاصات، وأواني للشرب

بديعة، فخرج العادل إلى لقائه في ثامن شوال، وأكرمه، وقدم له الناصر ما انتخبه من الجواري والأواني وغيرها، فصادف منه الغرض، ووضه عنه بأمثاله. ولازم الناصر القيام بخدمه العادل والإقامة في بابه :فتارة يعمل حاجب الباب، وتارة أستاداراً، وتارة دواداراً، ليدخل في كل وقت عليه، ويتوصل متى شاء إليه، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل إلى جهته، فلما تمكن الناصر داود منه أوهمه من الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، بأنه قد اتفق مع الملك المعز مجير الدين يعقوب، وأمال إليه عدة من الأمراء وحسن له القبض عليه، فانخدع له الملك العادل، وقبض على فخر الدين واعتقله بقلعة الجبل، وأخرج عمه الملك المعز من أرض مصر، ومعه أخوه الأمجد تقي الدين عباس، فلما تم للناصر ما أراد خيل العادل من الملك الجواد نائبه على دمشق، بأن الأمراء قد مالت إليه، وقام بأمره الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبلغ ذلك العماد، فخاف أن يتفق عليه ما اتفق على أخيه، واجتمع بالملك العادل، والتزم له بإحضار الملك الجواد إلى طاعته عصر، فسيره العادل من القاهرة، ليحضر الملك الجواد من دمشق، فأكرمه الجواد، وأخذ العماد في التحدث معه في المسير إلى الملك العادل، فسوف به وماطله، حتى فطن العماد بامتناعه، فاحضر حينئذ الولاة والمشدين والنواب والدواوين بدمشق وأعمالها، وقال لهم: قد عزل السلطان الملك العادل الجواد عن نيابة دمشق، فلا تدفعوا إليه مالا، ولا تقبلوا له قولاً، فعز ذلك على الملك الجواد، ووكل بعماد الدين، وسجنه بقلعة دمشق، وتقرر الأمر بين الملك الجواد وبين المجاهد صاحب حمص، أن يكونا يداً واحدة، ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلج، نائب الملك الجواد بدمشق، فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا قتل العماد بن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية في ذلك، ودفعوا إليهم مالاً وقربة، فسيروا فدائيين قتلاه على باب الجامع، في سادس عشري جمادى الأولى، وأشيع أنهما غلطا في قتله، وإنما كانا يريدان قتل الملك الجواد، فإنه كان كثير الشبه به فبلغ ذلك الملك العادل فشق عليه.

وفي العشرين من شوال: ورد الخبر بوصول عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب، صحبة ولده الملك المغيث جلال الدين عمر، إلى جينين فجمع الملك العادل والملك الناصر الأمراء وتحالفوا على قتال الصالح، وخرج الناصر داود من القاهرة، في تاسع ذي القعدة، لقتال الصالح، وجهز العادل جماعة من الأمراء، وعدة من العساكر بديار مصرة لتأخذ دمشق، وقدم الملك العادل إلى الملك الجواد رسولاً بكتاب فيه أنه يعطه قلعه الشوبك وبلادها، وثغر الإسكندرية، وأعمال البحيرة وقيلوب، وعشر قرى من بلاد الجيزة بديار مصر، ليتزل عن نيابة السلطة بدمشق، ويحضر إلى قلعة الجبل، ليعمل برأيه في أمور الدولة، فلما ورفى ذلك أوهمه نائبه عماد الدين قلج من أنه متى دخل مصر، قبض عليه الملك العادل، وسلبه أولاد عماد الدين بن شيخ الشيوخ بدمه، فامتنع من تسليم دمشق، برز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق، يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجة، ونزل بلبيس، فخاف الجواد، وعلم عجزه عن مقاومة العادل، فبعث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله المشهور بابن العديم العقيلي، وابن طلحة خطيب جامع دمشق إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب -صاحب حصن كيفا وديار بكر وغررها من بلاد الشرق - يطلب منه أن يتسلم دمشق، ويعرضه عنها سنجار والرقة وعانة، فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع، وأجابه إليه، وزاده الجديدة، وحلف له على الوفاء، ورتب الملك الصالح ابنه الملك المعظم توران شاه على بلاد الشرق، وألزمه بحصن كيفا، وأقام نواباً بآمد وديار بكر، وسلم حران والرها وجميع البلاد للخوارزمية الذين في خدمته، وطلب نجدة من الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد صالحه -

فبعث إليه بدر الدين نجدة، وسار الملك الصالح من الشرق يريد دمشق، فقطع الجواد اسم الملك العادل من الخطة، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وضرب السكة باسمه، ودخل الصالح إلى دمشق، في مستهل جمادى الأولى، ومعه الجواد بين يديه بالناشية، وقد ندم الجواد على ما كان منه، وأراد أن يستدرك الفائت فلم يقدر، وخرج من دمشق والناس تلعنه في وجهه، لسوء أثره فيهم، وبعث الصالح إليه برد أموال الناس إليهم، فأبي وسار.

وكان قد وصل مع الصالح أيضاً الملك المظفر صاحب حماة، وقد تلقاه الجواد، فكان دخوله يوماً مشهوداً، فاستقر في قلعة دمشق، وخرج الجواد إلى بلاده، فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوماً، صرف فيها الأموال التي كانت في خزائن الملك الكامل كلها، وكانت تزيد على ستمائة ألف دينار مصرية، سوى القماش وغيره، وسوى ما ظلم فيه الناس من التجار والكتاب، وسوى ما أخذه من صفي الدين ابن مرزوق لما صادره، وكان ينيف على خمسمائة ألف دينار، فلما استقر الملك الصالح بدمشق سار المظفر إلى حماة، وقدمت الخوارزمية، فنازلوا مدينة حمص -وهو معهم - مدة ثم فارقوها بغير طائل، وعادوا إلى بلادهم بالشرق. وقد زوج الملك الصالح أخته من أمه، وأبوها الفارس قليب مملوك أبيه الملك الكامل، لمقدم الخوارزمية الأمير حسام الدين بركة خان، وفي أثناء ذلك تواترت رسل المظفر صاحب حماة إلى الملك الصالح يستحثه على قصد حمص، وكتب الأمر من مصر تستدعيه إلى القاهرة، وتعده بالقيام بتصرفه، فبرز الملك الصالح من دمشق إلى البثنية، وكانت الخوارزمية، وصاحب حماة، على حصار حمص، فأرسل المجاهد أسد الدين شيركوه مالاً كثيراً فرقه في الخوارزمية، فرحلوا عنه إلى الشرق، ورحل صاحب حماة إلى حماة، وعاد الملك الصالح إلى دمشق طالباً مصر، وخرج منها إلى الخربة وعيد بها عيد الفطر، وعسكر تحت ثنية العقاب، وقد تحير فلا يدري أيذهب إلى حمص أم إلى مصر، وما زال بمعسكره إلى أول شهر رمضان فعاد إلى دمشق وتقدم إلى الأمير حسام الدين أبي علي بن محمد بن أبي علي الهذباني، أستاداره بدمشق، أن يرحل بطائفة من العسكر إلى جينين، فرحل، ولم يزل هو تحت عقبة الكرسي، على بحيرة طبرية، إلى آخر رمضان.

فلما وردت الأخبار بحركة الملك الصالح إلى القاهرة، خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميراً -منهم الأمير نور الدين علي بن فخر الدين عثمان الأستادر، والأمير علاء الدين ابن شهاب أحمد، الأمير عز الدين أيبك الكربدي العادلي والأمير عز الدين بلبان والأمير حسام الدين لؤلؤ المسعودي، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمي، والأمير عز الدين قضيب البان العادل، والأمير شمس الدين سنقر الدنيسري - في عدة كبيرة من أتباعهم وأجنادهم، وخلق من مقدمي الحلقة والمماليك السلطانية، وساروا يريدون الملك الصالح بدمشق.

وذلك أن الملك العادل تقدم بتوجه العسكر إلى الساحل، وقدم عليه الركن الهيجاري وأنفق فيهم، فلما نزلوا بلبيس اختلفوا، وخامر جمعة من الأمراء على العادل، وعزموا على المسير إلى الملك الصالح، فبعث العادل إليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ وبهاء الدين مليكيشو، ليطيب خواطرهم، فلم يجيبوا، وخرج من القاهرة عدة من الحلقة، ومعهم طائفة، ومنعوا من غلق باب النصر، وساروا طائفة بعد طائفة على حمية، فبطق العادل إلى من بقي معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببلبيس، قبل قدوم هؤلاء عليهم، فاقتتل الأكراد مع الأتراك ببلبيس، وانكسر الأتراك المخامرون وأخذ منهم أمير، وانهزم باقيهم وهم في طلبهم إلى ناحية سنيكسة.

فلحق بهم من خرج من الحلقة ومضوا جميعاً إلى تل العجول، وعادت الخزانة التي كانت معهم سالمة إلى القاهرة، ثم بعثوا يطلبون من العادل العفو، فأمنهم وحلف لهم، فلم يرجعوا، وساروا إلى الملك الصالح، فلما بلغوا غزة أمر الملك الصالح أستاداره بالعود إلى خوبة اللصوص، وخرج هو ببقية عسكره من دمشق، لليلتين بقيتا من شهر رمضان، ونزل الملك الصالح الخربة، ووصل الأمير نور الدين بن فخر الدين بمن معه، فسر بهم سروراً كثيراً، وأخذوا في تقوية عزمه على قصد مصر، فرحل واستولى على نابلس والأغوار .وأعمال القدس والسواحل، وبعث ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق، وأقطع من قدم عليه من أمراء مصر نابلس وأعمالها، ليتقووا بمغلها، فخرج الناصر داود من مصر، وصار إلى الكرك، فانزعج الملك العادل وأمه لقدوم الصالح انزعاجاً عظيماً، وخافاه خوفاً كبيراً، واضطربت مصر اضطراباً زائداً، وخرج فخر القضاة في الدين بن بصاقة في الرسالة إلى الملك الصالح من الكرك عن الناصر داود بأنه في نصرة الملك الصالح ومعاونته، ويسأله دمشق وجميع ما كان لأبيه، فلم تقع موافقة على ذلك فسار الناصر إلى الملك العادل، ونزل بدار الوزراة من القاهرة، ليعينه على محاربة أخيه الملك الصالح، فقدم في ذي الحجة الصاحب محيي الدين بن الجوزي برسالة الخليفة إلى الملك الصالح، لصالح أخاه الملك العادل فأجل الملك الصالح قدومه إجلالاً كثيراً ومع ذلك فإن كتب الأمراء -وغيرهم - ترد في كل قليل على الملك الصالح من مصر، تعده بالقيام معه، وأن البلاد في يده، لاتفاق الكلمة على سلطنته.

وفيها مات المنصور ناصر الدين أرتق بن أرسلان التركماني الأرتقي، صاحب ماردين، قتله ابنه وهو سكران، واستولى بعده على ماردين.

وفيها وقعت بين جرم وجذام وثعلبة بالشرقية حروب قتل فيها كثير منهم، وقتل شيخهم شمخ بن نجم فجرد الملك العادل إليهم الأمير بهاء الدين بن ملكيشو، ليصلح بينهم، وكان السلطان في بلبيس، قد خرج في سلخ ذي الحجة من قلعة الجبل، بعساكر مصر.

سنة سبع وثلاثين وستمائة

أهلت والملك العادل على بلبيس بعساكره يريد الشام، لمحاربة أخيه الملك الصالح، فأقام على بلبيس، فقصد الأمراء القبض عليه، وعمل بعضهم دعوة، وحضر إليه العادل، ففطن بما هم عليه، فقام و دخل الخريشته لقضاء الحاجة، وخرج من ظهر الحريشته، وركب فرساً وساق إلى القلعة فبعث إليه الأمراء يطلبونه، فأظهر أنه ما دخل القاهرة إلا لكسرة الخليج، وأنه سيعود إليهم ثم ألجاته الضرورة حتى خرج إلى العباسة في رابع عشري المحرم، وقبض على جماعة من الأمراء.

وفي نصف صفر: توجه الناصر داود من العباسة إلى الكرك، وصحبته الأمير سيف الدين علي بن قلج، وجماعة من أمراء مصر، فبلغ العادل عن فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أنه يكاتب الصالح، فقبض عليه واعتقله، هذا ومحيي الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي أخذ في الإصلاح بين الملوك على أن تكون دمشق للصالح نجم الدين أيوب، ومصر للعادل، وأن يرد إلى الناصر داود ما أخذ من بلاده، وكان محيي الدين بن الجوزي مقيماً عند الصالح، وابنه شرف الدين يتردد من نابلس إلى مصر في

السفارة، حتى تقارب الأمر. ثم قدم محيي الدين إلى مصر، ومعه جمال الدين يحيى بن مطروح، ناظر ديوان الجيوش للملك الصالح، فأديا الرسالة، وأقاما عند الملك العادل، وكان قد أخذ الصالح يكاتب عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل في الوصول إليه بنابلس، وبعث إليه الطيب سعد الدين الدمشقي، ومعه حمام ليسرح إليه بالبطائق على جناحها ما يتجدد فاتفق أمر عجيب: وهو أنه لما وصل سعد الدين إلى قلعة بعلبك أنزل الصالح عماد الدين إسماعيل بدار، وبدل عرض الحمام الذي في قفص سعد الدين بحمام آخر، من حمام القلعة ببعلبك وأخذ الصالح عماد الدين في التدبير على أخذ دمشق، وانتزاعها من يد ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأرسل جواسيسه سراً إلى ابن أخيه الملك العادل، بما عزم عليه من أخذ دمشق، وأنه منتم إليه وفي طاعته، وإذا ملك دمشق خطب له على منابرها، وضرب السكة باسمه، وكتب الصالح عماد الدين إسماعيل أيضاً إلى المجاهد -صاحب حمص - في معاونته، وهو يواصل كتبه مع ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين، يعده بالوصول إلى نصرته، وشرع الصالح عماد الدين في جمع الرحال، ففطن بذلك الطبيب سعد الدين، وكتب البطائق على أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الملك الصالح نجم الدين، فكان كلما سرح سعد الدين منها طائراً وقع في برجه بقلعة بعلبك فأتى به البراج إلى الملك الصالح عماد الدين، ثم إن الصالح عماد الدين زور بطاقة عن الطبيب سعد الدين، فيها إن المولى الملك الصالح عماد الدين في الاهتمام للمسير إلى المعسكر المنصور، وإنه باق على الطاعة وسرح هذه البطاقة المزورة على جناح طائرة من الطور التي وصلت مع الطبيب سعد الدين، فلما وقف عليها الملك الصالح نجم الدين، ظن أنها من عند رسوله، فطاب قلبه، ووالى الصالح عماد الدين إرسال البطائق المزورة، وكلما سرح الطيب طائرا ببطاقة وقع في قلعة بعلبك، فيصل إلى الصالح عماد الدين.

واتفق مع ذلك أمر آخر من عجيب ما يجري: وهو أن المظفر صاحب حماة كان منتمياً إلى الصالح نجم الدين، ومهتما بنصرته، ويخطب له في بلاده، وكان الحلبيون والمجاهد صاحب حمص معاندين له، ومساعدين عليه فعلم المظفر صاحب حماة ما عليه خاله الصالح عماد الدين -صاحب بعلبك - من قصد دمشق، وموافقة المجاهد صاحب حمص له، وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين أيوب على نابلس، وهم خمسة آلاف، وليس بدمشق من يحفظها، فخاف الملك المظفر صاحب حماة على دمشق، وباطن الأمير سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني على أنه يظهر الحرد عليه وفارقه، ويوهم أكابر البلد بأن المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج، لما حصل عنده من الغبن من المجاورين له، وأخذ بلاده منه، وقصد المظفر بهذه الحيلة مكيدة صاحب حمص، وأن الأمير سيف الدين إذا ذهب بالعسكر وأكابر الرعية إلى دمشق أقاموا بها وحفظوها، حتى يتوجه الملك الصالح إلى مصر، أو يعود إلى دمشق، فأظهر سيف الدين الغضب على المظفر، وأخذ قطعة من العسكر، ومن أكابر حماة، وخرج فسار حتى نزل على حمص، عند بحيرة قدس فلم يخف على المجاهد صاحب حمص ما دبره المظفر من مكيدته، وخرج من حمص، وبعث إلى الأمير سيف الدين يريد الاجتماع به، فأتاه سيف الدين منفرداً، واعلمه بأنه كره مجاورة المظفر، لما هو عليه من الميل للفرنج، والعزم على تسليمهم حماة، فأظهر له الملك المجاهد البشر ولاطفه، واستدعاه إلى ضيافته بداخل حمص، فلما صار به إلى القلعة، استدعى أصحابه ليترلوا في البلد، فدخل بعضهم وامتنع بعضهم من الدخول إلى حمص، فلما تمكن المجاهد من الأمير سيف الدين قبض عليه، واعتقله هو ومن دخل من أصحابه، وفر الباقون، فعاقب المجاهد من صار في قبضته أشد العقوبة، واستصفى أموالهم، ومازال

بسيف الدين حتى هلك فضعف المظفر لتلف رجال عسكره.

وسار الصالح عماد الدين -ومعه المجاهد - إلى دمشق في جمع كبير، وأخذاها وأظهرا طاعة الملك العادل صاحب مصر، وكان ذلك في سابع عشري صفر، ثم ملكا قلعه دمشق، واعتقلا المغيث بن الصالح نجم الدين، فبلغ ذلك الصالح وهو بنابلس، فكتم الخبر، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذاباني أستاداره في جماعة، وسار بعده يريد دمشق، فلما وصل ابن أبي علي إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح -وقد نزل بيسان - فاعلمه الخبر، وسار معه حتى وصل القصير اللعيني من النور فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق، فورود مكاتبات الصالح عماد الدين إليهم، باستمالتهم إليه، ففسدت نياتهم، وطمعوا في الملك الصالح نجم الدين، لتلاشي أمره، وفارقوه، فبقي الصالح نجم الدين في دون المائة من أمرائه وأجناده، وتركه من كان معه من أهل بيته وأقاربه، وتركه أيضاً بدر الدين قاضي سنجار -وكان أخص أصحابه، وصاروا كلهم إلى دمشق، وقد أيسوا من أن يقوم بعدها الصالح نجم الدين قائمة، وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبي علي أستادراه، وزين الدين أمير جانداره، وشهاب الدين بن سعد الدين كوجبا -وكان أبوه سعد الدين ابن عمة الملك الكامل - والأمير شهاب الدين البواشقي، ونحو الثمانين من مماليكه، وثبت معه أيضاً كاتبه بهاء الدين زهير، وهرب الطواشي شهاب الدين فاخر، وأخذ معه شيئاً كثيراً من قماش الصالح، وعدة من مماليكه الصغار وغلمانه، وصار مع من لحق بدمشق، ففت في عضد الصالح مفارقة العسكر له، وأيقن بزوال أمره ورحل في الليل، فلقيه طائفة من العربان يريدون أخذه، فحاربهم بمن معه، حتى خلص منهم إلى نابلس، فنزل بظاهرها، ولما وصل العسكر المخامر على الصالح نجم الدين إلى دمشق، قبض الملك الصالح عماد الدين على أخويه الملك المعز مجير الدين يعقوب والملك الأمجد تقي الدين عباس، واعتقل الأمراء المصريين أيضاً: وهم عز الدين أيبك الكردي، وعز الدين قضيب البان، وسنقر الدينسري، وبلبان المجاهدي، وتوجه نور الدين بن عثمان إلى بغداد، واتفق تغير الملك العادل على الناصر داود، فقارقه من بلبيس -وصحبته الأمير سيف الدين علي بن قلج -وسار إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعده النصرة، وكان ذلك خدعة منه ثم سار الناصر إلى نابلس بعساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه بعد ما صار وحده، وأركبه على بلغة في إهانة، بغير مهماز ولا مقرعة، في ليلة السبت ثاني عشر ربيع الأول، وبعث الناصر به إلى الكرك ولم يزل معه غير مملوك واحد، يقال له ركن الدين بيبرس، وبعث معه جاريته شجر الدر أم ولده خليل، وأنزله بالقلعة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه بحيث لم يحتل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط، وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود هو وجماعة المالك، بعد ما خيرهم فاختاروا الإقامة عنده وطلب الأمير حسام الدين بن أبي علي، وزين الدين أمير جاندار من الناصر المسير إلى دمشق فسيرهما، وعندما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين.

وفي سابع عشر ربيع الأول: عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن الهجاوي على جماعة، لحفظ الساحل، فلما بلغ الملك العادل ما جرى على أخيه -من أخذه ذليلاً، ونهب أحر، وسجنه بالكرك -سره ذلك سروراً كثيراً، وظن أنه قد أمن، ونودي بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وعمل سماطاً عظيماً في الميدان الأسود تحت قلعة الجبل، وعمل قصوراً من حلوى، وأحواضاً من سكر وليمون، وألفاً وخمسمائة رأس شواء، ومثلها طعاماً، فكان ما عمل من السكر ألف وخمسمائة أبلوجة، ونادى الملك العادل في العامة بالحضور إلى السماط، فحضر

الجليل والحقير، وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك.

ولم يقنع الملك العادل بسجن أخيه، حتى أنه بعث الأمير علاء الدين بن النابلس إلى الناصر داود، يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح في قفص حديد تحت الاحتفاظ، ويبذل له في مقابلة إرساله أربعمائة ألف دينار ودمشق، وحلف على ذلك أيماناً عظيمة، فلما وصل الكاتب إلى الناصر أوقف عليه الملك الصالح، وأدخل إليه بالقاصد الذي أحضره، ثم كتب الناصر إلى الملك العادل: وصل كتاب السلطان، وهو يطلب أخاه إلى عنده في قفص حديد، وأنك تعطيني أربعمائة ألف دينار مصرية، وتأخذ دمشق ممن هي بيده، وتعطني إياها، فأما الذهب فهو عندك كثير، وأما دمشق فإذا أخذتها ممن هي معه، وسلمتها إلي، سلمت أخاك إليك، وهنا جوابي والسلام. فلما ورد هنا الجواب على الملك العادل أمر بتجهيز العساكر، ليخرج إلى الشام، وخرج محيي الدين بن الجرزي من القاهرة، ومعه جمال الدين بن مطروح رسول الصالح نجم الدين، وكان قد استجار به بعدما قبض على الصالح نجم الدين وسجن بالكرك وكتب الناصر داود إلى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوس عنده بالكرك :

عظمت عنده الخطوب وجلت وإذا مسك الزمان بضر

سئمت عندها النفوس وملت وتوالت منه نوائب أخرى

فالرزايا إذا توالت تولت فاصطبر وانتظر بلوغ الأماني

وهذه الأبيات لغيره، فكتب إليه الصالح نجم الدين أيوب يشكره، وكتب فيما كتب أبيات شمس المعالي قابوس وشمكير :

هل حارب الدهر إلا من له خطر قل للذي بصروف الدهر عيرنا

ويستقر بأقصى قعره الدرر أما ترى البحر تطفو فوقه جيف

وما لنا من تمادى بوسه ضرر وإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا

وليس يكسف إلا الشمس والقمر ففي السماء نجوم لا عماد لها

وازداد فيها الرشيد النابلسي :

وليس يرجم إلا ما له ثمر وكم على الأرض من خضراء مورقة

وفي أثناء هذا الاختلاف بين الملوك عمر الفرنج في القدس قلعة، وجعلوا برج داود أحد أبراجها، وكان قد ترك لما خرب الملك المعظم أسوار القدس، فلما بلغ الناصر داود عمارة هذه القلعة سار إلى القدس، ورمى عليها بالمجانيق حتى أخذها، بعد أحد وعشرين يوماً -في يوم تاسع جمادى الأولى - عنوة بمن معه من عسكر مصر، وتأخر أخذ برج داود إلى خامس عشرة فأخذ من الفرنج صلحاً على أنفسهم دون أموالهم، وعمر الناصر برج داود واستولى على القدس، وأخرج منه الفرنج. فساروا إلى بلادهم، واتفق يوم فتح القدس وصول محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الناصر داود، ومعه جمال الدين بن مطروح، فقال جمال الدين بن مطروح يمدح الملك

الناصر داود، ويذكر مضاهاته لعمه الناصر صلاح الدين يوسف في فتح القدس، مع اشتراكهما في اللقب والفعل، وهو معنى لطيف مليح :

سارت فصارت مثلاً سائراً المسجد الأقصى له عادة

أن يبعث الله له ناصرا إذا غدا بالكفر مستوطنا

وناصر طهره آخرا فناصر طهره أولا

وفي يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول: ومع بين الفرنج وبين العسكر المصري المقيم بالساحل حرب، انحسر فيها الفرنج، وأخذ من الفرنج ملوكهم وأكنادهم، وثمانون فارساً، ومائتان وخمسون راجلاً -وصلوا إلى القاهرة، وقتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشر، ثم سار ابن الجوزي إلى دمشق، وحاول إصلاح الحال بين الصالح عماد الدين وبين الناصر داود وبن الملك العادل، فلم يتأت له ذلك، فعاد إلى القاهرة في رمضان، وقد وصل الملك ابن سنقر بخلعة الملك العادل وابنه، وأمه وامرأته وكاتبه، ونزل ابن مطروح عند المظفر بحماة، فبعثه في الرسالة إلى الخوارزمية بالشرق، يستحثهم على القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين، واستصحب معه أيضاً رسالة الناصر داود، ومنه :إني لم أترك الملك المصالح بالكرك إلا صيانة لمهجته، خوفاً عليه من أخيه الملك العادل، ومن عمه الملك الصالح عماد الدين، وسأخرجه وأملكه البلاد، فتحركوا على بلاد حلب، وبلاد حمص. فسار إليهم ابن مطروح وقضي الأمر معهم، وعاد إلى حماة، فاتفق موت الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه -صاحب حمص - يوم التاسع عشر من شهر رجب، فكانت مدة ملكه بحمص نحوا من ست وخمسين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم، واتفق مع الصالح عماد الدين على المعاضدة، فصار الناصر داود مواحشاً للملك العادل، بسبب أنه لم يوافقه على أخذ دمشق، والملك العادل مواحشه، لأنه لم يسلمه الملك الصالح نجم الدين، والناصر أيضاً مواحش للصالح عماد الدين، ويهدده بأنه يطلق الملك الصالح نجم الدين، ويقوم معه في أخذ البلاد والمظفر صاحب حماة لا يخطب للعادل من حين قطع الخطبة للصالح نجم الدين، لميله الملك الصالح نجم الدين.

فلما دخل شهر رمضان: سير المظفر القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبي الدم - قاضي حماة - رسولاً إلى الملك العادل بمصر، وحمله في الباطن رسالة إلى الناصر داود بالكرك، أن يطلق الصالح نجم الدين، ويساعده على أخذ البلاد، فبلغ القاضي شهاب الدين الملك الناصر ذلك وتوجه إلى مصر، فأفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين، في سابع عشر من رمضان، واستدعاه إليه وهو بنابلس، فلما قدم عليه التقاه وأجله، وضرب له دهليز السلطة، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه الذين عنوا عند الناصر :منهم الأمير شهاب الدين بن كعب كوجبا، وشهاب الدين الغرس، وكاتبه بهاء الدين زهير، وتقدم الناصر للخطيب بنابلس في يوم عيد الفطر، فدعا الملك الصالح، وأشاع ذكره، وسار الناصر داود والصالح نجم الدين إلى القدس وتحالفا على أن تكون ديار مصر للملك الصالح، والشام والشرق للناصر، وأن يعطه مائتي ألف دينار، فكانت مدة اعتقال الملك الصالح سبعة أشهر وأياماً، ثم سارا إلى غزة، فورد الخبر بذلك على الملك العادل بمصر، فانزعج وأمر بخروج الدهليز السلطاني والعساكر، وبرز إلى بلبيس في نصف ذي العقدة، وكتب إلى الصالح

عماد الدين أن يخرج بعساكر دمشق، فخرج الصالح عماد الدين بعساكره إلى الغوار، فخاف الملك الصالح والملك الناصر من التقاء عساكر مصر والشام عليهما، ورجعا من غزة إلى نابلس، ليتحصنا بالكرك وكان الملك العادل قد شره في اللعب، وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو، حتى حسبت نفقاته في هذا الوجه خاصة، فكانت ستة آلاف ألف وعشرين ألف ألف درهم، وأعطى العادل عبداً أسوداً، عمله طشت داره، يعرف بابن كرسون منشوراً بخمسين فارساً، فلما خرج به من باب القلة بقلعة الجبل وجده الأمير ركن الدين الهيجاري، أحد الأمراء الأكابر، فأراه المنشور، فحنق ومكة في وجهه، وأخذ منه المنشور، وصار بين الأمراء وبين الملك العادل وحشة شديدة، ونفرة عظيمة، واتفق ما تقدم ذكره إلى أن نزل العادل ببلبيس، فقام الأمير عز الدين أيبك الأسمر -مقدم الأشرفية - وباطن عدة من الأمراء والمماليك الأشرفية على خلع العادل والقبض عليه، ووافقهم على هذا جوهر التوبي وشمس الخواص -وهما من الخدام الكاملية، وجماعة أخر من الكاملية، وهم مسرور الكاملي، وكافور الفائزي، وركبوا ليلاً وأحاطوا بدهليز الملك العادل، ورموه وقبضوا عليه، ووكلوا به من يحفظه في خيمة، فلم يتحرك أحد لنصرته، إلا أن الأكراد هموا بالقيام له، فمال عليهم الأتراك والخدام ونهبوهم، فانهزم الأكراد إلى القاهرة، ويقال إنه بلغ أيبك الأسمر أن الملك العادل سكر مع شبابه وخواصه، وقال لهم: عن قليل تشربون من دم أيبك الأسمر وهؤلاء العبيد السوء فلان وفلان وسماهم فاجتمعوا على خلعه، لاسيما لما طلب ابن كرسون منه أن يسلمه الأمير شجعاع الدين بن بزغش -وإلى قوص - فأمكنه منه وعاقبه أشد عقوبة وتنوع في عذابه، ولم يقبل فيه شفاعة أحد من الأمراء، وكان الملك العادل قد قربه تقريباً زائداً، حتى كان يقضي عنده الحوائج الجليلة، فأنفت الأنفس من ذلك، وخلع العادل في يوم الجمعة تاسع شوال، فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وثمانية عشر يوماً، أولها يوم الخميس، وآخرها يوم الخميس تاسع شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة، أسرف فيها إسرافاً أفرط فيه، بحيث أن أباه الملك الكامل ترك ما ينيف على ستة آلاف ألف دينار مصرية، وعشرين ألف ألف درهم فرقها كلها، وكان العادل يحمل المال إلى الأمراء وغيرهم على أقفاص الحمالين، ولم يبق أحد في دولته إلا وشمله إنعامه، فكانت أيامه بمصر كلها أفراح ومسرات للذين جانبه، وكثرة إحسانه، قال الأديب أبو الحسين الجزار في الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب :

هو الغيث يرجوه كل مجتدي هو الليث يخشى بأسه كل مجتر

فأصبح ذا ملك أثيل مشيد لقد شاد ملكاً أسسه جدوده

بسلطانه أهل الحقائق تقتدي وصح به الإسلام حتى لقد غدت

أطعنا أبا بكر بأمر محمد فقل للذي قد شك في الحق إنما

يشير بذلك إلى أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، فإن أباهما الكامل محمداً أقام العادل هذا بمصر، وبعث الصالح أيوب إلى الشرق، وقال البرهان بن الفقيه نصر، لما استقر العادل في السلطنة بعد أبيه.

ماذا يؤمله منها وخيفته قل للذي خاف من مصر وقد أمنت

فقد أقام أبا بكر خليفته إن كان قد مات عن مصر محمدها

السلطان الملك الصالح

أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لما قبض على أخيه الملك العادل، كان الأمير عز الدين أيبك الأسمر يميل إلى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل -صاحب دمشق - وكانت الخدام والمماليك الكاملية تميل إلى الملك الصالح نجم الدين -وهم الأكثر - فلم يطق عز الدين مخالفتهم، فاتفقوا كلهم، وكتبوا إلى الملك الصالح نجم الدين يستدعونه فأتته كتبهم، وقد بلغ هو والناصر داود الغاية من الخوف وزلزلاً زلزالاً شديداً، لضعفهما عن مقاومة عساكر مصر والشام، فأتاهما من الفرج ما لم يسمع بمثله، وقاما لوقتهما، وسارا إلى مصر، فلما دخلا الرمل لم ينزلا منزلة إلا وقدم عليهما من أمراء مصر طائفة، حتى نزلا بلبيس، يوم الاثنين تاسع، بعدما خطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة خامس عشرة، ومنذ فارقا غزة تغير الناصر داود على الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتحدث في قتله، فلما نزلا بلبيس، سكر الملك الناصر، ومضى إلى العادل، وقال له: كيف رأيت ما أشرت به عليك، ولم تقبل مني؟ فقال له العادل: يا خوندا التوبة، فقال الناصر: طيب قلبك، الساعة أطلقك ثم جاء الناصر، ودخل على الملك الصالح، ووقف فقال له الصالح: بسم الله اجلس، قال: ما أجلس حتى تطلق العادل، فقال له: أعد، وهو يكرر الحديث، فما زال به حتى نام، فقام من فوره الملك الصالح، وسار في الليل ومعه العادل في محفة، ودخل به إلى القاهرة، واستولى على قلعة الجبل، يوم الجمعة ثالث عشري شوال، بغير تعب، وجلس الملك الصالح نجم الدين أيوب على سرير الملك، واعتقل العادل ببعض دوره، واستحلف الأمراء، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعة الجبل زينة عظيمة، وسر الناس به سروراً كثيراً، لنجابته وشهامته، ونزل الناصر داود بدار الوزارة من القاهرة، ولم يركب الملك الصالح يوم عيد النحر، لما بلغه من خلف العسكر.

وفي ذي الحجة: أحضر الملك الصالح إليه الملك العادل، وسأله عن أشياء، ثم كشف بيت المال والخزانة السلطانية، فلم يجد سوى دينار واحد وألف درهم. وقيل له عما أتلفه أخوه، فطلب القضاة والأمراء الذين قاموا في القبض على أخيه، وقال لهم: لأي شيء قبضتم على سلطانكم؟ فقالوا: لأنه كان سفيهاً فقال: يا قضاة السفيه يجوز تصرفه في بيت مال المسلمين، قالوا: لا قال: أقسم بالله متى لم تحصروا ما أخذتم من المال، كانت أرواحكم عوضه. فخرجوا وأحضروا إليه سبعمائة ألف وخمسة وثمانين ألف دينار، وألفي ألف وثلاثمائة ألف درهم، ثم أمهلهم قليلاً، وقبض عليهم واحد بعد واحد، واستدعى الملك الصالح بالقاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد المعروف بابن أبي الدم -وكان بمصر منذ قام من عند المظفر صاحب حماة، وبعث به مكرماً إلى حماة وخلع علي ابن الجوزي رسول الخليفة، وكتب معه إلى الديوان العزيز يشكو منه، وكانت الخلع الخليفتية قد وصلت إلى القاهرة، فلبسهما الملك الصالح، ونصب منبراً صعد عليه ابن الجوزي، وقرأ تقليد الملك الصالح، والملك الصالح قائم بين يدي المنبر على قدميه، حتى فرغ من قراءته، وشيع الملك الصالح أيضاً الصاحب كمال الدين بن العديم رسول حلب، وتخوف السلطان من الناصر داود، لكثرة ما

بلغه عنه من اجتماعه بالأمراء سراً، ولأنه سأله أن يعطه قلعة الشوبك، فامتنع السلطان من ذلك، واستوحش الناصر فطلب الأذن بالرحيل إلى الكرك، فخرج من القاهرة وهو متغيظ، وقد بلغه أن الصالح إسماعيل خرج من دمشق، ووافق الفرنج على أن يسلمهم الساحل، ووصل الفرنج إلى النابلس، وتأول السلطان أنه ما حلف للناصر بالقدس إلا مكرها، لأنه كان إذ ذاك تحت حكمه وفي طاعته، فلما وصل الناصر إلى الكرك طلب من السلطان ما التزم له به من المال، فحمله إليه، وماطله بتجريد العساكر معه لفتح دمشق، مستنداً لما تأوله، وفي أثناء ذلك تحدث الأشرفية بالوثوب على السلطان، فخافهم وامتنع من الركوب في الموكب مدة، واستوزر السلطان الصاحب معين الدين الحسن بن الشيخ، وسلم إليه أمور المملكة كلها، وهو ببركة الحاج، في يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة قبل الظهر، فشرع الصاحب معين الدين في تدبير المملكة، والنظر في مصالح البلاد.

وولدت شجر الدر من الملك الصالح ولداً سماه خليلاً، ولقبه بالملك المنصور، وعندما نزل الملك الصالح العباسة، في يوم الحج سابع عشر ذي القعدة، قبض على الركن الهيجاري العادلي في يوم الاثنين ثامن عشره، وبعثه إلى القاهرة.

وفيها زار الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم خطابة دمشق، في يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر، ولاه الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، وخطب لصاحب الروم.

وفيها قتل عثمان بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، أمير بني مرين، وأول من عظم أمره منهم، وغلب على ريف المغرب، ووضع على أهله المغارم، فبايعه أكثر القبائل، وامتدت يده إلى أمصار المغرب، مثل فاس وتازا ومكناسة، وفرض عليها ضرائب تحمل إليه، وقام بعد عثمان أخوه محمد بن عبد الحق.

وفيها قدم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة إلى مكة، في ألف فارس من عسكر مصر، فبعث ابن رسول ملك اليمن بالشريف راجح وعسكر، ففر شيحة من مكة، وملكها عسكر اليمن.

سنة ثمان وثلاثين وستمائة

فيها شرع السلطان الملك الصالح أيوب في النظر في مصالح دولته، وتمهيد قواعد مملكته، ونظر في عمارة أرض مصر، وبعث زين الدين بن أبي زكري على عسكر إلى الصعيد، لقتال العرب، وتتبع من قام في قبض أخيه الملك العادل، فقبض عليهم، واستصفى أموالهم وقتل عدة منهم، وفر عدة من الأشرفية، وقبض على الأمير عز الدين أيبك الأسمر الأشرفي بالإسكندرية، ونودي بالقاهرة وظواهرها: من أخفى أحداً من الأشرفية نهب ماله.

وأغلقت أبواب القاهرة كلها ثلاثة أيام، ما خلا باب زويلة. حرصاً على أخذ الأشرفية، فأخذوا وأودعوا السجون، وقبض على جوهر النوبي، وشمس الخواص مسرور بدمياط -وكان من الخدام الكاملية، وممن أعلن على خلع العادل، وقبض على شبل الدولة كافور الفائزي بالشرقية، وسجن بقلعة الجبل، وقبض على جماعة من الأتراك ومن أجناد الحلقة، وعلى عدة من الأمراء الكاملية. وصار السلطان الملك الصالح أيوب كلما قبض على أمير أعطى خبره لمملوك من مماليكة وقدمه، فبقي معظم أمراء الدولة مماليكه، لثقته بهم، واعتماده عليهم، فتمكن أمره وقوي جأشه.

وفي سلخ ربيع الآخر وهو يوم السبت: ولد للملك الصالح نجم الدين أيوب من حظيته ولد ذكر وأحب الصالح أن يبقي له ذكراً، فأمر ببناء قلعة الجزيرة -المعروفة بالروضة - قبالة مصر الفسطاط وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدئ ببنائها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره.
وفي عاشر ذي القعدة: وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها، وبنى الملك الصالح فيها الحور السلطانية، وشيد أسوراها، وأنفق فيها أموالاً تتجاوز الوصف، فلما تكامل بناؤها تحول السلطان من قلعة الجبل إليها، وسكنها بأهله وحرمه ومماليكه، وكان مغرى بالعمائر.
وفيها عاد العسكر الذي قصد المسير إلى اليمن في رمضان، خوفاً من المماليك الأشرفية وأتباعهم، وذلك أنهم كانوا قد عزموا على الخروج من القاهرة، ونهب العسكر ببركة الجب فبطل سفرهم، وبعث السلطان منهم ثلاثمائة مملوك إلى مكة، لأخذها من أهل اليمن وعليهم الأمير مجد الدين بن أحمد بن التركماني والأمير مبارز الدين علي بن الحسن بن برطاس، وذلك أن الخبر ورد بأن ملك اليمن بعث جيشاً لأخذ مكة، فساروا آخر شهر رمضان، ودخلوا مكة في أثناء ذي القعدة، ففر من كان بها من أهل اليمن.
وفيها عاد القاضي بدر الدين قاضي سنجار من بلاد الروم، وكان قد توجه إليها برسالة الملك الصالح عماد الدين صاحب دمشق، فبلغه أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر، فخرج من بلاد الروم، وقد عزم ألا يدخل دمشق، فمضى إلى مصياف من بلاد الإسماعيلية، وأخذ يتحيل في الوصول إلى مصر، فبلغ ذلك الصالح إسماعيل، فأرسل إليه ليحضر، فامتنع من الحضور وأستجار بالإسماعيلية، فأجاروه ومنعوا الصالح إسماعيل منه، وأوصلوه إلى حماة فأكرمه المظفر، وأنزله عنده، وكان قد نزل عنده أيضاً جمال الدين بن مطروح، فصارت حماة ملجأ لكل من انتمى للسلطان الصالح نجم الدين، ومنها يرد إليه عصر كل ما يتجدد بالشام والشرق.
وفيها أيس الناصر داود من إعطاء الملك الصالح نجم الدين له دمشق، فانحرف عنه، ومال إلى الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص، واتفقوا جميعاً على الصالح نجم الدين.

وفيها أغار الخوارزمية على بلاد قلعة جعبر وبالس ونهبوها، وقتلوا كثيراً من الناس، ففر من بقي إلى حلب ومنبج، واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على شجار، وأخرج منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن نجم الدين أيوب، فسار الجواد إلى الشام، حتى صار في يد الناصر داود، فقبض عليه بغزة يوم الأحد ثامن عشر ذي الحجة، وبعث به إلى الكرك، وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل، فصاروا نحو الاثني عشر ألفاً، وقصدوا حلب، فخرج إليهم من حلب، فانكسر وقتل أكثره، وغنم الخوارزمية ما معهم، فامتنع الناس بمدينة حلب، وانتهبت أعمال حلب، وفعل فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب، ووضعوا السيف في أهل منبج، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس، وخربوا وارتكبوا الفواحش بالنساء في الجامع علانية، وقتلوا الأطفال وعادوا وقد خرب ما حول حلب، وكان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزباً على الصالح صاحب مصر. فسار المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص، عساكره وعساكر حلب ودمشق، وقطع الفرات إلى سروج والرها، وأوقع بالخوارزمية، وكسرهم واستولى على ما معهم، ومضوا هاربين إلى عانة.

وفيها خاف الصالح عماد الدين من الملك الصالح نجم الدين، فكاتب الفرنج، واتفق معهم على معاضدته ومساعدته، ومحاربة صاحب مصر، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها، وقلعة الشقيف وبلادهما، ومناصفة صيداً وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل، وعزم الصالح عماد الدين على قصد مصر لما بلغه من القبض على المماليك الأشرفية والخدام ومقدمي الحلقة وبعض الأمراء وأن من بقي من أمراء مصر خائف على نفسه من السلطان، فتجهز وبعث إلى المنصور صاحب حمص، وإلى الحلبيين وإلى الفرنج يطلب منهم النجدات، وأذن الصالح إسماعيل للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح، فأكثروا من ابتياع الأسلحة وآلات الحرب من أهل دمشق، فأنكر المسلمون ذلك، ومشي أهل الدين منهم إلى العلماء واستفتوهم، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل، وصار ويدعو في الخطبة بدعاء منه: اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد تعز فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهي فيه معصيتك، والناس يضجون بالدعاء. وكان الصالح غالباً عن دمشق، فكوتب بذلك، فورد كتابه بعزل بن عبد السلام عن الخطابة، واعتقاله هو والشيخ أبي عمرو بن الحاجب، لأنه كان قد أنكر، فاعتقلا، ثم لما قدم الصالح أفرج عنهما، وألزم بن عبد السلام بملازمة داره، وألا يفتى، ولا يجتمع بأحد البتة، فاستأذنه في صلاة الجمعة، وأن يعبر إليه طبيب أو مزين إذا احتاج إليهما، وأن يعبر الحمام، فأذن له في ذلك، وولي خطابة دمشق بعد عز الدين عبد السلام، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار، وبرز الصالح من دمشق، ومعه عساكر حمص وحلب وغيرها، وسار حتى نزل بنهر العوجاء، فبلغه أن الناصر داود قد خيم على البلقاء، فسار إليه، وأوقع به، فانكسر الناصر، وانهزم إلى الكرك وأخذ الصالح أثقاله، وأسر جماعة من أصحابه، وعاد إلى العوجاء وقد قوي ساعده واشتدت شوكته، فبعث يطلب نجدات الفرنج، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف ورحل، ونزل تل العجول فأقام أياماً، ولم يستطع عبور مصر، فعاد إلى دمشق، وذلك أن الملك الصالح نجم الدين، لما بلغه حركة الصالح إسماعيل من دمشق ومعه الفرنج، جرد العساكر إلى لقائه، فألقاهم. وعندما تقابل العسكران ساقت عساكر الشام إلى عساكر مصر طائعة، ومالوا جميعاً على الفرنج، فهزموهم وأسروا منهم خلقاً لا يحصون، وبهؤلاء الأسرى عمر السلطان الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة، والمدارس الصالحية بالقاهرة.

وفيها تم الصلح مع الفرنج، وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الجنود والفرسان والرجالة.

وفي ذي القعدة: كانت وقعة بين أمراء الملك الصالح أيوب المقيمين بغزة، وبين الجواد والناصر، وكسر أصحاب الملك الصالح، وكسر كمال الدين بن الشيخ. وفيها استقر الصلح بين الملك الصالح والناصر، ورحل الناصر عن غزة بعد قبضه على الجواد.

وفي ذي القعدة: وصل الجواد إلى العباسة ومعه الصالح بن صاحب حمص، فأنعم عليهما الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم يمكنهما من دخول القاهرة فعاد الجواد، ولجأ إلى الناصر، فقبض عليه. وفيها عزل القاضي عبد المهيمن عن حسبة القاهرة، في تاسع المحرم، واستقر فيها القاضي شرف الدين محمد بن الفقيه عباس، خطيب القلعة.

وفي رابع عشره: شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين في بناء القنطرة التي على الخليج الكبير، المجاور لبستان

الخشاب، التي تعرف اليوم بقنطرة السد، خارج مدينة مصر.

وفي سادس عشره :أمر السلطان الملك الصالح أيوب بتجهيز زرد خاناه وشواني وحراريق إلى بحر القلزم لقصد اليمن، وجرد جماعة من الأمراء والأجناد بسبب ذلك.

وفي خامس عشريه: نزل خمس نفر في الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفيسي، وأخفوا من فوق القبر ستة عشر قنديلاً من فضة، فقبض عليهم من الفيوم، وأحضروا في رابع صفر، فاعترف أحدهم بأنه هو الذي نزل من طاقات القبة الزجاج وأخذ القناديل، وبرأ بقية أصحابه، فشنق تجاه المشهد في عاشره، وترك مدة متطاولة على الخشب، حتى صار عظاماً.

وفي سابع عشري وبيع الأول: ولي الملك الصالح الأمير بدر الدين باخل الإسكندرية، ونقله إليها من ولاية مصر.

وفي شهر ربيع الآخر: رتب السلطان نواباً عنه بدار العدل، يجلسون لإزالة المظالم. فجلس لذلك افتخار الدين ياقوت الجمالي، وشاهدان عدلان، وجماعة من الفقهاء :منهم الشريف شمس الدين الأرموي، نقيب الأشراف وقاضي العسكر ومدرس المدرسة الناصرية بمصر، والقاضي فخر الدين بن السكري، والفقيه عز الدين عباس، فهرع الناس لدار العدل من كل جانب، ورفعوا ظلاماتهم، فكشفت، واستراح السلطان من وقوف الناس إليه، واستمر هذا عصر.

وفي ذي الحجة: سار القاضي بدر الدين أبو المحاسن يوسف السنجاري على الساحل إلى مصر، فلما قدم على السلطان أكرمه غاية الإكرام، وكان قضاء ديار مصر بيد القاضي شرف الدين ابن عين الدولة الإسكندري، فصرفه السلطان عن قضاء مصر والوجه القبلي، وفوض ذلك للقاضي بدر الدين السنجاري، وأبقي مع ابن عين الدولة قضاء القاهرة والوجه البحري.

وفيها ظهر ببلاد الروم رجل ادعى النبوة، يقال له البابا، من التركمان. وصار له اتباع، وحمل اتباعه على أن يقولوا: لا اله إلا الله، البابا رسول الله، فخرج إليه جيش صاحب الروم، فقاتلهم وقتل بينه وبينهم أربعة آلاف نفر، ثم قتل البابا فانحل أمره.

وفيها وصل رسول التتار من ملكهم خاقان إلى الملك المظفر شهاب الدين غاري بن العادل، صاحب ميافارقين، ومعه كتاب إليه وإلى ملوك الإسلام، عنوانه :من نائب رب السماء، سامح وجه الأرض، ملك الشرق والغرب، قاقان. فقال الرسول لشهاب الدين صاحب مياقارفين: قد جعلك قاقان سلاح داره، وأمرك أن تخرب أسوار بلدك فقال له شهاب الدين: أنا من جملة الملوك، وبلادي حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم، وما فعلوه فعلته.

وفي يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة: رسم الصالح إسماعيل أن يخطب على منبر دمشق للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو، ملك الروم، فخطب له، ونثر على ذلك الدنانير والدارهم، وكان يوماً مشهوداً، وحضر رسل الروم وأعيان الدولة، وخطب الملك في جوامع البلد، وأنعم على الرسول وخلع عليه.

سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها شرع الملك الصالح في عمارة المدارس الصالحية بين القصرين. وفيها غلت الأسعار بمصر، وأبيع القمح كل أردب بدينارين ونصف، وقدم جمال الدين بن مطروح من طرابلس -في البحر - إلى القاهرة، وكثرت قصاد المظفر صاحب حماة إلى مصر.
وفي يوم الأحد تاسع عشري ربيع الأول: كسف جميع جرم الشمس، وأظلم الجو، وظهرت الكواكب، وشغل الناس السرج بالنهار.

وفيها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى مصر، وقد أخرجه الصالح إسماعيل من دمشق، فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقلده قضاء مصر والوجه القبلي يوم عرف عوضاً عن قاضي القضاة شرف الدين ابن عين الدولة، عندما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ما نصه: إن القاهرة لما كانت دار المملكة، وأمراء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مختص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضي على القاهرة وعملها لا غير. وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها -وهو الوجه القبل - لبدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري :المعروف بقاضي سنجار. فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجاري في قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجع القبلي لابن عبد السلام.
وفيها كثر تردد الناس إلى فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ، بعدما أطلقه السلطان في السجن فكره السلطان ذلك، وأمره أن يلازم داره.
وفيها بلغ السلطان أن الناصر داود صاحب الكرك قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، على محاربته، فسير السلطان كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر إلى الشام، فخرج إليه الناصر وقاتله ببلاد القدس، وأسره في عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة. وكان من خبر ذلك أنه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد، وقد نزل على الغوار، فكسره وأخذ الأثقال، وكان معه الأمير شمس الدين شرف -المعروف بالسبع مجانين - وشمس الدين أبو العلاء الكرديان، وشرف الدين بن الصارم صاحب بنين، وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قلج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر.
وفيها سار الخوارزمية إلى الموصل، فسالمهم صاحبها بحر الدين لؤلؤ نصيبين، ووافقهم المظفر شهاب الدين غازي بن العادل، صاحب ميافارقين، ثم ساروا إلى آمد فخرج إليهم عسكر حلب، عليه المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين، فدفعوهم عنها، ونهبوا بلاد ميافارقين، وجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع ثم عاد العسكر إلى حلب، فغار الخوارزمية على رساتيق الموصل.
وفيها فلج المظفر صاحب حماة في شعبان وهو جالس بغتة، فأقام أياماً ملقي لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق وبطل شقه الأيمن فسير إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصراني، فلم ينجح فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهوراً حتى مات.
وفي خامس عشر ذي القعدة: قدم الأمير ركن الدين ألطونبا الهيجاري من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود، ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى بقى على طاعة

الصالح نجم الدين، فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من العسكر ولحق الجواد بالفرنج، وأقام عندهم.
وفيها وصل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي رسول من اليمن في عسكر غير إلى مكة، في شهر رمضان، ففر المصريون بعدما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره.

سنة أربعين وستمائة

في ربيع الأول: أبطلت خطة ملك الروم من دمشق، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب.
وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى: دخل الفرنج من عكا إلى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا منبر الخطيب، وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالاً كثيرة.
وفي يوم السبت ثامن عشر المحرم: وصل إلى القاهرة الشريف علاء الدين عالم بن الأمير السيد علي.
وفيها وصل التتار إلى أرزن الروم، وأوقع الملك المظفر غازي، صاحب ميلادقين بالخوارزمية. وفيها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبي بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى فاستبد ابن ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازي بمملكة حلب بعدها، وقام بتدبيره بعد جدله الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين العادل الأسود الحسن، الخاتون، والوزير الأكرم جمال الدين بن النفطي، وخرج إقبال من حلب بعسكر، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.

وفيها مات الخليفة المستنصر بالله جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباس أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكاد سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة وشهر، وقيل مات في ثاني عشريه، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. وكان حازماً عادلاً، وفي أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبني بها المحرسة المستنصرية، وفي أيامه قصد التتر بغداد، فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان. فقام من بعده في الخلافة ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة، وحسنوا له جمع الأموال، وإسقاط أكثر الأجناد، فقطع كثيراً من العساكر، وسالم التتر، وحمل إليهم المال.
وفيها بني بعض غلمان الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب، بناء بأمر مخدومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين ابن شيخ الشيوخ، فأنكر ذلك قاضي القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح، ثم أشهد قاضي القضاة على نفسه أنه قد أسقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء فلما فعل ذلك ولي الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب ابن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزري الفقيه الشافعي، وكان ينوب عن ابن عبد السلام في الحكم، في ثالث عشري ذي القعدة.
وفيها قدم مكة الحاج من بغداد، بعدما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة وكان من خبر مكة -شرفها الله تعالى - أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس عليهم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة،

في سنة سبع وثلاثين، فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن بابن النصيري، ومعه الشريف راجح، إلى مكة في عسكر كبير، ففر الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة، فجهز السلطان الملك الصالح معه عسكراً قدم بهم مكة، في سنة ثمان وثلاثين، وحجوا بالناس، فبعث ابن رسول من اليمن عسكراً كبيراً، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة، فبعث إليهم بالأمير بارز الدين علي بن الحسين برطاس، والأمير مجد الدين أحمد بن التركماني، في مائة وخمسين فارساً، فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه في جمع كبير يريد مكة، ففر المصريون على وجوههم، وأحرقوا ما في دار السلطان بمكة من سلاح وغيره، فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح.

سنة إحدى وأربعين وستمائة

فيها قدم التتر بلاد الروم، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن يخسرو بن قلج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد، فدخل غياث الدين في طاعتهم، على مال يحمله إليهم، وملكوا أيضاً سيواس وقيسارية بالسيف وقرروا على صاحبهما في كل سنة أربعمائة ألف دينار ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه -وهو صغير - إلى أن قتل.

وفيها تكررت المراسلة بين الصالح نجم الدين أيوب، وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وبين المنصور صاحب حمص، على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح إسماعيل، ومصر للصالح أيوب، وكل من صاحب حمص وحماة وحلب على ما هو عليه، وأن تكون الخطة والسكة في جميع هذه البلاد للملك الصالح نجم الدين أيوب وأن يطلق الصالح إسماعيل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين من الاعتقال، وأن يخرج الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي باشاك الهذباني، المعروف بابن أبي علي من اعتقاله ببعلبك، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك من الملك الناصر داود، فلما تقرر هذا خرج من القاهرة الخطب أصيل الدين الإسعردي -إمام السلطان - في جماعة، وسار إلى دمشق، فخطب للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بجامع دمشق وبحمص، وأفرج عن المغيث ابن السلطان، وأركب ثم أعيد إلى القلعة، حتى يتم بينهما الحلف، وأفرج عن الأمير حسام الدين، وكان قد ضيق عليه وجعل في جب مظلم فلما وصل حسام الدين إلى دمشق خلع عليه الصالح إسماعيل، وسار إلى مصر، ومعه رسول الصالح إسماعيل، ورسول صاحب حمص -وهو القاضي عماد الدين بن القطب قاضي حماة - ورسول صاحب حلب، فقدموا على الملك الصالح نجم الدين، ولم يقع اتفاق، وعادت الفتنة بين الملوك، فاتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الملك الصالح نجم الدين وعاد رسول حلب، وتأخر ابن القطب بالقاهرة، فبعث الناصر داود والصالح إسماعيل، ووافقا الفرنج على أنهم يكونون عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلما إليهم القدس وسلماهم طبرية وعسقلان أيضاً فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما، وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس، وجلسوا فوقها بالخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى.
فبرز الملك الصالح نجم الدين أيوب من القاهرة، ونزل بركة الجب وأقام عليها، وكتب إلى الخوارزمية

يستدعيهم إلى ديار مصرة لمحاربة أهل الشام، فخرجوا من بلاد الشرق.
وفي يوم عيد النحر: صرف الملك الصالح نجم الدين قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزري، وقلد الأفضل الخونجي قضاء مصر والوجه القبلي.
وفيها هرب الصارم المسعودي من قلعة الجبل، وقد صبغ نفسه حتى صار أسوداً، على صورة عبد كان يدخل إليه بالطعام، فأخذ من بلبيس، وأعيد إلى معتقله. وفيها أنشأ شهاب الدين ريحان -خادم الخليفة - رباط الشرابي بمكة، وعمر بعرفة أيضاً.

سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، وفيه يقول: إني قررت على أهل الشام قطيعة التتر في كل سنة، من الغني عشرة دراهم، ومن المتوسط خمسة دراهم، ومن الفقير درهم فقرأ القاضي محيي الدين بن زكي الدين الكتاب على الناس، ووقع الشروع في جباية المال.
وفيها قطع الخوارزمية الفرات، ومقدموهم: الأمير حسام الدين بركة خان، وخان بردى، وصاروخان، وكشلوخان، وهم زيادة على عشرة آلاف مقاتل، فسارت منهم فرقة على بقاع بعلبك، وفرقة على غوطة دمشق، وهم ينهبون ويقتلون ويسبون، فانجفل الناس من بين أيديهم، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضم عساكره إليه، بعدما كانت قد وصلت غزة وهجم الخوارزمية على القدس، وبذلوا السيف في من كان به من النصارى، حتى أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد، وهدموا المباني التي في قمامة، ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وساروا إلى غزة فنزلوها، وسيروا إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب -في صفر - يخبرونه بقدومهم، فأمرهم بالإقامة في غزة، ووعدهم ببلاد الشام، بعدما خلع على رسلهم، وسير إليهم الخلع والخيل والأموال، وتوجه في الرسالة إليهم جمال الدين أقوش النجيبي، وجمال الدين بن مطروح، وجهز الملك الصالح نجم الدين أيوب عسكراً من القاهرة عليه الأمير ركن الدين بيبرس، أحد مماليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك، فسار إلى غزة، وانضم إلى الخوارزمية جماعة من القميرية، كانوا قد قدموا معهم من الشرق، ثم خرج الأمير حسام الدين أبو علي -بن محمد بن أبي علي الهذباني بعسكر، ليقيم على نابلس.

وجهز الصالح إسماعيل عسكراً من دمشق، عليه الملك المنصور صاحب حمص، فسار المنصور جريدة إلى عكا، وأخذ الفرنج ليحاربوا معه عساكر مصر، وساروا إلى نحو غزة، وأتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك مع الظهير بن سنقر الحلبي والوزيري، فالتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة، وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حمص، والأقسة تصلب، وبأيديهم أواني الخمر تسقي الفرسان وكان في الميمنة الفرنج، وفي الميسرة عسكر الكرك، وفي القلب المنصور صاحب حماة، فساق الخوارزمية وعساكر مصر، ودارت بين الفريقين حرب شديدة، فانكسر الملك المنصور، وفر الوزيري، وقبض على الظهير وجرح. وأحاط الخوارزمية بالفرنج، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلاً وأسراً، ولم يفلت منهم إلا من شرد، فكان عدة من أسر منهم ثمانمائة رجل، وقتل منهم ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين ألفاً، وحاز الخوارزمية من الأموال ما يجل وصفه، ولحق المنصور بدمشق في نفر يسير.

وقدمت البشارة إلى الملك الصالح نجم الدين بذلك في خامس عشر جمادى الأولى، فأمر بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعتي الجبل والروضة، فبالغ الناس في الزينة، وضربت البشائر عدة أيام.

وقدمت أسرى الفرنج ورءوس القتلى، ومعهم الظهير بن سنقر وعدة من الأمراء والأعيان، وقد أركب الفرنج الجمال، ومن معهم من المقدمين على الخيول، وشقوا القاهرة، فكان دخولهم يوما مشهوداً، وعلقت الرءوس على أبواب القاهرة وملئت الحبوس بالأسرى، وسار الأمير بيبرس، والأمير ابن أبي علي بعساكرهما إلى عسقلان، ونازلاها فامتنعت عليهم لحصانتها فسار ابن أبي علي إلى نابلس، وأقام بيبرس على عسقلان، واستولت نواب الملك الصالح نجم الدين على غزة والسواحل، والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار، ولم يبق بيد الناصر داود سوى الكرك والملقاء، والصلت وعجلون.

فورد الخير بموت الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة، في يوم السبت ثامن جمادى الأول، فاشتد حزن الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه، ثم ورد الخبر بموت ابنه الملك المغيث عمر بقلعة دمشق، فزاد حزنه، وقوي غضبه على عمه الصالح إسماعيل، وقدم إلى القاهرة الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب من حماة، بسيف الملك المظفر، ومعه تقدمة من عند ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد، لتسع مضين من شوال.

وخرج الصاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ على العساكر من القاهرة، ومعه الدهليز السلطاني والخزائن، وأقامه السلطان مقام نفسه، وأذن له أن يجلس على رأس السماط ويركب كما هي عادة الملوك وأن يقف الطواشي شهاب الدين رشيد أستادار السلطان في خدمته على السماط، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه، كعادتهم في خدمة السلطان، وكتب إلى الخوارزمية أن يسيروا في خدمته. فسار الصاحب معين الدين من القاهرة بالعساكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر، وسار إلى بيسان، فأقام بها مدة، ثم سار إلى دمشق فنازلها، وقد امتنع بها الصالح إسماعيل والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وعاثت الخوارزمية في أعمال دمشق، فبعث الصالح إسماعيل إلى ابن شيخ الشيوخ بسجادة وإبريق وعكاز، وقال له :اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك.

فلما وصل ذلك إليه جهز إلى الصالح إسماعيل جنكا وزمراً وغلالة حرير، وقال: السجادة والإبريق والعكاز يليقون بي، وأنت أولى بالجنك والزمر والغلالة، واستمر الصاحب معين الدين على محاصرة دمشق، فبعث الخليفة بمحيي الدين بن الجوزي إلى الملك الصالح نجم الدين ومعه خلعة، وهي عمامة سوداء، وفرجية مذهبة، وثوبان ذهب، وسيف بذهب، وطوق ذهب، وعلمان حرير، وحصان وترس ذهب، فلبس الملك الصالح نجم الدين الخلعة على العادة وكانت الأقاويل بمصر قد كثرت لمجيئه، وتأخر قدومه، فقال الصلاح بن شعبان الإربلي :

ما رام يوماً عن دمشق نزوحا قالوا الرسول أتي قالوا إنه

يروي الحديث عن الرسول صحيحا ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم

وفيها قتل أمير بني مرين محمد بن عبد الحق محيو بن أبي بكر بن حمامة، في حربه مع عسكر الموحدين وولي بعده أخوه أبو يحيي بن عبد الحق.

وفيها ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ من الموصل بجباية قطعة التتر من دمشق، فقرأ كتاب القاضي محيي الدين من الزكي على العادة.

وفيها استوزر الخليفة أستاداره مؤيد الدين محمد بن العلقمي، في ثامن ربيع الأول، عوضاً عن نصير الدين أبي الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن العاقد.

وفيها استولي التتر على شهر زور.

وفيها بلغ الأردب القمح بمصر أربعمائة درهم نقرة.

سنة ثالث وأربعين وستمائة

فيها كثرت محاربة ابن شيخ الشيوخ لأهل دمشق ومضايقته للبلد إلى أن أحرق قصر حجاج في ثاني محرم، ورمي بالمجانيق وألح بالقتال.

فأحرق الصالح إسماعيل في ثالثه عدة مواضع، ونهبت أموال الناس، وجرت شدائد إلى أن أهل شهر ربيع الأول، ففيه خرج المنصور صاحب حمص من دمشق، وتحدث معه بركة خان مقدم الخوارزمية في الصفح، وعاد إلى دمشق فأرسل الوزير أمين الدولة كمال الدين أبو الحسن بن غزال المعروف بالسامري إلى الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، يسأله الأمان ليجتمع به، فبعث إليه بقميص وفرجية وعمامة ومنديل، فلبس ذلك وخرج ليلاً، لأيام مضت من جمادى الأولى، فتحادثا ورجع إلى دمشق، ثم خرج في ليلة أخرى، وقرر أن الصالح إسماعيل يسلم دمشق، على أن يخرج منها هو والمنصور بأموالهم، ولا يعرض لأحد من أصحابهم ولا لشيء مما معهم، وأن يعوض الصالح عن دمشق ببعلبك وبصرى وأعمالها، وجميع بلاد السواد، وأن يكون للمنصور حمص وتدمر والرحبة، فأجاب أمين الدولة إلى ذلك، وحلف الصاحب معين الدين لهم، فخرج الصالح إسماعيل والمنصور من دمشق.

ودخل الصاحب معين الدين في يوم الاثنين ثامن جمادى الأولى، ومنع الخوارزمية من دخول دمشق ودبر الأمير أحسن تدبير، وأقطع الخوارزمية الساحل بمناشير كتبها لهم، ونزل في البلد، وتسلم الطواشي شهاب الدين رشيد القلعة، وخطب بها وبجامع دمشق وعامة أعمالها للملك الصالح نجم الدين، وسلم أيضاً الأمير سيف الدين علي بن قلج قلعة عجلون لأصحاب الملك الصالح، وقدم إلى دمشق، فلما وردت الأخبار بذلك على السلطان أنكر على الطواشي شهاب الدين والأمراء كيف مكنوا الصالح إسماعيل من بعلبك، وقال: إن معين الدين حلف له، وأما أنتم فما خلفتم، وأمر الملك الصالح نجم الدين أن يسير ركن الهيجاوي، والوزير أمين الدولة السامري، تحت الحوطة إلى قلعة الروضة، فسيرا من دمشق إلى مصر، واعتقلا بقلعة الجبل فاتفق مرض الصاحب معين الدين ووفاته بدمشق، في ثاني عشري شهر رمضان، فكتب السلطان إلى الأمير حسام بن أبي علي الهذباني، وهو بنابلس، أن يسير إلى دمشق ويتسلمها، فسار إليها وصار نائباً بدمشق، والطواشي رشيد بالقلعة، وأفرج السلطان عن الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ -وكان قد لزم بيته - وخلع عليه وأمره وقدمه، وبالغ في الإحسان إليه، وكان لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره.

وأما الخوارزمية، فإنهم ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد، فلما منعوا من دمشق، وصاروا في الساحل وغيره من برد الشام، تغيرت نياتهم، واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان،

وساروا إلى داريا وانتهبوها، وكاتبوا الأمير ركن الدين بيبرس وهو على غزة بعسكر جيد من عساكر مصر، وحسنوا له أن يكون معهم يداً واحدة ويزوجوه منهم، فمال إليهم، وكاتبوا الناصر داود صاحب الكرك، فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم، وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبي علي، من نابلس والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار.

وخاف الصالح إسماعيل، فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم، فحلفوا له على القيام بنصرته، ونازلوا دمشق، فقام الأمير حسام الدين بن أبي علي بحفظ البلد أحسن قيام، وألح الخوارزمية -ومعهم الصالح إسماعيل - في القتال ونهب الأعمال، وضايقوا دمشق، وقطعوا عنها الميرة، فاشتد الغلاء بها، وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة، ومات كثير من الناس جوعاً، وباع شخص داراً قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسمائة درهم اشتري بها غرارة قمح، فقامت عليه في الحقيقة بعشرة آلاف درهم، وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، واللحم كل رطل بسبعة دراهم، ثم عدمت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطط والكلاب والميتات، ومات شخص بالسجن، فأكله أهل السجن، وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى، لعجز الناس عن مواراة موتاهم، ولم تنقطع مع هذا الخمور والفسوق من بين الناس.
وأخذ الملك الصالح نجم الدين مع ذلك في أعمال الحيل والتدبير، وما زال بالمنصور إبراهيم صاحب حمص حتى مال إليه، واتفق أيضاً مع الحلبيين على محاربة الخوارزمية، فخرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بعساكر مصر، ونزل العباسة، فوافاه بها رسل الخليفة، وهما الملك محمد ابن وجه السبع، وجمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن الجوزي في آخر شوال، ومعهما التقليد والتشريف الأسود :وهو عمامة سوداء وجبة وطوق ذهب، وفرس بمركوب بحلية ذهب، فنصب المنبر، وصعد عليه جمال الدين عبد الرحمن محيي الدين بن الجوزي الرسول، وقرأ التقليد بالدهليز السلطاني، والسلطان قائم على قدميه، حتى فرغ من القراءة، ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتي، فكان يوماً مشهوداً. وكان قد حضر أيضاً من عند الخليفة تشريف باسم الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، فوجد أنه قد مات، فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلبسه.
فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر، ومسير الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص بعساكر حلب، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور. فوجد أهل دمشق برحيلهم فرجاً، ووصلت إليهم الميرة، وانحل السعر.

سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضي نجم الدين محمد بن سالم النابلسي، المعروف بابن قاضي نابلس -وكان متقدماً عنده - إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس، فما زال يخدعه ويمنيه، حتى فارق الخوارزمية، وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، وكان آخر العهد به.
وفيها عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام، وكثر نهبهم للبلاد، وسفكهم للدماء وانتهاكهم للحرمات، والتقوا مع الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وعساكر حلب، وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان، نصرة للملك

الصالح نجم الدين، وذلك بظاهر حمص أول يوم من المحرم، وقيل ثانيه فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة، تبدد منها شملهم، ولم يقم لهم بعدها قائمة وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران، وأسر كثير منهم واتصل من فر منهم بالتتار، وفيهم من مضى إلى البلقاي وخدم الملك الناصر داود صاحب الكرك، فتزوج الناصر منهم، واختص بهم، وقويت شوكته وسار بعضهم إلى نابلس، فاستولوا عليها، ووصل بعض من كان معهم ممن انهزم إلى حران، ولحق أيبك المعظمي بقلعة صرخد وامتنع بها، وسار الصالح إسماعيل إلى حلب في عدة من الخوارزمية، فأنزله الملك الناصر صاحب حلب وأكرمه، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية ووردت البشرى بهذه الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في المحرم، فزينت القاهرة ومصر والقلعتان.

وسار الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني من دمشق، واستولى على بعلبك بغير حرب في رجب، وحمل منها الملك المنصور نور الدين محمود بن الملك الصالح إسماعيل، وأخذه الملك السعيد عبد الملك إلى الديار المصرية تحت الاحتياط، فاعتقلوا وزينت القاهرة لفتح بعلبك زينة عظيمة، هي ومصر، وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن موقعاً من أخذه لدمشق، حنقا منه على عمه الصالح إسماعيل، وانصلحت الحال بين السلطان وبين المنصور صاحب حمص والناصر صاحب حلب، واتفقت الكلمة وبعث السلطان إلى حلب يطلب تسليم الصالح إسماعيل، فلم يجب إلى تسليمه وأخرج السلطان عسكراً كبيراً، قدم عليه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وسيره لمحاربة الكرك، فسار إلى غزة، وأوقع بالخوارزمية، ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت، وكسرهم وبدد شمالهم، وفر الناصر إلى الكرك في عدة.
وكانت الكسرة على الصلت في سابع عشري ربيع الآخر، وسار فخر الدين عنها بعد ما حرقها واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولي عليها النواب ونازل فخر الدين الكرك، وخرب ما حولها، واستولى على البلقاء، وأضعف الناصر حتى سأله الأمان، فبعث فخر الدين يطلب منه من عنده من الخوارزمية، فسيرهم الناصر إليه، فسار عن الكرك وهم في خدمته ثم نازل فخر الدين بصرى، حتى أشرد على أخذها، فنزل به مرض أشفى منه على الموت وحمل في محفة إلى القاهرة، وبقي العسكر حتى استولوا عليها، وقدم المنصور إبراهيم صاحب حمص إلى دمشق منتمياً إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فنزل به مرض مات به في صفر، فحزن عليه السلطان حزناً كثيراً، لأنه كان يتوقع وصوله إليه فقام من بعده بحمص ابنه الأشرف مظفر الدين موسى.
وفيها تسلم الملك الصالح نجم الدين عجلون، بوصية صاحبها سيف الدين بن قلج عند موته. وفيها سير الصاحب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح إلى دمشق وزيراً وأميراً، وأنعم عليه بسبعين فارساً بدمشق، وصرف الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني عن نيابة دمشق، وولى مكانه الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وأقر الطواشي شهاب الدين بالقلعة على حاله، فلما دخل ابن مطروح إلى دمشق خرج منها الأمير حسام الدين، وسار إلى القاهرة، فلما قدم على السلطان، وهو بقلعة الجبل، أقره في نيابة السلطنة بديار مصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة.
وخرج السلطان بالعساكر في شوال يريد دمشق من قلعة الجبل، واستناب بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي علي، فدخل إلى دمشق في سابع عشر ذي القعدة، وكان دخوله يوماً مشهوداً، فأحسن إلى الناس، وخلع

على الأعيان، وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم، وسار بعد خمسة عشر يوماً إلى بعلبك، فرتب أحوالها، وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم، وسار إلى بصرى، وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير شهاب الدين غازي، تائب الملك الصالح إسماعيل، فتصدق على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم وجهز السلطان الأمير ناصر الدين القيمري، والصاحب الدين بن مطروح، إلى صلخد وبها الأمير عز الدين أيبك المعظمي، فمازالا به حتى سلم صلخد، وسار إلى مصر، وتصدق السلطان في القدس بألفي دينار مصرية، وأمر بذرع سور القدس، فكاد ذراعه ستة آلاف ذراع بالهاشمي، فأمر بصرف مغل القدس في عمارته، وإن احتاج إلى زيادة حملت من مصر. وفيها سار الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بعسكر إلى طبرية، فنازلها حتى أخذها من يد الفرنج، وهدم الحصون.

وفيها مات الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد خنقا، بقلعة الجبل. وقيل كان خنقه قبل هذه السنة، وقيل بل كان في ستة خمس وأربعين، والقول الثاني أثبت. وسبب قتله أنه كان معتقلاً في برج العافية من قلعة الجبل، فلما عزم السلطان على المسير إلى الشام، بعث يأمره أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ليعتقل بها، فامتنع من ذلك، فبعث السلطان إليه من خنقه، وأشاع أنه مات، ثم ظهر أمره وأخرج ابنه المغيث عمر إلى الشوبك، فاعتقل بها، ولما مات العادل دفن خارج باب النصر، ولم يجسر أحد يبكي عليه ولا يذكره، وترك العادل ولداً يقال له الملك المغيث عمر، أنزل إلى القاهرة عند عماته، ثم أخرج إلى الشوبك. وكان عمر العادل يوم مات نحو ثلاثين سنة، وأقام مسجوناً نحو ثماني سنين .وفيها وقع الاختلاف بين الفرنج.

سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها عاد السلطان الملك الصالح من دمشق إلى ديار مصر، بعد ما أخذ عسقلان وخربها في جمادى الآخرة، وبعد أن تسلم أيضاً قلعة بارزين من عمل حماة، في رمضان، وفي عوده إلى مصر عرض له -وهو بالرمل - وجع في حلقه، أشفى منه على الموت، ثم عوفي ودخل إلى قلعته سالماً، وزينت البلدان والقلعتان فرحاً به وكتب السلطان إلى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن يشر من بلاد الفرنج بالساحل إلى دمشق، فسار إليهما بمن معه من العسكر،، وأنعم على من بها من الأمراء وغيرهم، وخلع عليهم، وأخذت عسقلان، يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة بعساكر السلطان.

وفيها تسلم نواب السلطان قلعة الصبيبة وحضر إلى حلب من حماة الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري، والأمير مجاهد الدين أمير جاندار، لإحضار سيدة الخواتين عصمة الدنيا والدين عائشة خاتون، ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب فسارت ومعها أمها الستر الرفيع فاطمة خاتون، ابنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، في رمضان وهي في تجمل زائد، ومحفتها ملبسة ثوب حرير بذهب مكلل بالجواهر فتلقاها زوجها الملك المنصور صاحب حماة.

وفيها حكر الناس البستان الكافوري بالقاهرة، وعمروا فيه الدور.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك المعظمي بدمشق، وحمل إلى القاهرة تحت الحوطة، فاعتقل بها في دار صواب ورافعه ولده أن الذي حمله من صلخد كان مبلغ ثمانين خرجا أودعها، فلما بلغه ذلك سقط إلى الأرض،

وقال: هذا آخر العهد بالدنيا، ولم يتكلم بعدها حتى مات.
وفيها سار السلطان من قلعة الجبل، ونزل بقصره في أشموم طناح.
وفيها خنق الملك العادل أبو بكر بن محمد الكامل، في ثاني عشر شوال.

سنة ستة وأربعين وستمائة

فيها كتب السلطان من أشموم طناح إلى نائبه بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي علي، أن يرحل بالحلقة السلطانية والدهليز السلطاني إلى دمشق، وأقام السلطان بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير الجواد جمال الدين، وأبا الفتح موسى بن يغمور بن جلدك. فسار الأمير حسام الدين، ونزل بالقصور التي أنشأها السلطان الملك الصالح أيوب، وجعلها مدينة بالسانح في أول الرمل، وجعل فيها سوقاً جامعاً، ليكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل، وسماها الصالحية. وأقام حسام الدين بالصالحية مقام السلطان، وطال مقامه بها نحو أربعة أشهر، ثم سار ليحرك الملك الأشرف صاحب حمص، فإن الأخبار وردت بمسير عساكر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ الأسيفي، والملك الصالح إسماعيل، لأخذ حمص. فلم يدركه حسام الدين، وسلم الأشرف حمص، وصارت للناصر صاحب حلب، وتعوض الأشرف عن حمص تل باشر.
فلما بلغ السلطان ذلك عاد من أكوم طناح إلى القاهرة، وخرج منها إلى عسكره بالصالحية، وسار في محفة لما به من المرض، بسبب ورم مأبضه وكان قد اشتد به حتى حصل منه ناصور. وحدث قرحة في الصدر، إلا أن همته كانت قوية، فلم يلق نفسه وسار السلطان إلى دمشق، ونزل بقلعتها.

وبعث السلطان بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، ومعه الأمراء والعساكر، وفيهم الأمير ابن أبي علي الهذباني، إلى حمص، فنازلها ورمى عليها بمنجنيق زنة حجره مائة وأربعون رطلاً، ومعه ثلاثة عشر منجنيقاً آخر، وسخر الناس في حمل هذه المجانيق من دمشق، حتى كان يحمل كل عود ثمنه نحو عشرين درهماً بألف درهم، فإن الوقت كان شتاء صعباً. وألح الأمير فخر الدين في الحصار إلى أن قدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادرائي، رسولاً من الخليفة المستعصم بالله، بالصلح بين الحلبيين وبين السلطان، فتقرر الصلح، ورحل العساكر عن حمص، بعدما أشرف على أخذها.
وقدم من حلب الشيخ شمس الدين الخسروشاهي، فسأل السلطان على لسان الملك الناصر داود صاحب الكرك، أن يسلم الكرك إلى السلطان، ويعتاض عنها بالشوبك، فأجيب الناصر داود إلى ذلك، وتوجه من يتسلم منه الكرك، ثم رجع الناصر عن ذلك، لما بلغه من شدة مرض السلطان، وتحرك الفرنج لأخذ ديار مصر فخرج السلطان من دمشق في محفة، وسار إلى الغور، وقدم الأمير حسام الدين بن أبي علي إلى القاهرة، لينوب عنه بها، واستدعي بالأمير جمال الدين بن يغمور من القاهرة لينوب بدمشق، وعزل الصاحب جمال الدين بن مطروح عن دمشق، وعزل الطواشي شهاب الدين رشيد عن قلعة دمشق، وفوض ما كان بيدهما للأمير جمال الدين بن يغمور.
وفيها احترق المشهد الحسيني بالقاهرة، واحترقت المنارة الشرقية بجامع دمشق. وفيها مات قاضي القضاة أفضل الدين الخونجي، في شهر رمضان، فولي من بعده ابنه قاضي القضاة جمال الدين يحيى.

وفيها مات الملك المظفر شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، صاحب الرها، وقام من بعده ابنه الكامل محمد في سلطة الرها وميافارقين.
وفيها عزل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن الأمير فخر الدين بن الشلاح عن مكة وأعمالها، وولي عوضه محمد بن أحمد بن المسيب، على مال يقوم به، وقود عدده مائة فرس كل سنة فقدم ابن المسيب مكة، وخرج الأمير فخر الدين فسار بنفسه ابن المسيب، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وأخذ الصدقة الواردة من اليمن، عن مال السلطان وبنى حصناً بنخلة يسمى العطشان وحلف هذيلا لنفسه، ومنع الجند النفقة فوثب عليه الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة، وقيده وأخذ ماله، وقال لأهل الحرم: إنما فعلت به هذا لأني تحققت أنه يريد الفرار بالمال إلى العراق، وأنا غلام مولانا السلطان والمال عندي محفوظ والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسومه، فلم يكن غير أيام، وورد الخبر بموت السلطان نور الدين عمر بن رسول.

سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها قدم السلطان من دمشق، وهو مريض في محفة، لما بلغه من حركة الفرنج. فنزل بأشموم طناح في المحرم، وجمع في دمياط من الأقوات والأسلحة شيئاً كثيراً، وبعث إلى الأمير حسام الدين بن أبي على نائبه بالقاهرة، أن يجهز الشواني من صناعة مصر، فشرع في تجهيزها، وسيرها شيئاً بعد شيء. وأمر السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن ينزل على جيزة دمياط بالعساكر ليصير في مقابلة الفرنج إذا قدموا فتحول الأمير فخر الدين بالعساكر، فنزل بالجيزة تجاه دمياط، وصار النيل بينه وبينها، ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه، ونودي في مصر: من كان له على السلطان أو عنده له شيء، فليحضر ليأخذ حقه، فطلع الناس وأخذوا ما كان لهم.

وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفر: وصلت مراكب الفرنج البحرية، وفيها جموعهم العظيمة صحبة ريدافرنس -ويقال له الفرنسيس، واسمه لويس ابن لويس. وريدافرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرنس - وقد انضم إليهم فرنج الساحل كله، فأرسوا في البحر بازاء المسلمين. وسير ملك الفرنج إلى السلطان كتاباً، نصه بعد كلمة كفرهم :أما بعد فإنه لم يخف عنك أني أمين الأمة العيسوية، كما أني أقول أنك أمين الأمة المحمدية. وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر ولقتل منهم الرجل ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، ونجلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الأيمان، ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان، ما ردني ذلك عن الوصول إليك وقتلك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي، وإن كانت البلاد لك والغلبة علي، فيدك العليا ممتدة إلي. وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضاء.
فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرئ عليه، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع. فكتب الجواب بخط القاضي بهاء الدين زهير بن محمد، كاتب الإنشاء، ونسخته بعد البسملة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين :أما بعد فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك. فنحن أرباب

السيوف، وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه. فلو رأت عيناك- أيها المغرور - حد سيوفنا وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، وأخرابنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، ولابد أن تزل بك القدم، في يوم أوله لنا و آخره عليك. فهنالك تسيء بك الظنون، "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه"، وكن على آخر سورة ص: "ولتعلمن نبأه بعد حين" ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين: كم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين"، وإلى قول الحكماء: إن الباغي له مصرع وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يقلبك، والسلام.

وفي يوم السبت: نزل الفرنج في البر الذي عسكر المسلمين فيه، وضربت للملك ريدافرنس خيمة حمراء. فناوشهم المسلمون الحرب، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام وكان رجلاً صالحاً، ورتبه الملك داود مع الملك الصالح نجم الدين لما سجن بالكرك، لمؤانسته، وممن استشهد أيضاً الأمير صارم الدين أزبك الوزيري. فلما أمسى الليل رحل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ممن معه من عساكر المسلمين، وقطع بهم الجسر إلى الجانب الشرقي، الذي فيه مدينة دمياط. وخلا البر الغربي للفرنج، وسار فخر الدين بالعسكر يريد أشموم طناح.

فلما رأى أهل دمياط رحيل العسكر، خرجوا كإنما يسحبون على وجوههم طول الليل، ولم يبق بالمدينة أحد البتة، وصارت دمياط فارغة من الناس جملة. وفروا إلى أكوم مع العسكر، وهم حفاة عراة جياع فقراء حيارى بمن معهم من الأطفال النساء وساروا إلى القاهرة، فنهبهم الناس في الطريق، ولم يبق لهم ما يعيشون به فعدت هذه الفعلة من الأمير فخر الدين من أقبح ما يشنع به. وقد كانت دمياط في أيام لملك الكامل، لما نازلها الفرنج، أقل ذخائر وعدداً منها في هذه النوبة، ومع ذلك لم قدر الفرنج على أخذها إلا بعد سنة، عندما فني أهلها بالوباء والجوع، وكان فيها هذه المرة أيضاً جماعة من شجعان بني كنانة، فلم يغن ذلك شيئاً.

وأصبح الفرنج يوم الأحد لسبع بقين من صفر، سائرين إلى مدينة دمياط .فعندما رأوا أبوابها مفتحة ولا أحد يحميها، خشوا أن تكون مكيدة، فتمهلوا حتى ظهر أن ناس قد فروا وتركوها. فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار، واستولوا على ما فيها من الآلات الحربية، والأسلحة العظيمة والعدد الكثيرة، والأقوات والأزواد والذخائر، والأموال والأمتعة وغير ذلك، صفواً عفواً.

وبلغ ذلك أهل القاهرة ومصر، فأنزعج الناس انزعاجاً عظيماً، ويئسوا من بقاء كلمة الإسلام بديار مصر. لتملك الفرنج مدينة دمياط، وهزيمة العساكر، وقوة الفرنج بما صار إليهم من الأموال والأزواد والأسلحة، والحصن الجليل الذي لا يقدر على أخذه بقوة، مع شدة مرض السلطان، وعدم حركته.

وعندما وصلت العساكر إلى أشموم طناح، ومعهم أهل دمياط، اشتد حنق السلطان على الكنانيين، وأمر بشنقهم، فقالوا: وما ذنبنا إذا كانت عساكره جميعهم وأمراؤه هربوا، وأحرقوا الزردخاناه، فأي شيء لعمل نحن؟ فشنقوا لكونهم خرجوا من المدينة بغير إذن، حتى تسلمها الفرنج، فكانت عدة من شنق زيادة على خمسين أميراً من الكنانيين. وكان فيهم أمير حشيم، وله ابن جميل الصورة. فقال أبوه: بالله اشنقوني قبل ابني. فقال السلطان: لا بل اشنقوه قبل أبيه. فشنق الابن، ثم شنق الأب من بعده، بعد أن استفتى السلطان الفقهاء فأفتوا

بقتلهم.

وتغير السلطان على الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وقال: أما قدرتم تقفون ساعة بين يدي الفرنج. هذا وما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين. وكان الوقت لا يسع إلا الصبر والتغاضي، وقامت الشناعة من كل أحد على الأمير فخر الدين، فخاف كثير من الأمراء وغيرهم سطوة السلطان، وهموا بقتله، فأشار عليهم فخر الدين بالصبر، حتى يتبين أمر السلطان: فإنه على خطة، وإن مات كانت الراحة منه، وإلا فهو بين أيديكم.

ولما وقع ما ذكر السلطان بالرحيل إلى المنصورة، وحمل في حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر، فشرع كل أحد من العسكر في تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة، ونصبت بالأسواق، وأبراج السور الذي على البحر وستر بالستائر. وقدمت الشواني المصرية بالعدد الكاملة والرجالة، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد، من كل النواحي، ووصلت عربان كثيرة جداً، وأخذوا في الغارة على الفرنج ومناوشتهم. وحصن الفرنج أسوار دمياط، وشحنوها بالمقاتلة.

فلما كان يوم الاثنين سلخ شهر ربيع الأول: وصل إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيراً، منهم فارسان، وفي خامس شهر ربيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيراً، وفي سابعه وصل اثنان وعشرون أسيراً، وفي سادس عشره وصل خمسة وأربعون أسيراً، منهم ثلاثة من الخيالة. ولما بلغ أهل دمشق أخذ الفرنج لمدينة دمياط ساروا منها، وأخذوا صيداء من الفرنج، بعد حصار وقتال فورد الخبر بذلك لخمس بقين من شهر ربيع الآخر، فسر الناس بذلك.

هذا والأسرى من الفرنج تصل في كل قليل إلى القاهرة، ووصل في ثامن عشر جمادى الأولى خمسون أسيراً.

ومع ذلك والمرض يتزايد بالسلطان، وقواه خط، حتى وقع بأمر الأطباء من برئه وعافيته، لاجتماع مرضين عظيمين، هما الجراحة الناصورية في مأبضه والسل.

وأما الناصر داود صاحب الكرك فإنه لما ضاقت به الأمور استخلف ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى، وأخذ معه جواهره، وسار في البر إلى حلب مستجيراً بالملك الناصر يوسف بن الملك العزيز فأنزله وأكرمه وسير الناصر بجواهره إلى الخليفة المستعصم بالله، لتكون عنده وديعة، فقبض الخليفة ذلك، وسير إليه الخط بقبضه وأراد الناصر بذلك أن يكون الجوهر في مأمن، فإذا احتاج إليه طلبه، وكانت قيمته ما ينيف على مائة ألف دينار. فحنق ولدا الناصر -وهما الملك الظاهر شادي والملك الأمجد حسن - على أبيهما، لكونه قدم عليهما المعظم، وقبضا على المعظم، واستوليا على الكرك وأقام الملك -الظاهر شادي وهو أسن اخوته - بالكرك وسار الملك الأمجد حسن إلى الملك الصالح نجم الدين، فوصل إلى العسكر بالمنصورة، يوم السبت لتسع مضين من جمادى الآخرة، وبشره بأنه هو وأخوه الظاهر أخذا الكرك له، وسأله في خبز بديار مصر يقوم بهما. فأكرمه السلطان، وأعطاه مالاً كثيراً، وسير الطواشي بدر الدين الصوابي إلى الكرك نائباً بها وبالشوبك، فتسلمها بدر الدين، وسير أولاد الناصر داود جميعهم، وأخويه الملك القاهر عبد الملك، والملك المغيث عبد العزيز، ونساءهم وعيالاتهم كلها. إلى المعسكر بالمنصورة، فأقطعهم السلطان إقطاعاً جليلاً، ورتب لهم الرواتب، وأنزل أولاد الناصر في الجانب الغربي قبالة المنصورة.

وكان استيلاء نائب السلطان على الكرك يوم الاثنين، لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة، وسر السلطان بأخذ الكرك سروراً عظيماً، وأمر فزينت القاهرة ومصر، وضربت البشائر بالقلعتين، وجهز السلطان إلى الكرك ألف ألف دينار مصرية، وجواهر وذخائر وأسلحة، وشيئاً كثيراً مما يعز عليه.

وفي ثالث عشر شهر رجب: وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أميراً من الفرنج، وأحد عشر فارساً منهم، وظفر المسلمون بعد أيام بمسطح للفرنج في البحر، فيه مقاتلة، بالقرب من نستراوة.

فلما كان ليلة الاثنين نصف شعبان: مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة، وهو في مقابلة الفرنج، عن أربع وأربعين سنة، بعدما عهد لولده الملك المعظم تورانشاه، وحلف له فخر الدين بن الشيخ ومحسن الطواشي، ومن يثق به، وبعدما علم قبل موته عشرة آلاف علامة. يستعان بها في المكاتبات على كتمان موته، حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا وكانت أم السلطان الملك الصالح أم ولد، اسمها ورد المنى. وكانت مدة ملكه بمصر عشر سنين إلا خمسين يوماً، فغسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه، لكي يخفى موته. وحمل في تابوت إلى قلعة الروضة، وأخفى موته، فلم يشتهر إلى ثاني عشري رمضان، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة.

والملك الصالح هو الذي أنشأ المماليك البحرية بديار مصر: وذلك أنه لما مر به ما تقدم ذكره، في الليلة التي زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه، رعي لهم ذلك .فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه، واعتقلهم وقطع أخبازهم، وأعطى مماليكه الإمريات، فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل.

وكان ملكا شجاعاً حازماً مهيباً، لشدة سطوته وفخامة، مع عزة النفس وعلو الهمة، وكثرة الحياء والعفة وطهارة الفيل عن الخنا، وصيانة اللسان من الفحش في القول، والإعراض عن الهزل والعبث بالكلية، وشدة الوقار ولزوم الصمت، حتى أنه كان إذا خرج من عند حرمه إلى مماليكه، أخذهم الرعدة عندما يشاهدونه - خوفاً منه - ولا يبقى أحد منهم مع أحد. وكان إذا جلس مع ندمائه كان صامتاً، لا يستفزه الطرب ولا يتحرك، وجلساؤه كأنما على رءوسهم الطير. وإذا تكلم مع أحد من خواصه، كان ما يقوله كلمات نزرة وهو في غاية الوقار، وتلك الكلمات لا تكون إلا في مهم عظيم، من استشارة أو تقدم بأمر من الأمور المهمة، لا يعدو حديثه قط هذا النحو، ولا يجسر أحد يتكلم بين يديه إلا جواباً. وما عرف أبداً عن أحد من خواصه أن تكلم في مجلسه ابتداء البتة، ولا أنه جسر على شفاعة ولا مشورة ولا ذكر نصيحة، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان، فإذا انفرد بنفسه لا يدنو منه أحد. وكانت القصص ترد إليه مع الخدام فيوقع عليها، ويخرج بها الخدام إلى كاتب الإنشاء، ولا يستقل أحد من أرباب الدولة بانفراد بأمر، بل يراجع القصص مع الخدام. ومع هذه الشهامة والمهابة لا يرفع بصره إلى من يحادثه، حياء منه وخفراً، ولم يسمع منه قط في حق أحد من خدمه لفظة فحش، وأكثر ما يقول إذا شتم أحداً: متخلف، ولا يزيد على هذه الكلمة، ولا عرف قط من النكاح سوى زوجته وجواريه.

وكانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة، إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع بلغ من كبره وترفعه أن ابنه الملك المغيث عمر، لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده، لم يسأله فيه ولا طلبه منه، حتى مات في حبسه.

وكان يحب جمع المال، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل، إلى أن أخذ منها مالاً عظيماً وجواهر نفيسة. وقيل السلطان الملك الصالح أيوب أخاه الملك العادل، ومن حين قتله ما انتفع بالحياة لا تمنى بها: فنزل به المرض، وطرقه الفرنج، وقبض على جميع أمراء الدولة، وأخذ أموالهم وذخائرهم. ومات في حبوسه ما ينيف على خمسة آلاف نفس، سوى من قتل غرق من الأشرفية في البحر ولم يكن له مع ذلك ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب، إلا أنه كان يجري على أهل العلم والصلاح المعاليم والجرايات، من غير أن يخالطهم. لم يخالط غيرهم. لمحبته في العزلة ورغبته في الانفراد، وملازمته للصمت ومداومته على الوقار والسكون.

وكان يحب العمارة ويباشر الأبنية بنفسه، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب: فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر، وأنفق فيها أموالاً جمة، وهدم كنيسة كانت هناك لليعاقبة من النصارى، وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك -وقيل ثمانمائة - سماهم البحرية وكان الماء حينئذ لا يحيط بها. فلم يزل يغرق السفن، ويرمي الحجارة فيما بين الجيزة والروضة، إلى أن صار الماء في طول السنة محيطاً الروضة وأقام جسراً من مصر إلى الروضة، يمر عليه الأمراء. وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة، و لم يكن أحد يمر على هذا الجسر راكباً، احتراماً للسلطان فجاءت هذه القلعة من أجل مباني الملوك وبني أيضاً على النيل بناحية اللوق قصوراً بلغت الغاية في الحسن، جعلها إلى جانب ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة، وكان مغرم بلعبها وبني قصراً عظيماً فيما بين القاهرة ومصر، سماه الكبش، على الجبل بجوار جامع ابن طولون. وبني قصراً بالقرب من العلاقمة في أرض السانح، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية، فيها جامع وسوق، لتكون مركزاً للعساكر بأول الرمل الذي بين الشام ومصر.

وكان له من الأولاد الملك المغيث فتح الدين عمر، وهو أكبر أولاده، مات في سجن قلعة دمشق، والملك المعظم غياث الدين تورانشاه، وملك مصر بعده، والملك القاهر، ومات في حياته أيضاً وولد له أيضاً من شجر الدر ولد سماه خليلاً، مات صغيراً.

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية -وفسد مخرجه، وامتد الجرح إلى فخذه اليمين، وأكل جسمه - اجتهد في مداواتها، وحدث له مرض السل من غير أن يفطن به. فورد كتابه إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالقاهرة: إن الجراحة قد صلحت وجفت رطوباتها، ولم يبق إلا ركوبي ولعبي بالصولجة، فتأخذ حظك من هذه البشرى. وفي الحقيقة لم تجف الجراحة إلا لفراغ المواد، وتزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات.

وقيل إنه لم يعهد إلى أحد بالملك، بل قال للأمير حسام الدين بن أبي علي: إذا مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم بالله، ليرى فيها رأيه، فإنه كان يعرف ما في ولده المعظم تورانشاه من الهوج فلما مات السلطان أحضرت زوجته شجر الدر الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والطواشي جمال الدين محسن -وكان أقرب الناس إلى السلطان، وإليه القيام بأمر مماليكه وحاشيته - وأعلمتهما بموت السلطان، ووصتهما بكتمان موته، خوفاً من الفرنج. وكان الأمير فخر الدين عاقلاً مدبراً، خليقاً بالملك، جواداً محبوباً إلى الناس، فاتفقا مع شجر الدر على القيام بتدبر المملكة، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه، فأحضرت شجر الدر الأمراء الذين بالمعسكر، وقالت لهم: إن السلطان قد رسم بأن تحلفوا له، ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا أن يكون سلطاناً بعده، وللأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بالتقدمة على العساكر والقيام

بالأتابكية وتدبير المملكة، فقالوا كلهم سمعاً وطاعة، ظناً أن السلطان حي، وحلفوا بأسرهم، وحلفوا سائر الأجناد والمماليك السلطانية.

وكتب على لسان السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني بالقاهرة، أن يحلف أكابر الدولة وأجنادها بالقاهرة، فحضر إلى دار الوزارة قاضي القضاء بدر الدين يوسف بن الحسن قاضي سنجار، والقاضي بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الإنشاء -وكان الملك الصالح قد أبعده لأمر نقمه عليه - وحلفا من حضر من الأعيان على ما تقدم ذكره، وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشر شعبان. واستدعى القاضي بهاء الدين زهير من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة.

وقام الأمير فخر الدين بتدبير المملكة، واقطع البلاد بمناشيره، وأعاد إليها زهيراً إلى منصبه فكانت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، فقيل إنها كانت بخط خادم يقال له سهيل، ولا يشك من رآه أنه خط السلطان ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطة محق، إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة، يخالف علامة السلطان ففحص عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر حتى عرف موته، فاشتد خوفه من الأمير فخر الدين، وخشي أن يتغلب على الملك، فاحتاط لنفسه.

وأخذ الأمير فخر الدين يطلق المسجونين، ويتصرف في إطلاق الأموال والخلع علم خواص الأمراء، وأطلق السكر والكتان إلى الشام فعلم الناس بموت السلطان من حينئذ غير أن أحداً لا يجسر أن يتفوه به.

وسار من المعسكر الفارس أقطاي، وهو يومئذ رأس المماليك البحرية، لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا، وبعث الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي، نائب السلطنة بالقاهرة، من عنده قاصداً من قبله أيضاً. فلما كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان، أمر الأمير حسام الدين الخطباء بأن يدعوا يوم الجمعة للملك المعظم، بعد الدعاء لأبيه، وأن ينقش اسمه على السكة، بعد اسم أبيه وتوهم الأمير حسام الدين من الأمير فخر الدين أن يقيم الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل، ويستولي على الأمر، فنقله من عند عمات أبيه بنات الملك العادل أبي بكر بن أيوب، من القاهرة إلى قلعة الجبل، ووكل به من يحتاط عليه، ولا يسلمه لأحد.

هذا والمكاتبات ترد من الأمير فخر الدين، وعنوانها من فخر الدين الخادم يوسف فيجيب عنها الأمير حسام الدين، ويجعل العنوان المملوك أبو علي، فيتجاملان في ظاهر الأمر، وأما في الباطن فإن الأمير فخر الدين أخذ في الاستبداد والاستقلال بالمملكة، واختص بالصاحب جمال بن مطروح، وبالقاضي بهاء الدين زهيرة وصار يركب في موكب عظيم، وجميع الأمراء في خدمته، ويترجلون له عند النزول ويحضرون سماطه.

ووصل قاصد الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا، وطالع الملك المعظم بأن المصلحة في السرعة، ومتى تأخر فات الفوت، وتغلب الأمير فخر الدين على البلاد، ثم وصل إليه بعد ذلك قصاد فخر الدين وشجر الدر. فخرج المعظم من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان في خمسين فارساً من إلزامه.

وقص عانه ليعدي الفرات، وقد أقام له بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جماعة، وأقام له الحلبيون أيضاً جماعة، يقبضون عليه فنجاه الله منهم وعدى الفرات من عانة، وسلك البرية، فخاطر بنفسه وكاد يهلك من العطش.

هذا وشجر الدر تدبر الأمور حتى لم يتغير شيء، وصار الدهليز السلطاني على حاله، والسماط في كل يوم يمد، والأمراء تحضر الخدمة، وهي تقول: السلطان مريض، ما يصل إليه أحد.

وأما الفرنج فما هم إلا أن فهموا أن السلطان قد مات حتى خرجوا من دمياط، فارسهم وراجلهم، ونزلوا على فارسكور، وشوانيهم في بحر النيل تحاذيهم، ورحلوا من فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب، فيه حض الناس على الجهاد، أوله: "انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"، وكان كتابا بليغاً فيه مواعظ جمة، فقرئ على الناس فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والنحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف. وارتجت القاهرة ومصر، لكثرة انزعاج الناس وحركتهم للمسير، فخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم، وقد اشتد كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوتهم وأخذهم البلاد، مع موت السلطان.

فلما كان يوم الثلاثاء أول يوم من شهر رمضان: واقع الفرنج المسلمين، فاستشهد العلامي أمير مجلس، وجماعة من الأجناد، وقتل من الفرنج عدة ونزل الفرنج بشارمساح.

وفي يوم الاثنين سابعه: نزلوا البرمون، فاشتد الكرب وعظم الخطب، لدنوهم وقربهم من المعسكر. وفي يوم الأحد ثالث عشره وصلوا إلى طرف بر دمياط، ونزلوا تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم. وكان معظم عسكر المسلمين في المنصورة بالبر الشرقي، وفي البر الغربي أولاد الملك الناصر داود صاحب الكرك: وهم الملك الأمجد، والملك الناصر، والملك المعظم، والملك الأوحد، وفي عدة من العسكر وكان أولاد الملك الناصر داود، الأكابر منهم والأصاغر الذين قدموا القاهرة، اثني عشر ولداً ذكراً. وكان بالبر الغربي أيضاً أخو الملك الناصر داود: وهما الملك القاهر عبد الملك، والملك المغيث عبد العزيز، فاستقر الفرنج بمنزلتهم هذه، وخندقوا عليهم خندقاً، وأداروا أسواراً وستروه بالستائر، ونصبوا المجانيق ليرموا بها على معسكر المسلمين، ونزلت شوانيهم بازائهم في بحر النيل، ووقفت شواني المسلمين بازاء المنصورة، ووقع القتال بين الفريقين براً وبحراً.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره: قفز إلى عند المسلمين ستة خيالة، وأخبروا بضائقة الفرنج.

وفي يوم عيد الفطر: أسر كند كبير من الفرنج، له قرابة من الملك ريدافرنس. واستمر القتال، وما من يوم إلا ويقتل من الفرنج ويؤسر، وقد لقوا من عامة المسلمين وسواهم نكاية عظيمة، وتخطفوا منهم وقتلوا كثيراً وكانوا إذا شعروا بالفرنج ألقوا أنفسهم في الماء، وسبحوا إلى أن يصيروا في بر المسلمين. وكانوا يتحيلون في خطفهم بكل حيلة حتى أن شخصاً أخذ بطيخة أدخل فيها رأسه، وغطس في الماء إلى أن قرب من الفرنج فظنوه بطيخة، فما هو إلا أن نزل أحدهم في الماء ليتناولها إذ اختطفه المسلم، وعام به حتى قدم به إلى المسلمين.

وفي يوم الأربعاء سابع شوال :أخذ المسلمون شينيا، فيه نحو مائتي رجل من الفرنج وكند كبير.

وفي يوم الخميس النصف منه: ركب الفرنج والمسلمون، فدخل المسلمون إليهم البر الذي هم فيه، وقاتلوهم قتالاً شديداً، قتل فيه من الفرنج أربعون فارساً، وقتلت خيولهم.

وفي يوم الجمعة تاليه: وصل القاهرة سبعة وستون أسير من الفرنج، منهم ثلاثة من أكابر الداوية.

وفي يوم الخميس ثاني عشريه: أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر، واستظهر عليهم استظهاراً عظيماً.

وما زال الأمر على ذلك إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة، دل بعض منافقي أهل الإسلام الفرنج على مخاض في بحر أشمون، فلم يشعر الناس إلا والفرنج معهم في المعسكر، وكان الأمير فخر الدين في الحمام،

فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على العسكر، فخرج مدهوشاً وركب فرسه في غير اعتداد ولا تحفظ، وساق لينظر الخبر ويأمر الناس بالركوب، وليس معه سوى بعض مماليكه وأجناده فلقيه طلب الفرنج الحاوية وحملوا عليه، ففر من كان معه وتركوه وهو يدافع عن نفسه، فطعنه واحد برمح في جنبه، واعتورته السيوف من كل ناحية. فمات رحمه الله ونزل الفرنج على جديلة، وكانوا ألفاً وأربعمائة فارس ومقدمهم أخو الملك ريدافرنس.

وما هو إلا أن قتل الأمير فخر الدين، وإذا بالفرنج اقتحموا على المنصورة فتفرق الناس وانهزموا يميناً وشمالاً، وكانت الكسرة أن تكون، فإن الملك ريدافرنس وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان إلا أن الله تدارك بلطفه، وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية، التي تعرف بالبحرية والجمدارية، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقداري الذي تسلطن بعد هذه الأيام فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها، وأزاحوهم عن باب القصر فلما ولوا أخذتهم السيوف والدبابيس، حتى قتل منهم في هذه النوبة نحو ألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم .وكانت رجالة الفرنج قد أتوا الجسر ليعدوا منه، فلولا لطف الله لكان الأمر يتم لهم بتعديتهم الجسر. وكانت المعركة بين أزقة المنصورة، فانهزموا إلى جديلة منزلتهم، وقد حال بين الفريقين الليل، وأداروا عليهم سوراً وخندقوا خندقاً. وصارت منهم طائفة في البر الشرقي، ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج.

وعندما هجم الفرنج على المعسكر سرح الطائر بذلك إلى القاهرة، فانزعج الناس انزعاجاً عظيماً، وقدم المنهزمون من السوقة والعسكر، فلم تغلق أبواب القاهرة في ليلة الأربعاء لتوارد المنهزمين.

وفي صبيحة يوم الأربعاء: وقعت البطاقة تبشر بالنصرة على الفرنج، فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل، وكثر فرح الناس وسرورهم وبقي العسكر يدبر أمره شجر الدر، فكانت مدة تدبير الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد موت الملك الصالح لمملكة مصر خمسة وسبعين يوماً، وفي يوم قتله نهب مماليكه وبعض الأمراء داره، وكسروا صناديقه وخزائنه، وأخذوا أمواله وخيوله وأحرقوا داره.

السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه

ابن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي ابن مروان، سار من حصن كيفا إلى دمشق، لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، فنزل عانة في خمسين فارساً من أصحابه، يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة سبع وأربعين، وخرج منها يوم الأحد يريد دمشق على طريق السماوة في البرية فنزل القصير في دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان.

ودخل المعظم تورانشاه من الغد -وهو يوم السبت سلخه - إلى دمشق، ونزل بقلعتها، فكان يوماً مشهوداً وقام الأمير جمال الدين بخدمته، وحلف له الأمراء، وتسلطن في يومئذ. وخلع المعظم على الأمراء وأعطاهم أموالاً جزيلة، بحيث أنه أنفق ما كان في قلعة دمشق، وهو ثلاثمائة ألف دينار. واستدعى من الكرك مالاً آخر حتى أنفقه، وأفرج عمن كان بدمشق في حبس أبيه، وأتته الرسل من حماة وحلب تهنئه بالقدوم.

ولأربع مضين من شوال: سقطت البطائق إلى العسكر والقاهرة، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطته بها فضربت البشائر بالمعسكر وبالقاهرة.

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشريه يريد مصر، بعدما خلع علي الأمير جمال الدين، وأقره على نيابة السلطة بدمشق. وقدم معه القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، وكان مقيماً بدمشق عند الأمير جمال الدين. وقدم معه أيضاً هبة الله بن أبي الزهر بن حشيش الكاتب النصراني وقد وعده السلطان بوزارة مصر، فأسلم وتلقب بالقاضي معين الدين. وسيره السلطان أول يوم من ذي القعدة إلى قلعة الكرك ليحتاط على خزائنها، فأنهى أشغاله بها ولحقه في الرمل، وأسلم على يده هناك.

وعندما تواترت الأخبار في القاهرة بقدوم السلطان، خرج قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فلقيه بغزة وقدم معه وخرج الأمير حسام الدين بن أبي علي نائب السلطان إلى الصالحية، فلقيه بها يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة، ونزل السلطان المعظم تورانشاه في قصر أبيه، ومنه يومئذ أعلن بموت الملك الصالح نجم الدين أيوب ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته، بل كانت الأمور على حالها -والدهليز الصالحي والسماط ومجيء الأمراء للخدمة، على ما كان عليه الحال في أيام حياته، وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها، وتقول: السلطان مريض، ما إليه وصول -فلم يتغير عليها شيء، إلى أن استقر الملك المعظم بالصالحية.

فتسلم السلطان المعظم مملكة مصر، وخلع على الأمير حسام الدين بن أبي علي خلعة سنية، ومنطقة وسيفا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية، وأنشده الشعراء عدة تهاني، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنوا ع من العلوم وكان السلطان المعظم قد مهر في العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله إلى العلم، ويلقي عليه من صغره المسائل المشكلة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها في مجلسه.

ولازم المعظم الاشتغال إلى أن برع، إلا أنه فيه هوج وخفة، مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء.

ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تلبانة، ثم نزل بعدها منزلة ثالثة، وسار منها إلى المنصورة. وقد تلقاه الأمراء المماليك، فنزل في قصر أبيه وجده يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة. فأول ما بدأ أن أخذ مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار، وكثيراً من مخلفه، بدون القيمة، ولم يعط ورثته شيئاً، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار. وأخذ يسب فخر الدين ويقول: أطلق السكر والكتان، وأنفق المال وأطلق المحابيس إيش ترك لي.

وكانت الميرة ترد إلى الفرنج في منزلتهم من دمياط في بحر النيل، فصنع المسلمون عدة مراكب، وحملوها وهي مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة، وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة، وكانت أيام زيادة النيل، فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة، وهذه المراكب مكمنة فيه، خرجت عليها بغتة وقاتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة، فأخذت مراكب الفرنج أخذاً وبيلاً، وكانت اثنتين وخمسين مركباً، وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجي، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات، وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر.

فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء عندهم، وصاروا محصورين لا يطيقون المقام ولا يقدرون على الذهاب، واستضرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم.

وفي أول ذي الحجة: أخذ الفرنج من المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق، ونجا من كان فيها من المسلمين.

وفي ثاني ذي الحجة تقدم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته في نيابة السلطة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين بن الجميزي، الشريف عماد الدين، والقاضي عماد الدين القاسم ابن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نبهان بن محمد بن المقنشع الحموي -قاضي مصر، وكان قد ولي القضاء بعد موت الجمال يحيى، في جمادى الأولى -، وسراج الدين الأرموي فجلس السلطان المعظم معهم وناظرهم.

وفي يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، فالتقت بها شواني المسلمين عند مسجد النصر، فأخذت شواني المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركباً، منها تسع شواني. فاشتد الغلاء عند الفرنج، وشرعوا في مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة، فاجتمع برسلهم الأمير زين الدين أمير جاندار، وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فسألوا أن يسلموا دمياط، ويأخذوا عوضاً عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك.

وفي يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذي الحجة: أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، وخرجت السنة وهم في منزلتهم.

وفي هذه السنة: قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس.

وفيها استولى علي بن قتادة على مكة، في ذي القعدة.

وفيها قتل الشريف شيخة أمير المدينة النبوية، وقام من بعده ابنه عيسى.

وفيها قتل المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف.

وفيها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، في آخر جمادى الآخرة، عن تسع وأربعين سنة. وكان أبو زكريا يحيى قد قام وملك تونس، واستبد بأمرها ودعا لنفسه، وقد ضعف أمر ملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي. فأقام أبو زكريا يحيى على مملكة إفريقية ثلاثاً وعشرين سنة، وامتدت مملكته إلى تلمسان وسجلمامة وسبته، وبايعه أهل إشبيلية وشاطبة والمرية ومالقة وغرناطة، وخلف مالاً جماً، فبويع بعده ابنه محمد المستنصر. وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين، وأما من كان قبله منهم فإنما كانوا عمالاً لبني عبد المؤمن.

وفيها قبض الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة على الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة في آخر شوال، كما تقدم في السنة الخالية، وقام هو بإمرة مكة.

سنة ثمان وأربعين وستمائة

في ليلة الأربعاء ثالث المحرم: رحل الفرنج بأسرهم من منزلتهم يريدون مدينة دمياط، وانحدرت مراكبهم في البحر قبالتهم. فركب المسلمون أقفيتهم، بعد أن عدوا برهم واتبعوهم. فطلع صباح نهار يوم الأربعاء وقد أحاط بهم المسلمون، وبلوا فيهم سيوفهم، واستولوا عليهم قتلاً وأسراً، وكان معظم الحرب في فارسكور، فبلغت عدة القتلى عشرة آلاف في قول المقل، وثلاثين ألفاً في قول المكثر .وأسر من خيالة الفرنج ورجالتهم المقاتلة، وصناعهم وسوقتهم، ما يناهز مائة ألف إنسان، وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة، واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل، وأبلت الطائفة البحرية -لاسيما بيبرس البندقداري - في هذه

النوبة بلاء حسناً، وبان لهم أثر جميل.

والتجأ الملك ريدافرنس -وعدة من أكابر قومه - إلى تل المنية، وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي، ونزلوا على أمانه. وأخذوا إلى المنصورة، فقيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد واعتقل في دار القاضي فخر الدين إبراهيم ابن لقمان كاتب الإنشاء، التي كان ينزل بها من المنصورة ووكل بحفظه الطواشي صبيح المعظمي واعتقل معه أخوه، وأجرى عليه راتب في كل يوم. وتقدم أمر الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطودي -أحد من وصل معه من بلاد الشرق - بقتل الأسرى من الفرنج، وكان سيف الدين يخرج كل ليلة منهم ما بين الثلاثمائة والأربعمائة ويضرب أعناقهم ويرميهم في البحر، حتى فنوا بأجمعهم.

ورحل السلطان من المنصورة، ونزل بفارسكور وضرب بها الدهليز السلطاني، وعمل فيه برجاً من خشب، وأقام على لهوه. وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتاباً بخطه نصه: من ولده تورانشاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، "وما النصر إلا من عند الله"، "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"، "وأما بنعمة ربك فحدث"، "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"، نبشر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تيأسوا من روح الله. ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، تمم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح، وجمعنا العربان والمطوعة وخلقاً لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاربين. وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، فيوحل بهم الخزي والويل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفاً، غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته، وجلاله وعظمته، وذكر كلاماً طويلاً. وبعث المعظم مع الكتاب غفارة الملك الفرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهي أشكرلاط أحمر بفرو سنجاب، فيها بكلة ذهب فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل :

إن غفارة الفرنسيس التي   جاءت حباء لسيد الأمراء

كبياض القرطاس لوناً ولكن   صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر :

أسيد أملاك الزمن بأسرهم   تنجزت من نصر الإله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى   ويلبس أسلاب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم في أبعاد رجال الدولة، فأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها. وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن بن الملك العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب من مصر إلى دمشق، فلما وصل دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله.

وفي يوم الجمعة لخمس من المحرم: ورد إلى القاهرة كتاب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبي علي نائب السلطنة بالقدوم عليه، وأقام بدله في نيابة السلطة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقوش النجيبي ووصل الأمير أبو علي إلى المعسكر، فنزل به مطرح الجانب، بعدما كان عدة الملك الصالح وعمدته، وبعث المعظم إلى شجر الدر

يتهددها، ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كثير، لما بدا منه الهوج والخفة، وكاتبت المماليك البحرية بما فعلته في حقه، من تمهيد الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم المملكة، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها. فأنفوا لها، وحنقوا من أفعال السلطان. وكان السلطان المعظم قد وعد الفارس أقطاي لما أتاه في حصن كيفا بأن يؤمره، فلم يف له بذلك، فتنكر له أقطاي وكتم الشر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكناً.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن السلطان المعظم أعرض عن مماليك أبيه الذين كانوا عنده لمهماته، واطرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه، واختص بجماعته الذين قدموا معه، وولاهم الوظائف السلطانية. وقدم الأراذل: وجعل الطواشي مسروراً -هو خادمه - أستادار السلطان، وأقام صبيحاً -وكان عبداً حبشياً فحلاً - أمير جاندار، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليلة، وأمر أن يصاغ له عصا من ذهب. وأساء السلطان إلى المماليك وتوعدهم، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع، وضرب رءوسها بالسيف حتى تتقطع، ويقول: هكذا أفعل بالبحرية،، ويسمى كل واحد منهم باسمه. واحتجب أكثر من أبيه، مع الانهماك على الفساد بمماليك أبيه، ولم يكونوا يألفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بحظايا أبيه.

وصار مع هذا جميع الحل والعقد، والأمر والنهي لأصحابه الذين قدموا معه، فنفرت قلوب البحرية منه، واتفقوا على قتله، وما هو إلا أن مد السماط بعد نزوله بفارسكور، في يوم الاثنين سادس عشري المحرم، وجلس السلطان على عادته، تقدم إليه واحد من البحرية -وهو بيبرس البندقداري، الذي صار إليه ملك مصر - وضربه بالسيف: فتلقاه المعظم بيده فبانت أصابعه، والتجأ إلى البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور وهو يصيح: من جرحني. قالوا :الحشيشة، فقال: لا والله إلا البحرية! والله لا أبقيت منهم بقية، واستدعى المزين ليداوي يده. فقال البحرية بعضهم لبعض: تمموه وإلا أبادكم، فدخلوا عليه بالسيوف. ففر المعظم إلى أعلى البرج وأغلق بابه، والدم يسيل من يده، فأضرموا النار في البرج، ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج، وتعلق بأذيال الفارس أقطاي، واستجار به فلم يجره، وفر المعظم هارباً إلى البحر، وهو يقول: ما أريد ملكاً، دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطعني ويجيرني، هذا وجميع العسكر واقفون، فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية. وسبحوا خلفه في الماء، وقطعوه بالسيوف قطعاً، حتى مات جريحاً حريقاً غريقاً، وفر أصحابه واختفوا.

وترك المعظم على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخاً، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه، إلى أن شفع فيه رسول الخليفة، فحمل إلى ذلك الجانب وفي فن، فكانت مدة ملكه أحداً وسبعين يوماً. وقيل مرة لأبيه في الإرسال إليه، ليحضر من حصن كيفا إلى مصر، فأبى، وألح عليه الأمير حسام الدين أبو علي في طلب حضوره، فقال: متى حضر إلى هنا قتلته. وكان المباشر لقتله أربعة من مماليك أبيه، وكان الملك الصالح نجم الدين لما أراد أن يقتل أخاه العادل، قال الطواشي محسن: اذهب إلى أخي العادل في الحبس، وخذ معك من المماليك من يخنقه، فعرض محسن ذلك على جماعة من المماليك، وكلهم يمتنع إلا أربعة منهم، فمضى بهم حتى خنقوا العادل. فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه المعظم أقبح قتلة .وروي في النوم الملك الصالح نجم الدين بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه، وهو يقول :

صار للعالم مثله قتلوه شر قتله

لا ولا من كان قبله لم يراعوا فيه إلا

لأقل الناس أكله ستراهم عن قريب

فكان ما يأتي، ذكره من الواقعة بين المصريين والشاميين، بين المعز أيبك والناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف، وهو صاحب حلب وعدم فيها عدة من الأعيان. وبقتل المعظم انقرضت دولة بني أيوب من أرض مصر، وكانت مدهم إحدى وثمانين سنة، وعدة ملوكهم ثمانية، كما مر ذكرهم. فسبحان الباقي، وما سواه يزول.

الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس، وقيل بل أرمنية، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظت عنده بحيث كان لا يفارقها سفراً ولا حضراً. وولدت منه ابنا اسمه خليل، مات وهو صغير. وهذه المرأة شجر الدر، هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، كما تقدم ذكره، اجتمع الأمراء المماليك البحرية، وأعيان الدولة وأهل المشورة، بالدهليز السلطاني، واتفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مملكة مصر، وأن تكون العلامات السلطانية على التواقيع تبرز من قبلها، وأن يكون مقدم العسكر الأمير عز الدين أيبك الزكماني الصالحي أحد البحرية. وحلفوا على ذلك في عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومي من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فأعجبها، وصارت الأمور كلها معقودة بها، والتواقيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها والدة خليل .وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة، ومثاله المستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين، وكان الخطباء يقولون في الدعاء: اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل، وبعضهم يقول، بعد الدعاء للخليفة: واحفظ اللهم الجهة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح.

ولما حلف الأمراء والأجناد واستقرت القاعدة، ندب الأمير حسام الدين -محمد بن أبي علي للكلام مع الملك ريدافرنس في تسليم في دمياط، فجرى بينه وبين الملك مفاوضات ومحاورات ومراجعات، آلت إلى أن وقع الاتفاق على تسليمها من الفرنج، وأن يخلى عنه ليذهب إلى بلاده، بعدما يؤدي نصف ما عليه من المال المقرر. فبعث الملك ريدافرنس إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها، فأبوا وعاودهم مراراً، إلى أن دخل العلم الإسلامي إليها، في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر، ورفع على السور وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق . فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهراً وتسعة أيام.

وأفرج عن الملك ريدافرنس، بعدما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار، وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقي من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة، ممن أسر في هذه الواقعة، ومن أيام العادل والكامل والصالح

وكانت عدقم اثني عشر ألف أسير ومائة أسير وعشر أسارى، وساروا إلى البر الغربي، ثم ركبوا البحر في يوم السبت تاليه، وأقلعوا إلى جهة عكا .فقال الصاحب جمال الدين بن مطروح في ذلك :

مقال نصح من قؤول فصيح   قل للفرنسيس إذا جئته

من قتل عباد يسوع المسيح   آجرك الله على ما جرى

تحسب أن الزمر يا طبل ريح   أتيت مصراً تبتغي ملكها

ضاق به عن ناظرتك الفسيح   فساقك الحين إلى أدهم

بحسن تدبيرك بطن الصريح   وكل أصحابك أودعتهم

إلا قتيل أو أسير جريح   سبعون ألفا لا يرى منهم

لعل عيسى منكم يستريح   ألهمك الله إلى مثلها

فرب غش قد أتى من نصيح   إن يكن الباب بذا راضياً

أنصح من شق لكم أو سطيح   فاتخذوه كاهناً إنه

لأخذ ثأر أو لفعل قبيح   وقل لهم إن أزمعوا عودة

والقيد باق والطواشي صبيح   دار ابن لقمان على حالها

واتفق أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من أيدي المسلمين، عزم على الحركة إلى تونس من بلاد أفريقية، لما كان فيها من المجاعة والموتان. وأرسل يستنفر ملوك النصارى، وبعث إلى البابة خليفة المسيح بزعمهم. فكتب البابة إلى ملوك النصارى بالمسير معه، وأطلق يده في أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء. فأتاه من الملوك الإنكتار، وملك اسكوسنا، وملك ثورل، وملك برشلونة واسمه ريداركون، وجماعة أخر من ملوك النصارى، فاستعد له السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن الأمير أبي زكريا يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر، ملك تونس، وبعث إليه رسله في طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار، فأخذها الفرنسيس ولم يصالحهم، وسار إلى تونس آخر ذي القعدة سنة ثمان وستين وستمائة، ونزل بساحل قرطاجنة في ستة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل. وأقام الفرنسيس هناك ستة أشهر، فقاتله المسلمون- للنصف من محرم سنة تسع وستين - قتالاً شديداً قتل فيه من الفريقين عالم عظيمة وكاد المسلمون أن يغلبوا، فأتاهم الله بالفرج وأصبح ملك الفرنجة ميتاً، فجرت أمور آلت إلى عقد الصلح ومسير النصارى. ومن الغريب أن رجلاً من أهل تونس اسمه أحمد بن إسماعيل الزيات، قال :

فتأهب لما إليه تصير   يا فرنسيس هذه أخت مصر

وطواشيك منكر ونكير   لك فيها دار ابن لقمان قبراً

فكان هذا فألا عليه ومات، وكان ريدافرنس هذا عاقلاً داهياً خبيثاً مفكراً.

ولما استولى المسلمون على دمياط، سارت البشائر إلى القاهرة ومصر وسائر الأعمال، فضربت البشائر وأعلن الناس بالسرور والفرح، وعادت العساكر إلى القاهرة في يوم الخميس تاسع صفر.

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره: خلعت شجر الدر على الأمراء وأرباب الدولة، وأنفقت فيهم الأموال وفي سائر العسكر.

ووصل خبر قتل الملك المعظم وإقامة شجر الدر في السلطنة إلى دمشق، بمسير الخطيب أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الإسعردي، لاستحلاف الأمراء بها. وكان فيها الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة، والأمراء القيمرية، فلم يجيبوه وأخذوا في مغالطته .واستولى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر ابن أيوب على مال مدينة غزة، وصار إلى قلعة الصبيبة فملكها. فلما ورد الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، في يوم الاثنين لثلاث ليلة خلت من صفر، أحيط بداره من القاهرة، وأخذ ما كان له بها .وثار الطواشي بدر الدين لؤلؤ الصوابي الصالحي -نائب الكرك والشوبك، وركب إلى الشوبك، وأخرج الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل الصغير من الحبس، وملكه الكرك والشوبك وأعمالها وحلف له الناس، وقام يدبر أمره لصغر سنه.
وكتب الأمراء القيمرية من دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب، يحذرونه بامتناعهم من الحلف لشجر الدر، ويحثونه على المسير إليهم حتى يملك دمشق. فخرج من حلب في عساكره مستهل شهر ربيع الآخر، ووصل إلى دمشق يوم السبت ثامنه، ونازلها إلى أن كان يوم الاثنين عاشره زحف عليها. ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد وكان القائم بذلك من القيمرية الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي.
فدخلها الناصر صلاح الدين هو وأصحابه بغير قتال، وخلع على الأمراء القيمرية، وعلي الأمير جمال الدين بن يغمور، وقبض على عدة من الأمراء المماليك الصالحية وسجنهم. وملك الناصر صلاح الدين قلعة دمشق، وكان بها مجاهد الدين إبراهيم أخو زين الدين أمير جندار، مسلمها إلى الناصر، وبها من المال مائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم سوى الأثاث. ففرق الناصر جميع ذلك على الملوك والأمراء، وأعطى شمس الدين لؤلؤ من خزائنه عشرة آلاف دينار، وخلعة وفرساً وثلاثمائة ثوب، فرد شمس الدين ذلك، إلا الخلعة والفرس.
وكان الخبر قد ورد إلى قلعة الجبل -في سادس ربيع الآخر - بخروج الناصر من حلب، فجمد الأمراء والمماليك وغيرهم الأيمان لشجر الدر، ولعز الدين أيبك بالتقدمة على العساكر، ودارت النقباء على الأجناد، وأمروهم بالسفر إلى الشام. وفي يوم الأربعاء ثاني عشره رسم أن يسير الأمير أبو علي بالعسكر. وفي رابع عشره ورد الخبر بمنازلة الناصر لدمشق، فوقع الحث على خروج العسكر. وفي حادي عشريه ورد الخبر بأن الناصر ملك دمشق، بتسليم القيمرية البلد له، فقبض على عدة من أمراء مصر الذين ليسوا من الترك ووقع اضطراب كثير في القاهرة، وقبض على القاضي نجم الدين ابن قاضي نابلس، وعدة ممن يتهم بالميل إلى الناصر وتزوج الأمير عز الدين أيبك بشجر الدر، في تاسع عشري شهر ربيع الآخر، وخلعت شجر الدر نفسها من مملكة مصر، ونزلت له عن الملك، فكانت مدة دولتها ثمانين يوماً.

الملك المعز عز الدين أيبك

الجاشنكير التركماني الصالحي

كان تركي الأصل والجنس، فانتقل إلى ملك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من بعض أولاد التركماني، فعرف بين البحرية بأيبك التركماني، وترقي عنده في الخدم، حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكيرا، إلى أن مات الملك الصالح، وقتل بعده ابنه الملك المعظم. فصار أيبك أتابك العساكر، مع شجر الدر، ووصل الخبر بذلك إلى بغداد، فبعث الخليفة المستعصم بالله من بغداد كتاباً إلى مصر، وهو ينكر على الأمراء ويقول لهم: إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً.

واتفق ورود الخبر باستيلاء الملك الناصر على دمشق، فاجتمع الأمراء والبحرية للمشور، واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أيبك مقدم العسكر في السلطنة، ولقوه بالملك المعزة وكان مشهوراً بينهم بدين وكرم وجودة رأي.

فأركبوه في يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر، وحمل الأمراء بين يديه الفاشية نوباً واحداً بعد آخر إلى قلعة الجبل، وجلسوا معه على السماط، ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومصر.

فورد الخبر في يوم الأحد تاليه تسليم الملك المغيث عمر الكرك والشوبك، وبتسلم الملك السعيد قلعة الصبيبة فلما كان بعد ذلك تجمع الأمراء، وقالوا: لابد من إقامة شخص من بيت الملك مع المعز أيبك ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله. فاتفقوا على إقامة الملك شرف مظفر الدين موسى بن الملك المسعود - ويقال له الناصر صلاح الدين -يوسف بن الملك المسعود يوسف -المعروف باسم القسيس - ابن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وله من العمر نحو ست سنين، شريكاً للملك المعز أيبك، وأن يقوم الملك المعز بتدبير الدولة.

فأقاموه سلطاناً في ثالث جمادى الأولى، وجلس على السماط وحصر الأمراء في خدمه يوم الخميس خامس جمادى الأولى. فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين الأشرف والمعز، إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم في الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيبك.

وكان بغزة جماعة من العسكر، عليهم الأمير ركن الدين خاص ترك فرجعوا إلى الصالحية واتفقوا مع عدة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل الصغير، صاحب الكرك وخطوا له بالصالحية، يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة.

فلما ورد الخبر بذلك نودي في القاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسي، وأن الملك المعز عز الدين أيبك نائبه بها، وذلك في يوم الأحد سادسه.

ووقع الحث في يوم الاثنين على خروج العساكر، وجددت الأيمان للملك الأشرف موسى والملك المعز أيبك، وأن يبرز اسهما على التواقيع والمراسيم، وينقش اسهما على السكة، ويخطب لهما على المنابر، وأقيم شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن ساعد الفائزي المنعوت بالأسعد في الوزارة.

وتسحب من الصالحية الطواشيان شهاب الدين رشيد الكبير، وشهاب الدين الصغير، وركن الدين خاص ترك، وأقش المشرف فقبض على الطواشي شهاب الدين رشيد الصغير، وأحضر إلى القاهرة فاعتقل بها، ونجا الباقون . وسارت الخلع لمن بقي بالصالحية، وعفي عنهم وأمنوا، وأرسل إليهم بنفقة.

وفي يوم الخميس عاشره: ركب الملكان الأشرف والمعز بالصناجق السلطانية، وشقا القاهرة، والمعز يحجب

الأشرف، والأمراء تتناوب في حمل الغاشية واحداً بعد واحد. وقدمت عساكر الملك الناصر إلى غزة، فخرج الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار -وكانت إليه تقدمة المماليك البحرية - من القاهرة، في يوم الخميس خامس شهر رجب، بألفي فارس وسار إلى غزة، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم.
وفي يوم الخميس لخمس بقين من رجب: اتفق أهل الدولة على نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة، إلى تربته التي بنيت له بجوار مدارسه الصالحية من بين القصرين. فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة، وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض، وقطع المماليك شعورهم، وأقيم عزاؤه ودفن ليلاً. ونزل الملكان الأشرف والمعز من قلعة الجبل إلى التربة الصالحية في يوم السبت، ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية، والأمراء والقضاء والأعياد. وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين، واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الاثنين. وجعل عند القبر سناجق السلطان وبقجه وقوسه وتركاشه، وترتبت القراء يقرءون عند قبره.
وفي هذه السنة: عزل بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري عن قضاء القاهرة، وولي بعده عماد الدين أبو القاسم بن المقنشع بن القطب الحموي. فلما مات أفضل الدين الخونجي، ولي ابن القطب الحموي بعده قضاء مصر. ثم ولي صدر الدين موهوب الجزري قضاء مصر، عند انتقال ابن القطب إلى قضاء القاهرة.
وفي آخر شهر رجب: أعيد البدر السنجاري إلى قضاء القاهرة، وابن القطب إلى قضاء مصر. ثم جمع قضاء مصر والقاهرة للسنجاري، وصرف ابن القطب عن مصر. وعاد الفارس أقطاي من غزة إلى القاهرة، في رابع شعبان. وفي خامسه قبض على الأمير زين الدين أمير جاندار الصالحي، وعلى القاضي صدر الدين قاضي آمد - وكان من كبراء الدولة الصالحية، واعتقلا.

ولاثنتي عشرة بقيت من شعبان: وقع الهدم في مدينة دمياط، باتفاق أهل الدولة على ذلك، وخرج الحجارون والصناع والفعلة من القاهرة، فأزيلت أسوارها ومحيت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع. وسكن طائفة من ضعفاء الناس في أخصاص على شاطئ النيل من قبليها، وسموها المنشية وهو موضع دمياط الآن. ولست بقين قبض على الأمير جمال الدين النجيبي واعتقل وبعده بيوم قبض على أقش العجمي.
وأخذ الملك الناصر صاحب الشام في الحركة لأخذ مصر، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني له على ذلك. وخرج الناصر من دمشق بعساكره، يوم الأحد النصف من شهر رمضان، ومعه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب والملك الأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه، والملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين الكبير وأخوه نصرة الدين الظاهر شادي بن الناصر داود وأخوه الملك الأمجد حسن، والملك الأمجد تقي الدين عباس بن العادل، وعمه ملوك.
فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة، ورسم بجمع العربان من الصعيد وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر في ثاني شوال، عندما ورد الخبر بوصوله إلى غزة. وفي غده كثر الإرجاف ووقع التهيؤ للحرب، وأحضرت الخيول من الربيع.
وفي يوم الاثنين ثامنه: برز الأمير حسام الدين أبو علي من القاهرة، وكان الوقت شتاء. وفي تاسعه برز الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار -مقدم البحرية - في جمهور العسكر من الترك. وسارت العساكر في حادي عشره،

واجتمعت بالصالحية.

وفي يوم السبت ثالث عشره: استناب الملك المعز أيبك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل، لترتيب الأمور وكشف المظالم ونودي يوم السبت العشرين منه بإبطال الخمور، والجهة المفردة. وفيه كثر الإرجاف بوصول الناصر الداروم.

وفي تاسع عشريه: خلع الملك المعز على الملك المنصور محمود، وعلى أخيه الملك السعيد عبد الملك، ولدي الملك الصالح إسماعيل عماد الدين- وكانا في حبس الملك الصالح نجم الدين أيوب - وأركبهما في القاهرة، ليوهم الناس أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر، حتى يقع بينهما.

وفي يوم الثلاثاء أول ذي القعدة: نودي بالقاهرة أن الصلح انتظم بين الملك المعز والبحرية، وبين الملك المغيث عمر بن العادل صاحب الكرك ولم يكن لما نودي به حقيقة، وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة.

وفي يوم الخميس ثالثه: نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقي عنده من العساكر، وسار إلى الصالحية وبها العساكر التي خرجت قبله، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى فاستقرت عساكر مصر بالصالحية إلى يوم الاثنين سابعه، فوصل الملك الناصر بعساكره إلى كراع -وهي قريبة من العباسية، فتقارب ما بين العسكرين وكان في ظن كل أحد أن النصرة إنما تكون للملك الناصر على البحرية، لكثرة عساكره ولميل أكثر عسكر مصر إليه. فاتفق أنه كان مع الناصر جمع غير من مماليك أبيه الملك العزيز، وهم أتراك يميلون إلى البحرية لعلة الجنسية، ولكراهتهم في الأمير شمس الدين لؤلؤ مدير المملكة.

فعندما نزل الناصر بمنزلة الكراع، قريباً من الخشبي بالرمل، رحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية، ونزل اتجاهه بسموط إلى يوم الخميس عاشره. فركب الملك الناصر في العساكر، ورتب ميمنة وميسرة وقلباً، وركب المعز، ورتب أيضاً عساكره. وكانت الوقعة في الساعة الرابعة، فاتفق فيها أمر عجيب قل ما اتفق مثله، فإن الكرة كانت أولاً على عساكر مصر، ثم صارت على الشاميين: وذلك أن ميمنة عسكر الشام حملت هي والميسرة على من بازائها حملة شديدة، فانكسرت ميسرة المصريين وولوا منهزمين، وزحف أبطال الشاميين وراءهم، وما لهم علم بما جرى خلفهم. وانكسرت ميمنة أهل الشام، وثبت كل من القلبين واقتتلوا. ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد، وقد نهبت أثقالهم. وعندما مروا على القاهرة خطب بها للملك الناصر، وخطب له بقلعة الجبل ومصر، وبات الأمير جمال الدين بن يغمور بالعباسية، وأحمي الحمام للملك الناصر وجهز له الإقامة. هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خبر، وإنما هو واقف بسناجقه وخزائنه وأصحابه. وأما ميمنة أهل الشام فإنها لما كسرت قتل منهم عسكر مصر خلقاً كثيراً في الرمل، وأسروا أكثر مما قتلوا.

وتعين الظفر للناصر وهو ثابت في القلب، واتجاهه المعز أيبك أيضاً في القلب فخاف أمراء الناصر منه أن لجنيهم إذا تم له الأمر، وخامروا عليه وفروا بأطلابهم إلى الملك المعز وهم، الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي، والأمير جمال الدين أقوش الحامي، والأمير بدر الدين بكتوت الظاهري، والأمير سليمان العزيزي، وجماعة غيرهم.

فخارت قوى الناصر من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر، ظناً منه أن الناصر تحتها. وكان الناصر -لما فارقه الأمراء إلى عند المعز - قد خرج من تحت السناجق في شردمة قليلة،

فخاب ما أمله المعز أيبك، وعاد إلى مركزه خائباً وقد قوى الشاميون بذلك، وتبعوه يقتلون منه وينهبون.
وسر الأمراء القيمرية بذلك وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه، فوجدوا أصحابهم قد تفرقوا في طلب الكسب والنهب. فحمل المعز عليهم وثبتوا له، ثم انحاز إلى جانب يريد الفرار إلى جهة الشوبك. ووقف الناصر في جمع من العزيزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن، فخرج عليهم المعز -ومعه الفارس أقطاي - في ثلاثمائة من البحرية، وقرب منه فخامر عدة ممن كان مع الناصر عليه، ومالوا مع المعز والبحرية، فولى الناصر فاراً يريد الشام في خاصته وغلمانه. واستولى البحرية على سناجقه، وكسروا صناديقه ونهبوا أمواله.
وساق المعز يريد الأطلاب، فوقع بطلب الأمير شمس الدين لؤلؤ، والأمير حسام الدين القيمري، والأمير ضياء الدين القيمري، وتاج الملوك بن المعظم، والأمير شمس الدين الحميدي، والأمير بدر الدين الزرزاري، وجماعة غيرهم. فبدد الملك المعز كلهم، وأسر المعظم تورانشاه بن صلاح الدين، وأخاه نصرة الدين محمد، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، والملك الأشرف صاحب حمص، والملك الزاهر، والأمير شهاب الدين القيمري، والأمير حسام الدين طرنطاي العزيزي، والأمير ضياء الدين القيمري، والأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية، وأعيان الحلبيين وخلقاً كثيراً وقتل الأمير شمس الدين الحميدي، والأمير بدر الدين الزرزاري، وجماعة غيرهم.
وكان الأمير حسام الدين أبو علي الهذباني على ميسرة عسكر المصرين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة تفرق عنه أصحابه، وتقنطر عن فرسه وكاد يؤخذ، لولا أنه وقف معه من أركبه، فلحق بالمعز أيبك، فأمر الملك بضرب عنق الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع، وضربت عنق الأمير ضياء الدين القيمري وأتي بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المعز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبي علي: ما تسلم على المولى الصالح، فدنا منه الأمير حسام الدين وعانقه وسلم عليه. وجرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك وضرب الشريف المرتضي في وجهه ضربة عظيمة، وهموا بقتله ثم تركوه.

وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا في الرمل أياماً، وصار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدي وعلي السعدي إلى دمشق. وأما العسكر الشامي الذي كسر ميسرة المصريين، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدهليز الناصري هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكون أن أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مقدم عليهم ليسيروا في خدمته إلى القاهرة. فبينا هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم. فهم طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع.
وأما من انهزم من عسكر مصر أولاً، فإنهم وصلوا إلى القاهرة في يوم الجمعة حادي عشره، غد يوم الوقعة، فما شك في أن الأمر تم للملك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال. وكان بقلعة الجبل الأمير ناصر إسماعيل، بن يغمور، أستادار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، في جب وهو أمين الدولة أبو الحسن بن غزال- المتطبب المعروف بالسامري وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين القيمري، وجماعة غيرهم أيضاً، لهم من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب في الاعتقال. فلما بلغهم ذلك خرجوا من الجب، وأظهروا الفرح والاستبشار، وأرادوا أخذ القلعة. فلم يوافق الأمير سيف الدين القيمري على ذلك، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيبك

التي فيها عياله، وحماها وصد الناس عنها. وصاح البقية: الملك الناصر يا منصور.
وخطب للناصر بالقلعة ومصر، وسائر البلاد التي بلغها خبر نصرته. وكان بجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فقام على قدميه وخطب خطتن خفيفتين، وصلى بجماعة الجمعة، وصلى قوم صلاة الظهر. فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة، حتى وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر، فدقت البشائر. وقدم جماعة ومعهم نصرة الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاعتقلوه بقلعة الجبل. وقبض على الأمير ناصر الدين بن يغمور، والوزير أمين الدولة أبي الحسن بن غزال، ومن كان معهما، وأعيدوا إلى الجب. ونودي آخر النهار في القاهرة ومصر بالزينة.
وأما الملك المعز فإنه ساق -بعدما تقم ذكر من قتله الأمراء - إلى العباسية، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهم، وعرج عن الطريق على العلاقمة إلى بلبيس، ظناً أن واقعة وقعت بالقاهرة. فبلغ من كان بالدهليز الخبر فهدموه في الليل، وساروا إلى الشام. فبلغ ذلك الملك المعز وهو في بلبيس، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن، ودخلها يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة بالأسرى بين يديه، وسناجقهم مقلبة وطبولهم مشققة، وخيولهم وأموالهم بين يديه، إلى أن وصل إلى بين القصرين، فلعبت المماليك بالرماح وتطاردوا، والملك المعز في الموكب، وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبي علي، وقدامه الملك الصالح إسماعيل تحت الاحتياط، فعندما وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أحدق المماليك البحرية بالصالح إسماعيل، وصاحوا :يا خوند أين عينك ترى عدوك إسماعيل ثم ساروا إلى قلعة الجبل، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقية الملوك، وألقى الأسرى من الشاميين في الجباب. وعندما دخل الملك المعز إلى القلعة، تلقاه الملك الأشرف موسى وهنأه بالظفرة فقال الأمير فارس الدين أقطاي للأشرف: كلنا حصل بسعادتك، وما سعينا إلا في تقرير ملكك، وكان يؤثر بقاء الأشرف خوفاً من استبداد المعز أيبك وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة، واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدة أيام.
وفي يوم الاثنين رابع عشره :شنق الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يغمور، أستادار الصالح إسماعيل، وشنق بكجا ملك الخوارزمي وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير، على باب قلعة الجبل، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق. وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعاً ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلدة، كلها بخطوط منسوبة، وكتب نفيسة.

وفي ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة: قتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل، وعمره نحو الخمسين سنة. قال ابن واصل: من أعجب ما مر بي أن الملك الجواد مودوداً، لما كان في حبس الملك الصالح إسماعيل، سير إليه الملك الصالح إسماعيل من خنقه، وفارقه ظناً أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه قد أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات. وفر هذه الليلة لما أخرجوا لذلك الصالح إسماعيل بأمر المعز أيبك إلى ظاهر القلعة، وكان معهم ضوء فأطفأوه، وخنقوه وفارقوه ظناً أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه أفاق، فعاثوا إليه وخنقوه حتى مات. فانظر ما أعجب هذه الواقعة! ودفن هناك، وكانت أمه رومية، وكان رئيس النفس نبيل القدر، مطاعاً، له حرمة وافرة، وفيه شجاعة.
وفي ثامن عشريه: أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر، إلى دمشق على حمير، هم

وأتباعهم، ولم يمكن أحداً منهم أن يركب فرساً، إلا نحو الستة أنفس فقط، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل.
وفيها وصل إلى الملك الناصر من قبل القان ملك التتر طمغا صورة أمان فصار يحملها في حياصته، وسير إلى القان هدايا كثيرة، فلما خرج هولاكو واستولى على الممالك، تغافل الناصر عنه ولم يبعث إليه شيئاً، فعز ذلك عليه، وصار في كل قليل ينكر تأخر تقديمة الناصر الهدايا والتحف إليه.
وفيها كثر ضرر المماليك البحرية بمصر، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال وسبوا الحريم وبالغوا في الفساد، حتى لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم.
وفي سابع عشر ذي الحجة: سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة في ثلاثة آلاف إلى غزة، واستولى عليها.
وفي هذه السنة: قدم البطرك أثنامبوس بن القس أبي المكارم، في يوم الأحد رابع شهر رحب، الموافق الخامس بابه سنة سبع وستين وتسعمائة للشهداء. فأقام في البطركية إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوماً، ومات يوم الأحد أول كيهك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة للشهداء، الموافق لثالث المحرم سنه ستين وستمائة هجرية، وخلا الكرسي بعده خمسة وثلاثين يوماً. وفيها مات الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بصقلية، وقام من بعده ابنه.
وخرجت هذه السنة والناصر يوسف بدمشق، وبيده ملك الشام والشرق، ومملكة مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، ويخطب معه للأشرف موسى، والمعتمد عليه في أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء: وهم الأمير فارس الدين أقطاي، وركن الدين بيبرس البندقداري، وسيف الدين بلبان الرشيدي.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، قتيلاً في يوم الاثنين تاسع عشري المحرم. ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، قتيلاً في ليلة الأحد سابع عشري ذي القعدة، عن نحو خمسين سنة، ومات الأمير شمس لؤلؤ الأميني، مقدم عسكر حلب، قتيلاً في يوم الخميس عاشر ذي القعدة وتوفي رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن علي بن فتوح بن رواج الإسكندري المالكي، عن أربع وتسعين سنة، في وتوفي الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقي بحلب، عن ثلاث وتسعين سنة.

سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل ونابلس إلى نهر الشريعة، وعاد إلى القاهرة. فسير الملك الناصر عسكراً من دمشق إلى غزة ليكون بها، فأقاموا على تل العجول. فخرج المعز أيبك، ومعه الأشرف موسى والفارس أقطاي وسائر البحرية، ونزل بالصالحية. فأقام العسكر المصري بأرض السانح قريباً من العباسة، والعسكر الشامي قريباً من سنتين، وترددت بينهما الرسل. وأحدث الوزير الأسعد الفائزي ظلامات عديدة على الرعية.

وفيها أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من المماليك والحرسيه وغيرهم. وفيها عزل قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم بن أبي إسحاق ابن المقنشع- المعروف بابن القطب الحموي، عن

قضاء مصر، وأضيف ذلك إلى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري. وسافر الأمير حسام الدين أبو على إلى الحجاز - وترك طلبه بالسانح وفيه من ينوب عنه من البحر إلى قوص، ثم ركب البحر الملح إلى مكة. وفيها أشيع وصول البادرائي رسول الخليفة، ليصلح بين الناصر والمعز. فلما أبطأ قدومه، وكثرت الأقاويل، قال الأمير شهاب الدين غازي ابن أيار المعروف بابن المعمار -أحد المجودين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور :

زمان اللهو في تل العجول　　يذكرنا زمان الزهد ذكرى

صحيحاً من أحاديث الرسول　　ونطلب مسلماً يروي حديثاً

وفيها وقع بمكة غلاء عظيم.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة ببغداد، واسمه كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللمفاني الحنفي.

وفيها توفي بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة الجميزي الشافعي، خطيب القاهرة وقد انتهت إليه مشيخة العلم عن تسعين سنة، في يوم. وفيها توفي الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح -الوزير بالشام، والشاعر أيضاً - عن سبع وخمسين سنة، في..

وفيها توفي رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي شيخ القراءات **000** وفيها توفي علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر -المعروف بتعاسيف، الفقيه الحنفي، بدمشق في رجب، ومولده بأصفون من صعيد مصر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وهو أحد الأئمة في العلوم الرياضية.

سنة خمسين وستمائة

فيها قدم الأمير حسام الدين أبو علي من الحجاز، فنزل في المعسكر من أرض السانح بالصالحية، وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن أبي سعد البادرائي، رسولاً من الخليفة للإصلاح بين الملك المعز أيبك والملك الناصر. فتلقاه القاضي بدر الدين الخضر بن الحسن السنجاري من قطا، ومعه جماعة، وتحدث معه في ذلك. فأراد الناصر أن تقام له الخطة بديار مصر، فلم يرض الملك المعز، وزاد بأن طلب أن يكون بيده -مع مصر - من غزه إلى عقبة فيق.

وفيها وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سير أخاه هولاكو لأخذ العراق فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلاً ونهباً، وأسراً وسبياً، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين، وجاءوا إلى رأس عين وسروج، وقتلوا ما ينيف على آلاف، وأسروا مثل ذلك، وصادفوا قافلة سارت من حران تريد بغداد، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، من جملتها ستمائة حمل سكر من عمل مصر، وستمائة ألف دينار. وقتلوا الشيوخ والعجائز، وساقوا النساء والصبيان معهم فقطع أهل الشرق الفرات، وفروا خائفين.

فعند ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطة، وانفرد باسم السلطة، وسجن الأشرف، واستولى على الخزائن، وشرع في تحصيل الأموال فأحدث الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي حوادث، وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار أموالاً، ورتب مكوساً وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية، وأخذ الجوالي من الذمة مضاعفة، وأحدث التصقيع والتقويم وعدة أنواع من المظالم، ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة بديار مصر، وأمر عدة من مماليكه فقويت شوكة البحرية وزاد شرهم، وصار كبيرهم، الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار الصالحي ملجأ لهم، يسألونه في حوائجهم، ويكون هو المتحدث مع الملك المعز.

وفيها أقطع الفارس أقطاي ثغر الإسكندرية، وكتب له به منشور. وتعدى شر البحرية، وكثر تمردهم وطغيانهم.

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسانح، وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المغيث عمر بالكرك. وكان النيل عالياً: بلغ ثمانية عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً، وسد باب البحر عند المقس.

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج، وتلف فيه أموال لا تحصى، واحترقت ستمائة دار.

وحج في هذه السنة ركب العراق.

ومات في هذه السنة من الأعيان

العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الحسن بن حيدر العمري الهندي الصنعاني الحنفي اللغوي، مات ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسيني بن يحيى بن بصاقة الكناني، الكاتب الوزير للناصر داود، والأديب المنشئ، في - - وتوفي شمس الدين أبو عبد الله بن سعد الله بن عبد الله بن سعد الأنصاري القدسي، الفقيه الشافعي المحدث المقرئ، النحوي الأديب الكاتب المجودة مات بدمشق عن تسع وسبعين سنة.

وتوفي مسند العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبي القاسم بن الحسن بن قميرة التميمي، التاجر السفار، عن خمس وثمانين سنة، حدث بمصر وغيرها.

وتوفي نقيب الأشراف -وقاضي العسكر، ومدرس المدرسة الشريفية بمصر - الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوي الحسيني الأرموي، على ما حدثنا الأشراف، في ثالث عشر شوال خمسين وستمائة. وكان إماماً في الفقه والأصول مناظراً، تفقه على الصدر بن حمويه، وشرح المحصول، ومات عن نيف وسبعين سنة.

سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها تقرر الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادرائي. وقد قدم نجم الدين إلى القاهرة، وصحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء بحلب نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي، لتمهيد القواعد، فلي يبرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للمصريين إلى الأردن، وللناصر ما

وراء ذلك، وأن يدخل فيها للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله، وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الملك الناصر. وحلف كل منهما على ذلك، وكتبت به العهود، وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر، ونزل البادرائي بالقاهرة، وأطلق الملك المعز الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأخاه نصرة الدين، وسائر أولاد الملوك والأمراء، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للملك الناصر. ثم قدم الملك المعز أيبك للملك المعظم تقدمة سنية، وأعطى نظام الدين بن المولى، ورفيقه عز الدين أزدمر، عشره آلاف دينار.

وفيها قويت البحرية -وكبيرهم فارس الدين أقطاي - على المعز، وكثر قبضتهم واستطالتهم وتوثبهم على الملك المعز، وهموا بقتله.

وفيها تسلم المصريون قلعة الشوبك، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور. وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين بن أبي علي، فلزم داره، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له، فأكرمه الملك الناصر وأقامه في خدمته بمائة فارس.

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحري، وقطعوا الطريق براً وبحراً، فامتنع التجار وغيرهم من السفر. وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل الجمدي، وقال: نحن أصحاب البلاد، ومنع الأجناد من ناول الخراج، وصرح هم وأصحابه: بأنا أحق بالملك من المماليك وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب، وهم خوارج خرجوا على البلاد. وأنفوا من خدمة الترك، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج، وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر.

واجتمع العرب -وهم يومئذ في كثرة من المال والخيل والرجال، إلى الأمير حصن الدين ثعلب، وهو بناحية دهروط صربان، وأتوه من أقصى الصعيد، وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم، وحلفوا له كلهم. فبلغ عدة الفرسان اثني عشر ألف فارس، وتجاوزت عدة الرجالة الإحصاء لكثرتهم. فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، في خمسة آلاف فارس. فساروا إلى ناحية ذروة، وبرز إليهم الأمير حصن الدين ثعلب، فاقتتل الفريقان من بكرة النهار إلى الظهر. فقدر الله أن الأمير حصن الدين تقنطر عن فرسه، فأحاط به أصحابه وأتت الأتراك إليه، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل، حتى أركبوه. فوجد العرب قد تفرقوا عنه، فولى منهزماً .وركب الترك أدبارهم، يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، فحووا من الأسلاب والنسوان والأولاد والخيول والجمال والمواشي، ما عجزوا عن ضبطه، وعادوا إلى المخيم ببلبيس. ثم عدوا إلى عرب الغربية والمنوفية من قبيلتي سنبس ولواتة، وقد تجمعوا بناحية سخا وسنهور، فأوقعوا بهم وسبوا حريمهم وقتلوا الرجال، وتبدد كل عرب مصر وخمدت جمرتهم من حينئذ.

ولحق الشريف حصن الدين من بقي من أصحابه، وبعث يطلب من الملك المعز الأمان، فأمنه ووعده بإقطاعات له ولأصحابه، ليصيروا من حملة العسكر وعوناً له على أعدائه. فانخدع الشريف حصن الدين، وظن أن الترك لا تستغني عنه في محاربة الملك الناصر، وقدم في أصحابه وهو مطمئن إلى بلبيس. فلما قرب من الدهليز نزل عن فرسه ليحضر مجلس السلطان، فقبض عليه وعلي سائر من حضر معه، وكانت عدتهم نحو ألفي فارس وستمائة

راجل. وأمر الملك المعز فنصبت الأخشاب من بلبيس إلى القاهرة وشنق الجميع، وبعث بالشريف حصن إلى ثغر الإسكندرية، فحبس بها وسلم لواليها الأمير شمس الدين محمد بن باخل. وأمر المعز بزيادة القطعية على العرب، وبزيادة القود المأخوذ منهم، ومعاملتهم بالعنف والقهر. فذلوا وقلوا، حتى صار أمرهم على ما هو عليه الحال في وقتنا.

وفيه صاهر الأمير فارس الدين أقطاي الملك المظفر صاحب حماة، وشر إليه فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن حنا -قبل أن يتقلد أبوه الوزارة، وإنما كان قد ترشح لها - لإحضار ابنة المظفر من حماة، فحملها إلى دمشق في تجمل عظيم. فطلب أقطاي من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل بالعروس، فشق ذلك عليه وأخذ يتحيل في قتله، وكان قد ثقل عليه، وصار ليس له مع البحرية أمر ولا نهي ولا حل ولا عقد، ولا يسمع أحد منهم له قولاً فإن رسم لأحد بشيء لا يمكن من إعداده وإن أمر لأحد منهم بشيء أخذ أضعاف ما رسم له به. واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاي، وقد استولى على الأمور كلها. وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه، ولا يقدر أحد يفتح كتاباً، ولا يتكلم بشيء ولا يبرم أمراً، إلا بحضور أقطاي لكثرة خشداشيته.

وفي هذه السنة: حج من البر والبحر عالم كبير، فإنها كانت وقفة الجمعة، وفيها أخذ الشريف جماز بن حسن مكة، وأقام بها إلى آخر ذي الحجة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة، واستقر بعده في الإمارة ابنه أبو نمى، وأخوه إدريس بن علي.

ومات الصالح أحمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، صاحب عينتاب، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفي كمال الدين أبو محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري الزملكاني الدمشقي الشافعي، بدمشق.

وتوفي جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن عبد الرحمن الإسكندري، سبط الحافظ أبي الطاهر السلفي، وقد انتهى إليه علو الإسناد.

سنة اثنتين وخمسين وستمائة

فيها استفحل أمر الفارس أقطاي الجمدار وانحازت إليه البحرية، بحيث كان أقطاي إذا ركب من داره إلى القلعة شعل بين يديه جماعة بأمره، ولا ينكر هو ذلك منهم وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم، فلا يقدر أحد على منعهم، وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصباً، وكثر ضررهم.

هذا والمعز يحصل الأموال، وقد ثقل عليه أقطاي، فواعد طائفة من مماليكه على قتله: وبعث المعز إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان، ليحضر إليه بقلعة الجبل في مشور يأخذ رأيه فيه. فركب أقطاي على غير

أهبة ولا اكتراث فعندما دخل من باب القلعة، وصار في قاعة العواميد، أغلق باب القلعة، ومنع مماليكه من العبور معه. فخرج عليه جماعة بالدهليز قد أعدوا لقتله: وهم قطز وبهادر وسنجر الغنمي، فهبروه بالسيوف حتى مات. فوقع الصريخ في القلعة والقاهرة بقتله، فركب في الحال من أصحابه نحو السبعمائة فارس ووقفوا تحت القلعة، وفي ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه، وأنهم يأخذونه من المعز، وكان أعيانهم بيبرس البندقداري، وقلاوون والألفي، وسنقر الأشقر، وبيسرى، وسكز، وبرامق. فلم يشعروا إلا ورأس أقطاي قد رمي بها المعز إليهم، فسقط في أيديهم وتفرقوا بأجمعهم. وخرجوا في الليل من القاهرة وحرقوا باب القراطين فعرف بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم فمنهم من قصد الملك المغيث بالكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر بدمشق، ومنهم من أقام ببلاد الغور والبلقاء والكرك والشوبك والقدس، يقطع الطريق ويأكل بقائم سيفه.

واتفق أن اثني عشر من البحرية مروا في تيه بني إسرائيل، فأقام به خمسة أيام حائرين، فلاح لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه، فإذا مدينة عظيمة، ذات أسور وأبواب حصينة، كلها من رخام أخضر. فطافوا بداخل المدينة، وقد غلب عليها الرمل في أسواقها ودورها، وصارت أوانيهم وملابسهم إذا أخذت تتفتت وتبقى هباء. فوجدوا في صواني بعض البزازين تسعة دنانير، قد نقش عليها صورة غزال حوله كتابة عبرانية. وحفروا مكاناً، فإذا بلاطة، فلما رفعوها وجدوا صهريجاً فيه ماء أبرد من الثلج، فضربوا وساروا ليلتهم. فإذا بفريق عرب فحملوهم إلى الكرج، فعرضوا تلك الدنانير على الصيارف، فقال بعضهم هذه ضربت في أيام موسى عليه السلام .وسألوا عن المدينة، فقيل هذه المدينة الخضراء، بنيت لما كان بنو إسرائيل في التيه، ولها طوفان من رمل يزيد تارة وينقص أخرى، ولا يقع عليها إلا تائه. وصرفوا كل دينار بمائة درهم.

وسار منهم قشتمر العجمي، وشارباش العجمي، وسنجر الحاووك والركن الفارقاني وسنقر الجبيلي، وسنقر المجيشي الكبير، والحبيشي الصغير الحاجب، والصقلي، والغتمي وبلبان النجمي، وبكمش المسعودي، وأبو عبية، والنميسي، وفخر الدين ماما، وأيدمر، الجمدار الرومي، وسنقر الركني، والحسام قريب سكز، وإيدغدي الفارسي، وبلبان الزهيري، وسنجر البحري، وإزدمر السيفي وإزدمر البواشقي مملوك الرشيدي الكبير، والعنتابي، والمستعربي وسنقر البديوي، وأيبك الشقاري، وإيدغدي فتنة، وسيف الدين الأشل، والخولاني، وسنجر الشكاري، والمطروحي، وأيبك الفارسي، وأياس المقري، في جماعة كبيرة من المماليك الصغار الجمدارية الصالحية. وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردي -وهو أعقلهم وأعرفهم -، والأمير شمس الدين سنقر الجبلي - وهو أفرسهم وأشهرهم بالشطارة. فمضي هؤلاء إلى السلطان علاء الدين ملك السلاجقة الروم. فلما أصبح الملك المعز أيبك، وعلم بخروج الجماعة من القاهرة، قبض على من بقي منهم، وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وأوقع الحوطة على أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم، واستصفى أموالهم وذخائرهم وشونهم. وظفر للفارس أقطاي بأموال عظيمة. ونودي في القاهرة ومصر بتهديد من أخفى أحد من البحرية، وتمكن عند ذلك الملك المعز، وارتجع الإسكندرية إلى الخاص السلطاني، وخفف بعض ما أحدث من المصادرات والجبايات.

فلما وصل البحرية إلى غزة، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقداري، وسيف الدين بلبان الرشيدي وعز الدين إزدمر السيفي، وشمس الدين سنقر الأشقر، وسيف الدين سكز، وسيف الدين قلاوون، وبدر الدين بيبرس - كتبوا إلى الملك الناصر بأنهم قد وصلوا إلى خدمته، فأذن لهم وعروا على بلاد الفرنج بالساحل، فقتلوا ونهبوا

حتى قاربوا دمشق. فخرج إلى لقائهم الملك الناصر، وخلع عليهم وأعطاهم. هذا وهم يحثونه على قصد مصر وهو يدافعهم.

فخاف المعز غائلتهم، وكتب إلى الناصر يوهمه منهم، ويخوفه عاقبة شرهم وطلب منه الناصر البلاد التي كان قد أخذها بالساحل لأجل البحرية، وأنها في إقطاعتهم. فأعادها المعز إلى الملك الناصر، فأقر كل إقطاع منها بيد من كان له، وكتب مناشرها عنه للبحرية.
وكتب الملك المعز إلى سلطان الروم بأن البحرية قوم مناحيس أطراف، لا يقفون عند الأيمان، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم، وإن استأمنتهم خانوا، وإن استحلفتهم كذبوا، وإن وثقت بهم غدروا. فتحرر منهم على نفسك، فإنهم غدارون مكارون خوانون، ولا أمن أن يمكروا عليك، . فخاف سلطان الروم منهم، وكانوا مائة وثلاثين فارساً، فاستدعاهم وقال: يا أمراء ما لكم ولأستاذكم، فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردي، وقال: يا مولانا من هو أستاذنا، قال: الملك المعز صاحب مصر، فقال الباشقردي: يحفظ الله مولانا السلطان إن كان الملك المعز قال في كتابه أنه أستاذنا فقد أخطأ، إنما هو خوشداشنا ونحن وليناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه سناً وقدراً وأفرس وأحق بالمملكة، فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرق بعضنا، فمر بنا منه وتشتتنا في البلاد، ونحن التجأنا إليك فأعجب سلطان الروم بهم، واستخدمهم عنده.
وفيها وقع الصلح بين الملك الناصر وبين الفرنج أصحاب عكا، لمدة عشر سنين وستة أشهر وأربعين يوماً أولها مستهل الحرم، على أن يكون للفرنج من نهر الشريعة مغرباً، وحلف الفريقان على ذلك.
وفيها أقطع الملك المعز أيبك الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي دمياط زيادة على إقطاعه، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار، وفيها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالعساكر وخيم بالباردة قرب العباسية خوفاً من البحرية لتزولهم بالموجاء.
وفيها سفر الملك المعز أيبك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود إلى بلاد الأشكري منفياً، وفيها درس الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية بين القصرين. وفيها وصل الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى ابن أبي طالب أحمد بن محمد بن جعفر الحسيني إلى دمشق، ومعه الخونده ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباد ملك السلاجقة الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف. فزفت إليه، وقد احتفل بقدومها، وبالغ في عمل الوليمة لها.
وفيها ظهرت نار بعدن روعت القلوب. وفيها ولى المنصور قضاء حماه شمس الدين إبراهيم بن هبة الله البارزي، بعد المحيي حمزة بن محمد.
وفيها مات ملك التتر طرطق خان بن دوشي خان بن جنكز خان، فكانت مدته سنة وشهوراً. فقام بعده بركة خان بن جوشي خان بن جنكز خان، وأسلم وأظهر شعائر الإسلام في مملكته واتخذ المحارس وأكرم الفقهاء. وأسلمت زوجته ججك واتخذت لها مسجداً من الخيم، وذلك على يد الشيخ نجم الدين كبرا.
وفيها توفي مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي عن اثنتين وستين سنة.
وتوفي كمال الدين أبو سالم محمد بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبيني الشافعي خطب دمشق بحلب، وقد

قدم القاهرة.
وفيها أخذ مكة الشريف راجح بن قتادة من الشريف جماز بن حسن، بغير قتال، ثم أخذها ابنه غانم بن راجح في ربيع الأول بغير قتال، فقام عليه الشريف أبو نمى بن أبي سعيد بن علي بن قتادة في شوال ومعه الشريف إدريس، وحارباه وملكا مكة. فقدم في خامس عشري ذي القعدة مبارز الدين الحسين بن علي بن برطاس من اليمن، وقاتلهما وغلبهما، وحج بالناس.

سنة ثالث وخمسين وستمائة

فيها سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي إلى بلاد الصعيد، وأظهر الخروج عن طاعة الملك المعز، وجمع العربان. فسير إليه الملك المعز الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين الفائزي، ومعه طائفة من العسكر، حتى سكن الأمور. وأخرج الملك الناصر عسكراً إلى جهة ديار مصر، ومعهم البحرية: وهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيد، وعز الدين أزدمر، وشمس الدين سنقر الرومي، وشمس الدين سنقر الأشقر، وبدر الدين بيسري، وسيف الدين قلاوون، وسيف الدين بلبان المسعودي، وركن الدين بيبرس البندقداري، وعدة من مماليك الفارس أقطاي.

وفيها قتل الملك المعز الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي، بعدما قبض عليه، وكان قد قبض أيضاً على الفارس أقطاي العزيزي، والفارسي أقطاي الأتابك، وهرب منه أقش الركني، وأمر الملك المعز ألا تخرج امرأة من بيتها، ولا يمشي رجل بلا سراويل. فقال أبو الحسين الجزار في ذلك :

وألزمهم قوانين المروة   حنا الملك المعز على الرعايا
وألبسهم سروايل الفتوة   وصان حريمهم من كل عار

وفيها توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد، يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجوهر، وقيمته مائة ألف دينار. فمطل مدة، فتوجه إلى الحجاز، واستشفع إلى الخليفة في رد وداعته، وعاد إلى العراق. فعوض عن جوهره بما لا يذكر، ورد إلى الشام، وفيها قدم مكة أبو نمى وإدريس، ومعهما جماز بن شيحة أمير المدينة، فقاتلوا المبارز بن برطاس، وأخذوا مكة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير شرف الدين يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري بنابلس، ودفن بدمشق. وتوفي نقيب الأشراف بحلب، وهو الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبي طالب أحمد بن أحمد بن أبي الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم محمد بن ممدوح أبي العلاء، عن أربع وسبعين سنة بحلب.
وتوفي نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان البلخي الحنفي البغدادي، بحلب عن تسع وسبعين سنة.

وتوفي ضياء الدين أبو محمد جعفر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر الحلي الشافعي، عن نيف وتسعين سنة بحلب، قدم مصر وحدث بها.

سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها ورد الشيخ نجم الدين علم عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائي، من قبل الخليفة المستعصم بالله، ليجدد الصلح بين الأول وبين الملك الناصر والملك المعز، فبعث السلطان إلى القائد برهان الدين خضر السنجاري، فسار إلى قطيا، ومعه جماعة من أعيان الفقهاء، حتى قدم به. فقرر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام، مع ملك مصر، وأن الملك الناصر لا يأوي عنده أحداً من البحرية، فمضوا إلى المغيث بالكرك. وتولى الصلح قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فلما تم الصلح عاد البادرائي، ورحل الملك الناصر عن تل العجول إلى دمشق، وعاد المعز من العباسية -بعد إقامته عليها ثلاث سنين - إلى قلعة الجبل.

وسار الأمير شمس الدين سنقر الأقرع رسولاً إلى الخليفة ببغداد، وصحبه الشيخ نجم الدين البادرائي، يلتمس تشرفه بالتقلد والخلع والأولوية للملك المعز، أسوة من تقدمه من ملوك مصرة فسار إلى بغداد. وبعث الملك المعز إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، يخطب ابنتيهما لنفسه. فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه، فتنكر لها وفسد ما بينهما، فأخذت تدبر في قتله.

وفي خامس جمادى الآخرة: ظهرت نار بأرض الحجاز، واستمرت شهراً في شرقي المدينة النبوية، بناحية وادي شظا تلقاء جبل أحد، حتى امتلأت تلك الأودية منها وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وزلزلت المدينة بسببها. وسمع الناس أصواتاً مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أولها يوم الاثنين أول الشهر، فلم تزل الأصوات ليلاً ونهاراً، حتى ظهرت النار يوم الجمعة. وقد انبجست الأرض عن نار عظيمة عند وادي شظا، وامتدت أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف، وسال الصخر منها، ثم صار فحماً أسود. وأضاءت بيوت المدينة منها في الليل، حتى كان في كل بيت مصباحاً، ورأى الناس سناها بمكة، فالتجأ أهل المدينة إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعوا واستغفروا الله تعالى، وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا، وقال بعضهم :

لقد أحاطت بنا يا رب بأساء ... يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا

حملاً ونحن لها حقاً أحقاء ... نشكو إليك خطوباً لا نطق لها

وكيف لقوي على الزلزال شماء ... زلازلاً تخشع الصم الصلاب لها

من الهضاب لها في الأرض إرساء ... بحراً من النار تجري فوقه سفن

كأنهما ديمة تنصب هطلاء ... ترى لها شرراً كالقصر طائشة

بما تلاقي به تحت الثرى الماء ... تحدث النيرات السبع ألسنها

أن عادت الشمس منها وهي دهماء منها تكاثف في الجو الدخان إلى

الله يعقلها القوم الألباء فيالها أية من معجزات رسول

واصفح فكل لفرط الحلم خطاء فاسمح وهب ولفضل وامح واعف وجد

وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بحاضرة بلدة بصرى من أرض الشام، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار. وفي ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان، احترق مسجد محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم - من مسرجه القيم، وذهبت سائر صفوفه، وبعض عمده، واحترق سقف الحجرة الشريفة.

وفيها غرقت بغداد وهلك بها عالم عظيم، وسارت السفن في أزقتها. وفيها قوي أمر هولاكو بن طولو خان بن جنكز خان، وظهر اسمه، وفتح عمق قلاع بالشرق وفيها دخل مقدم من التتار إلى أرض الروم السلاجقة، ففر منه السلطان غياث الدين كيخسرو ومات في فراره، فقام من بعده أولاده الثلاثة، وأخذ التتار قيسارية وما حولها، فصار لهم من بلاد الروم مسافة شهر.

وفيها وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد، والخليفة في لهوه لا يعبأ بشيء من ذلك.

وفيها ولي تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعز قضاء القضاة، عوضاً عن بدر الدين يوسف السنجاري. وفيها سار إدريس إلى راجح، وأخذ مكة أبو نمى، فجاء راجح مع إدريس وأصلح بينه وبين أبي نمى. وفيها قدم مكة ركب الحاج من العراق، ولم يحج بعدها ركب من العراق.

ومات في هذه السنة من الأعيان

شمس الدين يوسف بن قزغلي بن عبد الله أبو المظفر -هو سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - الفقيه الحنفي الواعظ.

وتوفي شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن هبة الله بن قرناص الخزاعي الحموي الفقيه الشافعي الأديب.

وتوفي زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الوحد بن ظافر بن أبي الإصبع الفقيه الشافعي النحوي الأديب، عن خمس وستين سنة.

وتوفي الشيخ أبو الروح عيسى بن أحمد بن الياس البونيني ببعلبك.

ومات ملك الروم غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، وقد ملك التتر قيصرية وميسرة معها، فقام بعده ابنه عز الدين كيقباد بن كيخسرو.

سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر، فعزم على قتلها. وكان له منجم قد أخبره أن سبب قتلته امرأة، فكانت هي شجر الدر. وذلك أنه كان قد غير عليها، وبعث يخطب ابنة صاحب الموصل.

وأتفق أن المعز قبض على عدة من البحرية، وهو على أم البادر، وسيرهم ليعتقلوا بقلعة الجبل، وفيهم أيدكين الصالحي. فلما وصلوا تحت الشباك الذي تجلس فيه شجر الدر علم أيدكين أنها هناك، فخدم برأسه وقال التركي: المملوك أيدكين بشمقدار والله يا خوند ما علمنا ذنباً يوجب مسكنا إلا أنه لما سير يخطب بنت صاحب الموصل، ما هان علينا لأجلك، فإنا تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم، فلما عتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترين فأومأت شجر الدر إليه بمنديل، يعني: لقد سمعت كلامك، فلما نزلوا بهم إلى الجب قال أيدكين :إن كان حبسنا فقد قتلناه.

وكانت شجر الدر قد بعثت نصراً العزيزي بهدية إلى الملك الناصر يوسف، وأعلمته أنها قد عزمت على قتل المعز، والتزوج به وتمليكه مصر. فخشي الملك الناصر يوسف أن يكون هذا خديعة، فلم يجبها بشيء.

وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يحذر الملك المعز من شجر الدر وأنها باطنت الملك الناصر يوسف، فتباعد ما بينهما، وعزم على إنزالها من القلعة إلى دار الوزارة. وكانت شجر الدر قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه وألزمته بطلاقها، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح.

فأقام الملك المعز بمناظر اللوق أياماً، حتى بعثت شجر الدر من حلف عليه. فطلع القلعة وقد أعدت له شجر الدر خمسة ليقتلوه: منهم محسن الجوجري، وخادم يعرف بنصر العزيزي، ومملوك يسمى سنجر. فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشري شهر ربيع الأول، ركب الملك المعز من الميدان بأرض اللوق، وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار. ودخل إلى الحمام ليلاً، فأغلق عليه الباب محسن الجوجري، وغلام كان عنده شديد القوة ومعهما جماعة . وقتلوه بأن أخذه بعضهم بأنثييه وبخناقه، فاستغاث المعز بشجرة الدر فقالت اتركوه، فأغلظ لها محسن الجوجري في القول، وقال لها: متى تركناه لا يبقي علينا ولا عليك، ثم قتلوه.

وبعثت شجر الدر في تلك الليلة إصبع المعز وخادمة إلى الأمير عز الدين أيبك الحلبي الكبير، وقالت له: قم بالأمر، فلم يجسر وأشيع أن المعز مات فجأة في الليل، وأقاموا الصائح في القلعة، فلم تصدق مماليكه بذلك: وقام الأمير لهم الدين سنجر الغتمي -وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم -، وبادر هو والمماليك إلى الدور السلطانية، وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم، فأقروا بما جرى. وعند ذلك قبضوا على شجر الدر، ومحسن الجوجري، ناصر الدين حلاوة، وصدر الباز، وفر العزيزي إلى الشام.

فأراد مماليك المعز قتل شجر الدر، فحماها الصالحية، ونقلت إلى البرج الأحمر بالقلعة ثم لما أقيم ابن المعز في السلطنة، حملت شجر الدر إلى أمه في يوم الجمعة سابع عشريه فضربها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت في يوم السبت. وألقوها من سور القلعة إلى الخندق، وليس عليها سراويل وقميص، فبيت في الخندق أياماً، وأخذ بعض أراذل العامة تكتة سراويلها. ثم دفنت بعد أيام -وقد نتنت، وحملت في قفة -بتربتها قريب الشهد النفيسي. وكانت من قوة نفسها، لما علمت أنها قد أحيط بها، أتلفت شيئاً كثيراً من الجواهر واللآلئ، كسرته في الهاون. وصلب محسن الجوجري على باب القلعة، ووسط تحت القلعة أربعون طواشياً وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة. وقبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكونه وزير شجر الدر، وأخذ خطة بستين ألف دينار.

فكانت مدة سلطنة الملك المعز سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوماً، وعمره نحو ستين سنة وكان ملكاً حازماً شجاعاً سفاكاً للدماء: قتل خلقاً كثيراً، وشنق عالماً من الناس بغير ذنب ليوقع في القلوب مهابته، وأحدث

مظالم ومصادرات عمل بها من بعده ووزر له الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ثم صرفه، واستوزر القاضي الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، فتمكن منه ممكناً زائداً وأحدث القاضي الأسعد حوادث شنيعة من المظالم، واستناب في الوزارة القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير -كان يعرف اللسان التركي -، ليحفظ له مجالس أمراء الدولة، ويطالعه ما يقال عنه.

الملك المنصور نور الدين علي

بن الملك المعز أيبك

أقامه أمراء الدولة سلطاناً بقلعة الجبل، يوم الخميس سادس عشري شهر ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وستمائة، وعمره خمس عشرة سنة تقريباً، وحلفوا له واستحلفوا العسكر، ماخلا الأمير عز الدين أيبك الحلبي المعروف بأبيك الكبير، فإنه توقف وأراد الأمر لنفسه، ثم وافق خوفاً على نفسه. فركب الأمير قطز -هو والأمراء - وقبض على الأمير سنجر الحلبي، يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر، واعتقله فركب الأمير أيبك الحلبي الكبير في الأمراء الصالحية فلم توفق، وتقنطر عن فرسه خارج باب زويلة، فأدخل إلى القاهرة ميتاً. وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة على عادته، وصار مدبر الدولة الملك المنصور علي.

وأقيم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحي أتابك العساكر، عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الحلبي واستمر الوزرة شرف الدين الفائزي على عادته فنقل عنه الأمير سابق الدين بوزيا الصيرفي، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردي أمير جاندار، أنه قال: المملكة ما تمشى بالصبيان، والرأي أن يكون الملك الناصر. فتوهمت أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور، وأخذ خطة بمائة ألف دينار. واستقر في الوزارة بعده قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن السنجاري، مضافاً إلى القضاء وقد أعيد إليه. وأحيط بأموال الفائزي، وقبض على جماعة بسببه. ثم إن السنجاري استعفى من الوزارة وتركها في ربيع الآخر، فتقلد الوزارة قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلائي، المعروف بابن بنت الأعز، بعد السنجاري.

وفي ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة: خسف القمر بحمرة شديدة، وأصبحت الشمس حمراء، فأقامت كذلك أياماً وهي ضعيفة اللون متغيرة.

وفيها بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد السلاجقة الروم موت الملك المعز، فساروا في البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة. فلم تطل مدقم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرته بالديوك ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير الفرء في القلعة، ومناطحته بالكباش.وفيها دخل الصارم أحمد عينه الصالحي بجماعة، فقتلوا الوزير الفائزي في جمادى الأولى. وأخرج في نخ قال ابن واصل: حكي القاضي برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حنا قال: دخلت على شرف الدين الفائزي وهو معتقل، فسألني أن أتحدث في إطلاقه، بحكم أنه يحمل في كل يوم ألف دينار علينا. فقلت له: وكيف تقدر على ذلك .فقال: أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضي سنة يفرج الله تعالى. فلم يلتفت مماليك الملك المعز إلى ذلك وعجلوا بهلاكه وخنقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها.

وفيها وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه في شوال، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك. فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر الصالحية، فواقعوهم في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، وقتل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفي .وانهزم عسكر الكرك وفيهم بيبرس البندقداري الذي ملك مصر. وعاد العسكر إلى القاهرة، فضمن الأمير شرف الدين قيران -المعزي وهو أستادار السلطان - الأمير قلاوون وأطلقه .فأقام قلاوون بالقاهرة قليلاً، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومي، فزوده وسار إلى الكرك.
وفيها بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خلعة وتقليداً وطوقاً، وفيها حسن البحرية للملك المغيث أخذ ملك مصر، فكاتب عدة من الأمراء ووعدهم .وفيها قوي هولاكو بن طولو بن جنكزخان، وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة فكثر الإرتجاف ببغداد، وخرج الناس منها إلى الأقطار. ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر بغداد، وقتل من الناس عالماً كبيراً.
وفيها قدم إلى دمشق الفقراء الحيدرية، وعلى رءوسهم طراطير، ولحاهم مقصوصة وشواربهم بغير قص. وذلك أن شيخهم حيدر، لما أسره الملاحدة قصوا لحيته وتركوا شاربه. فاقتدوا به في ذلك وبنوا لهم زاوية خارج دمشق، ومنها وصلوا إلى مصر.

ومات في هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن أبي سعد البادرائي البغدادي الشافعي، رسول الخلافة وقاضي بغداد، عن إحدى وستين سنة.
وتوفي الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزي.
وتوفي عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، مؤلف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر.
ومات متملك الروم علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان. وقام بعده أخوه عز الدين كيكاوس ابن غياث كيخسرو، فملك الططر قونية منه، ففز منها إلى العلايا.

سنة ست وخمسين وستمائة

فيها وقع الغلاء بسائر البلاد، وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر، وأبيع المكوك القمح بحلب بمائة درهم، والشجر بستين درهماً، والبطيخة الخضراء بثلاثين درهماً، وبقية الأسعار من هذه النسبة.

وفي رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسان فرعون التي بعين شمس، فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار.
وفيها ملك هولاكو بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام .وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس من بغداد، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة

تسع وخمسين وستمائة، فصح حديث حبيب بن أبي ثابت، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن رسول الله قام فقال: "يا معشر قريش، إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالاً تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحي القضيب."

وقتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات، واستمروا على ذلك أربعين يوماً. وأمر هولاكو بعد القتلى، فبلغت نحو الألفي ألف قتيل، وتلاشت الأحوال بها .وملك التتار أربل، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم.

وفيها كثر الوباء ببلاد الشام، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهماً.

وفيها أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو، ومعه تقادم وعدة من الأمراء فلما وصل الملك العزيز إلى هولاكو قدم إليه ما معه، وسأله على لسان أبيه في نجدة ليأخذ مصر من المماليك، فأمر هولاكو أن يتوجه إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس. فطار هذا الخبر إلى دمشق، فرحل من كان بها من المماليك البحرية، وصاروا إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على أخذ مصر، فجمع الملك المغيث وسار.

فتجهز الأمير قطز، وخرج من القلعة بالعساكر في..، فلما وصل الصالحية تسلل إلى الملك المغيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه، فلقيهم قطز وقاتلهم. فانهزم الملك المغيث في شرذمة إلى الكرك، ومضى البحرية نحو الطور، واتفقوا مع الشهرزورية من الشرق. واستولى المصريون على من بقي من عساكر المغيث وأثقاله، وأسروا جماعة، وعادوا إلى قلعة الجبل. وقد تغير قطز على عدة من الأمراء، لميلهم إلى الملك المغيث: فقبض على الأمير عز الدين أيبك الرومي الصالحي، والأمير سيف الدين بلبان الكافوري الصالحي الأشرفي، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفي، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفي، وجماعة غيرهم، وضرب أعناقهم في سادس عشري ربيع الأول، وأخذ أموالهم كلها.

وفيها فر طائفة ممن الأكراد من وجه عسكر هولاكو، يقال لهم الشهرزورية، وقدموا دمشق وعدهم نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أولادهم ونساؤهم. فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم، فزاد عتهم وكثر طلبهم حتى خافهم، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمرداً عليه، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المغيث بالكرك، فسر بهم وتاقت نفسه إلى أخذ دمشق، فخاف الناصر وتخيل من الأمراء القيمرية اللذين في دمشق فاضطرب وتحير.

وفمها مات أمير بني مرين أبو محيى بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، في رجب. وقام من بعده ابنه عمر، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق وأبو محيى هو الذي فتح الأمصار، وأقام رسوم المملكة، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بني مرين، وقام بدعوة الأمير أبي زكريا بن أبي حفص صاحب تونس. وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكي منهم، وملك مدينة فاس. وقد استبد أبو يحيى بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص بإفريقية. وهذا وقد أشرفت دولة الموحدين بني عبد المؤمن على الزوال.

وفي سنة ست خمسين هذه: قدم أولاد حسن مكة، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام، فجاء أبو نمى وأخرجهم ولم يقتل بينهم أحد.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الخليفة العباسي المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور ابن الظاهر بالله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، آخر خلائف بني العباس مقتولاً في سادس صفر، بعدما أتلف عساكر بغداد لنهمته في جمع المال فدهي الإسلام وأهله بلينه وإسناده الأمر إلى وزيره ابن العلقمي، فإنه قطع أرزاق الأجناد، واستجر التتار حتى كان ما كان ومات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، صاحب دمشق والكرك بعدما مرت به خطوب كثيرة، عن ثلاث وخمسين سنة خارج دمشق. وله شعر بديع.

وتوفي الحافظ زكي الدين أبو عبد الله عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشافعي الإمام الحجة عن خمس وسبعين سنة.

ومات محيى الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن الجرزي البكري البغدادي الحنبلي، محتسب بغداد ورسول الخلافة، عن ست وسبعين سنة.

وتوفي الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زيد بن هارون بن موسى بن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة العقيلي بن العديم الحنفي، عن ست وستين سنة بحلب.

وتوفي نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد المجيد بن المولى الأنصاري الحلبي، صاحب الإنشاء بحلب.

وتوفي ناظر الجيش بحلب، واسمه عون الدين أو المظفر بن البهاء أبي القاسم عبد الحميد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن العجمي الحلبي، عن خمسين سنة وتوفي الصاحب عز الدين أبو حامد محمد بن محمد بن خالد بن محمد نصر بن القيسراني الحلبي، ناظر الدواوين بدمشق.

وتوفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى الأزدي المكي الكاتب الشاعر الماهر، صاحب الإنشاء بديار مصر، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفي الأمير سيف الدين علي بن سابق الدين عمر بن قزل -المعروف بالمشد عن أربع وخمسين سنة، وشعره غاية في الجودة.

وتوفي شاعر بغداد جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري الحنبلي شهيداً، عن ثمان وستين سنة.

وتوفي الأديب شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن الحلاوي الموصلي، عن ثلاث وخمسين سنة بالموصل.

وتوفي الأديب سعد الدين أبو سعد محمد بن محيى الدين محمد بن علي بن عربي، بدمشق.

وتوفي الأديب نور الدين أبو بكر محمد عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رستم الأسعردي، بدمشق.

وتوفي الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحق بن يوسف الشاذلي الزاهد، بصحراء عيذاب.

وتوفي أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح، خطب مردا، التركي الحنبلي عن سبعين سنة، بمردا من عمل دمشق، وكان قد حدث بالقاهرة.

سنة سبع وخمسين وستمائة

فيها نازل التتار ماردين فلم ينالوا منها شيئاً، فرحلوا عنها إلى ميافارقين وحاصروا أهلها، حتى أكلوا من عدم الأقوات جلود النعال التي تلبس في الرجلين.
وفيها خرج الملك المغيث من الكرك بعساكره يريد دمشق، فخرج الملك الناصر من دمشق إلى محاربته، ولقيه بأريحا وحاربه، فانهزم المغيث إلى الكرك .وسار الناصر إلى القدس فأقام بعد أياماً، ثم رحل إلى زيراء فخيم على بركتها. وأقام هناك مدة ستة أشهر، والرسل تتردد بينه وبين المغيث إلى أن وقع الاتفاق بينهما، على أن الناصر يتسلم الطائفة من المغيث البحرية جميعهم، وأن المغيث يبعد عنه الشهرزورية، صارت الشهرزورية من بلاد الكرك إلى الأعمال الساحلية.

وسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى الملك الناصر يلتمس منه الأمان، فحلف له وحضر ركن الدين بيبرس إليه على بركة زيزاء، ومعه بدر الدين بيسري، وإيتمش المسعودي، وطيبرس الوزيري، وبلباي الرومي الدوادار، وأقوش الرومي ولاجين الدرفيل الدوادار، وكشتغدي المشرف، وأيدغمش الشيخي، وأيبك الشيخي، وبلبان المهراني، وخاص ترك الكبير، وسنجر المسعودي، وأياز الناصري، وسنجر الهمامي، وأيبك العلائي، وطمان الشقيري، ولاجين الشقيري، وسلطان الإلدكزي، وبلبان الإقسيسي، وعز الدين بيبرس.
فأكرمه الملك الناصر، وأقطعه نصف نابلس وجينين وأعمالها، بمائة وعشرين فارساً. وبعث المغيث سائر البحرية إلى الملك الناصر، فرحل عن زيزاء إلى دمشق، وقبض على البحرية واعتقلهم.
وفيها قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاكو، وعلى يده كتابه ونصه: الذي يعلم به الملك الناصر صاحب حلب أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرنا سكانها، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: "قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون"، واستحضرنا خليفها وسألناه عن كلمات فكذب، فواقعه الندم واستوجب منا العدم .وكان قد جمع ذخائر نفيسة، وكانت نفسه خسيسة فجمع المال ولم يعبأ بالرجال. وكان قد نمى ذكره وعظم قدره، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال.

توق زوالا إذا قيل تم   إذا تم أمر دنا نقصه

فإن المعاصي تزيل النعم   إذا كنت في نعمة فارعها

فلم يدر بالموت حتى هجم   وكم من فتى بات في نعمة

إذا وقفت على كتابي هذا، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روي زمين، تأمن شره وتنل خيره، كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى"، ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت رسلنا من قبل، فإمساك بمعروف أو تسريح

بإحسان، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى كروان سراي فإن كانوا في الجبال نسفناها، وإن كانوا في الأرض خسفناها.

ولى البسيطان الثرى والماء   أين النجاة ولا مناص لهارب

في قبضتي الأمراء والوزراء   ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت

فانزعج الناصر وسير حريمه إلى الكرك وخاف الناس بدمشق خوفاً كثيراً لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات، وسار كثير منهم إلى جهة مصر، وكان الوقت شتاء فمات خلائق بالطريق، ونهب أكثرهم. وبعث الناصر، عندما بلغه توجه هولاكو نحو الشام بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم إلى مصر، يستنجد بعسكرها.
فلما قدم ابن العديم إلى القاهرة، في يوم **000**، عقد مجلس بالقلعة عند الملك المنصور، وحضر قاضي القضاة بدر الدين حسن السنجاري، والشيخ عز الدين بن عبد السلام: وسئلا في أخذ أموال العامة ونفقتها في العساكر، فقال ابن عبد السلام: إذا لم يبق في بيت المال شيء أو أنفقتم الحوائض الذهب ونحوها من الزينة، وساويتم العامة في الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للجندي إلا فرسه التي يركبها، ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء. إلا أنه إذا دهم العدو، وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم، وانفضوا.
فوجد الأمير سيف الدين قطز سبيلاً إلى القول، وأخذ ينكر على الملك المنصور وقال: لابد من سلطان ماهر قاهر يقاتل هذا العدو، والملك المنصور صبي صغير لا يعرف تدبر المملكة. وكانت قد كثرت مفاسد الملك المنصور علي بن المعز أيبك، واستهتر في اللعب وتحكمت أمه فاضطربت الأمور. وطمع الأمير يوسف الدين قطز في أخذ السلطنة لنفسه، وانتظر خروج الأمراء للصيد: فلما خرج الأمير علم الدين سنجر الغتمي، والأمير سيف الدين بهادر، وغيره من المعزية لرمي البندق -وكان يوم السبت رابع عشري ذي القعدة - قبض قطز على المنصور وعلى أخيه قاقان وعلى أمهما، واعتقلهم في برج بقلعة الجبل. فكانت مدة المنصور سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

الملك المظفر سيف الدين قطز

جلس على سرير بقلعة الجبل يوم السبت، الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وستمائة. وهو ثالث ملوك الترك بمصر.

وفي خامسه: ولي الوزراء زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن يزيد بن الزبير، وصرف تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فبلغ ذلك الأمراء فقدموا إلى قلعة الجبل، وأنكروا ما كان من قبض قطز على الملك المنصور، وتوثبه على الملك. فخافهم واعتذر إليهم بحركة التتار إلى جهة الشام ومصر، والتخوف مع هذا من الملك الناصر صاحب دمشق، وقال: وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير ملك. فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم، أقيموا في السلطنة من شئتم، فتفرقوا عنه، وأخذ يرضيهم حتى تمكن.
فبعث بالمنصور وأخيه وأمه إلى دمياط، واعتقلهم في برج عمره وسماه برج السلسلة، ثم سيرهم إلى بلاد الأشكري وقبض على الأمير علم الدين سنجر الغنمي المعظمي، والأمير عز الدين أيدمر النجيبي الصغير، والأمير شرف الدين قيران المعزي، والأمير سيف الدين بهادر، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير عز الدين

أيبك النجمي الصغير، والأمير سيف الدين الدود خال الملك المنصور علي بن المعز، والطواشي شقبل الدولة كافور لالا الملك المنصور، والطواشي حسام الدين بلال المغيثي الجمدار .واعتقلهم وحلف الأمراء والعسكر لنفسه، واستوزر الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير في خامس ذي القعدة، واستمر بالأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحي المعروف بالمستغرب أتابكا، وفوض إليه وإلى الصاحب زين الدين. تدبير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة، واحتفل باستخدام الجنود والاستعداد للجهاد.

وورد الخبر بقدوم نجدة من عند هولاكو إلى الملك الناصر بدمشق، فكتب إليه الملك المظفر قطز وقد خافه كتاباً يترقق فيه، ويقسم بالأيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه، وأنه نائب عنه بديار مصر، ومتى حل بها أقعده على الكرسي، وقال فيه أيضاً: وإن اخترتني خدمتك، وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك، فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره. فلما قدم على الملك الناصر كتاب قطز اطمأن.

وفيها سار هولاكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر، ونزل على آمد يريد حلب، ونازل حران ونصب عليها المجانيق -وكانت في مملكة الناصر يوسف - حتى أخذها. وقطع بعض جيشه الفرات وعاثوا في البلاد، فأجمع أهل حلب على الرحلة منها، وخرجوا جافلين. فاحترز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف، وجمع أهل الأطراف. وتقدم التتار حتى دنوا من حلب، فقتلوا كثيراً من عسكرها الذين خرجوا إليهم، ثم رحلوا عنها عاجلاً. فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولاكو، وخيم على برزة .وكتب إلى الملك المغيث صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما نجدة. ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت، وعظم خوف الأمراء والعساكر من هولاكو: فأخذ الأمير زين الدين الحافظي يعظم شأن هولاكو، ويشير بألا يقاتل وأن يداري بالدخول في طاعته. فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وضربه وسبه وقال: أنتم سبب هلاك المسلمين وفارقه إلى خيمته فمضى زين الدين الحافظي إلى الملك الناصر، وشكا إليه ما كان من الأمير بيبرس. فلما كان الليل هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر، ليقتلوه ويملكوا غيره، وكان في بستان، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق .فبادر الأمراء القيمرية جمال الدين ابن يغمور والأكابر إلى القلعة، وأشاروا على الناصر بأن يخرج إلى المخيم، فخرج. وعندما خرج ركب بيبرس وسار إلى عزة، وبها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية، فتلقاه وأنزله. وسير بيبرس إلى الملك المظفر، قطز علاء الدين طيبرس الوزيري ليحلفه، فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه. ووعده الوعود الجميلة. ففارق بيبرس الناصرية، ووصل في جماعة إلى مصر، فأنزله الملك المظفر بدار الوزارة، وأقبل عليه وأقطعه قليوب وأعمالها.

وبلغ الناصر أن هولاكو أخذ قلعة حران وسائر تلك النواحي، وأنه عزم على أخذ حلب، فاشتد جزعه وسير زوجته وولده وأمواله إلى مصر، وخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس. فتفرقت العساكر، وبقي الناصر في طائفة من الأمراء. ونزل هولاكو على البيرة وأخذ قلعتها -وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز عثمان بن العادل، وله بها تسع سنين في الاعتقال، وولاه الصبيبة وبانياس -، ونزل على حلب.

ففر أهل دمشق وغيرها، وباعوا أموالهم بأبخس ثمن وساروا وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير، وسير الملك المغيث من بقي عنده من البحرية مقيدين على الجمال، وهم نحو الخمسين: منهم الأمير سنقر الأشقر.

وسار أربعة من البحرية إلى مصر. وهم قلاوون الألفي، وبكتاش الفخري أمير سلاح، وبكتاش النجمي، والحاج طيبرس الوزيري.

وفيها كثرت الزلازل بأرض مصر.

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة: جبي التصقيع من أملاك القاهرة ومصر.

وفي شعبان: قبض على رجل يعرف بالكوراني. وضرب ضرباً مبرحاً بسبب بدع ظهرت منه، وجد إسلامه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر.

وفيها بنى هولاكو الرصد بمدينة مراغة، بإشارة الخواجا نصير الدين محمد الطوسي، وهو دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء، بها من كتب بغداد شيء كثير وعليها أوقاف لخدامها.

وفيها استقل يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، ملك بني مرين، بملك فاس وعامة المغرب الأقصى.

وفيها سار عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباد من قونية إلى هولاكو، فأقاما عنده مدة ثم عادا إلى بلادهما.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل، في ثالث عشر شعبان عن ثمانين سنة، دبر فيها الموصل نحو خمسين سنة. وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل، وسار ابنه علاء الدين علي مفارقاً لأخيه إسماعيل إلى الشام.

وتوفي الشريف منيف بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية.

وتوفي صدر الدين أبو الفتوح أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي، ناظر الجامع الأموي، عن ستين سنة بها.

وتوفي نجم الدين أبو الفتح مظفر بن محمد بن إلياس بن السيرجي الأنصاري الدمشقي الشافعي، محتسب دمشق ووكيل بيت المال بها.

وتوفي الأديب بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن مكي بن محمد بن الحسين بن الدجاجية القرشي الدمشقي بها عن ست وستين سنة.

سنة ثمان وخمسين وستمائة

في المحرم: نزل هولاكو على مدينة حلب وراسل متوليها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف، على أن يسلمه البلد ويرمنه ورعيته، فلم يجبه إلى طلبه وأبى إلا محاربته. فحصرها التتار سبعة أيام وأخذوها بالسيف، وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتلى. وصارت عساكر التتر تمشي على جيف من قتل، فيقال إنه أسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان .وامتنعت قلعة حلب، فنازلها هولاكو حتى أخذها في عاشر صفر، وخربها وخرب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها، حتى عادت موحشة. وخرج إليه الملك المعظم توران شاه بن

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلم يعترضه بسوء لكبر سنه، فمات بعد أيام .ووجد هولاكو من البحرية تسعة أنفس في حبس الملك الناصر، فأطلقهم وأكرمهم. منهم سنقر الأشقر، وسيف الدين سكز، وسيف الدين يرامق، وبدر الدين بكمش المسعودي، ولاجين الجمدار الصالحي، وكندغدي الصغير.

فلما وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب اضطربت بأهلها. وكان الملك الناصر قد صادر الناس، واستخدم لقتال التتر، فاجتمع معه ما يناهز مائة ألف ما بين عرب وعجم فتمزق حينئذ الناس، وزهدوا في أمتعتهم وباعوها بأبخس الأثمان، وخرجوا على وجوههم. ورحل الملك الناصر عن برزه، يوم الجمعة منتصف صفر، عن بقي معه يريد غزة، وترك دمشق خالية، وبها عامتها قد أحاطت بالأسوار، وبلغت أجرة الجمل سبعمائة درهم فضة، وكان الوقت شتاء .فلم يثبت الناس عند خروج الناصر، ووقعت فيهم الجفلات حتى كأن القيامة قامت، وكانت مدة مملكة الناصر بحلب ودمشق ثلاثاً وعشرين سنة وسبعة أشهر، منها مدة تملكه لدمشق عشر سنين تنقص خمسين يوماً. ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حمص بهولاكو، وسار الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة إلى مصر بحريمه وأولاده، وجفل أهل حمص وحماة. وصار هولاكو إلى دمشق، بعد أخذ حلب بستة عشر يوماً، فقام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد بن عامر العقرباني المعروف بالزين الحافظي، وأغلق أبواب دمشق، وجمع من بقي بها وقرر معهم تسليم المدينة إلى هولاكو فتسلمها منه فخر الدين المردفائي وابن صاحب أرزن، والشريف علي، كان هؤلاء قد بعث بهم هولاكو إلى الملك الناصر وهو على برزة. فكتبوا بذلك إلى هولاكو، فسير طائفة من التتر وأوصاهم بأهل دمشق، ونهاهم أن يأخذوا لأحد درهماً فما فوقه.
فلما كان ليلة الاثنين تاسع عشر صفر: وصل رسل هولاكو صحبة القاضي محيي الدين بن الزكي، وكان قد توجه من دمشق إلى هولاكو بحلب، فخلع عليه وولاه قضاء الشام، وسيره إلى دمشق ومعه الوالي. فسكن الناس، وجمعوا من الغد بالجامع، فلبس ابن الزكي خلعة هولاكو وجمع الفقهاء وغيرهم وقرأ عليهم تقليد هولاكو. وقرئت فرمانات هولاكو بأمان أهل دمشق، فكثر اضطراب الناس واشتد خوفهم.
وفي سادس عشر ربيع الأول: وصل نواب هولاكو، في جمع من التتر صحبة كتبغا نوين فقرئ فرمان بالأمان. وورد فرمان على القاضي كمال الدين عمر التفليسي، نائب الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن سني الدولة، بأن يكون قاضي القضاة بمدائن الشام والموصل وماردين وميافارقين، وفيه تفويض نظر الأوقاف إليه من جامع وغيره، فقرئ بالميدان الأخضر.

وغارت جمائع التتر على بلاد الشام، حتى وصلت أطراف بلاد غزة وبيت جبريل والخليل وبركة زيزاء والصلت، فقتلوا وسبوا وأخفوا ما قشروا عليه، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشي وغيرها.
واستطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم: فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب وصاروا يمرون به في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به ويخطبون في الثناء على دينهم، وقالوا جهراً: ظهر الدين الصحيح دين المسيح. فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو وهو كتبغا فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم. وجمع الزين الحافظي من الناس أموالاً جزيلة،

واشترى بها ثياباً وقدمها لكتبغا نائب هولاكو، وليبيدرا وسائر الأمراء والمقدمين من التتر، وواصل حمل الضيافات إليهم كل يوم، ثم خرج كتبغا وبيدرا إلى مرج برغوث.

ووصل الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولاكو، وبيده مرسوم أن يكون نائب السلطنة بدمشق والشام، فامتثل ذلك كتبغا، وصارت الدواوين وغيرها تحضر إلى الأشرف. ثم بعد أيام ثار الأمير بدر الدين محمد بن قرمجاه والى قلعة دمشق، هو والأمير جمال الدين بن الصيرفي، وأغلقا أبوابها. فحضر كتبغا بمن معه من عساكر التتار، وحصروا القلعة في ليلة السادس من ربيع الآخر. فبعث الله مطراً وبرداً، مع ريح شديدة ورعود وبروق وزلزلة، سقط منها عدة أماكن، وبات الناس بين خوف أرضي وخوف عالي، فلم ينالوا من القلعة شيئاً، واستمر الحصار عليها بالمجانيق -وكانت تزيد على عشرين منجنيقاً - إلى ثاني عشري جمادى الأولى. عند ذلك اشتد الرمي، وخرب من القلعة مواضع، فطلب من فيها الأمان ودخلها التتر فنهبوا سائر ما كان فيها، وحرقوا مواضع كثيرة، وهدموا من أبراجها عدة، وأتلفوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد. وساروا إلى بعلبك فخربوا قلعتها، وسارت طائفة منهم إلى عزة، وخربوا بانياس وأسعروا البلاد خرباً وملأوها قتلاً ونهباً.
وفي يوم السبت ثاني عشري شهر ربيع الأول: قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري إلى القاهرة، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه، وأنزله في دار الوزارة بالقاهرة، وأقطعه قصبة قليوب الخاصة. وفيها ملك هولاكو ماردين، وقتل أمراءها وخرب أسوار قلعتها.
وفيها وصل الملك الناصر إلى قطيا، فخافه قطز وبرز بالعسكر إلى الصالحية. ففارق الناصر عدة من أمرائه ومن الشهرزورية، ولحقوا بقطز وأقاموا ببلبيس: منهم حسام الدين طرنطاي، وبدر الدين طيدمر الأخوث، وبدر الدين أيدمر الدوادار، وأيدغدي الحاجي. فعاد الناصر من قطيا وقد تمزق ملكه وتفرق الناس عنه، فنزل البلقاء. ورجع قطز إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، وأعتقه بقلعة الجبل وصادر كل من وصل إليه من غلمان الملك الناصر وكتابه وأخذ أموالهم، وألزم زوجة الملك الناصر بإحضار ما عندها من الجواهر، فأخذ منها جوهراً كثيراً، وأخذ من نساء الأمراء القيمرية أموالاً جمة، وعاقب بعضهن، وأما الملك الناصر، فإن شخصاً من غلمانه -يعرف بحسين الكردي الطبرادار - قبض عليه وعلى ولده الملك العزيز، وعلى أخيه غازي، وإسماعيل بن شادي ومن معه، وبعث بهم إلى هولاكو.
وفيها رحل هولاكو عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق، وجعل كتبغا نوين نائباً عنه بحلب، وبيدرا نائباً بدمشق. وأخذ هولاكو معه من البحرية سبعة منهم: سنقر الأشقر، وسكز، وبرامق، وبكمش المسعودي.

وفيها وصلت رسل هولاكو إلى مصر بكتاب نصه: من ملك الملوك شرقاً وغرباً، القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بإنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسار أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه. فلكم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب. فأي أرض

تأويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم. فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ومطركم علينا لا يسمع فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عند الكلام، وخنتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان .فأبشروا بالمذلة والهوان، "فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون"، "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة لملوككم عندنا سبيل. فلا تطلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قبل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً، ولا كافياً ولا حرزاً .وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد أنصفنا إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى.

ألا قل لمصرها هلاون قد أتى — بحد سيوف تنتضى وبواتر

يصير أعز القوم منا أذلة — ويلحق أطفالاً لهم بالأكابر

فجمع قطز الأمراء، واتفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية: فقبض على الرسل واعتقلوا وشرع في تحليف من تخيره من الأمراء، وأمر بالمسير، والأمراء غير راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر.

فلما كان يوم الاثنين خامس عشر شعبان: خرج الملك المظفر بجميع عسكر مصر، ومن أنضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم، من قلعة الجبل يريد الصالحية.

وفيه أحضر قطز رسل التتر، وكانوا أربعة، فوسط واحداً بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث ظاهر باب النصر، ورسط الرابع بالريدانية. وعلقت رءوسهم على باب زويلة، وهذه الرءوس أول رءوس علقت على باب زويلة من التتار. وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل، وجعله من جملة مماليكه.

ونودي في القاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر، بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتقدم الملك المظفر لسائر الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع. وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر، فطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل. فقال لهم: يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين. فتكلم الأمراء الذين تخيرهم وحلفهم في موافقته على المسير، فلم يسع البقية إلا الموافقة، وانفض الجمع.

فلما كان في الليل ركب السلطان، وحرك كوساته وقال: أنا ألقى التتار بنفسي، فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره. وأمر الملك قطز الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري أن يتقدم في عسكر ليعرف أخبار التتر، فسار بيبرس إلى غزة وبها جموع التتر، فرحلوا عند نزوله، وملك هو غزة.
ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام بها يوماً، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم وأخلع عليهم، واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر.
وأمر الملك المظفر بالأمراء فجمعوا وحضهم على قتال التتر، وذكرهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وخوفهم وقوع مثل ذلك، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين، وحذرهم عقوبة الله. فضجوا بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد. فأمر السلطان حينئذ أن يسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري بقطعة من العسكر، فسار حتى لقي طليعة التتر. فكتب إلى السلطان يعلمه بذلك. وأخذ في مناوشتهم، فتارة يقدم وتارة يحجم، إلى أن وافاه السلطان على عين جالوت وكان كتبغا وبيدرا نائبا هولاكو، لما بلغهما مسير العساكر المصرية، جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام، وسارا يريدان محاربة المسلمين، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها.
فلما كان يوم الجمعة خامس عشري شهر رمضان: التقى الجمعان، وفي قلوب المسلمين وهم عظيم من التتر، وذلك بعد طلوع الشمس. وقد امتلأ الوادي وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء، فتحيز التتر إلى الجبل، فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتقض طرف منه، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته على رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: وا إسلاماه، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة، فأيده الله بنصره وقتل كتبغا مقدم التتر، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز وكان مع التتر. وانهزم باقيهم، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون، وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسناً بين يدي السلطان.
ومما اتفق في هذه الوقعة، أن الصبي الذي أبقاه السلطان من رسل التتر وأضافه إلى مماليكه، كان راكباً وراءه حال اللقاء. فلما التحم القتال فوق سهمه نحو السلطان، فبصر به بعض من كان حوله فأمسك وقتل مكانه. وقيل بل رمى الصبي السلطان بسهمه فلم يخطئ فرسه وصرعه إلى الأرض، وصار السلطان على قدميه، فنزل إليه فخر الدين ماما وأركبه فرسه، حتى حضرت الجنائب فركب فخر الدين منها.
ومر العسكر في أثر التتر إلى قرب بيسان، فرجع التتر وصافوا مصافاً ثانياً أعظم من الأول، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزالاً شديداً فصرخ السلطان صرخة عظيمة، سمعه معظم العسكر وهو يقول: وا إسلاماه ثلاث مرات، يا الله انصر عبدك قطز على التتار. فلما انكسر التتار الكسرة الثانية، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها، وصلى ركعتين شكراً لله تعالى ثم ركب، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم.
فورد الخبر بانهزام التتر إلى دمشق ليلة الأحد سابع عشريه، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار إلى القاهرة، ففر

الزين الحافظي ونواب التتار من دمشق، وتبعهم أصحابهم فامتدت أيدي أهل الضيا ع إليهم ونهبوهم، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام.
وفي يوم الأحد المذكور: نزل السلطان على طبرية، وكتب إلى دمشق يبشر الناس بفتح الله له وخذلانه التتر، وهو أول كتاب ورد منه إلى دمشق، فلما ورد الكتاب سر الناس به سروراً كثيراً، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوها وأخربوا ما قدروا على تخريبه، وهدموا كنيسة اليعاقبة وكنيسة مريم وأحرقوها حتى بقيتا كوماً، وقتلوا عدة من النصارى، واستتر باقيهم. وذلك أنهم في مدة استيلاء التتر هموا مرارا بالثورة على المسلمين، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، وأعلنوا بضرب الناقوس وركبوا بالصليب، وشربوا الخمر في الطرقات ورشوه على المسلمين.

وفي ثامن عشريه: نهب المسلمون اليهود بدمشق حتى لم يتركوا لهم شيئاً، وأصبحت حوانيتهم بالأسواق دكاً، فقام طائفة من الأجناد حتى كفوا الناس عن حريق كنائسهم وبيوتهم .وفيه ثار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم، وخربوا الدور المجاورة للكنائس، وقتلوا جماعة من المغل، فكان أمراً مهولاً.
وفي تاسع عشرينه :وصل بكرة النهار الأمير جمال الدين المحمدي الصالحي بمرسوم الملك المظفر قطز، مترل بدار السعادة، وأمن الناس ووطنهم.
وفي يوم الأربعاء آخر شهر رمضان: وصل الملك المظفر إلى ظاهر دمشق، فخيم هناك وأقام إلى ثاني شوال، فدخل إلى دمشق ونزل بالقلعة وجرد الأمير ركن الدين بيبرس إلى حمص، فقتل من التتر وأسر كثيراً، وعاد إلى دمشق.
واستولى الملك المظفر على سائر بلاد الشام كلها من الفرات إلى حد مصر، وأقطع الأمراء الصالحية والمعزية وأصحابه بقطاعات الشام، واستناب الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق، ومعه الأمير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتر الأزكشي الكردي. وبعث إليه الملك الأشرف موسى -صاحب حمص، ونائب هولاكو ببلاد الشام - يطلب الأمان فأمنه. وبعث السلطان أيضاً بالملك المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار إلى حلب نائباً بها، وأقطع أعمالها بمناشره. وأقر الملك المنصور على حماة وبارين، وأعاد عليه المعرة -وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأخذ سليمة منه وأعطاها الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب. ورتب الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي أميراً بالساحل وغزة، ومعه عدة من العزيزية -وكان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فأكرمه السلطان، وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت، وأمر بشنق حسين الكردي الطبرادار، فشنق من أجل أنه دل على الملك الناصر.
وثار عدة من الأوشاقية مماليك السلطان بالنصارى ونهبوا دورهم، وكان معهم عدة من عوام دمشق، فشنق منهم نحو الثلاثين نفساً. وأمر السلطان أن يقرر على نصارى دمشق مائة وستون ألف درهم، فجمعوها وحملت إلى السلطان، بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابك العسكر.
وأما التتر فإنهم لما لحقهم الطلب إلى أرض حمص، ألقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى، وعرجوا نحو طريق الساحل. فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقاً كثيراً، وأسروا أكثر. فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره وقتل نائبه كتبغا عظم عليه، فإنه لم يكسر له عسكر قبل ذلك، ورحل من يومه.

وكان هولاكو لما قدم عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب الشام أكرمه وأجرى له راتباً، واختص به وأجلسه على كرسي قريباً منه، وشرب معه، ثم كتب له فرماناً وقلده مملكتي الشام ومصر، وأخلع عليه وأعطاه خيولاً كثيرة وأموالاً، وسيره إلى جهة الشام. فأمر هولاكو لما ورد عليه خبر الكسرة برده، فأحضر وقتل بجبال سلماس في ثامن عشر شوال، وقتل معه أخوه الملك الظاهر غازي، والملك الصالح ابن شركوه، وعدة من أولاد الملوك، وشفعت طقز خاتون زوجة هولاكو في الملك العزيز بن الناصر، فلم يسلم من القتل غيره، ورجع هولاكو إلى بلاده.

وتراجع الناس إلى دمشق، وسارت الأسعار بها غالية جداً لقلة الأقوات. وعدمت الفلوس فيها، وتضرر الناس في المعاملة بسبب الدراهم وعز كل ما كان قد هان.

فلما رتب السلطان أحوال النواب والولاة والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشري شوال يريد مصر بعدما كان قد عزم على المسير إلى حلب، فثناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وغيره عليه، فإنه قد عزم على القيام بمحاربته: وسبب ذلك أن الأمير بيبرس سأل السلطان أن يوليه نيابة حلب فلم يرض فتنكر عليه، ليقضي الله أمراً كان مفعولا. فخافه السلطان وأضمر له السوء، وسار إلى جهة مصر. وبلغ بيبرس، فاحترس كل منهما من الآخر، وعمل في القبض عليه. وحدث بيبرس جماعة من الأمراء في قتل السلطان: منهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، والأمير سيف الدين بهادر المعزي، والأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار المعزي، والأمير بيدغان الركني، والأمير بلبان الهاروني، والأمير بدر الدين أنس الأصبهاني.

فلم يزل السلطان سائراً إلى أن خرج من الغرابي وقارب الصالحية، وانحرف في مسيره عن الدرب للصيد ومعه الأمراء. فلما فرغ من صيحه وعاد يريد الدهليز السلطاني، طلب منه الأمير بيبرس امرأة من سبي التتر، فأنعم بها عليه. فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء: فبدره الأمير بدر الدين بكتوت بالسيف وضرب به عانقه، واختطفه الأمير أنس وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزي بسهم أتى على روحه، وذلك يوم السبت خامس عشر ذي القعدة، ودفن بالقصير فكانت مدة ملكه أحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً.

وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل أن تعمر، ثم نقله الحاج قطز الظاهري إلى القرافة ودفن قريباً من زاوية ابن عبود. ويقال إن اسمه محمود بن ممدود، وإن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وإن أباه ابن عم السلطان جلال الدين، وإنما سبي عند غلبة التتار، فبيع بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة.

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداوي

كان بيبرس تركي الجنس، فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وترقى في خدمته واستفاد من أخلاقه. فلما مات الملك الصالح، قام بيبرس في خدمة ابنه الملك المعظم تورانشاه إلى أن قتل، فلم يزل يترقى إلى أن قتل الفارس أقطاي، فخرج من القاهرة وتنقل في بلاد الشام. ثم عاد إلى مصر، وخرج مع الملك المظفر قطز إلى قتال التتر. فلما قتل قطز، سار الأمراء الذين قتلوه إلى الدهليز السلطاني بالصالحية، واتفقوا على سلطنة الأمير

بيبرس. فقام الأمير أقطاي المستعرب الأتابك -وكان بالدهليز - وقال للأمراء عند حضورهم: من قتله منكم. فقال الأمير بيبرس: أنا قتلته. فقال الأمير أقطاي: يا خوندا اجلس في مرتبة السلطنة مكانه. فجلس بيبرس، وبايعه أقطاي وحلف له، ثم تلاه الأمير بلبان الرشيدي، والأمير بدر الدين بيسري، والأمير سيف الدين قلاوون، والأمير بيليك الخازندار، ثم بقية الأمراء على طبقاتهم.

وتلقب بيبرس بالملك القاهر، وذلك في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة المذكور. فقال له الأمير أقطاي الأتابك: لا تتم السلطنة إلا بدخولك إلى قلعة الجبل. فركب بيبرس لوقته، ومعه الأمير أقطاي، والأمير قلاوون، والأمير بيسري، والأمير بلبان، والأمير بيليك، ومماليكه. وتوجه إلى قلعة الجبل، فلقيه الأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة بديار مصر، وكان قد خرج إلى لقاء الملك المظفر قطز .فأعلمه بيبرس بما جرى فحلف له الحلي وتقدمه إلى القلعة، ووعد من فيها من الأمراء بمواعيد جيدة عن بيبرس، فلم يخالف منهم أحد. وجلس الأمير عز الدين أيدمر الحلي على باب القلعة حتى قدم بيبرس والأمراء في الليل، فتسلم القلعة ليلة الاثنين تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وسين وستمائة، وحضر إليه الصاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير، وأشار عليه أن يجر اللقب بالملك القاهر، فإنه ما تلقب به أحد فأفلح، فاستقر لقبه الملك الظاهر.

وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر قطز، والناس في فرح ومسرات بقتل التتر. فلما طلع النهار نادى المنادي في الناس: ترحموا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس. ثم في آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر. فغم الناس ذلك، وخافوا من عودة دولة المالك البحرية، وسوء مملكتهم وجورهم.

وكان قطز قد أحدث في هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر: منها تصقيع الأملاك وتقويمها، وأخذ زكاتها من أربابها، وأخذ من كل واحد من الناس من جميع أهل إقليم مصر ديناراً، وأخذ من الترك الأهلية ثلثها. فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز، وكتب به توقيعاً قرئ على المنابر، فكان جملة ما أبطله ستمائة ألف دينار. فسر الناس ذلك، وزادوا في الزينة.

وفي يوم الاثنين: صبيحة قدوم السلطان، جلس الملك الظاهر بيبرس بالإيوان من القلعة، وحلف العساكر، واستناب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، واستقر الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابكاً على عادته، والأمير جمال الدين أقوش النجيبي الصالحي أستاداراً، والأمير عز الدين الأقرم الصالحي أمير جاندار، والأمير صيام الدين لاجين الدرفيل والأمير سيف الدين بلبان الرومي دوادارية، والأمير بهاء الدين أمير أخور على عادته. ورتب في الوزارة الصاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير، والأمير ركن الدين إياجي والأمير سيف الدين بكجري حاجبين. وكتب لإحضار البحرية البطالين من البلادة وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطنته، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة، خلا الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق، فإنه لما استقر في نيابة دمشق كان قد عمر سورها وحصنها، فورد عليه الخبر بقتل قطز وسلطنة بيبرس في أوائل ذي الحجة، فامتعض لذلك وأنف من طاعة بيبرس. ودعا لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له يوم الجمعة سادس ذي الحجة، فدعا الخطيب للملك الظاهر أولاً ثم للملك المجاهد ثانياً، وضربت السكة باسمهما. ثم ارتفع المجاهد عن هذا، وركب بشعار السلطنة والغاشية بين يديه، وشرع في عمارة قلعة دمشق، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة

والناس، وعملوا فيها حتى عملت النساء أيضاً، وكان عند الناس بذلك سرور كبير. فقدم رسول الملك الظاهر بيبرس بكتابه بعد يومين، فوجد الأمير سنجر قد تسلطن، فعاد إلى مصر. فكتب الملك الظاهر إليه يعنفه ويقبح فعله، فغالطه في الجواب.

فولي دمشق في هذه السنة -من أولها إلى نصف صفر - الملك الناصر، ثم ملكها هولاكو إلى أن سار إلى الشرق، فاستناب بها كتبغا وبيدرا، فحكم فيها التتر إلى خامس عشري رمضان، ثم صارت في مملكة قطز إلى أن قتل في خامس عشري ذي القعدة، فملكها الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بقية السنة. وكان القضاء بها أولاً بيد القاضي صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سني الدولة، ثم ولي التتر القاضي كمال الدين عمر بن بندار التفليسي، ثم بعده القاضي محيى الدين بن التركي، ثم القاضي صدر الدين أبو القاسم. ثم ولي القاضي صدر الدين بعلبك، فاستقل ابن التركي بالقضاء بدمشق إلى أن صرفه قطز بنجم الدين أبي بكر محمد بن صدر الدين أحمد بن سني الدولة.

وفيها ثار بحلب العزيزية والناصرية على الملك السعيد علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل، وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين لاجين العزيزي الجوكندار. وكان الأمير حسام الدين المذكور قد أخذ إذناً من الملك المظفر قطز -رحمه الله تعالى - وتوجه لاستخلاص ما بقي له من الإقطا ع والودائع التي كانت له من أيام الملك الناصر. فلما أنفق ما اتفق وهو بحلب أجمع الحلبيون على تقديمه، فكتب إليه الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بأن يخطب له في حلب وأن يكون نائباً له، وأن يزيده على إقطاعه زيادات كثيرة. فامتنع لاجين من إجابة الملك المجاهد سنجر، وقال: أنا نائب ملك مصر، وأقام على طاعة الظاهر بيبرس، فبعث إليه الظاهر بالتقليد بنيابة حلب.

وفيها ثار جماعة من السودان والركبدارية والغلمان، وشنقوا بالقاهرة وهم ينادون يآل علي، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكوراني، أظهر الزهد بيده سبحة وسكن قبة بالجبل، وتردد إليه الغلمان فحدثهم في القيام على أهل الدولة، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعاً. فلما ثاروا في الليل ركب العسكر وأحاطوا بهم وربطوهم، فأصبحوا مصلبين خارج باب زويلة، وسكنت الثائرة. وخرجت السنة ولم يركب الملك الظاهر بيبرس بشعار السلطنة على العادة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف بن العزيز شادي بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب كبير البيت الأيوبي، ونائب حلب، عن ثمانين سنة. ومات الملك الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي صاحب ميافارقين، وكان عالماً عادلاً محسناً، قتله التتار وحملوا رأسه إلى دمشق.

وتوفي الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، صاحب قلعة الصبيبة وبانياس، بعد ما أخذتا منه وسار إلى البيرة، فأعاده التتار إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت، فأسر وضرب عنقه.

ومات الملك السعيد إيلغازي بن المنصور أرتق بن إيلغازي بن ألبي بن تمرقاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين بها، وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان.
وتوفي قاضي القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبي البركات يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سني الدولة التغلبي الدمشقي الشافعي ببعلبك، عن ثمان وستين سنة.
وتوفي شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله ابن عيسى اليونيني الحنبلي، عن ست وثمانين سنة ببعلبك.
وتوفي الصاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطي الشيباني، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة.
وتوفي الأديب مخلص الدين أبو عبد الله المبارك يحيى بن المبارك بن فضيل الغساني الحمصي، بها في الجفلة.
وتوفي الأديب جلال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصفار المارديني الشاعر، بها قتيلاً عن ثلاث وثمانين سنة.
وتوفي الشيخ أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي الصالحي الزاهد، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة.

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها عظم الفأر في أرض حوران أيام البيادر حتى أكل معظم الغلال، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح.
وفيها اجتمع من التتار ستة آلاف فارس، وقاموا بحمص. فبرز إليهم الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة، واجتمع إليهما قدر ألف وأربعمائة فارس. وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان وواقعوا التتر يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن، فأفنوهم قتلاً وأسراً، ووردت البشارة إلى مصر بذلك. وكانت التتار في ستة آلاف، والمسلمون ألف وأربعمائة، وحملت رءوس القتلى إلى دمشق
وفيها اشتد الغلاء بدمشق.
وفي يوم الاثنين سابع صفر: ركب الملك الظاهر بيبرس من قلعة الجبل بشعار السلطنة إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر، فترجل الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة، ثم ركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة، ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان، وخلع على الأمراء والمقدمن وسائر أرباب الدولة، وكان هذا أول ركوبه، ومن حينئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة. وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والثغور بقيامه في سلطة مصر والشام.
وفيها بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق، ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفي دينار عينا، ليستميل الناس على المجاهد سنجر.
فقدم دمشق ثالث صفر وعمل ما أمر به، فأجابه الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق: ومعهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحي، والأمير بهاء الدين بغدي الأشرفي، والأمير قراسنقر الوزيري، وعدة من الأمراء. ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس، فارتجت دمشق.
وبعث المجاهد سنجر إليهم بعسكر فانهزم، فخرج بنفسه وحمل بأصحابه، ففروا عنه ثم عادوا عليه، فخرج وقتل عدة من جماعته، والتجأ هو إلى القلعة فامتنع بها يوم السبت حادي عشر صفر. فدخل الأمير أيدكين البندقدار

-أستاذ الملك الظاهر - إلى المدينة وملكها، وحلف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها. وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظاً به .فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس ذلك قرر الأمير علاء الدين طيبرس الحاج الوزيري في القلعة، وجعل إليه التحدث في الأموال، واستدعى الأمير سنجر الحلبي، وأقام إيدكين مدة شهر في نيابة دمشق، ثم صرفه عنها بالأمير طيبرس الوزيري، وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين ابن رحال، وأحضر في سادس عشر صفر وهو مقيد إلى مصر. فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسري، وأدخله ليلاً من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة، من غير أن يعلم به أحد من الناس.

وفيها جهز الملك الظاهر بيبرس الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليغمري لعمارة الحرم النبوي بالمدينة، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت هوت. وأخرج ما كان في اقطاعات الأمراء من أوقاف الخليل عليه السلام، ووقف عليه قرية تعرف باذنا. ورسم للأمير جمال الدين بن يغمور بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة، فرم ما فسد منها ورتب بها الجندارية وأعاد لها حرمتها، وفرق أبراجها على الأمراء: وهم الأمير قلاوون، والأمير عز الدين الحلي والأمير عز الدين أوغان، والأمير بيسري، وغيرهم- لكل أمير منهم برج، وأمرهم أن تكون اصطبلاتهم وبيوتهم فيها، وسلمهم مفاتيح القلعة .وأمر بعمارة القناطر بجسر شبرامنت من الجيزية، لكثرة ما كان يشرق من الأراضي في كل سنة، فانتفعت البلاد بهذه القناطر. وأمر بعمارة أسوار الإسكندرية، ورتب لذلك جملة من المال في كل شهر. وبنى بثغر رشيد مرقباً لكشف البحر. وأمر بردم فم بحر دمياط، فخرج جماعة الحجارين وألقوا فيه القرابيص، حتى تمتنع السفن الكبار من دخوله، واستمر ذلك إلى اليوم.

وأمر السلطان بإخراج الأمير سيف الدين الرشيدي إلى بحر أشموم، فتوجه إليه وأحضر الولاة وحفر هذا البحر، وأزال منه ما تربى به من الأطيان، وغرق عدة مراكب حتى رد إليه الماء. وأمر بعمارة ما خربه التتر من قلاع الشام: وهي قلعة دمشق، وقلعة الصلت، وقلعة عجلون، وقلعة صرخد، وقلعة بصرى وقلعة شيزر، وقلعة الصبيبة، وقلعة شميميش وقلعة حمص. فعمرت كلها ونظفت خنادقها، ووسعت أبراجها وشحنت بالعدد، وجرد إليها المماليك والأجناد، وخزنت بها الغلات والأزواد وحملت كثيرة إلى دمشق، وفرقت في البلاد لتصير تقاوي الفلاحين. ورتب السلطان بدمشق بعدل، وبنى مشهداً في عين جالوت عرف بمشهد النصر.

ورتب السلطان البريد في سائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها. فصارت أخبار الممالك ترد إليه في كل جمعة مرتين، ويتحكم في سائر المماليك من العزل وهو مقيم بقلعة الجبل، وأنفق في ذلك مالاً عظيماً حتى تم ترتيبه. ونظر في أمر الشواني الحربية، وكان قد أهمل أمر الأسطول بمصر وأخذ الأمراء رجاله واستعملوهم في الحراريق وغيرها، فأعادهم إلى ما كانوا عليه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب. وأنشأ عدة شواني بثغري دمياط والإسكندرية، ونزل بنفسه إلى دار الصناعة ورتب ما يجب ترتيبه، وتكامل عنده ببر مصر ما ينيف على أربعين قطعة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد ونحوها.

فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصقلي، وأخبره أن أستاذه فرق مالاً على جماعة من المعزية وقرر معهم قتل السلطان: منهم الأمير علم الدين الغتمي، والأمير بهادر المعزي، والأمير شجاع الدين بكتوت،

فقبض على الجميع في ثامن ربيع الأول.

وفيها قبض على الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، وعوق في قاعة الوزارة، فشفع فيه الأمير سيف الدين أنس، فخلع في يومه. ولم يقم سوى أيام وقبض السلطان على الأمير أنس، فقبض على الصاحب زين الدين بن الزبير في صبيحة مسكه. ثم طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ليلي الوزارة فأبى، وأقام الأمير فارس الدين أقطاي يراوده زماناً وهو لا يقبل، ثم نزل إلى داره، فطلب السلطان بهاء الدين على سديد الدين محمد بن سليم بن حنا، فولى الوزارة، وفوض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة بأسرها، وخلع عليه. فركب معه جميع الأعيان والأكابر، وعدة من الأمراء منهم سيف الدين بلبان الرومي الدوادار.

وورد الخبر عن عكا أن سبع جزائر من جزائر الفرنج في البحر خسف بها وبأهلها، بعدما نزل عليهم دم عشرة أيام، فهلك بها خلق كثير، وصار أهل عكا في خوف واستغفار وبكاء.

وجهز السلطان الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري في جماعة، ولم يعرف مقصده في ذلك أحد ممن جرده ولا غيرهم، فساروا إلى الشوبك وتسلموها من نواب الملك المغيث فتح الدين عمر في سادس عشري ربيع الآخر، واستقر في نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المختصي واستخدم فيها النقباء والجنادرة، وأفرد بخاص القلعة ما كان في الأيام الصالحية. وفيه قبض على الأمير بهاء الدين بغدي، وحبس بقلعة الجبل حتى مات.

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى: فوض قضاء القضاة بديار مصر للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي الأعز خلف، المعروف بابن بنت الأعز، عوضاً عن بدر الدين السنجاري، بعد عدة شروط اشترطها على السلطان أغلظ فيها. وقصد القاضي تاج الدين بكثرة الشروط أن يعفى من ولاية القضاء، فأجاب السلطان إلى قبول ما اشترط عليه رغبة فيه وثقة به، وصلى بالسلطان صلاة الظهر، وحكم بعد ذلك. وقبض السلطان على البحر السنجاري وعوقه عشرة أيام، ثم أفرج عنه.

وفيها سار الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيئ بالله العباسي -الذي يقال له الزراتيقي لقب لقبه به العامة - مع جماعة من العرب بني مهتا، يريد دمشق. وكان قد فر من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم بالله، ونزل عند عرب العراق في هذه المدة، ثم أراد أن يلحق بالملك الظاهر بيبرس بمصر. فوردت مكاتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري نائب دمشق: بأنه ورد إلى الغوطة رجل ادعى أنه أبو القاسم أحمد الأسمر بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، ومعه جماعة من عرب خفاجة في قريب الخمسين فارساً، وأن الأمير سيف الدين قلج البغدادي عرف أمراء العرب المذكورين، وقال: بهؤلاء يحصل المقصود. فكتب السلطان إلى النواب بالقيام في خدمته وتعظيم حرمته، وأن يسير معه حجاب من دمشق فسار من دمشق بأوفر حرمة إلى جهة مصر. فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع شهر رجب إلى لقائه، ومعه الوزير الصاحب بهاء الدين بن حنا، وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وسائر الأمراء وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل .فسار السلطان به إلى باب النصر، ودخل إلى القاهرة وقد لبس الشعار العباسي، وخرج الناس إلى رويته، وكان من أعظم أيام القاهرة. وشق القصبة إلى باب زويلة، وصعد قلعة الجبل وهو راكب، فأنزل في مكان جليل قد هيئ له بها،

وبالغ السلطان في إكرامه وإقامة ناموسه.
فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره: حضر قاضي القضاة ونواب الحكم، وعلماء البلد وفقهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر أيضا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد وجلس السلطان متأدباً بغير كرسي ولا طراحة ولا مسند. وشهد العربان وخادم من البغاددي بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين بن الإمام الناصر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضي جمال الدين يحيى بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيى نائب الحكم بمصر، والفقيه علم الدين محمد بن الحسين ابن عيسى بن عبد الله بن رشيق، والقاضي صدر الدين موهوب الجزري، ونجيب الدين الحراني، وسديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة، وأبو عمرو بن أبي محمد الصنهاجي التزمنتي، أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر. فقبل قاضي القضاة تاج الدين شهادات القوم، وأسجل على نفسه بالثبوت، وهو قائم على قدميه في ذلك المحفل العظيم حتى ضم الإسجال والحكم.
فلما تم ذلك كان أول من بايعه القاضي تاج الدين، ثم بعده قام السلطان وبايع أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها. ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة. فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار، ثم قام الناس فبايعوا الخليفة المستنصر بالله على اختلاف طبقاتهم. وكتب في الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، وأن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده، وأن تنقش السكة باسمهما.

فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة: خطب الخليفة المستنصر بالله في جامع القلعة، فاستفتح بقراءة صدر سورة الأنعام، ثم صلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وترضى عن الصحابة وذكر شرف بني العباس، ودعا للملك الظاهر، وقضي الخطبة، فاستحسن الناس ذلك منه، واهتم السلطان بأمره، ونثر عليه جملاً مستكثرة من الذهب والفضة. فلما شرع في الخطة تلكأ فيها، ثم نزل بعد تمامها وصلى بالناس الجمعة.
وكان منصب الخلافة شاغراً ثلاث سنين ونصف سنة، منذ قتل الخليفة المستعصم في صفر سنة ست وخمسين، فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً .
وكان أسمر اللون وسيماً، شديد القوى عالي الهمة، له شجاعة وإقدام. واتفق له ما لم يتفق لغيره، وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه باني المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يقع لغيره أن الخليفة لقب بلقب أخيه سواه.
في يوم الأحد تاسع عشره: ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مدينة مصر، وركبا في الحراريق وسارا في النيل إلى قلعة الجزيرة، وجلسا فيها، وأحضرت الشواني الحربية، فلعبت في النيل على هيئة محاربتها العدو في البحر، ثم ركبا إلى البر وسار إلى قلعة الجبل، وقد خرج الناس لمشاهدتهما، فكان من الأيام المشهودة.
وفيه قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبي -الذي ثار قبلا بدمشق - نيابة حلب، وجهز معه أمراء لكل منهم وظيفة وهم: الأمير شرف الدين قيران الفخري استادار، والأمير بدر الدين جماق أمير جاندار، والأمير

علاء الدين أيدكين الشهابي شاد الدواوين. وسار الأمير علم الدين من القاهرة كما تسافر الملوك، فدخل حلب في ثالث شعبان فحضر إليه جماعة من العزيزية والناصرية وسألوا الأمان كانت العزيزية والناصرية قد اختلفوا وخرجوا إلى الساحل، فأقطعهم السلطان إقطاعات، وأحضر منهم عدة إلى مصر.

وفي يوم الاثنين رابع شعبان: ركب السلطان إلى خيمة ضربت له في البستان الكبير خارج القاهرة، ومعه أهل الدولة. وحملت الخلع صحبة الأمير مظهر الدين وشاح الخفاجي، وخادم الخليفة المستنصر بالله. فدخل السلطان إلى خيمة أخرى. وأفيضت عليه الخلع الخليفتية وخرج بها وهي: عمامة سوداء مذهبة مزركشة، ودراعة بنفسجية اللون، وطوق ذهب، وقيد من ذهب عمل في رجليه، وعدة سيوف تقلد منها واحداً وحملت البقية خلفه، ولواءان منشوران على رأسه، وسهمان كبيران وترس. فقدم له فرس أشهب، في عنقه مشدة سوداء وعليه كنبوش أسود. وطلب الأمراء واحداً بعد واحد وخلع عليهم، وخلع على قاضي القضاة تاج الدين، وعلى الصاحب بهاء الدين، وعلي فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء. ونصب منبر، فصعد عليه ابن لقمان بعدما جلل بثوب حرير أطلس أصفر، وقرأ تقليد الخليفة للسلطان، وهو من إنشائه، ونصه بعد البسملة:

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام بملابس الشرف، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف، وشيدها وهي من غلائه حتى أنسى ذكر ما سلف، وقيد لنصره ملوكاً اتفق على طاعتهم من اختلف. أحمده على نعمه التي رتعت الأعين منها في الروض الأنف، وألطافه التي وقف الشكر عليها فليس عنها منصرف. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة توجب من المخاوف أمناً، وتسهل من الأمور ما كان حزناً. وأشهد أن محمداً عبده الذي جبر من الدين وهنا، ورسوله الذي أظهر من المكارم فنوناً لا فناً، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضحت مناقبهم باقية لا تفنى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى.

وبعد فإن أولي الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يصبح القلم راكعاً وساجداً في تسطير مناقبه وبره، من سعى فأضحى بسعيه الحميد متقدماً، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان منجداً ومتهماً، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زنداً ومعصماً، ولا استباح بسيفه حمى وغي إلا أضرمه ناراً وأجراه دماً. ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني شرفه الله وأعلاه، ذكره الديوان العزيز النبوي الإمامي المستنصري أعز الله سلطانه، تنويهاً بشريف قدره، واعترافاً بصنعه الذي تنفد العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره. وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية، بعد أن أقعدها زمانة الزمان، وأذهبت ما كان من محاسن وإحسان، وأعتب دهرها المسيء لها فأعتب، وأرضي عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب. فأعاده لها سلماً بعد أن كان عليها حرباً، وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رحباً، ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنواً وعطفاً، وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى، وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمر لو رامه غيره لامتنع عليهن ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه. لكن الله تعالى ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، ويخفف بها يوم القيامة حسابه، والسعيد من خفف من حسابه. فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها في صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه.

وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الواقع. وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية، وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونجماً، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فرداً، ولا جعل منها بلداً من البلاد ولا حصناً من الحصون يستثنى، ولا جهة من الجهات تعد في الأعلى ولا في الأدنى.

فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملاً، وخلص نفسك من التبعات اليوم ففي غد تكون مسئولاً لا سائلاً، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلاً، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالاً زائلاً، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة. وابسط يدك بالإحسان والعدل، فقد أمر الله بالعدل وحث على الإحسان، وكرر ذكره في مواضع من القرآن، وكفر به عن المرء ذنوباً كتبت عليه وآثاماً، وجعل يوماً واحداً منها كعبادة العابد ستين عاماً. وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنبت ثماره من أفنان، ورجح الأمر به بعد بعد تداعي أركانه وهو مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان، وكانت أيامه في الأيام أبهى من الأعياد، وأحسن في العيون من الغرر في أوجه الجياد، وأحلى من العقود إذا حلى بها عاطل الأجياد.

وهذه الأقاليم المنوطة بك محتاج إلى نواب وحكام. وأصحاب رأي من أصحاب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم في أمورك فنقب عليه تنقيباً، واجعل عليه في تصرفاته رقيباً. وسل عن أحواله ففي يوم القيامة تكون عنه مسئولاً وبما أجرم مطلوباً، ولا تول إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوباً. وأمرهم بالأناة. الأمور والرفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق، وألا يعاملوا أحداً على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخواناً، وأن يوسعوهم براً وإحساناً، وألا يستحلوا حرماتهم إذا استحل الزمان لهم حرماناً، فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميراً عليه وسلطاناً. والسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله، واستنوا بسنته في تصرفاته وأحواله، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أثقاله.

ومما تؤمرون به أن يمحى ما أحدث من سيئ السنن، وجدد من المظالم التي هي من أعظم المحن، وأن يشترى بإبطالها المحامد فإن المحامد رخيصة بأغلى ثمن. رمهما جبي منها من الأموال فإنما هي باقية في الذمم حاصلة، وأجياد الخزائن وإن أضحت بها حالية فإنما هي على الحقيقة منها عاطلة، وهل أشق ممن احتقب إثماً، واكتسب بالمساعي الذميمة ذماً، وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصماً، وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلماً. وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعمله، وعزائمه تخفف ثقلاً لا طاقة لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادراً، وصنعت له الأيام ما لم تصنع لغيره ممن تقدم للملوك وإن جاء آخراً. فأحمد الله على أن وصل إلى جانبك أمام هدي أوجب لك مزية التعظيم، ونبه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم. وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى، وأن توالي عليها حمد الله فإن الحمد يجب. عليه عقلاً وشرعاً، وقد تبين أنك صرت في الأمور أصلاً وصار غيرك فرعاً.

ومما يجب أيضاً تقديم ذكره أمر الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضاً، وهو العمل الذي يرجع به مسود

الصحائف مبيضاً. وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا تأثيم. وقد تقدمت لك في الجهاد بيضاء أسرعت في سواد الحساد، وعرفت منك عزمة هي أمضى مما تجنه ضمائر الأغماد، وأشهى إلى القلوب من الأعياد. وبك صان الله حمى الإسلام من أن يتبدل، وبعزك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول، وسيفك أثر في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأول. فأيقظ لنصرة الإسلام جفناً ما كان غافياً ولا هاجعاً، وكن في مجاهدة أعداء الله إماماً متبوعاً لا تابعاً، وأيد كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها إلا مطيعاً سامعاً.

ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور، واحتفال يبدل ما دجى من ظلماتها بالنور. واجعل أمرها على الأمور مقدماً، وشيد منها كل ما غادره العدو منهما، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهي على العدو داعية افتراق لا اجتماع .وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاوراً، والعدو له ملتفتاً ناظراً، لاسيما الديار المصرية، فإن العدو وصل إليها رابحاً وراح خاسراً، واستأصلهم الله فيها ما أقال منهم عاثراً.

وكذلك أمر الأسطول الذي تزجي خيله كالأهلة، وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة. وهو أخو الجيش السليماني، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة، وهذا تكلفت بحمله المياه السائلة. وإذا لحظها جارية في البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام.

وقد سني الله لك من السعادة كل مطلب، وأتاك من أصالة الرأي الذي يريك المعيب، وبسط بعد القبض منك الأمل، ونشط بالسعادة ما كان من كسل، وهداك إلى مناهج الحق وما زلت مهتدياً إليهاً، وألزمك المراشد ولا تحتاج إلى تنبيه عليها. والله يمدك بأسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه، فإن النعمة ستتم بشكره.

ولما فرغ من قراءته، ركب السلطان بالخلعة والطوق الذهب والقيد الذهب، وكان الطالع برج السنبلة. وحمل التقليد الأمير جمال الدين التجيبي أستادار السلطان، ثم حمله الصاحب بهاء الدين وسار به بين يدي السلطان وسائر الأمراء ومن دونهم مشاة سوي الوزير. ودخل السلطان من باب النصر وشق القاهرة، وقد زينت وبسط أكثر الطريق بثياب فاخرة مشى عليها فرس السلطان. وضج الخلق بالدعاء. بإعزاز أيامه وإعزاز نصره وأن يخلعها خلع الرضى، إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً تقصر الألسنة عن وصفه.

وشرع السلطان في تجهيز الخليفة للسفر، واستخدم له عساكر، وكتب للأمير سابق الدين بوزنا أتابك العسكر الخليفتي بألف فارس، وجعل الطواشي بهاء الدين سندل الشرابي الصالحي شرابياً بخمسمائة فارس، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازنداراً بمائتي فارس، والأمير الشريف نجم الدين أستاداراً بخمسمائة فارس، وسيف الدين بلبان الشمسي دواداراً بخمسمائة فارس، والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليغموري دواداراً أيضاً، والقاضي كمال الدين محمد بن عز الدين السنجاري وزيراً، وشرف الدين أبا حامد كاتباً، وأقام عدة من العربان أمراء، وحمل السلطان إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصناجق والطبلخاناه، وانفق أموالاً كثيرة واشترى مائة ملوك كباراً وصغاراً، ورتبهم سلاح دارية وجامدراية، وأعطى كلاً منهم ثلاثة أرؤس من الخيل وجلا لعدته، ورتب سائر ما يحتاج إليه الخليفة: من صاحب ديوان وكاتب إنشاء ودواوين وأئمة، وغلمان وجرائحية وحكاء وبيوتات، وكملها كلها مما تحتاج إليه، ورتب الجنائب وخيول الإصطبلات، واستخدم الأجناد، وعين لخاص الخليفة مائة فرس وعشر قطر بغال وعشر قطر جمال، وطشتخاناه وحوائج خاناه، وكتب لمن وفد معه من

العراق تواقيع ومناشر بالإقطاعات.
فلما تهيأ ذلك كله برز الدهليز الخليفتي والدهليز السلطاني إلى البركة ظاهر القاهرة، وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل في السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان، وسار إلى البركة فترل كل منهما في دهليزه، واستمرت النفقة في أجناد الخليفة، وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة، وصليا صلاة العيد، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمترلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر، ورتب السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة بديار مصر، وأقام معه الصاحب بهاء الدين بن حنا.
وفي يوم السبت سادس شوال: رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر بجميع العساكر، فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق، وخرج إلى لقائهم عسكر دمشق في يوم الاثنين سابع ذي القعدة، فترل الخليفة بالتربة الصالحية في سفح قاسيون، ونزل السلطان بقلعة دمشق.
وفي يوم الجمعة عاشره: دخل الخليفة الجامع الأموي بدمشق من باب البريد، وجاء السلطان من باب الزيادة، واجتمعا بمقصورة الجامع حتى فرغا من صلاة الجمعة، وخرجا إلى باب الزيادة فمضى الخليفة وعاد السلطان.
وكان قد قدم إلى السلطان وهو بقلعة الجبل الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وولده الملك السعيد علاء الملك وأهله، في شعبان إلى القاهرة فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه، وأمر له ولمن معه بالإقامات والأموال من دمشق إلى القاهرة، وتلقاه وأنزله بدار تليق به. ثم وصل أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة، فتلقاه السلطان كما تلقى أخاه. وكان أخوهما الملك السعيد علاء الدين على صاحب سنجار قد رتبه الملك المظفر قطز في نيابة حلب، فقبضه العزيزية واعتقلوه، فسأل إخوته الملك الظاهر فيه فأفرج عنه، وبالغ في إكرامهم وعطائهم. وكان السلطان لما نزل بالبركة خارج القاهرة، قد جهز إليهم خيل النوبة والعصاب والجدمارية والخلع، وكتب لهم التقاليد ببلادهم التي فوضت إليه من الخليفة، فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعقر وشوش ودارا والقلاع العمادية، وكتب للمجاهد بالجزيرة، وكتب للمظفر بسنجار .فقبلوا الأرض عند لبس الخلع، وسير السلطان إليهم الكوسات والسناجق والأموال، وأعفوا من الحضور والخدمة. فساروا إلى دمشق، وحضروا مجلس الشام بقلعة دمشق، ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض، وخرجوا والأتابك في خدمتهم بشعار السلطنة، وأعطاهم السلطان في لعب الكرة شيئاً كثيراً.
ووصل إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة. فوصل السلطان كلا منهما بثمانين ألف درهم وحملين من الثياب وخيول، وركب كل منهما بدمشق والأمراء مشاة في خدمته بشعائر السلطنة، وكتب السلطان لهما التقاليد باستقرارهما على ما بأيديهما وزادهما، ثم عادا إلى بلادهم.

وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ويكون أولاد صاحب الموصل في خدمته. فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل: فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر. فرجع إليه الوسواس، ولم يبعث مع الخليفة سوي ثلاثمائة فارس. وجرد السلطان الأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، والأمير شمس الدين سنقر الرومي إلى حلب، وأمرهما بالمسير إلى الفرات، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار.

وركب السلطان لوداع الخليفة، وسافر الخليفة في ثالث عشر ذي القعدة، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة ففارقوه في أثناء الطريق وتوجه كل منهم إلى مملكته فوصل الخليفة إلى الرحبة، وأتاه الأمير علي بن حذيفة من آل فضل بأربعمائة فارس من العرب، وانضاف إليه من مماليك المواصلة نحو الستين مملوكاً، ولحق به الأمير عز الدين بركة من حماة في ثلاثين فارساً ورحل الخليفة من الرحبة إلى مشهد علي، فوجد رجلاً ادعى أنه من بني العباس قد اجتمع إليه سبعمائة فارس من التركمان، كان الأمير شمس الدين أقوش البرلي قد جهزهم من حلب. فبعث الخليفة إلى التركمان واستمالهم ففارقوه وأتوا الخليفة، فبعث إليه الخليفة يستدعيه وأمنه ورغبه في اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية، ولاطفه حتى أجاب وقدم إليه، فوفى له وأنزله معه. وسار الخليفة إلى عانة ثم إلى الحنيشة، وخرج يريد هيت، وكتب إلى الملك الظاهر بيبرس بذلك.

وأما حلب فإن الأمير سنجر الحلبي فارقها وسار إلى دمشق، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أقوش البرلي وبعث بالطاعة إلى السلطان، فأبى إلا حضوره، فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدي والأمير سنقر الرومي من دمشق رحل أقوش عن حلب، فدخلاها، وسارا منها إلى الفرات، وأغارا على بلاد أنطاكية، وكسب العسكر وغنم، وحرق غلال الفرنج ومراكبهم وعاد. فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقدار نيابة حلب، فأقام بها في شدة من غلاء الأسعار وعدم القوت، ثم رحل عنها.

وقدمت الإقامات من الفرنج إلى السلطان، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أموراً لم يجيبوا إليها، فأهانهم. وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك، فسألوا رجوعه. واتفق الغلاء ببلاد الشام، فتقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية. فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا ومتملك بيروت، فكاسر الفرنج في أمر الأسارى، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم في العمائر. فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين، فأجيبوا: بأنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية مرج عيون، وقايضتم صاحب تبنين والمقايضة في أيديكم. فكيف تطلبون العوض مرتين. فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد. وخرج الأمير جمال الدين المحمدي في عسكر، وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانماً سالماً.

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد لكثرة فسادهم، وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين. واحضر السلطان أمراء العربان، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات، وسلمهم درك البلاد وألزمهم حفظ الحروب إلى حدود العراق، وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وفوض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري نيابة دمشق، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان -وكان قد خرج معه من مصر - عوضاً عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى ابن السني، ووكل به وسفره إلى القاهرة. وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع ذي الحجة، وفوض إليه الحكم من العريش إلى الفرات، والنظر في جميع أوقاف الشام من الجامع والمارستان والمحارس والأحباس وتدريس سبع مدارس.

وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر. وصرف قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز في سلخ شوال عن قضاء مصر والوجه القبلي، واستقر مكانه قاضي القضاة برهان الدين السنجاري، وبقي قضاء القاهرة والوجه البحري بيد ابن بنت الأعز. وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت.

وفيها كتب السلطان إلى الملك بركة خان يغريه بقتال هولاكو ويرغبه في ذلك، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة.

وفيها أغار التتار الذين تخلفوا على أعمال حلب وعاثوا، ونزل مقدمهم بيدرا على حلب، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعتر وجود القوت، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا.
وفيها استولى الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي على حلب، وجمع معه التركمان والعرب، فأقام نحو أربعة أشهر. ثم توجه إلى البيرة وأخذها ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفاً من السلطان وفيها عدى بنو مرين العدوة لقتال الفرنج فظفروا. وفيها حج الملك المظفر يوسف بن عمر رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، صاحب حلب ودمشق -وهو آخر ملوك بني أيوب -، بعد أربعة وعشرين عاماً من ملكه، واثنتين وثلاثين سنة من عمره، مقتولاً بأمر هولاكو.
ومات الملك الصالح إسماعيل بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي، صاحب حمص، مقتولاً بأمر هولاكو أيضاً.
وتوفي الأديب مخلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الحموي.

سنة ستين وستمائة

في ثاني المحرم: وصل السلطان من دمشق. واشتد الغلاء بدمشق، فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهماً فضة، وهلك خلق كثير من الجوع.
وفيه سار قرابغا مقدم التتار من بغداد -وكان قد استخلفه هولاكو عليها عند عوده إلى بلاد الشرق - يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربته، فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها، وتلاحقت به بقية التتار من بغداد.
ولقيهم الخليفة وقد رتب عسكره: فجعل التركمان والعرب جناحي العسكر، واختص جماعة جعلهم في القلب، وحمل بنفسه على التتار فكسر مقدمتهم، وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا، وخرج كمين للتتار ففر العرب والتركمان، وأحاط التتار بمن بقي معه فلم يفلت منهم سوى الأمير أبي العباس أحمد الذي قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم بالله، والأمير ناصر الدين بن مهنا، والأمير ناصر الدين بن صيرم، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفي، والأمير أسد الدين محمود، في نحو الخمسين من الأجناد. ولم يعرف للخليفة خبر: فيقال قتل بالمعركة في ثالث المحرم، ويقال بل نجا مجروحاً في طائفة من العرب فمات عندهم. وكانت هذه الواقعة في العشر الأول من المحرم، فكانت خلافته دون السنة، وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك المواصلة ألف ألف دينار وستين ألف دينار عيناً. واستقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ في مملكته بالموصل، وسار أخواه إسحاق وعلي إلى الشام خوفاً من التتار، وقدما على السلطان بقلعة الجبل فأبر مقدمهما، وسألاه في تجهيز نجدة

لأخيهما، فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومي في جماعة من البحرية والحلقة، وساروا من القاهرة في رابع جمادى الأولى. وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طيبرس، فسار العسكران من دمشق في عاشر جمادى الآخرة.

وفوض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة .وتسلم نواب السلطان قلعة البيرة. ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك. وباشر السلطان عرض عساكر مصر بنفسه، وحلفهم لولي عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركة خان.

وفي يوم الأحد ثاني عشري صفر: وصل الأمير أبو العباس أحمد الذي تلقب بالحاكم بأمر الله إلى دمشق، وخرج يريد مصر يوم الخميس سادس عشريه فوصل إلى ظاهر القاهرة في سابع عشري شهر ربيع الأول، فاحتفل السلطان للقائه، وأنزله في البرج الكبير داخل قلعة الجبل، ورتب له ما يحتاج إليه.

وفي نصف رجب: قدم جماعة من البغاددة مماليك الخليفة المستعصم، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة، ومقدمهم الأمير سيف الدين سلار. فأكرمهم السلطان، وأعطى الأمير سلار إمرة خمسين في الشام ونصف مدينة نابلس، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر. وفيها أطلق السلطان الأمير سيف الدين قلج البغدادي المستنصري من الاعتقال، وكان قد اعتقله، فمن عليه وأذن له في لعب الكرة معه.

وفي شعبان: قدم الأمير سيف الدين الكرزي، والقاضي أصيل الدين خواجا إمام، من عند الأنبرو ملك الفرنج بكتابه. ثم قدم رسوله بهدية ومعه نفران من البحرية، فاعتقلا بقلعة الجزيرة تجاه مصر. وقدم الأمير شرف الدين الجاكي، والشريف عماد الدين الهاكي، من عند صاحب الروم وهو السلطان عز الدين كيكاوس بن كيخسرو، ومعهما رسل المذكور وهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوح رسلان أمير حاجب، والصدر صدر الدين الأخلاطي، وكتابه المتضمن أنه نزل عن نصف بلاده للسلطان، وسير دروجاً فيها علائم بما يقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره، وسأل أن يكتب له السلطان منشوراً قرين منشوره .فأكرمهم السلطان، وشرع في تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم، وأمر بكتابة المناشير. وعين السلطان الأمير ناصر الدين أغلمش السلاح دار الصالحي لتقديمه العسكر ومعه ثلاثمائة فارس، وأقطعه إقطاعاً ببلاد الروم منه آمد، بلادها.

وفي شهر رجب: قدم الأمير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون، رسولاً من جهة أخيه الأمير سيف الدين، وصحبته هدية. فأكرمه السلطان وكتب له منشوراً بإمرة ثلاثين في حلب، ومنشوراً آخر بإمرة مائة في بلاد الروم. وفي هذا التاريخ ورد كتاب ملك الروم، بأن العدو هولاكو لما بلغه اتفاق الروم مع السلطان خاف من هيبته وولى هارباً، وأنه سير إلى قونية يحاصرها ليأخذها من أخيه.

وفي هذا التاريخ قدم كتاب الملك المنصور صاحب حماة، وصحبته قصاد من التتار معهم فرمان له، فشكره السلطان على ذلك، واعتقل التتار.

وفي هذا التاريخ سار الأمير عز الدين الأقرم أمير جاندار بعسكر إلى بلاد الصعيد وأوقع بالعربان وبدد شملهم، وذلك أنهم كثر طمعهم وهموا بتغيير الممالك، ووثبوا على الأمير عز الدين الهواش والي قوص وقتلوه.

وفي شعبان: كثر قدوم العزيزية والناصرية الذين كانوا صحبة الأمير البرلي. فأكرمهم السلطان وعفا عنهم.

وفي هذه المدة وصل الأمير فارس الدين أقوش المسعودي الذي كان قد توجه رسولاً إلى الأشكري. وكان

الأشكري قد بعث يطلب من السلطان بطركا النصارى الملكية، فعين الرشيد الكحال لذلك، وسيره إليه مع الأمير فارس الدين أقوش المسعودي في عدة من الأساقفة. فلما وصلوا إليه أكرمهم وأعطاهم، وواقف الأمير أقوش على جامع. بناه بالقسطنطينية ليكون في صحيفة السلطان ثوابه. وعاد الأمير، قوش وصحبته البطرك المذكور، فقدم البطرك ما ورد على يده من هدية الأشكري للسلطان، وقدم أيضاً ما حصل له من المال، فرد السلطان ذلك عليه. وجهز السلطان برسم جامع قسطنطينية الحصر العبداني، والقناديل المذهبة والستور المرقومة، والمباخر والسجادات إلى غير ذلك من البسط الرومية، والعود والعنبر والمسك وماء الورد.

وفيها أغار الأمير شمس الدين سنقر الرومي على أنطاكية، ونازل صاحبها البرنس وأحرق الميناء بما فيها من المراكب، وكان معه الملك الأشرف موسى صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماة. ثم حاصر السويداء، واستولى عليهما وقتل وأسر وعاد موصل إلى القاهرة يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان، وصحبته من الأسرى مائتين وخمسين أسيراً. فأكرمه السلطان، وأحسن إلى الأمراء، وسير الخلع إلى الملكين المذكورين.

وفي ثالث شهر رمضان: عزل السلطان قاضي القضاة برهان الدين السنجاري عن قضاء مصر والوجه القبلي، وأعاد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها. وكان متشدداً في أحكامه، فرسم له في ذي القعدة أن يستنيب عنه مدرسي المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية والحنابلة، فاستنابهم في الحكم عنه، ولم يعرف ذلك عصر قبل هذا الوقت: فجلس القاضي صدر الدين سليمان الحنفي، والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي، في أول ذي القعدة وحكموا بين الناس بمذاهبهم.

وفي رابعه: قبض على الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري نائب الشام، وحمل إلى مصر فاعتقل بقلعة الجبل، وكانت مدة نيابته سنة وشهراً. وحكم في دمشق بعده الأمير علاء الدين أيدغدي الحاج الركني إلى أن يحضر نائب.

وفيها كثر الإرجاف في دمشق بحركة التتار، فكتب السلطان برحيل أهل الشام بأهليهم إلى مصر. فحضر من تلك البلاد خلق كثير، بعدما كتب السلطان إلى الولاة بتخميرهم، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة، ولا يتعرض لما معهم من متجر ولا غيره، ولا تغش تجارة، فاعتمد ذلك .وكتب السلطان إلى حلب بتحريق الأعشاب، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرقت الأعشاب التي كانت بالمروج التي جرت عادة هولاكو أن ينزلها. فعمت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رماداً، وهم الحريق بلاد خلاط، وقطع السنبل وهو أخضر.

وفيها خرجت الكشافة من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين. وقد كان الملك بركة بعثهم نجدة إلى هولاكو، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم أن تعذر عليهم اللحاق به أن يصيروا إلى عساكر مصر. وكان سبب عداوة بركة وهولاكو أن وقعه كانت بينهما، قتل فيها ولد هولاكو وكسر عسكره وتمزقوا في البلاد، وصار هولاكو إلى قلعة بوسط بحيرة أذربيجان محصورا بها. فلما بلغ ذلك السلطان سر به، وفرح الناس باشتغال هولاكو عن قصد بلاد الشام. وكتب السلطان إلى النواب بإكرام الوافدية من التتار، والإقامة لهم ما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره، وسيرت إليهم الخلع

والإنعامات والسكر ونحوه. وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم في سادس عشري ذي الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فتلقاهم وأنزلهم في دور بنت لهم في اللوق ظاهر القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال. وأمر السلطان أكابرهم، ونزل باقيهم في جملة البحرية، وكانوا مائتي فارس بأهاليهم، فحسنت حالهم، ودخلوا في الإسلام. وكتب السلطان إلى الملك بركة كتاباً، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك.

وفيها سار صندغون مقدم التتار إلى الموصل، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقاً، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء. وحاصرها صندغون حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي، في يوم الجمعة النصف من شعبان، فقبض عليه وعلى من معه. ووقع التخريب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها، ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام، ووسطوا علاء الدين ابن الملك الصالح، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية، وهدموا المباني وتركوها بلاقع، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل، ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاكو. وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البرلي من حلب نجدة للملك الصالح، فأدركه التتار بسنجار وواقعوه، فانهزم منهم إلى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة. ثم استأذن الأمير شمس الدين السلطان في العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذي القعدة، فأنعم عليه السلطان وأقطعه إمرة سبعين فارساً. وولى السلطان بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيدمر الشهابي، فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة، وبعثهم إلى مصر فوسطوا.

وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة، وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي، وشهري بن أحمد الخفاجي، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديثة، ووشاح وغيرهم. فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عيناً على التتار.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي، قتيلاً في المعركة قريباً من هيت.

وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن المهذب السلمي الشافعي، عن اثنتين وستين سنة في..... ،.

وتوفي الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفي بالقاهرة. عن نيف وستين سنة.

وتوفي الأديب محيي الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن يوسف بن شبرمة بن زبلاق الهاشمي الموصلي الأديب الشاعر الكاتب، قتيلاً بالموصل، عن سبع وخمسين سنة.

سنة إحدى وستين وستمائة

في الخميس ثامن المحرم: جلس الملك الظاهر مجلساً عاماً جمع فيه الناس. وحضره التتار الذين وفدوا من العراق

والرسل المتوجهون إلى الملك بركة. وجاء الأمير أبو العباس أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر بن أحمد بن المسترشد بالله العباسي، وهو راكب إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجلس إلى جانب السلطان، وقرئ نسبه على الناس بعدما ثبت على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ولقب بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، وتولى قراءة نسبه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر. فلما ثبت ذلك مد السلطان يده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أعداء الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها، والوفاء بالعهود وإقامة الحدود، وما يجب على الأمير فعله في أمور الدين وحراسة المسلمين. فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد، وجعل إليه تدبير الخلق، وإقامه قسيمه في القيام بالحق، وفوض إليه سائر الأمور، وعلق به صلاح الجمهور. ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته، فلم يبق ملك ولا أمير ولا وزير ولا قاض ولا مشير ولا جندي ولا فقيه إلا وبايعه. فلما تمت البيعة تحدث السلطان معه في إنفاذ الرسل إلى الملك بركة، وانفض الناس.

فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم: اجتمع الناس وحضر الرسل المذكورون، وبرز الخليفة الحاكم بأمر الله وعليه سواده، وصعد المنبر لخطة الجمعة فقال: الحمد لله الذي أقام لكل العباس ركناً وظهيراً، وجعل لهم من لديه سلطاناً ونصيراً. أحمده على السراء والضراء، وأستنصره على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء الأربعة الخلفاء، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبي السادة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين، وعلى بقية الصحابة التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .أيها الناس اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنام، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سببت الحرم إلا بإنتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم. فلو شاهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام، واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال، وهتكوا حرم الخليفة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات بالبكاء والعويل، وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل. فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم طفل بكا فلم يرحم لبكائه. فشمروا عن ساق الاجتهاد في أحياء فرض الجهاد "واتقوا الله ما استطعتم وأسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"، فلم تبق معذرة عن أعداء الدين، والمحاماة عن المسلمين.

وهذا السلطان الملك الظاهر، السيد الأجل العالم العادل المجاهد الرابط ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار. فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود. فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة، وأخلصوا نياتكم تنتصروا، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ولا يروعنكم ما جرى، فالحرب سجال والعاقبة للمتقين، والدهر يومان والأخرى للمؤمنين .جمع الله على التقوى أمركم، وأعز بالإيمان نصركم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

وجلس الخليفة جلسة الاستراحة، ثم قام للخطة الثانية وقال: الحمد لله حمداً يقوم بشكر نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة للقائه، وأشهد أن محمداً سيد رسله وأنبيائه، صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه عدد ما خلق في أرضه وسمائه. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الإنسان كلام الديان: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلكم خير لكم وأحسن تأويلا"، نفعنا الله وإياكم بكتابه، وأجزل لنا ولكم من ثوابه، وغفر لي ولكم وللمسلمين أجمعين، والحمد لله رب العالمين. ثم نزل الخليفة. وصلى بالناس صلاة الجمعة، وانصرف.

وفي هذا اليوم خطب على منابر القاهرة ومصر بالدعاء للخليفة الحاكم بأمر الله، وكتب إلى الأعمال بذلك، فخطب له بدمشق في يوم الجمعة سادس عشره. وقد قيل في نسبه أنه أبو العباس أحمد بن الأمير محمد بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القبي بن الحسن بن أمير المؤمنين الراشد بن المسترشد، وهو الخليفة التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس، وليس فيهم بعد السفاح والمنصور من ليس أبوه وجده خليفة غيره، وأما من ليس أبوه خليفة فكثير.

وتجهز الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كش تك، وكتب على يدهما كتب بأحوال الإسلام ومبايعة الخليفة، واستمالة الملك بركة وحثه على الجهاد، ووصف عساكر المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم، وما فيها من خيل وتركمان وعشائر وأكراد، ومن وافقها وهاداها وهادنها، وأنها كلها سامعة مطيعة لإشارته، إلى غير ذلك من الإغراء بهلاون وتهون أمره والإشلاء عليه وتقبيح فعله، ونحو ذلك. وجهز السلطان معهما أيضاً نسخة نسبة الخليفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذهبت وكتب فيها الإسجال بثبوتها. وجمعت الأمراء والمفاردة وغيرهم وقرئت عليهم الكتب، وسلمت إلى الرسل. وسير معهما نفران من التتر أصحاب الملك بركة ليعرفاهما بالطرق، وساروا في الطرائد ومعهم زوادة أشهر. فوصلوا إلى الأشكري فقام بخدمتهم، واتفق وصول رسل الملك بركة إليه فسيرهم صحبته وعاد الفقيه مجد الدين لمرض نزل به، ومعه كتاب الأشكري بمسير الأمير سيف الدين ورفقته. وسار الأمير جمال الدين أقوش النجيبي الصالحي إلى نيابة دمشق، ومعه الصاحب عز الدين عبد العزيز بن وداعة وزير دمشق، وعلى يده تذاكر شريفة بعدما خلع عليهما.

وفي سابع ربيع الآخر: سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، ونزل خارج القاهرة. ورحل في حادي عشره، ودام الصيد إلى أن دخل غزة، بعدما ضرب حلقة بثلاث آلاف فارس في العريش، فوقع فيها صيد كثير جداً، وتقنطر الأمير شمس الدين سنقر الرومي عن فرسه، فسار السلطان إليه ونزل عنده، وجعل رأسه على ركبته وأخرج من خريطته الموميا وسقاه، وأخذه معه إلى خيمته. وتقنطر الأمير سيف الدين قلاوون، فاعتمد السلطان معه مثل ذلك.

وقدم عليه في غزة جماعة منهم أم الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب صاحب الكرك، فأنعم عليها إنعاماً كثيراً وأعطى سائر من كان معها، وحصل الحديث في حضور ولدها إلى السلطان، وعادت إلى ابنها بالكرك. من جملة ما زودها به السلطان من صيده خمسة عشر حملاً، وسار معها الأمير شرف الدين الجاكي المهمندار، برسم تجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر. ونظر السلطان في أمر التركمان، وخلع على أمرائهم وعلى أمراء العربان من العابد وجرم وثعلبة، وضمنهم البلاد وألزمهم القيام بالعداد، وشرط عليهم خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار، وإلى عرب خفاجة، يستحثهم على قتال هولاكو ملك التتار، وأن الأخبار قد وردت من البحر بكسر الملك بركة له غير

مرة.

ثم رحل السلطان من غزة إلى جهة الساحل، ونزل الطور في ثاني عشر جمادى الأولى، وقدم إليه هناك الملك الأشرف صاحب حمص في خامس عشره بإذن منه فتلقاه السلطان وأكرمه، وبعث إليه سبعين غزالاً في دفعة واحدة، وقال: هذا صيد يومنا هذا، جعلته لك،. وخرج إليه المغيث من الكرك بعدما كاتبه الملك الظاهر يستدعيه وهو يسوف به. فأظهر السلطان من الاحتفال له شيئاً كثيراً، وخدعه أعظم خديعة، وكتم أمره عن كل أحد. فلما وصل المغيث بيسان ركب السلطان إلى لقائه في سادس عشري جمادى الأولى، وافاه في أحسن زي. فعندما التقيا ساق الملك المغيث إلى جانب السلطان، فسار به إلى الدهليز السلطاني، ودخلا إلى خركاه، وللوقت قبض عليه. وأحضر السلطان الملوك والأمراء، وقاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان وكان قد استدعاه من دمشق، والشهود والأجناد ورسل الفرنج. وأخرج السلطان إليهم كتب الملك المغيث إلى التتار وكتب التتار إليه، وأخرج أيضاً فتاوى الفقهاء بقتاله، وأحضر أيضاً القصاد الذين كانوا يسفرون بينه، بين هولاكو. ثم قال الأمير الأتابك لمن حضر: السلطان الملك الظاهر يسلم عليكم، ويقول ما أخذت الملك المغيث إلا بها السبب، وقرئت الكتب المذكورة عليهم. فكتب بصورة الحال، وأثبت القضاة خطوطهم في المكتوب، وانفض الجمع. وجلس السلطان وأمر فكتب إلى من بالكرك يعدهم ويحذرهم، وسير الأمير بدر الدين بيسري، والأمير عز الدين الأستادار، بالكتب والخلع والأموال إلى الكرك. وأرسل الملك المغيث عشاء إلى مصر مع الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقاني السلاح دار، فسار به إلى قلعة الجبل وسجنه بها، وأطلق السلطان حواشيه، وبعث بحريمه إلى مصر، وأطلق لهم الرواتب.

ولما خلا بال السلطان من هم الملك المغيث، توجه بكليته إلى الفرنج: فإنهم كانوا قد شرعوا في التعلل وطلبوا زرعين، فأجابهم السلطان بأنكم تعوضتم عنها في الأيام الناصرية ضياعاً من مرج عيون، وهم لا يزدادون إلا شكوى. وآخر الحال طلب الفرنج من والي غزة كتاباً بتمكين رسلهم إذا حضروا، فكتب لهم الكتاب، وتواصلت بعد ذلك كتبهم. ووردت كتب النواب بشكواهم، وأنهم اعتمدوا أموراً تفسخ الهدنة فلما صار السلطان في وسط بلادهم وردت عليه كتبهم، وفيها: ما عرفنا بوصول السلطان. فكتب إليهم: من يريد أن يتولى أمراً ينبغي أن يكون فيه يقظة، ومن خفي عنه خروج هذه العساكر، وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه، من كثرتها التي لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنس منه التراب الذي أثارته خيل هذه العساكر، ولعل وقع سنابكها قد أصم أسماع من وراء البحر من الفرنج، ومن في موتان من التتار. فإذا كانت هذه العساكر تصل جميعها إلى أبواب بيوتكم ولا تدرون، فأي شيء تعلمون. وماذا تحطون به علماً ولم لا أعطيتم لوالي غزة الكتاب الذي كنا سيرناه لكم بتمكين رسولكم إذا حضر، قال الرسول: نسينا، وما علمنا كيف عدم. فكان الجواب: إذا نسيتم هذا فأي شيء تذكرون. وإذا ضيعتموه فأي شيء تحفظون. وانفعل الحال على هذا. ووصلت نواب يافا ونواب أرسوف بهدية، فأخذت منهم تطميناً لقلوبهم، وتسكينا لهم. هذا وقد أمر السلطان ألا يترل أحد في زرع الفرنج ولا يسيب فرساً، ولا يؤذي لهم ورقة خضراء، ولا يتعرض إلى شيء من مواشيهم ولا إلى أحد من فلاحيهم.

وكانت كتبهم أولاً ترد بندمهم على الهدنة وطلبهم مسخها، فلما قرب السلطان منهم صارت ترد بأنهم باقون

على العهد متمسكون بأذيال المواثيق.

وفي اليوم الذي قبض فيه على الملك المغيث، أمر السلطان بإحضار بيوت الفرنجية وقال: ما تقولون؟ قالوا: نتمسك بالهدنة التي بيننا. فقال السلطان: لم لا كان هذا قبل حضورنا إلى هذا المكان، وإنفاق الأموال التي لو جرت لكانت بحاراً؟ ونحن لما حضرنا إلى ها هنا ما آذيناكم زرعاً ولا غيره، ولا نهب لكم مال ولا ماشية، ولا أسر لكم أسير. وأنتم منعتم الجلب والميرة عن العسكر، وحرمتم خروج شيء من الغلات والأغنام وغير ذلك، ومن انفرد من غلمان العسكر أسرتموه. إلينا بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها، وسيرنا نسخة يمين من عندنا لم تحلفوا عليها، وعلمتم أنتم نسخة عفتم عليها، وشرط اليمين الأولى تتعلق بالثانية. وسيرنا الأسارى إلى نابلس ومنها إلى دمشق، وما سيرتم أنتم أحد وكل بيت يحيل على الآخر، وما سيرنا الأسارى إلا وفاء بالعهد وإقامة الحجة عليكم وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولاً يعلمكم بوصول الأسرى، فلم تبعثوا أحداً، ولم ترحموا أهل ملتكم الأسرى وقد وصلوا إلى أبواب بيوتكم، كل ذلك حتى لا تبطل أشغالكم من أسرى المسلمين عندكم. وأموال التجار شرطتم القيام بما أخذتموه منها، ثم قلتم ما أخذت من بلادنا وإنما أخذت في أنطرسوس وحمل المال إلى خزانة بيت الديوية والأسرى في بيت الديوية، فإن كانت أنطرسوس ما هي لكم فالله يحقق ذلك. ثم إنا شرنا رسلا إلى بلاد السلاجقة الروم، وكتبنا إليكم بتسفيرهم في البحر فأشرتم عليهم بالسفر إلى قبرص فسافروا بكتابكم وأمانكم، فأخذوا وقيدوا وضيق عليهم، وأتلف أحدهم على ما ذكر. فإن كان هذا برضاكم فقبيح أن يعتمدوا هذا الاعتماد. هذا مع إحساننا إلى رسلكم وتجاركم، والوفاء أحد أركان الملك. وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذي، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردد، وما القدرة على الرسول بشيء يسكن غيظاً. فإن كان هذا بغير رضاكم فإنه نقص في حرمتكم، وإذا كان صاحب جزيرة قبرص من أهل ملتكم، يخرق حرمتكم ولا يفي بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فأي حرمة تبقى لكم وأي ذمام يوثق به منكم، وأي شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجية، وهل كانت الملوك الماضية تقي النفوس والرجال والأموال إلا بحفظ الحرمة. وما صاحب جزيرة قبرص ملك عظيم، ولا صاحب حصن منيع، ولا قائد جيش كثير، ولا هو خارج عنكم. بل أكثر تعلقاته في عكا والساحل، وله عندكم المراكب والتجار والأموال والرسل، وليس هو منفرد بنفسه، وعنده الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده، وعنده كند يافا وغيره. فلو كنتم لا تؤثرون ذلك كنتم قمتم جميعكم عليه، وأحطتم على كل ما يتعلق به وأصحابه، واسترحتم من هذه الفضيحة، وكتبتم إلى ملوك الفرنجية وإلى البابا بما فعله. وإذا قلتم صاحب قبرص لا يسمع منكم ولا يعطكم، فإذا لم يسمع منكم صاحب قبرص وهو من أهل ملتكم، فمن يسمع منكم؟ وهل لهذه التقدمة إلى الأمر والنهي؟ ولاسيما أنتم تقولون أن أموركم دينية، ومن ردها عصى المعبود، ويغضب عليه المسيح. فكيف لا يعصي المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرص، وقد رد أمركم وأغرى بكم وقبح قولكم. وكنا لو اشتهينا أخذنا حقنا منه، وإنما الحق عندكم نحن نطلب منكم، وأنتم تطلبون منه. وأنتم في أيام الملك الصالح إسماعيل أخذتم صفد والشقيف، على أنكم تنجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين أيوب. وخرجتم جميعكم في خدمته ونجدته، وجرى ما جرى من خذلانه، وقتلكم وأسركم وأسر ملوككم وأسر مقدميكم، وكل أحد يتحقق ما جرى عليكم من ذهاب الأرواح والأموال. وقد انقضت تلك الدولة، ولم يؤاخذكم السلطان الشهيد عن فتوحه البلاد، وأحسن

إليكم فقابلتم ذلك بأن رحتم إلى الريدافرنس، وساعدتموه وأتيتم صحبته إلى مصر، حتى جرى ما جرى من القتل والأسر. فأي مرة وفيتم فيها لمملكة مصر، أم أي حركة أفلحتم فيها. وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الملك الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام، وطاعة ملكها ونصرته والخروج في خدمته، وإنفاق الأموال في نجدته. وقد صارت بحمد الله مملكة الشام وغيرها لي، وما أنا محتاج إلى نصرتكم ولا إلى نجدتكم، ولم يبق لي عدو أخافه. فردوا ما أخذتموه من البلاد، وفكوا أسرى المسلمين جميعهم، فإني لا أقبل غير ذلك.

فلما سمع رسل الفرنج هذه المقالة بهتوا، وقالوا: نحن لا ننقض الهدنة، وإنما نطلب مراحم السلطان في استدامتها، ونحن نزيل شكوى النواب، ونخرج من جميع الدعاوى ونفك الأسرى، ونستأنف الخدمة. فقال السلطان: كان هذا قبل خروجي من مصر، في هذا الشتاء وهذه الأمطار، ووصول العساكر إلى هنا. وانفصلوا على هذه الأمور، فأمر السلطان بإخراجهم وألا يبيتوا في الوطاق. ووجه الأمير علاء الدين طيبرس إلى كنيسة الناصرة، وكانت أجل مواطن عباداتهم ويزعمون أن دين النصرانية ظهر منها، فسار إليها وهدمها، فلم يتجاسر أحد من الفرنج أن يتحرك. ثم وجه السلطان الأمير بدر الدين الأيدمري في عسكر إلى عكا، فساروا إليها واقتحموا أبوابها وعادوا. ثم ساروا ثانياً، وأغاروا على مواشي الفرنج، وأحضروا منها شيئاً كثيراً إلى المخيم.
واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز بصفة عمرها، من غير احتجاب عن أحد، فمن وقف له أحضره وأخذ قصته وأنصفه وهو في أمر ونهي وعطاء وتدبير، واستجلاب قلوب أهل الكرك. وقدمت رسل دار الدعوة بالهدايا، فأحسن إليهم وعادوا. وأمر جماعة في الشام والساحل، وأعطي الأمير علاء الدين أيديكن البندقدار إقطاعا جيداً بمصر. وطلب أهل بلاد الساحل من الفلاحين، وقرر عليهم أموالاً سماها جنايات، وألزمهم بحملها إلى بيت المال، عن ديات من قتل وليس له وارث وهم ما نهبوه من مال جهل مالكه. فحملت من ذلك أموال كثيرة جداً من بلاد نابلس وبلاد الساحل، وانكسرت شوكة أهل العيث والفساد بذلك بعدما كان الضرر عظيماً بهم، من تسلطهم على الرعية ونقلهم الأخبار للفرنج. فرأى السلطان عقوبتهم بهذا الفعل أولى من قتلهم، فإنهم أصحاب زرع وضرع.
ركب السلطان وجرد من كل عشرة فارساً، واستناب الأمير شجاع الدين الشبلي المهمندار في الدهليز السلطاني، وساق من منزلة الطور نصف الليل. فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر، وندب جماعة لحصار برج كان قريباً منه فشرعوا في نقبه، وأقام لسلطان على ذلك إلى قريب المغرب وعاد. وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا، فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحداً لا يجسر أن يقرب منها، فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة. ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح، وأركب ناس معه، وساق إلى عكا. فإذا الفرنج قد حفروا خندقاً حول تل الفضول، وجعلوا معاثر في الطريق، ووقفوا صفوفاً على التل، فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه، وشرع الجميع في ذكر الله وتهليله وتكبيره، والسلطان يحثهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم. وللوقت ردمت الخنادق بأيدي غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين، وصعد المسلمون فوق تل الفضول، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة.

وامتدت الأيدي إلى ما حول عكا من الأبراج فهدمت، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها .وساق العسكر إلى أبواب عكا، وقتلوا وأسروا عدة من الفرنج ، ساعة واحدة، والسلطان قائم على رأس التل يعمل

في أخذ رأي المدينة، والأمراء تحمل على الأبواب واحداً بعد واحد. ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج في الخنادق، وهلك منهم جماعة في الأبواب. فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذي نقب، وقد تعلق حتى رمي بين يديه، وأخذ منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلاً، وبات السلطان على ذلك .فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكاناً مكاناً، وعبر على الناصرة حتى شاهد خراب كنيستها وقد سوى بها الأرض، وصار إلى الصفة التي بناها قبالة الطور، فوافاها ليلاً وجلس عليها. وأحضر الشموع التي بالمنجنيقات ونصب عليها خمسة، وأحضر الصاحب فخر الدين محمد بن حنا وزير الصحبة. وجماعة كتاب الدرج وهم سبعة: الصاحب فخر الدين بن لقمان، والصدر بدر الدين حسن الموصلي، والصدر كمال الدين أحمد بن العجمي، والصدر فتح الدين ابن القيسراني، والصدر شهاب الدين أحمد بن عبيد الله، والصدر برهان الدين. واحضر كتاب الجيش، وأمر الأمير سيف الدين الزيني أمير علم أن يجلس مع كتاب الجيش، لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطبلخانا، وأن يكون الأتابك بين يدي السلطان .واستدعى من الجشارات بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء وأحضرت خلع كثيرة، وأمر السلاح دارية أن يستريحوا بالنوبة ويحضروا. فلم تزل المثالات والمناشير تكتب وهو يعلم، فكتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشوراً كباراً يخطب لأمراء كبار . وظل الصاحب فخر الدين يعلم، وفتح الدين بن سناء الملك صاحب ديوان الجيش وصاحب ديوان الخزائن يعلم، والأمير بدر الدين الخازندار واقف، والمستوفي يترل، حتى كملت بين يديه. وأصبح السلطان فخلا بنفسه، وجهز الطبلخاناه والسناجق والخيل والخلع إلى الأمراء، وجعل الأمير ناصر الدين القيمري نائب السلطة بالفتوحات الساحلية.

ورحل السلطان من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة، وسار إلى القدس فوافاه يوم الجمعة عشره، وكشف أحوال البلد وما يحتاج إليه المسجد من العمارة، ونظر في الأوقاف وكتب بحمايتها، ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم وأمر ببناء خان خارج البلد، ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف بباب العيد، ونادى بالقدس ألا يترل أحد في زرع.

لم سار السلطان إلى الكرك فترله يوم الخميس ثالث عشريه بعساكره، وأحضر السلالم الخشب من الصلت وغيره، والحجارين والبنائين والنجارين والصناع من مصر ودمشق. وكتب إلى من في الكرك فخافوا، وترددت الرسل بينهم وبينه، حتى استقر الحال على أنه يعطى الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث إمرة مائة فارس، فأنعم بذلك. ونزل أولاد المغيث، وقاضي المدينة وخطبها وعدة من أهلها ومعهم مفاتيح المدينة والقلعة، فحلف لهم السلطان وأرضاهم، وسير الأمير عز الدين أيدمر الأستادار، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في ليلة الجمعة رابع عشريه، فتسلما القلعة. وفي بكرة الجمعة دعي للسلطان على الأسوار، ونصبت سناجقه على الأبراج، وركب في الساعة الثالثة وطلع إلى القلعة ورتب أمر جيش الكرك، وأنفق فيهم ثلاثة أشهر من خزائنه واهتم السلطان ببلادها وعين لها خاصاً، وزاد جماعة، وأنعم على أولاد الملك المغيث بجميع ما كان في القلعة من مال وقماش وأثاث. وصلى بها صلاة الجمعة، ونزل قريب المغرب، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهلها بسوء. وأصبح السلطان فبعث إلى العزيز بن المغيث الخلع والقماش، وإلى الطواشي بهاء الدين صندل، والأمير شهاب الدين صعلوك أتابكة. كتب بالبشارة إلى مصر

والشام بأخذ الكرك، وأن تحمل إليه الغلات والأصناف طلع السلطان إليها يوم الاثنين، وأحضر الدواوين ورتب الإقطاعات للعربان الأجناد، فكتب بين يديه زيادة على ثلاثمائة منشور، وسلمت لأربابها بعدما حلفوا بين يدي السلطان، وكتبت أيضاً تواقيع لأهل الكرك بمناصب دينية وديوانية. وجرد سلطان بها عدة من البحرية والظاهرية، وحلف مقدمي الكرك وأنصارها، وقال لأهل كرك: اعلموا أنكم قد أسأتم إلى في الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم ما خامرتم على صاحبكم. وقد ازددت فيكم محبة فتناسوا الحقود. وأحضر الأمير عبية وغيره عن هرب من بني مهدي، وألزمهم أدراك البلاد وخفرهم إلى أرض الحجاز، وأمر بعمارة ما يحتاج إليه في السور وحصنه وحفر الخندق وأحاطه بالحصن، ولم يكن قبل ذلك كذلك. وأشحن الحصن بالأسلحة والغلال وآلات الحرب والأقوات، ووضع فيه مبلغ سبعين ألف دينار عيناً ومائة وخمسين درهم نقرة. واستناب بالكرك الأمير عز الدين أيدمر من مماليكه، وأضاف إليه الشوبك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وكثيراً من القماش.

ورحل السلطان إلى مصر، ومعه أولاد الملك المغيث وحريمه، في يوم الأربعاء تاسع عشريه. فدخل القاهرة في سابع عشر رجب وقد زينت أحسن زينة، فشق القصبة إلى قلعة الجبل على شقق الحرير الأطلس والعتابي، وخلع على الأمراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلمانه ومباشريه، وأعطى العزيز بن الملك المغيث إمرة مائة فارس وخلع عليه وأعطاه طبلخاناه، وأطلق لأخويه وحرم أبيه سائر ما يحتاجون إليه هم وغلمانهم، وأنزلهم بدار القطبية بين القصرين من القاهرة.

وأصبح السلطان فقبض على الأمير سيف الدين الرشيدي واعتقله. وفي تاسع عشره قبض على الأمير عز الدين أيبك الدمياطي والأمير شمس الدين أقوش البرلي واعتقلهما فكان آخر العهد بأقوش البرلي. ولما قبض السلطان عليهما أحسن إلى مماليكهما وحواشيهما، ولم يغر على أحد منهم ولا تعرض إلى بيوت الأمراء. وكان سبب تنكره على هذه الأمراء أنه كان قد فوض إلى الرشيدي أمر المملكة حتى تصرفت يده في كل شيء، وأطلق له في كل جمعة خوانين من عنده يمدان له حتى ماء الورد، ورتب له كل شهر كلونتين زركش قيمة كل منهما مبلغ خمسين ديناراً عيناً وقيمة كلبندها مبلغ أربعين ديناراً ورتب له برسم مشروبه اثني عشر ألف دينار في كل سنة. هذا سوى ما له من الاقطاعات الجليلة والمرتبات الكثيرة، وسوى الإنعامات وجوامك البزدارية والفهادة وعليق الخيل. فأقبل الرشيدي على اللهو وشرب الخمر، وحمت حواشيه عدة بلاد، وحدثت منه أمور لا تسر، فأغضى عنه السلطان. فلما كان بالطور بلغه أن الرشيدي قد فسدت نيته، فأقام عليه عيوناً تحفظ كل ما يجري منه : فبلغه عنه أنه كان يكاتب المغيث بالكرك ويحذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه، وأنه كتب إلى أهل الكرك أيضاً بعد القبض على المغيث يأمرهم بألا يسلموا الكرك، فأسر السلطان ذلك في نفسه إلى أن سار إلى الكرك فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك، فسارع إليه ولاطفه وركب معه إلى الكرك وأخذها. وبلغ السلطان عنه أيضاً عدة أمور من هذا النحو.

وقدمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاكو -وهم الأمير جلال الدين ابن القاضي، والشيخ نور الدين علي، في عدة - ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه، وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين وستمائة. وقدم أيضاً رسول الأشكري، ورسول مقدم الجنوية، ورسول صاحب الروم السلاجقة، فأحسن

السلطان إلى الرسل وعمل لهم دعوة بأراضي اللوق، وواصل الإنعام عليهم في يومي الثلاثاء والسبت عند اللعب في الميدان.

وفي يوم الجمعة ثامن عشري شعبان: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك بركة، ودعا للسلطان وللملك بركة في الخطبة، وصلى بالناس صلاة الجمعة، واجتمع بالسلطان وبالرسل في مهمات أمور الإسلام.

وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان: سأل السلطان الملك الظاهر الخليفة الحاكم بأمر الله: هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين أو من أوليائهم المتقين، فقال: لا، والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود. فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة، وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضي الله عنه قد افترضه. ولبس الخليفة في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك، وباشر اللبس الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان، بحق لبسه عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر -وأبوه لجده الناصر لدين الله - والناصر لعبد الجبار، لعلي ابن دغيم لعبد الله بن القير، لعمر بن الرصاص، لأبي بكر بن الجحيش، لحسن بن الساريار، لبقاء بن الطباخ، لنفيس العلوي، لأبي هاشم بن أبي حية، لعمر بن ألبس، لأبي علي الصوفي، لمهنا العلوي، للقائد عيسى، لأمير وهران، لرؤية الفارسي، للملك أبي كاليجار، لأبي الحسن النجار، لفضل القرقاشي، للقائد شبل بن المكدم، لأبي الفضل القرشي، للأمير حسان، لجوشن الفزاري، للأمير هلال النبهاني، لأبي مسلم الخراساني، لأبي العز النقيب، لعوف الغساني، لحافظ الكندي، لأبي علي النوبي، لسلمان الفارسي، للإمام الطاهر النقي التقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله.

وفي الليلة الثانية: حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل، وألبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للأتابك، وحمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم. وجهز السلطان هدية جليلة للملك بركة، وكتب جواب كتابه في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية بخط محيى الدين بن عبد الظاهر، وهو الذي قرأه على السلطان بحضور الأمراء. وسلمت الهدية للأمير فارس الدين أقوش المسعودي، والشريف عماد الدين الهاشمي، فسارا في يده طريدة فيها عدة رماة وجرخية وزراقين، وأشحنت الأزودة لمدة سنة، وسارا سابع عشره. وخرجت النجابة إلى مكة والمدينة بأن يدعى للملك بركة ويعتمو عنه، وأمر الخطاء أن يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة، وبعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر.

وفي سادس شوال: توجه السلطان إلى جهة الإسكندرية، فأقام بتروجة أيام ودخل البرية وضرب حلقة فوقع فيها كثير من الصيد. واهتم السلطان بأمر المياه وولى أمرها الأخير شجاع الدين الزاهدي أحد الحجاب، وأحضر من الإسكندرية الرجال لحفر الآبار. ثم سار السلطان من تروجة إلى الإسكندرية، وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا قد سبق إليها وحصل جملاً كثيرة من المال: منها حمل بلغ خمسة وتسعين لفة من القماش السكندري، ولم يعامل أحد من أهلها بغير العدل، ولم يضرب بها أحداً بمقرعة. فضرب السلطان خيامه ظاهر المدينة، ونادي ألا يقيم بالثغر جندي ولا يترل أحد في دار.

وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة: دخل السلطان إلى المدينة من باب رشيد، فتلقاه الناس بالسرور والفرح والدعاء. واستدعى السلطان بالخزائن والأمتعة، وشرع في تعبئة ما يعبيه للأمراء على قدر مراتبهم، ورسم

بمكتوب يرد مال السهمين وصلة أرزاق الفقراء، وسامح بما كان يؤخذ من أهل الإسكندرية وهو ربع دينار عن كل قنطار يباع من ...، ولعب بالكرة وخلع على الأمراء، وأعطي الأتابك ثلاثة آلاف دينار وأعطى الأمراء على حسب مراتبهم، وركب لزيارة الشيخ المعتقد محمد بن منصور بن يحيى أبي القاسم القباري، فلم يمكنه من الطلوع إليه ولم يكلمه إلا وهو في البستان والشيخ في عليته، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبي.

وحضر إلى السلطان رجلان من أهل الثغر: أحدهما يقال له ابن البوري والآخر يعرف بالمكرم بن الزيات، ومعهما أوراق تتضمن استخراج أمول ضائعة فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادسه الأتابك والصاحب والقضاة والفقهاء وأمرت فقرئت وصار كلما ذكر له باب مظلمة سده ويعود على المذكورين بالإنكار، حتى انتهت القراءة. فقال :اعلموا أني تركت لله تعالى ستمائة ألف دينار من التصقيع والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النخل فعوضني الله من الحلال أكثر من ذلك، وطلبت جرائد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً وأمر بإشهار ابن البوري.

وفي سابعه: قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة وردت إلى الباب العزيز، عدتها فوق الألف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية، فكتب بالإحسان إليهم.

وفي يوم الخميس ثامنه: جلس السلطان بدار العدل، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي الفرنجيات.

وفي ثامن عشره: سار السلطان من الإسكندرية يريد القاهرة، فنزل تروجة وأمر عربانها بالسباق بين يديه، فاجتمه ألف فارس من عرب تروجة، وانضم إليها جملة من خيل العسكر. وعين السلطان لهم المدى، ووقف على تل، وأوقف الرماح وعليها الثياب الأطلس والعتابي وفيها المال. فأقبلت الخيل، وأخذ كل راكب سبق ما فرض له. ثم سار السلطان إلى قلعة الجبل، فلما وصل فوض قضاء الثغر للفقيه برهان الدين إبراهيم بن محمد علي البوشي المالكي، وكان زاهداً عابداً يأوي إلى مسجد بمصر، وفوض الخطابة للقاضي زين الدين أبي الفرج محمد بن القاضي الموفق بن أبي الفرج الإسكندري الذي كان حاكماً بالثغر.

وفي آخر ذي العقدة: نزل السلطان إلى القاهرة، وعاد الأمير سيف الدين قلاون الألفي، والأمير علاء الدين الحاج أيدغدي الركني، والأمير حسام الدين بن بركة خان.

وفي ليلة الأربعاء خامس ذي الحجة: توفي الأمير حسام الدين بن بركة خان، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها مع الناس.

وفي سادسه: وصلت التتار المستأمنة، وأعيانهم كرمون وأمطغية ونركيه وجبرك وقيان وناسيسة وطيشور ونبتو وصبحي وجرجلان واجقرقا وارقرق وكراي وصلاغيه ومتقدم وصراغان. فركب السلطان إلى تلقيهم فنزلوا عند مشاهدته عن خيولهم وقبلوا الأرض وهو راكب فأكرمهم وعادوا إلى القلعة.

وفي ثامنه: خلع عليهم السلطان، ونزل إلى تربة ابن بركة خان .ثم وردت الكتب بقدوم طائفة أخرى، فاحتفل بهم وركب لتلقيهم. ثم وردت طائفة ثالثة، فاعتمد معهم مثل ذلك وأمر أكابرهم، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا بأجمعهم.

واتفق أن الأمير بهاء الدين أمير أخور ضرب بعض دلالي سوق الخيل، فمات قلاوون واستتر عنده فدخل قلاوون على الأتابك في أمره، وأخرج لأولاد الميت من ماله خمسة آلاف درهم ومائة أردب غلة وكسوة،

فأبرؤه وأقروا أن أباهم مات بقضاء الله وقدره.

ودخل الأتابك إلى السلطان وحدثه في ذلك، فاشتد غضبه، فقال له الأتابك :تغضب والشرع معنا، فإن كان قد قتله عمداً أو خطأً فقد أبرأ الأولياء. وتحدث الأمراء في العفو عنه فعفه، وأمر بعمل جامع من الثياب المفصلة بضرب على يمنة الخيمة السلطانية فعمل ونصبت وأبرأيه وعملت فيه مقصورة برسم السلطان.

وفي هذه السنة :جمدت دار العدل تحت قلعة الجبل، وجلس بها السلطان في يومي الخميس والاثنين لعرض العساكر. وفيها وردت هدية من بلاد اليمن.

وفيها أمر بتنصيب أربعة قضاه نواباً لقاضي القضاة تاج الدين. ابن بنت الأعز، فاستناب حنفياً ومالكياً وشافعياً ولم يجد من يستنيبه من الحنابلة فولى نائباً حنبلياً.

وفيها جهز السلطان عرب خفاجة بالخلع إلى أكابر أهل العراق، وكتب إلى صاحب شراز وغيره يغويهم بهولاكو، وألبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة، وجهز معهم الأمير عز الدين إلى شراز.

وفيها جهز السلطان في البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين، وعدة أخشاب وغيرها من الآلات، برسم عمارة الحرم النبوي. وعملت كسوة الكعبة على العادة، وحملت على البغال وطيف بها في القاهرة ومصر، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة، والفقهاء والقراء والصوفية والخطاء والأئمة. وسفرت إلى مكة في العشر الأوسط من شوال، وفوضت عمارة الحرم لزين بن البوزي.

وفيها جمع الفرنسيس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط، فأشار عليه أصحابه يقصد تونس أولاً، ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازلها حتى أشرف على أخذها، فبعث الله في عسكره وباء هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه، وعاد من بقي منهم.

ومات في هذه السنة

الأمير الكبير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشترين الأركسي الكردي بدمشق.

وتوفي عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الرسغي الحنبلي، شيخ البلاد الجزرية، بسنجار عن اثنتين وسبعين.

وتوفي علم الدين أبو محمد بن أحمد بن موفق جعفر المرسي اللوري بدمشق، وقد انتهت إليه مشخية الإقراء، عن ستين سنة.

سنة اثنتين وستين وستمائة

استفتح السلطان هذه السنة بالجلوس في دار العدل فأحضرت إليه ورقة مختومة مع خادم أسود تتضمن مرافعة في شمس الدين شيخ الحنابلة، إنه يبغض السلطان ويتمني زوال دولته، لأنه ما جعل للحنابلة نصيبا في المدرسة التي أنشأها بجوار قبة الملك الصالح، ولا ولي حنبليا قاضيا، وذكر أشياء فادحة فيه. فبعث السلطان بها إلى الشيخ، فأقسم إنه ما جري منه شيء، وإنما هذا الخادم طردته من خدمتي. فقال السلطان: ولو شتمتني أنت في حل وأمر فضرب الخادم. مائة عصا.

وفي المحرم: نودي بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامه ولا تتزيا بزي الرجال، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة وطلب الطواشي شجاع الدين مرشد الحموي إلى قلعة الجبل، وأنكر عليه

السلطان اشتغال مخدومه صاحب حماة باللهو، وقرر معه إلزام الأجناد بإقامة البزك وتكميل العدد، وكتب له تقليدا وسافر إلى حماة. وقدم للأمير جلال الدين يشكر ابن الدوادار المجاهد دوادار الخليفة ببغداد وكان قد تأخر حضوره فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه.

وفي يوم الأحد الخامس من صفر: اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم. وفوض تدريس الحنفية للصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين بن العديم، وتدريس الشافعية للشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين، والتصدير لإقراء القرآن للفقيه كمال الدين المحلي، والتصدير لإفادة الحديث النبوي للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي. وذكروا الدروس ومدت الأسمطة، وأنشد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ :

ألا هكذا يبني المدارس من بني	ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا
لقد ظهرت الظاهر الملك همة	بها اليوم في الدارين قد بلغ المنى
تجمع فيها كل حسن مفرق	فراقت قلوبا للأنام وأعينا
ومذ جاورت قبر الشهيد فنفسه	النفيسة منها في سرور وفي هنا
وما هي إلا جنة الخلد أزلفت	له في غد فاختار تعجيلها هنا

وأنشد عدة من الشعراء أيضاً ومنهم السراج الوراق، والشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب، فخلع عليهم وكان يوما مشهودا. وجعل السلطان بهذه المدرسة خزانة كتب جليلة، وبنى بجانبها مكتبا للسبيل، وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم والكسوة في فصل الشتاء والصيف.

وفيه ورد الخبر مع الحاج بأنه خطب للسلطان. بمكة، وأن الصدر جمال الدين حسين ابن الموصلي، كاتب الإنشاء المتوجه إلى مكة، تسلم مفتاح الكعبة وقفله بالقفل المسير صحبته، وأباح الكعبة للناس مدة ثلاثة أيام بغير شيء يؤخذ منهم. وفيه قرئ كتاب وقف الخان. بمدينة القدس في مجلس السلطان بقلعة الجبل، وحضر قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز قراءته، وكتب به عدة نسخ. ووقف السلطان أيضاً اصطبلين تحت القلعة، يعرف أحدهما بجوهر النوبي، على وجوه البر.

وفيه ورد الخبر بأنه رتب. بمدينة الخليل السماط والرواتب للمقيمين والواردين، وكان قد بطل ذلك من مدة أعوام كثيرة.

وفيه سار السلطان إلى وسيم ومضى إلى الغربية، فصار يسير منفردا في خفية ويسال عن وإلى الغربية الأمير بن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشريه، فذكرت له عنه سيرة سيئة، فقبض عليه وأدبه وأقام غيره، وشكى إليه من ظلم بعض المباشرين النصارى، فأمر به فشنق من أجل إنه تكلم. بما يوجب ذلك. ودخل السلطان دمياط، ثم عاد إلى أشموم، وسار من المترلة إلى الشرقية. وفيه سأل الفرنج أن يؤذن لهم في زراعة ما بيدهم من بلاد الشام وتقويتها بجملة من الغلال، فتقررت الهدنة معهم إلى أيام، وأذن لهم ذلك فزرعوا.

وفي يوم الجمعة حادي عشريه: مات الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المنصور أبو إبراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان صاحب حمص، عن غير ولد ولا أخ ولا ولي عبد. فبعث السلطان إلى الأمير عز الدين بيليك العلائي أحد الأمراء، فتسلمها في سابع

عشريه وحلف الناس بها للملك الظاهر، وتسلم الرحبة أيضاً، وبعث السلطان إليها عشرين ألف دينار عينا، وولي مدينة حران الأمير جمال الدين الجاكي، وولي مدينة الرقة أميرا آخر. وورد الخبر بأن متملك جزيرة دهلك ومتملك جزيرة مواكن، يتعرضان إلى أموال من مات من التجار فسير السلطان إليها أحد رجال الحلقة رسولا، ينكر عليهما.

وفي هذه السنة: بلغ ثمن القرط الذي قضمته الخيول السلطانية وجمال المناخات بأرض مصر، ما مبلغه خمسون ألف دينار.

وفي هذه السنة: ارتفعت الأسعار. بمصر، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز.

وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم، واللحم كل رطل بدرهم وثلث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الورق.

ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرنب ونحوه، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق الفول الأخضر.

فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر. نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير، وكتب إلى الأهراء ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعفاء الناس، ويكون البيع من ويبتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشتري من يخزن.

ونودي للفقراء فاجتمعوا تحت القلعة، ونزل الحجاب إليهم فكتبوا أسمائهم، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقي في القاهرة ومصر من الفقراء، وأحضروا عدهم فبلغت ألوفا.

فقال السلطان: والله لو كانت عندي غلة تكفي هذا العالم لفرقتها.

ثم أخذ ألوفا منهم، وأعطي لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك، وأمر في ديوان الجيش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته، وأعطي الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية، وعزل التركمان ناحية والأكراد ناحية. وأمر أن يعطي كل فقير كفايته مدة ثلاثة أشهر، وأعطي للتجار طائفة من الفقراء، وأعطي الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله .وأمر أن يفرق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا في كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل خبزا بجامع ابن طولون.

ثم قال السلطان: هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم وانقضي نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا، ومن غد يتقرر الحال ففرق فيهم جملة كبيرة. وأخذ الصاحب بهاء الدين طائفة العميان، وأخذ الأتابك جماعة التركمان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الطاشي ولا من الحجاب، ولا من الولاة وأرباب المناصب وذوي المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين. وقال السلطان للأمير صارم الدين السعودي وإلى القاهرة: خذ مائة فقير أطعمهم لله. فقال الأمير: قد فعلت ذلك، وأخذتهم دائماً. فقال السلطان: ذلك فعلته ابتداء من نفسك، وهذه المائة خذها لأجلي فأخذ مائة مسكين أخرى.

وشرع الناس في فتح المخازن وتفرقة الصدقات، فانحط السعر عشرين درهما الأردب، وقلت الفقراء. واستمر الحال إلى شهر رمضان، فدخل المغل الجديد وانحل السعر في يوم واحد أربعين درهما الأردب.

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل، رفعت إليه قصة ضمان دار الضرب فيها بوقف الدراهم،

وسألوا إبطال الدراهم الناصرية، وأن ضمانهم مبلغ مائتي ألف وخمسين ألف درهم، فأمر السلطان أن يحط من ضمانهم مبلغ خمسين ألف درهم، وقال: لا نؤذي الناس في أموالهم."

وفي العشرين من ربيع الآخر: كانت زلزلة عظيمة هدمت عدة أماكن.

وفي ثالث عشريه: رسم بمسامحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي. بما وجب للديوان في تركة أبيهن وكان قد مات بدمشق في رابع عشر المحرم وهو مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، خارجا عن ماله من الأملاك والغلال والخيل. وكتب السلطان بذلك إلى الشام، وقصد بدلك أن يفهم أمراءه أن من مات في خدمته وحفظ يمينه، ينظر في أمر ورثته ويبقي عليهم ما يخلفه.

ومات الأمير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية، فأعطي ابنه إقطاعه وهو مائة طواش.

ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والي سرمين أبقي السلطان إقطاعه بيد إخوته وغلمانه، كل ذلك استجلابا للقلوب.

وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن جمع وسار إلى هرقلة، ونزل على قلعة صرخد. فخرج البريد من قلعة الجبل إلى حماة وحمص بالمسير إلى حلب، فخرجوا وأغاروا على عسكر الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستنجدوا بالتتار، فقدم منهم من كان في بلاد الروم وهم سبعمائة فارس فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة الثلج، وقد هلك منهم كثير.

وورد الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسد وامتلأت فوهته بالطين، وقل الماء في ثغر الإسكندرية بهذا السبب، فسير السلطان الأمير عز الدين أمير جاندار فحفره، وبعث الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستادار لحفر بحر جزيرة بني نصر عند قلة ريها.

وفي جمادى الأول: سافر الأمير سيف الدين بلبان الزيني أمير علم إلى الشام برسم تجهيز مهمات القلاع، وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأمراء بتكميل العدد والعدة، وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذاكر. بما يعتمده، وأن يحمل من دمشق خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها.

ورحلت جماعة من عرب خفاجة كانوا قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التتار حتى وصلت غاراتهم باب مدينة بغداد، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز، فأجيبوا وأحسن إليهم. وفيه توجه قصاد إلى الملك بركة، وأسلم عالم كبير على يد السلطان من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسري ومن النوبة القادمين من عند ملكها، ففرق فيهم في يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرسا.

وفي جمادى الآخرة: قبض على جاسوسين من التتار. وتنجز البرج الذي بناه السلطان في قارة، وشرع في بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج. واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام، وأعد ألف قياء تتري وألف سراقوج، ألبسها الأرمن ليوهم إنهم نجدة من التتر ولما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج عسكرها إلى حمص، وخروج عسكر حماة، وألا يخرج عربان الشام في هذه السنة إلى البرية. فخرجت العساكر، ووالت الغارات من كل جهة، فانهزم الأرمن، ونزل العسكر على أنطاكية فقتل وأسر وغنم، وأغار العسكر أيضاً ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا.

وشرع السلطان البناء في شقيف تيرون، وكان قد خرب من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فلما تم بناؤه حمل إليه

زردخاناه وذخائر، وبعث إلى عسكر الساحل مائتي ألف درهم فرقت فيهم. وورد البريد بأن جماعة من شيراز، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية.
وفي أول رجب: رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسيني مسجدا إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الديوان. فأمر السلطان بردها وعمل الجميع مسجدا، وأمر بعمارته، ووقف أحد الجند بيتيم معه ذكر إنه وصيه، فقال السلطان لقاضي القضاة. إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده، ويجعل اليتيم من الأوشاقية، فإذا مات اليتيم أخذ الوصي موجوده، أو يكبر اليتيم فلا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجوده، أو يموت الوصي فيذهب مال اليتيم في ماله، والرأي أن أحدا من الأوصياء لا ينفرد بوصية، وليكن نظر الشرع شاملا، وأموال اليتامى مضبوطة، وأمناء الحكم يحاققون على المصروف .
وطلب السلطان نواب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك، فاستمر الحال عليه.
وفي ثالثه: قدم الوافدون من شيراز، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكلك، ومعهم سيف الدين اقتبار الخوارزمي جمدار جلال الدين خوارزم شاه، وغلمان أتابك سعد، وهم شمس الدين سنقرجاه ورفقته. ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح بن شهري، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق، وكثير من أمراء خفاجة. فتلقاهم السلطان بنفسه، وأعطي سيف الدين بكلك إمرة طبلخاناه، وأحسن إلى سائرهم.
وفي شعبان: أمر السلطان الأمراء والأجناد والمماليك بعمل العدد الكاملة، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك، وكثر الازدحام بسوق السلاح، وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع آلات السلاح، و لم يبق لأحد شغل إلا ذلك، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله في شيء سوي السلاح، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح ونحوه، وتفننوا في أنواع الفروسية. وورد كتاب أمير المدينة النبوية إنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها في البيت.
وفي شهر رمضان :تنجزت كسوة قبر النبي صلي الله عليه وسلم، وتعين سفرها مع الطواشي جمال الدين محسن الصالحي. ووقع الشروع في تجهيز الشمع والبخور والزيت والطيب. وخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين القيمري بالغارة على قيسارية وعثليث فساق إلى باب عثليث ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج. وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها.

وفيه جري السلطان على عادته في إجراء الصدقات مطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء، فكان يصرف في كل ليلة من ليالي رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ، وجري أيضاً على عادته في عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين، سوي من أعتقه من مماليكه. وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخيذة كبيرة للمسلمين، فكتب إلى نواب الشام بالاجتهاد في ردها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيسري بأن الفرنج ردوها، وكانت تشتمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشي. فسمع في ساعة ردها من اختلاف الأصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الأطفال، ما تكاد ترق له الحجارة.
وقدم البريد من البيرة أن صارم الدين بكتاش الزاهدي أغار على باب قلعة الروم مرارا.
وورد كتاب الملك شارل أخي الفرنسيس ملك الفرنج، ومعه هدية وكتاب أستاداره: بأن مندوبه أمره أن يكون أمر الملك الظاهر نافذا في بلاده، . وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه.

وفي يوم الجمعة خامس عشريه: قرئ مكتوب في جامع مصر بإبطال ما قرر على ولاية مصر من الرسوم، وهي مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة. وورد الخبر بأن الأشكري عوق الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم من الحيوان، فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة، وسألهم عمن خالف الأيمان وما كتب به الأشكري، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه، فأخذ السلطان خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حينئذ نسخ أيمان الأشكري، وقال: إنه قد نكث بإمساك رسلي، ومال إلى جهة هولاكو. ثم جهز إليه الراهب الفيلسوف اليوناني، ومعه قسيس وأسقف، بحرمانه من دينه، وكتب له كتابا أغلظ فيه .وكتب السلطان أيضاً إلى الملك بركة كتابا وسيره إلى الأمير فارس الدين أقوش السعودي المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكري أطلقهم لوقته، فساروا إلى الملك بركة.

وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدة من التتار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر السلطان بجمع الأمراء وأعلمهم بذلك، وقال: أخشى أن يكون في مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأي أن نخرج إليهم، فإن كانوا طائعين عاملناهم. بما ينبغي، وإلا فنكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شيء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفيني فرس واحد، وجميع ما عندي من خيل وجمال ومال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله.

فأشار الأمراء عليه بسلطنة ولده، ليكون مقيما بديار مصر في غيبته.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر شوال: أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه في ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه ولم تزل الأمراء والعساكر في خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من القاهرة رجالة يحملون الغاشية، وقد زينت المدينة أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب: فسار الملك السعيد، والأمير عز الدين أيدمر الحلي راكب إلى جانبه وقد تقرر أن يكون أتابكه، والنياب الأطلس والعتابي تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل ولم يبق أمير حتى فرش من جهته الثياب الحرير، فاجتمع من ذلك أحمال تفرقها المماليك السلطانية. وكتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء، وقرئ التقليد المذكور، وشرع في ختان الملك السعيد، فأمر السلطان الناس بالتأهب للعرض عليه بالأسلحة وآلات الحرب. وقدمت طائفة من جهة التتار المستأمنة، فكتب السلطان إلى أمراء خفاجة بخدمتهم. وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب. وصار يطلع قبيل الفجر، ويتقدم قليلا قليلا حتى صار يطلع مرتفعا، وأضاء ذنبه كثيرا ولم يتغير عن منزلة الهقمة وبعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل. واستمر من آخر رمضان إلى أول ذي القعدة، وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في الجو، وظهر أيضاً في الغرب مما يلي الشمال، بعد عشاء الآخرة في ليال عديدة من أخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضيئة شبه الأصابع مرتفعة في جو السماء. واحمرت الشمس في رابع شوال قبيل الغروب، وذهب ضوؤها حتى صارت كأنها منكسفة إلى أن غربت، فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك.

وأحضر من المقس ظاهر القاهرة طفل ميت، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدي، وجد بساحل

المقس.

وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل صاحب الكرك، وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة، وإكرامه إياهم وتجهيزه لهم.

وفي أول ذي القعدة: جلس السلطان لعرض العساكر عند طلوع الشمس، وقد ملأوا الدنيا، فساق كل أمير في طلبه وهو لابس لامة حربه، وجروا الجنائب وعليها عدد الحرب، وأمر السلطان ألا يلبس أحد في هذا اليوم إلا شعار الحرب. مما زال السلطان جالسا على الصفة التي بجانب دار العدل، والعساكر تسوق وهي لابسة، وديوان الجيش بين يديه، والعساكر تعبر خمسة، ثم عبرت عشرة عشرة. وكاد الناس يهلكون من الزحام وحمو الحديد، فعبروا بغير حساب .وهلك عدة من الناس في الزحام، منهم أيبك مملوك الأمير عز الدين أيدمر الحلي، فدفن ثم نبش ودفن في قبر آخر. فقال في ذلك القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر :

لحادث كلا ولا عن ثبور   ما نقلوا أيبك من قبره

والعرض لابد له من نشور   لكنه في يوم عرض قضى

وأراد السلطان بركوب العسكر في يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استعار شيئاً، فكان من يعرض يدخل من باب القرافة، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى الدهليز المضروب هناك .فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقباء أبيض لا غير، وساق في وسط العساكر اللابسة ومعه يسير من سلاح داريته وخواصه إلى الدهليز، فنزل به ورتب المنازل، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب. ثم إن الناس اهتموا باللعب، ولبسوا خيولهم النشاهير والبرلسم البحرية، والمراوات والأهلة الذهب والفضة، والأطلس الخطابي.

ونزل السلطان وجانبه تجر، فكان منظرا يبهر العيون حسنه. وكان الذي دخل في المراوات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصي. وساق السلطان إلى ميدان العيد وقدامه جنائبه، وشرط لكل أمير يصيب القبق فرسا من الجنائب بما عليه من التشاهير، وخلعة لكل مفردي أو مملوك أو جندي. وساق هو والأمراء، ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرماح بكرة النهار. ونزل السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام، ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرمي النشاب وأعطي وخلع.

وفي هذا اليوم: حضر رسل الملك بركة، فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم، ووقفوا بجانب السلطان يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها. واستمر ذلك أياما.

وفي تاسعه: خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب والحلقة، وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وذوي البيوت، وحضروا بالخلع، واستمر اللعب بقية النهار. فسألت الرسل عن العساكر، هل هي عساكر مصر والشام، فقيل لهم: هذا عسكر مصر فقط، غير من في الثغور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص، والمجردين والذين سافروا في إقطاعاتهم .فكثر تعجبهم من ذلك.

وفي عاشره: عمل السماط بقلعة الجبل، وحضر الملك السعيد وفي خدمته أولاد الملوك وأولاد الأمراء. فختن الملك السعيد، ثم ختن ابن الأمير عز الدين الحلي الأتابك، وابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الرومي، وابن الأمير سيف الدين سكز، وابن حسام الدين ابن بركة خان، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، ثم أولاد

الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة، وابن فخر الدين الحمصي، وعدة من أولاد الأمراء.
وكان ذلك بعدما عمل لعدة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة، فاحضروا في هذا اليوم وختنوا.
ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التي جرت العادة بها للملوك في مثل هذا المهم، فلم يقدم أحد من الخاصة شيئا ألبتة.

ولما انقضي هذا المهم خرج السلطان إلى الطرانة وسار إلى وادي هبيب ونزل الأديرة التي هناك، ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد، وأدركه عيد النحر هناك.
وجرد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم، وأحضر هوارة وعرب سليم، وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد، وألا يؤوا أحدا من أهل الفساد. ثم عاد إلى ثغر الإسكندرية، وعم المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش، ولعب الكرة بالميدان، وزار الشاطبي. ثم سار إلى القاهرة، فترل تروجة، ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزار على عرب برقة، وألزمه بجباية زكاة المواشي وأخذ عشر الزروع والثمار بفريضة الله، فالتزم بذلك. وأنعم عليه بسنجق ونقارات، وتوجه لحفظ البلاد واستخرج الزكاة والعشور من العربان ببرقة.
ووصل السلطان إلى قلعة الجبل، فقدم شحنة تكريت بجماعة. وجهز السلطان الأمير أمين الدين موسى بن التركماني، ومعه عدة من الرماة والمقاتلة. وخزانة مال وعدة خلع، وكثير من أمراء عربان الكرك وبحريتها، ومبلغ من الغلال والذخائر. فساروا إلى خيبر واستولوا على قلعتها.
وكثر في هذه السنة قتل الناس في الخليج، وفقد جماعة، والتبس الأمر في ذلك. ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزينتها ومعها عجوز، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز: لا يمكنها المصير إلى أحد، ولكن من أرادها فليأت مترلنا، فإذا وافي الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه. وكانت المرأة في كل قليل تنتقل من مترل إلى مترل، حتى سكنت خارج باب الشعرية على الخليج. فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرح، فسارت الماشطة معها بالحلي على العادة ومعها جاريتها، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها. وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاها فأنكروها، فمضت إلى الوالي وعرفته الخبر، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب، فأقرتا فحبسهما. واتفق أن رجلا خارجا لفقد أحوالهما، فقبض عليه وعوقب فدل على رفيقه، فإذا هو صاحب أقمنة طوب فعوقب أيضاً. فوجد إنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه في القمين حتى تحترق عظامه، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى، فسمروا جميعا. ثم انطلقت المرأة بعد يومين، فأقامت قليلا وماتت، ثم عملت الدار التي كانوا بها مسجدا، وهو المعروف. بمسجد الخناقة. وفي هذه السنة: وقف السلطان عدة قري بأعمال الشام والقدس، لصرف ريعها في خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة، ومبلغ فلوس .وأنشأ خانا وفرنا وطاحونا، وجعل النظر في ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار.
وفيها قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم.
وسبب وجود عز الدين عند الأشكري هو اختلافه مع أخيه ركن الدين قلج أرسلان، حتى غلبه أخوه ففر منه، وملك أخوه ركن الدين قلج أرسلان بلاد الروم. فمضى عز الدين إلى الأشكري، فأواه وأنزله ومن معه من

الأمراء، وقام بأمرهم مدة، حتى بلغه إنهم قصدوا قتله وأخذ المملكة منه، فقبض عليهم واعتقل عز الدين، وكحل أصحابه كلهم فأعماهم.
وفيها ولي محيي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدي الشافعي قضاء حلب، عوضاً عن ابن عمه كمال الدين أبي بكر أحمد المتوفي.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابن شادي صاحب الكرك، مقتولا بقلعة الجبل، عن ثلاثين سنة.
ومات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور بن شيركوه بن شادي صاحب حمص، عن خمس وثلاثين سنة بها، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه.
ومات الأمير حسام الدين لاجين العزيزي الجوكندار بدمشق، عن نحو خمسين سنة. وتوفي قاضي قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل. بن الحرستاني الدمشقي الشافعي، وهو معزول وبيده خطابة الجامع وتدريس الحديث بالأشرفية، عن خمس وخمسين سنة بدمشق.

وتوفي قاضي القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان الأسدي الشافعي، المعروف بابن الأستاذ، عن إحدى وخمسين سنة.
وتوفي شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصاري عن ست وسبعين سنة، في ثامن رمضان، ومولده في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة.
وتوفي الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيي القباري بالإسكندرية، عن خمس وسبعين سنة.

سنة ثالث وستين وستمائة

في المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد فأقام برسيم، ثم صار إلى العباسية ورمي البندق، وادعي له جماعة منهم الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث صاحب الكرك. فورد الخبر بنزول التتر على البيرة، فجهز السلطان من فوره الأمير بدر الدين الخازندار على البريد، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام.
وركب السلطان من موضعه وساق إلى القلعة، وكانت الخيول على الربيع، فلم يقم بقلعة الجبل بعد عوده من الصيد غير ليلة. وعين الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت لتقدمة العساكر، ومعه من الأمراء فخر الدين الحمصي، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمري، والأمير علاء الدين كشتغاي الشمسي، وعدة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس، فخرجوا من القاهرة جرائد في رابع شهر ربيع الأول. ثم عين الأمير جمال الدين المحمدي، والأمير جمال الدين أيدغدي الحاجي، ومعهما أربعة آلاف أخرى، فبرزوا ثاني يوم خروج الأمير عز الدين إيغان إلى ظاهر القاهرة، وساروا في عاشره.
وفي يوم السبت رابع ربيع الآخر: شرع السلطان في السفر، وخرج بنفسه في خامس شهر ربيع الآخر ومعه

عساكر كثيرة، فوقع فناء في الدواب هلك منها عدد كثير، وصارت الأموال مطروحة، والسلطان لا يقصر في المسير. فلما شكي إليه قلة الظهر قال: ما أنا في قيد الجمال، أنا في قيد نصرة الإسلام.
ونزل السلطان غزة في العشرين منه، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا، فكتم ذلك ولم يعلم به سوي الأمير شمس الدين سنقر الرومي والأمير سيف الدين قلاوون فقط.
وكتب السلطان للأمير إيغان: "متى لم تدركوا قلعة البيرة وإلا سقت إليها بنفسي جريدة،، فساق الأمير إيغان العسكر، ورحل السلطان من غزة، ونزل قريبا من صيداء، فركب للصيد فتقطر عن فرسه وهشم وجهه، فتجلد ورحل، وأتاه قسطلان يافا بتقادم.
ونزل السلطان بيبني في سادس عشريه، فورد البريد من دمشق وهو في الحمام بالدهليز، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان: فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر، صحبة الأمير عز الدين إيغان وجماعة الأمراء يوم الإثنين، وأن التتار عندما شاهدوهم هربوا، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم، وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها يبني أربعة أيام، ثم توالت كتب الأمراء بالبشارة، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها. واستشهد على البيرة الأمير صارم الدينبكناش الزاهدي، وترك موجودا كبيرا وبنتا واحدة، فرسم السلطان أن يكون جميع الإرث لها لا يشاركها فيه أحد وكتب السلطان بعمارة ما خرب من البيرة، وحمل آلات القتال والأسلحة إليها من مصر والشام، وأن يعبأ فيها كل ما يحتاج إليه أهلها في الحصار لمدة عشر سنين. وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التي ردمها العدو فيه، فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدة. وبعثوا بخبر ذلك إلى السلطان وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه، وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده. فكتب جوابهم: إنا بحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم في ضيق ونحن في سعة. ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل والنهار، وناقل الأحجار ومرابط الكفار. وقد تساوينا في هذه الأمور، وما ثم ما تضيق به الصدور.

وكتب السلطان إلى القاهرة باستدعاء مائتي ألف درهم ومائتي تشريف، وإلى دمشق بتجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف، وحمل جميع ذلك إلى البيرة. وكتب إلى الأمير إيغان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير ومأمور وجندي وعامي، وينفق فيهم المال. حتى الحراس وأرباب الضوء، فاعتمد ذلك كله وكتب إلى الديار المصرية بتبطيل المزر، وأن تعفي أثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه، وأن يسقط ارتفاعه من الديوان، ومن كان له على هذه الجهة شيء نعوضه من مال الله الحلال، فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر.
ثم ركب السلطان من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد في غابة أرسوف، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فليحضر، فإن الغابة كثيرة السباع وساق إلى أرسوف وقيسارية، فشاهدهما وعاد إلى الدهليز، فوجد أخشاب المنجنيقات قد أحضرت بصحبة زرد خاناه، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها. وجلس السلطان مع الصناع يستحثهم، فعمل في يوم واحد أربع منجنيقات كبار سوي الصغار. وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق والصناع والحجارين، ورسم للعسكر بعمل سلالم. ورحل السلطان إلى قريب عيون الأساور من وادي عارة وعرعرة، فلما كان بعد عشاء الآخر أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب، وركب آخر الليل وساق إلى

قيسارية، فوافاها بكرة نهار الخميس تاسع جمادى الأولى على حين غفلة من أهلها، وضرب عليها بعساكره. وللوقت ألقي الناس أنفسهم في خندقها، وأخذوا السكك الحديد التي برسم الخيول مع المقاود والشبح، وتعلقوا فيها من كل جانب حتى صعدوا، وقد نصبت المجانيق ورمي بها. فحرقوا أبواب المدينة واقتحموها، ففر أهلها إلى قلعتها، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بالخضراء وكان قد حمل عليها الفرنج العمد الصوان، وأتقنوها بتصليب العمد في بنيانها، حتى لا تعمل فيها النقوب ولا تقع إذا علقت، فاستمر الزحف والقتال عليها بالمجانيق والدبابات والزحافات ورمي النشاب. وخرجت تجريدة من عسكر السلطان إلى بيسان مع الأمير شهاب الدين القيمري، فسير جماعة من التركمان والعربان إلى أبواب عكا، فاسروا جماعة من الفرنج. هذا والقتال ملح على قلعة قيسارية، والسلطان مقيم بأعلى كنسية تجاه القلعة ليمنع الفرنج من الصعود إلى علو القلعة، وتارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل التي تجري حتى يصل إلى السور ليري النقوب بنفسه. وأخذ السلطان في يده يوما من الأيام ترسا وقاتل، فلم يرجع إلا وفي ترسه عدة سهام.

فلما كان في ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى: سلم الفرنج القلعة. بما فيها، فتسلق المسلمون من الأسوار، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها، وأذن بالصبح عليها. وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها، وقسم المدينة على الأمراء والمماليك والحلقة، وشرع في الهدم ونزل وأخذ بيده قطاعة وهدم بنفسه. فلما قارب الفراغ من هدم قيسارية بعث السلطان الأمير سنقر الرومي والأمير سيف الدين المستعرب في جماعة، فهدموا قلعة كانت للفرنج عند الملوحة قريب دمشق وكانت عاتية حتى دكوها دكا.

وفي سادس عشريه: سار السلطان جريدة إلى عثليث، وسير الأمير سنقرا السلاح دار، والأمير عز الدين الحموي، والأمير سنقرا الألفي إلى حيفا. فوصلوا إليها، ففر الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا، وخربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها في يوم واحد، وعادوا بالأسري والرءوس والغنائم سالمين .ووصل السلطان إلى عثليث فأمر بتشعيثها وقطع أشجارها، فقطعت كلها وخربت أبنيتها في يوم واحد. وعاد إلى الدهليز بقيسارية، وكمل هدمها حتى لم يدع لها أثرا، وقدمت منجنيقات من الصبيبة وزرد خاناه من دمشق، وورد عدة من الفرنج للخدمة، فأكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات.

وفي تاسع عشريه: رحل السلطان من قيسارية، وسار من غير أن يعرف أحد قصده فترل على أرسوف مستهل جمادى الآخرة، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر، وحفر سربين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقفه بالأخشاب. وسلم أحدهما للأمير سنقر الرومي، والأمير بدر الدين بيسري، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير شمس الدين الذكر الكركي، وجماعة غيرهم. وسلم الآخر للأمير سيف الدين قلاوون، والأمير علم الدين الحلبي الكبير، والأمير سيف الدين كرمون، وجماعة غيرهم . وعمل السلطان طريقا من الخندقين إلى القلعة، وردمت الأحطاب في الخندق، فتحيل الفرنج وأحرقوها كلها. فأمر السلطان بالحفر من باب السربين إلى البحر، وعمل سروبا تحت الأرض يكون حائط خندق العدو ساترا لها، وعمل في الحائط أبوابا يرمي التراب منها ويترل في السروب حتى تساوي أرضها أرض الخندق. وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك، وولي أمره للأمير عز الدين أيبك الفخري. فاستمر العمل، والسلطان بنفسه ملازم

العمل بيده في الحفر وفي جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الأحجار، أسوة لغيره من الناس. وكان يمشي. بمفرده وفي يده ترس، تارة في السرب وتارة في الأبواب التي تفتح، وتارة على حافة البحر يرامي مراكب الفرنج. وكان يجر في المجانيق، ويطلع فوق الستائر يرمي من فوقها، ورمي في يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده. وحضر في يوم إلى السرب وقد في رأسه خلف طاقة يرمي منها، فخرج الفرنج بالرماح وفيها خطاطيف ليجبذوه فقام وقاتلهم يدا بيد وكان معه الأمير سنقر الرومي، والأمير بيسري، والأمير بدر الدين الخازندار، فكان سنقر يناوله الحجارة حتى قتل فارسين من الفرنج، ورجعوا على أسوأ حال. وكان يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشر إليه بإصبعه. وحضر في هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس، و لم يعهد فيها خمر ولا شيء من الفواحش. بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال، ويعملن في جر المجانيق. وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصلحاء، وأعطي الشيخ علي البكا جملة مال. ولا سمع عن أحد من خواص السلطان إنه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغل، ولا سير أمير غلمانه في نوبته واستراح. بل كان الناس فيها سواء في العمل، حتى أثرت المجانيق في هدم الأسوار، وفرغ من عمل الأسربة التي بجانبي الخندق، وفتحت فيها أبواب متسعة. فلما تهيأ ذلك وقع الزحف على أرسوف في يوم الخميس ثامن رجب، ففتحها الله في ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة. فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلقوا وطلعوا القلعة، ورفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة، وحفت بها المقاتلة وطرحت النيران في أبوابها.

هذا والفرنج تقاتل، فدفع السلطان سنجقه للأمير سنقر الرومي وأمره أن يؤمن الفرنج من القتل، فلما رآه الفرنج تركوا القتال. وسلم السنجق للأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط الحاجب، ودليت له الحبال من القلعة فربطها في وسطه والسنجق معه، ورفع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالحبال وساقهم إلى السلطان والأمراء صفوف وهم ألوف.

وأباح السلطان القلعة للناس، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال ووجد فيها عدة من أسري المسلمين في القيود فأطلقوا، وقيد الفرنج بقيودهم، وعين السلطان جماعة مع الأسري من الفرنج ليسيروا بهم، وقسم أبراج أرسوف على الأمراء، وأمر أن يكون أسري الفرنج يتولون هدم السور، فهدمت بأيديهم.

وأمر السلطان بكشف بلاد قيسارية وعمل متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطلب قاضي دمشق وعدوله ووكيل بيت المال، وتقدم بأن يملك الأمراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه ما يأتي ذكره. وكتبت تواقيع كل منهم من غير أن يطلعوا على ذلك، فلما فرغت التواقيع فرقت على أربابها، وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك، ونسخته :

أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذي رفلت به الملة الإسلامية في أصفى البرود، وفتحه الذي إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار بالسيف البتار، وأعلمهم لمن عقبي الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشي والإبكار، فإن خير النعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العدوين،

ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الإسلام تذل الفرنج بغزوهم في عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار، وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب إلى حلقات الإسار، ففرقة منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا، وفرقة تبقي ما هدم للتتار بالمشرق وتعليه تحصينا، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعا شاهقة وتقسم هضابا سامقة. فهي بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرد سيفا ففري، وحملت رياح النصرة ركابه تسخيرا فسار إلى مواطن الظفر وسري، وكونته السعادة ملكا إذا رأته في دستها قالت تعظيما له ما هذا بشرا. وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتح البلاد، وأعلامه أعلاما من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه أخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها. وإذا عامله الله بلطفه شكر، وإذا قدر عفي وأصلح فوافقه القدر، وإذا أهدت إليه النصرة فتوحات قسمها في حاضريها لديه متكرما وقال لمن حضر، وإذا خوله الله تخويلا وفتح على يديه قلاعا جعل الهدم للأسوار، والدماء للبتار، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار. ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره لملائكة في الصحائف لصفاحه من الأجور، وما تطوي عليه طربات السير التي غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمة الثغور.

فأعطي المدن واحتقر الضياعا فتي جعل البلاد من العطا
عيانا ضعف ما فعلوا سماعا سمعنا بالكرام وقد أرانا
جميلا كان ما فعل ابتداعا إذا فعل الكرام على قياس

ولما كان بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات التي أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء النجوم ضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسقا، وكالوبل تلاحقا إلى الطاعة وتسابقا، رأي ألا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر. بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ، وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم على نفسه، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمسه، ويبقي للولد منهم وولد الولد، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقي على الأبد، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد. فخرج العالي لا زال يشمل الأعقاب والذراري، وينير إنارة الأنجم الدراري، أن يملك أمراؤه وخواصه الذين يذكرون، وفي هذا المكتوب يسطرون، ما يعين من البلاد والضياع، على ما يشرح ويبين من الأوضاع، وهو الأتابك فارس الدين أقطاي الصالحي عتيل بكمالها، الأمير جمال الدين إيدغدي العزيزي النصف من زيتا، الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي نصف طور كرم، الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طوركرم، الأمير شمس الدين الذكر الكركي ربع زيتا، الأمير سيف الدين قلج البغدادي ربع زيتا، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحي أفراسين بكمالها، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحي باقة الشرقية بكمالها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبي الصالحي نصف قلنسوة، الأمير شمس الدين سنقر الرومي نصف قلنسوة، الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي نصف طيبة الاسم، الأمير عز الدين إيغان سم الموت نصف طيبة الاسم، الأمير جمال الدين أقوش النجيبي نائب سلطة الشام أم الفحم بكمالها من قيسارية، الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي بتان بكمالها، الأمير جمال الدين أقوش المحمدي نصف بورين، الأمير فخر الدين ألطنبا الحمصي نصف بورين، الأمير جمال الدين أيدغدي الحاجبي الناصري نصف بيزين، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري الصالحي نصف بيزين،

الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث ثلث حلبة، الأمير شمس الدين سلار البغدادي ثلث حلبة، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبة، الأمير ناصر الدين القيمري نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزيني الصالحي نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إيتامش السعدي نصف يما، الأمير شمس الدين آقسنقر السلاح دار نصف يما، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابة، الأمير بدر الدين محمد بن ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القصون بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار نصف الشويكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التتري نصف الشويكة، الأمير بدر الدين الوزيري نصف طبرس، الأمير ركن الدين منكورس الديداري نصف طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمي علار بكمالها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عرعرا، الأمير سيف الدين قفجق البغدادي نصف عرعرا، الأمير سيف الدين دكجل البغدادي نصف فرعون، الأمير علم الدين سنجر الأزكشي نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطح الأسدي أقتابة بكمالها، الأمير حسام الدين إيمتش بن أطلس خان سيدا بكمالها، الأمير علاء الدين كندغدي الظاهري أمير مجلس الصفرا بكمالها، الأمير عز الدين أيبك الحموي الظاهري نصف أرقاح، الأمير شمس الدين سنقر الألفي نصف أرقاح، الأمير علم الدين طيبرس الظاهري نصف باقة الغربية، الأمير علاء الدين التنكري نصف باقة الغربية، الأمير عز الدين الأتابك الفخري القصير بكمالها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري أخصاص بكمالها، الأمير ركن الدين بيبرس المغربي نصف قفين، الأمير شجاع الدين طغريل الشبلي أمير مهمندار نصف كفر راعي، الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعي، الأمير شرف الدين بن أبي القاسم نصف كسفا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزوري نصف كسفا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستادار العالية نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر الحلي الغزاوي نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانوتا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركني فرديسيا بكمالها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الكرك ثلث حبلة من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومي ثلث حبلة، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهري ثلث حبلة، الأمير

بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح ثلث جلجولية، الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومي ثلث جلجولية.

وكتب من كتاب التمليك الشرعي الجامع نسخ، وفرقت على كل أمير نسخة، وخلع على قاضي دمشق وعاد إلى بلده. ونقلت المنجنيقات إلى القلاع، وهي الكرك وعجلون ونحوهما.

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمهما في يوم الثلاثاء ثالث عشري شهر رجب إلى غزة وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلي نائب السلطة إلى لقائه ببركة الحجاج، فلقوه هناك. ودخل السلطان من القاهرة في يوم الخميس حادي عشر شعبان والأسري بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصمد إلى قلعة الجبل فاستراح. وعرض ما حصله الأمير عز الدين الحلي، والصاحب بهاء الدين بن حنا من الخزائن، ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردي، ولا أحدا من خواصه ولا بزداريته، وبرددداريته وسائر حواشيه، حتى عم الجميع بالخلع وأحسن إلى رسل الملك بركة، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور بالبشارة، وأخرج جملة من الدراهم والغلة الكساوي تصدق بها على الفقراء.

وكان قد كثر الحريق بالقاهرة ومصر في مدة سفر السلطان، وأشيع أن ذلك من النصاري. ونزل بالناس من الحريق في كل مكان شدة عظيمة، ووجد في بعض المواضع التي احترقت نفط وكبريت. فأمر السلطان بجمع النصارى وإليهود، وأنكر عليهم هذه الأمور التي تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم. فجمع منهم عالم عظيم في القلعة، وأحضرت الأحطاب والحلفاء، وأمر بإلقائهم في النار، فلاذوا بعفوه وسألوا المن عليهم. وتقدم الأمير فارس الدين أقطاي أتابك العساكر فشفع فيهم، على أن يلتزموا بالأموال التي احترقت، وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار. فأفرج عنهم السلطان، وتولي البطرك توزيع المال، والتزموا ألا يعودوا إلى شيء من المنكرات، ولا يخرجوا عما هو مرتب على أهل الذمة، وأطلقوا.

وكان الأمير زامل بن على لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسي بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة. فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طيبرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية، وحمل إلى قلعة عجلون. ثم نقل إلى القاهرة واعتقل، ثم أفرج عنه وصار يلعب مع السلطان في الميدان، وحضر الأمير شرف الدين عيسي ابن مهنا وأحمد بن حجي والأمير هارون، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل، ورد على زامل إقطاعه وإمرته، وأذن لهم في السفر. فساروا حتى دخلوا إلى الرمل، فساق زامل وهجم على بيوت عيسي وأفسد، وقبض على قصاد السلطان المتوجهين إلى شيراز، وأخذ منهم الكتب وسار بها إلى هولاكو وأطمعه في البلاد، فأعطاه هولاكو إقطاعا بالعراق.

وسافر زامل إلى الحجاز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام، وكان السلطان قد أعطي إقطاعه لأخيه أبي بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو، فقرر السلطان معه الحضور إلى مدة عينها له، وإنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا أيمان فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلعة الجبل.

وفي خامس عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطي، فلما حضر قال السلطان له: أضجرتني مما تقول. عندي مصالح لبيت مال المسلمين، فتحدث الآن بما عندك فتكلم القرطي في حق قاضي القضاة، وفي حق صاحب سواكن، وقال: إن الأمراء الذين ماتوا أخذ ورثتهم أكثر من حقوقهم. فأمر السلطان بإحضار زيار، وأراه لمن حضر وقال: من يصبر على هذا الزيار يستكثر عليه إقطاع، أو يستكثر على ورثته موجود يخلفه لهم؟ وأنكر عليه وأمر به فحبس وتحدث السلطان في أمر الجند، وإنهم إذا كانوا في البيكار وفي مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيشهد أحدهم أصحابه عند موته، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم، وتضيع أموال الناس بهذا السبب. وقال: الرأي أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير ليسمع قوله، وكل مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، لتسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس . فسر الأمراء بذلك، وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد من الجند لذلك.

وجلس السلطان في تاسع عشريه بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن في شيء من الأملاك الديوانية لا يمكن من الخلو، فأنكر السلطان ذلك وأمر بتمكين الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة. ووردت رسل الأنبرور، ورسل الملك الأشكري، بالهدايا.

وفي سابع شهر رمضان: قدمت العساكر من البيرة، مع الأمير جمال الدين المحمدي، والأمير عز الدين إيغان. وقدمت هدية ملك الكرج. وورد الخبر باستيلاء عز الدين الكندري نائب الرحبة على قرقيسياء، وقتلوا من

كان فيها من التتر والكرج، وأسروا نيفا وثمانين رجلا في نصف شهر رمضان.
وفيه رسم بتحصيل المراكب لتفرق في بحر أشموم، فلما كان ثاني شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه، وقسم عمل البحر على الأمراء، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده فوقع الاجتهاد في الحفر، واستمر السلطان على العمل بنفسه في كل يوم، وصار يركب في المراكب وتفرق المراكب قدامه .
فتنجز العمل في ثمانية أيام، وتكامل الحفر في بحر أشموم، وفي الجهة التي من ناحية جوجر وسار السلطان إلى منزلة ابن حسون، وعاد إلى قلعة الجبل في حادي عشريه.
ورسم بإبطال حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة، وكتب توقيع بإبطالها، وكتب أيضاً بمسامحة الأعمال الدقهلية والمرتاحية أربعة وعشرين ألف درهم نقرة عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدي وتوجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عمر اعتمر بها عنه بمكة، عملت في أوراق مذهبة، وشيء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.
وفي آخره: نزل بالسلطان وعك، فدارى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا.

وفي ذي القعدة: قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكري. وكان الأمير جمال الدين أيدفدي العزيزي يكره قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ويضع من قدره ويحط عليه عند السلطان، بسبب تشدده في الأحكام وتوقفه في القضايا التي لا توافق مذهبه .فاتفق جلوس السلطان بدار العدل في يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضي القضاة بدر الدين السنجاري في حياته، فلما مات ذكر ورثته إنها وقف. فعندما قرئت أخذ الأمير أيدغدي يحط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضي تاج الدين: يا قاض! هكذا تكون القضاة؟ ." فقال تاج الدين: "يا مولانا! كل شاة معلقة بعرقوبها! قال "فكيف الحال في هذا؟ قال إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة فقال السلطان. فإذا لم يكن مع الورثة شيء؟ قال القاضي: يرجع الوقف إلى أصله، ولا يستعاد الثمن. فغضب السلطان من ذلك، وما تم الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال: يا مولانا السلطان سألت هذا القاضي أن يسلم إلى مبلغ ربع الوقف الذي تحت يده، لينفقه صاحب المدينة في فقراء أهلها، فلم يفعل. فسأل السلطان القاضي عما قاله، فقال: نعم. قال السلطان: أنا أمرته بذلك فكيف رددت أمري؟ قال: "يا مولانا هذا المال أنا متسلمه وهذا الرجل لا أعرفه، ولا يمكنني أن أسلمه لمن لا أعرفه، ولا يتسلمه إلا من أعرف إنه موثوق بدينه وأمانته، فإن كان السلطان يتسلمه مني أحضرته إليه. فقال السلطان: تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي قال: نعم. قال السلطان: لا تدفعه إلا لمن تختاره. ثم تقدم بعض الأمراء وقال: شهدت عند القاضي فلم تسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته، فسأل السلطان القاضي عن ذلك فقال: ما شهد أحد عندي حتى أثبته، فقال الأمير: إذا لم تسمع قولي فمن تريد؟ قال السلطان: لم لا سمعت قوله؟ فقال: لا حاجة في ذكر ذلك. فقال الأمير أيدغدي: يا قاضي مذهب الشافعي لك، ونولي من كل مذهب قاضيا. فصغي السلطان لقول أيدغدي وانقضى المجلس، إلى أن كان يوم الإثنين تاسع عشره، ولي السلطان القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذرعي الحنفي مدرس المدرسة الصالحية، والقاضي شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح ابن عيسي بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب

السبكي المالكي، والقاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي ليكونوا قضاة القضاة بديار مصر، وجعل السلطان لهم أن يولوا في سائر الأعمال المصرية، مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وأبقى على ابن بنت الأعز النظر في مال الأيتام والمحاكمات المختصة ببيت المال، وكتب لكل منهم تقليدا وخلع عليهم.
فصار بديار مصر قضاة القضاة من حينئذ أربعة، يحكم كل منهم بمذهبه، ويلبس كل منهم الطرحات في أيام الخدمة السلطانية. ورسم السلطان أيضاً لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم بخطابة القاهرة.
وفي رابع عشري ذي الحجة: قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الرومي واعتقل، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد، فاحتجب عن الاجتماع بالناس، وفيها تولي الأمير نور الدين على بن مجلي المكاري نيابة حلب، عوضاً عن أيدكين الشهابي.
وفيها نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متنكرا، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها بيده، و لم يجسر أحد ينكر عليه. فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة.
وفيها ولي السلطان إمرة عرب آل فضل لعيسى بن مهنا، فسار وطرد التتار عن البيرة وحران، وفيها هلك القان هولاكو بن طولوخان بن جنكيزخان في تاسع عشر شهر ربيع الأول بالقرب من كورة مراغة بالصرع، عن نيف وستين سنة، منها مدة سلطته عشر سنين. وقام من بعده ابنه أباغا، وجهز جيشا لحرب الملك بركة خان، فانهزم هزيمة قبيحة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الباروقي، نائب السلطة بديار مصر ودمشق، وهو معزول بالقصير من عمل مصر، عن أربع وستين سنة.

وتوفي قاضي القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن على السنجاري الشافعي، وهو معروف، بالقاهرة عن نيف وستين سنة.
وتوفي نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصري المغربي، قاضي سيوط بها.

سنة أربع وستين وستمائة

في المحرم: عقد الأمير سيف الدين قلاوون عنده على ابنة الأمير سيف الدين كرمون التتري الوافد. فنزل السلطان من قلعة الجبل، وضرب الدهليز بسوق الخيل، عندما دخل الأمير قلاوون عليها. وقام السلطان بكل ما يتعلق بالأسمطة، وجلس على الخوان، و لم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاوون الخيل وبقج الثياب، وأرسل إليه السلطان تعابي قماش وخيلا وعشرة مماليك، فقبل قلاوون المتقدمة واستعفى من المماليك، وقال: هؤلاء خوشداشيتي في خدمة السلطان فأعفي.
وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة تقاليد: أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا الحنفي قاضي القضاة،

والآخر بتقليد زين الدين أبي محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوي المالكي قاضي القضاة المالكية، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي قاضي القضاة الحنابلة. فصار بدمشق أربعة قضاة، وكان قاضي القضاة الشافعي شمس الدين أحمد بن خلكان، فصار الحال كما هو بديار مصر، واستمر ذلك. واتفق إنه لما قدمت عهود القضاة الثلاثة لم يقبل المالكي ولا الحنبلي، وقبل الحنفي فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك، وأخذ ما بأياديهما من الوظائف إن لم يفعلا، فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلي من تناول جامكية على القضاء. وقال بعض أدباء دمشق لما رأي اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

من كثرة الحكام أهل دمشق استرابوا

وحالهم في ظلام إذا هم جميعا شموس

وقال الآخر :

للناس عاما بدمشق آية قد ظهرت

زادت ظلاما كلما ولي شمس قاضيا

وكان استقلالهم بالقضاء في سادس جمادى الأولى.

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسل الفنش، ورسل ملوك الفرنج، ورسل ملك اليمن، ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية. فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية، إفسادا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزا لمن اكتفي شرهم بالهدية.

وفي ثامن صفر. كانت وقعة بين الأمير علم الدين سنجر الباشقردي نائب حمص، وبين البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس، انهزم فيها الفرنج. وفيه كتب إلى دمشق بعمل مراكب، فعملت وحملت إلى البيرة. وفيه توجه السلطان إلى الإسكندرية، واهتم بحفر خليجها وباشر الحفر بنفسه، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس، حتى زالت الرمال التي كانت على الساحل بين النقيدي وفم الخليج، ثم عدى السلطان إلى بر أبيار، وغرق هناك عدة مراكب، وألقى فوقها الحجارة، ثم عاد إلى قلعة الجبل، وحفر بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشاة بجوار جرف الروضة، وجهز المحمل وخلع على المتوجه به إلىالحجاز، وهو الأمير جمال الدين نائب دار العدل، وسير معه مبلغ عشره آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيرت الغلال لجرايات الصناع.

وفي جمادى الأولى: قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى، قد افتكهم. بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبي نائب دمشق .فحضر عدة من النساء والأطفال، فسيرت النساء إلى دمشق ليزوجهن القاضي من أكفائهن .وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهمندار الصالحي لبناء جسر على نهر الشريعة، ورسم لنائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف. وفيه كل بناء الدار الجديدة عند باب السر المطل على سوق الخيل من قلعة الجبل، فعمل بها دعوة للأمراء.

وفي جمادى الآخرة: سار الأمير أقوش السفيري، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التي فرضها الله وأخذ منهم الحقوق.

وفي ثالث رجب: اهتم السلطان بأمر الغزو، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم، فتأخروا. فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد، فحضروا بأجمعهم.

وخرج السلطان في مستهل شعبان، ورحل في ثالثه وسار إلى غزة. وقدم الأمير أيدغدي العزيزي، والأمير قلاوون، في عدة من العسكر إلى العوجاء. ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منعهم. وسار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد، وأخذوا قلعة عرقة وحلباء والقليعات وهدموها، فلما ورد الخبر بذلك جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار، والأمير عز الدين أوغان، في عدة من العسكر إلى صور فأغاروا على الفرنج، وغنموا وأسروا كثيرا .وتوجه الأمير إيتامش إلى صيداء، وصار السلطان إلى مدينة عكا، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمري، والأمير بدر الدين بيسري إلى جهة القرن، وأرسل الأمير فخر الدين الحمصي إلى جبل عاملة. فأغارت العساكر على الفرنج من كل جهة، وكثرة المغانم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف. ونزل عسكر السلطان على صور، وأقام السلطان في جهة عكا، والأمر ناصر الدين القيمري في عثليث، فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث في الصلح. فاهتم السلطان بأمر صفد، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفد، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة، وحاصروها.

هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدة مجانيق. ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول. ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفد يوم الإثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسل الفداوية، ورسول صاحب بيروت ورسول صاحب يافا، ورسل صاحب صهيون. وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد وقد عجزت الجمال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء، لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجر الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجر، وهو لا يسأم من الجر ولا يبطله، إلى أن نصبت المجانيق رمي بها في سادس عشريه، وصار السلطان يلازم الوقوف عندها وهي ترمي.

وأتت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمري للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان بألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غرة العسكر ونودي يوم عيد الفطر في الناس. من شرب خمرا أو جلبها شنق.

وفي ثانيه: وقع الزحف على صفد، ودفع الزراقون النفط. ووعد السلطان الحجارين إنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قتل جره رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقابون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا،

ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يجرح من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.
وفي ثامنه: كانت بين الفريقين أيضاً، مقاتل.
وفي ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فتفرق الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسوق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبابيس، وقال. المسلمون عل هذه الصورة، وأنتم تستريحون؟، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيدهم وسجنهم بالزردخاناه، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضربت الطبلخاناه واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد.

ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره، ثم طلعت السناجق الإسلامية، وكان لطلوعها ساعة مشهودة. هذا والسلطان راكب على باب صفد حتى نزل الفرنج كلهم، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم، فوجد معهم ما يناقض الأمان من السلاح والفضيات، ووجد معهم عدة من أسري مسلمين أخرجوهم على إنهم نصارى. فأخذ ما وجد معهم وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا في خيمة ومعهم من يحفظهم. وتسلم المسلمون صفد، وولي السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطوري، وجعل الأمير عز الدين العلائي نائب صفد، فلما أصبح حضر إليه الناس، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم، وإنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم، وقال: من هذا الوقت نتحالل، وأمرهم فركبوا. وأحضرت خيالة الفرنج وجميع من صفد، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوي نفرين .أحدهما الرسول، فإنه اختار أن يقم عند السلطان ويسلم، فاسلم وأقطعه السلطان إقطاعا وقربه، والآخر ترك حتى يخبر الفرنج. مما شاهده. وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وفرق على الأمراء العدد الفرنجية والجواري والمماليك، ونقل إليها زردخاناه من عنده، وحمل السلطان على كتفه من السلاح إلى داخل القلعة، فتشبه به الناس ونقلوا الزردخاناه في ساعة واحدة. واستدعى السلطان الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقرر نفقة رجال القلعة في الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقره واستخدم على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا في القلعة وجامعا بالربض ووقف على المجنون نصف وربع الحباب، وللربع الآخر على الشيخ إلياس، ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بحمص.
وفي سابع عشريه: رحل السلطان من صفد إلى دمشق، فنزل الجسورة وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقي العسكر على حاله حتى يسير إلى سيس ودخل السلطان إلى دمشق جريدة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فأخرجهم مكتفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوغان، والأمير قلاوون، فسارو في خامس ذي القعدة إلى سيس.
وفي ثالث ذي القعدة: مات كرمون أغا.
وفي ثامنه: أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاها وأرباب مناصبها بالتشاريف، ونظر في أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التي كانت للناس.
وفي عاشره: جلس الأتابك هو والأمير جمال الدين النجيبي نائب دمشق لكشف ظلامات الناس والتوقيع على

القصص، بدار السعادة. وخرج السلطان للصيد فضرب عدة حلق، وسار إلى جرود ثم إلى أفامية، وجهز السلطان إلى مصر شخصا كان قد حضر إلى دمشق وادعي إنه مبارك بن الإمام المستعصم وصحبته جماعة من أمراء العربان، فلم يعرفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطواشي مختار، وتبين كذبه فسير إلى مصر تحت الاحتياط، وجهز السلطان بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر إنه من أولاد الخلفاء، فسير إلى مصر أيضاً، وكان قد وصل إلى دمشق في ذي القعدة.

وفيه استولي السلطان على هونين وتبنين وعلى مدينة الرملة، فعمرها وصير لها عملا وولي فيها. وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة، وأمر بتأديب من أكلها، وقدم رسول الاسبتار ملك الفرنج، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة، فقال السلطان: لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة وهي أربعة آلاف دينار، وما لكم من القطيعة على بلاد أبي قبيس وهي ثمانمائة دينار، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ومائة مد حنطة وشعير نصفين. فأجابوا إلى إبطال ذلك، وكتبت الهدنة وشرط فيها الفسخ للسلطان متى أراد، ويعلمهم قبل بمدة. وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين في طين شيحا فشنقوهم، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج، فقتلت العساكر منهم فوق المائتين، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا. وورد كتاب والي قوص إنه وصل إلى عيذاب، وبعث عسكرا إلى سواكن، ففر صاحب سواكن، ففر صاحب سواكن، وعادوا إلى قوص وقد تمهدت البلاد، وصارت رجال السلطان بسواكن.

وفي يوم الإثنين النصف من ذي الحجة: جلس الأمير عز الدين الحلي نائب السلطنة بديار مصر، ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة، بدار العدل على العادة: وإذا بإنسان يخرق الصفوف وبيده قصة حتى وقف قدام الأمير، ووثب عليه بسكين أخرجها من تحت ثيابه، وطعنه في حلقه. فأمسك الأمير بيده فجرحها، ورفسه برجله ونام على ظهره، فوقع المجرم وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى، أو يضرب الصاحب، فرجعت السكين في فؤاد الأمير صارم الدين المسعودي، فمات من ساعته، فقام الأمير فخر الدين والي الجيزة وقبض عليه ورماه، فوقع على قاضي القضاة، وأخذته السيوف حتى هلك. وحمل الأمير عز الدين الحلي إلى داره بالقلعة، وحضر المزينون إليه فوجدوا الجرح بين البلعوم والمنحر، وكان الذي ضربه جندار به شعبة من جنون، وتعاطي أكل السمنة فقوي جنه وكتب بهذا الحادث إلى السلطان، فوافاه الخبر وهو راجع من أفامية، فشق عليه ذلك وقال: والله يهون على موت ولدي بركة، ولا يموت الحلي. فقال له الأتابك: يا خوند والله طيبت قلوبنا إذا كنت تشتهي لو فديت غلاما من غلمانك بولدك وولي عهدك. ثم ورد الخبر بعافية الحلي مع مملوكه، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألف دينار، وأعطي رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودي.

وأما الملك المنصور ومن معه، فإنهم ساروا إلى حصن دير بساك ودخلوا الدربند، وقد بني التكفور هيتوم بن قسطنطين بن باساك ملك الأرمن على رءوس الجبال أبراجا وهو الذي تزهد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون فاستعد ووقف في عسكره، فعندما التقى الفريقان أسر ليفون ابن ملك سيس، وقتل أخوه وعمه، وانهزم عمه الآخر، وقتل ابنه الآخر، وتمزق الباقي من الملوك وكانوا اثني عضو ملكا وقتلت أبطالهم وجنودهم. وركب العسكر أقفيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق، وأخذ العسكر قلعة حصينة للديوية، فقتلت الرجال وسبيت النساء

وفرقت على العسكر وحرقت القلعة بما فيها من الحواصل. ودخلوا سيس فأخرجوها وجعلوا عاليها سافلها، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون. وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم، والأمير قلاوون إلى المصيصة وأذنة وأياس وطرسوس، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا هذا وصاحب حماة مقيم بسيس، ثم عادوا إليه وقد اجتمع معهم من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، حتى أبيع رأس البقر بدرهمين و لم يوجد من يشتريه.
فورد الخبر بذلك والسلطان في الصيد بجرود، فأعطي المبشر ألف دينار وإمره طبلخاناه. ودخل السلطان إلى دمشق، وتجهز وخرج للقاء العسكر في ثالث عشر ذي الحجة فشكي إليه وهو بقارا من أهلها وهم نصارى: إنهم يتعدون على أهل الضياع، ويبيعون من يقع إليهم إلى الفرنج بحصن عكا، فأمر العسكر بنهبهم فنهبوا، وقتل كبارهم وسبي النساء والأولاد، وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس، وقدموا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره، وأحسن إلى متملك سيس ومن معه من الأسري. وعاد السلطان إلى دمشق في رابع عشريه ومتملك سيس بين يديه وخلع على الأمراء والملوك والأجناد، فامتلأت بالمكاسب، وأبيع من الجواهر والحلي والدقيق والحرير ما لا يحصي كثرة، و لم يتعرض السلطان لشيء من ذلك، وعاد صاحب حماة إلى مملكته، بعد ما أنعم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال والخلع. وفيها قدمت رسل الملك أبغا بن هولاكو بهدايا وطلب الصلح وفيها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات، فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأفردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم، فلم يستقروا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة وفيها اشتد إنكار السلطان للمنكر، وأراق الخمور وعفي آثار المنكرات، ومنع الحانات والخواطيء بجميع أقطار مملكته. بمصر والشام، فطهرت البقاع من ذلك. وقال القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم بن مختار بن المنير قاضي الإسكندرية، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفي متوليها أثر المحرمات :

غير بلاد الأمير مأواه ليس لإبليس عندنا أرب
حرمته ماءه ومرعاه   حرمته الخمر والحشيش معا

وقال أبو الحسين الجزار :

وأخلي الثغر من رضابه   قد عطل الكوب من حبابه
على الذي فات من شبابه   وأصبح الشيخ وهو يبكي

وفيها قدم على بن الخليفة المستعصم من الأسر عند التتار.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي، بعد فتح صفد.
وتوفي الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبي الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصري التغلبي الدمشقي، ناظر الدواوين بها، عن تسع وستين سنة.
وتوفي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقاني المقدسي الشافعي، المحدث الأديب.

في المحرم: بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساقي، والأمير شهاب الدين بوزيا، في عدة من العسكر ورجال جبلية فقطعوا أقصاب الفرنج، وعادوا إلى صفد. وفيه قدمت نجدة للفرنج من قبرص، وعدها نحو ألف ومائة فارس، وأغاروا على بلد طبرية، فخرج العسكر إلى عكا، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيراً، وانهزم الباقي إلى عكا وعمل فيها عزاء من قتل.

وفي ثانية: خرج السلطان من دمشق بعساكره إلى الفوار يريد الديار المصرية، وسار منه جريدة إلى الكرك ونزل ببركة زيزاء، وركب ليتصيد فتقطر عن فرسه في ثامنه، وتأخر هناك أياما حتى صلح مزاجه، وأكثر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلفهم من غلات الكرك، وعم بذلك الخواص والكتاب، وفرق فيهم جملا كثيرة من المال. واستدعى السلطان أمراء غزة وأحسن إليهم، وطلب الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه ألف دينار وخلع عليه، وسير الخلع إلى أهل الكرك ثم سار في محفة على أعناق الأمراء والخواص إلىغزة، وسار منها إلى بلبيس، فتلقاه ابنه بركة في ثالث صفر ومعه الأمير عز الدين الحلي، وزينت القاهرة، فلم يزل السلطان موعوكا إلى غرة شهر ربيع الأول، فركب الفرس وضربت البشائر لعافيته، وسار إلى باب النصر فأقام هناك إلى خامسه.

وصعد السلطان إلى القلعة، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سيس يشفع. في ولده للسلطان، ففك قيده في ثاني عشريه وكتب له موادعة على بلاده إلى سنة، وركب مع السلطان لرماية البندق في بركة الجب.

وفي آخر ربيع الأول: بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية. فسارا واتفقا على مناخ الجمال السلطانية، فلما عادا قال السلطان: لا والله لا جعلت الجامع مكان الجمال، وأولى ما جعلت ميداني الذي ألعب فيه الكرة وهو نزهتي جامعً وركب السلطان في ثامن ربيع الآخر ومعه الصاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش، ورتب بناءها جامعا، وأن يكون بقية الميدان وقفا عليه. عاد إلى المدرسة التي أنشأها بين القصرين، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء، فقال: هذا مكان جعلته لله تعالى، فإذا مت لا تدفنوني هنا، ولا تغيروا معالم هذا المكان. وصعد إلى القلعة.

وفيه وردت مكاتبة المنصور صاحب حماة، يستأذن في الحضور إلى مصر ليشاهد عافية السلطان، فأجيب إلى ذلك وقدم في سابع عشريه. فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسية، وبعث إليه وإلى من معه التشاريف، وعاد إلى القلعة. فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى الإسكندرية فأذن له، وسار معه الأمير سنقرجاه الظاهري، وحملت له الإقامات حتى عاد.

وفي يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر: أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة، وكانت قد بطلت منه منذ ولي قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلي بجواره، فانتزع كثيرا من أوقاف الجامع كانت مغصوبه بيد جماعة، وتبرع له بمال جزيل، واستطلق له من السلطان مالا، وعمر الواهي من أركانه وجدرانه وبيضه وبلطه ورم سقوفه، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبرا، فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أم لا، فأجار

ذلك جماعة من الفقهاء، ومنع منه قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره، فشكي الحلي ذلك إلى السلطان، فكلم فيه قاضي القضاة فصمم على المنع، فعمل الحلي بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة. وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضي القضاة، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدة من الأمراء والفقهاء، ولم يحضر السلطان ولا قاضي القضاة تاج الدين. وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعي، ورتب محدثا يسمع بالحديث النبوي والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم، وعمل على ذلك أوقافا تكفيه.

وفي جمادى الآخرة: وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب، وقالوا: هذا المال الذي كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين، لينفق في المجاهدين. وقد كان أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يقطعون مصانعات الملوك، ويجبون القطعة من الخلفاء، ويأخذون من مملكة مصر القطعة في كل سنة، فصاروا يحملون القطيعة لذلك الظاهر لقيامه بالجهاد في سبيل الله.

وفيه عمرت قلعة قاقون عوضاً عن قيسارية وأرسوف، وعمرت الكنيسة التي كانت للنصارى هناك جامعا. وسكن هناك جماعة فصارت بلدة عامرة بالأسواق، وفيه أمر السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات: فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة. وبعث السلطان إلى الحجاز الأمير شكال بن محمد، فطلب العداد من الأمير جماز أمير المدينة النبوية، فدافعه فمضى إلى بني خالد يستعين بهم على عرب جماز، ثم خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله.

وفي سابع عشريه: توجه السلطان في جماعة من أمرائه إلى الشام، وترك أكثر العساكر بالديار المصرية. و كان معه المنصور صاحب حماة، فنزل السلطان غزة، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزه، ومعهم الهدايا وعدة من أسري المسلمين، فكسا الأسري وأطلقهم. ورحل السلطان إلى صفد، فورد الخبر عليه هناك بتوجه التتار إلى الرحبة، فسار إلى دمشق مسرعا فدخلها في رابع عشر رجب، وجاء الخبر بقدوم التتار إلى الرحبة، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزموهم، فأقام بدمشق خمسة أيام، وعاد إلى صفد في رابع عشريه. ورتب السلطان أمر عمارة صفد، وقسم خندقها على الأمراء، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه، فتبعه الأمراء والناس في العمل ونقل الحجارة ورمي التراب وصاروا يتسابقون، فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فرأوا الاهتمام في العمارة.

ثم إنه بلغه في بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج بكما تخرج منها غدوة وتبقي ظاهرها إلى صحوة، فسري ليلة ببعض عسكره و أمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا، ووضع السيف في الفرنج، وصارت الرءوس تحمل إليه من كل جهة، وكان الحر، فعملت عباءة على رمح ليستظل بها، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله، ثم عاد إلى صفد، وقدمت رسل سيس بالهدية، فرأوا رسل الفرنج ورأوا رءوس القتلى على الرماح. وقدمت الأسري من هذه الغارة فضربت أعناقهم، وطلب السلطان رسل الفرنج وقال لهم: هذه الغارة في مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف وردهم من غير إجابتهم إلى الصلح.

ثم ركب السلطان في حادي عشري شعبان وساق من صفد إلى عكا، فلما علم به الفرنج حتى وقف على

أبوابها، فقسم البنائين والحجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها، فاقتسموا ذلك وشرعوا في الهدم وقطع الأشجار. وعمل السلطان اليزك بنفسه على باب عكا، وصار واقفا على فرسه وبيده رمح مدة أربعة أيام، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار. ثم رجع إلى صفد، فوردت رسل سيس ورسل بيروت فأجيبوا عن مقاصدهم.

وفي شهر رمضان: وردت رسل صور يطلبون استمرار الهدنة، فأجيبوا إلى الصلح، وكتبت هدنة لمدة عشر سنين لصور وبلادها وهي مائة قرية إلا قرية بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذي قتلوه لأولاده وهي خمسة عشر ألف دينار صورية، قاموا بنصفها وأمهلوا بالباقي وأحضروا أيضاً عدة أسري مغاربة. وقدمت رسل بيت الاسبتار من الفرنج يطلبون الصلح على حصن الأكراد والمرقب، فأجيبوا وتقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وبطلت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشيزر وأفامية وعن أبي قبيس، وقد تقدم ذلك، وبطل أيضاً ما كان على عيناب، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم.

وقدم الشريف بدر الدين ملك بن منيف بن شيحة من المدينة النبوية يشكو من الشريف جماز أمير المدينة، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالده جماز. فكتب لجماز أن يسلمه نصف الإمرة، وكتب له تقليد بذلك وبنصف أوقاف المدينة النبوية التي بالشام ومصر وسلمت إليه، فامتثل جماز ما رسم به.

وفي ذي الحجة :نزحت بئر السقاية التي بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركني نائب القدس، فأحضر الأمير بنائين وكشف البناء، فأفضي بهم في قناة إلى تحت الصخرة، فوجدا هناك بابا مقنطرا قد سد، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يغرقهم، فكتب بذلك إلى السلطان، وإنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سدا نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوما، ووجد سقف مقلفط فنقب فيه قدر مائة وعشرين ذراعا بالعمل، فخرج الماء وملأ القناة.

وفي هذه السنة :أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية ببسوس وتولي عملها الأمير عز الدين أيبك الأفرم، فجاءت من أعظم القناطر. وفيها أنشأ السلطان القصر الأبلق بدمشق بالميدان الأخضر على نهر بردي، فتولي عمل ذلك الأمير أقوش النجيبي نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، وجعل جانبا عظيما منه تحف به البساتين والأنهار من كل ناحية، ولم يعمل بدمشق قبله مثله. ومازال عامرا تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك في سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وخرابها.

وفيها جلس منكوتمر بن طغان بن باتوتان بن دوشي خان بن جنكيزخان على كرسي مملكة القفجاق صراي، عوضاً عن الملك بركة خان بن دوشي خان بن جنكيزخان، بعد وفاته هذه السنة. وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك التتر، وكرسي مملكته مدينة صراي.

وفيها مات قاضي القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم العلامي الشافعي، المعروف بابن بنت الأعز، في سابع عشري شهر رجب، من إحدى وخمسين سنة، فولي قضاء القاهرة والوجه البحري تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي، وولي قضاء مصر محيي الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص، المعروف بابن عين الدولة، في يوم الخميس تاسع شعبان،. بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعز، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلي. وفيها

حج الأمير الحلي، وتصدق بمال بعثه به السلطان الملك الظاهر، وحج الصاحب محيي الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا.

ومات في هذه السنة الأمير ناصر الدين حسن بن عزيز القيمري، نائب السلطنة بالساحل.

وتوفي شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المعروف بأبي شامة المقدسي الشافعي، بدمشق عن ست وستين سنة.

سنة ست وستين وستمائة

في صفر :وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية، وعدتها مائة وثمانون جملا ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر برده، فورد بنو صخر وبنو لام وبنو عنزة من عرب الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك. وفيه قسمت عمارة صفد على الأمراء، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا، وأقيم في عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزيني، وعمل لها أبواب سر إلى الخندق، فلما كملت كتب على أسوارها: "ولقد كتبنا في الزبور من الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون" "ألا إن حزب الله هم المفلحون" أمر بتجديد هذه القلعة وتحصينها، وتكميل عمارتها، وبعد ما خلصها من أسر الفرج الملاعين، وردها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الدنيوية إلى حوزة المؤمنين، وأعادها إلى الإيمان كما بدا بها أول مرة، وجعلها للكفار خسارة وحسرة، واجتهد وجاهد حتى بدل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرءوس، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام، ومن سكنها من المجاهدين، فليجعل له نصيبا من أجره، ولا يخله من الترحم في سره وجهره، فقد صار يقال عمر الله صرحها، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين.

وفيه كتب السلطان إلى الملك منكوتمر القائم مقام الملك بركة، بالتعزية والإغراء بولد هولاكو وفيه رسم السلطان بعمارة مسجد الخليل عليه السلام، فتوحه الأمير جمال الدين بن نهار لعمل ذلك، حتى أنهي عمارته.

وفيه سار السلطان من صفد إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل سالما في وقدمت رسل السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول الملك اليمني، بعشرين فرسا عليها لامة الحرب، وفيلة وحمارة وحشية عنابية اللون وعدة تحف وطرف، فجهزت له خلعة وسنجق، وهدية فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا، وسير إليه أيضاً جوشن وغيره من آلة الحرب، وقيل له: قد سيرنا إليك آلة السلم وآلة الحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد وكتب له المقام العالي المولوي السلطاني، وكتب له السلطان بخطه المملوك.

وفيه اجتاز السلطان على السدير قرب العباسية، فأعجبه فاختار منه مكانا بني فيه قرية سماها الظاهرية، وعمر بها جامعا. وبينا هو في الصيد هناك إذ بلغه حركة التتار على حلب، فعاد إلى القلعة وأمر بخروج الخيام. فلم يعجبه خيام جماعة فأدبهم وجرسهم. وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العساكر، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريدي كتبا مختومة باسم الأمير علم الدين الحصني والأمير بدر الدين الأتابكي، وفيها منازلتهم للشقيف، فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف.

وسار السلطان من مخيمه بباب النصر في ثالث جمادى الآخرة إلى غزة، فبلغه عن جماعة من الجمالين إنهم تعرضوا إلى زرع فقطع أنوفهم، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموي إنه ساق في زرع، فأنزله عن فرسه وأعطاه بما عليه من السرج واللجام لصاحب الزرع ثم رحل السلطان إلى العوجاء.

فلما كان يوم العشرين منه: ساق السلطان من العوجاء إلى يافا، وحاصرها حتى ملكها من يومه، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها وحمله في البحر إلى القاهرة، فعمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهري بالحسينية، ومن الرخام بحرابه. وأمر السلطان ببناء الجوامع بتلك البلاد، وأزال منها ومن قرية المنكرات، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها. ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره، وجعله لمأكله ومشربه. وأعطي الأمير علاء الدين الحاج طيبرس منها قرية، وأعطي الأمير علم الدين سنجر الحموي قرية، وملكهما إياهما وأنزل التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها، وقرر عليهم خيلا وعدة، فتجدد له عسكر بغير كلفة، وفيه رسم بتجديد عمارة الخليل عليه السلام، ورسم أن يكون عمل الخوان الذي يمد ناصية عن مسجد الخليل.

وجهز السلطان عسكرا إلى الشقيف، ثم سار إليها بنفسه فترل عليها في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، وقدم الفقهاء للجهاد، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقا، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم إلى صور، وقيد الرجال كلهم وسلمهم للعساكر. وهدم السلطان قلعة استجدها الفرنج هناك، واستناب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايماز الكافري، ورتب بها الأجناد والرجالة، وقرر فيها قاضيا وخطيبا، وولي أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزيني. وفيه وردت كتب من الكرج.

وفي شعبان: وصل رسول صاحب بيروت بهدية وتجار كانوا قد أخذوهم في البحر من سنين، فما زال السلطان حتى خلصهم وخلص أموالهم.

وفي عاشره: رحل السلطان من الثقيف إلى قرب بانياس، وبعث الأثقال إلى دمشق وجهز الأمير عز الدين أوغان بجماعة لجهة، وجهز الأمير بدر الدين الأيدمري في جماعة إلى جهة أخرى، فحفظت العساكر الطرقات. ثم سار السلطان إلي، طرابلس وخيم عليها في النصف منه، وناوش أهلها القتال وأخذ برجا كان هناك، وضرب أعناق من كان من الفرنج، وأغارت العساكر على من في تلك الجبال، وغنموا شيئا كثيرا وأخذوا عدة مغاير بالسيف، وأحضروا المغانم والأسري إلى السلطان فضرب أعناق الأسري، وقطع الأشجار وهدم الكنائس، وقسم الغنائم في العسكر.

ودخل السلطان عن طرابلس في رابع عشريه، فتلقاه صاحب صافيتا وأنطرسوس بالخدمة، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده، فشكره السلطان ولم يتعرض لبلاده، ونزل السلطان على حمص، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات. ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد أي جهة يقصد، فرتب العسكر ثلاث فرق: فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار، وفرقة مع الأمير عز الدين إيغان، وفرقة مع السلطان، فتوجه الخازندار إلى السويدية، وتوجه إيغان إلى درب بساك، فقتلوا وأسروا، ونزل السلطان أفامية، ووافاه الجميع على أنطاكية.

وأصبح أول شهر رمضان: والسلطان مغير على أنطاكية، وأطاقت العساكر بها من كل جانب، فتكملوا بخيامهم

في ثالثه. وبعث السلطان إلى الفرنج يدعوهم وينذرهم بالزحف عليهم، وفاوضهم في ذلك مدة ثلاثة أيام وهم لا يجيبون، فزحف عليها وقاتل أهلها قتالا شديدا، وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة، ونزلوا المدينة ففر أهلها إلى القلعة، ووقع النهب والقتل والأسر في المدينة، فلم يرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوي النساء والأولاد، فبعثوا يطلبون الأمان فأمنوا، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال، فكتفوا وفرقوا على الأمراء، والكتاب بين يدي السلطان يتزلون الأسماء.

وكانت أنطاكية للبرنس بيموند بن بيموند، وله معها طرابلس، وهو مقيم بطرابلس وكتبت البشائر بالفتح إلى الأقطار الشامية والمصرية والفرنجية، وفي الجملة كتاب إلى صاحب أنطاكية وهو يومئذ مقيم بطرابلس وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالي.

وسلم السلطان القلعة إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير بدر الدين بيسري الشمسي، وأمر بإحضار المغانم لتقتسم، وركب وأبعد عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته مماليكه وخواصه، وقال: والله ما خبأت شيئا مما حمل إلى ولا خليت مماليكي يخبئون شيئا، ولقد بلغني أن غلاما لأحد مماليكي خبأ شيئا لا قيمة له فأدبته الأدب البالغ، ويتبقى لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلف الأمراء والمقدمين، وهم يحلفون أجنادهم ومضافيهم. فأحضر الناس الأموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلا بها، وقسمت في الناس، وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات، وقسمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير باثني عشر درهما والجارية بخمسة دراهم، وأقام السلطان يومين وهو يباشر القسمة بنفسه، وقصر الناس في إحضار الغنائم فعاد السلطان مغضبا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويعتذرون إليه، حتى وقف على فرسه وما ترك شيئا حتى قسمه.

ثم ركب السلطان إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من حديد أبوابها ورصاص كنائسها ما لا يوصف كثرة، وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجه إليهم الأمير بيليك الأشرفي وتسلمها في حادي عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل في إطلاق ولده ليفون، ويعرض في فدائه الأموال والقلاع، وكان التتر قد أسروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فاقترح السلطان على سيس إحضار سنقر عوضاً عن ولده ورد القلاع التي أخذها من مملكة حلب، وهي بهسنا ودربساك ومرزبان ورعبان وشبح الحديد، فسأل هيتوم المهلة سنة إلى أن يبعث إلى الأرذو فلما كان في هذه الأيام، بعث هيتوم إلى السلطان بأنه وجد سنقر، وأنه أجيب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحضر هيتوم كتاب سنقر إلى السلطان بأماير، إلا إنه غير قوله في تسليم القلاع، فكتب إليه. إذا كنت تقسو على ولدك وولي عهدك، فأنا أقسو على صديق ما بيني وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا مني. ونحن خلف كتابنا، فمهما شئت افعل بسنقر الأشقر" فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا ودر بساك وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرد الجميع بحواصلها كما تسلمها، ويطلق سنقر الأشقر، ويطلق السلطان ولده وابن أخيه

وغلمانهما، وأنه يحضر رهينة حتى يتسلم السلطان القلاع، فكتبت الهدنة بأنطاكية، وتوجه الأمير بلبان الرومي للدوادار، والصدر فتح الدين بن القيسراني كاتب الدرج. لاستحلافه، وتوجه الأمير بدر الدين يحكا الرومي لإحضار الملك ليفون من مصر على البريد في ليلة الثالث عشر من رمضان، فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثاني يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الإثنين سادس عشريه، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما، وحلف التكفور هيتوم صاحب سيس في سابع عشريه، فانتظم الصلح.

ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرية إلى حمص وهو يتصيد فدخل حماة في ثلاثة نفر: وهم الأمير بيسري، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير حسام الدين الدوادار، ونزل العسكر حماة. ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق، فدخلها في سادس عشريه، والأسري بين يديه و ليفون ابن صاحب سيس في خدمته، فأحسن إليه، وحلف ليفون للسلطان في ثالث شوال على النسخة التي حلف عليها أبوه، وهو قائم مكشوف الرأس، وسار إلى بلاده في حادي عشره صحبة الأمير بجكا على البريد، حتى قرره في مملكته.

ووصلت الرهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم، ومازالوا إلى أن تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سيس، فأعيدت الرهائن إليهم بما أنعم عليهم، وعندما وصل ليفون إلى سيس أطلق سنقر الأشقر، وبعث به إلى السلطان فتلقاه السلطان وهو في الصيد من غير أن يعرف أحد بقدومه، وقدم به وهو مختف وأنزله عنده في الدهليز، وبات معه. فلما أصبح، واجتمع الناس في الخدمة، خرج السلطان ومعه سنقر الأشقر، فبهت الناس لرؤيته، وأخرج له السلطان المال والخلع والحوائص، والخيل والبغال والجمال والمماليك، وسائر ما يحتاج إليه، وحمل إليه الأمراء التقادم، وبالغ السلطان في الإحسان إليه، وبني له دارا بقلعة الجبل ولما حضر سنقر إلى القاهرة أعطاه السلطان إمرة، وعمله من خواصه.

وفي ثالث عشره: تسلم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني أستادار السلطان حصن بفراس من الفرنج الداويه و كانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوي عجوز واحد، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر، وفيه وردت رسل صاحب عكا بهدية فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع، وأن تكون مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هي وبلاد الكرمل، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجبليات للسلطان، وأن الهدنة لعشر سنين، وأن الرهائن تطلق وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون نفسا من أسري أنطاكية، وتوجه القاضي محيي الدين عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيت لاستحلافه، فدخلا عكا في عشري شوال، وقد وصاهما السلطان ألا يتواضعا له في جلوس ولا مخاطبة، فلما دخلا كان الملك على كرسي، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرستين جلسا عليهما قبالته، ومد الوزير يده ليأخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مد الملك يده وأخذه، و لم يوافق على أشياء فتركوه ولم يحلف.

وفي ثامن عشر ذي القعدة: خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى أم الباردة وهي السعيدية، وعيد مع السلطان بها. وسارا إلى قلعة الجبل في حادي عشر ذي الحجة، وحمل السلطان عن الناس كلفة الزينة. وفيها مات السلطان ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، ملك الروم. وقام من بعده ابنه غياث الدين

كيخسرو وعمره أربع سنين، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان البرواناه وكان موت ركن الدين خنقا بالوتر، وذلك أن معين الدين البرواناه اتفق مع التتر المقيمين معه على قتل ركن الدين فخنقوه.

ومات في هذه السنة من الأعيان

كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن الشهيد أبي صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي الحلبي كاتب الإنشاء، ظاهر صور من الساحل.
وتوفي الصاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبي وزير دمشق، بالقاهرة.
وتوفي الأديب عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الموصلي بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الأمير عماد الدين أبو حفص عمر بن هبة الله ابن صديق الخلاطي الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة.
وتوفي الشيخ المعتقد أبو داود مسلم السلمي شيخ الطائفة المسلمية، في يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان في ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعني به الصاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا.

سنة سبع وستين وستمائة

في أول المحرم: ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لفتح بحر أبي المنجا، وعاد إلى القلعة.
وفيه احتفل السلطان برمي النشاب وأمور الحرب، وبني مسطبة. بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة، وصار يترل كل يوم من الظهر ويرمي النشاب، فلا يعود من الميدان إلى عشاء الآخرة، وأخذ السلطان يحرض الناس على الرمي والرهان، فما بقي أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله تحريض الناس على لعب الرمح ورمي النشاب.
وفيه قدمت الرسل من جميع الأقطار قمنئ السلطان بما فتحه الله عليه.
وفي يوم الخميس تاسع صفر. جلس الملك بركة في مرتبة الملك، وحضر الأمير فقبلوا الأرض، وجلس الأمير عز الدين الحلي والأمير فارس الدين الأتابك بين يديه، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود، وحلف له الأمراء وسائر العساكر.
وفي ثالث عشره. ركب الملك السعيد الموكب كما يركب والده وجلس في الإيوان وقرئت عليه القصص.
وفي العشرين منه: قرئ بالإيوان تقليده بتفويض السلطة إليه، واستمر جلوسه في الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، وصار يوقع ويطلق ويركب في الموكب، وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائبا عنه، عوضاً عن الأمير عز الدين الحلي.

وفي ثاني عشر جمادى الآخرة. خرج السلطان، ومعه الأمير عز الدين الحلي وأكابر الأمراء في عدة من العسكر يريد بلاد الشام، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد، فلما وصل إلى غزة أنفق في العسكر، ونزل أرسوس لكثرة مراعيها، فقدم عليه كتاب متملك سيس بأن رسول رسول أبغا بن هولاكو قدم ليحضر إلى السلطان،

فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشد حلب ليتسلمه من سيس، ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدث مع أحد فسار به إلى دمشق، و لم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل في قلعتها، فورد الخبر بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأثقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق، وأحضر الرسول إليه، فكان من جملة كتابه: إن الملك أبغا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا.

وكان في المشافهة: أنت مملوك وأبعت في سيواس، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض؟ فأجيب وأعيد الرسول.

وفي أول شعبان: مات الأمير عز الدين الحلي بدمشق.

وفيه خرج السلطان من دمشق، وودع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر، ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوي الأمير الأتابك، والمحمدي، والأيدمري، وابن أطلس خان، وأقوش الرومي. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصفد، وكتب بحضور الأثقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير آقسنقر الفارقاني الأستادار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما. وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر خفية، فكتم ذلك وكتب إلى النواب. بمكاتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب إنه كلما جاء بريد يقرأ عليه وتخرج علائم على بياض تكتب عليها الأجوبة.

فلما كان في رابع عشره: أظهر السلطان أنه تشوش في بدنه، واستدعى الحكماء إلى الخيمة، ووقع احتفال في الظاهر بتوعكه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعا على هيئة متألم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشربة. وتقدم السلطان إلى الأمير بدر الدين الأيدمري، والأمير سيف الدين بكتوت جرمك الناصري، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد وصحبتهما بريدي، فتوجهوا إليه السبت سادس عشره، و كان السلطان قد أوصاهم إنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتحدث معهم مشافهة، وجهز السلطان الأمير آقسنقر الساقي على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف خلف خيمة الجمدارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر، ولبس السلطان جوخة مقطعة، وتعتم بشاش دخاني عتيق، وقصد أن يخرج به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض المماليك، فاستدعى خادما من خواصه وقال: أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدامي فإن سألك أحد فقل هذا بعض معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر يحضر الخدمة الليلة، وخارج إليه بقماشه . فخرج السلطان بهذه الليلة ولم يفطن به أحد، وكان قد أسر إلى الأمير شمس الدين الفارقاني أنه يغيب مدة أيام عينها.

ولما خرج السلطان من الدهليز مشي إلى الجهة التي واعد آقسنقر الساقي إليها، وكان قبل ذلك قد أقام هناك أربعة أرؤس من الخيل سيرها مع الأمير بهاء الدين أمير أخور، وأمره أن يقف بها في مكان فأخذ أقسنقر الخيل، وسير بهاء الدين أمير آخور إلى التل، فوجد الأيدمري ورفقته، فصار إليهم السلطان واختلط بهم في السوق وهم لا يعرفونه، فلما طال سوقهم قال السلطان للأيدمري: تعرفني فقال: إي والله، وأراد أن يترل عن فرسه ليقبل الأرض، فمنعه. وقال السلطان لجرمك: تعرفني فقال: إيش هذا يا خوند فقال له: لا تتكلم. وكان معهم الأمير علم الدين شقير مقدم البريدية، فصارت جملتهم خمسة أنفس، ومعهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص، فساقوا إلى القصير المعيني ووافوه نصف الليل، فدخل السلطان إلى الوالي ليأخذ فرسه، فقام إليه بنحو

خمسين راجلا إليها وقال: الضيعة ملك السلطان، ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا، تروحوا وإلا قتلناكم. فتركوه وساقوا إلى بيسان، وأتوا دار الوالي وقالوا: نريد خيلا للبريد، فأنزلهم وقعد السلطان عند رجلي الوالي وهو نائم، ثم التفت إلى الأيدمري وقال: الخلائق على بابي، وأنا على هذا الوالي لا يلتفت إلي، ولكن الدنيا نوبات. وطلب السلطان من الوالي كوزا، فقال: ما عندنا كوز إن كنت عطشان أخرج واشرب من برا فأحضر إليه الأيدمري كرازا شرب منه .وركبوا وصبحوا بجينين، فوجدوا بها خيلا للبريد عرجا معقرة، فركب السلطان منها فرسا لم يكد يثبت عليه من رائحة عقوره. وساروا فلما نزلوا تل العجول بقي كل منهم ماسكا فرسه، فلما وصلوا إلى العريش قام السلطان والأمير جرمك ونقيا الشعير، وقال السلطان لجرمك: ابن السلطة والأستادار وأمير جاندار، وأين الخلق الوقوف في الخدمة هكذا تخرج الملوك من ملكهم، وما يدوم إلا الله سبحانه.

ولم يبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذي على يد السلطان يقوده، ووصل معه إلى الصالحية، وصعدوا إلى القلعة ليلة الثلاثاء الثلث الأول من الليل، فأوقفهم الحراس حتى شاوروا الوالي، ونزل السلطان في باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتب مع زمام الأمر ألا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السر وذكر للزمام العلائم التي بينه وبينه، ففتح الباب ودخل السلطان ورفقته. وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء، وليلة الخميس الحادي والعشرين من شعبان، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط، وصار السلطان يتفرج بالأمراء بسوق الخيل، فلما قدم الفرس للملك السعيد يوم الخميس على العادة قدم أمير آخور للسلطان فرسا آخر، وعندما خرج الملك السعيد ليركب ما أحس إلا والسلم قد خرج إليه، فرعب وقبل له الأرض، وركب السلطان وخرج على غفلة وبغلس، فأنكر الأمراء ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم، ونظروا في وجه السلطان حتى تحققوه، فقبلوا له الأرض، وساق السلطان إلى ميدان العيد، وعاد إلى القلعة وأقام بقية يوم الخميس ويوم الجمعة ولعب بالكرة يوم السبت. وتوجه يوم الأحد إلى مصر، ورمي الرجال بالشواني قدامه، وركب في الحراريق وعاد إلى القلعة، فلما كان ليلة الإثنين خامس عشري شعبان، ركب السلطان خيل البريد من القلعة، وعاد إلى معسكره بخربة اللصوص.

وأما ما جري في معسكر السلطان بالخربة، فإن الأمير شمس الدين الفارقاني لما أصبح، وقد فارق السلطان الدهليز، أظهر الأمراء أن السلطان منقطع لضعف حصل له، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح للمتوعك الذي يشكو صداعا وخدرا وعطشا، وأوهمهم أن السلطان يشكو دلك، فوضعوا له ما يوافق. وأمر الأمير شمس الدين الشراب دارية فاحضروا الشراب، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليوهم العسكر صحة ذلك، إلى أن وصل ليلة الجمعة تاسع عشريه إلى قرب الدهليز، فأمر السلطان الأيدمري وجرمك بالتوجه إلى خيامهما، وأخذ على يده جراب البريد وفي كفه فوطة، ومشي على قدميه إلى جهة الحراس، فمانعه حارس وأمسك طوقه، فانجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز. وبات السلطان، فلما أصبح أحضر الأمراء وأعلمهم أنه كان متغير المزاج، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان، ومشي كل ما وقع على العسكر، ولم يعلم به سوي الأتابك والأستادار والدوادار وخواص الجامدارية وكانت في هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد في مصر، فتم له ما أراد.

وكتب السلطان بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فطهرت كلها من المنكر، ونهبت الحانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها، وسلبت جميع أحوال المفسدات وحبسن حتى يتزوجن، وفي كثير من المفسدين، وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحط المقرر على هذه الجهة من المال، وعوض المقطعين جهات حلالا.

وورد الخبر بحصول زلزلة في بلاد سيس خرب منها قلعة سرفقد وعدة قلاع، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما، وتلفت عدة جهات. وورد الخبر بأن الفرنج شنعوا. بموت السلطان، وحضر رسولهم يطلب المهادنة: وكان قد هرب من المماليك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث السلطان بإحضارهم فامتنع الفرنج من إحضارهم إلا بعوض، فأنكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم، فسيروا المماليك وقد نصروهم، فعند ذلك قبض السلطان على رسل الفرنج وقيدهم، وكتب إلى النواب بوقوع الفسخ، وأغار عليهم الأمير أقوش الشمسي وقتل وأسر منهم جماعة. وركب السلطان في العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى المخيم وأمهل مدة، ثم جرد طائفة لأخذ المغل وقطع الميرة عن صور.

وفي سادس عشريه .تسلم نواب السلطان بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون، وهي حصن عظيم، وفيه سارت العساكر من البيرة إلى كركر فأحرقوا وغنموا، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين كختا، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا، وأخرجوا منه الخمس للديوان.

وفيه كان خلف في مكة بين الشريف نجم الدين أبي نمي وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميري مكة، ثم اتفقا فرتب لهما السلطان عشرين ألف درهم نقرة في كل سنة، ألا يؤخذ بمكة من أحد مشمس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والشارع، وتضرب السكة باسمه، وكتب لهما تقليد بالإمارة، وسلمت أوقاف الحرم التي بمصر والشام لنوابهما.

وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضي المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها وقد حضر في، رسالة الأمير عز الدين، جماز أمير المدينة الجمال التي نهبها أحمد بن حجي لأشراف المدينة، وهي نحو الثلاثة آلاف جمل، وأمره أن يوصلها لأربابها وفيها قدم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي شيخ خدام الحجرة النبوية، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة بشقة على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتي ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضي والجمال مع الركب الشامي، وجهز من الكسوة لمكة والمدينة.

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأساري مسلمين، فأطلقوا بباب الدهليز، وكتبت لهم هدنة. وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب، فأوهمه السلطان إنه يريد الحركة إلى العراق، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعي، وأمره فانصرف إلى بلاده، وكان السلطان في الباطن إنما يريد بحركته الحجاز.

وفيه أعطي السلطان ناصر الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحلي إمرة أربعين فارسا، ورسم للأمير قلاوون والأمير أوغان والأمير بيسري والأمير بكتاش الفخري أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على رمال الحلي لورثته، و لم يتعرض السلطان لشيء من موجوده مع كثرته.

ودخل شوال: والسلطان على عزم الحركة للحجاز، فأنفق في العساكر جميعها، وجرد عدة مع الأمير أقوش

الرومي السلاح دار ليسيروا مع السلطان، وجرد البقية مع الأمير آقسنقر الفارقاني الأستادار إلى دمشق، فترلوا بظاهرها وأقاموا بها، ثم توجه السلطان إلى الحج ومعه الأمير بدر الدين الخازندار، وقاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي، وفخر الدين بن لقمان، وتاج الدين بن الأثير، ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة إلى الحجاز، وذلك أن الأمير جمال الدين ابن الداية الحاجب كتب إلى السلطان :إني أشتهي التوجه بصحبة السلطان إلى الحجاز فأمر بقطع لسانه، فما تفوه أحد بعدها بذلك.

وسار السلطان من الفوار يوم الخميس خامس عشريه، إلى الكرك مستهل ذي القعدة، وكان قد دبر أموره خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك، حتى إنه جهز البشماط والدقيق والروايا والقرب والأشربة، والعربان المتوجهين معه والمرتبين في المنازل، ولا يشعر الناس بشيء من ذلك، فلما وصل الكرك وجد الأمور كلها مجهزة، فأعطي المجردين معه بقدر الشعير كفايتهم. وسار الثقل في رابعه، وتبعهم السلطان في سادسه ومعه المجردون، فترل الشوبك ورسم بإخفاء خبره، وتوجه في حادي عشره، وسار البريد إلى مصر، فجهزت الكتب إليه مع العربان من جهة الكرك فكتبت أجوبتها من هناك.

ووصل السلطان إلى المدينة النبوية في خامس عشريه، فلم يقابله جماز ولا مالك أميرا المدينة وفرا منه، ورحل منها في سابع عشريه، وأحرم فدخل مكة في خامس ذي الحجة، وأعطي خواصه جملة من المال ليفرقوها سرا، وفرق كساوي على أهل الحرمين وصار كواحد من الناس، لا يحجبه أحد ولا يحرسه إلا الله، وهو منفرد يصلي ويطوف ويسعى، وغسل البيت، وصار في وسط الخلائق، وكل من رمي إليه إحرامه غسله وناوله إياه. وجلس على باب البيت، وأخذ بأيدي الناس ليطلعهم إلى البيت، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع فقطعه، وكاد يرمي السلطان إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك، وعلق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين. هذا وقاضي القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفي مرافقه طول الطريق، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه، و لم يقفل السلطان مع ذلك تدبير الممالك، وكتاب الإنشاء تكتب عنه في المهمات، وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أمورا، ويقول فيه: سطرها من مكة المشرفة، وقد أخذت طريقها في سبع عشرة خطوة يعني بالخطوة المغزلة ويقول له: الملك هو الذي يجاهد في الله حق جهاده، ويبذل نفسه في الذب عن حوزة الدين، فان كنت ملكا فأخرج التتار.

وأحسن السلطان إلى أميري مكة، وهما الأمير نجم الدين أبي نمي والأمير إدريس بن قتادة، وإلى أمير ينبع وأمير خليص وأكابر الحجاز وكتب منشورين لأميري مكة، فطلبا منه نائبا تقوي به أنفسهما، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جاندار بمكة، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه، وزاد أميري مكة مالا وغلالا في كل سنة بسبب تسبيل البيت للناس، وزاد أمراء الحجاز إلا جماز ومالك أميرا المدينة، فإنهما انتزحا من بين يديه.

وقضي السلطان مناسك الحج وسار من مكة في ثالث عشره، فوصل إلى المدينة في العشرين منه، فبات بها وسار من الغد، فجد في السير ومعه عدة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه، و لم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيارة بمؤتة، فالتقوه هناك .ودخل السلطان مدينة الكرك وهو لابس عباءة، وقد ركب راحلة، فبات بها ورحل من الغد.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين أيدمر الحلي الصالحي نائب السلطنة، عن نيف وستين سنة، بدمشق في أول شعبان. ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود بن موسك الهذباني، بعد ما ترك الخدمة تعففا، وله فضل ونظم جيد. وتوفي مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبي الفرج بن محمد الروذراوري بدمشق. وتوفي نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهير بسيبويه المغربي النحوي، عن سبع وستين سنة بالقاهرة، وله شعر جيد.

وتوفي شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبي وله شعر جيد.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها صلي الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب في مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. هذا والناس. بمصر والشام لا يعرفون شيئا من خبر السلطان: هل هو في الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطع من مهابته والخوف منه أحد أن يتكلم، فلما قارب السلطان دمشق سير أحد خواصه على البريد بكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج، فأحضر الأمير جمال الدين النجيبي نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينا هم في القراءة إذ بلغهم أن السلطان في الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطي فرسه لبعض منادية سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض وحضر الأمير آقسنقر الأستادار والأمراء المصريون، فأكل السلطان شيئا وقام يستريح، وانصرف الناس، فركب السلطان في نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان، ودخل السلطان إلى حلب والأمراء في الموكب، فساق إليهم وبقي ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فنزلوا وقبلوا الأرض. ودخل السلطان دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب و لم يعرف به أحد، فوصل دمشق في ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب في الليل وسار إلى القلس، وزار الخليل وتصدق. وكان العسكر المصري قد صار به الأمير آقسنفر الفارقاني من دمشق ونزل بتل العجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك في عشرين يوما، ما غير السلطان فيها عباءته التي حج فيها.

ثم سار السلطان من تل العجول بالعساكر في حادي عشريه إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل، فأقام السلطان بها إلى ثاني عشر صفر، ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب في الحراريق إلى الطرانة، ودخل السلطان البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشرة نعامة: أعطي عن كل غزال بغلطاق بسنجاب، وعن كل نعامة فرسا ثمينا بسرجه ولجامه. ودخل السلطان إلى الإسكندرية في حادي عشريه، وكان الصاحب بهاء الدين بن حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقماش، فخلع السلطان على الأمراء، وحمل إليهم التعابي والنفقة، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوجه إلى الحمامات ونزل بالليونة وابتاعها من وكيل بيت المال، فبلغه هناك حركة التتار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل، فورد الخبر بغارة التتار على الساجور بالقرب من حلب، فجرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار في جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة.

وسار السلطان من قلعة الجبل في ليلة الإثنين حادي عشري ربيع الأول ومعه نفر يسير فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر، ولحق الناس في الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق. ووردت الأخبار بانهزام التتار عندما بلغهم حركة السلطان، وكأن قد ألقي الله في أنفس الناس أن السلطان وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة في هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب، فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب، وبعثوا إلى أبغا بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعدته من جهة سيس في سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أتلفت عدة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقي في الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبتهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد، فخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد في مرج برغوث وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادي عشريه بمرج برغوث، وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وشاق بهم في الليل فأصبح في أول المرج.

وكان السلطان قد سير إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإغارة في ثاني عشريه، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك، ودخل السلطان الكمين، فعندما خرج جماعة من الفرنج لقتال عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيغان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجبي، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدي، والأمير كندغدي أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال، وتبع السلطان مقدمي الحلقة، فما أدركهم إلا والعدو قد انكسر، وصارت الخيالة بخيلها مطرحة في المرج .وأسر السلطان كثيرا من أكابرهم، و لم يعدم من المسلمين سوي الأمير فخر الدين ألطونبا الفائزي، فسارت البشائر إلى البلاد.

وعاد السلطان إلى صفد والرءوس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها في سادس عشريه، والأسري ورءوس القتلى قدامه، وخلع على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، و لم يعلم أحد قصده، وفرق العساكر وترك النقل، وأخذ خيار عسكره وساق إلى جهة المرقب فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهرها تسعة عشر يوما، وتوجه على جهة المرقب، فانتهى إلى قريب بلاد الإسماعيلية، وعاقته الأمطار والثلوج فعاد.

ثم ركب السلطان في ثالث جمادى الآخرة. بمائتي فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكراد وصعد الجبل الذي عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا، فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم، وقال يستخف بهم: خلوا الفرنج يخرجوا، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأتبية بيض، وعاد إلى مخيمه، ورعي الخيول مروجها ورعى الخيول مروجها وزروعها.

وفي أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان مثل: صاحب حماة، وصاحب صهيون، إلا نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الإسماعيلية، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيض القطعة التي حملوها لبيت المال، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج. وكان صارم الدين مبارك بن الرضي صاحب العليقه قد تغير السلطان عليه من مدة، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان في الصلح، وأحضره إلى الخدمة، فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا، وأعطاه طبلخاناه، وعزل نجم الدين حسن

بن الشعراني وولده من نيابة الدعوة، وتوجه صارم الدين إلى مصياف كرسي بلاد الإسماعيلية في سابع عشرى جمادى الآخرة، وصحبته جماعة لتقرير أمره.
ويقال: بل الذي قام في حقه الملك المنصور صاحب حماة، وإنه شفع فيه إلى أن عفي عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان، وكتب له منشورا بالحصون كلها: وهي قلعة الكهف وقلعة الخوابي والدينقه والعليقة والقدموس والرصافة ، ليكون نائبا عن السلطان، وكتب له بأملاكه التي كانت بالشام على أن تكون مصياف وبلادها خاصا للسلطان. وبعث السلطان معه نائبا بمصياف، وهو الأمير بدر الدين العديمي أحد مفاردة الشام، وجرد معه جماعة من شيزر وغيرها، فلما وصلوا إلى مصياف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا :لا نسلمها إلا لنائب السلطان، فقال العديمي: أنا نائب السلطان. فلما فتحوا هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وتسلم الحصن في نصف رجب، فلم يجد نجم الدين وولده بدا من الدخول في الطاعة، فسألا في الحضور فأجيبا، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرق له السلطان وولاه النيابة شريكا لصارم الدين بن الرضي، وقرر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم نقرة في كل سنة، وتوجه نجم الدين وترك ابنه شمس الدين في الخدمة .وتقرر على صارم الدين بن مبارك بن الرضي في كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤدون المال بعد ما كانوا يجبون من ملوك الأرض القطائع.
ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها في ثامن عشريه وقدم الخبر بأن الفرنسيس وعدة من ملوك الفرنج قد ركبوا البحر ولا يعلم قصدهم، فاهتم السلطان بالثغور والشواني، وسار إلى مصر فدخلها في ثاني شوال. وفيه تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفي المذهب، ووقف عليه حكر ما بقي من الميدان .وفيه بعث السلطان عدة رسل بهدايا إلى بلاد الفرنج.

وفي هذه السنة: قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولي مكة منفردا أربعين يوما، فاستبد ابن أخيه أبو نمي بإمرة مكة وحده.
وفيها مات الطواشي جمال الدين محسن الصالحي النجمي، شيخ الخدام بالمسجد النبوي.
وفيها تنكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التتر ببلاد الشمال، على الأشكري ملك قسطنطنية، فبعث الخان جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحملوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو وكان محبوسا كما تقدم في القلعة وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوجه وأقام معه حتى مات في سنة سبع وسبعين، فسار ابنه مسعود ابن عز الدين وملك بلاد الروم، كما سيأتي ذكره إن شاء الله.
وفيها انقرضت دولة بني عبد المؤمن بقتل الواثق أبي العلاء إدريسي المعروف بأبي دبوس بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، في محرم على يد بني مرين. وبنو مرين قبيلة من البربر يقال لهم حمامة كان مقامهم قبلي تازا، فخرجوا عن طاعة الموحدين بني عبد المؤمن، وتابعوا الغارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة بضع وثلاثين وستمائة: وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق ابن محبو بن حمامة، ومات سنة ثلاث وخمسين. فملك بعده يعقوب بن عبد الحق، وقوي أمره وحصر مراكش وبها أبو دبوس، وملكها وأزال ملك بني عبد المؤمن في أول سنة ثمان وستين هذه، وملك مراكش.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة بدمشق محيي الدين أبو الفضل يحيي بن محيي الدين أبي المعالي محمد ابن زكي الدين أبي الحسن على بن المجد أبي المعالي محمد بن زكي الدين أبي الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثماني المعروف بابن الزكي القرشي الأموي الشافعي، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفي الوزير الصاحب زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع بن بكر بن مالك القرشي الزبيري، عن اثنتين وثمانين سنة بالقاهرة، بعد عزله ومحنته، وله شعر جيد.

وتوفي زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعدة المقدسي الحنبلي وقد انتهي إليه علو الإسناد، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق.

وتوفي الولي العارف داود الأعزب بناحية تفهنا، في ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الآخرة، وبها دفن، وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جمعت في مجلد.

وتوفي الولي العارف تقي الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن، الماجري من هوارة، في يوم الأحد ثامن ذي الحجة، بناحية قليب. وله كرامات كثيرة، وأخذ الطريق عن الشيخ أبي الفتح الواسطي عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي، وقبره يزار بقليب ويتبرك به.

سنة تسع وستين وستمائة

في المحرم: ورد كتاب بيسو نوغاي قريب الملك بركة ملك التتار، وهو أكبر مقدمي جيوشه، يخبر فيه أنه دخل في دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء عليه. وفيه ورد الخبر. بمسير الفرنسيس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها، فكتب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه نجدة له على الفرنج، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وأمرهم بحفر الآبار في الطرقات برسم العساكر، وشرع في تجريد العساكر، فورد الخبر. بموت الفرنسيس وابنه وجماعة من عسكره، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس في خامس صفر.

وفي سابعة: توجه السلطان إلى عسقلان،ليهدم ما بقي منها خوفا من مجيء الفرنج إليها، فترل عليها وهدم بنفسه ما تأخر من قلعتها وأسوار المدينة حتى سوي بها الأرض وعاد إلى قلعة الجبل في ثامن ربيع الأول.

وفي حادي عشريه: هلك الملك المجير هيتوم بن قنسطنطين متملك سيس.

وفي عاشر جمادى الآخرة. سار السلطان من القاهرة ومعه ابنه الملك السعيد إلى الشام، فدخل دمشق في ثامن رجب، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر. واتصلت الغارات إلى صافيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها، وعدهم سبعمائة رجل سوي النساء والأطفال، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره.

وفي تاسع رجب: نازل السلطان حصن الأكراد، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية الصاحب نجم الدين.

وفي آخره :نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة في سادس عشر شعبان فطلب أهلها الأمان فأمنهم السلطان على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فخرج الفرنج منها في رابع عشريه، ورتب السلطان

الأمير صارم الدين الكافري نائبا بحصن الأكراد، وأمر بعمارته.
وبعث صاحب أنطرسوس وهو مقدم بيت الداوية يطلب الصلح من السلطان، فصولح على أنطرسوس خاصة، خارجا عن صافيتا وبلادها. واسترجع السلطان منهم جميع ما أخذوه في الأيام الناصيرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفات والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين الإسبتار، وعلى ألا تجدد عمارة في المرقب، فتم الصلح، وأخلي الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان.
وفي سابع عشر رمضان: نازل السلطان حصن عكار ونصب عليه المجانيق، وجد أهله في المناضلة وقاتلهم السلطان قتالا شديدا، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الدواداري وهو يصلي في خيمته بحجر منجنيق أصابه. ولما كان في تاسع عشريه: سأل الفرنج الأمان، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج، وخرجوا منه في سلخه، وعيد السلطان بالحصن، ورحل إلى مخيمه بالمرج، وكتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره.
وفي رابع شوال: ركب السلطان بجميع عساكره جريدة من غير ثقل يريد طرابلس، وساق إليها، فبينا هو عازم على ذلك، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكتار وصل إلى عكا في أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثماني بطس وشواني ومراكب تكملة ثلاثين مركبا، غير ما سبقه صحبة أستاداره، وإنه يقصد الحج إلى القدس، فغير السلطان عزمه ونزل قريبا من طرابلس، وبعث إليهم الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعا بصاحبها، وجرت أمور آخرها إنهم سألوا السلطان الصلح فكتبت الهدنة لمدة عشر سنين، وجهز الأمير فخر الدين بن جلبان، والقاضي شمس الدين الإخنائي شاهد الخزانة، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكاك الأسري، وعاد السلطان إلى مخيمه، وسار إلى حصن الأكراد فدبر أمر عمارته، ورتب أحوال تلك الجهات.
وفي حادي عشره: استولي السلطان على حصن العليقة من حصون الإسماعيلية، واستخدم به الرجال، ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه، ورحل منها في رابع عشريه، فنزل صفد وحمل منها المجانيق إلى القرين وساق إليه ونازله حتى أخذه في ثاني ذي القعدة، وركب منه فما أصبح إلا على أبواب عكا مطلبا، فما تحرك أحد من الفرنج، فعاد إلى مخيمه بالقرين، وهدم القلعة في رابع عشري ذي القعدة، ورحل منه إلى قريب عكا، ونزل اللجون.
وكان السلطان قد كتب إلى مصر بتسفير الشواني لقصد قبرص، فسارت في شوال حتى قاربت قبرص، فانكسرت كلها. وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقرعه فيه بأن شواني مصر وهي أحد عشر شينيا خرجت إلى قبرص فكسرها الريح، وأخذتها وأسرت من فيها فلما قرأه السلطان قال: الحمد لله منذ ملكني الله تعالى الملك ما خذلت لي راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فبهذا ولا بغيره وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا، وإحضار خمس شواني كانت بقوص، وكتب إلى قبرص جوابا أرعد فيه وأبرق. وقدمت رسل صاحب صور تطلب الصلح، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج من بلاد صور عشرة بلاد فقط، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها، وبقية البلاد تكون مناصفة، ووقع الحلف على ذلك. وسار السلطان إلى القاهرة، ودخل قلعة الجبل في ثاني عشر ذي الحجة، فبلغه أن الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وكان السلطان قد جعله أحد أمراء مصر، فقبض عليه وعلى

عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوبا: وقبض أيضاً على عدة أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف. منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير أقوش المحمدي، والأمير أيدغدي الحاجبي، والأمير إيغان سم الموت، والأمير سنقر المساح، والأمير بيدغان الركني، والأمير طرطح الأمدي وسجنهم بقعلة الجبل.
و فيه جهز السلطان الأمير آقسنقر الفارقاني بعسكر إلى الشام، وفيه وردت هدية صاحب اليمن، وفيها تحف ودب أسود وفيل. وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشواني، حتى كملت ضعفي ما انكسر.

وفي سابع عشريه: أمر السلطان بإهراق الخمور، وأبطل ضمانها وكان في كل سنة ألف دينار، وكتب بذلك ترقيما قرئ على المنابر.
وفيه خلع السلطان بالميدان، وفرق على ألف وسبعمائة شخص لثمان خيل، وفرق ألف وثمانمائة فرس، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ وفيه لازم السلطان الصناعة. بمصر عدة أيام لرمي النشاب. وفيه ورد الخبر بأن الفرنج أغاروا على جهة الشاغور، وأخذوا غلة وخربوا وأحرقوا غلالا.
وفيها عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق، وأعيد عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقي بن خليل بن مقلد بن جابر، الشهير بابن الصائغ.
وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق، فأخذ كثيرا من الناس والدواب، وقلع الأشجار وردم الأنهار، وخرب الدور وارتفع حتى نزل مرامي السور، وذلك زمن الصيف.
وفيها ولي قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد المخلص ضياء الدين أبي الفخر هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي. ولم يحج أحد في هذا العام من مصر، لا في البر ولا في البحر. وهجم مكة سيل عظيم في شعبان حتى دخل الكعبة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير علم الدين سنجر الصيرفي، في سادس صفر بدمشق.
وتوفي قاضي القضاة المالكي شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسي بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب السبكي، في ليلة الخامس والعشرين من ذي القعدة، عن أربع وثمانين سنة. وولي بعده قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر.
وتوفي الشريف إدريس بن على بن قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة، قتيلا بظاهر مكة، فانفرد بعده أبو نمي بن أبي سعد.
وتوفي قاضي حماة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور البارزي الجهني الحموي الشافعي، عن تسع وثمانين سنة بحماة.
وتوفي الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن شقير المغربي الحنفي بدمشق، عن ثلاث وستين سنة.

وتوفي قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين المرسي الصوفي بمكة، عن نحو خمسين سنة.

سنة سبعين وستمائة

أهلت والسلطان متشدد في إراقة الخمور وإزالة المنكرات، فكان لذلك يوما مشهودا. وفيه أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين بيدغان الركني، وأعطاه إقطاعا بالشام، ثم أحضره بعد قليل، هو وسيف الدين ملاجا الركني، واشتراهما ورتبهما سلاح دارية وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسي بن مهنا وبين العربان، وإنه يريد التوجه إلى التتار. فخشي السلطان إنه إن استدعاهم لا يحضروا، وإن توجه إلى الشام تسحبوا، فكتم أمره.
ونزل السلطان إلى الميدان في سابعه، وفرق في خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، واثني عشر ألف دينار عينا، ونيفا وستين حياصة، وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع، ولازم النزول إلى الصناعة في كل يوم حتى تنجزت الشواني، ونزل الأمير آقسنقر الفارقاني. بمن معه من العسكر على جينين.
فلما كان ليلة السابع عشر: منه توجه السلطان بعد المغرب، ومعه جماعة يسيرة من خواصه، وأخفي حركته ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشتري عليقا ولا مأكولا، وقرر لهم ما يحتاجون إليه. وسار إلى الزعقة، ثم عرج منها في البرية إلى الكرك، ودخلها من غير أن يعلم به أحد في سادس صفر، ونزل قلعتها. وقرر السلطان في نيابة الكرك علاء الدين أيدكين الفخري، ونقل الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك إلى نيابة الشام، ولم يظهر السلطان ذلك حتى نسلم أيدكين نيابة الكرك في ثامنه، واستدعى عز الدين أيدمر وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد.
وسار السلطان إلى دمشق فدخلها في ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا في يوم وليلة، إلى النواب والأمراء بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيدمر الظاهري، عوضاً عن أقوش النجيبي، وسير السلطان تشريفا للنجيبي نائب دمشق، وأمره أن يتوجه إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيدمر، فاعتمد ذلك.

وأنفق السلطان فيمن خرج معه مالا وافرا وخيولا، وركب بهم في ليلة السادس عشر منه، ونزل خارج حماة بالجوسق، ونزل صاحب حماة في خيمة. ورتب السلطان أستادارا وأمير جاندار وحاشية السلطة، فإنه كان قد خرج من مصر جريدة، وقام له صاحب حماة بالأسمطة، وقدم عليه وهو بحماة جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكتم عنهم أمره وما أظهر لهم شيئا، وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولا عينها له ليطمنه، وكتب إليه: إنك بعثت وأنا .بمصر تطلب الحضور، فكتبت إليك لا تحضر حتى أطلبك، وقد حضرت إلى حماة فإن أردت الحضور فاحضر. فحضر عيسي وسأله السلطان عما نقل عنه، فقال. نعم والصدق أنجي من الكذب فأحسن السلطان إليه وإلى أكابر العرب.
وفي سادس عشريه: قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر، واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوابي وحصن العليقة.
وفي أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخرة، من غير أن يعلم أحد قصده،

وسار على طريق حلب، ثم عرج من شيزر وأصبح على حمص، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمورهما، وسار إلى دمشق، وكتب إلى مصر كتابا يقول فيه لأكابر الأمراء: ولدكم - ولبقيتهم أخوكم - ووالدكم يسلم عليكم ويتشوق إليكم، وإيثاره ألا يفارقكم. وإنما قدمنا راحتكم على راحتنا،. فطالما تعبوا واسترحنا ونعلمهم بالمتجددات ليكونوا لا كالمشاهدين وكمشاركينا في أكثر المجاهدين: فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العربان، وقد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد. وأما الفرنج فعملوا سلالم من حديد، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يدل على التمكين تارة بالسيف وتارة بالسكين، أن صاحب مرقية الذي أخذنا بلاده توجه إلى التتار مستصرخا، وسيرنا وراءه فداوية، وقد وصل أحدهم وذكر إنهم قد قفزوا عليه وقتلوه، وبلغتنا حركة التتار وأنا والله لا أبيت إلا وخيلي مشدودة، وأنا لابس قماشي حتى المهماز."

وورد الخبر بأن التتار أغاروا على عين تاب، وتوجهوا على العمق في نصف ربيع الأول، فكتب إلى مصر بتجريد الأمير بيسري بثلاثة آلاف فارس. وخرج البريد من دمشق في الثالثة من يوم الأحد ثامن عشره، فدخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء حادي عشريه، فخرج بيسري والعسكر بكرة يوم الأربعاء المذكور. وقدم التتار إلى حارم وقتلوه جماعة، وتأخر العسكر الحلبي إلى حماة، ووصل آقسنقر بالعسكر من جينين، فجفل أهل دمشق، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وأجرته إلى مصر مائتي درهم. ودخل الأمير بيسري بالعسكر المصري إلى دمشق في رابع ربيع الآخر، فخرج السلطان بالعساكر إلى حلب، وجرد الأمير آقسنقر ومعه عدة من العربان إلى مرعش، وجرد الحاج طيبرس الوزيري والأمير عيسي بن مهنا إلى حران والرها. فوصل العسكر إلى حران وقتل من فيها من التتار، وهزم باقيهم.

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون. بمواعدة التتار، وقتل الأمير حسام الدين الأستادار، وجرح الأمير ركن الدين الجالق، ورحل بجكا العلائي والي قاقون، فخرج السلطان من حلب، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خبره، ودخل إلى دمشق وبين يديه عدة من التتار المأسورين من حران، وسار الأمير أقوش الشمسي بعسكر عين جالوت، فولي الفرنج منهزمين من قاقون، وتبعهم العسكر فاسترجعوا منهم عدة من التركمان، وقتلوا كثيرا حتى أنه عد ما تلف من خيل الفرنج وبغالهم فكان خمسمائة رأس.

وخرج السلطان من دمشق في ثالث جمادى الأولى، ومعه عساكر مصر والشام للغلوة على عكا، فتكاثرت الأمطار عليه في مرج برغوث، وزاد الأمر عن الوصف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به، فرد السلطان عسكر الشام وسار إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في ثلث عشريه.

وقدمت هدية صاحب تونس، وفي مكاتبته تقصير في المخاطبة، ففرقت هديته على الأمراء، وكتب إليه بالإنكار عليه في التظاهر بالمنكرات واستخدام الفرنج، وكونه لم يخرج لما نازلوه، وكان مستخفيا، وقيل له: مثلك لا يصلح أن يلي أمور المسلمين، وخوف وأنذر، وقدمت رسل رجار وهو يشفع في صاحب عكا، والسلطان في الصناعة جالس بين الأخشاب والصناع، والأمراء تحمل بأنفسهم آلات الشواني وهي تمد فراعهم ما شاهدوا.

وفي رجب :خرج السلطان متصيدا بجهة الصالحية، فورد الخبر بحركة التتار فعاد إلى القلعة، وخرج في ثالث شعبان إلى الشام، وأتته رسل الفرنج بعكا - وهو بالسواد - تطلب الهدنة، فسار وبعث إليهم الأمير فخر الدين

أغار القرى، والصدر فتح الدين ابن القيسراني كاتب الدرج، في حادي عشري رمضان، ونزل السلطان. بمروج قيسارية فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة ساعات من التاريخ المذكور وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرمح.

ورحل السلطان إلى دمشق فدخلها ثاني شوال، وحضرت رسل التتار في طلب الصلح. فجهز السلطان إليهم الأمير مبارز الدين الطوري أمير طبر، والأمير فخر الدين القري الحاجب، ومعهما الرسل وهدية لأبغا بن هولاكو وغيره، فساروا في خامس عشره، فلما قدما على أبغا أكرمهما وأخلع عليهما وأعادهما.

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده، فاقتدي به جميع الأمراء والخواص، وكتب إلى الملك السعيد وسائر النواب بذلك، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل. وعمل السلطان جملة نشاب بيده، نحتها وريشها ونصلها.

فلما صحي السلطان توجه إلى حصن الأكراد، ووصل إليه في حادي عشري ذي الحجة، وشاهد العمارة به، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة، ونقل معهم بنفسه، ثم نزل وعمل بيده في مرئة مكان بالخندق، وحفر بنفسه، ثم سار إلى حصن عكار، وعمل في عمارته بيده أيضاً، وأمر برمي المنجنيقات ليعرف مواضع سقوط أحجارها، وعاد إلى حصن الأكراد، وخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف، وخرج يتصيد، فكان الذي خلعه خمسمائة تشريف على من أحضر إليه الصيد.

وفي هذه السنة: امتحن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن على بن سرور بن واقع بن حسن بن جعفر المقدسي الحنبلي: وذلك أن القضاة الأربعة الذين ولاهم السلطان الملك الظاهر بديار مصر، كان كل منهم يستنيب قضاة عنه في النواحي، وكان لتقي الدين شبيب الحراني أخ ينوب عن قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي بالمحلة فعزله، فغضب شبيب لذلك، وكتب ورقة للسلطان بأن عند القاضي القضاة شمس الدين الحنبلي ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام، بجملة كبيرة وقد ماتوا، فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك، فأنكر وحلف ووري في يمينه، فأمر السلطان بالهجم على داره، فوجد فيها كثير مما ادعاه شيب: بعضه قد مات أهله، وبعضه لقوم أحياء فأخذ السلطان مما وجد لمدة الزكاة سنين، وسلم لمن كان حيا وداعته وغضب السلطان عليه واعتقله، وأوقع الحوطة على داره في يوم الجمعة ثاني شعبان.

وسار السلطان إلى الشام قاضي شمس الدين الحنبلي في الاعتقال. ممصر، فتسلط شبيب عليه وادعي أنه حشوي، وأنه يقدح في السلطان، وكتب بذلك محضراً، فأمر الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة بعقد مجلس، فعقد في يوم الإثنين حادي عشره، وحضر الشهود، فنكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته فأحرق النائب. بمن شهد وجرسهم، وذلك إنه تبين له تحامل تقي الدين شبيب على القاضي، واعتقل شبيب ووقعت الحوطة على موجوده، وأعيد القاضي إلى اعتقاله بقلعة الجبل، فأقام معتقلا سنتين، ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدا.

وفيها قدم الشريفان جماز وغانم بن إدريس مكة، وملكاها أربعين يوما، ثم قدم أبو نمي فملكها منهما. وفيها ولدت زرافة بقلعة الجبل في جمادى الآخرة، فأرضتها بقرة، وليها ولدت امرأة بدمشق في بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات، وكانت مدة حملها أربعة أشهر وعشرة أيام، فماتوا كلهم وعاشت الأم.

ومات في هذه السنة من الأعيان

تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضي الدين أبي عبد الله محمد بن عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس الموصل الشافعي، عن اثنتين وسبعين سنة ببغداد.
وتوفي كمال الدين أبو الفضل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلي الشافعي، بدمشق عن سبعين سنة.
وتوفي عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سني الدين أبي الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله محفوظ بن صصرى التغلبي الدمشقي، بها عن، سبعين سنة.
وتوفي أمين الدين أبو الحسن على بن عثمان بن على بن سليمان الإربلي الأديب الشاعر، وقد ترك الجندية وتنتك، عن ثمان وستين سنة، بطريق الفيوم.

ومات ببلد الخيل عليه السلام الشيخ على البكا، الرحل الصالح، في أول شهر رجب، وله كرامات كثيرة.

سنة إحدى وسبعين وستمائة

في خامس المحرم: دخل السلطان إلىدمشق، وقد تواترت الأخبار بحركة التتار، فركب خيل البريد من دمشق في ليلة سادسه بعد عشاء الآخرة، ومعه الأمير بيسري، والأمير أقوش الرومي، وجرمك السلاح دار، وجرمك الناصري، وسنقر الألفي السلاح دار، وعلم الدين شقير مقدم البريد. وساق فدخل قلعة الجبل في يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة، و لم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راكبا، ثم ركب إلى الميدان ولعب بالكرة، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام. وكتب السلطان إلى الأمراء المقيمين بدمشق، وذكر في الكتب أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدبير أمورها، وسير علائم بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد للأطراف، وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية.
وفي يوم الإثنين خامس عشره: ركب السلطان إلى مصر، وركب في البحر ولعبت الشواني قدامه.
وفي ليلة الأربعاء سابع عشره: جهز العسكر المجرد إلى الشام.
وفي ليلة تاسع عشرة: توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد، فدخل قلعة دمشق ليلا.
وفي صفر: قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم، فلم يحتفل بهم، وأمروا أن يضربوا جوكا قدام نائب حلب وقدام صاحب حماة. وكان مجيؤهم بأن يحضر سنقر الأشقر حتى يمشي في الصلح، ثم غيروا كلامهم وقالوا: يمشي السلطان أو من يكون بعده في المترلة إلى أبغا لأجل الصلح فقال السلطان للرسل: بل أبغا إذا قصد الصلح يمشي هو فيه أو أحد من إخوته وأمر السلطان بلبس العساكر فلبسوا عدد الحرب ولعبوا في الميدان خارج دمشق، والرسل تشاهد ذلك، ثم سفروا في رابع ربيع الأول. وفيه تسلم السلطان سهيرن من سابق للدين وفخر الدين ولدي سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس بعد موته، وكان هذا بوصيته لهما بذلك، فأمرهما السلطان وأحسن إليهما، وقدم أهلهما إلى دمشق.
وفي خامس جمادى الأولى: ورد الخبر بترول التتار على البيرة ونصبهم المجانيق عليها وإنهم قد حفظوا محاوض الفرات ونزلوا عليها، ليعوقوا من يصل إليهم. فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصي بعدة من عسكر مصر

والشام إلى جهة حارم، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الوزيري في جماعة، ورحل هو من ظاهر دمشق في ثامن عشر جمادى الأولى، ومعه مراكب مفصلة محمولة. وجد للسلطان في المسير حتى وصل إلى الفرات، فوجد التتار على الشط، فألقى المراكب التي حملها معه في الفرات وأشحنها بالمقاتلة، فتراموهم والتتار .واقتحم الأمير قلاوون الألفي الصالحي الفرات، فخاض ومعه عدة وافرة، وصدم التتار صدمة فرقهم بها ومزقهم، فألقت الأطلاب أنفسها في الفرات، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم ورماحهم، وعليهم وعلى خيولهم الحديد، وازدحموا في الماء، فكان لقعقعة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان في أولهم، وصلي في مترلة العدو ركعتين شكراً لله تعالي، وبث العساكر يميناً وشمالا، فقتلوا وأسروا عدداً كثيراً.

وبات العسكر ليلة الإثنين، فورد الخبر بهزيمة التتار من البيرة مع مقدمهم درباي، وتركهم الأثقال والأزواد، وأن أهل البيرة أخذوا ذلك فتقووا به وأقام السلطان ينتظر من يلاقيه من التتار فلم يأت أحد، فعدي بجميع عساكره في الفرات كما فعلوا أول مرة ونزل بهم في ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة، وعظم الهول حتى طلعت العساكر إلى البر وسار السلطان إلى البيرة، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار، وعم بالتشاريف والأنعام أهل البيرة، وفرق فيهم مائة ألف درهم فضة، وجرد هناك عدة من العسكر زيادة على من كان فيها، وسار إلى دمشق فدخلها في ثالث جمادى الآخر والأسري بين يديه. وخرج السلطان إلى مصر، فوصل قلعة الجبل في خامس عشريه، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطي، وأنزله بدار الوزارة وأجري عليه الرواتب، ثم استدعاه وشرب معه القمز، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك، فلما ناوله السلطان الهناب بيده وهو مملوء قال عز الدين: يا خوند لقد شبنا وشاب نبيذنا. وعم السلطان بالخلع الأمراء والوزراء والقضاة والمقدمين، وجهز رسل الملك منكوتمر ورسل الملك الأشكري ورسل الدعوة، فساروا في شعبان.

وفي ثاني عشر شوال: قبض على الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى شيخ السلطان، وكان السلطان قد استدعاه إلى القلعة، وأحضر جماعة ليحاققوه على أشياء كبيرة بدت منه كاللواط والزنا وغيره، فأمر السلطان باعتقاله، وسجن بقلعة الجبل.

وفي ثاني عشري ذي الحجة :استولي السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية: وهي الدينقة والقدموس والكهف، وأقيمت هناك الجمعة وترضي عن الصحابة بها، وعفيت المنكرات منها، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره.

وفي هذه السنة: سار والي قوص من أسوان حتى قارب دنقلة من بلاد النوبة، وقتل وأسر ثم عاد. وفيها استولي السلطان على عامة مدن برقة وحصونها. وفيها حصل الاحتفال بأمر الشواني ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية، فكمل هناك نصب مائة منجنيق، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لقصد ثغور ديار مصر. وفيها فتحت قلعة كينوك من بلاد الأرمن، على يد الأمير حسام الدين لاجين العنتابي. وفيها تنجزت عمارة صخرة بيت المقدس. وفيها نزل السلطان يعوم في النيل وهو لابس زردية مستبلة، وعمل بسطا كبيرة، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدي الأستادار، وجرها وجر فرسين وهو يعوم لابس الزردية من البر إلى البر.

ومات في هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو صالح عبيد الله بن الكمال أبي القاسم عمر بن الشهيد شهاب الدين أبي صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمي الحلبي، بها عن اثنتين وستين سنة.
وتوفي فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغني بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، عن نحو ستين سنة بدمشق.
وتوفي الأديب مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموي.
وتوفي الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسيني، الناسخ الكاتب المجود المؤرخ، عن تسع وستين سنة.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

في المحرم: نقض باب القصر المعروف بباب البحر تجاه المدرسة الكاملية بين القصرين لأجل نقل عمد منه لبعض العمائر السلطانية، فوجد فيه صندوق في داخله صورة من نحاس أصفر، مفرغ على كرسي شكل هرم ارتفاعه قدر شبر بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويداه مرتفعتان تحملان صفحة دورها ثلاثة أشبار مكتوبة بالقبطي، وإلى جانب الكتابة في الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة، وإلى الجانب شكل ثان وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث في يده عكاز وعلى رأسه صليب. ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد تكشط أكثر ما فيه من الكتابة وبقي فيه بيبرس، فتعجب من ذلك.
وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل في ليلة سادس عشريه، ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسري، والأمير أنامش السعدي. فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، صحبه الأمير بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من في سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة، وأن تخرج كل قرية من قري الشام رجالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه، ودخل السلطان إلى دمشق في سابع عشر صفر.
فخرج من عساكر مصر في حادي عشره عدة أربعة آلاف فارس، صحبة مقدميهم: وهم الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري، وجمال الدين أقوش الرومي، وعلاء الدين قطليجا، وعلم الدين ططح. ثم خرج في ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة، فورد مرسوم السلطان على الأمير بيليك بالنزول قريبا من يافا، وعندما قارب عسكر مصر دمشق ركب السلطان من دمشق في نحو أربعين نفسا جرائد بغير ركيدار، وقد طلب العسكر وقارب المنزلة فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنهم حجاب من بعض التركمان، فأمروهم بالترجل فأبوا، وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف سناجق وحسر لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية، ودخل السلطان وساق في ركبه، فنزل الناس وقبلوا الأرض، وسار حتى نزل ورتب العسكر. وأصبح السلطان فركب في موكبه، وقضي أشغال الناس إلى أن أمسي، ثم ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا في موكبه. وفي مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يرتب الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على علائم فوق أوراق بيض.

وفيه فر الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج من التتار إلى السلطان بيبرس. وكان الملك فرج في أول أمره أمير طشت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وكان له سميساط، وبعد وفاة جلال الدين سلك قلعة كيران وعدة قلاع بناحية تقجوان ثم وصل الملك فرج هذا إلى بلاد السلاجقة الروم، فقطع بها ناحية أفصرا. وكان بهادر قد كاتب السلطان بيبرس وراسله وتقرب إليه بإعلامه بحقيق؛ أخبار العدو فعلم به التتار فأمسكوه وحملوه إلى الأردو، فهرب وحضر إلى البيرة، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر، فأكرمه وأعطاه بمصر إمرة عشرين فارسا. وخرج السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلع؛ الجبل في رابع عشري جمادى الآخرة. فتواترت الأخبار بحركة التتار، فرسم للأمير عيسي بن مهنا أمير العرب بالغارة، فأغار ووصل إلى الأنبار في ثامن عشر شعبان، فظن التتار أن السلطان قد قدم، فانهزموا إلى أبغا، فرجع إلى بلاده.

وفي نصف شعبان: أفرج عن قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي.

وفي شهر رمضان: رسم للعسكر بالتأهب للعب القبق ورمي النشاب، فيكب من كل عشرة فارسان في أحسن زيهم وقت الحرب، وركب السلطان في مماليكه ودخلوا في الطعن بالرماح، ثم أخذ السلطان الحلقة ورمى النشاب، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره، وقلسلقة والبحرية بغلطاق. فاستمر ذلك أياما، تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس، وفرق السلطان فيها من الخيل والبغالطق جملة. وساق السلطان يوما عادته في اللعب، وسل سيفه فسلت مماليكه سيوفها، وحمل هو ومماليكه الخواص حملة وحمل واحد واصطدموا، فكان منظرا مهولا، وأطلق السلطان من التشاريف ما عم به سائر من في خدمته: من ملك وأمير ووزير، ومقدمي الحلقة والبحرية، ومقدمي المماليك والمفردية، ومقدمي البيوتات السلطانية، وكل صاحب شغل وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.

وفي يوم عيد الفطر: ختن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعده من أولاد الأمراء، وجري السلطان على عادته في عدم تكليف الناس، فلم يقبل من أحد هدية ولا تقدمة، ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف، إلا المغاني وأرباب الملاهي فإنه لم تنفق لهم في طول أيامه سلع؛، ولا نالهم منه رزق ألبتة.

وفي ثاني عشر شهر رمضان: سار الملك السعيد من قلعة الجبل في عدة من الأمراء جريدة إلى الشام، من غير أن يعلم به أحد، فدخل دمشق في سادس عشريه على حين غفلة من النائب، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم في سوق الخيل، فقبلوا له الأرض، ودخل الملك السعيد إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق، فمنعته كثرة الأمطار.

وفي ليلة عيد الفطر: خلع الملك السعيد على أمراء الشام والمعكمين والمفاردة والأكابر، وخرج يتصيد بالمرج، وسار إلى الشقيف وصفد، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل في حادي عشري شوال.

وفي هذه السنة: كان بمصر وأريافها وباء، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال. وحصل في بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحميات، فقدم رجل نصراني إلى الأمير غرس الدين بن شاور والي الرملة، وقال له: هذه الآبار قد حاضت، كما جرى في السنة التي جاء فيها التتار فيها إلى الشام. وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابود في الجبل، وأخذوا من مالها وصبوه في الآبار فزال الوخم، وأشار بعمل ذلك فبعث والي الرملة إلى القرية المذكورة، وأخذ من مائها وصبه في الآبار التي بيافا، وكان الماء قد كثر فيها فنقصت إلى حدها المتعارف، وكتب

إلىالسلطان بذلك وقيل له: إن هذه الآبار إناث تحيض، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود المذكورة.
وفيها ولي تقي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيي الرقي قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة محيي الدين محمد بن الأستاذ.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير فارس الدين أقطاي الصغير المستعرب الصالحي النجمي، أتابك العساكر بديار مصر، عن سبعين سنة في تاسع جمادى الأولى.
ومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمري المعروف بالدرفيل، داودار السلطان.
وتوفي قاضي حلب محيي الدين أبو المكارم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعي بها، وقدقدم القاهرة ودرس بالمسرورية.
وتوفي قاضي قضاة دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شداد بن علي التقايسي الشافعي، عن سبعين سنة بالقاهرة.

وتوفي مؤيد الدين أبو المعالي أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسي التميمي، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة بعد ما قدم القاهرة.
وتوفي النحوي جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني بدمشق، عن بضع وسبعين سنة.
وتوفي تقي الدين أبو إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن أبي اليسر التنوخي المعوي، المحدث الأديب كاتب الإنشاء، عن ثلاث وثمانين سنة بدمشق.
وتوفي المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطف بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحراني، مدرس دار الحديث الكاملية، عن خمس وثمانين سنة بالقاهرة وتوفي جمال الدين أبو عيسي عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن علاقة الأنصاري، عن ست وثمانين سنة.
وتوفي أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي بالإسكندرية، عن بضع وثمانين سنة ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الإمام المشهور، في ذي الحجة. وقد خدم أولاد صاحب الألموت، ثم خدم هولاكو وحظي عنده، وعمل له رصدا. بمراغة، وصنف، كتبا عديدة .وقد توفي في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

سنة ثالث وسبعين وستمائة

في المحرم: قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى قلعة الجبل، ومعه أخوه الملك الأفضل علي، وولده المظفر تقي الدين محمود فأنزل بمناظر الكبش، وعندما حل بها وصل إليه الأمير آقسنقر الفارقاني الأستادار بالسماط، فمده بين يديه ووقف كما يقف بين يدي السلطان فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى جلس، فلما فرغ السماط قدمت الخلع والتعابي وغيرها.

وفي ثامن صفر: توجه السلطان من قلعة الجبل، وسار إلى الكرك فأقام بها ثلاثة عشر يوما، وكشف أحوال الشوبك، وعاد إلى قلعة الجبل ثاني عشري ربيع الأول. ثم توجه إلى العباسية ومعه الملك السعيد، فصرع الملك أوزة خبية. وقيل له: لمن تدعي فقال: لمن أدعو بحياته، ومن أتقرب إلى الله بدعواته، الذي حسبي افتخارا أن أقول والدي، ومن يتمرن لصرع أعدائه ساعدي، فقبله السلطان ووهبه من كل شيء.

وفيها تحيل السلطان على استخلاص رؤساء الشمواني الذين أسروا بقبرص ميناء نمسون، وكان الفرنج لما كسرت الشواني على قبرص وأسروا من فيها، السلطان الأمير فخر الدين المقري الحاجب إلى صور لابتياع الأسري، فتغالى الفرنج الرؤساء وباعوا القواد والرماة لطائفة منهم، فغادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان، وبقي الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة: منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دمياط، فحبسوهم بعكا في قلعتها. فبعث السلطان إلىالأمير سيف الدين خطابا وهو بصفد يأمره بالتحيل في سرقتهم، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل إليهم بمبارد ومناشير، وسرقوا من جب قلعة عكا، وساروا في مركب إلى خيل قد أعدت لهم، فركبوها ووصلوا إلى القاهرة. ولم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان، فكانت بعكا لأجلهم فتنة بين الفرنج.

وقدم كتاب متملك الحبشة وهو الحطي يعني الخليفة، يخاطب السلطان فيه بعبارة: أقل المماليك يقبل الأرض وينهي، وسال فيه أن يجهز له مطران من عند البطرك، فأجيب. وسار السلطان إلى الإسكندرية، وأمر ببناء ما هدم من المنار، وعاد إلى قلعته. وكتب السلطان بأن تخرج عساكر حلب للغارة، فخرجت وأغارت على بلاد سيس، وغنموا وقلعوا أبواب ربض مرعش.

وفي ثالث شعبان: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام، فدخل دمشق في سلخه، وخرج منها في سابع رمضان فدخل حماة، ثم صار منها بالعساكر والعربان. وجرد السلطان عيسي بن مهنا، والأمير حسام الدين العنتابي، بعسكر إلى البيرة، وجهز الأمير قلاوون الألفي والأمير بيليك الخازندار، بعسكر إلى بلاد سيس، فساروا وهجموا النصيصة على الأرمن، وقتلوا من بها، وكانت المراكب قد حملت معهم على البغال وهي مفصلة، ليعدوا فيها من نهر جهان والنهر الأسود، فلم يحتج إليها.

ووصل السلطان على الأثر بعد ما قطع بعساكره النهر الأسود وقاسوا مشقة، وملكوا الجبال وغنموا عنها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل السلطان إلى سيس وهو مطلب في تاسع عشريه وعيد بها، وانتهبها وهدم قصور التكفور ومناظره وبساتينه، وبعث إلى دربند الروم، فاحضر إليه من سبايا التتار عدة نساء وأولاد، وسير إلى طرسوس، فأحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال، وبعث إلى البحر عسكرا فأخذ مراكب، وقتل من كان فيها. وانبثت الغارات في الجبال، فقتلوا وأسروا وغنموا. وبعث السلطان إلى أياس بالعساكر، وكانت قد أخليت، فنهبوا وحرقوا وقتلوا جماعة، وكان قد فر من أهلها نحو الألفين ما بين فرنج وأرمن في مراكب، فغرقوا بأجمعهم في البحر، واجتمع من الغنائم ما لا يحصره قلم لكثرته، ووصلت العربان والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التتار منهم وعادوا. فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة من الدربند، فلما قطعه جعل الغنائم بمرج أنطاكية حتى ملأته طولا وعرضا، ووقف بنفسه حتى فرقها، و لم يترك صاحب سيف ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئا. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق، فدخلها في النصف من ذي الحجة.

وفيها ولي قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي.

ومات فيها من الأعيان

قاضي القضاة الحنفي بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن الحسن بن عطاء الأذرعي، عن ثمان وسبعين سنة.
وتوفي أمين الدين أبو بكر محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن الخزوجي المحلي النحوي الأديب.
وتوفي الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدي الدمشقي المعروف باليغموري، بالمحلة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة.
وتوفي الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن فتوح بن العماد الهمداني، الإسكندري الملكي المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية.

سنة أربع وسبعين وستمائة

في ثامن المحرم: وصل الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس في تجمل كبير، ومعه كتاب السلطان إلى متملكها، فما زال حتى قرر عليه في كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيراً.
وفي رابع عشريه: خرج الأمير بدر الدين الخازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد، ومعه أولاد الأمراء، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل البريد في سلخه، فوصل إلى دمشق في سادس صفر، وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق.
وفي صفر: هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج، فقتل الطاغية في المعركة في نحو ستة آلاف، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلا وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير، وعجزت القدرة عن إحصاء الغنم، حتى أبيعت الشاة بدرهم، وحمل الكراع على أربعة عشر ألف وستمائة جمل.
وفيها نبش عمال بني مرين قبور خلفاء الموحدين، وأخرجوا عبد المؤمن بن على وابنه يعقوب المنصور من قبريهما، وقطعت رأسهما، وضربت أعناق من كان بجبل تينتمل وصلبوا. بمراكش وأخذت أموالهم. وفيها بنيت فاس الجديد وصارت دار ملك بني مرين.
وفي ثالث عشرى جمادى الأولى: أخذ السلطان القصير حصن أنطاكية وحمل أهله إلىالجهات التي قصدوها.
وقدم الخبر بورود التتار إلىالبيرة، فجمع السلطان للعساكر وأنفق، وخرج من دمشق إلى حمص، فجاء الخبر برجوع التتار فعاد إلى دمشق.
وفي هذه الأيام: اختلفت أمراء الروم على البرواناه، ففارقه جماعة من قيسارية، وقدم منهم إلى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير، والأمير سنان الدين موسى بن طرنطاي، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك بعيالاتهم يريدون الانتماء إليه، فجهزهم السلطان إلى القاهرة، ثم إن محمود بن الخطير سعي بهم، فاعتقلوا بقلعة

الجبل مدة ثم أطلقوا.

وفي مستهل رجب: توجه السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في ثامن عشره، وقدمت هدية صاحب اليمن، ومن جملتها كركدن وفيل وحمار وحش عتابي، فسير السلطان إليه هدية مع رسله، وجهز السلطان هدية للملك منكوتمر مع الأمير عز الدين أيبك الفخري، وجهز رسل الأشكري، ورسل الملك الفنش ورسل جنوة.

وفيها حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد متظلما من داود ملك النوبة، فجرد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقاني، بعده من العسكر وأجناد الولاة والعربان، ومعه الزراقون والرماة وزجمال الحراريق والزردخاناه، فخرج في مستهل شعبان حتى عدي أسوان، وقاتل الملك داود ومن معه من السودان، فقاتلوه على النجب، وهزمهم وأسر منهم كثيراً. وبث الأمير آقسنقر الأمير عز الدين الأفرم، فأغار على قلعة الدقم، وقتل وسبي، ثم توجه الأمير سنقر في أثره يقتل وياسر حتى وصل إلى جريرة ميكاليل وهي رأس جنادل النوبة فقتل وأسر وأقر الأمير آقسنقر قمر الدولة صاحب الجبل وبيده نصف بلاد النوبة على ما بيده، ثم واقع الملك داود حتى أفني معظم رجاله قتلا وأسرا، وفر داود بنفسه في البحر وأسر أخوه شنكو، فساق العسكر خلفه ثلاثة أيام، والسيف يعمل فيمن هناك حتى دخلوا كلهم في الطاعة، وأسرت أم الملك داود وأخته.

وأقيم مشكد في المملكة، وألبس التاج وأجلس في مكان داود، وقررت عليه القطعة في كل سنة وهي فيلة ثلاثة، وزرافات ثلاث، وفهود إناث خمس، وصهب جياد مائة، وأبقار جياد منتخبة مائة وقرر أن تكون البلاد مشاطرة، نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها، وأن تكون بلاد العلى وبلاد الجبل للسلطان وهي قدر ربع بلاد النوبة لقربها من أسوان، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجاري بها العادة من القديم وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختاروا الجزية، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا في كل سنة. وعملت نسخة يمين بهذه الشروط، وحلف عليها مشكر وأكابر النوبة، وعملت أيضاً نسخة للرغبة بأنهم يطيعون نائب السلطان مادام طائعا، ويقومون بدينار عن كل بالغ. وخربت كنيسة سرس، التي كان يزعم داود أنها تحدثه بما يرديه، وأخذ ما فيها من الصلبان الذهب وغيرها، فجاءت مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين دينارا ونصف، وبلغت الأواني الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين دينارا. وكان داود قد عمرها على أكتاف المسلمين الذين أسرهم من عيذاب وأسوان، وقرر على أقارب داود حمل ما خلفه من رقيق وقماش إلى السلطان، وأطلقت الأسري الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردوا إلى أوطانهم. من العسكر من الرقيق شيئاً كثيراً، حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس، وأقام العسكر. بمدينة دمقلة سبعة عشر يوما، وعادوا إلى القاهرة في خامس ذي الحجة بالأسرى والغنائم، فرسم السلطان للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالا، فعمل لذلك ديوان.

وفي ثاني عشره: اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل، وعقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفي، بوكالة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاوون الأمير آقسنقر الفارقاني، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجل منها ألفا دينار، وكتب الصداق بخط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وإنشائه، ومن جملته: هذا كتاب تحاسدت رماح الخط وأقلام

الخط على تحريره، وتنافست مطالع الأنوار ومشارق الأنوار على تسطيره، وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصدق، وقال العرف هذا ما أصدق.

وفيه شنق السلطان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا عظيما من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلعة الجبل.

وعندما انقضي أمر العقد، ركب السلطان من يومه على الهجن في نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها في ثالث عشريه، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبية، فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعي له ذلك وزاد إقطاعه، ونظر السلطان في أمر أهل الكرك، وقطع أيدي ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة، ورتب رجالا بها عوضاً عمن كان فيها. وفيها أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يعهد مثله.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، في ثالث عشر ربيع الأول.
ومات الأمير حسام الدين قيماز الكافري، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات.
وتوفي سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبي محمد عبد الله بن العماد أبي الفتح عمر بن على بن محمد بن حمويه الجويني شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة.
وتوفي تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابدين الحسين بن محمد بن على التميمي الصرخدي الحنفي، بدمشق عن ست وتسعين سنة.
وتوفي زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، الإنشاء لقلعة الجبل في000.
وتوفي كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن على شيث الأموي.
وتوفي الأديب أبو الحسن على بن أحمد بن العقيب العامري ببعلبك.

سنة خمس وسبعين وستمائة

في المحرم: سار السلطان من الكرك، فدخل إلى دمشق في رابع عشره، وقدم عليه عدة من أمراء الروم مغاضبين للبرواناه، وهو معين الدين سليمان بن على بن محمد بن حسن، وكان منهم الأمير حسام الدين بينجار الرومي، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر، واثنا عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم، من جملتهم قرمشي وسكتاي ابنا قراجين بن جيفان نوين، فأحسن السلطان إليهم، وبعث حريمهم إلى القاهرة، وأجري عليهم الأرزاق، ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأبلستين، والأمير مبارز الدين سوار بن الجاشنكير، في كثير من أمراء الروم، فتلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم ثم كتب السلطان إلى الأمراء بمصر يستشيرهم في بعث عسكر إلى الروم، وأن يحضر الأمير بيسري والأمير أقش. مما يتفق الرأي عليه، فحضرا على البريد، ووصل أيضاً الأمير سنقر الأشقر، وتتابع وصول حريم أمراء الروم، فأكرمهم السلطان وجهزهم إلى القاهرة، وسار السلطان إلى

حلب، وجرد منها الأمير سيف الدين بلبان الزيني الصالحي في عسكر، فوصلوا إلى عين تاب.
وعاد السلطان من حلب إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في رابع عشر ربيع الأول، ورسم بتجهيز مهمات العرض، فأخذ الناس في التجهيز، وغلت الخيول والأسلحة، وعدم صناع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء، وعز وجود صناع النشاب ومقومي الرماح.
وفي خامس جمادى الأولى: وقع العرض، فركبت العساكر بكمالها في يوم واحد وقد لبسوا أجمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم في يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا، وفرق السلطان على مماليكه العدد الجليلة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان، ونزلوا من الغد في الوطاقات للعب، وقد لبس المماليك السلطانية الجواشن والخوذ، وعملت الأبرجة الخشب على الفيلة، ودخلوا في الحلقة وساقوا. ثم نصب القبق بالميدان الأسود تحت القلعة ورموا النشاب، وأنعم السلطان على كل من أصاب القبق من الأمراء بفرس من الجنائب الخاص، بسرجه ولجامه وتشاهيره بالمراوات الفضة وغيرها، وأنعم على من أصاب من المماليك والأجناد بالخلع. كل ذلك والسلطان يسعى، وقد تنوع في لامات حربه، وصار يأخذ بقلوب الناس ويحسن إليهم وساق السلطان بالرمح أحسن سوق حتى تعجبوا من فروسيته، إلى أن انقضي النهار على هذا.
وفي اليوم الثالث: ركب السلطان، ولعب الناس ورموا في القبق، والسلطان يطاعن بالرمح. وفي الغد ترتب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان، وكان السلطان بينا يراه الناس آخرا قد شاهدوه أولا، وهو لا يسأم من الكر والفر، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يبهر العقول، وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف.

وكان قفجاقي الأصل، طويل القامة أسمر اللون، في عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة، صوته جهوريا، وكان شجاعا عسوفا عجولا. وكان قد حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه، وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم، فرد مشتريه لبياض في إحدى عينيه، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو بحماة معتقل بها، وأقام في خدمته مدة ثم أخذ منه الملك الصالح فترقي في الخلع، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام.
وكانت الأمراء تخافه مخافة شديدة، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم عليه إلا بإذن. وكان مقداما خفيف الركاب طول أيامه يسير على الهجن وخيول البريد لكشف القلاع والنظر في الممالك، فركب للعب الكرة في الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق، وفي ذلك يقول سيف الدولة المهمندار من أبيات يمدحه بها :

يوما ويوما في قري حلب يوما بمصر ويوما بالحجاز وبالشام

وكانت عدة عسكره اثني عشر ألفا، ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب. وكان هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى، فان اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة. وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وهدمها، وفتح صفد وعمرها، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وخربها. واستولي على بغراس والقصير وحصن الأكراد والقرين وحصن عكار وصافيتا ومرقية وحلبا، وناصف الفرنج المرقب وبانياس وأنطرسوس، وأخذ من متملك سيس دربساك ودركوش

وتلميش وكفر دنين ورعبان ومرزبان، وملك دمشق وعجلون وبصري، وصرخد والصلت وحمص، وتدمر الرحبة وتل باشر، وصهيون وبلاطنس، وقلعة الكهف والقدموس والدينقة العليقة والخوابي والرصافة ومصياف، والكرك والشوبك وبلاد الحلب وشيزر وبلاد النوبة وبرقة، وسائر إقليم مصر والشام، وملك قيسارية من بلاد الروم. وقد قال فيه بعض الأدباء :

إلى العراق وأرض الروم والنوبي   تدبر الملك من مصر إلى يمن

وله عدة أوقاف بمصر: منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم، وهو من أكثر الأوقاف نفعا، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة، والمدرسة الظاهر بخط بين القصرين من القاهرة، والجامع الظاهري خارج باب الفتوح من القاهرة. وعمر السلطان بيبرس الجسر الذي يسلك عليه إلى دمياط، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل، ووقفوا وقفة رجل واحد. وقدم السلطان عدة من مماليكه وخواصه، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم ردفهم بنفسه، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة. فترجل التتار عن خيولهم، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم، فولي طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم. ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم، فانهزم أصحابه، وصار هو إلى قيسارية فوصلها بكرة يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة، وأشار على سلطانها غياث الدين كيكاوس بن كيخسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها، فإن التتر المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حنقا على المسلمين، ثم أخذ البرواناه السلطان غياث الدين كيكاوس بن كيخسرون صاحب الروم، وجماعة من أعيان البلد، وصار بهم إلى توقات، وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام.

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التتار في منزلتهم، وأحضر إليه من أسر من أمراء المغول، فعفا عنهم وأطلقهم. وقتل في المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير، والأمير سيف الدين قيران العلائي أحد مقدمي الحلقة، وسيف الدين قفجاف الجاشنكير، وعدة من العسكر، وجرح جماعة. وقتل قتاوون مقدم التتار في المعركة، وأمر السلطان بقتل من أسر من التتار، وأبقي من أسر من أمراء الروم وأعيانهم معه، وفيهم أم البرواناه، وابنه مهذب الدين على وابن ابنته.

وجرد السلطان الأمير سنقر الأشقر في جماعة، لإدراك المنهزمين من التتر وللتوجه إلى قيسارية، وكتب معه كتابا إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل بالدراهم الظاهرية، فمر الأمير سنقر بفرقة من التتار معهم البيوت، فأخذ منهم جانبا، وأدركه الليل فتفرق من بقي منهم.

ورحل السلطان في يوم السبت حادي عشره يريد قيسارية الروم، فاستولي في طريقه على عدة بلاد. وفي يوم الأربعاء خامس عشرة تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه، وقد نصبت في وطاة بالقرب من المناظر التي كانت لملوك الروم، فترجل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، وأقبل الروم من كل جهة، وضربت نوبة آل سلجوق على عادتها، وحضر أصحاب الملاهي كما هي عادة الروم، فنهوا عن الضرب بالآلت وعن الغناء أيضاً، وقيل لهم: هذه الهيئة لا تتفق عندنا، وما هذا موضع الغناء، بل موضع الشكر. وشرع السلطان في إنفاق المال، وعين لكل

جهة شخصان وكتب إلى أولاد قرمان أمراء التركمان، وأكد عليهم في الحضور، واستمال النازحين، فما خرج البرواناخ عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه إنه لا يحضر.

وركب السلطان في يوم الجمعة سابع عشريه وعلى رأسه جتر بني سلجوق، ودخل قيسارية دار السلطة، وعبر القصور وجلس على آل سلجوق، وأقبل الناس للهناء وقبلوا الأرض، وحضر القضاه والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب، على عادة الملوك السلجوقية في أيام الجمع، ووقف أمير المحفل - وهو عندهم ذو حرمة ومكانة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة - فرتب المحفل على قدر الأقدار، وانتصب قائما بين يدي السلطان منتظرا ما يشير به. وقرأ القراء أحسن قراءة، ورفعوا أصواقم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا، فانشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح في السلطان، ومد سماط الطعام فأكل من حضر، ثم أحضرت دراهم عليها السكة الظاهرية. وتهيأ السلطان لصلاة الجمعة، وقام السلطان إلى الجامع، وخطب الخطب بنعوته وصلي، وخطب له الخطباء بجوامع قيسارية وهي سبعة، فلما قضي السلطان صلاة الجمعة، حمل إليه ما تركته كرجي خاتون امرأة البرواناه من الأموال التي لم تقدر على حملها معها، وما خلفه سواها ممن انتزح معها، وظهر لها ولزوجها معين لدين البرواناه موجود نفيس، فأخذ السلطان ذلك.

وبعث البرواناه يهنئ السلطان بيبرس بجلوسه على تخت الملك، فكتب إليه أن يفد عليه ليقره مكانه، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما. ورجا البرواناه بذلك أن يصل الملك أيضاً وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم، فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية في ثاني عشريه، بعد ما أعطي الأمراء والخواص الخيول والأموال. ولما وصل السلطان إلى خان كيقباد بعث إلى الأرمن بجهة الرمانة لأمير طيبرس الوزيري، فحرق وقتل وسبي من بها من الأرمن وعاد، وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر، فسار السلطان إلى الأبلستين، ومر على مكان المعركة ليري رمم القتلى من التتار، فذكر أهل الأبلستين إنهم عدوا من القتلى ستة آلاف وسبعمائة وستين، وضاع الحساب بعد ذلك، فأمر السلطان بجمع من قتل من عساكره ودفنوا، وترك منهم قليلا بغير دفن، وقصد بذلك نكاية التتار في إظهار كثرة من قتل منهم وقلة من قتل من عسكره، ثم رحل.

ودخل السلطان إلى الدربند في رابع ذي الحجة، وأصاب الناس فيه مشقة عظيمة، ونزل بحارم في سادسه وعيد هناك، فورد كتاب الأمير شمس الدين محمد بن قرمان أمير التركمان، يتضمن أنه جمع التركمان وحضر في عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متركشة للخدمة، فوجد السلطان قد عاد، وحضر أيضاً أمراء بني كلاب، ووفود التركمان، ثم رحل السلطان طالبا دمشق.

وقدم الملك أبغا بن هولاكو بالتتار لمحاربة السلطان، فوافاه البرواناه في الطريق. وكان السلطان قد رحل فتبعه أبغا، وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رمم التتار التي هناك فشق عليه ذلك، وكان قد وشي إليه بالبرواناه إنه هو الذي كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فخنق لقلة عدد قتلي الروم. وعاد أبغا إلى قيسارية، فنهبها وقتل من ببلاد الروم من المسلمين، وأغار التتار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتي ألف نفس، و لم يقتل أحدا من النصارى. وكل القتل من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت

خمسمائة ألف، ثم سار أبغا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان بيبرس من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت، أيحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل مسجونا، فدفن خارج باب النصر. وفيها حج الصاحب تاج الدين حنا، وكان بمكة غلاء عظيم.
وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنفي بدمشق، بعد ما أقام بالقاهرة عينا، وكان قد ولي قضاء بعض الأعمال.
وتوفي بدر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن القويرة، الحنفي الفقيه الأديب، نحو أربعين سنة بدمشق.
وتوفي فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكناني الشاطبي، الحنفي النحوي الأديب، عن ستين سنة بدمشق.
وتوفي قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبي عصرون التميمي الموصلي الشافعي، عن ثلاث وثمانين سنة بحلب.
وتوفي الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلمفري، عن اثنتين وثمانين سنة بحماة.
ومات الشيخ العباس خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي الكردي، في محبسه بقلعة الجبل، في يوم الخميس سادس المحرم عن نيف وخمسين سنة، ودفن بزاويته خارج باب الفتوح.
وماس متملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص، في عاشر ذو الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيي الواثق.

سنة ست وسبعين وستمائة

في خامس المحرم: دخل السلطان من أنطاكية إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر الأبلق، فكثرت الأخبار بقدوم أبغا إلى الأبلستين وأنه يريد بلاد الشام، فضرب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع ألبغا إلى بلاده فرد الدهليز إلى دمشق.
ولما كان في يوم الخميس رابع عشره: جلس السلطان لشرب القمز، وقد عظم سروره وفرحه وتناهي سعده، فأكثر من الشرب، وانقضي المجلس فتوعك بدنه، وأصبح يشكو فتقيأ، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأبلق آخر النهار وبات فيه، فلما أصبح وهو يشكو حرارة في باطنه، استعمل دواء لم يكن عن رأي طبيب، فلم ينجح وتزايد ألمه، فاستدعى الأطباء، فانكروا استعماله الدواء، واتفقوا على أخذ مسهل وسقوه فلم يفد، فحركوه بدواء آخر فأفرط به الإسهال، وتضاعفت الحمي ورمي دما يقال إنه كبده، فعولج بجواهر

ومات.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني في تاريخه: إن الظاهر كان مولعا بعلم النجوم، فقيل له أنه يموت بدمشق في سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتم من ذلك ويقال إنه كان فيه حد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن الملك المعظم عيسي بن العادل أبي بكر بن أيوب، أبلي في المصاف بلاءً عظيما أنكي به العدو، وتعجب الناس لعظم شجاعته، فأثر ذلك عند السلطان. واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فتور، وظهر عليه الخوف والندم على ما فعله من تورط نفسه وعساكره ببلاد الروم، فأنكر عليه الملك القاهر وقبح فعله، فأسر له السلطان ذلك إلى أن قدم في دمشق، فسمع السلطان الناس تلهج مما فعله الملك القاهر في وقت المصاف، فاشتد حنقه وأخذ يتحيل في سمه، ليصح فيه ما دلت عليه النجوم من موت ملك بالشام، فإنه يطلق عليه اسم الملك فعمل دعوة لشرب القمز حضرها الملك القاهر، وقد أعد السلطان سما من غير أن يشعر به أحد. وكان له ثلاث هنابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده، فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته، جعل السلطان السم الذي أعده في هناب وأمسكه بيده، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه، فقبل الأرض وشرب جميع ما فيه وقام السلطان لقضاء حاجة، وأخذ الساقي المناب من يد الملك القاهر، وملأه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السم فيه، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة، فلما عاد السلطان من الخلاء تناول ذلك المناب بعينه، وشرب ما فيه وهو لا يعلم إنه المناب المسموم، فعندما شربه أحس بالتغير، وعلم إنه قد شرب بقايا السم الذي كان في المناب، فتقيا فلم يفد، وما زال به حتى مات.

وذكر ركن الدين بيبرس المنصوري المؤرخ أن القمر خسف جميع جرمه، ودل على موت رجل جليل القدر، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف، وقصد صرف ذلك إلى غيره، فسم الملك القاهر في كأس قمز، وأحس الملك القاهر بالشر فقام، وغلط الساقي فملأ الكأس وسقاه السلطان، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء، حتى تمكن منه ومات.

وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشري المحرم بعد الزوال، فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما، وقد تجاوز الخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما.

وفي يوم الثلاثاء: أنعم السلطان على جميع الأمراء والمقدمين والقضاة والمتعممين بالتشاريف، ولبس السلطان تشريفا كاملا بشربوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، ولعبوا على عادتهم. وحصل الاهتمام بأمر السماط، ونقل له من أصناف الحوائج ما لا يعد، وسيق من الأغنام ألوف كثيرة. ومدت الأسمطة، وحضر السلطان والناس في خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نقل جميع ذلك وأخذ.

وحضرت التقادم، فقبل السلطان منها اليسير مثل تقصيلة أو رمح أو شيء لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك في وقته، ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاوون.

وشرع السلطان في السفر لأخذ بلاد الروم وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والخيام وكل ما يصلح من أمور السفر. وتقرر الأمير آقسنقر الفارقاني نائب الغيبة بقلعة الجبل، ومعه الصاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونوا في خدمة الملك السعيد. وتعين الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين

لوزارة الصحبة.

وخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل في يوم السبت ثاني عشريه ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية، فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوال، وخرج منها إلى حلب في العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهل ذي القعدة، وخرج منها يوم الخميس ثانيه إلى حيلان وجرد السلطان الأمير نور الدين على بن مجلي نائب حلب ليقيم على الفرات بعسكر حلب ويحفظ معابر الفرات، لئلا يدخل أحد من التتار إلى بلاد الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا.

وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب، لم يمر بمملكة إلا أخذ معه عسكرها وخزائنها وأسلحتها، فترك بعض الثقل بحيلان، وصار منها يوم الجمعة ثالثه إلى عين تاب، وقطع الدربندربات في وطأة. وتوجهت العساكر جرائد على الأمر المعهود، وخففوا كل شيء وتقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا في عدة من العسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار ومقدمهم يسمى كراي، فانهزموا قدامه وأسر منهم جماعة وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر، وبلغ ذلك الملك أبغا، فجهز جماعة من عرب خفاجة لينازلوا عسكر حلب على غرة، فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفا ومائتي جمل.

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التتار ومقدمهم تتاوون وعسكر الروم ومقدمهم معين الدين البرواناه، قد اتفقوا جميعا على لقائه، فرتب عساكره وتأهب للقاء، وطلع بعساكره على جبال تشرف على صحراء هوتي من بلد أبلستين. وترتب المغول أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم وجعلوه طلبا بمفرده لئلا يكون محاصرا عليهم، وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من جبل أبي المنجا، وهي أجل قناطر أرض مصر. وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طناح وبحر الصماصم بالقليوبية، وحفر خليج سردوس، وأصلح بحر دمياط وردم فمه بالصخور.

ومن غريب أمره إنه أول ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل وآخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم. وأول جلوسه على مرتبه الملك يوم الجمعة سابع عشري ذي القعدة، وآخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق في قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشري ذي القعدة، وأول من بني مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر، والذي أخربها الملك الظاهر. وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرلبك، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم في الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة. وركن الدين طغرلبك هو الذي رد الخلافة على بني العباس في نوبة البساسيري، وركن الدين بيبرس هو الذي رد الخلافة على بني العباس في نوبة هولاكو. والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي للظاهر لإعزاز دين الله وكذا وقع له، فقد كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي للملك الظاهر بيبرس.

وكان راتب مخابزة وعليقة لخاصة نفسه ومماليكه، في كل سنة مائة ألف وعشرين ألف أردب، وكان يطعم في كل ليلة من ليالي شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسو في كل سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من يده من الكساوي، وكان له من الخبز ألفا قنطار وخمسمائة في كل يوم. إلا إنه كان كثير المصادرات للدواوين، كثير

الجباية للأموال من الرعية. وأحدث وزيره ابن حنا في أيامه حوادث جليلة، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة، وصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة، وأخذ جوالي الذمة مضاعفة، وأمر بإحراقهم كلهم، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة قدام دار النيابة بقلعة الجبل، ثم عفي عنهم وقرر عليهم أموالا أخذت منهم بالمقارع، ومات أكثرهم في العقوبة. ولما توجه السلطان بيبرس إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخيل، وفرض عليهم ألف ألف درهم نقرة تجبي من المدينة ومن الضياع.

ولم يل الوزارة له سوي الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا، وقضاته بمصر قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب، بن بنت الأعز إلى أن أحدث القضاة الأربعة، واستمر ذلك من بعده .ورؤي السلطان بيبرس بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: ما رأيت شيئا أشد على من ولاة قضاة أربعة،. وقيل لي فرقت الكلمة. وكان كل من ولاه بيبرس في مملكة أو عمل أبقاه، و لم يغير عليه ولا يعزله. وتزوج بيبرس من النساء وهو ببلاد غزة، قبل أن يلي الملك امرأة من طائفة الشهر زورية، ثم طلقها بالقاهرة. وتزوج ابنه حسام الدين بركة خان بن دولة خان التتري، وابنة الأمير سيف الدين نوكلي التتري، وابنة الأمير سيف الدين كراي بن تماجي التتري، وابنة الأمير سيف الدين، التتري .وولد له من الأولاد عشرة، الذكور منهم ثلاثة وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة قان، وولد في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمنزلة العش، من بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي، والملك العادل بدر الدين سلامش، والملك المسعود نجم الدين خضر، والإناث سبع.

ولما مات السلطان بيبرس كتم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطة موته عن العساكر، وحمله في محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة في الليل، وجعله في تابوت وعلقه في بيت، وأشاع إنه مريض ورتب الأطباء على العادة، ثم أخذ العساكر والخزائن، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض، وخرج من دمشق يريد مصر، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى القاهرة، وصعدت الخزائن والمحفة إلى قلعة الجبل، فأشيع حينئذ موته. والجملة فلقد كان من خير ملوك الإسلام.

السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد بركة قان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي. لما مات الملك الظاهر بدمشق، كتب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار إلى الملك السعيد وهو بقلعة الجبل كتابا بموت أبيه، فأظهر الملك السعيد عند ورود الكتاب فرحا كبيرا، وأخلع على من أحضره، وأشاع أن الكتاب يتضمن البشارة بعود الملك الظاهر إلى ديار مصر، وأصبح فركب الأمراء على العادة تحت القلعة، من غير أن يظهر عليهم شيء من الحزن.

وسار الأمير بيليك بالمحنة والأطلاب، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس عشر صفر وهو تحت السناجق الظاهرية، وصعد قلعة الجبل. وجلس الملك السعيد بالإيوان، وسلم إليه الأمير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه، فصاح الحجاب حينئذ. يا أمراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر. فارتفع الضجيج والعويل، ووقع الأمراء إلى الأرض يقبلونها للملك السعيد، فجددت الأيمان، وحلف له سائر العسكر والقضاة والمدرسين

والأعيان، وتولي تحليفهم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بحضرة القضاة. فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة، وأقر الصاحب بهاء الدين ابن حنا على وزارته، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف.

وفي يوم الجمعة سابع عشريه: دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلي بها على الملك الظاهر صلاة الغائب. وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف العساكر للملك السعيد فحلفوا.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول: ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسير إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة، وكان يوما مشهوداً.

وفي سادس ربيع الآخر: مات الأمير بدر الدين بيليك النائب، واتهم أن الملك السعيد سمه وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث، فأوهموه من الأمير بيليك، وكانت جنازته حفلة، ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد. وأقام الملك السعيد بعده في نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقنسنقر الفارقاني، وكان حازما، فضم إليه جماعة منهم شمس الدين أقوش، وقطليجا الرومي، وسيف الدين قلج البغدادي، وسيف الدين بيجو البغدادي، وعز الدين ميغان أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار فثقل الأمير آقسنقر على خاصكية السلطان، وحدثوا السلطان في أمره، واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك الساقي. وكان الملك السعيد. قد قدمه وعظمه لأنه ربي معه في المكتب، فقبض على آقسنقر وهو جالس في باب القلة، وسجن وأهين ونتفت لحيته وضرب، ثم أخرج بعد أيام يسيرة ميت. فاستقر بعده في النيابة الأمير شمس الدين سنقر الألفي المظفري، فكرهه الخاصكية وقالوا. هذا ما هو من الظاهرية وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بخشداشيته مماليك الملك المظفر قطز، فعزله سريعا. وولي الأمير سيف الدين كوندك الساقي نيابة السلطة وهو شاب، فعضده الأمير سيف الدين قلاوود الألفي ومال إليه.

وكان من جملة المماليك السلطانية الخاصكية شخص يعرف بلاجين الزيني، وقد غلب على الملك السعيد في سائر أحواله، وضم إليه عدة من الخاصكية، وأخذ لاجين لهم الإقطاعات والأموال الجزيلة، وصار كلما انحل خبز أخذه لمن يختار، وتنافر النائب والمذكور، فتورغرت بينهما الصدور، ودبت بينهما عقارب الشرور، وأعمل كل منهما مكره في أذية الآخر، وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار، وصار العسكر حزبين، فآل الأمير إلى ما آل إليه من الفساد.

وتغير السلطان على الأمراء، وقبض في سابع عشره على الأمير جودي القيمري الكردي فنفرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية :مثل الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بدر الدين، بيسري، وأقرانهم فإنهم كانوا يأنفون من تملك الملك الظاهر عليهم، ويرون أنهم أحق منه بالملك، فصار ابنه الملك السعيد يضع من أقدارهم، ويقدم عليهم مماليك الأصاغر، ويخلو بهم وكانوا صباح الوجوه، ويعطهم مع ذلك الأموال الكثيرة، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار.

واستمر الحال على هذا إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشريه، وفيه قبض السلطان على الأمير شمس الدين

سنقر الأشقر، والأمير بدر الدين بيسري، وسجنهما بالقلعة ثلاثة وعشرين يوما، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بركة خان إلى أخته أم السلطان، وقال لها: قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب، لئلا يفسد نظامه وتقصر أيامه. فلما بلغ الملك السعيد ذلك قبض عليه. واعتقله، فلم تزل به أمه تعنفه وتتلطف به، حتى أطلقهم وخلع عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه، وقد تمسكت عداوته من قلوبهم.
وتوهم منه بقية الأمراء، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار، مع حفظة له الملك وتسليم الخزائن والعساكر إليه، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالسم. فاجتمع الأمراء وهموا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام، ثم اتفقوا وصعدوا إلى قلعة الجبل، ومعهم مماليكهم وألزامهم وأجنادهم وأتباعهم، ومن انضم إليهم من العساكر، فامتلأ منهم الإيوان ورحبة القصر، وبعثوا إلى الملك السعيد: بأنك قد أفسدت الخواطر، وتعرضت إلى أكابر الأمراء، فإما أن ترجع عما أنت عليه: وإلا كان لنا ولك شان. فلاطفهم في الجواب، وتنصل مما كان منه، وبعث إليهم التشاريف فلم يلبسوها، وترددت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن تقرر الصلح، وحلف لهم إنه لا يريد بهم سوءا، وتولي تحليفه الأمير بدر الدين الأيدمري وفرضوا وانصرفوا.

وكتب السلطان الملك السعيد إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة فاشتري الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام دار العقيقي داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم، وجعلها مدرسة وبني بها قبة، وابتدأ بالعمارة في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، وفرغ منها في آخر جمادى الآخرة. وخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بأبي خرص، والطواشي صفي الدين جوهر الهندي، وسار إلى دمشق فدخلاها في ثالث رجب فلما كان في ليلة الجمعة خامسه، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال، ووضع في جامع بني أمية وصلي عليه، وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التي بنيت له، بحضور نائب الشام، وألحده قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد أبو المفاخر المعروف باب الصائغ، وترتب القراء من ثاني يوم، ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة، ووقف عليها قرية من شعرا بانياس، وغير ذلك.
وفي ثامن عشر ذي القعدة: صرف قاضي القضاة محيي الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلي، وأضيف إلى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين، فكمل له قضاء القضاة بديار مصر، وأعيد قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق في سابع عشر ذي الحجة، فكانت مدة عزله سبع سنين.
وفيها ولي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبي المعالي أحمد بن الخليل ابن سعادة الخوي قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة تقي الدين محمد بن حياة الرقي.
وفي هذه السنة عم ماء النيل أرض مصر كلها، ورخص سعر الغلة حتى أبيع الأردب القمح بخمسة دراهم، والأردب الشعير بثلاثة دراهم، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين.
وفيها قتل الملك أبغا البرواناه في صفر، واسمه معين الدين سليمان بن على بن محمد بن حسن، ومعني البرواناه الحاجب، وكان شجاعا حازما كريما عارفا، فيه دهاء ومكر.

وفيها عزل نفسه قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي من القضاء في سلخ المحرم، فشغر منصب قضاء الحنفية بعده.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطة، في سادس شهر ربيع الآخر، وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة.
وتوفي قاضي القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي الحنبلي وهو مصروف، في يوم السبت ثاني عشري المحرم، ودفن بالقرافة، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة.
وتوفي قاضي القضاة بحلب تقي الدين أبو عبد الله محمد بن حياة بن يحيي بن محمد الرقي الشافعي بتبوك، وهو عائد من الحج.
وتوفي الشيخ محمي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف بن محمد بن الحسن بن الحسين بن جمعة بن حرام النووي الشافعي، عن نيف وأربعين سنة، بقرية نوي.
وتوفي الواعظ نجم الدين أبو الحسن على بن على بن أسفنديار البغدادي بدمشق، عن ستين سنة.
وتوفي الشريف شهاب الدين أحمد بن أبي محمد الحسيني الواسطي الغرافي، بالإسكندرية.
وتوفي الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمن بن رشيق المالكي.
وتوفي أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الربعي الموصلي النحوي المترجم، بالقاهرة.

سنة سبع وسبعين وستمائة

في سابع عشري المحرم: عمل عزاء الملك الظاهر، عند تمام سنة من وفاته، بالأندلس من قرافة مصر، ومدت هناك الأسمطة في الخيام للقراء والفقهاء، وفرقت الأطعمة على أهل الزوايا، وكان من الأرقات العظيمة، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم، وعمل مجمع آخر بجامع ابن طولون، وفي الجامع الظاهري، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الصالحية، ودار الحديث الكاملية، والخابقاه الصلاحية سعيد السعداء، والجامع الحاكي وعمل للنكارزة والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير.
وفي عاشر جمادى الأولى ولي قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الحنفي قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم بحكم وفاته. فلما مات صدر الدين بعد أربعة أشهر، ولي عوضاً عنه في تاسع عشري رمضان حسام الدين حسن بن أحمد بن حسن الرازي. قاضي الروم الواصل من قيسارية.

وفي، شوال خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج في دمشق، ومعه أخوه نجم الدين خضر، وأمه وأمراؤه وعساكره، فدخل إلى دمشق في خامس ذي الحجة.
وفي سلخ ذي القعدة مات الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فكتب من دمشق بالحوطة على

وجوده .وقبض الملك السعيد على الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين، وأخذ خطه بمائة ألف دينار، وسيره على البريد إلى مصر، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين محمد بن أحمد بن على تكملة ثلاثمائة ألف دينار واستقر في الوزارة عوضاً عن الصاحب بهاء الدين بن حنا قاضي القضاة وعز الدين الخضر بن الحسن السنجاري، وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وجفون كامنة، فبلغ من التمكن في أولاده وأمواله ما كان يؤمله. وساعده على ذلك عدة من الأمراء: منهم عز الدين الأفرم، وبدر الدين بيسري، الحاقي تقومهم من بهاء الدين بن حنا. وولي وزراة الصحبة فخر الدين بن لقمان، عوضاً عن تاج الدين محمد بن حنا.

وفي سادس عشري ذي الحجة: جلس الملك السعيد بدار العدل في دمشق، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قرره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين في كل سنة، وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكابر عنه، فجهز الأمير قلاوون الألفي بعسكر، وجهز الأمير بيسري بعسكر، وأنفق فيهم الأموال، فساروا إلى جهة سيس، وفي نفوسهم من ذلك إحن.

وفيها ولي الأمير علاء الدين أيدغدي الكبكي نيابة حلب، عوضاً عن الأمير نور الدين على بن مجلي الهكاري.

وفيها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولا بمبلغ تسعمائة درهم، انصرف منها حمولة ومكوس، بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وثمانين درهما.

وفيها مات عز الدين كيكاوس ملك الروم، بعد ما جرت له خطوب فملك أبغا ابن هولاكو من بعده ابنه مسعود بن كيكاوس سبواس وأرزن الروم وأرزنكان وفيها حصلت زحمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح، فمات منهم ستة وثلاثون إنسانا، وذلك في ثالث عشر ذي الحجة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أقوش النجيبي الصالحي نائب الشام، في خامس ربيع الأول بالقاهرة، عن نحو سبعين سنة.

ومات الأمير شمس الدين آقسبقر القارقاني الصالحي قائد السلطنة، عن نحو خمسين سنة. ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابي نائب حلب، وهو مصروف، عن نحو خمسين سنة بدمشق.

وتوفي قاضي القضاة الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة. ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان ابن أبي العز ابن وهيب الأذرعي، بعد ثلاثة أشهر من ولايته، عن ثلاث وثمانين سنة.

ومات الوزير الصاحب بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا، سلخ ذي القعدة. وتوفي مجد الدين أبو عبد الله وتوفي نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي الصوفي الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفي الأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن أبي بكر الهذباني الإربلي، بالقاهرة.

وتوفي الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصاري البعلبكي، بالقاهرة.

في المحرم: قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا إقطاعتهم لأناس منهم، وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك. واستغرق السلطان في لذاته، وبسط يده بعطاء الأموال الكثيرة لخاصكيته، وخرج عن طريقة أبيه، وفي أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض السكة ألف دينار فتوقف النائب في إطلاقها، فاجتمع الخاصكية عند النائب وقاضوه في أمر المبلغ، وأسمعوه ما يكره، وقاموا على حرد، وتكلموا مع السلطان في عزله عن النيابة، فامتنع، وأخذ الخاصكية في الإلحاح عليه بعزل كوندك، وعجز عن تلافي أمرهم معه.

وأما الأمراء فإنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا، وسار الأمير بيسري إلى قلعة الروم، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج، فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة، وأخبرهم. مما وقع من الخاصكية في حقهم وحقه، فحرك قوله ما عندهم من كوامن الغضب، وتحالفوا على الاتفاق والتعاون، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه إنهم مقيمون بالمرج، وأن الأمير كوندك شكي إليهم من لاجين الزيني شكاوى كثيرة، ولا بد لنا من الكشف عنها، وسألوا السلطان أن يحضر إليهم حتى يسمعوا كلامه وكلام كوندك.

فلما بلغ بذلك السلطان ذلك لم يعبأ بقولهم، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية يأمرهم. بمفارقة الصالحية ودخول دمشق. فوقع القاصد الذي معه الكتب في يد أصحاب كوندك، فأحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التي معه، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجورة من جهة داريا، وأظهروا الخلاف، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف وأفرط في سوء الرأي وأفسد التدبير.

فخاف السلطان عند ذلك سوء العاقبة، وبعث إليهم الأمير سنقر الأشقر، والأمير سنقر التكريتي الأستادار، ليلطفا بهم ويعملا الحيلة في إحضارهم، فلم يوافقوا على ذلك. وعادا إلى السلطان فزاد قلقه، وترددت الرسل بينه وبين الأمراء، فاقترحوا عليه إبعاد الخاصكية، فلم يوافق، وبعث السلطان بوالدته مع الأمير سنقر الأشقر لتسترضيهم، فحدثتهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا، وعادت بالخيبة.

فرحل الأمراء بمن معهم من العساكر إلى مصر وتبعهم الملك السعيد ليلحقهم ويتلافى أمرهم فلم يدركهم فقاد إلى دمشق وبات بها. وأصبح الملك السعيد فجهز أمه وخزائنه إلى الكرك وجمع من بقي من عساكر مصر والشام واستدعى العربان وأنفق فيهم .وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر فنزل بلبيس في نصف ربيع الأول وكان قد سبقه الأمير قلاوون بمن معه إلى القاهرة ونزلوا تحت الجبل الأحمر.

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل وهم الأمير عز الدين أيبك أمير جانذار والأمير أفطوان الساقي والأمير بلبان الزربقي فامتنعوا بها وحصنوها وتقدموا إلى متولي القاهرة فسد أبوابها فراسلهم قلاوون والأمراء في فتح أبواب القاهرة ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويبصروا أولادهم فإن عهدهم بعد بهم ونزل الأمير لاجين البركخاي وأيبك الأفرم وأقطون إلى الأمراء لمعرفة الخبر فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها ودخل كل أحد إلى داره وسجن الثلاثة الأمراء في دار الأمير قلاوون بالقاهرة وزحفوا إلى القلعة وحاصروها وقد امتنع بها بلبان الزريقي.

وأما السلطان فإنه لما نزل بلبيس وبلغه خبر الأمراء خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه في بلبيس

وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام فصاروا إليه ولم يبق مع السلطان إلا مماليكه ومنهم الأمير لاجين الزيني ومغلطاي الدمشقي ومغلطاي الجاكي وسنقر التكريتي وأيدغدي الحراني والبكي الساقي وبكتوت الحمصي وصلاح الدين يوسف بن بركة خان ومن يجري مجراهم ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط فسار السلطان من بلبيس ففارقه الأشقر من المطرية وأقام بموضعه.
وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة وكان الضباب كثيرا فنجا منهم واستتر عن رؤيتهم وطلع إلى المقدمة فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة فعادوا إلى حصارها وعندما استقر السلطان بالقلعة تشاجر لاجين الزيني مع الزربقي فنزل الزربقي إلى الأمراء وصار معهم وتبعه المماليك شيئا بعد شيء. وصار السلطان يشرف من برج الرفرف المطل على الإسطبل ويصيح بهم: يا أمراء أرجع إلى رأيكم ولا أعمل إلا ما تقولونه فليجبه أحد منهم وأظهروا كتبا عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم وأحاطوا بالقلعة وحصروه، وكان الأمير سنجر الحلبي معتقلا بالقلعة، فأخرجه السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدة أسبوع.

وكان الذي قام في خلع السلطان جماعة كثيرة من الأمراء، وهم الأمير بيسري، والأمير قلاوون، والأمير أيتمش السعدي، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكتاش الفخري أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمري، والأمير سنقر البكتوتي، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحبيشي، والأمير بكتاش النجمي، والأمير كشتغدي الشمسي، والأمير بلبان الهاروني، والأمير بجكا العلائي، والأمير بيبرس الرشيدي، والأمير كندغدي الوزيري، والأمير يعقوبا الشمهرزوري، والأمير أيتمش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركني، والأمير بكتوت بن أتابك، والأمير كندغدي أمير مجلس، والأمير بكتوت جرمك، والأمير بيبرس طقصو، والأمير كوندك النائب، والأمير أيبك الحموي، والأمير سنقر الألفي، والأمير سنقر جاه الظاهري، والأمير قلنج الظاهري، والأمير ساطلمش، والأمير قجقار الحموي، ومن انضاف إليهم من الأمراء الصغار ومقدمي الحلقة، وأعيان المفاردة والبحرية ولما طال الحصار بعث السلطان الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد، يقول: يا أمراء إيش غرضكم؟ فقالوا: يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ونعطيه الكرك، فأذعن السعيد لذلك، وحلف له الأمراء، وحضر الخليفة والقضاة، الأعيان، وأنزل بالملك السعيد، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك.
وخلع السعيد نفسه، وحلف أنه لا يتطرق إلى غير الكرك، ولا يكاتب أحدا من النواب، ولا يستميل أحد من الجند، وسفر من وقته إلى الكرك مع الأمير بيدغان الركني، وذلك في سابع شهر ربيع الآخر، فكانت مدة ملكه من حين وفاة أبيه إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وثمانية أيام، موصل إلى الكرك وسلمها في خامس عشري جمادى الآخرة، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئا كثيرا.
ولم يقتل في هذه الحركة سيف الدين بكتوت الخمصي، فإنه كان بينه وبين سنقرجاه الظاهري مشاجرة، فلما طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل يوم وصوله من بلبيس صادفه سنقر جاه وهو من حزب الأمير قلاوون ومن معه، فطعنه في حلقه فحمل إلى قبة القلندرية فمات من يومه ودفن بها، وكانت أيامه رخية الأسعار.

السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش

وهو ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي. لما تم خلع الملك السعيد وسافر إلى الكرك، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون الألفي فامتنع وقال: أنا ما خلعت الملك السعيد طمعا في السلطنة، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر .فاستحسن ذلك منه، لأن الفتنة سكنت فإن الظاهريه كانوا معظم العسكر، وكانت القلاع بيد نواب الملك السعيد، وقصد قلاوون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير النواب ويتمكن مما يريد، فمال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه، واستدعوا سلامش، واتفقوا أن يكون الأمير قلاوون أتابكه، وأن يكون إليه أمر العساكر وتدبير الممالك، فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا، وإقامة الأمير قلاوون أتابك العساكر، ولقبوه الملك العادل بدر الدين، فاستقر الأمر على ذلك. وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم في نيابة السلطنة، واستقر قاضي القضاة برهان الدين خضر بن الحسن السنجاري في الوزارة.

وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بلبيس ودخل إلى دمشق، وكان بحلب الأمير عز الدين إزدمر العلائي، والأمير قراسنقر المعزي، والأمير أقوش الشمسي، والأمير برلغو، في نحو ألفي فارس، فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بلبيس، فاتفقوا مع الأمراء الذين بدمشق على إقامة الأمير أقوش الشمسي مقدما على الجيوش، والقبض على الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق، لأنه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بلبيس، فأخذه الأمير أقوش إلى داره، فجاء الأمير أزدمر العلائي وركن الدين الجالق إلى دار أقوش، وأخذ الأمير أيدمر وصعدا به إلى قلعة؟ دمشق، وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري نائب القلعة.

فلما تقرر الحال على إقامة الملك. العادل سلامش والأمير قلاوون كتب إلى الشام بذلك، وسار الأمير جمال الدين أقوش الباخلي وشمس الدين سنقرجاه الكنجي بنسخة الإيمان، فحلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر.

وفي النصف من جمادى الأولى: استقر قاضي القضاة صدر الدين عمر ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، في قضاء القضاة بديار مصر، عوضاً عن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين بحكم عزله.

وصرف أيضاً قاضي القضاة معز الدين النعمان الحسن بن يوسف الخطبي الحنفي، وقاضي القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي، ثم أعيدا، وولي عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبلي قاضي القضاة الحنابلة، واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في نيابة السلطنة بدمشق، فدخلها في ثامن جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء والعسكر، فعامله الناس معاملة الملوك، وأنزل الأمير سنجر الدواداري من القلعة لمباشرة الشد، وقرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، ولم يحضر النائب قراءته.

وفي تاسع رجب: قبض على فتح الدين عبد الله بن محمد بن القيسراني، وزير دمشق. وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسي في نيابة السلطنة بحلب، عوضاً عن أيدغدي الكبكي.

وشرع الأمير قلاوون في القبض على الأمراء الظاهرية، فقبض على أعيانهم وبلغهم إلى الثغور فسحنوا بها، وأمسك أيضاً كثيرا من الظاهرية وملأ الحبوس بهم، وأعطي قلاوون ومنع وقطع، ووصل واستخدم وعزل، فكان صورة أتابك وتصرفه تصرف الملوك. واشتغل الأمير بيسري باللهو والشرب، فانفرد الأتابك قلاوون

بالمملكة وأجد في تدير أحواله وفرق قلاوون على المماليك واستمالهم، وقرب الصالحية وأعطاهم الإقطاعات، وكبر منهم جماعة كانوا قد نسوا وأهملوا، وسير عدة منهم إلى البلاد الشامية واستنابهم في القلاع، وتتبع ذراريهم وأخذ كثيرا منهم كانوا قد تصنفوا بالصنائع والحرف، فرتب طائفة منهم في البحرية، وقرر لجماعة منهم جامكية، فعادت لهم السعادة، وقوي بهم جانبه وتمكنت أسبابه، ثم جمع قلاوون الأمراء في العشرين من رجب وتحدث معهم في صغر سن الملك العادل، وقال لهم: قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدة ملكه مائة يوم، ولم يكن حظه من الملك سوي الاسم فقط، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاوون.

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون

الألفي الصالحي النجمي العلائي كان من جنس القبجاق، ومن قبيلة برج أغلي، فجلب إلى مصر وهو صغير، واشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر الساقي العادلي أحد مماليك الملك العادل أبي بكر بن أيوب بألف دينار، فعرف من أحل ذلك بالألفي.

فلما مات أستاذه الأمير علاء الدين صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب في عدة من المماليك، فعرفوا بالعلائية، وذلك في سنة سبع وأربعين وستمائة وجعل الملك الصالح قلاوون من جملة المماليك البحرية، ومازال حتى كانت وفاة الملك الصالح، ثم إقامة شجر الدر بعد الملك توران شاه بن الصالح. فلما قام المعز أيبك في سلطنة مصر، وقتل الفارس أقطاي، خرج قلاوون من مصر فيمن خرج من البحرية. وتنقلت به الأحوال حتى صار أتابك العساكر بديار مصر في سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر، في سابع شهر ربيع الآخر، وصار يذكر اسمه مع اسم العادل على المنابر وتصرف تصرف الملوك مدة ثلاثة أشهر، إلى أن وقع الاتفاق على خلع العادل وإقامة قلاوون.

فأجلس قلاوون على تخت الملك في يوم الأحد العشرين من رجب، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة، وتلقب بالملك المنصور، وأمر أن يكتب في صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات لفظ الصالحي، فكتب بذلك في كل ما يكتب عن السلطان، وجعل عن يمين البسملة تحتها بشيء لطيف جداً. وخرج البريد بالبشائر إلى الأعمال، وجهزت نسخة اليمين إلى دمشق وغيرها، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر.

وأول ما بدأ به السلطان قلاوون إبطال زكاة الدولبة، وكانت مما أجحفت بالرعية، وأبطل مقرر النصارى، وكان له منذ أحدث ثمان عشرة سنة، وانحطت الأسعار.

ووصل البريد إلى دمشق، وعليه لاجين الصغير والأمير ركن الدين بيبرس الجالق، في ثامن عشريه، بعد يومين وسبع ساعات من مفارقة قلعة الجبل، و لم يعهد مثل هذا. فحلفت عساكر دمشق، وأقيمت الخطبة بها في يوم الجمعة ثاني شعبان، وزينت المدينة سبعة أيام.

وأفرج السلطان عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، وأقامه في نيابة السلطة بديار مصر، وأقر الصاحب برهان الدين السنجاري على وزارته، ولازم الجلوس بدار العدل في يومي الإثنين والخميس.

وفي يوم السبت ثالث شعبان. ركب السلطان الملك المنصور قلاوون بشعار السلطنه وأبهة المملكة، وشق القاهرة وهي مزينة، فكان يوما مشهودا، لأنه أول ركوبه. وكتب السلطان إلى لأمير شمس الدين سنقر الأشقر كتابا، بخط القاضي عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، ويخبره فيه بركوبه، وخاطبه بالمملوك. وأعفي تقي الدين التكريتي مما عليه من البواقي، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق. وصام الناس شهر رمضان يوم الجمعة، على اختلاف شديد وشك كبير.

وفي ثالثه. استقر الأمير جمال الدين أقش الشريفي أمير جاندار، في نيابة السلطنة بالصلت والبقاء.

وفي ثامنه: أفرج عن فتح الدين عبد الله بن القيسراني وزير دمشق، بعد ما اعتقل بقلعة الجبل زيادة على ثلاثين يوما.

وفي عاشره: استقر الأمير فخر الدين الطنبا في نيابة السلطنة بالقصر الذي بالقرب من أنطاكية، واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصوري في نيابة السلطنة ببلاطنس، واستقر الأمير فخر الدين أياز الملوحي في ولاية الأعمال الغربية، عوضاً عن الأمير ناصر الدين بيليك بن المحسني الجزري.

وفي رابع عشره: استقر الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري في نيابة السلطنة بديار مصر، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه في استقرار حسام الدين طرنطاي. وذلك إنه تمارض، فلما عزم السلطان على عيادته صنع له طبيبه شيئا هيج به وجهه واصفر، ودخل عليه السلطان فتألم له وسأله عن حوائجه، فأشار عليه أن يقدم مماليكه وأثني عليهم، ثم قال: وتعفيني من النيابة، وأظهر العجز عنها .فلم يوافقه السلطان على ذلك، فأخذ يلح عليه، فقال له السلطان: فأشر على بمن يصلح لها، فقال: طرنطاي، فوافق قوله غرض السلطان.

وفي سابع عشره: قبض على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، وعلى عدة من الناصرية.

وفي سادس عشريه: صرف الصاحب برهان الدين خضر السنجاري عن الوزارة، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسي، وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما. وسجنا بدار الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وأحيط بسائر أتباعهما، وألزموا بمائتي ألف وستة وثلاثين ألفا.

وفي ثاني شوال: استقر القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء في الوزارة، بعد ما حمل إليه الأمير علاء الدين كندغدي الشمسي الأستادار خلع الوزارة إلى بيته بقلعه الجبل، وامتنع امتناعا شديدا فلم يسمع منه وألبسه الخلع، وباشر عوضاً عن الصاحب برهان الدين السنجاري وأفرج عن السنجاري، فلزم مدرسة أخيه بالقرافة.

وفيه استقر القاضي فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في قراءة البريد وتلقي الأجوبة، عوضاً عن ابن لقمان.

وفيه قبض على جماعة من الأمراء. منهم الأمير علاء الدين مغلطاي الدمشقي، وسيف الدين بكتمر الأمير آخوري قرطاي المنصوري، وصارم الدين الحاجب، واعتقلوا. وفوضت وزارة دمشق لتقي الدين توبه ناظر الخزانة، وخلع عليه الوزراء وتلقب بالصاحب.

وفي تاسعه: خرج الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري على عسكر من القاهرة إلى جهة الشوبك وكان قد بعث

إليها الملك السعيد بركة قان بن الظاهر وهو بالكرك الأمير حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية السعيدية، وتغلب عليها، وبعث السعيد إلى النواب أيضاً يدعوهم إلى القيام معه، فسار الأمير بدر الدين الأيدمري ونزل على الشوبك، وضايقها حتى تسلمها في عاشر ذي القعدة، بعد ما فر منها الملك نجم الدين خضر بن الظاهر، ولحق بأخيه السعيد في الكرك.

وقدمت رسل الفونش بكتب للملك السعيد وهدية، فقبض على هديتهم وكتبهم، وأعيدوا في خامس عشر شوال.

وفي حادي عشريه: قبض على الملك الأوحد وأخيه شهاب الدين محمد، ولدي الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك، واعتقلا.

وفيه استقر الأمير بدر الدين بيليك الطياري في نيابة السلطنة بقلعة صفد، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجي إلى الولاية، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادي إلى خزندارية القلعة.

وفي ثالث عشريه: استقر شرف الدين أبو طالب بن علاء الدين بن النابلسي ناظر النظار بديار مصر، عوضاً عن نجم الدين بن الأصفوني في الوجه القبلي، وعن تاج الدين بن السنهوري في الوجه البحري.

وفي رابع عشريه: صرف النصارى من ديوان الجيوش، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون، فاستقر أمين الدين شاهد صندوق النفقات في كتابة الجيش، عوضاً عن الأسعد إبراهيم النصراني.

وفيه هدم دير الخندق خرج باب الفتوح من القاهرة، واجتمع لهدمه عالم كثير، وكان يوماً مشهوداً.

وفي خامس عشريه: وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى ظاهر القاهرة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش، واهتم به اهتماما زائداً. ورسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر، وكثرت السكاري وزال الاعتراض عليهم، فلم يقم ذلك غير أيام قلائل حتى رسم في سادس عشريه بإراقة الخمور وإبطال ضمانها، ومنع من التظاهر بشيء من المسكرات.

وفي يوم الجمعة سابع عشريه: كتبت تقاليد القضاة الأربعة، واستقر الحال على أن يكون قاضي القضاة صدر الدين عمر، ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي، هو الذي يولي في أعمال مصر قضاة ينوبون عنه في الأحكام، وأن قاضي القضاة معز الدين الحنفي، وقاضي القضاة المالكي، وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي، يحكمون بالقاهرة ومصر خاصة، بغير نواب في الأعمال، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

وأمر السلطان بإحضار الأمير عز الدين أيدمر الظاهري من دمشق تحت الحوطة، فلما وصل اعتقل بقلعة الجبل.

وفي ثاني ذي القعدة: ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، وهو أول ما ركب إليه. وفرق السلطان فيه مائة وبضعاً وثلاثين فرسا بسروج محلاة، وخلع على الأمراء خلعاً سنية.

وفي خامسه: حمل إلى المنصور صاحب حماة تقليد باستقراره بحماة، وسير السلطان له السناجق، وأربعة صناديق ذهبا وفضة، وأربعة صناديق ثياباً من الإسكندرية والعتابي، وعدة من الخيل، وخلع عليه وعلى من يلوذ به، وأذن له في العود فسافر في تاسعه. وخرج السلطان معه لوداعه، وأقام نهاره بناحية بهتيت، ثم عاد إلى القلعة.

وفي حادي عشره: مات الملك السعيد بركة قان بن الظاهر بيبرس بالكرك، وكان قد ركب في الميدان فتقنطر عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فصدع وحم أياماً، ومات وعمره نيف وعشرون سنة، فاتهم أنه سم.

وورد الخبر بوفاته في العشرين منه، فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل، وجلس كئيباً ببياض، وقد حصر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعياد، فكان يوماً مشهوداً.

وأقام القراء شهراً يقرأون القرآن، وكتب إلى أعمال مصر والشام بأن يصلي عليه صلاة الغائب. وعندما ماد السعيد أقام الأمير علاء الدين أيدغدي الحراني نائب الكرك نجم الدين خضر بن الظاهر ملكا مكان أخيه بالكرك، ولقبه الملك المسعود فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير، وفوقوا الأموال ليستجلبوا الناس، فصار إليهم من قطع رزقه، وحضر إليهم طائفة من البطالين فساروا إلى الصلت واستولوا عليها، وبعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها، وأتتهم العربان وتقربوا إليهم بالنصيحة، وأخذوا مالا كثيرا من المسعود ثم تسللوا عنه.

ولم يزل المسعود في إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التي كان الملك الظاهر قد أعدها لوقت الشدة، وبعث المسعود إلى الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق يستدعيه، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك.

وفيه استقر شهاب الدين غازي بن الواسطي في نظر حلب، وقرر له في الشهر أربعمائه درهم وستة مكاكي قمح ومكوكان شعير، وأضيف معه جلال الدين بن الخطير في الاستيفاء.

واستقر الطواشي افتخار الدين في خزندارية حلب، وبدر الدين بكتوت القطزي شاد الدواوين بها، واستقر جمال الدين إبراهيم بن صصرى في نظر دمشق، بعد وفاة علم الدين محمد بن العادلي .واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخي في نيابة حصن الأكراد.

وفي رابع ذي الحجة: استقر الأمير عماد الدين داود بن أبي القاسم في ولاية نابلس.

وفي سابعه :سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بالعساكر من القاهرة إلى جهة الكرك.

وفي تاسعه :أفرج عن الأمير غرس بن شاور من الاعتقال، واستقر في ولاية الرملة.

وثامن عشره: تسلم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري قلعة الشوبك من نواب الملك السعيد بالأمان، ووردت كتبه بذلك في ثالث عشريه، فسيرت الخلع لمن بها، ودقت البشائر بقلعة الجبل، وكتب بالبشارة إلى الأقطار.

وفيه استقر مجد الدين عيسي بن الخشاب محتسباً بالقاهرة.

وفيه استقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المنصوري، المعروف بلاجين الصغير، في نيابة قلعة دمشق. فلما وصل إليها كما تقدم، وحلف سنقر الأشقر وخلع عليه، تحيل منه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، وجمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد قتل وهو يشرب القمز، ودعاهم إلى طاعته وحلفهم على موافقته. وتلقب بالملك الكامل، وركب بشعار السلطنة في يوم الجمعة رابع عشريه.

وقبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجالق المنصوري لامتناعه من الحلف، وقبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة، وعلى الصاحب تقي الدين توبة التكريتي. وبعث الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي إلى المماليك، ليحلف أهلها ويقيم في القلاع من يختاره .وكتب إلى مهنا وإلى أحمد بن حجي يعلمهما، فقدما عليه واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات الموصلي، وأقر في وزارة الصحبة عز الدين أحمد بن ميسر المصري.

وانتقل بأهله من دار السعادة التي يسكنها النواب إلى القلعة، وأمر بغلق باب النصر، وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر. فتطير الناس من ذلك، وقالوا :أغلق باب النصر، وانتقل من دار

السعادة، واستوزر ابن كسيرات؟، فهذا أمر لا يتم، وكان كذلك.

وكان وفاء النيل بمصر ستة عشر ذراعاً، في ثالث ربيع الآخر. وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقش الباخلي، وسار الركب في سابع عشر شوال، وقاضيه فخر الدين عثمان ابن بنت أبي سعيد.

وفيها ولي نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيي بن هبة الله بن الحسن بن يحيي ابن سني الدولة قضاء حلب، عوضاً عن شهاب الدين محمد بن أحمد الخوي.

وفيها أنعم السلطان على أربعين من مماليكه بإمريات: منهم كتبغا، وسنجر الشجاعي، وأيبك الخازندار، وقبجق، ولاجين، وبلبان الطباخي، وكراي، وسنفر جركس، وأقوش الموصلي، وطقصوا، وأزدمر العلائي، وبهادر أص رأس نوبة، وبكتوت بكجا، وتغريل السلحدار، وسنقر السلحدار. وأنعم على جماعة من عدته أيضاً بإمريات :منهم كشكل، وأيدمر الجناحي، وقيران الشهابي، ومحمد الكوراني، وإبراهيم الجاكي وإخواته. وأنعم على عدة من المماليك الظاهرية بإمريات: منهم الحاج بهادر، وسنجر المسروري.

وفيها ترك السلطان ركوبه مدة، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر. فلما بلغ السلطان هذا عنهم خشي من اغتيالهم إياه، وأخذ في التدبير عليهم، فكثرت قالة العامة، وجهروا بقولهم في الليل تحت القلعة بأصوات عالية يا بو عيشه اركب وكن طيب، يا بو عيشه وصاروا يلطخون رنك السلطان في الليل بالقذر، فيتغافل عنهم، وهو يسمع صياحهم في الليل ويبلغه فعلهم برنكه. وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب، وهم يعرضون عنهم.

وفيها ظهر بالقاهرة ومصر رجلان من بزدارية الأمير جمال الدين أقوش الملقب بهيطلية، عرف أحدهما بالجاموس لسواد لونه، وعرف الآخر بالمحوجب. وأفسدا فسادا كثيرا، وشغفا بشرب الخمر، وصارا يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شيء من إحسانهم ويوصلونها إليهم، فإن لم يبعث لهم المكتوب إليه بشيء، وإلا أتوه ليلا. وشنع أمرهما، حتى إنهما ليمشيان في مواضع النزه وسيوفهما على أكتافهما فلا يجسر أحد عليهما. ورتب لهما الأمير علم الدين سنجر الخياط وإلى القاهرة جماعة لتقبض عليهما، فكانا يحملان في مائة رجل، ويحوط عنهم. وهجما القاهرة في الليل، وأخذا وإلى الطوف وعلقاه بذراعه، وقطعا أنف المقدم وأذنيه، وتتبعا كل من أرصدة الوالي لأخذهما.

فذعر الناس منهما، إلى أن كانا ليلة ببستان في المطرية وخرجا منه يريدان القاهرة، فصدفهما مملوك الوالي وهو سائر إلى بلبيس ومعه غلامه، وقد عرفهما. فضرب بسهمه وأصاب رجلي أحدهما فسقط، وهم الآخر بصعود حائط البساتين فوقع و انكسرت رجله، ووقع الصوت في البستان. فنزل غلام المملوك وكتف الجاموس، وأخرج الناس المحوجب من البستان، وساروا بهما مربوطين إلى القاهرة. فطلع بهما الوالي إلى السلطان ومعه مملوكه، وكان زريا قصيراً لا يؤبه إليه، فعجب السلطان من ذلك، وسألهما على لسان الحاجب: "كيف مسككما هذا. بمفرده وأنتما لا تهابان رجالا كثيرة؟ أ فقالا" :إذا نزل القضاء قلت الحيلة، والله لقد كنا إذا رأينا عشرين فارساً، ومائة راجل خرجنا عنهم سالمين بعدما ننال منهم، فلما فرغ الأجل عندما وقع نظرنا على هذا ارتعدت فرائصنا حتى ما قدرنا على الحركة فرسم بتسميرهما فسمرا عند باب زويلة، وشهرا عدة أيام، وخلع على المملوك وأنعم عليه بألف درهم وإقطاع في الحلقة، وهو أول من أخذ من مماليك الأمراء إقطاعا في

الحلقة.

وفيها خلع متملك تونس الأمير أبو زكريا يحيي الواثق بن أبي عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص في غرة ربيع الآخر، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي بن عبد الواحد.

ومات في هذه السنة

الأمير أقش الشهابي أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير الطنبا فخر الدين الحمصي، في سادس عشر رمضان.

ومات علم الدين إسحاق بن العادلي ناظر دمشق، في خامس عشري شوال. ومات الأمير عز الدين أيبك الشيخ، في ذي الحجة.

ومات الأمير ناصر الدين بلبان النوفلي أحد الطلخاناه.

ومات الأمير علم الدين بلبان المشرفي أحد الطلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين جمق أحد الطلخاناه.

ومات شرف الدين أبو بكر عبد الله بن تاج الدين أبي محمد عبد السلام ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الحموي الجويني، شيخ الشيوخ بدمشق، في ثامن شوال، دفن بقاسيون.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي، خال الملك السعيد بن الظاهر، في تاسع ربيع الأول بدمشق.

ومات الأمير نور الدين على ابن الأمير عز الدين مجلي الهكاري نائب حلب بها، عن سبع وتسعين سنة.

وتوفي قاضي القضاة محيي الدين أبو الصلاح عبد الله بن شرف الدين أبي المكارم محمد بن عين الدولة الشافعي، في خامس رجب وهو مصروف، وقد أناف على ثمانين سنة.

سنة تسع وسبعين وستمائة

في يوم الخميس أول المحرم: ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع، ثم عاد.

وفي يوم الجمعة ثانيه: خطب له على منبر الجامع بدمشق، وكتب إلى الأمير عز الدين الأفرم وهو بالكرك يعتذر عن قيامه، وأتبع الكتاب بعسكر. فلما ورد كتابه جهزه الأفرم إلى السلطان بمصر، فكتب السلطان عند وروده إلى الأشقر يقبح فعله، وكتب أمراء مصر إليه بذلك، ويحثونه على الإذغان وترك الفتنة. وسار بالكتب بلبان الكريمي، فوصل دمشق في ثامنه، وخرج سنقر الأشقر إلى لقائه وأكرمه، و لم يرجع عما هو فيه.

واستقر الأفرم بغزة، فوافاه عسكر سنقر الأشقر بها، فاندفع من قدامهم إلى الرمل، وملك العسكر غزة واطمأنوا، فطرقهم الأفرم وأوقع بهم فانهزموا إلى الرملة، وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمي، الأمير بدر الدين بيليك الحلبي، وبهاء الدين يمك الناصري، وناصر الدين باشقرد الناصري، وعلم الدين سنجر

التكريتي، وسنجر البدري، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون، وغنم منهم مالا وخيولا وأثقالا كثيرة.
وبعث الأفرم بالبشارة على يد ناصر الدين محمد ولد الأمير بكتاش الفخري، فقدم في خامس عشره بالأمراء المأسورين، فعفا السلطان عنهم وأحسن إليهم، وأعادهم على أخبازهم وجعلهم في العسكر.
وفي رابع عشره: مات الأمير علاء الدين كندغدي الحبيشي من ضربة بسكين، ضربه بها سنقر الغتمي الأشقر الأستادار، وقبض عليه وسمر على باب زويلة.

ولما بلغ سنقر الأشقر كسرة عسكره، جمع وحشد وبعث إلى الأمراء بغزة يعدهم ويستميلهم، فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن حجي أمير العربان بالبلاد القبلية، والأمير شرف الدين عيسي بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية، وأتته النجدات من حلب وحماة ومن جبال بعلبك، واستخدم عدة كبيرة وبذل فيهم المال، وكثرت عنده بدمشق الأرجاف أن عسكر مصر قد سار إليه، فاشتد استعداده. وجرد السلطان من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، ومعه الأمير بدر الدين الأيدمري والأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان في أربعة آلاف فارس. فسار إلى غزه، واجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمري، وساروا جميعا والمقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبي، فرحل عسكر سنقر الأشقر من الرملة إلى دمشق. فخرج سنقر الأشقر في ثاني عشر صفر بعساكره وخيم بالجسورة خارج دمشق، ونزل عسكر مصر الكسوة والعقوة في يوم الإثنين سابع عشره بالجسورة. فوقعت الحرب في تاسع عشره، وثبت سنقر الأشقر وأبلي بلاء عظيما، ثم خامر من عسكره طائفة كبيرة إلى عسكر مصر، وانهزم كثير منهم، ورجع عسكر حلب وحماة عنه إلى بلادهم، وتخاذل عنه عسكر دمشق، وحمل عليه الأمير سنجر الحلبي فانهزم منه .وهرب سنقر الأشقر وتبعه من خواصه الأمير عز الدين أزدمر الحاج، والأمير علاء الدين السبكي، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزي، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشي، وساروا معه هم والأمير عيسي بن مهنا إلى برية الرحبة وأقاموا بها أياما، وتوجهوا إلى الرحبة، وكان سنقر قبل ذلك قد بعث حرمه وأمواله إلى صهيون. وأسر يومئذ أحد عشر أميرا: منهم بدر الدين سنجق البغدادي، وبدر الدين بيليك الحلبي، وعلم الدين سنجر التكريتي، وبهاء الدين تملك الناصري، وباشقرد الناصري، ونوديه الناصري.
ولما انهزم سنقر الأشقر تفرق عسكره في سائر الجهات، وغلقت أبواب دمشق، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها، ونزلوا في الخيام و لم يتعرضوا لشيء. وأقام الأمير سنجر الحلبي بالقصر الأبلق في الميدان الأخضر خارج دمشق، فلما أصبح أمر فنودي بالأمان. وكان بقلعة دمشق الأمير سيف الدين الجكندار، وهو متولها من جهة سنقر الأشقر، فأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق، والأمير حسام الدين لاجين المنصوري، والصاحب تقي الدين توبه، وحلفهم ألا يؤذوه إذا أطلقهم. ثم فتح باب القلعة، ونزل لاجين إلى باب الفرج فوقف عليه، ومنع العسكر من دخول المدينة.
ونودي بإطابة قلوب الناس وزينة البلد، فوقف البشائر بالقلعة. وقدم كثير ممن كان مع سنقر الأشقر فأمنهم الأمير سنجر الحلبي، وحضر أحمد بن حجي بأمان. وقتل في هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن الأتابك وكان شجاعا، ونور الدين على بن الطوري، وكان شجاعاً، وثمانية من جند دمشق، واثنان من عسكر مصر، وجرح الأمير بكتاش الفخري، وكتب إلى السلطان بذلك على يد ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخري

أمير سلاح، فلما قدم على السلطان في أول ربيع الأول أنعم عليه بإمرة عشرة، وهو أول من تأمر من أولاد الأمراء في الدولة المنصورية.

واستقر في نيابة الأمير بدر الدين بكتوت العلائي، واستقر الوزير تقي الدين توبه على حاله، واستقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردي في نيابة حلب، بعد الأمير جمال الدين أقش الشمسي نائب حلب.

وفي خامس عشري أبيب وهو في صفر: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي رابع عشري صفر: سار الأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان في عدة من الأمراء ومعه ثلاثة آلاف فارس من دمشق، في طلب شمس الدين سنقر الأشقر، وتبعهم في أول ربيع الأول الأمير عز الدين الأفرم على عسكر آخر. وكان سنقر الأشقر قد أقام عند الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا، ثم فارقه وسار إلى الرحبة، وقد تركه كثير ممن كان معه، فامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبي نائب القلعة بالرحبة من تسليمها إلى سنقر الأشقر. فلما أيس منه سنقر كتب إلى الملك أبغا بن هولاكو يحثه على الحضور لأخذ البلاد. الشامية، وكتب معه أيضاً الأمير عيسي بمثل ذلك. فبلغهما خبر توجه العساكر من دمشق، فسار سنقر في البرية إلى صهيون فتحصن بها، ولحق به الأمير عز الدين الحاج أزدمر في طائفة، فبعثه إلى قلعة شيزر فأقام بها، وبلغ ذلك العساكر المتوجهة من دمشق فنازلت شيزر.

وفي هذه المدة أوقعت الحوطة بدمشق على الصاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير سنقر الأشقر، وعلى جمال الدين بن صصرى ناظر دواوين دمشق، واعتقلا على مال ألزما به.

وضرب الزين وكيل بيت المال، ورسم على قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان، واتهم بأنه أفتي سنقر الأشقر بجواز قتال السلطان، وورد كتاب السلطان من مصر بشنقه.

ثم ورد بريد من مصر إلى الشام بأمان أهل دمشق، فقام في حق قاضي القضاة شمس الدين الأمير علم الدين الحلبي، وقال: قد ورد كتاب السلطان بأمان من سمعه من أهل دمشق، وقد سمعه ابن خلكان فهو أمن من القتل.

وصرف ابن خلكان عن قضاة دمشق في حادي عشري من صفر، وعرض القضاء على قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن الصائغ، فامتنع من ذلك، ففوض لنجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن أحمد بن يحيي ابن سني الدولة.

واعتقل ابن خلكان في رابع عشريه بالخانقاه النجيبية، ثم أفرج عنه في تاسع ربيع الأولى بكتاب السلطان. فثار عليه ابن سني الدولة، وألزمه أن يخرج من المدرسة العادلية، ورسم عليه في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول حتى ينتقل عنها، وشدد عليه بسبب ذلك ولم يمهل، فشرع ابن خلكان في نقل كتبه وأمتعته في الرابعة من النهار، وإذا بالطلب قد أتاه فظن أنه من جهة الاستحثاث في النقلة، فأراهم الاهتمام بذلك، فقيل له قد حضر البريد من مصر، فخاف من حلول البلاء به، وتوجه إلى نائب دمشق، فإذا بكتاب السلطان يتضمن إنكار ولاية ابن سني لما به من الصمم، ويقول: إنا قد عفونا عن الخاص والعام، وما يليق أن نخص بالسخط أحدا على انفراده، وغير حاف ما يتعلق بحقوق القاضي شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته، وأنه من بقايا الدولة الصالحية، وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء، فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبي، وركب ابن خلكان من ساعته إلى المدرسة العادلية، ونزلها وقت الظهر وباشر الحكم، فعد ذلك من الفرج بعد الشدة،

وكانت مدة ابن سني الدولة عشرين يوماً.

وفي حادي عشر شهر ربيع الأول: فوضت نيابة دمشق إلى الأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصوري، وقد كتب تقليده وتوجه به بكتوت العلائي، وولي الأمير بدر الدين بكتوت العلائي شد الدواوين بدمشق، والصاحب تقي الدين توبة التكريتي وزارة الشام، وأقطع الأمير فخر الدين عثمان بن مانعن بن هبة، والأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر، إقطاع الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا، واستقرا في إمرة آل الفضل وآل علي على أن يترل فخر الدين من الرستن إلى المملوحة، وتكون مترلة شمس الدين من المملوحة إلى الفرات، وأعطي أيضاً الأمير حسام الدين دراج إمرة آل عامر، وتكون مترلته من الرستن إلى العقابيات.

وتوجه شمس الدين سنقر الغتمي وسيف الدين بلبان الخاص تركي من القاهرة إلى الملك منكوتمر في البحر، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي. وتوجه الأمير ناصر الدين بن المحسني الجزري والبطرك أنباسيوس، في الرسالة إلى الملك الأشكري.

وفي ثالث ربيع الآخر: ورد رسول صاحب تونس بكتابه.

وفي سابعه: قدم الأمير عز الدين أزدمر العلائي إلى قلعة الجبل، فأنعم عليه بخبز الأمير قيران البندقداري، المنتقل إليه عن علم الدين سنجر الدواداري.

وفي النصف منه: قدم الأمير بدر الدين بكتوت ابن الأتابك.

وفي ثامن عشريه: كسر الخليج الذي بظاهر المقس، وورد المفرد في ثالث عشريه.

وفي سادس عشريه وهو أول أيام النسيء: وفي النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان إلى القياس وخلق العمود، ثم ركب في الحراقة وكسر الخليج الكبير، فكان يوما مشهوداً.

ونودي في نهاره إصبعان من ستة عشر ذراعا، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وفيه صرف الأمير علم الدين أقش البدري وإلى قلعة الشوبك، وقرر عرضه الأمير علم الدين سنجر الإيغاني.

وفي سابع عشريه: مات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار وإلى مصر، وأحيط بتركته، وقرر عوضه الأمير عز الدين أيبك الفخري.

وفي أول جمادى الأولى :كان يوم النوروز بمصر.

وفي تاسعه: وصل الأمير سيف الدين الحبيشي إلى قلعة الجبل.

وفي خامس عشريه: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاثة وعشرين إصبعاً من سبعة عشر ذراعا، وأعطي الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري تكملة مائة فارس، ورسم بإيقاع الحوطة على تقي الدين توبة وزير الشام: فقبض على موجوده وسجن.

وفي ثالث جمادى الآخرة: وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبي من بلاد الشام، فركب السلطان إلى لقائه وخلع عليه وعلى من كان معه من الأمراء، وأنعم على كل منهم بألف دينار.

وفي سادسه: خلع على الأمير سيف الدين بلبان الرومي، وجعل دوادار العلامة لا غير، مع القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر.

وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق: فرقة سارت من جهة بلاد الروم

ومقدمهم صمغار وتنجي وطرنجي، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاي بن هولاكو وصحبته صاحب ماردين، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل منكوتمر بن هولاكو. فخرج من دمشق الأمير ركن الدين إياجي على عسكر، وانضم مع العسكر المحاصر لشيزر، وخرج من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش النجمي على عسكر. واجتمع الجميع على حماة، وراسلوا الأمير سنقر الأشقر في إخماد الفتنة والاجتماع على قتال التتر، فبعث إليهم عسكرا من صهيون أقام حول صهيون، ونزل الحاج أذدمر من شيزر وخيم تحت قلعتها.

ووقعت الجفلة في البلاد الحلبية، فسار منها خلق كثير إلى دمشق في النصف من جمادى الآخرة، وكثر الاضطراب في دمشق وأعمالها، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر.

فلما كان في حادي عشريه: هجمت طوائف التتار على أعمال حلب، وملكوا عين تاب وبغراص ودربساك، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر، فقتلوا ونهبوا وسبوا، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء. وأقاموا بها يومين يكثرون الفساد بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفي في المغائر والأسرية، ثم رحلوا عنها في يوم الأحد ثالث عشريه عائدين إلى بلادهم بما أخذوه، وتفرقوا في مشاتيهم.

وفي يوم الإثنين سابع عشريه: أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا بشعار السلطنة، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولي عهده، فشق القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل. وكتب له تقليد بخط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من إنشائه، أجاد فيه وأبلغ، وخطب للملك الصالح بعد ذلك على منابر مصر كلها بعد والده، وكتب إلى البلاد الشامية بذلك.

وفي آخره: عزل السلطان الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية، فعاد إلى ديوان الإنشاء، وكتب مع كتاب الإنشاء، وتصرف بأمر صاحب ديوان الإنشاء، وفوضت الوزارة بعده إلى الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجاري.

وتوجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتار، بعد ما أنفق في كل أمير ألف دينار، وفي كل جندي خمسمائة درهم، واستخلف على مصر بقلعة الجبل ابنه الملك الصالح عليا. فسار السلطان إلى غزة، وقدم عليه بغزة من كان في البلاد الشامية من عساكر مصر، وقدم عليه أيضاً طائفة من أمراء سنقر الأشقر فأكرمهم. و لم يترل السلطان بغزة إلى عاشر شعبان، فرحل منها عائداً إلى مصر، بعد أن بلغه رجوع التتر، وكانت غبيته خمسين يوماً. وولي الأمير بدر الدين درباس ولاية جينين ومرج بني عامر.

وفيها ولي الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين على بن السديد ولاية مصر، عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الفخري. وسفر الأمير سيف الدين باسطي نائبا بقلعة صرخد، والأمير عز الدين أيبك الفخري والياً بالقلعة المذكورة.

وفي يوم السبت سادس عشري شهر رمضان: صرف قاضي القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر، وكان قد سلك في ولايته طريق الخير والصلاح، وتحري الحق والعدل وتصلب في الأحكام، واستقر عوضاً عنه قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموي.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بكتاش النجمي إلى حمص مجردا، وخرج الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي لحفظ الساحل من الفرنج. وكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب، لمساعدتهم التتار عند وصولهم حلب، فجمع التركمان وغيرهم، وحمل المجانيق والآلات، ونازل المرقب، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج، وعدم من المسلمين مقدار مائتي فارس وراجل. فكبر ذلك على السلطان، وتحرك للسفر وخرج في أول ذي الحجة، واستخلف ابنه الملك الصالح، وخيم بمسجد تبر. ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعي. في استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة، وجعله في خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجاري. وأقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال، وأقر في نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصوري.
وقدم الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا من العراق، وترامي على السلطان، فعفا عنه وأكرمه، وركب إلى لقائه وأحسن إليه.

ومات في هذه السنة

الشيخ الصالح المعمر طير الجنة، ودفن بقرافة مصر.
ومات الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسن يحيي بن عبد العظيم بن يحيي بن محمد ابن على الجزار، في ثاني عشر شوال.
ومات الأمير الكبير جمال الدين أقوش الشمسي نائب حلب بها، في خامس المحرم، وهو الذي قتل كتبغا نوين مقدم التتار يوم عين جالوت، وهر الذي أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري، وولي نيابة حلب بعده علم الدين سنجر الباشقردي.
ومات الأمير على بن عمر الطوري، وقد أناف على تسعين سنة، وكان أحد أبطال المسلمين، وله شهرة عند الفرنج، وتنقل في ولايات عديدة.
ومات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار وإلى مصر في ربيع الأول، بعد ما ولي مصر عدة سنين، وكان خبيراً عظيم السمن.
وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النن البغدادي الشافعي بالإسكندرية، عن ثمانين سنة.
وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن بركة خان خال الملك السعيد، وهو بدمشق.

سنة ثمانين وستمائة

فيها سار السلطان قلاوون من ظاهر القاهرة، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا في تقرير الهدنة، فتقررت بين مقدم بيت الإسبتار وسائر الإسبتارية بعكا، وبين السلطان وولده الملك الصالح لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم السبت ثاني عشري المحرم.
وتقررت الهدنة أيضاً مع متملك طرابلس الشام بيتند بن بيمند لمدة عشر سنين، أولها سابع عشري شهر ربيع

الأولى. وعادت الرسل، وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقري الحاجب لتحليف الفرنج ومقدم الإسبتار على ذلك، فخلفهم.
وفيه بلغ الأمير بدر الدين بيسري الشمسي أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهري السعيدي قد وافق عدة من الظاهرية والسعيدية على الفتك بالسلطان عند المخاضة بنهر الشريعة، بعد الرحيل من بيسان، فأعلم السلطان بذلك. واتفق ورود كتب من عكا تتضمن أن السلطان يحترز على نفسه، فإن عنده جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتله، وكاتبوا الفرنج بأنهم لا يصالحون، فإن الأمر لا يبطئ، فاحترز السلطان على نفسه.
وهم كوندك بأن يغتال السلطان وهو بمنزلة الروحا، فوجده قد تحفظ واستعد ثم إن السلطان رحل من الروحا، ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده في حمراء بيسان، فونج كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج، فلم ينكروا وسألوا العفو.

فأمر السلطان بهم فقبض عليهم وهم: كوندك، وأيدغمش الحكيمي، وبيبرس الرشيدي، وساطلمش السلاح دار الظاهري، وعلى ثلاثة وثلاثين من الأمراء البرانية والمماليك الجوانية، وفر عشرة أمراء ومائتا فارس فأخذوا من بعلبك وصرخد، وأخذ كوندك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطة، ومضى به إلى بحيرة طبرية، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية .فركب الأمير سيف الدين أيتامش السعيدي والأمير سيف الدين بلبان الهاروني، في نحو ثلاثمائة من البحرية الظاهرية والتتار الوافدية، وتوجهوا إلى سنقر الأشقر بصهيون .فخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخري والأمير ركن الدين طقصوا الناصري في أثرهم، فلم يدركهم، وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب.
وسار السلطان إلى دمشق فدخلها في تاسع عشر المحرم، وهو أول قدومه إليها في سلطنته، فكان يوماً مشهوداً، وقد اجتمع له عسكر عدته خمسون ألفاً.
وفي ثاني عشري المحرم: صرف ابن خلجان عن قضاء دمشق، وأعيد عز الدين محمد بن الصائغ. واستقر في قضاء الحنابلة بدمشق نجم الدين أحمد بن شمس الدين عبد الرحمن الحنبلي، وكان قضاء الحنابلة قد شغر من دمشق منذ عزل نفسه قاضي القضاة شمس الدين، فاستقر ابنه نجم الدين بتعيين والده.
وفي عاشر المحرم :مات قاضي القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي بمصر، فاستقر عوضه في نظر التربة الصالحية بخط بين القصرين الطواشي حسام الدين بلال المغيثي اللالا.
واستقر في نظر المشهد الحسيني بالقاهرة القاضي برهان الدين بن الطرائفي كاتب الإنشاء، فورد مرسوم السلطان من دمشق بولاية الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي الأستادار نظر المشهد الحسيني، وولاية القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه، مضافاً لما بيده من نظر الخزائن المعمورة، وأن يكتفي بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التي كانت بيد أخيه، وبتوفر معلومه عن نظر الخزائن.
وفي ربيع الأول :صرف الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري عن الوزارة بمصر، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل.
وفي صفر: جرد السلطان من دمشق الأمير عز الدين أيبك الأفرم والأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي في

عدة من الأجناد، فساروا إلى شيزر، فبعث سنقر الأشقر يطلب الصلح على أن يسلم شيزر، ويعوض عنها الشغر وبكاس وكانتا قد أخدتا منه ومعهما فامية وكفر طلب وأنطاكية وعدة ضياع، مع ما بيده من صهيون وبلاطنس ونرزية واللاذقية، وشرط أيضاً أن يكون أميراً بستمائة فارس، ويؤمر من عنده من الأمراء، فأجيب إلى ذلك.

وحضر في رابع ربيع الأول الأمير علم الدين سنجر الدواداري، ومعه رسول سنقر الأشقر بنسخة يمينه على ما تقرر، فحلف له السلطان وكتب له تقليدا بالبلاد المذكورة، ونعت فيه بالأمير وخوطب في مكاتباته بالمقر العالي المولوي السيدي العالي العادلي الشمسي، ونودي في دمشق باجتماع الكلمة. وجهزت رسل سنقر الأشقر، ومعهم الأمير فخر الدين أياز المقري الحاجب والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، فحلفاه وعادا في ثاني عشره، فضربت البشائر.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر من الأقمشة والأواني وغيرها شيئاً كثيراً، وعادت العساكر من شيزر إلى دمشق.

وفي يوم الخميس أول شهر ربيع الأول وهو خامس عشري بؤونة: كان قاع النيل بمصر ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً.

وقدمت رسل الملك المسعود حضر بن الظاهر صاحب الكرك في طلب الصلح والزيادة على الكرك، ليكون له ما كاد للناصر صلاح الدين داود فلم يجب السلطان إلى ذلك، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكود له من حد الموجب إلى الحسا، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث، وترد عليهم الأملاك الظاهرية.

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسني السلاح دار والقاضي عماد الدين بن الأثير ليحلفاه، فانبرم الصلح في أوائل شهر ربيع الأول، وشهر النداء بذلك في دمشق.

وفي هذا الشهر: دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها وضمنت بألفي ألف درهم في كل سنة.

فلما كان يوم الأحد خامس عشريه: خرج مرسوم بإراقة الخمور وإبطال هذه الجهة الخبيثة، فبطل ذلك.

وفيه عزل برهان الدين الخضر السنجاري عن الوزارة وصودر وأهين.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس وهو معها في تابوت إلى ظاهر دمشق، فرفع في ليلة الخميس العشرين منه بحبال إلى أعلى السور، وأرخي وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر، وألحده مع أبيه قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ.

فلما كمان بكرة يوم الخميس: حضر السلطان والأمراء وسائر الأعيان وكثير من القراء والوعاظ إلى القبر، فكان وقتاً مشهوداً.

وفي هذا اليوم: أوفي النيل بمصر ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافقه رابع عشر مسري، فكتب إلى السلطان بذلك.

وفي شهر ربيع الآخر، ولي نظر الإسكندرية كمال الدين بن سلامة، بعد وفاة رشيد الدين بن بصاقة.

وفي جمادى الأولى. شنق بالقاهرة رجلان. أحدهما مر به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضربه بسكين قتله، فشنق، والآخر جندي طالب خياطا بمتاع له عنده، فلما مطله ضربه فمات، فشنق أيضاً.

وفيه مات رسول ملك الفرنج، فأحيط بموجوده. وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدي في طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس، فسمر على جمل وأقام أياماً يطاف به أسواق مصر والقاهرة، فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب، فلما طالب بذلك قال له الموكل به: إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعاً، حتى تستريح مما أنت فيه، فقال له :لا تقل كذا، فإن شر الحياة خير من الموت، فناوله ما أكله وسقاه. فاتفق إنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن، فعاش أياما ثم مات في السجن.

وفي عاشر جمادى الآخرة وهو تاسع عشري توت: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع.

وفي هذا الشهر: ثار العشير ونهبوا مدينة غزة، وقتلوا خلقا كثيرا وأفسدوا، فبعث السلطان الأمير علاء الدين أيدكين الفخري على عسكر من دمشق، وخرج من القاهرة الأمير شمس الدين سنقر البدوي على عسكر.

وفيه ورد الخبر بدخول منكوتمر أخي ابغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان إلى بلاد الروم بعساكر المغل، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين .فبعث السلطان الكشافة، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصا وبعثوا به إلى السلطان، فقدم إلى دمشق في العشرين من جمادى الأولى، فآتاه السلطان و لم يترل به حتى أعلمه أن التتر في نحو ثمانين ألفا، وإنهم يريدون بلاد الشام في أول رجب.

فشرع السلطان في عرض العساكر، واستدعى الناس، فحضر الأمير أحمد بن حجي من العراق في جماعة كبيرة من آل مراتكون زهاء أربعة آلاف فارس، شاركين في السلاح على الخيول المسومة، وعليهم القزغندات الحمر من الأطلس المعدني والديباج الرومي، وعلى رءوسهم البيض مقلدين سيوفهم وبأيديهم الرماح، وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص بتراقص المهاري وبأيديهم الجناب ووراءهم الظعائن والحمول ومعهم مغنية تعرف بالحضرمية سافرة في الهودج، وهي تغني :

ليالي لاقينا جذام وحميرا	وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة
يقودون جرداً للمنية ضمرا	ولما لقينا عصبة تغلبية
ببعض أبت عيدانه أن تنكسرا	فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه
ولكنهم كانوا على الموت أصبرا	سقيناهم كأسا سقونا بمثلها

فقال رجل :هكذا يكون ورب الكعبة. فكان كما قال، فإن الكسرة كانت أولا على المسلمين، ثم كانت النصرة لهم، واستحر القتل بالتتار كما ستراه. وقدمت نجدة من الملك المسعود خضر، وقدمت عساكر مصر وسائر العربان والتركمان وغيرهم. فوردت الأخبار. بمسير التتر، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع الملك أبغا بن هولاكو إلى الرحبة ومعه صاحب ماردين، وفرقة أخرى من جانب آخر، فخرج بجكا العلائي في طائفة من الكشافة إلى جهة الرحبة .وجفل الناس من حلف إلى حماة وحمص حتى خلت من أهلها، وعظم الإرجاف. وتتابع خروج العساكر من دمشق إلى يوم الأحد سادس عشري جمادى الآخرة، فخرج السلطان إلى المرج .بمن بقي من العساكر وأقام به إلى سلخ الشهر، ثم رحل يريد حمص فترل عليها في حادي عشر رجب ومعه سائر العساكر، وحضر الأمير سنقر الأشقر من صهيون ومعه أيتمش السعدي، وأزدمر الحاج، وسنجر الدواداري، وبيجق البغدادي، وكراي، وشمس الدين الطنطاش، ومن معهم من الظاهرية، فسر السلطان بذلك وأكرمهم وأنعم عليهم، وكان ذلك في ثاني عشره فترل سنقر الأشقر على الميسرة، وقويت الأراجيف بقرب العدو.

وفي ثالث عشره: اجتمع الناس بأسرهم في جامع دمشق، وتضرعوا إلى الله وضجوا وبكوا، وحملوا المصحف العثماني على الرءوس، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء.
ووصل التتار إلى أطراف بلاد حلب، وقدم منكوتمر إلى عين تاب، ونازل الملك أبغا قلعة الرحبة في سادس عشرى جمادى الآخرة، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس .وتقدم منكوتمر قليلاً قليلا حتى وصل حماة، وأفسد نواحيها وخرب جواسق الملك المنصور صاحب حماة وبستانه فورد الخبر إلى السلطان بذلك وهو على حمص، وأن منكوتمر في خمسين ألفا من المغل وثلاثين ألفا من الكرج والروم والأرمن والفرنجة، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق ودله على عورات المسلمين.
ثم ورد الخبر بأن منكوتمر قد عزم أن يرحل عن حماة، ويكون اللقاء في يوم الخميس رابع عشر رجب. واتفق عند رحيله أن يدخل رجل منهم إلى حماة وقال للنائب: اكتب الساعة إلى السلطان على جناح الطائر بأن القوم ثمانون ألف مقاتل، في القلب منهم أربعة وأربعون ألفا من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جدا، فيقوي ميسرة المسلمين، ويحترز على السناجق. فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه، وبات المسلمون على ظهور خيولهم.
وعند إسفار الصباح من يوم الخميس رابع عشر شهر وجب: ركب السلطان ورتب العساكر: فجعل في الميمنة الملك المنصور صاحب حماة، والأمير بدر الدين بيسري، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري، والأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي، ومضافيهم، وجعل في رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا، وآل فضل وآل مرا وعربان الشام، ومن انضم إليهم، وجعل في الميسرة الأمير سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمري، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، والأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بجكا العلائي، والأمير بدر الدين بكتوت العلائي، والأمير سيف الدين حيرك التتري، ومضافيهم، وجعل في رأس الميسرة التركمان بجموعهم، وعسكر حصن الأكراد، وجعل في الجاليش وهو مقدمة القلب الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بديار مصر، ومن معه من مضافيه والأمير ركن الدين أياجي الحاجب والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون، والمماليك السلطانية ووقف السلطان تحت الصناجق، ومعه خاصته وألزامه وأرباب الوظائف، فكانت عمدة حلقته أربعة آلاف فارس وهي أقوي وأشد، وعدة مماليك السلطان ثمانمائة مملوك. وكان في العسكر حشو كثير من الأمراء الأكراد والتركمان سوي أمراء مصر والشام. ثم اختار السلطان من مماليكه مائتي فارس، وانفرد عن العصائب ووقف على تل، فكان إذا رأي طلبا قد اختل أردفه بثلاثمائة من مماليكه.

فأشرفت كراديس التتار وهم مثلا عساكر المسلمين، و لم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا، فإن أبغا عرض من سيره صحبة أخيه منكوتمر فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبة.
فالتحم القتال بين الفريقين بوطاة حمص، قريبا من مشهد خالد بن الوليد، ويوم الخميس رابع عشر رجب، من ضحوة النهار إلى آخره، وقيل من الساعة الرابعة. فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتا عظيما، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت وانتهت إلى القلب وبه منكوتمر. وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها، وانكسر جناح القلب الأيسر .وساق التتر خلف المسلمين

حتى انتهو إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها، ووقعوا في السوقة والعامة والرجالة والمجاهدين والغلمان بظاهر حمص، فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأشرف الناس على التلاف.
ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة. بما جري للمسلمين أهل الميمنة من النصر ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمون ما نزل. بميسرتهم من الكسوة، ووصل إلى بعض المنهزمين إلى صفد، وكثير منهم دخل دمشق، ومر بعضهم إلى غزة، فاضطرب الناس بهذه البلاد وانزعجوا انزعاجاً عظيما.
وأما التتر الذين ساقوا خلف المنهزمين من المسلمين أصحاب الميسرة، فإنهم نزلوا عن خيولهم وأيقنوا بالنصر، وأرسلوا خيولهم توعي في مرج حمص، وأكلوا ونهبوا الأثقال والوطاقات والخزانة وهم يحسبون أن أصحابهم ستدركهم، فلما أبطأوا عليهم بعثوا من يكشف الخبر، فعادت كشافتهم وأخبرتهم أن منكوتمر هرب، فركبوا وردوا راجعين. هذا ما كان من أمر ميمنة التتار وميسرة المسلمين.
وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب، إلا الملك المنصور قلاوون فإنه ثبت تحت الصناجق، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس، والكوسات تضرب. وتقدم سنقر الأشقر، وبيسري، وطيبرس الوزيري، وأمير سلاح، وأيتمش السعدي، ولاجين نائب دمشق، وطرنطاي نائب مصر، والدواداري، وأمثالهم من أعيان الأمراء، إلى التتار، وأتاهم عيسي بن مهنا فيمن معه، فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة.
وكان منكوتمر مقدم التتار قائماً في جيشه، فلما أراده الله من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل، فرأي الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر، و لم يكن الأمر كذلك، بل كان السلطان قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال، حتى بقي معه نحو الثلاثمائة فارس لا غير. فنهض منكوتمر من الأرض ليركب فتقنطر عن فرسه، فترل التتر كلهم لأجله وأخذوه. فعندما رآهم المسلمون قد ترجلوا حملوا عليهم واحدة كان الله معهم فيها، فانتصروا على التتار.
وقيل إن الأمير عز الدين أزدمر الحاج حمل في عسكر التتار وأظهر أنه من المنهزمين، فقدمهم وسال أن يوصل إلى منكوتمر، فلما قرب منه حمل عليه وألقاه عن فرسه إلى الأرض، فلما سقط نزل التتار إليه من أجل إنه وقع، فحمل المسلمون عليهم عند ذلك، فلم يثبت منكوتمر وانهزم وهو مجروح، فتبعه جيشه وقد افترقوا فرقتين: فرقة أخذت نحو سلمية والبرية، وفرقة أخذت جهة حلب والفرات.
وأما ميمنة التتار التي كسرت ميسرة المسلمين، فإنها لما رجعت من تحت حمص كان السلطان قد أمر أن تلف الصناجق ويبطل ضرب الكوسات، فإنه لم يبق معه إلا نحو الألف، فمرت به التتار و لم تعرض له، فلما تقدموه قليلا ساق عليهم، فانهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شيء. وكان ذلك تمام النصر، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس .ومر هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل يريدون منكوتمر، فكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين، وإلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين لما وجدوا فيهم قوة، ولكن الله نصر دينه، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم. وانجلت هذه الواقعة عن قتلي كثيرة من التتر لا يحصى عددهم.
وعاد السلطان في بقية يومه إلى مترلته بعد انقضاء الحرب، وكتب البطائق بالنصرة ولم يفقد كثير شيء من ماله، فإنه كان قد فرق ما في الخزائن على مماليكه أكياسا في كل كيس ألف دينار ليحملوه على أوساطهم فسلم له المال. وبات ليلة الجمعة إلى السحر في مترلته، فثار صياح لم يشك الناس في عود التتار، فبادر السلطان وركب وسائر العساكر، فإذا العسكر الذي تبع التتار وقت الهزيمة قد عاد.

وقتل من التتار في الهزيمة أكثر ممن قتل في المصاف، واختفي كثير منهم بجانب الفرات .فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار التي على الفرات، فاحترق منهم طائفة عظيمة، وهلك كثير منهم في الطريق التي سلكوها من سلمية.

وفي يوم الجمعة: خرج من العسكر طائفة في تتبع التتار، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري، ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحيرة ليبعد عن الجيف. وقتل من التتار صمغار، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم، وكانت له إلى الشام غارات عديدة.

واستشهد من المسلمين زيادة على مائتي رجل: منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج وهو الذي جرح منكوتمر مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سبب هزيمتهم، وكان من أعيان الأمراء، وتحدثه نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري، وعلم الدين سنجر الإربلي، وبدر الدين بكتوت الخازندار، وشمس الدين سنقر العرسي، وشهاب الدين توتل الشهرزوري، وسيف الدين بلبان الحمصي، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صبرم الكاملي، وعلاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقي العزيزي، وناصر الدين محمد بن أيبك الفخري، وبدر الدين بيليك الشرفي، وشرف الدين بن علكان، وصاحب الموصل، والقاضي شمس الدين بن قريش كاتب الدرج وقد عدم فلم يعرف له خبر، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من المملوك.

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة، في اليوم الثاني من الوقعة، سقط الطائر بالنصرة، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس سروراً كبيراً، وزينت القلعة والمدينة .فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا. بما شاهدوا من الكسرة، و لم يكن عندهم علم. بما تجدد بعدهم من النصرة، فارتجت دمشق واضطرب الناس، وأخذوا في أسباب الرحيل، وفتحت أبواب دمشق، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هاربين فورد بعد ساعة البريد يخبر النصر، وكانت موافاته عند أذان الفجر، فقرئ كتابه بالجامع فاطمأن الناس.

وورد الخبر إلى مصر في يوم الخميس حادي عشري شهر رجب، على جناح الطائر في بطاقة من قاقون، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمري.

وقد كان أهل مصر صاروا يقنتون في صلواقم، وكثرت قراءة صحيح البخاري، وأقبل الناس على تلاوة القرآن، وتجمعوا في المشهد الحسيني وفي الجوامع والمساجد، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم. فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر، وجرد الملك الصالح في الحال عسكراً عليه الأمير صارم الدين أربك الفخري في كثير من العربان إلى قطيا، لرد المنهزمين وإعادقم إلى السلطان، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة، فاعتمد ذلك.

ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة، وتخبر فيها بالبشائر العظمي من كسر التتار.

وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضاً، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل، وكتب إلى أعمال

مصر بالزينة. وكتب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع في المنهزمين ويسأل العفو عنهم، وكتب أيضاً إلى الأمير بدر الدين بيسري يؤكد عليه في الشفاعة فيهم.
واتفق أن الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر، فأسرهم وفيهم حامل حرمدانة، فوجد في الحرمدار كتبا من الأمراء مثل سنقر الأشقر، وأيتمش السعدي، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاي السلطان عليها، فأمر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد.
وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر، ورده ومن حمص إلى عمله بصهيون على عادته، ورد معه من كان عنده من الأمراء. وهم أيتمش السعدي، وسنجر الدواداري، وكراي التتري، وغيرهم.
ورحل السلطان إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثاني عشري رجب، فكان يوما عظيما إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم، وقال فيه الشعراء عدة قصائد.
وفي سابع: ورد الخبر إلى القاهرة. يعود السلطان إلى دمشق، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمري إلى الرحبة، ليدفع من عليها من التتار.

وأما أبغا بن هولاكو ملك التتار فإنه لم يشعر وهو على الرحبة إلا وقد وقعت بطاقة من السلطان إلى نائب الرحبة،. بما من الله به من النصر وكسرة التتار فعندما بلغه ذلك بدق بشائر القلعة رحل إلى بغداد.
ووصل الأمير بدر الدين الأيدمري إلى حلب، وبعث في طلب التتار إلى الفرات، ففروا من الطلب وغرق منهم خلق كثير. وعبرت طائفة منهم على قلعة البيرة، فأتلهم أهلها وقتلوا منهم خمسمائة، وأسروا مائة وخمسين.
وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس، وفيهم أكابر أصحاب سيس وأقاربهم فخرج عليهم الأمير شجاع الدين السيناني بمن معه، فقتلهم وأسرهم عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين. وتوجه منهم على سلمية نحو أربعة آلاف، فأخذ عليهم نواب الرحبة الطرقات والمعابر، فساروا في البرية فماتوا عطشا وجوعا، و لم يسلم منهم إلا نحو ستمائة فارس.
فخرج إليهم أهل الرحبة فقتلوا أكثرهم، وأحضروا عدة منهم إلى الرحبة ضربت أعناقهم بها. وأدرك بقية التتر الملك أبغا، وفيهم أخوه منكوتمر وهو مجروح، فغضب عليه وقال: "لم لا مت أنت والجيش ولا انهزمت " وغضب أيضاً على المقدمين. فلما دخل أبغا بغداد سار منها إلى جهة همذان وتوجه منكوتمر إلى بلاد الجزيرة فنزل بجزيرة ابن عمر، وكانت الجزيرة لأمه قد أعطاها إياها أبوه هولاكو لما أخذها.
وفي يوم الإثنين حادي عشريه: قدم الأمير بدر الدين الأيدمري بمن معه من العسكر، بعدما أنكي في التتار.
ورسم السلطان أن تكون البشائر إنعاماً على من ذكر. وهي القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومي، وقوص والوجه القبلي خلا الفيوم على يد الأمير بدر الدين بيدر المنصوري أمير مجلس، والفيوم على يد الأمير علم الدين سنجر أمير خور، والإسكندرية على يد الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار، ودمياط على يد الأمير بدر الدين بيليك أبو شامة المحسني، والغربية على يد الأمير أيبك السلاح دار المنصوري، وأشموم على يد الأمير شمس محمد بن الجمقدار نائب أمير جاندار.
وورد كتاب السلطان إلى قلعة الجبل ليجهز إلى الملك المظفر شمس الدين بن رسول باليمن. بما من الله به من

النصر على التتار، فكتب قريبه الملك الصالح كتابا من إنشاء محيي الدين بن عبد الظاهر، خوطب فيه: أعز الله أنصار المقام العالي المظفري الشمسي.

وفي شهر رجب: رتب السلطان غرس الدين بن شاور في ولاية لد والرملة، عوضاً عن سعد الدين بن قلج، بحكم انتقاله منها إلى ولاية بلد الخليل عليه السلام. ورتب تقي الدين توبة في نظر النظار بالشام، شريكا للقاضي تاج الدين عبد الرحيم بن تقي الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيي السنهوري. ورتب الأمير علم الدين سنجر الدواداري شاداً ومدبراً من غزة إلى الفرات.

وفيه ثارت العشران ونهبوا نابلسي، وقتلوا مقتلة عظيمة، مركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخري من غزة وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابرهم، وسجن كثيراً منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدي الصرخدي نائبا بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشرين.

وفيه قرر الشيخ تفي الدين محمد بن دقيق العيد في تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعي من قرافة مصر، على عادة القاضي تقي الدين بن رزين بعد وفاته.

واستقر الشيخ علم الدين ابن بنت العراقي في تدريس المشهد الحسيني بالقاهرة.

وفيه وصل الأمير شهاب الدين أحمد ابن وإلى القلعة أمير شكار من دمشق لتحريج الجوارح وإصلاحها.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بازي المنصوري نائباً بحمص، ومعه الأمير صارم الدين الحمصي، مساعداً له.

واستقر الأمير جمال الدين أقش الحمصي نائبا في مدينة نابلس، عوضاً عن زين الدين قراجا البدري.

وفيه افرج عن الأمير سيف الدين قطز المنصوري، والأمير سنجر الحموي أبو خرص.

وفيه كانت وقعة في صحراء عيذاب بين عرب جهينة ورفاعة قتل فيها جماعة، فكتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ولا يعين طائفة على أخرى، خوفا على فساد الطريق.

وفيه ولي زين الدين بن القماح نظر البحيرة، عوضاً عن موفق الدين بن الشماع. واستقر شمس الدين محمد بن القاضي علم الدين بن القماح في الإعادة. بمدرسة الشافعي من القرافة، بتوقيع شريف.

وفي شعبان: افترق بنو صورة بناحية المنوفية من أعمال مصر فرقتين، وحشدوا وركبوا بآلات الحرب، فخرج إليهم عدة من أجناد الحلقة، ورسم بأخذ خيلهم وسلاحهم، فسكن ما كان بينهم.

وفي يوم الأحد ثاني شعبان: سار السلطان من دمشق، وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة ونصب القلاع، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع في تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة. فرتبت الإقامات في عاشره على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وجعل في كل منزلة من الدقيق ستين قطعة، وشعيرا أربعمائة أردب، وأغناما مائة رأس، ودجاجا مائتي طائر، وحماما خمسين طائرا، وأثبانا مائة حمل، وحطب سنطٍ مائة قنطار.

وخرج السلطان من غزة بكرة يوم الخميس ثالث عشره، ووصل قطيا يوم الإثنين سابع عشره، وقد تأخرت العساكر وراءه، ونزل غيفة يوم الخميس العشرين منه وخيم بها.

ودخل الأمير شرف الدين الجاكي المهمندار من الدهليز السلطاني لترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة، وخروجهم إلى لقاء السلطان.

وخرج الملك الصالح والأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة إلى الملتقي، واستمر الأمير علم الدين سنجر

المنصوري بقلعة الجبل.
فصعد السلطان إلى قلعته في يوم السبت ثاني عشريه تحت صناجقه، وأسري التتار بين يديه، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهي مكسورة. فبعث السلطان بالأسري وطبول التتار وحتر منكوتمر من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة، وساروا إلى القلعة، و لم يشق السلطان القاهرة، وكان يوما مشهوداً اجتمع الناس فيه من الأقطار، وكثر فرحهم وسرورهم.
وفي يوم الأحد ثالث عشري شعبان: أفرج السلطان عن الأمير ركن الدين منكورس الناصر الفارقاني.
وفيه دخل السلطان إلى الخزانة الشريفة، ورتب الخلع لسائر الأمراء والخواص والكتاب بالدرد الذين كانوا في الخدمة.
وفي يوم الخميس سابع عشريه: جلس السلطان، وأحضرت هدية الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول صاحب اليمن على يد رسله: وهم مجد الدين بن أبي القاسم، والقاضي محيي الدين يحيي بن البيلقاني. فقبل السلطان هديته، وكانت من طرائف اليمن، من العود والعنبر والصيني ورماح القنا وغير ذلك.
وفي تاسع عشريه: أعيد إقطاع الأمير سيف الدين أيتمش السعدي إليه، وهوناي وطنان وإمرة مائة فارس، وكان قد أخذه عند توجهه إلى سنقر الأشقر الأمير عز الدين أيبك الأفرم، وأعيد على الأفرم إقطاعه القديم ممن أخذه.
وفيه أقر الأمير سيف الدين قطز.
وفيه فوض قضاء الشافعية إلى وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين المهلبي الهنسي في سابع شعبان، عوضاً عن تقي الدين محمد بن رزين بحكم وفاته.
وفيه قبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحلبي المعروف بأياجي الحاجبي، من أجل أنه انهزم على حمص.
وفي يوم السبت سادس رمضان: حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وسألوا أن يكتب لمرسلهم أمان على قميص، وتعلم عليه العلامة السلطانية، فأجيبوا إلى ذلك.
وجهزت إليه هدايا وتحف فيها قطعة زمرد، وعدة من أكاديش التتار وشيء من عددهم.
وفيه عملت نسخة حلف السلطان للملك الأشكري صاحب القسطنطنية، وكانت رسله قد وصلت بنسخة يمينه في تاريخ موافق آخر المحرم سنة ثمانين وستمائة.
وفيه ولي الأمير بهاء الدين قراقوش قوص وأخميم، عوضاً عن الأمير بيبرس مملوك علاء الدين حرب دار.
وفي شوال: سار المحمل إلى الحجاز على العادة.
وفي يوم الخميس أول ذي القعدة: استقر عز الدين أيبك الفخري والياً بقوص وأخميم، عوضاً عن قراقوش.
وفي خامسه: قبض على الأمير أيتمش السعدي وعلى عدة من الأمراء واعتقلوا، وقبض أيضاً بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهاروني وسيقران الكردي وغيرهما، وذلك لأنهم كانوا ممن كان مع سنقر الأشقر.
وفيه سافر الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني الجزري الحاجب والقاضي شرف الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج، إلى اليمن من جهة عيذاب، في الرسالة عن السلطان.
وفي ذي القعدة: أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من القاهرة، وبعثهم إلى الكرك.

وفي أول ذي الحجة: فوض قضاء المالكية بديار مصر إلى تقي الدين أبي على الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الفقيه الإمام مفتي الفرق جلال الدين أبي محمد بن عبد الله بن شاس الجذامي السعدي المالكي، عوضاً عن قاضي القضاة نفيس الدين محمد بن سكر، بحكم وفاته.

ومات في هذه السنة من الأعيان

القان أبغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان بنواحي همذان عن نحو خمسين سنة، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة، وقام في الملك بعده أخوه تكدار بن هولاكو.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعي بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الألفي نائب السلطنة بديار مصر، في السجن بالإسكندرية عن نحو أربعين سنة.

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى ابن عيسي بن موسى بن نصر الله العامري الحموي الشافعي، عن سبع وسبعين سنة: وتوفي قاضي دمشق نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيي بن هبة الله بن الحسن بن يحيي بن سني الدولة الشافعي، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفي قاضي القضاة صدر الدين أبو حفص عمر بن تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعز العلامي الشافعي، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفي موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الشيباني الموصلي الكواشي، عن تسعين سنة بالموصل.

وتوفي الحافظ شمس الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن أحمد بن على بن الصابوني المحمودي، بدمشق عن ست وسبعين سنة.

وتوفي المسند شمس الدين أبو الغنائم مسلم بن محمد بن مسلم بن مكي بن خلف بن علان القيسي الدمشقي ناظر الدواوين بدمشق، عن ست وثمانين سنة بها.

وتوفي الشريف شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبي إبراهيم محمد الممدوح الحسني، كاتب الإنشاء بحلب، عن خمس وثلاثين سنة بها.

وتوفي الأديب الكاتب الحاسب علاء الدين أبو الحسن على بن محمود بن الحسن بن نبهان اليشكري، عن خمس وثمانين سنة بدمشق.

وتوفي الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكي، في وقعة حمص شهيدا.

وتوفي الأديب بدر الدين أبو المحاسن بن يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي الدمشقي، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق.

ومات منكوتمر بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان، بجزيرة ابن عمر مكموداً عقب كسرته على حمص.

ومات علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني صاحب الديوان ببغداد، بعدما نقم عليه الملك أبغا ونسبه إلى مواطأة المسلمين، فقبض عليه وأخذ أمواله. وكان صدراً كبيراً فاضلا، وله شعر حسن، وولي بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجويني.

في مستهل صفر: قبض على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي، والأمير كشتغدي الشمسي. فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق، وارتجت القاهرة حتى نودي: من أغلق دكانه شنق، ففتحت الأسواق.

وفي ربيع الأول: وصلت رسل الأشكري ورسل ألفونس بهدية.

وفي حادي عشر ربيع الآخر: استقر في الوزارة نجم الدين حمزة بن محمد الأصفوني.

وفي آخر جمادى الآخرة: استعفي قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسي من قضاء القاهرة والوجه البحري، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين مصر والقاهرة والوجهين القبلي والبحري، فأعفي من قضاء القاهرة والوجه البحري. وفوض السلطان ذلك في أول رجب لشهاب الدين محمد الخوي، وكان يلي أولا قضاء الغربية من أعمال مصر، فنقل منها إلى قضاء القاهرة، وانفرد للبهنسي قضاء مصر والوجه القبلي.

وفي شعبان: حلف الشريف أبو نمي أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة في كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها، وأن يقدم علم الملك المنصور على كل علم في كل موسم، وألا يتقدمه علم غيره، وأن يسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمين، وأن يحرس الحاج ويؤمنهم في سربهم، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري، وأن يفعل الخدمة في فعل المخلص الولي للسلطان، ويمتثل مراسمه امتثال النائب للمستنيب.

وفيه وصلت رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولاكو، وهم الشيخ مطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي قاضي سيواس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التيتي، وزير ماردين. وكانوا عند قدومهم إلى البيرة قد سار إليهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي والأمير سيف الدين كبك الحاجبان، وقد أمرا أن يبالغا في الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد. واحترزا عليهم حتى لم يشاهدهم أحد، وسارا بهم في الليل حتى قدموا قلعة الجبل بكتاب الملك أحمد: وفيه أنه مسلم، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحجاج. وسال اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة والحرب، وأنه ظفر بجاسوس وعادة مثله أن يقتل فجهزه إلى الأبواب السلطانية، وقال إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة، وبالغ في استجلاب خاطر السلطان. وتاريخ الكتاب في جمادى الأولى، وأنه كتب بواسط.

فأجيب بتهنئته بالإسلام، والرضي بالصلح، وأعيدت الرسل وقد أكرموا من غير أن يعلم الناس بدخولهم ولا خروجهم. وساروا سراً كما قدموا سراً ليلة السبت ثاني رمضان صحبة الحاجبين، فوصلوا إلى حلب في سادس شوال وعبروا إلى بلادهم.

وفي رمضان: وصل الأمير شمس الدين سنقر الغتمي ورفقته، الذين خرجوا إلى بيت بركة في الرسالة.

وفيه قبض على الأمير بدر الدين بكتوت الشمسي وعلاء الدين أقطوان الساقي، وشهاب الدين قرطاي، واعتقلوا.

وفيه استقر الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطة بحلب، عوضاً عن علم الدين سنجر الباشقردي، وعمر جامعها وقلعتها وكانا قد خربهما التتار. وفيه قدم الشيخ على الإوبراني، وكان قد أسلم وخدم الفقراء، وسلك طريق الله وظهرت على يده كرامات، وتبعه جماعة من أولاد المغل، فسار بهم إلى الشام ومصر، ومثل بحضرة السلطان من قلعة الجبل في ثامن عشر ذي القعدة، ومعه إخوته الأقوش وعمر وطوخي وجوبان، وجماعة غيرهم. فأحسن السلطان إليه وإلى من معه، ورتب بعضهم في حملة الخاصكية، ثم نقل إلى الإمرايات منهم الأقوش وتمر وعمر وهم إخوة.

ثم ظهر من الشيخ على ما أوجب أن يسجن، فسجن هو والأقوش، ومات تمر وعمر في الخدمة.

وفي حادي عشريه: وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام، فاحترق فيها شيء كثير، منها سوق الكتبيين، واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزري الكتبي خمسة عشر ألف مجلد سوي الكراريس.

وفي يوم عرفة: قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجي أمير علم، والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب بدمشق، وعلى زين الدين بن الشيخ على، واعتقلوا، وفيه تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أشلون ابنة الأمير سكناي ابن قراجين بن جنغان نوبن القادم إلى القاهرة في الدولة الظاهرية، وهي أم الملك الناصر محمد.

وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصوري، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مهم أشلون يوم زفت إلى السلطان، ففتنه حسنها حتى كاد يهلك، فمازال السلطان بطرنطاي النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها.

وأفرج السلطان عن أبيها نوكيه من سجن الإسكندرية، وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة، وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عجل منها ألف دينار.

وفيها بلغ السلطان أن ملك الكرج توماسوطا بن كلياري خرج من بلاده، ومعه رفيق له اسمه طيبغا بن انكواد يريد زيارة القدس سرا، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة، فلم يصل إلى موضع منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان. فقبض عليه بالقدس، وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتقلا.

وانتهت زيادة النيل في هذه السنة إلى سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا. وخرج من القاهرة بالمحمل الأمير ناصر الدين ألطنبغا الخوارزمي، ومعه كسوة الكعبة، وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستادار الفارقاني. وحج الأمير علاء الدين البندقداري في ركب كبير.

وفيها ولي نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبي المظفر خصر بن منصور الشيباني قضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن تاج الدين أبي المعالي عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن علوي السنجاري.

وفيها في آخر شوال خلع متملك تونس أبو إسحاق إبراهيم بن يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص، وكانت مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر. وقام من بعده الدعي أحمد بن مرزوق بن عمار المسبلي الخياط، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيي بن المستنصر.

وفيها أقيم في الملك تكدار بن هولاكو، بعد موت أخيه أبغا بن هولاكو في المحرم، فاظهر أنه أسلم وتسمي أحمد سلطان. ترك أبغا ولدين هما أرغون وكيختو.

ومات في هذه السنة من الأعيان

شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي، المؤرخ قاضي دمشق في رجب.
وتوفي قاضي المالكية بدمشق زين الدين أبو محمد عبد الكريم بن على بن عمر الزواوي المالكي، بعد ما عزل نفسه، عن اثنتين وتسعين سنة بدمشق.
وتوفي برهان الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن عيسي المراغي الفقيه الشافعي، وقد أناف على خمس وسبعين سنة بدمشق.
ومات الصاحب علاء الدين عطا ملك ابن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد الجويني مدبر دول العراق، بناحية أران. وله فضل وشعر جيد.
وتوفي المسند برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيي بن علوي بن الدرجي القرشي الدمشقي الحنفي، عن اثنتين وثمانين سنة.
ومات الأمير حسام الدين بشار الرومي وهو أحد من قدم في الأيام الظاهرية بيبرس من بلاد الروم بعد ما بلغ مائة وعشرين سنة، وناب وحج وترك الإمرة وعوض عنها براتب أجري عليه.
وتوفي زين الدين إدريس خطب الجامع الأزهر.
وتوفي السديد عبد الله الماعز. وقد باشر ديوان المرتجع في الأيام الظاهرية، فنقله المنصور قلاوون إلى ديوانه.
ومات أيضاً منكوتمر بن طوغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكزخان، ملك التتر ببلاد الشمال. وملك بعده أخوه تدان منكو، وجلس على كرسي الملك. بمدينة صراي.

سنة اثنين وثمانين وستمائة

في المحرم: وصل الملك المنصور صاحب حماة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمناظر الكبش وأقيم بواجبه.
وفيه استخرجت الجوالي من الذمة، وكانت العادة أن تستخرج في شهر رمضان، فأخر استخراجها إلى المحرم رفقا بهم، وحضر الصاحب نجم الدين الأصفوني بدار العدل تحت القلعة لاستخراجها.
وفيه رسم أن تكون جوالي الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم وبيت جمالا، مرصدة لعمارة بركة في بلد الخليل.
وفي سادسه: توجه السلطان، إلى بر الجيزة، وسار إلى البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطبرية، ومعه صاحب حماة.
وأقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي بالقلعة، ومعه الأمير قراسنقر الجركندار، وعلاء الدين أيدغدي السلاح دار، وعز الدين أيبك الخازندار، ورتب مع الأمير علم الدين الخياط وإلى القاهرة عدة من أصحاب

الأمراء، يطوفون كل ليلة من بعد العصر حول القلعة وفي ظواهر القاهرة. ونودي على الأجناد في القاهرة بالخروج لحفر الخليج، ووقع العمل فيه فكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبة في عرض ثلاث قصبات وعمق أربع قصبات بالقصبة الحاكمية، وفرغ من عمله في عشرة أيام. فحصل بسببه نفع كبير، ورروي منه ما لم يكن قبل ذلك يروي. وفيه وصل من الشروق تسعة عشر وافدا بأولادهم.

وفي رابع عشره: وصلت رسل صاحب بلاد سيلان من أرض الهند واسمه أبو أنكيه بكتابه. وهو صحيفة ذهب عرض ثلاثة أصابع في طول نصف ذراع بداخلها شيء أخضر يشبه الخوص، مكتوب فيه بقلم لم يوجد في القاهرة من يحسن قراءته، فسئل الرسل عنه فقالوا "إنه يتضمن السلام والمحبة وإنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان، ويريد أن يتوجه إليه رسول، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها، وأنه عبأ تقدمة إلى أبواب السلطان، وأن في مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة، وبها معادن الجواهر والياقوت، وأن خزائنه ملآنة من الجواهر."

وفي رابع صفر: عاد المنصور صاحب حماة بلده، وخرج السلطان معه لوداعه.

وفي خامس ربيع الأول: جرت الهدنة بين السلطان وبين الفرنج بعكا مدة عشر سنين، أولها خامس المحرم من هذه السنة.

وفي عاشره: ولي الصاحب برهان الدين السنجاري تدريس المدرسة بجوار الشافعي من القرافة.

وفي مات الصاحب نجم الدين حمزة الأصفوني، وولي شرف الدين أبو طالب بن النابلسي نظر الوجه القبلي، ونقل القاضي عز الدين بن شكر من نظر ديوان الجيش إلى نظر الوجه البحري، وخلع عليهما. وبقي الأمير علم الدين سنجر الشجاعي مدير المماليك، وهما بين يديه يصرفان المهمات.

وفيها خرجت تجريدة من قلعة كركر إلى حصار قلعة قطيبا إحدى قلاع أمد، فأخذوها من أيدي التتار، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال، فصارت من حصون الإسلام المنيعة.

وأخذت أيضاً قلعة كختا من النصارى بسؤال أهلها، فتسلمها أمراء السلطان. بمدينة حلب، وشحنت بالأسلحة وغيرها، وصارت مسلطة على الأرمن.

وفي جمادى الأولى: خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان، فسار إليه وقتله وهزمه ثم أسره، فقامت الخواتين مع أرغون، وسألن الملك تكدار أحمد في الإفراج عنه وتوليته خراسان، فلم يرض بذلك.

وكانت المغل قد تغيرت على تكدار، لكونه دخل في دين الإسلام وإلزامه لهم بالإسلام، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال، وطرقوا ألناق نائب تكدار ليقتلوه ففر منهم فأدركوه وقتلوا تكدار أيضاً، و أقاموا أرغون بن أبغا ملكا. فولي أرغون وزارته سعد الدولة اليهودي، وولي ولديه خرابندا وقازان خراسان، وعمل أتبكهما الأمير نوروز.

ومات الأشكري متملك قسطنطنية واسمه ميخائيل، وملك بعده ابنه الدوقش.

وفي النصف من جمادى الأولى :توجه السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، فترل غزة في سابع جمادى الآخرة، وقبض على غرس الدين بن شاور متولي رملة ولد، وولي عوضه الأمير علم الدين سنجر الصالحي، وعزل عماد

الدين بن أبي القاسم عن القدس، بنجم الدين السونجي.
ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ثامن شهر رجب، فرسم أن كل من استخدم ترد جامكيته على ما كانت عليه في الدولة الظاهرية وتستعاد منه الزيادة، فاستخرج من ذلك مال كبير.
وفي يوم الجمعة حادي عشري رجب: عوق قاضي القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصاري المعروف بابن الصائغ، ثم صرف عن القضاء بدمشق، وطولب بثمانية آلاف دينار أودعها عنده الطواشي ريحان الخليفتي وأوصاه عيلها، وطولب بعدة ودائع أخرى، فقام في حقه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والأمير حسام الدين طرنطاي نائب مصر، ومازالا حتى أفرج عنه في ثامن عشري شعبان، ولزم داره.
واستقر عوضه في قضاء دمشق بهاء الدين يوسف بن محيي الدين يحيي بن محمد بن على بن محمد بن على الزكي.
وفيه استقر شرف الدين بن مزهر في نظر الشام ثالثاً للناظرين.
واستقر قراسنقر نائباً بحلب، عوضاً عن سنجر الباشقردي وقيل بل كان ذلك في سنة إحدى وثمانين كما تقدم، وأنعم على الباشقردي بإقطاع بدر الدين الأزدمر. بمصر. واستقر بدر الدين بكتوت السعدي نائبا بحمص.
وفي ثاني رمضان: خرج السلطان من دمشق، ودخل قلعة الجبل يوم الخميس رابع عشريه، وخرج المحمل على العادة.
وفي هذه السنة: غارت العساكر على بلاد الأرمن، ووصلوا إلى مدينة أياس وقتلوا ونهبوا وحرقوا، واقتتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة وهزموهم إلى تل حمدون، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم.
وفيها كانت وقعة ببلاد بيروت مع فرج قبرس حين قصدهم بلاد الساحل، قتل فيها عدة من الفرنج، وأسر منهم زيادة على ثمانين رجلا، وأخذت منهم غنائم كثيرة.
وفيها وصلت رسل تدان منكو بن طوغان بن باطو بن دوشي بن جنكزخان ملك القبجاق، بكتاب خطه بالقلم المغلي: يتضمن أنه أسلم، ويريد أن ينعت نعتا من نعوت أهل الإسلام، ويجهز له علم خليفتي وعلم سلطاني يقاتل بهما. أعداء الدين. فجهزت الرسل إلى الحجاز، ثم عادوا وساروا إلى بلادهم. بما سألوا فيه.
وفيها اشتريت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة، من خالص مال السلطان، وعوض سكانها عنها قصر الزمرد برحبة باب العيد، في ثامن عشري شهر ربيع الأول.

وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في عمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة باسم السلطان الملك المنصور قلاوون، فأظهر من الاهتمام في العمارة ما لم يسمع. بمثله. وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن في الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان إلى البيرة، وعلى رأسه الجتر كما هي عادته في بلاد التتر، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسي أحد أمراء حلب، ومنعه من حمل الجتر والسلاح، وعدل به عن الطريق المسلوك إلى أن أدخله حلب ثم إلى دمشق، فوصلها ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة، من غير أن يمكن أحداً من الاجتماع به ولا من رؤيته. ولما وصل إلى دمشق أنزل بقلعتها، فأقام بقاعة رضوان من القلعة إلى أن وصل السلطان إلى دمشق في سنة ثلاث وثمانين. وأجري عليه في كل يوم ألف درهم، ومأكل وحلوي وفاكهة بألف أخرى.

وفيها استدعى تاج الدين السنهوري من دمشق، واستقر في نظر الدواوين بديار مصر، عوضاً عن عز الدين إبراهيم بن مقلد بن أحمد بن شكر، رفيقاً لشرف الدين بن النابلسي.
وتزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على.
وفيها ولي مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكي قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن نجم الدين أبي حفص عمر بن نصر بن منصور الأنصاري البيساني، مدة يسيرة ثم عزل.
وفي أوائل هذه السنة: تحرك سعر الغلة حتى بلغ الأردب القمح خمسة وثلاثين درهما، فكرة السلطان ذلك وتوجه بالعسكر إلى الشام تخفيفاً عن الناس، فلم ينحط السعر، فجمع الأمراء وأراد أن يكتب بفتح أهراء مصر أدخله حلب ثم إلى دمشق، فوصلها ليلة الثلاثاء وبيع الغلة منها بسعر خمسة وعشرين درهما الأردب، فقال له الأيدمري :قلوب الناس متعلقة. بما في الأهراء، فإنها خزانة المسلمين، كلما نظروا إليها ملآنة شبعت نفوسهم، وما يؤمن ارتفاع السعر أيضاً. والرأي أن الأمراء بأسرهم يكتبون بفتح شونهم وبيع القمح بخمسة وعشرين درهما الأردب، فإذا وقع البيع منها دفعة واحدة مع بقاء الأهراء ملآنة رجي انحطاط السعر، والأمراء لا يضرهم إذا نقصت شونهم نصف ما فيها". فأعجب السلطان ذلك، وكتب الأمراء بفتح شونهم ففتحت، وبيع القمح منها بخمسة وعشرين درهما الأردب، فانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر، واستمر كذلك حتى قدم الجديد من المغل.
وفيها قتل متملك الروم غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباد، وأقيم بعده مسعود بن عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، وهو آخر من سمي بالسلطان من السلجوقية ببلاد الروم، وقد افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشرة وسبعمائة.
وفيها كانت وفاة الشيخ الإمام عماد الدين بن الفضل محمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي، ببستانه بالمزة في يوم الإثنين سابع عشر صفر، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع الجبل، ودفن بتربة فيها قبر أخيه علاء الدين، رحمهما الله تعالي. وكان شيخ الكتابة أتقن الخط المنسوب، وبلغ فيه مبلغا عظيما حتى أتقن قلم المحقق، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البواب.

وفيها توفي الصاحب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن أبي القاسم بن أبي طالب بن كسيرات الموصلي، وكانت وفاته في سابع عشري رمضان بداره بجبل الصالحية، وكان رحمه الله تعالى كثير المروءة واسع الصدر، كثير الهيبة والوقار جميل الصورة حسن المنظر والشكل، كثير التعصب لمن يقصده محافظا على مودة أصدقائه وقضاء حوائجهم، كثير التفقد لهم. وأصله من الموصل من بيت الوزارة، كان والده وزير الملك المنصور عماد الدين زنكي ابن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، ثم باشر نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العمرية لما فتحها، ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق لما وصل في الدولة الظاهرية، وسكن دمشق وولي نظر البر بها، ثم نقل إلى نظر نابلس، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها، ثم انتقل إلى صحابة الديوان

بالشام إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق، فاستوزره كما تقدم، وبطل بعد ذلك عن المباشرة، وسكن داره التي أنشأها بجبل قاسيون جوار البيمارستان، فكان بها إلى أن مات.

قال شمس الدين الجزري: قلت له يوما وقد أضرت به البطالة: "يا مولانا لو ذكرت أحدا من أصحابك الأمراء حتى يذكر بك السلطان أو نائب السلطنة، فكاتب في أمرك، فإن لك خدما وتفضلاً على الناس، فنظر إلي وأنشد :

وصانني عن كل مخلوق   لذ خمولي وحلا مره

تمنعني عن بذل معشوقي   نفسي معشوقي ولي غيرة

وفيها في يوم الخميس عاشر شهر رمضان: توفي الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين دواد ابن الملك المعظم شرف الدين عيسي ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته بدمشق، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بالتربة المعظمية. وكان رحمه الله تعالى قد جمع بين الرياسة والفضيلة والعقل الوافر والخصال الجميلة، وكان مجانبا الناس محبوب الصورة، رحمه الله تعالي.

وفيها في سادس عشري شعبان: توفي القاضي عز الدين إبراهيم بن الصاحب الوزير الأعز فخر الدين أبي الفوارس مقدام ابن القاضي كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر. وكان قد ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، كما تقدم. رحمه الله تعالي.

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أبي عمر عمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر القدسي شيخ الحنابلة بالشام. وكان قد ولي قضاء القضاة على كره منه سنة سنة أربع وستين وستمائة كما تقدم، ثم ترك الحكم وتوفر على العبادة والتدريس وأشغال الطلبة والتصنيف. ويقال إنه قطب بالشام، واستدل على ذلك. بمراء توافقت عليها جماعة تعرفه في سنة. سبع وسبعين وستمائة أنه قطب، وكان أوحد زمانه. وكانت وفاته في يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر منها، ودفن بقاسيون بتربة والده قدس الله روحه. ومولده في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ولما مات رثاه المولي الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها :

أعراه خطب أم عداه مرام؟   ما للوجوه ومد علاه ظلام

لبست عليه حدادها الأيام   أم قد أصيب بشمسه فغدا وقد

وجاء منها.

لا تستطيع جحودها الأقوام   لكم الكرامات الجليلات التي

وهي قصيدة تزيد على ستين بيتا. ورثاه جماعة رحمه الله تعالي.

وفيها توفي الأمير علاء الدين كندغدي المشرقي الظاهري المعروف بأمير مجلس، كان من أعيان الأمير بالديار المصرية، وظهر قبل وفاته. بمدة يسيرة أنه باق على الرق، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه وقربه لديه، وكان شجاعا بطلا مقداما. وكانت وفاته بالقاهرة في يوم الجمعة مستهل صفر، ودفن. بمقابر بباب النصر، رحمه الله تعالي.

وفيها توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي بن يزيد البرمكي أمير آل مرا، وكانت وفاته ببصري. وكانت غزاته تنتهي إلى أقصي نجد والحجاز، وأكثرهم يؤدون إليه أتاوة في كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه، وكان يدعي إنه من نسل جعفر البرمكي من العباسة أخت الرشيد، ويقول إنه تزوجها ورزق منها أولاداً، ولما جري على البرامكة ما جري هرب أولاده منها إلى البادية، فأخذهم جده، والله أعلم. وكان يقول للقاضي شمس الدين ابن خلكان "أنت ابن عمي" وكان بينهما مهاداة، وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه عند السلطان.

وفيها في سابع عشري المحرم: كانت وفاة شمس الدين عيسي بن الصاحب برهان الخضري السنجاري، كان ينوب عن والده في الوزارة الأولى في سنة ثمان وسبعين وستمائة، وولي نظر الأحباس ونظر خانقاه سعيد السعداء، ثم ولي بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار، ثم قبض عليه مع والده بعد انفصاله من الوزارة الثانية كما تقدم. فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية. بمصر، وكان بها إلى أن توفي، وكان حسن الصورة والشكل، رحمه الله تعالي.

وفيها في سادس شوال. توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على، رحمهما الله تعالي.

وفيها في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى: توفي الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيي بت جعفر القرشي التزمنتي الشافعي، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة، وأحد المعيدين. بمدرسة الشافعي. رحمه الله تعالي.

وفيها في يوم السبت ثاني عشري رجب: توفي الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار أغاي أحد الأمراء بالديار المصرية، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها، ودفن بظاهرها عند قباب التركمان. بميدان الحصا، رحمه الله تعالى.

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

في المحرم: توجه عسكر إلى الكرك، وعليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري والأمير طقصوا، فضايقوا الكرك ورعت خيولهم مزارعها.

وفي ثاني عشره: ولي الشيخ معز الدين النعمان الحنفي تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين، بعد موت عز الدين المارديني.

واستقر سيف الدين في ولاية قوص، عوضاً عن بهاء الدين قراقوش.

واستقر مجد الدين عمر بن عيسي الحرامي في ولاية سميوط، عوضاً عن سيف الدين.

استقر عز الدين أيدمري الكوجي في ولاية أخميم، عوضاً عن بلبان الفارسي.

واستقر شهاب الدين قرطاي الجاكي في ولاية قليوب، عوضاً عن حسان الدين لؤلؤ الكهاري.

وفي ثاني عشريه: استقر الأمير شمس الدين إبراهيم بن خليل الطوري في ولاية الروحا والطرق السالكة إلى الفرنج وإلى عثليث وحيفا وعكا، عوضاً عن الأمير نور الدين، وأقطع إمرة عشرة.

وفي أول صفر: توجه الأمير سيف الدين المهراني إلى ولاية البهنسا والأشمونين، عوضاً عن كيكلدي وإلى البهنسا، وعن فخر الدين بن التركماني وإلى الأشمونين.

وورد الخبر بقتل القان ثكدار ويدعي أحمد أغا سلالان بن هولاكو، وتملك أرغون ابن أبغا بن هولاكو من بعده.
وفي أول ربيع الآخر: ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام، فتجهز السلطان للسفر وركب بعساكره في يوم الأحد ثامن جمادى الأولى، وتوجه من قلعة الجبل إلى دمشق.
وفي يوم الأربعاء حادي عشره :حضر الموفق أحمد بن الرشيد أبي حليقة إلى الدهليز السلكاني، وأسلم وتسمي بأحمد.
فخلع السلطان عليه، ورسم له بمساواة أخويه في العلوم لما أسلما، وكتب له بذلك.
وفي رابع عشره: كتب بولاية الأمير عماد الدين أحمد بن قباحل البحيرة.
وفي يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة: دخل السلطان إلى دمشق، فقدم القصاد من بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون.

وفي تلك الليلة: ألبس السلطان ألفاً وخمسمائة من مماليكة أقبيه أطلس أحمر بطرز وكلفتات زركش وحوائص ذهب، وأشعل بين يديه ألفا وخمسمائة شمعة مع كل مملوك شمعة. واستدعى عبد الرحمن الموصلي في السنة الماضية من بلاد التتار، فحضر ومعه رفقته الأمير صمداغو التتري والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين التبتي المعروف بابن الصاحب وزير ماردين. فقدموا للسلطان تحفاً منها نحو ستين حبل لؤلؤ كبارا، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتي مثقال، وحجر ياقوت أحمر، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما، وأدوا رسالة الملك أحمد أغا، فلما فرغوا ردهم السلطان إلى مكانهم، ثم استدعاهم واستعادهم كلامهم، ثم ردهم إلى مكانهم، وأحضرهم مرة ثالثة وسألهم، عن أشياء، فلما علم ما عندهم أخبرهم أن مرسلهم الذي بعثهم قد قتل، وتملك بعده أرغون بن أبغا. ثم ردهم إلى قاعة بقلعة دمشق، ونقلهم من قاعة رضوان التي كانوا بها منذ وصلوا إلى دمشق، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية، وطولبوا. بما معهم من المال لأحمد أغا، فأنكروا أن يكون معهم مال فتوجه إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار، وقال: "قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل أحد قماشه" فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا فأوقفهم في دهليز الدار وفتشهم، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه، منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قومت .بمائة ألف درهم، واعتقلوا فمات عبد الرحمن في ثامن عشري رمضان بالسجن، وضيق على البقية ثم أطلقوا، ما خلا الأمير شمسي الدين محمد ابن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل. بمصر واعتقل بها.
وفيه عزل الأمير علم الدين سنجر الدويداري من شد الدواوين بدمشق، وأضيف إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار بدمشق.
ونقل ناصر الدين الحراني من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة حمص، وأضيفت ولاية دمشق إلى الأمير طوغان وإلى البر.
وفيه خرج السلطان من دمشق يريد مصر، بظاهر دمشق.
فلما كانت ساعات من يوم الأربعاء حادي عشري شعبان: حطم سيل بعد مطر عظيم، فحمل أثقال الأمراء والأجناد وخيولهم وجمالهم، فعدم للأمير بدر الدين بكتاص ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، وانتهي السيل إلى باب الفراديس، فكسر أقفاله وما خلفه من المتاريس. ودخل الماء إلى إلى المدرسة

المقدمية، وبقي كذلك حتى ارتفع النهار.

ثم حدث بعد يومين: مطر شديد هدم عدة مساكن بدمشق وظواهرها، فتلف للناس ما لا يحصي، فأنعم السلطان على الأجناد كل واحد بأربعمائة درهم.

ورحل السلطان من دمشق في رابع عشريه، فوصل قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان .فقدم الخبر من مكة بأن الشريف أبا نمي طرد جند اليمن واستبد بها، وكان من خبره أن مكة كانت بينه وبين قتادة، وكان يؤخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهما، ومن حاج مصر على الجمل مبلغ خمسين درهما مع كثرة النهب والعسف في جباية ما ذكر، فمازال الظاهر بيبرس حتى صار يؤخذ من حاج مصر مبلغ ثلاثين درهما على كل جمل. فجرد المظفر صاحب اليمن إلى مكة عسكرا عليه أسد الدين جغريل، فملكها بعد حرب، فجمع قتادة وأبو نمي العرب لحربه، موقع الاتفاق بينهما أن تكون مكة بينهم نصفين ثم اختلفا بعد مدة، وانفرد أبو نمي وقوي وأخرج عسكر اليمن، واشتد على الحجاج في الجباية. فرسم السلطان بسفر ثلاثمائة فارس صحبة الأمير علاء الدين سنجر الباشقردي، وأنفق في كل فارس ثلاثمائة درهم، وكتب بخروج مائتي فارس من الشام فتوجهوا صحبة الحاج. فكانت بينهم وبين أبي نمي وقعة، وأخربوا الدرب. وكان الحاج كثيرا، فإنها كانت وقفة الجمعة.

وورد الخبر بموت الملك المنصور محمد ابن المظفر تقي الدين محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، وكانت وفاته في حادي عشر شوال، ففوضت حماة لولده الملك المظفر تقي الدين محمود، وجهز إليه الثقليد والتشريف صحبة الأمير جمال الدين أقش الموصي الحاجب، ومعه عدة تشاريف لجماعة من أهل بيته.

وفي ذي القعدة: قبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبي، واعتقل بقلعة الجبل.

وورد الخبر بوفاة الأمير شرف الدين عيسي بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن فضل بن ربيعة، وكانت وفاته في تاسع ربيع الأول، فاستقر في إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وفي هذه السنة: نجزت عمارة المارستان الكبير المنصوري والمدرسة والقبة.

وفي النصف من ذي الحجة: توجه السلطان إلى دمشق.

وفي هذه السنة: سرح الملك الصالح على ومعه أخوه خليل إلى العباسة، ومعهما الأمير بيبرس الفارقاني وإليه يومئذ أمر رماة البندق، فأقاموا أياماً في الصيد، ومعهم جماعة كثيرة من الرماة .فصرع الصالح طيراً خطته الرماة، وصرع أخوه خليل بعده طيراً آخر. فبعث الفارقاني يبشر السلطان بذلك، ويستأذنه لمن يدعي في الرمي الملك الصاع، فرسم أن يدعي للمنصور صاحب حماة.

فسفر طير الصاع إلى حماة، ومعه هدية سنية وكتاب السلطان وكتاب ابنه الصالح. فخلع المنصور على البريدي القادم بذلك، ووضع الطير على رأسه، وبعث هدية فيها عشرة أنداب بندق ذهب كل ندب خمس بندقات، زنة كل بندقة عشرة دنانير، وعشرون ندب فضة زنة البندقة مائة درهم، وبدلة حرير غيار زركش فيها ألف دينار، وحياصة مكللة، وجراوة زركش فيها البندق المذكور، وعشرون قوسا، وعدة تحف بلغت قيمة ذلك ثلاثين ألف دينار.

وفيها كانت حرب بمكة سببها أن أبا نمي بلغه توجه العسكر، فلم يخرج إلى لقاء الحاج وبعث قواده فقط، فلم يرض الباشقردي إلا بحضوره واستعد للحرب، وقد وقف أبو نمي. بمن معه ليمنع من دخول مكة، ورروموا بالحجارة فرماهم الترك بالنشاب، وأحرق الباب ودخل العسكر. فقام البرهان خضر السنجاري حتى أخمد الفتنة، وحملت خلعة أبي نمي إليه، وقضي الناس حجهم.

ومات في هذه السنة من الأعيان

صاحب حماة الملك المنصور محمد ابن المظفر محمود بن المنصور محمد ابن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، عن إحدى خمسين سنة.
ومات الأمير عيسي بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن فضل بن البيعة، بعد عشرين سنة من إمارته.
ومات القان تكدار ويدعي أحمد سلطان بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان، عن سبع وثلاثين سنة بالأردو، منها مدة ملكه سنة وأشهر.
وتوفي قاضي دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصاري الشافعي، وهو معزول، عن خمس وخمسين سنة.
وتوفي قاضي حلب نجم الدين أبو حمص عمر بن العفيف أبي المظفر نصر بن منصور الأنصاري البيساني الشافعي وهو معزول، عن نيف وثمانين سنة بدمشق.
وتوفي قاضي حماة شمس الدين أبو الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزي الجهني الحموي الشافعي، قريبا من المدينة النبوية، ودفن بالبقيع، عن خمس وسبعين سنة.
وتوفي قاضي الإسكندرية ناصر الدين أحمد بن وجيه الدين أبي المعالي محمد بن منصور بن أبي بكر بن القاسم بن المنير الجذامي الإسكندرية المالكي بها، عن ثلاث وستين سنة.
وتوفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني بمصر، عن سبع وسبعين سنة.
وقتل الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عماد المسيلي الخياط، متملك تونس، وكان قد قدم من أطرابلس، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيي بن المستنصر، وقتل إبراهيم بن يحيي، فمشي أمره على الناس مدة سنة وستة أشهر. وبويع بعده الأمير أبو حفص عمر بن يحيي بن عبد الواحد في رابع عشري ربيع الآخر.

سنة أربع وثمانين وستمائة

في يوم السبت سادس عشر المحرم: ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، في الساعة السابعة بطالع برج السرطان، وكان مولده بقلعة الجبل، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق.
وقدم السلطان دمشق في ثاني عشريه، ثم سار منها ونازل حصن المرقب وهو حصن الإسبتار ثمانية وثلاثين يوما، حتى أخذه من الفرنج عنوة يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، وأخرج من فيه إلى طرابلس.
وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم

ويدعوه إلى الحضور، فوبخه تاج الدين ولامه حتى أناب ووعد بإرسال ولده.

وفي ثامن ربيع الآخر: استقر الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبي الحسن بن شمويل الطيب في رئاسة اليهود، وكتب له توقيع برئاسة سائر طوائف اليهود من الربانيين والقرائين والسامرة، بالقاهرة ومصر وسائر ديار مصر.

وفي سابع جمادى الأولى: قدم السلطان إلى دمشق، وفوض وزارة دمشق للقاضي محيي محمد بن النحاس ناظر الخزانة، عوضاً عن تقي الدين توبة التكريتي.

وفي خامس عشره: عزل طوغان عن ولاية دمشق، وبقي على ولاية البر، واستقر في ولاية دمشق عز الدين محمد بن أبي الهيجاء.

وسار السلطان من دمشق يوم الإثنين ثامن عشره، فوصل قلعة الجبل يوم الثلاثاء تاسع عشري شعبان، وكان قد أقام في تل العجول مدة أيام.

وفي سابع رمضان :قدمت رسل الفرنج بتقادم من عند الأنبرور، ومن عند الجنوية، ومن عند الأشكري.

وفي حادي عشره: استقر القاضي مهذب الدين محمد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حليقة في رئاسة الأطباء، ومعه أخواه علم الدين إبراهيم وموفق الدين أحمد، وكتب بذلك توقيع سلطاني، واستقر مهذب الدين في تدريس الطب بالمارستان.

وفي خامس عشره: استقر القاضي تقي الدين أبي الحسن على ابن القاضي شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الشيخ جلال الدين أبي محمد عبد الله بن شاس المالكي السعدي، في تدريس المدرسة المنصورية.

وفي أول ذي القعدة: وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه: وهي ثلاثة عشر طواشياً، وعشرة أفراس وفيل وكركدن وثماني نعاج، وثمانية طيور ببغاء، وثلاث قطع عود تحمل كل قطعة على رجلين، وحمل رماح قنا، وبهار حمل سبعين جملا، وقماش حمل على مائة قفص، ومن تحف اليمن مائة طبق. فقبل ذلك، وأنعم على رسله وعليه كالعادة.

وفي سادس ذي الحجة: احترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر محمد الأيكي الفارسي في مشيخة الشيوخ بخانقاه سعيد العداء، بعد وفاة الشيخ صاين الدين حسن البخاري.

وفيها استقر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بهرام الشافعي في قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن مجد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكي الماريني.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحي نائب حلب، وهو من جملة أمراء مصر بالقاهرة.

وتوفي رشيد الدين أبو محمد شعبان بن على بن سعيد البصراوي الحنفي، بدمشق عن نحو ستين سنة.

وتوفي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الشاطبي الأنصاري النحوي اللغوي الأديب المؤرخ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

وتوفي الحافظ علاء الدين أبو القاسم على بن بلبان الناصري عن اثنتين وسبعين سنة بدمشق، قدم القاهرة.
وتوفي الواعظ زين الدين أبو العباس أحمد بن الأشبيلي بالقاهرة.
وتوفي الأمير مجيد الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن تميم الدمشقي بحماة.

سنة خمس وثمانين وستمائة

في ثاني المحرم: سار الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك، فتلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابي، فتوجه معه إليها، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث الملك المسعود خضر ابن الظاهر بيبرس يطلب الأمان. فبعث إليه السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار من قلعة الجبل بالأمان فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاي في خامس صفر. واستقر الأمير عز الدين أيبك الموصلي نائب الشوبك في نيابة الكرك.
ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل في ثامنه. وقدم الأمير طرنطاي بأولاد الظاهر إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائه في ثاني عشر ربيع الأول.
وأكرم السلطان الملك المسعود وسلامش، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس، وصارا يركبان في الموكب والميادين، ورتبا يركبان مع الملك الصالح علي.
وفيه قدم راجح وزير أبي نمي يشكو من الباشقردي، ويتعذر عن تأخر حضوره فقبل السلطان عذره وطلب منه خجرة وضربا للسلطان، ووعد بإرسال ثمنها إليه.

وفي يوم الخميس رابع عشر صفر: حصل وقت العصر بناحية الغسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب :وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعداً شديداً، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان في ثخن العمود الكبير الذي لا يحضنه إلا عدة من الرجال، رأسه في عنان السماء وذنبه يلعب في الأرض، شبه الزوبعة الهائلة. وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها في السماء مثل رمية سهم وأزيد، فتقع على الأرض وتصدم بعضها بعضا، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها ببعيد.
واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرد بحمص، وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائي وهم زيادة على ألفي فارس، فما مر بشيء إلا رفعه في الهواء كرمية سهم وأكثر: فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر الثياب، وحمل خرجا من أدم فيه تطابيق نعال للخيل من حديد حتى علا رمية سهم، ورفع الجمال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض، وحمل كثيرا من الجند والغلمان، فتلف شيء كثير جدا.
ثم غاب الثعبان وقد توجه في البرية نحو المشرق، ووقع بعده مطر.
وفي سلخه: عزل محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس عن وزارة دمشق، وأعيد تقي الدين توبة.
وفي سابع رجب: توجه السلطان إلى الكرك، فوصلها وعرض حواصلها ورجالها وشحن بها ألفي غرارة قمح، وقرر بها بحرية ورتب أمورها، ونظف البركة، وجعل في نيابة الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، ونقل عز الدين أيبك إلى نيابة غزة، ثم نقله إلى نيابة صفد.
وانتهت زيادة ماء النيل في حادي عشري شعبان إلى سبعة عشر ذراعا وإصبعين.

وسار السلطان من الكرك وأقام في غاية أرسوف حتى وقع الشتاء وأمن حركة العدو، ثم عاد إلى مصر فوصل قلعة الجبل في رابع عشر شوال، فأفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسي والأمير جمال الدين أقش الفارسي.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى: استقر تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز قضاء مصر والوجه القبلي بعد وفاة وجيه الدين البهنسي. واستمر شهاب الدين محمد الخولي على قضاء القاهرة واستقر في قضاء القضاة المالكية زين الدين على ابن مخلوف ناظر الخزانة، عوضاً عن تفي الدين حسين بن عبد الرحيم بن شاس.

وفي ذي الحجة: استقر الأمير علم الدين أبو خرص الحموي نائباً بحماة. وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخي نائب حصن الأكراد وبين أهل حصن المرقب، بسبب أخذهم قافلة تجارة قتلة فيها عدة من مماليكه وجرح هو في كتفه، فكتب بمنازلة، فخرج إليه عاكز الشام، و لم تزل عليه حتى أخذته بعد حروب شديدة في يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، واستقر الطباخي نائباً به.

وفيها شنع موت الأبقار بأرض مصر، حتى إن شخصاً كان له ثلاثمائة وأربعين رأساً ماتوا بأجمعهم في نحو شهر، وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي دمشق بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيي الدين يحيي بن محمد بن على ابن محمد بن على بن عبد العزيز بن الزكي الأموي الشافعي، عن ست وأربعين سنة بدمشق.

وتوفي قاضي القضاة وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين أبي عبد الله الحسيني المهلبي البهنسي الشافعي، في مستهل جمادى الآخرة.

وتوفي جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الوائلي الشريشي المالكي بدمشق، عن أربع وثمانين سنة، قدم القاهرة.

وتوفي ناصر الدين أبو محمد عبد الله ابن إمام الدين أبي حفص عمر بن على الشيرازي البيضاوي الشافعي قاضي شيراز، بمدينة تبريز.

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين أبو على الحسين بن شوف الدين أبي الفصل عبد الرحيم بن عبد الله شاس السعدي المالكي، عن ثمانين سنة.

وتوفي المسند بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيباني الصالحي، عن ثمان وثمانين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفي الأديب معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد القهري، عن ثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفي الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن الخيمي الأنصاري، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

وفيها مات ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر حمامة المريني، في آخر المحرم. وقام من بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب. وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة.

في يوم الأحد نصف المحرم: استقر برهان الدين خضر السنجاري في قضاء القاهرة والوجه البحري، عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخوبي.

ونقل الخوبي عن قضاة القاهرة إلى قضاة دمشق، عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن محيي الدين يحيي بن محمد بن على بن الزكي. فترل قاضي القضاة برهان الدين السنجاري من القلعة، وجلس للحكم في المدرسة المنصورية بين القصرين، ورسم له أن يجلس في دار العدل فوق قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز. فشق ذلك على ابن الأعز، وسعي أن يعفي من حضور دار العدل، فلم يشعر إلا وقد مات البرهان السنجاري في تاسع صفر فجأة عن سبعين سنة، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما.

فاستقر ابن بنت الأعز في قضاء القاهرة، وجمع له بين قضاء البلدين، ونزل فصلي على السنجاري وهو بالشريف.

وفي هذه السنة: توجه الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطة على عسكر كثير لقتال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بصهيون.

وسبب ذلك أن السلطان لما نازل المرقب وهي بالقرب من صهيون، لم يحضر إليه سنقر الأشقر وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار، فأسرها السلطان في نفسه، و لم يمكن صمغار من العود إلى أبيه وحمله معه إلى مصر، واستمر الحال على ذلك حتى هذه السنة فسار طرنطاي ونازل صهيون حتى بعث الأشقر يطلب الأمان فأمنه، ونزل سنقر إليه ليسلم الحصن، فخرج طرنطاي إلى لقائه ماشيا، فترل سنقر عندما رآه وتعانقا.

وسار سنقر إلى مخيم طرنطاي، وقد خلع طرنطاي قباءه وفرشه على الأرض ليمشي عليه سنقر، فرفع سنقر القباء عن الأرض وقبله ثم لبسه، فأعظم طرنطاي ذلك من فعل سنقر وشق عليه وخجل، وأخذ يعامل سنقر من الخدمة بأتم ما يكون.

وتسلم طرنطاي حصن صهيون، ورتب فيه نائبا وواليا وأقام به رجالا، بعد ما أنفق في تلك المدة أربعمائة ألف درهم في العسكر الذي معه، فعتب عليه السلطان بسبب ثم سار طرنطاي إلى مصر ومعه سنفر الأشقر حتى قرب من القاهر فترل السلطان من قلعة الجبل، وهو وابنه الملك الصالح على، وابنه الملك الأشرف خليل، وأولاد الملك الظاهر، في جميع العساكر إلى لقاء سنقر الأشقر. وعاد به إلى القلعة، وبعث إليه الخلع والثياب والحوائص الذهب والتحف والخيول، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس وقدمه على ألف، فلازم سنقر الخدمة مع الأمراء إلى سابع عشري شهر رجب.

وخرج السلطان من قلعة الجبل سائرا إلى الشام، فأقام بتل العجول ظاهر غزة.

وفي ثاني عشري شعبان: انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا.

وفي هذه السنة: وصل من دمشق إلى القاهرة ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمن المقدسي، ليرافع قاضي القضاة بدمشق بهاء الدين بن الزكي، فوردت وفاته فعدل عنه إلى غيره.

واجتمع ناصر الدين بالأمير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الدولة، وقرر معه أن ملكة خاتون ابنة الأشرف موسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب باعت أملاكها بدمشق، وأنه يثبت سفهها، وأن عمها الصالح عماد الدين

إسماعيل كان قد حجر عليها وذلك حتى يسترجع الأملاك ممن اشتراها، ويرجع عليهم .بما أخذوه من ريعها، ثم يشتري الأملاك للخاص. فأعجب ذلك الشجاعي، وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامري من دمشق، فإنه ابتاع قرية حرزما، فوصل إلى القاهرة في رمضان، وطولب بالقرية المذكورة فادعي أنه وقفها، فأخذ ابن الشيخ عبد الرحمن في عمل محضر بأن ابنة الأشرف حال بيع حرزما وغيرها كانت سفيهة من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا، ثم إنها صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا، ولفق بينة شهدت عند بعض القضاة، وأثبت ذلك. فبطل البيع من أصله، وألزم السامري بما استأداه من ريع حرزما عن عشرين سنة، وهو مبلغ مائتي ألف وعشرة آلاف درهم من فضة، واعتد له بنظير الثمن الذي دفعه، واشتري منه أيضاً سبعة عشرة سهماً من قرية الزنبقية. بمبلغ تسعين ألف درهم، وحمل بعد ذلك مبلغ مائة ألف وأربعين ألف درهم إلى بيت المال.

واستقر ابن الشيخ عبد الرحمن وكيل السلطان، فشرع في فتح أبواب البلاء على أهل الشام، وعمل عيد الفطر يوم الأحد من رؤية. وإنما ثبت عند الملك الصالح على أن السلطان صام شهر رمضان في مدينة غزة يوم الجمعة على الرؤية، فأثبت القاضي المالكي أن أول شوال يوم الأحد، فأمسك كثير من الناس عن الفطر، وأفطروا يوم الإثنين. وأما السلطان فإنه عاد من تل العجول، ووصل قلعة الجبل في ثالث عشري شوال.
وفي سادس ذي الحجة: توجه الأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط متولي القاهرة، والأمير عز الدين الكوراني، إلى غزو بلاد النوبة. وجرد السلطان معهما طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلي والقراغلامية، وكتب إلى الأمير عز الدين أيدمر السيفي السلاح درا متولي قوص أن يسير معهما بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم: وهم أولاد أبي بكر وأولاد عمر، وأولاد شيبان وأولاد الكتز وبني هلال، وغيرهم. فسار الخياط في البر الغربي بنصف العسكر، وسار أيدمر بالنصف الثاني من البر الشرقي، وهو الجانب الذي فيه مدينة دمقلة.
فلما وصل العسكر أطراف بلاد النوبة أخلي ملك النوبة سمامون البلاد، وكان صاحب مكر ودهاء وعنده بأس. وأرسل سمامون إلى نائبة بجوائز ميكائيل وعمل الدو واسمه جريس ويعرف صاحب هذه الولاية عند النوبة بصاحب الجبل يأمره بإخلاء البلاد التي تحت يده أمام الجيش الزاحف، فكانوا يرحلون والعسكر وراءهم منزلة بمنزلة حتى وصلوا إلى ملك النوبة بدمقلة، مخرج سمامون وقاتل الأمير عز الدين أيدمر قتالاً شديداً، فانهزم ملك النوبة وقتل كثير ممن معه واستشهد عدة من المسلمين. فتبع العسكر ملك النوبة مسيرة خمسة عشر يوما من رواء دمقلة إلى أن أدركوا جريس وأسروه، وأسروا أيضاً ابن خالة الملك وكان من عظمائهم، فرتب الأمير عز الدين في مملكة النوبة ابن أخت الملك، وجعل جريس نائبا عنه، وجرد معهما عسكراً، وقرر عليهما قطعة يحملانها في كل سنة، ورجع بغنائم كثيرة ما بين رقيق وخيول وجمال وأبقار وأكسية.
وفي هذه السنة: أمطرت المدينة النبوية في ليلة الرابع من المحرم مطراً عظيما فوكفت سقوف المسجد النبوي والحجرة الشريفة، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول ثم عقب ذلك جراد عظيم صار له دوي كالرعد، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع، وكانت الأعين قد أتلفها السيل، وخرب عين الأزرق حتى عادت ملحاً أجاجا، فكتب بذلك إلى السلطان، وأن الحجرة الشريفة عادتها أن تشمسي في زمن الخلفاء إذا ولي الخليفة، فلا تزال حتى يقوم خليفة آخر فيشمسوها، وأن المنبر والروضة يبعث بكسوتها في كل سنة،

وإنهما يحتاجان إلى كسوة.

وفيها جهز السلطان هدية سنية إلى بر بركة، ومبلغ ألفي دينار برسم عمارة جامع قرم، وأن تكتب عليه ألقاب السلطان، وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ.

وفيها نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشي بن جنكزخان عن مملكه التتر ببلاد الشمال. وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا ابن منكوتمر بن طغان، فملكوه عوض تدان.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن بن علي السنجاري الشافعي، في تاسع صفر، عن سبعين سنة.

وتوفي قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن القسطلاني التوزري المالكي، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وقد أناف على السبعين.

وتوفي عز الدين أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصقلي الحراني المسند المعمر، وقد أناف على التسعين، بالقاهرة.

وتوفي الأديب ضياء الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عفيف الأنصاري الغرناطي بالإسكندرية، وقد أناف على التسعين.

وتوفي أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي المالكي، بالإسكندرية.

وتوفي بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الأنصاري الجياني النحوي بدمشق، وقد أناف على الأربعين.

وتوفي الأديب شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بنيمان بن أبي الجيش بن عبد الجبار بن سليمان الإربلي الحلبي الشاعر بدمشق، عن تسعين سنة.

وتوفي أبو الحسن فضل بن على بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي ببلبيس.

وتوفي الطيب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربيعي الدنيسري بدمشق، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفي الشيخ إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي، بناحية دسوق من الغربية، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة تخمينا، وقبره إحدى المزارات التي تحمل إليها النذور ويتبرك بها.

سنة سبع وثمانين وستمائة

في المحرم: استدعى ناصر الدين محمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن موسى أبو المكارم، المعروف بابن المقدسي، جماعة من أهل دمشق إلى القاهرة، فحضر عز الدين حمزة بن القلانسي، ونصير الدين بن سوند، وشمس الدين محمد بن يمن، والجمال بن صصرى، وقاضي القضاة حسام الدين الحنفي، والصاحب تقي الدين توبة، وشمس الدين بن غانم، وغيره.

فألزم القلانسي بمائة وخمسين ألف درهم، وابن سويد بثلاثين ألف درهم، وابن يمن عن قيمة أملاك مائة ألف درهم وتسعين ألف درهم، وابن صصرى بثلاثمائة ألف درهم، وحسام الدين بثلاثة آلاف درهم، وابن غانم بخمسة آلاف درهم.

فاعتذروا إنهم قد حضروا على البريد، وأن أموالهم بدمشق، وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فخافه الشجاعي إنهم إذا دخلوا دمشق تشفعوا فسومحوا بما عليهم، فطلب تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا، ففعلوا ذلك.

وكتب على الدماشقة مساطير بما اقترضوه من تجار الكارم، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المال، وأذن لهم في العود إلى دمشق، فلم يجدوا بدا من وفاء التجار.

ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق، فانتدب النجيب كاتب بكجري أحد مستوفيي الدولة لمرافعة الشجاعي، وبرز له بمرافقة القاضي تقي الدين نصر الله بن فخر الدين الجوجري، وأنهى إلى السلطان عنه أموراً وحاققه بحضرته السلطان.

ومما قاله إنه باع جملة من السلاح ما بين رماح ونحوها مما كان في الذخائر السلطانية للفرنج، فلم ينكر الشجاعي ذلك، وقال: بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة، فالغبطة أنني بعتهم من الرماح والسلاح ما عتق وفسد وقل الانتفاع به، وأخذت منهم أضعاف ثمنه، والمصلحة أن تعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هوانا بهم، واحتقاراً بأمرهم وعدم مبالاة بشأنهم. فمال السلطان لذلك وقبله.

فقال النحيب: يا مكثل الذي خفي عنك أعظم مما تحت هذا الكلام أنت صورته بخاطرك لتعده جوابا، وأما الفرنج وسائر الأعداء فلا يحملون بيع السلاح لهم على ما زعمت أنت، ولكنهم يشيعون فيما بينهم، ويتناقله الأعداء إلى أمثالهم، بأن صاحب مصر والشام قد احتاج حتى باع سلاحه لأعدائه.

فلم يحتمل السلطان هذا، وغضب على الشجاعي وعزله في يوم الخميس ثاني شهر ربيع الأول، وأمر بمصادرته على جملة كثيرة من الذهب، وألزمه ألا يبيع في ذلك شيئا من خيله ولا سلاحه ولا رخته، بل يحمل المطلوب ذهباً، وعصره بالمعاصير بين يديه حتى حمل ما طلب منه.

فبلغه الناس ما اعتمده الشجاعي من الظلم في مصادرة جماعة، وأن في سجنه كثيراً من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم في السجن، وباعوا موجودهم حتى أعطوه في التراسيم، وفيهم من استعلى وسال بالأوراق. فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بغدي الدوداري بالكشف عن أمر المصادرين ومطالعته بحالهم، فخرج لذلك وسأل، فكثرت القالة بما فيه أهل السجون من الفاقة والضرورة، ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاي، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم.

وفي ليلة الاثنين سادس عشره: وقع الحريق بخزائن السلاح والمشهد الحسيني بالقاهرة. فطفئ.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره: استقر في الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا، عوضاً عن سنجر الشجاعي، بعدما عرضت على قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز، ويعتمد ما يشير به. وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان، وهو يومئذ ناظر الخزانة، ويقول له: يا قاضي إيش حال ولدك بيدرا في وزارته،؟ فيقول: يا خوند ولد صالح دخلت بولايته الجنة، وأزلت الظلم، واستجلبت لك الدعاء، والذي كان يحصل بالعسف حصل باللطف.

وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرر معه ما يفعل، ثم استناب بيدرا ضياء الدين عبد الله النشائي وصار يجلس معه.

واستقر تقي الدين نصر الله في نظر الدواوين شريكا لثلاثة، وهم: تاج الدين بن السنهوري، وكمال الدين الحرابي، وفخر الدين بن الحلبي صاحب ديوان الصالح على، وخلع عليه.
وفي أول ربيع الآخر: استقر الجمال بن صصرى في نظر الدواوين بدمشق، وخلع عليه وسافر من القاهرة هو والقاضي تاج الدين بن النصيبني كاتب الدرج بحلب، بعدما أفرج عنه.
وفيه أيضاً استقر ركن الدين بيبرس أمير جاندار بدمشق، وسافر هو وشمس الدين، بن غانم، وقد سومح. بما كان قد قرر عليه.
واستقر تقي الدين توبة في نظر الدواوين بدمشق أيضاً. وتوجه ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسي إلى دمشق، متحدثا في وكالة السلطان ونظر سائر الأوقاف الشامية، ونظر الجامع الأموي والمارستان النوري وبقية المارستانات، ونظر الأشراف والأيتام والأسري والصدقات والخوانك والربط والأسود وغير ذلك.
وسافر معه شمسي الدين القشتمري، وصارم الدين الأيدمري ليكونا مشدين.
فقدم دمشق وتتبع عوارت الناس، وتصدي لإثبات سفه من با ع شيئاً من الأملاك كما فعل في أمر ابنة الأشرف، فلم يوافقه القضاة بدمشق ولا النائب، وشر ع في مناكدة الناس.
وفي تاسعه: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، بعد ما أخذ منه خمسة وستون ألف دينار عينا، سوي ما أخذ السلطان وغيره من موجوده.
وعزل بيدرا عن الوزارة في تاسع عشره، واستدعى قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، وخلعت عليه خلع الوزارة ونزل. فتعفف عن التصرف والكتابة في أشياء، وباشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة، وصار يجلس في اليوم الواحد تارة في دست الوزارة وتارة في مجلس الحكم وتارة في ديوان الحكم، و لم يوف منصب الوزاره حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية. ثم ثقلت عليه الوزارة فتوفر منها، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها في وكان حينئذ أمير مجلس، ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة، واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية.
وفيه كتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر وبلاد الشام، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر، وسير مع التجار.
وفي أول جمادى الأولى: وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسروري الخياط من دمقلة، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها، وأخذ تيجانهم ونسائهم. وكان الكتاب على يد ركن الدين منكورس الفاقاني، فخلع عليه وكتب معه الجواب بإقامة الأمير عز الدين أيدمر وإلى قوص بدمقلة، ومعه من رسم لهم من المماليك والجند والرجال، وأن يحضر الأمير علم الدين ببقية العسكر. وجهز من قلعة الجبل سعد ابن أخت داود، ليكون مع الأمير أيدمر لخبرته بالبلاد وأهلها، فسار وقد أعطي سيفا محلى، فأقام بقوص.
وفيه استقر زين الدين، بن رشيق في قضاء الإسكندرية، عوضاً عن زين الدين بن المنير.

وفي سابع عشره وهو خامس عشر بؤونة من أشهر القبط: أخذ قاع النيل بمقياس الروضة، فكان أربعة أذرع وستة وعشرين أصبعا. فيه فوضت حسبة دمشق لشرف الدين أحمد بن عيسى السيرحي.

وفي تاسع رجب: وصل الأمير علم الدين سنجر المسروري من بلاد النوبة، ببقية العسكر المخلف بدمقلة مع عز الدين أيدمر، ووصل معه ملوك النوبة ونساؤهم وتيجانهم وعدة أسري كثيرة، فكان يوما مشهودا.

وفرق السلطان الأسري على الأمراء وغيرهم، فتهاداهم الناس، وبيعوا بالثمن اليسير لكثرتهم.

وخلع على الأمير علم الدين وعمل مهمندارا عوضاً عن الأمير شرف الدين الجاكي، بحكم استقراره في ولاية الإسكندرية عوضاً عن حسام الدين بن شمس الدين ابن باخل، بحكم عزله والقبض عليه ومصادرته.

وأما النوبة فإنه عامون ملكها رجع بعد خروج العسكر إلى دمقلة، وحارب من بها وهزمهم، وفر منه الملك وجرتس والعسكر المجرد، وساروا إلى القاهرة، فغضب السلطان وأمر بتجهيز العسكر لغزو النوبة.

وفي يوم الأحد خامس عشره: خرج السلطان مبرزا بظاهر القاهرة يريد الشام، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السماط، ثم عاد الصالح إلى قلعة الجبل آخر النهار، فتحرك عليه فؤاده في الليل وكثر إسهاله الدموي وأفرط، فعاد السلطان لعيادته في يوم الأربعاء ثامن عشره ولم يفد فيه العلاج، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح، فعاد إلى القلعة.

وصعدت الخزائن في يوم الثلاثاء أول شعبان، وطلعت السناجق والطلب في يوم الأربعاء ثانيه .فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا كبدية، وتحدثت طائفة بأن أخاه الملك الأشرف خليلا سمه.

فحضر الناس للصلاة عليه، وصلي عليه بالقلعة قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز إماماً، والسلطان خلفه في بقيه الأمراء والملك الأشرف خليل. ثم حملت جنازته، وصلي عليه ثانيا قاضي القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطبي الحنفي خارج القلعة، ودفن بتربة أمه قريباً من المشهد النفيسي.

وترك الصالح ابنا يقال له الأمير مظفر الدين موسى، من زوجته منكبك ابنة نوكاي. واشتد حزن السلطان عليه، وجلس للعزاء في يوم الأحد ثالث يوم وفاته بالإيوان الكبير. وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالمماليك، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعرا ولا يلبس ثوب حداد ولا يغير زيه.

وفي مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا له، وبعث إلى الشيخ محمد المرجاني يدعوه فأبي أن يجتمع به، فحل إليه مع الطواشي مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتا للفقراء، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالي، فقال له: سلم على السلطان، وقل له متى رأيت فقيراً يطلب أحدا من الله؟ فإن فرغ أجله فالله ما ينفعه أحد، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش. ورد المال فلم يقبل منه شيئا.

وطلع الشيخ عمر خليفة الشيخ أبي السعود إلى السلطان، وقد دعاه ليدعو للصالح، فقال له: أنت رجل بخيل ما يهون عليك شيء، ولو خرجت للفقراء عن شيء له صورة لعملوا وقتاً، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان يتعافى .فأعطاه السلطان خمسة آلاف درهم عمل بها سماعاً، ثم عاد إلى السلطان وقال: طيب خاطرك، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك، وقد وهبه لهم. فلم يكن غير قليل حتى مات الصالح.

فرأي السلطان في صبيحته الشيخ عمر هذا، فقال له: يا شيخ عمر أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدي من الله

ووهبه لهم، فقال على الفور: نعم الفقراء طلبوه، ووهبهم إياه ألا يدخل جهنم، ويدخله الجنة، فسكت السلطان.

وفي حادي عشر شعبان: فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر، وعبر إلى القاهرة وخرج من باب زويلة، وصعد إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم في خدمته، ودقت البشائر. وحلف القضاة له جميع العسكر، وخلع على سائر أهل الدولة، وخطب له بولاية العهد واستقر على قاعدة أخيه الصالح على، وكتب بذلك إلى سائر البلاد، وكتب له تقليد فتوقف السلطان من الكتابة عليه.

وفي ثاني شهر رمضان: استقر في حسبة دمشق شمس الدين محمد بن السلموس، عوضاً عن ابن السيرجي.

وفي رابع شوال: استقر بدر الدين محمد بن جماعة خطيباً بالقدس، عوضاً عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيي بن إبراهيم القرشي القدسي، بحكم وفاته، وكانت ذلك بعناية الأمير علم الدين سنجر الدواداري، لصحبة بينهما.

واستقر في تدريس القيمرية بدمشق عوضاً عن ابن جماعة علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز في سابع عشره.

وفي ذي الحجة: استقر علم الدين سنجر المسروري في ولاية البهنسا، وولي معه عز الدين مقدام نظرها، واستقر قاضي القضاة جمال الدين الزواوي في قضاء الملكية بدمشق.

وفي هذه السنة: ورد كتاب نائب الشام بأن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم، وصار بأيديهم عدة أسري. وكانوا لما ملك السلطان قلعة المرقب قد بعثوا إليه هدية، وصالحوه على ألا يتركوا عندهم أسيراً، و لا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر، فتجهز المسلطان لأخذ طرابلس.

وفيها قدم الشريف جماز بن شيحة من المدينة النبوية وملك مكة، فجاء الشريف أبو نمي في آخر السنة وملكها منه.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وقد أناف على الثلاثين، في رابع شعبان.

وتوفي تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري الشافعي، عن سبع وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفي المجد أبو المعالي محمد بن خالد بن حمدون الهذباني الحموي الزاهد المحدث، عن ثمانين سنة بحلب، قدم القاهرة.

وتوفي خطيب القدس قطب الدين أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيي بن إبراهيم بن على بن جعفر القرشي الزهري، وقد أناف على الثمانين.

وتوفي البرهان أبو عبد الله محمد بن محمد النسفي الحنفي، ببغداد عن نحو تسعين سنة وتوفي أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الشافعي المحدث،

عن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة النبوية.
وتوفي الأديب الشاعر ناصر الدين أبو محمد الحسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكناني وقد أناف على سبعين سنة، بالقاهرة.
وتوفي الحكم علاء الدين أبو الحسن على بن أبي الحزم ابن النفيس القرشي الدمشقي وليس الأطباء، عن نحو ثمانين سنة بالقاهرة.

سنة ثمان ثمانين وستمائة

في يوم الخميس عاشر المحرم: خيم السلطان بظاهر القاهرة، ورحل في خامس عشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلا بالقلعة، والأمير بيدرا نائباً عنه ووزيرا، وكتب عند الرحيل إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس.
وسار إلى دمش فدخلها في ثالث عشر صفر، وخرج منها في العشرين منه إلى طرابلس فنانزلها، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوان من جهة متملك قبرص.
فوالى السلطان الرمي بالمجانيق عليها والزحف والنقوب في الأسوار، حتى افتتحها عنوة في السلعة السابعة من يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، بعدما أقام عليها أربعة وثلاثين يوما، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً، وعمل فيها ألف خمسمائة نفس من الحجارين والزرافين. وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس فخاض الناس فرساناً ورجالاً وأسروهما وقتلوهم وغنموا ما معهم، وظفر الغلمان والأوشاقية بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل، وكثرت الأسري حتى صار إلى زردخاناه السلطان ألف ومائتا أسير.
واستشهد من المسلمين الأمير عز الدين معن، والأمير ركن الدين منكورس الفارقاني، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة.
وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت، وكان عرض سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالخيل، ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نول قزازاة.
وأقر السلطان بلدة حبيل مع صاحبها على مال أخذه منه، وأخذ بيروت، وجبلة وما حولها من الحصون.
وعاد السلطان إلى دمشق في نصف جمادى الأولى، واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي.
ونزل البزك إلى طرابلس من حصن الأكراد وأضيف إلى الطباخي، واستقر معه خمسمائة جندي وعشرة أمراء طبلخاناه، وخمسة عشر أمراء عشرات، وأقطعوا إقطاعات. ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينة جليلة، وهي التي تعرف اليوم بطرابلس.
وقدم على السلطان وهو بطرابلس رسل سيس يسألون مزاحمة، فطلب منهم مرعش وبهنا والقيام بالقطيعة على العادة، وأعادهم وقد خلع عليهم.
وخرج الأمير طرنطاي نائب السلطنة إلى حلب. وأقام الأمير سنجر الشجاعي متحدثا في الأموال بدمشق، فأوقع الحوطة على تقي الدين توبة، وأخذ حواصله وباعها على الناس بأغلى الأثمان حتى جمع من ذلك خمسمائة ألف درهم، فخاف منه الناس وفر كثير. منهم وعاد طرنطاي في سابع رحب.

وورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامش وخضرا ابني السلطان الظاهر بيبرس قد راسلا الظاهرية، وأنه يخشى عاقبة ذلك. فكتب السلطان بأن يخرجا وأمهما إلى ثغر الإسكندرية، ويحملوا في البحر إلى بلاد الأشكري، فأخرجوا ليلا.
وكان في ذلك أعظم عبرة: فإن الظاهر بيبرس أخرج قاقان وعليا ابني المعز أيبك إلى بلاد الأشكري ومعهما أمهما، فعوقب. بمثل ذلك وأخرج ولداه وأمهما ليجزي الله كل نفس بما كسبت.
وخرج السلطان من دمشق في ثاني شعبان، ومعه تقي الدين توبة مقيدا، وقد نال أهل دمشق ضرر كبير.

فدخل السلطان قلعة الجبل في آخر شعبان، وجرد الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندرا إلى بلاد النوبة، ومعه من الأمراء قبجاق المنصوري وبكتمر الجوكندار وأيدمر وإلى قوص، وأطلاب كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلي ونواب الولاة، ومن عربان الوجهين القبلي والبحري عدة أربعين ألف راجل، ومعهم متملك النوبة وجريس فساروا في ثامن شوال، وصحبتهم خمسمائة مركب ما بين حراريق ومراكب كبار وصغار تحمل الزاد والسلاح والأثقال. فلما وصلوا ثغر أسوان مات متملك النوبة، فدفن باسوان .فطالع الأمير عز الدين الأفرم السلطان بموته، فجهز إليه من أولاد أخت الملك داود رجلا كان بالقاهرة ليملكه، فأدرك العسكر على خيل البريد بأسوان وسار معه. وقد انقسموا نصفين: أحدهما الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق في نصف العسكر من الترك والعرب في البر الغربي، وسار الأمير أيدمر وإلى قوص والأمير بكتمر بالبقية على البر الشرقي، وتقدمهم جريش نائب ملك النوبة ومعه أولاد الكتر ليؤمن أهل البلاد ويجهز الإقامات. فكان العسكر إذا قدم إلى بلد خرج إليه المشايخ والأعيان، وقبلوا الأرض وأخذوا الأمان وعادوا، وذلك من بلد الدو إلى جزائر ميكائيل، وهي ولاية جريس وأما ما عدا ذلك من البلاد التي لم يكن لجريس عليها ولاية، من جزائر ميكائيل إلى دمقلة، فإن أهلها جلوا عنها طاعة لمتملك النوبة. فنهبها العسكر وقتلوا من وجدوه بها، ورعوا الزروع وخربوا السواقي إلى أن وصلوا مدينة دمقلة، فوجدوا الملك قد أخلاها حتى لم يسبق بها سوي شيخ واحد عجوز، فأخبرا أن الملك نزل بجزيرة في بحر النيل بعدها عن دمقلة خمسة عشر يوماً. فتتبعه وإلى قوص، ولم يقدر مركب على سلوك النيل هناك لتوعر النيل بالأحجار. وقال في ذلك الأديب ناصر الدين بن النقيب، وكان ممن جرد إليها :

يا يوم دمقلة ويوم عبيدها   من كل ناحية وكل مكان
من كل نوبي يقول لأخته   نوحي قد سكوا قفا السودان

ومات في هذه السنة من الأعيان

كاتب الإنشاء بحماة نجم الدين أبو محمد عبد الغفار بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن المغيزل العبدي الحموي بها، عن أربع وستين سنة.
وتوفي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الأصبهاني، عن اثنين وسبعين سنة بالقاهرة.
وتوفي الأديب شمس الدين محمد بن العفيف أبي الربيع سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدي التلمساني.

وتوفي علم الدين أبو العباس أحمد بن يوسف عبد الله بن على الشهير بابن الصاحب صفي الدين بن شكر، بعدما تغير عقله، وقد أناف على الستين.

سنة تسع وثمانين وستمائة

في المحرم: سار الأمير طرنطاي النائب إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر كبير، فوصل إلى طوخ تجاه قوص، وقتل جماعة من العربان، وحرق كثيرا منهم بالنار، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحا ورهائن من أكابرهم. وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتي فرس وألف جمل، وسلاح لا يقع عليه حصر.
وفيه توجه الأمير سيف الدين التقوي ومعه ستمائة فارس ليترل بطرابلس وهو أول جيش استخدم بطرابلس بعد فتحها، وكان العسكر قبل ذلك بالحصون.
وفي ربيع الأول استدعى الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق إلى القاهرة على البريد، فلما حضر أكرمه السلطان وأكد عليه في تحصيل الأموال، وأضاف إليه الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل وديوان الجيش، وخلع عليه. فعاد إلى دمشق في العشرين من ربيع الآخر، وقد زاد تجبره وكثر تعاظمه.
وفي جمادى الأولى: قبض على الأمير سيف الدين حرمك الناصري لمطاوصة جرت بينه وبين الأمير طرنطاي النائب، أغلظ عليه فيها بحضرة الأمراء.
وفي أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين حسن بن أحمد بن أبي عمر بن قدامه المقدسي في قضاة الحنابلة بدمشق، بعد وفاة قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن القدسي الحنبلي، بأمر السلطان. وكتب توقيعه عن الأمير حسام الدين نائب الشام، في تاسع الشهر.
وفيه وصل وإلى قوص. ممن معه إلى تجاه الجزيرة التي بها عامون ملك النوبة، فرأوا
بها عدة من مراكب النوبة، فبعثوا إليه في الدخول في الطاعة وأمنوه فلم يقبل. فأقام العسكر تجاهه ثلاثة أيام، فخاف من مجيء الحراريق والمراكب إليه، فانهزم إلى جهة الأبواب، وهي خارجة عن مملكته وبينها وبين الجزيرة التي كان فيها ثلاثة أيام. ففارقة السواكرة وهم الأمراء وفارقه الأسقف والقسوس، ومعهم الصليب الفضة الذي كان يحمل على رأس الملك وتاج الملك، وسألوا الأمان فأمنهم وإلى قوص وخلع على أكابرهم، وعادوا إلى مدينة دمقلة وهم جمع كبير.
فعند وصولهم عدي الأمير عز الدين الأقرم وقبجاق إلى البر الشرقي، وأقام العسكر مكانه. واجتمع الأمراء بدمقلة، ولبس العسكر آلة الحرب وطلبوا من الجانبين، وزينت الحراريق في البحر ولعب الزراقون بالنفلط. ومد الأمراء السماط في كنيسة أسوس أكبر كنائس دمقلة وأكلوا، ثم ملكوا الرجل الذي بعثه السلطان قلاوون وألبسوه التاج، وحلفوا وسائر الأكابر، وقرروا البقط المستقر أولا، وعينوا طائفة من العسكر تقيم عندهم وعليها بيبرس العزي مملوك الأمير عز الدين وإلى قوص .وعاد العسكر إلى أسوان بعدما غاب عنها ستة أشهر، وساروا إلى القاهرة في آخر جمادى الأولى بغنائم كثيرة. وأما سمامون فإنه عاد بعد رجوع العسكر إلى دمقلة مختفياً، وصار بطريق باب كل واحد من السواكرة ويستدعيه، فإذا خرج ورآه قبل له الأرض وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه سائر عسكره. وزحف عامون بعسكره على دار الملك، وأخرج بيبرس العزي ومن معه إلى قوص، وقبض على الذي تملك موضعه وعراه من ثيابه، وألبسه جلد ثور كما ذبح بعدما قده سيوراً

ولفها عليه، ثم أقامه مع خشبة وتركه حتى مات، وقتل جريس أيضاً. وكتب عامون إلى السلطان يسأله العفو، وأنه يقوم بالبقط المقرر وزيادة، وبعث رقيقا وغيره تقدمة فقبل منه، وأقره السلطان بعد ذلك بالنوبة.
وفي ثاني عشري جمادى الآخرة: كتب بالكشف على ناصر الدين بن المقدسي وكيل السلطان بالشام، فظهرت له أفعال منكرة، وقبض عليه في تاسع رجب وضرب بالقارع وألزم بمال. ثم رسم بحمله إلى القاهرة، فوجد في يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شنق نفسه فحضر أولياء والقضاء والشهود وشاهدوه على تلك الصورة، وكتبوا محضرا بذلك، ودفن واستراح الناس من شره.
وفي رابع رجب: استقر الأمير عز الدين أيبك الموصلي في تقدمة العسكر بغزة والساحل، عوضاً عن الأمير آقسنقر كرتيه.
وفي شعبان: خرج مرسوم السلطان ألا يستخدم أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى في شيء من المباشرات الديوانية، فصرفوا عنها.
وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم، فغضب السلطان وكتب إلى البلاد الشامية بعمل مجانيق وتجهيز زردخاناة لحصار عكا. وذلك أن الظاهر بيبرس هادنهم، فحملوا إليه وإلى الملك المنصور هديتهم في كل سنة، ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار، فأخرج لهم السلطان الأمير شمس الدين سنقر المساح على عسكر، ونزلوا اللجون على العادة في كل سنة، فإذا بفرسان من الفرنج بعكا قد خرجت فحاربوهم، واستمرت الحرب بينهم وبين أهل عكا مدة أيام. وكتب إلى السلطان بذلك، فأخذ في الاستعداد لحربهم.
فضرع الأمير شمس الدين سنقر الأعسر في عمل ذلك، وقرر على ضياع المرج وغوطة. دمشق مالاً على كل رجل ما بين ألفي درهم إلى خمسمائة درهم، وجبي أيضاً من ضياع بعلبك والبقاع. وسار إلى واد بين جبال عكا وبعلبك لقطع أخشاب المجانيق، فسقط عليه ثلج عظيم كاد أن يهلكه، فركب وساق وترك أثقاله وخيامه لينجو بنفسه، فطمها الثلج تحته إلى زمن الصيف، فتلف أكثرها. وفي سادس شوال: أفرج عن الأمير الكبير علم الدين سنجر الحلبي، فكانت مدة اعتقاله خمس سنين وتسعة أشهر وأياما.

وفي آخر شوال: برز السلطان بظاهر القاهرة، ونزل. بمخيمه بمسجد تبر، يريد فتح عكا. فأصابه وعك في أول ليلة وأقام يومين بغير ركوب، ثم اشتد مرضه وصار الأشرف يترل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود. فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخبر بحركة العرب ببلاد الصعيد، فأخرج النائب طرنطاي قراقوش الظاهري والأمير أبا شامة لتدارك ذلك. واشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة في ليلة السبت سادس ذي القعدة، فحمل إلى القلعة ليلا، وعادت الأمراء إلى بيوتها. وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يوما، وعمره نحو سبعين سنة. وترك ثلاثة أولاد ذكورا أشهر وأياماً: وهم الملك الأشرف خليل الذي ملك بعده، والملك الناصر محمد وملك أيضاً، والأمير أحمد وقد مات في سلطة أخيه الأشرف. وترك من البنات ابنتين: وهما ألتطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر، وزوجة واحدة وهي أم الناصر محمد. وناب عنه بمصر الأمير عز الدين أيبك الأفرم ثم استعفي، فاستقر بعده حسام الدين طرنطاي حتى مات السلطان. وكان نائبة بدمشق بعد سنقر الأشقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المعروف بالصغير، ونوابه بحلب الأمير جمال الدين أقش الشمسي، فلما مات جمال الدين استقر

الأمير علم الدين سنجر الباشقردي، وصرف بالأمير قراسنقر الجوكندار. وناب عنه بحصن الأكراد بلبان الطباخي، وبصفد علاء الدين الكبكي، وبالكرك أيبك الموصلي ثم بيبرس الدودار. ووزر له الصاحب برهان الدين خضر السنجاري مرتين، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان، ونجم الدين حمزة الأصفوني، وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وكان يلي شد الدواوين .فإذا لم يكن في الدولة وزير تحدث في الوزارة، ثم استقل بالوزارة بعد الأصفواني، وكان جباراً عسوفاً مهيباً يجمع المال من غير وجهه، فكرهه كل أحد وتمنوا زوال دولة المنصور من أجله ثم الأمير بدر الدين بيدرا، ومات المنصور وبيدرا وزير. وبلغت عدة مماليكه اثنا عشر ألف مملوك، وقيل سبعة آلاف وهو الصحيح. تأمر منهم كثير، وتسلطنت جماعة. وكان قد أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الآص والجركس، وجعلهم في أبراج القلعة وسماهم البرجية. وكان جميل الصورة مهيباً، عريض المنكبين قصير العنق، فصيحاً بلغة الترك والقبجاق، قليل المعرفة بالعربية.

السلطان صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد سابع ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة، وجدد العسكر له الحلف في يوم الاثنين ثامنه.

وطلب السلطان الملك الأشرف من القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية العهد، فأخرجه إليه مكتوبا بغير علامة الملك المنصور .وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض، وتكرر طلب الأشرف له، وابن عبد الظاهر يقدمه والمنصور يمتنع إلى أن قال له: يا فتح الدين أنا ما أولي خليلا على المسلمين فلما رأي الأشرف التقليد بغير علامة قال: يا فتح الدين إن السلطان امتنع أن يعطيني، وقد أعطاني الله، ورمي إليه التقليد، فما زال عند ابن عبد الظاهر.

ثم إن الأشرف خلع على سائر أرباب الدولة، وركب بشعار السلطنة في يوم الجمعة ثاني عشره بعد الصلاة، وسير إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق الخيل والأمراء والعساكر في خدمته. وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعا، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاي يريد الفتك به إذا قرب من باب الإصطبل. فلما سير أربعة ميادين، وقد وقف طرنطاي ومن وافقه عند باب سارية، وحاذي السلطان باب الإسطبل، وفي الظن إنه يعطف إلى نحو باب سارية ليكمل التيسير على العادة، حرك فرسه يريد القلعة وعبر من باب الإسطبل، فساق طرنطاي بمن معه سوقا حثيثا ليدركه ففاته. وبادر الأشرف بطلب طرناي، فمنعه الأمير زين الدين كتبغا أن يدخل إليه وحذره منه، فقال: والله لو كنت نائما ما جسر خليل ينبهني، وغره إعجابه بنفسه وكثرة أيام سلامته، ودخل ومعه الأمير زين الدين كتبغا .فعندما وصل إلى حضرة الأشرف قبض عليه وعلى كتبغا وسجنا، وقتل طرنطاي في يوم الإثنين خامس عشره وقيل يوم الخميس ثامن عشره بعد عقوبة شديدة، وترك بعد قتله في مجلسه ثمانية أيام، ثم أخرج ليلة الجمعة سادس عشريه في حصير على جنوية إلى القرافة، فغسل بزاوية أبي السعود وكفنه شيخنا صدقة عنه، ودفنه بظاهر الزاوية ليلا. فلما تسلطن كتبغا نقله إلى مدرسته بالقاهرة ودفنه

بها، وهو إلى اليوم هناك.

وكان سبب قتله كراهة الأشرف له من أيام أبيه، فإن طرنطاي كان يطرح جانب الشرف، ويهين نوابه ومن ينسب إليه، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه. و لم يتلاف ذلك بعد موت الصالح، بل جري على عادته في إهانة من ينسب إليه، وأغري الملك المنصور بشمس الدين السلعوس ناظر ديوان الملك الأشرف حتى ضربه وصرفه. ثم وشي به إلى الأشرف أنه يريد القبض عليه عند ركوبه إلى الميدان، ويقال إنه لما دخل عليه وجد لابساً عدة الحرب، وعندما قبض على طرنطاي نزل الشجاعي - وكان عدوه - إلى داره، وأوقع الحوطة على موجوده، فوجد له من الذهب العين ألف ألف وستمائة ألف دينار مصرية، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصري، ومن العدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال، والآلات والأملاك والنحاس المكفت والمطعم والزردخاناه والسروج واللجم، وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه، والحوائص والبضائع والمقارضات والودائع، والقنود والأعسال ما لا يحصر.

ولما حملت أموال طرنطاي إلى الأشرف قال: من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المني، وبعد أيام من مقتل طرنطاي سئل ولده الحضور، فلما وقف بين يدي الأشرف إذا هو أعمي، فبكي ومد يده كهيئة السؤال وقال: شيء وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون، فرق له السلطان، وأفرج عن أملاك طرنطاي، وقال: تبلغوا بريعها.

وفيه ولي شرف الدين الحسين بن قدامة في قضاء الحنابلة بدمشق، بعد موت نجم الدين أحمد بن قدامة، وتحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في النيابة بعد طرنطاي، من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له تقليد النيابة، ثم استقر في نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا، وخلع عليه.

وفي تاسع عشر ذي القعدة: طلب الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بالشام، فحضر في ذي الحجة، فأمر الأشرف بضربه فعوقب مراراً .واستقر عوضه سيف الدين طوغان المنصوري، وأعيد تقي الدين توبة إلى وزارة الشام، فأوقع الحوطة على موجود سنقر الأعسر.

وفيه أحضر الأمير بدر الدين بكتوت العلائي من حمص إلى القاهرة، وتوجه الأمير حسام الدين سنقر الحسامي بتقليد الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام واستمراره على عادته، فوصل في ثامن عشره.

وفي هذه السنة :أكثر السلطان من تفرقة الأموال، وأبطل عدة حوادث، ومنها ما كان قد تجدد على الغلة ببلاد الشام، وسامح ما تأخر من البراقي بأرض مصر والشام.

ومات فيها من الأعيان

قاضي الحنابلة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، عن نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفي قاضي الشافعية بحلب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكي عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفي رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل ابن مسعود الفارقاني الشافعي، عن تسعين سنة، خارج دمشق مخنوقا.

وتوفي عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني الشافعي.

وتوفي فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن القضاة، بدمشق عن ستين سنة.
وتوفي المحدث شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبي بكر بن المحدث الرسعني الحنبلي، غريقاً بنهر الأردن، وهو عائد من مصر لدمشق، عن ثمان وستين سنة.
وفيها كانت حرب بين أمير الركب الفارقاني وبين أهل مكة عند ورود الثنية، قتل فيه رجل من بني حسن، ثم قدم أبو خرص يبشر بسلطة الأشرف خليل، فكانت وقعة أخرى بعد الحج، فبادر الحجاج إلى الرحيل وخرجوا سالمين.

سنه تسعين وستمائة

في سادس المحرم: أفرج عن الملك العزيز فخر الدين عثمان بن المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وكان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس في رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين، فأقام في الاعتقال عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوما، ورتب الأشرف له ما يقوم بحاله، ولزم داره واشتغل بالمطالعة والنسخ، وانقطع عن السعي إلا للجمعة أو الحمام أو ضرورة لا بد منها.
وفيه كتب الأشرف إلى شمس الدين محمد بن السلعوس وهو بالحجاز كتابا، وكتب بخطه بين الأسطر: يا شقير يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا، فلما أتاه الكتاب وهو عائد من الحج انضم الناس إليه، وتوددوا له وبالغوا في إكرامه، حتى وصل قلعة الجبل يوم عاشوراء.
وكان الأمير سنجر الشجاعي قد تحدث في الوزارة منذ تسلطن الأشرف، من غير أن يخلع عليه ولا كتب له تقليداً، فلما كان يوم الخميس ثاني عاشره استقر ابن السلعوس في الوزارة، وخلع عليه وفوض إليه سائر أمور الدولة، وجرد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون في خدمته ويترجلون في ركابه، ويقفون بين يديه ويمتثلون أمره فتمكن تمكنا لم يتمكنه وزير قبله في الدولة التركية، وصار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه نظار الدولة ومشد الدواوين ووالي القاهرة ومصر، ومستوفو الدولة ونظار الجهات ومشدو المعاملات، ونحوهم من الأعيان، ثم يحضر قضاة القضاة الأربعة وأتباعهم فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال: أعز الله مولانا الصاحب، قد تكمل الموكب، كان علامة تكملة الموكب ببابه حضور القضاة الأربعة، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم ومقربهم إليه قاضي القضاة الشافعي وقاضي القضاة المالكي، ومسيرهما معا بين يديه أمام فرسه، وقدام المذكورين قاضي القضاة الحنفي وقاضي القضاة الحنبلي، ثم نظار الدولة ثم المستوفون بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم، فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من قلعة الجبل فينصرف القضاة، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة، ويركبون معه إلى أن يصل داره.
واتفق ليلة إنه تأخر في القلعة إلى عشاء الآخرة وأغلق باب القلعة، فانقلب الموكب إلى جهة باب الإسطبل، ووقف القضاة على بغلاتهم بظاهر باب الإسطبل حتى خرج وساروا في خدمته إلى داره و لم يجسر أحد أن يتأخر قط عن الركوب في موكبه، وكان مع ذلك لا ينتصب قائماً لأحد، ولما عظم موكبه وصار الأكابر يزدحمون في طول الشارع بالقاهرة، ويضيق بهم لكثرة من معه، وتزدحم الغلمان أيضاً، تحول من القاهرة وسكن بالقرافة، وتعاظم في نفسه واستخف بالناس، وتعدي طور الوزراء، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائماً لأحد منهم، ومنهم من لا يلتفت إليه، وإذا استدعى أميراً قال: فلان أمير جاندار، أو فلان الأستادار باسمه

من غير نعته، ثم ترقي حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا، وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه.

واتفق أنه قام يوما من مجلس الوزارة بالقلعة يريد الدخول إلى الخزانة، فصادف خروج الأمراء من الخدمة مع النائب بيدرا، فبادر الأمراء الأكابر إليه وخدموه وقبل بعضهم يده، وفسحوا بأجمعهم له وهموا بالمشي قدامه، فأشار إليهم أن ينصرفوا، فلما وطئ عتبة باب القلعة برجله وافي هناك الأمير بيدرا، وسلم كل منهما على الآخر وأومأ بالخدمة، إلا أن النائب بيدرا خدم الوزير أكثر مما خدمه الوزير، فرجع بيدرا معه و لم يكن يسامته في المشي، بل كان النائب يتقدم قليلا ويميل بوجهه إليه إذا حدثه الوزير، حتى انتهيا إلى باب الخزانة، فأمسك ابن السلعوس بيد بيدرا النائب، وأشار إليه بالرجوع، وقال :بسم الله يا أمير بدر الدين ولم يزده على ذلك.
وفي هذا الشهر: قدمت رسل عكا يسألون العفو، فلم يقبل منهم ما اعتذروا به، وقدم أمراء العربان من كل جهة: فقدم الأمير مهنا بن عيسي أمير آل فضل وسابق الدين عبية أمير بني عقبة، وقدما التقادم، فأنعم عليهم جميعاً: وأعيدوا، وقدم الملك المظفر صاحب حماة، فحمل إليه ما جرت به العادة، وكتب تقليده.
وفي يوم الجمعة سابع صفر: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير جرمك الناصري، وعد على سنقر الأشقر إنه أفشي سر طرنطاي حتى قبض عليه، بعدما أحسن إليه طرنطاي غاية الإحسان، ومنع الملك المنصور من القبض عليه مرارا، فلم يرع له ذلك.
وفيه أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته، وأنعم عليه إنعاما زائداً.
وفي هذا الشهر: شرع السلطان في الاهتمام بفتح عكا، وبعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار إلى الشام لتجهيز أعواد المجانيق، فقدم دمشق في سلخه وجهزت أعواد المجانيق من دمشق، وبرزت في أول ربيع الأول وتكاملت في ثاني عشره، وسار بها الأمير علم الدين سنجر الدواداري أحد أمراء الشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمي الألوف، فتوجه كل أمير ومضافيه بما أمر بنقله منها، وتوجه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بالجيش من دمشق في العشرين منه، وخرج من القاهرة الأمير سيف الدين طغريل الأيغاني إلى استنفار الناس من الحصون بممالك الشام: فوصل المظفر صاحب حماة إلى دمشق في ثالث عشريه، بعسكره وبمجانيق وزردخاناه، ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي نائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس، وبالمجانيق والزردخاناه في رابع عشريه، وسار جميع النواب بالعساكر إلى عكا.
وأما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا، أمر فجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية، بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه، في ليلة الجمعة ثامن عشري صفر، فباتوا هناك وعمل مهم عظيم، وحضر الأشرف بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية، وتصدق بجملة كبيرة من المال والكساوي، وفرق على القراء والفقراء مالاً كثيراً، وفرق في أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثيابا، وعاد إلى القلعة.
وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول: توجه السلطان بالعساكر يريد أخذ عكا، وسير حريمه إلى دمشق فوصلوا إليها في سابع ربيع الآخر، وسار السلطان فنزل عكا في يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، ووصلت المجانيق يوم ثاني وصوله وعدتها اثنان وتسعون منجنيقاً، فتكامل نصبها في أربعة أيام، وأقيمت الستائر ووقع الحصار، وقد

أتت جمائع الفرنج إلى عكا أرسالاً من البحر، صار بها عالم كبير، فاستمر الحصار إلى سادس عشر جمادى الأولى، وكثرت النقوب بأسوار عكا، فلما كان يوم الجمعة سابع عشره عزم السلطان على الزحف، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا، وهرب الفرنج في البحر وهلك منهم خلق كثير في الازدحام، والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصي عده كثرة، وأخذوا من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف، وكان عند فتحها أن أقبل من الفرنج نحو عشرة آلاف في هيئة مستأمنين، ففرقهم السلطان على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم.

وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوما، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي ودفن بجلجولية، وعز الدين أيبك العزي نقيب العساكر، وسيف الدين أقمش الغتمي، وبدر الدين بيليك المسعودي، وشرف الدين قيران السكزي، وأربعة من مقدمي الحلقة وجماعة من العسكر.

وفي يوم السبت ثامن عشره: وقع الهدم في مدينة عكا، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت، وحمل كثير من الأسري بها إلى الحصون الإسلامية.

وفتحت صور وحيفا وعثليث وبعض صيدا بغير قتال، وفر أهلها خوفا على أنفسهم، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في بقيه جمادى الأولى، فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور في تاسع عشره، وبتسليم صيدا في العشرين منه، وأن طائفة من الفرنج عصوا في برج منها، فأمر السلطان بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا، فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار ابن الجمقدار في حادي عشريه لهدم صور، واتفق أمر عجيب. وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا واليا عليها من قبل المصريين، فباع صور للفرنج بمال، وصار إلى دمشق، فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجمقدار واتفق أيضاً أن الشيخ شرف الدين، البوصيري رأي في منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلا ينشده :

قد أخذ المسلمون عكا   وأشبعوا الكافرين صكا

وساق سلطاننا إليهم   خيلا تدك الجبال دكا

وأقسم الترك منذ سارت   لا تركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها، لم يدع في بقية الساحل أحداً من الفرنج، وقال محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك :

يا بني الأصفر قد حل بكم   نقمة الله التي لا تنفصل

قد نزل الأشرف في ساحلكم   فأبشروا منه بصفع متصل

وقد أكثر الشعراء في ذكر هذا الفتح، وقال الشهاب محمود الحلبي كاتب الإنشاء لما عاين في جوانب عكا، وقد تساقطت أركانها :

مررت بعكا بعد تخريب سورها   وزند أوار النار في وسطها واري

وعاينتها بعد التنصر قد غدت   مجوسية الأبراج تسجد للنار

وقال ابن ضامن الضبع بعكا :

شم الأنوف جحاجح أبطال أدمي الكنائس إن تكن عبثت بكم

الليالي أو تغير حال   فلطالما سجدت لكن فوارض

يوم بيوم والحروب سجال   فعزاء عن هذا المصاب فإنه

ولكل دهر دولة ورجال   هذا بذاك ولا نعير دهرنا

وفي هذه المدة وشي الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام، ثم أوهم لاجين بأن السلطان يريد القبض عليه، فركب لاجين من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار، فساق خلفه الأمير علم الدين سنجر الدواداري وأدركه، وقال له: بالله لا تكن السبب في هلاك المسلمين، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا، وإن بلغ الفرنج فرارك، وأن العسكر قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ السلطان، وكان ذلك في ثامن جمادى الأولى، فلما كان في صبيحة هذه الليلة خلع السلطان عليه وطيب خاطره، ثم قبض عليه في ثاني يوم الخلعة، وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعة الجبل بمصر.

ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها في ثاني عشر جمادى الآخرة، وقد زينت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما.

وفيه استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في نيابة دمشق، وزاد السلطان في إقطاعه وراتبه عما كان لنواب الشام، وأذن له أن يطلق من الخزائن ما أراد من غير مشاورة، وجعل له في كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطعم، واستقر أيضاً الأمير جمال الدين أقش الأشرفي في نيابة الكرك، عوضاً عن ركن الدين بيبرس، ونقل بيبرس إلى إمرة بمصر، وقبض أيضاً على الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق، وضرب بحضرة السلطان ضرباً كثيراً، وألبس عباءة واستعمل مع الأسري في العمل، وأخرق به وأهين إلى الغاية، ووقعت الحوطة على موجوده، ثم حبس بالقلعة، ثم حمل على البريد إلى مصر، ثم رد من أثناء الطريق بشفاعة بعض الأمراء وأفرج عنه، ثم أعيد لنيابة القلعة، وسبب هذا أن الأمير شرف الدين بن الخطير كان يمزح بحضرة السلطان مع الأمراء، ويومئ إليه السلطان بذلك فيحتمل منه ما يتكلم به، وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن المجون، فقال له ابن الخطير وهو واقف بين يدي الأشرف: يا مولانا السلطان كان عند والدك الملوك ببلاد الروم حمار أشهب أعور، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين أرجواش فضحك الأشرف، وغضب أرجواش وقال: هذه صبيانية فحنق منه الأشرف وعمل ما ذكر.

وفي ثامن عشره: عزل طوغان عن شد الدواوين بدمشق، وعيد إلى ولاية البر، واستقر سنقر الأعسر في شد الدواوين بدمشق.

وفي ثاني رجب: عزل تقي الدين توبة عن وزارة دمشق، واستقر فيها محيي الدين ابن النحاس، ومنع أن يقال له وزير ولكن ناظر الشام.

وفي ثامن عشره :استقر شرف الدين أحمد بن عيسي بن السيرجي في حسبة دمشق، وعزل تاج الدين بن الشيرازي.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: سار السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل إلى القاهرة من باب النصر في بكرة يوم الإثنين تاسع شعبان، وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زينت قبل وصوله بأيام، فكانت زينة لم يسمع بمثلها، وكثر سرور الناس ولعبهم.

وكان الأمير سنجر الشجاعي نائب الشام قد سار في رابع رجب إلى صيدا، وحاصر البرج حتى فتحه في خامس عشره، وعاد إلى دمشق يوم رحيل السلطان منها، ثم توجه إلى بيروت، فتلقاه أهلها طائعين فترل بقلعتها، وقبض على الرجال وقيدهم وألقاهم في الخندق، وافتتحها في ثالث عشري رجب، وعاد إلى دمشق في سابع عشري رمضان، و لم يبق في جميع الساحل من الفرنج أحد.

وفي شعبان: أوقف الملك الأشرف على القبة المنصورية بين القصرين من قري عكا الكابرة وتل الميشوح وكردانة، ومن ساحل صور معركة وصريفين، وأوقف أيضاً على المدرسة الأشرفية بجوار السيدة نفيسة قرية الفرح من عكا، وقرية شعر عمر وقرية الحمراء منها، ومن ساحل صور قرية طبرية.

وفي ثامن عشره: أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي، وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد اعتقله في أوائل دولته كما تقدم ذكره، فأفرج الأشرف عنه، وكتب إفراجه وجعل في كيس حرير أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه به إلى الجب الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء، وأخرجوه وقرءوا عليه الإفراج، وأحضروا تشريفة وهموا بكسر قيده، فقال: لا يفك القيد من رجلي، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدي السلطان وصمم على ذلك فأعلم السلطان به، فأمر بإحضاره بعد فك قيده وهو بملبوسه الذي عليه في الجب، فكسر حينئذ قيده ومشي إلى السلطان، فلما عاينه قام إليه وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه بجانبه، وأنعم عليه بالأموال وأنواع الثياب، وأعطاه في مجلسه إمرة مائة فارس، وعين له إقطاعا وافرا: منه منية بني خصيب دربستا بجواليها ومواريثها الحشرية ونزل إلى داره، فصار ينتسب إلى الملك الأشرف ويكتب بيسري الأشرفي، بعدما كان يكتب الشمسي.

وفي رابع رمضان: أفرج عن الأمير الدين شمس سنقر الأشقر، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير شمس الدين سنقر الطويل، وأمروا على عادتهم، وقبض على الأمير علم الدين سنجر الدواداري بدمشق، وحمل إلى قلعة الجبل مقيدا، فوصل في سابع عشره.

وفي هذا الشهر: عزم السلطان على صرف قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز عن وظيفة القضاء وسائر ما بيده من المناصب، بكثرة حط الوزير ابن السلعوس عليه.

وخرج البريد في يوم تاسع رمضان بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة خطيب القدس، ليلي القضاء بمصر وكان السبب في طلبه أن ابن بنت الأعز لما عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة، وجعل كل واحد في مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية، وأحضرهم واحدا واحدا وسأله عن الجماعة من يصلح فيهم لولاية القضاء، فما منهم إلا من أساء القول في أصحابه ورماه بما لا يليق فانصرفوا وقد انكف السلطان عن ولايتهم، وأعلم وزيره ابن السلعوس بما قال بعضهم في حق بعض من الفحش، فأشار السلعوس عليه بولاية ابن جماعة خطيب القدس لصحبة تقدمت له معه، فوصل إلى القاهرة في يوم الإثنين رابع عشره، وأفطر عند الوزير وبالغ الوزير في خدمته، وسار في موكبه يوم الخميس سابع عشره إلى القلعة ودخل به

على السلطان، فعزل ابن بنت الأعز، وولي ابن جماعة قضاء القضاة، وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر، فكتم ابن جماعة الولاية وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير، فصار يخاطبه بقاضي القضاة، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز فهنأ الناس ابن جماعة، وعندما خرج ابن جماعة من دار الوزير وصل إليه التقليد مع ابن عز الدين الحنبلي بالخلعة فلما أصبح يوم الجمعة ثامن، عشره لبس الخلعة، ومشي الشهود في خدمته فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه ثم سار إلى منزله وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة، فخطب وصلي بالناس وعاد إلى منزله، ثم تحول إلى الصالحية يوم الجمعة خامس عشريه، ودرس بالصالحية في يوم الأحد ثاني عشري شوال وكان درساً حفلا ويوماً مشهوداً.

وأما ابن الأعز فإن الأمير علم الدين سنجر الشجاعي دخل به إلى السلطان وقرر معه أن يوليه قضاء الشام، فلما شعر بذلك ابن السلعوس خشي أن يبقي له حاله فيتمكن بها في الدولة فرتب له عدة من الناس ليثوروا به. فلما جلس السلطان بدار العدل رسم لابن سعلوس أن يجهز ابن بنت الأعز قاضياً في دمشق، ويعني بتشريفه ويكتب تقليده فما انفصل مجلس دار العدل حتى أحضر الشريف ابن ثعلب وادعي على ابن بنت الأعز بما قرره معه الوزير ابن السلعوس قبل ذلك، وكان قد جهز آخر إلى أن يفتي بتعزيزه وآخر ليشهد بفسقه. فانتدب السلطان لمرافعته جماعة، ورموه بعظائم بغياً منهم وعدواناً من تحت ثيابه، وأنه نصراني وما زال، حتى رسم السلطان أن يركب حماراً ويشهر. فقبض عليه الوزير ونكل به ورسم عليه وطالبه بمال كثير وشنع في إهانته وأراد ضربه فحماه الله منه.

ومازال ابن بنت الأعز في الإهانة إلى أن أخذ يوماً بالترسيم إلى القلعة وهو ماش والأعوان تحتاطه، فرأي ثلاثة من خواص الأمراء نازلين من القلعة، فقال لهم: يا أمراء أما تنظرون في حالي وما أنا فيه من الإهانة مع هؤلاء الرسل؟ فساءهم ذلك وجردوا دبابيسهم وحطموا يريدون ضرب الرسل، وقالوا: قاضي القضاة ماش، وأنتم ركاب؟ فقالوا: الصاحب أمرنا بهذا، ما لنا ذنب ولا نريد هذا الفعل فشق عليهم ما رأوا وعادوا إلى السلطان، وألقوا سيوفهم وقالوا: يا خوند قد بلغ الأمر من حال قاضي القضاة أن يمشي والرسل ركاب وذكروا ما هو فيه من الإهانة، فقال لهم السلطان: يستأهل أكثر من هذا، لأنهم قالوا عنه إنه كافر يشهد الزنار من تحت ثيابه. فقالوا: يا خوند إن كان قاضي القضاة كافراً فابن السلعوس مسلم، إما تهبه لنا، وإما تمكنا من ابن السلعوس، وإما أن تنفينا.

وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح له عناية به أيضاً، فتحدث مع الأمير بيدرا النائب، وكان بيدرا بينه وبين ابن بنت الأعز شحناء، فقال بيدرا لبكتاش: تحدث مع السلطان في أمر سنجر الحموي أبي خرص أن يطلقه، وأنا أشفع في ابن بنت الأعز! فاتفقا على ذلك، وشفع بيدرا في ابن بنت الأعز، وشفع بكتاش في أبي خرص، فأفرج السلطان عنهما معا.

ولزم ابن بنت الأعز في داره، و لم يترك بيده شيء من الوظائف، وكان بيده سبعة عشر منصبا وهي قضاء القضاة بديار مصر كلها وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس، ومشيخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية بيبرس وأولاده وأوقافه وأملاكه، وعدة تداريس، وكان عندما عزل قد رسم عليه في شوال، وألزم بالإقامة في زاوية الشيخ نصر المنبجي خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض،

ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا في تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعي، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سببا لمحنته الثانية، ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفا.

وفي خامس عشري رمضان :أفرج السلطان عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي على الفتي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسي، ورسم له أن يخطب في يوم الجمعة، فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال، فخرج بسواده وهو متقلد سيفا محلي، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبة التي خطب بها في أيام الملك الظاهر بيبرس وهي من إنشاء شرف الدين وإلا إنه ذكر فيها الملك الأشرف، وكان بين الخطتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، فلما فرغ من الخطبة لم يصل بالناس، وقدم قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلي بهم صلاة الجمعة، واستمر الخليفة يخطب بجامع القلعة، واستناب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين.

وفي تاسع شوال: قبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصوري والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق، واعتقلا بقلعتها، وأقطع عز الدين أزدمر العلائي إقطاع قرا رسلان، وسنقر المساح إقطاع الأفرم.

وفي ليلة الاثنين رابع ذي القعدة: عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الإثنين، فخطب وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يوماً مشهوداً، فرقت فيه صدقات وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس في ليلة الثلاثاء حادي عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان.

وفي هذا الشهر: قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين الرجيجي وهو من أولاد الشيخ يونس، وحمل إلى قلعة الجبل على البريد.

وفي هذه السنة: كملت عمارة قلعة حلب، وكتب عليها اسم الملك الأشرف.

وفيها أخرج بولدي الملك الظاهر بيبرس، وهما المسعود نجم الدين خضر والعادل بدر الدين سلامش من الاعتقال، ونفيا إلى ملك الفرنج فسار بهما - ومعهما والدتهما - الأمير عز الدين أيبك الموصلي الأستادار إلى الإسكندرية، وحملهم في البحر إلى القسطنطينية، فلما وصلوا أكرمهم الأشكري متملكها وأجري عليهم ما يقوم بهم، وكانت حرمهم معهم.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع في عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وكان لها منذ خربها هولاكو ثلاث وثلاثين سنة خراباه ووقع الشروع في عمارة دمشق من شوال، فبنيت بها الأدر السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء، وتوفي ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وبالغ في تحسينها، فكانت جملة ما عمل في سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب.

وفيها لم يحج الشريف أبو نمي خوفاً من المصريين.

وفي شهر ربيع الأول منها: مات ملك الططر بفارس، وهو أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان، وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وترك أرغون ولدين وهما قازان وخربندا، وكانا بخراسان فأفحش كيختو في الفسق بنسوان المغل واللواط بولدانهم، حتى أبغضته رعيته وفيها مات قتيلا تلابغا بن منكوتمر بن طوغان، قتله

نغيه بن معل بن ططر بن دوشي خان بن جنكزخان. وقام بعده في الملك طقطغا بن منكوتمر بن طوخان، وهو ابن عم تلابغا، فرتب نغيه إخوة طقطغا معه، وهم بزلك وصراي بغا وتدان.

ومات في هذه السنة من الأعيان

السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، ببلد اسطنبول عن اثنتين وعشرين سنة ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان، ملك التتار بفارس في ربيع الأول، عن نحو سبع سنين من ملكه، وقام من بعده أخوه كيختو بن أبغا.

وتوفي تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشافعي فقيه الشام، عن ست وستين سنة بدمشق.
وتوفي المسند فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المعروف ابن البخاري المقدسي السعدي عن أربع وتسعين سنة بدمشق، وقد انفرد بعلو الإسناد.
وتوفي خطيب حلب شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير بن أحمد بن سليمان الشيباني الخابوري الشافعي، عن تسعين سنة بحلب.
وتوفي خطيب حماة وفقيهها بدر الدين أبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المغيزل العبدي الحموي بها، عن سبعين سنة، قدم القاهرة.
وتوفي علاء الدين أبو الحسن على بن الكمال أبي محمد عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف بن نبهان بن الزملكاني الأنصاري الشافعي، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.
وتوفي محيي الدين أبو يعلى محمد بن عمر بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أمين الدولة الرعباني الحلبي الحنفي، عن نيف وثمانين سنة بحلب.
وتوفي العفيف أبو الربيع سليمان على بن عبد الله بن على بن ياسين التلمساني العابدي عن ثمانين سنة بدمشق.
وتوفي طبيب الشام عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نجم بن طرخان الأنصاري الدمشقي، عن تسعين سنة.
وتوفي الأديب شرف الدين عيسي بن فخر الدين أياز بن عبد الله الوالي.

سنة إحدى وتسعين وستمائة

في رابع عشر صفر: وقع حريق في بعض خزائن قلعه الجبل، تلف فيه كثير من الكتب وغيرها.
وفي جمادى عشر ربيع الأول: ختم بالقبة المنصورية. ونزل السلطان وتصدق بمال كثير.
وفي يوم الجمعة تاسع عشريه: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بجامع قلعة الجبل خطة بليغة حث فيها على الجهاد، وصلي بالناس صلاة الجمعة.
وفيه نودي بالنفير للجهاد، وخرج السلطان في الثامنة من يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة واستاقوا مواشي كثيرة، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق.
وفي يوم السبت سادس جمادى الأولى: دخل السلطان إلى دمشق، وأنفق في العساكر يوم الاثنين ثامنه.

وفي نصفه :تزوج الأمير سنقر الأعسر بابنه الصاحب شمس الدين بن السلعوس، على صداق جملته ألف وخمسمائة دينار، المعجل مبلغ خمسمائة دينار.
وفيه وصل الملك المظفر صاحب حماة، وعرض السلطان عساكره، وقدم جيش الشام فسار إلى حلب.
ثم خرج السلطان من دمشق في الخامسة من يوم الإثنين سادس عشره، فدخل حلب في ثامن عشريه، وخرج منها في رابع جمادى الآخرة يريد قلعة الروم فترل عليها يوم الثلاثاء ثامنه، ونصب عشرين منجنيقا ورمي عليها، وعملت النقوب وعمل الأمير سنجر الشجاعي نائب دمشق سلسلة وشبكها في شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالاً شديداً، ففتح الله القلعة يوم السبت حادي عشر رجب عنوة، وقتل من بها من المقاتلة، وسبي الحريم والصبيان، وأخذ بترك الأرمن وكان بها فأسر. وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما، وقد سماها السلطان قلعة المسلمين فعرفت بذلك، وحمل إليها زردخاناه وألفا ومائتي أسير، واستشهد عليها الأمير شرف الدين بن الخطير. فلما وردت البشائر إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر، ورتب السلطان الأمير سنجر الشجاعي نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب، وخرب ربضها.
وعاد السلطان راجعاً في يوم السبت ثامن عشره، فأقام بحلب إلى نصف شعبان، وعزل قرا سنقر عن نيابة حلب، وولي عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري، ورتب بها الأمير عز الدين أيبك الموصلي شاد الدواوين ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها في الثانية من بوم الثلاثاء عشري شعبان، وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسري.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان من جهة الساحل، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم، واضطرب العسكر اضطرابا عظيما، فطمع أهل الجبال فيهم، وتشوش الأمراء من ذلك وحقدوا على بيدرا ونسبوه أنه أخذ منهم الرشوة. فلما عاد إلى دمشق تلقاه السلطان وترحل له عند السلام عليه، وعاتبه سرا فيما كان منه، فمرض بيدرا حتى أشفي على الموت، وتحدث أنه سقي السم، ثم عوفي وتصدق في رمضان بصدقات جمة، ورد أملاكا اغتصبها لأربابها، وأطلق عدة من سجونه، وجمع الناس في عاشره بجامع بني أمية وعمل مهما لقراءة ختمة كريمة.
وفي خامس عشر شهر رمضان: توفي محيي الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء، وهو بدمشق، فأجري السلطان معلومه على ولده علاء الدين على، وجعله من جملة كتاب الإنشاء. وأقر السلطان في ديوان الإنشاء تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي، عوضاً عن ابن عبد الظاهر.
وفيه كثر موتان الجمال حتى حمل الأمراء أثقالهم على الخيل، فأذن السلطان لضعفاء العسكر في العود إلى القاهرة، فساروا من دمشق في ثاني عشريه. وحضر الأمير علم الدين سنجر الدواداري من قلعة الجبل بعدما أفرج عنه، فأنعم عليه بإمرة في ديار مصر.
وفي ليلة عيد الفطر: فر الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق، خوفا من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبض عليه، فنودي بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار ومن أخفاه شنق، وركب السلطان في خاصته وترك سماط العيد، وساق في طلب لاجين وأخذ عليه الطريق، ثم عاد بعد العصر في أسوأ حال من التعب، ولم

يجد له أثرا فقلق. واتفق أن لاحين نزل على طائفة من العرب، فقبضوه وأحضروه إلى السلطان فاعتقله. وقبض السلطان على الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا حمي لاجين، وحمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر.
وفي سادسه: استقر الأمير عز الدين أيبك الحموي في نيابة دمشق، عوضاً عن الشجاعي واستقر الأمير سيف الدين طغريل الإيغاني نائباً بالفتوحات، عوضاً عن بلبان الطباخي بحكم انتقاله إلى نيابة حلب.
وفيه قدم الشجاعي من قلعة المسلمين بعدما عمر ما هدم منها، فشق عليه عزله عن دمشق.
وفي الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه: خرج السلطان من دمشق عائدا إلى مصر، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موقودة عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم ورتبوا من باب النصر إلى مسجد القدم، فعندما ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة، فسار بينها حتى نزل مخيمه. ونقل محيي الدين بن النحاس من نظر دواوين دمشق إلى نظر الخزانة، عوضاً عن أمين الدين بن هلال، وأقيم في نظر دواوين دمشق جمال الدين بن إبراهيم بن صصرى، واستقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصوري مقدم المماليك السلطانية.
وقدم السلطان إلى القاهرة يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة، ودخل من باب النصر، وصعد إلى القلعة من باب زويلة. وقد عمل من الزينة والقلاع والتهاني شيء كثير، وأوقد من الشموع ما يجل وصفه، فإن الناس احتفلوا لذلك احتفالا عظيما فاق جميع ما تقدم في معناه. وولي صحابه ديوان الإنشاء عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد بن الأثير بعد وفاة والده، فإن والده لم يقم في كتابة السر إلا نحو شهر، ومات بغزة عند عوده من دمشق في تاسع عشر شوال.
وفي ذي القعدة: ندب الوزير ابن السلعوس العلم ابن بنت العراقي لمرافعة تقي الدين ابن بنت الأعز، وعقد له مجلس وادعي عليه العلم المذكور بعظائم، فاستمر في المحنة بقية السنة.
وفي آخر ذي الحجة: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصري، والأمير سيف الدين الهاروني، والأمير بدر الدين بكتوت، واعتقلوا.

ومات فيها من الأعيان

الملك المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازي بن المنصور أرتق بن إيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين بعدما ملك ثلاثا وثلاثين سنة.
ومات الأمير سنقر الأشقر عن سبعين سنة.
وتوفي كاتب السر فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيي الدين أبي الفضل عبد الله بن عبد الظاهر، عن أربع وخمسين سنة بدمشق.

وتوفي كاتب السر تاج الدين أبو العباس أحمد بن. شرف الدين أبي الفضل سعيد ابن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبي، بغزة.
ومات مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي بالقدس، عن اثنين وستين سنة، قدم القاهرة.

وتوفي كاتب الإنشاء بدمشق سعد الدين أبو الفضل سعد الله بن مروان أبي عبد الله الفارقي، وهو في عشر الستين.
وتوفي كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي بن أمين الدولة الحلبي بالقاهرة عن سبعين سنة.
وتوفي فخر الدين أبو عمرو عثمان بن خضر بن غزي عامر الأنصاري المصري المؤدب، في جمادى الآخرة وهو في عشر الثمانين، وقد حدث عن ابن باقا ومكرم الفارسي.
وفيها قبض الأمير بكتوت على الشريف راجح بن إدريس من ينبع وحمله إلى مصر وكانت الخطبة بمكة للأشرف خليل إلى آخر ربيع الأول، ثم انقطعت لانقطاع أخبار مصر، فلما قدم الحجاج وهم قليل حج أبو نمي، وقدم حاج الشام في ركبين وكانت جفلة بعرفة وعز الماء، فأبيعت الراوية بأربعة دنانير مكية.

سنة اثنين وتسعين وستمائة

في ليلة أول المحرم: أخرج من في الجب من الأمراء :وهم سنقر الأشقر وجرمك والهاروني وبكتوت وبيبرس وطقصوا ولاجين، وأمر بخنقهم قدام السلطان، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا. وتولي خنق لاجين الأمير قرا سنقر، فلما وضع الوتر في عنقه انقطع، فقال: "يا خوند مالي ذنب إلا حميي طقصوا وقد هلك، وأنا أطلق ابنته. وكان قرا سنقر له به عناية، فتلطف به ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعة. فشفع الأمير بدر الدين بيدرا في لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعفي عنه ظنا أنه لا يعيش، فحمل وكان من أمره ما سيذكره إن شاء الله.
وفي أول المحرم: استقر الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصوري في نيابة طرابلس والحصون، عوضاً عن طغريل الإيغاني، فسار من القاهرة.
وفي رابعه: سار السلطان من قلعة الجبل إلىالصعيد، واستخلف الأمير بيدرا النائب بقلعة الجبل وهو مريض. فانتهي السلطان إلى مدينة قوص ونادي هناك بالتجهيز لغزو اليمن. وكشف الوزير السلعوس الوجه القبلي، فوجد الجاري في ديوان الأمير بيدرا من الجهات عما هو في إقطاعاته، وما اشتراه وما حماة أكثر مما هو جار في الخاص السلطاني، ووجد الشون السلطانية بالوجه القبلي خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة .فأبلغ ذلك إلى السلطان وأغراه ببيدرا حتى تغير عليه، فبلغ الخبر بيدرا فخاف وأخذ يتلافي الأمر، وجهز تقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة صندل محلاة ومفصلة بفضة مذهبة وبسطها من حرير، وضربها بناحية العدوية مع ما أعده. فلما عاد السلطان نزل بها ولم يكترث بالتقدمة، وطلع إلى القلعة، فارتجع عدة من جهات بيدرا للخاص السلطاني.
وفي صفر: وقع بغزة والرملة ولد والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج من قلعة الكرك، وتوالت الأمطار والسيول حتى خربت طواحين العوجاء وتكسرت أحجارها، ووجد في السيل أحد عشر أسداً موتي، وزلزلت أيضاً البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن، فلما ورد الخبر بذلك خرج الأمير علاء الدين أيدغدي الشجاعي من في دمشق لعمارة ما تهدم بمرسوم شريف. وورد كتاب الأمير عز الدين أيبك الرومي من قلعة المسلمين بطلب ثلاثين سراقوجا، حتى إذا وجه لكشف أخبار العدو لبسها من يبعثه فلا يعرف من هم.

وفيه عبي السلطان برسم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسي ملك العرب تعبئة قماش حرير بسبب زواج ابنته، وأمر بعمل تعبئة لوالدته أيضاً، وجهز ذلك على يد حاجبه من الخزانة. ورسم السلطان ببناء بئر في العريش وأخرج لها عدة من الغواصين، فلما تم بناؤها ركب عليها ساقية.

وفيه قتل علاء الدين البريدي وإلى الأشمونين نفسه، فاستقر عوضه بكتمر الموسكي. وقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائي أحد أمراء دمشق، وحمل إلى القاهرة فقدم أول ربيع الأول.

وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق، فسار بها الأمير بيدرا، ثم سار الوزير بالخزائن. وركب السلطان على الهجن في أول جمادى الأولى ومعه جماعه من أمرائه وخواصه، وسار إلى الكرك من غير الدرب الذي يسلك منه إلى الشام، فرتب أحوالها. وتوجه إلى دمشق، فقدمها في تاسع جمادى الآخرة بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام، فأمر بالتجهيز إلى بهسنا وأخذها من الأرمن أهل سيس. فقدم رسل سيس يطلبون العفو، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا ومرعش وتل حمدون، فسار الأمير طوغان وإلى البر بدمشق معهم ليتسلما، وقدم البريد إلى دمشق بتسليمها في أول رجب، فدقت البشائر.

واستقر الأمير بدر الدين بكتاش في نيابة بهسنا، وعين لها قاض وخطيب، واستخدم لها رجال وحفظة. وقدم الأمير طوغان ومعه رسل سيس بالحمل والتقادم إلى دمشق في ثاني عشريه بعد توجه السلطان، فتبعوه.

وكان السلطان قد خرج في ثاني رجب إلى حمص ومعه جماعة من العسكر، وقد سير ضعفة العسكر إلى القاهرة، ثم سار من حمص إلى سلمية، وطرق مهنا بن عيسي بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل، وقبض عليه وعلى إخواته محمد وفضل ووهبة، وبعثهم مع الأمير حسام الدين لاجين إلى دمشق، فقدمها لاجين في سابعه. وقدم السلطان في يومه أيضاً، فأقام في إمرة العرب الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر بن على بن حديثه بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل على. وبعث السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار إلى الشوبك، فهدم قلعتها و لم يبق منها إلا قلتها فقط.

وفي شهر رجب: وقع ببعلبك أمطار وسيول خارجة عن الحد، ففد من كرومها ومزارعها ومساكنها ما تزيد قيمته على مائة ألف دينار.

وفي حادي عشره: سار الأمير بيدرا بالعساكر والوزير ابن السلعوس بالخزائن من دمشق، ثم ركب السلطان في خواصه يوم السبب ثالث عشره، فقدم غزة بكرة الأربعاء سابع عشره، ودخل قلعة الجبل في ثامن عشريه، وقدم الأمير بيدرا بمن معه أول شعبان. وفيه ولي طوغان وإلى البر بدمشق نيابة قلعة المسلمين، وولي أسندمر كرجي بر دمشق.

وفي شعبان :استقر شمس الدين أحمد السروجي الحنفي في قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة، بعد وفاة قاضي القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبي الأرزنكاني.

وفي أول شهر رمضان: أفرج عن تقي الدين ابن بنت الأعز، بعدما اشتد به البلاء واعتقل في سجن الحكم وتوعد بالقتل، فعاد إلى بيته بالشافعي من القرافة، ومدح ابن السلعوس بقصدة أراد إنشادها بنفسه فحلف الوزير عليه، فأنشدها أخوه علاء الدين. ثم إنه ثبتت براءته مما رمي به، وتوجه إلى الحج مع الركب.

وفي يوم السبت ثاني شوال: قبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار، وأحبط على جميع موجوده

بمصر والشام.

و في ذي الحجة: رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخي السلطان، فنصب القبق تحت القلعة مما يلي باب النصر في العشرين منه، وفرقت الأموال والخلع على من أصاب في رميه، وكان قد رسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا، فأقامت في العرض أياماً، فرمي بيدرا بتغاضيه، وأن بعض العسكر يستعير العدة، فرسم بعرض الجميع جملة واحدة في الميدان، فكان يوماً مشهوداً. وممن أصاب في رمي القبق الأمير بيسري، فأنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عيناً سوي الخلع وغيرها، وختن الأمير محمد وأولاد الأمراء في يوم الإثنين في ثاني عشريه، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه.

وفي آخر ذي الحجة: استقر في كتابة السر القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري عوضاً عن عماد الدين إسماعيل بن الأثير.

وفي هذه السنة: خطب الشريف أبو نمي بمكة للملك الأشرف، بعدما كان يخطب فيها لصاحب اليمن، ونقش السكة أيضاً باسمه، وجهز بذلك محاضر مع، ابن القسطلاني.

وفيها قدم رسل كيختو ملك التتار بكتابه يتضمن إنه يريد الإقامة بحلب، فإنها مما فتحه أبوه هولاكو، وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام .فأجابه السلطان بأنه قد وافق القان ما كان فح نفسي، فإني كنت على عزم من أخذ بغداد، وقتل رجاله، فإني أرجو أن أردها دار إسلام كم كانت، وسينظر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر.

وفيها وقف الحجاج يوم الإثنين والثلاثاء، ولم يصلوا الجمعة من خوف العطش لقلة الماء. وحلف أمير الركب الشريف أبا نمي يمينا إنه يتوجه إلى السلطان، وكان قد أعطاه ألف دينار عيناً، بعث بها إليه السلطان من مصر. وفيها تلف في البحر ستة عشر مركباً من جلاب اليمن، أكثرها من عدن.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب بن شادي صاحب حماة، وهو متوجه إلى القاهرة، عن سبع وخمسين سنة.

ومات الأمير علم الدين سنجر الحلبي الثائر بدمشق، وهو من أبناء الثمانين بالقاهرة.

وتوفي قاضي القضاة الحنفي معز الدين أبو عبد الله النعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبي، بالقاهرة.

وتوفي محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين محمد عبد الظاهر بن نشوان ابن عبد الظاهر السعدي الكاتب، لسان ديوان الإنشاء، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفي شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن على ابن محمود بن أحمد بن على بن الصابوني المحمودي، بالقاهرة عن اثنتين وستين سنة.

وتوفي كمال الدين أبو عباس أحمد بن زيد الدين أبي عبد الله محمد بن رضي الدين أبي محمد عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن طاهر بن يوسف بن النصيبي الحلبي بها، عن ثلاث وثمانين سنة، له رحلة.

وتوفي قدوة الشام أبو إسحاق إبراهيم بن قدوة الشام يوسف المدعو عبد الله بن يونس بن إبراهيم بن سلمان

الأرموي الزاهد، عن سبع وسبعين سنة بدمشق.
وتوفي الأديب كمال الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن المبارك بن سالم ابن الأعمي الدمشقي بها، عن اثنتين وثمانين سنة.

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

في ثالث المحرم: عدي السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس. واستخلف بقلعة الجبل الأمير على الدين سنجر الشجاعي، وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس. فوصل السلطان إلى تروجة ونزل بها، وتوجه الوزير إلى الاسكندرية ليعبي القماش ويحصل الأموال، بعدما خلع السلطان عليه طرد وحش. فوجد الوزير أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفي الإطلاقات على جاري العادة. فاشتد غضب السلطان، وطلب بيدرا وسبه بحضرة الأمراء، وتوعده بأنه لابد أن يمكن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر. فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير لاجين والأمير قرا سنقر ومن يوافقه، وقرر معهم قتل السلطان، فإنه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقي في خواصه إلى يوم تاسوعاء. فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر فلما بلغه نائب أمير جاندار الرسالة نفر فيه، ثم قال له السمع والطاعة وقد تبين الغضب في وجهه، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار، ورحل الدهليز والعسكر. وأصبح السلطان يوم عاشوراء، فبلغه أن بتروجة طيراً كثيراً، فساق وضرب حلقة صيد، وعاد إلى مخيمه آخر النهار. ثم لما كان الحادي عشر توجه الناس إلى القاهرة، وحضر بيدرا ومن قرر معه قتل السلطان إلى الدهليز، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستوراً فتوجهوا إلى خيامهم.
وركب السلطان جريدة وليس معه سوي الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار، وأراد أن يسبق الخاصكية، فرأي طيراً فصرع منه بالبندق شيئاً كثيراً ثم التفت إلى أمير شكار وقال .أنا جيعان، فهل معك ما آكل؟ " فقال: والله ما معي غير رغيف واحد فرج في صولقي ادخرته لنفسي فقال: ناولنيه فناوله ذلك فأكله كله. ثم قال له: أمسك فرسي حتى أنزل أبول وكان الأمير شهاب الدين ينبسط مع السلطان، فقال: ما فيها حيلة، السلطان ركب حصانا وأنا راكب حجر وما يتفقان. فقال له السلطان: أنزل أنت واركب خلفي حتى أنزل أنا فنزل وناول السلطان عنان فرسه وركب خلفه، فنزل السلطان وقضي حاجته، ثم قام وركب حصانه، ومسك فرس أمير شكار حتى ركب، وأخذا يتحدثان.

فلما كان وقت العصر: بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان، فقيل له ليس معه أحد، كشف. بمن وافقه .فلم يشعر السلطان إلا بغبار عظيم قد ثار، فقال لأمير شكار: اكشف خبر هذا الغبار .فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فسألهم فلم يجيبوه. ومروا في سوقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده، فابتدرا بالسيف وضربه أبان يده، ثم ضربه ثانيا هد كتفه. فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له: يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام

تكون هذه ضربته وضرب السلطان على كتفه حله، فسقط إلى الأرض، فجاءه بهادر رأس نوبة وأدخل السيف في دبره، واتكا عليه إلى أن أخرجه من حلقه. وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف: وهم قرا سنقر، وآقسنقر الحسامي، ونوغاي، ومحمد خواجا، وطرنطاي الساقي، وألطنبغا رأس نوبة، وذلك في يوم الإثنين ثاني عشر المحرم.

فبقي الملك الأشرف ملقي في المكان الذي قتل به يومين، ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر العجمي وإلى تروجة، فوجده في موضعه عريانا بادي العورة، فحمله على جمل إلى دار الولاية، وغسله في الحمام وكفنه، وجعله في بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كوجبا الناصري من القاهرة، وحمله في تابوته الذي كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسي ظاهر مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثاني عشري صفر.

فكانت مدة سلطنتة ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام، وعمره نحو ثلاثين سنة ومات عن ابنتين، و لم يترك ولدا ذكرا .وكان ملكا كريماً شجاعاً مقداماً، سريع الحركة مظفراً في حروبه: فتح عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم. وكان مع ما فيه من شدة البادرة حسن النادرة، يطارح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط، لا يعلم على مكتوب حتى يقرأه كله، ولابد أن يستدرج على الكتاب فيه ما يتبين لهم فيه الصواب، إلا أنه تعاظم في آخر أيامه وصار لا يكتب اسمه وإنما يكتب خ إشارة إلى أول حروف اسمه، ومنع أن يكتب لأحد الزعيمي، وقال. من زعيم الجيوش غيري؟! وأبطل من دمشق مشمسا كان يؤخذ في باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم، وكتب بخطه الذي يكتب به العلامة بين أسطر المسموح الذي كتب بإبطال ذلك ما نصه: ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة،.

وأما الأمراء، فإن الأمير زين الدين كتبغا المنصوري كان قد انفرد ومعه جماعة من الأمراء عن الملك الأشرف وساروا للصيد، وبقي في الدهليز السلطاني من الأمراء سيف الدين برغلي، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وحسام الدين لاحين الأستادار، وبدر الدين بكتوت العلائي، وجماعة من المماليك السلطانية. فلما قتل بيدرا السلطان عاد بمن معه من الأمراء، ونزل بالدهليز وجلس في دست السلطة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، وتلقب بالملك الأوحد وقيل المعظم، وقيل الملك القاهر. ثم قبض بيدرا على الأمير بيسري والأمير بكتمر السلاح دار أمير جاندار، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط لشفاعة الأمراء فيهما، وركب إلى الطرانة فبات بها.

وقد سار الأمراء والمماليك السلطانية ومعهم الأمير برغلي، وهم الذين كانوا بالدهليز والوطاق، وركبوا في آثار بيدرا ومن معه يريدون القبض عليه .فبلغ الأمير كتبغا ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا، فلحق بمن معه الأمير برغلي ومن معه من الأمراء والمماليك، وجدوا بأجمعهم في طلب بيدرا ومن معه، وساقوا في تلك الليلة إلى الطرانة وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبي بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار، والأمير صارم الدين الفخري، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار، ومعهم الزرد خاناه، عند المساء من يوم السبت الذي قتل فيه السلطان، فعندما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له: يا خوند هذا الذي فعلته كان. بمشورة الأمراء؟، فقال: نعم أنا قتلته. بمشورتهم وحضورهم، وها هم كلهم حاضرون. ثم شرع يعدد مساوئ الأشرف ومخازيه واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه، إهماله لأمور المسلمين، ووزارته ابن السلعوس، ونفور الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره، وتأميره مماليكه، وقلة دينه وشربه الخمر في شهر

رمضان وفسقه بالمردان. ثم سأل بيدرا عن الأمير كتبغا فلم يره فقيل له: هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم؟ قال: نعم هو أول من أشار بها.

فلما كان يوم الأحد ثاني يوم قتلة الأشرف: وافي الأمير كتبغا في طلب كبير من المماليك السلطانية عدته نحو الألفي فارس، وجماعة من الحلقة والعسكر ومعهم الأمير حسام الدين لاجين لأاستادار الطرانة وبها بيدرا يريدون قتاله. وميز كتبغا أصحابه بعلائم حتى يعرفوا من جماعة بيدرا، وهم أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم فأطلق بيدوا حينئذ الأميرين بيسري وبكتمر السلاح دار، ليكونوا عونا له فكانا عونا عليه .ورتب كتبغا جماعة ترمي بالنشاب، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكرة، وقصد الأمير كتبغا بيدرا وقد فوق سهمه، وقال: يا بيدرا أين السلطان؟ ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم، فولي بيدرا بمن معه وكتبغا في طلبه حتى أدركه. وقتل بيدرا بعدما قطعت يده ثم كتفه كما فعل بالأشرف، وحملت رأسه علىرمح وبعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر. ووجد في جيب بيدرا ورقة فيها: ما يقول السادة الفقهاء في رجل يشرب الخمر في شهر رمضان، ويفسق بالمرداد ولا يصلي فهل على قاتله ذنب أو لا؟ فكتب جوابها. يقتل ولا إثم على قاتله. وعندما انهزم بيدرا هرب لاجين وقرا سنقر، ودخلا القاهرة فاختفيا.
وكان الذي وصل إلى قلعة الجبل بخبر مقتل السلطان سيف الدين سنكو الدوادار. ولما بلغ الأمير علم الدين سنجر الشجاعي قتل السلطان ضم الحراريق والمعادي وسائر المراكب إلى بر مصر والقاهرة، وأمر ألا يعدي بأحد من الأمراء والمماليك إلا بإذنه، موصل الأمير زين الدين كتبغا ومن معه مت الأمراء والمماليك، بعد قتل بيدرا وهزيمة أصحابه، ملم يجدوا مركباً يعدون به النيل. فأشار على من معه من الأمراء وهم حسام الدين لاجين الأستادار، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغي وسيف الدين طغجي، وعز الدين طقطاي، وسيف الدين قطبة، وغيرهم أن يترلوا في بر الجيزة بالخيام حتى يراسلوا الأمير سنجر الشجاعي، فوافقوه وضربوا الخيام وأقاموا بها، وبعثوا إلى الشجاعي فلم يمكنهم من التعدية. وما زالت الرسل بينهم وبينه حتى وقع الاتفاق على إقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فبعث عند ذلك الحراريق والمراكب إليهم بالجيزة، وعدوا بأجمعهم وصاروا إلى قلعة الجبل في رابع عشر المحرم.

السلطان الناصر ناصر الدين

السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي أمه أشلون خاتون ابنة الأمير سكناي بن قراجين بن جنكاي نوين. ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر، فلما قتل أخوه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجة، وعدي الأمير زين الدين كتبغا والأمراء، اجتمع بهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ومن كان بالقاهرة والقلعة من الأمراء الصالحية والمنصورية، وقرروا سلطنة الناصر محمد وأحضروه وعمره تسع سنين سوا في يوم السبت سادس عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأجلسوه على سرير السلطنة. ورتبوا الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة عوضاً عن بيدرا، والأمير علم الدين سنجر الشجاعي وزيراً ومدبراً عوضاً عن ابن السلعوس، والأمير حسام الدين لاجين الرومي الأستادار أطابك العساكر، والأمير ركن الدين

بيبرس الجاشنكير أستادارا، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دواداراً، وأعطي إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء في المكاتبات والأجوبة والبريد. وأنفق في العسكر وحلفوا فصار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للملك الناصر من السلطنة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك، وسكن كتبغا بدار النيابة من القلعة، وجعل الخوان يمد بين يديه.

وأما الشام فإنه كتب إلى دمشق كتاب على لسان الملك الأشرف، ومضمونه: إنا قد استنبنا أخانا الملك الناصر محمداً، وجعلناه ولي عهدنا حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدو يكون لنا من يخلفنا ورسم فيه بتحليف الناس للملك الناصر محمد، وأن يقرن اسمه باسم الأشرف في الخطبة. وتوجه بالكتاب الأمير سيف الدين ساطلمش وسيف الدين بهادر التتري، فدخلا دمشق يوم الجمعة رابع عشريه، وجمع الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب دمشق الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان وحلفهم، وخطب باسم الملك الأشرف والملك الناصر ولي عهده، وكان ذلك من تدبير الشجاعي، فقدم من الغد البريد إلى دمشق بالحوطة على موجود بيدرا ولاجين وقرا سنقر، وطرنطاي الساقي وسنقرشاه وبهادر رأس نوبة، فظهر قتل الأشرف وإقامة أخيه الناصر بعده.
فاستمر الأمر في الخطبة بالشام على ذلك إلى حادي عشر ربيع الأول، حتى ورد مرسوم ناصري بالخطبة للملك الناصر وحده بالسلطنة، فخطب له كذلك في يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول، وترحم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف.
ثم كتب إلى ووقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا في قتل الأشرف، فأول من وجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين أقش الموصلي الحاجب، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما في المجاير ثامن يوم سلطنة الناصر. ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء: وهم حسام الدين طرنطاي الساقي، ونوغاي السلاح دار، وسيف الدين الناق الساقي السلاح دار، وسيف الدين أروس الحسامي السلاح دار، وعلاء الدين ألطبغا الجمدار، وأقسنقر الحسامي، وناصر الدين محمد بن خوجا ثم قبض على قوش قرا السلاح دار، وذلك في العشرين من المحرم فسجنوا بخزانة البنود من القاهرة، وتولي بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم، ثم أخرجوا يوم الاثنين ثامن عشره، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة، وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح قدامهم القاهرة ومصر. واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره، بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا. ومروا بهم على أبواب دورهم، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلطمن، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم. وكانت زوجته بأعلى الدار، فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكنها جواريها، وهي تقول. ليتني فداك، وقطعت شعرها ورمته عليه فتهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم واستمروا على ذلك أياماً: فمنهم من مات على ظهور الجمال، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات.
هذا وجواري الملك الأشرف وسيال حواشيه قد لبسن الحداد وتذرعن السخام، وطفن في الشوارع بالنواحات يقمن المأتم، فلم ير بمصر أشنع من تلك الأيام. ثم أخذ بعد ذلك الأمير سيف الدين قجقار الساقي فشنق بسوق الخيل، ولم يوقف لقراسنقر ولا للاجين على خبر ألبتة.

وبلغ الوزير ابن السلعوس وهو بالإسكندرية مقتل الملك الأشرف، فخرج ليلا وسار إلى القاهرة فترل بزاوية

الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري خارج القاهرة وبات عنده. ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته إلى داره، فأتاه القضاة والأعيان وسلموا عليه، فجري معهم على عادته من الترفع والكبر، و لم يقم لأحد ولا احتفل بكبير. فقال له بعض أصدقائه: الرأي أن تختفي حتى تسكن الفتنة فقال: هذا لا نفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا، فكيف نختاره لأنفسنا واستمر في بيته والناس تتردد إليه خمسة أيام، وذلك من أجل أن حرم الملك الأشرف بعثن إلى الأمير كتبغا النائب يشفعن فبه، فإنه من أحباب السلطان وأخصائه. فشق ذلك على الشجاعي وتحدث مع كتبغا وغيره من الأمراء، وحرضهم عليه وأغراهم به، فاستدعاه كتبغا في اليوم السادس وهو ثاني عشري المحرم، فركب في دسته على عادته، فعندما دخل إليه قبض عليه وأسلمه للشجاعي فأحاط به، وأنزله من القلعة ماشياً إلى داره والأعوان محيطة به، فلم يمكن من العبور إليها. وأخذه أعدي أعاديه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري شاد الصحبة ليطالبه بالأموال، فضربه ضرباً شديداً بلغ في مرة واحدة ألفاً ومائة ضربة بالمقارع، فأنكر عليه الشجاعي ذلك ونقل ابن السلعوس إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ المسعودي شاد الدواوين، فعاقبه بأنواع العقوبات وعذبه أشد عذاب، واستخرج منه مالاً كثيراً: منه مبلغ تسعة آلاف دينار تحت يد شخص بالشام، فكتب. التذاكر إلى الشام، وأخذ المبلغ المذكور.

وكانت عقوبة ابن السلعوس في المدرسة الصاحبية بسوبقة الصاحب من القاهرة، وفي كل يوم يضربه لؤلؤ بالمقارع ويخرجه من الصاحبية إلى القلعة وهو على حمار، فيقف له أراذل الناس في طول الطريق ومعهم المداسات المقطعة ويقولون له: يا صاحب علم لنا على هذه ويسمعونه كل مكروه، فيترل به من الخزي والنكال ما لا يعبر عنه. وكان لؤلؤ هذا ممن أنشأه ابن السلعوس، فإنه كان قد طلب من دمشق لما قتل مخدومه الأمير طرنطاي النائب وكان يلي ديوانه بالشام فأحسن إليه ابن السلعوس وولاه شد الدواوين بمصر، وصار يقف في خدمته كأنه بعض النقباء، فلا يسميه إلا لؤلؤ، فقدر الله أنه وقع في يده، فبالغ في إهانته وصارت العقوبة في كل يوم تتزايد عليه والشدائد تتضاعف، ويتولى عقوبته شر الظلمة وأبعدهم من الشفقة، إلى أن مات في يوم السبت عاشر صفر، وقيل خامس عشره، وقيل سابع عشره، وضرب بعد موته ثلاث عشرة مقرعة، ودفن بالقرافة.

وفي تاسع عشر صفر: عزل قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عن وظيفة القضاء، وأعيد قاضي القضاة تقي، الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان بيده من المناصب واستقر ابن جماعة في تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعي من القرافة، وتدريس المشهد الحسيني بالقاهرة.

وفي هذه المدة: أحكم الشجاعي أمر الوزارة، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه، وأحب أن يستبد بالأمور، فشرع في إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه، واستمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينار سرا، وقرر معهم أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه، وأن الأمير علم الدين سنجر البندقداري يقبض على كتبغا إذا جلس على السماط. وكان ممن اطلع على هذا الأمير سيف الدين قنغر التتري الوافد في الدولة الظاهرية وهو من جنس كتبغا، فأعلمه الخبر، فاحترز كتبغا على نفسه وأعلم أصحابه من الأمراء وغيرهم، فلما كان يوم الخميس ثاني عشري صفر اجتمع الأمراء بمساطب باب القلة من قلعة الجبل على العادة، ينتظرون فتح باب القلعة ليركبوا في خدمة الأمير كتبغا في الموكب كما جرت به العادة، فلم يشعروا إلا برسالة قد خرجت على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من

الأمراء: وهم سيف الدين قبجق، وبدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر، وسيف الدين قبليبي، وركن الدين عمر السلاح دار أخو تمر، وسيف الدين كرجي، وسيف الدين طرنجي، وقرمشي السلاح دار، وبوري السلاح دار، ولاجين جركسي، ومغلطاي المسعودي، وكرد الساقي، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية. وقام بقية الأمراء للركوب، فبينما هم يسيرون تحت القلعة بالميدان الأسود، جاء الأمير قنغر ومعه ابنه جاورجي، فأخبرا النائب كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا، وأن الشجاعي قد دبر أنك إذا طلعت قبض عليك وعلى من معك وقت الجلوس على السماط. فعرف كتبغا الأمراء الذين معه بما قال قنغر وولده، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة.

واستعجل الأمير علم الدين البندقداري، وعمل ما لا كان ينبغي، وذلك أنه كان في الموكب سيف الدين برلغي أمير مجلس، وركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستادار، فلم يشعر بيبرس إلا وضربة دبوس جاءته في رأسه أثرت فيه أثراً بقي فيه بعد ذلك، وقبض عليه وعلى برلغي وبعث بهما إلى الإسكندرية. وعند قبضهما قال سنجر البندقداري لكتبغا النائب في جملة كلام فاوضه به: أين لاجين؟ أحضره فقال كتبغا: ما هو عندي فقال سنجر: والله هو عندك وجرد سيفه ليضرب به كتبغا، فبادره من ورائه بكتوت الأزرق مملوك كتبغا وضربه بسيف حل كتفه، ونزل إليه بقية مماليك كتبغا وذبحوه.

وساق كتبغا ومن معه من الأمراء: وهم بيسري وبكتاش الفخري أمير سلاح وبكتوت العلائي وبهاء الدين يعقوب ونوكاي وأيبك الموصلي والحاج بهادر وأقسنقر كرتيه وبلبان إلى باب المحروق وخرجوا منه، فنزلوا بظاهر السور ولبسوا عدة الحرب. وبعث كتبغا نقباء الحلقة في طلب المقدمين وأجناد الحلقة والتتر والأكراد الشمهرزورية، فحضروا إليه. وركب الشجاعي وخرج إلى باب القلعة، وحرك الكوسات ليحضر إليه الأمراء وأجناد الحلقة، فإنه كان قد صر عدة صرر من ذهب، وراسل المقدمين وأجناد الحلقة يعدهم إذا وافقوا وقاموا معه، فصار من يحضر إليه يعطيه صرة ذهب على قدره، فلم يحضر إليه هذا اليوم إلا من لا يغني ولا يجدي مجيئه شيئا. ثم إن كتبغا بعث إلى السلطان يطلب الشجاعي، وقال له: قد انفرد هذا برأيه في القبض على الأمراء ولابد من حضوره، فإنه بلغنا عنه ما أنكرناه. فأرسل السلطان يعرف الشجاعي بذلك، فامتنع أن يحضر إليه، ورجف كتبغا وأخذ يحاصر القلعة وقطع عنها الماء وباتوا على ذلك. فلما كان يوم الجمعة نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية، وقاتلوا كتبغا ومن معه من العساكر، وهزموهم وساقوا خلفهم إلى البئر البيضاء، ومر كتبغا إلى ناحية بلبيس.

وكان بيسري وبكتاش في عدة من الأمراء لم يركبوا مع كتبغا في هذا اليوم، فلما سمعوا بكسرته شق عليهم ذلك وركبوا إلى البرجية وقاتلوهم، وكسروهم حتى ردوا إلى القلعة. فقدم كتبغا بعد كسرته وانضم مع بيسري وبكتاش، وتلاحق بهم الناس. فجدوا في حصار القلعة حتى طلع الملك الناصر على البرج الأحمر وتراءى لهم، فنزل الأمراء عن خيولهم إلى الأرض وقبلوا له الأرض، وقالوا: نحن مماليك السلطان، و لم نخلع يدا من طاعته، وما قصدنا إلا حفظ نظام الدولة واتفاق الكلمة وإزالة الفساد.

واستمر الحصار سبعة أيام، وفي كل يوم ينزل الشجاعي ومعه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين طغجي في عدة من المماليك السلطانية، فيكون بينه وبين كتبغا وأصحابه قتال، إلا أنه يتسلل ممن

معه في كل يوم عدة ويصيرون إلى كتبغا. فلما اشتد الحصار طلعت أم السلطان على سور القلعة، وسألت الأمراء عن غرضهم حتى تعمل، فقالوا :ما لنا غرض إلا القبض على الشجاعي وإخماد الفتنة، ولو بقي من بيت أستاذنا بنت عمياء كنا مماليكها، لاسيما وولده الملك الناصر حاضر وفيه كفاية. فانخدعت لقولهم، واتفقت مع الأمراء حسام الدين الأتابك وغلقوا باب القلة من القلعة، وصار الشجاعي بداره من القلعة محصورا. فعند ذلك تفرق عنه أصحابه ونزلوا إلى كتبغا، فلم يجد بدا من طلب الأمان فلم تجبه الأمراء، فتحير وقال: "إن كنت أنا الغريم فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا مني، وأبرأ مما قيل عني وخرج إلى باب الستارة السلطانية وحل سيفه بيده، وذهب نحو البرج ومعه الأمير بهاء الدين الأقوش والأمير سيف الدين صمغار.

وقيل إن الشجاعي لما أبي الأمراء أن يؤمنوه بعثوا آخر النهار عند العصر جماعة فيهم الأقوش إلى عند أم السلطان، وطلبوا الشجاعي ليستشيروه فيما يفعل، فلما حضر تكاثرت عليه المماليك، ووثب عليه منهم أحد مماليك الأقوش وضربه من ورائه بسيف أطار يده، وثني بأخرى أسقطت رأسه عن بدنه، ورفعت في الحال على السور. وكان عمره نحو خمسين سنة.

ويقال إنه لما حضر قال له السلطان: يا عمي لأي شيء هذا الذي أنتم فيه؟ فقال: لأجلك يا خوند فقال: خلوني أعمل شيئا تبقوا مطمئنين وأنا معكم، وهو أنك تروح يا أمير علم الدين تقعد في مكان بالقلعة وترسل ورائه الأمراء ليطلعوا، وبعد أيام نوفق بينكم، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ونستريح منهم. فقام الأمراء الحاضرون وقبضوا عليه، وقيدوه وأخرجوه إلى مكان يسجن فيه، فتوجه به الأقوش نحو البرج الجواني.

فلما كان في أثناء، الطريق قتله، وقطع رأسه ويده وأخذها في ذيل قرظيته ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والمماليك السلطانية محيطة بباب القلعة، فقالوا له: ما معك فقال: خبز سخن أرسله السلطان إلى الأمراء، ليعلموا أن عندنا الشيء بكثرة يريد بذلك النجاة منهم. فظنوه صادقاً وتركوه، ولو علموا بأنه معه رأس الشجاعي لما خلص منهم. فصار إلى الأمراء وناولهم الرأس، فبعثوا في الحال من حلف السلطان والأمراء الذين عنده.

وفتح باب القلعة، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة وهم راكبون إلى باب القلة، ثاني يوم، ودقت البشائر، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشريه. فنودي بعد ذلك بالأمان، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة، وكذلك الأسواق كانت معطلة في هذه المدة.

ثم رفع رأس الشجاعي على رمح وطيف بها القاهرة ومصر، و لم يدعوا زقاقا حتى طافوا بالرأس فيه، وجبوا عليه مالاً كثيراً. وفي الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات، ومنهم من يصفعه ويسبه، وصاروا يقولون: هذه رأس الملعون الشجاعي .وسر كثير من الناس لموته، فإنه أكثر من المصادرات، ونوع الظلم والعسف أنواعا.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، وأعيدت لهم إقطاعاتهم وأموالهم، وجددت الأيمان للسلطان ولنائبه الأمير كتبغا. وأنزل من كان ساكنا في الأبراج والطباق بقلعة الجبل من المماليك السلطانية الذين رموا بأنهم أثاروا هذه الفتنة، وأسكنت طائفة منهم في مناظر الكبش بجوار الجامع الطولوني، وطائفة في دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، وطائفة في مناظر الميدان الصالحي بأرض اللوق، واعتقلت طائفة.

وفي يوم الخميس تاسع عشريه: استقر في الوزارة الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا، واستقر ابن عمه عز الدين الصاحب محيي الدين بهاء الدين في وزارة الصحبة،

وصارا يجلسان جميعاً في شباك الوزارة بقلعة الجبل، والصاحب تاج الدين هو الذي يوقع.
وفي سلخه: أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم.
وفي ثالث ربيع الأول: أوقعت الحوطة بدمشق على موجود الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وقبض على نوابه.
وفي العشرين من رجب: حلف نائب دمشق والأمراء بها للسلطان ونائبه وولي عهده الأمير كتبغا، ودعي له معه في الخطبة.

وفي خامس عشريه: ركب الملك الناصر في أبهة الملك، وشق القاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة عائدا إلى القلعة، وكتبغا والأمراء يمشون في ركابه، فكان يوماً مشهوداً، ودقت البشائر بالقلعة.
وفي يوم عيد الفطر: ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوريان من الاستتار: وكانا وقت فرارهما عند وقعة بيدرا قد أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزيني مملوك الأمير كتبغا بحالهما، فتلطف مع أستاذه كتبغا في أمرهما حتى صار يتحدث مع السلطان إلى أن عفا عنهما، ثم تحدث كتبغا مع الأمير بكتاش في أمرهما، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك، وأزال ما كان في نفوسهم من الوحشة. وقرر الحال على أنهما يصعدان إلى القلعة يوم العيد، فأتيا سرا إلى بيت الأمير كتبغا بقلعة الجبل، فأخذهما معه ودخل إلى السماط، فقبلا الأرض للسلطان على العادة، فأكرمهما وخلع عليهما وأمرهما كما كانا، ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجل وصفه. وكانت هذه الفعلة من كتبغا مع لاجين كعنز السوء بحثت عن حتفها بظلفها، كما ستراه قريباً من خبرهما إن شاء الله.
وفيه أفرج عن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسي وأخوته وأولاده.
وفي هذه السنة: قصر مد النيل ولم يوف، بل كانت نهايته خمسة عشر ذراعاً وثلث ذراع، فغلت الأسعار.
وفيها استقر في قضاء دمشق قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين محمد الخويي بحكم وفاته.
وفيها سار الشريف أبو نمي أمير مكة يريد مصر حتى يلقي السلطان الملك الأشرف، لأنه حلف على ذلك، فلما نزل ينبع رد إليه الشريف راجح بن إدريس ينبع، وجاءه الخبر بقتل السلطان الملك الأشرف، فرجع من ينبع إلى مكة.
وغلت الأسعار بمكة، فأبيع المد الملح بستة دنانير مكية، وغلت بها المياه في شعبان ورمضان. وقدم حاج اليمن في كثرة، فبلغت الراوية أربعة دنانير، وحمل الماء من عرفة إلى مكة. ثم أغاث الله بالأمطار وكانت بمني قبله في يوم الأحد، فسار الناس منها يوم الأربعاء ومضوا إلى بلادهم.
وفيها قتل الملك كيختو بن أبغا بن هولاكو. وولي بعده بيدو بن طوغاي بن هولاكو.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي قضاة الشام شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المهلبي الشهير بابن الخويي الشافعي بدمشق عن سبع وستين سنة، ولي قضاء حلب

ودمشق ومصر، ولم يبرح مشكور السيرة.

وتوفي الوزير الصاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الإسعردي عن إحدى وثمانين سنة، وزر مرتين.

وتوفي الوزير الصاحب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبي الرجا بن السلعوس التنوخي، عن خمسين سنة مقتولا.

وتوفي الزاهد المعتقد تقي الدين أبو محمد عبد الله بن على بن محمد بن منجد السروجي بالقاهرة.

وتوفي المحدث شرف الدين أبو على الحسن بن على بن عيسي بن الحسن بن على ابن الصيرفي اللخمي عن نحو سبع وستين سنة.

ومات قبلاي خانة بن طلوي بن جنكزخان ملك الصين، وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسي مملكة جنكزخان. وكانت مدته قد طالت، فقام في مملكة الصين بعده ابنه شبردون بن قبلاي.

سنة أربع وتسعين وستمائة

في المحرم: ورد الخبر بأن كيختو بن أبغا بن هولاكو، الذي تسلطن بعد أخيه أرغون في سنة تسعين، قتل في سنةثلاث وتسعين. وملك بعده ابن عمه بيدو، وهو ابن طرغاي بن هولاكو، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان، وكسره وأخذ الملك منه، ويقال إنه أسلم على يد الشيخ صدر الدين بن حمويه الجويني.

وفي ليلة الأربعاء حادي عشره: اجتمع المماليك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التي تحت القلعة، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليه .وداروا على خوشداشيتهم فأركبوهم ومضوا إلى باب سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من المماليك، فلم يوافقوهم على ذلك فتركوهم، وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من المماليك، وساروا إلى إسطبل السلطان ووقفوا تحت القلعة. فركب الأمراء الذين بالقلعة وقاتلوهم، فلم يثبتوا وانهزموا وتفرقوا. فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها و لم يفلت منهم أحد، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة، وقطعت أيدي جماعة وأرجلهم، وغرق غير منهم، وفيهم من أكحل، وفيهم من قطعت ألسنتهم، ومنهم من صلب على باب زويلة، ومنهم من بقي، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره: خلع الملك الناصر ابن قلاوون، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام، لم يكن لي فيها أمر ولا نمي.

السلطان زين الدين كتبغا المنصوري

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري كان في مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للناصر معه تصرف ألبتة. ثم إنه أخذ في أسباب السلطة بعد قتل الشجاعي. ولما دخل المحرم انقطع في دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن، وباطن أمره إنه يريد أن يقرر أموره في السلطنة فخرج إليه

الناصر وعاده. فلما كانت فتنة المماليك جلس في صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم: قد انخرق ناموس المملكة، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه. فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه، وحلفوا له على ذلك، وقدم إليه فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وركب من دار النيابة قبلي أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقض ثلاثة أيام الأربعاء حادي عشر المحرم، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك، وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتان.

ومن عجيب الاتفاق أن مشرف المطبخ السلطاني بالقلعة ضرب بعض المرقدارية فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول :يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس فجري هذا الكلام في هذا اليوم على ألسنة جميع الناس.

وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر، وأسكن هو وأمه في بعض قاعات القلعة.

وفي ثاني عشره: مد العادل سماطا عظيماً وجلس عليه، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده، وهنئوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير، واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر، وخلع على الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، وجعل أمير جاندار، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر، واستقر أمير جاجب.

وفي رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا، وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصوري، فقدم دمشق في سابع عشره وحلف النائب والأمراء، ودقت البشائر.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزراة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة.

وفي يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفتي على رأسه والتقليد بين يديه، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضي جمال الدين محمد بن المكرم بن أبي الحسن بن أحمد الأنصاري.

وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا، وأغرلو وبكتوت الأزرق وقطلو بك، فركبوا بالإمرة في يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي على عادته في أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه في الدولة الأشرفية، وسار من القاهرة.

وفي يرم الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة، واستقر بالقاضي فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي الداري وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين في الوزارة.

وفي هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث، وخرج النائب وسائر الناس مشاة. وتزايد الغلاء بديار مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين، وكانت التقاوي المخلدة قد أكلت. و لم يكن بالأهراء السلطانية غلال، فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها للأمراء وغيرهم حتى نفد ما في الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم، فصار الوزير يشتري الغلال للمئونة بدور السلطان وللعليق،

فتزايد الغلاء حتى بلغ تسعين درهما الأردب.

ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم في القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقي الميت مطروحا في الأزقة والشوارع ملقى في الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

وفي سادس عشري رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى في قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة، وأنعم على الملك الأوحد شادي بن الزاهر مجير الدين دوادار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبي بإمرة في دمشق، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها، وهو أول من أمر طبلخاناه من بني أيوب في دولة التركية. فقدم الخبر بموت الملك المظفر شمس الدين أبي المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني صاحب اليمن في شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممهد الدين عمر ولي عهد هأيون، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود وجمع لقتاله، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوما وملكها وأخذ الأموال بغير حق، وسار يريد تعز فبعث إليه الأشرف جيشا قاتله وأسره وحمله إليه، فاعتقله.

وفيها استقر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموي بدمشق، زيادة على ما بيده من قضائها، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال، وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصوري نائب البلاد الطرابلسية، وحمل إلى القاهرة، فقدمها في حادي عشر ذي القعدة واعتقل، وأقيم بدله الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري.

وفيها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعاً وسبع عشر إصبعا، ثم هبط من ليلته ولم يعد، فتزايد الغلاء واشتد البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضاً، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز، وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهما فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان في شهر ذي الحجة سبعة عشر ألفا وخمسمائة، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرف بموته في كل يوم ألف نفس، سوى من لم يثبت اسمه في الديوان. فلما اشتد الأمر فرق السلطان الفقراء على أرباب الأموال بحسب حالهم.

وفيها كثرت الفلوس، فعلمت كل أوقية بسدس درهم.

وفيها مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد لهن أبي حفص ليلة الجمعة رابع عشري ذي الحجة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر. وبويع أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد.

ومات في هذه السنة من الأعيان

القان كيختو بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان ملك التتار قتيلا، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين.

ومات القان بيدو بن طرغاي، بن هولاكو القائم بعد كيختو مقتولا، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر، وقام بعده عازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر بن علي بن رسول ملك اليمن بقلعة تعز وقد تجاوز ثمانين سنة، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة.

ومات الملك السعيد داود بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازي بن المنصور أرتق ابن إيلغازي بن ألبى تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق صاحب ماردين، وقام بعده أخوه المنصور غازي.

وتوفي شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعدة بن أحمد بن جعفر بن الحسين ابن حماد القدسي الشافعي، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق، وقد انتهت إليه رياسة الفتوي وولي خطابة الجامع الأموي. وتوفي عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر بن فرج بن أحمد بن سابور الفاروثي الواسطي الشافعي، عن ثمانين سنة بواسط، وكان قد ولي الخطابة بعد ابن المرحل، وكان إماماً في عدة فنون.
وتوفي محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي فقيه الحجاز، بمكة عن تسع وسبعين سنة.
وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الساكن الطوسي المشهدي، بالقاهرة.

سنة خمس وتسعين وستمائة

في المحرم: حدث بقرية جبة عسال من قرى دمشق أمر عجيب: وهو أن شابا من أهلها خرج بثور له يسقيه الماء، فلما فرغ الثور من شربه حمد الله، فتعجب الصبي من ذلك، وحكاه فلم يصدق. فلما كان في اليوم الثاني خرج صاحب الثور به ليسقيه، فشرب وحمد الله بعد فراغه، فمضى به، وكثر ذكر ذلك بالقرية. فخرج به في اليوم الثالث وقد حضر أهل القرية، فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله. فتقدم بعضهم وسأله، فقال الثور بكلام سمعه من حضر: إن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدباً، ولكن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها الله تعال بالخصب. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك إلى الناس .قال الثور فقلت: يا رسول الله ما علامة صدقي عندهم؟ قال: أن تموت عقيب الإخبار ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع وسقط ميتاً، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به، وكفنوه ودفنوه وحضر إلى قلعة الجبل محضر ثابت على قاضي الولاية بهذه الحادثة.
وفي ربيع الأول: قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية من التتار ومقدمهم طرغاي زوج بنت هولاكو، وإنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت، وقد فروا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام. فكتب إلى نائب الشام أن يبعث إليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري إلى الرحبة ليلقاهم، فخرج من دمشق، ثم توجه بعده الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق، وخرج الأمير قراسنقر المنصوري من القاهرة أيضاً، فوصل دمشق في ثاني عشريه، ثم تبعه الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، فأقام بدمشق حتى وصلت أعيان الأويراتية صحبة سنقر الأعسر في ثالث عشريه. وكانت عدتهم مائة وثلاثة عشر رجلا، ومقدمهم طرغاي، ومن أكابرهم الوص وككباي، فتلقاهم النائب والأمراء واحتفل لقدومهم احتفالاً زائداً.
ثم سار بهم الأمير قراسنقر إلى القاهرة يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فلما وصلوا بالغ السلطان في إكرامهم والإحسان إليهم، وأمر عدة منهم. وبقوا على كفرهم، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها، بل يربط الفرس ويضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل. فأنف الأمراء من جلوسهم معهم بباب القلة في الخدمة، وعظم على الناس إكرامهم، وتزايد بعضهم في السلطان، وانطلقت

الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد.

وأما بقية الأويراتية فإنه كتب إلى سنجر الدواداري أن يترلهم ببلاد الساحل، فمر بهم على مرج دمشق، وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج وبمترلة الصنمين وفي الكسوة، و لم يمكن أحد من الأويرايتة أن يدخل مدينة دمشق. وأنزلوا من أراضي عثليث ممتدين في بلاد الساحل، وأقام الأمير سنجر عندهم إلى أن حضر السلطان إلى الشام.

وقد هلك منهم عالم كبير، وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم، وتزوج الناس ببناهم، وتنافس الأمراء والأجناد وغيرهم في صبياهم وبناهم، ثم انغمس من بقي منهم في العساكر، فتفرقوا في الممالك، ودخلوا في الإسلام واختلطوا بأهل البلاد.

وفي يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى: استقر في قضاء القضاة بديار مصر تقي الدين محمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد الشافعي، بعد وفاة قاضي القضاة ذي الرياستين تقي الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة ذي الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز.

وفي هذه السنة: اشتد الغلاء، وبلغ سعر الأردب القمح المصري إلى مائة وثمانين درهما، والشعير تعدي الأردب منه مائة درهم، والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم، وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة، وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فراريج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة، وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم .وأبيعت سفرجلة بثلاثين درهما، وكل رطل لحم بسبعة دراهم، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم، و لم يزد سعر القمح في بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس، وشحت الأنفسي حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزير محتسب القاهرة ومصر لبياعي لحوم الكلاب والميتات، ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشي وبني آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأي بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهي تستعطي، فرق لها وأدخلها داره فإذا هي جميلة، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءاً طعاماً أكلته كله ولم تشبع، فقدم إلها مثله فأكلته وشكت الجوع، فما زال يقدم لها وهي تأكل حتى اكتفت، ثم استندت إلى الحائط ونامت، فلما حركوها وجدت ميتة، فاخذوا من كتفيها جرابا فلفوا فيه يد إنسان صغير ورجله، فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء.

ثم إن الأسعار انحلت في شهر رجب، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهما، والشعير بخمسة وعشرين درهما الأردب.

وأما النيل فإنه توقف، ثم وفي ستة عشر ذراعا وكسر الخليج، فنقص في يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصا فاحشا ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس، وكثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس في الأسواق من شدة الغلاء.

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل في الميضأة من الغرباء الطرحاء في كل يوم نحو المائة والخمسين ميتا، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم، فيشتغل نهاره. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد في ثوب ثم ساعة ما يوضع في حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات.

وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم في الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما في حفرة أو في النيل إن كان قريباً منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات في شباك على الجمال، ويعلقون الميت بيديه ورحليه من الجانبين، ويرمي في الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن، ورمي كثير من الأموات في الآبار حتى تملأ ثم تردم.

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب، وأكل كثيراً منها بنو آدم أيضاً وحصر في شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم الموتان في أعمال مصر كلها حتى خلت القرى.

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر، فتزايدت الأسعار في سائر بلاد الشام. وجفت المياه، فكانت الدابة تسقي بدرهم شربة واحدة، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة، و لم يبق عشب ولا مرعي. وبلغ القمح كل غرارة في دمشق بمائة وسبعين درهما، والخبز كل رطل وأوقتين بدرهم، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري قرأ صحيح البخاري تحت قبة النسر بالجامع الأموي بدمشق في يوم الأحد تاسع صفر، فسقط المطر في تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه ثلج، فسر الناس، إلا أن الأسعار تزايدت، ثم انحطت. واشتد الغلاء بالحجاز، حتى أبيعت الغرارة القمح في مكة بألف ومائتي درهم.

وفي رجب :وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة.

وفيها قدمت أم الملك العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية إلى دمشق في حادي عشر رمضان، وسارت إلى القاهرة في ثامن عشره. وفيها مات الملك السعيد إيلغازي بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان الأرتقي صاحب ماردين، فكانت أيامه قريباً من ثلاث سنين، وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين عازي.

وفي يوم السبت سابع عشر شوال: خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام، واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه في نيابة السلطنة، وولده الملك المجاهد أنص. فدخل دمشق في يوم السبت خامس عشر ذي القعدة، وحمل الأمير بيسري الجتر على رأسه.

وفيه استقر تقي الدين سليمان في قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شرف الدين حسن بن عبد الله بن محمد بن

قدامة المقدسي بحكم وفاته في ثاني عشري شوال.

ولما استقر السلطان بدمشق خلع في سادس عشره على الأمراء وأهل الدولة، وشرع الصاحب فخر الدين الخليلي في مصادرات أهل دمشق من الولاة والشادين ورسم على سنقر الأعسر شاد الدواوين، وعزل أسندمر كرجي وإلى البر، وولي عوضه علاء الدين ابن الجاكي، وألزم الأعسر وسائر المباشرين بأموال جزيلة.

وفي رابع عشريه: قدم الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق، فتلقاه السلطان وأكرمه وخرج عسكر كبير إلى حلب.

وفي يوم الجمعة ثامن عشريه: صلى السلطان بالجامع الأموي، وخلع على خطيبه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفي يوم الإثنين ثاني ذي الحجة: عزل الأمير عز الدين أيبك الحموي عن نيابة دمشق، ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله، واستقر في نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلي، وعمره نحو الثلاثين سنة، واستقر أيبك الحموي نائب دمشق على إقطاع أغرلو بديار مصر، وخلع عليه.

وفي ثامنه: استقر في وزارة دمشق عوضاً عن تقي الدين توبة وكيل السلطان شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الأذرعي الحنفي محتسب دمشق.

وفي ثاني عشره: خرج السلطان إلى حمص ليتصيد، فدخلها في تاسع عشره، وحضر إليه نائب حلب وبقية النواب. وانسلخت هذه السنة والسلطان على جوسية من قرى حمص بمخيمه، وكان قد اشتراها.

وفيها ولي الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد قاضي العسكر نقابة الأشراف بديار مصر، بعد وفاة الشريف عز الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحلبي واستقر في قضاء الحنابله بدمشق تقي الدين أبو الفضل ابن عبد الرحمن الحلبي سليمان بن حمزة بعد موت شرف الدين حسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر.

وفيها استقر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر محمد بن عمر بن على مملكة اليمن، بعد موت أخيه الأشرف ممهد الدين عمر.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الأشرف عمر بن المظفر محمد بن المنصور عمر بن علي بن رسول متملك اليمن، وقد قارب سبعين سنة.

وتوفي قاضي القضاة ذو الرياستين تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعز العلامي الشامي بالقاهرة عن.

وتوفي قاضي الحنابلة بدمشق شرف الدين أبو الفضائل الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر محمد بن الحسن بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، عن سبع وخمسين سنة.

وتوفي العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي، عن نحو خمس وستين سنة بدمشق.

وتوفي الصاحب محيى الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله ابن طارق بن سلامة بن النحاس الآمدي الحلبي الحنفي، بدمشق عن إحدى وثمانين سنة، وكانت قد انتهت إليه مشيخة فقه الحنفية، وولي قضاء

حلب ثم وزارة دمشق.

وتوفي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون التميمي الموصلي الشافعي، بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

وتوفي المقرىء الزاهد شرف الدين أبو الثناء محمد بن أحمد بن مبادر بن ضحاك التاذفي بدمشق عن إحدى وسبعين سنة.

وتوفي السراج أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الوراق الشاعر، عن نحو سبعين سنة.

وتوفي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود الشافعي الفقيه الأديب، بمصر.

سنة ست وتسعين وستمائة

في ثاني المحرم قدم السلطان من حمص إلى دمشق.

وفي يوم الجمعة رابعه: صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموي، وأخذ قصصاً كثيرة رفعت إليه، ورأي بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشي عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده.

وفي سابع عشره: أنعم على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب بإمرة طبلخاناه بدمشق.

وفي حادي عشريه: قبض على الأمير أسندمر كرجي، واعتقل بقلعة دمشق، وعزل سنقر الأعسر عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير فتح الدين عمر بن محمد ابن صبرة.

وفي بكرة يوم الثلاثاء ثاني عشريه: رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد القاهرة، وقد توغرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به. فسار إلى أن نزل بالعوجاء قريباً من الرملة، وحضر الأمراء عنده بالدهليز، فأمر بإحضار الأمير بيسري فطلب طلبا حثيثاً، فلما حضر لم يقم له على عادته، وأغلظ له في الكلام ونسبه إلى أنه كاتب التتار، فكانت بينهما مفاوضة، ثم نهض السلطان، وانفض الأمراء وقد حرك منهم ما كان عندهم كامناً.

فاجتمعوا عند الأمير حسام لاجين النائب وفيهم بيسري، وسألوه عما كان من السلطان في حق فقال: إن مماليك السلطان كتبوا عنك كتباً إلى التتار، وأحضروها إليه وقالوا إنك كتبتها، ونيته القبض عليك إذا وصل إلى مصر، وأن يقبض على أيضاً وعلى أكابر الأمراء، ويقدم مماليكه. فأجمعوا عند ذلك على مبادرة السلطان، فركبوا يوم الثلاثاء سابع عشري المحرم وقت الظهر: وهم لاجين بيسري وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب في آخرين، واستصحبوا معهم حمل نقارات وساقوا ملبسين إلى باب الدهليز، وحركت النقارات حربياً. فركب عدة من العادلية واقتتلوا، فتقدم تكلان العادلي فضربه الأمير لاجين في وجهه ضربة أخذت منه جانباً كبيراً، وجرح تكلان فرس لاجين وقتل الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق العادلي في خيمته، وقتل الأمير سيف الدين بتخاص العادلي، وقد فر إلى الدهليز فأدركوه بباب الدهليز فقتلوه، وجرحوا عدة من المماليك العادلية. فلم يثبت العادل، وخرج من ظهر الدهليز، وركب فرس النوبة ببغلطاق صدر، وعبر على قنطرة العوجاء يريد دمشق من غير أن يفطن به أحد، و لم يدركه سوي خمسة من مماليكه. وهجم لاجين على الدهليز

فلم يجد العادل وبلغه أنه فر، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز، فلما عاينه الأمراء ترجلوا له ومشوا في ركابه حتى نزل. فكانت مدة كتبغا، منذ جلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء في يوم الثلاثاء سابع عشري المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، سنتين وسبعة عشر يوما.

السلطان حسام الدين لاجين

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصووي المعروف بالصغير
كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك، فلما خلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعي، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية، بحكم بيع قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكري.
وعرف حين بيعه بشقير، فربي عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى في خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية .ثم أمره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك، وهو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته في النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما في أيديهم، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانياً، ففر من داره بدمشق، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا في قتل الأشرف خليل، كما تقدم ذكره. ثم اختفى خبره مدة، وتنقل في المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا في أمره، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين في نيابة السلطنة بديار مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه، فنزل بالدهليز من العوجاء وقيل من اللجون.
واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسري الشمسي، وشمس الدين قراسنقر المنصوري، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح دار الرومي أستادار، وبدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، وعز الدين أيبك الخازندار، وجمال الدين أقوش الموصلي، ومبارز الدين أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وسيف الدين سلار، وسيف الدين طغي، وسيف الدين كرجي، وعز الدين طقطاي، وسيف الدين برلطاي في آخرين، حتى حملت الخزائن على البغال ورمي الدهليز. وساروا في خدمة لاجين إلى قريب المغرب، ونزلوا قريباً من يازور وحضروا بأجمعهم بين يدي لاجين واتفقوا على سلطنته، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم، ولا ينفرد برأي دونهم، ولا يبسط أيدي مماليك ولا يقدمهم، وحلفوه على ذلك. فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصوري: نخشى أنك إذا جلست في منصب السلطنة تنسى هذا الذي تقرر بيننا وبينك، وتقدم مماليك وتخول مملوكك منكوتمر علينا، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا. وكان منكوتمر مملوك لاجين، وكان يوده ويؤثره، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه. فحلف لاجين مرة ثانية أنه لا يفعل ذلك، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه، فحلف له الأمراء وأرباب الدولة .
وتلقب بالملك المنصور، وركب بشعار السلطنة في يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم، وبات تلك الليلة ورحل إلى سكرير ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسري الجتر على رأسه، فخطب له بغزة

والقدس وصفد والكرك ونابلس، وضربت بها البشائر.
وهذا وقد ركب البريد من غزة، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء. ورسم السلطان لاجين في غزة بمسامحة أهل مصر والشام بالبواقي، ثم سار منها في يوم الخميس أول صفر. ونزل ظاهر بلبيس في ثامنه، وقد خرج إليه أمراء مصر وحلفوا له، ثم سار منها ضحوة وبات مسجد تبر، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل. ثم ركب إلى الميدان السلطاني بشعار السلطة على العادة، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وعليه الخلعة الخليفتية وهي جبة سوداء بزيق وأكمام واسعة والتقليد محمول بين يديه، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه، وذلك في يوم الخميس خامس عشره.
وفي يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هي عليه، فسر الناس به، فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها، فأبيع بعشرين، وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب، فأبيع بعشرة، وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف، فأبيع بدرهم وربع، ودرت الأرزاق وكثر الخير.

وفوض السلطان لاجين نيابة السلطة بديار مصر إلى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري، واستمر بالصاحب فخر الدين بن الخليلي في الوزارة، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستادارا، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا، والأمير سيف الدين قبجاق المنصوري نائب الشام، ومنع الوزير من الظلم وأخذ المواريث بغير حق، وألا يطرح البضائع على التجار، فكثر الدعاء له.
وأما كتبغا فإنه قدم قبله إلى دمشق أمير شكاره وهو مجروح، ليعلم الأمير أغرلو نائب دمشق بما وقع، فوصل في يوم الأربعاء سلخ المحرم، فكثر بدمشق القال والقيل، وألبس أغرلو العسكر السلاح ووقفوا خارج باب النصر. فوصل كتبغا في أربعة أنفس قبل الغروب وصعد القلعة، وحضر إليه الأمراء والقضاة وجددت له الأيمان، ثم أوقع الحوطة على أموال لاجين. وقدم في أول صفر الأمير زين الدين غلبك العادلي بطائفة من المماليك العادلية، وجلس شهاب الدين الحنفي وزير الملك العادل كتبغا في الوزارة بالقلعة، ورتب الأمور وأحوال السلطنة.
فاشتهرت بدمشق سلطنة لاجين في يوم ثالث عشره، وأن البشائر دقت بصفد ونابلس والكرك. فصار كتبغا مقيماً بقلعة دمشق لا ينزل منها، وبعث الأمير سيف الدين طقصبا الناصري في جماعة لكشف الخبر، فعادوا وأخبروا بصحة سلطنة لاجين. فأمر كتبغا جماعة من دمشق، وأبطل عدة مكوس في يوم الجمعة سادس عشره، وكتب بذلك توقيعاً قرئ بالجامع.
فبعث الملك المنصور لاجين من مصر الأمير سنقر الأعسر وكان في خدمته. فوصل إلى ظاهر دمشق في رابع عشره، وأقام ثلاثة أيام، وفرق عدة كتب على الأمراء وغيرهم وأخذ الأجوبة عنها، وحلف الأمراء. وسار إلى قارا وكان بها عدة أمراء مجردين فحلفهم وحلف عدة من الناس، وكتب بذلك كله إلى مصر. وسار إلى لد، فأقام بها في جماعة كبيرة لحفظ البلاد، ولم يعلم كتبغا بشيء من ذلك.
فلما كان يوم السبت رابع عشريه: وصل الأمير سيف الدين كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة، فلم يدخلوا دمشق، ونزلوا بميدان الحصا قريباً من مسجد القدم، فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم طائفة بعد طائفة .وانحل أمر كتبغا، فتدارك نفسه وقال للأمراء: السلطان الملك المنصور خوشداشي، وأنا في خدمته وطاعته، وأنا أكون في بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب

السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه فيأمري فأدخله الأمير جاغان الحسامي مكاناً من القلعة. واجتمع الأمراء بباب الميدان، وحلفوا للملك المنصور وكتبوا إليه بذلك، وحفظ جاغان القلعة ورتب بها من يحفظ كتبغا، وغلقت أبواب دمشق كلها إلا باب النصر، وركب العسكر بالسلاح ظاهر دمشق، وأحاط جماعة بالقلعة خوفا من خروج كتبغا وتحيزه في جهة أخرج. وكثر كلام الناس واختلفت أقوالهم، وعظم اجتماعهم بظاهر دمشق حتى أنه سقط في الخندق جماعة لشدة الزحام فيما بين باب النصر وباب القلعة، فمات نحو العشرة.

واستمر الحال على هذا يوم السبت المذكور، ثم دقت البشائر بعد العصر على القلعة وأعلن بالدعاء للملك المنصور، ودعي له على المآذن في ليلة الأحد، وضربت البشائر على أبواب الأمراء .وفتحت الأبواب في يوم الأحد، وحضر الأمراء والقضاة بدار السعادة وحلفوا الأمراء بحضور الأمير أغرلو نائب الشام، وحلف هو وأظهر السرور. وركب أغرلو والأمير جاغان البريد إلى مصر، وبلغ ذلك الأمير سنقر الأعسر بلد، فنهض إلى دمشق ودخلها يوم الخميس تاسع عشريه، وقد تلقاه الناس وأشعلوا له الشموع، وأتاه الأعيان، ونودي من له مظلمة فعليه بباب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

وفي يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول :خطب بدمشق للملك المنصور.

فلما كان يوج الجمعة ثامنه: وصل الأمير حسام الدين الأستادار بعسكر مصر ليحلف الأمراء، فحلفوا بدار السعادة في يوم السبت تاسعه، وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره في الملك وجلوسه على تخت الملك بقلعة الجبل، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشاريف الخليفتية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد.

وفي يوم الإثنين حادي عشره: وصل الأمير جاغان الحسامي من مصر، وحلف كتبغا يميناً مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير حسام الدين الأستادار، والأمير سيف الدين كجكن، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة على أنه في طاعة الملك المنصور وموافقته، وقد أخلص النية له ورضي بالمكان الذي عينه له وهو قلعة صرخد وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحداً.

وفيه استقر تقي الدين توبة في وزارة دمشق، واستقر أمين الدين بن هلال في نظر الخزانة، عوضاً عن تقي الدين توبه، واستقر الشيخ أمين الدين يوسف الرومي في حسبة دمشق.

وفي سادس عشره: وصل الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب دمشق من مصر، ونزل بدار السعادة على عادة النواب.

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشره: خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه، وجرد من دمشق معه نحو المائتي فارس ساروا به حتى عبر قلعة صرخد ثم رجعوا، فكانت مدة مفارقته الدهليز من العرجاء إلى أن خلع نفسه بدمشق في يوم السبت رابع عشري صفر أربعة وثلاثين يوما، وجهز إليه ابنه أنص وأهله.

ووصل إلى دمشق نحو ستمائة تشريف فرقت على الأمراء والقضاة والأعيان، ولبسوها يوم الإثنين ثاني شهر ربيع الآخر.

وأفرج الملك المنصور عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجعله أحد الأمراء، وعن الأمير سيف الدين برلغي وبعثه إلى دمشق على إمرة بها، وعن الأمير سيف الدين اللقماني، وعن جماعة من المماليك السلطانية

الذين كانوا بدمياط والإسكندرية وبخزانة البنود من القاهرة وبخزانة شمايل. فكان لهم يوم مشهود، فإنه كان فيهم خمسة وعشرون أميراً، أنعم على جميعهم وخلع عليهم.
وفيها أمر السلطان لاجين جماعة من مماليكه، فأعطى مملوكه سيف الدين منكوتمر إمرة، ومملكوه علاء الدين أيدغدي شقير إمرة، ومملوكه سيف الدين جاغان إمرة، ومملوكه سيف بهادر المعزي إمرة.
وتقدم السلطان إلى الأمير علم الدين الدواداري بعمارة الجامع الطولوني، وعين لذلك عشرين ألف دينار عينا، فعمره وعمر أوقافه، وأوقف منية أندونة من الأعمال الجيزية عليه، ورتب فيه درس تفسير ودرس حديث نبوي، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرساً للطب وشيخ ميعاد ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن.
وسبب ذلك إنه لما هرب في وقعة بيدرا من بر الجيزة واختفى بمنارة الجامع الطولوني وكان إذ ذاك مهدوراً لا يوقد به سوى سراج واحد في الليل، ولا يؤذن أحد بمنارته، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن فأقام به مدة لم يظهر خبره، فأراد أن يكون من شكر نعمة الله عليه عمارة هذا الجامع فعمر، وهو الآن بحمد الله عامر بعمارته له.
وفيها كتب السلطان لاجين إلى الأشكري بالقسطنطنية أن يجهز أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة مكرمين، فجهز الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته وحرمه، وكان الملك العادل بدر الدين سلامش قد مات بالقسطنطنية سنة تسعين وستمائة، فأحضر في تابوت مصبرا، فدفن بقرافة مصر. وقدم الملك السعيد خضر إلى السلطان، وسأل الإذن بالحج، فأذن له وسافر مع الركب.
وفيها نقل الخليفة الحاكم بأمر الله من البرج بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش بجوار الجامع الطولوني، وأجرى له ما يكفيه. وبعث إليه الملك المنصور بمال سني، وصار يركب مع السلطان في الموكب.

وفيها قدم من قضاة دمشق وأعيانها جماعة، منهم قاضي القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي الرومي، فولاه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي، وعامله من الإكرام. مما لم يعامل به أحدا، وأقر ولده جلال الدين أبا المفاخر على قضاء القضاة الحنفية بدمشق. وقدم أيضاً قاضي القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم القزويني الشامي - أنوشروان فعرض السلطان عليه قضاء القضاة بديار مصر، فلم يقبل واختار دمشق، فولاه قضاء القضاة بدمشق في رابع جمادى الأولى، عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر ابن جماعة في خطابة جامع دمشق وتدريس القيمرية بها. وقدم أيضاً قاضي القضاة جمال الدين يوسف الزواوي المالكي، فأعيد إلى ولايته بدمشق، وخلع عليه وعلى إمام الدين القزويني، فعادا إلى دمشق في ثامن شهر رجب. وقدم أيضاً عز الدين حمزة بن القلانسي، فأكرمه السلطان وخلع عليه، واستعاد له من ورثة الملك المنصور قلاوون، ما كان قد أخذ منه، وعاد إلى دمشق في خامس عشري رمضان.
وفيها ظهر بأرض مصر فأر كثير أتلف الزروع، حتى لم يؤخذ منه إلا اليسير. وعزل الأمير فتح الدين عمر بن صبرة عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير سيف الدين جاغان الحسامي في ثامن عشر رجب.

وفي هذه السنة: طلب السلطان الأمير سنقر الأعسر من دمشق في شهر رجب، فركب البريد إلى القاهرة. ولما حضر أكرمه السلطان وجعله من أمراء مصر، ثم ولاه الوزارة بديار مصر في سادس عشريه، وسلمه الصاحب فخر الدين بن الخليلي، فألزمه بمائة ألف دينار وقبض على أتباعه. واشتدت حرمته وعظمت مهابته، فلا يراجع ولا يخاطب إلا جوابا.

وفيها توقف النيل عن الزيادة قبل الوفاء، فتزايد السعر، وبلغ في ذي القعدة الأردب القمح خمسة وأربعين درهماً، ثم انحل السعر.

وفي يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة: قبض على الأمير شمس الدين قراسنقر نائب السلطنة، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا، وأحيط بموجود قراسنقر الذي بمصر والشام، وضرب كاتبه شرف الدين يعقوب حتى مات تحت الضرب، وضيق على نوابه ودواوينه. وأراد السلطان إقامة مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي في نيابة السلطنة، فعارضه الأمراء وغضبوا من منكوتمر، فشق ذلك عليه وأراد تفريقهم، فبعث طغريل الإيغاني إلى الكشف بالشرقية .وسنقر المساح إلى كشف الغربية، وبيسري إلى كشف الجيزة، ثم قبض على قراسنقر النائب والحاج بهادر وعز الدين أيبك الحموي وسنقر شاه الظاهري والأقوش وعبد الله وكوري والشيخ علي، وقيدوا وولي منكوتمر النيابة من غد مسكهم في عشري ذي القعدة واستقر في نيابة السلطنة.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، فتقنطر عن الفرس وانكسر أحد جانبي يده اليمني، وتهشم بعض أضلاعه وانصدعت رجله. وخيف عليه، فكسر المجبرون عظم الجانب الآخر من يده حتى يتم لهم الجبر، فإنه قصر عن الجانب الآخر، وكان قد توقف السلطان عن موافقتهم، فقال الوزير سنقر الأعسر: أنا حصل لي مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثم جبر وكلمه بجفاء وغلظة واستخفاف من غير أدب فاحتمل السلطان ذلك منه، وأجاب المجبرين لما قصدوه، وأسر لسنقر الأعسر في نفسه.

فلما كان في يوم السبت ثالث عشري ذي الحجة: قبض عليه، ولم يول أحدا غيره.

وفي هذه السنة: كان الأردب القمح من أربعين درهما إلى خمسين، والأردب الشعير بثلاثين، واللحم بدرهمين ونصف الرطل. فنزل القمح إلى عشرين، والشعير إلى عشرة دراهم، واللحم إلى درهم وربع.

وفيها كتب بمسامحة أهل النواحي. مما عليهم من بواقي الخراج المنكسرة.

وفي هذه السنة: منع السلطان من لبس الكلفتاه الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن، واقتصد هو وخواصه في الملبس .وجلس بدار العدل يومين في الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعاينه، وصام شهري رجب وشعبان، وتصدق في السر.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة الحنبلي عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي عن خمس وستين سنة بالقاهرة في صفر.

وتوفي قاضي الحنفية بحلب تاج الدين أبو المعالي عبد القادر بن عز الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الكرم بن عبد

الرحمن علوي، عن ثلاث وسبعين سنة بحلب، وهو معزول.

وتوفي ضياء الدين أبو المعالي محمد بن عمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف بن النصيبي الحلبي وزير حماه عن ثمان وسبعين سنة بحلب.

وتوفي جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الظاهري الحلبي الحنفي شيخ الحديث، عن سبعين سنة، بزاويته خارج القاهرة في ربيع الأول.

وتوفي عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري الحنبلي بالمدينة النبوية عن إحدى وسبعين سنة، بعدما جاور بها خمسين سنة.

وتوفي الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر السامري بدمشق عن ست وسبعين سنة، وكان هجاء.

وتوفي الشريف الحافظ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن محمد الحسيني، المعروف بابن الحلبي، نقيب الأشراف بديار مصر في ومولده سنة ست وثلاثين.

سنة سبع وتسعين في ستمائة

فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكري إلى القاهرة، بشفاعة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصبر، فدفن سلامش بالقرافة. وكان السلطان قد احتفل لقدومهم، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ في إكرامهم، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهزه للحج.

وفيه توجه الأمير سيف الدين سلار أستادار إلى الكرك، وأحضر ما كان بها من الأموال، وقدم معه الأمير جمال الدين أقش نائب الكرك، فخلع عليه وأعيد إلى نيابته.

وفي حادي عشري صفر: ركب السلطان، بعدما انقطع لما به من كسر يده نحو الشهرين، ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر، وزينت القاهرة ومصر، وكتب بالبشائر إلى الأعمال بذلك. وكان يوم ركوبه من الأيام المشهودة، اجتمع الناس لرؤيته من كل مكان، وأخذ أصحاب الحوانيت من كل شخص أجرة جلوسه نصف درهم فضة، واستأجر الناس البيوت بأموال جزيلة فرحا به، فإنه كان محبباً إلى الناس. وعاد السلطان من الميدان، فألبس الأمراء، وفرق الصدقات في الفقراء، وأفرج عن المحابيس.

وفي هذا الشهر: استدعى السلطان قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي، وصي الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقال له: الملك الناصر ابن أستاذي، وأنا قائم في السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها، والرأي أن يتوجه إلى الكرك وأمره بتجهيزه. ثم قال السلطان للملك الناصر محمد بن قلاوون: لو علمت أنهم يخلوك سلطانا والله تركت الملك لك، لكنهم لا يخلونه لك وأنا مملوكك ومملوك والدك، احفظ لك الملك، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتحرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها. فقال له الناصر: فاحلف لي أن تبقي على نفسي وأنا أروح فحلف كل منهما على ما أراده الآخر. فخرج الناصر في أواخر صفر، ومعه الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، والأمير سيف الدين بهادر الحموي، والأمير أرغون الدوادار، وطيدمر جوباش رأس نوبة الجمدارية،

فوصل إلى الكرك في رابع ربيع الأول، فقام لخدمته الأمير جمال الدين أقوش الأشرف نائب الكرك.

وفي يوم الإثنين سادسه: قبض على الأمير بدر الدين بيسري الشمسي، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، والأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري، وسبب ذلك أن منكوتمر في مدة ضعف السلطان كان هو الذي يعلم عنه على التواقيع والكتب، وصار يخشى أن يموت السلطان ولم يكن له ولد ذكر، فيجعل بعده في السلطنة بيسري، وكان يكره منكوتمر. فحسن منكوتمر لمن خيل السلطان من ذلك وأن يعهد لأحد، فاقتضى رأيه أن يجعل الأمير منكوتمر ولي عهده، ويقرن اسمه باسمه في الخطبة والسكة، واستشار في ذلك الأمير بيسري فرده رداً خشناً، وقال: منكوتمر لا يجيء منه جندي، وقد أمرته وجعلته نائب السلطة، ومشيت الأمراء والجيوش في خدمته فامتثلوه رضاء لك، مع ما تقدم من حلفك ألا تقدم مماليكك على الأمراء ولا تمكنهم منهم، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطانا، وهذا لا يوافقك أحد عليه ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوفه العاقبة، وانصرف عنه، فلشدة محبة السلطان في منكوتمر أعلمه بما كان من بيسري، فأسرها في نفسه وعاداه وأخذ يدبر عليه وعلى الأمراء، ويغري السلطان به وبهم.
واتفق مجيء الخبر بالحلف بين المغل، وخروج التجريدة إلى سيس، فلما تفرق الأمراء ولم يبق من يخافه منكوتمر توجه إلى الأمير بيسري. واستمال أستاداره بهاء الدين أرسلان بن بيليك حتى صار من خواصه، ورتبه فيما يقوله. ثم حسن منكوتمر للسلطان أن ينتدب بيسري لكشف جسور الجيزة، فتقدم له بذلك مع أنها غض منه، إذ محله أجل من ذلك، فلم يأب وخرج إلى الجيزة بمماليكه وأتباعه، وصار يحضر الخدمة السلطانية بالقلعة في يومي الإثنين والخميس، ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشي حسام الدين بلال المغيثي لأجل تقدمه، ويعود إلى الجيزة حتى أتقن عمل الجسور.
فلما تكامل إتقان الجسور استأذن بيسري السلطان في عمل ضيافة له، فإذن في ذلك، فاهتم لها اهتماماً زائداً ليحضر إليه السلطان بالجيزة .فأمكنت الفرصة منكوتمر ووجد سبيلا إلى بيسري، فخدع أرسلان استادار بيسري ورتبه في كلام يقوله السلطان، ووعده بإمرة طبلخاناه. فانخدع أرسلان ودخل مع منكوتمر إلى السلطان، وقال له بأن بيسري رتب أنه يقبض عليك إذا حضرت لضيافته فتخيل السلطان من قوله.
واتفق أن بيسري بعث إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطاني، لينصبه السلطان في مكان المهم، فبعثه إليه من غير أن يعلم السلطان. فلما مر الدهليز على الجمال من تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجيزة رآه السلطان، فأنكر ذلك وبعث إلى منكوتمر يسأل منه.
فأنكر أن يكون له علم به، وقال: إنما بيسري استدعى به من مقدم الفراشين، وأخذه مماليكه من الفرش خاناه بغير إذن، وشرع يحتج لصدق ما قاله أرسلان بهذا. فرد السلطان الدهليز إلى الفرش خاناه، وغلب على ظنه صدق ما نقل له عن بيسري.

ولما وقع ذلك أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر، فبعث أحدهم وهو الأمير سيف الدين طقجي الأشرفي يعلم بيسري بما جرى، ويعده بأنه معه هو جماعة من الأمراء، فلم يلتفت إلى قوله. فبعث أرغون أحد ممالك السلطان إلى بيسري بالخبر على جليته، وحذره من الحضور إلى خدمة السلطان، وأنه إن حضر أن يكون على استعداد. فلما أراده الله حضر بيسري يوم الإثنين المذكور إلى الخدمة على العادة، فقام له السلطان على عادته وأجلسه

بجانبه. فلما قدم السماط لم يأكل بيسري واعتذر بأنه صائم، فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام برسم فطوره فرفع له، وأخذ يحادثه حتى رفع السماط. وخرج الأمراء وقام الأمير بيسري معهم، فلما مشى عدة خطوات استدعاه السلطان إليه وحدثه طويلا، وكان الحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج. ثم قام بيسري من عند السلطان ومشى خطوات، فاستدعاه السلطان ثانيا فعاد، وحدثه أيضاً حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى مماليك السلطان فقط، فتركه. فقام بيسري ومشى، فاعترضه سيف الدين طقجي وعلاء الدين أيدغدي شقير، وعدلا به إلى جهة أخرى، وقبض أيدغدي شقير على سيفه وأخذه من وسطه، فنظر إليه طقجي وبكى، وجبذاه إلى القاعة الصالحية فاعتقل بها. فارتجت القلعة، وطار الخبر إلى القاهرة فأغلق باب زويلة وماج الناس، ثم فتح باب زويلة. ووقعت الحوطة على جميع موجوده، وقبض على جماعة من مماليكه ثم أفرج عنهم وأقام بيسري في القاعة مكرما، وحملت إليه امرأته وهي والدة أحمد بن السلطان الملك المنصور. فما زال معتقلا حتى مات. ومن العجب أن كلا من السلطان وبيسري أتى عليه في هذه من أخص أصحابه: فإن أرسلان ابن بدر الدين بيليك أمير مجلس، وكان بدر الدين هذا مملوكا للأمير بيسري، ورباه بيسري كالولد حتى كبر، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاداره، وبالغ في الإحسان إليه حتى أنه أعطاه في يوم واحد سبعين فرسا، وكان هو السبب في سلب نعمته كما ذكر. وأرغون كان أخص مماليك السلطان وأقربهم إليه، فأفشى سره إلى بيسري من حنقه لأن غيره من المماليك أخذ إمرة طبلخاناه وأعلى هو إمرة عشرة، فبقي في نفسه لذلك إحنة. ولما قبض على بيسري والأمراء نفرت القلوب، وأكدت الوحشة موت عشرة أمراء في خمسة أيام، فاتهم السلطان بأنه سمهم.

وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر: أقيمت الخطة بالمدرسة المعظمية، بفسخ قاسيون خارج دمشق.

وفي سابع عشره: أعيد الصاحب فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي إلى الوزارة بديار مصر، فتتبع ألزام الأمير سنقر الأعسر، وأحضر أستاداره سيف الدين كيكلدي من دمشق وأحاط بموجوده.

وفي جمادى الأولى: قبض السلطان على جماعة من أمراء مصر. وصرف بهاء الدين الحلي عن نظر الجيش، وأخذ خطه بألف ألف درهم، واستدعى عماد الدين، بن المنذر ناظر الجيش بحلب، واستكتب إلى أن حضر أمين الدين بن الرقاقي. وسبب ذلك أن ابن الحلي كان قد استشاره السلطان في تولية منكوتمر النيابة، فقال له: إن دولة السعيد ما أخربها إلا كوندك، ودولة الأشرف أخربها بيدرا، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه، ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد، ويخاف من تحكمه وقوع فساد كبير. فسكت عنه السلطان وأعلم منكوتمر بذلك، فأخذ منكوتمر يعاديه حتى إنه لما ولي النيابة ودخل عليه قال له: يا قاضي! هذا ببركة وعظك للسلطان فأطرق. وأخذ منكوتمر يغري السلطان به، ويذكر سعة أمواله. بمصر والشام، وأنه كثير اللعب. وكان ابن الحلي يحب بعض المماليك الخاصكية، فترصده منكوتمر حتى علم أنه عنده فأعلم بذلك السلطان، فأرسل إليه الطواشي المقدم في عدة نقباء، فهجموا على بستانه بالقرب من الميدان وأخذوه والمملوك، فسلم إلى الأمير أقوش الرومي، وقبض على حواشيه وأحيط بموجوده مصراً وشاماً.

وفيه قدم البريد بأن رجل من قرية جينين بالساحل ماتت امرأته، فلما دفنها وعاد إلى منزله تذكر أنه نسي في القبر منديلا فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونش القبر ليأخذ المال، والفقيه على شفير القبر، فإذا بالمرأة

جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضاً قد ربطا بشعرها، فحاول حل كتفها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه في ذلك، فخسف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خبر فغشي على فقيه القرية مدة يوم وليلة. فبعث السلطان بخبر هذه الحادثة وما قد كتب به من الشام فيها إلى الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاي وطائفة نغية حتى قتل منهم كثير من المغل، وانكسر الملك طقطاي، وأن غازان قتل وزيره نيروز وعدة ممن يلوذ به. فاتفق الرأي على أخذ سيس ما دام الخلف بين المغل، وأن يخرج الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه ثلاثة أمراء وعشرة آلاف فارس وكتب لنائب الشام بتجريد الأمير بيبرس الجالق وغيره من أمراء دمشق وصفد وطرابلس، وعرض الجيش .في جمادى الأولى. فلما تجهزوا سار الأمير بدر الدين بكتاش الفخري إلى غزاة سيس، ومعه من الأمراء حسام الدين لاجين الرومي الأستادار وشمس الدين أقسنقر كرتاي ومضافيهم، فدخلوا دمشق في خامس جمادى الآخرة، وخرج معهم منها الأمير بيبرس الجالق العجمي والأمير سيف الدين كجكن والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ومضافيهم في ثامنه، وساروا بعسكر صفد وحمص وبلاد الساحل وطرابلس والملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة. فلما بلغ مسيرهم متملك سيس بعث إلى السلطان يسأله العفو، فلم يجبه.

ووصلت هذه العساكر إلى حلب، وجهز السلطان الأمير علم الدين سنجر الدواداري بمضافيه من القاهرة ليلحق بهم، فأدرك العساكر بحلب. وخرجوا منها بعسكر حلب إلى العمق، وهو عشرة آلاف فارس، فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش في طائفة من عقبة بغراس إلى اسكندرونة، ونازلوا تل حمدون، وتوجه الملك المظفر صاحب حماة والأمير علم الدين سنجر الدوادراي والأمير شمس الدين أقسنقر كرتاي في بقية الجيش إلى نهر جهان، ودخلوا جميعاً دربند سيس في يوم الخميس رابع رحب. وهناك اختلفوا، فأشار الأمير بكتاش بالحصار ومنازلة القلاع، وأشار سنجر الدواداري بالغارة فقط، وأراد أن يكون مقدم العسكر، ومنع الأمير بكتاش من الحصار ومنازلة القلاع فلم ينازعه. فوافقه بكتاش وقطعوا نهر جهان للغارة، ونزل صاحب حماة على مدينة سيس، وسار الأمير بكتاش إلى أذنة، واجتمعت العساكر جميعها عليها بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن وساقوا الأبقار والجواميس. ثم عادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الغارة، وأقاموا عليها ثلاثة أيام حتى نصبوا جسراً مرت عليه العساكر إلى بغراس، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام، ثم رحلوا إلى جسر الحديد يريدون العود إلى مصر.

وكان الأمير بكتاش لما نازعه الدواداري في التقدمة على العساكر، ومنعه من الحصار، قد كتب إلى الأمير بلبان الطباخي نائب حلب بذلك ليطالع به السلطان، فكتب بالخبر إلى السلطان. فورد الجواب إلى الأمراء بالإنكار على الدواداري في تقدمه على الأمير بكتاش، وكونه اقتصر على الغارة، وإنه لم يخرج إلا على مضافيه، وأن التقدمة على سائر العساكر للأمير بكتاش وأن العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون، وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية.

فعادت العساكر من الروج إلى حلب وأقاموا بها ثمانية أيام، وتوجهوا إلى سيس من عقبة بغراس .وسار كجكن وقرا أرسلان إلى أياس وعادا شبه المنهزم، فإن الأرمن أكمنوا في البساتين، فأنكر عليهما الأمير بكتاش، فاعتزرا

بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو. ثم رحل بكتاش بجميع العساكر إلى تل حمدون، فوجدوها خالية وقد نزح من كان فيها من الأرمن إلى قلعة نجيمة فتسلمها في سابع رمضان وأقام بها من يحفظها، وسير الأمير بلبان الطباخي نائب حلب عسكرا فملكوا قلعة مرعش في رمضان أيضاً. وجاء الخبر إلى الأمير بكتاش وهو على تل حمدون بأن واديا تحت قلعة نجيمة وحميص قد امتلأ بالأرمن، وأن أهل قلعة نجيمة تحميهم، فبعث طائفة من العسكر إليهم فلم ينالوا غرضاً، فسير طائفة ثانية فعادت بغير طائل. فسار الأمراء في عدة وافرة وقاتلوا أهل نجيمة حتى ردوهم إلى القلعة، وزحفوا على الوادي وقتلوا وأسروا من فيه، ونازلوا قلعة نجيمة ليلة واحدة، وسار العسكر إلى الوطأة، وبقي الأمير بكتاش والملك المظفر في مقابلة من بالقلعة خشية أن يخرج أهل نجيمة فينالوا من أطراف العسكر، حتى صار العسكر بالوطأة، ثم اجتمعوا بها.

فقدم البريد من السلطان بمنازلة قلعة نجيمة حتى تفتح فعادوا إلى حصارها، واختلف الأمير بكتاش والأمير سنجر الدواداري على قتالها، فقال الدواداري :متى نازلها الجيش بأسره لا يعلم من قاتل ممن عجز وتخاذل، والرأي أن يقاتل كل يوم أمير بألفه. وأخذ يدل بشجاعته، ويصغر شأن القلعة، وقال: أنا آخذها في حجري فسلموا له واتفقوا على تقديمه لقتالها قبل كل أحد. فتقدم الدواداري إليها بألفه حتى لاحف السور، فأصابه حجر المنجنيق فقطع مشط رجله، وسقط عن فرسه إلى الأرض، وكاد الأرمن يأخذونه، إلا أن الجماعة بادرت وحملته على جنوبة إلى وطاقه، ولزم الفراش، فعاد إلى حلب، وسار منها إلى القاهرة، وقتل في هذه النوبة الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصري. وزحف في هذا اليوم الأمير كرتاي ونقب سور القلعة وخلص منه ثلاثة أحجار، واستشهد معه ثلاثة عشر رجلا. ثم زحف الأمير بكتاش وصاحب حماة ببقيه الجيش طائفة بعد طائفة، وكل منهم يردف الآخر حتى وصلوا إلى السور وعليهم الجنويات، وأخذوا في النقب وأقاموا الستائر، وتابعوا الحصار أحدا وأربعين يوماً.

وكان قد اجتمع بها من الفلاحين ونساء القرى وأولادهم خلق كثير، فلما قل الماء عندهم أخرجوا مرة مائتي رجل وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا، فقتل العسكر الرجال واقتسموا النساء والصبيان .ثم أخرجوا مرة أخرى مائة وخمسين رجلا ومائتي امرأة وخمسة وسبعين صبيا، ففعلوا بهم مثل ما فعلوا بمن تقدم. ثم أخرجوا مرة ثالثة طائفة أخرى، فأتوا على جميعهم بالقتل والسبي، حتى لم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة. وقلت المياه عندهم حتى اقتتلوا بالسيوف على الماء، فسألوا الأمان فأمنوا، وأخذت القلعة في ذي القعدة، وسار من فيها إلى حيث أراد. وأخذ أيضاً أحد عشر حصنا من الأرمن، ومنها النقير وحجر شغلان وسرقندكار وزنجفرة وحميص، وسلم ذلك كله الأمير بكتاش إلى الأمير سيف الدين أسندمر كرجي من أمراء دمشق، وعينه نائبا بها، فلم يزل أسندمر بها حتى قدم التتار، فباع ما فيها أنا آخذ عمن الحواصل ونزح عنها، فأخذها الأرمن.

ولما تم هذا الفتح عادت العساكر إلى حلب وكان الشتاء شديداً، فأقاموا بها. وبعث السلطان إليهم الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير عز الدين طقطاي، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير الحسامي، في ثلاثة آلاف فارس من عساكر مصر، فدخلوا دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ذي القعدة، وساروا منها إلى حلب في عشريه، وأقاموا بها مع العسكر. وبعث متملك سيس إلى السلطان يسأل العفو.

وفي هذه السنة: كان الروك الحسامي، وذلك أن أرض مصر قد قسمت على أربعة وعشرين قيراطا، وأفرد منها للسلطان أربعة قراريط، وجعل للأمراء وبرسم الإطلاقات والزيادات عشرة قراريط، وجعل لأجناد الحلقة عشرة قراريط، فأراد السلطان الملك المنصور تغيير ذلك، وأن يجعل للأمراء وأجناد الحلقة أحد عشر قيراطا، ويستجد عسكرا بتسعة قراريط. فندب لروك أراضي مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسي الحاجب، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري المعروف بالبريدي، وانتصب لهذا العمل جماعة من الكتاب، وكان المشار إليه فيهم تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة، وهو من مسالمة القبط، وممن يشار إليه في معرفة صناعة الكتابة، ويعتمد على قوله ويرجع إليه. فخرج الأمراء للروك، ومعهم الكتاب وولاة الأقاليم في سادس عشر جمادى الأولى.

وتقدم الأمير منكوتمر نائب السلطنة إلى التاج الطويل بأن يفرد للأمراء والأجناد عشرة قراريط، وأن يجعل القيراط الحادي عشر برسم من يتضرر من قلة عبرة خبزه. وأفرد لخاص السلطان الأعمال الجيزية والإطفيحية والإسكندرية ودمياط ومنفلوط وكفورها، وهو والكوم الأحمر من أعمال القوصية، وغير ذلك، وأفرد للنائب منكوتمر إقطاع عظيم من جملته مرج بني هميم وكفور، وسمهود وكفورها، وحرجة قوص، ومدينة أدفو وما في هذه النواحي من الدواليب، وكان متحصلها ينيف على مائة ألف أردب وعشرة آلاف أردب من الغلة، خارجا عن المال العين والقنود والأعسال، والتمر والأغنام والأحطاب. وكان في خاصه سبعة وعشرون معصرة لقصب السكر، سوى ما له من المشتريات والمتاجر، وما له ببلاد الشام من الضياع والعقار، وما يرد إلية من التقادم.

فلما انتهي الروك في ثامن رجب فرقت مثالات الأمراء.

وفي تاسعه: فرقت مثالات مقدمي الحلقة.

وفي عاشره: فرقت مثالات أجناد الحلقة. وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دربستا، لم يستثن منها سوى الجوالي والمواريث الحشرية فإنها من جملة الخاص السلطاني، وسوى الرزق الأحباسية، وما عدا ذلك فإنه داخل في الإقطاع وحولت سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين على العادة.

وتولى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين السلطان، فبان له في وجوههم التغير لقلة العبرة، وهم بزيادتهم. فمنعه منكوتمر من فتح هذا الباب، وحذره أنه متى فتح باب الزيادة تعب، ولكن من تضرر من إقطاعه يحيله على منكوتمر، ففعل السلطان ذلك .وتولى تفرقة مثالات الأجناد منكوتمر، فجلس بشباك دار النيابة ووقف الحجاب بين يديه، وأعلى لكل تقدمة مثالا بها، فلم يجسر أحد أن يتكلم خوفا منه، فاستمر على ذلك أياماً.

وكانت الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه في الدولة المنصورية قلاوون، فإن أقلها كان يتحصل منه عشرة آلاف درهم، وأكثرها ينيف على ثلاثين ألفا، فصار أكثرها يبلغ عشرين ألفا، فعمل في هذا الروك أكثر الإقطاعات يتحصل منه عشرة آلاف، فشق ذلك على الأجناد، وتجمعت طائفة منهم ورموا مثالاتهم، وقالوا: إنا لم نعتد بمثل هذا، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفايتنا، وإلا فخذوا أخبازكم، وإما نخدم الأمراء، أو نقيم بطالين. فحنق منهم منكوتمر وأمر الحجاب فضربوهم، وأخذ سيوفهم وسجنهم، وبالغ في الفحش، وصار ينظر إلى الأمراء ويقول: أيما قواد يجيء يشتكي من خبزه ويقول أعرف السلطان، فإني أعرف إيش يقول السلطان، فإما أن يرضى يخدم وإلا فإلى لعنة الله. فعرف الأمراء أنه يعنيهم، فسكتوا على ضغن وبلغ السلطان ذلك عن منكوتمر فأنكر عليه، وأمره الزيادة في الإقطاعات فلم يفعل، وأقام الأجناد في السجن مدة أيام ثم أفرج عنهم .

فكان هذا الروك أكبر الأسباب في زوال الدولة.

وفيها أنعم بطبلخاناه الأمير سيف الدين بلبان الفاخري نقيب الجيش بعد موته على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي أمير آخور، وكان السلطان قبل ذلك قد أعطاه إمرة عشرة. واستقر سيف الدين كرت أمير آخور في نيابة طرابلس، بعد وفاة عز الدين أيبك الموصلي.

وفيها عدم الثلج بدمشق، وغارت العيون، وهلك أكثر الزرع وحفت أشجار البساتين.

وفيها بلغ سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين الجناحي نائب غزة وديعة عند رحل، فاستدعى به بعد موت الجناحي وطالبه فقال: قد أخذ الوديعة قبل موته. فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين الإعزازي أحد تجار دمشق، وقال: إن هذه الوديعة أخذها الجناحي من هذا الرجل وجعلها تحت يدي وأحضر صندوقاً، فوحد الأمير جاغان فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ومائتي وأربعة وثلاثين دينارا عينا، وحوائص وطرزا قيمتها خمسون ألف دينار.

وفيها خرج الأمير سيف الدين حمدان بن صلغاي إلى بلاد الشام في صورة أنه يستحث العساكر على أخذ سيس، وقد لقنه الأمير منكوتمر أموراً مكتومة، كان فيها زوال الدولة ومنها أنه يفرج عن الأمير كرجي من قلعة دمشق ويسفره إلى سيس، ويتفق هو وأيدغدي شقير المتوجه قبله صحبة بكتمر السلاح دار مع جماعة من خشداشيته على ما يأتي ذكره.

وفيما أنعم على صمغار بن سنقر بإمرة، وأنعم على كل من بن أيتمش السعدي وسيف الدين طقصبا الظاهري بإمرة.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب، فأكرمه السلطان وألبسه خلعة طرد وحش، وهو أول من ألبس ذلك لآل مهنا، وإنما كانت خلعهم مسمطا أو كنجيا. واستأذن مهنا السلطان في الحج فأذن له.

وفيها قوي أمر منكوتمر، وتحكم تحكمة الملوك في جميع أمور المملكة، وقصد إخراج طغجي أيضاً من مصر، ففطن طغجي لذلك، فسأل الإذن في السفر إلى الحج فأذن له، وعمل أمير الركب.

وفيها بعث منكوتمر إلى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه أن تاجراً قد مات وترك أخا و لم يخلف غيره ممن يرثه، وأراد أن يثبت استحقاقه الإرث بمجرد هذا الإخبار عنه. فلم يوافق قاضي القضاة على ذلك، وترددت الرسل بينهما، فخرج منكوتمر من ذلك، وبعث إليه الأمير كرت الحاجب، فلما دخل كرت وقف بعدما سلم، فقام له القاضي نصف قومة ورد عليه السلام وأجلسه. وأخذ كرت يتلطف به في إثبات أخوة التاجر بشهادة منكوتمر، فقال له قاضي القضاة: وماذا ينبني على شهادة منكوتمر؟ قال له: يا سيدي ما هو عندكم عدل؟ فقال: سبحان الله ثم أنشد :

ومن أنتم حتى يكون لكم عند ... يقولون هذا عندنا غير جائز

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: والله متى لم تقم عندي بينة شرعية ثبتت عندي، وإلا فلا حكمت له بشيء باسم الله،. فقام كرت وهو يقول: والله هذا هو الإسلام وعاد إلى منكوتمر واعتذر إليه بأن هذا الأمر لابد فيه من اجتماعك بالقاضي إذا جاء إلى دار العدل.

فلما كان يوم الخدمة، ومر القاضي على دار النيابة بالقلعة ومنكوتمر جالس في الشباك، تسارعت الحجاب واحدا بعد آخر إلى القاضي وهم يقولون: يا سيدي الأمير ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك. فلم يلتفت إلى أحد منهم، فلما ألحوا عليه قال لهم: قولوا له ما وجبت طاعتك علي والتفت إلى من معه من القضاة، وقال: أشهدكم أني عزلت نفسي باسم الله، قولوا له يول غيري. وعاد إلى داره وأغلق بابه، وبعث نقباءه إلى النواب في الحكم وعقاد الأنكحة يمنعهم من الحكم وعقد الأنكحة.
فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على منكوتمر، وبعث إلى القاضي يعتذر إليه ويستدعيه، فأبى واعتذر عن طلوعه، فبعث إليه الشيخ نجم الدين حسين بن محمد بن عبود والطواشي مرشداً، فما زالا به حتى صعدا به إلى القلعة. فقام إليه السلطان وتلقاه، وعزم عليه أن يجلس في مرتبته، فبسط منديله وكان خرقة كتان خلقة فوق الحرير قبل أن يجلس، كراهة أن ينظر إليه، ولم يجلس عليه. وما برح السلطان يتلطف به حتى قبل الولاية ثم قال له: يا سيدي هذا ولدك منكوتمر خاطرك معه، ادعوا له وكان منكوتمر ممن حضر، فنظر إليه قاضي القضاة ساعة، وصار يفتح يده ويقبضها وهو يقول: منكوتمر لا يجيء منه شيء وكررها ثلاث مرات، وقام. فأخذ السلطان الخرقة التي وضعها على المرتبة تبركا بها، وتفرقها الأمراء قطعة قطعة ليدخروها عندهم رجاء بركتها.

وأما حمدان بن صلغاي، فإنه قدم إلى دمشق وعرف الأمير جاغان ما ندب إليه من مسك الأمير بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكي نائب صفد وعز الدين طقطاي والأمير بزلار والأمير عزاز، وكان الأمير قبجق نائب الشام قد خرج بالعساكر، إلى مساعدة الأمراء على أخذ سيس، ثم سار حمدان إلى حمص، والتقي هناك بالأمير قبجق وهو عائد إلى دمشق، فتلقاه وأكرمه. ثم توجه إلى حلب، وأوقف النائب على ما جاء فيه من قبض الأمراء الذين عينهم منكوتمر، فبلغهم ذلك فاحترزوا على أنفسهم ولحقوا بحمص يريدون الأمير قبجق والاتفاق معه.
وفيها أفرج عن ابن الحلي، بعد أن بالغ أقوش الرومي في عقوبته، فاختفى.
وفيها استقر الأمير بكتمر الحسامي أمير آخور كبيراً، واستقر علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيش، عوضاً عن بلبان الفاخري.
وفيها رسم بعمل استيمار يجمع أرباب الرواتب والرزق، ليحضروا بتواقيعه للعرض على منكوتمر، ويقطع من يختار منهم، فلما شرعوا في الكتابة اشتد قلق الناس، وبلغ السلطان ذلك فمنع منكوتمر منه.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

صدر الدين إبراهيم بن محيي الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي الدمشقي الفقيه الحنفي، ولد في سنة تسع وستمائة، وبرع في الفقه والنحو، وأفتى ودرس وولي قضاء حلب، وقدم بعد عزله إلى القاهرة وأقام بها، ثم ولي حلب ثانياً فمات بدمشق في رمضان. ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقرئ الفقيه الحنبلي عابر الرؤيا، كانت له عجائب في عبارة الرؤيا وصنف فيها، ومات آخر ذي القعدة.
ومات الأمير عز الدين أيبك الموصلي أحد المماليك المنصورية، وقد تنقلت به الخدم حتى ولي نيابة طرابلس إلى

أن مات في.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الفاخري نقيب الجيش، في رابع عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير علم الدين سنجر طقصبا، استشهد في محاصرة قلعة نجيمة في.

ومات الأمير علم الدين سنجر أحد الأمراء الناصرية بدمشق في سابع عشري جمادى الأولى، وكان شجاعا مقداما، سمع الحديث وعرف بالخير وحدث.

وتوفي شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين أبو محمد عبد اللطيف بن أبي الفتوح نصر بن سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر الميهني، عن ثمان وثمانين سنة.

ومات الأمير سعد الدين كوجبا نائب دار العدل، في يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأولى.

ومات موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الأدفوي خطيب أدفو، وله نظم ونثر، وفيه كرم وعنده إغضاء وحلم، ومات في.

ومات جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموي قاضي حماة، وهو أحد الأئمة الأعلام، قدم القاهرة، ومات بحماة في ثاني عشري شوال، عن ثلاث وتسعين سنة .ومات الشيخ شمس الدين أبو المعالي محمد بن بكر بن محمد الأيكي الفارسي الشافعي، شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، مات بدمشق في رابع رمضان عن ست وستين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنفر التكريتي، أستادار الملك السعيد.

ومات الأمير علم الدين طرطج الصالحي، وهو كاتب له مكارم، وفيه غقدام وشجاعة، وله أثار حميدة.

ومات الأمير طقطاي الأشرفي أحد الأمراء والأكابر.

و مات الأمير شمس الدين سنقر التكريتي، عرف بالمساح، وكان مشهوراً بالشجاعة، يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها، وكان يركب بجانب المنصور قلاوون في المواكب، وكان قلاوون يستشيره في المهمات، وكان من دون أمراء مصر يركب بالزناري، على فرسه. بمفرده، وفيه مكارم.

ومات الفقيه تقي الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه علم الدين أبي عبد الله محمد بن رشيق، يوم الخميس رابع عشري جمادى الآخرة.

وتوفي الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الحسن عدي بمصر وله تربة جليلة بالقرافة.

سنة ثمان وتسعين وستمائة

في أول المحرم: قدم الخبر بأن التتر على عزم الحركة إلى الشام، فخرجت العساكر، ثم خرج الأمير أقش الأفرم. وتوجه حمدان بن صلغاي وعلاء الدين أيدغدي شقير على البريد لإخراج الأمير قبجق نائب الشام بالعسكر إلى حلب، فوصلا إلى دمشق في سابعه، فشرع قبجق في الاهتمام للسفر، وخرج بعسكرها وبالبحرية في يوم الأربعاء رابع عشره، وتأخر جاغان بدمشق. وعلم قبجق أن الأمر بخلاف ما أشيع من حركة التتار، وإنما القصد عمل مكيدة به وبغيره من الأمراء، فكان ذلك سببا لفراره إلى بلاد التتر.

وملخص ذلك أن الأمير منكوتمر نائب السلطنة ثقلت عليه وطأة الأمراء بديار مصر والشام، فأراد إزاحتهم

عنه وإقامة غيرهم من مماليك السلطان ليتمكن من مراده، فما زال بالسلطان حتى قبض على أمراء مصر، ثم أخذ في التدبير على من ببلاد الشام من الأمراء، فبعث أيدغدي شقير، ثم أردفه بحمدان بن صلغاي وعلى يده ملطفات إلى بلبان الطاخي نائب حلب بالقبض على الأمير بكتمر السلاح دار وهو مجرد على حلب، وعلى الأمير فارس الدين الألبكي الساقي نائب صفد والأمير عز الدين طقطاي والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين عزاز، ومن عجز عن القبض عليه سقاه، وأن يبحث الحسام الأستادار بمفرده على البريد إلى مصر. وقدم حمدان دمشق وأوقف الأمير جاغان شاد الدواوين على ما جاء فيه، وأمره ألا يمكن قبجق نائب دمشق من الدخول إليها إلا بمرسوم. وخرج حمدان يريد حلب، فصادف الأمير قبجق بالقرب من حمص واجتمع به، فتخيل قبجق من قدومه، وبعث إلى بكتمر السلاح دار وغيره من الأمراء يوصيهم بالاحتراز، وبعث نجابا إلى أصحابه بمصر يستعلم منهم الخبر. فلما قدم حمدان حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخي على أمره توقف فيه، فأخذ حمدان وأيدغدي شقير يستحثانه على قبض الأمراء. فاتفق موت الأمير طقطاي، واتهم حمدان بسقيه.
فبعث حمدان وأيدغدي إلى منكوتمر بتوقف نائب حلب في مسك الأمراء، فغضب من ذلك وأراد عزل بلبان عن حلب وتولية أيدغدي شقير عوضه، فخوف من ذلك حتى كف منه .وكتب منكوتمر إلى الأمير بلبان الطباخي نائب حلب يستحثه في مسك الأمراء، وكتب إلى الأمير بكتمر بنيابة طرابلس، وكان ذلك خديعة من منكوتمر قصد بها أنه إذا حضر بكتمر بلبس الشريف يقبض عليه وعلى الأمراء، وقدم الأمير الحسام الأستاداري إلى مصر، فعزم منكوتمر على مسكه، ثم انتظر ما يرد عن الأمراء بحلب.
وبلغ بلبان الطباخي أن أيدغدي شقير قد عين لنيابه حلب، وبلغ قبجق نائب الشام أن خروجه من دمشق إنما كان حيلة عليه، وأن جاغان يستقر في نيابة دمشق عوضه، فكتما كل منهما ذلك، وأخذ الحسامية في الإلحاح على نائب حلب في قبض الأمراء عند حضورهم السماط يوم الموكب، فبعث سراً إلى الأمراء يعلمهم ذلك فاستعدوا لأنفسهم، وركبوا في يوم الموكب على العادة إلا الأمير بكتمر السلاح دار فإنه تأخر واعتذر بعارض فلم يمكن الحسامية القبض على من حضر خوفا من فوات الأمر فيمن تأخروا، واتفقوا على أن ذلك يكون في موكب الآخر، فبعث الطباخي نائب حلب يعرفهم ذلك، فكتب بكتمر السلاح دار إلى قبجق نائب دمشق وقد بلغه خروجه إلى حمص يعرفه بما هم فيه، فلما كان الموكب الثاني ركب الأمراء ليقرأ عليهم كتاب السلطان باستقرار الأمير بكتمر في نيابة طرابلس، وقد احترزوا على أنفسهم، وتأخر بكتمر أيضاً عن الركوب واعتذر بوجع فؤاده، فعزموا على مسك من حضر، ثم أخذ بكتمر من خيمته.
وكانت العادة أنهم يقفون تحت القلعة على خيولهم، فإذا قرىء الكتاب نزلوا وقبلوا الأرض، فبيت الحسامية أن الأمراء إذا نزلوا لتقبيل الأرض داسوهم وأخذوهم باليد. فعندما قرئ الكتاب ترجل نائب حلب على العادة، وتبعه بقية الأمراء وقد أوقفوا مماليكهم على خيولهم ليحموهم، ونزل كل منهم وعنان فرسه في يده ومماليكه محيطة به، وقبل الأرض ووثب سريعا على فرسه، ومضوا يداً واحدة.

فانخرم الأمر على الحسامية، وأخذوا يلومون نائب حلب في كونه لم يقبض عليهم، وهر يهول الأمر عليهم، إلى أن اتفقوا على الإرسال إلى الأمراء ليجتمعوا بدار النيابة في الليل، وأن يبدءوا بالإرسال إلى بكتمر أمير سلاح. فلما كان بعد عشاء الآخرة توجه الحاجب إلى أمير سلاح يعلمه بأن قصادا قد قدموا من البلاد، فيحضر

للمشهورة مع الأمراء، فلم يمكن الحاجب من الاجتماع به، واعتذر بوجع رجله، فمضى الحاجب إلى الأمير كرتاي وابن قرمان، وبلغهما الرسالة، فضحكا وقال كل منهما: ما أبرد ذقن الأبعد، وذقن من أرسله متى سمعت مشورة تكون ثلث الليل؟ إلى غد نحضر مع الأمراء.

ثم إن الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكي والأمير سيف الدين عزاز اجتمعوا، وركبوا من ليلتهم يريدون حمص ولقاء الأمير قبجق، فخرج قبجق إلى لقائهم، واتفقوا على العبور إلى بلاد غازان، فأمهلهم قبجق حتى يرد عليه جواب الأمراء من مصر، فنزلوا معه. وقدم جواب قبجق من كرجي وطغجي أنهم عن قريب يقضون الشغل، فليقم بموضعه حتى الخبر، فلم يوافقه الأمراء على الإقامة خوفاً من مجيء العساكر إليهم، وساروا ليلة الثلاثاء من ربيع الآخر وقصدوا سلمية.

وكان الأمير قبجق لما قدم عليه الأمراء من حلب قد بعث على البريد الأمير سيف الدين بلغاق بن كونجك الخوارزمي إلى السلطان يعلمه حضور الأمراء إليه، ويسأل الأمان لهم وتطييب خواطرهم. ثم سار الأمير قبجق من حمص ليلة السبت خامس ربيع الأول، وبعث علاء الدين بن الجاكي إلى دمشق يستدعي من الأمير جاغان مالا وخلعا من الخزانة للنفقة على الأمراء وتطييب خواطرهم، فامتنع جاغان من ذلك، وكتب يلومه على إغفاله القبض عليهم، وكتب إليه أيضاً أيدغدي شقير وسيف الدين كجكن بالإنكار، وأنه إن لم يقبض عليهم ركبوا عليه وقبضوه، فزاده ذلك نفوراً. وتبين لعسكر دمشق مخالفة قبجق، فتسللوا عنه طائفة بعد طائفة، وعادوا من حمص إلى دمشق، فشكرهم جاغان على مفارقتهم إياه، فبقي قبجق في قلة من المال والرجال.

وأما أهل حلب، فإن الأمراء لما شاروا في الليل ركب من بكرة النهار أيدغدي شقير وحمدان بن طغان والأمراء الحسامية إلى نائب حلب، وبطقوا إلى الأعمال بالقبض على الأمراء، وتوجه أيدغدي شقير في عسكر إلى جهة الفرات، وسار عسكر إلى جهة حماة، ونهبت أثقال الأمراء .فورد الخبر بوصولهم إلى قبجق نائب دمشق، وأنهم ساروا على طريق سلمية، فقام العزاء والنواح بحلب. وخرج العسكر في طلبهم نحو الفرات، وأوقع جاغان الحوطة بدمشق على بيت قبجق في خامس عشره، وتكامل مجيء العسكر الذي كان مع قبجق في سابع عشره. وانتهى سيف الدين كجكن وأيدغدي شقير إلى الفرات، فوجدا الأمراء قد قطعوا الفرات إلى رأس عين فورد الخبر إلى حلب بقتل السلطان ونائبه منكوتمر، فركب سيف الدين بلبان البريدي ولحق الأمير قبجق برأس عين وأعلمه بذلك، فظن أنها حيلة عليه ولم يرجع.

وأما السلطان فإن منكوتمر لم يزل يدبر بشؤم رأيه حتى قتل، وذلك أن الأمير طغجي قدم من الحجاز أول صفر، وقد قرر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس، فلما استراح من تعب السفر استدعاه السلطان، وتلطف به في الخروج إلى طرابلس، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة .وقام الأمير طغجي فأعلم كرجي وبيبرس الجاشنكير بذلك، فاتفقوا على التحدث مع السلطان في صرفه عن تسفيره، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه. فشق ذلك على منكوتمر، وأنكر على كرجي وتجهم له، وتكلم فيه وفي من تحدث معه في إعفاء طغجي من السفر، وبالغ في إهانتهم، فحرك ذلك من كرجي كوامن كانت في نفسه من منكوتمر. وانقطع منكوتمر من الخدمة حنقاً من إعفاء طغجي، فداراه السلطان وبعث إليه قاضي القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومي ليحضره، فما زال به حتى حضر بشريطة أن يخرج طغجي من مصر ويمسك كرجي أن يخرج أيضاً.

واتفق مع ذلك وصول قاصد الأمير قبجق نائب دمشق في السر إلى طغجي وكرجي بما تقدم ذكره، فأوقفوا بيبرس وسلار وغيره ممن يثقون به على ذلك، واتفقوا على الفتك بالسلطان .وشرعوا في السعي بين الأمراء المماليك المنصورية والأشرفية يستميلوهم، وأخذ كرجي يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدما عليهم، حتى أحكموا أمرهم. هذا ومنكوتمر مقيم على إخراج طغجي، وبعث يأمره أن يتجهز للسفر، وتمادى الحال إلى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر.

ففي ذلك اليوم: أصبح السلطان صائماً، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه نجم الدين بن العسال وقاضي القضاة حسام الدين، فدخل الأمير كرجي على عادته وأعلمه بأنه قد بيت البرجية وغيرهم من المماليك في أماكنهم وغلق عليهم الأبواب وكان قد رتب قبل دخوله جماعة في أماكن بالدهاليز فشكره السلطان وأثنى عليه، وقال لقاضي القضاة: لولا الأمير سيف الدين كرجي ما وصلت إلى السلطة. فقبل كرجي الأرض وجلس على عادته، ثم قام ليصلح الشمعة فأصلحها، وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاه السلطان ليسترها عنه، وكان سلاح دار النوبة تلك الليلة الأمير سيف الدين نغاي الكرموني السلاح دار قد وافق كرجي على ما هو فيه. ثم قال كرجي للسلطان: ما يصلي مولانا السلطان العشاء؟ فقال: نعم وقام يريد الصلاة، فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة، وعند ذلك جرد كرجي سيفه وضرب السلطان على كتفه فالتفت السلطان يريد بالنمجاه فلم يجدها فقبض على كرجي وألقاه إلى الأرض، فضرب نوغاي رجل السلطان بالمنجاه فقطع رجله. وانقلب السلطان على ظهره، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم، وفر ابن العسال إلى خزانة، وصرخ القاضي حسام الدين: لا يحل هذا لكم فهم به كرجي ثم كفه الله عنه.

وخرج كرجي وأغلق الباب على المقتول والقاضي، فإذا بالأمير طغجي قد استعد وقعد في عدة من البرجية بداركاه القلعة ينتظر ما يكون من كرجي .فعندما رآه طغجي قال: قضيت الشغل؟ قال: نعم وأعلمه الخبر. فوقع الصوت في القلعة بقتل السلطان، وطار من وقته إلى المدينة. فركب الأمير جمال الدين قتال السبع في عدة من الأمراء إلى خارج المدينة، ووقعت الصرخة تحت القلعة فركب أكثر العسكر.

وأما طغجي فإنه استدعى بقية الأمراء المقيمين بالقلعة، وبسط باب القلة. فلم يشعر منكوتمر وهو بدار النيابة إلا بالصرخة قد قامت، وباب القله قد فتح، والأمراء قد اجتمعت، والشموع توقد، والضجيج يزداد. ففطن منكوتمر بقتل السلطان، وأغلق الأبواب، وألبس مماليكه فصار في أربعمائة ضارب سيف وأزيد، ولكن الله خذله فجاءه الحسام أستادار وعرفه من تحت الشباك بقتل السلطان، وتلطف به حتى خرج إليه وسار معه إلى باب القلة، فقبل يد طغجي. فقام إليه طغجي وأجلسه، ثم أمر به أن يمضى إلى الجب فأخذ وأرخي فيه، فقام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير عز الدين أيبك الحموي نائب الشام وغيرهما ممن كان بالجب، ولما عاينوه أنكروا ذلك، فقال منكوتمر: قد غضب على السلطان وحلف أن يحبسني، وقصد بذلك دفعهم عنه لئلا يقتلوه.

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وقد أرخيت القفة من رأس الجب، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها، وفي ظن أهل الجب أن السلطان قد رضي عنه. فعندما صار برأس الجب وجد كرجي واقعاً في طائفة من المماليك، فضربه كرجي بلت من حديد صرعه، وذبحه عند الجب وانصرف، وذلك أنه لما حضر منكوتمر إلى طغجي لم يكن كرجي حاضراً، فلما بلغه مجيئه أقبل يريده فأعلم أنه في الجب، فصاح على الأمراء، فقال: إيش عمل بي

السلطان حتى قتلته؟ والله لقد أحسن إلي وكبرني وأنشأني، ولو علمت أني إذا قتلت منكوتمر يبقيني بعده والله ما قتلته. وما أحوجني أقتله إلا ما كان يقع من منكوتمر ومضى مسرعاً إلى الجب حتى قتله، ونهبت داره.
وكان منكوتمر عفيفاً عن الأموال، ضابطا لناموس المملكة متيقظاً، وهو أول من نزل عن إقطاعات الجند التي كانت في ديوان النيابة، ومتحصلها في السنة مائة ألف أردب غلة، فتركها لله تعالى. وكان بعيداً عن اللهو مهيباً مصمما، لم يسمع منه قط أنه شتم أحدا، ولا جرى على لسانه فحش، مع كثرة التحري ورفع المظالم. إلا إنه كان صبي العقل عظيم الكبر محتقراً للأمراء، فمقتوه وعلموا أنهم لا يصلون إلى ازاحته إلا بقتل السلطان، فاجتمعوا على قتله حتى كان ما كان.

وكان الذين اتفقوا على قتل السلطان من الأمراء سيف الدين كرجي، وسيف الدين نوغاي، وقرا طرنطاي، وحجك، وأرسلان، وأقوش، وبيليك الرسولي.
وكانت مدة سلطة لاجين منذ فارق الملك العادل كتبغا الدهليز بمنزلة العوجاء، وحلف الأمراء في يوم الإثنين ثامن عشري المحرم سنة ست وتسعين، وإلى أن قتل سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما، ومنذ خلع كتبغا نفسه بدمشق، واجتمعت الكلمة بمصر والشام على لاجين في يوم السبت رابع عشري صفر منها، وإلى أن قتل، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوما، وقتل السلطان لاجين وله من العمر نحو الخمسين سنة، وكان أشقر أزرق العين معرق الوجه، طوالا مهيباً شجاعا مقداما، عاقلا متديناً يحب العدل، ويميل إلى الخير ويحب أهله، جميل العشرة مع تقشف وقلة أذى. وأبطل عدة مكوس، وقال: إن عشت لا تركت مشمسا ألبتة. وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامة ويأكل طعامهم، وكان أكولا. و لم يعب بشيء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير منكوتمر، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له، حتى أدى ذلك إلى قتلهما، ثم إلى خراب البلاد بمجيء غازان، فإن قبجق ومن معه من الأمراء حملهم بغضهم في منكوتمر وخوفهم منه على اللحاق بغازان وتحريضه على المسير إلى الشام، حتى كان منه ما يأتي ذكره إن شاء الله.
وكان لاجين منذ قتل الملك الأشرف يستشعر أنه لابد أن يقتل، حتى أنه في يوم الخميس الذي قتل في مسائه أحضر إليه بعد العصر بندب فارس ميداني من السلاح خاناه، فجعل يفتل فردة بعد فردة وهو يقول: من قتل قتل ويكرر هذا مراراً، فكان الفأل موكلا بالمنطق، إذ قتل بعد أربع ساعات من كلامه.
ونظير هذا أن الملك الأشرف وقف في حلقة صيد، والنوبة يومئذ في حمل السلاح خلفه للاجين هذا فجاء لاجين إلى بدر الدين بكتوت العلائي وله أيضاً النوبة في حمل السلاح، وقد تقدم إلى مكانه من الحلقة وأعطاه سلاح السلطان، وأمره بالتوجه إلى السلطان فإنه أمر بذلك. فأخذ بكتوت السلاح وتوجه به إلى الخدمة، ووقف لاجين حيث كان بكتوت واقفا. فلما جاء بكتوت وجد الأشرف على فرسه، وقد جعل طرف عصاة مقرعته تحت جبهته، واتكأ برأسه عليها وهي ثابتة بحذاء سرجه، وكأنه في غيبة من شدة الفكر. ثم التفت الأشرف وقال: يا بكتوت والله لقد التفت فرأيت لاجين خلفي وهو يحمل السلاح والسيف في يده، فتخيلت أنه يضربني به، فنظرت إليه وقلت يا شقير أعط السلاح لبكتوت يحمله، وقف أنت مكانه. فقال بكتوت: أعيذ مولانا السلطان بالله أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقل من هذا وأضعف نفساً أن يقع هذا بباله، فضلا عن أن يقدم عليه. وهو مملوك السلطان، ومملوك مولانا السلطان الشهيد وتربية بيته الشريف. فقال الأشرف :والله ما عرفتك إلا

ما خطر لي وتصورته. قال بكتوت: فخشيت على لاجين كون السلطان تخيل هذا فيه وأردت نصحه، فقلت له في تلك الليلة: بالله تجنب السلطان ولا تكثر حمل السلاح ولا تنفرد معه وأخبرته الخبر، فضحك ضحكا كثيراً وتعجب. فقلت: والله هذا يبكي منه فقال: ما ضحكي إلا من إحساسه. والله لما نظر إلي وقال يا شقير، كنت على عزم من تجريد سيفه وقتله به. قال بكتوت: فعجب من ذلك غاية العجب ومن العجب أيضاً أن الضرب الذي كان في الملك الأشرف عند قتله وجد مثله سواء في لاجين لما قتل.

وكان لاجين في سلطنته كثيراً ما يقف إذا أراد أن يصلي، ويكشف رأسه ويسأل أن يمد في عمره حتى يلقي غازان، ثم يقول: لكن أنا خائف أن يدركني الأجل قبل لقائه فكان كذلك.

وكان في شبابه منهمكا على الخمر، حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها وينعم في مجالس اللهو عليهم، بحيث لما أفرط في اللهو قال الشجاعي للملك المنصور قلاوون إنه قد أبخس حرمة السلطان بمعاشرته عامة دمشق وانهماكه في الشرب. فبعث إليه قلاوون على لسان الأمير طرناي نائب السلطنة ينهاه ويهدده، وكتب إليه أيضاً بذلك. وكان ألاجين كثير الحركة، بحيث يغيب في الصيد الشهر والشهرين ومعه أرباب الملاهي، فلما تسلطن أعرض عن اللهو، وسار أحسن سيرة من العدل والإنصاف والعطاء والإنعام، وأحبه الأمراء والأجناد والعامة، فأفسد ذلك مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره.

واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف، رأى قرا سنقر رؤيا فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها، وكان كل منهما يعرف موضع الآخر. فجاءه لاجين في صندوق حمل إلى دار قراسنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مختفياً، فتحادثا، ثم قال له قرا سنقر: يا شقير رأيت رؤيا أنا خائف أن أقصها فتطمع نفسك وتتغير نيتك وتغدر بي فحلف له أنه لا يخونه. فقال قراسنقر: رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول معقودة الأذناب مضفورة المعارف مجللة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك، ثم نزلت وجلست على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة، واستدعتني وأجلستني على ثالث درجة من المنبر وتحدثت معي قليلا. ثم دفعتني برجلك فسقطت من المنبر، وانتبهت عند سقوطي. وهذا يدل على قربي منك ورميك لي وأنا والله يا شقير نحس قد خلفتك، وما أدري هل تصدق أو لا؟ فضحك لاجين. وكان كذلك، فإنه استناب قراسنقر لما تسلطن قليلا، ثم كان من أمره ما تقدم ذكره من سجنه له. فكان قراسنقر كل قليل يبعث إليه برسول وهو سجين، ويقول: يا أخي اجعل في نظير بشارتي بما آتاك الله أن تفرج عني وتنفيني حيث أردت فيبتسم لاجين، ويقول للرسول: سلم عليه وقل له إن شاء الله بقي القليل.

واتفق أن لاجين رأى في المنام كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس في موضع النائب، والنائب قدامه وقف وشد وسطه، فلما قام من مكانه صعد درجا، وإذا برجل وهو كرجي وقد طعنه برمح فصار كوم رماد. فاستدعى لاجين علاء الدين ابن الأنصاري عابر الرؤيا، وقص رؤياه عليه، فقال :تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجي. فقال لاجين: الله المستعان وأوصاه بكتمان ذلك، وأعطاه خمسين دينارا وانصرف ابن الأنصاري فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره، فلما دخل عليه سأله عن رويا السلطان فكتمها عنه، وقال: شيء يتعلق بالحريم. فقال منكوتمر: قد رأيت أنا أيضاً كأني خرجت من الخدمة إلى دار النيابة، فإذا بالدهليز عمود رخام فوقه قاعدة، فجذبت سيفي وضربت رأس العمود فألقيته، ففار من العمود دم عظيم ملأ

الدهليز. فعمى ابن الأنصاري عليه، وقال: قد انقطع الكلام برؤية الدم خوفاً من شره، وانصرف متعجباً من اتفاق تأويل المنامين فلما كان بعد أحد عشر يوماً من رؤياهما، حضر إليه خادم بورقة فيها أن امرأة السلطان وهي ابنة الملك الظاهر رأت السلطان جالساً، وإذا بطائر كالعقاب انقض عليه واختطف فخذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار، فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح كرجي ثلاث مرات. فقال ابن النصاري: هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع وأراد بذلك الدفع عن نفسه، فقتل لاجين في الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجي.

وبعث الأمير علم الدين سنجر الدواداري وراء ابن الأنصاري، واستحكاه عن تأويل رؤيا لاجين، فإنه كان حاضراً عندما قصها عليه، ثم قام حتى لا يسمع تأويله. فأخبره ابن الأنصاري بما قاله له، وبمنامي منكوتمر وامرأة لاجين. فقال له الأمير علم الدين: لما قمت من عند السلطان لاجين استدعاني وأخبرني بما قال لك، وقال عرفت من الذي طعنني بالرمح؟ قلت لا، فأشار إلى كرجي. ثم استدعاني بعد أيام وذكر لي أنه أعلم منكوتمر بأن خاطره ينفر من كرجي، فقال له منكوتمر بحنق: والله لا تبرح تتهاون في أمرك حتى يقتلوك ويقتلوني وتموت مماليكك في الحبس، وما لهذا القواد إلا قتله يعني كرجي وحلف أنه كلما رأي كرجي يود لو ضربه بسيفه، ونهض وهو مصمم على قتله فحال الله بينهما وبين كرجي، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره من قتلهما.

وذلك أن الاتفاق كان قد وقع بين السلطان وبين منكوتمر على مسك كرجي وطغجي وشاورشي في جماعة من الأمراء وقت الخدمة يوم الإثنين، فعرف منكوتمر ثقاته بذلك. واشتد فكر السلطان واضطراب رأيه فيما قرره مع منكوتمر، فتارة يعزم على إمضائه، وتارة يرجع عنه حتى يرد عليه خبر الأمراء المجردين وهل قبض عليهم أو لا. فلما أصبح استدعى الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، وبعثه إلى منكوتمر يأمره ألا يفعل شيئاً مما قرره مع السلطان حتى يعرفه، فإنه خطر في نفسه شيء أوجب تأخيره فلما ذكر سلار هذا لمنكوتمر ظن أن السلطان أعلمه بالأمر على وجهه، وأخذ ينكر على السلطان تأخيره ما اتفقا عليه، وشرح له الحال كله ولم يكتمه شيئاً فسكن سلار من حنقه، وأعاد الجواب على السلطان بالسمع والطاعة، وكتم ما أطلعه منكوتمر عليه، ومضى إلى كرجي وطغجي ومن معهما، وأعلمهم بالأمر كله، فشمروا للحرب، وكان ما كان.

واتفق أيضاً أن في الليلة التي قتل فيها لاجين ظهر في السماء نجم له ذنب، يخيل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض. فلما رآه لاجين تعجب منه، وتمعر وجهه، وقال لقاضي القضاة حسام الدين، وهو معه: ترى ما يدل عليه هذا النجم؟، فقال: ما يكون إلا خير. فسكت لاجين، ثم قال له: يا قاضي حديث كل قاتل مقتول صحيح وتغير تغيراً زائداً. فشرع الحسام يبسطه ويطيب خاطره، وهو يقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون" وجلس وكررها، فقتل في مجلسه ذلك.

واتفق أيضاً أنه أحضر إليه في تلك الليلة بعض السلاح دارية سيفا من الخزانة، فقلبه وأعجب به، فأخذ كرجي يشكر منه، فقال له لاجين: كأنك تريده قال: نعم والله يا خوند فقال لاحين: هذا ما يصلح لك والتفت إلى طغاي وناوله إياه وقال: خذ هذا اقتل به عدوك فكان أول ما ضرب به لاحين بعد ساعة فأطار يده.

واتفق أيضاً أن لاجين دفن في تربة بجانب تربة العادل كتبغا من القرافة، فكان أولاد كتبغا يأتون قبره ويضربونه بالنعال ويسبونه، وأقاموا على هذا مدة يشفون أنفسهم بذلك.

وكان لاجين معظما للشرع وأهله منفذاً لأوامره، ومن ذلك أنه طلب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم، ونقلها إلى مودع حديد لمال الأيتام استجده، وكتب توقيعا بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مودع الحكم ويتحدث فيه قاضي القضاة الشافعي، فإن كان للميت وصي فيقيم القاضي الشافعي معه عدولا من جهته ورد لاجين عدة أملاك كانت قد أخذت بغير حق إلى ملاكها، منها قرية ضمير من عمل دمشق، وكانت وقف الملك الزاهر على أولاده. ورد على عز الدين بن القلانسي ما أخذ منه في الأيام المنصورية قلاوون من المال بغير طريق شرعي. ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان عليهم من المظالم، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل سنة، وعوض مقطعيه بدل ذلك. ورد وقف قراقوش على الفقراء، وكان قد أقطع منذ سنين، فتسلمه القاضي الشافعي وبلغه في السنة عشرة آلاف درهم، وعوض مقطعيه عنه ورد الدار القطبية إلى من وقفت عليه من جهة الملك الكامل، وكانت بيد أحد مقدمي الحلقة وورثته من نحو ستين سنة .
وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردها إلى أربابها، وكانت العساكر من ذلك في مضرة، لأنهم لا يحصل لهم من دواوين الأمراء كبير شيء، ويبقي الإقطاع في حمي الأمير يأوي إليه كل مفسد وقاطع طريق.
وكان لاجين شجاعا مقدما على أقرانه في الفروسية وأعمالها، كثير الوفاء لمعارفه وخدامه، ومنع من لبس الكلفتاه الزركش والطرزكش وملابس الذهب، وشدد في المنع من المحرمات كلها، وحد في الخمر بعض أولاد الأمراء، وكان يصوم رجب وشعبان، ويقوم الليل، ويكثر من الصدقات، مع لين الجانب وخفض الجناح.

تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور

لاجين الأمر

ولما قتل الملك المنصور لاجين ونائبه الأمير منكوتمر اتفق من كان بالقلعة من الأمراء وهم عز الدين أيبك الخازندار المنصوري، وركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار الأستادار، وحسام الدين لاجين الرومي الأستادار الواصل من حلب، وجمال الدين أقوش الأفرم، وبدر الدين عبد الله السلاح دار، والأمير كرت الحاجب مع الأمير طغجى وكرجي على مكاتبة الملك الناصر محمد بن قلاوون واحضاره من الكرك واقامته في السلطنة، وأن يكون طغجى نائب السلطنة، وألا يقع أمر من الأمور إلا بموافقة الأمراء عليه وتحالفوا على ذلك في ليلة الجمعة. فلما طلع النهار فتح باب القلعة، وركب الأمير جمال الدين أقوشق قتال السبع وبقية الأمراء إلي القلعة، وكتبوا إلى الأمير قبجق نائب الشام والأمير بلبان الطباخي نائب حلب. مما وقع، وطلبوا منهما القبض على أيدغدي شقير و جاغان و حمدان بن صلغاي والأمراء الحسامية. وسار البريد بذلك على يد الأمير بلغاق من أمراء دمشق، وكان قد حضر بكتاب الأمير قبجق في يوم السبت ثاني عشره بعد قتل لاحين، فأخذ طغجى منه الكتاب.
وجلس طغجى مكان النيابة وبقية الأمراء يمنة ويسرة، ومد السماط السلطاني على العادة. ودار الكلام في الإرسال إلي الملك الناصر، فقام كرجي وقال: يا أمراء أنا الذي قتلت السلطان لاجين وأخذت ثأر أستاذي، والملك الناصر صغير ما يصلح، ولا يكون السلطان إلا هذا وأشار لطغجى وأنا أكون نائبه، ومن خالف فدونه

فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب فإنه قال: يا خوند الذي فعلته أنت قد علمه الأمراء، ومهما رسمت ما ثم من يخالف وانفضوا، وتأخر الإرسال إلي الملك الناصر.
فبعث طغجي إلي التاج عبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة وسأله عن إقطاع النيابة فذكره له، فقال طغجي: هذا كثير، أنا لا أعطيه لنائب ورسم أن توفر منه جملة تستقر للخاص. فلما خرج التاج عبد الرحمن الطويل من عنده استدعاه كرجي وسأله عن إقطاع النيابة، فلما ذكره له استقله وقال: هذا ما يكفيني ولا أرضي به وعين بلادا يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر، فأخذ التاج يتعجب منهما في استعجمالهما بذلك قبل انعقاد الأمر لهما.
وفي ليلة الأحد: وقع الطائر بتزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح بيلبيس بالعسكر المجرد إلى سيس فسر الأمراء بذلك، وكتبوا إليه وإلى من معه بجميع ما وقع واتفاق طغجي وكرجي مفصلا. وصار أهل الدولة قسمين: الأمراء ورأيهم معدوق. مما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر، وأما طغجي وكرجي وشاورشي والمماليك الأشرفية فإنهم يد واحدة على سلطنة طغجي ونيابة كرجي، وإنهم لا يترلون إلي لقاء الأمير بكتاش، بل يقيمون مع طغجي بالقلعة حتى يحضر بكتاش. ممن معه وكان رأي الأمراء الترول إلى لقائهم.
فلما كان يوم الأحد ثالث عشره: نزل الأمير بكتاش بركة الحاج، وشرع الأمراء بالقلعة في التجهيز إلي لقائه. فامتنع كرجي من أن يترل إليه أحد، بل أشار أن يترل كل أحد إلي بيته، ويطلع الجميع من الغد القلعة، فيلبس طغجي خلعة السلطنة، وانفضوا على ذلك. فعلم الأمراء إنهم ما لم يترلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتهم ما دبروه، فلما اجتمعوا بعد العصر اخذوا مع طغجى وكرجي في تحسين الترول للقاء، فإن الأميربكتاش قديم هجرة وأتابك العساكر، وقد أثر في سبيل الله أثاراً جميلة وملك إحدى عشرة قلعة، وله غائب بالعسكر نحو سنة ونصف، فإن لم يتلقهم الأمراء صعب عليهم، ولو كان السلطان حياً لخرج إلي لقائهم. هذا وطغجى وكرجي يقولان :لا نزول، وأما أنتم فانزلوا إن اخترتم فلما طال تحاورهم استحيا طغحى من الأمراء وقال لكرجي: الصواب فيما قاله الأمراء، والرأي أن أركب معهم ومعي مماليك السلطان ونلقي الأمير بكتاش، وتقيم أنت بالقلعة في طائفة من المماليك، فاتفقوا على ذلك .وعرض طغحى المماليك ومعه كرجي، وعينا أربعمائة تركيب مع طغجى، وأخرجت لهم الخيول من الإسطبل، وأن يقيم مع كرجي بقيتهم بالقلعة، وباتوا على ذلك.

وأما دمشق فان بلغاق قدم إليها يوم السبت تاسع عشره، وقد بلغه تسحب الأمير قبجق. بمن معه إلي جهة الفرات فاخفي أمره وتوجه إلي حلب وأوقف الأمير بلبان الطاخبي على الخبر، فقبض الأمير بلبان من وقته على حمدان صلغاي وسجنه بالقلعة، وبعث البريد في طلب قبجق ومن معه، وكتب يعرفه بقتل لاجين ومنكوتمر. فصدف البريدي أيدغدي شقير وكجكن وبالوج في الطائفة الحسامية، وقد خرجوا في طلب قبجق ومن معه، فأنكروا أمره وفتشوه، فإذا في الكتب التي معه شرح ما وقع بمصر، فخاف أيدغدي شقير من نائب حلب لسوء ما عامله به، ودفع الكتب إلي البريدي وخلاه لسبيله، فمضى إلي قبجق، وتحير أيدغدي في أمره، ثم قوي عليه كجكن حتى سار به إلي حلب، فلم يتعرض إليه الأمير بلبان النائب بل عزاه وتوجع له.
وقام بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصوري، وقبض على الأمير سيف الدين جاغان الحسامي الشاد، وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحسامي وإلي البر، وقدم الأمير كجكن من حلب فقبفر عليه أيضاً، وسلمهم جميعًا لأرجواش نائب القلعة. وتحدث الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصوري حديث نواب السلطة، وصار

يركب بالعصائب والجاويش، ويجلس بدار السعادة وترفع له القصص على هيئة النواب، أوقع الحوطة على أبواب الأمراء المقتولين وحواصلهم، وحلف العسكر للملك الناصر. فلم تطل مدته، ومات في ثاني جمادى الأولى بقولنج وصارت دمشق بغير نائب ولا مشد ولا محتسب.

وكان خبر قيام قرا أرسلان قد ورد إلي الأمراء بمصر، فخرج البريد في سادس عشرى ربيع الآخر باستقرار سيف الدين قطوبك المنصوري في الشد عوضاً عن جاغان، فعاشر ذلك يوم الأحد خامس جمادى الأولى، عند قدوم البريد إلي دمشق.

وأما قبجق نائب دمشق، فإنه توجه ومعه الأمير بكتمر السلاح دار وفارس الدين ألبكي وسيف الدين عزاز وسيف الدين بزلار يريدون غازان، فمات بزلار قريباً من سنجار. وتسامع بهم المغل، فركب جنكلي بن البابا أمير ديار بكر من قبل غازان وبالغ في إكرامهم، وتلقاهم صاحب ماردين وقام بأمرهم .فلحقه بريد نائب حلب بها، وأوقفه على الكتب المتضمنة لقتل لاجين ومنكوتمر، فبكى قبجق والأمراء نادماً على سرعة مفارقتهم بلاد الشام، و لم يعجبهم العود، فكتبوا الجواب بالاعتذار.

وكان غازان فد بلغه مجيئهم إليه، فبعث أميراً يتلقاهم، وسار بهم إلى الأردوا فركب غازان في موكبه وتلقاهم وأكرمهم، وضرب لهم الخركاوات وأمر لهم. مما يصلح لهم. ثم استدعاهم وباسطهم، فلما انصرفوا حمل إلي قبجق عشرة آلاف دينار ولبكتمر مثلها، ولعزاز والألبكي ستة آلاف دينار لكل منهما. وأنعم غازان عليهم وعلى من معهم بالخيول وغيرها، وتقدم إلي أمرائه بأن يعمل كل منهم لهم ضيافة، فأقامت الأفراح في الأردوا بسبب ضيافتهم عدة أيام، وصار قبجق قي غاية المسمرة، فإنه أتاه طائفة من أهله وأقاربه، وأما بكتمر فإنه لم تطب نفسه بالإقامة.

ومن غريب الاتفاق أن السلطان الملك المنصور قلاوون جري مرة عنده أمر تجريد عسكر إلي حلب، فذكر له قبجق هذا أن يجرد، فقال: أعوذ بالله أن أجرد قبجق إلي نحو الشام، فإنني ما أمنه أن يدخل البلاد، ويظهر لي من وجهه الميل إلي المغل . ثم التفت قلاوون إلى سنقر المساح، وقال: إن عشت يا أمير، وخرج قبجق إلي الشام، فستذكر قولي لك فكان كذلك.

ويقال إنه كان مدة نيابته لدمشق يكاتب غازان، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التي يركب بها الأمراء عندهم، فبعثها غازان إليه، وصارت عنده حتى ركب من ماردين فحملها إليه، وكان هو أكبر أسباب قدوم غازان إلي دمشق، كما يأتي ذكره إن شاء الله.

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون

ثانيًا

وكان من خبر ذلك أن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار والأمير علم الدين سنجر الجاولي قدما إلى الكرك، فوجد الملك الناصر يتصيد بالغور، فوجها إليه. ودخل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك إلي أم السلطان ليبشرها، فخافت أن تكون مكيدة من لاجين، وتوقفت في المسير وابنها إلي مصر، فما زال بها حتى

أجابت. ووصل الأميران إلي الملك الناصر فقبلا الأرض بين يديه وأعلماه الخبر، فأتي إلي المدينة وأخذ في تجهيز أحواله، والبريد يتواتر من مصر باستحثاثه على القدوم إليها، إلى أن هيا له نائب الكرك ما يليق به، وسار به إلي القاهرة فخرج الأمراء والعساكر إلي لقائه، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بها أحد من الناس فرحا بقدومه، وخرجوا إليه عامة مي يوم السبت رابع جمادى الأولى.

وجلس السلطان الملك الناصر على سرير الملك في يوم الإثنين سادسه، وجددت له البيعة، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسراني عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد.

وفيه استقر الأمير سيف الدين سلار في نيابة السلطة بديار مصر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستادار، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الداوداري المنصوري نائب دمشق عوضاً عن الأمير قبجق المنصوري، والأمير سيف الدين كرت الحاجب في نيابة طرابلس، واستقر عوضه حاجبًا سيف الدين قطلوبك وأفرج عن الأمير قرا سنقر، والأمير عز الدين أيبك الحموي، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر، واستقر قرا سنقر في نيابة قلعة الصبيبة، وخلع على سائر أهل الدولة، وكتب إلي الأعمال بذلك، ودقت البشائر وزينت الممالك على العادة.

وفي ثامنه: ركب السلطان بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه، وعمره أربع عشرة سنة، وأقر الوزير فخر الدين عمر بن الخليلي في الوزارة. وسار الأمير أقش الأفرم على البريد إلي دمشق، فقدمها في ثاني عشريه، ولبس من الغد التشريف، وقبل عتبة باب القلعة على العادة، ومد السماط بدار السعادة، وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك إلي مصر.

وفي تاسع عشريه: افرج الأمير أقش الفرم عن جاغان الحسامي وبعثه على البريد إلي مصر، فرده السلطان من طريقه، وجعله أحد أمراء دمشق. وقدم البريد من حلببدخول قبجق ومن معه إلي بلاد المغل. ووقع بالقاهرة مطر، وسال المقطم إلي القرافة فافسد عدة ترب، ووصل الماء إلي باب النصر من القاهرة، وأفسد السيل هناك عدة ترب أيضاً.

وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل في يوم الموكب عند السلطان، ويقررون الأمور مع بيبرس وسلار فتصدر الأحوال عنهما، وشرعا في تقديم حواشيهما وألزامهما.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وأنعم على أمير موسى بن الصالح على ابن قلاوون بإمرة، وعلى كل من عز الدين أيدمر الخطيري وبدر الدين بكتوت الفتاح وعلم الدين سنجر الجاولي وسيف الدين تمر وعز الدين أيدمر النقيب بإمرة. وأنعم على ناصر الدين محمد بن الشيخي وإلى القاهرة بإمرة، واستقر واليًا بالجيزة وأعمالها مع ولاية القاهرة، وأنعم على كل من لاجين أخي سلار وأقطاي الجمدار وبكتوت القرماني بإمرة وقبض على الأمير، العمري والأقوش وقراقوش الظاهري ومحمد شاه الأعرج وعد على قراقوش ومحمد شاه من الذنوب قتلهما طغجى وكرجي.

وإلي يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة: ألبس الأمير أقش الأفرم نائب دمشق الأمراء والأعيان الخلع، وفيه قدم طلبه وأثقاله من مصر، فتلقاها والأمراء في خدمته وعليه التشاريف، ودخل دخولاً حسنًا.

وفيه كتب عن السلطان تقليد الملك المظفر تقي الدين محمود بنيابة حماة.

وفي شهر رجب: توجه الأمير كرت الحاجب إلي نيابة طرابلس.

وفي ثاني عشره: قبض بدمشق على الأمير سيف الدين كجكن واعتقل بالقلعة وورد البريد من حلب بمحاربة نغاي وطقطاي، وإنه قتل بينهما من المغل خلق كثير، وأن غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولو بن جنكزخان قتل وزيره نوروز، وأنه تأهب لعبور الشام وبعث في جمع المغل، وإنه بعث سلامش بن أفال بن بيجو التتري إلى بلاد الروم، على عسكر يبلغ نحو الخمسة وعشرين ألف فارس. فاهتم الأمراء بتجريد العسكر، واتفقوا على تجهيز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشي، والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار، والأمير مبارز الدين سوارالرومى أمير شكار، ومقدمهم الأمير جمال الدين أقش قتال السبع، وصحبتهم من أمراء الطبلخاناه عشرون أميراً. وكتب إلى دمشق بتجريد أربعة أمراء مقدمين، فساروا وقدموها في سابع رجب.
وقدم البريد من دمشق بورود نحو ثلاثين بطسة في البحر إلى ساحل بيروت، في كل بطسة منها نحو سبعمائة، وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على الساحل. فاجتمع الناس لقتالهم، فبعث الله ريحًا كسرت المراكب وألقتها بالشاطئ، فأخذ أهل بيروت منها ما بقى من الغرق، وأسروا ثمانين إفرنجياً، وذلك أخريات شعبان. وقويت شوكة البرجية بديار مصر، وصارت لهم الحمايات الكبيرة، وتردد الناس إليهم في الأشغال. وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمر منهم عدة، وصار في قبالته الأمير سيف الدين الدين سلار ومعه الصالحية والمنصورية، إلا أن البرجية أكثر وأقوى، وشرهوا جميعاً إلى أخذ الإقطاعات، ووقع الحسد بين الطائفتين، وصار بيبرس إذا أمر أحداً من البرجية وقفت أصحاب سلار وطلبت منه أن يؤمر منهم واحداً.
وأخذ الأمير سيف الدين برلغي يشارك بيبرس وسلار في الأمر والنهي، وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية.
وفي يوم الخميس ثاني عشر شعبان: وصل سلامش بن أفال نائب الروم إلى دمشق، مع الأمير عز الدين الزردكاش نائب بهسنا، في عشرين من أصحابه. فتلقاه عسكر دمشق وأهلها مع النائب وقد اهتم للقائه وبالغ في التجمل الزائد، فكان يوما بهجاً. وأنزله على الميدان وقام. مما يليق به، وأحضر في ليلة النصف ليرى الوقيد بجامع بنى أمية.
وفي ليلة الإثنين سادس عشره: أركبه البريد هو وأخوه قطقطوا، فقدما إلى قلعة الجبل ومعهما مخلص الدين الرومي فأكرمهم الأمراء وقاموا بواجبهم.
وكان من خبر سلامش أن غازان لما بعثه لأخذ بلاد الروم خرج عن طاعته، وحسن في رأيه الاستبداد. بملك الروم فاستخدم عشرة آلاف، وكاتب ابن فرمان أصر التركمان، وكتب إلى الملك المنصور لاجين سلطان مصر يطلب نجدة على قتال غازان على يد مخلص الدين الرومي. فأجيب في شهر رحب بالشكر والثناء، وكتب إلى دمشق بخروج العسكر لنصرته.
وكان غازان قد وصل إلى بغداد، فبلغه خروج سلامش عن طاعته، فأعرض عن المسير إلى الشام، وجهز العساكر إلى بلاد الروم، وأخرجهم أول جمادى الآخرة وعدقم نحو الخمسة وثلاثين ألفاً وعليهم بولاي وعاد غازان إلى تبريز، ومعه الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكي وبزلار، وسار بولاي إلى سنجار ونزل على رأس عين، ثم توجه إلى أمد.
وجمع سلامش نحو الستين ألفًا، وامتنع عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم، فلما قرب منه بولاي بعساكر غازان فر عنه من كان معه من التتار إلى بولاي في أول ليلة من رجب، ثم التحق به أيضاً عسكر الروم، وفر التركمان

إلى الجبال. و لم يبق مع سلامش إلا نحو الخمسمائة ، فإنهزم عن سيواس إلى جهة سيس، ووصل بهسنا آخر رجب. فورد خبره إلى دمشق في خامس شعبان والأمراء بها على عزم الخروج لنجدته، فتوقفت الحركة عن تسيير العساكر. فما كان بعض أيام إلا وسلامش قد وصل إلى دمشق، فخرج إليه عساكر دمشق والتقوه في موكب عظيم، ووصل صحبته من بهسنا الأمير بدر الدين الزردكاش نائب السلطنة بها.

ثم توجه سلامش وأخوه قطقطوا إلى الأبواب السلطانية، في يوم الأحد خامس عشر شعبان على خيل البريد، فلما قدم إلى قلعة الجبل أنعم على أخيه قطقطوا بإقطاع، ورتب لمخلص الدين الرومي جار، وخير سلامش بين المقام بالديار المصرية أو الشام أو أن يعود إلى بلاده، فسأل أن يجرد معه جيش ليعود إلى بلاده ويحضر بعياله، ويرجع إلى خدمه السلطان .فوافقه السلطان على ذلك، فركب البريد إلى حلب، ورسم أن يخرج معه الأمير بكتمر الجلمي. فقدم سلامش دمشق في حادي عشر رمضان، وخرج من الغد ومعه الأمير بدر الدين الزردكاش، ولما وصل إلى حلب جرد معه الأمير بكتمر حسب المرسوم إلى جهة سيس، بعدما مر بحلب وخرج منها بعسكر. ففطن به التتار فقاتلوه، فقتل الأمير بكتمر، وفر سلامش إلى بعض القلاع فقبض عليه وحمل إلى غازان فقتله.

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب في حركة غازان إلى بلاد الشام: وذلك إنه نهب بعسكر حلب ماردين في شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها، وفعل أفعالاً قبيحة، فحرك فعله ما عند غازان وجعله حجة لمسيره.

وفي شعبان: انعم على الأمير قرا سنقر بنيابة الصبيبة وبانياس، فسار إليهما وتسلمهما فيه.

وفي رمضان: قدم الأمير علاء الدين كجكن إلى القاهرة مقيداً، هو وحمدان بن صلغاي وقد وكل بهما مائة فارس من عسكر الشام. فأرسل بحمدان إلى صفد، فكان آخر العهد به. وقدمت رسل صاحب سيس و صاحب القسطنطينية بهدايا في سادسه. واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر في الوزارة عوضاً عن الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي، فضرب التاج بن سعيد الدولة بالمقارع فأسلم، وكان مستوفيا. واستقر شمس الدين أحمد السروجي في قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضاً عن حسام الدين حسن بن أحمد بن الحسن الرومي، في أول ذي الحجة. ونقل الحسام إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن والده جلال الدين أحمد بن الحسن.

وفي آخر ذي القعدة: نقل الأمير قرا سنقر من نيابة الصبيبة إلى نيابة حماة، بعد وفاة الملك المظفر تقي الدين . واستناب الأمير بيبرس الجاشنكير في الأستادارية الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وحكمه في سائر أمورها، فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم. وذلك إنهم يجلسونه في يومي الخميس والإثنين، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار النائب والأمير بيبرس الأستادار، ويعرض سلار عليه ما يريده، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول: السلطان قد رسم بكذا، فيمضى ذلك. ثم يخرج الجمع، فيجلس سلار وبيبرس ويتصرفان في سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان.

وقدم البريد بتحرك غازان وجمعه على السير إلى الشام، فكتب إلى الأمير كزناي والأمير قطلوبك الحاجب بالخروج واللحاق بالأمراء المجردين، فقدموا دمشق في رابع عشرى ذي الحجة. ووقع العزم على سفر السلطان والأمراء، واستدعيت الجند من بلاد مصر، وألزم الوزير سنقر الأعسر بتجهيز الأموال، فتحسن سعر الخيل

والجمال والسلاح وآلات السفر. وانتظر العسكر النفقة فيهم، فاجتمع الأمراء لذلك، فلم يوافق بيبرس وسلار على النفقة خوفا من تلاف المال، وقصدا تأخيرها إلى غزة، فلم ترض بقية الأمراء بذلك، وانفضوا على غير رضى. وخرج السلطان في رابع عشرى ذي الحجة بالعساكر ونزل خارج القاهرة، واستناب في غيتبه الأمير ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار.

ووقع في هذه السنة بأرض مصر آفة عظيمة من الفار.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيبك الموصلي نائب طرابلس، في صفر.

ومات نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في رابع عشر ذي الحجة بدمشق.

ومات الأمير جمال الدين أقش المغيثي نائب البيرة بها. وقد أقام في نيابتها أربعين سنة ومات الأمير سيف الدين بكتمر الجلمي قتل على سيس.

ومات الأمير بدر الدين بدر الصوافي أحد أمراء الدوادار. أصله من الغرب، فولاه المنصور لاجين دوادارا، وأقامه على تجديد عمارة جامع ابن طولون. واتفق أن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر مرض، فبعث إليه السلطان بدر الدين وقال: ما بقى يجيء منه شيء، فبعد أسبوع مات بدر الدين، وطلع كاتب السر إلى الخدمة وقد عوفي، وعزى السلطان في الدوادار، فقال السلطان: لا اله إلا الله كان في ظن الدوادار إنه يعزينا في كاتب السر عزانا كاتب السر فيه.

ومات الأمير سيف الدين تمر بغا، وله مسجد بالقرب من الميدان التحتاني بين القاهرة ومصر، وكان كريما. وكان قد توجه مع الملك الناصر إلى الكرك، ثم نقل إلى طرابلس فمات بها.

ومات بحلب من المجردين الأمير سيف الدين البسطي وأحمد شاه، ومحمد بن سنقر الأقرع، وعين الغزال، وكيكلدى بن السرية ومات بناحية سمنود - وكان قد توجه إليها - الأمير سيف الدين طقطاي.

ومات شهاب الدين يوسف بن الصاحب محي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم ابن هبة الله سالم بن طارق النحاس بن الأسدي الحلبي، في ثالث عشر ذي الحجة بدمشق، وقد قدم القاهرة مراراً.

ومات أمين الدين سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصري التغلبي، ناظر الدواوين بدمشق، في ثامن عشرى ذي الحجة، وهو مصروف. ومات الأمير علم الدين سنجر المسروري والي القاهرة، وهو المعروف بالخياط.

سنة تسع وتسعين وستمائة

أهلت والسلطان متوجه بعساكر مصر إلى الشام، والإرجاف يقوى بمسير غازان إلى الشام. فرحل السلطان بالعساكر من الريدانية أول يوم من المحرم، والأمراء قد كثر تحاسدهم وتنافسوا بكثرة سعادتهم، فلما وصلوا غزة أقبلوا على الصيد والاجتماع والتزه. فاشتد حنق الطائفة الأويراتية الذين قدموا في أيام العادل كتبغا، من

أجل قتلى من قتل من أمرائهم في أيام المنصور لاجين، ومن خلع كتبغا وإخراجه إلى صرخد، ومن استبداد البرجية بالأمور. وعزموا على إثارة الفتنة، وصاروا إلى الأمير علاء الدين قطلو برس العادلي وأقاموه كبيراً لهم، واتفقوا على أن برنطاي أحد المماليك السلطانية وألوص أحد كبراء الأويراتية يهجم كل منهما على الأميرين بيبرس وسلار ويقتله، ويعيدون دولة كتبغا.

فلما رحل السلطان بالعسكر من غزة ونزل تل العجول، ركب الأمراء للخدمة على العادة، وكان بيبرس يتأدب مع سلار ويركب بين يديه، فعندما ترجل الأمراء و لم يبق على فرسه سوى بيبرس وسلار، شهر برنطاى سيفه -وكان ماشيًا في ركاب بيبرس - وضربه، فوقعت الضربة على كفل الفرس فحلت ظهره، وضرب برنطاي ثانيًا، فوقعت الضربة على الكلفة فقطعتها وجرحت الوجه، فتبادرته السيوف حتى قتل.

ووقعت الصرخة في العسكر فركب الجميع، وقصد الأويراتية الدهليز السلطاني يريدون الهجمة على السلطان حتى صاروا في داخله، وقد ركب الأمراء في طلبهم، فركب الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار والمماليك السلطانية وفي ظنهم أن القصد قتل السلطان، ونشروا العصائب ووقفوا. وعاد بيبرس وسلار إلى مخيمهما، وأمرا الحجاب والنقباء بجمع العسكر إلى مخيم الأمير سلار النائب، فكان العسكر إذا أتوا ورأوا سنجق السلطان وعصائبه منشورة مضوا إليه وتركوا سلار، فيردهم الحجاب فلا يلتفت منهم أحد، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطاني.

فبعث سلار إلى أمير جاندار يقول: ما هذه الفتنة التي تريدون إثارتها في هذا الوقت ونحن على لقاء العدو وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا، وكان هذا برأيك ورأى السلطان، وقد دفع الله عنا. فإن كان الأمراء كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك أبيه الشهيد، ونحن نكون فداء المسلمين، وان لم يكن الأمر كذلك فابعثوا الينا غرماءنا.

فلما سمع السلطان هذا بكى، وحلف إنه لم يكن عنده علم. مما ذكر، وحلف أمير جاندار أيضاً وقال: ولكن لما وقع ما وقع ظنوا إنهم يريدون قتل السلطان وإقامة غيره ثم قال أمير جاندار: إنما يريد الأمراء بهذا الفول أن تقبض على مماليك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها، وان كان السلطان ومماليكه قد شوشوا على الأمراء فأنا أخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك.

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على أمير جاندار، ثم توقفوا حتى بعثوا إلى الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الأتابك. وكان على الجاليش وبينهما مرحلة، فلم يدخل في شيء من ذلك، وأوصى ألا يتعرض للسلطان بسوء. فرجع سلار إلى المداراة، وركب حتى أصلح بين أمير جندار والأمراء البرجية، وقبلوا جميعهم الأرض للسلطان وقبضوا على الأويراتية وعاقبوهم، فاقروا. مما عزموا عليه من قتل بيبرس وسلار وإعادة دولة العادل كتبغا، فزال ما كان في أنفس البرجية من موافقة السلطان وأمير جاندار للأويراتية.

وشنق من الغد نحو الخمسين من الأويراتية بثيابهم وكلفاتهم، ونودي عليهم: هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين ويتجاسر على الملوك . وطلب الأمير قطلوبرس فلم يوجد، وكان قد فر إلى غزة واختفي بها، فنهبت أثقاله كلها، وأنزل بالمصلوبين في اليوم الرابع فأخذت البرجية تغرى بيبرس، وتوحش بينه وبين سلار بأنه متفق عليه مع مماليك السلطان. فلما بلغ ذلك سلار تلطف مع بيبرس، واتفقا على إرسال طائفة من المماليك

السلطانية إلى الكرك فلم يخالفهما السلطان، فأخذا منهم عدة ممن اتهماهم. بموافقة الأويراتية وحبساهم بالكرك.
ثم رحل السلطان بعد عدة أيام إلى قرتية، ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو، وبعثوا القصاد للكشف عن ذلك، وفي هذه المترلة سالت الأودية، واتلف السيل كثيراً من أثقال العسكر، وافتقر عدة منهم لذهاب جمالهم وأثقالهم، وتشاءموا به وتطيروا منه، فكان الأمر كذلك. وعقب هذا السيل خرج جراد سد الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء فزاد تطير العسكر، وخشوا أن يكون منذراً بقدوم العدو وكسرة العسكر، وتحدث بذلك كل أحد حتى السوقة. ثم وقع الرحيل في أول ربيع الأول إلى جهة دمشق، فدخلها السلطان يوم الجمعة ثامنه.
ففي يوم السبت تاسعه: قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق، وقدم البريد من حلب وغيرها بترول غازان على الفرات، وإنه في عسكر عظيم إلى الغاية، فأنفق في العساكر لكل ما بين ديناراً وأربعين ديناراً وقد كثر الإرجاف وتتابع وصول الناس في الجفلة، وشحت أنفس الجند بإخراج النفقة في شراء ما يحتاجون إليه لغلاء كل ما يباع من ذلك، ولكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر، ولتمكن بعض الجند في الأمراء البرجية.
وقدم البريد من حلب. بمسير جاليش غازان من الفرات وعبوره، وأن أهل الضياع قد جفلوا عن آخرهم، وقدم الأمير أسندمر كرجي متولي فتوحات سيس بعدما أخذ حاصل تل حمدون، وأحضر معه صاحب سيس.
فخرج عسكر دمشق، وخرج السلطان بعده بعساكر مصر وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشره، وسار إلى حمص فترل عليها، وبعث العربان لكشف الأخبار. وقد نزل التتر بالقرب من سلمية ، ولهج كل أحد بأن العسكر مسكور، وأقام العسكر لابس السلاح ثلاثة أيام، وقد غلت الأسعار.
فلما كان سحر يوم الأربعاء ثامن عشريه: ركب السلطان بالعساكر، وجد في السير إلى الرابعة من النهار، فظهرت طوالع التتر، فنودي عند ذلك في العساكر: أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس، فألقوا رماحهم كلهم على الأرض. ومشوا ساعة، ورتبوا العساكر بمجمع المروج - ويعرف اليوم بوادي الخزندار - وعدتهم بضعة وعشرون ألف فارس، والتتار في نحو مائة ألف. فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان رأس الميمنة، ويليهم الأمير بلبان الطباخي نائب حلب بعساكر حلب وحماة، ووقف في الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقش قتال السبع وعلم الدين سنجر وطغريل الإيغاني والحاج كرت نائب طرابلس، في عدة من الأمراء، وكان في القلب بيبرس وسلار وبرلغي وقطلوبك الحاجب وأيبك الخازندار، في عدة من الأمراء، وقد جعلوا جناحهم المماليك السلطانية، ووقف حسام الدين لاجين الأستادار مع السلطان على بعد من اللقاء حتى لا يعرف فيقصد، وقدموا خمسمائة مملوك من الزراقين في مقدمة العساكر.
وفي وقت الترتيب عرض للأمير بيبرس الجاشنكير حدة وإسهال مفرط لم يتمكن منه أن يثبت على الفرس، فركب المحفة واعتزل القتال، وأخذ الأمير سلار النائب معه الحجاب والأمراء والفقهاء، ودار على العساكر كلها والفقهاء تعظ الناس وتقوى عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء.

هذا وغازان ثابت لم يتحرك، وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه، فيتحركون عند ذلك يداً واحدة، فبادر عساكر المسلمين للحركة، وأشعل الزراقون النفط ، وحملوا على غازان

فلم يتحرك، وكان في الظن أن غازان أيضاً يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو، ثم لما طال المدى قصرت في عدوها، وخمد نار النفط. فحمل عند ذك غازان. بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر، بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولاً كثيرة، وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهام، فولى العرب أولاً وتبعهم جيش حلب وحماة، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف، وكتب بذلك للسلطان - وهو معتزل في طائفة مع حسام الأستادار - فسر بذلك.

وكاد غازان أن يولي الإدبار، واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له، وولى سلار وبكتمر الجوكندار وبرلغى وسائر الأمراء البرجية، وركب غازان أقفيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح ناراً.

هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام، وهو يبكي ويبتهل ويقول: يا رب لا تجعلني كعباً نحساً على المسلمين، ويهم أن يفر مع القوم، فيمنعه الحسام ويقول: ما هي كسرة، لكن المسلمين قد تأخروا، ولم يبق معه من المماليك غير اثنى عشر مملوكاً.

وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم، فإذا الأمراء البرجية أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا. وخشى غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر، وكان ذلك من لطف الله بهم، فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم.

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلبا للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر: الله الله في المسلمين وقد كلت الخيول، فمروا إلى بعلبك ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها، فامتاروا منها ومروا في سيرهم إلى دمشق فدخلوها يوم السبت أول ربيع الآخر، وقد توجه أكثرهم على الساحل إلى مصر. فما هو إلا أن دخلوا دمشق حتى وقع الصارخ بمجيء غازان، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم، وجعل أهل دمشق فتشتتوا في سائر الجهات، ومر بالعسكر من العشير والعربان أهوال، وأخذوا أكثر ما معهم نهباً وسرقة.

وقتل في هذه الواقعة الأمير كرت نائب طرابلس، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير أيدمر الحلبي، وبلبان التقوى من أمراء طرابلس، وبيبرس الغتمي نائب قلعة المرقب، وأزبك نائب بلاطنس، وبيليك الطيار من أمراء دمشق، ونوكاي التتري، وأقش كرجي الحاجب، وأقش الطروحي حاجب دمشق، ونحو الألف من الأجناد والمماليك وعدم قاضي القضاة حسام الدين بن أحمد الرومي الحنفي قاضي الحنفية بدمشق، وعماد الدين إسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقع. وقتل من التتار نحو أربعة عشر ألفا.

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص - وقت عشاء الآخرة - و بها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر، فأخذها من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم، وسار إلى دمشق بعدما امتلأت أيدي أصحابه بأموال جليلة القدر.

هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم في وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة، فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم، وخرجوا من المدينة. فمات من الزحام في الأبواب خلق كثير، وانتش الناس برءوس الجبال وفي القرى، وتوجه كثير منهم إلى جهة مصر.

وفي ليلة الأحد: خرج أرباب السجون، وامتدت الأيدي لعدم من يحمى البلد.

وأصبح من بقى بالمدينة وقد اجتمعوا بمشهد على من الجامع الأموي وبعثوا إلى غازان يسألون الأمان لأهل البلد، فتوجه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية والشريف زين الدين بن عدنان والصاحب فخر الدين، بن الشيرجي وعز الدين حمزة بن القلانسي في جمع كبير من الأعيان والفقهاء والقراء إلى غازان في يوم الإثنين ثالثه بعد الظهر، فلقوه بالنبك وهو سائر، فترلوا عن دوابهم ومنهم من قبل له الأرض. فوقف غازان بفرسه لهم، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين غازان، فسألوا الأمان لأهل دمشق، وقدموا له مأكل كانت معهم فلم يلتفت إليها، وقال: قد بعثت إليكم الأمان، وصرفهم، فعادوا إلى المدينة بعد العصر من الجمعة سابع الشهر، ولم يخطب بها في هذه الجمعة لأحد من الملوك.

وكان قد وصل إلى دمشق في يوم الخميس سادس الشهر أربعة من التتار من جهة غازان، ومعهم الشريف القمي، وكان قد توجه قبل توجه الجماعة هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان، فعاد وبيده أمان لأهل دمشق. ثم قدم في يوم الجمعة سابعه بعد صلاة الجمعة الأمير إسماعيل التتري بجماعة من التتر، ودخل المدينة يوم السبت ليقرأ الفرمان بالجامع فاجتمع الناس، وقرأ بعض العجم الواصلين مع الأمير إسماعيل الفرمان بتأمين الكافة، وعاد إسماعيل إلى مترله بعدما صلى العصر.

وفي يوم الأحد: أخذ أهل دمشق في جمع الخيل والبغال والأموال، فترل غازان على دمشق يوم الإثنين عاشره، وعاثت عساكره في الغوطة وظاهر المدينة تهب وتفسد، ونزل قبجق وبكتمر السلاح دار. بمن معهما في الميدان الأخضر، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر.

وامتنع الأمير علم الدين سنجر المنصوري المعروف باسم أرجواش بقلعة دمشق، وسب قبجق وبكتمر سباً قبيحاً، وكانا قد تقدما إليه وأشارا عليه بالتسليم.

وفي بكرة يوم الثلاثاء حادي عشره: تقدم الأمير إسماعيل التتري إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش في تسليم القلعة، وإنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف في الكافة. فاجتمع عالم كبير وبعثوا إلى أرجواش في ذلك فلم يجب، وتكررت الرسل بينهم وبينه إلى أن سبهم وجبههم، وقال: قد وقعت إلى بطاقة بأن السلطان قد جمع الجيوش بغزة، وهو واصل عن قريب، فانصرفوا عنه.

وفي ثاني عشره: دخل الأمير قبجق إلى المدينة، وبعث إلى أرجواش في التسليم فلم يجب.

وفيه كتبت عدة فرمانات إلى أرجواش من قبجق، ومن مقدم من مقدمي التتار ذكر إنه رضيع الملك غازان، ومن شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيباني وغيره، فلم يجب، وأخذ الناس في تحصين الدروب وقد اشتد خوفهم.

وفي يوم الجمعة رابع عشره: خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه، وهي: السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان، وصلى جماعة من المغل الجمعة. فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سدة المؤذنين وقرئ على الناس تقليد قبجق بلاد الشام كلها وهى مدينة دمشق وحلب وحماة وحمص وسائر الأعمال، وجعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهم. فنثرت على الناس الدنانير والدراهم،

وفرحوا بذلك فرحا كثيراً وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادية، وعتب الناس لعدم ترددهم إليه، ووعد بالدخول في صلح أمورهم مع غازان، وطلب الأموال وتعاظم إلى الغاية، واستخف بقبجق وقال: خمسمائة من قبجق ما يكونون في خاتمي. وصار نظام الدين يضع من قلعة دمشق ويستهين بها، ويقول: لو أردنا أخذها أخذناها من أول يوم، وكان لا يزال الدبوس على كتفه، و لم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلاً، حتى قال فيه علاء الدين بن مظفر بن الكندي الوداعي :

أحد من تجرده شيخ غازان ما خلا

خرقة الفقر من يده وغدا الكل لابسي

وفي خامس عشره: بدأ التتر في نهب الصالحية، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس والتراب من البسط والقناديل، ونبشوا على الخبايا، فظهر لهم منها شيء كثير حتى كأنهم كانوا يعلمون أماكنها فمضى ابن تيمية في جمع كبير إلى شيخ الشيوخ وشكوا ذلك، فخرج معهم إلى حي الصالحية في ثامن عشره ليتبين حقيقة الأمر ففر التتر لما رأوه، والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق في أسوأ حال.

وكان سبب نهب الصالحية أن متملك سيس بذل فيها مالاً عظيماً، وكان قد "قصد خراب دمشق عوضاً عن بلاده، فتعصب الأمير قبجق ولم يمكنه من المدينة ورسم له بالصالحية، فتسلمها متملك سيس وأحرق المساجد والمدارس، وسبى وقتل وأخرب الصالحية، فبلغت عدة من قتل وأسر منها تسعة ألاف وتسعمائة نفس.

ولما فرغوا من الصالحية صار التتر إلى المزة وداريا، ونهبوهما وقتلوا جماعة من أهلهما فخرج ابن تيمية في يوم الخميس عشريه إلى غازان بتل راهط ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين، فقالا : لابد من المال، فانصرف. واشتد الطلب للمال على أهل دمشق، واستمر الحصار، وتعين نصب المنجنيق على القلعة بالجامع، وهيموا أخشابه ولم يبق إلا نصبه. فبلغ ذلك أرجواش، فبعث طائفة هجمت على الجامع على حمية وأفسدت ما هيأ فيه، فأقام التتر منجنيقاً آخر بالجامع واحترزوا عليه .واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه، ولم تقم به صلاة العشاء في بعض الليالي، ونهب التتر ما حول الجامع من السوق. فانتدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيقي، ودخل الجامع والمنجنيقي في ترتيب المنجنيق والمغل حوله، فهجم عليه وضربه بسكين فقتله. وكان معه جماعة تفرقوا في المغل يريدون قتلهم ففروا، وخلص الرجل بمن معه إلى القلعة سالماً. وأخذ أرجواش في هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت، وصيروها دكا لئلا يستتر العدو في المنازلة بجدرانها، فأحرق ذلك كله وهدمه من باب النصر إلى باب الفرج، وشمل الحرق دار الحديث الأشرفية وعدة مدارس إلى العادلية، وأحرق أيضاً بظاهر البلد شيء كثير، وأحرق جامع التوبة بالعقيبة وعدة قصور وجواسق وبساتين.

واشتد الأمر في طلب المال، وغلت الأسعار حتى أبيع القمح بثلاثمائة وستين درهماً الغرارة، والشعير. بمائة وثمانين درهماً، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل اللحم باثني عشر درهماً، والرطل الجبن باثني عشر درهماً، والرطل الزيت بستة دراهم، وكل أربع بيضات بدرهم، ووزعت الأموال، فقرر على سوق الخواصين مائة وثلاثون ألف درهم، وعلى سوق الرماحين مائة ألف درهم، وعلى سوق على مائة ألف درهم، وعلى سوق النحاسين ستون ألف درهم، وعلى قيسارية الشرب مائة ألف درهم، وعلى سوف الذهبيين ألف وخمسمائة

دينار وقرر على أعيان البلد تكملة ثلاثمائة ألف دينار، جبيت من حساب أربعمائة ألف، ورسم على كل طائفة جماعة من المغل، فضربوا الناس وعصروهم، وأذاقوهم الخزي والذل. وكثر مع ذلك القتل والنهب في ضواحي دمشق، حتى يقال إنه قتل من الجند والفلاحين والعامة نحو المائة ألف إنسان، فقال في ذلك كمال الدين ابن قاضي شهبة :

فما أحد منا من السبع سالم	رمتنا صروف الدهر منها بسبع
وغدر، وإغبان، وغم ملازم	غلاء، وغازان، وغزو، ى غارة

وقال الشيخ كمال الدين محمد بن على الزملكاني أيضاً :

من كل علج له في كفره فن	لهفي على جلق يا سوء ما لقيت
فالجن بعضهم والحن والبن	بالطم والرم جاءوا لا عديد لهم

و كان ما حمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنجا مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم، سوى السلاح والثياب والدواب والغلال، وسوى ما نهبته التتار، فإنه كان يخرج إليهم من باب شرقي كل يوم أربعمائة غرارة. ورسم غازان بأخذ الخيول والجمال، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان، وأخذ الأصيل بن النصير الطوسي، منجم غازان وناظر أوقاف التتار، عن أجرة النظر بدمشق مائتي ألف درهم، وأخذ الصفي السنجاري، الذي تولى الاستخراج لنفسه، مائة ألف درهم، وهذا سوى ما استخرج للأمير قبجق والأمراء المغل، وسوى المرتب لغازان في كل يوم.

فلما انتهت الجباية أقر غازان في نيابة دمشق الأمير قبجق، وفي نيابة حلب وحماة وحمص الأمير بكتمر السلاح دار، وفي نيابة صفد وطرابلس والساحل الأمير الألبكي. وجعل مع كل واحد عدة من المغل، وأقام مقدماً عليهم لحماية الشام قطلوشاه، وجرد عشرين ألفاً من عسكره مع أربعة من المغل بالأغوار.

ورحل غازان في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلاً بالقصر، وأخذ وزيره من أعيان دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله، وعلاء الدين على بن شرف الدين محمد بن القلانسي، وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد سعيد بن الأثير.

فلما كان يوم السبت ثالث عشره: بعد رحيل غازان، أمر التتر الذين بدمشق أن يخرج من كان في المدرسة العادلية، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارهم عليه بعد التفتيش، ثم دخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها، ووقع النهب في المدينة فأخذوا نحوا مما استخرج من الأموال أولاً، وأحرقوا كثيراً من الدور والمدارس: فاحترقت دار الحديث الأشرفية وما حولها، ودار الحديث النورية، والعادلية الصغرى وما جاورها والقيمرية وما جاورها إلى دار السعادة وإلى المارستان النوري، ومن المدرسة الدماغية إلى باب الفرج. وأخذوا ما حول القلعة، وركبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة، فأحرق عند ذلك أرجواش ما حول القلعة وخربه كما تقدم، واستمر قطلوشاه مقدم التتار يحاصر القلعة.

وفي تاسع عشره: قرئ بالجامع كتاب تولية قبجق نيابة الشام، وكتاب بتولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال

الدين الختني الوزارة.
وفي حادي عشريه: احترقت المدرسة العادلية.
فلما عدى غازان الفرات أشار قبجق وبكتمر السلاح دار على قطلوشاه أن يتحول عن دمشق إلى حلب بمن معه من التتار، وجمع قبجق له مالاً من الناس، وسار قطلوشاه في يوم الإثنين ثاني عشرى جمادى الأولى، وترك طائفة من التتر بدمشق، وخرج قبجق لوداعه، وعاد في خامس عشريه ونزل بالقصر.
الأبلق ونودي في سادس عشريه ألا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة ولا يغرر بنفسه، ثم نودي بخروج أهل الضياع إلى ضياعهم.
وفي تاسع عشريه: تحول الأمير قبجق إلى المدينة وأقام بها.
وفي يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة: نودي بخروج الناس إلى الصالحية وغيرها، فخرجوا إلى أماكنهم وفتحت الأسواق وأبواب المدينة.
وفي يوم الجمعة رابعه: دقت البشائر بالقلعة.
وفي سابعه: أمر قبجق جماعة من أصحابه، وأمر بإدارة الخمارة بدار ابن جرادة، فظهرت الخمور والفواحش، وضمنت في كل يوم بألف درهم.
هذا وقد نهبت التتار الأغوار حتى بلغوا إلى القدس، وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلاً وعادوا إلى دمشق وقد أسروا خلقاً كثيراً، فخرج إليهم ابن تيمية، ومازال يحدثهم حتى أفرجوا عن الأسرى، ورحلوا عن دمشق يريدون بلادهم في ثاني رجب.
وأما السلطان الملك الناصر، فإن العساكر تفرقت عنه وقت الهزيمة، و لم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامي أمير أخور في نفر يسير. وبالغ بكتمر مدة السفر إلى مصر في خدمة السلطان بنفسه وماله، فكان يركبه وينزله، ويشد خيله ويشتري لها العليق ويسقيها، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة، حتى قدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر.
ثم ترادفت العساكر إلى الديار المصرية شيئاً بعد شيء في أسوأ حال، وكان ممن قدم معهم الملك العادل كتبغا، وصار يمشي في خدمة الأمير سلار نائب السلطة، ويجلس بين يديه ويرمل عليه إذا علم على المناشير وغيرها. واتفق مع ذلك إنه لما كان كتبغا سلطاناً نودي على جوسن للبيع، فبلغ ثمنه على بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، ثم عرض على كتبغا وقيل له إنه على بيبرس بكذا، فقال: وهذا يصلح لذاك الخرياطي وأخذ الجوسن بثمنه. فلما زالت أيامه صار الجوسن لبيبرس بعد لاجين، فأراد نكاية كتبغا وأحضر الجوسن وكتبغا عنده، ولبسه وقال له: يا أمير إيش تقول؟ يصلح هذ لي؟ فلم يفطن كتبغا لما أراد، وقال له :والله يا أمير هذا كأنه فصل لك فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم، فاشتد عجبهم من تغير الأحوال، فلم يشاهد أعجب من ذلك.
وأقيم العزاء في الناس لمن فقد وكانوا خلقاً كثيراً.

ثم أخذ السلطان الناصر في التجهيز للمسير إلى الشام ثانياً، وشرع الأمراء في الاهتمام بأمر السفر، وجمعوا صناع السلاح للعمل. وأخذ الوزير في جمع الأموال للنفقة، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلي والبحري، فبلغ القوس الذي كان يساوي ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم،

وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية، وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان. بمائة بسبعمائة وبألف، ونودي بحضور الأجناد البطالين، فحضر خلق كثير من الصنائعية، ونزلوا أسماءهم في البطالين. وفرقت أخباز المفقودين، ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم، ولكل من الطبلخاناه بخمسة، ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة المطوعة احتساباً.

واستدعى مجدي الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار، فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فأبي أن يكتب بذلك، فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام، فقال: لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم هم ورأه، وحلف كلاً منهم إنه لا يملك سوى هذا، كان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغني أن كلاً من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر، وقام عنهم فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة، ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله.

فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير، وغصت القاهرة ومصر وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن، ونزلوا بالقرافة الخمور وشق ظروفها على يد ابن تيمية.

وعندما تكملت النفقة على العساكر نودي بالقاهرة ومصر بالسفر، ومن تأخر شنق، ورسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهماً. وخرج السلطان في تاسع رجب فسار إلى الصالحية، وقدمت إليه كتب الأمير قبجق و بكتمر السلاح دار و الألبكي بقدومهم صحبة عز الدين حمزة بن القلانسي والشريف ابن عدنان، فأقام السلطان بالصالحية.

وسار الأميران سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير الأستادار بالعساكر إلى دمشق في ثاني عشرى رجب، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعقلان، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا وأنزلوا، ورتب لهم ما يليق بهم، وأمروا بالتوجه إلى السلطان، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق. فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية في عاشر شعبان، فركب السلطان إلى لقائهم، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وأنزلهم، ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها في رابع عشره.

ودخل الأمير جمال الدين أقش الأفرم إلى دمشق في يوم السبت عاشر شعبان.

وفي حادي عشره :قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب بعساكرها، وقد استقر عوضاً عن بلبان الطباخي، واستقر الطباخي من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع أقسنقر كرتاي بعد موته. ودخل الأمير أسندمر كرجي نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها، وقد استقر عوضاً عن الأمير قطلوبك.

وفي ثاني عشره: قدمت ميسرة العساكر المصرية، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح.

وفي ثالث عشره: قدمت ميمنة العساكر المصرية، مع الأمير حسام الدين لاجين أستادار.

وفي رابع عشره: قدم الأمير سلار النائب والمماليك السلطانية، والملك العاد ل كتبغا - وقد استقر في نيابة حماة عوضاً عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب - والأمير كراي المنصوري المستقر في نيابة صفد.
ونزل الأمير سلار بالميدان، وجلس في دار العدل بحضور الأمراء والقضاة، وخلع على الصاحب عز الدين حمزة بن القلانسي.

وفي خامس عشره: ولى سلار قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق، عوضاً عن إمام الدين عمر بن سعد الدين الكرجي القزويني القونوي بعد وفاته.
وفي حادي عشريه: ولى قاضي القضاة شمس الدين محمد بن صفي الدين الحريري قضاء الحنفية، وولى الأمير سيف الدين أقبجا المنصوري شد الدواوين، وولي عز الدين أيبك النجيبي بر دمشق، وولي أمين الدين يوسف الرومي، إمام المنصور لاجين، حسبة دمشق، وولي تاج الدين، بن الشيرازي نظر الدواوين.
وسير سلار عسكراً إلى حلب، فطرقها على غفلة، وأوقع. بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم، فلم يفلت منهم إلا القليل، ولحقوا بغازان وعرفوه غدر قبجق بهم.
وتوجه الملك العادل كتبغا إلى حماة، بعدما كان يركب في دمشق بخدمة الأمير سلار، ويجلس بين يديه كما كان يفعل بالقاهرة، فشاهد الناس من ذلك ما فيه أعظم عبرة، وقدم كتبغا حماة في رابع عشرى شعبان، واستقر كل نائب في مملكته.
وكان السعر بدمشق غالياً فانحطت الغرارة القمح من ثلاثمائة درهم إلى مائة وخمسين، وأبيع اللحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقي. وتتبع الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بالشام من كان بدمشق من المفسدين، الذين تولوا استخراج المال في أيام غازان من الناس، والذين دلوا على عورات الناس. فسمر بعضهم، وشنق بعضهم وقطع أيدي جماعة وأرجلهم، ومن المفسدين من قطع لسانه وكحل فمات من يومه.
وخلع سلار على الأمير أرجواش نائب القلعة، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم وطلبت مشايخ قيس ويمن من العشير والعربان، وألزموا بإحضار ما أخذ من العسكر وأهل البلاد في توجههم إلى مصر وقت الجفلة.
وكان غازان لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن في البلاد التي افتتحها المسلمون، وأخذوا تل حمدون وغيرها.
فلما استقرت الأحوال ببلاد الشام خرج الأميران بيبرس و سلار بعسكر مصر من دمشق يوم السبت ثامن شهر رمضان يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثالث شوال بعدما ركب السلطان إلى لقائهم، وكان يوما مشهودًا.
وعندما استقر الأمراء، سأل الأمير قبجق أن ينعم عليه بنيابة الشوبك، فأجيب إلى ذلك وخلع عليه. وأنعم على الأمير بكتمر السلاح دار بإمرة مائة بديار مصر، وعلى الأمير فارس الدين ألبكي الساقي بإمرة مائة بدمشق.
وفي عشرى شوال: توجه الأمير أقش الأفرم من دمشق لغزو الدرزية أهل جبال كسروان، فإن ضررهم اشتد، ونال العسكر عند إنهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد ولقيه نائب صفد بعسكره، ونائب حماة ونائب حمص ونائب طرابلس بعساكرهم. فاستعدوا لقتالهم، وامتنعوا بجبلهم وهو صعب المرتقى، وصاروا في نحو اثني عشر آلف رام. فزحفت العساكر السلطانية عليهم، فلم تطقهم وجرح كثير منهم، فافترقت العساكر عليهم

من عدة جهات، وقاتلوهم ستة أيام قتالًا شديداً إلى الغاية، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا. وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم وأسر خلقا كثيراً، ووضع السيف فيهم، فالقوا السلاح ونادوا الأمان، فكفوا عن قتالهم. واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة، فأحضروا من السلاح والقماش شيئاً كثيراً، وحلفوا إنهم لم يخفوا شيئاً فقرر عليهم الأمير أقش الأفرم مبلغ مائة ألف درهم جبوها، وأخذ عدة من مشايخهم وأكابرهم، وعاد إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذي القعدة، وبعث البريد بالخبر إلى السلطان.

وألزم الأمير أقش الأفرم أهل دمشق بتعليق السلاح في الحوانيت وملازمة الرمي بالنشاب، ونودي بذلك.

وألزم قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك، وجلس لعرض الناس في حادي عشريه، وعرض الكافة طائفة بعد طائفة من الأشراف والفقهاء وأهل الأسواق، وقدم على أهل الأسواق رجالاً يلي كل رجل سوقاً. وتتبع الناس بديار بكر التتر، فقتلوا منهم خلقا كثيراً.

ولم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق في فقر مدقع، وفي ذلك يقول علاء الدين على ابن مظفر الوداعي :

بكرية جعلوا التسنن مذهبا أما دمشق فأهلها قد أصب

حتى تجلل كل شخص بالعبا سراً وجهراً أنفقوا أموالهم

لا ولا الخلقان مجانا ما لبست الصوف من عبث

فقراء الشيخ غازنا إنه زي لمن هو من

وذهب لأهل مصر مال كثير في حركة غازان، إلا إنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا بذلك.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز الشافعي، درس بالكهارية والقطبية من القاهرة، وولي الحسبة، وكان أديباً فصيحاً جميلا فيه مكارم ومروءة، لطيف المزاج بساما شهمًا جزلا، حج ودخل اليمن مراراً، ومن شعره في مليح سبح في النيل وتلطخ بالتراب :

لم تبصر الأبصار منه منظرا ومترب لولا التراب بجسمه

والتراب ليل من سناه أقمرا فكأنه بدر عليه سحابة

وقال :

تالله لقد نصحت في تعريض في السمر معان لاترى في البيض

يكفي فطنا محاسن التعريض ما الشهد إذا أطعمته كاللبن

ومات شهاب الدين احمد بن الفرج بن أحمد اللخمي الإشبيلي، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة. وتفقه على ابن عبد السلام بدمشق، وكان شافعياً، وله قصيدة في علم الحديث.

ومات الأمير صارم الدين أزبك نائب قلعة بلاطنس، واستشهد في نوبة غازان على حمص، في ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير أقش كرجي المطروحي الحاجب.

ومات أقسنقر كرتاي أحد أمراء الألوف.
ومات الأمير بلبان التقوى، أحد أمراء طرابلس.
وتوفي كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير الحلبي، بعدما صرف.
ومات الفقير المعتقد بدر الدين أبو على الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن على أخي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود في شعبان، ومولده بمرسية سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. كان أبوه نائب السلطنة بها عن المتوكل، فتزهد هو وحج وسكن دمشق، وكانت له أحوال عجيبة.
ومات بيبرس الغتمي، نائب حصن المرقب.
ومات بكتاش المنصوري الطيار، أحد أمراء دمشق.
ومات ناصر الدين محمد بن أيدمر الحلبي، أحد أمراء مصر.
ومات نوكاي بن بيان التتري أبو خوند منكبك امرأة الصالح على بن قلاوون، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل.
ومات علاء الدين على ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبري.
ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الحلي. وهؤلاء استشهدوا بوقعة حمص، ما بين قتيل في المعركة ومجروح مات من جراحته بعد ذلك.
ومات الطواشي حسام الدين بلال المغيثي الجلالي، . بمترلة السوادة في تاسع ربيع الآخر، فدفن بقطيا، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، وكان خيراً ديناً.
ومات الأمير سيف الدين جاغان الحسامي، بأرض البلقان.
ومات الأمير علم الدين سنجر الدواداري بحصن الأكراد، في ثالث رجب.
وتوفي قاضي القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قاضي قضاة دمشق، بالقاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الآخر.
ومات تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على البكري التيمي القرشي النويري، في يوم الخميس ثاني عشرى ذي الحجة، وهو والد الشهاب أحمد النويري المؤرخ الكاتب.
ومات شمس الدين محمد بن صدر الدين سليمان بن أبي العز وهيب الدمشقي الحنفي، بدمشق في.
ومات حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن حسن بن أبو شر وان الرومي، قاضي القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ودمشق، فقد من الصف على حمص يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول، فلم يعرف له خبر، وعمره نحو السبعين سنة.
ومات الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلي مشنوقاً بدمشق، ظفر به بعد هروبه.
ومات شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمي، عرف بابن الصيرفي، في خامس عشرى ذي الحجة، وهو في عشر التسعين.

سنة سبعمائة

أهلت هذه السنة وقد ورد الخبر بحركة غازان إلى بلاد الشام، فوقع الاهتمام بالسفر. واستدعى السلطان الوزير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير ناصر الدين محمد ابن الشيخي والى القاهرة وأمرا باستخراج الأموال من الناس، وكتب إلى الشام بذلك. فشرعا في الاستخراج، وألزم أرباب العقارات، والأغنياء. بمال تقرر على كل منهم، وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن، والناس تحمل المال أولاً بأول، حتى أخذا مائة ألف دينار جبيت من القاهرة ومصر والوجهين القبلي والبحري، فنزل بالناس ضرر عظيم. وطلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالحوانيت مبلغ أربعين دينارًا من كل عائد، وعشرين ديناراً من كل شاهد، فقام في أمرهم قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي حتى أعفوا منه. وانطلقت الألسن بالشام ومصر في حق أهل الدولة، واستخف العامة بالأجناد، وأكثروا من قولهم للجند: بالأمس كنتم هاربين واليوم تريدون أخذ أموالنا، فإن أجابهم الجندي قالوا له: لم لا كانت هذه الحرمة في المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت، وهربتم منهم فلما فحش أمر العامة في تجرئهم على الأجناد، نودي في القاهرة ومصر: أي عامي تكلم مع جندي كانت روحه وماله للسلطان.

واستخرج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر، فأخذ ذلك من سائر ما في المدينة وضواحيها، وأخذ من الضياع عن كل مدى ستة دراهم وثلثا درهم، والمد أربعون ذراعاً في مثلها، وتكسيره ألف وستمائة ذراع بذراع العمل، وطلب من الفلاحين نظير مغل سنة ثمان وتسعين، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم.

فنزلت بالناس شدائد، وقطعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطبًا، حتى أبيع القنطار الحطب الدمشقي بثلاثة دراهم، يخرج منها في أجرة قطعه درهم ونصف. فخربت الغوطة من ذلك، وفر كثير من الناس إلى مصر.

فلما جبيت الأموال بدمشق استخدم السلطان عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد، ودفع لكل واحد ستمائة درهم، فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات، وذهب المال ولم يجد نفعاً.

واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء في الخيم. بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتبر أحوالهم، وعرضوا في كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة. بمضافيهم فقطعوا يسيرا منهم، ثم أبقوا الجميع لما داجى عليهم المقدمون في أمر الجند حتى اقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض في عشرين يوماً، ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجفلى من البلاد الشامية، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهماً الإردب بخمسة عشر.

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت به الأمراء والعساكر، فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

فورد الخبر. بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية، وقد جفل الناس بين يديه. وخلت بلاد حلب وفر قرا سنقر نائبها إلى حماة، وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها في ثاني عشرى ربيع الأول، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة. وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة، فوقع الرحيل إلى العوجاء . وأصاب العسكر فيها شدائد من الأمطار التي توالت أحداً وأربعين يوماً حتى عدم فيها الواصل واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان، وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما والعليقة الشعير ثلاثة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلف معظم الأثقال، ومات جماعة من الغلمان

وأربعة من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل في الأوحال العظيمة.
فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق وأنه عاد على قرون حماة وشيزر، فنهب وسبى عظيماً، وأخذ مالاً كبيراً من المواشي وغيرها، وأنه قصد التوجه إلى دمشق، فأرسل الله عليه ثلوجاً وأمطاراً لم يعهد مثلها، ووقع في خيول عساكره وجمالهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفي فرس، وبقي معظم عساكره بغير خيول، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضا، وأن غازان خاض الفرات في حادي عشر جمادى الأولى، فسر الناس سروراً عظيماً.
وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا
بمضافيه، إلى حلب في ألفي فارس، لتكون السمعة وتطمئن أهل البلاد، وعاد السلطان ببقية العساكر إلى مصر سلخ ربيع الآخر. واستقر الأمير سيف الذين بدخاص في نيابة صفد، عوضاً عن كراي لاستعفائه منها، وأنعم على كراي بإقطاع الأمير بلبان الطباخي بعد موته، واستقر بلبان الجوكندار حاجب دمشق شاد الدواوين بها.
فقدم العسكر إلى دمشق في سابع جمادى الأولى، وقدم السلطان قلعة الجبل في يوم الإثنين حادي عشر.
وكان الناس لما بلغهم بدمشق عود السلطان إلى مصر اشتد خوفهم، وخرج معظمهم يريدون القاهرة، ونودي بدمشق في تاسع جمادى الأولى: من أقام بدمشق بعد هدا النداء فدمه في عنقه، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعه دمشق، فخرج بقية الناس على وجوههم. وغلت الأسعار بدمشق حتى أبيعت الغرارة القمح بثلاثمائة درهم، والرطل اللحم بتسعة دراهم، فلما خرج الجفل نزلت الغرارة إلى مائتي درهم.
وفي جمادى الآخرة: كثر الإرجاف بعود التتر، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر.
وفي رجب: كانت وقعة أهل الذمة: وهى أنهم كانوا قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفننوا في ركوب الخيل المسومة والبغلات الرائعة بالحلي الفاخرة، ولبسوا الثياب السرية، وولوا الأعمال الجليلة. فاتفق قدوم وزير ملك المغرب يريد الحج، واجتمع بالسلطان والأمراء، وبينما هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرساً وحوله عدة من الناس مشاة في ركابه، يتضرعون له ويسألونه ويقبلون رجليه، وهو معرض عنهم لا يعبأ بهم بل ينهرهم ويصيح في غلمانه بطردهم. فقيل للمغربي أن هذا الراكب نصراني فشق عليه، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيراً، وشنع في أمر النصارى وقال: كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض، وتذل المسلمين وتشبههم في خدمتكم وأطال القول في الإنكار وما يلزم ولاة الأمور من إهانة أهل الذمة وتغيير زيهم. فأثر كلامه في نفوس الأمراء، فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحكام، واستدعيت القضاة والفقهاء، وطلب بطرك النصارى، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع المحمدي .فاجتمع القضاة بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وندب لذلك من بينهم قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي، وطلب بطرك النصارى، وجماعة من أساقفتهم وأكابر قسيسيهم وأعيان ملتهم، وديان اليهود وأكابر ملتهم، وسئلوا عما أقروا عليه في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عقد الذمة، فلم يأتوا عن ذلك بجواب. وطال الكلام معهم إلى أن استقر الحال على أن النصارى تتميز بلباس العمائم الزرق، واليهود بلبس العمائم الصفر، ومنعوا من ركوب الخيل والبغال، ومن كل ما منعهم منه الشارع صلى اله عليه وسلم، وألزموا بما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه .فالتزموا ذلك وأشهد عليه البطرك أنه حرم على جميع النصرانية مخالفة ذلك والعدول عنه، وقال رئيس

اليهود ودانهم: أوقعت الكلمة على سائر اليهود في مخالفة ذلك والخروج عنه وانفض المجلس، وطولع السلطان والأمراء. مما وقع، فكتب إلى أعمال مصر والشام به.

ولما كان يوم خميس العهد وهو العشرون من شهر رجب: جمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورسم ألا يستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء، وألا يركبوا خيلاً وبغالاً، وأن يلتزموا سائر ما شرط عليهم. ونودي بذلك في القاهرة ومصر، وهدد من خالفه بسفك دمه. فانحصر النصارى من ذلك، وسعوا بالأموال في إبطال ما تقرر، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير في إمضاء ما ذكر قياماً محموداً، وصمم تصميماً زائداً. فاضطر الحال بالنصارى إلى الإذعان، وأسلم أمين الملك عبد الله بن العنام مستوفي الصحبة وخلق كثير، حرصاً منهم على بقاء رياستهم، وأنفة من لبس العمائم الزرق وركوب الحمير. وخرج البريد بحمل النصارى اليهود فيما بين دمقلة من النوبة والفرات على ما تقدم ذكره.

وامتدت أيدي العامة إلى كنائس اليهود والنصارى، فهدموها بفتوى الشيخ الفقيه

نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة. فطلب الأمراء القضاة والفقهاء للنظر في أمر الكنائس، فصرح ابن الرفعة بوجوب هدمها، وامتنع من ذلك قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد، واحتج بأنه إذا قامت البينة بأنها أحدثت في الإسلام تهدم، وإلا فلا يتعرض لها، ووافقه البقية على هذا وانفضوا.

وكان أهل الإسكندرية لما ورد عليهم مرسوم السلطان في أمر الذمة ثاروا بالنصارى وهدموا لهم كنيستين، وهدموا دور اليهود والنصارى التي تعلو على دور جيرانهم المسلمين، وحطوا مساطب حوانيتهم حتى صارت أسفل من حوانيت المسلمين. وهدم بالفيوم أيضاً كنيستان.

وقدم البريد في أمر الذمة إلى دمشق يوم الإثنين سابع شعبان، فاجتمع القضاة والأعيان عند الأمير أقش الأفرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك، فنودي في خامس عشريه أن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفر والسامرة العمائم الحمر، وهددوا على المخالفة. فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أمروا به، وصبغوا عمائمهم إلا أهل الكرك، فإن الأمير جمال الدين أقش الأفرم الأشرفي النائب بها رأى إبقاءهم على حالتهم، واعتذر بأن أكثر أهل الكرك نصارى، فلم يغير أهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض.

وبقيت الكنائس بأرض مصر مدة سنة مغلقة حتى قدمت رسل الأشكري ملك الفرنج تشفع في فتحها، ففتحت كنيسة المعلقة بمدينة مصر، وكنيسة ميكائيل الملكية ثم قدمت رسل ملوك آخر، ففتحت كنيسة حارة وزويلة، وكنيسة نقولا.

وفيها فنيت أبقار أرض مصر: وذلك إنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدواليب ووقفت أحوال السواقي، وتضرر الناس من ذلك. وكان لرجل من أهل أشمون طناح ألف وأحد وعشرون رأساً من البقر، مات منها ألف وثلاثة أرؤس وبقي له ثمانية عشر رأساً لا غير. واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم.

وفيها استقر الأمير أسندمر كرجي في نيابة طرابلس، لاستعفاء الأميرة قطلوبك المنصوري.

وفيها اختلف عربان البحيرة، واقتتلت طائفتا جابر وبرديس حتى فني بينهما بشر كثير، واستظهرت برديس. فخرج الأمير بيبرس الدوادار في عشرين أميراً من الطبلخاناه إلى تروجة، فانهزم العرب منهم، فتبعوهم إلى

الليونة وأخذوا جمالهم وأغنامهم، واستدعوا أكابرهم ووفقوا بينهم وعادوا.
وفيها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر في عدة مائة من المماليك السلطانية إلى الوجه القبلي لحسم العربان، وقد كان كثر عيثهم وفسادهم، ومنع كثير منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان .فأوقع الوزير شمس الدين بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، وأخذ سائر الخيول التي ببلاد الصعيد، فلم يدع بها فرساً لفلاح ولا بدوي ولا قاض ولا فقيه ولا كاتب، وتتبع السلاح الذي مع الفلاحين والعربان فأخذه عن آخره، وأخذ الجمال. وعاد من قوص إلى القاهرة، ومعه ألف وستون فرساً، وثمانمائة وسبعون جملاً ، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف، وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج.
واتفق أن بعض النصارى فتح كنيسة، فاجتمع العامة ووقفوا إلى الأمير سلار النائب، وشكوا النصارى أنهم فتحوا كنيسة بغير إذن، وأن فيهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء. فنودي بالقاهرة ومصر أن من امتنع من النصارى من لبس العمامة الزرقاء نهب وحل ماله وحريمه، وألا يستخدم نصراني عند أمير ولا في شيء من الأشغال السلطانية ولا فيما فيه نفع .فامتدت أيدي العامة إلى اليهود والنصارى، وكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع في رقابهم بالأكف والنعال، فامتنع الكثير منهم من المضي في الأسواق خوفاًعلى نفسه.
وقدمت رسل غازان إلى الفرات، فورد البريد بذلك، فخرج إليهم الأمير سيف الدين كراي على البريد لإحضارهم، فقدموا دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذي القعدة، وهم نحو العشرين رجلاً، فأنزلوا بقلعتها. وحمل ثلاثة منهم إلى مصر في ثامن عشريه، وهم كمال الدين موسى بن يونس قاضي الموصل وناصر الدين على خواجا ورفيقه، فوصلوا إلى القاهرة ليلة الإثنين خامس ذي الحجة، وأكرموا غاية الإكرام.

فلما كان وقت العصر من يوم الثلاثاء سادس عشره: واجتمع الأمراء والعسكر بقلعة الجبل، وألبست المماليك السلطانية الكلفيات الزركش والطرز الزركش على أفخر الملابس، وجلس السلطان بعد العشاء الآخرة وبين يديه ألف شمعة تعد، وقد وقفت المماليك من باب القلعة من باب الإيوان صفين. وأحضرت الرسل فسلموا وقام قاضي الموصل وعلى رأسه طرحة، فخطب خطبة بليغة وجيزة في معنى الصلح، ودعا للسلطان ولغازان وللأمراء وأخرج كتاباً من غازان مختوماً فلم يفتح.
وأخرج بالرسل إلى مكانهم إلى ليلة الخميس، ففتح الكتاب الذي من عند غازا، وهو في قطع نصف البغدادي، فإذا هو بالخط المغلي، فعرب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة فإذا هو يتضمن أن عساكر مصر دخلت في العام الماضي أطراف بلاده وأفسدت، فأنف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر، ثم عاد فلم يخرج إليه أحد، فرجع إبقاء على البلاد لئلا تخرب، وأنه مستعد للحرب، ودعا إلى الصلح. فكتب جوابه، وجهز الأمير شمس الدين محمد بن التيتي وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن السكري خطب جامع الحاكم والأمير حسام الدين أزدمر المجيري، للسفر بالجواب مع الرسل الواصلين من عند غازان.
وكان هذا عام: سائر أقطار الأرض مشتغلة بالحرب، فكان الملك المسعود علاء الدين سنجر - عتيق شمس الدين أيتمش، عتيق السلطان غياث الدين - وهو ملك دله بالهند، قد حارب قوماً في السنة الماضية، فأتوا في هذه السنة إلى دله ونهبوا وأسروا، وخرج عليه طائفة التتر فحاربهم حروباً عظيمة وهزمهم .وقام بأرض الحبشة في

السنة الماضية رجل يقال له أبو عبد الله محمد يدعو إلى الإسلام، فاجتمع عليه نحو المائتي ألف رجل. وحارب الأمحري في هذه السنة حروباً كثيرة. وكان ببلاد اليمن بين ملكها الملك المؤيد هزبر الدين وبين الزيدية عدة حروب.

وفيها ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر على الأمراء، لشد تعاظمه وكثر شمعه وتزايد كبره و وفور حرمته وقوة مهابته، ولما كان من ضربه للتاج بن سعيد الدولة مستوفي الدولة بالمقارع حتى أسلم، وتغريمه مالا كبيراً، وكان من ألزام الأمير الجاشنكير وفيه حمق ورقاعة زائدة. فلما فعل به الوزير ما فعل تحلى عن المباشرة وانقطع بزاوية الشيخ نصر المنبجي خارج باب النصر، حتى تحدث الشيخ نصر مع الأمير بيبرس في إعفائه من المباشر فأجابه، وكان له فيه اعتقاد ولكلامه عنده قبول.

فأحب الأمراء إخراج الوزير من الوزارة، وكانت في الناس بقايا من حشمة، فأحبوا مراعاته والتجمل معه، وعينوه لكشف القلاع الشامية وإصلاح أمرها وترتيب سائر أحوالها وتفقد حواصلها، ، كانت حينئذ عامرة بالرجال والأموال والسلاح، فسار ذلك.

وفيها تزوج السلطان بخوند أردكين بنت نوكاي امرأة أخيه الملك الأشرف، وعمل له مهم عظيم أنعم فيه على سائر أهل الدولة بالخلع وغيرها.

وبلغ النيل في هذه السنة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر أصبعاً، وكانت سنة مقبلة رخية الأسعار.

وحج فيها الأمير بكتمر الجوكندار، وأنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع معروفا كثيراً: من جملته أنه جهز سبعة مراكب في بحر القلزم قد شحنها بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك، فوجد بالينبع أنه قد وصل منها ثلاثة مراكب، فعمل ما فيها أكواماً ونادى في الحج من كان محتاجاً إلى مئونة أو حلوى فليحضر، فأتاه المحتاجون فلم يرد منهم أحداً، وفرق ما بقي على الناس ممن لم يحضر لغناه، وأعطى أهل الينبع، ووصلت بقية المراكب إلى جدة، ففعل بمكة كذلك، وفرق على سائر أهلها والفقراء بها وعلى حاج الشام.

وفي هده السنة أيضاً كانت ملوك الأقطار كلها شباب لم يبلغوا الثلاثين سنة.

ومات في هده السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيدمر الظاهري، وهو أحد من ولى نيابة دمشق في الأيام الظاهرية، وقد استقر بها أميراً حتى مات في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول.

ومات الأمير عز الدين أيبك كرجي الظاهري، أحد أمراء الألوف بدمشق، في عاشر ذي القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، نائب حلب في غرة صفر بغزة، وهر عائد من التجريدة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشريفي نائب قلعة الصلت وبر الكرك والشوبك، وكان مهيباً.

ومات الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهمذاني الأربلي، متولي نظر دمشق، بطريق مصر وهو عائد منها، عن ثمانين سنة، وكان عالماً بالأدب والتاريخ مشكور السيرة.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبي بكر أبي العلاء الكلاباذي البخاري الفرضي الحنفي، في أول ربيع الأول

بدمشق، وقد قدم القاهرة، وكان فاضلاً . ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قلس الأرمنتي، إمام المدرسة الظاهرية بين القصرين، وله شعر منه :

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل فنصيحة تخفى على الجلاس

وأعيذ نفسي من هجائك فالذي يهجي يكون معظماً في الناس

وقال :

قد قلت إذ لج في معاتبتي وظن أن الملال من قبلي

خدك ذا الأشعري حنفني وكان من أحمد المذاهب لي

حسنك مازال شافعي أبداً يا مالكي كيف صرت معتزلي

وكان مقربا فاضلاً.

سنة إحدى في سبعمائة

في المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه.

وفي عاشره: استقر في الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادي المنصوري، عوضاً عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجي أحد الأمراء البرجية في ولاية القاهرة، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن الشيخي، ونقل ابن الشيخي إلى ولاية الجيزة في عشريه.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد في هذا اليوم.

وفيه توجه الأمير أسندمر كرجي إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه، فقدم دمشق في حادي عشر المحرم.

وفي شهر المحرم: أيضاً استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق، عوضاً عن الأمير سيف الدين أقجبا، ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق، عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقي. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدي، فعزر ثم خلى عنه.

وفيها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد في ثامن عشر جمادى الأولى، . بمناظر الكبش، فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلي شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحضر الأمراء والناس جنازته، وصلى عليه بجامع ابن طولون، ودفن بجوار المشهد النفيسي. وكانت خلافته. بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولي عهده، وإبراهيم بن أبي عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة، ولقب المستكفي بالله، وكتب تقليده وقرئ بحضرة السلطان في يوم الأحد عشرى جمادى الأولى، وكان يوماً مشهوداً. وخطب له على عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان في اللعب بالكرة ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين، وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبي عبد الله محمد ولقبه المستمسك بالله، وجعل أبا الربيع من بعده. فمات المستمسك، واشتد حزن أبيه الحاكم عليه، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده. فلما مات الحاكم لم يقدم بعده إلا أبا الربيع، وترك إبراهيم.

وفيها كثر فساد العربان بالوجه القبلي، وتعدى شرهم في قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب

المعايش بأسيوط ومنفلوط فرائض جبوها شبه الجمالية. واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج، وتسموا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سموه بيبرس والآخر سلار، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم. فاستدعى ا الأمراء القضاة والفقهاء، واستفتوهم في قتالهم، فأفتوهم بجواز ذلك. فاتفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطرق عليهم، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم، فاستدعوا الأمير ناصر محمد بن الشيخي متولي الجيزية - وغيره من ولاة العمل، وتقدموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد في البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم.
وأشاع الأمراء إنهم يريدون السفر إلى الشام، وكتبت أوراق الأمراء المسافرين، وهم
عشرون مقدماً بمضافيهم، وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه في البر الغربي من النيل، وقسم في البر الشرقي، وقسم يركب النيل، وقسم يمضى في الطريق السالكة. وتوجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر - وقد قدم من الشام بعد عزله من الوزارة، واستقراره في جملة الأمراء المقدمين - إلى جهة ألواح في خمسة أمراء، وقرر أن يتأخر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين، وتقدم إلى كل من تعين لجهة أن يضع السيف في الكبير والصغير والجليل والحقير، ولا يبقوا شيخاً ولا صبياً، ويحتاطوا على سائر الأموال.
وسار الأمير سلار في رابع جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء في البر الغربي، وسار الأمير بيبرس بمن معه في الحاجر في البر الغربي على طريق الواحات، وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه إلى الفيوم وسار الأمير بكتمر الجوكندار بمن معه في البر الشرقي، وسار قتال السبع وبيبرس الدوادار وبلبان الغلشي وعرب الشرقية إلى السويس والطور، وسار الأمير قبجق ومن معه إلى عقبة السيل، وسار طقصبا وإلى قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات.
وضرب الأمراء على الوجه القبلي حلقة كحلقة الصيد، وفد عميت أخبارهم على أهل الصعيد، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف في الجيزية بالبر الغربي والإطفيحية من الشرق، فلم يتركوا أحداً حتى قتلوه، ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبوا حريمه، فإذا ادعى أحد إنه حضري قيل له قل: دقيق، فإن قال بقاف العرب قتل.
ووقع الرعب في قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء، وأخذوهم من كل جهة فروا إليها، وأخرجوهم من مخابئهم حتى قتلوا من بجانبي النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى. واختفى كثير منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع، وحصل من أموالهم ؟؟؟شيء عظيم جداً تفرقته الأيدي. وأحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم، من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر، غير ما أرصد في المعاصر، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا ما بين سيوف ورماح، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً. وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس، والجزة الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، و لم يوجد من يشتري الغلال من كثرتها، فإن البلاد طرقت وأهلها آمنون، وقد كسروا الخراج.
ثم عاد العسكر في سادس عشر رجب، وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشي فلا يجد في طريقه أحداً،

ويترل بالقرية فلا يرى ألا النساء والصبيان والصغار، فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد. وكان الزرع في هذه السنة بالوجه القبلي عظيماً إلى الغاية، تحصل منه ما لم يقدر قدره كثرة.

وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد بن القلانسي إلى دمشق، وصحبته شرف الدين، بن الأثير، في تاسع عشرى جمادى الأولى من بلاد التتر، وكانا قد أخذا لما دخل التتر إلى بلاد الشام، ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقهما.

وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتمى لغازان، فرسم بخروج العسكر لمحاربته، وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح والأمير عز الدين أيبك الخازندار بمضافيهما من الأمراء والمفاردة في رمضان وساروا إلى حماة، فتوجه معهم العادل كتبغا في خامس عشرى شوال، وقدموا حلب في أول ذي القعدة ورحلوا منها في ثالثه، ودخلوا دربند بغراس في سابعه .وانتشروا في بلاد سيس، فحرقوا المزروع انتهبوا ما قدروا عليه، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الأرمن، وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية. فقدموا حلب في تاسع عشره، ونزلوا حماة في سابع عشريه، وقد ابتدأ بالعادل كتبغا مرض.

وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشئوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجريرة أرواد، وعمروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب، فرسم للوزير بعمارة أربعة شواني حربية، فشرع في ذلك.

وفيها ضرب عنق فتح الدين أحمد البققي الحمري على الزندقة، في يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول، وكانت البينة قد قامت عليه قبل ذلك. مما يوجب قتله، من النقض بالقرآن وبالرسول، وتحليل المحرمات والاستهانة بالعلماء والقدح فيهم، وغير ذلك.

وفيها أخرج الأمير بكتمر الحسامي من الأمير أخورية من حنق الأمراء عليه، فإنه أكثر الكلام مع السلطان، وكان غرضهم أن السلطان لا يتعرف به أحد. فأقام الأمير بكتمر معطلاً مدة حمى وفاة مغلطاى التقوي، أحد أمراء دمشق بها، فأخرج على إقطاعه واستقر عوضه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحي.

وفيها قدم البريد من حماة بوقوع مطر فيما بينها وبين حصن الأكراد، عقبه قطع برد كبار في صورة الآدميين من ذكر وأنثى، وفيه شبه صورة القرود، وعمل بذلك مشروح. وكثر بدمشق الجراد، وأكل أوراق الأشجار وفواكهها.

وفيها أضيف إلى بدر الدين محمد بن جماعة قاضي القضاة بدمشق مشيخة الشيوخ بها، بعد موت الفخر يرسف بن حمويه.

وفيها حج الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميراً ساروا ركباً بمفردهم، ومن ورائهم بقية الحاج في ركبين، وأمير الحاج الأمير بيبرس المنصوري الدوادار. وخرج بيبرس الجاشنكير من القاهرة أول ذي القعدة، فحضر إليه بمكة الشريفان عطفة وأبو الغيث من أولاد أبي نمى، وشكيا من أخيهما أسد الدين رميثة وأخيه عز الدين حميضة إنهما وثبا بعد وفاة أبيهم عليهما، واعتقلاهما ففرا من الاعتقال. فقبض على رميثة وحميضة، وحملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما في إمارة مكة عطفة وأبو الغيث.

ومات في هذه السنة من الأعيان

مسند العصر شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد المؤيد الأبرقوهي، بمكة في العشرين من ذي الحجة، عن سبع وثمانين سنة، ومولده سنة خمس عشرة وستمائة بأبرقوه من شيراز.
ومات الحافظ شرف الدين أبو الحسين على ابن الإمام عبد ا لله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن اليونيني، في يوم الخميس حادي عشرى رمضان ببعلبك، ومولده في حادي عشر رجب سنة إحدى وعشرىن وستمائة ببعلبك.
ومات الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق، في ثاني عشرى ذي الحجة.
ومات ضياء الدين أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية بدمشق، في يوم الثلاثاء عشرى ذي القعدة، وهو أبو قطب الدين موسى وفخر الدين.
ومات فتح الدين أحمد بن محمد، البققي الحموي مقتولاً بسيف الشرع، في رابع عشرى ربيع الأول، ورفع رأسه على رمح، وسحب بدنه إلى باب زويلة فصلب هناك، وسبب ذلك إنه كان ذكياً حاد الخاطر له معرفة بالأدب والعلوم القديمة، فحفظت عنه سقطات: منها أنه قال: لو كان لصاحب مقامات الحريري حظ لتليت مقاماته في المحاريب، وأنه كان ينكر على من يصوم شهر رمضان ولا يصوم هو، وأنه كان إذا تناول حاجة من الرف صعد بقدميه على الربعة، وكان مع ذلك جريئاً بلسانه، مستخفاً بالقضاة يطنز بهم ويستجهلهم، حتى أنه بحث مع قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد مرة وكأنه لم يجبه، فقام وهو يقول: وقف الهوى يريد قول أبي الشيص الخزاعي :

في متأخز عنه ولا متقدم وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي

يعنى أن القاضي انقطع. فقال ابن دقيق العيد للفتح بن سيد الناس: يا فتح الدين عقبي هذا الرجل إلى التلف ، فلم يتأخر ذلك سوى عشرين يوماً، وقتل في الحادي والعشرين منه .ذلك أنه أكثر من الوقيعة في حق زين الدين على بن مخلوف قاضي قضاة المالكية وتنقصه وسبه، فلما بلغه ذلك عنه اشتد حنقه وقام في أمره، فتقرب الناس إليه بالشهادة على ابن البققي، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحكم بقتله، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقف. وقام في مساعدة ابن البققي ناصر الدين محمد بن الشيخي وجماعة من الكتاب، وأرادوا إثبات جنه ليعفى من القتل، فصمم ابن مخلوف على قتله، واجتمع بالسلطان ومعه قاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي، ومازالا به حتى أذن في قتله. فنزلا إلى المدرسة الصالحية بين القصرين ومعهما ابن الشيخي والحاجب، وأحضر ابن البققي من السجن في الحديد ليقتل، فصار يصيح ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ويتشهد؟، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وضرب عنقه وطيف برأسه على رمح، وعلق جسده على باب زويلة. وفيه يقول شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الأعزازي يحرض على قتله، وكتب بها إلى ابن دقيق العيد :

وكاشف المشكل والمبهم قل للإمام العادل المرتضى

قد جاء في الكافر عن مسلم لاتمهل الكافرواعمل بما

ومن شعر ابن البققي ما كتب به إلى القاضي المالكي من السجن، وهو من جملة حماقاته :

بسلاسة نعمت كلمس الأرقم   يا لابساً لي حلةً من مكره

وعلى خرق عيونها بالأسهم   اعتد لي زرداً تضايق نسجه

فلما وقف عليهما القاضي المالكي، قال: نرجو أن الله لا يمهله لذلك.

ومن شعره أيضاً :

ولابدأن ألقى به الله معلنا   جبلت على حبي لها وألفته

أقول وقلبي خاليا فتمكنا   ولم يخل قلبي من هواها بقدرما

ومات جمال الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبي الحوافز رئيس الأطباء في مستهل صفر، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة.

ومات الأمير علاء الدين على التقوي، أحد أمراء دمشق بها.

ومات الشريف أبو نمى محمد بن أبي سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن الحسن بن على بن أبي طالب، أمير مكة، في يوم الأحد رابع صفر، وقد أقام في الإمارة أربعين سنة، وقدم القاهرة مراراً، وكان يقال لولا إنه زيدي لصلح للخلافة لحسن صفاته.

ومات مجد الدين يوسف بن محمد بن على بن القباقيبي الأنصاري، موقع طرابلس، وله شعر وترسل.

ومات الأمير عز الدين النجيبي والي البر بدمشق، في سادس عشر ربيع الأول بدمشق.

ومات شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير، في سابع عشر ذي القعدة بدمشق، وكان يكتب الإنشاء بها.

ومات بدمشق شيخ الخانكاة السميساطية، وهو شيخ الشيوخ شرف الدين أبي بكر عبد الله بن تاج الدين أبي محمد ابن حمويه، في يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأول، واستقر عوضه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة باتفاق الصوفية.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى التقوي المنصوري أحد أمراء دمشق بها، في رابع عشرى رجب، فانعم بخبزه على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي أمير أخور.

سنة اثنتين وسبعمائة

في أول المحرم: قدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز، ومعه الشريفان حميضة ورميثة في الحديد، فسجنا.

وفي ثامنه: قدمت رسل غازان بكتابه، فأعيدوا بالجواب. وجهز الأمير حسام الدين ازدمر المجيري، شمس الدين محمد التيتي، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن السكري، إلى غازان في عاشر ربيع الأول .فمضوا واجتمعوا به، فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها، ولازالوا مقيمين حتى هلك غازان، فعادوا في أيام خدا بندا.

وفي محرم: تنجزت عمارة الشواني، وجهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القاري العلائي والي البهنسا. واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم في البحر، فركب أقوش في الشيني الكبير وانحدر تجاه المقياس، فانقلب، ممن فيه يوم السبت ثاني عشره.

وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك، واجتمع من العالم ما لا يحصيهم إلا

الله تعالى، وبلغ كراء المركب الذي يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم، امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس، حتى لم يوجد موضع قدم خال.

ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشواني للعب كأنها في الحرب، فلعب الأول والثاني والثالث، واعجب الناس بذلك إعجاباً زائداً، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط و آلالات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة. بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه، فمال به ميلة واحدة انقلب وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كانوا فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشيني وأخرجوا ما سقط منه في الماء، فلم يعدم منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة، وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشيني، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهي ترضعه في قيد الحياة، فاشتد العجب من سلامتها طول هده الأيام، ووقع العمل في إعادته حتى تنجز، وندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصوري للسفر عوضاً عن أقوش القاري فسار إلى طرابلس بالشواني، واستجد منها ستين مقاتلا من المماليك سوى البحرية والمطوعة.

وتوجه كهرداش إلى جزيرة أرواد، وهي بقرب أنطرسوس، وصبحهم في غفلة وأحاط بهم وقاتلهم ساعة، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيراً، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر. واستولى كهرداش على سائر ما عندهم، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتحمل إلى السلطان، وقسم ما بقي فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين. فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دقت البشائر بالقلعة، وفي يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بكتاش من غزاة سيس.

وفي هده السنة: توفي قاضي القضاة تقي الدين أبو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابن أبي الطاعة القشيري المنفلوطي المالكي المصري بن دقيق العيد، وكان مولده في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

ولما مات تقي الدين محمد بن دقيق العيد، خرج البريد إلى في دمشق بطلب قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فقدمها في سابع عشر صفر، وخرج به منها في تاسع عشره. فوصل ابن جماعة إلى القاهرة وخلع عليه يوم السبت رابع ربيع الأول، واستقر في قضاء القضاة، وولي قضاء دمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن ابن صصري، واستقر بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق، عوضاً عن أرجواش، واستقر عوضه في شد الدواوين بدمشق الأمير بيبرس التلاوي.

وفي رابع جمادى الآخرة: ظهر في النيل دابة لونها كلون الجاموس بغير شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبناً، وفمها وشفتاها مثل الكربال، ولها أربعة أنياب، اثنان فوق اثنين، في طول نحو شبر وعرض أصبعين، وفي فمها ثمانية وأربعون ضرساً وسناً مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها شبران ونصف، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أظافر الجمل، وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً، وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر له زفرة السمك، وطعمه مثل لحم الجمل، وثخانة جلدها أربعة أصابع لا تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله، فكان ينقل من الجمل إلى جمل وقد حشي تبناً حتى وصل إلى قلعة الجبل.

ومدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على خروج العسكر، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغاني وكراي المنصوري وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصوري وحسام الدين لاجين الرومي أستادار، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، فساروا في ثامن عشر رجب.

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلتها بنفسه. وكان النائب بها الأمير علم الدين سنجر الغتمي، فلاطفه وخرج إليه بالإقامات، وقال له: هذا المكان قريب المأخذ، والملك يقصد المدن الكبائر، فإذا

ملكت البلاد التي هي أمامك فنحن لا نمتنع عليك، حتى كف عنه ورجع عابراً الفرات، بعد أن أخذ ولده ومملوكه رهناً على الوفاء. وبعث غازان قطلوشاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفاً، وكتب إلى الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق يرغبه في طاعته.

وأما العسكر السلطاني ففد دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه في نصف شعبان، وكتب يستحث السلطان على الخروج. وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق خائفين من التتر، فاستعد أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم، فنودي بها من خرج حل ماله ودمه. وخرج الأمير بهادرآص والأمير قطوبك المنصوري وأنص الجمدار على عسكر إلى حماة، ولحق بهم عسكر طرابلس وحمص، فاجتمعوا على حماة عند العادل كتبغا.

وبلغ التتر ذلك، فبعثوا طائفة كبيرة إلى القريتين فأوقعوا بالتركمان، فتوجه إليهم أسندمر كرجي نائب طرابلس بهادر آص وكجكن وغرلوا العادلي وتمر الساقي وأنص الجمدار ومحمد بن قرا سنقر، في ألف وخمسائة فارس. فطرقوهم بمنزلة عرض في حادي عشر شعبان على غفلة، وافترقوا عليهم أربع فرق، وقاتلوهم قتالًا شديداً من نصف النهار إلى العصر حتى أفنوهم، وكانوا فيما يقال نحو أربعة آلاف. وأنقذوا التراكمين بحريمهم وأولادهم، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر إلا الأمير أنص الجمدار المنصوري، ومحمد بن باشقرد الناصري، وستة وخمسين من الأجناد. وعاد من انهزم إلى قطلوشاه، وقد أسر العسكر مائة وثمانين من التتر. وكتب إلى السلطان بذلك، ودقت البشائر بدمشق، وكان قد خرج السلطان من قلعة الجبل ثالث شعبان، ومعه الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان في عسكر كثير، واستناب بديار مصر عز الدين أيبك البغدادي.

وكان التتر الذين عادوا منهزمين إلى قطلوشاه قد أخبروا أن السلطان لم يخرج من الديار المصرية، وأن ليس بالشام غير العسكر الشامي، فجد قطلوشاه في السير بجموع التتر حتى نزل على قرون حماة في ثالث عشريه، فاندفعت العساكر بين يديه إلى دمشق، وركب العادل كتبغا في محفة لضعفه، فاجتمع الكل بدمشق. واختلف رأيهم في الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان، ثم خشوا من مفاجأة العدو، فنادوا بالرحيل وركبوا أول رمضان. فاضطربت دمشق بأهلها، وأخذوا في الرحيل منها على وجوههم، واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف درهم، وترك كثير منهم حرمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة فلم يأت الليل إلا والنوادب في سائر نواحي المدينة. وسار العسكر مخفاً إلى لقاء العدو، وبات الناس بدمشق في الجامع يضجون بالدعاء إلى الله، فلما أصبحوا رحل التتر عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة.

وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مرج راهط، فلقوه على عقبة شجورا في يوم السبت ثاني رمضان، وقبلوا له الأرض. فورد عند لقائهم به الخبر بوصول التتر في خمسين الفاً مع قطلوشاه نائب غازان. فلبس العسكر بأجمعه السلاح، واتفقوا على المحاربة بشقحب تحت جبل غباغب، وكان قطلوشاه قد وقف على أعلى

النهر. فوقف في القلب السلطان وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير، وعز الدين أيبك الخازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام وبرلغي وايبك الحموي، وبكتمر البوبكري وقطلوبك ونوغاي السلاح دار وأغرلوا الزيني، وفي الميمنة الحسام لاجين أستادار ومبارز الدين سوار أمير شكار، ويعقوبا الشهرزوري ومبارز الدين أوليا بن قرمان، وفي الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان، وفي الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير السلاح والامير قرا سنفر بعساكر حلب والأمير بدخاص نائب صفد، وطغريل الإيغاني وبكتمر السلاح دار وبيبرس الدوادار، بمضافيهم.

ومشى السلطان والخليفة بجانبه، ومعهما القراء يتلون القرآن، ويحثون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة، وصار السلطان يقف، ويقول الخليفة: يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم صلى اله عليه وسلم، والناس في بكاء شديد، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض، وتواصى بيبرس وسلار على الثبات في الجهاد. وعاد السلطان إلى موقفه، ووقف الغلمان والجمال وراء العسكر صفاً واحداً، وقيل لهم: من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه، ولكم سلاحه وفرسه.

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل، بعد الظهر من يوم السبت المذكور، وأقبل قطلوشاه بمن معه من التوامين وحملوا على الميمنة وقاتلوها، فثبتت لهم وقاتلتهم قتالاً شديداً، وقتل الحسام لاجين أستادار وأوليا بن قرمان وسنقر الكافري، وأيدمر الشمسي القشاش وأقوش الشمسي الحاجب والحسام على بن باخل، نحو الألف فارس. فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة، وصاح سلار: هلك والله أهل الإسلام، وصرخ في بيبرس والبرجية فأتوه وصدم بهم قطلوشاه، وأبلى ذلك اليوم هو وبيبرس بلاء عظيماً، إلى أن كشفا التتار عن المسلمين.

وكان جوبان بن تداون وقرمجي بن الناق، وهما من توامين التتار، قد ساقا تقوية لبولاي وهو خلف المسلمين، فلما عاينا الكسرة على قطلوشاه أتياه ووقفا في وجه سلار وبيبرس. فخرج من أمراء السلطان أسندمر وقطلوبك وقبجق والمماليك السلطانية إعانة لبيبرس وسلار، فتمكنوا من العدو وهزموه، فمال التتر على برلغي حتى مزقوه واستمرت الحرب بين سلار ومن معه وبين قطلوشاه، وكل منهما ثابت لقرنه.

وكانت الأمراء لما قتلت بالميمنة إنهزم من كان معهم، ومرت التتر خلفهم، فجفل الناس وظنوا إنها كسرة. وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها، ونهبوا ما بها من الأموال، وجفل النساء والأطفال، وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور، وضج ذاك الجمع العظيم بالدعاء، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة، فلم ير شيء أعظم منظراً من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال.

ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه، وصعد عليه وفي نفسه إنه انتصر، وأن بولاي في أثر المنهزمين يطلبهم. فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر، والميسرة السلطانية ثابتة واعلامها تخفق، فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه، وأتاه من كان خلف المنهزمين من الميمنة السلطانية، ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم الأمير عز الدين أيدمر نقيب المماليك السلطانية. فأحضره قطلوشاه وسأله: من أين أنت؟، فقال: من أمراء مصر، وأخبره بقدوم السلطان، و لم يعلم قطلوشاه بقدوم السلطان بعساكر مصر إلا

منه. فجمع قطلوشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل، وإذا بكوسات السلطان والأمراء والبوقات قد رجفت بحسها الأرض وأزعجت القلوب، فلم يثبت بولاي أحد مقدمي التتر، وخرج من تجاه قطلوشاه في نحو العشرين ألفاً، ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هارباً.
وبات السلطان وسائر العساكر على ظهور خيولها والطبول تضرب، وتلاحق به من إنهزم شيئاً بعد شيء، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية. وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذي بات عليه التتار، وصار بيبرس وسلار وقبجق والأمراء الأكابر في طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يرصونهم ويرتبونهم، ويكثرون من التأكيد عليهم في التيقظ وأخذ الأهبة. فما طلع الفجر يوم الأحد إلا وقد اجتمع كل عساكر السلطان، ووقف كل أحد في مصافه مع أصحابه، والجفل والأثقال قد وقفوا على بعد، وكانت رؤيتهم تذهل، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه في ترتيب من معه، ونزلوا مشاة وفرسان وقاتلوا العساكر. فبرزت المماليك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان، وعملوا فيهم عملاً عظيماً: تارة يرمونهم بالسهام، وتارة يهاجمونهم، واشتغل الأمراء بقتال من في جهتهم، وصاروا يتناولون القتال أميراً بعد أمير. وألحت المماليك السلطانية في القتال واستقتلوا، حتى أن فيهم من قتل تحته الثلاثة أرؤس من الخيل. ومازال الأمراء على ذلك حتى انتصف نهار يوم الأحد، وصعد قطلوشاه الجبل، وقد قتل منه نحو ثمانين رجلاً، وجرح الكثير واشتد عطشهم.
واتفق أن بعض من أسروه نزل إلى السلطان وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول في السحر ومصادمة الجيش، وأنهم في شدة من العطش. فاقتضى الرأي أن يفرج لهم عند نزولهم، ثم يركب الجيش أقفيتهم.
فلما باتوا على ذلك وأصبح نهار يوم الإثنين، ركب التتار في الرابعة ونزلوا من الجبل، فلم يتعرض لهم أحد. وساروا إلى النهر فاقتحموه، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين، وأيدهم بنصره حتى حصدوا رؤوس التتار عن أبدانهم، ومروا في أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى السلطان. فسرحت الطيور بالنصر إلى غزة ومنع المنهزمون من التوجه إلى مصر، وتتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ به. وعين الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح للمسير بالبشارة إلى مصر، وسار من وقته، وكتب إلى دمشق وسائر القلاع بالبشارة.
ثم ركب السلطان في يوم الإثنين من مكان الواقعة، وبات ليلته بالكسوة، وأصبح يوم الثلاثاء خامس الشهر وقد خرج إليه أهل دمشق، فسار إليها - ومعه الخليفة - في عالم من الفرسان والعامة والأعيان والنساء والصبيان، لا يحصيهم إلا من خلقهم سبحانه، وهم يضجون بالدعاء والهناء .وتساقطت عبرات الناس، ودقت البشائر، وكان يوما لم يشاهد مثله، إلى أن نزل السلطان بالقصر الأبلق، ونزل الخليفة بالتربة الناصرية، وقد زينت المدينة.
واستمر الأمراء في أثر التتار إلى القريتين، وقد كلت خيول التتر وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة، حتى أن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقاً كثيراً، وغنموا عدة غنائم، وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتر فما فوقها. وأدركت عربان البلاد التتار وأخذوا في كيدهم: فيجيء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثيرة من التتار كأنهم يسيرون بهم في البر من طريق قريبة إلى الليل، ثم يدعونهم وينصرفون، فتتحير التتر في البرية وتصبح فتموت عطشاً. وفيهم من فر إلى غوطة دمشق،

فتتبعتهم الناس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً.
وخرج وإلى البر حتى جمع من استشهد من المسلمين، ودفنهم في موضع واحد بغير غسل ولا كفن، وبنى عليهم قبة. وتتبع نائب غزة من إنهزم من العسكر وأخذهم وفتشهم، فظفر منهم بجماعة معهم الأكياس المال بختمها.
ووقف الأمير علم الدين سنجر الجاولي بطريق دمشق ومعه الخزان وشهود الخزانة، وأخذ الغلمان فظفر منهم بشيء كثير مما نهبوه، وعوقب جماعة بسبب ذلك. ومازال الأمر يشتد في الطلب، حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن، ولم يفقد منه إلا القليل.
وشمل السلطان الأمراء بالخلع والأنعام، وحضر الأمير سيف الدين برلغي - وقد إنهزم فيمن إنهزم - فلم يأذن له السلطان في الدخول عليه، وقال: بأي وجه يدخل على أو ينظر في وجهي؟ ، فمازال به الأمراء حتى رضي عنه وأذن في دخوله، فقبل الأرض. وقبض على رجل من أمراء حلب كان قد انتمى إلى التتار وصار يد لهم على الطرقات، فسمر على جمل وشهر بدمشق وضواحيها .واستمر الناس طول شهر رمضان في مسرات تتجدد، وصلى السلطان صلاة عيد الفطر، وخرج من دمشق في ثالث شوال يريد مصر.
وأما التتار فإنه قتل أكثرهم، حتى لم يعبر قطلوشاه الفرات إلا في قليل من أصحابه.

ووصل خبر كسرته إلى همذان فوقعت الصرخات في بلادهم، وخرج أهل توريز وغيرها إلى القدس، واستعلام خبر من فقد منهم، فأقامت النياحة في توريز شهرين على القتلى. وبلغ الخبر غازان فاغتم غماً عظيماً - وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن الخواتين - فإنه لم يصل إليه من كل عشرة واحد، فارتج الأردوا بمن فيه. ثم جلس غازان وأوقف قطلوشاه وجوبان وسوتاي ومن كان معهم من الأمراء، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله، فمازالوا به حتى عفي عنه من القتل، وأبعده من قدامه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه، وقام إليه - وقد مسكه الحجاب - سائر من حضر وهم خلق كثير جداً، وصار كل منهم في وجهه حتى بصق الجميع، ثم أبعده عنه إلى كيلان. وضرب غازان بولاي عدة عصي، وأهانه. وقد ذكر الشعراء وقعة التتر هده فأكثروا.
وسار السلطان من دمشق في يوم الثلاثاء من شوال، ووصل إلى القاهرة ودخلها في ثالث والعشرين منه. وكان قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسة من القلعة، وكتب بإحصار سائر مغاني العرب من أعمال مصر كلها.
واستمرت الزينة من بعد وصول الأمير بكتوت الفتاح بكتاب البشارة إلى أن قدم السلطان، وبعد ذلك بأيام، وكان قبل قدوم بكتوت الفتاح قد وقعت بطاقة من قطيا بخبر البشارة، وتأخر الفتاح لوجع يده، فقلق الناس وغلقت الأسواق، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، والراوية الماء بأربعة دراهم. فلما قدم خرج الناس إلى لقائه، وكان يوماً عظيماً وتفاخر الناس في الزينة ونصبوا القلاع، واقتسمت أستادارية الأمراء شارع القاهرة إلى القلعة، ورتبوا ما يخص كل واحد منهم وعملوا به قلعة، بحيث نودي من استعمل صانعاً في غير عمل القلاع كانت عليه جناية للسلطان، وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة.
وتفاخروا في تزيين القلاع، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرحة على قدوم السلطان وعلى الزينة، فإن الناس أخرجوا الحلي والجواهر واللآلى وأنواع الحرير فزينوا بذلك. ولم ينسلخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع،

وعمل ناصر الدين محمد بن الشيخي الوالي قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجد والهزل، ونصب عدة أحواض ملأها بالسكر والليمون، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر.

فقدم السلطان في يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، وقد خرج الناس إلى لقائه، وبلغ كراء البيت الذي يمر عليه من خمسين درهماً إلى مائة درهم. فلما وصل السلطان باب النصر ترجل سائر الأمراء، وأول من ترجل منهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأخذ سلاح السلطان. فأمره السلطان أن يركب لكبر سنه ويحمل السلاح خلفه، فامتنع ومشى، وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومي أمير شكار القبة والطير، وحمل الأمير بكتمر أمير جاندار العصي، والأمير سنجر الجمقدار الدبوس. ومشى كل أمير في مترلته، وفرش كل منهم الشقق من قلعته إلى قلعة غيره، فكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشي عليها بفرسه مشياً هيناً، لأجل مشى الأمراء بين يديه، وكلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشي حتى يعاينها ويعرف ما اشتملت عليه هو والأمراء. هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون، ورؤوس من قتل منهم معلقة في رقابهم، وألف رأس على ألف رمح، وعدة الأسرى ألف وستمائة في أعناقها ألف وستمائة رأس، وطبولهم قدامهم مخرقة.

وكانت القلاع التي نصبت قلعة الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخي بجوار باب النصر، وتليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وبعده ابن أيتمش السعدي، ثم الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وبعده الأمير طغريل الإيغاني، ثم بهادر اليوسفي، ثم سودى، ثم بيليك الخطيري، ثم برلغي، ثم مبارز الدين أمير شكار، ثم أيبك الخازندار، ثم سنقر الأعسر، ثم بيبرس الدوادار، ثم سنقر الكمالي، ثم موسى بن الملك الصالح، ثم سيف الدين آل ملك، ثم علم الدين الصوابي، ثم جمال الدين الطشلاقي، ثم سيف الدين أدم، ثم الأمير سلار النائب، ثم بيبرس الجاشنكير، ثم بكتاش أمير سلاح، ثم الطواشي مرشد الخازندار - وقلعته على باب المدرسة المنصورية - وبعده بكتمر أمير جندار، ثم أيبك البغدادي

نائب الغيبة، ثم ابن أمير سلاح، ثم بكتوت الفتاحي، ثم تباكر التغريلي، ثم قلى السلحدار، ثم بكتمر السلاح دار، ثم لاجين زيرباج الجاشنكير، ثم طيبرس الخازنداري نقيب الجيش، ثم بلبان طرنا، وبعده سنقر العلائي، ثم بهاء الدين يعقوبا، ثم الأبو بكري، ثم بهادر العزي، وكوكاي بعده، ثم قرا لاجين، ثم كراي المنصوري، ثم جمال الدين أقوش قتال السبع - وقلعته على باب زويلة. واتصلت القلاع من باب زويلة إلى باب السلسلة، وإلى باب القلعة وباب القلة، فكانت عدتها سبعين قلعة.

وعندما وصل السلطان إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه، وقرأ القراء قدامه. ثم ركب إلى باب زويلة، ووقف حتى أركب الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح خلفه وبيده السلاح. وسار على الشقق الحرير إلى داخل القلعة، والتهاني في دور السلطان والأمراء وغيرهم، وكان يوماً عظيماً إلى الغاية.

فلما استقر السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغي بثلاثين ألف درهم واستقر أمير الركب، وقدم له الأمراء شيئاً كثيراً وكتب على يده: إلى أبي الغيث وأخيه أميري مكة ألا يمكنوا من الأذان بحي على خير العمل، ولا يتقدم في الحرم إمام زيدي، وألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان في الكعبة مما سموه العروة الوثقي، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذي كان في الكعبة. وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقي ومن التسلق إلى المسمار عدة مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس، وترك الأذان بحي على خير العمل من مكة،

ولم يتقدم من حينئذ إمام زيدي للصلاة بالحرم.
وفي هده السنة :بنابلس صام الحنابلة شهر رمضان على عادقم بالاحتياط، واستكمل الشافعية وغيرهم شعبان وصاموا. فلما أتم الحنابلة ثلاثين يوماً أفطروا، وعيدوا وصلوا صلاة العيد و لم ير الهلال. فصام الشافعية والجمهور ذلك النهار، وأصبحوا فافطروا وعيدوا وصلوا صلاة العيد. فأنكر نائب الشام على متولي نابلس كيف لم يجتمع الناس على يوم واحد، ولم يسمع. بمثل هذه الواقعة.
واتفق أيضاً أن أهل مدينة غرناطة بالأندلس صاموا شهر رمضان ستة وعشرين يوماً، وذلك أن الغيوم تراكمت عندهم عدة أشهر قبل رمضان، فلما كانت ليلة السابع والعشرين طلعوا المأذنة ليقدوها على العادة، فإذا الغيوم قد أقلعت وظهر الهلال، فافطروا.
وفيها سخط الأمير بيبرس الجاشنكير على كاتبه المعلم المناوي من أجل فراره إلى غزة في وقت الواقعة، وطلب أبا الفضائل أكرم النصراني كاتب الحوائج خاناه وألزمه حتى أسلم، وخلع عليه وأقره في ديوانه، فزادت رتبته حتى صار إلى ما يأتي ذكره أن شاء الله، وعرف بكريم الدين الكبير.
وفيها قام الأمير بيبرس الجاشنكير في إبطال عيد الشهيد بمصر: وذلك أن النصارى كان عندهم تابوت فيه إصبع يزعمون إنه أصبع بعض شهدائهم، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه التابوت، فتجتمع نصارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا، ويخرج أهل القاهرة ومصر، وتركب النصارى الخيول للعب، ويمتلي البر بالخيم، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس، ولا يبقى صاحب غناء ولا لهو حتى يحضر، وتتبرج زواني سائر البلاد. ويباع في ذلك اليوم من الخمر بنحو مائة ألف درهم، حتى إنه في سنة باع رجل نصراني بمائتين وعشرين ألف درهم خمراً، فكان أهل شبرا يوفون الخراج من ممن الخمر، وتثور في هذا اليوم الفتن ويقتل عدة قتلى، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك، وألا يرمى التابوت في النيل، وأخرج الحجاب والولي حتى منعوا الناس من الاجتماع، بعد أن كتب إلى جميع الولاة بالنداء إلا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد .فشق ذلك على النصارى، واجتمعوا مع الأقباط الذين أظهروا الإسلام، وصاروا إلى التاج بن سعيد الدولة لتمكنه من الأمير بيبرس، فصار إليه وخيله من انكسار الخراج بإبطال العيد ومن عدم طلوع النيل، فلم يلتفت إليه وصمم على إبطاله، فبطل.
وفيها جهز صاحب سيس مراكب إلى نحو قبرص فيها بضائع قيمتها قريب من مائة ألف دينار، فألقاها الريح على مينة دمياط، فأخذت برمتها.
وفيها قدم الخبر بقحط بلاد تقطاي مدة ثلاث سنين، ثم أعقبه موتان في الخيل والغنم حتى فنيت و لم يبق عندهم ما يؤكل، فباعوا أولادهم وأقاربهم للتجار، فقدموا بهم إلى مصر وغيرها.

وفيها كانت الزلزلة العظيمة: وذلك إنه حصل بالقاهرة ومصر في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لا يمكن وصفه، من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت في أواخر شوال.
فلما كان يوم الخميس ثالث عشرى ذي الحجة: عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشي يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض، فخرجوا في الطرقات رجالاً ونساء، قد أعجلهم الخوف والفزع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعويل، وتساقطت الدور وتشققت الجدران، وتهدمت مأذن الجوامع والمدارس،

ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن، وخرحت رياح عاصفة، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التي كانت بالشاطئ قدر رمية سهم، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة في وسط الماء، وحذفها إلى الشاطئ.

وفقد للناس من الأموال شيىء كثير: فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شيىء مما فيها، فدخلها أهل الدعارة وأخذوا ما أحبوا. وصار الناس إلى خارج القاهرة، وبات أكثرهم خارج باب البحر، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة.

و لم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم، أو تشعث بعضها، وسقطت الزروب التي بأعلى الدور، و لم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه.

وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة.

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوماً، وأن ضيعتين بالشرقية خربتا حتى صارتا كوماً.

وقدم الخبر من الإسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفرنجية على البر، وسقط جانب كبير من السور، وهلك خلق كثير.

وقدم الخبر من الوجه القبلي بأن في اليوم المذكور هبت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدا قدر ساعة، ثم ماجت الأرض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض، وفي بعض المواضع رمل أحمر، وكشطت الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائر قد ركبها السافي، وخربت مدينة قوص، وأن رجلاً كان يحلب بقرة فارتفع في وقت الزلزلة وبيده المحلب، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة، ثم انحط إلى مكنه من غير أن يتبدد شيىء من اللبن الذي في المحلب.

وقدم الخبر من البحيرة أن دمنهور لوحش لم يبق بها بيت عامر.

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر، فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته .وخربت أكثر سواري الجامع الحاكمي بالقاهرة وسقطت مأذنتاه، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته وخرب الجامع الأزهر، فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضاً، وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر. وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة فعمر من الخاص السلطاني، وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر. وخربت مأذنة المنصورية، فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزراق. وسقطت مأذنة جامع الفكاهين. وكتب بعمارة ما هدم بالإسكندرية، فوجد قد إنهدم من السور ست وأربعون بدنة، وسبعة عشر برجاً فعمرت.

وقدم البريد من صفد أنه في يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر، فظهر في موضع الماء اشياء كثيرة في قعر البحر من أصناف التجارة، وتشققت جدر جامع بنى أمية بدمشق.

واستمرت الزلزلة خمس درج، إلا أن الأرض أقامت عشرين يوماً ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى. وكان الزمان صيفاً، فتولى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام .واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة في رم ما تشعث وبني ما هدم، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان

يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها، فكان في ذلك لطف من الله بعباده، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار. مما كان من هذه الزلزلة.

واتفق فيها من الأمر العجيب أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما رم ما تشعت من الزلزلة بالجامع الحاكمي، وجد في ركن من المأذنة كف إنسان بزنده قد لف في قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي، والكف طرى. ونبشت دكان لبان مما سقط في الزلزلة، فإذا أخشابها قد تصلبت على اللبان وهو حي، وعنده جرة لبن يتقوت منها مدة أيام، فأخرج حيا لم يمسه سوء.

وفي هده السنة: استقر في نيابة صفد الأمير سنقر شاه المنصوري، عوضاً عن بدخاص، وأنعم على بدخاص بإمرة بديار مصر. ونقل قبجق من نيابة الشوبك إلى نيابة حماة، عوضاً عن العادل كتبغا بعد موته. واستقر بلبان الجوكندار في نيابة حمص، بعد موت سيف الدين البكي. ثم استعفي بلبان، فولى عز الدين أيبك الحموي نائب قلعة دمشق عوضه، واستقر عوضه في نيابة قلعة دمشق بيبرس التلاوي.

وبلغ النيل ثمانية عشر ذراعاً.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندري الشافعي، في رابع عشرى شوال بدمشق، ومولده بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة، وكان مشهوراً بالعلم والديانة، ناب في خطابة جامع بنى أمية، وباشر الحكم مدة بدمشق ودرس بها، وأفاد زماناً.

ومات كمال الدين أحمد بن أبي الفتح بن محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان المعروف بابن العطار، أحد كتاب الدرج بدمشق، في رابع عشرى ذي القعدة، ومولده سنة ست و عشرين وستمائة، وكان كثير التلاوة للقرآن محباً لسماع الحديث وحدث، وكان صدراً كبيراً فاضلا له نظم ونثر، وأقام يكتب الدرج أربعين.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري، بالقاهرة في.

ومات الأمير فارس الدين البكي الساقي، أحد ممالك الظاهر بيبرس، تنقل في الخدم حتى صار من أمراء مصر، ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه المنصور قلاوون وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين، وفر مع قبجق إلى غازان وتزوج أخته، ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان، فولاه نيابة حمص حتى مات بها يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة. وكان مليح الشكل، ما جلس قط بغير خف، وإذا ركب ونزل حل جمداره شاشه، فإذا أراد الركوب لفه مرة واحدة كيف جاءت ويركب ولا يعيد لفة الشاش مرتين أبداً.

واستشهد بوقعة شقحب عز الدين أيدمر العزي نقيب المماليك السلطانية، وهو من مماليك عز الدين أيدمر نائب دمشق، وكان كثير الهزل، وإليه تنسب سويقة العزي خارج القاهرة.

ومات الأمير أيدمر الشمسي القشاش، وكان قد ولى الغربية والشرقية جميعاً، واشتدت مهابته، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب منها أنه كان يغرس خازوقاً ويجعل محدده قائماً، وبجانبه صار كبير يعلق

فيه الرحل، ثم يرسله فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه، و لم يجرؤ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية في أيامه أن بلبس مئزراً أسود، ولا يركب فرساً ولا يتقلد سيفاً، ولا يحمل عصا محلية بحديد، وعمل بها الجسور والترع وأتقنها، وأنشأ جسراً بين ملقة صندفا وأرض سمنود عرف بالشقفي، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضي المحلة في النوم، فقال له: سامحني الله وغفر لي بعمارة حسر الشقفي، وكان قد فلج واستعفي من الولاية ولزم بيته، وخرج لغزوة شقحب في محفة إلى وقت القتال، فلبس سلاحه وركب وهو في غاية الألم، فقيل له: إنك لا تقدر، فقال: والله لمثل هذا اليوم أنتظر، وإلا إيش بتخلص القشاش من ربه بغير هذا وحمل على العدو وقاتل فقتل، ورأى فيه ست جراحات.

ومات الأمير حسام الدين أوليا بن قرمان، أحد الأمراء الظاهرية، وهر ابن أخت قرمان - وعروف بابن قرمان - وكان شجاعاً.

ومات الأمير عز الدين أيبك أستادار.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرفا المنصوري.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشمسي الحاجب.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الدكاجكي، أحد الأمراء بحماة.

ومات صلاح الدين بن الكامل.

ومات علاء الدين بن الجاكي.

ومات الشيخ نجم الدين أيوب الكردي، وكان قد قدم إلى دمشق سنة سبع وثمانين وستمائة في طائفة من الأكراد، واعتقده الأمراء وحملوا إليه المال فكان يتصدق به، ثم قدم إلى القاهرة، وخرج مع السلطان وقاتل بشقحب حتى قتل.

ومات الأميرشمس الدين سنقر الشمسي الحاجب.

ومات سنقرالكافري، أحد الأمراء.

ومات سنقرشاه أستادارالجانق.

ومات حسام الدين على بن باخل، أحد أمراء العشراوات.

ومات لاجين الرومي المنصوري أستادار المنصور قلاوون، ويعرف بالحسام أستادار، وكان دينا خيراً حشماً، سمع الحديث.

ومات الأمير شمس الدين سنقر العنتابي بدمشق، ليلة الجمعة ثاني عشر ذي القعدة.

ومات العادل كتبغا بحماة ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو في سن الكهولة، وكان دينا خيراً، أسمر اللون قصيراً دقيق الصوت قصير العنق، شجاعاً سليم الباطن متواضعاً، وهو من جنس المغل، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه، وترك اولاداً .فولى نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين قبجاق المنصوري، وقد نقل إليه من نيابة الشوبك.

ومات الشيخ تقي الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق

العيد في يوم الجمعة حادي عشر صفر، عن سبع وسبعين سنة، وهو على قضاء القضاة، ومولده في خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

سنة ثلاث وسبعمائة

فيها انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة، وأنفقوا فيها مالا جزيلاً.
وقدم الأمير برلغي الأشرفي من الحجاز، وشكى من قلة مهابة الشريفين أبي الغيث وعطيفة وكثرة طمع العبيد في المجاورين بمكة. فأفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى المجلس السلطاني وخلع عليهما بكلفتانزركش، فلم يلبسها حميضة إلا بعد التمنع والتهديد بالعود إلى الحبس. وأجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما وحمل إليهما سائر ما يحتاجان إليه، وهاداهما الأمراء، وأجريت لهما الرواتب والجرايات والكسوات، وركبا مع السلطان في الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة.
وفيها سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس، وعليهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، ومعه الأمير علم الدين سنجر الصوابي والأمير شمس الدين سنقر شاه المنصوري ومضافيهم، وكتب إلى طرابلس وحماة وصفد وحلب بخروج العساكر إليها. فوصل الأمير بدر الدين بكتاش إلى دمشق في ثاني عشر رمضان، وخرج منها بعسكر دمشق، فسار إلى حلب وأتته عساكر البلاد، فمرض وأقام بحلب، وسار ابنه بالعساكر، وحرقوا مزارع سيس وخربوا الضياع وأسروا أهلها، ونازلوا تل حمدون وقد امتنع بقلعتها جماعة كثيرة من الأرمن، فقاتلوهم حتى فتحت بالأمان، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن. فشق ذلك على تكفور ملك سيس، وقصد نكاية الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان، وكتب إلى نائب حلب بأن ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج، فلا تفرجوا عن أحد منهم، فليس عندي من يزن المال سواهم. فأمر النائب بقتلهم، فضربت رقاب الملوك الخمسة، وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس، فحمل إلى مصر وكتب صحبته بعود العساكر بالغنائم، فسر الأمراء والسلطان بذلك، وأكرم صاحب قلعة نجيمة، وكتب بعود العساكر.
وقدم البريد بموت الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب حمص، فكتب بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق باستقراره في نيابة حمص، وتوجه إليها في ثامن عشرى جمادى الأولى، وولى عوضه نيابة قلعة دمشق بهادر السنجري.
وفيها وقع موتان في الخيول ببلاد الشام، فمات من حلب ودمشق نحو الثمانين ألف فرس، وفشا الموتان في خيول مصر أيضاً، فهلك كثير منها. ووقع ببلاد الساحل جراد كثير، وفيها ارتفعت أسعار الغلال بمصر، وبلغ الأردب القمح أربعين درهماً لتقاصر زيادة النيل، ثم انحط السعر عن قليل وأبيع بخمسة وعشرين درهماً.
وفيها سار الأمير بدر الدين جنغلي بن شمس الدين البابا أحد مقدمي التتار وافداً إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه، فلما قدم البريد بمسيره كتب إلى نائب حلب، فتلقاه وبالغ في إكرامه، وتلقاه نائب دمشق ودخل به في حادي عشر ذي القعدة .ومازالت الإقامات تتلقاه حتى قدم إلى القاهرة، فخرج الأمير بيبرس الجاشنكير إلى لقائه ومعه الأمراء إلى قبة النصر، وصعد به إلى أن قبل الأرض بين يدي السلطان في ثالث ذي الحجة، وأنزل في دار بقلعة الجبل.

وفيها أخرج الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري على إمرة بصفد، وأنعم على جنغلي بإمرته - وهى طبلخاناه، وكتب له بزيادة مائة ألف درهم. ثم نقل إلى إمرة مائة، وأنعم على أمير على من ألزامه بإمرة عشرة، وعلى نيروز من ألزامه بتقدمة ألف، وبعث الأمراء إليه بالهدايا.

وفيها قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلوني بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء، وسأل فتح كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين. وجهز جوابه مع فخر الدين عثمان أستادار الأمير عز الدين الأفرم، فاقترض نحو الستين ألف درهم، وبالغ في التجمل. فلما كان وقت السفر دفع الرسل ملطفاً من ملكهم إلى السلطان يسأل في فك رجل ممن أسر بجزيرة أرواد، فأفرج عنه وسار معهم إلى الإسكندرية، فبعث بعض الأسرى يعرف السلطان بأن: هذا الذي أفرج عنه ابن ملك كبير، ولو أردتم فيه مركباً ملآن بالذهب لحمله إليكم في فكه، فكتب برده فعاد من الإسكندرية وقيد على ما كان. وركب الرسل البحر، حتى إذا أبعدوا عن الإسكندرية أنزلوا الأمير فخر الدين عثمان في قارب وأمروه بالعود، وأخذوا كل ما معه. فألقاه الريح على ساحل الإسكندرية، وحمل إلى مصر، فشكا إلى الأمراء أن الذي أخذ له دين عليه، فلم يلتفت أحد إليه، وكتب إلى الإسكندرية بإيقاع الحوطة على من يرد من فرنج برشلونة.

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين.

وفيها نقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسي إلى التربة الناصرية بين القصرين، وموضع هذه المدرسة الناصرية كان داراً عرفت أخيراً بالأمير سيف الدين بلبان الرشيدي، فاشتراها الملك العادل كتبغا وشرع في بنائها مدرسة، وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا، وهى بوابة كنيسة بها. فلما حضرت هذه البوابة إلى القاهرة - مع الأمير علم الدين الدواداري، متولي تخريب عكا وصور وعثليث وغيرها من القلاع التي فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون - أخذها الأمير بيدرا، وقتل وهي على حالها، فعملها كتبغا على هذه المدرسة. وخلع كتبغا قبل أن تكمل، فاشتراها السلطان على يد قاضي القضاة رين الدين محلى بن مخلوف وأتمها، وعمل لها الأوقاف الجليلة ومن جملتها قيسارية أمير على بخط الشرابشيين ، والربع المعروف بالدهشة قريباً من باب زويلة، وحوانيت بباب الزهومة، والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة السيفية، ودار أم السلطان، وحمامي الشيخ خضر بظاهر القاهرة، بخط بستان ابن صيرم والجامع الظافري، ودار الطعم خارج مدينة دمشق. ورتب بها قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف مدرس المالكية، وقاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي مدرس الحنفية، وقاضي القضاة شرف الدين عبد الغني الحراني مدرس الحنابلة، وصدر الدين محمد بن المرحل مدرس الشافعية.

وفيها ولد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن على، ولقبه بالملك المنصور، وعمل له مهما أراد أن يستمر سبعة أيام، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعمل يوماً واحداً وفيها شرع الأمير سلار النائب في التجهيز إلى الحجاز.

وفيها تشاجر الوزير عز الدين أيبك البغدادي وناصر الدين محمد بن الشيخي متولي الجيزة، وسببها تعاظم ابن الشيخي على الوزير، وانحصار الأقباط منه لوفور حرمته وشدة ضبطه، فاتفقوا مع الوزير على أن يحققوا في جهته وجهات مماليكه من الأموال الديوانية مبلغاً كثيراً، فتحدث الوزير في ذلك مع الأمير سلار النائب، لعلمه

بكراهته في ابن الشيخي. فطلب ابن الشيخي والدواوين وحضر الأمراء، وانتدب لمحاققته التاج الطويل مستوفي الدولة. وأفحش التاج الطويل في مخاطبته، وهو يخرج مما يلزم به بحجج يظهرها، ثم اشتد حنقه وقام على قدميه وقال: وحق نعمة مولانا السلطان هؤلاء! الأقباط أكلوا الأموال، وإن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار أكتب بها خطي. فقال له التاج: صرت أنت تأمر وتنهي يا ناصر الدين، ولو طلعت رأسك في السماء كنت عندي ضامناً بتقارير مكتتبة عليك كسائر الضمان. فغضب الأمير بيبرس الجاشنكير، وقال للتاج: والك ما كفي كذبكم حتى تجعل أميراً مثل ضامن والله ما يأكل مال السلطان غيركم، وأمر بإقامته من المجلس. وقال الأمير بيبرس لابن الشيخي: إيش قلت؟ تحمل من جهة هؤلاء ماقلت؟، قال: نعم! ، فرسم للوزير والحجاب بجمع الدواوين وتسليمهم له وانفضوا، فلم يبت أحد من الكتاب عنده، فا خلا ناظري الدولة وهما تاج الدين عبد الرحيم بن السنهوري، وشهاب الدين غازي بن الواسطي، وألزمهم بعمل حساب الدولة لثلاث سنين وضيق عليهم، وأهان التاج الطويل ونكل به. وأخذ التاج بن سعيد الدولة في مساعدة ابن الشيخي، وصار يأتيه في الليل ويرتبه، طهر في جهة الكتاب شيء كثير، فشكره بيبرس وعرف الأمراء بذلك، فرعوا له بعقوبة الكتاب واستخراج المال منهم، فقام الشهاب بن الواسطي في الحط على ابن الشيخي قياماً زائداً، وقال: يا أمراء! هذا ما يحل، وما بلغ قدر هذا الرجل بالأمس وهو في دكان يخيط الأقباع ، ثم فقير دائر يستعطي، ثم ضامن في ساحل الغلة، قد صار في حفدة ومماليك، وعمل ولاية القاهرة بأقبح سيرة. فبلغ ذلك ابن الشيخي فأوقع الحوطة عليه، وسأل الأمير بيبرس فيه فسلمها له، فلما دخل عليه مع الرسل أخرق به وأمر أن يعرى من ثيابه، فمازال به الحاضرون حتى عفا عنه من خلع ثيابه، وضربه تحت رجليه ثلاث ضربات. ثم خاف العاقبة فأكرم ابن الوسطي وتلطف به وبالكتاب، وحمل منهم ثلاثمائة ألف درهم، وأفرج عنهم بعد مشاورة الأمير بيبرس. فشق ذلك على الوزير، وسعى في السفر إلى الحجاز مع الأمير سلار، فأجيب إلى ذلك.

وسعى ابن الشيخي بالأمير بكتمر أمير جندار والأمير برلغي وينجار، ووعدهم أنه يؤجرهم البلاد والدواليب ويقوم عنهم بكلفها، وأهدى إليهم حتى ملأ أعين أعدائه وأصدقائه، وعمل للأمير سلار من ألات السفر شيئاً كثيراً، ومازال يسعى بحاشية سلار، وهو يمتنع من إجابتهم، ويردهم أقبح رد لبغضه فيه حتى خدعوه وأجاب. فاستقر ابن الشيخي في الوزارة يوم الإثنين تاسع عشر شوال، بغير رضا سلار، إلا أنه لم يجد بداً من ولايته . ونزل في موكب عظيم إلى داره بجوار المشهد الحسيني من القاهرة، وتعاظم على الناس تعاظماً زائداً.

وفيها سار الأمير سلار النائب إلى الحجاز، ومعه نحو الثلاثين أميراً: منهم سنقر الكمالي الحاجب، وعلم الدين سنجر الجاولي، وسنقر الأعسر، وكوري، وسودي، وبكتوت القرماني، وبكتوت الشجاعي، والطواشي شهاب الدين مرشد. وتأخر الأمير سلار، بعد خروج الركب مع الأمير سيف الدين أناق الحسامي أمير الركب، وبعث إلى الحجاز في البحر عشرة آلاف أردب غلة وبعث سنقر الأعسر ألف أردب، وبعث سائر الأمراء القمح للتفرقة في أهل الحرمين، فعم النفع بهم.

وفيها ورد الخبر بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل، في ثالث عشر شوال بنواحي الري، من مرض حاد، وكانت مدته ثمان ستين وعشرة أشهر. وقام بعده أخوه خدا بندا بن أرغون، وجلس على تخت الملك في ثالث عشرى ذي الحجة، وتلقب بغياث الدين محمد، وكتب إلى السلطان بجلوسه، وطلبه للصلح

وإخماد الفتنة، وسير إليه رسله. وفيها توجه الوزير ناصر الدين محمد بن الشيخي إلى الإسكندرية، وألزم المباشرين بعمل الحساب. وكان متحصل الإسكندرية لا ينال ديوان السلطان منه إلا القليل، فإن الأمراء بيبرس وسلار وبرلغي والجوكندار ما منهم إلا من له بها نائب يتحدث في المتجر. فقام نائب الإسكندرية، ومنع الوزير من التحدث حتى يحضر الأمير سلار من الحجاز، فاتفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ موجبه أربعين ألف د ينار.

وفيها خرج السلطان إلى البحيرة للصيد، وقد عبأ له الوزير الإقامات. ونزل السلطان بتروجة، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة، الذي أقامه قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف وصى السلطان وكيلا على جباية أموال أملاك السلطان ونائباً عنه لاشتغاله بوظيفة القضاء. وطلب السلطان منه دراهم يشتري بها هدية من الإسكندرية، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغاً. فاجتمع ابن عبادة بالوزير، وشكا له ما فيه السلطان من الضيق والحاجة، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشتري به هدية لجواريه ونسائه. فقال له ابن الشيخي: ارجع، وأنا غداً عند السلطان بألفي دينار. فعاد ابن عبادة، وأعلم السلطان بذلك، فسر سروراً كبيراً. وقدم الوزير بالمبلغ وقدمه للسلطان .فاستروح السلطان معه بالكلام، وشكا إليه ما هو فيه من ضيق مع الأمراء، فوعده بأن مصير الأمر إليه، وقوى قلبه وشجعه على الفتك بالأمراء، وهون عليه أمرهم، وقام وقد حفظ عليه الجمدارية ما قاله في حق الأمراء. وعاد السلطان إلى القلعة، وقدم الوزير من الإسكندرية بمال كثير وكساو جليلة، وشكا إلى الأمير بيبرس نائب الإسكندرية.

وقدم الخبر من الأردو بأنه قد جرد مقدم اسمه قبرتو ليقيم بديار بكر، عوض جنكلي ابن البابا المهاجر إلى الإسلام. فكتب نائب الشام مطالعة بذلك، وفيها :

تعالن لما أن دعوه قبرتوا　أتى من بلاد المشركين مقدم

بشير لنا أن اللعين قبرتوا　وإني لأرجو أن يجيء عقيبها

وبلغ النيل ستة عشر ذراعاً وستة عشر أصبعاً، بعدما توقف، وتحسنت الغلال.

ومات في هذه السنة

عز الدين أيبك الحموي، وكان من مماليك المنصور نائب حماة، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص فيسرهما إليه فأمرهما، ثم ولي الأشرف خليل أيبك هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعي، وعزله العادل كتبغا بغرلوا. ولي صرخد ثم حمص، وبها مات في تاسع عشر شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير بيبرس التلاوي في تاسع شهر رجب، وكان يلي شد دمشق - وفيه ظلم وعسف - مدة سنة وسبعة وأربعين يوماً، منها أيام مرضه حتى هلك سبعة أشهر، واستقر عوضه في وظيفة الشد قيران الدواداري.

ومات القان إيل خان معز الدين غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولوي ابن جنكزخان، ببلاد قزوين في ثاني عشر شوال، وحمل إلى تربته خارج توريز. وكان جلوسه على تخت الملك في سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأسلم في سنة أربع وتسعين وستمائة، ونشر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس، ففشا الإسلام بذلك في التتار، وأظهر غازان العدل، وتسمى بمحمود، وملك العراقين وخراسان وفارس والجزيرة والروم،

وتسمى بالقان، وأفرد نفسه بالذكر في الخطبة، وضرب السكة باعه دون القان الأكبر، وطرد نائبه من بلاده، و لم يسبقه أحد من آبائه إلى هذا، فاقتدى به من جاء بعده، وكان أجل ملوك بيت هولاكو، إلا أنه كان يبخل بالنسبة إليهم.

ومات شمس الدين سلمان إبراهيم بن إسماعيل الملطي الدمشقي الحنفي أحد نواب الحكم بدمشق والقاهرة، وكان ديناً مباركاً.

ومات علاء الدين على بن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقي، والد الصاحب تقي الدين سليمان بن مراجل، في سادس عشر ذي القعدة بدمشق، وقدم إلى القاهرة سنة إحدى وسبعمائة، وكان ماهراً في الحساب، أديباً فاضلاً.

ومات زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيع بن الحسن الفارقي الشافعي، في حادي عشرى صفر بدمشق، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد درس الفقه، وخطب بجامع بنى أمية قبل موته بتسعة أشهر، فولى الخطابة بعده صدر الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل، فلم ترض الناس به، فولى شرف الدين القزاري ومات فتح الدين أبو محمد عبد الله بن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد بن خالد ابن محمد القيسراني بالقاهرة يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخر، ومولده في سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد وزر جده الموفق خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وولى الفتح هذا وزارة دمشق، ثم صرف عنها، وقدم إلى القاهرة، وباشر توقيع الدست بقلعة الجبل، وعني بالعلم، وله تصانيف ونظم حسن.

ومات نصير بن أحمد بن على المناوي المعروف بالنصير الحمامي، الأديب البارع، في.

ومات الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغني بن سرور بن سلامة المنوفي، أحد أصحاب الشيخ أبي الحجاج الأقصري - ويقال إنه شريف حسني - في ليلة الإثنين خامس عشر ذي الحجة بمصر، عن مائة وعشرين سنة، وهو صحيح الأعضاء سليم الحواس رصين العقل، وله ديوان شعر.

ومات الأمير بكتمر السلاح دار الظاهري في.

سنة أربع وسبعمائة

في مستهل المحرم: قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قطايا بن سيغرا أمير بني كلاب في عدة من مشايخ العرب، ثم قدم فأكرمه السلطان والأمراء، وأعيدوا إلى حلب. وكان من خبر قطايا أنه لما خرج عن طاعة السلطان، وعاث في أعمال حلب وأفسد، طلبه عساكر حلب، ففر إلى بلاد الشرق، وأقام مع المغل، فأكرموه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات، فلم يجد بعدئذ ما كان بعهده، فترامى على نائب حلب، ومازال يستعطفه في أن يأذن له في العود بعد الشفاعة له إلى السلطان، فأجاب سؤاله وكاتب فيه، فعفي عن ذنبه، أعيدت له إقطاعاته بحلب.

وقدم البريد بوقوع الفتنة بين الأمراء أسندمر كرجي نائب طرابلس، والأمير بالوج الحسامي من أمرائها، من أجل أن أسندمر استخدم في ديوانه سامرياً كاتباً يقال له أبو السرور، فزاد تحكمه، وأخذ يتجر لمخدومه في عدة بضائع، وركب الخيول المسومة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وتصرف في عامة الأمور بطرابلس حتى كثرت أمواله وسعاداته، وتزايد شره وضرره، وكثرت شكاية الناس منه. فقام الأمير بالوج في ذلك وتحدث مع أمراء طرابلس في إزالته عن المسلمين، وواعدهم على نصرته ومعاونته إياهم. ثم قام في يوم الموكب للنائب أسندمر، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامري، وما هم فيه من الضرر، فرد عليه رد اً غير جيد، وجبهه بالتكذيب فيما نقله، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه - وكان قوي النفس شرس الأخلاق - وحلف بالأيمان المغلظة ليضربن رقبة السامري، وقام من مجلس النائب. فكتب فيه النائب أسندمر يشكو منه شكوى طويلة عريضة، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وحبسه، فأخذ سيفه وسجنه، فاشتدت عند ذلك وطأة السامري على الناس، فتجردوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حفظت عنه، وأثبتوها بدمشق. فكتب الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام فيه، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير في ذلك. وكتب بحمل السامره إلى دمشق وتسليمه للقاضي المالكي. والإفراج عن بالوج، فأفرج عنه وأنعم عليه، وقيد السامري وسلمه للبريد، فسار به إلى حمص، فاتفق قتله بها، واتهم أسندمر أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يتمكن منه، فحملت رأسه إلى دمشق.

وفيهما حكم قاضي المالكية بإراقة دم شمس الدين محمد بن الباجريقي ففر من دمشق وقدم الأمير سلار من الحب في نصف صفر، وقد فعل في الحجاز أفعالاً جميلة منها: أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليهم من الديون لأربابها، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مئونة سنة، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة، ففرق ما فيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف، وحمل إليهم الدنانير والدراهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير عبد أو حر شريف أو غير شريف إلا وعمه ذلك، ثم استدعى الزيلع وفرق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى حتى عم سائرهم، وبعث مباشريه إلى جدة، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة. وحمل ما بقي إلى

المدينة النبوية، فما بلغ وادي بني سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج، فتبعهم واخذ منهم خمسين رجلاً، فأفتاه الفقهاء بأنهم محاربون، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وعم أهل المدينة بالعطايا كما عم أهل مكة، فكان الناس بالحرمين يقولون: يا سلار! كفاك الله هم النار، و لم يسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل.

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام، نحو مائتي فارس بنسائهم وأولادهم، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر، فكتب بإكرامهم، فقدموا إلى القاهرة في جمادى الأولى وقدم معهم أخوا سلار، وهما فخر الدين داود، وسيف الدين جبا، وقدمت أيضاً أم سلار. فرتبت لهم الرواتب، وأعطوا الإقطاعات، وفرق جماعة منهم على الأمراء. وأنشأ سلار لأمه داراً بإسطبل الجوق الذي عمله العادل كتبغا ميداناً، ثم عرف بحكر الخازن، ورقى أخويه وأعطاهم الإمريات وقدم الأمير حسام الدين أزدمر المجيري، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن معرف بن السكري، من بلاد الشرق إلى دمشق في رابع عشرى شعبان، ودخلا القاهرة أول رمضان، ومعهما كتاب خر بندا وهديته، فتضمن كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان، وخاطب السلطان بالأخوة، وسأل إخماد الفتن، وطلب الصلح، وقال في آخر كلامه: عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه. فأجيب وجهزت له الهدية، وأكرم رسوله، وسفر معه علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بلبان القلنجقي أحد مقدمي الحلقة، والصدر سليمان المالكي المرتقى أحد العدول، فتوجهوا في أول ذي القعدة، وعاد علاء الدين وسليمان المالكي في رمضان من سنة خمس وسبعمائة. وقدم بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلي من بلاد غازان إلى دمشق في ثالث عشرى جمادى الآخرة.

وقدم رسل الملك طقطاي صاحب سراي وبر القبجاق في أول ربيع الأول، وأنزلوا بمناظر الكبش، وأجريت لهم الرواتب. ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم، وهو يتضمن الركوب لحرب غازان ليكون في المساعدة عليه، فأجيب بأن الله قد كفاهم أمر غازان، وأن أخاه خربندا قد أذعن للصلح، وجهزت له هدية خرج بها مع الرسل الأمير سيف الدين بلبان الصرخدي إلى الإسكندرية، وساروا في البحر.

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن على ابن رسول ملك اليمن، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التي كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار، يشتري بها أصناف وتسير إلى قلعة الإسماعيلية مع هدية تختص بالسلطان. وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول حملها مدة أربعين سنة، ثم حملها ابنه الأشرف، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن المنصور بن على رسول قطع الجهتين واستخف بسلطان مصر، فكتب إليه بالإنكار والتهديد، وسير إليه مع ناصر الدين الطوري وشمس الدين ومحمد بن عدلان، ومعهما كتاب الخليفة أيضاً يالإنكار عليه والتهديد، وأمره أن يحمل المقرر على العادة.

وقدم أياي ملك دمقلة من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشب وسنبادج ، وطلب عسكراً، فأنزل بدار الضيافة وعن معه الأمير سيف الدين طقصبا والي قوص وجماعة الوافدية ، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الولاة بالوجه القبلي ومن العربان جماعة كبيرة. فاجتمعوا من البر والبحر بقوص، وسار بهم طقصبا مع أياي ملك النوبة.

وفيها بعث الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار إلى القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر أن يكتب نائب الشام كتاباً، فقال: لابد من مشاورة السلطان أو النائب فغضب بيبرس واستدعاه، فلما جاءه لم يكترث به، وقال له: كيف أقول لك - والك - اكتب ما تكتب ؟فقال: تأدب يا أمير ولا تقول والك فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب، وعرفه ما جرى عليه، فأقره عنده. واجتمع بالأمراء وقت الخدمة، وعرف الأمير بيبرس الجاشنكير الخبر فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعوق من بكرة النهار إلى الظهر، وعنف تعنيفاً زائداً، وعزل من الدوادارية، واستقر عوضه الأمير أيد مر.

وقدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق في الصخرة التي بمسجد النارنج بجوار مصلى دمشق، وأن الأثر الذي بها هو قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز، وإنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة في سادس عشر رجب، وقد أنكر عليه الناس ما فعله فأجيب إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة، وان كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله. وقدم أيدغدي الشمهرزوري رسولاً من جهة أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني ملك المغرب، بهدية جليلة، وقدم معه ركب المغاربة يريدون الحج، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين.

فجهزهم أبو يعقوب، وبعث معهم مصحفاً غشاه بالذهب المرصع بالجوهر الرائع، ووقفه في الحرم. فأكرم أيدغدي وأنزل بالميدان، وأجريت عليه الرواتب، وكان أيدغدي هذا لما قبض على يعقوب في الأيام الظاهرية فر في جماعة من الأكراد إلى برقة، وقدم على أبي يعقوب بهدية. ففر به وقدمه حتى صار في منزلة وزير، وحسنت سيرته عندهم إلى أن بعثه أبو يعقوب بالهدية ليحج.

وفيها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاوون على ابنة الأمير سلار النائب مملوك أبيه الصالح. وعمل مهم عظيم جداً، وجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار، ومشى في زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء، وحمل كل منهم التقادم من الشمع وغيره. فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطاراً من الشمع.

وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخي: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرفه الجمدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفي دينار، وأنه فاوضه في أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شيء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرك منه ما في نفس من كراهته له .وكان الأمير بيبرس الجاشنكير قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخي قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به في غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين سنجر الجاولي في أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق في جهته مال السلطان. وندب لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب أوراقاً، وجلس الأمراء في الخدمة، فعرفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: متى ظهر في قبله شيء قطع جلده بالمقارع ، واستدعى. فلما حضر قال لي سلار: اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته، وقد عرفت الشرط ، وأشار للرجل بمحاققته. فقال ابن الشيخي لشؤم بخته: ومن هذا القطعة النحس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه في حق مثلى ما يقوله .فاشتد عند

ذلك غضب سلار، وقال له: يا قواد يا قطعة نحس إيش أنت حتى تكبر نفسك واذا حضر واحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟ وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن خرب شاشه. وسلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه كبك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه في آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبته بالحمل، فأخذ في تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويخرق به عز الدين ايبك الشجاعي شاد الدواوين وينكل به، لما كان نفسه من تكبره عليه ومشيه في ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من داره. ثم إنه جلس بالصناعة في مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكباً حماراً وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل مصر يريدون رجمه، وسبوه. ثم أعاده، و لم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان فاستدعى سعد الدين محمد بن عطايا ناظر البيوت واستقر في الوزارة.

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولي قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الأوراق، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائماً بين يدي الجاولي يقرأ عليه ورقة حساب. واستمر ابن الشيخي إلى ليلة عيد الفطر، وبيبرس الجاشنكير لا يتحدث في أمره بشيء، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئاً من أموره قال له: مهما رسم نائب السلطان افعله. هذا وقد ثقل عليه في أمر ابن الشيخي زوجته بنت بهادر رأس نوبة وولداها جركتمر وأميرعلى وأخوهما خليل، وكانوا من خواص الأمير بيبرس، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب، فتحدث معه في خلاصه، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة، فأمسك عنه وقام.

وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية في أول ذي القعدة، ومعه علاء الدين ايدغدي الشمهرزوري رسول ملك المغرب، والأمير بيبرس المنصوري الدوادار، والأمير بهاء الدين يعقوب في جماعة كثيرة من الأمراء. وكان فد خرج الركب في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة، فكثر الحجاج ، وقسموا ثلاث ركوب: ركب مع الأمير بيبرس المنصوري، وركب مع الأمير يعقوبا، وركب مع أيبك، وعندما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رسم النائب سلار لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخي في يومه بالمقارع، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة في سابعه.

وفيها سار الشريفان حميضة ورميثة من القاهرة مع الأمير عز الدين أيدمر الكوكندي إلى مكة، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبي الغيث وعطفة، وولى مكانهما حميضة ورميثة.

وفيها: وجد الحاج عدة مشاق: منها قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائهم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قرب الماء .وأخذ الحاج من وادي النار على طريق أخرى، فتاهوا وهلك منهم عالم كبير. وبلغ الشعير كل ويبة بأربعين درهماً، والدقيق كل ويبة بستين.

وفيها :قدم الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفيها أجدب الشام من الغور إلى العريش، وجفت المياه، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش وخلا من الصفقة القبلية ألفان وثمانمائة قرية.

وفيها ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالًا، فأخفاها الضامن وحملها إلى بعض الملوك، فدفع له فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها، فأخذها منه وبعث بها إلى السلطان، فمات الضامن غماً.

وفيها: توجه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذي الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري، إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم.

وفيها: قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبي سفر جماز بن شيحة في ربيع الآخر. وبلغ النيل سبعة عشر ذراعاً. وثمانية عشر إصبعاً.

ومات في هذه السنة

زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، في ليلة الخميس ثامن صفر، وكان فقيها شافعياً فاضلاً متديناً، رئيساً وافر الحرمة محباً لأهل الخير ومات فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصي الشافعي، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها، في حادي عشر المحرم.
ومات شمس الدين أحمد بن على بن هبة الله بن السديد الإسنائي، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص، في رجب؛ وكان قد انتهت إليه رياسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة، وكان قوى النفس كثير العطاء مهيبا ممدوحاً، يبذل في بقاء رياسته الآلاف، فيقال إنه بذل في نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم، فسار إلى مصر ومات بها.
ومات الأمير بيبرس الموفقي المنصوري أحد أمراء دمشق بها، في يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة، مخنوقاً وهو سكران.
ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية وقد أضر، وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز.
ومات بهاء الدين عبد الحسن بن الصاحب محي الدين محمد بن أحمد بن هبة الله، ويعرف بأبي جرادة، مات بالقاهرة وكان سخياً مباركاً فاضلاً، حدث عن يوسف بن خليل وغيره.
ومات علم الدين عبد الكريم بن على بن عمر الأنصاري المعروف بالعلم العراقي، الفقيه الشافعي، مدرس التفسير بالقبة المنصورية، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة، وكان عالم مصر.
ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسينى العراقي الإسكندراني شيخ الإسكندرية، الإمام المحدث، في ذي الحجة، تفرد بالرواية عن جماعة، ورحل الناس إليه، وكان فقيهاً عالماً.
ومات نجم الدين عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب بن أبي الطيب الدمشقي، ناظر المارستان النوري بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة، وكان فقيهاً مدرساً مشكوراً في ولاياته.
ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة في المحرم، وسمع الحديث بمكة، وانتهت إليه مشيخة الحديث بها.
ومات شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التيتي الآمدي، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل.
ومات الأمير مبارز الدين سوار الرومي أمير شكار، أحد الوافدية من الروم في الأيام الظاهرية، وكان كريماً شجاعاً متديناً.
ومات الأمير سيف الدين بهادر سمر مقتولًا بأيدي عرب الشام.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد - ويقال ديباى - الشيخي تحت العقوبة في سابع ذي القعدة، وأخرج على جنوية إلى القرافة، فدفن بها، وكان فيه مكارم وعصبة ومروءة ويكتب الخط المليح، ويعرف صناعة الحساب، مع الظلم والعسف والتكبر، وأحدث مظالم عديدة، وأصله من بلاد ماردين، وقدم مع شمس الدين محمد بن التيتي إلى دمشق، وسار منهما إلى القاهرة مجرداً فقيراً يمشي على قدميه، وتعيش في خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة، ثم تزيا بزي الأجناد وخدم مع الشادين، ولازم الوقوف في خدمة الحسام برناق شاد الكيالة زماناً حتى عرف دخل المباشرة وخرجها، فتلطف مع بعض مقطعي الكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة ببولاق، فشدد فيه حتى فاض معه جملة، وخدم الصاحب فخر الدين بن الخليلي، وهادى الأمراء إلى أن ولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وانتقل منها إلى شد الجيزية وولاية القاهرة وجمع بينهما، فصار من أمراء الطبلخاناه، وولى الوزارة، فكان فيها حتفه.

ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبي على الحسين بن شمس الدين أبي عبد الله محمد الأرموي نقيب الأشراف في تاسع عشر شوال، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين، وقتله بدمشق أبو السرور السامري كاتب الأمير سيف الدين أسندمر كرجي نائب طرابلس.

سنة خمس وسبعمائة

في أول المحرم: باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني نيابة الحكم بدمشق، عن نجم الدين أحمد بن صصري.

وفي ثانيه: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل حبال كسروان، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شنق. فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال، ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم، ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوماً، قتل فيها الملك الأوحد شادي بن الملك الزاهر داود وأربعة من الجند، وملك الجبل عنوة، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل، وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً، وعاد إلى دمشق في رابع عشر صفر.

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء وقدم الحاج، ورسم بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب، وصحبتها عشرون إكديشاً من أكاديش التتر، وعشرون أسيراً منهم وشيء من طبولهم وقسيهم، وخرج بها - مع أيدغدي الشهرزوري - علاء الدين أيدغدي التسليلي الشمسي مملوك سنقر الأشقر، والأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي. واستقر أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقي في نظر الشام، عوضاً عن شهاب الدين بن ميسر.

وعزل شمس الدين محمد بن عثمان بن الحريري عن قضاء الحنفية بدمشق، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرعي عوضاً عنه وسبب عزل أنه وجد بخطة ان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية لم يرى الناس بعد سلف الصالح مثله فاتفق أن البريدي لما توجه بتقليد الأذرعي ظن أنه للحريري وقدم دمشق والنائب قد خرج إلى الصيد، فأعطى التقليد للحريري، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحكم، وكان ابن الأذرعي يظنها له، فيئس واغتم لذلك. ثم قرئ الثقليد بحضره الناس، فإذا هر باسم الأذرعي، فقام الحريري خجلاً، واستدعى الأذرعي فجلس وحكم.

وفيها :أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه: من دخولهم في النيران المشتعلة، وأكلهم

الحيات ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم، وتقلدهم بالسلاس على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد في أيديهم، ولفهم شعورهم وتلبيدها. وقام في ذلك قياماً عظيماً بدمشق، وحضر في جماعة إلى النائب، وعرفه أن هذه الطائفة مبتدعة، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم، فكان يوماً مشهوداً كادت أن تقوم فيه فتنة، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات.

وفيها اقطع السلطان في جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين بن معبد البعلبكي، وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخري. وحسام الدين لاجين، وعز الدين خطاب العراقي، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها، فزرعها لهم الجبلية، ورفعت أيدي الرفضة عنها.

وفيها أخر متملك سيس الحمل الجاري به العادة، فبعث إليه نائب حلب أستاداره قشتمر الشمسي أحد مقدمي حلب على عسكر نحو الألفين، وفيهم الأمير شمس الدين أقسنقر الفارسي والأمير فتح الدين صبرة المهمندار، والأمير قشتمر النجيبي، وقشتمر المظفري، في ذي الحجة من السنة الماضية. فشنوا الغارات على بلاد سيس، ونهبوا وحرقوا كثيراً من الضياع، وسبوا النساء والأطفال في المحرم. وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار في طلب المال، فركب التتار مع صاحب سيس، وملكوا رأس الدربند، فركب العسكر لقتالهم وقد انحصروا، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة، فقتل جماعة وأسر من الأمراء ابن صبرة، وقشتمر النجيبي، وقشتمر المظفري، في آخرين من أهل حلب، وخلص قشتمر مقدم العسكر، وآقسنقر الفارسي. وتوجه التتار بالأسرى إلى خربندا بالأردن، فرسم عليهم: وبلغ نائب حلب خبر الكسرة، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فرسم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح، وبيبرس الدوادار وأقوش الموصلي فتال السبع، والدكن السلاح دار، فساروا من القاهرة في نصف شعبان على أربعة آلاف فارس. فبعث متملك سيس الحمل، واعتذر بأن القتال لم يكن منه وإنما كان من التتر، ووعده بالتحيل في إحضار الأمراء المأسورين، فرجع الأمير بكتاش بمن معه من غزة.

وفيها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحكمي الظاهري، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين، واستقر حاجباً بدمشق عوضاً عن الأمير بكتمر الحسامي، ونقل بكتمر من الحجوبية إلى شد الدواوين، وقبض على قيران وصودر.

وفيها قدم رسول ملك قسطنطينية ، ومعه رسول الكرج، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة في فتح الكنيسة المصلبة بالقدس لزيارة الكرج لها، وأن الكرج تكون في طاعة السلطان وعوناً له متى احتاج إليهم. فكتب بفتح الكنيسة ففتحت، وأعيد الرسول بالجواب.

وفيها توقفت الأحوال بالقاهرة، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن، وارتفع سعر القمح من عشرين درهماً الأردب إلى أربعين. فرسم بضرب فلوس جدد، وعملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل، فمشت الأحوال.

وفيها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة، وأنكر على تقي الدين أحمد بن تيمية فتوى رآها قي مسالة الاستواء ومسألة خلق القرآن، واجتمع بالقضاة في لنائب آل الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه إنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي، وانه أشعري الاعتقاد. فنودي بدمشق من ذكر عقيدة ابن

تيمية شنق، فاشتد حينئذ ابن عدلان، وقام معه قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي. وحرض الأمراء عليه. ومازال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمري الحاجب على البريد بحمله وحمل أخيه شرف الدين عبد الرحمن إلى القاهرة. وطلب الأمير ركن الدين نجم الدين أحمد بن صصري، ووجيه الدين بن المنجا، وتقي الدين شقير، وأولاد ابن الصائغ، فأحضروهم يوم الخميس ثاني عشر رمضان، فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل، وحضر الأمراء، فادعى ابن عدلان على ابن تيميه، فلم يجبه وقام يخطب، فصاح عليه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي: نحن أحضرناك للدعوى عليك، ما أحضرناك خطيباً وألزمه بالجواب. فقال له: أنت عدوي لا يجوز حكمك على فأمر باعتقاله، فأخذ وسجن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه.

وخلع على ابن صصري، وأعيد إلى دمشق، ومعه كتاب ليقرأ على الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية، وأن يكتب على الحنابلة محاضر بالرجو ع عن ذلك، وتثبت على قضاة الممالك، وتقرا على المنابر، ففعل ذلك بدمشق.

وفيها قطع خبر الأمير الكبير بكتاش الفخري أمير سلاح الصالحي النجمي: وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين فخاف أستاداره بكتمر الفارسي من موته، وأن يطالب من ديوان السلطان بتفاوت الإقطا ع في مدة إمرته وهي ستون سنة، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية، وحسن لولده ناصر الدين محمد أن يمضي إلى الأمير بيبرس وسلار على لسان أبيه، بان يتحدثا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة في البيت المنصوري، وقد أسن وعجز عن الركوب، ولا يحل له أكل هذا الإقطا ع بغير استحقاق، ويسألاه في إخراجه عنه وكتابة مسموح لأولاده ومباشريه بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطا ع عنه، وخيله إنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده وجود، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفي الديوان السلطاني مستحقه. فانفعل لذلك، وبلغ ما رتبه الأستادار عن أبيه إلى بيبرس وسلار، فتألما وبكيا، ودخلا به إلى السلطان، فأعاد ناصر الدين محمد له الرسالة بحضور الأمراء، فأجيب، وكتب المسموح، ونصه: رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالي المولوي الأميري البدري بكتاش الفخري الصالحي أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها، من غير طلب تفاوت ولا تقاو، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالي وخراجى وغيره، مسامحة وانعاماً عليه، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة، مسامحة لا رد فيها ولا رجو ع عنها بحيث لا يطالب بشئ قل ولا جل، لما مضى من الزمان وإلى يوم تاريخه، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر الكمالي الحاجب، والأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى بذلك. وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتمر أستاداره، وحدثاه في أنه قد ضعف عن الحركة، وأن الإقطا ع يستكثر عليه، فقال :أرجو أن يمن الله بالعافية، وأن أموت على ظهر فرسي في الجهاد فذكرا له ما يتخوفانه بعد موته من المغرم، فلم يلتفت لكلامهما. وقدم الحاجب وابن الوزيري بالمسموح ، فقاله لهما: لا تطيلا في الكلام، فإنه اختلط وفسد عقله فدخلا وعرفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة، فإنه نزل عن الإقطا ع، وقدما له المسموح، وبلغاه سلام السلطان والأمراء، وأنه لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله، وقد رتب له خمسة آلاف درهم في الشهر. فغضب عند ذلك وقال: قطع السلطان خبزي؟ قالا: نعم! وعرفاه ما كان من ولده، فالتفت إليه وقال: أنت سألت في ذلك؟ قال: نعم! فسبه، وقال للأميرين: قولاً للسلطان

والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزي قبل الموت، وهم يعلمون ما فعلته معهم، وكنت أؤمل أن أموت في الغزاة، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركني أجلي، فما قدر الله .ثم أعرض عنهم، وقاموا عنه، فمات من مرضه هذا. واستقر إقطاعه في الخاص السلطاني، وأضيفت أجناده إلى الحلقة، وذلك في ذي الحجة.
وفيها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين دواد صاحب اليمن، فوجدت قيمتها أقل من العادة، فكتب بالإنكار عليه والتهديد، وسير مع بدر الدين محمد الطوري أحد مقدمي الحلقة، فلم يعبأ به الملك المؤيد، ولا أجاب عن الكتاب بشيء.
وفيها استسقى أهل دمشق لقلة الغيث، فسقوا بعد ذلك.

ومات في هذه السنة

خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعي المقرئ النحوي المحدث، في شوال عن خمس وسبعين سنة.
ومات مجد الدين سالم بن أبي الهيجاء بن جميل الأذرعي قاضي نابلس، بالقاهرة في ثاني عشر صفر، بعدما باشر قضاء نابلس أربعين سنة، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة فمات بها.
ومات الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف ابن الخضر بن موسى الدمياطي الفقيه الشافعي المحدث آخر الحفاظ، في خامس عشر ذي القعدة، من غير مرض، عن اثنتين وتسعين سنة.
ومات قاضي القضاة بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعي بها، في أوائل جمادى الأولى، وكان فاضلاً مشكور السيرة.
ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب الدين بن المؤدب بمصر، حدث عن ابن باقا.

ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الحبراني الحنبلي، ومولده بحران سنة ثماني عشرة وستمائة، سمع من ابن روزبة والمؤتمن ابن قميرة، وسمع بمصر من ابن الجميزي وغيره، وتفرد بأشياء، وكان فيه دعابة، وتلا بمكة ألف ختمة.
ومات شرف الدين يحيى بن احمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندراني.
ومات الأوحد تقي الدين بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان، أحد أمراء دمشق، في ثاني صفر على قتال الكسرويين، وكان فاضلاً خبيراً بالأمور.
وماتت المعمرة أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردية بمصر في ذي القعدة، حدثت عن ابن الزبيدي وأحمد بن عبد الواحد البخاري وغيره، وتفردت بأشياء.

سنة ست وسبعمائة

فيها توحش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البرواني وسيف الدين الطشلاقي على باب القلة من القلعة بحضرة الأمراء، من أجل استحقاقهما في الإقطاعات، فإنهما تباعلا، ونزل الطشلاقي على إقطاع البرواني.
وكان كل منهما فيه كبر وظلم وعسف، والبرواني من خواص الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والطشلاقي من ألزام الأمير سلار النائب لإنه خشداشه، وكلاهما مملوك الصالح على بن قلاوون. فاشتد الطشلاقي على البرواني وسفه عليه، فقام البرواني إلى الأمير بيبرس فشكا منه، فاستدعى به وعنفه، فاساء في الرد وأفحش في حق البرواني، وقال: أنت واحد منفي وافدي تجعل نفسك مثل مماليك السلطان؟. فاستشاط بيبرس غضباً، وقام ليضربه، فجرد سيفه يريد ضرب بيبرس، فقامت قيامة بيبرس، وأخذ سيفه وأومأ ليضربه، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه، وأخرجوا الطشلاقي بعدما كادت مماليك بيبرس أن تقتله. وللوقت طلب بيبرس الأمير سنقر الكمالي الحاجب، وأمره بإخراج الطشلاقي إلى دمشق، فخشي من النائب سلار ودخل عليه وأخبره الخبر فوجد العلم عنده، وأمره بالعود إلى بيبرس وملاطفته في العفو عن الطشلاقي، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه. فعاد إلى بيبرس، وعندما أخذ يبلغه رسالة سلار صرخ فيه، وحلف إن بات الطشلاقي الليلة في القاهرة عملت فتنة كبيرة. فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك، فلم يسعه إلا السكوت، وأخرج الطشلاقي من وقته، وأمر الحاجب بتأخيره في بلبيس ليراجع بيبرس فيه. وعندما اجتمعا من الغد في الخدمة بدأه بيبرس بما كان من الطشلاقي في حقه من الإساءة، وسلار يسكن غضبه فلا يسكن بل يشتد، فأمسك على حقد وتوجه الطشلاقي إلى الشام.
وفيها قدم البريد من حماة بمصر ثابت على القاضي أن ضيعة تعرف ببارين بين جبلين، فسمع للجبلين في الليل قعقعة عظيمة، فتسارع الناس في الصباح إليها، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادي وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر، والمياه فيما بين الجبلين تجري في الوادي، فلم يسقط من الجبل المنتقل شيء من الحجارة، ومقدار النصف الذي انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع، ومسافة الوادي الذي قطعه هذا الجبل مائة ذراع وأن قاضي حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك، وكتب به محضراً فكان هذا من غرائب الاتفاق.
وفيها قدم الخبر من بلاد المغرب بقتل السلطان أبي يعقوب بوسف بن يعقوب المريني صاحب تلمسان في ذي القعدة من السنة الحالية على يد خدمه، وأن ابنه أبا سالم قام من بعده، فثاروا به بعد أسبوع، وأقاموا عوضه حفيده أبا عامر ثابت.

وفيها ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلار: وسببها أن التاج بن سعيد الدولة الكاتب كان متمكناً من بيبرس مستولياً على سائر أموره، فمكنه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والأستادارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره، واستعان معه أكرم بن بشير أحد أقاربه، فتقربا إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتروات، وأضافا له جهة النطرون وكان التاج صديقاً لابن الشيخي، وهو الذي قدمه إلى الوزارة، فلما قتل شق عليه، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولي بأنه السبب في ذلك، وأنه الذي أغرى به الأمير سلار، لما كان يعلم من عداوة الجاولي لابن الشيخي ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن سعد بن عطايا، وهو الذي عينه للوزارة بقصد إنكاء التاج بن سعيد الدولة. فأخذ التاج في العمل على الجاولي، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير في الأستادرية، وندب لمرافقته رجل من الأقباط، وصار كل قليل يقول عنه

لبيبرس إنه نهب الأموال، وأخذ رواتب كثيرة لنفسه وحواشيه، ومد وقفت أحوال الدولة من ذلك، والوزير ابن عطايا لا يدري صناعة الكتابة، وإنما أشار الجاولي على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه، وان بعض كتاب الحوائج خاناه كتب أوراقاً بمال كبير في جهة الجاولي، وأكثر من هذا القول وما أشبهه، إلى أن تقرر ذلك في نفس بيبرس وتغير على الجاولي، وحدث سلار في أمره، وأنه أخذ جملة مال مستكثرة. وكان سلار صديقاً للجاولي شديد المحبة له من قديم حتى أن كلاً منهما عمر مدرسة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر، وعمل لنفسه مدفناً بحذاء مدفن الآخر. فدافع سلار عن الجاولي، وقال لبيبرس: بالله لا تسمع للديوان؟ فإنهم مناحيس يريدون الفتن .فتمادى بيبرس في الحط على الجاولي وسبه، وقال: لابد أن أخلص منه المال . فلما افترقا أعلم سلار الجاولي بتغير بيبرس عليه، فقال له: هذا من التاج بن سعيد الدولة، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلين القول له، عساه ينخدع ويمسك عما يريده .فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل، فاشتد في الحرج وبالغ في السب والتهديد، و لم يلتفت إلى قوله، فقام يتعثر في أذياله إلى سلار وأخبره، فغضب من ذلك. وعند خروج الجاولي من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها. مما في جهة الجاولي، وقرأها عليه، وأحضر معه أكرم بن بشير ليحاقق الجاولي على ما في الأوراق، فقوى بيبرس قلب بن بشير على المحافظة. ولما كان الغد، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية، وجلسوا عند النائب سلار، وفيهم الجاولي والوزير، أمر بيبرس بإحضار ابن بشير الكاتب، فلما جاء قال له: أنت قلت إن مال السلطان ضائع، وإن هذا - يعني الجاولي - أخذ منه أشياء، وإن الوزير وافقه على ذلك، وإن أحوال الدولة قد وقفت، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان في جهتهما فتكلم الآن معهما، ولا تقل إلا الصحيح . فنهض عند ذلك قائماً، وأخرج الأوراق، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولي، فأجاب الجاولي. عنها فصلاً فصلاً، وابن بشير يرد عليه وقال في كلامه: أنت أمير، ما تدري فصول الكتابة وطال الكلام، وانفض المجلس على أقبح صورة، وقد وقع التنافر بين بيبرس وسلار بسبب قيام كل منهما في نصرة صاحبه.

وكان من عادة بيبرس أن يركب لسلار عند ركوبه وينزل عند نزوله، فمن يومئذ لم يركب معه، وبقي كل منهما يركب في حاشيته وحده، وتوقع الناس الفتنة. فبعث الأمير سلار بسنقر الكمالي الحاجب إلى بيبرس ليتلطف به ويعرفه إن الجاولي قد علمت ما بيني وبينه من الأخوة بحيث أن كلا منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته، ويتضرع له حتى يعفو عنه. فمضى إليه وبالغ معه في الكلام، وهو يشتد إلى أن قال: لا أرجع عنه حتى أخذ منه مال السلطان وأضربه بالمقارع. وبعث إليه :إن لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير يعني ابن الشيخي، وبعث إلى الوزير بذلك أيضاً، ورسم عليهما حتى يحملا المال. فلما بلغ الكمالي ذلك لسلار قامت قيامته، إلا أنه كان كثير المداراة عاقلاً. وأخذ الجاولي في بيع خيله وقماشه وأمتعته بباب القلة على الأمراء، فشق عليهم ما نزل به وشروا مبيعه بأضعاف ثمنه، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بيبرس، تقرباً لخاطر الأمير سلار.

وتمادى الحال عدة أيام وبيبرس وسلار لا يجتمعان، واستعد الأمراء البرجية ألزام بيبرس، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفاً من وقوع الفتنة، وترقب الناس الشر في كل يوم، وتحدثوا به. فركب الأمراء الأكابر: أقوش قتال السبع، وبيبرس الدودار، وبرلغي، وأيبك الخازندار، وسنقر الكمالي، وبكتوت الفتاح، في

آخرين إلي الأمير بيبرس الجاشنكير، وتحدثوا معه في تسكين الشر وإخماد الفتنة. ومازالوا به حتى رفع الترسيم عن الجاولي بشرط أن يخرج إلى الشام بطالا، وقاموا من عنده إلى الأمير سلار، ومازالوا به حتى وافق على سفر الجاولي، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه.

وفيها أفرج عن الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم، واصطلح بيبرس وسلار، ثم تحدثا في أمر الوزارة ومن يصلح لها، فعين سلار التاج بن سعيد الدولة، فقال بيبرس: إنه لا يوافق، فقد عرضتها عليه وامتنع منها، فقال سلار: دعني وإياه، فقال: دونك، وتفرقا. فبعث سلار إلى التاج أحضره، فلما دخل عليه عبس في وجهه وصاح بانزعاج: هاتوا خلعة الوزارة، فأحضروها، وأشار إلي التاج بلبسها فتمنع، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه. فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له، ولبس التشريف في يوم الخميس خامس عشر المحرم، وقبل يد الأمير سلار فبش له ووصاه، وخرج من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة الصاحب بها، وبين يديه النقباء والحجاب، وأخرجت له دواة الوزارة والبغلة، فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر، ونزل إلى داره. وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسر به، لأنه كان من غرضه. وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبي الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه، فلم يخرج إلى أن علا النهار، وخرج غلامه و قال: يا جماعة! القاضي عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجي، فتفرقوا، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلاً إلى الشيخ نصر، وكان خصيصاً به، وله مكانة عند الأمير بيبرس، وبعث بتشريف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة، وأقام عند الشيخ نصر مستجيراً به، فكتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبداً، ويقصد أن يقيم في الزاوية مع الفقراء يعبد الله فأخذ بيبرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: قد أعفيناه، فأحضره حتى نستشيره فيمن يلي الوزارة، فأحضره بيبرس إليه فاعتذر، وأشار بوزارة ضياء الدين أبي بكر بن عبد الله بن احمد النسائي ناظر الدواوين، فاستدعى وخلع عليه في يوم الاثنين تاسع عشره. فباشر ضياء الدين الوزارة، وليس له منها سوى الاسم، وصار التاج يدبر الأمور، ولا يصرف شيء إلا بخطه، ولا يفعل أمر إلا بحكمه.

وفي سادس صفر: خلع على التاج بن سعيد الدولة، واستقر مشيراً وناظراً على الوزارة وسائر النظار مصراً وشاماً، ومنفرداً بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأستادارية ونظر الصحبة ونظر الجيوش، وكتب له توقيع لم يكتب لمتعمم مثله. وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة، فوق كل متعمم من الكتاب، ونفذ حكمه ومضى قلمه في سائر أمور الدولة، فألان الوزير جانبه له وخفض جناحه بكل ممكن. واستقر عز الدين أيدمر الخطيري أستادارا عوضاً عن سنجر الجاولي.

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقطاي صاحب بلاد الشمال: وهم الأمير بلبان الصرخدي ورفقته، ومعهم نامون رسول طقطاي بهدية سنية، وكتاب يتضمن أن عسكر مصر تسر إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد. فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه، فإن حدث غير ذلك عمل بمقتضاه وسير إليه الأمير بدر الدين بكمش الظاهري، وفخر الدين أياز الشمسي أمير أخور، وسنقر الأشقر، وأحد مقدمي الحلقة.

وفيها نقل شهاب الدين غازي بن أحمد بن الواسطي من نظر الدولة، ومعه تاج الدين عبد الرحيم بن

السنهوري، إلى نظر حلب. وسبب ذلك إنه كان يعادي التاج بن سعيد الدولة، بحيث إنه كان سبباً في ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم. وكان طويل اللسان، بعرف بالتركي، ويداخل الأمراء، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه. فلما تحدث ابن سعيد الدولة في أمور المملكة ثقل عليه ابن الواسطي، وما زال بالأمير بيبرس إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب، وبعث إليه. فقام لما جاءه التوقيع. وقال: والله لقد كنت قانعاً بجهنم عوضاً عن موافقة ابن تعيس الدولة، وسار إليها.

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوبية، على عادته في ثامن ذي الحجة، واستقر عوضه في الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمي والي القاهرة بالصفة القبلية، بعدما التزم بثماني مائة ألف درهم في أربع سنين.

وفيها قدم البريد من دمشق بقدوم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ براق، في تاسع جمادى الأولى، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة: لهم هيئة عجيبة، وعلى رؤوسهم كلاوت لباد مقصصة بعمائم فوقها، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس، ولحاهم محلقة دون شواربهم، ولبسهم لبابيد بيضاء، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر، وكل منهم مكسور الثنية العليا، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة، وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس و له صولة، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة، وله يحتسب على جماعته يؤدب كل من ترك شيئاً من سنته بضرب عشرين عصا تحت رجليه، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة وأنه قيل له عن زيه، فقال: أردت أن أكون مسخرة الفقراء وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبعاً ضارياً، فركب على ظهر السبع ومشى به، فجل في عين غازان ونثر عليه عشرة آ لاف دينار، وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه، وكان هناك نعامة قد تفاقم شرها و لم يقدر أحد على الدنو منها، فأصر النائب بإرسالها عليه، فتوجهت نحوه فوثب عليها وركبها، فطارت به في الميدان قدر خمسين ذرعاً في الهواء حتى دنا من النائب فقال له: أطير بها إلى فوف شيئاً آخر، قال: لا وإنه أنعم عليه وهاداه الناس. فكتب بمنعه من القدوم إلى مصر، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده، وفيهم يقول السراج: من موشحة طويلة أولها :

صور تحير فيها الأفكار   جتنا عجم من جوا الروم

إبليس يصيح منهم زنهار   لهم قرون مثل الثيران

وفيها عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص، بعد غيبتهم تسعة اشهر، ومقاساة أهوال في محاربة السودان وقلة الزاد.

وفيها منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحاكي خارج القاهرة، لكثره ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات، وتبرج النسا، في المراكب وجلوسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافي الذهب على رؤوسهن، وتعاطيهن الخمر، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك، وتقتل القتلى العديدة. فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر، وأما مراكب النزهة فامتنعت، وعد ذلك من أحسن أفعال.

وفيها كملت عمارة الجامع الذي أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل قاسيون ، وخطب به القاضي شمس الدين بن العز الحنفي، يوم الجمعة رابع عشرى شوال.

وفيها ولى قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن على بن الشيخ صفي الدين أبي القاسم محمد البصروي، في تاسع عشرى ذي القعدة، عوضاً عن شهاب الدين أحمد الأذرعي.

وفيها قدمت رسل صاحب سيس بالحمل، بعدما أطلق مائتين وسبعين أسيراً من المسلمين، قدموا حلب.
وفيها ولى جلال الدين محمد القزويني خطابة دمشق، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي في شوال.

وفيها أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في آخر يوم من رمضان، بعدما جمع القضاة والفقهاء، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع، وترددت إليه الرسل مراراً فلم يحضر، وانفضوا من عند سلار. فاستدعى بأخويه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن، وجرى بينهما وبين القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي كلام كثير. ثم اجتمع شرف الدين والمالكي ثانياً عند الأمير سلار، وحضر ابن عدلان، وتفرقوا عن غير شيء.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الكافي بن عبد الوهاب البليني الشافعي، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة، وكان صالحاً ديناً فاضلا.
ومات الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعي الحنفي الدمشقي، محتسب دمشق ووزيرها.
ومات الأمير عز الدين أيبك الطويل الخازندار المنصوري، في حادي عشر ربيع الأول بدمشق، وكان كثير البر ديناً.
ومات الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح الصالحي النجمي، اصله من مماليك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فترقى في الخدم حتى صار من أكبر الأمراء، وخرج إلى الغزاة غير مرة، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأي وكثرة المعروف، ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى، وأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون فأعيد، ومات بعدما استرجع إقطاعه بالقاهرة في ربيع الأول، عن ثمانين سنة، وهو آخر الصالحية، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة.
ومات الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري، ولي نيابة قلعة صفد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها، ومات وهو نائب حمص بها وكان خيراً.
ومات الشيخ سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال ابن الشيخ يونس اليونسي شيخ الفقراء اليونسية قدم من العراق، فصارت له حرمة وافرة في الأيام المنصورية قلاوون حتى مات، وله أتباع كثيرة، فخلفه ابنه حسام الدين فضل.
ومات الطواشي شمس الدين صواب السهيلي بالكرك عن مائة سنة، وكان له بر ومعروف.
ومات ضياء الدين عبد العزيز محمد بن على الطوسي الشافعي، بدمشق في تاسع عشرى جمادى الأولى، وله شرح الحاوي في الفقه، وشرح مختصر ابن الحاجب، ودرس مدة بدمشق.
ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلي العمري، أخو كاتبي السر شرف الدين عبد الوهاب ومحي الدين يحيى، وقد جاوز سبعين سنة.
ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطي خطيب دمشق، فجأة في ثامن شوال وكان صالحاً معتقداً.

ومات محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم القاضي جمال الدين أبو بكر بن السفطي الشافعي، ولد سنة ثمان عشرة وستمائة، وناب في الحكم بالقاهرة أربعين سنة، ثم تعفف عن الحكم، ومات بالقاهرة ليلة الإثنين جمادى عشر شعبان.

ومات الأمير فارس الدين أصلم الردادي في رابع ذي القعدة بدمشق. وفي نصف ذي القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصوري.

ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزوري بالقاهرة، في سابع عشر ذي الحجه. ومات الطواشي عز الدين دينار العزيزي الخازندار الظاهري، يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول، وكان خيراً دينار محبا لأهل الخير، وكان دوادار الملك الناصر وناظر أوقاف الملك الظاهر.

ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، وثب عليه سعادة الخصي أحد مواليه في بعض حجره، وقد خضب رجليه بالحناء وهو مستلق على قفاه، فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه، وخرج فأدرك وقتل، فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذي القعدة، وأقيم بعده أبو ثابت عامر ابن الأمير أبي عامر بن السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، فكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

سنة سبع وسبعمائة

فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كثر ظلمه للتجار، وأخذ أموالهم، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم على تجهيزها، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدم اسمه على اسم سلطان مصر في الدعاء. فكتب إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبي الربيع سليمان بالإنذار والإرهاب، وجهزا على يد نجاب ورسم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها حلبة، وعمارة قياسة لطيفة يقال لها فلوة برسم حمل الأزواد وغيرها، وتفسر ذلك إلى الطور على الظهر ليرمي على بحر القلزم، لغزو بلاد اليمن. فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضافيه في عمل حلبة وفلوة، وندب لعملها الأمير عز الدين أيبك الشجاعي الأشقر شاد الدواوين، وسافر إلى قوص.

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه، ومنعه من التصرف، وضيق يده.، وشكا ذلك لخاصيته. واستدعى الأمير بكتمر الجوكندار أمير جاندار في خفية، وأعلمه. مما عزم عليه من القيام على الأميرين، فقرر الأمير أن القلعة إذا أغلقت في الليل، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة، و لبست مماليك السلطان السلاح، وركبت الخيول من الإسطبل، وسارت إلى إسطبلات الأمراء، ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقاً حربياً ليجتمع تحت القلعة من هو في طاعة السلطان، ويجبهم بكتمر الجوكندار في عدة على بيتي بيبرس وسلار بالقلعة، ويأخذونهما. وكان لكل من بيرس وسلار أعين عند السلطان، فبلغهما ذلك فاحترسا، وأمرا الأمير سيف الدين بلبان الدمشقي والي القلعة - وكان حصيصاً بهما - أن يوهم أنه أغلق باب القلعة، ويطرف أقفالها، ويعبر بالمفاتيح على العادة، ففعل ذلك. وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم، وانتظروا بكتمر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار، قد حلف لها على الفيام معهما. فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمر قد غدر به، وترقب المكروه من الأمراء.

وأما بكتمر فإن بيبرس وسلار لما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة، وعزم بيبرس أن يهجم على بكتمر ويقتله، فمنعه سلار لما كان عنده من السبت والتؤدة، وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان.
فلما أتاه الرسول تحير وقصد الامتناع، ولبس مماليكه السلاح، ثم منعهم وخرج، فعنفه سلار ولامه على ما قصد .فأنكر وحلف لهم على أنه معهم، وأقام إلى الصباح، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة عند الأمير سلار.
ووقف ألزام بيبرس وسلار على خيولهم بباب الإسطبل مترقبين خروج المماليك السلطانية، و لم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان، وتشاوروا. وقد أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان، أو إخراجه إلى الكرك، فلم تفتح الأسواق، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة، وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفاً من نزوله من باب السر. وألبسوا عدة مماليك، وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سمك أخي سلار على باب الإسطبل.
فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام المماليك السلطانية ولبسهم السلاح، ليتزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل، وتوقعوا الحرب، فمنعهم السلطان من ذلك، وأراد سمك إقامة الحرمة، فرمى بالنشاب وضرب الطبل، فوقع سهم بالرفرف السلطاني. واستمر الحال على ذلك إلى أذان العصر من الغد، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: ما سبب الركوب على باب إسطبلي؟ إن كان غرضكم في الملك فهل أنا متطلع إليه؟ فخذوه وابعثوني أي موضع أردتم. فردوا الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير برلغي الأشرفي، بأن السبب هو من عند السلطان من المماليك الذين يحرضونه على الأمراء، فعتبهم على ما هو فيه، وأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئاً عن الأمراء.

وفي عودهم من عند السلطان وقعت ضجة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر، فلما رأوا السلطان قد وقف بالرفرف، وحواشي بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين، حنقوا من هذا وصرخوا، ثم حملوا يداً واحدة على الأمراء بباب الإسطبل، وهم يقولون" :يا ناصر يا منصور. فأراد سمك قتالهم، فمنعه من معه من الأمراء. وبلغ ذلك بيبرس وسلار، فأرسل الأمير سيف الدين تخاص المنصوري في عدة مماليك إلى العامة فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا فاشتد صياحهم يا ناصر يا منصور، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم للسلطان، وصاروا يقولون: الله يخون من يخون ابن قلاوون، وحملت طائفة منهم على بتخاص ورجمته طائفة أخرى، فجرد السيف ليضعه فيهم، ثم خشي العاقبة وأخذ يلاطفهم، وقال: طيبوا خواطركم، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء، ومازال بهم حتى تفرقوا وعاد.
فبعث الأمراء ثانياً إلى السلطان بأنهم مماليكه وفي طاعته، ولابد من إخراج الشباب الذين يرمون الفتن، فامتنع من ذلك واشتد، فمازال به بيبرس الدوادار وبرلغي حتى أخرج بهم إلى الأمراء، وهم بيلغا الترجماني وأيدمر المرتد وخاص ترك. فهددهم بيبرس وسلار ووبخاهم وقصدا تقييدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان، وأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد. ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض، ثم قبلوا يده، فأفيضت عليهم الخلع، وعلى الأمير بيبرس وسلار في ثالثه.
ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب في أمرائه إلى الجبل الأحمر: حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة خمدت، فأجاب وخرجوا. وبات السلطان في قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه، وركب من الغد بالأمراء

إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر، وعاد بعدما قال بيبرس وسلار: إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار وذلك إنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس وحادثه، فتذكر غدره به، وشق عليه ذلك. فتلطفوا به في أمره فقال: والله ما بقيت لي عين تنظر إليه، ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبداً فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة في خامس عشره، واستقر عوضه أمير جاندار بدر الدين بكتوت الفتاح، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار. وتوجه الأمير كراي المنصوري إلى بلدة أدفو بالصعيد، وهو حنق على الأمير بيبرس الجاشنكير.

وفيها عمر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، ووقف عليها أوقافاً جليلة، فمات قبل فتحها، وأغلقها الملك الناصر مدة، ثم أمر بفتحها ففتحت، ورتب فيها عدة من الصوفية. وبنى بيبرس أيضاً تربة بها، فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة. وأنشأ الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب دمشق جامعاً بصالحية دمشق، وبعث يسأل في أرض يوقفها عليه، فأجيب بأنه يعين ما يختار.

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صبرة، وقد خلص من بلاد التتار، ومعه جماعة ممن أسر من الأجناد في نوبة سيس، فأعيد له إقطاعه على عادته.

وورد كتاب الأمير كراي المنصوري بالشكوى من والي قوص، ومن غده قدم كتاب متولي قوص بأن كراي ظلم فلاحيه بأدفو، وأخذ دوابهم، وعمل زاداً كبير ليتوجه إلى بلاد السودان، فكتب لكراي بالحضور سريعاً، وكتب لوالي قوص بالاحتراس على كراي وأخذ الطرقات من كل جانب.

وفيها أحضرت خاصية السلطان من القدس، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب الشام بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ما وقع من نفي خاصكية السلطان ويشير بردهم، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر بنفسه وأعادهم. فلم يسعهما إلا إحضارهم، وأنعم على كل من يلبغا التركماني وألطنبغا الصالحي وبلبان الزراق بإمرة عشرة. واستقر شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة في نظر المارستان المنصوري. وقدم الأمير كراي من الصعيد فتمارض في بيته، و لم يطلع إلى القلعة، ثم سأل الإعفاء من الإمرة، وأن يقيم بالقدس بطالا، واعتذر بكثرة أمراضه، فأجيب إلى ذلك، وولى نظر القدس والخيل بحار يقوم بكفايته، وتوجه من القاهرة ة فأنعم بإقطاعه على الأمير سيفْ الدين بتخاص المنصوري.

وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن، وعول الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه: وذلك أنه خشي من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ، ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خواشداشيته البرجية، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء، واشتدت شوكة بيبرس بهم، وعظمت مهابته وانبسطت يده في التحكم، بحيث أنه أخرج الجاولي بغير اختيار سلار، وانفرد بالركوب في جمع عظيم. وقد قصد البرجية في نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع سلار بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع السلطان. فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس، وتحيل في الخلاص من ذلك بأَنه يحج في جماعة من ألزامه وأتباعه، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنع بها .ففطن بيبرس بهذا، ودس إليه من الأمراء من ثنى عزمه عن ذلك. وشرع

في الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجزت، وجهزت الأسلحة والأمتعة ثم اقتضى الرأي تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض، ومازال منقطعاً بداره حتى مات، وعين الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي أمير الركب، وخرج بالحاج على العادة.
وقدم البريد من حلب بقتل هيتوم متملك سيس على يد بعض أمراء المغل: وذلك أن هيتوم كان يحمل القطعية إلى المغل كما يحملها إلى مصر، ويحضر إلى كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل ؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا، وقد أسلم وحسن إسلامه، فعزم على بناء جامع بسيس يعلن فيه بالآذان، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس .فشق ذلك على هيتوم، وكتب إلى خربندا بأن برلغوا يريد اللحاق بأهل مصر، وبناء جامع بسيس. فبعث خربندا بالإنكار على برلغوا، وهدده وألزمه بالحضور، فغضب برلغوا من هيتوم، وصنع طعاماً ودعاه، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا، فحضر وهو آمن في جماعة من أكابر الأرمن وإخوان له. فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذ تهم السيوف من كل جانب، فقتلوا عن آخرهم، و لم ينج سوى أخوه ليفون في نفر قليل، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه، وقدم عليه أيضاً برلغوا، فقتله بقتله هيتوم، وولى ليفون مملكة سيس وسيرة إليها.
وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة، مع الأمير علاء الدين أيدغدي شقير مملوك منكوتمر، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير، ثم بالأمير بهادر آص.
وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصبعاُ: وهب في برمهات الموافق لشوال. من جهة الغرب ريح عند الحراك الغلال، فهافت وجف أكثرها، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير، ومنها ما كان أقل من بذاره. فتميز سعر الغلة، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهماً، ثم انحط.
وفيها استقر الأمير بيبرس العلائي الحاجب في نيابة غزة، عوضاً عن الأمير أقجبار.
وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدي الشقيري، والأمير سيف قطلوبك والأمير بهادر أص.
وفي العشرين من رجب: توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس، ومعه جماعة من أعيان دمشق، وعاد في تاسع شعبان.
وفي سابع عشرين رجب: توجه ركب العمار إلى مكة، صحبة الأمير عز الدين الكوكندي، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود، والشيخ نجم الدين بن الرفعة.
وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركماني والأمير بدر الدين بيليك المحسني برقا في شوال.
وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى، فأكرمه السلطان وأخلع عليه، فتحدث في خلاص شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية فأجيب، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه. ونزل ابن تيمية بدار الأمير سلار النائب، وعقد له مجلس حضره ابن الرفعة والتاجي وابن عدلان والنمراوي وجماعة الفقهاء، و لم تحضره القضاة، وناظروا
ابن تيمية ثم انفضوا، ثم عقد له بعد سفر مهنا بن عيسي مجلس آخر بالصالحية. ثم قام تاج الدين أَحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء، وشيخ سعيد السعداء، وجمعوا فوق الخمسمائة رجل، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في مشايخ الطريقة ؛ فرد أمرهم إلى القاضي الشافعي، فدفعه إلى تقي

الدين علي ابن الزواوي المالكي، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام، فسار على البريد وحبس بها.

وفيها بنى الأمير أسندمر نائب طرابلس قلعة مكان حصن صنجيل، وبني الأمير قرا سنقر نائب حلب قلعة حارم التي خربها هولاكو.

ومات في هذه السنة

الأمير عز الدين أيدمر السناني بدمشق، وله شعر جيد ومعرفة بتعبير المنامات، ومن شعر :

دنف حكاه رقةً ونحولا　　　تخذ النسيم الحبيب رسول

فيسيل في أثر الغريق سيولا　　　تجزى العيون من العيون صبابة

كنت اتخذت مع الرسول سبيلا　ويقول من حسد له ياليتني

ومات الأمير سيف الدين بيبغا الناصري في شعبان، وترك مالاً كبيرًا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالق العجمي أحد البرجية الصالحية، و كبير الأمراء بدمشق، عن نحو الثمانين سنة، في نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة ، وكان ديناً له ثروة وفيه خير: كان يقرض الأجناد عند تجردهم، ويمهلهم حتى يتيسر لهم، فعدم له في ذلك مال كبير.

ومات شمس الدين خضر بن الحلبي المعروف بشلحونة والي القاهرة، وكان أبوه خازندار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق، وقدم الخْضر إلى القاهرة، واستقر في ولايتها في الأيام الظاهرية بيبرس والأيام المنصورية قلاوون، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاوون إلى شد الدواوين، وكان ناهضاً أميناً في جميع ما يليه، مع المعرفة والديانة والمروءة، وكان إذا أراد أن يضرب أحداً قال شلحونه، فعرف بذلك. ومات خطلو شاه نائب التتر وكان مقدمهم يوم شقحب؛ وكان كافراً فاجرًا.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاي البيسري، أحد أمراء دمشق، ليلة الاثنين ثاني جمادى الأولى، وكانت له مروءة وشجاعة.

ومات الطواشي شهاب الدين فاخر المنصوري مقدم المماليك، وكانت له سطوة ومهابة.

ومات الشيخ عمر بن يعقوب بن أحمد السعودي، في يوم الأربعاء ثاني رجب، وكان رجلاً صالحاً معتقدًا.

ومات الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا - ومولده في تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة، وجده لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزي - في يوم السبت خامس جمادى الآخرة.

ومات شرف الدين محمد بن فتح عبد الله بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن محمد ابن أحمد بن خالد القيسراني، أحد موقعي الإنتماء بالقاهرة، في أول شعبان.

ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسي، بمكة في رمضان عن نيف وتسعين سنة، وقد جاور بها ستين سنة، وصار شيخ الحرم، فحمل الشريف حميضة نعشه.

ومات الشيخ عثمان بن جوشن السعودي.

ومات الشيخ عز الدن أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازي المصري، في

خامس ربيع الأول، ومولده في ذي الحج سنة ثمان عشرة وستمائة.
ومات قاضي القضاة جمل الدين أبو بكر محمد بن العظيم بن علي بن سالم بن السقطي الشافعي، في ليلة الاثنين حادي عشر شعبان، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأخرج له التقي الأسعردي مشيخة.

سنة ثمان وسبعمائة

في أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاي حارب العبيد بمكة: وذلك أنهم كثر تخطفهم أموال التجار، وأخذهم من الناس بالغصب ما أرادوا، فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منعه، فضربه ضربا مبرحاً، فثار الناس وتصايحوا .فبعث نوغاي مماليكه إلى العبيد فأمسكوا بعضهم وفر باقيهم بعدما جرحوا، فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب، وركب نوغاي بمن معه، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه، وساق فإذا طائفة من السرويين قد فروا من الخوف إلى الجبل. فقتل منهم جماعة ظناً أنهم من العبيد، فكف حميضة عن القتال، وما زال الناس بنوغاي حتى أمسك عن الشر.

وقمم البريد من حلب بأن طائفة من المغل قدموا إلى الفرات، فخرج العسكر إليهم، فلما ساروا سقط الطائر من قلعة كركر بنزول المغل عليها ونهب التركمان وأخذهم، فكتب إلى العسكر المجرد بنجدقم، فكسبوا المغل في الليل وقتلوهم، واستردوا ما أخذوه من كركر، وأسروا منهم ستين رجلاً، وغنموا عدة خيول.
وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر، في ربيع الأول.
وفي ثالث ربيع الآخر: فوضيت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضاً عن الشيخ شمس الدين محمد الجزري.
وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجوهر.
وفيها عدى السلطان إلى نهر الجيزة، وأقام يتصدى نحو عشرين يوماً، وعاد وقد ضاق صدره واشتد حنقه، وصار في غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهي أكله لقلة المرتب، فلولا ما كان يتحصل له من أوقاف أبيه لما وجد سبيلاً إلى بلوغ بعض أغراضه. فأخذ في العمل لنفسه. وأظهر أنه يريد الحج بعياله، وحدث بيبرس وسلار في ذلك يوم النصف من رمضان، فوافقاه عليه .وأعجب البرجية سفره لينالوا أغراضهم، وشرعوا في تجهيزه، وكتبوا إلى دمشق والكرك وغيره برمي الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فتهيأ ذلك. وأحضر الأمراء تقادمهم وتأنقوا فيها، فقلبها السلطان وشكرهم على ذلك؛ وركب في خامس عشرى رمضان يريد السفر، ونزل من القلعة ومعه الأمراء؛ وخرج العامة وتباكوا حوله، وتأسفوا على فراقه، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج. وتعين للسفر معه من الأمراء عز الدين أيدمر الخطيري الأستادار عوضاً عن الجاولي، وسيف الدين آل ملك الجوكندار. وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس، وسيف الدين بلبان أمير جاندار، وعز الدين أيبك الرومي السلاح دار، وركن الدين بيبرس الأحمدي، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وسيف الدين يقطاي الساقي، وشمس الدين سنقر السعدي النقيب، ومن المماليك خمسة وسبعون نفراً. وودعه بيبرس وسلار فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من

غير أن يترحلوا له، وعاد الأمراء. ورحل السلطان من ليلته، وعرج إلى جهة الصالحية وعيد بها، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرساً، فقدمها يوم الأحد عاشر شوال. فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك بقدومه، وقام بما يليق به، وزين القلعة والمدينة، وفتح باب السر ومد الجسر، وكان له مدة لم يمد، وقد سار خشبه، فلما عبرت الدواب عليه، وأتى السلطان في أخرهم انكسر الجسر تحت رجلي فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبدوا العنان حتى خرج من الجسر وهو سالم وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد.
وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح خاطره؛ فشق عليهم ذلك، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه في ترك هذا الخاطر، وكشفوا رؤوسهم فلم يرجع إليهم، وقال السلطان للخطيري: قد أخذ بيبرس الجاشنكير السلطنة ولابد، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير، وكان قد توجه معه، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطة، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك، وأعطاه للأمراء وأمرهم بالعود، وأعطاهم الهجن - وعدها خمسمائة هجين - والجمال والمال الذي قدمه له الأمراء، فساروا إلى القاهرة.

واستولي السلطان على ما كان في الكرك من المال، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار، وقيل بل وجد سبعة وعشرين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم. واستدعى أهل الكرك، فحلفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك، وأمرهم فحملوا له أحجاراً كثيرة إلى القلعة، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادي.
فلما حصل نائب الكرك والناس في الوادي لنقل الحجارة، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك وبين له أن أهل القلعة لا سبيل إلى مجاورتهم له بها ولا بإقامتهم بالمدينة، فإني أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنطاي، وقد مكنت حريمهم وأولادهم من النزول إليهم. فامتثل النائب الأمر وأخذ حريمه، وقدم للسلطان ما كان له من الغلال وهي شيء كثير فقبلها، وأخذ أهل القلعة حريمهم وتفرقوا في البلاد.
وأقام السلطان الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي في نيابة قلعة الكرك، فصار هو وأخوه الحاج أرقطاي وأرغون الدوادار مقيمين على علو القلعة، وبعث إلى العرب الشوبك بأن يكونوا في الخدمة برسم الصيد. وكان حريم السلطان قد توجه إلى الحجاز من القاهرة في سابع عشر شوال، فلما دخل السلطان إلى الكرك بعث في طلبهم، فأدركهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن نوكيه، فقد بهم إلى الكرك.
ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل في، يوم الجمعة ثاني عشرى شوال، واجتمعوا عند الأمير سلار النائب بدار النيابة من القلعة، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا، ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك، فاختار أكابر الأمراء سلار لقلعة وتودده، واختار البرجية بيبرس؛ فلم يجب سلار إلى ذلك، وخاف البرجية لئلا يجيب، فقاموا وانفض المجلس.
وخلا كل من أصحاب بيبرس وسلار بصاحبه، وحسن له القيام بالسلطنة، وخوفه عاقبة تركها، وأنه متى ولى غيره لا يوافقوه بل يقاتلوه. وبات البرجية تغلي مراجلهم خوفاً من ولاية سلار، وسعي بعضهم إلى بعض، وكانوا أكثر جمعاً من أصحاب سلار، وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب، فبلغ ذلك سلار فخشي سوء العاقبة،

واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمي إليه، وقرر مع عقلائهم سراً موافقته على ما يشير به - وكان مطاعاً فيهم - فأجابوه، ثم خرج إلى شباك النيابة.

السلطان الملك المظفر

ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري جلس على تخت الملك في يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة، وحضر بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلي السلطنة. فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدواداري والأمير أيبك الخازندار، وهم أكابر المنصورية: ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم .كلا وقع فخرج الطلب لهم وحضروا، فقرئ عليهم كتاب السلطان، وشهد عند قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي الأميران عز الدين الخطيري والحاج آل ملك، ومن كان معهم من الأمراء، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام، فأثبت ذلك. وأعيد الكلام فيمن يصلح، فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلار، فقال :نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته، وألا يخالفوه في شيء. فقلق البرجية و لم تبق إلا إقامتهم الفتنة، فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف. فقال سلار: والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك، ولا يصلح له إلا أخي هذا وأشار إلى بيبرس الجاشنكير، ونهض قائماً إليه؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم :صدق الأمير، وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرهاً، وصاحوا بالجاوشية فصرخوا باسمه. وكان فرس النوبة عند الشباك. فألبسوه تشريف الخلافة: وهي فرجية أطلس أسود وطرحة، وتقلد بسيفين على العادة. ومشى سلار والناس بين يديه من دار النيابة بعد العصر حتى ركب، وعبر باب القلعة إلى الإيوان، وجلس على التخت، ولقب بالملك المظفر، وصار يبكي بحيث يراه الناس. ثم قام إلى القصر، وتفرق الناس بعدما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً.

ولما استقر الملك المظفر في مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة في يوم الإثنين خامس عشريه ؛ فأظهر التغمم بما صار إليه، وخلع على الأمير سلار خلعة النيابة على عادته، بعدما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء، حتى قال له: إن لم تكن أنت نائباً فلا أعمل أنا السلطنة ، وقامت عليه الأمراء. ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر في السلطنة، وتوجه الأمير بيبرس الأحمدي إلى حلب، والأمير بلاط إلى حماة، والأمير عز الدين أيبك البغدادي وزير بغداد وسيف الدين ساطي إلى دمشق على البريد.
وطلب التاج بن سعيد الدولة، وعرضت عليه الوزارة، فامتنع منها وصمم، وأشار باستمرار الصاحب ضياء الدين النشائي، فخلع عليه وعلى التاج. واستمر ابن سعيد الدولة في نظر الجيش، والإشارة في أمر الوزارة والتوقيع، ونزلا. وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب، ولا يكتب السلطان على شيء ما لم ير خطه، فشق ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر، وخيل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك، فمنعه من الوقوف على الأجوبة والكتابة عليهما، وأمضى له ماعدا ذلك.
وكتب للملك الناصر تقليد بنيابة الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس، وجهز إليه وقرن بهما كتاب الملك

المظفر: بأني أجبت سؤالك فيما اخترته، وقد حكم الأمراء على فلم تمكن مخالفتهم، وأنا نائبك وخرج بها الأمير الحاج آل ملك فلما وصل إليه أظهر البشر، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر، وخطب له يوم الجمعة أيضاً على منبر الكرك، وأنعم على البريدي وأعاده؛ فسر المظفر بنلك.

وقدم البريد من ممالك الشام بالطاعة وحلفهم، ماعدا الأفرم نائب دمشق. فإنه لما قد عليه وزير بغداد بالخبر قال: بئس واللّه ما فعله الملك الناصر بنفسه!، وبئس ما فعله بيبرس! وأنا لا أحلف لبيبرس - وقد حلفت الملك الناصر - حتى أبعث إلى الناصر، ثم سير جماعة إلى الكرك على البريد بكتابه، فأعاد الناصر الجواب بالشكر والثناء، وأنه قد ترك الملك، فليحلف لمن يولونه، وقدم البريدي بذلك إلى دمشق في يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة، فاجتمع الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام على عادته، وخلع على محي الدين يحمي بن فضل اللّه كاتب السر، وأنعم على الأمير برلغي بإقطاع السلطان قبل سلطنته، وأنعم بإقطاع برلغي على بتخاص، وبإقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك.

وخطب للملك المظفر، ونودي بدمشق فزينت، وعاد وزير بغداد وساطي إلى القاهرة. فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعدما جددت له الولاية بالسلطة من الخليفة، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سيف ورب قلم، فبلغت عدة الخلع إلى ألف ومائتي خلعة. وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن عبد الظاهر، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره، وسير بالميدان الأسود ومعه الأمراء وعليه التشريف: وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش أسود ملمع بقطع ذهب ولفته مدمورة، والسيفان على عاتقيه، والوزير ضياء الدين قدامه على فرس، والتقليد على رأسه في كيس حرير اًسود، بعدما قري بالقلعة على الأمراء.

وورد الخبر بأًن متملك قبرس اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم، فاتفقوا على عمل جسر ماد من القاهرة إلى دمياط خوفاً من نزول الفرنج أيام النيل، وندب لفلك الأمير جمال الدين أقوش الرومي الحسامي، وأمر ألا يراعي أحداً من الأمراء في تأخير رجال بلاده، ورسم للأمراء أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار، وكتب إلى الولاة بالمساعدة والعمل، وأن يخرج كل وال برجاله. وكان أقوش مهاباً عبوساً قليل الكلام، له حرمة في قلوب الناس؛ فلم يصل إلى فارس كور حتى وجد ولاة العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال، فاستدعى المهندسين ورتب العمل. فاستقر الحال على ثلاثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل، وأحضر إليه نواب جميع الأمراء. فكان يركب دائماً لتفقد العمل واستحثاث الرجال، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة. فلم يغب عنه بعد ذلك أحد، ونكل بكثير من مشايخ العربان. وضربهم بالمقارع وخزم آنافهم وقطع آذانهم، و لم يكد يسلم منه أحد من أجناد الأمراء ومشدى البلاد، وما زال يجتهد في العمل حتى نجز في اًقل من شهر، وكان ابتداؤه من قلوب وأخره بدمياط، يسير عليه الراكب يومين، وعرضه من أعلاه أربع قصبات، ومن أسفله ست قصبات، يمشي ستة فرساي صفار واحداً. وعم النفع به، فإن النيل كان في أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط. وحضر بعد فراغه الأمير أقوش إلى القاهرة، وخلع عليه وشكرت همته.

ووقع الاتفاق على عمل جسر أخر بطريق الإسكندرية، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمكي فعمر قناطر الجيزة إلى أخر الرمل تحت الهرمين، وكانت قمدمت، فعم النفع بعمارتما.
وورد الخبر بأن الخوارزمي والتليلي عادا من بلاد المغرب بمدية حليلة، وركب معهم الحاج، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة. فخرج جماعة من الأجناد والمماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسل والحجاج، وساروا ومعهم نائب الإسكندرية إلى سوسة فلقوهم بما وأحسنوا إليهم وإلى الحاج. وساروا بهم إلى القاهرة.
وفيها كثرت مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء في شيخهم كريم الدين عبد الكريم الآملي، فقام عليه الشيخ نصر المنجني قياماً عظيماً حتى صرف بقاضي القضاة بحر الدين محمد بن جماعة.
وفيها أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين قبجق، فعزل وولى.
وفيها صرف أمين الدين أبو بكر بن الرقاقي من نظر دمشق، وعاد إلى القاهرة.

ومات في هذه السنة

علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش بن أبي حليقة، رئيس الأطباء بمصر والشام، وترك مائتي ألف دينار، وقيل ثلاثمائة ألف.
ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر البرلسي ناظر بيت المال، في خامس صفر بالقاهرة، وولي نظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوي النائب المالكي.
ومات محي الدين أحمد بن أبي الفتح بن باتكين، وكان يعاني الخدم الديوانية، وله شعر حسن وفضيلة، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، وعمي قبل موته، ومات بالقاهرة.
ومات الشهاب أحمد بن صادق القوصي، في حادي عشر صفر بقوص، وكان فقيهاً شافعياً يوقع عن قاضي، وفيه تحرز وعنده يقظة.
ومات الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي، في ليلة الجمعة سابع ذي القعدة، وقد حمل من قوص إلى القاهرة، بسبب قيامه في هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة، فعوق بالمسجد أياماً ثم خلى عنه، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات، وبيعت ثيابه التي مات فيها بخمسين ديناراً، تفرقها أهل الزوايا.
ومات عثمان الحلبوني الصعيدي ببرزة خارج دمشق، وكانت له أحوال ومكاشفات.
ومات شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة الطائي السوادي، في يوم الثلاثاء رابع عشرى ذي القعدة عن سبع وأربعين سنة، ودفن بالقرافة.

ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبي السرور بن أبي النصر السامري الدمشقي، أسلم في الأيام المنصورية قلاوون، وتنقل في الخدم الديوانية ولي نظر الجيش بدمشق، ثم انقطع في داره حتى مات في حادي عشرى رمضان، ومولده اثنتين وعشرين وستمائة، وكان جميلاً ليناً متواضعاً محباً لأهل الخير، مواظباً على الصلوات بجامع بني أمية، فيه بر وصدقات مع العفة.
ومات شهاب الدين بن على الحسبني، حدث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوي، ومات بها.

ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعي الأشقر شاد الدواوين، في محرم بمصر ومات الأمير علاء الدين الطبرس المنصوري والي باب القلعة الملقب بالمجنون، والمنسوب إليه العمارة فوق قنطرة المجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة، وكان عفيفاً ديناً، له أحكام قراقوشية مع تسلط على النساء، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن، فامتنعن من الخروج في زمانه إلا لأمر مهم، مثل الحمام وغيره.

ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس، في خامس رجب بمصر، ومات ولده قبله بيوم.

ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبي القاسم المراغي، في ليلة السبت ثاني المحرم بمصر. ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدي أستادار النائب سلار، في تاسع عشر شوال، وكان عاقلاً له ثراء واسع وجاه عريض.

ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبي عامر بن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، في ثامن صفر، فبويع أخوه الربيع بن أبي عامر.

سنة تسع وسبعمائة

فيها قدم علاء الدين التليلي وأيدغدي من بلاد المغرب، ومعهما الشيخ أبو زكريا الليحاني متولي طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المريني يريدان الحج، فكانت غيبة النليلي ورفيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فترل اللحياني بمناظر الكبش ورتب له ما يليق به.

وفيها بني الأمير برغلي على ابنة السلطان، وعمل مهم عظيم خلع فيه على سائر الأمراء. وعزل الأمير بيبرس العلائي من نيابة عزة، واستقر عوضه بلبان البدري. وكتب إلى دمشق بإبطال المقرر على الخمور بساحل الشام، وإراقتها وتعويض الجند بدلها. وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن، وقد مات رفيقه سنقر السعدي.

وقدم الخبر بأن الملك الناصر كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك في مماليكه، فتخيل الملك المظفر من ذلك وخشي عاقبته. واتفق أنه قدم الخبر أيضاً بحركة خربندا للسير إلى بلاد الشام، فكتب إلى الملك الناصر بحركة خربندا، وقد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر، وما استولى عليه من حاصل الكرك، ومن عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة، ويرسل الخيول التي قادها من مصر، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه. ورأي الناصر أن المغالطة أولى، وكتب الجواب: المملوك محمد بن قلاوون يقبل الأرض، وينهي أنه ما قصد الإقامة إلا طلباً للسلامة، وإن مولانا السلطان هو الذي رباني، وما أعرف لي والداً غيره، وكل ما أنا فيه فمنه وعلى يديه، والقدر الذي أخذته من الكرك لأجل ما لا بد لي فيه من الكلف والنفقة. وقد امتثلت المرسوم الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذي تأخر عندي امتثالا لأمر مولانا السلطان، وأما الخيل فقد مات بعضها، و لم يبق إلا ما أكبه؛ والمماليك فلم أترك عندي إلا من اختار أن يقيم معي، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد، فكيف يحل لي أن أخرجهم. وما بقي إلا إحسان مولانا السلطان. وكتب الناصر بأعلى الكتاب: الملكي المظفري، وخلع على مغلطاي ودفع إليه الكتاب، وحمله معه مائتي ألف درهم، وأعاده وقد حمله مشافهة بمعني جوابه، فقنع السلطان المظفر بيبرس بذلك.

وفيها قدم السلطان البرجية أمر منهم جماعة كبيرة، وأراد أن يؤمر جماعة الأمير سلار فلم يوافق على ذلك، وحلف بأيمان مغلظة أنه لا يمكن أحداً منهم أن يتآمر.

وفيها تفاوض كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه والتاج بن سعيد الدولة: وسبب ذلك أن التاج تزايد تحكمه في الدولة، بحيث انه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدم في وظيفة حتى يكتب عليه، ثم شارك كاتب السر في معرفة أجوبة النواب وغيرهم، فامتنع ابن فضل الله من ذلك، ورد عليه الجواب، وفيه ولا كرامة أن يكون مطلعاً على أسرار المملكة. ثم حدث ابن فضل اللّه الأمير سلار النائب في ذلك، وقبح عنده أن يطلع رجل قبطي على أسرار المملكة وأخبار العدو وأنه لا يوافق على ذلك بوجه .فشق على سلار ما قصد التاج، وقام في مساعدة ابن فضل اللّه، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الإطلاع على شيء من أمر ديوان الإنشاء، فاشتد غضبه وباين ابن فضل اللّه.

وقد قام البريد بإبطال سائر الخمارات، فسر السلطان بهذا، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر. وندب لذلك الأمير سيف الدين الشيخي أحد البرجية، وتقدم إليه ألا يراعي أحداً من خشداشيته، ولا يدع بيتا بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه خمراً إلا ويكبسه ويكسر ما فيه. وكان الشيخي فيه شدة وقوة نفس، فطلب والي القاهرة ومقدميها وأصحاب الأرباع، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه، أخفوا سائر المواضع، وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على عصر العنب أو من عنده خمر، وكتب أسمائهم، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وأخذ في كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به في مماليكه، وقد هجم عليه ومعه النجارون والبناءون لتفقد مطامير الخمر وإخراجها، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها .فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد، وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء، لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفاً على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم. وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض، وتشفي جماعة من أعاديهم بنلك. وكبست أيضاً دور اليهود والنصارى، وأريق ما فيها من الخمور وتعدي الأمر دون الأمراء، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي أحد أمراء الألوف من البرجية. فأزال اللّه بذلك فساداً كبيراً، ووقع أيضاً بسببه من نهب الأموال فساد كبيرة فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه.

وفي ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية.

وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي في قضاء الحنابلة بالقاهرة، بعد موت القاضي شرف الدين عبد الغني بن عبد الله الحراني، في ثالث ربيع الآخر.

وفيها فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء، وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم، والرطل البطيخ بدرهم، وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع في كل يوم بثلاثمائة درهم إلى مائتي درهم.

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهماً، والأردب الشعير والفول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الأستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده مباشرة سنة، وباع ما عداه قليلاً قليلاً. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا، وخرج بهم الخطيب نور الدين علي بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني فاستسقى، وكان يوماً مشهوداً، فنودي من الغد بثلاثة أصابع، ثم توقف. وانتهت زيادة النيل في سابع عشرى توت إلى

خمسة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً. واتفق أنه نقص في أيام النسئ، وجاء النوروز و لم يوف النيل ستة عشر ذراعاً، وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت، وهو ثامن عشرى ربيع الأول .وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس حادي عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء، وغنت عامة مصر: سلطاننا ركين، ونائبنا دقين ، يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج، يجي الما ويدحرج."

وفيها قدم البريد من حلب بأن الأمير سرتاي استنابه الملك خربندا بديار بكر، وأنه حارب طقطاي، فقتل طقطاي، وعزم على المسير إلى حلب. فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة الطبلخاناه والعشراوات في ألفي فارس، وساروا في جماد الأولى إلى حلب. وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة من القمح وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق، معونة له ولمن معه.
وفيها ابتدأ اضطراب دولة السلطان الملك المظفر: وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه. وحسنوا له القبض عليه، فجبن بيبرس عن ذلك، ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاي إلى الملك الناصر، ليأخذ منه الخيل والمماليك التي عنده. وتغلظ مغلطاي في القول، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديدًا، وقال له: أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي أو مملوك لي، ويكرر الطلب؟ ارجع إليه، وقل له واللّه لئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر، وأعلمتهم أني قد تركت ملك أبي وأخي وملكي لمملوكي، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخفته. فجافاه مغلطاي وخشن في القول، بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح به: ويلك !وصلنا إلى هنا؟ وأمر أن يجر ويرمى من سور القلعة. فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه، وأخرجوه إلى السور، فلم يزل الأمير أرغون الدوادار والأمير طغاي إلى أن عفا عنه الناصر وحبسه، ثم أخرجه ماشياً إلى الغور، وامتعض مغلطاي عند ذلك مما حل به.
وكتب الناصر ملطفات إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد، وإلى أمراء مصر ممن يثق به، . مما كان فيه من ضيق اليد وقلة الحرمة، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر، وقنع بالإقامة في الكرك، وأن السلطان الملك المظفر في كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيل ثم بالمماليك، وقال لهم: أنتم مماليك أبي وربيتموني. فإما أن تردوه عني وإلا أسير إلى بلاد التتار وتلطف في مخاطبتهم غاية التلطف، وسير إليهم العربان، بها فأوصلوها إلى أربابها. وكتب الأمير قبجق المنصوري نائب حماة الجواب: بأني مع الأمير قرا سنفر نائب حلب وكتب الأمير قرا سنقر الجواب: بأني مملوك السلطان في كل ما يرسم به وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية، فبعث الناصر مملوكه أيتمش المحمدي، وكتب معه ملطفًا إلى الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري، والأمير بكتمر الحسامي الحاجب، بدمشق. وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع له.

وقدم أيتمش دمشق في خفية، ونزل عند بعض مماليك الأمير قطلوبك، ودفع إليه الملطف. فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام، ويتقرب إليه بذلك. فترك أيتمش راحلته التي قدم عليها عندما بلغه ذلك، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص في الليل واستأذن عليه فأذن له، فعرفه ما كان من الأمير قطلوبك، فطمن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه، وأركبه من الغد معه إلى الموكب .وقد سبق قطلوبك وعرف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلاً، فقلق الأفرم من ذلك، وألزم والي المدينة بتحصيل المملوك، فقال بهادر آص: هذا المملوك عندي، وأشار إليه، فنزل عن الفرس وسلم

على الأفرم وسار معه في الموكب إلى دار السعادة، وقال بحضرة الأمراء: السلطان الملك الناصر يسلم عليكم، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه، وما منكم إلا من إنعامه عليه. وأنتم تربية الشهيد والده، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها. فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرفعوه. فلم يتم هذا القول حتى صاح عز الدين أيدمر الكوكندي الزراق أحد أمراء دمشق وابن أستاذاه!، وبكى. فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه، ثم قال لأيتمش: قل له - يعني الملك الناصر - كيف تجيء إلى الشام، أو إلى غير الشام، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك؟ أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك أن أحلف له ما حلفت حتى سيرت أقول له :كيف يكون ذلك وابن أستاذنا باق؟ فأرسل يقول: أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذنا نفسه، وكتب خطه وأشهد عليه بنزول عن الملك، فعند ذلك حلفت له. ثم في هذا الوقت تقول من يردني عن الشام؟ وأمر به فسلم إلى أستاداره الطنقش. فلما كان الليل استدعاه، ودفع إليه خمسين ديناراً وقال له: قل له لا يذكر الخروج من الكرك، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك، وخلى عنه ليعود إلى الكرك. فقدم أيتمش على الملك الناصر وحدثه بما جرى له فأعاده على البرية ومعه أر كتمر وعثمان الهجان، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب، ويواعده على المسير إلى دمشق. وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء.

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير علاء الدين مغلطاي أيتعلى المقدم ذكره قلق، واستدعى الأمير سلار النائب، وعرفه ذلك. وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار، واهموه بأنه قد باطن الملك الناصر، وأشاروا عليه بقبضه وخوفوه منه. فبلغ ذلك سلار، فخاف من البرجية لكثرهم وقوهم، وأخذ في مداراهم. وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور، فبعث إليه - وكان قد شكا له من انكسار خراجه - ستة ألاف أردب غلة وألف دينار مصرية، فكف عنه، وهادى خواص السلطان، وأنعم عليهم انعامات كثيرة طلباً للسلامة منهم. ثم حضر سلار عند المظفر وتكلما فيما هم فيه، فاقتضي الرأي تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتغلي. وبينما هم في ذلك قدم البريد من عند نائب دمشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض، ولم يعرف مقصده، فكتب إليه بالكشف عن مقصده، وحفظ الطرقات عليه.

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك، فتحرك الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي - وكان شجاعاً مقداماً حاد المزاج قوي النفس، ومن ألزام الأمير سلار النائب - وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر بيبرس إذا ركب ويقتله. فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاي بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان في عوده من البركة، وتقرب نوغاي من السلطان قليلاً قليلاً، وفد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر، ففطن به خواص السلطان وتحلقوا حوله، فلم يجد نوغاي سبيلاً إلى ما عزم عليه.

وعاد السلطان إلى القلعة، فعرفه ألزامه ما فهموه عن نوغاي، وحسنوا له القبض عليه وتقريره على من معه. فاستدعى السلطان الأمير سلار وأعلمه الخبر - وكان قد باطن نوغاي أيضاً - فحذره من ذلك، وخوفه عاقبة الأخذ بالظن، وأن فيه فساد قلوب الجميع، وليس إلا الإغضاء فقط، وقام عنه، فأخذه البرجية في الإغراء بسلار، وأنه ولابد قد باطن نوغاي، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال. فبلغ نوغاي ما هم فيه من الحديث في

القبض عليه، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر، وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاي القازاني، والأمير سيف الدين طقطاي الساقي، ونحو ستين مملوكاً، وقت المغرب عند باب القلعة من ليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة.
وعرف السلطان بذلك من الإسطبل، ففتح باب القلعة، وطلب الأمير سلار وشاوره، فأشار بتجهيز الأمراء في طلبهم، وعين أخاه علاء الدين سمك وقطز بن الفارقاني في عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك، وساروا من وقتهم غير مجدين في طلبهم، وصار بين الفريقين مرحلة واحدة، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء. فلما وصل نوغاي إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة، وهو مبلغ عشرين ألف درهم، فأخذه وأخذ خيل الوالي وخيول العرب، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك، فنزل الأمراء بعده غزة، وعادوا إلى القاهرة. وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله، فقبض على جماعة تزيد عدهم على ثلاثمائة مملوك، وأخرج أخبارهم وأخباز المتوجهين إلى الكرك لمماليكه.
وبلغ الملك الناصر قدوم نوغاي ومن معه وهو في الصيد، فأمر بإحضارهم فأتوه، وقبلوا له الأرض وهنأوه بالعافية، فسر بهم. وساروا معه إلى زيزاء، ومضى إلى زرع يريد دمشق، ثم رجع إلى الكرك. فشق على الملك المظفر ذلك، ودار به البرجية وشوشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخيلهم له بمخاطرة العسكر عليه، وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار، والأمير صارم الدين الجرمكي، في عدة من الأمراء مجردين، وأخرج الأمير أقوش الرومي بجماعته إلى طريق السويس، ليمنع من عساه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر، وقبض على أحد عشر مملوكاً، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطرا وفر، فأدركه الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، وأحضره فحبس، وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكز السلاح دار بملطف من الملك الناصر استجلا به إليه، فكثر قلق الملك المظفر، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك، وخشوا على أنفسهم، واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويرانية، وتواعدوا على الحرب، وخرج منهم مائة وعشرون فارساً بالسلاح، وساروا إلى الملك الناصر. فخرج إليهم الأمير بينجار والصارم الجرمكي، فقاتلهم المماليك، وجرح الجرمكي بسيف في فخذه سقط إلى الأرض، ومضى المماليك على حمية إلى الكرك. فعظم الخطب على السلطان، واجتمع إليه البرجية، وقالوا له: هذا الفساد كله من الأمير سلار، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك، فلم يوافق على ذلك، واتفق الرأي على تجريد العساكر.
وفي يوم السبت ثاني رجب: مات التاج بن سعيد الدولة، واستقر ابن أخته كريم الدين أكرم الكبير في وظائفه، وتكبر على الأمراء واستقرت فيه الأحوال، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف.
وأما أيتمش المحمدي فإنه سار إلىحماة، واجتمع بالأمير قبجق نائبها، فأحال قبجق الأمر على الأمير قرا سنقر نائب حلب، وأنه معه حيث كان. فسار أيتمش إلى حلب، واجتمع بقرا سنقر، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر، ودخل في طاعته، ووعده على السير إلى دمشق أول شعبان. وكتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب يحثه دمشق على طاعة الملك الناصر ويرغبه، وأشار بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد، والأمير كراي المنصوري بالقدس، ونائب طرابلس، وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر، فسر بذلك.
وكان نوغاي منذ قدم لا يبرح يحرضه على المسير إلى دمشق، فلما قدم عليه خبر قرا سنقر اشتد بأسه وقوي عزمه على الحركة، إلا أنه ثقل عليه أمر

نوغاي من مخاشنته له في المخاطبة، وجفاه القول بحيث إنه قال له: ليس لي بك حاجة ارجع إلى حيث شئت فترك نوغاي الخدمة وانقطع إلى أن قدم أيتمش من حلب، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما، وأسر له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك كما سيأتي ذكره إن شاء اللّه تعالى.

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضاً إلى صفد، فتلطف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد، وجمع بينه وبين أبيه ليلاً في مقابر صفد فعتبه أيتمش على ما كان من رده قاصد الملك الناصر، فاعتذر بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة، وأنه على ميعاد النواب إلى المضي إلى الشام، فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسر به.

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين في يوم السبت تاسع رجب منهم: الأمير سيف الدين برلغي الأشرفي .والأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك، والأمير عز الدين أيبك البغدادي، والأمير سيف الدين طغريل الإيغاني، والأمير سيف الدين تناكر، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من الطبلخاناه، بعدما أنفق فيهم السلطان الملك المظفر، فأخذ برلغي عشرة آلاف دينار، وكل من المقدمين ألفي دينار، وكل من الطبلخاناه ألف دينار، وكل من مقدمي الحلقة ألف درهم، وكل من أجناد الكرك خمسمائة درهم، ونزلوا تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة، لورود الخبر بعود الملك الناصر إلى الكرك. ثم ورد الخبر ثانياً بمسيره، فتجهز العسكر في أربعة آلاف فارس، وخرج برلغي ونائب الكرك ومن تقدم ذكره، وساروا في العشرين من شعبان إلى العباسة. فورد البريد من عند الأفرم نائب دمشق بقدوم أيتمش المحمدي عليه من قبل الملك الناصر، وبما شافهه به من الجواب، وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدي الحسامي والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار، وأشار بتأخير العسكر، فكتب بإقامتهم على العباسة. فقدم أيدغدي شقير وجوبان على الملك الناصر، وعرفاه أنهما قدما لكشف حاله، وحلفا له على القيام بنصرته، ورجعا إلى دمشق، فعرفا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد، فخاف أن يطرق دمشق بغتة، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم: منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، والأمير سيف الدين جوبان، والأمير كجكن، والأمير علم الدين الجاولي، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر. وكتب الأفرم إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصري، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين له، وحلف أمراء دمشق أنهم يخونون الملك المظفر ولا ينصرون الملك الناصر، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر. فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه.

فورد كتاب الأمير برلغي من العباسة بأن مماليك الأمير جمال الدين أقوش الرومي تجمعوا عليه وقتلوه، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه في جماعة من مماليك الأمراء، وقد فسد الحال، والرأي أن يخرج السلطان بنفسه. فأخرج المظفر تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء، وهم بشاش وبكتوت الفتاح وكثير من البرجية، وبعث إلى برلغي ألفي دينار، ووعده بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه. فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك، وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل من الغد إلى جهة الكرك .فلما كان

الليل رحل كثير ممن معه يريدون الملك الناصر، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه، وحرضه على الخروج بنفسه. فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر جكي قد وصل بكتاب الأمير برلغي على البريد إلى السلطان، فلما قضي صلاة الصبح تقدم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر، وناوله الكتاب، فلما قرأه تبسم وقال: سلم على برلغي، وقل له لا تخش من شيء، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية، وجدد لنا عهداً، وقد قرئ على المنابر، وجددنا اليمين على الأمراء، وما بقي أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين، فإنه قد أكد في كتابة العقد .ثم دفع المظفر إليه العهد الخليفتي، وقال: امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند، ثم يرسله لي، فإذا فرغ من قرائته يرحل بالعساكر إلى الشام ، وجهز له أيضاً ألفي دينار أخرى، وكتب جوابه بنظير المشافهة. فعاد بهادر إلى برلغي، فلما قرئ عليه الكتاب وانتهي إلى قوله: وإن أمير المؤمنين ولاني تولية جديدة، وكتب لي عهدًا، وجدد لي بيعة ثانية، فتح برلغي العهد فإذا أوله: إنه من سليمان، فقال: ولسليمان الريح، ثم التفت إلى بهادر وقال له: قل له يا بادر الذقن! واللّه ما معي أحد يلتفت إلى الخليفة، ثم قام وهو مغضب.

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلف أمراء الشام ثانياً، وبعث صدر الدين محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشهير بابن المرحل برسالة إلى السلطان، صار صدر الدين يجتمع عنده هو وابن عدلان، ويشغل السلطان وقته بهما. فأشارا عليه بتجديد البيعة، وكتابة عهد يقرأ على المنابر، وتحليف الأمراء، فإن ذلك يثبت قواعد الملك، ففعل ذلك وحلف الأمراء بحضرة الخليفة، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبي الربيع، ونسخته: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد اللّه وخليفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على المسلمين أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي لأمراء المسلمين وجيوشها." يأيها الذين آمنوا أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" وإني رضيت لكم بعبد ا لله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عني لملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقمته مقام نفسي لحينه وكفايته وأهليته، ورضيته للمؤمنين، وعزلت من كان قبله بعد علمي بتزوله عن الملك، ورأيت ذلك متعيناً علي، وحمت بذلك الحاكم الأربعة. واعلموا رحمكم اللّه أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر. وقد استخرتُ اللّه تعالى؛ووليت عليكم الملك المظفر، فمن أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصي أبا القاسم ابن عمي صلى اله عليه وسلم. وبلغني أن الملك الناصر بن الملك المنصور شق العصا على المسلمين، وفرق كلمتهم وشتت شملهم، وأطمع عدوهم فيهم، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبي الحريم والأولاد وسفك الدماء، وتلك دماء قد صانها اللّه من ذلك. وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك، وأدفع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم، وأقاتله حتى يفيء إلى أمر اللّه تعالى. وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائي - اللواء الشريف فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعة وقتاله إن استمر على ذلك، وأنا مستصحب معي لذلك السلطان الملك المظفر، فجهزوا أرواحكم والسلام. وقد قرئ على منابر الجوامع بالقاهرة في الجامع الأزهر وبجامع الحاكم، وقت الخطبة في يوم الجمعة، فلما بلغ القارئ إلى ذكر الملك الناصر صاحوا: لا! ما نريده!، ووقع في القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك.

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على البريد يحث السلطان على الخروج بنفسه، فإن النواب قد مالوا

كلهم مع الملك الناصر، فأجاب بأنه لا يخرج، واحتج بكراهيته للفتنة وسفك الدماء، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر، فإن قبلوا وإلا ترك الملك .ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغي أن جميع من خرج من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر، وتبعهم خلق كثر، و لم يتأخر غير برلغي وجمال الدين أقوش نائب الكرك وأيبك البغدادي وتناكر والفتاح لا غير، وذلك لأنهم خواص السلطان.

وأما الملك الناصر فإنه سار في أول شعبان بمن معه يريد دمشق، فدخل في طاعته الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبي وبكتمر الحاجب والجاولي، وكتبوا إليه بذلك، وأنه يتأنى في المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق. ثم كتبوا إلى الأفرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك الناصر، وأرادوا بذلك إما أن يخرج الأفرم إليهم فيقبضوه، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش. وكان كذلك: فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سير الملك الناصر من الكرك، فثارت العوام وصاحوا: نصره الله.

وركب الأجناد إلى النائب، فاستدعى من بقي من الأمراء والقضاة، ونادى: معاشر أهل الشام! ما لكم سلطان إلا الملك المظفر فصرخ الناس بأسرهم: لا! لا! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر.

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر، وانفرط الأمر من الأفرم. فاجتمع الأمير بيبرس العلائي والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه، فلم يثبت عندما بلغه ذلك، واستدعى علاء الدين بن صبح وكان من خواصه، وتوجه ليلاً إلى جهة الشقيف .فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عندما سمعا الخبر، وتوجها إلى الملك الناصر فسر بهما، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم. ثم قدم إليه أيضاً الجاولي وجوبان، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة، فخرج إليه بقية الأمراء والأبضاد، وقد عمل له سائر شعائر السلطنة من الصناجق الخليفتية والسلطانية والعصائب والجتر والغاشية. فحلف العساكر، وسار في يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة، فدخلها بعدما زينت زينة عظيمة. وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب، فبلغ كراء البيت من البيوت التي من ميدان الحصا إلى القلعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم. وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة، وحمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري الغاشية، وحمل الأمير الحاج بهادر الجتر. وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم، حتى إذا وصل باب القلعة خرج متولي القلعة وقبل الأرض، فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان. وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود، تحتها فرو سنجاب.

وفي وقت نزوله قدم مملوك قرا سنفر من حلب لكشف الخبر، وذكر أن قرا سنقر خرج من حلب، وقبجق خرج من حماة؛ فخلع عليه، وكتب إليهما بسرعة القدوم. وكتب إلى الأفرام أمان، وتوجه به علم الدين الجاولي. فلم يثق بذلك، وطلب يمين السلطان له، فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاي الجمدار، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح، فركب السلطان إلى لقائه، حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه. فأَعظم الأفرم نزول السلطان له، وقبل الأرض، وكان قد لبس كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفية، يعني أنه حضر بهيئة البطال من الإمرة، وكفنه تحت إبطه وعندما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد: يا مولانا السلطان بتربة والدك الشهيد لا تؤذيه، ولا تغير عليه، فبكي سائر من حضر. وبالغ السلطان في إكرامه، وخلع عليه وأركبه، وأقره على نيابة دمشق، فكثر الدعاء له وسار الناصر إلى القصر. فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلاً وجمالاً وثياباً بمائتي ألف درهم، تقدمة للسلطان.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرى: خطب بدمشق للملك الناصر، وصليت الجمعة بالميدان، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه قدم الأمير قرا سنقر نائب حلب، والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجي نائب طرابلس، وتمر الساقي نائب حمص. فركب السلطان إلى لقائهم في ثامن عشرى، وترحل لقرا سنقر وعانقه، وشكر الأمراء وأثنى عليهم. ثم قدم الأمير كراي المنصوري من القدس، وبكتمر الجوكندار نائب صفد. وقدم كل من النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله، ما بين ثياب أطلس وحوائص ذهب وكلفتاه زركش، وخيول مسرجة، وأصناف الجواهر والخلع والأقبية والتشاريف. وكان أجلهم تقدمة الأمير قطلوبك المنصوري، فإنه قدم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك، وأربع قطر بغال، وعدة بخاتي، وغير ذلك.
وشرع الملك الناصر في النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب، فلما انتهى أمر النفقة قدم السلطان بين يدية الأمير كراي المنصوري على عسكر ليسير إلى غزة، فسار إليها، وصار كراي يمد في كل يوم سماطاً عظيماً للمقيمين والواردين، وأنفق في ذلك أموالاً جزيلة من حصاله. واجتمع عليه بغزة عالم كبير، وهو يقوم بكلفهم ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم.
وقم الخير إلى القاهرة في خامس عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال، فقلق الملك المظفر، واضطربت الدولة، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد اللحاق بالملك الناصر، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وألزامه. و لم يتأخر عند الأمير برلغي من الأمراء والأجناد سوي خواص الملك المظفر، فتشاور مع جماعته، فاقتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضاً، فلم يوافق على ذلك البرجية، وعاد الأمير أيبك البغدادي وبكتوت الفتاح وقجمار وبقية البرجية إلى القاهرة، وصاروا مع الملك المظفر. وسار برلغي ونائب الكرك إلى الملك الناصر فيمن بقي من الأمراء والعساكر، فاضطربت القاهرة.
وكان الملك المظفر قد أمر في مستهل رمضان سبعة وعشرين أميراً، ما بين طبلخاناه وعشراوات: منهم من مماليكه صنقبحي وصديق وطومان، وقرمان، وغرلوا وبهادر وطرنطاي المحمدي، وبكتمر الساقي وقراجا الحسامي وبهادر قبجق، ولاجين أيتغلي وانكبار وطاشتمر أخو بتخاص، ومن ألزامه جركتمر بن بهادر رأس نوبة وحسن بن الردادي، وشقوا القاهرة على العادة، فصاحت بهم العامة: يا فرحة لا تمت.
أخرج المظفر أيضاً عدة من المماليك إلى بلاد الصعيد، وظن أن ينشئ له دولة. فلما بلغه مسير برلغي ونائب الكرك إلى الملك الناصر سقط في يده، وعلم زوال أمره، فإن برلغي كان زوج ابنته ومن خواصه، بحيث أنعم عليه في هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار. وقيل سبعين ألف دينار. وظهر عليه اختلال الحال، وأخذ خواصه في تعنيفه على إبقاء سلار النائب، وأن جميع هذا الفساد منه. وكان كذلك: فإنه لما فاتته السلطنة، وقام فيها بيبرس، حسده ودبر عليه، وبيبرس في غفلة عنه، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه.
وقبض في ليلة الجمعة ثاني عشره على جماعة من العوام، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسب الملك المظفر، فما زادهم ذلك إلا طغيانًا، وفي كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار. فلما أكثر البرجية من الإغراء بسلار قال لهم المظفر: إن كان في خاطركم شيء فدونكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط فأجمعوا على قبض سلار إذا عبر يوم الإثنين خامس عشره إلى الخدمة. فبلغه ذلك فتأخر عن

حضور الخدمة، واحترس على نفسه وأظهر أنه قد وعك، فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه، فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها.

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم، واستشارهم فيما يفعل .فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بتروله عن الملك، والإشهاد بنلك كما فعل الملك الناصر، وتسير إليه تستعطفه، وتخرج إلى الإطفيحية ممن تثق به، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر، . فأعجبه ذلك، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدوادري إلى الملك الناصر يسأله إحدى ثلاث: إما الكرك وأعمالها، أو حماة وبلادها، أو صهيون ومضافاتها.

ثم اضطرب المظفر آخر النهار، ودخل الخزائن، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب، وخرج في يومه من باب الإسطبل في مماليكه وعدتهم سبعمائة فارس، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الخطير الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح. والأمير سيف الدين قجماس، والأمير سيف الدين تناكر، في بقية ألزامه من البرجية. وكأنما نودي في الناس بأنه قد خرج هارباً، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل، وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه، وزادوا في الصياح حتى خرجوا عن الحد ورماه بعضهم بالحجارة. فشق ذلك على مماليكه، وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فيهم، فمنعهم من ذلك، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم، فأخرج كل من المماليك حفنة مال ونثرها. فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه، وأخذوا في العدو خلف العسكر، وهم يسبون ويصيحون، فشهر المماليك حينئذ سيوفهم، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم. وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء سابع عشره يصيحون باسم الملك الناصر. بإشارة الأمير سلار، فإنه أقام بالقلعة. وفي يوم الجمعة تاسع عشره: خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر، وأسقط اسم الملك المظفر، فكانت أيامه في السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، فكان كما قيل :

طائلاً غير نظرة من بعيد أعجلتها النوى فما نلت منها

عود السلطان ناصر الدين إلى الملك

عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك مرة ثالثة وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديار مصر، خرج من دمشق في الثانية من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان - وهي الساعة التي خلع فيها الملك المظفر بيبرس نفسه من الملك - وسار يريد مصر.

وعندما فر المظفر بيبرس جلس الأمير سلار في شباك النيابة، وجمع من بقي من الأمراء، واهتم بحفظ القلعة، وأفرج عن المحابيس بها. وركب سلار ونادى في الناس :ادعوا لسلطانكم لملك الناصر، وكتب إلى الملك الناصر بتزول بيبرس عن السلطنة وفراره، وسير بنلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن السلطنة، ويسأل إما الكرك أو حماة أو صهيون. فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضاً، وقدوم الأمير سيف الدين ساطي السلاح دار في طائفة من الأمراء، وقدوم العربان والتركمان. وقدم الأمير مهنا بجماعة من عرب آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه، وقدم برلغي ونائب الكرك، فسر السلطان بذلك سروراً كبيراً. وكتب الناصر إلى المظفر أمانا مع بيبرس الدودار وبهادر آص، وقدما في حادي عشرى

رمضان إلى الأمير سلار، فجهز الأمان إلى المظفر.
ولما تكاملت العساكر بغزة سار الناصر يريد مصر، فقدم أصلم مملوك سلار بالنمجاة، ووصل أرسلان الدوادار، فسر بذلك. و لم يزل الناصر سائراً إلى أن نزل بركة الحاج، وقد جهز إليه الأمير سلار الطلب السلطاني والأمراء والعساكر سلخ رمضان، وخرج الأمير سلار إلى لقائه. وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز في يوم الأربعاء مستهل شوال، وأنشد الشعرا مدائحهم، فمن ذلك ما أنشده شمس الدين محمد بن علي بن موسى الراعي أبياتاً منها :

الملك عاد إلى حماه كما بدا   ومحمد بالنصر سر محمدا

وإيابه كالسيف عاد لغمده   ومعاده كالورد عاوده الندى

الحق مرتجع إلى أربابه   من كف غاصبه وإن طال المدا

وعمل الأمير سلار سماطاً عظيماً بلغت النفقة عليه اثني عشر ألف درهم، جلس عليه السلطان :فلما انقضى السماط عزم السلطان على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس. فبلغه أن الأمير برلغي والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث إلى الأمراء يعلمهم. مما بلغه، ويأمرهم بالركوب فركبوا، وركب في مماليكه ودقت الكوسات. وسار الناصر وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد احتفت به مماليه كي لا يصل إليه أحد من الأمراء، وسار إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته. فلما بلغ بين العروستين ترجل سلار وسائر الأمراء، ومشوا إلى باب السر من القلعة، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة، وأمر الأمراء بالانصراف إلى منازلهم، وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل، فباتوا على ذلك.
وأصبح الناصر من الغد يوم الخميس ثانيه جالساً على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء، فقرأ محمد بن علي ابن موسى الراعي: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزمن تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير"، ثم دعا. ولما تقدم الخليفة وسلم، نظر إليه السلطان وقال له: كيف تحضر تسلم على خارجي، هل كنت أنا خارجياً وبيبرس كان من سلالة بني العباس؟، فتغير وجه الخليفة ولم ينطق. ثم التفت السلطان إلى القاضي علاء الدين علي بن عبد الظاهر الموقع، وكان هو الذي كتب عهد المظفر عن الخليفة، وقال له: يا أسود الوجه، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف: يا خوند! أبلق خير من أسود؟، فقال السلطان: ويلك! حتى ألا تترك رنكه أيضاً، يعني أن ابن عبد الظاهر ممن ينتمي إلى الأمير سلار، وكان رنك سلار أبيض وأسود، ثم التفت السلطان إلى قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة، وقال: يا قاضي! كنت تفتي المسلمين بقتالي؟ فقال: معاذ الله !إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتي . ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل، وقبل يد السلطان فقال له كنت تقول ما للصبي وما للملك يكلفه؟. فحلف بالله ما قال هذا، وإنما الأعداء أرادوا إ تلافه فزادوا في قصيدته هذا البيت. والعفو من شيم الملوك، فعفا عنه؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرض فيها بالناصر، من جملتها :

ماللصبي وما للملك يكفله   شأن الصبي لغير الملك مألوف

ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان، ففال السلطان للدوادار: قل له أنت أفتيت أنه خارجي وقتاله جائز، مالك عنده دخول؛ ولكن عرفه هو وابن المرحل أنه يكفيهما ما قال الشارمساحي فيهما. وكان من خير ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد ابن عبد الدائم الشارمساحي مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرض فيها بهجو الملك المظفر بيبرس وصحته لابن عدلان وابن المرحل، منها :

وناصر الحق وافي وهو منتصر ولي المظفر لما فاته الظفر

كادت على عصبة الإسلام تنتثر وقد طوى اللّه من بين الورى فتنا

أثواب عارية في طولها قصر فقل لبيبرس إن الدهرألبسه

لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا لما تولى الخير عن أمم

لا النيل وفي ولا وافاهم مطر وكيف تمشي به الأحوال في زمن

وابن المرحل قل لي كيف ينتصر ومن يقوم ابن عدلان بنصرته

وكان المطر لم يقع في هذه السنة، وقصر النيل، وارتفع السعر.

واتفق في يوم جلوس السلطان، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشد يقال له مسعود أحضره معه من دمشق، فقام وأنشد أبياتاً لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجه الملك الناصر من مصر إلى الكرك، منها :

وأريد لقاكم والمزار بعيد أحبة قبلي إنني لوحيد

ومن شف قلبي بالفراق فريد كفى حزناً أني مقيم ببلدة

وجوه أحبائي الذين أريد أجول بطرفي في الديار فلا أرى

نق فتواجد الأفرم وبكى، وحسر عن رأسه، ووضع الكلفتاه على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، وتناول الأمير فرا سنقر الكلفتاه بيده ووضعها على رأسه. وخرج السلطان فقام الجميع، وصرخت الجاويشية، فقبل الحاضرون الأرض.

وفيه قدم الأمير سلار من المماليك والخيول وتعابي القماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبل السلطان شيئاً ورد الباقي. وسأل سلار الإعفاء من نيابة السلطنة، وأن ينعم عليه بالشوبك؛ فأجيب إلى ذلك. وحلف سلار أنه متى طلب حضر، وخلع عليه، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافراً، فكانت ثيابته إحدى عشرة سنة، وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم، واستقر ابنه علي بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفي خامسه: قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان. وفيه استقر قرا سنقر في نيابة دمشق عوضاً عن الأفرم، وقبجق في نيابة حلب. والحاج بهادر الحلبي في نيابة طرابلس عوضاً عن أسندمر كرجي، وقطلوبك المنصوري في نيابة صفد عوضاً عن بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجي في نيابة حلب حماة عوضاً عن قبجق، وسنقر الكمالي حاجب الحجاب بديار مصر على عادته، وقرا لاجين أمير مجلس على عادته، وبيبرس الدوادار على عادته - وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس - في خامس ذي القعدة، واستقر الأفرم في نيابة صرخد بمائة فارس. وطلب شهاب الدين بن عبادة، ورسم له بتجهيز الخلع والتشاريف لسائر أمراء الشام

ومصر فجهزت، وخلع عليهم كلهم في يوم الإثنين سادسه، وركبوا فكان يوماً مشهوداً.
وفي يوم الأحد ثاني عشره: استقر فخر الدين عمر بن الخليلي في الوزارة، وصرف ضياء الدين أبو بكر النشائي، وعوق بالقلعة أياماً، ثم أفرج عنه ولم يحمل مالاً.
وفي يوم الخميس سادس عشره: حضر الأمراء الخدمة على العادة، وقد قرر السلطان مع مماليكه القبض على الأمراء، وأن كل عشرة يقبضون أميراً ممن عينه لهم، بحيث تكون العشرة عند دخول الأمير محتفة به، فماذا رفع السماط واستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عين لهم. فلما حصل الأمراء في الخدمة أحاط بهم المماليك، ففهموا القصد، وجلسوا على السماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة. وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار، فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين، وعدهم اثنان وعشرون أميراً، فلم يتحرك أحد لقبضهم من خشداشيتهم، وبهت الجميع. و لم يفلت ممن عير سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأنه رعف، وخرج من غير أن يشعر به أحد، واختفى عند الأمير قرا سنقر وكان زوج ابنته، فشفع فيه حتى عفى السلطان عنه. وكان الأمراء المقبوض عليهم :تناكر، وأيبك البغدادي، والعتابي؛ وبلبان التقوي، وقجماس، وصاروجا، وبيبرس عبد الله، وبيدمر، ومنكوبرس وأشقتمر، والسيواسي، والكمالي الصغير، وحسن الردادي، وبلاط، وتمربغا، وقيران، ونوغاي الحموي، والحاج بيليك المظفري، وفطقطوا، والغتمي، وأكبار، وتتمة الاثنين وعشرين.
وجرد عدد من الأمراء إلى دمشق، فأول من سافر علاء الدين مغلطاي المسعودي، وجبا أخو سلار، وطرنطاي البغدادي، وأيدغدي التليلي، وبهادر الحموي، وبلبان الدمشقي، وأيدغدي الزراق، وكهرداش الزراق، وبكتمر الأستادار، وأيدمر الإسماعيلي، وأقطاي الجمدار، وبوزبا الساقي وبيبرس الشجاعي، وكوري السلاح دار، وأقطوان الأشرافي، وبهادر الجوكندار، وبلبان الشمسي، وعدة من أمراء الشعراوات، فلما وصلوا إلى حلب رسم بإقامة ستة من أمراء الطبلخاناه وعود البقية.
وفي ثالث عشرى :استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطنة بديار مصر، عوضاً عن سلار.

وفي خامس عشرى: أحضر الأمير بيبرس الداودار الأموال من عند الملك المظفر بيبرس. وفيه أمر السلطان اثنين وثلاثين أميراً من مماليكه منهم تنكز الحسامي، وطغاي، وكستاي، وقجليس، وخاص ترك، وخلط قرا، وأركتمر، وأيدمر الشيخي، وأيدمر الساقي، وبيبرس أمير آخور، وطاجار، وخضر بن نوكاي، وبهادر قبجق، والحاج رقطاي، وأخوه أيتمس المحمدي، وأرغون الدوادار الذي صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، وسنقر المرزوقي، وبلبان الجاشنكير، وأسنبغا، وبيبغا الملكي، وأمير علي بن قطلوبك، ونوروز أخو جنكلي، والجاي الحسامي، وطيبغا حاجي، ومغلطاي العزي صهر نوغاي، وقرمشى الزيني، وبكتمر قبجق، وبيغر الصالحي، ومغلطاي البهائي، وسنقر السلاح دار، ومنكلي بغا. وركبوا جميعاً بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة وسوق الخيل، ورصت المغاني وأرباب الملاهي في عدة أماكن، ونثرت عليهم الدراهم، فكان يوماً مشهوداً. وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه، ومنهم أمراء عشراوات.
وفيه قبض على الأمير عز الدين أيدمر الخطيري الأستادار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح أمير جاندار، بعدما

حضرا من عند الملك المظفر وخلع عليهما. وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم، وطلب السلطان مباشرتهم.

وفيه سفر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها، وهم: الأقوش المنصوري قاتل الشجاعي، والشيخ علي التتري، ومنكلي التتري، وشاورشي بن قنغر الذي أثار فتنة الشجاعي، وكتبغا، وغازي وموسى أخوا حمدان بن صلغاي، فلما حضروا خلع عليهم، وأنعم عليهم بإمريات في الشام وأحضر شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان، فبالغ في إكرامه.

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح يومين، واتفق رأيه ورأي أيدمر الخطيري وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها، فلما بلغ المماليك هذا عزموا على مفارقتهم، فلما رحلوا من إطفيح رجع المماليك شيئاً بعد شيء إلى القاهرة، فما بلغ الملك المظفر إلى إخميم حتى فارقه أكثر من كان معه، فانثنى رأيه عن برقة. وتركه الخطيري والفتاح وعادا إلى القاهرة، فتبعهما كثير من المماليك المظفرية وهو يراهم. وبينما هو سائر قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر أص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس، فسار به بيبرس في النيل، وقدم بهادر آص في البر بالمظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم. وسأل المظفر يمين السلطان مع من يثق به، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء، وبعث إليه بنلك مع أيتمش المحمدي، فلما قدم عليه أيتمش بالغ في إكرامه، وتحير فيما يفعله، وكتب الجواب بالطاعة، وأنه يتوجه إليه ناحية السويس، وأن كريم الدين يحضره بالخزانة والحواصل التي أخذها فلم يعجب السلطان ذلك، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة ليردوه، وأطلع على ذلك بكتمر الجوكندار النائب وقرا سنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس.

فلما كان يوم الخميس الذي قبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال أولئك الأشرفية: وأي ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم، وهذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره، قد صار اليوم حاكم المملكة - يعني قرا سنقر. فنقل هذا لقرا سنقر، فخاف على نفسه، وأخذ في التعمل على الخلاص من مصر، والتزم للسلطان أنه يتوجه و يحصل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة، فإن في بعث الأمراء لنلك شناعة، فمشي ذلك على السلطان، ورسم بسفرهما. فخرج قرا سنقر هو وسائر النواب إلى ممالكهم، فعوق السلطان أسندمر كرجي نائب حماة عن السفر، وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجي لإحضار المظفر مقيداً، فاتفق دخول فرا سنقر والأمراء إلى غزة قبل المظفر، فلما بلغهم قربه ركب قرا سنقر وسائر النواب والأمراء ولقوة شرقي غزة، وقد تقى معه عمد من مماليكه وقد تأهبوا للحرب، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم .فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال، وقال: أنا كنت ملكاً وحولي أضعافكم، ولي عصبة كثيرة من الأمراء، وما اخترت سفك الدماء، وما زال حتى كفوا عن القتال، وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء، وأسلم نفسه إليهم، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة، وأخفوا سلاح مماليكه ووكلوا بهم من يحفظهم، وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر. فأدركهم أسندمر كرجي بالخطارة، فأنزل في الوقت المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه، فبكي وتحدرت دموعه على شيبته.

فشق ذلك على قرا سنقر وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض، وقال: لعن اللّه! الدنيا فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم. فترجلت الأمراء، وأخفوا كلوثته ووضعوها على رأسه. هذا مع أن قرا سنقر كان أكبر الأسباب في زوال دولة المظفر، وهو الذي حسن للملك الناصر حتى كان ما كان.

ثم عاد قراسنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام، وأخذ بهادر يلوم قرا سنقر على مخالفة رأيه، فإنه كان قد أشار على قراسنقر في الليل بعد القبض على المظفر بأن يخلي عنه حتى يصل إلى صهيون، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته، ويخيفا الناصر بأنه متى تغير عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك .فلم يوافق قراسنقر على ذلك، وظن أن الملك الناصر لا يستحيل عليه ولا على المظفر، فلما رأى ما حل بالمظفر ندم على مخالفة بهادر. وبينما هما في ذلك إذ بعث أسندمر كرجي إلى قراسنقر بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة، وكان عزمه أن يقبض عليه أيضاً، ففطن فراسنقر بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم، وجد في المسير، وعرف أنه ترك الرأي في مخالفة بهادر.

وقدم أسندمر بالملك المظفر في ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة، فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبل الأرض، فأجلسه وعنفه بما فعل به، وذكره بما كان منه وعدد ذنوبه، وقال: تذكر وقد صحت على وقت كذا بسبب فلان، ورددت شفاعتي في حق فلان، واستدعيت نفقة في وقت كذا من الخزانة فمنعتها، وطلبت في وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتني. ويلك! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي، والمظفر ساكت. فلما فرغ كلام السلطان قال له: يا مولانا السلطان كل ما قلت فعلته، و لم تبق إلا مراحم السلطان .وإيش يقول المملوك لأستاذه. فقال له: يا ركن الدين أنا اليوم أستاذك، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوي إيش يعمل بالأوز، الأكل هو عشرون مرة في النهار. ثم أمر السلطان به إلى مكان، وكان ذلك ليلة الخميس، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة. ثم جاء السلطان وأمر به فقتل، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل، وغسل به في ليلة الجمعة خامس عشرة، ودفن خلف القلعة.

وقدم كريم الدين أكرم بن العلم بن السديد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل، فقربه السلطان وأدناه وأثنى عليه، ووعده بكل جميل إن أظهره على ذخائر بيبرس، ونزل إلى داره. فبذل كريم الدين جهده في تتبع أموال بيبرس، وخدم طغاي وكستاي وأرغون الدوادار، وبذل لهم مالا كثيراً حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره، لا يبرحون في الثناء عليه مع السلطان .وقدم من كان مع بيبرس من المماليك وعدهم ثلاثمائة، ومعهم الخيل والهجن والسلاح، ومبلغ مائتي ألف درهم وعشرين ألف دينار، وستون بقجة من أنواع الثياب. فقبض السلطان الجميع. وفرق المماليك على الأمراء، واختص منهم بكتمر الساقي الآتي ذكره وما صار إليه، واختص أيضاً طوغان الساقي وقباتمر وبلك في آخرين. واستدعى السلطان القضاة، وأقام عندهم البينة بأن جميع مماليك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأملاك اشترى من مال بيت المال. فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس، وإحضار نصف ما يتحصل فإنه للسلطان، ودفع النصف الآخر لابنة بيبرس - امرأة الأمير برلغي الأشرفي - فإنه لم يترك سواها. فشدد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جداً، وحمل منها إلى السلطان، وأهدي إلى الأمراء الخاصكية القائمين بأمره والعناية به، وادخر لنفسه. وباع موجود بيبرس، وكان

شيئاً كثيراً: فوجد له ثمانين بذله ثياب، ما بين أقبية وبغالطيق للبسه، وستين سروالاً، وثمانين قميصاً. وصار كريم الدين يتردد إلى بيت الشهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدث في أملاكه، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدث في سائر أمور المملكة، ويقرب إليه بما يحب. وطلب الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي مباشري الأمراء المقبوض عليهم، وطالبهم بالأموال.

وأما قرا سنقر والنواب فإنه سقط في أيديهم، وداخل كلا منهم الخوف على نفسه من السلطان، واتفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه، فلم يفدهم ذلك. وكان من خبرهم ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما فات السلطان قرا سنقر لم ير القبض على أسندمر كرجي، وخلع عليه وولاه نيابة حماة، وسار إليها. وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب فخر الدين على حوطات الأمراء.

ثم ركب السلطان إلى الميدان في موكب عظيم، واجتمع الناس لرؤيته، واستأجروا الحوانيت والدور بمال كبير، فكان يوما مشهوداً.

وفي أول ذي الحجة: دخل الأمير قرا سنقر دمشق. وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على البريد إلى الشوبك بتشريف سلار، وأنعم عليه بمائة فارس، وأخرجت له بلاد من خاص الكرك زيادة على ما بيده من الشوبك، وكتب له به منشور.

وفيه وسط تحت القلعة سبعة من ممالك أقوش الرومي، بسبب أنهم تولوا قتله وأخنوا ماله، وصاروا إلى الكرك كما تقدم.

وفيه منع الأويراتية من الدخول إلى الخدمة السلطانية: وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء، فلما خامروا على أستاذيهم وفروا إلى السلطان بالكرك ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يداً، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون في خدمة السلطان ويقفون فوق المماليك السلطانية، فشق ذلك على المماليك، وأغروا السلطان بهم حتى تنكر لهم، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاذيهم وأنهم لا خير فيهم، إلى أن منعهم السلطان.

وفيه كتب لقرا سنقر نائب دمشق بمحاربة العشير وقتلهم، وكانت بنو هلال وبنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر الدولة، فبعث إليهم قرا سنقر تجريدة أحضرت رؤوسهم، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف دحرهم، وحبس رهائنهم، وبعث يسأل الإنعام عليه بمبلغ، فأنعم عليه. وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآملي إلى مشيخة سعيد السعداء، وعزل عنها بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر عوضه جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على بن القسطلاني في خطابة القلعة، وكان قد عزل منها ابن جماعة أيضاً لتغير السلطان عليه. وأنعم على الأمير نوغاي القبجاقي بإمرة دمشق عوضاً عن قطلوبك، وسار إليها. وكتب بقطع خبز الأمير قطلوبك الأوشاقي والطنقش أستادار الأفرم وعلاء الدين علي بن صبيح مقدمي الجبلية وحملهم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير برلغي الأشرفي وطغلق السلاح دار ومغلطاي الفارقاني، وكتب لقرا سنقر بالقبض على نوغاي وبيبرس العلمي، فقبض عليهما وسحنا بقلعة دمشق. وأحيط بسائر ما لهما.

وفيها كانت حرب بالمدينة النبوية: وذلك أن الشريف مقبل بن جاز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور، فتركه وقدم إلى القاهرة، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد، واستخلف ابنه كبيشة. ففر كبيشة عنها وملكها مقبل، فعاد كبيشة بجمع كبير وحاربه وقتله، واستقر منصور بمفرده.

ومات في هذه السنة

ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخاري، القرطبي المتحد، القنائي المولد والوفاة، في رابع ذي القعدة، وكان رئيساً ببلده.

ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحمامي البغدادي، بمكة في جمادى الآخرة.

ومات نبيه الدين حسن ابن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصاري الأسعردي، بالقاهرة في أول جمادى الآخرة، ولي حسبة القاهرة، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائي وزيراً تولى هو نظر الدولة، مات بمصر عن سبع وسبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الفقيه الحنبلي، في المحرم بمصر، وكان بارعاً في الفقه والنحو.

ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري في ربيع الأول؛ ودفن خارج باب النصر، بعدما استعفى من الإمرة ولزم داره حتى مات ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القمولي الشافعي، بقوص في جمادى الأولى؛ وكان صالحاً عالماً بالفقه والتفسير والحديث.

ومات قاضي القضاة شرف الدين عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحراني الحنبلي، ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول، ودفن بالقرافة، ومولده بحران سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين طغريل الإيغاني، بالقاهرة في عاشر رمضان.

ومات الأمير عز الدين أيبك الخازندار، بالقاهرة في سابع رمضان.

ومات الأمير عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسراني، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة، يوم الخميس عاشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق، بعد عزله.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الدواداري بدمشق أيضاً.

ومات الأمير علاء الدين علي بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل، بقلعة الجبل، وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتا، ثم دفن.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمي شاد الدواودين، بدمشق في يوم الأحد ثاني عشرى جمادى الأولى.

ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبي عصيدة ابن يحيى الواثق بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، في عاشر ربيع الآخر، وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، ووفى بعده الأمير أبو بكر بن أبي زيد عبد الرحمن ابن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد، لأنه قتل ظلماً بعد ستة عشر يوماً، وبويع بعده أيضاً الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم.

ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة، في يوم السبت ثاني رجب، وكان عند المظفر بيبرس بمكانة عظيمة قرره

مشيراً، فكانت تحمل إليه فوط العلامة، فيمضي منها ما يختاره ويكتب عليه عوض، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا، وكذلك كتب البريد، و لم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه، فامتنع، وكان مشهوراً بالأمانة والعفة، مهيباً له حرمة، لا يخالط أحداً ولا يقبل هدية.

سنة عشر وسبعمائة

أهل المحرم: فوردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجوهر، وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك، فأجيب بالشكر.
وصرف قاضي القضاء بمر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعي، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن مجد الدين أبي حفص عمر بن شرف الدين أبي الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذرعي الشهير بالزرعي الشافعي، في يوم الثلاناء تاسع عشرى صفر.

وعزل قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي في رابع ربيع الأول، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستدعى شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب بن أبي عمر الأنصار الدمشقي المعروف بابن الحريري الحنفي من دمشق إلى القاهرة، واستقر في قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر في رابع ربيع الآخر.
وعزل الأمير علاء الدين كشتغدي البهادري من شد الدواوين، واستقر عوضه بلبان المحسني، ثم عزل بلبان بعد أيام بعلم الدين سنجر الخازن. واستقر شمس الدين غبريال في نظر الدواوين، وعزل شاورشي بن قنغر من ولاية القاهرة.
وفي ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته، فقبض علاء الدين سمك وجبا وداود وأمير على وساطي. وقبض على الأمير طشتمر الجوكندار وكوري السلاح دار وسيف الدين الطشلاقي وقلغاي، وتتمة ستة عشر أميراً. وكتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم عندما قدم السلطان من الكرك: وهم ألطنبغا وأشقتمر وعبد الله والأقوش المنصوري والشيخ علي التتري وبينجار النتري ومرسي وغازي وأخوا حمدان بن صلغاي وطرنطاي المحمدي وأقطوان الأشرفي، فقبض عليهم خوفاً من شرهم وإقامتهم الفتن. وكتب إلى نائب حلب بالقبض على فخر الدين أياز نائب قلعة الروم، فقبض عليه، وأخذ ماله فكان ألف ألف درهم، حملت إلى السلطان.
واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصروي في وزارة دمشق، وسار من القاهرة في سابع صفر. واستقر الأمير بكتمر الحسامي الحاجب في نيابة غزة، عوضاً عن بلبان البدري، وسار في سابع عشري المحرم. وندب الأمير بدر الدين القرماني لكشف القلاع الشامية، فسار ومعه أمين الدين عبد اللّه بن الغنام. وقبض السلطان على قطقطواه والشيخ على وضروط مماليك سلار، وأمر جماعة من المماليك منهم بيبغا الأشرفي وسيف الدين جغطاي وطيبغا الشمسي وبكتمر قبجق وبهادر السعيدي الكركري وطشتمر أخو بتخاص والعمري وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسي وفردز الكمالي وبيحوا وقرا وأيدمر الدوادار وبهادرالنقيب.
وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب في جمادى الأولى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، فسأل في أشياء

منها: ولاة حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل علي، فأجابه السلطان إلى ذلك، ووعده بحماة عوضاً عن أسندمر كرجي، ومنها الشفاعة في عز الدين أيدمر الشيخي، فعفا عنه السلطان وأخرجه إلى قوص، ومنها الشفاعة في الأمير برلغي الأشرفي وكان في الأصل قد كسبه مهنا من التتر، وأهداه للملك المنصور قلاوون، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل فعدد السلطان ذنوبه، وما زال به مهنا حتى خفف عن برلغي، وأذن للناس في الدخول عليه، ووعده بالإفراج عنه بعد شهر، فرضي منها بذلك، وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء.

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكتاش الفخري، وكتب على يده كتابا بحضوره، فاعتذر عن الحضور بوجع في فؤاده، وأنه يحضر إذا زال عنه. فتخيل السلطان من تأخيره، وخاف أن يتوجه إلى التتار، فكتب إلى قرا سنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب طرابلس يأخذ الطريق على سلار لئلا يتوجه إلى التتار، وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولي إلى سلار، وأكد عليهما في إحضاره، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره في أمور المملكة فقدما عليه وبلغاه عن السلطان ما قال، فوعد بأنه يحضر، وكتب الجواب بذلك، فلما رجعا اشتد قلق السلطان وكثر خياله.

وأما سلار فإنه تحير في أمره، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان، ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار، إما إلى التتار أو إلى اليمن أو برقة. فعول سلار على المسير إلى اليمن، ثم أجمع على الحضور إلى السلطان، وخرج من الشوبك وعنده ممن سافر معه من مصر أربعمائة وستون فارسا، وسار إلى القاهرة، فقدم وقبض عليه في سلخ ربيع الآخر، وسجن بالقعة.

وفيها عزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل من وظائفه بدمشق، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر.

وفيها ضيق على الأمير برلغي بعد سفر الأمير مهنا، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه، ومن أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفي برلغي على الموت قتل، بعدما يبست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع، ومات ليلة الأربعاء ثاني رجب.

وفيها قتل الأمير سلار أيضاً بقلعة الجبل، في رابع عشري جمادى الأولى، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا. ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء. ثم ماتت أمه بعد أيام. وكان سلار عاقلا له رأي وحزم، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتر.

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب، وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنيابة حماة سار إليها من دمشق. فمنعه أسندمر كرجي، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان. فاتفق موت قبجق، فسار أسندمر من حماة إلى حلب، وكتب يسأل السلطان نيابتها، فغضب السلطان من أسندمر، وأسر ذلك في نفسه.

وفيها عزل الأمير بكتمر الحاجب عن نيابة غزة، وأحضر إلى القاهرة، وولي نيابة غزة الأمير قطلقتمر.

وفيها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي من الوزارة، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين، واستقر الأمير بكتمر الحاجب في الوزارة في حادي عشر رمضان، واستقر فخر الدين أياز أستادار

سنقر الأعسر في شد الدواوين. واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلار النائب استاداره بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدي، فلم يزل حتى قبض على سلار وأحيط بماله، ورسم على أياز مع سائر مباشريه، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين في المصادرة، ليستخرج منهم المال فحمل أياز للخازن ألف دينار، وللصاحب فخر الدين ألف دينار، فرد الخازن المال وقبله الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن، وسلما لأياز ليستخرج المال منهما فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها، وقال لقاصده: سلم عليه، وقل له ما لنا عنده شيء، وطيب خاطره، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها، وقال لقاصده: عرفه أني أخذت وديعتي التي كان أخذها مني، ثم إن الأمير بكتمر الجوكندار شفع فيهما، فأفرج السلطان عنهما.

وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة لمعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكري ورسل ملك الكرج بهدايا سنية في رجب، وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر، وبنى فيها مسجد، ولا يمكن نقض ذلك، ورسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التي بالقاهرة وكنيسة اليهود، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء.

وفيها كتب بعزل نجم الدين البصري عن وزارة دمشق، وولاية شرف الدين حمزة القلانسي عوضه. وقمم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلي نائب طرابلس، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحاً زائداً، فإنه كان يخشاه ويخشى شره.

والتفت السلطان إلى أسندمر كرجي نائب حلب، وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراي المنصوري وهو مقدم العسكر، وسنقر الكمالي حاجب الحجاب، وأيبك الرومي، وبينجار، وكجكن، وبهادر آص، وفي عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمي الحلقة، وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجي بتجهيز آلات الحصار على العادة، والاهتمام في هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرد من مصر، وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراي من القاهرة مستهل ذي القعدة، بعدما أخلع عليه، وأسر إليه السلطان ما يعتمده في أمر كرجي.

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة، ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه، وله من العمر ست سنين، في ليلة الأحد حادي عشر رجب، ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين، بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجاولي لتجهيزه .واشتد حزن أمه عليه، ووقفت على القبة ما خصها من إرث الملك الأشرف خليل، ورتبت عند قبره القراء.

وفيها عظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان، وضرب أكابر العنبر بالمقارع، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم : وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك مملوكاً جميل الصورة، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما لا ينبغي، فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم.

وضرب ابن عبادة أيضاً شهاب الدين أحمد النويري صاحب التاريخ بالمقارع: وذلك أنه كان استنابه في المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما، وجعله يدخل على السلطان ويطالعه بالأمور، فاغتر بذلك وبسط القول في ابن

عبادة. فلم يعجب السلطان منه وقيعته في ابن عبادة، وعرف ابن عبادة ما قاله في حقه، وسلمه إليه ومكنه منه، فضربه بالمقارع ضرباً مبرحاً وصادره، فلم يشكر النويري أحد على ما كان منه.

وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطة بمصر من السلطان، وخاف منه، واتفق بكتمر مع الأمير بتخاص المنصوري على إقامة الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصاع علي بن قلاوون في السلطنة، والاستعانة بالمظفرية، وبعثوا إليه بذلك فوافقهم. وشرع النائب في استمالة الأمراء، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء، على أن كل طائفة تقبض على الأمير التي هي بخدمته في يوم عينه لهم، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة، وقد نزل هناك الأمير موسى. فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر، و لم يبق إلا وقوعه، فأراد بيبرس الجمدار أحد المظفرية الذين انتظموا في سلك هذا العقد أن يتخذ يداً عند السلطان، وعرف خوشداشيته قياتمر الخاصكي بما وقع الاتفاق عليه، فبلغ الخبر إلى السلطان، وكان في الليل، فلم يتمهل السلطان، وطلب أمير موسى إلى عنده، وكان يسكن بالقاهرة، فلما نزل إليه الطلب هرب. واستدعى السلطان الأمير بكتمر النائب، وبعث أيضاً في طلب بتخاص، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص فسقط في يد بكتمر، وعلم بأنه قد هلك، فقيد بتخاص وسجن، وأقام السلطان في انتظار أمير موسى، فعاد إليه الجاولي ونائب الكرك وأخبراه بفراره، فاشتد غضبه عليهما. وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء، وعرفهم ما كمان قد تقرر من إقامة أمير موسى وموافقة. بتخاص له، و لم يذكر بكتمر النائب. وألزم السلطان الأمير كشتغدي البهادري والي القاهرة بالنداء عليه، ومن أحضره من الجند فله إمرته، وإن كان من العامة أخذ ألف دينار. فنزل كشتغدي ومعه الأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين وأيدغدي شقير وسودي وعدة من المماليك، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى، وقبض على حواشي موسى وجماعته وعاقب كثيراً منهم. فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة، ثم قبض عليه من بيت أستادار الفارقاني من حارة الوزيرية بالقاهرة، وحمل إلى القلعة فسجن بها. ونزل الأمراء إلى دورهم، وخلى عن الأمير بكتمر النائب أيضاً، ورسم بشمير أستادار الفارقاني، ثم عفى عنه وسار إلى داره.

وتتبع السلطان المماليك المظفرية فقبض عليهم، وفيهم بيبرس الذي نم عليهم وعملوا في الحديد. وأنزلو ليسمروا تحت القلعة، وقد حضر نساؤهم وأولادهم، وجاء الناس من كل موضع، فكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم، والسلطان ينظر، فأخذته الرحمة وعفا عنهم، فتركوا ولم يقتل أحد منهم.

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حمص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراي، حتى قدم عليه الأمير منكوتمر الطباخي بكتب السلطان لكراي ولكرجي نائب حلب بما يتعمدانه من المراسيم. وقد كتب السلطان معه أيضاً مطلقات إلى أمراء حلب بقبض كرجي، وحمله مشافهات لكراي وغيره، فقضى منكوتمر شغله من كراي بحمص، وسار إلى حلب. فرحل كراي في أثره، وجد في السير إلى حلب جريدة من غير أثقال، فقطع من حمص إلى حلب في يوم ونصف، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير، وصاح يال علي وهي الإشارة التي رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة فنزل النائب عند ذلك من القلعة بجميع رجالها، وقد استعدوا للحرب، وزحف ومعه الأمير كراي على دار النيابة، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها. فسلم كرجي و لم

يقاتل، فأخذ وقيد وسجن بالقلعة، وأحيط بموجوده، وسار منكوتمر الطباخي على البريد بذلك إلى السلطان. ثم حمل أسندمر كرجي إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأيبك الرومي، فخاف قرا سنقر عند ذلك على نفسه، وسأل أن ينقل من دمشق إلى نيابة حلب، ليبعد عن السلطان، فأجيب إلى ذلك، وكتب تقليده وجهز إليه في أخريات ذي الحجة.

وفيها استقر كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت التاج بن سعيد الدولة في نظر الخاص ووكالة السلطان، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة، في يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى.

وفيها قدم أسندمر كرجي، فاعتقل بالقلعة، وبعث يسأل عن ذنبه عنده، فأعاد جوابه: ما لك ذنب إلا أنك فلت لما ودعتك عند سفرك، أوصيك يا خوند لا تترك في دولتك كبشاً كبيراً، وأنشئ مماليكك، ولم يبق عندي كبش كبير غيرك.

وفيها قبض على طوغان نائب البيرة، وحمل إلى السلطان فحبسه أياماً، ثم ولاه شد الدواوين بدمشق. وخرج الأمير أرغون الدوادار على البريد بتقليد فرا سنقر حلب، وأسر إليه القبض عليه إن أمكن ذلك.

وفيها قدم الشريف منصور أحمد بن جاز من المدنية النبوية بتقادم، فأنعم عليه بإعادة ما خرج لأخيه مقبل.

وفيها استعفى الطواشي شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة، فأعفي.

واتفق في هذه السنة أمر غريب قلما عهد مثله: وهو موت سلطان مصر، وقاضيها إمام الحنفية في عصره، ومفسرها، والمتكلم على القلوب، وواعظها، وشيخ شيوخها وإمام الشافعية وعالمهم، ومحتسبها، وناظر جيوشها، وأديبها فقتل السلطان الملك المظفر بيبرس في ذي القعدة. وتوفي القضاة إمام الحنفية في عصره شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروحي المصري، عن ثلاث وسبعين سنة، في يوم الخميس ثالث عشرى رجب، ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسع - وثلاثين وستمائة، وأخذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب وغيره، ودفن بالقرافة، وله على كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل، وله اعتراضات على التقي ابن تيمية.

ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم ابن إبراهيم بن عباس الأنصاري البخاري المعروف بابن الرفعة الفقيه الشافعي المصري، في ليلة الجمعة ثامن عشر رجب، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة. وتوفي الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوي، في تاسع ذي القعدة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الرائق الفائق، في ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبري، في سادس شعبان، ومات شيخ الشيوخ خانكاه السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين أبي بكر الآملي الطبري، في تاسع شوال، وولي بعده علاء الدين على بن إسماعيل القونوي.

ومات القاضي بدر الدين حسن بن نصر الأسعردي المحتسب، في مستهل جمادى ا لآخرة.

ومات القاضي بهاء الدين أبو محمد عبد اللّه بن أحمد بن علي بن المظفر بن الحلي ناظر الجيوش، في ليلة العاشر من شوال.

ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعي الموصلي في ثامن عشرى جمادى الآخرة، ومولده بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة، وكان كثير المجون والشعر البديع، وله كتاب طيف الخيال، لم يصنف مثله في معناه.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو الربيع بن أبي عامر بن السلطان أبي يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن عبد الحق المريني، في آخر جمادى الآخرة، وبويع بعده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن راضي العزازي التاجر، عن بضع وسبعين بالقاهرة في تاسع عشرى المحرم، وله ديوان شعر كبير ومات فخر الدين إسماعيل بن عبد القوي بن الحسن حيدرة الحميري الإسنائي المعروف بالإمام الفقيه الشافعي، بعدما كف بصره، بمدينة قوص.

ومات شهاب الدين أحمد بن علي بن عبادة وكيل الخاص، في ليلة الأحد سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة؛ودفن بالقرافة؛ وولي بعده كريم الدين أكرم.

ومات أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاقي ناظر الدواوين بديار مصر، ليلة الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى ، ودفن بالقرافة، وكان ديناً خيراً كثير الإحسان، ولي نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام.

ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجا بن حسن ابن محمد من ولد الحارث بن مسكين، أحد أعيان الفقهاء الشافعية عصر ليلة السبت ثامن جمادى الأولى.

ومات الشريف أبو عبد اللّه محمد بن علي بن أبي طالب، عرف بالشريف عطوف الحسيني الموسى العطار، ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة، ودفن خارج باب النصر، وقل حديثه.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البيدغاني نائب بغراس، مقتولاً بيد مماليكه.

ومات الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي نائب طرابلس، في ربيع الآخر.

ومات الشيخ الصالح عبد اللّه بن ريحان التقوي السمسار بمصر، حدث عن ابن المقير وابن رواح وغيره.

ومات بهاء الدين على بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبي المصري، الصدر المعمر المعروف بابن القيم، في ذي القعدة، وقد تعين للوزارة، ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان سليم العقل والحواس.

ومات الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب حلب، في جمادى الأولى.

ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب التاجي، في سادس ذي القعدة.

ومات بحر الدين أبو البركات عبد اللطيف ابن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعي، يوم الأحد ثامن عشرى جمادى الآخرة بالقاهرة، ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، وولي قضاء العسكر.

ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين علي بن السكري في حياة أبيه، ليلة السبت حادي عشر رجب بمصر.

ومات الأمير سيف الدين قشتمر الشمسي، بدمشق.

ومات الطواشي شهاب الدين مرشد الخازندار المنصوري، بالقاهرة في ليلة الخميس ثالث ذي القعدة وكان خيرًا، وانفرد بالرواية عن جماعة، وولد سنة ثلاث عشر وستمائة، ومات و لم تتغير حواسه.

ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع الموصلي أمير علم، بمصر في تاسع رجب. ومات خضر بن الخليفة أبي الربيع سليمان، في ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير برلغي الأشرفي في سجن القلعة، بعدما يبست أعضاؤه وجف لسانه من الجوع في ليلة الأربعاء ثامن رجب.

ومات الأمير حسام الدين طرنطاي البغدادي.

ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين أرغون الجمقدار.

ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح الشيرازي صاحب التصانيف، رمضان.

ومات الأمير سيف سلار في ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى، وكان من التتار الأويراتية، وصار إلى الملك الصالح علي بن قلاوون، وبقي بعد موته في خدمة الملك المنصور قلاوون حتى مات، ثم دخل في خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وحظي عنده، فلما قتل حظي عند لاجين لمودة كانت بينهما، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر، وكان من أخباره ما تقدم ذكره، إلى أن قدم من الشوبك، فترك في السجن حتى مات جوعاً، وتولى الأمير علم الدين سنجر الجاولي دفنه بتربته على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، وكان سلار أسمر، لطيف القد أسيل الخد، لحيته في حنكه سوداء، ظريفاً في لبسه، اقترح أشياء نسبت إليه إلى يوم، وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم: فكان يدخل إليه من أجر أملاكه في كل يوم ألف دينار مصرية، ومن إقطاعاته وضماناته وحماياته تتمة مائة ألف درهم في اليوم، عنها حينئذ زيادة على خمسة آلاف دينار مصرية، وكان بقطاعه أربعين إمرة طبلخاناه، وكان عاقلاً متأنياً داهياً قليل الظلم، واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة: فوجد له في يوم ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف، وبلخش زنة رطلين ونصف، وزمرد تسعة عشر رطلاً، وستة صناديق فيها جواهر، ومن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة، عين مصري مبلغ مائي ألف و أربعة وأربعين ألف دينار، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف و أحد وسبعين ألف درهم، ووجد له أيضاً في يوم فصوص مختلفة زنة رطلين، وذهب عين مصري مبلغ خمسة وخمسين ألف في دينار، ودراهم فضة ألف ألف درهم، وحلي ذهب أربع قناطير، وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة، ووجد في يوم ذهب مصري مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار، ودراهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم، وفضيات ثلاثة قناطير، ووجد في يوم ذهب عين ألف ألف دينار، وفضة ثلاثمائة ألف درهم، ووجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقم، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب، وأربعمائة قباء بغير فرو، وسروج ذهب مائة سرج، ووجد له ثمانية صناديق لم يعلم فيها، حملت مع ما تقدم إلى السلطان، ووجد له ألف تفصيلة ما بين طرد وحش وعمل الدار، ووجد له خام ست عشر نوبة، ووصل معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهباً، وأربعمائة ألف درهم وسبعين ألف درهم، وثلاثمائة خلعة ملونة وخركاه بغشاء حرير أحمر معدني مبطن بحرير أزرق مروى، وستر بابها زركش ووجد له ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار

بغال، وعشرون قطار جمال، ومن الغنم والبقر والجواري والمماليك والعقار شيء كثير جداً، ووجد له في موضع بين حائطين عدة أكياس لم يدر ما فيها ولا كم عدها، ووجد له في المرحاض شبه فسقية، كشف عنها فإذا هي مملوءة ذهباً؛ ووجد له من القمح والشعير والفول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب، وذلك سوى ما أخذ من أخوته ومباشريه وحواشيه وأسبابه، فإنهم صودروا جميعاً حتى مقدم شونه وجباة أملاكه، فاجتمع من ذلك ما لا يدخل، تحت حصر لكثرته، واللّه يؤتي ملكه من يشاء.

سنة إحدى عشر وسبعمائة

في مستهل المحرم: وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق، فاحترس منه الأمير قرا سنقر على نفسه، وبعث إليه عدة من مماليكه يتلقونه ويمنعون أحداً ممن قدم معه أن ينفرد. مخافة أن يكون معه من الملطفات للأمراء ما فيه ضرر. ثم ركب إليه قرا سنقر ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة، وأنزله عنده بدار السعادة، ووكل بخدمته من ثقاته جماعة. فلما كان الغد أخرج له أرغون تقليد نيابة حلب، فقبّله وقَّبل الأرض على العادة، وأخذ في التهيؤ للسفر، و لم يدع أرغون ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد.

وكثر تحدث الناس بدمشق في مجيء أرغون، وأنه يريد قبص قرا سنقر، وأن قرا سنقر قد حضره، فهم الأمراء بالركوب على قرا سنقر وأخذه، ثم خشوا العاقبة، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك، فكفوا عنه.
وصار الأمير بيبرس العلائي يركب بمماليكه في الليل، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس. وبلغ ذلك قرا سنقر، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون، وقال لهم: إنه قد بلغني أن بعض الأمراء يركب في الليل، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هارباً، وما فعل هذا إلا برأيكم ولابد أن يكون علمه عندك يا أمير أرغون. فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض علي فما يحتاج إلى فتنة، فإني طالع للسلطان وهذا سيفي خذه، وحل سيفه. فقال له أرغون: لم أحضر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش اللّه أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين، وأبكز أرغون أيضاً أن يكون عنده علم بركوب الأمير بيبرس العلائي في الليل حول السور، فوعد قرا سنقر أنه يتوجه غدًا إلى حلب، وانفض المجلس.
ثم إن قراسنقر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته، واستعد وقدم أثقاله أولاً في الليل. فلما أصبح ركب يوم الرابع من المحرم في مماليكه وعدتهم ستمائة فارس، وركب أرغون بجانبه وبهادر آص في جماعة قليلة. وسار قرا سنقر، فقدم عليه الخبر أن الأمير سنقر الكمالي الحاجب قد تأخر في حلب بجماعة من عسكر مصر، فعرج عن الطريق حتى إذا قارب حلب نزل، وقال لأرغون: لا أدخل حلب وبها أحد من عسكر مصر، فبعث أرغون إلى سنقر الكمالي يأمره بالخروج من حلب فلما رحل عنها سنقر الكمالي دخل إليها قراسنقر في نصف المحرم، ولبس التشريف وقرئ تقليده على العادة، وأعاد الأمير أرغون وقد أنعم عليه.
فوصل أرغون إلى دمشق، وقلد الأمير سيف الدين كراي المنصوري نيابة دمشق في يوم الخميس حادي عشرى، وألبسه التشريف على العادة، وقرئ تقليده، وركب الموكب. ثم أَنعم كراي على أرغون بألف دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك، وأعاده إلى مصر، فشكره السلطان على ما كان من حسن تأنيه وإخماد الفتنة. وقدم

الأمير سنقر الكمالي بالعسكر أيضاً، فخلع عليه وأجلس بالإيوان.
وفي صفر. توجه الأمير طوغان المنصوري إلى دمشق متولياً شاد الدواوين، عوضاً عن فخر الدين أياز، فقدمها في ثامن عشره، وقبض على أياز وألزمه بثلاثمائة ألف درهم. وولى الأمير ركن الدين بيبرس العلائي نيابة حمص.
وفيها عزل الصاحب عز الدين حمزة القلانسي وزير دمشق، وعوق حتى حمل أربعين ألفاً انساقت باقيا على ضمان الجهات، ثم أفرج عنه وقدم القاهرة، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما حمله إلى دمشق واستعاده.
وفيها عزل الأمير بكتمر الحسامي عن الوزارة، واستقر أمين الدين عبد اللّه بن الغنام ناظر الدواوين عوضه في الوزارة. وأنعم على الأمير بكتمر بإمرة، عوضاً عن سنقر الكمالي، وولى حاجباً، وذلك في سادس ربيع الآخر.
وفي يوم الأثنين حادي عشريه: أعيد قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي واستقر الزرعي في قضاء العسكر وتدريس الجامع الحاكمي، ورسم له أن يجلس بين الحنفي والحنبلي بدار العدل.
وفي مستهل جمادى الأولى: استقر الأمير علم الدين سنجر الجاولي في نيابة غزة، وقبض على الأمير قطلو قتمر نائب غزة.
وقدم الخبر من سيس بأن فرنج جزيرة المصطكى أسروا رسل السلطان إلى الملك طقطاي، ومن معهم من رسل طقطاي وعدهم ستون رجلاً، وأنه بعث في فدائهم ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يداً عند السلطان، فلم يمكنوه منهم. فكتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقالهم كلهم، فأحيط بحواصلهم وحبسوا بأجمعهم .وحضر أحد تجار الجنوية فضمن إحضار الرسل وما معهم، فمكن من السفر.
وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارته على ساحل مصر، وعين موضع الجامع الجديد وكان بستاناً يعرف بالحاج طيبرس وشونا وغير ذلك، فاستبدل بالأرض على رأي الحنابلة، فإنها كانت وقفاً. نزل السلطان حتى رتبه، وأقام الفخر على عمارته.

وفيها قبض على الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر، في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وقبض معه على عدة أمراء، منهم صهره ألكنتمر الجمدار، وأيدغدي العثماني، ومنكوتمر الطباخي، وبحر الدين أيدمر الشمسي، وأيدمر الشيخي، وسجنوا إلا الطباخي، فإنه قتل في وقته. ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن بكتمر الجوكندار في يوم السبت ثامن عشره.
وفيها أمر أن يجمد السلطان الجلوس بدار العدل في كل ثنين، فحار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة. وجلس السلطان في يوم الإثنين عشريه، ونودي في الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل،فخاف الأمراء وغيرهم، وأدوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى، ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل، ووقع عليها بين يديه، وحكم بين الناس، وأنصف المظلوم، واستمر الجلوس في كل يوم إثنين.
وفيها صرف السلطان قاضي القضاة زين الدين أبا الحسن علي بن مخلوف، بسبب مفاوضة في مكتوب، ثم أعاده بعد أيام في سادس رجب، وخلع عليه.
وفيها استدعى السلطان القضاة، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر

السلطنة بحضورهم، وخلع عليه. فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها، فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار، وأحالهم بها على كريم الدين، فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون فحلفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام، فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده، واستشار الأمير علاء الدين بن هلال الدولة والصلاح الشرابيشي، فحسب له أخذ حاصل المارستان المنصوري والاقتراض، من تجار الكارم بقية المبلغ وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ في عدة وافرة، ولهم أموال عظيمة .ومضى من الأجل يومان، وأصبح في اليوم الثالث آخر الأجل فأتاه الفرنج وقت الظهر لقبض المال، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم. وبينا هو في ذلك إذ أتاه تجار الكارم، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضا، فسأل التجار الفرنج عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين، فقالوا: لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال، وقد وعدنا بقبضه اليوم. فطالبهم الكارمي بماله من مبلغ القراض، فوعدوه بأدائه. وبلغ ذلك كريم الدين، فسر به سروراً زائداً وكتمه، وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه، فلم يعرف الكارم بشيء من أمره، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالاً، بل قال: ما بالكم من الفرنج؟ فعرفوه أمر القراض الذي عند الافرنجي، فقال لهم : مهما كان عند الإفرنجي هو عندي. ففرح الفرنج بذلك، وأحالوا الكارمي على كريم الدين بستة عشر ألف دينار، وهي التي وجبت عليه بحوالة السلطان، ودفعوا أربعة آلاف تتمة عشرين ألف دينار للكارمي. وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعهم بغير مال، والتزم للكارمي بالمبلغ، فمضى هو وبقية التجار من غير أن يقترض منهم شيئاً، فعد هذا من غرائب الاتفاق.

وفيها قبض على الأمير قطلوبك نائب صفد. وأنعم على الصاحب نجم الدين البصروي بإمرة.

وفيها قرر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، وهي التي كانت تسمى مقرر الخيالة، فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراي نائب دمشق أعسف بالناس في الطلب، وضرب جماعة وأخذ مالاً كبيراً، فتجمع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزويني، وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام، ووقفوا للنائب، فأمله بهم فضربوا وطردوا طرداً قبيحا، فكثر عليه الدعاء، فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام.

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثاني عشرى جمادى الأولى على البريد، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على الأمير سيف الدين كراي، ووصل أيضاً في هذا اليوم مملوك كراي، وصحبته تشريف وحياصة وسيف لمخدومه، واتفق قدوم رسل التتر. فأوصل الأمير أرغون الكتب إلى الأمراء، وأصبح كراي يوم الخميس فركب المركب، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف، ولقدوم الرسل. فلما فرغ الأكل، وانصرفت الرسل، أحاط الأمراء بكراي وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه، فقبض عليه وهو بتشريفه، وحمل مقيداً إلى الكرك، فسجن بها. وكان القبض عليه في يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى، وقبض في غده على قطلوبك نائب صفد، وسجن بالكرك. واستقر في نيابة دمشق عوض الأمير كراي الكبير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه في مستهل جمادى الآخرة، فقدمها في رابع عشره.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص في نيابة صفد، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أقوش، وقد توجه إليها. ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرماني بشد الدواوين بدمشق، وكتب على يده مساحة بما قرره كراي. وتوجه بكتوت مع الأمير جمال الدين أقوش إلى دمشق، فقدمها في رابع عشر جمادى الآخرة، قرئت

المسامحة على منبر الجامع، فسر الناس بذلك. وقبض بدمشق على الأمير بكتوت الشجاعي، وسيف الدين جنقار الساقي، وحملا إلى الكرك.
وفيها نقل الأمير بكتمر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجي من سجن الإسكندرية إلى سحن الكرك؛ فاجتمع بالكرك من الأمراء المعتقلين بكتمر الجوكندار، وأسندمر كرجي، وكراي المنصوري، وقطلوبك المنصوري نائب صفد، وبيبرس العلائي، في آخرين.
وفيها استقر الأمير سيف الدين بيبغا الأشرفي في نيابة الكرك، عوضاً عن الأمير أيتمش المحمدي، وكان السلطان قد استنابه بها لما خرج منها إلى دمشق.
وفيها وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة، ومعه عدة من التتر مقيمين، أسرهم في الغارة على التتر، فأنعم عليه بمائة ألف درهم.
وفيها قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه، وقتل خواصه.
وفيها أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب، أقامها له الشيخ أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر اللحياني، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعدة من الأجناد، وكان ذلك في شهر رجب، وكان الأجناد قد قدموا مع بيبرس، بعدما قدمها أبو يحيى من مصر في جمادى الأولى.
وفي ثامن عشر رمضان: كتب باستقرار الأمير بلبان في نيابة قلعة دمشق، عوضاً عن بهادر السنجرلي. ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة.
وفي سادس شوال: قبض على الصاحب أمين الدين عبد اللّه بن الغنام، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل، وقرر عليهما مال، فحملاه وهما معوقان بالقلعة، من غر أن يلي أحد. ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادي عشريه، وخلع عليهما، واستقرا على عادتهما. فمات التاج في ذي القعدة، وإستقر عوضه في نظر الدولة تقي الدين أسعد ابن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي، وولى التاج إسحاق والموفق هبة الله وظيفة مستوفي الدولة، وكانا كتابا لسلار.
وفيها توجه السلطان إلى بلاد الصعيد. ورسم بنقص الإيوان الأشرفي بقلعة الجبل، فنقض وجدد، فلما عاد السلطان جلس فيه على العادة.
وفيها وصل كرنبس ملك النوبة بالقود المقرر عليه، بعد قتل أخيه. وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن، بهدية ومائتي جمل ومائتي جمال وخيول ووحوش وطيور، ففرق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر.
وفيها استقر علاء الدين علي بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير في كتاب السر، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري، في يوم الأحد سابع ذي الحجة، ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن أخيه محيي الدين يحيى. وكان ابن الأثير قد توجه من مصر مع السلطان، هو وجمال الدين إبراهيم بن المغربي، فلما أقام بالكرك خيرهما، فاختارا الإقامة عنده، فلما عاد إلى ملك مصر رعى لهما ذلك، وأقر ابن الأثير في كتابة السر، وابن المغربي في رياسة الأطباء.

وفيها أخذ الأمير قرا سنقر في التدبير لنفسه، خوفاً من القبض عليه كما قبض على غيره؛ واصطنع العربان

وهاداهم، وصحب سليمان بن مهنا وأخاه، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى، حتى صار الجميع من أنصاره، وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب، وأقام عنده أياما، وأفضى إليه بسره، وأنه خائف من السلطان، وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا، وأنه لم يوافق على ذلك، فغضب الأمير مهنا، وأخذ يسكن ما بقرا سنقر، وانصرف وقد اشتد غضبه .وبعث قرا سنقر يسأل السلطان في الإذن له بالسفر إلى الحج، فأذن له في الحج، وقد سر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه، وبعث إليه بألفي دينار وخلعة. وكتب السلطان إلى الأمير مهنا يطلب منه فرساً عينه، وأن يحضر إلى مصر لزيارته - وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقرا سنقر. فدبر أمرا يعمله معه أيضاً - فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب. وجهز قرا سنقر حاله. وخرج من حلب في نصف شوال، ومعه أربعمائة مملوك واستناب الأمير شهاب الدين قرطاي، وترك عدة مماليكه بحلب لحفظ حواصله.

فلما قدم البريد بمسيره من حلب كتب لقرطاي بالاحتراس، وألا يمكن قرا سنقر من حلب إذا عاد، ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك، وكتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بني عقبة بأخذ الطريق على قرا سنقر؛ فقدم البريد بأنه سلك البرية على صرخد إلى زيزاء. ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان، لورود الخبر من ثقاته بمصر بما عزم عليه السلطان، وما كتب به، فعاد من غير الطريق التي سلكها. ففات أهل الكرك القبض عليه، وكتبوا بالخبر إلى السلطان، فشق عليه ذلك، وكتب بكشف أخباره، وكتب إلى حلب بمنعه منهما ومنع مماليكه من الخروج إليه، وإن وجدت فرصة تقبض عليه، قدم قرا سنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان. فمنعه قرطاي من الدخول، وعوق من بحلب من مماليكه عن الخروج إليه، فسقط في يده ورحل، وكتب إلى الأمير مهنا بما جرى له، فكتب مهنا إلى قرطاي بأن يخرج حواصل قرا سنقر إليه، وإلا هجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهراً. فخاف قرطاي من ذلك، وجهز كتابه إلى السلطان في طي كتابه، وبعث بشيء من حواصل قرا سنقر إليه مع الأمير عز الدين فرج بن قرا سنقر. وانصرف قرا سنقر عن حلب وقصد البرية، ثم جهز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية، وكذلك جملة من أمواله، فقدم فرج أواخر ذي الحجة، وانعم السلطان عليه بإمرة عشرة، أقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين علي بن قرا سنقر. وقدم سليمان بن مهنا إلى قرا سنقر، وأخذه حتى أنزله في بيت أمه، واستجار بها من السلطان فأجارته. وأتاه الأمير مهنا وأولاده، وقام له بما يليق به، وكتب يعرف السلطان بنزول قرا سنقر في أبياته، وأنه استجار بأم سليمان فأجارته، وسأل العفو عنه، وبعث بذلك أحد أولاده. فأجاب السلطان سؤاله، وكتب إليه أن يخبر قرا سنقر في بلد من البلاد حتى يوليه.

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فيها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستادار، حسام الدين لاجين الجاشنكير، وعلاء الدين مغلطاي المسعودي، وشمس الدين الدكز الأشرفي، ولاجين العمري، في مضافيهم من الطبلخاناه والعشراوات. ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى، فيها الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، وسيف الدين وآل ملك، وجنكلي بن البابا، وأمير حسين بن جندر، في جماعة من الخاصكية مثل أرغون الدوادار، وأرقطاي، وأيتمش، وجغطاي، والجاي الساقي، وطقطاي الساقي. وكنب السلطان لنائب دمشق بتجريد كجكن وكتبغا الحاجب بمضافيهما، وجعل مقدم هذه العساكر قرا لاجين الأستادار، وصاحب السر والمشورة أرغون الدوادارة فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا.

فاستعد قرا سنقر، وكتب إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه، فأجابه بالموافقة، ووعده بالحضور إليه. وكتب الأفرم إلى صهره الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدر عليه ولحاقه به وبقرا سنقر، وجهز إليه خمسة آلاف دينار ليفرقها فيمن يستميله، ونزل العسكر السلطاني حمص. فأرادا قرا سنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال، وكتب إليه مع مملوكه، وكتب إليه مهنا مع ولده بالدعاء والشكر، وأن قرا سنفر قد اختار صرخد، وسألا يمين السلطان بالوفاء، وإخراج ما لقرا سنقر بحلب من المال وتمكينه منه. فمر ابن مهنا ومملوك قرا سنقر على حمص، وعرفا الأمير قرا لاجين وأرغون الدوادار بدخول قرا سنقر في الطاعة، وأنه عين صرخد .فمشى ذلك عليهما، وكتبا معهما إلى السلطان بمعنى ذلك. فانخدع السلطان أيضاً، وكتب تقليد قرا سنقر بنيابة صرخد، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش المحمدي، وكتب لأيتمش بأن يوصل الملطف إلى مهنا سراً، وأن طقطاي يتوجه إلى حلب، ويخرج ما لقرا سنقر بها من المال، ويسيره إليه. وأنعم السلطان على مملوك قرا سنقر بألف دينار، ووعده أنه متى قام على أستاذه حتى يعود إلى الطاعة أنعم عليه بإمرة، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا. فسارا إلى حمص، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء، وسارا بأيتمش إلى قرا سنقر فسر به وأنزله، واحتج بأنه لا يتوجه إلى صرخد حتى يأتيه ما له في حلب، فتحيل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا، فأطلع عليه قرا سنقر.

وبينا هم في ذلك إذ قدمت أموال قرا سنقر التي كانت بحلب إليه، فإن طقطاي توجه إليها وبعث إلى قرا سنقر بما كان له فيها فما هو إلا أن وصل ماله بحلب، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضاً من الغد، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات في جماعة من التركمان. وقدم الزردكاش، ومعه الأمير بلبان الدمشقي والي القلعة، وبيبرس الحسامي، فسر قرا سنقر بقدومهم. ولما استقر بهم المترل استدعوا أيتمش، وعددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بحمص، وعرفهم الخبر، فركبوا عائدين إلى مصر بغير طائل، ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومن تبعه.

وفيها أفرج عن الأمير عز الدين أيدمر الخطيري، وأنعم عليه بخبز الجاولي.

وفيها ولي شمس الدين غبريال كاتب قرا سنقر نظر الجامع الأموي بدمشق والأوقاف، عوضاً عن شرف الدين ابن صصري، وكان غبريال لما خرج قرا سنقر من حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولى ذلك.

وفي ثالث ذي الحجة: قدمت تقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير بدر الدين بكتوت الخازنداري - عرف بأمير شكار - نائب الإسكندرية، وكانت وفاته بعد عزله، في ثامن عشرى رجب بالقاهرة، وأصله من مماليك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر في الأيام الظاهرية، وتنقل حتى اشتهر في الأيام العادلية كتبغا وصار أمير شكار، ثم ولى الإسكندرية وكثر ماله، واختص بيبرس وسلار، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسن للسلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائما، فندب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغوي المعروف بابن الوزيري، وفرض العمل على سائر الأمراء،

فأخرج كل منهم أستاداره ورجاله، وركب ولاة الأقاليم. ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبعمائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحظ ما حد له، فكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار ثمانية آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج الأصلي من حد شنبار يدخل الماء، فجعل فم هذا البحر يرمي إليه، وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثماني قصبات. فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجد، وجعل بحراً واحداً، وركب عليه القناطر. ووجد في الخليج من الرصاص المبني تحت الصهاريج شيء كثير، فأنعم به على بكتوت هذا. فلما فرغ أنشأ الناس عليه أراضي وسواقي، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية، فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية، وسارت فيه المراكب الكبار، واستغنى أهل الثغر عن خزن الماء في الصهاريج، وعمر عليه نحو ألف غيط، وعمرت به عدة بلاد. وتحول الناس حتى سكنوا ما عمر من الأراضي على الخليج، فصار بعدما كان سباخاً سواقي القصب والقلقاس والسمسم وغيره. فلما تم ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسراً، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفاً واحدا نحو الثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس، وعمل أساسه رصاصاً، وأنشأ بجانبه خاناً وحانوتاً، وعمل فيه خفراء، وأجرى لهم رزقة، فبلغت النفقة عليه نحو ستين ألف دينار. وأعانه على ذلك أنه هدم قصراً قديماً خارج الإسكندرية وأخذ حجره، ووجد في أساسه سرباً من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح، فحصل منه جملة عظيمة من الرصاص. ثم إنه شجر ما بينه وبين صهره، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله، وكتب أمين الدين عبد الله بن الغنام - وهو مستوفي الدولة - عليه أوراقاً بمبلغ مائة ألف دينار، فطلب إلى القاهرة. ولما قرئت عليه الأوراق قال :قبلوا الأرض بين يد السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان راضياً عنه فكل ما كتب كذب، وإن كان غير راضياً فكل ما كتب صحيح. وكان قد وعك في سفره من الإسكندرية، فمات بعد ليال في ثامن عشر رجب وأخذ، له مال عظيم جداً، وكان من أعيان الأمراء وكرمائهم وشجعانهم مع الذكاء والمروءة والعصبية، وله مسجد خارج باب زويلة، وله عدة أوقاف على جهات بر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري، مات بدمشق.

ومات الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الحسين بن الحنبلي التميمي، وهو معزول، ليلة عيد الفطر، ودفن بالقرافة، ومولد، في سنة أربعين وستمائة، وكان كريماً جواداً.

ومات مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومي الشافعي، وكيل بيت المال، في ثامن ربيع الأول بالقاهرة، دفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء، وولى الحسبة في الأيام المنصورية قلاوون، وصحب الشجاعي، وأضاف له قلاوون وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات، فعظمت مهابته، وعيب عليه مجونه وعزله وكثرة اجتماعه بالشجاعي ومعاشرته له، وكان الوزير ابن الخليلي يبكته بذلك، وكان لا يكتب في أخر كتبه سوى :حسبنا الله فقط، من غير ونعم الوكيل ، وسئل أن يكتب ونعم الوكيل فأبى.

ومات قاضي القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي الحنبلي، في يوم الأربعاء رابع عشرى ذي الحجة، ودفن بالقرافة، وسمع وخرج وصنف، وصار من الأئمة الحفاظ، وكتب على سنن أبي دادو قطعة.

ومات الشيخ صالح محمد العربان، في ثامن عشر رجب.

ومات شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعي، في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يكتب في التوقيع، وله معرفة بالإنشاء، وبلغ الغاية في جودة الكتابة، وانتفع الناس بالكتابة عليه، وكان فاضلاً شجاعاً مقداماً لسناً متكلماً، يرمي في دينه بالعظائم، ويعرف عدة لغات، وله نظم ونثر.

ومات الطبيب شرف الدين عبد اللّه بن أحمد بن أبي الحوافر رئيس الأطباء، في ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال، ودفن بالقرافة، وكان ديناً فاضلاً رضي الأخلاق ماهراً في علم الطب.

ومات التاج عبد الرحمن الطويل القبلي الأسلمي، ناظر الدواوين، في ثاني عشرى ذي القعدة، وقد انتهيت إليه معرفة الكتابة الديوانية، وكان إسلامه في الأيام الأشرفية، وله صدقات كثيرة.

ومات القاضي محيي الدين محمد بن قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي، ليلة الخميس حادي عشر ذي الحجة، وكان ينوب عن أخيه بالقاهر في الحكم، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه، فمات في حياته، وكان من النجباء.

ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن علي، في ثالث عشرى المحرم، عن بضع وثمانين سنة، ودفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وروءساء القاهرة وأماثل كتاب الإنشاء، ومن رواة الحديث. ومات شمس الدين محمد ابن يوسف الجزري الشافعي خطيب جامع ابن طولون، وكان يعرف بالمحوجب، وكان عارفاً بالفقه والأصول، ودرس بالمعزية بمصر.

وفيها قتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، في جمادى الأولى، فكانت مدته نحو عامين، وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحياني من طرابلس، فملك تونس بعده.

سنة اثنتي عشر وسبعمائة

فيها انتهت عمارة الجامع الجديد الناصري بساحل مصر، فنزل السلطان إليه، ورتب فيه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعية خطيباً، ورتب فيه أربعين صوفياً في سطحه، وأربعين صوفياً بداخله ورتب لكل منهم الخبز واللحم في اليوم. ومبلغ خمسة عشر درهماً في الشهر، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازي ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة، وعمر له ربعاً وحماماً، وأقام له خطيباً .وأول صلاة صليت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر، بإمامة الفقيه تاج الدين أبي عبد اللّه محمد بن الشيخ مرهف، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. فحكر الناس حوله، وبنوا الدور وغيرها.

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى بلاد التتر، وأنهم بعثوا بأولادهم وحريمهم إلى مصر .وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير ممن تبعهم من المماليك والتركمان، فبعث قرا سنقر ولده الأمير فرج، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به، وأمرا بتقبيل الأرض بين يدي السلطان، وأن يبلغاه أن الأمراء ما حملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف، وأن الأولاد والحريم وداعه، فليفعل السلطان معهم ما يليق به، فقدما إلى القاهرة، وبقيا في الخدمة. وسار الأمراء إلى ماردين، وكتبوا إلى خربندا بقدومهم، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم، وتقدم إلى ولاة الأعمال بخدمتهم والقيام لهم. بما يليق بهم. فلما

قاربوا الأرد وركب خربندا وتلقاهم، وترجل لهم لما ترجلوا له، وبالغ في إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه، وأجلسهم معه على التخت، وضرب لكل منهم خركاه، ورتب لهم الرواتب السنية. ثم استدعاهم بعد يومين، واختلا بقرا سنقر، فحسن له عبور الشام، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال، ثم خلا بالأفرم فحسن له أيضاً أخذ الشام، إلا أنه خيله من قوة السلطان وكثرة عساكره. فأقطع خربندا مراغة لقرا سنقر، وأقطع همذان للأفرم، واستمروا هكذا.

وفي يوم الأحد عاشر ربيع الأول: قبض السلطان على القاضي فخر الدين محمد ابن فضل الله ناظر الجيش، وعلى ولده شمس الدين: وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين فخر الدين أياز الشمسي مشد الدواوين، اشتط فيها القاضي على الفخر أياز الشمسي وأهانه، فاجتمع أياز بالدواوين وعرفهم ماله من الأموال والدواليب في أعمال مصر، واجتمع بالسلطان وأغراه به، والتزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكنه منه، فاشتد بأسه حينئذ، وجلس على باب القلعة، وفتح مع الفخر باب شر، وأغلظ في القول بحضرة الأمراء إلى أن قال له: أنت كسرت معاملات السلطان وخربت بلاده، وأخذت أراضي الخاص عملتها لك رزقاً، ثم نهض وقال: أنا باللّه وبالسلطان، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدي السلطان، فبسط أياز لسانه، وحانق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان، قال له: تسلمه وخذ مالي منه، فأخذه إلى قاعة الصاحب وكتب أياز إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقي أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده في القاهرة ومصر، وتتبعت حواشيه، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز، وبعث إلى طغاي وكستاي وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي أمير جاندار، فتحدثوا في أمره مع السلطان على أن ينقل إلى بيبرس الأحمدي، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئاً فتسلمه لبيبرس أمير جاندار من أياز.
وفيها كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد، فحضر واستقر عوضاً عن الفخر في نظر الجيش. وتمكن أياز من حاشية الفخر، وضرب جماعة منهم بالمقارع، وأخذ سائر موجودهم، وحمل الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم. ثم أفرج السلطان عنه وعن ولده وخلع عليهما، في يوم الأربعاء خامس عشرى ربيع الآخر، واستقر الفخر عوضاً عن معين الدين هبة الله ابن حشيش صاحب ديوان الجيش. و لم يوفق ابن شيخ السلامية وارتبك في المباشرة، بحيث أن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة، ثم يجيب بغير الغرض، فتبين جهله بمعرفة جيش مصر.
وفي حادي عشرى ربيع الأول: ولي قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقي الدين أحمد بن عز الدين عمر بن عبد الله المقدسي، عوضاً عن سعد الدين مسعود الحارثي.
وفي سادس ربيع الآخر: أمر السلطان ممن مماليكه ستة وأربعين أميراً منهم طبلخاناه تسعة، وعشراوات سبعة عشر، وألوف عشرون؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش، وكان يوماً عظيماً.
وفيها قدم العسكر المجرد إلى الشام في يوم الإثنين ثاني ربيع الآخر، وطلع الأمراء إلى القلعة، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قرا سنقر: منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق، وخلع عليه -وبيبرس المنصوري نائب السلطنة بمصر، وسنقر الكمالي، ولاجين الجاشنكير، وبينجار، والدكز الأشرفي، ومغلطاي المسعودي، و سجنوا.

وفيها استقر سودون الجمدار نائباً بحلب في ربيع الأول، وتمر الساقي المنصوري في نيابة طرابلس في ربيع الآخر.
وفيها كتب بطلب فضل أخي مهنا وولده أبي بكر، وسير إليه تقليد الإمرة عوضاً عن مهنا، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد، وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار .وفيها قبض أيضاً في رابع ربيع الأول على بيبرس العلمي بحمص، وعلى الأمير بيبرس المجنون .والأمير علم الدين سنجر البرواني، والأمير طوغان المنصوري، وبيبرس التاجي، وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك، فسجنوا بها لميلهم مع قرا سنقر.
وفيها استقر الأمير تنكر الناصري في نيابة دمشق، عوضاً عن الأمير جمال الدين نائب الكرك، مستهل ربيع الآخر، وسار على البريد يوم الجمعة سابعه، فدخلها يوم الخميس عشرى ربيع الآخر، ورسم له ألا يستبد بشيء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاي، والأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار.
وفي سادس عشر ربيع الآخر: أمر السلطان في يوم واحد ستة وأربعين أمير منهم طبلخاناه تسعة وعشرون، وعشراوات سبعة عشر، وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع.
وفي يوم الأثنين أول جمادى الأولى: استقر الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري نائب السلطنة، عوضاً عن بيبرس الدوادار المنصوري. ورسم بنيابة صفد لبلبان طرنا أمير جاندار، عوضاً عن بهادر آص، وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميراً على عادته، فسافر إليها.

وفيه ركب السلطان إلى بر الجيزة، وأمر طقتمر الدمشقي، وقطلوبغا الفخري المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدري حمص أخضر.
وفيها هدم السلطان الرفرف الذي أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعي.
وفيها ورد الخبر في أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه، وإقامته عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام .وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوي عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب، وانفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر، وكمل في أول جمادى الأولى، فكان السلطان يعرض في كل يوم أميرين بنفسه من مقدمي الألوف، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد، وترحلوا شيئاً بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشريه، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.
وخرج السلطان في ثاني شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل في يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدي. فلما كان ثامنه قدم البريد برحيل التتار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة، وعودهم إلى بلادِهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر في قانون وعسقلان، وعزم على الحج .ودخل السلطان دمشق في تاسع عشره، وخرج منها ثاني ذي القعدة إلى الكرك، وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الصاحب أمين الدين بن الغنام بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك في ثامن ذي القعدة، وتوجه إلى الحجاز في أربعين أميراً.
وفيها خرج الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال، فأوقع الحوطة على الوزير والمباشرين، وطالب محيي الدين بن

فضل اللّه بمال كبير عمل به أوراقاً، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده، وتتبع حواشيه؛ وصادر أمين الدين أكثر الناس.

وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من ولاية البهسنا إلى ولاية القاهرة، أقام الأمير أيتمش المحمدي نائب الغيبة الحرمة، ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصري الأمير مظفر الدين قيدان الرومي.

وفيها استقر في نيابة قلعة دمشق عز الدين أيبك الجمالي، عوضاً عن بلبان البدري، ثم كتب بأن يكون بلبان شريكاً له، فباشرا جميعاً.

وفيها قدت هدية الأشكري

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

ضياء الدين أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن القرشي الإسنائي المعروف بابن الخطيب. الفقيه الشافعي، وكانت وفاته ببلدة أدفو في شوال، وهو في الطريق إلى الحج، فحمل إلى سنا فدفن بها.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن أبي نصر الشيرازي، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها، في رجب عن بضع وخمسين سنة.

ومات عماد الدين أبو العباس أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الفقيه الحنبلي، في جمادى الآخره بمصر، ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغماري الفقيه أبو محمد المالكي، سبط زيادة بن عمران، وكانت وفاته في شوال بمصر، قرأ القرآن، وكان خيراً فاضلاً.

ومات نور الدين على بن نصر اللّه بن عمر القرشي - المعروف بابن الصواف - الخطيب الفقيه الشافعي، في رجب بمصر. ومات أبو الحسن علي بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبي الدمشقي - قارئ المواعيد -الفاضل الصالح، في ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة، ومات نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم ابن عبد عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي بحماة، وكان فاضلاً ديناً، ومات الملك المنصور نجم الدين غازي بن المنصور ناصر الدين أرتق بن إيلغازي بن البن بن تمر تاس بن ايلغازي بن أرتق الأرتقي، صاحب ماردين، في تاسع رجب، وكانت إمرته نحو عشرين سنة، وكان مهاباً، فقام بعده ابنه الملك العادل علي، وأقام سبعة عشر يوماً، ثم ملك أخو الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور.

ومات الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، يوم الإثنين ثاني عشر رجب بالقاهرة، عن نيف وسبعين سنة، وقد حدث، وماتت امرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده، فحرجت الجنازتان معاً، وكان قد حج، وقدم القاهرة من طريق القدس بعدما زاره، ومولده بالكرك في عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان ديناً متواضعاً فاضلاً. ومات الأمير علم الدين سنجر الصالحي أمير آخور بدمشق، عن مال كبير جداً، مات شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسي في خامس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يباشر التوقيع في الإنشاء، ويكتب الخط المليح، ويقول الشعر،

ويغلب عليه الهجاء، مع تفننه في علوم كثيرة.

ومات تاج الدين عبد الرحيم بن تقي الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهوري، في يوم الثلاثاء، سابع عشر ربيع الآخر، وباشر نظر النظار بديار مصر ستين سنة، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأباها، وكان أميناً كثير الخير، ولم ينكب قط، وعاش مائة وتسع سنين، عزل قبل موته.

ومات قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي الحنفي بدمشق، وهو معزول.

ومات الشيخ عمر بن الشيخ أبي عبد اللّه بن النعمان، بمصر يوم الأربعاء خامس عشرى رمضان.

ومات شهاب الدين غازي بن أحمد الواسطي بحلب، في ثامن عشر ربيع الآخر، ولى نظر الدواوين بمصر مدة، ثم نقل إلى نظر حلب، وولي نظر دمشق ونظر الصحبة، وكتب بديوان الإنشاء مدة.

ومات الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز بن أحمد ابن عمر بن جعفر بن اللهيب، في خامس عشر جمادى الآخرة.

ومات بطرابلس الأمير علاء الدين مغلطاي البهائي، وقد رسم بالقبض عليه، فمات قبل وصول البريد بيوم.

سنة ثالث عشرة وسبعمائة

في أول المحرم: قدم الأمير سيف الدين قجليس من الحجاز إلى القاهرة مبشرا بعود السلطان.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره: قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق، بعد دخوله إلى المدينة لنبوية، وتوجهه على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوماً مشهوداً، بلغت فيه أجر البيوت مبلغاً زائداً، حتى إن بيتاً أخذت أجرته للنظر إلى السلطان في مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم. وعبر السلطان وهو على ناقة وعليه لشت من ملابس العرب بلثام، وبيده حربة، ولعب يوم السبت في الميدان بالكرة. ثم أخذ في الإنعام على بعض رجال دولته، فولى شمس الدين عبد الله بن غبريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء، وكان ناظر البيوت؛ ونقل الأمير بدر الدين بكتوت القرماني من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة، عوضاً عن بدر الدين موسى الأزكشي. وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبته بالحجاز، وعدهم نحو الأربعين أميراً، وأفرج عن المصادرين، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامية إلى نظر الجيش بدمشق.

وصار السلطان إلى مصر في سابع عشريه، بعد أن أقام بدمشق خمسة عشر يوماً، وصلى بالجامع الأموي الجمعة مرتين .وقدم قلعة الجبل في يوم الجمعة ثاني عشر صفر، وكان يوماً مشهوداً.

وفيها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسي التركماني من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين، واستقر فخر الدين أياز الشمسي في شد الدواوين بدمشق، عوضاً عن القرماني، واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيري - كاتب الحميدي - المعروف بكريم الدين الصغير، في نظر الدواوين، رفيقاً لتقي الدين أسعد كاتب برلغي ابن أمين الملك مستوفي الحاشية.

وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة، فاختطه من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة، ووزع عمله على الأمراء، فنقلت جمالهم الطين إليه حتى امتلأ وغرس فيه النخل والأشجار، وحفرت فيه الآبار وركبت

عليها السواقي، وأدير عليه سور من حجر، وبنى خارجه حوض ماء للسبيل. فلما فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير.
وفيها اجتمع القضاة في حادي عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر في الشهود، وأقيم منهم جماعة.

وفيها عمل السلطان أيضاً أربع سواقي على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجاري من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة، ورم السور وأزال شعثه، فكثر الماء بقلعة الجبل، وزاد البئر الظاهري المجاور لزاوية تقي الدين رجب. بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الإسطبل، واهتم بعمل مصالح الجسور التي بالنواحي والترع.
وفيها قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام في يوم الخميس سابع عشرى جمادى الأولى، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم، وذلك بسعي كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركماني. وأغرق السلطان به، وقيل له إنه أخذ مالاً كثيراً من المصادرين بمصر والشام.
وفيها أبطلت الوزارة، فلم يل أحد بعد أمين الدين، ونقل كريم الدين أكرم الصغير من ديوان الجيش إلى نظر الدولة، شريكاً للتقي أسعد بن أمين الملك كاتب برلغي كما تقدم، واستقر شرف الدين الخيري كاتب سلار، والتاج إسحاق، الموقف أخو الخيري، مستوفي الدولة. فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان، وصارت الأمور كلها منوطة به، وركب بجنيبين، وخلع عليه أطلس بطرز زركش، وأشهد على السلطان أنه ولاه جميع ما ولاه اللّه تعالى، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان.
وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان في العمل على الوزير، وأغراه بالأسعد غبريال كاتب نائب السلطنة، وأنه كثير الظلم، وأنه نقل إلى أستاذه أموراً تضر الدولة، وأغراه بالعلم كبيبه كاتب منكلي بغا. وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان حتى سلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولي القاهرة، ليخلص منه المال، وسلم العلم كبيبه إليه أيضاً، وضربا قدام السلطان، وضرب معهما أمين الدين بن الغنام بالعصي، إلا غبريال فإنه ضرب بالمقارع. وأوقعت الحوطة على موجود غبريال، وسلم هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين، ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال، فأقام البيع نحو شهر. وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع، و لم يوجد له نقد ألبته؛ ثم أفرج عنه. وأما غبريال فإن الخازن والي القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع. وما زال أمين الدين ملازماً لداره إلى يوم السبت تاسع عشرى ذي الحجة، فاستدعى وأخلع عليه، واستقر ناظر النظار عوضاً عن الصاحب ضياء الدين النشائي، ونقل النشائي إلى نظر الخزانة، عوضاً عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسي بعد وفاته.
ولما استقر أمين الدين في نظر النظار، ودخل عليه مجد الدين سالم ليهنه، والمجلس غاص بالناس، نظر أمين الدين إلى الحاضرين، وقال: هذا القاضي مجد الدين تفصل في حقي. حيث كان يتولى أمري في بيع حواصلي، وباع حتى زبادي المطبخ. فالتفت إليه المجد على الفور، وكان مقداماً جريئاً، وقال له: يا مولانا أني والّله تفضلت عليك، وأحسنت إليك غاية الإحسان، وخدمتك أتم خدمة، وبعت من زبادي ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم، وما تحدثنا في ظهور درهم ولا دينار، بل سكتنا، ونحن سكوت إلى الآن. فلم يجب أمين الدين سوى بقول حسبنا اللّه.

وفيها ولى السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدي بن الوزيري نيابة دار العدل وشد الأوقاف، بسبب قصة رفعت في الأوقاف. وكان ابن الوزيري أميناً حاد الخلق عارفاً بالأمور. فباشر الأوقاف في داره يوم الثامن من ربيع الأول.

وجلس ابن الوزيري بدار العدل في يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول، وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل، ورفعت إليه القصص، وصرف الأمور، وطلب سائر مباشري الأوقاف وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف، وطلب موادع الحكم وتشدد عليهم. فقلق القضاة من ذلك، وسألوه الاغضاء عن ذلك؛ فتمادى في الطلب، وأخرق بعدة من المباشرين، وضربهم لفساد حسابهم. فقام قاضي بدر الدين محمد بن جماعة في العمل عليه - وكان عارفاً بالسعي، وله في ذلك أياد وتراتيب - ووافق رفاقه وصار إلى القاضي كريم الدين الكبير بنفسه، وترامى عليه، ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش، وبعلاء الدين كاتب السر، وبعدة من الخاصكية، وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيري أنه شرس الأخلاق، وله أغراض فاسدة، وقصده إهانة القضاة، وأهل العلم وحط أقدارهم، وقد كثر الدعاء على لسلطان بسببه. فلما تكاثر ذكر ذلك لدى السلطان، وبلغه عدة حكايات عنه، ومنعه من التحدث في الأوقاف، ومن حينئذ بدت عداوة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد الناس، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحي الشاعر علي ابن جماعة، وهجاه بعدة قصائد بعثها إليه، ورتب هو وابن سيد الناس القصيدة التي أولها: "تري يسمع السلطان شكوى المدارس"، وعدها ستون بيتاً، فحبسه ابن جماعة بسببها، لأنه أقذع فيها، وشهرها في الناس إلى أن قرئت على السلطان، فقام أيدغدي شقير في حقه، وأخرجه من السجن.
وفي يوم السبت ثاني جمادى الأولى :استقر صدر الدين بن المرحل في تدريس الزاوية المجدية بالجامع العتيق، عوضاً عن جلالي الدين على بن عبد الله العسلوجي بحكم عزله.
وفي يوم الثلاثاء رابعة: أوفى النيل، وهو أخر أيام النسيء قبل المفرد ثم قدم المفرد بعد الوفاء في يوم الخميس سادسه.

وفيها عمل الروك بالبلاد الشامية، وندب له الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة، وابن معبد، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام، مع مباشري ديوان الجيوش بمصر. فتوجه الجاولي إلى دمشق، وأمام مع الأمير تنكر النائب إلى أن عملت أوراق بعبرة البلاد ومنحصلها، وما فيها من إقطاع ووقف وملك. وكمل ذلك في ذي الحجة، ونقلت سنة اثنتي عشرة إلى سنة ثلاث عشرة، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه؛ فكتب السلطان مثالات جديدة لأمراء دمشق وأجنادها، ووفر عدة قطاعات وبلاد أدخلها في ديوان الخاص، وزاد إقطاع النيا، وكتب بلك مناشير سار بها على البريد الأمير سيف الدين قجليس حتى فرقها على أربابها وعاد.
وفيها توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طقصاي الناصري والي قوص، وسيف الدين بيدوا، وعلاء الدين أيدغدي الخوارزمي، وصاروجا الحسامي، وتوجه دمشق سيف الدين بلبان البدري مع الركب، وأضيف إليهم عدة من الأجناد، وذلك بسبب حميضة بن أبي نمي، فإنه كثر ظلمه.
وفيها قبض على الأميرين عز الدين أيبك الرومي المنصوري، وركن الدين بيبرس الأحمدي أمير جاندار، في رابع

عشرى رمضان. وبسبب ذلك مفاوضة جرت بين الأمير علاء الدين أيدغدي شقير وبين أيبك الرومي بحضرة الأمراء على باب القلعة، في انتقال إقطاعات بينهما خرجا فيها عن الحد. فخرج الأمير طغاي وهما في ذلك - والبحيرة بلبان الصرخدي والقلنجي وابن طرنطاي وبيبرس الجمدار، وللصعيد التليلي والمرتيني.
وفيها توجه السلطان في شعبان إلى بلاد الصعيد وقدم في يوم الخميس ثامن عشر شوال.
وفيها توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطاي للغارة على بلاد ماردين ودنيسر لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به. فشن قرطاي الغارة على بلاد ماردين يومين، فصادف قراوول التتار قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة، وهم في ألفي فارس، فحاربهم قرطاي وقتل منهم ستمائة رجل، وأسر مائتين وستين، وقدم بالرءوس والأسرى إلى حلب، ومعهم عدة خيول. فلما قدم البريد سر السلطان سروراً زائداً، وبعث بالتشريف لنائب حلب ولقرطاي.

وقدم الخبر من مكة بقتل أبي الغيث في حرب مع أخيه حميضة، وأن العسكر المجرد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا، فتلقاه خربندا وأكرمه، وأقام حميضة عنده شهراً، وحسن له إرسال طائفة من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها، ويخطب له على منابرها. وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز في ثامن عشرى رجب، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا، فشن الغارات وأخذ جمال مهنا وطرده. فسار مهنا أيضاً إلى خربندا، فسر به وأنعم عليه. وجرد خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس، وسار حميضة بهم في رجب يريد مكة. وأخذ خربندا في جمع العساكر لعبور بلاد الشام، فقدر اللّه موته، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق، فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أخا مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة، فشق عليه استيلاؤهم على الحجاز، فلما علم بموت خربندا، وخروج أخيه مهنا من بغداد، سار في عربانه وكبس عسكر حميضة ليلاً ووضع فيهم السيف، وهو يصيح باسم الملك الناصر، فقتل أكثرهم. ونجا حميضة، ووقع في الأسر من المغل أربعمائة رجل، وغنم العرب منهم مالاً كثيراً وخيولاً وجمالاً. وكتب وخيولاً وجمالاً. وكتب بذلك إلى السلطان فسر به، وأعاد الإمرة إلى مهنا، واستدعى محمد بن عيسى، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير.
وفيها وصل إلى السلطان مهرة تعرف ببنت الكرتا، كان قد بذل فيها نحو مائتي ألف وتسعين ألف درهم، وضيعة من بلاد حماة، ويقال إنها بلغت كلفها على السلطان ستمائة ألف درهم.
وفيها وعك السلطان أياماً، فلما عوفي ودخل الحمام حلق رأسه كله، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه. ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر، واستمر إلى اليوم وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته، وأفرج عن أهل السجون، وطلع الناس للهناء، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فكان يوما مشهوداً.
وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذي بناه أبوه الملك المنصور، وجدده أخوه الملك الأشرف، ثم أنشأ إيواناً جليلاً، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاماً عظيماً، وجعل قدامه دركاة فسيحة، فجاء من أجل المباني الملوكية وأعظمها.
وأما الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر، فإن كلاً منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد

ودللاءها وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد. وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندي من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم، والكشك والعدس والكعك، ثم قاس تلك الناحية، وكتب بذلك عدة نسخ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله. وعادوا بعد خمسة وسبعين يوماً بالأوراق، فتسلمها الفخر ناظر الجيش، ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغي - وسائر مستوفي الدولة، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني التي عينها لهم، وعلى إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة المقررة، وما في كل بلد من الجوالى وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت الروك ديواناً مفرداً يختص بالسلطان، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها.

وأبطلت عدة جهات من المكوس منها ساحل الغلة، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء، ومتحصلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، و

إقطاع الجندي منها من عشرة آلاف درهم في السنة إلى ثلاثة آلاف، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف، واقتنى منها المباشرون أموالاً عظيمة، فإنها أعظم الجهات الديوانية، وأجل معاملات مصر، وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتيه المراكب والكيالين والمشدين والكتاب، وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين للسلطان، ويلحقه نصف درهم أخر سوى ما ينهب وكان له ديوان في بولاق خارج المقس، وقبله كان خص يعرف بخص الكيالة، فلما ولى ابن الشيخي شد هذه الجهة - قبل أن يلي الوزارة - عمر مكان الخص مقعداً وجلس فيه، وكان في هذه الجهة نحو الستين رجلاً ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جندياً، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه.

ومن المكوس التي أبطلها السلطان الناصر أيضاً نصف السمسرة الذي أحدثه ابن الشيخي في وزارته، وهو أن من باع شيئاً فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان. ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية، وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين، فيجبيها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وعليها جند مستقطعة وأمراء، وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف. ومنها مقرر الحوائص والبغال، وهي تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري، فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أَقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم. ومنها مقرر السجون، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان، وكانت تجبى من سائر السجون. ومنها مقر طرح الفراريج، ولها ضمان في سائر نواحي الإقليم، فتطرح على الناس في النواحي الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه، وعليها عدة مقطعين ومرتبات، ولكل إقليم ضامن مفرد، ولا يقدر أحد أن يشتري فروجاً فما فوقه إلا من الضامن. ومنها مقرر الفرسان، وهي شيء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجيء من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم .ومنها مقرر

الأقصاب والمعاصر، وهو ما يجبى من مزارعي الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة. ومنها رسم الأفراح، هي تجبى من سائر البلاد، وهي جهة بذاتها لا يعرف لها أصل. ومنها حماية المراكب، وهي تجبى من سائر المراكب التي في النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية، ويجبى من المسافرين في المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء. ومنها حقوق القينات، وهي ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب بمصر. و منها شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم في الخانات، وكانت جهة قبيحة شنعة. ومنها متوفر الجراريف، و تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم، وعليها عدة من الأجناد. ومنها مقرر المشاعلية، وهي ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان، فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب .ومنها ثمن العبي التي كانت تستأدى من البلاد. ومنها مقرر الأتبان التي كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن. ومنها زكاة الرجالة بالديار المصرية. وابطل السلطان أيضاً وظيفتي النظر والاستيفاء من سائر الأعمال في كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين، فرسم ألا يستخدم أحد في إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون في كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير. ورفع السلطان سائر المباشرين. ورسم بالمسامحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية من سائر النواحي إلى آخر سنة أربع وسبعمائة. وجعل المال الهلالي لاستقبال صفر سنة ست عشرة، والمال الخراجي لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأفرد السلطان لخاصة الجيزية وأعمالها وبلاد هو والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدة بلاد. وأخرجت الجوالى من الخاص، و فرقت في البلاد .وأفردت جهات المكس كلها، وأضيف للوزارة. وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات. وارتجعت عدة بلاد كانت اشتريت، وأدخلت في الإقطاعات .واعتد في سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح، وحسب من جملة الإقطاع.

فلما فرغ العمل من ذلك نودي في الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات، وكتبت المراسيم إلى النواحي به، فسر الناس سروراً كبيراً.

وجلس السلطان بالإيوان الذي أنشأه لتفرقة المثالات في يوم الخميس ثاني عشرى ذي الحجة، بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما. فكان المقدم يقف بمضافيه، ويستدعي السلطان المقدمين كل أحد باسمه، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان: من أين أنت؟ ومملوك من؟، حتى لا يخفى عليه شيء من أمره، ثم يعطه مثالاً على ما قسم له من غير تأمل، وأنبأ السلطان في العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش.

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمته على العادة، وإذا أخذوا في شكر جندي عاكسهم وأعطاه دون ما كان في أملهم له، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد في المجلس. فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جواباً له عما يسأل السلطان عنه منهم. وفعل في عرض المماليك مثل عرض الأجناد، فكان المملوك إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه، وكم حضر من مصاف،

وكم رأى بيكاراً، وأي قطعة حاصر، فإن أجابه بصدق أنصفه .وكان السلطان يخير الشيخ المسن بين الإقطاع والرواتب، فيعطيه ما يختار، و لم يقطع في العرض العاجز عن الحركة، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه.

واتفق له في العرض أشياء: منها أنه تقدم إليه شاب تام الخلقة في وجهه أثر شبه ضربة سيف، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع جيد، وقال له: في أي مصف وقع في وجهك هذا السيف؟. فقال لقلة سعادته: يا خوند؟ هذا ما هو أثر سيف، وإنما وقعت من سلم. فصار في وجهي هذا الأثر، فتبسم وتركه. فقال الفخر ناظر الجيش: يا خوند؟ ما بقي يصلح له هذا الخبز .!فقال السلطان لا! قد صدقني وقال الحق، وأخذ رزقه، فلو قال أصبت في المصف الفلاني من الذي يكذبه؟، فدعت الأمراء له، وانصرف الشاب بالمثال. وتقدم إليه رجل ذميم الشكل، وله إقطاع ثقيل عبرة ثمانمائة دينار. فأعطاه مثالاً وانصرف. فإذا به عبرة نصف ما كان معه. فعاد وقبل الأرض. فسأله السلطان عن حاجته. فقال: الله يحفظ السلطان! فإنه غلط في حقي، فإن إقطاعي كانت عبرته ثمانمائة دينار، وهذا أربعمائة. فقال السلطان :بل الغلط كان في إقطاعك الأول، فمضى بما قسم له. فلما انتهت تفرقة المثالات في آخر المحرم سنة ست عشرة توفر منها نحو مائتي مثال.

ثم أخذ السلطان في عرض طباق المماليك، ووفر جوامك عدة منهم ورواتبهم، وأعطاهم الإقطاعات. وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم في السنة. وارتجع السلطان ما كانت البرجية قد اشترته من أراضي الجيزة وغيرها، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغي والجوكندار وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للخاص.

وبالغ السلطان في إقامة أيام العرض. وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه من رد مثالاً أو تضرر أو شكا ضرب وحبس وقطع خبزه، وأن أحداً من الأمراء لا يتكلم مع السلطان في أمر جندي ولا مملوك، فلم يجسر أحد أن يخالف ما رسم به.

وعين في هذا العرض أكثر الأجناد، فإنهم أخذوا إقطاعات دون التي كانت معهم، وقصد الأمراء التحدث في ذلك مع السلطان، والنائب أرغون ينهاهم عنه. فقدر اللّه أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركي، وجلس في البستان المنصوري ليستريح، فدخل بعض المرقدارية - وكان يقال له عزيز - ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها. فتمادى عزيز لشؤم بخته في الهزل إلى أن قال: وجدت جندي من جند الروك الناصري وهو راكب إكديش، وخرجه ومخلاة فرسه ورمحه على كتفه، وأراد أن يتم الكلام. فاشتد غضب السلطان. وصاح في المماليك.عروه ثيابه، فللحال خلعت عنه الثياب، وربط مع قواديس الساقية، وضربت الأبقار حتى أسرعت في الدوران، وعزيز تارة ينغمر في الماء وتارة يظهر، وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطان يزداد غضباً. فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين، وانقطع حسه، فتقدم إليه الأمير طغاي والأمير قطلوبغا الفخري وقالا :ياخوند !هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان، ويطيب خاطره، و لم يرد غير ذلك، وما زالا به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت، ورسم بنفيه من أرض مصر، فحمد اللّه سبحانه وتعالى الأمراء على سكوقمم وتركهم الشفاعة في تغيير مثالات الأجناد وفي هده السنة: ظهر ببلاد الصعيد فأر عظيم

يخرج عن الإحصاء، بحيث إن مباشري ناحية أم القصور من بلاد منفلوط قتلوا في أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردباً ينقص ثلث أردب، واعتبروا أردباً فجاء عدة ثمانية آلاف وأربعمائة فأر، وكل ويبة ألف وأربعمائة فأر.

وفيها وقعت نار في البرج المنصوري من قلعة الجبل وطباق الجمدارية، فأحرقت شيئاً كثيراً، وذلك في تاسع عشرى شعبان.

وفيها غلقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها في مصر والقاهرة، في يوم السبت سابع عشرى شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى.

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، مع الركب، وكان أمير الركب عز الدين أيدمر الكوكندي.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنتي المعروف بابن الأسعد، يوم الجمعة رابع عشرى رمضان، وكان فقيهاً شافعياً مشكور السيرة.

ومات جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن بريق بن برعس أبو الطاهر القوصي الفقيه الحنفي، كان متصدراً بجامع أحمد بن طولون، وله فضيلة في الفقه والقراءات والعربية، وصنف وحدث، وله شعر منه :

ولي من عبرتي إحدى الوسائل أقول له ودمعي ليس يرقا

وطرفي فيك محرم وسائل حرمت الطيف منك ففاض دمعي

ومات تقي الدين سليمان بن حمزة بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، قاضي الحنابلة، بدمشق في حادي عشرى ذي القعدة، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكان فاضلاً واسع الرواية، له معجم في مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء، مع الدين والتواضع.

ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي المالكي، بالقاهرة ليلة الحادي والعشرين من صفر، عن ست وتسعين سنة، ودفق بالقرافة، ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة، وناب في الحكم بالحسينية خارج القاهرة، ثم ولي قضاء الإسكندرية، وهو أول من درس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة.

ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسين بن شرف الدين شاه الحسيني العلوي الأسترابادي، عالم الموصل ومدرس الشافعية، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمي ابن الحاجب والحاوي في المذهب، وله سبعون سنة، وأخذ عن النصير الطوسي، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته، وبرع في علوم المعقولات، وكان يجيد الفقه وغيره.

ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسي التميمي الدمشقي، في ثاني عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أحد الأعيان الأخيار. ومات الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي - المعروف بالهندي الأرموي - الفقيه الشافعي، في تاسع عشرى صفر بدمشق، ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وله تصانيف مفيدة، وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه، وسار إلى الروم فأقام

بها إحدى عشرة سنة، وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرس، وكان إماماً عالماً ديناً.

وملت شرف الدين محمد بن تميم الإسكندراني كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها، وكان إماماً في الإنشاء، وله نظم.

ومات عز الدين موسى بن على بن أبي طالب الشريف أبو الفتح الموسوي الحنفي العدل، في سابع ذي الحجة بمصر، وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوي، ورحل الناس إليه.

ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة، في تاسع عشر رجب بطرابلس، وولي حاجباً بدمشق مدة، وكان مشكوراً.

ومات الشريف أبو الغيث بن أبي نمي.

ومات الأمير علاء الدين أيدغدي شقر الحسامي، أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين، وكان شجاعاً مقداماً عجولاً، أحمق متكبراً واسطة سوء، قتل في أول ربيع الأول.

ومات حسام الدين قرا لاجين المنصوري الأستادار، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان، وكان جواداً خيراً سليم الباطن، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين الخازن تحت العقوبة، يوم السبت عاشر ربيع الآخر.

ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبي بكر محمد الأزكشي، بدمشق في ثامن شعبان، وكان شجاعاً شهماً.

ومات الملك خربندا بن أبغا بن أرغون في سادس شوال، وتسمى بمحمد، وكان رافضياً، قتل أهل السنة، وكان منهمكاً في شرب الخمر متشاغلاً باللهو، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه، وكان محولاً بإحدى عينيه، عادلاً في رعيته، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهراً.

ومات الأمير سيف الدين كستاي الناصر نائب طرابلس بها، وكان حسوراً قوي النفس معجباً بنفسه شديد الكبر، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها.

ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث، في ثاني شعبان.

مات بهاء الدين بن المحلي، في خامس شعبان.

ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدوي المالكي بمصر.

ومات الفقيه شرف الدين بن محيي الدين بن الفقيه نجيب الدين، في تاسع رجب.

ومات الشيخ ناصر الدين أبو عبد ا للّه محمد بن أبي الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب، بدمشق في سادس عشرى ذي الحجة، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه من مؤلفه ابن الصلاح، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل، وشيوخه كثيرة، ومولده في رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن الشيخ مرهف، إمام الجامع الجديد الناصري خارج مصر، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب.

ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف، المتصدر بجامع عمرو، بمصر ليلة الجمعة ثاني عشرى شعبان.

ومات الشيخ ابن أبي مفصلة، ليلة الأحد سادس عشر رمضان.

ومات الشيخ زين الدين المهدوي، يوم الخميس تاسع رجب.

ومات الطواشي شبل الدولة كافور الأقطواني الصالحي، شاد الخزانة السلطانية، ليلة الإثنين رابع عشر ذي القعدة.

ومات فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام، في سابع عشرى ذي القعدة.

سنة أربع عشر وسبعمائة

مستهل المحرم: وافقه حادي عشري برمودة.

فيه اخضر ماء النيل، وتغير لونه تغيراً زائداً عن العادة، وتغير طعمه وريحه أيضاً، وجرت العادة أن يكون في هذه الأيام في غاية الصفاء.

وفي نصف المحرم: اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة. فقام في إنكار ذلك الشيخ نور الدين علي بن عبد الوارث البكري، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم في مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهر، فأخرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل. وعاد البكري إلى الجامع، وقصد القومة، فاحتجوا فعله. وجمع البكري الناس معه على ذلك، وقصد الإخراق بالخطيب، فاختفى منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم هو الذي أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته. فلما كان الغد عرف الفخر السلطان بما كان، وعلم البكري أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع في القول وبالغ في الإنكار، وطلب الاجتماع بالسلطان، فأحضر السلطان القضاة والفقهاء وطلب البكري، فذكر البكري من الآيات والأحاديث التي تتضمن معاداة النصارى، وأخذ يحط عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر .وأنت وليت القبط المسالمة، وحكمتهم في دولتك وفي المسلمين، وأضعت أموال المسلمين في العمائر والإطلاقات التي لا تجوز، إلى غير ذلك، فقال السلطان له: ويلك! أنا جائر؟ فقال: نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقويت دينهم. فلم يتملك السلطان نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهم بضربه. فأمسك الأمير طغاى يده، فالتفت السلطان إلى قاضي القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: هكذا يا قاضي يتجرأ علي؟ إيش يجب أفعل به؟ قل لي!، وصاح به. فقال له ابن مخلوف: ما قال شيئاً ينكر عليه فيه، ولا يجب عليه شيء، فإنه نقل حديثاً صحيحاً. فصرخ السلطان فيه وقال: قم عني!. فقام بن فوره وخرج. فقال صدر الدين بن المرحل _ وكان حاضراً _ لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي: يا مولانا! هذا الرجل تجرأ على السلطان وقد قال الله تعالى أمرا لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون "فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى" فقال ابن جماعة للسلطان: قد تجرأ ولم تبق إلا مراحم مولانا السلطان. فانزعج السلطان انزعاجاً عظيماً، ونهض عن الكرسي، وقصد ضرب البكري بالسيف، فتقدم إليه طغاي وأرغون في بقية الأمراء، وما زالوا به حتى أمسك عنه، وأمر بقطع لسانه، فأخرج البكري إلى الرحبة، وطرح إلى الأرض، والأمير طغاي يشير إليه أن يستغيث، فصرخ البكري وقال: إنا في جيرة رسول الله، وكررها مراراً حتى رق له الأمراء، فأشار إليهم طغاي بالشفاعة فيه، فنهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مصر. وأنكر الأمير أيدمر الخطيري كون البكري قوى نفسه

أولا في مخاطبة السلطان، ثم إنه ذل بعد ذلك، ونسب إلى أنه لم يكن قيامه خالصاً لله.
وفيه قدم الركب من الحجاز، وقد كثرت الشكوى من الأمير بلبان الشمسي أمير الركب، وأنه كثير الطمع مفرط في أمر الحاج سيء السيرة، فقبض عليه.
وفيه أفرج عن الأمير برلغى صهره المظفر بيبرس.
وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواق كثيرة من ضمانات ومقررات على أهل البلاد، وقد تضرروا منها. فكتب مثال بمسامحة أهل الشام بالبواقي لاستقبال سنة ثمان وتسعين وتسمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسير إلى دمشق فقرئ بها على منبر الجامع في يوم الجمعة عاشر المحرم، وتلاه مثال آخر بإبطال المقرر على السجون، وإعفاء الفلاحين من السخر، وإبطال مقرر الأقصاب، ومقرر ضمان القواسين، ورسوم الشد والولاية. فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها.
وفيه كتب لنواب حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحداً منه لا يكاتب السلطان، وإنما يكاتب الأمير تنكر نائب الشام، ويكون هو المكاتب في أمرهم للسطان. فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك، فكاتب فيه تنكز السلطان حتى عزل في صفر، واستقر عوضه الأمير بلبان البدري، وحمل طرنا في القيد إلى مصر، وسجن بالقعلة.

وفيها استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب في نيابة حلب، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودي في نصف رجب. وقدم زين الدين قراجا الخزنداري والخاص ترك من بلاد طقطاي، وأخبراً بموته، وهو طقطاى بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن جوجى ابن جنكز خان ملك التتار ببلاد الشمال، أقام في الملك مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية، وملك بعده أزبك خان بن طغرل بن منكوتمر بن طغان.
وفيها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحي أرض مصر وترعها وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيري إلى الشرقية، والأمير علاء الدين أيدغدي شقير إلى البهنساوية، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسيوط ومنلفوط والأمير سيف الدين آقول الحاجب إلى الغربية، والأمير سيف الدين قلى أمير سلاح إلى الطحاوية وبلاد الأشمونين، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية، والأمير علاء الدين التليلي إلى البحيرة، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص.
وفيها قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز: وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فر الشريف حميضة نحو اليمن، وأقام بحلى بني يعقوب: فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طقصبا المغربي بالمعسكر حتى رتب الشريف أبا الغيث في إمارة مكة، ولم يزل مقيماً معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج. ولم تمطر تلك السنة بمكة، وقل الجلب، فكثرت كلف العسرك، واحتاج طقصبا إلى السفر. فأشهد عليه أبو الغيث أنه أذن له في السفر، وكتب بذلك إلى السلطان. فلم يكن بعد توجه العسكر من مكة غير قليل حتى جمع حميضة وقدم، ففر منه أبو الغيث إلى هذيل بوادي نخلة، وملك حميضة منه مكة، وبعث حميضة إلى السلطان القود اثنى عشر فرساً وكتاباً،وهو يترفق ويبذل الطاعة ويعتذر؛ فلم يقبل منه العذر، وحبس رسوله.
وفيها توجه الأمير قجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه، فبطل أمر التجريدة من مصر. وجرد من الشام الحاج أرقطاي

وكجكن، ومن حماة ألف فارس مع عسكر طرابلس وحلب، وخرج طلب قجليس من القاهرة ليكون مقدم العساكر، فاجتمعت عنده العساكر والعربان بحلب. وبلغ ذلك منها فأجمع على الرحيل، وسارت إليه العساكر، فلما قاربته رحل وهي في إثره إلى عانة والحديثة من العراق، فجفلت أهل البلاد. وبلغ ذلك جوبان نائب خربندا ملك التتار، فظن أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق، فانزعج لذلك إلى أن بلغه مجيء العسكر بسبب العرب، وأنه لم يتعد عانة ولا تعرض لزرع البلاد ولا كرومها، فسكن ما به. ورجع العسكر عن عانة إلى ضيعة تعرف بالعنقاء من ضياع منها، وأخذ ما كان بها من المغل، وسار كذلك إلى ضياع منها حتى وصل الرحبة، وقد حمل الغلال إليها. فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها، وإقامته على سلمية إلى أن يخزن مغلها بقلعة حلب، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغل سلمية، وعاد قجليس إلى القاهرة فأخلع عليه.

وفيها خرج عسكر من القاهرة في أول ذي القعدة: فهي من الأمراء سيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار وإليه تقدم العسكر وقلى السلاح دار، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وركن الدين بيبرس الحاجب، وبكتمر البوبكري الجمدار، وبدر الدين محمد بن الوزيري، وأيتمش المحمدي، بمضافيهم من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد. وكتب لنائب الشام الأمير تنكز بالمسير معهم بعسكر دمشق، وأن يكون المقدم على جميع العساكر، وكتب بخروج عساكر حماة وحلب وطرابلس، وأشيع أن ذلك لغزو سيس. فوصل عسكر مصر إلى دمشق في عشريه، وأقام بها حتى انقضت السنة.

واتفقت حادثة غريبة بالقاهرة: وهذا أن رجلاً من سكان الحسينية يقال له علي بن السارق ركب في يوم الجمعة فرساً وبيده سيفه، وشق القاهرة فما وجد بها يهودياً ولا نصرانياً إلا ضربه، فجرح جماعة، وقطع أيدي جماعة، وشج جماعة، ثم أمسك خارج باب زويلة، وضرب عنقه.

ومات فيها ممن له ذكر

رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقي الحنفي، بمصر في رجب عن إحدى وتسعين سنة، أخذ القراءات عن السخاوي، وأفتى ودرس، وقدم القاهرة من سنة سبعمائة في الجفل.

ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد عرف جده بالقابوني السعدي الأنصاري الدمشقي، في ليلة الجمعة أول محرم، ومولده سنة ستين وستمائة، وسمع من أبي اليسر في آخرين، وحدث عن أبي عبد الله ابن أمين الدين سليمان الموصلي، وروى عنه شيخنا العماد بن كثير، وقال كن رجلاً جيداً يشهد على القضاء، وباشر استيفاء الأوقاف.

ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسيني، نقيب الأشراف بدمشق، في ليلة الخميس ثالث رجب، ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان حسن السيرة عفيفاً، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضاً.

ومات الأمير سودي نائب حلب في نصف رجب، ووجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار، واشتملت تركته على ألف ألف درهم، حملت إلى القاهرة، وكان كريماً حشماً مشكور السيرة.

ومات الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن خطاب الباجي، بمصر ليلة الجمعة سادس ذي القعدة عن ثلاث

وثمانين سنة، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية، درس وصنف وأفتى.
ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمي الإسكندراني، عن ثمنين سنة بالإسكندرية، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلى، ناظر حلب ودمشق، في ثامن عشري شعبان، عن ست وثمنين سنة بحلب، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، ولم تبق مملكة بالشام إلا باشرها، وكانت له مروءة.
ومات الأمير سيف الدين كهرداش المنصوري بدمشق.
ومات عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، بحماة في ثامن عشري ربيع الآخر.
ومات الأمير سيف الدين ملكتمر الناصري المعروف بالدم الأسود بدمشق، وكان ظالماً.
ومات الأمير فخر الدين أقجبا الظاهري بدمشق، وكان خيراً، ومات الشيخ تقي الدين رجب بن أشترك العجمي، صاحب زاوية تقي الدين تحت قلعة الجبل، في ثامن رجب، وكان له أتباع ومريديون، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة، ومات الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلاني بالقاهرة، ومولده بمكة في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة، وكان ورعاً ديناً، ومات الشيخ المعمر محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف بحياك الله الموصلي، في يوم الخميس تاسع ربيع الأول، بزاويته من سويقة الريش خارج القاهرة، عن مائة وستين سنة، وكان قد سئل عن مولده، فقال إنه قدم إلى القاهرة في أيام المعز أيبك، وعمره سنة، وكان قد سئل عن مولده، فقال إنه قدم إلى القاهرة في أيام المعز أيبك، وعمره يومئذ خمس وثمانون سنة، ومات سليم الحواس جيد القوة. ومات صرد الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الخشاب، وكيل بيت المال، يوم الإثنين تاسع شعبان، وولي عوضه مجد الدين حرمي، ومات القاضي سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد المجيد بن صفي الدين عبد الله الأقفهسي، ناظر الخزانة، يوم الجمعة ثامن عشري ذي الحجة فجأة، واستقر عوضه الصاحب ضياء الدين النشائي. ومات القاضي شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش يوم السبت ثالث عشر شعبان، وكان ناظر ديوان المماليك وأبوه غائب بالقدس، فقدم بعد موته ليلة رابع عشريه، فقررت جامكيته باسم ابنه، واستنيب عنه، ومات القاضي تقي الدين بن الفائزي، ليلة الجمعة ثاني عشري صفر. ومات الشيخ عمر الدماميني في ثاني عشري ذي القعدة. وقتل بدمشق في يوم الجمعة تاسع عشري رجب موسى بن سمعان النصراني، كاتب الأمير قطلوبك الجاشنكير بحران، وذلك أنه نصر مسلما، وكواه على يده مثال صليب، فحكم قاضي القضاة جمال الدين المالكي بقتله، فقتل.

سنة خمس عشرة وسبعمائة

في أول المحرم: سار العسكر من دمشق إلى حلب، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وقد استصحب معه قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وشرف الدين ابن فضل الله، وجماعة من الموقعين، وكان تنكز بزي الملوك من العصائب والكوسات، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك، وتبعه عسكر صفد وحمص حماة وطرابلس. فلا مر الأمير تنكز إلى حلب فجرد منها الأمير قرطاي والأمير ملكتمر الجمدار إلى ملطية، وكان في الظن أن المسير إلى سيس.

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قرا سنقر، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له مندوه يدل على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة، فشق ذلك على السلطان، وأخذ في العمل عليه.

فبلغه أنه صار يجني خراج مطلية، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة ملطية، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير. وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره. فجهز السلطان العساكر، وروى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب، وسارت العساكر منها مع الأمير تنكز على عينتاب إلى أن وصل الدرنبد، فألبس الجميع السلاح وسلك الدرنبد إلى أن نزل على ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشريه، وحاصرها ثلاثة أيام. فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان ملطية على تسليمها، وخرج في عدة منم الأعيان إلى الأمير تنكز، فأمنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا، ونودي في العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة. وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أركتمر حتى نزل بداره، وقبض على مندوه الكردي وسلم إلى الأمير قلي، وتكاثر العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوها. وقتلوا عدة من أهلها. فشق ذلك على الأمير تنكز، وركب معه الأمراء، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر، ورحل من الغد وهو رابع عشري المحرم بالعسكر، الأبواب وأخذ النهوب من العسكر، ورحل من الغد وهو رابع عشري المحرم بالعسكر، وترك نائب حلب مقيماً عليها لهدم أسوارها. ففر مندوه قبل الدخول إلى الدربند. وفات أمره. فلما قطعوا الدربند أحضرت الأموال التي نهبت والأسرى، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله، وأفرد الأرمن.

فلما فتحت ملطية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة، فقدم يوم الخميس ثالث صفر، ودقت البشائر بذلك.

وتبعه الأمير تنكز بالعساكر _ ومعه الأمير ميزامير وولده _ حتى نزل عينتاب ثم دابق، فوجد بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف، وتجلب كلها إلى حلب. ثم سار تنكز، فقدم دمشق في سادس عشر ربيع الأول، وسير ميزامير وابنه في ثلاثين رجلاً مع العسكر المصري إلى القاهرة فقدموا في خامس ربيع الآخر.

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدي شقير، وجمال الدين بكتمر الحسامي الحاجب، في أول ربيع الآخر، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان، وأخذ لبكتمر الحاجب مائة ألف دينار، وسجن. وكان قد قبض على الأمير بهادر المعزي في عاشر المحرم، وقبض أيضاً بعد القبض على شقير على الأمير طغاي، وقبض على تمر الساقي نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك. واستقر الأمير سيف الدين كستاي الناصري في نيابة طرابلس.

وأفرج في مستهل ربيع الآخر عن داود وجبا أخوى الأمير سلار، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصوري أحد البرجية. وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيري عن مصر ليقيم بدمشق، في يوم السبت سلخ ربيع الآخر، وأنعم عليه بما خص السلطان من خمس ملطية، وهو نحو الخمسين ألف درهم.

وفي ثامن عشري رجب: أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه، وأمر في ثامن عشري شهر رجب، ثم أنعم عليه في ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين لاجين أستادار بعد موته.

وفيه قدم محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا، واعتذر عن أخيه مهنا، وقدم فرساً أصيلاً للسلطان، فقدمت الفرس للسلطان في شعبان، وعرفت ببنت الكزتا، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم. فكتب السلطان إلى مهنا

بالرجوع إلى البلاد، وخلع على محمد بن عيسى، ثم بعث إلى مهنا باثنى عشر ألف دينار، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم، وكتب له بضيعة من الخاص على سبيل الملك.

وفي يوم الجمعة عشري جمادى الأولى: وتاسع عشري مسرى كان وفاء النيل، وفتح الخليج على العادة.

وفي ثاني عشريه: عزل علاء الدين القطزى من ولاية مصر، وولى بعده ابن أمير حاجب، نقل إليها من ولاية الشرقية.

وفي ثالث جمادى الآخرة: حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة رميثة ابن أبي نمى، من مكة فاراً من أخيه حميضة، وأخبر أنه قطع اسم السطان من الخطبة بمكة، وخطب لصاحب اليمن. فجرد السلطان معه الأمير سيف الدين طيدمر، والأمير نجم الين ذمرخان بن قرمان، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء.

وفيها قدم الأمير سيف الدين الخاص تركي وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاي، ومعهم رسل الملك أزبك القائم بعد طقطاي، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية. فأكرم السلطان الرسل، وكتب جوابه، وسفرهم، وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي بهدية.

وفيها قدم البريد من حلب بقدوم والدة صاحب ماردين تريد الحج، فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها.

وفيها قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة، ونهبه القريتين، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه. فكتب إلى مهنا في ذلك، فأجاب بأنه خارج عن طاعته.

وفيها قدمت رسل صاحب اليمن، وهما بدر الدين حسن بن أبي المنجا، والطوشي جمال الدين فيوز، وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب، وأخذوا منهما الهدية، فجرد السلطان من الأمراء علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطي السلاح دار، وصارم الدين أزبك الجرمكي، وعز الدين أيدمر الدوادار، علاء الدين علي بن قرا سنقر، وعلم الدين سنجر الدنيسرى، في عدة من الأجناد ومقدمي الحلقة، وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة، فساروا في أول شوال.

وفي العشر الأخير من شعبان: وقع الشروع في روك أرض مصر وسبب ذلك أن السلطان استكثر أخبارز المماليك أَحاب بيبرس الجاشنكير وسلار النائب وبقية البرجية، وكان الخبرز الواحد ما بين ألف مثقال في السنة إلى ثمانمائة مثقال، وخشي السلطان من وقوع الفتنة بأخذ أخبازهم. فقرر السلطان مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء إلى الأعمال فتعين الأمير بدر الدين جنكلي ابن البابا للغربية، ومعه آقول الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة، وللشرقية الأمير عز الدين أيدمر الخطيري، ومعه أيتمش المحمدي وأمين الدين قرموط، وللمنوفية والبحيرة بلبان الصرخدي والقلنجي وابن طرنطاى وبيبرس الحمدار، وللصعيد التليلي والمرتيني.

وفيها توجه السلطان في شعبان إلى بلاد الصعيد، وقدم في يوم الخميس ثامن عشر شوال.

وفيها توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطاي للغارة على بلاد ماردين ودنيسر لقلة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به. فشن قرطاي الغارة على بلد ماردين يومين، فصادف قراوول التتار قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة، وهم في ألفي فارس، فحاربهم قرطاي وقتل منهم ستمائة رجل، وأسر مائتين وستين، وقدم بالرءوس والأسرى إلى حلب، ومعهم عدة خيول. فلما قدم البريد سر السلطان

سروراً زائداً، وبعث بالتشريف لنائب حلب ولقرطاي.

وقدم الخبر من مكة بقتل أبي الغيث في حرب مع أخيه حميضة، وأن العسكر المجرد إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا، فتلقاه خربندا وأكرمه، وأقام حميضة عنده شهراً، وحسن له إرسال طائفة من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها، ويخطب له على منابرها. وقدم العسكر المجرد إلى الحجاز في ثامن عشري رجب، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا، فشن الغارات وأخذ جمال مهنما وطرده. فسار مهنا أيضاً إلى خربندا، فسر به وأنعم عليه .وجرد خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس، وسار حميضة بهم في رجب يريد مكة. وأخذ خربندا في جمع العساكر لعبور بلاد الشام، فقدر الله موته، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق، فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أخا مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة، فشق عليه استيلاؤهم على الحجاز، فلما علم بموت خربندا، وخروج أخيه مهنا من بغداد، سار في عربانه وكبس سكر حميضة ليلاً ووضع فيهم السيف، وهو يصيح باسم الملك الناصر، فقتل أكثرهم. ونجا حميضة، ووقع في الأسر من المغل أربعمائة رجل، وغنم العرب منهم مالاً كثيراً وخيولاً وجمالاً. وكتب بذلك إلى السلطان فسر به، وأعاد الإمرة إلى مهنا، واستدعى محمد بن عيسى، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير.

وفيها وصل إلى السلطان مهرة تعرف ببنت الكرتا، كان قد بذل فيها نحو مائتي ألف وتسعين ألف درهم، وضيعة من بلاد حماة، ويقال إنها بلغت كلفها على السلطان ستمائة ألف درهم.

وفيها وعك السلطان أياماً، فلما عوفي ودخل الحمام حلق رأسه كله، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه. ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوائب الشعر، واستمر إلى اليوم وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عافيته، وأفرج عن أهل السجون، وطلع الناس للهناء، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذي بناه أبوه الملك المنصور، وجدده أخوه الملك الأشرف، ثم أنشأ إيواناً جليلاً، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاماً عظيماً، وجعل قدامه دركاة فسيحة، فجاء من أجل المباني الملوكية وأعظمها.

وأما الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر، فإن كلاً منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودلاءها وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد. وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجند من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم، والكشك والعدس والكعك، ثم قاس تلك الناحية، وكتب بذلك عدة نسخ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله. وعادوا بعد خمسة وسبعين يوماً بالأوراق، فتسلمها الفخر ناظر الجيش، ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن أمين الملك المعروف بكاتب برلغي وسائر مستوفي الدولة، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني التي عينها لهم، وعلى إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيها من الضيافة المقررة، وما في كل بلد من الجوالي وكانت الجوالي قبل ذلك إلى وقت الروك ديواناً مفرداً يختص بالسلطان، فأضيف جوالي كل بلد إلى متحصل خراجها.

وأبطلت عدة جهات من المكوس منها ساحل الغلة، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء، ومتحصلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، وإقطاع الجند منها من عشرة آلاف درهم في السنة إلى ثلاثة آلاف، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف، واقتنى منها المباشرون أموالاً عظيمة، فإنها أعظم الجهات الديوانية، وأجل معاملات مصر، وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نواتيه المراكب والكيالين والمشدين والكتاب، وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين للسلطان، ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما ينهب وكان له ديوان في بولاق خارج المقس، وقبله كان خص يعرف بخص الكيالة، فلما ولي ابن الشيخي شد هذه الجهة قبل أن يلي الوزارة عمر مكان الخص مقعداً وجلس فيه، وكان في هذه الجهة نحو الستين رجلاً ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جندياً، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه.

ومن المكوس التي أبطلها السلطان الناصر أيضاً نصف السمسرة الذي أحدثه ابن الشيخي في وزارته، وهو أن من باع شيئاً فإن دلالته على كل مائة درهم درهمين، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان. ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية، وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين، فيجبيها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وعليها جند مستقطعة وأمراء، وكان فيها ممن الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف. ومنها مقرر الحوائص والبغال، وهي تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري، فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم، ومنها مقرر السجون، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يغرمه، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان، وكانت تجبى من سائر السجون. ومنها مقر طرح الفراريج، ولها ضمان في سائر نواحي الإقليم، فتطرح على الناس في النواحي الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأرامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه، وعليها عدة مقطعين ومرتبات، ولكل إقليم ضامن مفرد، ولا يقدر أحد أن يشتري فروجاً فما فوقه إلا من الضامن. ومنها مقرر الفرسان، وهي شيء يستهديه الولاة والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجئ من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم. ومنها مقرر الأقصاب والمعاصر، وهو ما يجبى من مزارعي الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة. ومنها رسم الأفراح، هي تجبى من سائر البلاد، وهي جهة بذاتها لا يعرف لها أصل. ومنها حماية المراكب، وهي تجبى من سائر المراكب التي في النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية، ويجبى من المسافرين في المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء. ومنها حقوق القينات، وهي ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من الغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أباش مصر وضمان تجيب بمصر. ومنها شد الزعماء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم في الخانات، وكانت جهة قبيحة شنعة. ومنها متوفر الجراريف، وتجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم، وعليها عدة من الأجناد، ومنها مقرر المشاعلية، وهي ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان، فإذا

امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضمن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبذل له ما طلب. ومنها ثمن العبى التي كانت تستأدى من البلاد،. ومنها مقرر الأتبان التي كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن، ومنها زكاة الرجالة بالديار المصرية. وأبطل السلطان أيضاَ وظيفتي النظر والاستيفاء من سائر الأعمال في كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين، فرسم ألا يستخدم أحد في إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون في كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير. ورفع السلطان سائر المباشرين، ورسم بالمسامحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية من سائر النواحي إلى آخر سنة أربع وسبعمائة. وجعل المال الهلالي لاستقبال صفر سنة ست عشرة، والمال الخراجي لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأفرد السلطان لخاصة الجيزة وأعمالها وبلاد هو والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدة بلاد . وأحرجت الجوالي من الخاص، وفرقت في البلاد، وأفردت جهات المكس كلها، وأضيف للوزارة، وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات. وارتجعت عدة بلاد كانت اشتريت، وأخلت في الإقطاعات. واعتد في سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح، وحسب من جملة الإقطاع.

فلما فرغ العمل من ذلك نودي في الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات، وكتبت المراسيم إلى النواحي به، فسر الناس سروراً كبيراً.

وجلس السلطان بالإيوان الذي أنشأه لتفرقة المثالات في ويوم الخميس ثاني عشري ذي الحجة، بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما. فكان المقدم يقف بمضافيه، ويستدعي السلطان المقدمين كل أحد باسمه، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان: من أين أنت؟ ومملوك من؟ حتى لا يخفى عليه شيء من أمره. ثم يعطيه مثالاً على ما قسم له من غير تأمل، وأنبأ السلطان في العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش.

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرهم بخدمته على العادة، وإذا أخذوا في شكر جندي عاكسهم وأعطاه دون ما كان في أملهم له، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد في المجلس. فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جواباً له عما يسأل السلطان عنه منهم. وفعل في عرض المماليك مثل عرض الأجناد، فكان المملوك إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفوه، وكم حضر من مصاف، وكم رأى بيكارا، وأي قطعة حاصر، فإن أجابه بصدق أنصفه .وكان السلطان يخير الشيخ المسن بين الإقطاع والرواتب، فيعطيه ما يختار، ولم يقطع في العرض العاجز عن الحركة، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضاً عن إقطاعه.

واتفق له في العرض أشياء: منها أنه تقدم إليه شاب تام الخلقة في وجهه أثر شبه ضربة سيف، فأعجبه وناوله مثالاً بإقطاع جيد، وقال له: في أي مصف وقع في وجهك هذا السيف؟ . فقال لقلة سعادته: يا خوند! هذا ما هو أثر سيف، وإنما وقعت من سلم. فصار في وجهي هذا الأثر، فتبسم وتركه. فقال الفخر ناظر الجيش: يا خوند! ما بقي يصلح له هذا الخبز!. فقال السلطان لا! قد صدقني وقال الحق، وأخذ ززقه، فلو قا لأصبت في المصف الفلاني من الذي يكذبه؟ فدعت الأمراء له، وانصرف الشاب بالمثال. وتقدم إليه رجل ذميم الشكل،

وله إقطاع ثقيل عبرة ثمانمائة دينار، فأعطاه مثالاً وانصرف. فإذا به عبرة نصف ما كان معه. فعاد وقبل الأرض. فسأله السلطان عن حاجته. فقال: الله يحفظ السلطان! فإنه غلط في حقي، فإن إقطاعي كانت عبرته ثمانمائة دينار، وهذا أربعمائة .فقال السلطان: بل الغلط كان في إقطاعك الأول، فمضى بما قسم له، فلما انتهت تفرقة المثالات في آخر المحرم سنة ست عشرة توفر منها نحو مائتي مثال.

ثم أخذ السلطان في عرض طباق المماليك، ووفر جوامك عدة منهم ورواتبهم، وأعطاهم الإقطاعات. وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم في السنة. وارتجع السلطان ما كانت البرجية قد اشترته من أراضي الجيزة وغيرها، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغي والجوكندار وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للخاص.

وبالغ السلطان في إقامة أيام العرض. وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه من رد مثالاً أو تضرر أو شكا ضرب وحبس وقطع خبزه، وأن أحداً من الأمراء لا يتلكم مع السلطان في أمر جندي ولا مملوك، فلم يجسر أحد أن يخالف ما رسم به.

وعين في هذا العرض أكثر الأجناد، فإنهم أخذوا إقطاعات دون التي كانت معهم، وقصد الأمراء التحدث في ذلك مع السلطان، والنائب أرغون ينهاهم عنه. فقدر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركي، وجلس في البستان المنصروي ليستريح، فدخل بعض المرقدارية _ وكان يقال له عزيز _ ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها. فتمادى عزيز لشؤم بخته في الهزل إلى أن قال: وجدت جندي من جند الروك الناصري وهو راكب إكديش، وخرجه ومخلاة فرسه ورمحه على كتفه، وأراد أن يتم الكلام .فاشتد غضب السلطان. وصاح في المماليك: عروه ثيابه، فللحال خلعت عنه الثياب، وربط مع قواديس الساقية، وضربت الأبقار حتى أسرعت في الدوران، وعزيز تارة ينغمز في الماء وتارة يظهر، وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطان يزداد غضباً. فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين، وانقطع حسه، فتقدم إليه الأمير طغاي والأمير قطلوبغا الفخري وقالا: يا خوند! هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان، ويطيب خاطره، ولم يرد غير ذلك، وما زالا به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت، ورسم بنفيه من أرض مصر، فحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة في تغيير مثالات الأجناد.

وفي هذه السنة: ظهر ببلاد الصعيد فأر عظيم يخرج عن الإحصاء، بحيث إن مباشري ناحية أم القصور من بالد منفلوط قتلوا في أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردباً ينقص ثلث أردب، واعتبروا أردباً فجاء عدة ثمانية آلاف وأربعمائة فأر، وكل ويبة ألف وأربعمائة فأر.

وفيها وقعت نار في البرج المنصوري من قلعة الجبل وطباق الجمدارية، فأحرقت شيئاً كثيراً، وذلك في تاسع عشري شعبان.

وفيها غلقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها في مصر والقاهرة، في يوم السبت سابع عشر شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى.

وفيها حج الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة مع الركب، وكان أمير الركب عز الدين أيدمر الكوكندي.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمنتي المعروف بابن الأسعد، يوم الجمعة رابع عشري رمضان، وكان فقيهاً شافعياً مشكور السيرة.

ومات جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن بريق بن برعس أبو الطاهر القوصي الفقيه الحنفي، كان متصدراً بجامع أحمد بن طولون، وله فضيلة في الفقه والقراءات والعربية، وصنف وحدث، وله شعر منه :

ولي من عبرتي إحدى الوسائل أقول له ودمعي ليس يرقا

وطرفي فيك محرم وسائل حرمت الطيف منك ففاض دمعي

ومات تقي الدين سليمان بن حمزة بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، قاضي الحنابلة، بدمشق في حادي عشر ذي القعدة، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكان فاضلاً واسع الرواية، له معجم في مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء، مع الدين والتواضع.

ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي المالكين بالقاهرة ليلة الحادي والعشرين من صفر، عن ست وتسعين سنة، ودفن بالقرافة، ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة، وناب في الحكم بالحسينية خارج القاهرة، ثم ولي قضاء الإسكندرية، وهو أول من درس بالمدرسة المنكوتمرية بالقاهرة.

ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسين بن شرف الدين شاه الحسيني العلوي الأسترابادي، عالم الموصل ومدرس الشافعية، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمي ابن الحاجب والحاوي في المذهب، وله سبعون سنة، وأخذ عن النصير الطوسي، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته، وبرع في علوم المقولات، وكان يجيد الفقه وغيره.

ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسي التميميم الدمشقي، في ثاني عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أحد الأعيان الأخيار.

ومات الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي المعروف بالهندي الأرموي الفقيه الشافعي، في تاسع عشري صفر بدمشق، ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وله تصانيف مفيدة، وقدم من الهند إلى مصر بعد حجة، وسار إلى الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرس، وكان إماماً عالماً ديناً.

ومات شرف الدين محمد بن تميم الإسكندراني كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها، وكان إماماً في الإنشاء، وله نظم.

ومات عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صبرة، في تاسع عشر رجب بطرابلس، وولي حاجباً بدمشق مدة، وكان مشكوراً.

ومات الأمير علاء الدين أيدغدي شقير الحسامي، أحد مماليك الملك المنصور حسام الدين لاجين، وكان شجاعاً

مقداماً عجولاً، أحمق متكبراً واسطة سوء، قتل فتى أول ربيع الأول.
ومات حسام الدين قرالاجين المنصوري الأستادار، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان، وكان جواداً خيراً سليم الباطن، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين الخازن تحت العقوبة، يوم السبت عاشر ربيع الآخر.
ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبي بكر محمد الأزكشي، بدمشق في ثامن شعبان، وكان شجاعاً شهماً.

ومات الملك خربندا بن أبغا بن أرغون في سادس شوال، وتسمى بمحمد، وكان رافضياً، قتل أهل السنة، وكان منهمكاً في شرب الخمر متشاغلاً باللهو، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهده إليه، وكان محولاً بإحدى عينيه، عادلاً في رعيته، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهراً.
ومات الأمير سيف الدين كستاي الناصري نائب طرابلس بها، وكان جسوراً قوي النفس معجباً بنفسه شديد الكبر، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها.
ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث، في ثاني شعبان.
مات بهاء الدين بن المحلى، في خامس شعبان.
ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدي المالكي بمصر.
ومات الفقيه شرف الدين بن محيي الدين بن الفقيه نجيب الدين، في تاسع رجب.
ومات الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب، بدمشق في سادس عشري ذي الحجة، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه من مؤلفه ابن الصلاح، وبرواية الزهد لأحمد بن حنبل، وشيوخه كثيرة، ومولده في رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة.
ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف، إمام الجامع الجديد الناصري خارج مصر، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب.
ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف، المتصدر بجامع عمرو، بمصر ليلة الجمعة ثاني عشري شعبان.
ومات الشيخ ابن أبي مفصلة، ليلة الأحد سادس عشر رمضان.
ومات الشيخ زين الدين المهدوي، يوم الخميس تاسع رجب.
ومات الطواشي شبل الدولة كافور الأقطوني الصالحي، شاد الخزانة السلطانية، ليلة الاثنين رابع عشر ذي القعدة.
ومات فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام، في سابع عشري ذي القعدة.

سنة ست عشر وسبعمائة

في المحرم: قدم البريد من حلب بموت خربندا، وجلوس ولده أبي سعيد بعده.
وفي يوم السبت ثالث عشريه: سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقة، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد، وغرقت بلبيس لكثرة المطر.

وفي ثامن صفر: استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع في قضاء الحنابلة بدمشق، وجهز له توقيعه من القاهرة، فلم يغير زيه، واستمر يحمل ما يشتريه من السوق بنفسه، ويجلس على ثوب يبسطه بيده في مجلس الحكم، ويحمل نعله بيده.

وفي أول ربيع الأول: فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهنا.

وفيه قدم البريد بوقوع المطر في قارا وحمص وبعلبك، وفي بلاد حلب وإعزاز وحارم، بخلاف المعهود، وعقبه برد قدر النارنج، فيها ما زنته ثلاث أواق دمشقية، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شيء كثير. وخربت عدة ضياع، وتلف من التركمان وأهل الضياع خلق كثير. وعقب هذا المطر نزول سمك كثير ما بين صغار وكبار بالحياة، تناوله أهل الضياع واشتروه وأكلوه. وسقط بالمعرة وسرمين عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة في غاية الكبر، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طم القرى وسد الطرقات والأودية، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحي، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات.

وفي سادس عشرى جمادى الأولى: استقر قاضي القضاة نجم الدين بن صصري في مشيخة الشيوخ بدمشق، عوضاً عن شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللّه البكاشغري.

فيها رأى السلطان أن يقدم برشنبو النوبي، وهو ابن أخت داود ملك النوبة، فجهز صحبته الأمير عز الدين أيبك على عسكر. فلما بلغ ذلك كرنبس ملك النوبة بعث ابن أخته كتر الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكتر يسأل السلطان في أمره، فاعتقل كتر الدولة. ووصل العسكر إلى دمقلة، وقد فر كرنبس وأخوه أبرام، فقبض عليهما وحملا إلى القاهرة، فاعتقلا. وملك عبد اللّه برشنبو دمقلة، ورجع العسكر في جمادى الأولى سنة سبع عشرة. وأفرج عن كتر الدولة، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو، فخذله جماعته حتى قتل، وملك كتر الدولة. فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثه إلى النوبة، ووعده إن بعث إليه بكتر الدولة مقيداً أفرج عن أخيه كرنبس. فلما وصل أبرام خرج إليه كتر الدولة طائعاً، فقبض عليه ليرسله، فمات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه، فاجتمع أهل النوبة على كتر الدولة وملكوه البلاد.

وفيها أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، في العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها في أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن حتى التقوا بطائفة يقال لها حي الهلبكسة، وهم نحو الألفي راكب على الهجن بحراب ومزاريق، في خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول ورمى النشاب، وانهزموا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيها أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة في صفر سنة سبع عشرة.

وفيها هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت، وقدحت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت

عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.
وفيها أفرج عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب. وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد وأنعم عليه بمائتي ألف درهم، فسار على البريد ودخلها في آخر ذي الحجة. وكان بكتمر في مدة اعتقاله مكرماً لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجارية حبلت منه في الاعتقال، وولدت ولداً سماه ناصر الدين محمداً، فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياماً.
وفيها ولي الأمير سيف الدين أرقطاي نيابة حمص في تاسع رجب، عوضاً عن شهاب الدين قرطاي بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة.
رفيها أخرجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهات في القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.
وفيها توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.
وفيها أفرج عن الأمير كراي المنصوري والأمير سنقر الكمالي من سجن الكرك، وقدما إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.
وفيها قدمت رسل أزبك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاي قريب أزبك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبي سعيد، وأزبك، وطغاي، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج، وكلهم يبذل الطاعة، و لم يتفق في الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع في الأيام الظاهرية خمسة رسل.
وفيها سافر في الرسلية إلى بلاد أزبك الأمير علاء الدين أيدعدي الخوارزمي مملوك يازي، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمي الحلقة، بالهدية في آخر المحرم وهي مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتاني أطلس أحمر مزركش، وشاش كافوري وبلغطاق فوقاني مفرج مقصب محقق بطرز ذهب، وكلفتاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف بحلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.
وفيها قدمت أم الأمير بكتمر الساقي.
وفيها تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاي، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضي عنه وخلع عليه.
وفيها صرف بهادر الإبراهيمي من نقابة المماليك، وبقي على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.
وفيها مرضت زوجة الأمير طغاي، فعادها السلطان مراراً، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهماً عظيماً.
وفيها سار السلطان إلى الصيد في يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستوراً، ونزل تحت الأهرام.
وفيها توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.
وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادي عشرى جمادى الأولى - في ثامن عشر مسرى

-بعد أن بلغ في يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعاً من ستة عشر ذراعاً. فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين بالجيزة، فنقص عدة أصابع، وجمع لسده خلق كثير، غرق منهم نحو ثلاثين رجلاً في ساعة واحدة انطبق عليهم الجسر. ثم جمع من مصر رجال كثيرة، وكتفوا وأنزلوا في مركب وعدهم سبعون رجلاً، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم في يوم السبت سابع عشره. ثم زاد النيل حتى أوفى.

وفيها قطعت أرزاق المرتزقة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم، وعوضوا على جهات أجودها نسترواة، فصارت سنتهم ثمانية أشهر. وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا، والسعيد مستوفي الرواتب. ومنع شهر المحرم، وصولح من له راتب بثلث المدة - وهي شهران وثلثا شهر - ، وأحيلوا على المطابخ، وثمنت عليهم قطارة، فحصل من كل دينار سدسه. ونزل بالناس من ذلك شدة، وحصلت ذلة للحرم والأيتام، وسماهما الناس سعد الذابح وسعد بلع، وشافهوهما بكل مكروه.

وفيها قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة في تاسع عشر جمادى الأولى، ونزل بمناظر الكبش، وحمل تقدمته في غده، وسار في تاسع عشر جمادى الآخرة.

وفيها لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة في يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد صاحب حماة.

وفيها استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده في خامس عشر رجب، بعد موت التقي أسعد كاتب برلغي.

وفيها سافر الفخر ناظر الجيش وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس، وقدم ابن جماعة في تاسع عشرى رمضان.

وفيه استقر العلم أبو شاكر بن سعيد الدولة في نظر البيوت، واستقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين، شريكاً لأمين الدين، في يوم الأحد أول ذي القعدة. وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصري، بدمشق في ليلة الإثنين أول رجب، ومولده بمصر في حادي عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان فاضلاً جليل القدر ولي نظر الدواوين بمصر، وولي نظر الشام وطرابلس وإسكندرية، ثم تغيرت حالته وانحطت رتبته، واستقر في نظر أوقاف دمشق مع الحسبة، وكان عاقلاً خبيراً بالولايات، وفيه لين وسكون ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين. ومال صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن أبي اليسر مكتوم بن أحمد القيسي السويدي الدمشقي، في ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق، كان فقيهاً مقرئاً محدثاً، درس وانفرد بالرواية عن جماعة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد مماليك المنصور قلاوون، وكان نائب دمشق، في ثالث عشرى المحرم بهمذان.

ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي البغدادي الحنبلي، في رجب ببلد الخليل عليه السلام، أقام بالقاهرة مدة، وامتحن بها.

ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن مظفر الخطيري الدمشقي، في جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة،

حدث، وولي نظر الخزانة بدمشق وكذلك نظر الجامع الأموي والمارستان النووي بها، وكان ديناً صيناً.
ومات الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندي - عرف بكاتب ابن ابن وداعة - الأديب البارع المقرئ ومات الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكي - المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل - في يوم الأربعاء رابع عشرى ذي الحجة بالقاهرة ومولده بدمياط في شوال سنة خمس وستين وستمائة، واستقر بعده في تدريس الزاوية بجامع عمرو شهاب الدين بن الأنصاري، وفي تدريس المجدية شمس الدين محمد بن اللبان. وقتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسندمر كرجي، وسيف الدين بينجار المنصوري، وبكتوت الشجاعي، وبيبرس العلمي، وبيبرس المجنون، وقطلوبك الكبير، وبكتمر الجوكندار نائب السلطنة، وبلبان طرنا خنقوا في ليلة واحدة.
ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاي الناصري، في تاسع جمادى الآخرة، واستقر عوضه الأمير شهاب الدين قرطاي الصالحي نائب حمص، وولي حمص أرقطاي الجمدار.
ومات الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقي طنبغا الشمسي، أحد أمراء مصر، وكان حشماً عاقلاً.

ومات الصاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن شهاب النشائي، وزير مصر، في يوم الإثنين تاسع عشرى رمضان، وكان قد ولي التدريس بالمدرسة التي بجوار الشافعي بالقرافة، ومشيخه الميعاد بالجامع الطولوني، ونظر الأحباس ونظر الخزانة، وكان مشكور السيرة، فقيهاً فاضلاً إماماً في الفرائض مشاركاً في علم الحديث، كثير الصدقة، وقال بعض الشعراء يرثيه :

فهو شيء يقال من حناء   إن بكى الناس بالمدامع حمرا

لأرى الختم دائماً بالنشاء   فاختم الدست بالنشائي فإني

وكان في وزارته غير نافذ الأمر، و قال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحي من أبيات :

زقوا منصب الوزارة حتى   لزقوها وقتنا بالنشاء

وولي بعده نظر الخزانة تقي الدين أحمد بن قاضي القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلي.
ومات تقي الدين أسعد الأحوال بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلغي - ناظر الدواوين، في ليلة الإثنين ثامن شهر رجب، فاستقر بعده الصاحب أمين الدين بن الغنام، والتقى هذا هو الذي كان سبب الروك، بتحسينه عمل ذلك للسلطان، وهو الذي أدخل جهات المكوس في ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ، وفرق جوالي الذمة في الإقطاعات بعدما كانت قلماً مفرداً، فما زال رجال الدولة بالسلطان حتى تنكر عليه وسبه ولعنه وهدده بالقتل، فأثر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات، وكان من الظلمة اللئام، واستسلمه الأمير برلغي، ولم يوجد له بعد موته، شيء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتي درهم.
ومات ناصر الدين أبو بكر بن عمر بن السلار - بتشديد اللام بعد السين المهملة - في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم، ومولده ليلة الاثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة بدمشق، وكان أديباً بارعاً بديع الكتابة، وتفتن في عدة فضائل، وهو من بيت إمارة، ومن شعره :

هي الجنة الدنيا لمن يتبصر   لعمرك ما مصر بمصر وإنما

وروضتها الفردوس والنيل كوثر   فأولادها الولدان من نسل آدم

ومات الطواشي ظهير الدين مختار المنصوري - المعروف بالبلبيسي - الخازندار، بدمشق في عاشر شعبان، وكان يقرأ القرآن، وفيه شجاعة وشهامة، وفرق ماله على عتقائه قبل موته، ووقف أملاكه على تربته.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدي بن الوزيري، بدمشق في سادس عشر شعبان.

وماتت المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد، وتدعى وزيرة، ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، بدمشق في ثامن عشر شعبان، ومولدها في سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدثت بصحيح البخاري في القاهرة ومصر وقلعة الجبل، سنة خمس وسبعمائة.

ومات القاضي فخر الدين علي ابن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن دقيق العيد، في يوم الثلاثاء عشرى رمضان. ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة، وانقطع بعد أبيه للأشغال، ودرس بالكهاربة من القاهرة.

ومات الكاتب المجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير الدمشقي، بها في عاشر ذي القعدة، وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة، وكان شيخ الكتابة بدمشق.

ومات نجاد بن أحمد بن حجي أمير آل مرا، وحضر ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي إلى القاهرة، واستقر عوضه. وقتل سيف الدين خاص بك، في يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى، ضربت عنقه، وكان ممن فر إلى بلاد المغرب وقبض عليه.

ومات الشيخ نور الدين الكناني المقرئ، ليلة الأربعاء عشرى جمادى الأولى بروضة مصر.

مات سراج الدين عمر الأسعردي، في يوم الأربعاء ثالث رجب.

ومات الطواشي شبل الدولة كافور الطيبرسي - الشهير بالعاجي - يوم الخميس ثامن عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد اللّه بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، يوم الثلاثاء رابع عشرى رجب.

ومات شهاب الدين أحمد بن العسقلاني، إمام جامع المنشاة، يوم الأربعاء سلخ رجب.

ومات شهاب الدين محمد بن عبد الحميد - المتصدر بجامع عمرو - بمصر يوم الأحد تاسع عشر شعبان، ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان معتقداً.

سنة سبع عشر وسبعمائة

أول المحرم: قدم طيبغا الحموي مبشراً بسلامة الحاج، ووصل القاضي كريم الدين ناظر الخاص من القدس يوم الإثنين سادسه. وقمم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه.

وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاي وماتت، فأكثر زوجها من الصدقة، وفرق بداره التي كانت للملك المنصور قلاوون بالقاهرة مالاً على الفقراء، و هلك في الزحام اثنا عشر شخصاً وبهيمة كانت تحت أحدهم.

وفي حادي عشرى صفر: شنع الناس بموت القاضي كريم الدين، فركب في سادس عشريه وصعد إلى مصر، فزينت له وأوقدت الشموع.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قاضي بعلبك بنزول مطر في يوم الثلاثاء سابع صفر ببعلبك، عقبه سيل عظيم أتلف شيئاً كثيراً، وهدم قطعة من السور، وغرق المدينة، وتلف بها شيء كثير، ومات ألف وخمسمائة

إنسان سوى من مات تحت الردم، وانهدم منه بستاناً، وثلاثة عشر جامعاً ومدرسة ومسجداً، وسبعة عشر فرناً، وأحد عشر طاحوناً، وهدم برجاً من السور ارتفاعه ثمانية وثلاثون ذراعاً ودوره من أسفله ثلاثة عشر ذراعاً، ذهب جميعه.

وفي ثالث عشر جمادى الأولى - وهو يوم السبت تاسع عشرى أبيب - : قدم المفرد إلى مصر وعلق الستر، فنقص النيل في ليلة الأحد ثلاثة أصابع، فخلق المقياس يوم الأحد، وفتح الخليج مع النقص، ثم رد النيل وزاد إصبعين نودي بهما يوم الأربعاء ثالث مسرى. واستمرت الزيادة، فكان ينادي في اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة في يوم الأحد رابع عشرى توت - وهو ثالث رجب - ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع، وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور.

وفي بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى: سار السلطان ومعه خمسون أميراً، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص. والفخر ناظر الجيش، وعلاء الدين بن الأثير كاتب السر، بعدما فرق في كل واحد فرساً مسرجاً وهجينين، وبعضهم ثلاثة هجن. وركب السلطان إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس، فتوجه إلى القدس، ودخل إلى الكرك، وعاد في رابع جمادى الآخرة، فكانت غيبته أربعين يوماً.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، من سجن الكرك، فخلع السلطان عليهما، وأنعم على بهادر بإمرة في دمشق، ولزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بتقدمه ألف على عادته.

وفيه صرف أمين الدين عبد اللّه بن الغنام من نظر الدواوين، ونزل بتربته من القرافة، واستمر التاج إسحاق بن القماط والموفق هبة الله مستوفي الأمير سلار في نظر الدواوين عوضه نقلا من استيفاء الدولة، واستقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الكارم ودار القند في ثالث عشريه، وخلع على الثلاثة في يوم السبت خامس عشريه.

وفي رابع رجب: تقطعت جسور منية الشيرج وقليوب، وغرقت ليلة خامسه، وفر أهلها وتلفت أموالهم وغلالهم. فركب متولي القاهرة وغلق سائر الحوانيت والأسواق، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقي من الجسور.

وفيه قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا، فأنعم عليهما.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: صرف قاضي القضاة شمس الدين الحريري الحنفي عن قضاء مصر خاصة، واستقر عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبي بكر الحنفي قاضي الحسينية، فجلس سراج الدين للحكم في يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومات ليلة الثاني والعشرين من رمضان، وعاد ابن الحريري إلى قضاء مصر. وكان سبب عزله أنه بالغ في الحط على الكتاب من النصارى والمسالمة، وأخرق بجماعة منهم وضربهم ، وكان إذا رأى نصرانياً راكباً أنزله وأهانه وإذا رأى عليه ثياباً سرية نكل به، فضاق ذرعهم به، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير.

فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودور إخوته وقطعتة من الميدان، وأنشأ الأمير سيف الدين بكتمر الساقي المظفري قصراً في موضع ذلك على بركة الفيل. أراد السلطان أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل، وهي

في أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر، وأراد من ابن الحريري الحكم بذلك كما هو مذهبه، فابى وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها: لا سبيل إلى هذا، ولا يجوز الاستبدال في مذهبي، ونهض قائماً وقد اشتد حنق السلطان منه. فسعى السراج عند كريم الدين الكبير في قضاء مصر. ووعد بأنه يحكم بذلك، فأجيب وحكم بالاستبدال وصار ابن الحريري على قضاء الحنفية بالقاهرة فقط، فمرض السراج عقيبها إلى أن مات في ثالث عشرى رمضان، فعد ذلك من بركة الحريري، وأعيد إليه قضاء مصر.

وفي أواخر شعبان :عدى جماعة من الططر الفرات، وقدم دمشق في سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاي في مائة فارس بنسائهم وأولادهم، ودخلوا القاهرة في شوال.

وفي رمضان: عادت الرسل من عند أزبك، وهم أيدغدي الخوارزمي ومن معه، وصحبته رسل إزبك.

وفيه قدم البريد بأنه ظهر في سابع عشر ذي القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس من أعمال جبلة زعم أنه محمد بن الحسن المهدي، وأنه بينا هو قائم يحرث إذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل في جسده روح محمد بن الحسن، فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية علي بن أبي طالب نحو الخمسة آلاف، وأمرهم بالسجود له فسجدوا، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات وصرح بأن لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد، ورفع الرايات الحمر، وشمعة كبيرة تقد بالهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم، وأنه أحياه، وسمي أخاه المقداد بن الأسود الكندي، وسمي أخر جبريل، وصار يقول له: اطلع إليه وقل كذا وكذا ، و يشير إلى الباري سبحانه وتعالى، وهو بزعمه علي بن أبي طالب، فيخرج المسمى جبريل ويغيب قليلاً، ثم يأتي ويقول: افعل رأيك. ثم جمع هذا الدعي أصحابه و هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه، فقتل وسبى وأعلن بكفره، وسب أبا بكر وعمر رضي اللّه عنهما .فجرد إليه نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الأمير بدر الدين بيليك العثماني المنصوري على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قتل الدعي، وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام.

وفيه قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامي بإذعان الملك أبي سعيد ابن خربندا، ووزيره خواجا على شاه، والأمير جوبان، والأمراء أكابر المغل للصلح، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين، فجهزت إلى أبي سعيد هدية جليلة من جملتها فرس وسيف وقرفل.

وفيه أفرج عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة النبوية، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب، وأعيد إلى ولايته عوضاً عن أخيه ودي بن جماز، وسار منصور إلى المدينة ومعه عز الدين أيدمر الكوندكي.

وفيه قدم البريد من حلب بخروج ريح في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تمادت تلك الليلة، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبرد كبار، وجاء سيل لم يعهد مثله، فأخذ كل ما مر به من شجر وغيره، وتكون عمود من نار متصل اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم، ومشى بها رمية سهم، ثم فرقها الريح حجراً.

وفيه قدم الخبر بعود حميضة من العراق إلى مكة، ومعه نحو الخمسين من المغل، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان، فكتب بمنعه من ذلك ما لم يقدم إلى مصر. وفيه قبض على الأمير أقبغا الحسني، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة، من أجل أنه شرب الخمر، ووسط خازن داره، وقطعت ألسنة جماعة من أصحابه، وكحل جماعة منهم.

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فاراً من أخيه حميضة، وأنه ملك مكة وخطب لأبي سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار، فرسم بتجريد الأمير صارم الدين أزبك الجرمكي، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي في ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء، مع الركب إلى مكة.
وفيه عزل الأمير ركن الذين بيبرس أمير أخور من الحجوبية، واستقر عوضه الأمير سيف الدين ألماس، وكان ألماس تركياً غتمياً لا يعرف باللسان العربي.

وفيها أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدمر الدوادار، وعلاء الدين على الساقي، وعلاء الدين مغلطاي السنجري، وطغاي الطباخي، وشرف الدين قيران الحسامي أمير علم. وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.
وفيه قدم مندوه الكردي الفار من أسره بملطية بعدما أمن، فأنعم عليه بأمرة في دمشق.
وفيه حاصر الأمير سنجر الجاولي غزة قلعة سلع - ومعه نحو العشرة آلاف فارس - مدة عشرين يوماً إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلاً من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئاً كثيراً، ورتب الجاولي بها رجالاً وعاد إلى غزة.
وفي جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندري المالكي في قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر الزواوي بعد موته، فسار فخر الدين إليها من القاهرة، وقدمها في عشريه.
وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالي، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة سبع عشرة .و تو بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات، وأبطل منها رسوم الأفراح، ورسوم السجون، وغير ذلك من المكوس التي كان مبلغها في كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة.
وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي وحسين بن صاروا وبطرك الملكية من بلاد أزبك، ومعهم عدة من رسل أزبك: وهم شرنك و بغرطاي وقرطقا وعمر القرمي، ورسل الأشكري صاحب قسطنطينية، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس، ومعهم الهدايا :فدية أزبك ثلاث سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة فولاذ وسيف، فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرجي والأمير سيف الدين بيرم خجا، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار.
وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة، وأقام أياماً وعاد. وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركماني النازل بالبركة إمرة.
وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي في كتابة السر بدمشق، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه العمري. واستقر الأمير سيف الدين ألجاي دواداراً، بعد موت بهاء الدين أرسلان.
وفيه طلق السلطان زوجته خوندا أردركين ابنة الأمير سيف الدين نوكاي .وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلي السلاح دار، بعد موته. وحج بالركب الأمير سيف الدين مجليس، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير بن جندر وعرلوا الجوكندار، وسيف الدين ألجاي الساقي، وسيف

الدين طقصبا الظاهري، وشمس الدين سنقر المرزوقي، وحج أيضاً الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد في عدة من عرب آل فضل، بلغت عدقم نحو اثنى عشر ألف راحلة. وفيه تمزقت جماعة الثائر بجبلة، وكان قد قام في النصيرية وادعى أنه المهدي، وأن دين النصيرية حق، وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقاتلوه فقتل، ورسم أن يبنى بقرى النصيرية في كل قرية مسجد، وتعمل له ارض لعمل مصالحه، وأن يمنع النصيرية من الخطاب وهو أن الصبي إذا بلغ الحلم عملت له وليمة، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبي أربعين يميناً على كتمان ما يودع من الذهب، ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية علي بن أبي طالب، وأن الخمر حلال، وأن تناسخ الأرواح حق، وأن العالم قديم، والبعث بعد الموت باطل، وإنكار الجنة والنار، وأن الصلوات خمس وهي إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، ولا غسل من جنابة، بل ذكر هذه الخمسة يغني عن الغسل وعن الوضوء، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة ذكروهم في كتبهم، وأن إلههم علي بن أبي طالب خلق السموات والأرض، وهو الرب، وأن محمداً هو الحجاب وسلمان هو الباب.

ومات في هذه السنة

ممن له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدي الطيبي، بطرابلس في سادس عشرى رمضان، عن تسع وستين سنة، كان أديباً فاملا؛ باشر الإنشاء مدة، ونفل إلى طرابلس في توقيعها إلى أن مات، ومن شعره :

هجرت الخمر لما صح عندي بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم تر مقلتي في الخمر شيئاً سوى أن تجمع الأحباب ساعة

ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان، فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهباً، وأربعون كلفتاه زركش، ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشاة المهراني.
ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري كاتب السر، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق، ومولده سابع ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة، حدث عن ابن عبد السلام، وبرع في الأدب، وكان ديناً عاقلاً وقوراً، ناهضا ثقة أميناً مشكوراً. مليح الخط جيد الإنشاء، فولي بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي أحد كتاب الدرج بديار مصر، نقل إليها من القاهرة، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال.
ومات فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل معيد المدرسة المنصورية بين القصرين، وكان فاضلاً، حدث وروى وحصل وكتب وخرج، ومات عن اثنتين وخمسين سنة. ومات علاء الدين على ن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد اللّه بن عبد الظاهر السعدي، أحد أعيان كتاب الإنشاء، يوم الخميس رابع رمضان، وكان عالي الهمة صاحب مكارم، وتمكن من الأمير سلار أيام نيابته، فإنه كان موقعه.
ومات زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف الصنهاجي المراكشي الإسكندراني، في أول يوم من ذي الحجة.
ومات جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي الربيع سليمان بن سومر الزواوي المالكي قاضي دمشق، في تاسع

جمادى الأولى بها، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة، وقدم الإسكندرية وهو شاب، وتفقه بها حتى برع في مذهب مالك، وأكثر من سماع الحديث، فسمع من ابن رواج والسبط وأبي عبد اللّه المريني وأبي العباس القرطبي وابن عبد السلام وأبي محمد بن برطلة، وولي قضاء المالكية بدمشق ثلاثين سنة، بصرامة وقوة في الأحكام وشدة في إراقة دماء الملحدين والزنادقة والمخالفين، إلى أن اعتل بالرعشة نحو عشرين سنة، ومازال إلى يعلته أن عجز عن الكلام، فصرف. ومات بعد عزله بعشرين يوماً، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام.

ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن صصري الدمشقي، يوم الجمعة سابع ذي الحجة بمكة، وعمره خمس وثلاثون سنة، فدفن بالمعلاة، وكان حسن الأخلاق.

ومات بطرابلس عماد الدين محمد بن صفي الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويري، صاحب ديوان طرابلس.

ومات الأمير سيف الدين قلني السلاح دار.

ومات الأمير شمس الدين الذكر السلاح دار - صهر علم الدين سنجر الشجاعي - وهو في الحبس.

ومات الأمير سيف الدين ألكتمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضاً.

ومات الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص، في حادي عشرى المحرم.

ومات قاضي القضاة نجم الدين الحنفي الملطي، يوم الإثنين رابع ربيع الأول.

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحياني بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك تونس، وولى ابنه أبا عبد اللّه محمد المعروف بأبي ضربة في آخر ربيع الآخر، وكانت مدته ست سنين.

سنة ثمان عشرة وسبعمائة

في المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة، وصحبته المجردون، فشكى الصارم أزبك الجرمكي من بهادر الإبراهيمي، وأنه منعه من اخذ الشريف حميضة، وأنه تعاطى الخمور، فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقجبا وجماعة، وسجنوا بالإسكندرية، وأنعم على الأمير مغلطاي الجمالي بخبز الإبراهيمي.

وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز، وكثرة الوباء والموت بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن، وميافارقين لم يوجد من يخطب بها في جامعها.

وفي أول صفر: توجه القاضي كريم الدين الكبير إلى دمشق، فدخلها في سابعه، وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة، وقدم إليه هدية سنية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد البقية، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا، وعاد إلى القاهرة بعد أربعه أيام.

وفي سابعه :استقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الدواوين.

وفي سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامي نائب صفد، وأنعم عليه بتقدمة ألف في سادس عشرة.

وفي سابع عشرة: سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظراً. وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكري وحط على كريم الكبير وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكري السلطان عنه ما قال، فأعلم به كريم الدين فقال هو يا

خوند معذور، فأنه قد بطل، ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان. وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه في الحال بخلعة وبريدي، وخرج لوقته.

وفي حادي عشريه: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركماني من شد الدواوين، ونزل إلى داره.

وفيه عوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وركب إلى القلعة، وترك معلوم القضاة تتزهاً عنه، فخلع عليه وباشر بغير معلوم.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه: خلع على الأمير سيف الدين طغاي الحسامي الكبير، وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضاً عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان، وتحكمه في الأمراء والمماليك، وقوة حرمته، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاي الجمالي، فوصل صفد في تاسع عشر ربيع أول، وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بأنه في يوم الأربعاء ثاني صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس، ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرها، وصارت عموداً أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب، ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالي بن اليكي مقدم التركمان، وتلوى يميناً وشمالاً، فلم يترك هناك شيئاً حتى أهلكه، وطوالي يصيح: "يا رب قد أخذت الرزق، وتركت العيال بغير رزق، فإيش أطعمهم،، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه، وأهلكه وامرأته و أولاده وثلاثة عشر نفساً. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا في السماء قدر عشرة أرماح، وأتلفت القدور الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم في اليوم، ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية.

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمي الحلقة الشيوخ في أوقات المشورة مع الأمراء، وسمع كلامهم.

وفيه سأل النصارى في رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم، فأذن لهم السلطان في رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى، وأحضر الأقباط لهم الآلات، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين، فجاءت كأحسن المباني. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص في الإنكار على بناء الكنيسة، إلى أن رسم لمتولي القاهرة على علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء، فنزل إليها علم الدين، واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وهدم ما جدد فيها، ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذي هدم محراباً، وأذنوا فيه أوقات الصلوات، وصلوا وقرأوا هناك القرآن، ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين، فرفع كريم الدين ذلك للسلطان، وأغراه ممن فعل ذلك، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم، وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم المحراب وإعادة البناء، وقبض أهل حارة الروم وعملهم في الحديد، فلما توجه الخازن لذلك اجتمع الناس وصاحوا به، فساس الأمير وتركهم، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب.

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد بركوب الأوشاقية بكوافي زركش على صفة الطاسات، وهم الذين عرفوا باسم الجفتاوات. واستجد النداء في البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحداً من مماليك السلطان في مركب يوم الميدان، وشدد الإنكار على الطواشي المقدم في غفلته عن

المماليك.
وفيه شدد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل، وهم: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البرواني، وبيبرس المجنون، وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم، والحاج بيليك، وسيف الدين طاجا، والشيخ على مملوك سلار، ومنع حريمهم من الإقامة عندهم.

وفيه خرج الأمير مغلطاي الجمالي على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاي نيابة حلب، وكتب إلى الأمير سيف الدين أقطاي نائب حمص بنيابة صفد عوضاً عن طغاي، واستقرار الأمير بدر الدين بكتوت القرماني في نيابة حمص. وأسر السلطان إلى الأمير مغلطاي القبض على طغاي. فتوجه مغلطاي إلى صفد للقبض على طغاي.
فتوجه مغلطاي إلى صفد بعد اجتماعه بالأمير تنكز نائب الشام، وهو على طغاي، وأحضره إلى قبة النصر خارج القاهرة، فخرج إليه الأمير قجليس، وصعد إلى القلعة وهو مقيد في خامس عشر جمادى الأ ولى، وأخرج به في ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى إلى الإسكندرية، فكان أخر العهد به. وأخرج بهادر أيضاً إلى سجن الإسكندرية، ووقعت الحوطة في يوم الخميس عشريه على موجوده وفرقت مماليكه على الأمراء.
وفيه توجه الأمير قجليس إلى الشام.
وفيه ابتدئ في صفر بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشت خاناه والفرش وجامع القلعة، وبنى الجميع جامعاً، فجاء على ما هو عليه الآن من أحسن المباني. تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان، واستدعى سائر مؤذني القاهرة ومصر وقراءها وخطباءهما وعرضوا عليه، فاختار عشرين مؤذناً رتبهم فيه، وقرر به درساً وقارئ مصحح وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة.
وفيه تجدد بدمشق ثلاثة جوامع بظاهرها: وهي جامع الأمير تنكز، والأمير كريم الدين، وجامع شمس الدين غبريال بن سعد.
وفيه غرقت مركب في بحر الملح وهي متوجهة إلى اليمن، وكان فيها لكريم الدين متجر. بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره، فلم يسلم منها سوى سبعة أنفس، وغرق الجميع.
وفيه وقعت الفتنة بين المغل، فقتل فيها نحو الثلاثين أميراً سوى الأجناد والأتابك وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم، وانتصر أبو سعيد. فسر السلطان بذلك لما فيه من وقوع الوهن في المغل.
وفيها قبض على الأمير بدر الدين ميزامير ابن الأمير نور الدين صاحب ملطية، من أنه كتب إلى جوبان القائم بدولة أبي سعيد بن خربندا بالأردو أن يطلبه من السلطان. وقبض أيضاً على مندوه الكردي بغزة.
وفيه حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، بسبب مسألة الطلاق، وكان ذلك بسعي قاضي القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه، وإغرائه السلطان به.
وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري بإقطاع مغلطاي ابن أمير مجلس، بإمرة ثمانين فارساً، وخلع عليه وجلس رأس الميسرة، ونقل مغلطاي إلى الشام.
وفيه قدم صاحب خرتبرت، فأنعم بإمرية.
وفيه استقر في نيابة الكرك الأمير عز الدين أيبك الجمالي نائب قلعة دمشق، واستقر عوضه في نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيبك الدميتري.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركماني بطائفة من العسكر مجردين إلى الحجاز، في طلب الشريفين حميضة ورميثة.
وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسني، وأنعم عليه بإمرة في دمشق.
وفي شعبان: قدم حمل سيس على العادة.
وفيه ولي قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيس ابن بدران الأخنائي، بعد موت زين الدين علي بن مخلوف في ثاني عشر جمادى الآخرة.
وفيه حج بالركب المصري الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي، وقبض على الشريف رميثة، وفر حميضة، وقدم رميثة مقيداً إلى قلعة الجبل، فسجن بها.
وفيه قدمت رسل ابن قرمان بدراهم ضربت باسم السلطان، وأنه خطب هناك للسلطان، وهي أطراف بلاد الروم، فكتب له تقليد، وسيرت إليه هدية جليلة.
وفيه خلع أبو عبد ا لله محمد المعروف بأبي ضربة ابن الأمير أبي زكريا اللحياني ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص، في أخر شهر ربيع الآخر. وكانت مدته سنة واحدة، وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص.
وفي هذه السنة. انقرضت دولة بني قطلمش ملوك قونية. وذلك أن عز الدين اسيكاوس بن كيخسرو لما مات سبع وسبعين وستمائة ترك ابنه مسعوداً، فولاه أبغا بن هولاكو سيواس وغيرها. واستبد معين الدين سليمان برواناه على ركن الدين قلج أرسلان ابن كيخسرو بقيصرية ثم قتله، ونصب ابنه غياث الدين كيخسرو، فعزله أرغون بن أبغا، وولي ابن عمه مسعود بن كيكاوس، فأقام مسعود حتى انحل أمره وافتقر، وبقي الملك بالروم للتتر إلا ملك بني أرتنا، فأنه بقي بسيواس.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

كمال الدين أحمد بن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الكبري الوائلي الشريشي الفقيه الشافعي. قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية، وبرع في الأصول والنحو، وناب بدمشق في الحكم عن البدر محمد بن جماعة، وولى وكالة بيت المال مرتين، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وعلق تعاليق، وقال الشعر. ومولده في رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار، وتوفي بمنزلة الحسا من طريق الحجاز عن ست وستين سنة، في سلخ شوال.
ومات جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن علي بن عقيل الفقيه الشافعي المعروف بابن القماح، في سابع عشر ذي الحجة، وهو عم القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن القماح.
ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجي الأنصاري الدمشقي، في سابع عشري ربيع الأول. وهو من بيت جليل، وولي عدة مناصب، وكان ديناً صاحب مروءة وسعة، ومات يوم الإثنين سابع عشري ربيع الأول.
ومات فخر الدين أحمد بن تاج الدين بن أبي الخير سلامه بن أبي العباس أحمد بن سلامة السكندري المالكى،

قاضي القضاة المالكية بدمشق، ولد سنة إحدى وأربعين وستمائة، ومات مستهل ذي الحجة، وكان مشكور السيرة، بصيراً بالعلم ماهراً في الأصول حشماً.

ومات أحمد بن المغربي الإشبيلي، كان يهودياً يقال له سليمان، فأسلم في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون، سنة تسعين وستمائه، وتسمى أحمد، ومات في ليلة العشرين من صفر. وكان بارعاً في عدة علوم، إماماً مي الفلسفة والنجامة، ولي رياسه الأطباء بديار مصر.

ومات مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي المقرئ المالكي النحوي. قدم في صباه إلى القاهرة، وأخذ بها القراءات والنحو حتى برع فيهما، وسكن دمشق وأقرأ بها، واشتغل في عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك، وكان ديناً رصيناً مفرط الذكاء، فيه تودد ويحب الإنفراد، وتخرج به الفضلاء. ومات يوم السبت سادس عشري ذي القعدة بدمشق، عن اثنتين وستين سنة.

ومات مسند الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي الصالحي، سمع سنة ثلاثين وستمائة على الفخر الإربلي، وسمع الصحيح كله على ابن الزبيدي، وسمع من الناصح ابن الحنبلي وسالم بن صصري وجعفر الهمذاني وجماعة، وأضر قبل موته بثلاثة أعوام، وثقل سمعه، وكان له همة وجلادة وفهم، وحدث وعاش ثلاثاً وتسعين سنة. ومات ليلة الجمعة تاسع عشري رمضان، ومولده في سنة خمس أو ست وستمائة.

ومات زين الدين أبو الحسن علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري الجزولي المالكي، قاضي القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، في ليلة الأربعاء ثاني عشر جمادي الآخرة، وأقام قاضياً نحواً من أربع وثلاثين سنة، ومولده سنة عشرين وستمائة. وكان مشكور السيرة،، خبيراً بتدبير أموره الدنيوية، كثير المداراة سيوساً، محباً لقضاء الحوائج، وولي بعده نائبه تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عتيق الأخنائي ومات محمد بن قاضي الجماعة أبي القاسم وقيل أبي عمر أحمد ابن القاضي أبي الوليد محمد بن محمد بن الحاج وقيل أحمد بن محمد بن عبد الله ابن القاضي أبي جعفر بن الحاج أبو الوليد التجيبي الأندلسي القرطبي الإشبيلي، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمائة، وورث مالاً كثيراً، فصادره ابن الأحمر، وأخذ منه عشرين ألف دينار، ونشأ يتيماً في حجر أمه، ونقلته إلى شريش ثم إلى غرناطة، فلما شب قدم تونس، ثم رحل منها بإبنيه إلى القاهرة، وسكن دمشق حتى مات بها في رجب. وكان فاضلاً ديناً، أم بمحراب الجامع، وامتنع من ولاية الحكم.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالي الحاجب، بمحبسه من القلعة، في ربيع الآخر، وكان في ولايته مشكوراً حشماً صين اللسان.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الظاهري، بدمشق في عاشر رمضان، وقد تجاوز الثمانين سنة.

ومات الأمير سيف الدين طغاي، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان.

ومات الأمير شمس الدين الدكز الأشرفي، أحد المماليك المنصورية قلاوون، بمحبسه بالقلعة. ومات الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخي.

ومات أركتمر بالجب من القلعة.

وأشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح علي بن قلاوون بقوص.

ومات الأمير عز الدين طقطاي نائب الكرك.

ومات ركن الدين بيبرس نائب عجلون.

وفيه قدم الخبر. بموت الوزير رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبي الخير بن عالي الهمذاني الطبيب، في تاسع رمضان. وكان قد علت مترلته عند غازان، وقدم معه الشام، وتقدم في أيام خربندا. فلما مات خربندا عزل عن وظائفه، فصانع عن نفسه. بمال كبير، فلم يغنه شيئاً، واقم أنه قتل خربندا بالسم، وشهد عليه الأطباخي، وقتل وحمل رأسه إلى تبريز، ثم قطعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو.

ومات الأمير سيف الدين بمادر الشمسي، بقلعة دمشق في ذي الحجة.

وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة، فلم يمكنوا من الكسوة، وكان القان أبو سعيد قد جهز الركب، وقدم عليهم رجلاً شجاعاً، فلم يمكن العربان أن يأخذ شيئاً من الحاج. فلما كان العام القابل خرجت العيون على الركب وهبوه، وأخذوا من الحاج شيئاً كثيراً، فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الركب، فقيل له نحو الثلاثين ألف دينار، فرتب لهم ستين ألف دينار، فمات من سنته.

سنة تسع عشرة وسبعمائة

في خامس المحرم: قدم مبشر الحاج بسلامة الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبي نمى، وأنه استقر عوضه في إمرة مكة أخوه الشريف عطيفة. وقدم الحاج مع مغلطاي الجمالي، وصحبته الشريف رميثة، فسجن من سابع عشرة إلى أن دخل المحمل في ثاني عشريه. فشق الجمالي على الناس بكثرة عجلته في السير وكانت العادة أولاً بقدوم المحمل في ثامن عشري المحرم، ثم استقر دخوله في الأيام الناصرية يوم الخامس أو الرابع والعشرين منه، فأنكر عليه السلطان ما فعله، وجهز محمد بن الرديني .بمائتي جمل عليها الزاد والماء برسم حمل من انقطع من الحاج، فسافر من يومه.

وفيه قدم كتاب الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني من مكة بأنه منع العبيد من حمل السلاح. بمكة، وأنه أخرج المفسدين ونادى بالعدل، وأنه مقيم لأخد الشريف حميضة.

وفيه جهز الأمير أيتمش المحمدي على عسكر إلى برقة، ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة، فسار في ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة ومعه من الأمراء بلبان الخاص تركي، وبلبان الحسني، وسنقر المرزوقي، وصمغار بن سنقر الأشقر، ومنكلي الجمدار، وغرلوا الجوكندار، ونوغاي، أخر يوم من المحرم، ونزل بالإسكندرية.

ثم سار أيتمش يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة، ومسافتها من الإسكندرية على الجادة نحو شهرين. فدله بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يوماً يفضي به إلى القوم من غير أن يعلموا به، وطلب في نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعات من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة، فعجل له أيتمش المائة، والتزم له بالإقطاع من السلطان، وكتب له بعشرة أرادب قمحاً لعياله، وأركبه ناقة، وكتم ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان، وسار بمسيره. فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره في غير الجادة، وخوفوه العطش وهلاك العسكر، فلم يعبأ بكلامهما، فمضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرا من الإرجاف، فاجتمعوا بأيتمش ليردوه إلى الجادة فلم يفعل ومضى، فلم يجدوا بداً من أتباعه حتى إذا مضت ثلاث عشرة ليلة

أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه، فدهشوا لرؤية العسكر. وأرسل إليهم أيتمش بسليمان وفايد يدعوهم إلى الطاعة، فأجابوا مع رسلهم: إنا على الطاعة ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم؟. فقال لهم أيتمش: حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان، وأعادهم. وتقدم أيتمش إلى جميع من معه ألا يترل أحد عن فرسه طول ليلته، فباتوا على ظهور الخيل.

فلما كان الصباح حضر أخو جعفر ليسمع المرسوم، فنهره أيتمش وقال له ولمن معه: ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعاً فليحضر، وإلا فليعرفني، وبعث معه ثلاثة من مقدمي الحلقة، فامتنع جعفر من الحضور. فللحال لبس العسكر السلاح وترتب، وأفرد سليمان وفايد. بمن معهما من العسكر ناحية، واستعد جعفر أيضاً وجمع قومه وحمل بهم على العسكر. فرموهم بالنشاب فلم يبالوا به، ودقوا العسكر برماحهم، وصرعوا الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعدما جرحوه ثلاث جراحات، فتداركه أصحابه وأركبوه. وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة أخرها انهزم العرب إلى بيوقم، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزموهم إليها، وكانت تلك البيوت في غاية قصب. فكف العسكر عن الدخول إليهم، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماها، وأباح لهم ما عداها، فامتدت الأيدى، وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده. وبات العسكر محترسين، وقد أسروا نحو الستمائة رجل سوى من قتل. فلما أصبح الصبح من أيتمش على الأسرى وأطلقهم، وتفقد العسكر فوجد فيه اثنى عشر جريحاً، ولم يقتل غير جندي واحد، فرحل عائداً عن البيوت بأنعام تسد الفضاء، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم، والجمل ما بين عشرين إلى ثلاثين درهماً، وسار أيتمش ستة أيام في الطريق التي سلكها والعسكر بالسلاح، خشية من عود العرب إليهم.

وبعث أيتمش بالبشارة إلى السلطان، فبعث الأمير سيف الدين ألجاي الساقي لتلقي العسكر بالإسكندرية وإخراج الخمس مما معهم للسلطان، وتفرقة ما بقي فيهم، فخص الجندي ما بين أربعة جمال وخمسة، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين. وحضروا إلى القاهرة، فخلع السلطان على أيتمش، وبعد حضورهم بإسبوع قدم جعفر بن عمر إلى القاهرة، ونزل عند الأمير بكتمر الساقي مستجيراً، فأكرمه ودخل به على السلطان، فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وأن يقرر عليه ما يقوم به، فقبل السلطان قوله وعفا عنه، وخلع عليه ومضى، وصار يحمل القود في كل سنة.

وفي ليلة أول المحرم: هبت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخربت كثيراً من البيوت، فهلك تحت الردم خلق كثير، وقلعت أشجار كثيرة من أصولها. ثم سكنت الريح، ثم ثارت ليلة التاسع عشر منه، و لم تبلغ شدة الأولى.

وفي صفر: استقر الأمير سيف الدين بهادر البدري نائب السلطنة بحمص، عوضاً عن بدر الدين بكتوت القرماني، فتوجه إليها في رابع ربيع الأول، واستقر القرماني من جملة أمراء دمشق. واستقر شرف الدين محمد بن معين الدين أبي بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمذاني المالكي ابن خطب الفيوم في قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن فخر الدين أحمد بن سلامة، في تاسع عشري ربيع الأول. واستقر تاج الدين أحمد بن القلانسي في وكالة بيت المال بدمشق، وكتب. بمنع ابن تيمية من الفتوي بالكفارة في اليمن بالطلاق.

وفيه قل المطر ببلاد الشام حتى أيس الناس واستسقوا بدمشق فسقوا، ومر دمشق سيل عظيم قل ماعهد مثله.

وفيه استجد السلطان القيام فوق الكرسي للأميرين جمال الدين أقوش نائب الكرك وسيف الدين بكتمر البوبكري السلاح دار، إذا دخلا عليه. وكان نائب الكرك يتقدم على البوبكري عند تقبيل يد السلطان، فعتب الأمراء على البوبكري. وسئل السلطان عن تقديمه نائب الكرك وتأخيره البوبكري، فأن العادة جرت أن يتأخر الكبير في تقبيل اليد ويتقدم الصغير قبله، فقال لأنه أكبر. فكشف عن ذلك، فوجد أن نائب الكرك قد أمره الملك لمنصور قلاوون إمرة عشرة، وجعله أستادار إبنه الملك الأشرف في سنة خمس وثمانين وستمائة، ووجد أن البوبكري تأمر بعد مسك سنقر الطويل، عندما طلب من مماليك البرج هو والخطيري وسنجر الجمقدار وطشتمر الجمقدار، في سنة تسعين وستمائة.

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: قدم شمس الدين غبريال على البريد من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام.

وفي يوم الإثنين رابع عشر ربيع الآخر. فر الشريف رميثة أخر النهار، فبعث السلطان في طلبه الأمير قطلوبغا المغربي والأمير أقبغا أص الجاشنكير على الهجن السلطانية، في ليلة الخميس سابع عشره، فقبض عليه. بمنزلة حقل في يوم الإثنين حادي عشريه، وقدم في خامس عشريه، فسجن في الجب من القلعة.

وفي يوم الخميس سابع عشر رجب: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركماني من مكة بكتاب الشريف عطيفة، وأخبر بأن القواد في طاعته، وأن حميضة نزح إلى اليمن، وذلك بعد أن فارقه بنو شعبة وغيرهم.

وفيه قدم الخبر بإفساد العرب بثغر عيذاب وقتلهم الشاد المقيم بها .فجرد إليهم السلطان من الأمراء آقوش المنصوري وهو المقدم، ومحمد بن الشمسي، وعلي بن قراسنقر، وطقصباي الحسامي، وبيبرس الكريمي، وآقوش العتريس، وأنعم على آقوش المنصوري بإمرة طبلخاناه، وأقطع ثغر أسوان ليقيم بعيذاب.

وفي جمادى الآخرة: قدم سليمان بن مهنا طائعاً، بعد دخوله إلى الأردو ملتجئاً إلى المغل، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم من دمشق، وأعطاه قماشاً بثلاثين ألف درهم، وعاد.

وفيه استقر في نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزيزي المهمندار، بعد وفاة الأمير طيبرس الخزنداري.

وفيه قدم كتاب أبي يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني الزاهد بن عبد الواحد ابن أبي حفص المعروف باللحياني ، يسأل الإسعاف بتجريد طائفة من العسكر إليه يحضر معهم إلى مصر. فخرج إليه الأمير طقصباي الحسامي والأمير بدر الدين بيليك المحسني في طائفة من الأجناد، وأحضراه بحرمه، وفيه أنزلت خوند أردوكين بنت نوكاي من القلعة إلى القاهرة، بعدما أخذ السلطان منها كثيراً من الجواهر، ورتب لها عدة رواتب.

وفيه عمل إبرنجي خال القان أبي سعيد على قتل جوبان، وواعد قرمشي ودقماق وغيرهما من المقدمين على ذلك. فنقل الخبر لجوبان، ففر ونهبت أثقاله، وقتل له نحو ثلاثمائة رجل. ولحق جوبان بتبريز، وقدم ومعه علي شاه إلى بو سعيد، فتبرأ مما جرى عليه. وجهز له بو سعيد عسكراً وركب معه حتى لقوا إبرنجي ومن معه، فقاتلوهم وأخذوا إبرنجي وقرمشي ودقماق، فقتلوا وأمسك أمراؤهم. وتمكن جوبان من أعدائه، وقتل خلائق من المغل، واتهم القان بوسعيد بأنه كان أمر إبرنحي بقتل جوبان لكثرة تحكمه عليه.

وفيه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج، وتقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم شمسوة الكعبة. فطلب كريم الدين أكرم الصغير وغيره من المباشرين، وأمرهم بتجهيز

الإقامات والمعلوات والحوائج خاناه، وكتب لنائب الشام ونائب غزة بتجهيز ما يحتاج إليه. فتوالت تقادم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية. وكانت أول تقدمة وصلت من الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهجن بأكوار ذهب، وسلاسل ذهب وفضة، ومقاود حرير، ثم تقدمة الملك المؤيد صاحب حماة. وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يحتاج إليه، وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البخاتي ويطبخ فيها، وأحضر الخولة لعمل مباقل ورياحين في أحواض من خشب تحمل على الجمال، فتصير مزوعة وتستقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه، فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شيء كثير، ورتب لها الخولة لتعهدها، وجهزت الأفران وصناع الكماج والجبن المقلي وغيره. ودفع كريم الدين إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط، وجهز في بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميراً، لكل أمير ما بين مائة عليقة في كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، فكانت جملة العليق في مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير. وحمل من دمشق خمسائة حمل على الجمال، ما بين حلوى وسكردانات وفواكه، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف المطبخ. وجهز كريم الدين من الأوز ألف طائر، ومن الدجاج ثلاثة ألاف طائر. وعين السلطان الأمير أرغون النائب بديار مصر للإقامة بقلعة الجبل، ومعه الأمير أيتمش وغيره، ورسم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحي إقطاعهم، فيكون كل منهم ببلاد إقطاعه إلى حين عود السلطان، ولا يجتمع أمير بأمير في غيبته. وكتب إلى النواب بالشام أن يستقر كل نائب. بمقر مملكته، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده، فامتثلت أوامره.

وفيه قدم الملك المؤيد من حماة، فتوجه المحمل على العادة في يوم الأحد ثامن عشر شوال، مع الأمير سيف الدين طرجي أمير مجلس. وركب السلطان من القلعة في أول ذي القعدة، وسار من بركة الحاج في سادسه، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة.

وقدم السلطان مكة بتواضع وذلة، بحيث قال الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا. لازلت أعظم نفسي إلى أن رأيت الكعبة، وذكرت بوس الناس الأرض لي، فدخلت في قلبي مهابة عظيمة مازالت حتى سجدت لله تعالى. وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن طوف راكباً، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: "ومن أنا حتى أتشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم والله لا طفت إلا كما يطوف الناس. ومنع السلطان الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس، في مدة طوافه وفي تقبيله الحجر. وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفي خوفاً منه، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ في إكرامهم. وغسل الكعبة بيده، وأخذ أزر إحرام وغسلها لهم بنفسه. وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوض أميري مكة والمدينة عنها إقطاعات. بمصر والشام. وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة: ظهر بعد الظهر القمر في السماء مقارناً لكوكب، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر.

وفيه مهد السلطان ما كان في عقبة أيلة من الصخور، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة.

وفيه اتفقت موعظة: وهي أن السلطان بالغ في تواضعه. بمكة، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد

كريم الدين الكبير إلى أعلا الكعبة بعدما صلى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفتين، فبعث الله عليه نعاساً سقط منه على أم رأسه من علو البيت، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك. وصرخ الناس في الطواف تعجباً من ظهور قدرة الله في إذلال المتكبرين، وانقطع ظفر كريم الدين، وعلم بذنبه فتصدق. بمال جزيل.

وفي هذه السنة: حشد الفرنج، وأقبلوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس في عدد لا يحصى، فيه خمسة وعشرون ملكاً، فقلق المسلمون بغرناطة، واستنجدوا بالمريني ملك فاس فلم ينجدهم، فلجوا إلى الله وحاربوهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة ألاف راجل، فقتلوا الفرنج بأجمعهم. وأقل ما قيل أنه قتل منهم خمسون ألفاً، وأكثر ما قيل ثمانون ألفاً، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً، وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر، وسلخ الملك دون بتروا وحشي قطناً، وعلق على باب غرناطة، فطلب الفرنج الهدنة فعقدت، وبقي دون بتروا معلقاً عدة سنين.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين كراي المنصوري، في سادس عشر المحرم بسجن القلعة، وكان مقدماً قليل السياسة.

ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلي، أحد مماليك العادل كتبغا، بدمشق سلخ جمادى الأولى، وكان شجاعاً كريماً.

ومات الأمير علاء الدين طيبرس الخزنداري، نقيب الجيش وأحد أمراء الطبلخاناه، في عشري ربيع الآخر، ودفن بمدرسته المجاورة للجامع الأزهر، وكان قد أقام في نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة، لم يقبل فيها لأحد هدية، وكان ديناً صاحب مال كبير، وهو أول من عمر في أرض مصر بستان الخشاب والجامع والخانكاه على النيل، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر، وعمل لذلك أوقافاً كثيرة، ولما كملت وجاءه مباشروه بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء، وقال: "شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه."

ومات الأمير ملكتمر السليماني الجمدار، فجأة.

ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجي، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده في سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وكان معتقداً عارفاً بالقراءات، محدثاً فقيهاً حنفياً، وأقام عدة سنين لا يأكل اللحم، وحصل له حظ وافر في الدولة المظفرية بيبرس.

ومات القاضي فخر الدين أبو عمرو عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله الأنصاري الشافعي عرف بإبن بنت أبي سعد، في ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده في حادي عشري رجب سنة تسع وعشرين وستمائة بداريا ظاهر دمشق، واستقر عوضه في تدريس الجامع الطولوني عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر محمد ابن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادي، بالقاهرة في ثاني ذي القعدة، وقد حضر من دمشق في طلب إمرة، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق، فمات قبل عوده إليها. ومولده بدمشق في سنة خمس وخمسين

وستمائة. ومات بدمشق شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد ابن الملك الأمجد مجد الدين حسن ابن الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بن أيوب، في رجب يوم الإثنين لست بقين منه.

ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهري الحلبي، بدمشق في سادس عشر جمادى الآخرة، ومولده بحلب في ثالث عشر صفر سنة اثنين وخمسين وستمائه، وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا، وعرضت عليه وزارة دمشق فأبى.

سنة عشرين وسبعمائة

فيها عاد السلطان من الحجاز بعدما من بخليص، وقد جرى الماء إليها. وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص، ليجري الماء من عين بها إلى بوركة يردها الحاج، وقد انقطع ذلك منذ سنين، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص، فرسم بمبلغ خمسة ألاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة، وجعلها مقررة في كل سنة لصاحب خليص. فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها، واستمر حمل المال إليه في كل سنة، ووجد الماء في البركة دائماً.

ولقى السلطان في هذه السفرة جميع العربان: من بني مهدي وأمرائها، وشطى وأخيه عساف وأولاده، وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشراف المدينة والينبع وخليص، وبني لام وعربان حوران، وأولاد مهنا موسى وسليمان وفياض، وأحمد وجبار، بعربهم، و لم يتفق اجتماع هؤلاء لملك قبله. وأكثروا من الدالة على السلطان، وجروا على عوائدهم العربية من غير مراعاة الآداب الملوكية وهو يحتملهم، بحيث أن موسى بن مهنا كان ولد صغير، فقام في بعض الأيام ومد يده إلى لحية السلطان وقال له: يا أبا علي بحياة هذي ومسك منها شعرات إلا ما أعطتني الضيعة الفلانية إنعاماً علي. فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له: شل يدك قطع يدك والك تمد يدك إلى السلطان، فتبسم له السلطان وقال" :يا قاضي هذه عادة العرب، إذا قصدوا كبيراً في شيء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشيء، فهو سنة عندهم. فغضب الفخر، وقام وهو يقول" :وا لله إن هؤلاء مناحيس، وسنتهم أنحس.

وفيها قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشراً إلى القاهرة، ومعه الأمير قطلوبغا المغربي. وقدم الأمير بدر الدين بدرجك إلى دمشق مبشراً.

وقدم السلطان في يوم السبت ثاني عشر المحرم، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج، وركب بعد انقضاء أمر السماط في موكب جليل، وقد خرج سائر الناس لرؤيته، وسار إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة.

وفي يوم الخميس خامس عشره: جلس السلطان، وخلع على سائر الأمراء والقضاة وأرباب الدولة، وعلى الأمير شطي بن عبية وحسن بن دريني، وألبس كريم الدين الكبير أطلسين، ولم يتفق ذلك لمتعمم قبله.

وفيه بعث السلطان بالجمال والزاد لتلقي المنقطعين من الحاج، فتواصل قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشريه، وصحبته قاضي القضاة بدر الدين وغيره، فاتفق فيه مطر عظيم قل ما عهد مثله بمصر . وكانت الأسعار قد تزايدت، فانحطت منذ قدم السلطان.

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، وركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين

القصرين، وحمل وراءه الأمير قجليس السلاح، والأمير ألجاي الدواة، ورتب معه الأمير بيبرس الأحمدي أمير جندار وأمير طبر، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة وهم بالخلع معه إلى أن صعد القلعة، فكانت عدة التشاريف مائة وثلاثين تشريفاً: فيها ثلاثة عشر أطلس، والبقية كنجي وعمل الدار وطرد وحش. وجلس صاحب حماة رأس الميمنة، ولقبه السلطان بالملك المؤيد، وسافر من يومه بعدما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البرواني، والأمير علاء الدين أيتغلي الشيخى، وصارم الدين العينتابي، وعز الدين أيدمر الشيخي، وعلاء الدين مغلطاي السيواسي، والحاج بدر الدين بيليك، وشمس الدين سنقر الكمالي الصغير، والشيخ علي التبريزي ، وسيف الدين منكجار، وسيف الدين طوغان، نائب البيرة ، وناصر الدين منكلي، وطاشار، وموسى وغازي أخوي حمدان بن صلغاي، وعن الشريف رميثة بن أبي نمى.

وفيه هرب من سجن الإسكندربة الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي النقيب، ويقال له زيرامو، وبهادر التقوى الزراق، فأدركهما الطلب، وأخذا وحملا إلى القلعة بعد ما خرج الأمير أيتمش المحمدي والأمير أصلم للقبض عليهما فلما أحضرا كتب بعود الأميرين أيتمش المحمدي وأصلم، فرجعا ثالث يوم سفرهما، وأنزل بالأميرين الهاربين ليوسطا تحت القلعة، فشفع فيهما الأمراء، فأعفى السلطان عنهما من القتل، وكحلهما بالحديد المحمي مرتين حتى فقدا البصر.

وفيه رسم بالإفراج عمن في سجن الإسكندرية، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب.

وفيه كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر طرابلس، وأن يقيم بالقدس، ورتب له في كل شهر ألف درهم، وبعث إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة. وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الأول: سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة، ليقيم بها بدل الأمير آقسنقر شاد العمائر الذي استخلفه السلطان .بمكة، ومعه عدة أجناد تخوفاً من هجوم الشريف حميضة على مكة.

وفيه كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو بلاد متملك سيس، لمنعه الحمل.

وفيه أبطل مكس الملح بديار مصر، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعدما كان بعشرة، فإنه كتب إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات، وأبيحت لكل أحد، فبادر الناس إليها وجلبوا الملح.

وفيه وصلت الستر الرفيع الخاتوني طلنباي ويقال دلنبية، ويقال طولونية بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشي خان بن جنكزخان. وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أزبك يخطب بعض الجهات الجنكزية، فاشتط به أزبك في طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط، فأعرض السلطان عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدم. وكان أزبك قد عين المذكورة، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار. بمعاملتهم، صرف كل دينار ستة دراهم، وجهزها مع بعض أمرائه في مائة وخمسين رجلاً وستين جارية وقاضي سراي، ومعهم هدية سنية، فقدموا في البحر إلى الإسكندرية في عشري ربيع الأول. وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد في عدة من الأمراء ومعه الحراريق إلى لقائها، وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاتي وبغال، وضرب الخيام الحرير

الأطلس بالميدان. فحملت الخاتون في الحراريق إلى ساحل مصر، وركبت في العربة إلى الميدان، والحجاب تمضي قدام العربة، فأقامت بالخيام ثلاثة أيام. ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه في عربة تجرها العجل، وهي كالقبة مغطاة بالديباج، وفي خدمتها الأمير أرغون النائب، والأمير بكتمر الساقي، والقاضي كريم الدين الكبير.

وفي يوم الإثنين ثاني ربيع الآخر: جلس السلطان للرسل، وحضر كبيرهم باينجار، وكان مقعداً لا يقدر على القيام ولا المشي وإنما يحمل، ودخل معه إيتغلي وطقبغا، ومنغوش، وطرجي، وعثمان خجا، والشيخ برهان الدين إمام القان، ورسل الأشكري. فأجلس باينجار، وأخذ منه كتاب أزبك، فبلغ السلام وقال: أخوك أزبك، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتاً، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرك، وقد سيرنا لك من بيت كبير، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلي عندك أكبر منها، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى: "إن ا لله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها". فقال السلطان: "نحن ما نريد الحسن، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أخي، ونكون نحن وإياه شيئاً واحداً". وبلغه أيضاً برهان الدين مشافهة من قبل أزبك. فتولى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار، الحال منها عشرون ألفاً، والمؤجل عشرة ألاف، وقبله السلطان بنفسه.
وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه، وصورته بعد البسملة: "هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أخي السلطان أزبك خان طولو ابنة طغاي بن بكر بن دوشي خان بن جنكزخان". وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة، وكان يوماً مشهوداً. وبني عليها من ليلتها، فلم تلق بخاطره. وأصبح السلطان فتقدم إلى كريم الدين أكرم الصغير بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص، وجهز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفرهم، وركب للصيد.
وفيها توقف حال الناس بسبب الفلوس وما كثر فيها من الزغل، وكانت المعاملة بها عدداً عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلساً من ضرب السلطان، فعملها الزغلية، وخفوا وزنها حتى صار الفلس زنته سدس درهم. وكانت معاملة دمشق بالفلوس التي يقال لها القراطيس، والقرطاس ستة فلوس، ويعد في الدرهم الفضة أربعة وعشرون قرطاساً، فأبطل السلطان القراطيس من دمشق، وضرب بها كل فلس زنته درهم، والدرهم بثمانية وأربعين فلساً مثل معاملة مصر، فنقلت هذه الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة حتى كثرت، وقلت الجياد. فتعبت الناس فيها، وزادت الأسعار كلها، حتى غلقت الباعة الحوانيت عندما نودي أن يكون الفلوس بالميزان، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة. فركب وإلى القاهرة، وضرب كثيراً من أرباب المعايش بالمقارع، وشهرهم و لم يرجعوا، فنودي أن الفلس الذي عليه بقجة من ضرب دار الضرب يؤخذ، والفلس الخفيف يرد، فلم يفد ذلك شيئاً. وعمل الزغلية فلوساً خفافاً عليها بقجة، فنودي أن يؤخذ الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل، فمضي الحال قليلاً، واستمر عنت العامة، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقها.
وكان السلطان غائباً، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحت به العامة وفاجأوه. مما لا يليق، وتكاثروا عليه من كل جهة، وشكوا ما بهم من أمر الفلوس ورد الباعة لها وقلة الخبز وغيره، فوعدهم بخير، وعرف كريم الدين السلطان ذلك. فاستدعى السلطان الأمراء، وأنكر عليهم رد مباشريهم الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحانين والموانة، وقرر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم، وعلى أحد وجهيه

لا إله الا الله محمد رسول الله، وعلى الآخر اسم السلطان، فضرب منها نحو ثمانين ألف رطل. واستقر الفلوس العتق كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب. فاستمر ذلك، ومشت الأحوال، إلا أنه صار فيها غبن زائد، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد.

وفيها قدمت رسل متملك اليمن بالهدية، وأحضروا بالقلعة يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة.

وفي ليلته: خسف القمر.

وفيها بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياب للفتك بالأمير قراسنقر، فعندما وصلوا إلى تبريز نم بعضهم لقراسنقر عليهم، فتتبعهم وقبض على جماعة منهم، وقتلهم. وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردو، فقفز عليه فلم يتمكن منه، وقتل.

واشتهر في الأردو خبر الفداوية، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبي سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل، فاحترسوا على أنفسهم، وقبضوا عدة فداوية.

فتحيل بعضهم وعمل حمالاً، وتبع قراسنقر ليقفز عليه فلم يلحقه، ووقع على كفل الفرس فقتل، فاحتجب أبو سعيد بالخركاه أحد عشر يوماً خوفاً على نفسه. وطلب المجد إسماعيل، وأنكر عليه جوبان وأخرق به، وقال له: "والك أنت كل قليل تحضر إلينا هدية، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية"، وهدده أنه يقتله شر قتلة، ورسم عليه، فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج عنه.

ثم قدم الخبر من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه، ووقعت الضربة في أحد أمراء المغل، وأن الإسماعيلي فر، فلما أدركه الطلب قتل نفسه. فتنكر جوبان لذلك، وجهز المجد السلامي إلى مصر ليكشف الخبر، وبعثوا في أثره رسولاً بهدية.

وفيها عادت العساكر من غارة سيس إلى أبيات مهنا، وطردوه من مكانه، وفرقوا جمعه في نواحي العراق.

وفيها كثرت كتابة الأوراق للسلطان في أمرائه وأهل دولته، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هي، أو ربطها بجناح طائر حمام وحذفه خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله، فتأذى بذلك جماعة كثيرة. فاتفق إن السلطان ركب إلى مطعم الطيور بالمسطبة التي أنشأها قريباً من بركة الحبش، فوجد ورقة مختومة فقرأها و لم يعلم أحداً فيها، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغلق الشباك. ثم بعث السلطان أمير جاندار الأمير سيف الدين البوبكري أن يتحول من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة، فنزل من يومه وسكن بدار كراي المنصوري، وهدمت الدار التي كان البوبكري يسكنها، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية .وامتنع السلطان من ركوبه إلى المطعم المذكور، وصار يركب إلى ميدان القبق.

وكانت الورقة تتضمن سب السلطان وسوء تصرفه، وتسليطه الكتاب النصارى على المسلمين، وصلحه مع المغل.

واتفق أن بعض العامة أخبر عن شخص غريب، فأفضى الأمر إلى حملهما إلى الخازن وإلى القاهرة، فقال العامي: هذا الغريب قاصد ومعه فداوية"، فقرره الوالي فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بعثهم لقتل السلطان، فقبض منهم على رجلين، وفر الآخران. وحمل الوالي إلى السلطان، فأقرا بأنهما من جهة قراسنقر، فأمر بهما فقتلا .وأخذ السلطان يحترس على نفسه، ومنع عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس في الطرقات، وألزم

الناس بغلق طاقات البيوت.

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة، وسجن بالإسكندرية، ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشري رمضان. وكان ذلك لقلة اكتراثه بالأمير نائب الشام، وموافقة بعض مماليكه على ما قيل فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن.

وفيها قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبي نمى، ثم قدم الأمير بيبرس الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة، فقتل السلطان قاتله.

وفيها قدم المجد السلامي على البريد من عند الملك أبي سعيد بن خربندا في طلب الصلح، فخرج القاضي كريم الدين الكبير إلى لقائه، وصعد به إلى القلعة، فأخبر المجد السلامي برغبة جوبان وأعيان دولة أبي سعيد في الصلح، وأن الهدية تصل مع الرسل، فكتب إلى نائبي حلب ودمشق بتلقي الرسل وإكرامهم. فقدم البريد بأن سليمان بن مهنا عارض الرسل، وأخذ جميع ما معهم من الهدية، وقد خرج عن الطاعة لإخراج أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره في إمرة العرب. ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب، وفيها طلب الصلح بشروط: منها ألا تدخل الفداوية إليهم، وأن من حضر من مصر إليهم لا يطلب، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه، وألا يبعث إليهم بغارة من عرب ولا تركمان، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز في كل عام. بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبي سعيد ليتجمل بالسنجق السلطاني، وألا يطلب الأمير قراسنقر. فجمع السلطان الأمراء، واستشارهم في ذلك، بعد ما قرأ عليهم الكتاب، فاتفق الرأي على إمضاء الصلح بهذه الشروط، وجهزت الهدايا لأبي سعيد: وفيها خلعة أطلس باولي زركش، وقباء تتري وقرقلات وغير ذلك، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار. وأعيد الرسل بالجواب، وفيه آلا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق، فإن العسكر واصل لقتالهم، وسافر السلامي على البريد يبشر بعود الرسل بالهدية.

وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر، ونقل إليه الطين، وزرع فيه النخل، ولعب فيه بالكرة مع الأمراء، ورتب فيه الحجورة للنتاج، فاستمر ذلك، وصار يتردد إليه، ثم أنشا السلطان بجوار جامع الأمير علاء الدين طيبرس زريبة على النيل، ليبرز بمناظر الميدان الكبير إلى قرب شاطئ النيل، وكان قد أخر عمل ذلك بسبب قرب سفره إلى الصعيد.

وفيها مرض كريم الدين الكبير نحو أسبوعين، فكان يحضر عليه في كل يوم جمدار فيخلع عليه بكرة النهار، ويعود فيأتيه أخر العصر فيخلع عليه، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأمراء للسلام عليه خلع عليه، فلما عوفي وركب زينت القاهرة، وأوقدت فيها الشموع، وجلست المغاني، واجتمع الناس لرؤيته، فكان يوماً مشوداً. ولما قدم إلى المدرسة المنصورية بين القصرين بمال، فتصدق فمات في الإزدحام ستة أنفس، وصعد كريم الدين إلى القلعة، ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر، فزينت لركوبه أيضاً، وزينت الحراريق ولعبت في النيل، فخلع على رؤساء الحراريق، وفرق في رجالها مالاً، وعمل لهم مائة خروف شواء، وكان عدة الشموع التي اشتعلت له في مصر ألفاً وستمائة شمعة، ونثر الناس على رأسه الذهب والدراهم، وعمل له الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة، فكانت تلك الأيام من الأيام المشهودة.

وفيها قدم الخبر بأن أبا سعيد أراق الخمور في سائر مملكته، وأبطل منها بيوت الفواحش، وأبعد أرباب الملاهي، وأغلق الخانات، وأبطل المكوس التي تجبي من التجارة الواردة إليهم من البلاد، وهدم كنائس بالقرب من توريز، ورفع شهادة الإسلام، ونشر العدل، وعمر المساجد والجوامع، وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقته، فكتب السلطان سائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات وإراقة الخمور، وغلق الحانات واستتابة أهل الفواحش، فعمل ذلك في سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها، واجتهد النواب في إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد.

وفيها قدم مملوك المجد السلامي ورسول أبي سعيد وجوبان، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية، وسألوا تجهيز السنجق السلطاني ليسير مع الركب إلى الحجاز، فسير سنجق حرير أصفر بطلعة ذهب، وكتب لصاحب مكة بإكرام حاج العراق.

وفيها قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى في مملكته بالحج، فتجهز عالم عظيم، وأن فياضاً وسليمان ابني مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجار، ويخاف على الراكب العراقي من عرب مهنا. فاقتضى رأي السلطان أن استدعي سيف ابن فضل أخي مهنا من البلاد، وقرر معه أن أباه فضلاً يمنع مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق، فقام في ذلك فضل، وخدع أخاه مهنا حتى كف عنهم، ولم يتعرض لأحد منهم، وبعث مهنا بإبنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرض للركب، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه.

وفيها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركماني في الشام على إمرة لتغير كريم الدين الكبير منه.

وفي ثاني عشري رجب: عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لإبن تيمية، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق، ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين، فأفرج عنه.

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني بن أبي اسحاق قاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني بن أبي إسحاق السروجي الحنفي، في يوم الخميس، ثاني عشري رجب، بعد عزله في رابع ربيع الآخر بشمس الدين محمد بن عثمان الحريري، ومولده سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان من أئمة الحنفية، ولم يسمع عنه ما يشينه، ولا راعي صاحب جاه قط، مع السماح والجود.

ومات الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبي القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبي العباس بن أبي الفضائل بن أبي المجد ابن أبي إسحاق الربعي الشافعي، سبط أبي الحسن على الشاذلي، في ليلة سابع شوال، ومولده سنة أربع وستين وستمائة. سمع الحديث وقرأ النحو وتصوف، وتصدر بالإسكندرية لإقراء العربية، وولي نظر الأحباس بها، وصنف في الفقه وغيره.

ومات الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبي سعيد المعروف بابن الطراح، في أول المحرم ببغداد، ومولده في ربيع الأول سنة خمسين وستمائة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب.

ومات الصدر فخر الدين أبو الهدى أحمد بن اسماعيل بن علي بن الحباب الكاتب، يوم الخميس تاسع رمضان،

عن سبع وتسعين سنة.

وقتل إسماعيل بن سعيد الكردي على الزندقة، يوم الإثنين سادس عشري صفر، وكان عارفاً بالقراءات والفقه والنحو والتصريف، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل، ويحل في الفقه، ويحفظ العمدة في الحديث، غير أنه حفظت عنه عظائم في حق الأنبياء، وكان يتجاهر بالمعاصي، فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين.

ومات الحسن بن عمر بن عيسي بن الخليل الكردي الدمشقى، بناحية الجيزة تجاه مصر في ثالث ربيع الآخر، وقد أناف على التسعين، قرأ على السخاوى، وسمع الحديث.

ومات كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن ضرغام الكناني الحنبلي، خطيب جامع المنشاة فيما بين القاهرة ومصر، في ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات كمال الدين أبو الحفص عمر بن عز الدين أبي البركات عبد العزيز بن محيي الدين أبي عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبي الفضل بن مجد الدين أبي غانم محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي، قاضي القضاة الحنفية بحلب، وكان مشكوراً.

ومات زين الدين أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق الإسكندري الفقيه المعمر المالكي بمصر في ليلة الجمعة حادي عشر المحرم، عن اثنتين وتسعين سنة، ولي قضاء الإسكندرية مدة اثنتي عشرة سنة، وعرض عليه قضاء دمشق فامتنع، وله نظم.

ومات شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابوني الحلبي، بالقاهرة في يوم الخميس تاسع عشري رجب، كان محدثاً عدلاً، ودرس بالمنكوتمرية من القاهرة، وتميز في كتابة السجلات.

ومات القاضي زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردي، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال، في يوم الإثنين سادس عشري رمضان، واستقر في الوكالة بعده قطب الدين محمد بن علي بن عبد الصمد السنباطي، وفي حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين.

ومات علي بن عبد الصمد الأسعردي، في سابع شوال.

ومات الشيخ نجم الدين أبو الحسن على بن الأسيوطي المقرئ الواعظ، في يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة.

وقتل أقبجا مملوك ركن الدين بيبرس التاحي بدمشق، لدعواه النبوة، في خامس عشري ربيع الأول.

ومات بهاء الدين السنجاري محتسب مصر، يوم الثلاثاء حادي عشري ذي القعدة، فولي بعد نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم القمولي خليفة الحكم، في ثامن ذي الحجة.

ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد اسماعيل بن فرج بن إسماعبل بن يوسف بن نصر، في ذي القعدة، وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد، فكانت مدته ثلاث عشرة سنة.

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

في يوم الإثنين ثالث المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز، وكان قد سافر إلى مكة في مدة اثنى عشر يوماً، وغاب حتى قدم نحو شهر، وتصدق في الحرمين بإثني عشر ألف دينار.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره: قدم الأمير أرغون النائب من الحجاز، وكان قد سافر أول ذي القعدة، ومشى

من مكة إلى عرفات على قدميه بهيئة الفقراء. ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج، و لم ير فيما تقدم مثل كثرة الحاج في موسم الحالية. وكانت الوقفة يوم الجمعة. وكان حاج مصر سبعة ركوب: ركب في شهر رجب، وأربعة في شوال أولها رحل في يوم الإثنين سادس عشره، ورحل أخرها يوم الجمعة تاسع عشره . وسار الأمير أرغون النائب أول ذي القعدة في جماعة، ثم توجه الفخر في جماعة، وركب البحر خلائق، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركباً. ووقف محمل العراق خلف محمل مصر، ومن خلفه محمل اليمن.
واعتنى أبو سعيد بأمر حاج العراق عناية تامة، وغشى المحمل بالحرير ورصعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر، وجعل له جتراً ينصب عليه إذا وضع. فلما مر ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة ألاف دينار، فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال، وقالوا: "لأجل الملك الناصر نخفركم بغير شيء"، ومكنوهم من المسير. فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالغ في الإنعام على العربان.
وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع، فلما انقضى الحج خلع عليهم الأمير أرغون النائب، ودعا لأبي سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة.
وفيه قدم كتاب نائب الشام في الشفاعة في ابن تيمية، وكان قد سجن في السنة الماضية، فأفرج عنه بعدما سجن خمسة أشهر، وشرط عليه ألا يفتي بمسألة الطلاق.
وفيه استقر كريم الدين الكبير في نظر الجامع الطولوني، فنمت أوقافه.
وفيه قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق، على يد العامة.
وفيها أخرج الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر إلى دمشق. وسببه أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره في بر الخليج الغربي، وعمل القنطرة، أراد أن يفتح في سور القاهرة خوخة تنتهي إلى حارة الوزيرية، فأذن له السلطان في فتحها، فخرق باباً كبيراً وعمل عليه رنكه، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولي القاهرة أنه فتح باباً قدر باب زويلة وعمل عليه رنكه، فشق عليه ذلك وأخرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر.
وفيه قدم الأمير سيف الدين طقصباي من بلاد أزبك. وقدم من الأردو الأمير باورر ابن براجوا أحد أعيان المغل، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر.
وفيه قدم أبو يحيى اللحياني من الغرب، ولم يمكن من البلاد، فرتب له بالإسكندرية ما يكفيه، وأقام بها. وفيه أخرج الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي حاجباً بالشام.
وفي يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر :ثارت العامة يداً واحدة، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهري، وكنيسة بستان السكري وتعرف بالكنيسة الحمراء، وبعض كنيستين بمصر وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادر الحوادث: والخبر عنه أن السلطان لما عزم على إنشاء الزريبة بجوار جامع الطيبرسي على النيل احتاج إلى طين كثير، فنزل بنفسه وعين مكاناً من أرض بستان الزهري قريباً من ميدان المهارة ليأخذ منه الطين، ولينشئ في هذا المكان بركة وعوض مستحقي وقفه بدله، وكتب أوراقاً بأسماء الأمراء، وأفرز لكل منهم قياساً معلوماً، فتولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بيبرس الحاجب. وابتدأ الأمراء في الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشري ربيع الأول، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطئ النيل حيث عمل الزريبة .فلم يزل الحفر مستمراً إلى أن

قرب من كنيسة الزهري، وأحاط بها الحفر من دايرها وصارت في الوسط، بحيث تمنع من اتساع البركة. فعرف الأمير أقسنقر شاد العمائر السلطان بذلك، فأمره أن يبالغ في الحفر حولها حتى تتعلق، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء تهدمها، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم، فاعتمد الحفر فيما حولها، وكتم ما يريده، وصارت غلمان الأمراء تصرخ وتريد هد الكنيسة، وآقسنقر يمنعهم من ذلك.

فلما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء بالصلاة، فاجتمع من الغلمان والعامة طائفة كبيرة، وصرخوا صوتاً واحداً ا لله أكبر، ووقعوا في أركان الكنيسة بالمساحي والفوس حتى صارت كوماً، ووقع من فيها من النصارى، وانتهب العامة ما كان بها. والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاوره لها، وكانت من أعظم كنائس النصارى، وفيها مال كبير، وعدة من النصارى ما بين رجال ونساء مترهبات فصعدت العامة فوقها، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها وخمورها. وانتقلوا إلى كنيسة بومنا بجوار السبع سقايات، وكانت معبداً جليلاً من معابد النصارى، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها، وقتلوا منها جماعة، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدتهن على ستين بكراً فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض، فلما خرج الناس من الجامع رأوا غباراً ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء، وما في العامة إلا من بيده بنت قد سباها أو جرة خمر أو ثوب أو شيء من النهب، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت.
وانتشر الخبر من السبع سقايات إلى تحت القلعة، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج، وأمر الأمير أيدغمش بكشف لخبر. فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجاً زائداً، وتقدم إلى أيدغمش أمير أخور، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم. فما هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بمملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولي القاهرة حضر وأخبر بأن العامة ثارت بالقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة، وأنه ركب خوفاً على القاهرة من النهب. وقدم مملوك والي مصر وأخبر بأن عامتها قد تجمعت لهدم كنيسة المعلقة حيث مسكن البترك وأموال النصارى، ويطلب نجدة. فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب هم أن يركب بنفسه، ثم أردف أيدغمش بأربعة أمراء ساروا إلى مصر، وبعث بيبرس الحاجب، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر، وبعث طينال إلى القاهرة، ليضعوا السيف فيمن وجدوه. فقامت القاهرة ومصر على ساق، وفرت النهابة، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غلب على نفسه بالسكر من الخمر. وأدرك الأمير أيدغمش والي مصر وقد هزمته العامة من زقاق المعلقة، وأنكوا مماليكه بالرمي عليهم، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة، فجرد هو ومن معه السيوف ليفتك بهم، فرأى عالماً عظيماً لا يحصيهم إلا خالقهم، فكف عنهم خوف اتساع الخرق، ونادى من وقف فدمه حلال، فخافت العامة أيضاً وتفرقوا. ووقف أيدغمش يحرس المعلقة إلى أن أذن العصر، فصلي بجامع عمرو، وعين خمسين أوشاقيا للمبيت مع الوالي على باب الكنيسة، وعاد.
وكان كأنما نودي في إقليم مصر بهدم الكنائس، وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل: وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل موله في وسط الجامع: "اهدموا الكنيسة التي في القلعة"، وخرج في صراخه عن الحد واضطرب. فتعجب السلطان والأمراء منه، وندب نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة، فوجدوا كنيسة في خرائب التتر قد أخفيت، فهدموها. وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجب إذ وقع الصراخ تحت القلعة، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم، وطلب الرجل المولة فلم يوجد.

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة في هرج عظيم، ومعهم الأخشاب والصلبان والثياب وغيرها، وهم يقولون" :السلطان نادى بخراب الكنائس"، فظنوا الأمر كذلك. وكان قد خرب من كنائس القاهرة سوى كنيستي حارة الروم وحاره زويلة وكنيسة بالبندقانيين كنائس كثيرة، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان.

فلما كان يوم الأحد حادي عشره: سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس في صلاة الجمعة تجمع العامة وصاحوا هدمت الكنائس، فركب الأمير بدر الدين المحسني متولي الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس، فإذا بها قد صارت كوماً، وكانت عدتها أربع كنائس. ووقعت بطاقة من والي البحيرة بأن العامة هدمت كنيستين في مدينة دمنهور، والناس في صلاة الجمعة. ثم ورد مملوك والي قوص في يوم الجمعة سابع عشره، وأخبر بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص في نحو نصف ساعة. وتواترت الأخبار من الوجه القبلي والوجه البحري بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة، فكثر التعجب من وقوع هذا الاتفاق في ساعة واحدة بسائر الأقاليم.

وصار السلطان يشتد غضبه من العامة، والأمراء تسكن غضبه وتقول. "يا مولانا هذا إنما هو من فعل الله. وإلا فمن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمياط والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد في ساعة واحدة"، وهو يشتد على العامة ويزيد البطش بهم، فهرب كثير منهم.

وكان الذي هدم في هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة: وهي كنيسة بقلعة الجبل، وكنيسة بأرض الزهري موضع البركة الناصرية، وكنيسة بالحمراء، وكنيسة بجوار السبع سقايات، وكنيسة أبي المنا بجوارها، وكنيسة الفهادين بحارة الحكر، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة، وكنيسة البندقانيين منها، وكنيسة بحارة زويلة، وكنيسة بخزانة البنود، وكنيسة بالخندق خارج القاهرة، وأربع كنائس بالإسكندرية، وكنيستان بدمنهور الوحش، وأربع كنائس بالغربية، وثلاث كنائس بالشرقية، وست كنائس بالبهنساوية، وبسيوط ومنفلوط ومنية بن خصيب ثماني كنائس، وقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة، والإطفيحية كنيستان، وبمدينة مصر بخط المصاصة وسوق وردان وقصر الشمع ثماني كنائس، ومن الأديرة شيء كثير.

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وتواتر إلى سلخه. وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه في يوم السبت المذكور، وكان أول لعبه فيه بالأكرة، فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع في ربع من أوقاف المارستان المنصوري، بخط الشوايين من القاهرة. واشتد الأمر، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد، فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق في حارة الديلم بزقاق العريسة، قريب من دار كريم الدين الكبير. ودخل الليل واشتد هبوب الرياح، فسرت النار في عدة أماكن. وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان يعرفه، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفاً على الحواصل السلطانية ثم تفاقم الأمر، واحتاج أقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السائقين والأمراء، ونزلت الحجاب وغيرهم، والنار تعظم طول نهار الأحد، وخرجت النساء مسبيات من دورهن. وباتوا على ذلك، وأصبحوا يوم الإثنين والنار تتلف ما تمر به، والهد واقع في الدور التي تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها في جميع دور القاهرة.

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة ألقت النخيل وغرقت

المراكب، ونشرت النار، فما شك الناس في أن القيامة قد قامت. وعظم شرر النيران، وصارت تسقط في عدة مواضع بعيدة، فخرج الناس وتعلقوا بالمأذن، واجتمعوا في الجوامع والزوايا، وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وصعد السلطان إلى أعلا القصر، فهاله ما شاهد.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء في أسوأ حال، فترل النائب بسائر الأمراء وجميع من في القلعة وجميع أهل القاهرة، ونقل الماء على جمال الأمراء، ولحقه الأمير بكتمر الساقي وأخرجت جمال القرى السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار. وجمعت سائر البنائين والنجارين، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق في سقوفها. وعمل الأمراء الألوف وعدقم أربعة وعشرون أميراً بأنفسهم في طفي الحريق، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات، وتناولوا الماء بالقرب من السقائين، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحراً، وحضر كريم الدين أكرم الصغير. بمائتي رجل. فكان يوماً لم ير أشنع منه، بحيث لم يبق أحد إلا وهو في شغل. ورؤى سائر الأمراء وهي تأخذ القرب من مماليكها، وتطفئ النار بأنفسها، وتدوس الوحل بأخفافها. ووقف الأمير بكتمر الساقي والأمير أرغون النائب حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرب الرصاصي، وهدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر داراً. وخمدت النار وعاد الأمراء.

فوقع الصياح في ليلة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالي وعملوا في طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دوراً كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار في بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل ورأوا فيه نفطاً قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمازالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودي بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهره ومصر زير ودن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة، وكل زير إلى ثمانية دراهم لكثرة طلبها.

فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والي القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة في منابر الجوامع وتارة في حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء في أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد في العلو، فتقع في زروب الأسطحة والبادهنجانات، ويوجد النفط قد لف في الخرق، المبللة بالزيت والقطران.

فلما كانت ليلة الجمعة حادي عشريه: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قبضت على نصراني من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كعكة خرق بها نفط وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصراني وهو خارج والأثر في يديه، فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصراني

أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أهما من دير البغل، وأهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التي تقدم ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنائس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها في سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه في جماعة، فصاروا يدورون في القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك.

واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين: "النصارى بطرك يرجعون إليه، وهو الذي يعرف أحوالهم". فامر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إلي بيته واستعلام الخبر منه، فاتاه ليلا في حماية وافي القاهرة خوفا من العامة، مبالغ كريم الدين في إجلاله، وأعلمه. مما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه، فذكروا له كما ذكروا للوالي، فبكا وقال: "هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم، والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس، والحمار العثور يلقي الأرض بأسنانه". وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف ممن حوله من المماليك.

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: "ما يحل لك يا قاضي تحامي للنصاري ، وقد أخربوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال، فانتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من امر النصارى الممسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك، وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالي بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهباً بدير البغل، فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبة، وأحرق فيها أربعه منهم في يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم .فاشتدت العامه عند ذلك على النصارى ، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض.

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثاني عشريه، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: "نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله". فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن والي القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: "كم تحامي للنصارى"، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان، واستشار الأمراء في أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بعزل الكتاب النصاري، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك. وتقدم السلطان إلى ألماس الحاجب أن يخرج في أربعة أمراء ويضع السيف في العامة حتى ينتهي إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر والي القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك مماليك تخرج من الميدان. فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم.

وكان الخبر قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه. وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحدا، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها. ومر الوالي إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيراً من الكلابزة

والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رأه أخذه. وجفل الناس من الخوف، وعدوا في المراكب إلى بر الجيزة.
فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحداً في طريقه، وأحضر إليه الوالي بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدي. فصاحوا: "يا خوند ما يحل لك! فما نحن الغرماء"، وتباكوا فرق لهم بكتمر الساقي، وقام معه الأمراء، ومازالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم. فأصبحوا يوم الأحد صفاً واحداً من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض الناس، ولم تفتح القاهرة.
وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ في قطع أيديهم. فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابه السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل في الحفير بالجيزة. ومات ممن قطع يده رجلان، وامر بحط من علق على الخشب.
فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدي بحارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاي خارج باب البحر، فدهش السلطان. وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمد الرخام، وكانت ستة عشر عموداً، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيراً، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.
فلما كان يوم السبت تاسع عشريه: ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفاً من العامة قد صبغوا خرقاً بالأزرق والأصفر، وعملوا في الأزرق صلباناً بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: "لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، إنصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى فخشح السلطان والأمراء، ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق وهي تصيح. "لا دين إلا دين الإسلام". فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي: "من وجد نصرانياً فدمه وماله حلال". فلما سمعوا النداء صرخوا صوتاً واحداً" :نصرك الله يا ناصر دين الإسلام"، فارتجت الأرض.

ونودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: "من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكباً باستواء حل دمه". وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرساً ولا بغلاً، وأن يركبوا الحمير عرضاً، ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم، ولا يتزيوا بزي المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم.
ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلقت الكنائس والأديرة، وطلب السني ابن ست بهجة، والشمس بن كثير فلم يوجدا.
وتجرأت العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته. و لم يتحدث في أمر اليهود، فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزيا بزي اليهود، ويلبس عمامه صفراء يكتريها من يهودي ليخرج في حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودي له عليه مبلغ ألف

درهم ليأخذ منه شيئاً، فأمسكه اليهودي وصاح: "أنا با للة وبالمسلمين، فخاف النصراني، وقال له: أبرأت ذمتك، وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السني ابن ست بهجة في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

وانبسطت ألسنة الأمراء بسب كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخري والأمير بكتمر الساقي بسبب كريم الدين الكبير، فإن بكتمر كان يعتني به وبالدواوين، والفخري يضع منه ومنهم، وصار مع كل من الأميرين جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع الفتنة.

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يري أحداً في طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم، فلم يعجبه ذلك، ونودي بخروج الناس للفرجة على الميدان، فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثاني عشريه وقع الحريق بالقلعة، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفي.

وفي رابع عشريه: توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق، ومنعهم من المباشرة في الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار، فسر كريم الدين بذلك.

وعاد كريم الدين إلى القاهرة، فشفع في إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا، وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوساً وقميصاً، وفرق ألف قميص، ثم استدعى المسجونين على الديوان، وصالح غرماءهم عنهم، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق.

وفيها ألقيت ورقة في جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان، وأنه فرط في ملكه ومماليكه، والعسكر قد تلف، وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التي بأسمائهم، وصاروا يسألون الناس من الحاجة .فغضب السلطان من ذلك، وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من باع خبزه، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس، وعرض مماليك السلطان، وأخرج منهم مائة إلى الكرك.

وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد، فتلقاه النائب على العادة، وقدم الناس إليه تقادم جليلة، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئاً، بل عمهم بالإنعامات والصدقات، وعاد إلى القاهرة.

وفيها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء، ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرساً، فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك، وخلع على الجميع.

وفيها خرج إلأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك بعسكر إلى أياس، وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالاً كثيراً وقتلوا عدة كثيرة منهم، ومر من بقي في البحر، وذلك في حادي عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور، وأخذت مالاً كبيراً، وقدم الأمير جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير ألطنبغا نائب حلب أن أهل إياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم، وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفي رجل وأسر ثلاثمائة، وغنم مالاً جزيلاً وعاد.

وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامكهم شهرين، ثم تجمعوا في يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحريم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقي إليهم، فلم يرضوه، فخرج إيهم السلطان وقد صاروا ألفاً وخمسمائة، فعندما رأهم سبهم وأهانهم، وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رءوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: "اطلعوا مكانكم" ، فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، فعدت سلامته من العجائب. ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم في يوم السبت أخر صفر، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية، وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب تتر، وضرب واحداً منهم بالمقارع هو وغلامه، لكونه شرب الخمر، فمات بعد يومين من ضربه، وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة.

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويقفها على الحرم، فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك.

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدي التيليلي الشمسي أحد مماليك سنقر الأشقر، وكان قد أمر في أيام المنصور لاجين، وأنعم على كل من بيبرس الكريمي، وقطلوبغا طاز الناصري، وعبد الملك المنصوري والي القلعة، وأبو بكر ابن الأمير أرغون النائب، وملكتمر السرجواني، وطيبغا القاسمي، وطقبغا، وبيدمر، وطغاي تمر من الخاصكية، بإمرة. ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وقد أشعلت لهم القاهرة، وجلس المغاني بالحوانيت في عدة أماكن، وعمل لهم كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكي من بركة الحاج، وتقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها احواشاً للخيل والجمال وميداناً، ويبني الأمير بكتمر الساقي مثل ذلك. فجمع كريم الدين من الرجال للعمل نحو ألفي رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ في أيام يسيرة، وجعل في الميدان عدة من الحجورة المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها.

وفيه شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون في البلاد، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث في ذلك. وزايد القانون شيء حدث في الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور، واتفق أمرها، وأنشا عليها القناطر، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع، ثم حرق من موضع خرقاً كالمجراة، واتسع حتى صار خليجاً صغيراً يمر على أراض لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء. فطالع الأمير ركن الدين القلنجقي كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضي التي في بلاد المقطعين قد شملها الري، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزاً بعشرة أرماح، فإنها زايدة عن قانون المقطعين. فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدي والموفق مستوفي الدولة لكشف هذه الأراضي وقياسها، فتوجها إلى البحيرة وكشفا عنها، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان، فكتبت مشاريحها، و لم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان فقط، فإنها كانت أراضي متفرقة في بلاد المقطعين. فكتب السلطان بها مثالات ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار، وفرقها على أرباب الجوامك من المماليك، فشق هذا على الأجناد، فإنها كانت من أراضي إقطاعاتهم.

وفي نصف جمادى الآخرة: ولد للسلطان من خوند طغاي ولداً أسماه آنوك.

وكانت طغاي هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعثها إلى السلطان.

فشق على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان، فأنعم عليه بألفي دينار مصرية، وكتب له مسموحا بألفي دينار .وحظيت الخاتون طغاي عند السلطان، وكانت بارعة الجمال، فعمل السلطان عند ولادتها مهما عظيماً إلى الغاية، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحج، فشرع كريم الدين في تجهيزها، وبعث الأمير تنكز أيضاً يستأذن في الحج، فأذن له.

وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسري، وأرخي في الجب مقيداً، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية. وسببه أنه كان يتورع عن الأكل من سماط السلطان، وكانت أخته تحت الحاج آل ملك، فشكا منه أنه قد أكل مالها، فقال السلطان: "متورع عن الأكل من السماط، ويأكل مال اليتيم"، وأمر به فقيد.

وفيها قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أزبك.

وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل داراً بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، وأقام آقسنقر شاد العمائر على عملها، وأدخل فيها كثيراً من دور الناس وأراضي ملاكها، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها.

وفيها قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر الخاتون طغاي إلى الحجاز، وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثماني عربات كعاده بلاد الترك لتسافر فيها، وجرها إلى الإسطبل، فأعجب بها السلطان وخلع عليه. وعين للسفر مع الخاتون الأمير قجليسي والقاضي كريم الدين الكبير، وخرج النائب والحجاب في خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت في يوم الأربعاء سابع عشرى شوال، ومعها من النقباء صاروجا وبكتاش، ورفعت عليها العصائب السلطانية، ودقت الكوسات وراءها، وحملت الخضراوات والبقول والرياحين في المحابر مزروعة في الطين، ولم يعهد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها.

وفيها خرج السلطان إلى الصيد، وقد توقف حال الناس في أمر الفلوس لكثرة الزغل فيها، وتحسنت البضائع. فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون الفلوس بالميزان، بعدما ضرب كثيراً من الباعة.

وفيها سقط نجم عظيم بعد العصر، فطبق شعاعه الأرض، ورأه كل أحد.

وفيها ولدت كلبة بالقاهرة ثلاثين جرواً، وأحضرت بجراها إلى السلطان.

وفي يوم الإثنين سادس عشرى رمضان: شكا طلبة زاوية الشافعي بجامع عمرو من مدرسهم شهاب الدين الأنصاري، وأبدوا فيه قوادح، فصرف عنهم، وولي عوضه قاضي القصاة بدر الدين محمد بن جماعة، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه، فلبسها يوم العيد.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن علي الحميري الإسنائي الفقيه الشافعي، قاضي قوص، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرى صفر، أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطي، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني، والنحو عن ابن النحاس. وبرع في ذلك وصنف.

ومات تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محمد بن الكمال أبي الحسن علي بن شجاع القرشي العباسي، بمنشاة المهراني خارج مدينة مصر، عن تسع وسبعين سنة، في سابع جمادى الأولى.

ومات مجد الدين أحمد بن معين الدين أبي بكر الهمذاني المالكي، خطيب الفيوم، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول،

وكان يضرب به المثل في المكارم والسودد، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي، وصهر الصاحب تاج الدين محمد بن حنا.
ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن محمد الأصبهاني، في جمادى الآخرة.
ومات الأمير زين الدين كتبغا العادلي حاجب دمشق بها، في يوم الجمعة ثامن عشرى شوال، واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي، وكان شجاعاً كريماً.
ومات تقي الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمذاني الحلبي الضرير بمصر، وجد ميتاً في حادي عشر ذي الحجة، وقد أناف على السبعين، وحدث بأشياء.
ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني ملك اليمن، في مستهل ذي الحجة، وكانت مدته خمساً وعشرين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين علي.
ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست، يوم الإثنين خامس عشر ذي الحجة بالقاهرة، وكان حشماً رئيساً عاقلاً.
ومات الطواشي صفي الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية، فاستقر بعده الطواشي صفي الدين صواب الركني، وكان صواب الركني هذا يلي تقدمة المماليك في الأيام الركنية بيبرس، فلما قدم السلطان من الكرك عزله، ثم أعاده بعد موت جوهر.
ومات حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابوري، شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، في تاسع عشر جمادى الآخرة، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة.
ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهوري الشافعي، في ثالث عشر جمادى الأولى. كان يتصدر لإقراء النحو، وصنف.
ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله ابن عبد الأحد المخزومي الدلاصي، في ليلة رابع عشر المحرم.

سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأربعاء.

ففي يوم الأربعاء خامس عشره: وصل أوائل الحجاج.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشريه: وصل القاضي كريم الدين الكبير، والأمير قجليس صحبة الخاتون طغاي. وخرج السلطان إلى لقائها ببركة الحاج، ومد سماطاً عظيماً، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وجميع القهرمانات: مثل الست حدق المعروفة بالست مسكة، ونساء الأمراء، ودخل الجميع إلى منازلهم، فكان يوماً مشهوداً. ولم يسمع بمثل هذه الحجة في كثرة خيرها وسعة العطاء، ويقال إن السلطان أنفق على حجة طغاي مبلغ ثمانين ألف دينار وستمائة وثمانين ألف درهم، سوى كرى الحمول وثمن الجمال ومصروف الجوامك، وسوى ما حمل من أمراء الشام وأمراء مصر.

وفي تاسع عشريه: قدم المحمل ببقية الحاج.

وفي يوم السبت ثاني صفر: خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب، والأمير سيف الدين طرجي أمير مجلس، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار، بمضافيهم وطائفة من أجناد الحلقة، إلى غزو بلاد متملك سيس، لمنعه الحمل. ولم يكن الأمر كدلك، بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزبك إلى بلاد أبي سعيد. وكتب بخروج عساكر الشام أيضاً. وفيه هدم موضع دار العدل الذي أنشأه الملك الظاهر بيبرس، وعمل طبلخاناه، في شهر رمضان، فاستمر موضع الطلخاناه إلى اليوم، ولما هدم وجد في أساسه أربعة قبور، فلما نبشت وجد بها رمم أناس طوال عراض، وإحداها مغطاة بملاءة دبيقي ملونة اذا مس منها شي ء تطاير، وعليهم عدة القتال، وبهم جراحات، وفي وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن، فلما رفع القطن نبع من تحته دم، وشوهد الجرح كأنه جديد، فنقلوا إلى العروستين، وعمل عليهم مسجد.

وفي مستهل ربيع الآخر: قدم الأمير سيف الدين طقصبا الظاهري، ومعه رسل الملك أزبك بكتابه، فأحضروا، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أزبك عليه وإطراحه له، واعيد الرسل بالجواب.

وفيه قدم عرب البحرين بمائة وثلاثين فرساً، فقومت بأثمان غالية ما بسين عشرة ألاف درهم الفرس إلى خمسين ألفاً، فلما أخذت أثمانها أنعم السلطان عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك، وسفروا إلى بلادهم.

وفيه عوض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس الغلال، وأقطعه ثلثي دمامين بالوجه القبلي.

وفيه قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا من الشرق، وصحبتها جماعة كثيرة إلى دمشق، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام، فاستدعي من حضر معها إلى مصر، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها.

وفي مستهل جمادى الأولى: قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس، وأخرب وغنم وقتل جماعة، وأن أوشين متملك سيس هلك، وقام من بعده ابنه ليفون، وله من العمر نحو اثنتي عشرة سنة، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار، وقتلوا أهلها وخربوها، وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيراً، وتوجهوا عائدين. فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة في سابع عشرى جمادى الآخرة، وخلع عليه.

وفي يوم الأربعاء تاسع رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان، فأنعم عليه السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار، ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم إليه، وأن من أحضر تقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية، فحملت إليه تقادم جليلة، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة، وحمل كريم الدين الكبير تقدمة بعشرة ألاف دينار. وعاد تنكز بعد إقامته خمسة أيام على البريد، في يوم الإثنين رابع عشريه، ودخل دمشق أول شعبان.

وفيه توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي إلى السلطان أبي سعيد بن خربندا لعقد الصلح، وعلى يده هدية سنية، وسفر بألفي دينار.

وفي ثاني شعبان: عقد على الأمير أبي بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان، وتولى العقد قاضي

القضاة شمس الدين الحريري الحنفي، على أربعة ألاف دينار. وختن السلطان أولاد ثلاثة من الأمراء: وهم بكتمر الساقي، وطشتمر حمص أخضر، ومنكلي بغا الفخري، وعمل لهم مهماً عظيماً مدة أربعة أيام. ورمى الأمراء الذهب في الطشت، فبلغ ما في طشت ابن الأمير بكتمر الساقي أربعة ألاف وثلاثمائة وثمانين ديناراً، وفي طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة ألاف دينار ونيف، وفي طشت ابن منكلي بغا ألف دينار وثمانمائة دينار.

وفي يوم الخميس عاشر رمضان: قبض على الأمير سيف الدين بكتمر البوبكري وولديه، ثم وقعت الشفاعة في ولديه فأطلقا. وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان، فعينه السلطان لنيابة صفد، فاستعفى من ذلك، فبعث إليه كريم الدين الكبير بألفي دينار وتشريف نيابة صفد ومثالين بإمرتين لولديه بها، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير. فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإعفاء، فغضب وقبضه وولديه، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر، ثم أفرج عن الولدين.

وفيه قدم الشريف عطيفة بن أبي نمى صاحب الحجاز، وأخبر بقحط مكة لعدم المطر، وأنهم استسقوا ثلاثاً فلم يسقوا، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهماً الأردب. فرسم السلطان أن يحمل إلى مكة ألفا أردب، وحمل النائب ألف أردب، والحاج آل ملك ألف أردب. فلما وصلت الغلال تصدق بها، فانحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم، وأغيث أهل مكة عقيب ذلك.

وفيه قدم الملك المؤيد صاحب حماة، وسار مع السلطان إلى قوص.

وفيه نقل البوبكري إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بخلع الملك المجاهد على صاحب اليمن، وإقامة الناصر جلال الدين.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبود، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال وكان قد عظم قدره في الدولة المنصورية لاجين، وعمر زاويته بالقرافة، وقصده الناس لقضاء حوائجهم.

ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسي، بالقدس في ذي القعدة. وكان قدم إلى مصر في سنة تسع وتسعين وستمائة، وأقام بها وحصل له بها رياسة، واعتقده الأمراء وأهل الدولة، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل، ثم أخرج إلى القدس، وكان كاتباً فاضلاً معتقداً.

ومات الشيخ حسن الجوالقي القلندري، صاحب زاوية القلندرية، خارج باب النصر من القاهرة، في يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الآخرة بدمشق. وكان قد تقدم في دولة العادل كتبغا.

ومات الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح رواحة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة الأنصاري الحموي، بسيوط من بلاد الصعيد، في ذي القعدة من أربع وتسعين سنة، ورحل إليه الناس لسماع الحديث.

ومات محي الدين عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة بن رجاء الربعي الإسكندراني المالكي مسند الإسكندرية، بها في يوم الثامن من ذي الحجة عن ثلاث وتسعين سنة. ومات تقي الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح العمري المحدث الزاهد، في ذي الفعدة بمصر.

ومات أبو عبد الله محمد بن علي بن حريث القرشي البلنسي السبتي بمكة في جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة، وأقام بها مجاوراً سبع سنين، وكان خطيباً بسبتة ثلاثين سنة، وبرع في فنون.

ومات شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع المعروف بابن الصائغ بدمشق، وقدم إلى مصر، وبرع في الأدب، وصنف.

ومات أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفوني الشافعي، بسيوط.

ومات تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي الشافعي بقوص.

وماتت زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرحلة، في ذي الحجة بالقدس، عن أربع وتسعين سنة، حدثت بمصر والمدينة النبوية. ومات بدمشق الأمير غلبك العادلي، والأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين، والأمير أيدمر الساقي المعروف بوجه الخشب.

ومات أقجبا البدري والي الفيوم.

ومات بدر الدين والي قوص.

ومات الأمير عز الدين أيبك البغدادي بمحبسه من قلعة الجبل، في سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات بمصر القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن المكين بن رابعة، في ثالث عشرى المحرم.

ومات أقضى القضاة نور الدين أبو الحسين علي بن إسماعيل بن يعقوب الزواوي المالكي، يوم الأربعاء سابع عشرى صفر.

ومات القاضي سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمني الشافعي، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان.

ومات أقضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي، خليفة الحكم الشافعي ووكيل بيت المال بالقاهرة، سحر يوم الجمعة رابع عشرى ذي الحجة.

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة :سقط بالدقهلية والمرتاحية من بلاد الغربية بعد مطر عظيم وريح قوية جداً برد وزن الحبة منه ما ينيف على خمسين درهماً، أتلف كثيراً من الزرع ومن الغنم والبقر، ووجد فيه حجارة منها ما وزنه من سبعة أرطال إلى ثلاثين رطلاً، وتلف من البلاد أحد وسبعون بلداً بالغربية، وإثنان وثلاثون بلداً بالبحيرة.

وفيها نزل السلطان بالجيزة عائداً من بلاد الصعيد، وخلع على نائب حماة، ورسم له بالعود إلى بلده. واستدعى السلطان بالحريم من القلعة إلى عنده، وكان الوقت شتاء، فطرد سائر الناس من الطرقات، وعلقت الحوانيت، ونزلت خوند طغاي، والأمير أيدغمش أمير أخور ماش يقود عنان فرسها بيده، وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل، فعدت في الحراقة. واستدعى الأمير بكتمر الساقي وغيره من الأمراء الخاصكية حريمهم، وأقاموا في أهنأ عيش وأرغده.

وفيها قدم من عند صاحب ماردين الجارية التي طلبت: وكان المجد السلامي قد بعث بأنه أراد شراء جارية

جنكية من الأردوا، فبذل صاحب ماردين فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها، وأن المجد سير يعلمه بأنه قد عينها للسلطان، فلم يعبأ بقوله وشغف بها. فكتب السلطان لصاحب ماردين بالإنكار عليه، وأن يحملها إلى مصر، فسير جارية غيرها من مملوكين، فلم يخف ذلك على السلطان، ورد الثلاثة، وقال لقاصده شفاهاً: متى لم يبعث بالجارية، وإلا أخربت ماردين على رأسه، فلم يجد بداً من إرسالها، فلما حضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات جليلة.

وفيه عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة، وقد توعك كريم الدين الكبير.

وفي خامس عشره: قدمت بوادر الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج في يوم الخميس سادس عشره.

وفيه تكرر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لتفقد حال كريم الدين، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلع عليه أطلس بطراز وكلفتاه زركش وحياصة ذهب، حتى استعظم الناس ذلك. وبالغ السلطان في كثرة الإنعام على الأمراء والحكماء إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول. ثم ركب كريم الدين إلى القلعة، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة، فكان يوماً مشهوداً، زينت فيه القاهرة زينة عظيمة، وصفت بها المغاني، وأشعلت الشموع، واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات، فمات في الزحمة أربعة عشر إنساناً، وتأذى أناس كثيرة، و لم يفرق فيهم شيء. وخلع على جميع الأطباء، أخرج أهل السجون، وتصدق بأموال جزيلة.

وفيه قدم الخبر باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبي سعيد، وأنه أكرم غاية الإكرامة، وعاد إلى ماردين.

وفي عشريه: قتل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندي الصوفي. وكان قد قدم من دمشق في أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية، ولايزال في يده طبر، وشهر بدين وعلم. فلما كان هذا اليوم تحزم وقال: "أنا رايح أجاهد في سبيل الله وأموت شهيداً"، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل، والأمراء جلوس على باب القلة، فرأى رجلاً من المسلمين قد تبع بعض الكتاب النصارى وقبل يده والنصراني لا يعبأ به، فحنق منه وضرب النصراني بالطبر فهدل كتفه وثنى عليه فارتجت القلعة، واجتمع الناس وقبضوه، فاشتد غضب السلطان، وأمر به فضرب عنقه على باب القلعة.

وفي ثالث عشريه: قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صصري قاضي القضاة الشافعية بدمشق، فاستقر عوضه قاضي القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي، واستقر عوضه في تدريس المدرسة المنصورية القاضي تقي الدين السبكي، وفي تدريس الجامع الحاكمي الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان.

وفيه قدم الأمير أيتمش المحمدي من عند أبي سعيد، وقد عقد الصلح بينه وبين السلطان، وخطب بذلك في يوم الجمعة بمدينة توريز على منبر الجامع، وقد حمل الأمير أيتمش معه نسخة الأيمان التي تتضمن حلف أبي سعيد وجوبان والوزير، وما أنعم به عليه أبو سعيد: وهو ما قيمته نحو المائتي ألف درهم، ولؤلؤاً اشتراه بأربعين ألف درهم قوم بمائة ألف .وقدم أيتمش ذلك كله للسلطان، وحلف ألا يدخل في ملكه، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده.

وفي يوم الخميس سلخ ربيع الأول: قبل الظهر ولد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاي سماه أنوك، وفيه وقف بعض بزدارية السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوج بامرأته من غير أن يكون قد طلقها، وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له ذلك. فكشف علم الدين الخازن والي القاهرة عن قوله فتبين كذبه، وأنه طلق

المرأة وانقضت عدتها ثم تزوجت بالجندي فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه، فحنق السلطان وأمر الوالي بتعزير الشهود ومنعهم من تحمل الشهادة، وإلزام الجندي بطلاق المرأة وردها إلى البازدار، فكان هذا من الأمور الشنيعة.

وفيه قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد ناظر الخاص ووكيل السلطان، في يوم الخميس رابع عشره ربيع الآخر، بعدما تجهز ليسافر في يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام. فعندما طلع إلى القلعة على العادة، ووصل إلى الدركاه، منع من الدخول إلى السلطان، وعوق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد الله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة. ووقعت الحوطة على دور كريم الدين الكبير خاصة التي بالقاهرة وبركة الفيل، ونزل شهود الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل، وحملوا ما فيها إلى القلعة. وتوالت مصادرته، فوجد له شيء كثير جًدا: من ذلك قماش وبرد وطرز وحوايص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار، وقند وسكر زنته ثمانون ألف قنطار، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف مطر، وصناديق بها مسك وزعفران وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة أحد وأربعين صندوقاً. وأبيعت داره التي على بركة الفيل للأمير سيف الدين طقتمر بثلاثة عشر ألف دينار. وحمل ماله في الإسكندرية، وكان خمسين ألف دينار، ومن أصناف المتجر شيء كثير جداً، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب، ومائة وستون ألف قنطار رصاص، وبلغت قيمة الأصناف التي له في الإسكندرية خمسمائة ألف دينار. ووجد له بدمشق ألف ألف دينار وستمائة ألف درهم، وخمسة وعشرون ألف دينار .وبلغت قيمة أوقافه ستة ألاف ألف درهم.

وفي يوم السبت سلخه: قبض على كريم الدين الصغير، وسبب أنه امتنع من أن يتحدث في الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير.

وفيه نقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصادرين بباب القرافة من القلعة، وطولب بالحمل. وعوق بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص، والمهذب العامل، وغيره لعمل حساب كريم الدين. وكان سبب نكبته حسد الأمراء وغيرهم له على تمكنه من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه، فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها، ليقال عنه إنه كريم. واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير، وأنه يمنعه من تحصيل الأموال .وكان أكرم الصغير ظلوماً غشوماً، يريد أن يمد يده إلى ظلم الناس، فيمنعه كريم الدين. فبلغ النائب السلطان شكوى أكرم الصغير مراراً، فأثر في نفسه ذلك. وصار السلطان يرى عند الخاصكية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش، وعند نسائهم من الملابس والحلي ما يستكثره، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قط مثل ذلك. ولما حضر عرب البحرين بالخيل قومت بألف ألف ومائتي ألف درهم، سلمها كريم الدين إليهم بجملتها فيما بين بكرة النهار إلى الظهر، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا، فإنه كان أخرج إليهم شكائر ما بين ذهب وفضة. فلما قال لهم السلطان: قبضتم. قالوا: نعم، قال: لعله تأخر لكم شيء، فقالوا: وحياتك! عند كريم الدين مال في خزانة إذا أخرج منه مدة شهر ما يفرغ. فتحرك السلطان لذلك، وقال لبكتمر الساقي. سمعت قول العرب أنه دفع هذا القدر في يوم واحد، والخزانة ملآنة ذهباً وفضة؟ وأنا أطلب منه ألفي دينار فيقول ما ثم حاصل. وتبين الغضب في وجه السلطان، فأخذ بكتمر يتلطف به وهو

يحتد إلى أن قبض عليه.

وفي يوم السبت سابع جمادى الآخرة: نقل تاج الدين بن عماد الدين بن السكري من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال، وخلع عليه بطرحة.

وفيه نقل علاء الدين بن البرهان البرلسي من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح، وخلع عليه.

وفي رابع عشره: قدمت رسل أبي سعيد لتحليف السلطان على الصلح، ومعهم هدية ما بين بخاتي وأكاديش وتحف، فقرئ كتابه بوقوع الصلح، ثم سفروا بهدية سنية بعدما عمرهم إحسان السلطان في ثاني عشريه.

وفيه قدم الحمل من عند متملك سيس صحبة رسوله، ومعه جواهر ثمينة، واعتذر الرسول عما كان من متملك سيس، واستأذن في عمارة أياس، على أن يحمل في كل سنة مائة ألف درهم، فأجيب إلى ذلك.

وفيه قدم موسى بن مهنا وعمه محمد بالقود على العادة، وخيول كان السلطان استدعى بها. وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبي سعيد، فضاقت بهم البلاد، فأكرمهما السلطان وأنعم عليهما، وأعادهما إلى بلادهما.

وفيه وقعت مرافعة بين فرج وعلي ولدي قراسنقر، بسبب دخيرة لأمهما تبلغ نحو المائتي ألف ألف درهم، فأخذها السلطان منهما.

وفيه قدم المجد السلامي من الشرق، وقدم تقدمة جليلة، فرتبت له الرواتب السنية، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ألف درهم في السنة، ومرسوم بمسامحة نصف المكس عن تجاراته، وعاد إلى توريز.

وفيه قبض على جماعة من المماليك، وعوقوا بسبب ورقة وجدت تحت كرسي السلطان فيها سبه وتوبيخه، وأخرج منهم عدة إلى بلاد، وسجن منهم جماعة.

وفي سادس عشره: استقر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي أستاداراً، عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائي، وخرج بكتمر إلى دمشق. وكان ذلك بسبب أنه استخدم طباخ كريم الدين الكبير في مطبخ السلطان، فأنكر عليه السلطان ذلك وقال له: تستخدم طباخ رجل قد عزلته وصادرته في مطبخي؟ وأخرج أيضاً الأمير سنقر السعدي نقيب المماليك إلى طرابلس.

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ورسم له أن يتحدث في الأموال السلطانية كلها بغير مشارك، فامتنع من ذلك، فعزل عن نظر الدواوين. ثم خلع عليه واستقر صاحب ديوان الجيش، عوضاً عن معين الدين بن حشيش، وخلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام.

وفيه ولى السلطان نظر الخاص تاج الدين اسحاق أحد نظار الدواوين، وتسمى لما أسلم عبد الوهاب، ورسم ألا يتحدث في متجر. وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص، فعين التاج، وباشر التاج الخاص بسكون زائد وسياسة جيدة إلى أن مات.

وفيه طلب الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس.

وفي ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة،: سفر كريم الدين أكرم الصغير على البريد إلى صفد.

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه: أفرج عن كريم الدين الكبير وولده، وألزم بالإقامة في تربته من القرافة، وكان له يوم عظيم جداً، وأتاه الناس من كل مكان.

وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك في نظر المارستان، عوضاً عن كريم الدين الكبير، فوجد

حاصله أربعمائة ألف درهم، سوي سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير سيف الدين قجليس في نظر جامع ابن طولون، عوضاً عن كريم الدين الكبير أيضاً.

وفيه خرج الطلب لإحضار شمس الدين غبريال من دمشق، فركب ومعه أموال كثيرة، ثم خول اموال كريم الدين الكبير، وعاد إلى دمشق مكرماً.

ثم قدم الصاحب أمين الدين يوم الأحد رابع عشرى ربيع الآخر، وقرر في الوزارة، وجلس بقلعة الصاحب من القلعة، ونزل إلى داره، فكان يوماً مشهوداً. واستقر في نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زنبور، واستمر عوضه في استيفاء الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قروينة صهر الصاحب أمين الدين، فصار نظر النظار بين القاضي موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين ابن زنبور. وشفى الصاحب أمين الدين نفسه من كريم الدين أكرم الناظر، وأخرق به.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأخر: قبض على كريم الدين الصغير، واعتقل ببرج في القلعة، فشرع في حمل المال، ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى، ورسم له بنظر صفد، فتوجه إليها ليلة الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة.

وفيه قدم شمس الدين غبريال، ومعه حمل دمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره.

وفي يوم السبت تاسع عشرى جمادى الآخرة: أخرج كريم الدين الكبير وولده الشوبك، بعدما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما اشتراه من مال السلطان دون ماله. فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة، وأوقاف الجامع بدمشق، وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته.

وفيه توجه التاج اسحاق والأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي إلى الاسكندرية، واحتاطا على أموال كريم الدين الكبير، وكانت تحت يد مكين الترجمان، وقد أخذ المكين منها ثلاثة وخمسين ألف دينار، فاستقر التاج إسحاق يتحدث في متجر الخاص. وعاد التاج إسحاق ومعه الأمير مغلطاي فأوقع الحوطة على أموال التجار، وألزم ابن المحسني متولي الثغر بخمسين ألف دينار، ورسم على سائر المباشرين، وصادر الناس، فغلقت المدينة وبلغ السلطان ذلك فأنكره، وأفرج عن ابن المحسني بعدما أخذ منه مبلغ اثني عشر ألف دينار، وعاد الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي بستين ألف دينار من المصادرات.

وفيه كان عرس أمير علي بن أرغون النائب على ابنة السلطان، في يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وقد اعتنى السلطان بجهازها عناية عظيمه، وعمل لها بشخاناه وستارة ودابر بيت زركش بمبلغ ثمانين ألف دينار، وآلات ذهب وفضة بما ينيف على عشرة ألاف دينار. وعمر السلطان لها مناظر الكبش عمارة جديدة، ونقل الجهاز إليها، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز. وعمل المهم مدة ثلاثة أيام، حضره نساء الأمراء بتقادمهم: وهي ما بين أربعمائة دينار سوى تعابي القماش إلى مائتي دينار. وكان فيه ثماني جوق من مغاني القاهرة، وعشرون جوقة من جواري السلطان والأمراء، خص كل جوقة من جوف القاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير، ولم يحصو ما حصل لجواري السلطان والأمراء لكثرته. فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها، وعم جميع الأمراء بالخلع، وفضل من الشمع بعدما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصري. وأنعم السلطان على الأمير أرغون النائب بمنية بني خصيب، زيادة على إقطاعه.

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقي، وفرج بن قراسنقر، وكرت، وعدة من المماليك. ثم أفرج

عن طشتمر من يومه، ونفي كرت إلى صفد، وبقي فرج ابن قراسنقر بالجب.
وفيه هبت ريح سوداء حارة بدمشق، مات منها جماعة من الناس فجأة، وفسدت الثمار وجفت المياه، فتحسن سعر الغلال. ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر، فتغيرت أمزجة الناس، وفشت الأمراض، وكثر الموت مدة شهر، وفسدت الثمار، وتحسن السعر لهيف الغلة وقلة وقوعها.

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامي من دمشق، فولي الإسكندرية وتوجه إليها، فأراق الخمور بها، ومنع من بيعها، وجعل أجرة النقيب نصف درهم، وتثبت في البينات، وحمل الناس على الأمور الشرعية. فاستخفوا به وطمعوا فيه، وكثر فسادهم، فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه، فكان الرجل إذا شكا يجبى منه من مائتي درهم إلى ما دونها، وضرب جماعة منهم فخضعوا له.
وفيه توجه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج، في سادس شوال. وتوجه الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطنة في حادي عشره، ومعه حاج كثير، ورحل المحمل ببقية الحاج في ثامن عشره من البركة .وتوجه الفخر ناظر الجيش في ثاني عشريه إلى القدس، ليتوجه منه إلى الحج. وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب، على كل ركب أمير.
وفيه استقر بلبان العتريس في ولاية البحيرة، عوضاً عن أسندمر القلنجقي.
وفيه استقر قدادار مملوك برلغي في ولاية الغربية.
وفي أول ذي الحجة: خرج الأمير علاء الدين علي بن قراسنقر، والأمير سيف الدين أيدمر الكبكي، والأمير طقصباي المرتبة فديته بقوص، وخمسمائة من أجناد الحلقه إلى بلاد النوبة، ومعهم كرنبس. فانتهوا إلى دمقلة وكان قد تغلب كنز الدولة عليها، ونزع كرنبس، ففر كنز الدولة منهم، وجلس كرنبس على سرير ملكه وعادوا، فحارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر، وملك منه البلاد.
وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش، ونقل إلى دمشق، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامية في نظر الجيش بها.
وفيه ابتدأ السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس في أخر ذي الحجة.
وكان قاع النيل في هذه السنة ستة أذرع ونصف، وكان الوفاء يوم الأربعاء سادس شعبان، وسابع عشر مسري ، وانتهت الزيادة في سابع عشر رمضان إلى ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع. وخرق الماء ناحية بستان الخشاب، ودخل إلى بولاق، وغرق بساتين .وانقطعت الطريق من جهة اللوق، وغرق الخور، وانهدمت عدة بيوت، وغرقت المنية وجزيرة الفيل، فركب السلطان بنفسه لعمل جسر. ثم قويت الزيادة، وفاض الماء على منشاة المهراني ومنشاة الكتبة، وصار ما بين بولاق ومصر بحراً واحداً. وأمر الناس برمي التراب في ناحية بولاق، وكثر الخوف من غرق القاهرة، واشتد الاحتراس. وطلب الفقراء للعمل، فبلغت أجرة الرجل في كل يوم مابين درهم إلى ثلاثة دراهم، لعزة وجود الرجال واشتغالهم عند الناس في نقل التراب. ونزت أماكن كثيرة، وغرقت الأقصاب ببلاد الصعيد، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مطاير بها الغلال. وكتب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر الملح، فثبت الماء ثلاثة وأربعين يوماً، ثم نزل قليلاً قليلاً. فاستدعى السلطان المهندسين، ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لئلا تغرق في نيل أخر، وألزم أرباب الأملاك

المطلة على النيل بعمارة الزرابي، فعمل كل أحد تجاه داره زربية. واستدعى الأمراء فلاحيهم من النواحي، فحضروا بالأبقار والجراريف .وعمل الجسر من بولاف إلى منية الشيرج، ووزع بالأقصاب على الأمراء، فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل. ونصبت لهم الأسواق، حتى كمل الجسر في عشرين يوماً، وكان ارتفاعه أربع قصبات في عرض ثمانية.

وفيه قدم البريد بموت تكفور متملك سيس، وإقامة ولده بعده، ثم قدمت رسله بالهدية.

وفيه قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقتادة أمير ينبع.

ومات في هذه السنة من الأعيان

المجاهد أنص ابن العادل كتبغا، بعد ما عمي من سهم أصابه، في يوم الإثنين ثاني المحرم، وكان سمحاً ذكياً متقدماً في رمي البندق.

ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعي، في عشرى ذي الحجة، ومولده في ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة. وكان فقيهاً فاضلاً في مذهبي الشافعي ومالك، سمع الحديث وحدث، وولي الحكم بغرب قمولا وبقوص، وكان كثير العبادة.

ومات قاضي القضاة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن العماد محمد ابن الأمير سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصري التغلبي الدمشقي الشافعي، في ليلة السبت سادس عشرى ربيع الأول، ومولده في سابع عشرى ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة، وولي القضاء إحدى وعشرين سنة، وقدم القاهرة مراراً، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث، وكتب الخط المليح، وبرع في الأدب والتاريخ، وقال الشعر، وشارك في فنون من فقه وتفسير وغيره.

ومات أحمد بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري المغربي، في يوم الأحد سابع عشر شعبان بمصر، ومولده بالجزيرة الخضراء من الغرب، في المحرم سنة ست وأربعين وستمائة. وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد.

ومات نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفي البصروي الحنفي الوزير الصاحب. ولي حسبه دمشق ثم وزارتها، ثم صار من الأمراء.

ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطي البغدادي المؤرخ، في المحرم ببغداد.

ومات تاج الدين ناهض بن مخلوف، أخو قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي، في يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم بمصر.

ومات السني ابن ست بهجة، يوم الأحد خامس عشرى ذي الحجة، وكان من أعيان الكتاب بمصر.

ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر، في خامس عشرى شوال، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة. سمع وحدث وصار مسند الشام.

سنة أربع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة: فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثالثه.
وفي يوم الأربعاء سادسه: نودي على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل، على أن كل رطل منها بدرهمين، ومن عنده منها شيء يحضره إلى دار الضرب، ويأخذ عنها فضة. ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وثمن، فضرب منها نحو مائتي ألف درهم فرقت على الصيارف. وكان سبب ذلك كثرة ما دخل في الفلوس من الزغل، حتى صار وزن الفلس نصف درهم. فتوقف الناس عن أخذ الفلوس، وكثر ردها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال، وغلقت الحوانيت، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأردب إلى سبعة عشر درهماً.
وفي يوم السبت تاسعه: وصل الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقي من الحجاز، وصحبته جماعة وكان قد سافر بعد الإفراج عنه، وأنعم عليه بألفي دينار وغلال كثيرة، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتي عشرة بدلة وثلاثة حوائض وطرز زركش، وأنعم عليه بمال جزيل، وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل في خامس عشريه وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى منية بني خصيب، فشكا أهلها من مباشريهم، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم، فرجموه بالحجارة وأنكوا في مماليكه وغلمانه. فركب عليهم أرغون ليفتك بهم، ففروا من عند الوطاق خارج البلد إلى داخل البلد، فأخذ مماليكه من عمائم الهاربين نيفاً على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيراً من النصارى، ولهم خمس كنائس ، فهدمها في ساعة واحدة، ورسم ألا يستخدم نصراني في ديوانه، وكان النصارى قد جددوا عمارة ما خرب من الكنائس بالصعيد، فهدمت أيضاً.
وفي يوم الجمعة: هبت ريح والناس في الصلاة، حتى ظن الناس أن الساعة قامت، واستمرت بقية النهار وطول الليل، فهدم بها دور كثيرة، وامتلأت الأرض بتراب أسود.
وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص إلى أسوان، واقتلعت في ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة، وخربت الديار.
وفيه قدمت رسل المجاهد سيف الدين بن علي ملك اليمن بطلب نجدة من مصر، فلم يجب إلى ذلك.
وفيها قحطت بلاد الشرق، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام، وكان الجراد قد أتلف زروعها، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتي درهم. فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة في البحر إلى بيروت وطرابلس، فكان ما حمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ما حمله التجار، فانحط السعر حتى أبيعت الغرارة بثمانين درهماً. وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم، وكانت تبلغ في كل سنة ألف ألف ومائتي ألف درهم، فبطل ذلك واستمر بطلانه.

وفيه عزل جمال الدين سليمان الزرعي عن قضاء القضاة بدمشق، واستمر عوضه جلال الدين محمد القزويني، بعد استدعائه إلى القاهرة في يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى، وقدومه في يوم الجمعة ثالث عشريه. فلما اجتمع القزويني بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء، ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة وسافر القزويني على البريد يوم الإثنين رابع عشريه، فقدم دمشق خامس رجب، وكان عليه ديون اجتمعت عليه بسبب مكارمه، وهي ألف دينار ومائة وستون ديناراً، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه.

وفيه كتب باستقرار كمال الدين محمد بن علي الزملكاني في قضاء حلب، عوضاً عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصاري.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتي غزال بالحياة سوى ما قتل، وجرح كثيراً منها وأطلقها.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأولى: توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربي، لإحضار كريم الدين الكبير وولده من المقدس، فلما كان يوم الخميس خامس عشريه حضرا على البريد تحت الحوطة، فسلما إلى الأمير قجليس، فأقاما كنده إلى يوم حادي عشر ربيع الآخر، ثم طلعا إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكز نائب الشام والأمير ألطنبغا نائب حلب.

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعه الجبل، فعوق ببرج باب القرافة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكتمر وولده إلى الوجه القبلي، صحبة والي قوص.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريه: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفي اليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفاً بالسواد.

وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام في الضيافة. عدى إلى بر مصر في يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان، وامتنع من تقبيل الأرض، فلم يجبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس في الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهباً كثيراً في شراء ما يريد من الجواري والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

وفي يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة، ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي وزيراً، مع مابيده من الأستادارية، في يوم السبت عاشره.

وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسي في نظر الدواوين، عوضاً عن الموفق، وعن شرف الدين بن زنبور. وولي مجد الدين إبراهيم بن لفيتة نظر البيوت، عوضاً عن الأقفهسي المذكور. ثم قدم شمس الدين غبريال من دمشق باستدعاء في أثناء شهر رمضان، فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحبة ونائب الوزارة، في يوم الجمعة ثاني عشرى رمضان يوم وصوله.

واستقر في يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار في ولاية القاهرة، عوضاً عن علم الدين سنجر الخازن نقل إليها من ولاية البحيرة، ففتك في العامة، ومنع من الخمور وأراقها، فعظمت مهابته.

وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصي من شد الدواوين، وولي الجيزة نحو شهرين، ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها.

وفيه استقر علاء الدين أيدغدي الباشقردي بمصر، عوضاً عن علاء الدين ابن أمير حاجب.

وفيه استقر ابن زنبور في نظر خزائن السلاح، عوضاً عن علاء الدين علي بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسي. واستقر ابن البرلسي في نظر بيت المال، عوضاً عن تاج الدين بن السكري، واستقر ابن السكري شاهد الخزانة الكبرى.

وفيه استقر كريم الدين أكرم الصغير في نظر الشام، عوضاً عن غبريال، في يوم السبت رابع عشرى رمضان،

وخرج على البريد يوم الإثنين سابع عشرى شوال.
وفي يوم السبت ثماني عشرى شوال. فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمري، وقد جددها الأمير الحاج آل ملك.
وفي يوم الثلاثاء ثامن عشريه: رحل الركب من بركة الحاج إلى الحجاز.
وفي يوم الإثنين ثامن ذي القعدة: قدمت رسل أبي سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان، فأعيدوا بعد إكرامهم.
وفيه رسم بإغلاق دكاكين النشاب، وهدم مرامي النشاب.

وفيه فشت الأمراض في الناس بالشام ومصر والصعيد، وكثر الموت السريع، ومرض السلطان ثمانية عشر يوماً وعوفي، فعملت التهاني والأفراح سبعة أيام، وكتب بالبشاره إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربي، فحصل له ستة ألاف دينار وثلاثون فرساً وثلاثمائة قطعة قماش وست خلع كاملة بحوائص ذهب، فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف.
وفيها أخرج الأقوش المنصوري أميراً بدمشق. وسبب ذلك مرافعة ولده حتى قبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب، ثم أفرج عنه في سلخه، ورسم له بإمرة في حلب، فخرج على البريد في عشية نهاره.
وفي سادس عشرى رجب: استقر الأمير ألطنقش أستاداراً، عوضاً عن الأمير جمال الدين يغمور بعد موته، وكانت وفاة الأمير يغمور في خامس عشرى جمادى الآخرة.
وفي ثالث شعبان: قدم المجردون إلى النوبة، وقد غابوا ثمانية أشهر.
وفيه منع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل.
وفيه قدم الخبر بهبوب الريح في بلاد الصعيد، وأنها اقتلعت من ناحية عرب قمولة زيادة على أربعة ألاف نخلة في ساعة واحدة، وأخرحت عدة أماكن بأخميم وأسيوط وأسوان وبلاد السودان، وهلك منها كثير من الناس والدواب.
وفي ذي القعدة: طولب الصاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة بثمن كتان من خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم، خص الصاحب منها مبلغ خمسين ألفاً، وخص الموفق مبلغ خمسة وعشرين ألفاً، فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين.
وكان قاع النيل في هذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعاً، وكان الوفاء في يوم الأربعاء تاسع شعبان وثامن مسرى. وانتهت الزيادة إلى ثمانيه عشر ذراعاً وتسعة عشمر أصبعاً، فغرقت الأقصاب والمعاصر وكثرة من شون الغلال، وصارت المراكب لا تجد براً تضرب فيه الوتد من قوص إلى القاهرة، وغرقت الفيوم لانقطاع جسرها، وتوجه الأمير بكتمر الحسامي لعمارته.
وفيها قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف، فصارت تعرض عليه كل يوم، وتحدث في الأموال بنفسه.

ومات في هذه السنة من الأعيان

برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن ظافر، يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، كان فقيهاً شافعياً.
ومات الشيح نور الدين علي بن يعقوب بن جبريل البكري الفقيه الشافعي، في يوم الإثنين سادس ربيع الآخر.

ومات تقي الدين محمد الجمال عبد الرحيم بن عمر الباجر بقي الشافعي، في ربيع الآخر بدمشق، قدم القاهرة وأقام بها، وله الملحمة الباجر بقية، واتهم بالزندقة.

وماتت خوند أردكين بنت نوكاي الأشرفية ثم الناصرية، يوم السبت ثالث عشرى المحرم.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الفخري، يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، وكان أحد الأمراء الألوف.

ومات الأمير سيف الدين بزلار أمير علم.

ومات الطواشي عنبر الأكبر زمام الدور، في ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير محمد بن عيس بن مهنا من آل فضل، يوم السبت سابع رجب، قدم القاهرة مراراً.

ومات الأمير قطليجا الزيني من أمراء مصر.

ومات الشيخ الصالح محمود الحيدري، خارج القاهرة.

ومات الأمير بدر الدين بكتمر بدرجك، أحد الأمراء بمصر.

ومات كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد بثغر أسوان، ليلة الخميس العشرين من شوال، وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة، وأخذ منه مال كثير جداً.

ومات نور الدين علي بن تقي الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين علي القسطلاني، خطيب جامع عمرو بمصر، في يوم الجمعة حادي عشر ربيع الآخر.

ومات ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسي، يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى.

ومات بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين بن صفي الدين بن أبي المنصور، يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة.

ومات الحسن بن علي الأسواني الفقيه الشافعي، في جمادى الأولى بالمدينة النبوية، وقد أم بها واشتغل ثماني عشرة سنة، وكان فقيهاً صالحاً.

سنة خمس وعشرين وسبعمائة

المحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كيهك: وفي يوم الجمعة عاشرة: قدم أوائل الحاج.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: قدم السلطان من الوجه القبلي.

وفي يوم السبت خامس عشريه: وصل المحمل وبقية الحاج، مع الأمير أيتمش المحمدي أمير الركب.

وفيه اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم في الدولة التركية، وهم: رسل صاحب اليمن، ورسل صاحب إسطنبول، ورسل الأشكري، ورسل متملك سيس، ورسل أبي سعيد، ورسل ماردين، ورسل ابن قرمان، ورسل ملك النوبة، وكلهم يبذلون الطاعة. وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن إنجاده بعسكر من مصر، وأكثر من ترغيب السلطان في المال الذي باليمن، وكان قدوم رسله في مستهل صفر. فرسم السلطان بتجهيز العسكر صحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وهو مقدم العسكر. وكان معه من أمراء الطبلخاناه خمسة: وهم آقول الحاجب، وقجمار الجوكندار ويعرف باسم بشاس، وبلبان الصرخدي، وبكتمر العلالي أستادار،

وألجاي الساقي الناصري، ومن العشراوات عز الدين أيدمر الكوندكي ، وشمس الدين إبراهيم بن التركماني، وأربعة من مقدمي الحلقة، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه، وهم: الأمير ططر الناصري، وعلاء الدين بن طغريل الإيغاني، وجرباش أمير علم، وأيبك الكوندكي، وكوكاي طاز، ومن العشراوات أيضاً بلبان الدواداري، وطرنطاي الإسماعيلي والي باب القلة، وأربعة أخرون من مقدمي الحلقة، ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الحلقة تتمة الألف فارس. وفرقت فيهم أوراق السفر يوم الإثنين خامسه. وكتب بحضور العربان من الشرقية والغربية لأجل الجمال.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة، في يوم الخميس ثاني ربيع الأول.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام في عاشره، فأقام عند السلطان أياماً وعاد إلى دمشق مكرماً.

وفيه أنفق السلطان في الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط، فحمل لبيبرس ألف دينار، ولطينال ثمانمائة دينار، ولكل أمير طبلخاناه عشرة ألاف درهم، وللأمير من العشراوات مبلغ ألفي درهم، ولمقدم الحلقة ألف درهم.

وحضرت العربان، فاستقر كرا الجمل إلى مكة بمائة وستين درهماً، وإلى ينبع بمائة وثلاثين، ورحل كل جندي على أربعة جمال، جملين إلى مكة، وجملين إلى ينبع، وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبكي أمر العربان وأخذ العسكر في التجهيز، وباعوا موجودهم، فانحط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهماً، لكثرة ما باعوا من الحلي والمصاغ. وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين، وعين موضعاً على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبتني فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفي، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ، وندب السلطان آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع. ورتب السلطان لها أيضاً قصوراً برسم الأمراء الخاصكية، وعاد، فوقع الإهتمام في العمل حتى كملت في أربعين يوماً.

ثم اقتضى رأي السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهي إلى سرياقوس، ويرتب عليه السواقي والزراعات، وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغلال وغيرها إلى القصور بسرياقوس، وفوض ذلك إلى الأمير أرغون النائب.

فنزل الأمير أرغون بالمهندسين في النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضي بستان الخشاب، ويقع الحفر في الميدان الظاهري الذي صار بستاناً، ويمر على بركة قرموط إلى باب البحر، ثم إلى أرض الطبالة، ويرمى في الخليج الكبير. فكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفير، وعين لكل واحد من الأمراء أقصاب يحفرها، وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تم في سلخ جمادى الآخرة. وخربت فيه أملاك كثيرة، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب، وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها. والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه، والتزم قدادار والي القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذي كان ميداناً للظاهر، ورسم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية فلما كانت أيام الزيادة في ماء النيل جرت السفن في هذا الخليج، وعمرت السواقي عليه، وأنشئت بجانبه البساتين والأملاك.

وفي يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة: توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس، وقد خرجت القضاة

والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء، وعمل لهم سماط عظيم في يوم الخميس تاسعه بالخانكاه. واستقر مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي وهو شيح خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة في مشيخة هذه الخانكاه، ورتب عنده مائة صوفي وخلع السلطان عليه، وعلى قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وولده عز الدين عبد العزيز، وعلى قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي المالكي، وعلى الشيخ علاء الدين القونوي شيخ خانكاه سعيد السعداء، ورسم للشيخ مجد الدين ببغلة، وأن يلقب بشيخ الشيوخ، وخلع على أرباب الوظائف، وفرق ستين ألف درهم، وخلع على الأمراء وأهل الدولة.

وفيها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مري البعلبكي الحنبلي أحد أصحاب ابن تيمية، مقيداً في سجن القاضي المالكي تقي الدين الأخنائي بالقاهرة، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً، وشهر في تاسع عشرى جمادى الأولى، بعدما أقام في السجن من سادس عشرى ربيع الأولى وكان قد عرض على السلطان في نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلي بن البابا، والقاضي بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيري، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فآل الأمر إلى تمكين القاضي المالكي منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مري إلى السجن، ثم شفع فيه، فآل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوماً. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقي الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض أراء ابن مري، وشهدوا عليه، فدافع الأخنائي عنه وسكن القضية حتى خمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدي في ذلك :

يا قاضياً شاد أحكامه   على تقى من الله وأقوى أساس

مقالة في ابن مرى لفقت   تجاوزت في الحد حد القياس

وفى ابن شاس حققت ما أثرت   فهل أباح الشرع كفر ابن شاس

وفيها بلغ السلطان عن دمرداش بن جوبان متملك الروم ما أغضبه، فكتب يشكوه إلى أبيه جوبان، فأنكر عليه فعله، فاعتذر عما وقع منه، وبلغ جوبان ذلك إلى السلطان، فجهز إلى دمرداش تشريفاً وهدية، وكتب إليه يستميله.

وفي آخر جمادى الآخرة: توجه الأمير الوزير مغلطاي الجمالي، ومكين الدين بن قروينة مستوفي الدولة، على البريد لكشف القلاع وحمل ما فيها من الحواصل، فراك الجمالي المملكة الحلبية، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان.

وفيه استقر بهادر البدري في نيابة الكرك، عوضاً عن بيليك الجمالي.

وفي يوم السبت العشرين من رمضان: قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهري والأمير بدر الدين بيليك السيفي السلاري المعروف بأبي غدة من بلاد أزبك بهدية، ومعهما كتابه، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول، وكتاب شرح السنة والبحر للروياني في الفقه، وعدة كتب طلبها، فجهزت له.

وفيه خرج السلطان إلى البحيرة، في ثالث عشر ذي الحجة، للصيد.

وفيه بعث السلطان الأمير مغلطاي الجمالي إلى الإسكندرية، فأفرج عن الأمراء المسجونين بها، وهم: طاجار المحمدي، وبلبان الشمسي، وكيتمر، وبهادر التقوى أمير جاندار، فقدموا إلى القاهرة في ثامن عشريه.

وفيها نزل سيل عظيم في النيل حتى اصفر ماؤه، وزاد ستة أصابع.
وأما العسكر المجرد لنجدة صاحب اليمن فإنه سار إلى مكة، وقد كتب السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميري مكة، وإلى قوادهما، وإلى بني شعبة وعرب الواديين وسائر عربان الحجاز، بالقيام في خدمة العسكر. ووصل العسكر إلى مكة في السادس والعشرين من جمادى الأولى، ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغلال وغيرها من مصر إلى جدة، فأبيع الشعير بثلاثين درهماً الأردب، والدقيق بعشرين درهماً الويبة. وتقدم الخادم كافور الشبيلي خادم الملك المجاهد إلى زبيد ليعلم مولاه العساكر، وكتب الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب، وهو مقدم العسكر إلى أهل حلى بني يعقوب بالأمان، وأن يجلبوا البضائع للعسكر.

ورحل العسكر في خامس جمادى الآخرة من مكة، ومعه الشريف عطفة والشريف عقيل، وتأخر الشريفي رميثة. فوصل العسكر إلى حلي بني يعقوب في اثني عشر يوماً، بعد عشرين مرحلة، فتلقاهم أهلها، ودهشوا لرؤية العساكر، وقد طلبت ولبست السلاح، وهموا بالفرار. فنودي فيهم بالأمان، وألا يتعرض أحد من العسكر لشيء إلا بثمنه، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمي الألوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة، فرداها ولم يقبلا لأحد شيئاً. ورحل العسكر بعد ثلاثة أيام في العشرين منه.
فقدمت الأخبار باجتماع رأي أهل زبيد على الدخول في طاعة الملك المجاهد خوفاً من معرة قدوم العسكر المصري، وأنهم ثاروا بالمتملك عليهم وهو الملك الظاهر، ونهبوا أمواله ففر عنهم، وكتبوا إلى المجاهد بذلك، فقوي ونزل من قلعة تعز يريد زبيد. فكتب أمراء العسكر المصري إليه، وهم قرب حدود اليمن، بأن يكون على أهبة اللقاء. ونزل العسكر على زبيد، ووافاهم المجاهد بجنده، فسخر منهم الناس من أجل أنهم عراة، وسلاحهم الجريد والخشب، وسيوفهم مشدودة على أذرعتهم، ويقاد للأمير فرس واحد مجلل، وعلى رأس المجاهد عصابة ملونة فوق العمامة. وعندما عاين المجاهد العساكر المصرية وهي لابسة ألة الحرب رعب، وهم أن يترجل عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وآقول من ذلك. ومضى العسكر صفين والأمراء في الوسط حتى قربوا منه، فألقى المجاهد نفسه ومن معه إلى الأرض، وترجل له أيضاً الأمراء وأكرموه وأركبوه في الوسط، وساروا إلى المخيم، وألبسوه تشريفاً سلطانياً وكلفتاه زركش وحياصة ذهب. وركب المجاهد والأمراء في خدمته بالعساكر إلى داخل زبيد، ففرح أهلها فرحاً شديداً.
ومد المجاهد لهم سماطاً جليلاً، فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفاً من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، واعتذروا إليه بأن هذا لا يكفي العسكر، ولكن في غد يعمل السماط. فأحضر المجاهد إليهم ما يحتاجون إليه، وتولى طباخو الأمراء عمل السماط. وحضر المجاهد وامراؤه، وقد مد السماط بين يدي كرسي جلس عليه المجاهد، ووقف السقاة والنقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة، ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة، والأمير طينال رأس الميسرة. فلما فرغ السماط صاحت الشاويشية على أمراء المجاهد وأهل دولته فأحضروهم، وقرئ كتاب السلطان، فباسوا بأجمعهم الأرض، وقالوا سمعاً وطاعة، وكتب الأمير بيبرس لممالك أليمن بالحضور، فحضروا.
و لم يجهز الملك المجاهد للعسكر شيئاً من الإقامات، وعنفه الأمير بيبرس على ذلك، فاعتذر بخراب البلاد،

وكتب لهم على البلاد بغنم وأذرة، فتوجه إليها قصاد الأمراء. وسار المجاهد إلى تعز لتجهيز الإقامات، ومعه الأميران سيف الدين ططر العفيفي السلاح الدار وسيف الدين قجمار في مائتي فارس، وتأخر العسكر بزبيد، وعادت قصاد الأمراء بغير شي ء فرحل العسكر من زبيد في نصف رجب يريدون تعز، فتلقاهم المجاهد، ونزلوا خارج البلد، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات، فوعد بخير. وكتب الأمراء إلى الملك الظاهر المقيم بدملوة، وبعثوا إليه الشريف عطفة أمير مكة وعز الدين الكوندكي، وكتب إليه المجاهد أيضاً يحثه على الطاعة.
وأقام العسكر في جهد، فأغاروا على الضياع، وأخذوا ما قدروا عليه، فارتفع سعر الأذرة من ثلاثين درهماً الأردب إلى تسعين، وفقد الأكل إلا من الفاكهة فقط، لقلة الجلب، واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفاً من العسكر أن يملك منه البلاد.
ثم إن أهل جبل صبر قطعوا الماء عن العسكر، وتخطفوا الجمال والغلمان .وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر في طلبهم، فامتنعوا بالجبل، ورموا بالمقاليع على العسكر، فرموهم بالنشاب. وأتاهم المجاهد فخذلهم عن الصعود إلى الجبل، فلم يعبأوا بكلامه، ونازلوا الجبل يومهم، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان، وبات العسكر تحته .فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد الجبل يضرمون النار في الوطاق وينهبون ما فيه، فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقري وأخذ موجوده، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق، ففرح أهل تعز بمتله، وكان بهادر قد تغلب على زبيد، وتسمى بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل، وظل متسلطاً عليها، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر.

وقدم الشريف عطفة والكوندكي من عند الملك الظاهر صاحب دملوة، وأخبرا بأنه في طاعة السلطان. وطلب بيبرس من المجاهد ما وعد به السلطان، فأجاب بأنه لا قدرة له إلا بما في دملوة فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك، وأنه أذن للعسكر في العود، لخراب البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان، وأنه امتنع بقلعة تعز.
ورحل العسكر إلى حلي بني يعفوب، فقدمها في تاسع شعبان. ورحلوا منها أول رمضان إلى مكة، فدخلوها في حادي عشره بعد مشقة زائدة. وساروا من مكة يوم عيد الفطر، وقدموا بركة الحاج أول يوم ذي القعدة.
وطلع الأمراء إلى القلعة، فخلع عليهم في يوم السبت ثالثه. وقدم الأمير بيبرس هدية، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس، وأنه أخذ مالاً من المجاهد وغيره، وأنه قصر في أخذ مملكة اليمن.
فلما كان يوم الإثنين تاسع عشره: رسم بخروجه إلى نيابة غزة، فامتنع لأنه كان قد بلغه ما قيل عنه، وأن السلطان قد تغير عليه، فقيد وسجن في البرج، وقبضت حواشيه، وعرقبوا على المال فلم يظهر شيء.
وفي ثالث ذي الحجة: قبض على إبراهيم ابن الخليفة أبي الربيع، وسجن بالبرج، لأنه تزوج بمغنية، وأشهد عليه بطلاقها.
وفي ثالث عشر ذي القعدة: قدم ألطبغا نائب حلب، وسافر أخر يوم الأحد.
وفي أول ذي الحجة: خلع على الأمير بهادر البدري السلاح دار، واستقر في لنيابة الكرك، عوضاً عن عز الدين أيبك الجمالي، ونقل الجمالي لنيابة غزة، فسار إليها في خامس عشره.
وفي ثالث عشره: توجه السلطان إلى الصيد نحو الجيزة، وأفرج عن بلبان الشمسي وبهادر التقوى وأمير جاندار، وطاجار المحمدي.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية في الحرم، وكانت صالحة خيرة، ملازمة للرباط، تعظ النساء.
ومات الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن، وحمل إلى مكة فدفن بها، وكان جواداً عفيفاً.
ومات الأمير ركن الدين بيبرس المنصور في ليلة الخميس خامس عشرى رمضان، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين أقوش، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، وولي نيابة السلطنة بديار مصر، وكان عاقلاً كثير البر، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزي خارج القاهرة، وله تاريخ سماه زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، يدخل في أحد عشر سفراً، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصراني وكان يجلس رأس الميسرة، فأخذ إقطاعه الأمير مغلطاي الجمال وأخرج منه طبلخاناه لبلبان السناني وصار الأمير عز الدين أيدمر الخطيري بعده يجلس في رأس الميسرة.
ومات الشريف منصور بن جماز بن شيحة في حرب يوم الرابع والعشرين من رمصان، قتله حديثة ابن ابن أخيه، وكان له في الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام، واستقر عوضه في إمرة المدينة النبوية ابنه بدر الدين كبيشة بن منصور، وقدم منصور إلى القاهرة مراراً.
ومات الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي كاتب السر، بدمشق في شعبان، عن إحدى وثمانين سنة، وقدم القاهرة مراراً.
ومات الشيخ تقي الدين محمد بن الجمال أحمد بن الصفي عبد الخالق الشهير بالتقي الصائغ شيخ القراء بمصر في ليلة الأحد ثامن عشر صفر.
ومات نجم الدين أبو بكر بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي بالقاهرة في ثالث ذي القعدة، وكان فاضلاً، إلا أنه رمي في عقله وعقيدته بأشياء.
ومات الأمير سيف الدين بلبان التتري المنصوري في ذي القعدة.
ومات الخطيب جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد القسطلان في ليلة السبت مستهل ربيع الأول، واستقر ابن أخيه الخطيب تقي الدين بن نور الدين مكانه خطيباً بجامع القلعة، ورتب ولده زين الدين أحمد بن جمال الدين في خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره.
ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندي الفقيه الشافعي في خامس عشرى ربيع الآخر.

سنة ست وعشرين وسبعمائة

أهلت والسلطان في الصيد بالوجه البحري.
وفي يوم الإثنين سادس عشر المحرم: وردت رسل ملك الحبشة بكتابه يتضمن إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين، ويسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر، فسخر السلطان منه، ورد رسله.

وفي عشرى صفر: خلع على فخر الدين استادار ألطنبغا، واستقر والي المحلة بعد موت الشيخي.

وفي ثامن عشر صفر: صرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار، وسفر إلى دمشق، فسار على البريد في حادي عشريه، وقدم دمشق في ثامن عشريه.

وفي يوم الإثنين سادس ربيع الأول: قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سفط من الجيزة -والسلطان مخيم بها -، فأنكر السلطان عليه إنكاراً شديداً، وأمره. بملازمة بيته. وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق.

وفيه استقر شرف الدين الخطيري - المعروف بكاتب سلار، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب - في نظر النظار، عوضاً عن غبريال.

وفيه رسم للوزير مغلطاي بقتل كريم الدين أكرم الصغير في خفية، فتقدم إلى والي القاهرة بذلك، فوضع له أعيناً يترقبون فرصة، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، فوثب عليه جماعة، وكان قد احترس على نفسه، فنجا بفرسه منهم، وقتلوا غلامه .وأصبح الناس وقد شاع خبره، وبلغ السلطان فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان، فقبض عليه في يوم السبت تاسعه هو وأولاده، وأحضرهم مجلس السلطان، وطولب بالمال، فلم يعترف بشيء، فضرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع وسلم أكرم إلى والي القاهرة، فوجد في كمه أوراقاً فيها مرافعات في جماعة من أهل الدولة، فطلبها الوزير منه، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان من تسلمها منه وقرأها، فأفرج السلطان عن أولاده، ورسم بعقوبته فسعط بالخل والجير.

وأخرج أكرم وابنه سعد الدين في ليلة الإثنين حادي عشره إلى جهة الصعيد، بعدما توجه الأمير بهاء الدين والي القلعة إلى الوزير يطلب له منه بساطاً ونفقة فأبى ذلك. ومضى أكرم وابنه في سلورة إلى أسوان، فقدما في ليلة الإثنين خامس عشريه، وقتل ليلة الثلاثاء سادس عشريه.

وفي يوم الخميس سابع جمادى الأولى سار الأمير أيتمش المحمدي رسولاً إلى القان بوسعيد، وصحبته هدايا جليلة، ليرغبه في مصاهرة السلطان. فبلغ أيتمش رسالته، وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان.

وفي ثاني عشرى جمادى الأولى: خرجت تجريدة إلى برقة عليها من الأمراء أسندمر العمري وملكتمر الإبراهيمي وقطلوبغا الطويل، وجماعة من أجناد الأمراء .وسببها حضور فايد وسليمان أميري العربان ببرقة، وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم.

وفي ليلة الجمعة ثامنه: وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان، ومعه الأمير قجليس والأمير طقتمر الخازن، ليتوجه إلى الكرك - وعمره يومئذ ثماني سنين-، وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال واستقر في نيابة الكرك الأمير سيف الدين بهادر البدر وتوجه معه ليقوم بأمره، ويودع المال بخزانة قلعة الكرك، ولا يمكن أحداً من التصرف، بل يمرنه على الصيد والفروسيه. فأوصله الأميران إلى الكرك، وعادوا في ثاني جمادى الآخرة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرمان لامتناعه من التوجه لإحضار حمل سيس، فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق، وأن يستقر شهاب الدين قرطاي الصلاحي نائب طرابلس على خبزه.

وفيه رسم للأمير طينال الحاجب بنيابة طرابلس، فسار من القاهرة في يوم الخميس رابع جمادى الآخرة. وأمر السلطان بتقدمته على الأمير قوصون زيادة على إقطاعه، عقد له على إحدى بنات السلطان.

وفي يوم الثلاثاء ثامن رجب: ابتدأ جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتمر الساقي بآخر القرافة مما يلي بركة الحبش.

وفي يوم الإثنين رابع عشر رجب: قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبي سعيد، ومعهم طايربغا وابنه يحيى فخلع عليهم، وأنعم على طايربغا بإمرة طبلخاناه في سابع عشره، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة، وأعيدت الرسل في رابع عشريه. وكان طايربغا هذا يلي نيابة خلاط، وبينه وبين السلطان قرابة، فكتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه وأهله إلى مصر، فبعثهم.

وفي سابع عشره: أيضاً أنعم على أحمد بن بكتمر الساقي بإمرة.

وفي يوم الإثنين سادس شعبان: حبس تقي الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق. وضرب شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، وشهر على حمار بدمشق .وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد السمجد النبوي فأنكر المقادسة مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضي جلال الدين محمد القزويني وغيره من قضاة دمشق. وكان قد وقع من ابن تيمية كلام في مسألة الطلاق بالثلاث أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق. فلما وصلت كتب المقادسة في ابن القيم، كتبوا في ابن تيمية وصاحبه ابن القيم إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريري قاضي القضاة الحنفية بديار مصر ذلك، فشنع على ابن تيمية تشنيعاً فاحشاً حتى كتب بحبسه، وضرب ابن القيم.

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصوري ونحت جدران المارستان والمدرسة المبنيه بالحجر كلها داخلاً وخارجاً، وطر الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد. وعمل أقوش خيمة يزيد طولها على مائة ذراع، وركبها لتستر على مقاعد الأقفاص، وتستر أهلها من الحر، ونقل الحوض من جانب باب المارستان، لكثرة تأذي الناس برائحة النتن، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس، وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف.

وإلى يوم الإثنين سابع عشر شعبان: أفرج عن الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام، فلما مثل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق، وبعثه إليها.

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركماني من دمشق إلى شد الدواوين بطرابلس، وأنعم على أشقتمر من أمراء حلب بخبزه.

وفيه حمل بكتوت القرماني من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيداً على البريد، وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوبكري والجاولي فسجنوا بها.

وفيه قدم بازان رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد، وجوبان هو الذي أجرى العين من عرفة إلى مكة. فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان، وعرفه خبر العين، شق عليه ذلك، وقال له على أن النائب: "من أذن لك في هذا؟ ولم لا شاورتني؟"، فقال بازان للنائبء "عرف السلطان أن جوبان فعل ما فعل من الخبر، وبقي الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر، فهذا شيء قد فعله من فعله وخرج عنه، والأمر إليكم"، فلما بلع النائب قوله السلطان سكت.

وكان من خبر هذه العين أنه لما كثر ترداد الحاج من العراق إلى مكة في كل سنة شق عليهم قلة الماء بمكة، فإن الراوية كانت تبلغ في الموسم عشرة دراهم مسعودية، وفي غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة. فقصد الأمير

جوبان حاكم مملكة أبي سعيد عمل خير بمكة، فدله بعض الناس على عين كانت تجري في القديم ثم تعطلت، فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار، وجهزه في موسم سنه خمس وعشرين فلما قضي حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها، فأعلم بعين في عرفة، فنادى بمكة: "من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم في كل يوم". فهرع إليه العمال، وخرج بهم إلى العمل، فلم يشق على أحد منهم ولا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم. أتاه جمع كبير من العرب، وعمل حتى النساء، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة، في ثامن عشرى جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت مدة العمل أربعه أشهر وكثر النفع بهذه العين، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات.

وفيه قدم القاهرة الأمراء المجردون إلى برقة، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام.

وفيه قدم الخبر بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق وألزمهم بإحضار الكلاب ورميها بالخندق، فأقاموا عشرة أيام في جمعها حتى امتلأ الخندق بها، وأكل بعضها بعضاً.

وفيه قدم الخبر بحصول سيل عظيم في الفرات، أعقبه مطر، وأنه حدث وخم وفناء عم الناس من الفرات إلى دمشق، فلم تبق مدينة فيما بين ذالك حتى كثر بها المرض والموت، وباع بعض عطاري دمشق في كل يوم أدوية للمرضى بنحو الألف درهم، وأبيع قدر فيه حسو شعير بزيادة على ثلاثين درهماً، وأخذ حجام في أجرة فصد وشراطة أذان في كل يوم أربعمائة درهم، فإنه كان فصلاً زموماً، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل.

وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان: قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر بن شادي ابن الملك الأوحد تقي الدين ابن الملك المعظم غياث الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بن أيوب بن شادي صاحب حصن كيفا" فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وخلع عليه تشريفاً طرد وحش بحياصة، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والحلوى وغير ذلك، وبعث له عشرة ألاف درهم.

وأقام الصالح صلاح الدين إلى نصف شوال، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل ما يحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف، وأنعم عليه بألف دينار. فلما قدم دمشق بالغ الأمير تنكز في الإحسان إليه، وبعثه إلى بلده فقدمها، وسر به أهلها .فلما صعد الحصن وتوسط الدهليز، وثب عليه أخوه الملك العادل محيي الدين وقتله. وكان من خبر الصالح صلاح الدين أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وأخوته بالقوة، فإنه كان شجاعاً جريئاً، فلما تمكن منع الخراج عن أبي سعيد، وتعرض لقصاد الأمير تنكز نائب الشام، وإلى بعض التجار. فكتب اليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه، فخاف سوء العاقبة، وأجاب بالاعتذار، وأنه من اليوم في خدمة السلطان ونائبه، وأنه يمتثل ما يرسم به، وجهز لتنكز هدية. فسر السلطان بذلك، وأكد على تنكز في مهاداته. فلما قدم الأمير أيتمش المحمدي عليه تلقاه، وقدم له تقدمة حسنة، وعرفه أنه صاحب السلطان في الحسن تحت أوامره" وكتب إلى نائب الشام بذلك. فكتب تنكز يعرف السلطان بذلك، فازداد رغبة فيه، ومازال به الأمير تنكز يستميله حتى قدم إلى مصر، ذلك بعد أن استناب أخاه الملك العادل محيي الدين على الحصن مدة غيبته. فطمع محيي الدين في الحصن وقتله بعد رجوعه من مصر، وكتب إلى جوبان وأبي سعيد أنه لم يقتله إلا لمخامرته وخروجه عن طاعتهما، وبعث إليهما بالخراج، فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن وكتب محيي

الدين أيضاً لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر والفسق وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة، وجهز إليه وترفق إليه هدية في كتبه، وأنه مملوك السلطان ونائبه. فعرف تنكز السلطان ذلك، فأجابه بقبول عذره ومهاداته واستجلاب خاطره، ففعل ذلك.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان: تولى الأمير عماد الدين البحيرة، عوضاً عن بلبان العتريس.

وفي خامس شوال: توجه الأمير سيف الدين أرغون النائب، وولده ناصر الدين محمد، إلى الحجاز للحج.

وفيه أشيع أن قصاد الأمير تنكز وصلت من الشرق، وأخبرت بأن الأمير جوبان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة ألاف فارس، وقصد الحج. فأظهر السلطان الخوف على نائبه الأمير أرغون أن يقبض عليه جوبان ويجعله إلى بلاده، وكتب إلى تنكز نائب الشمام أن يخرج بعسكر إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون. فبرز تنكز بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه، ونزل الصنمين. ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق، فعاد. وباطن هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج، فندب الأمير أرغون للحج، أن يقبض عليه .فلما خرج أرغون بلغ السلطان أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج، فشق ذلك على السلطان، وأشاع ما تقدم ذكره، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون، ثم بدا له فأشاع أن جوبان أبطل حركته للحج، وأعاد نائب الشام.

وفيها كثر الرخاء بمصر، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبستة، وأبيع الشعير والفول من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة.

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال: فرق السلطان الحوائص الذهب على الأمراء .وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر أصبعاً وسبعة عشر ذراعاً.

وفيها كتب مرسوم السلطان - وقرئ على المنابر - بألا يضرب أحد في ديار مصر والشام بالمقارع.

وفيها قدم بيبغا الحموي من مكة مبشراً بسلامة الحاج، في رابع عشرى ذي الحجة.

ومات فيها ممن له ذكر

شيخ الضيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلي المعتزل شارح مختصر ابن الحاجب، في المحرم، وكان رضي الخلق حليماً، عالماً بالمعقولات، وله وجاهة عند خربندا، وله عدة مصنفات، ولابن تيمية عليه رد في أربع مجلدات، وكان يسميه ابن المنجس.

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبي البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس المعروف بابن الشيرجي - الأنصاري الدمشقي محتسب دمشق ومولده في سنة سبع وأربعين وستمائة. ومات بدر الدين حسن ابن الملك الأفضل صاحب حماة، أحد الأمراء بحماة، عن نيف وستين سنة. وكان من أهل العلم، وسعى في مملكة حماة.

ومات سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخزرجي الأنصاري المصري الشافعي خطيب المدينة النبوية.

ومات والي المحلة الشيخ في سابع عشرى المحرم.

أهل المحرم: وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فشت حتى لم يكد يسلم منها أحد، فكان المريض يتمادى مرضه أسبوعاً ويبرأ، وربح بياعو الأدوية والأطباء والحجامون مالاً كثيراً.
وفي يوم الأحد حادي عشره: قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز والسلطان بناحية سرياقوس فقبض عليهما وعلى الأمير طيبغا الحموي فأخذهم الأمير بكتمر الساقي عنده وسعى في أمرهم، فأخرج السلطان الأمير أيتمش في يوم الإثنين ثاني عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب، عوضاً عن ألطنبغا.
وقد تقدم تغير السلطان على الأمير أرغون، فلما قدم بعث السلطان الأمير أيتمش المحمدي ليقف على باب القلة من قلعة الجبل، فإذا مر به أرغون في دخوله على السلطان منع مماليكه من العبور معه. وأمر السلطان الأمير قجليس أن يتلقاه إذا صعد القلعة، ولا يمكنه من العبور إلى داره، فتلقاه قجليس من باب القلعة، ومشى معه إلى أن جازا دار النيابة، فسمع أرغون صراخ أهله، وقد ماتت ابنة زوجته. ثم مر أرغون إلى باب القلة، فإذا أيتمش وغيره فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد، وفرق بينهما. فبعث السلطان إليه بكتمر الساقي يعدد عليه ذنوبه، فاستسلم لأمر الله. وطال ترداد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أنعم عليه بنيابة حلب، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود .وبعث السلطان الأمير ألجاي الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر ألطنبغا نائبها، وقرر مع كل من أيتمش وألجاي أن يكونا بمن معهما في دمشق يوم الجمعة ثالث عشريه. ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر، حتى توافيا بدمشق في يوم الجمعة المذكوره وقد خرج الأمير تنكز في الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون، فترجل كل منهما لصاحبه، وسارا إلى جامع بني أميه، فعندما توسطاه إذا بالجاي ومعه ألطنبغا نائب حلب، فسلم عليه أرغون بالإيماء. فلما قضيت صلاة الجمعة حمل لهما الأمير تنكز سماطاً جليلاً، وركب أرغون إلى حلب، فدخلها في سلخه.
وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: عزل شرف الدين الخطيري من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيتة، واستقر الخطيري ناظر البيوت، فألزم ابن لفيتة المباشرين بعمل الحساب، وأراد توفير جماعة منهم، فلم يتمكن من ذلك.
وفيه سار ألطبغا إلى القاهرة، فقدمها يوم السبت مستهل صفر، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بأمرة مائة من جملة إقطاع أرغون، وكمل السلطان منه لطايربغا إمرة مائة، فزادت التقادم تقدمة، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدماً واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغير السلطان أرغون، لكثرة حطه عليه وإغرائه به، حتى قال له: "يا خوند! ما رأينا سلطاناً دخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة"، وذكره بما وقع للمنصور لاجين بسبب نائبه منكوتمر، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا، وإفساد سلار نائب السلطنة مملكة المظفر بيبرس، وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور. وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة، وأهانة أرغون له وحطه من مقدار.
ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون، فما ذكر إلا خيراً، فقال له الفخر بحضرة السلطان: "يا أيتمش كل ما قلت صحيح، لكن والله لو قام أرغون في النيابة شهراً واحداً ما رأيت السلطان على هذا الكرسي". فأثر هذا القول في السلطان أثراً قبيحاً، وطلب شرف الدين الخطيري كاتبه وهدده بالشنق أن أخفي شيئاً من مال أرغون، وألزمه بكتابة حواصله، فلما تنجزت الأوراق أحاط السلطان بجميع حواصله، وأخذ بعضها وأنعم

بالباقي.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر صفر: قدم الشريف طفيل فاراً من ابن عمه الشريف ودي ابن جماز بن شيحة، وأخبر أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام، ودخلها عنوة لغيبة الشريف كبيشة أمير المدينة، وأخذ غلمانه وأهله وصادرهم، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة، وقتل القاضي هاشم بن علي وعبد الله بن القائد علي بن يحيى. فلما بلغ ذلك الشريف كبيشة قدم، ففر منه ودى فغضب السلطان من ذلك، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة.

وفي رابع ربيع الأخر: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء، ومعه قليل من مماليكه، فخرج الأمير بكتمر الساقي إلى لقائه بسرياقوس وقدم به، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقي. وكان قد قدم معه الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون بديار مصر، فأنعم عليه بأمرة طبلخاناه، وأن يكون حاجباً صغيراً رفيقاً للأمير ألماس الحاجب وأنعم بإقطاعه في دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير، وسافر الأمير تنكز.

وفي يوم الأحد سادس ربيع الآخر: قبض على الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخر والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقي .وأخرج قطلوبغا على إقطاع أيدغدي التليلي بدمشق، في يوم السبت ثاني عشريه. وأفرج عن طشتمر، واستمر على حاله. وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله، فقام الأمراء وكذبوا هذا القول، فإنه من فعل من يريد الفتنة، ومازالوا حتى أفرج عنهما.

وفيه استقر الأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش، عوضاً عن شمس الدين المهمندار، مضافاً لما بيده من نقابة المماليك. واستقر المهمندار على المهمندارية.

وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى : قبض على الأمير بهاء الدين أصلم، وعلى أخيه سيف الدين قرمجي وجماعة من القبجاقية. وسبب ذلك أن أصلم عرض سلاح خاناه وجلس بإصطبله، وألبس خيله عدة الحرب، وعرضها يومه كله، فوشي به إلى السلطان بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرمجي وجماعة جنس القبجاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة، وأنه أمس عرض عدده وألبس خيله ورتبهم للركوب. وكتب هذا في ورقة وألقاها أحدهم في الإصطبل السلطاني. فلما وقف السلطان عليها تغير تغيراً زائداً، وكانت عادته أنه لا يكذب في الشر خبرا، وبعث من فوره يسأل أصلم مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمس في إصطبله، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها، فصدق السلطان ما نقل عنه، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه، وعلى قيران صهر قرمجي وانكبار أخي آقول الحاحب، وسفروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسري الشمسي وبرلغي قريب السلطان، وكانا مسجونين بقلعة الجبل. وأفرد أصلم في برج بالقلعة.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشام، فخلع عليه أطلس بطرز زركش وكلفتاه زرك!ش وحياصة مجوهرة، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصلم. وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام، وقد كان فر من بلاد التتار، وشمله الإنعام السلطاني وصار من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفيه قدمت رسل اصطنبول، فأسلم منهم نفران، وهما آقسنقر وبهادر، وأنعم على آقسنقر بإمرة عشرة بديار

مصر، وعلى بهادر بخبز جند وكانا أخوة.
وفي يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة :عقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عقد ابنة السلطان بالقلعة، وتولى عقد النكاح قاضي القضاة شمس الدين محمد بن الحريري الحنفي.
وفيه سأل قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي في الإعفاء من القضاء، واعتذر بنزول الماء في إحدى عينيه وانحداره إلى الأخر وقلة نظره وكبر سنه. فسأل السلطان من ابنة عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائف والده، فأخبره بها، فلما حضر بدر الدين دار العدل في يوم الإثنين عاشره أعاد السؤال في طلب الإعفاء، فأجابه السلطان من غير تصريح، وقال له" :احكم بين الأمير بكتمر الحاجب وبين غرمائه"، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما، وقال لأهل مجلسه. "هذا أخر الحكم، ومضى إلى داره بمصر، فقرر له السلطان من مال المتجر في كل شهر ألف درهم فضة.

وفيه كتب بإحضار جلال الدين محمد القزويني قاضي دمشق، ليستقر في قضاء القضاة بمصر عوضاً عن بدر الدين بن جماعة، فقدم على البريد إلى سرياقوس يوم الجمعة ثامن عشريه، وخطب بجامع الخانكاه، وصلى بالناس صلاة الجمعة. وطلع القزويني قلعة الجبل يوم السبت تاسع عشريه، فخلع عليه في أول رجب، واستقر في قضاء القضاة، وأركب بغلة بزنار جوخ، وأضيف إليه تدريس المدرسة الصالحية، والمدرسة الناصرية، ودار الحديث الكاملية، وخطابة جامع القلعة شركة مع ابن القسطلاني وأعيد ابنه بدر الدين محمد على خطابة جامع بني أمية بدمشق. وكتب باستقرار شمس الدين أبي اليسر ابن الصائغ بتعيين الجلال القزوين فامتنع من ذلك.
وفي يوم الأربعاء رابع رجب: قدمت رسل القان أبي سعيد، ومعهم محمد بيه بن جمق قريب السلطان وابن أخت طايربغا، بهدية سنية. فأنعم السلطان على محمد بيه بإمره طبلخاناه عوضاً عن أيبك البكتوتي أمير علم، بحكم انتقاله على إقطاع فيروز بصمد.
فلما كمان يوم السبت: ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل، ثم أركبهم في ثالث عشره معه إلى القاهرة، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور، ومد سماط عظيم بإيوان المدرسة المنصورية القبلي وحضر الفقهاء بالإيوان البحري. ثم ركب السلطان بهم مرة ثانية إلى الميدان، وأعادهم في سادس عشره بهدية جليلة.
وفي يوم الخميس خامسه: كانت الفتنة بالإسكندرية: وملخصها أن بعض تجار الفرنج فاوض رجلاً من المسلمين وضربه، وذلك أن الفرنجي وقف بجانب صبي أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل، فعناه بعض المسلمين وقال له: "هذا ما يحل"، فضربه الفرنجي بخف على وجهه. فثار المسلمون بالإفرنج وثار الفرنج لتحميه، فوقع الشر بين الفريقين، واقتتلوا بالسلاح .فركب ركن الدين الكركي متولي الثغر، فإذا الناس قد ئعصبوا وأخرجوا السلاح، وشهدوا على الفرنجي. مما يوجب قتله، وحملوه إلى القاضي وغلقت أسواق المدينة وأبوابها.
فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدحل من كان خارج البلد، فمن شدة الزحام قتل عشرة أنفس، وتلفت أعضاء جماعة، وذهبت عمائم وغيرها لكثير منهم .وتبين للكركي تحامل الناس على الفرنج، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه، وقصدوا إخراج الأمراء المعتقلين بالثغر. بعد ما سفكت بينهما دماء كثيرة. فعند ذلك بادر الكركي بمطالعة السلطان بهذه الحادثة، فسرح الطائر بالبطائق يعلم السلطان، فاشتد غضبه. وخشي السلطان خروج الأمراء من السجن، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير

سيف الدين الأبو بكري الثلاثة -وهم على وأسنبغا وأحمد -في يوم الإثنين تاسعه، وجعلهم في دار الأمير ألماس الحاجب. وأخرج السلطان الوزير مغلطاي الجمال وطوغان شاد الدواوين، وسيف الدين ألدمر الركني أمير جندار، في جماعة من المماليك السلطانية، ومعهم ناظر الخاص إلى الإسكندرية، ومعهم تذاكر. مما يعمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم، ومصادرة قوم بأعيانهم، وتغريم أهل البلد المال، والقبض على أسلحة الغزاة، ومسك القاضي والشهود، وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل؟ فساروا في عاشره، ودخلوا المدينة.

وجلس الوزير والناظر بديوان الخمس وفرض الوزير على الناس خمسمائة ألف دينار، وقبض على جماعة من أذلهم ووسطهم، وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم، وتطلب ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه، من أجل أنه وشي به أنه كان يغري العامة بالفرنج ويمدهم بالسلاح والنفقة. فحل بالناس من المصادرة بلاء عظيم، وكتب السلطان ترد شيئاً بعد شيء تتضمن الحث على سفك دماء المفسدين وأخذ الأموال، والوزير يجيب بما يصلح أمر الناس. ثم استدعى الوزير بالسلاح المعد للغزاة، فبلغ ستة ألاف عدة، وضعها كلها في حاصل وختم عليها، واستمر نحو العشرين يوماً في سفك دماء وأخذ أموال، حتى جمع ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار، وقدم الوزير عماد الدين محمد ابن اسحاق بن محمد البلبيسي قاضي الإسكندرية ليشنق، ثم أخره، وكاتب السلطان بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح. وبعث الوزير المسجونين إلى قلعة الجبل في طائفة معهم لحفظهم، فقدموا في ثامن عشره، وهم البوبكري وتمر الساقي وسنجر الجاولي وبهادر المعز وطغلق، وأمير غانم، وقطلوبك الوشاقي وأيدمر اليونسي وكجلي نائب قلعة الروم. فأخرج البوبكري وتمر الساقي إلى الكرك، وسجن الجاولي وبهادر المعزي في البرج بالقلعة، وأنزل بطغلق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر وبلاط وبرلغي ولاجين زيرباج وبيبرس العلمي وطشتمر أخي بتخاص المنصوري إلى الجب بالقلعة، وأفرج عن فخر الدين أياس نائب قلعة الروم، في يوم الخميس سادس عشريه.
وقدم الوزير من الإسكندرية بالمال، وجلس في سلخ رجب بالمال بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة، وقد سكنها، وحفر النظار والمستوفون من خارج الشباك، وحضر طوغان الشاد أيضاً، فنفذ الوزير الأمور، وصرف أحوال الدولة.
وفي أول شعبان: قدمت رسل بابا الفرنج من مدينة رومة بهدية، وكتاب فيه الوصية بالنصارى وأنه مهما عمل مهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله، فأجيبوا وأعيدوا.
ولم تقدم رسل من عند الباب إلى مصر منذ أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب.
وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر، واعتقل بالجب في القلعه. وأخرج كجكن الساقي إلى صفد، فاعتقل بها.
وفي يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال: استدعي الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل بن أبي الطلاء القونوي الشافعي شيخ خانكاه سعيد السعداء، وخلع عليه بقضاء القضاة بدمشق، ونزل فحكم بالقاهره، وأثبت كتبا تتعلق بدمشق، وسافر فقدم دمشق في خامس عشريه، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها، عوضاً عن قاضي القضاة شرف الدين المالكي. واستقر في مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي شيخ خانكاه سرياقوس، ورسم له أن يستنيب عنه بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين الحويزاني. واستقر في مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس افتخار الدين الخوارزمي عوضاً عن مجد الدين أبي

بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني، ونقل الزنكلوني إلى مشيخة تدريس الحديث النبوي بالقبة البيبرسية.
وفيه قبض على الشريف ودي بن جماز عندما حضر من المدينة النبوية، وكان قد تحاقق هو وطفيل بن منصور بن جاز بين يدي السلطان، ففلح عليه طفيل في الخصومة. وسفر الأمير علاء الدين علي بن طغريل صحبة الشريف كبيشة، ليوصله إلى المدينة النبوية، ويقبض على أصحاب ودي . فلما قدما فر أصحاب ودي وملك كبيشة ابن منصور المدينة، ودعا للسلطان عقيب كل صلاة كما يدعي له بمكة.
وفي خامس عشر في ذي القعدة: استقر مغلطاي الخازن في نيابة قلعة دمشق، عوضاً عن سنجر الدميتري. وأنعم على سنجر بإمرة في دمشق.
وفيه استقر الأمير بلبسطي في نيابة حمص، بعد وفاة بلبان البدري. واستقر في نظر القدس والخليل إبراهيم الجاكي.

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجة: دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان، بعد ما حمل جهازها إليه، وكان شيئاً عظيماً: منه بشخاناه وداير بيت زركش، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهباً. وعمل الفرح مدة سبعة أيام، ذبح فيه خمسة ألاف رأس من الغنم الضأن، ومائة رأس من البقر، وخمسون فرساً، ومن الدجاج، والأوز ما لا يحصى كثرة. واستعمل فيه من السكر برسم الحلاوات وتحالي الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة، وبلغ وزن الشمع الذي أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطاراً. وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين ألف دينار. وعمل قجليس في القلعة برجا من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم.
وحصل للمغاني من النقوط عشرة ألاف دينار مصرية وقد جمع أمراء مصر والشام تقادم جليلة، منها تقدمة الملك صاحب حماة، ومن جملتها مشعل وطرطور ومخلاة مطرز ذهب بالف دينار. وفي صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقي علي قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، وقد حضرت في أول ذي القعدة بجهاز عظيم، فيه داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب. وقدم الأمير تنكز عليه عليه السلطان خلعة كاملة، انصرف على القباء الفوقاني منها وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة. فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز في ليلة رابع عشره.
وفي هذه السنة: قدم إلى ميناء بيروت من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين، قد اشتروهم من الجزائر، فاشتراهم الأمير تنكز، وأفاد التجار في كل أسير مائة وعشرين درهماً على ما اشتراه به. وكسا تنكز الجميع وزودهم، وحملهم إلى مصر، فسر المسلمون بقدومهم، وجد تجار الفرنج في شراء الأسرى رغبة في الفائدة.
وفيه كتب لنائب الشام بجمع فقهاء الشام والعمل في أوقافها كلها بمقتض شروط واقفيها، وأن يجهز ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد - المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار -، وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثني عليه. فلما قدم ضياء الدين خلع عليه بنظر الأوقاف، فباشرها مباشرة جيدة.
ونظر تنكز نائب الشام في أوقافها، ورسم بعمارة ما يحتاج إليه، ومنع الجوالك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها، فامتثل ذلك. ونظر تنكز في مقاسم المياه بدمشق التي تتصرف في دور الناس، وكسح ما فيها من

الأوساخ، وفتح ما استد منها حتى صلحت كلها، فعم النفع بها. وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها في طول السنين، وصار الوخم يعتاد أهل دمشق في كل سنة. فشكر الناس هذه الأفعال، ودعوا له، ويقال أنه بلغ المصروف في ذلك ثلاثمائة ألف درهم.
وفيها اهتم تنكز أيضاً بفتح العين بالقدس، فإن الماء قل به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة، وكتب إلى ولاة الأعمال بإخراج الرجال، وندب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقته عليها.
وفيها ندب السلطان الأمير علاء الدين علي بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة، وقد بلغه أن سقوفه تشعثت، وتهدم فيه عدة جدر، وجهز ابن هلال الدولة بكل ما يحتاج إليه من المال والمصاغ والآلات، وكتب السلطان للشريف عطيفة بمساعدته. وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك.

ومات في هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي المخزومي ابن ياسين القمولي الشافعي محتسب مصر، في ثامن رجب.
ومات أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحياني ملك تونس، بالإسكندرية. ومات كمال الدين محمد بن علاء الدين علي بن كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكاني الشافعي بمدينة بلبيسي عند قدومه من حلب، في سادس شهر رمضان، ودفن بالقرافة. ومات شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي كاتب السر بدمشق، في عاشر شوال.
ومات نور الدين علي بن عمر بن أبي بكر بن عبدالله الخلاطي الواني الصوفي نزيل القاهرة، في المحرم، ومولده في سنة ست وثلاثين وستمائة، سمع من يونس بن محمود الشاوي وعبد الوهاب بن رواح وعبد الرحمن بن مكي سبط السلفي وخرج له الحافظ أبو الحسين بن أيبك جزءاً حدث به، فسمع منه قديماً البرزالي سنة خمس وثمانين وستمائة،وسمع منه شيخنا أبو الفرج بن الشيخة، وأبو علي الباصلي وعبد الوهاب البصروي.

ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن علي بن صفي الدين أبي القاسم بن محمد بن عثمان البصراوي في شعبان، بعدما حكم بدمشق عشرين سنة. ومات الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح الدين عبد الملك بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبي بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شاد بدمشق في حادي عشرى جمادى الآخرة، عن أربع وسبعين سنة.
ومات الطواشي ناصر الدين نصر الشمس شيخ الخدام بالحرم النبوي وكان خيراً يحفظ القرآن، ويكثر تلاوته بصوت حسن.
ومات الضياء المجدي بمصر، وكان مطبوعاً صاحب نوادر.
ومات الأمير سيف الدين بلبان البدري نائب حمص، في ليلة عيد الفطر.
ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بحلب، في ثالث عشر شعبان.
ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربي الحاجب، بالقاهرة في ثامن رجب.
ومات الأمير سيف الدين كوجري أمير شكار بالقاهرة في تاسع عشرى ذي الحجة .وهو مملوك عز الدين أيدمر

نائب دمشق في الأيام الظاهرية.

ومات بكتوت بن الصائغ، في يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى.

ومات الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركماني في جمادى الآخرة، بدار جوار باب البحر خارج الفاهرة. وكانت له مكارم وفيه مروءة.

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

في ثالث المحرم: أنعم بخبز الأمير كوجري أمير شكار على الأمير بشتاك.

وفي خامس عشريه: قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج.

وفي سابع عشريه: قدمت رسل القان أبي سعيد، فأكرموا وأعيدوا في رابع صفر.

وفي المحرم: هذا وشى بالأمير شمس الدين آقسنقر شاد العمائر أن جميع عمائره وأملاكه التي استجدها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع، فرسم عليه مالاً ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون وشفع فيه، فأفرج عنه وأخرج إلى الشام.

وفيه وردت مكاتبة الأمير تنكز نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه، فكتب بالإنكار عليه، وألا يكاتب في المهمات وغيرها إلا نائب الشام، ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر.

وفي سابع ربيع الأول. قدم دمرداش بن جوبان بن تلك بن تداون. وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو، فتحكم الأمير جوبان بن تلك على الأردو، وقام بأمر المملكة، واستناب ولده دمشق خواجا بالأردو، وبعث ابنه دمرداش إلى مملكة الروم. فانحصر أبو سعيد إلى أن تحرك بعض أولاد كبك بجهة خراسان، وخرج عن الطاعة، فسار جوبان لحربه في عسكر كبير، فما هو إلا أن بعد عن الأردو قليلاً حتى رجع العدو عن خراسان، وقصد جوبان العود.

وكان قد قبض بوسعيد على دمشق خواجا، وقتله بظاهر مدينة السلطانية، في شوال من السنة الماضية، وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم، وسفك أكثر دمائهم، وكتب إلى من خرج من العسكر مع جوبان بما وقع، وأمرهم بقبضه، وكتب إلى دمرداش أن يحضر إلى الأردو، وعرفه شوقه إليه، ودس مع الرسول إليه عدة ملطفات إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله، وعرفهم ما وقع.

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه، فلا يمر أحد إلا ويعلم به خوفاً على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداويا يقتله، بسبب ما حصل بينهما من المواحشة التي اقتضت انحصار السلطان منه، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل المماليك إلى مصر، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أخرق به. فشرع السلطان يخادعه على عادته، ويهاديه ويترضاه، وهو لا يلتفت إليه، فكتب إلى أبيه جوبان في أمره حتى بعث ينكر عليه، فأمسك عما كان فيه قليلاً، ولبس تشريف السلطان، وقبل هديته وبعث عوضها، وهو مع هذا شديد التحرز.

فلما قدمت رسل أبي سعيد بطلبه فتشهم الموكلون بالدربندات، فوجدوا الملطفات، فحملوهم وما معهم إلى دمرداش. فلما وقف دمرداش عليهما لم يزل يعاقب الرسل إلى أن اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجا

وإخواته ومن يلوذ بهم، ونهب أموالهم، وبعث بقتل جوبان. فقتل دمرداش الرسل، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملطفات فقتلهم أيضاً، وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب في طاعته، ويستأذنه في القدوم عليه بعساكر الروم، ليكون نائباً عنه بها. فسر السلطان بذلك. وكان قد ورد على السلطان كتاب المجد السلامي من الشرق بقتل دمشق خواجا واخوته، وكتاب أبي سعيد بقتل جوبان، وطلب ابنه دمرداش، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء.

فكتب السلطان الناصر جواب دمرداش يعده بمواعيد كثيرة، ويرعبه في الحضور. فتحير دمرداش بين أن يقيم فيأتيه أبو سعيد، أو يتوجه إلى مصر فلا يدري ما يتفق له. ثم قوي عنده المسير إلى مصر، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم، وأنه قد كتب إليه الملك الناصر يأمره أن يكون نائبه، فمشى عليهم ذلك وسرهم. وأخذ دمرداش يجهز أمره، وحصن أولاده وأهله في قلعة منيعة، وبعث معهم أمواله، ثم ركب بعساكره حتى قارب بهسنا، فجمع من معه وأعلمهم أنه يريد مصر، وخيرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه، فعادوا إلا من يختص به.

وسار دمرداش إلى بهسنا في نحو ثلاثمائة فارس، فتلقاه نائبها، ومازال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشرى صفر، فركب الأمير تنكز إلى لقائه، وأنزله بالميدان، وقام له بما يجب، وجهزه إلى مصر بعد ما قدم بين يديه البريد بخبره. فبعث إليه السلطان بالأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير، ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر إلى القاهرة، فركب الأمراء إلى لقائه، وخرج السلطان إلى بر الجيزة، ورسم أن يعدي النيل إليه.

فلما قدم دمرداش إلى القاهرة في سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايربغا وأحضره إلى السلطان بالجيزة، فقبل الأرض ثلاث مرات. فترحب السلطان به وأجلسه بالقرب منه، وباسطه وطيب خاطره، وسأله عن أحواله، وألبسه تشريفاً عظيماً، وركب معه للصيد، وعدى به النيل إلى القلعة، وأسكنه بها في بيت الجاولي ورتب له جميع ما يحتاج إليه، ورسم للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا.

وفي عاشره: قدم دمرداش مائة إكديش وثمانين بختيا وخمسة مماليك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة، منها بقجة بها قباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة، فلم يقبل السلطان غير القباء وإكديشاً واحداً وقطار بخات ورد البقيه إليه ليتقوى بها.

وتقدم السلطان إلى الوزير أن يرتب لدمرداش ما يليق به، وطلب إلى الحاجب أن يجلسه في الميمنة تحت الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار. فشق عليه ذلك، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنكلي يعتذر إليه أنه ما جهل قدره، ولكن الشهيد والد السلطان له مماليك كبار قد ربوا السلطان، فهو يريد تعظيم قدرهم، "فلهذا أجلسك بجانبهم؟ فطاب خاطره.

واجتمع دمرداش بالسلطان وفاوضه في أمر بلاد الروم، وأن يجهز إليها عسكراً. فأشار السلطان بالمهلة حتى يرد البريد بخبر أبيه جوبان مع أبي سعيد، وكتب إلى ابن قرمان أن يترل على القلعة التي فيها أولاد دمرداش وحواصله ويرسلهم مكرمين إلى مصر. فاستأذن دمرداش في عود من قدم معه إلى بلادهم، فأذن له في ذلك، فسار كثير منهم.

وأنعم السلطان على دمرداش بأمرة سنجر الجمقدار، بحكم إخراجه إلى الشام.

وهي يوم الإثنين حادي عشره: ركب دمرداش بالقماش الإسلامي على هيئة الأمراء.
وفي تاسع عشره: قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان، فخلع عليه، وأنزل عند دمرداش.
وفي ثامن عشريه: وصل طلب دمرداش وثقله، فأنزلوا بدار الضيافة، وهم نحو ستمائة فارس.
وفي يوم الأحد أول ربيع الآخر: عرض السلطان أصحاب دمرداش، وفرق أكثرهم على الأمراء، واختار نحو التسعين منهم العود إلى بلادهم، فعادوا.

وفيه قدمت رسل أبي سعيد بكتابه، وفيه بعد السلام والاستيحاش وذكر الود إعلام السلطان بأمر جوبان وتحكمه وقلة امتثاله الأمر، وأنه قصد قتله والتحكم بمفرده، فلما تحقق ذلك لديه بعثه إلى خراسان، وسير بالقبض عليه، وهو يأخذ رأي السلطان في ذلك، وقد سير أبو سعيد مع رسله هدية فقبلت. وسألهم السلطان عن دمرداش، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق، فبعثهم إليه فلم يعبأ بهم.
وفي يوم الثلاثاء عاشره: توجه السلطان إلى الوجه البحري ومعه دمرداش، وحسن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقي زيارة الشيخ محمد المرشد فتوقف في زيارته ثم عزم عليها. فرسم للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغربية بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن، وأن يجهز الإقامات. واستناب السلطان في غيبته الأمير قجليس. وعاد السلطان في سادس عشريه، بعد ما قدم الأمير تنكز في رابع عشريه. وفي تاسع شوال: خلع على الطواشي ناصر الدين نصر الساقي. واستقر مقدم المماليك، عوضاً عن الطواشي صواب الركني.
وفيه بعث السلطان الأمير سيف الدين أروج مملوك قبجق إلى أبي سعيد يشفع في دمرداش، ومعه الرسل بهدية جليلة، فساروا في تاسع جمادى الأولى.
وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة :سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفي على البريد إلى القاهرة، وقد طلب، فقدم يوم السبت خامس عشريه، واستقر في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضاً عن شمس الدين محمد بن عثمان. محمد بن عثمان الحريري بعد وفاته.
وفي يوم السبت عاشر رجب :عاد أطوجي من بلاد أزبك ملك القبجاق بتقادم جليلة، فأنزل بالميدان، وأنعم عليه وعلى جماعته بشيء كثير.
وفي حادي عشره: حضر أطوجي إلى بين يدي السلطان فخلع عليه، وسار في عشريه.
وفي خامس عشريه: عقد نكاح ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاي تمر العمري الناصر وأعفي الأمراء من حمل الشموع وغيرها، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة ألاف دينار عوضاً عن ذلك.
وفيه عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التي فيها أهل دمرداش، وعرفهم أنه حفر. بمرسوم السلطان، وبعث إليهم بكتاب دمرداش أنهم يقدمون عليه بمصر، فردوا جوابه: "لا حاجة لنا في مصر". وذكر ابن قرمان أن هذا بمباطنة دمرداش لهم، وحط عليه بأنه سفك دماء كثرة، وقتل من المسلمين عالماً عظيماً، وأنه جسور وما قصد بدخوله مصر إلا طمعاً في ملكها. وبعث ابن قرمان الكتاب صحبة نجم الدين إسحاق الرومي أنطالية، وهي القلعة التي أخذها منه دمرداش وقتل والده، وأنه قدم ليطالبه بدم أبيه. فلما وقف السلطان على الكتاب تغير، وطلب دمرداش وأعلمه بما يه. وجمع السلطان بينه وبين إسحاق، فتحاققا بحضرة الأمراء، فظهر أن كلا

منهما قتل لصاحبه قتيلاً، فكتب جواب ابن قرمان معه وأعيد. وقد تبين للسلطان خبث نية دمرداش، فقبضه وأمسك من معه من الأعيان، وهم محمود شاهنشاه وعدة أخر في يوم الخميس العشرين من شعبان، واعتقل دمرداش ببرج السباع من القلعة، وفرق البقية في الأبراج، وفرقت مماليكه على الأمراء، ورتب له ما يكفيه.
وكان للقبض على دمرداش أسباب: منها أنه كان له بالروم مائة ألف رأس من الغنم، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكتمر الساقي عشرين ألفاً، ولقوصون وبقية الأمراء كل واحد شيئاً حتى فرق الجميع، فلم يعجب السلطان ذلك. ودخل دمرداش يوماً الحمام فأعطي الحمامي ألف درهم، والحارس ثلاثمائة، فزاد حنق السلطان منه. ثم أخذ دمرداش يوقع في الأمراء والخاصكية، ويقول: هذا كان كذا، وهذا كان كذا، وهذا ألماس الحاجب كان حمالاً، فما حمل السلطان هذا منه.
وفي شوال: حسن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك، فعمل فيه استيمار، وفرق فيه ما قطع من جوامك المباشرين والغلمات وهي جملة، ووفر منهم عدة، ثم قرئ عليه. وأحضر الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام، وخلع عليه وعلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة بغير طرحات، واستقرا في نظر النظار والصحبة في يوم الإثنين نصف شوال.
وفيه نقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة إلى نظر البيوت، وخلع عليه معهما.
وفي تاسع عشريه: عقد نكاح الخاتون طلباي الواصلة من بلاد أزبك على الأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار، بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها، وبنى عليها الأمير سيف الدين في ثامن ذي القعدة.

وفي يوم الأربعاء ثاسع عشريه: عزل الصاحب أمين الدين بن الغنام عن نظر الدولة. وكان قد كتب قصة يطلب الإعفاء من المباشرة، فلم يجب إلى ذلك، فكتب قصة ثانية فأجيب، فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوماً تحريراً.
وفي يوم الخميس ثامن ذي الحجة: أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين العمري الملقب زيرباج الجاشنكير، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة، بعدما أقام في الاعتقال من يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنتي عشرة مدة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وهو يغزل الصوف المرعز ويعمله كوافي بديعة الزي وللناس فيها رغبة، ويتصدق بثمنها.
وفيه أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي وكانت مدة اعتقاله ثماني سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه. وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر في يوم عرفة، ثم أعيد إلى سجنه في يومه.
وفيه سافر الأمير سيف الدين أيتمش إلى بوسعيد برسالة تتضمن ما قام به السلطان مع دمرداش بن جوبان، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية في يوم الأربعاء حادي عشر شهر رمضان رسل من عند أبي سعيد، وهم ثلاثة نفر، والمشار إليه منهم أياجي أمير جندار الملك أبي سعيد. فلما مثلوا بين يدي السلطان، وكلهم الإنعام بالتشاريف على عادة أمثالهم، أرسلهم السلطان إلى دمرداش في معتقله، صحبة الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فاجتمعوا به وتحدثوا معه. وقيل كان مضمون رسالتهم طلب دمرداش من السلطان، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد في مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصوري. فمال السلطان إلى ذلك، ورسم

للأمير أيتمش المحمدي أن يتوجه إلى الملك أبي سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال في ذلك، وتوجه طلب دمرداش في يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، ثم عدل السلطان عن هذا الأمر، وترحح عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبي سعيد.

فلما كان في ليلة الخميس رابع شوال: من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج، وفتح باب السر من جهة القرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول، وشاهده رسل الملك أبي سعيد وهو على هذه الحال. ثم خنق دمرداش، وشاهده الرسل بعد موته، وقطع رأسه و سلخ وصبر وحشي وأرسل السلطان الرأس إلى أبي سعيد، ودفن الجسد بمكان قتله. وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية في يوم الخميس رابع شوال، وركبوا مع السلطان إلى الميدان في يوم السبت سادسه، ثم حضروا إلى الخدمة السلطانية في يوم الإثنين ثامنه، وكلهم الخلع والإنعام، وأعيدوا إلى مرسلهم في هذا اليوم، وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي برسالة السلطان إلى الملك أبي سعيد، كما تقدم وفيها وقع في زروع أرض مصر أفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حر شديد، حتى عم ذلك أكثر الزرع، فكتب إلى الولاة بكتابة ما تلف، فوجد قد تلف في بعض البلاد نصف الزرع وما دونه في غيرها. وتحسن السعر، فبلغ القمح إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر.

وفيها هبت ريح سوداء بعدما أرعدت السماء وأبرقت، حتى كان الإنسان لا يبصر رفيقه، وحتى ردت وجوه الحيل إلى ورائها، و لم يستطع أحد أن يثبت فوق فرسه، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض، بل تلقيه الريح، وكان ذلك ببلاد فوة بحر الغرب وسائر الوجه البحري. وغرق بها من المراكب شي ء كثير، وتقصفت عدة من النخل، واقتلعت شجرة جميزه كبيره من أصلها بناحية فوه، ومرت بها قدر مائتي قصبة، فلما قطعت حمل خشبها تسعة أحمال جمال. ومر من ذلك في البرين الغربي والشرقي عجائب، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطراً عظيماً سال منه إلى مدينة بلبيس حتى خرب كثير منها، وجرى السيل إلى المطرية وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطراً لم يعهد مثله، تلف منه عامة السقوف.

وفيها اشتد بأس الأمير قدادار والي القاهرة، وتسلط على العامة بكثرة سفلك الدماء.

وكان قد رسم لجميع الولاة ألا يقتلوا أحداً ولا يقطعوا يده إلا بعد مشاورة السلطان، خلا قدادار، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره. فانطلقت يده في سائر الناس، وأقام عنه نائباً من بطالي الحسينية ضمن المسطبة منه في كل يوم بثلاثمائة درهم، وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين في المدينة، وعملوا أعمالاً شنيعة، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقاً بالتهديد، فاشتد خوف أهل الرتب منه. ونادى قدادار ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحد دكاناً في مدة غيبة السلطان في الوجه البحري ولا يمشي أحد بالليل في الأسواق، ولا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة، فكان من يوجد يؤخذ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقي شدة. فانكف الناس عن الخروج ليلاً، وصارت الشوارع موحشة. وأقام قدادار على كل حارة درباً ألزم أهلها بعمله، ورتب الخفراء تدور في الليل بطبول في جميع الحارات والخطط، فظفر أحدهم برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب النساء، فسمره قدادار بباب زويلة.

وفيها قدم البريد من صفد، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملاً للموقعين، فأخذ قريباً من بلبيس. فألزم السلطان واليها علم الدين قصير - مملوك العلائي - بها، بعدما رسم بشنقه، ثم عفا عنه وعزله.

وفيها ولي ظلظيه الشرقية، نقله السلطان إليها من البهنسا، وولي عوضه شجاع الدين قنغلي.
وفيها ولي عز الدين أيدمر السلامي المنوفية، فتفنن في إتلاف الأنفس، وأوقف رجلاً بين خشبتين ونشره من رأسه، وصلق أخر في دست، وسلخ أخر وهو حي.
وفيها عزم السلطان على أن يجري النيل تحت القلعة، ويشق له من ناحية حلوان، فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة، وقدروا العمل في بناء الواطي حتى يرتفع، وحفر العالي ليجري الماء وينتفع به في داخل قلعة الجبل، من غير معاناة ولا كلفة. ثم عادوا وعرفوا السلطان ذلك، فركب لكشفه، وقاسوا الأرض بين يديه. فكان قياس ما يحفر اثنين وأربعين ألف قصبة حاكمية، ليبقى خليجاً فيه ماء النيل شتاءً صيفاً بسفح الجبل. وعاد السلطان وقد أعجب بمشروعه، وشاور الأمراء فيه، فلم يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: بمن يحفر السلطان هذا الخليج؟"، فقال السلطان: "بالعسكر، فقال الفخر: "والله لو اجتمع عسكر أخر فوق عسكر السلطان، وأقام سنين، ما قدروا على حفر هذا العمل. ومع ذلك فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال. ثم هل يصح أو لا، فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد، ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم". ونحو هذا من القول حتى رجع السلطان عن عمله.
وفيها كملت العين التي أجراها الأمير تنكز بالقدس، بعد ما أقام الصناع فيها مدة سنة، وبنى لها مصنعاً سعته نحو مائتي ذراع، وركب في الجبل مجاري نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى الفدس، فكان لها يوم شهود.
وأنشأ تنكز بالقدس أيضاً خانكاه وحمام وفيسارية، فعمرت القدس.
وفيها أفرج عن تقي الدين أحمد بن تيمية، بشفاعة الأمير جنكلي بن البابا وغيره من الأمراء.
وفيها أجري ابن هلال الدولة عيناً بمكة تعرف بعين ثقبة، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبة هذه.
وانحلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهماً الغرارة إلى أربعين، وزرع بها البطيخ والذرة والخضروات وغيرها، وامتلأت البرك وكملت عمارة الحرم. وجدد ابن هلال الدولة. بمكة عدة ميض باسم السلطان، وأجري لها ما يقوم بكلفتها.
وفيها ورد الخبر بقتل حوبان نائب أبي سعيد. وذلك أن العسكر المجهز معه لما وصل إليهم خبر قتل أولاده بأمر أبي سعيد، ووصلت إليهم كتب أبي سعيد بقتله أيضاً، ركبوا عليه، ففر ومعه ابنه جلوخان وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة، وامتنع بها، فدس إليه أبو سعيد من قتله وابنه، وحملا إلى أبي سعيد، فكان لدخولها الأردوا يوماً عظيماً.
وفيها حج بالركب المصري شهاب الدين أحمد بن المهمندار.
وحج في هذه السنة أيضاً الأمير سيف الدين طقزدمر الناصري وست حدق، وعلمت معروفاً كبيراً.
وفيها قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه، وأعيد إلى شد الخاص.
وفيها طلب صلاح الدين يوسف دوادار فبجق من طرابلس، وولي شد الدواوين.

وفيها تنكر السلطان على الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الوزير. وسببه عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج إسحاق، وقد كتبت فيه مرافعة غضب السلطان بسببها عليه، وقصد الإيقاع به. فاعتني به الأمير بكتمر الساقي واعتذر عنه بأنه رجل غتتمي.

وفي يوم عرفة وهو يوم الجمعة: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي ومدة سجنه ثماني سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

ومات في هذه السنة من الأعيان

شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني بدمشق ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة، في سجنه بالقلعة. ومولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول، سنة احدى وستين وستمائة. ومات الأمير سيف الدين جوبان المنصور أحد أمراء دمشق الأكابر، بها في العشرين من صفر.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر البوبكري بسجنه من قلعة الجبل، يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الأمير جوبان بن تلك بن تداون نائب القان أبي سعيد بن خربندا مقتولاً بهراة، وحمل إلى بغداد، فقدمها في سابع عشرى شوال، وصلي عليه وحمل إلى مكة مع ركب الحاج العراق وطيف به الكعبة، ومضي به إلى المدينة النبوية، فدفن بالبقيع. ومات الشريف كبيشة بن منصور بن جماز بن شيحة أمير المدينة، في أول شعبان قتيلاً. وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور في رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة، قتله أولاد ودي وكان ودي قد حبس بقلعة الجبل، فولي بعده أخوه طفيل.

ومات الأمير جمال الدين خضر بن نوكاي أخو خوند أردوكين، في ليلة الرابع عشر من رمضان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري بالمراغة من آذربيجان، يوم السبت سابع عشرى شوال، وورد الخبر بموته في حادي عشرى ذي القعدة، فأنعم على ولده أمير علي بن قراسنقر بإمرة طبلخاناه على عادته بدمشق، وعلى أخيه أمير فرج بن قراسنقر بأمرة عشرة، ورسم بسفرهما من القاهرة إليها.

وتوفي دمرداش بن جوبان بن تلك بن تدوان، ليلة الخميس رابع شوال، وحمل رأسه إلى بوسعيد بن خربندا.

ومات ببغداد مفتي العراق كمال الدين عبدا لله بن محمد بن علي حماد بن ثابت الواسطي العاقولي مدرس المستنصرية، في ذي القعدة. ومولده في سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

سنة تسع وعشرين وسبعمائة

أهلت والسلطان بسرياقوس.

وفي يوم السبت ثاني المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز.

وفيه قدم بدر الدين بن علاء الدين بن الأثير كاتب السر، وقد اشتد بأبيه مرض الفالج وانقطع عن الخدمة، فخلع عليه وجلس في رتبة أبيه، وباشر وفي ظنه أنه يستقر عوضه. فخرج البريد بطلب محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق، فقدم ومعه ولده شهاب الدين أحمد وشرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود، وخلع على محيي الدين خلعة كتابة السر بديار مصر، عوضاً عن ابن الأثير، وعلى شرف الدين بكتابة السر بدمشق، عوضاً عن محيي الدين، في يوم الأحد سابع عشره.

وفي ثالث عشره: استقر بيبرس الجمدار في ولاية إسكندرية، عوضاً عن الركن الكركي.

وفي يوم الأحد رابع عشريه: قدم الأمير أيتمش المحمدي من بلاد العراق، بجواب القان أبي سعيد.
وفيه أنعم على الأمير علم الدين سنجر الجاولي بإمرة أمير علي بن قراسنقر المنتقل إلى دمشق، وكان الجاولي منذ خرج من السجن بطالاً.
وفيه أنعم على لاحين الخاصكي بإمرة طبلخاناه، عوضاً عن محمد بيه بن جمق بحكم عوده إلى بلاد التتار.
وفي يوم السبت سابع صفر: قدمت رسل أبي سعيد، وجهزوا إلى المنوفية للقاء السلطان، فأدوا رسالتهم وعادوا إلى قلعة الجبل.
وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: قدم السللطان من الصيد سالماً.
وفي يوم الإثنين أول شهر ربيع الأول: أعيد شمس الدين بن قزوينة إلى نظر الدواوين على عادته، وأضيف ما كان بيده من نظر البيوت إلى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، مع ما بيده من نظر الدواوين، وخلع عليهما.
وفيه رسم بخروج علي وفرج ولدي قراسنقر، فسارا إلى دمشق، وقدماها في ثالث ربيع الآخر.
وفي خامس ربيع الآخر: استقر صلاح الدين يوسف بن داود بن قبجق شاد الدواوين، ثم عزل في سادس عشر شعبان، واستقر في ولاية الجيزة عوضاً عن بلبان الحسني. ونقل بلبان إلى ولاية دمياط، عوضاً عن الكركي.

وفي يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى : رسم بردم الجب الذي بقلعة الجبل، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كره الرائحة، وأنه يمر بالمحابيس فيه شدائد عظيمة، فردم وعمر فوقه طباق للمماليك، وكان عمل هذا الجب في سنة احدى وثمانين وستمائة في الأيام المنصورية قلاوون.
وفيه قدمت رسل الشيخ حسن بن الجلايري، وكان الشيخ حسن هذا قد أصبح نائب القان أبي سعيد، وهو ابن عمته وزوج بغداد خاتون بنت جوباني.
وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة: قدم الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب باستدعاء، فخرج الأمير ألمالس الحاجب وتلقاه من قبة النصر خارج القاهرة، وصعد به قلعة الجبل، فأكرمه السلطان وعزاه في ولده، وخلع عليه وأنزله في داره على الكبش .وطلب أرغون شرف الدين الخطير ناظر ديوانه، وسأله عن أمواله وغلاله وحواصله، فأسر له بأن السلطان لم يبق له منها إلا القليل، فسكت ثم استدعاه السلطان يوم الخميس سادس عشريه، وخلع عليه وأعاده إلى حلب.
وفي يوم الأحد تاسع عشريه: قدمت رسل أبي سعيد في طلب المصاهرة ومعهم اثنا عشر إكديشاً بجلال جوخ، واثنان عري.
وفي عاشر شهر رجب: قدم الأمير سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس بسؤاله ليحاقق شكاته، ومعه هدية، فوقف وحاققهم، وساعده الأمراء إلى أن عاد إلى طرابلس في خامس عشريه.
وفي يوم الأحد حادي عشريه: رسم بعزل المجد بن لفيتة، فعزل من نظر الدواوين ونظر الصحبة ونظر البيوت، وعزل أيضاً ابن قروينة من نظر الدواوين. واستقر عوضهما في نظر الدولة علم الدين إبراهيم بن التاج إسحاق، وتقي الدين عمر بن الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس وكان يلي صحابة ديوان دمشق، فأحضر منها في ثامن عشره، وخلع عليهما. واستقر في نظر خزانة تاج الدين موسى بن التاج اسحاق، عوضاً عن أخيه علم الدين. فباشر العلم وتقي الدين بن السلعوس النظر مع الأمير مغلطاي الجمالي الوزير - وكان أمره في

الوزارة ضعيفاً - إلى يوم الأحد ثاني شوال، ثم رسم بتوفير الوزارة فتوفرت، واستمر الجمالي في الأستادارية على عادته. وسبب ذلك توقف حال الدول من قلة الواصل، وكثرة إغراء الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق بن القماط ناظر الخاص السلطان بالجمالي لكراهتهما في المجد بن لفيتة، فإنه كان قد استولى على الجمالي حين صار أمر الوزارة إليه، وكتبت فيه مرافعات أنه أخذ مالاً كثيراً وتولى الأمير أيتمش الكشف عليه. فلما ولي العلم بن التاج النظر، وباشر موسى الخاص نيابة عن أبيه، صار العلم يكتب كل يوم أوراقاً بالجاري ثم يرفعها للسلطان مما تحصل وانصرف، ويدخل بها إليه ومعه ابن السلعوس رفيقه، وابن هلال الدولة الشاد. فانحصر المباشرون، ومشت أمور الدولة بمرسوم السلطان على ما يقرره، وحمل مال الجيزة بكماله إلى خزانة الخاص، ولم يصرف منه شيء.

وفي ثاني عشريه: تولى قشتمر المحلة.

وفي خامس عشريه: أنعم على آقبرس بن علاء الدين طيبرس بإقطاع الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي الحاجب، بعد موته بدمشق، فتوجه إليها.

وفي يوم الإثنين ثالث شوال: استقر علاء الدين أيدمر العلائي عرف بالزراق وفي ولاية القاهرة، عوضاً عن قدادار عند توجهه إلى الحجاز.

وفيه أيضاً استقر علاء الدين ابن هلال الدولة شاد الدواوين، مضافاً لشد الخاص.

وفي سادسه: عزل صلاح الدين الدوادار عن الجيزة، واستقر من جملة الأمراء وولي الجيزة جمال الدين يوسف الجاكي والي الشرقية، واستقر في الشرقية عوضه الحسام طرنطاي القلنجقي.

وفي يوم الأحد نصف ذي القعدة: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة، وعرض الكتاب بدواوين الأمراء.

وطلب السلطان المجد بن لفيتة وابن قزوينة الناظرين المنفصلين، والمكين بن قزوينة مستوفي الصحبة، وأمين الدين موط مستوفي الخزانة، ورسم عليهم وسلمهم إلى الأمير الدمر حاندار ليخلص منهم ستمائة ألف درهم انساقت باقيا بالجيزة.

فحمل ألدمر من جهة قشتمر والي الجيزة مبلغ مائتي درهم، ومن ابن سقرور مستوفي الجيزة زيادة على سبعين ألف درهم. ورسم السلطان بقطع أخباز المشدين على الجهات بأسرهم، وقرر عوضهم. وأحضر السلطان مشايخ الجيزة، وكتب عليهم سجلات أراضيها بحضوره، ولم يسمع بهذا فيما سلف. ثم أفرج السلطان عن الناظرين المنفصلين والمستوفين، بعدما استخرج منهم بعض ما قرر عليهم.

وفيها رسم للحاجب أن يتقدم بألا يباع مملوك تركي لكاتب ولا عامي ومن وجد عنده منهم مملوك فليبيعه، ومن عثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا طولع به السلطان، فباع الناس مماليكهم، وأخفوا بعضهم.

وفيها عرض السلطان مماليك الطاق والبرانيين، وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم، ففرقوا بقلاع الشام.

و فيها صرف شهاب الدين أحمد بن المهمندار عن نقابة الجيش، بالأمير عز الدين أيدمر دقماق.

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب بدمشق، فتجاوز عدد ما قتل منها خمسة

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير سعد الدين سعيد بن أمير حسين، في ثامن عشر المحرم، وأنعم بإمرته على تكلان.
ومات الأمير غرس الدين خليل بن الإربدي أحد أمراء العشرات، في سادس صفر، وأنعم بإمرته على أياجي الساقي.
ومات الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبي بكر بن إسماعيل بن جندو باك الروم في سادس المحرم، قدم صحبة أبيه إلى مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة في الأيام الظاهرية بيبرس في جملة من قدم من أهل الروم، بعد ما كان أبوه أمير جندار متملك الروم فترقى حتى نادم الأفرم نائب دمشق، فأنعم عليه بإمرة فلما قدم الناصر محمد بن قلاون دمشق من الكرك، وتحرك لأخذ السلطنة كان الأمير شرف الدين حسين ممن سار في خدمته إلى مصر، فنوه به وأعطاه أمرة، ثم قرره أمير شكار بعد وفاة كشرى وأعجب به، وإليه ينسب جامع أمير حسين وقنطرة أمير حسين على الخليج خارج القاهرة، قريباً من بستان العدة.
ومات الأمير علاء الدين علي بن الكافري والي قوص وولي عوضه غرس الدين خليل أخو طقصباي الناصري.
ومات سنجر الأيدمري أحد العشرات، في ثالث عشر ربيع الأول، وأنعم بإمرته على ساطلمش الناصري.
ومات الأمير سيف الدين بكتمر الحسامي المعروف بالحاحب، في يوم الأربعاء حادي عشريه ربيع الآخر، فأنعم على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة، وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة، وفرق إقطاعه بين جماعة: فكمل منه للامير طرغاي الجاشنكير تقدمة ألف .وأنعم منه على صلاح الدين يوسف بن الأسعد بناحية جوجر واستقر شاد الدواوين وأنعم منه على الأمير قوصون بمنية زفتا وكان بكتمر هذا من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة المنصورية قلاوون، أخذه في سنة خمس وسبعين وستمائة فيما أخذ من مماليك السلطان غياث الدين كيخسرو متملك الروم، عندما دخل الظاهر بيبرس إلى مدينة قصرية الروم واستولى عليها، فصار بكتمر إلى طرنطاي وهو حينئذ مملوك الأمير سيف الدين قلاوون فرباه وأعتقه، فلما قتل طرنطاي صار بكتمر إلى الأشراف خليل بن قلاوون، فرتبه في جملة الأوشاقية بالإصطبل السلطاني، ثم نقله المنصور لاجين وعمله أمير أخور صغيراً، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخري ومازال بكتمر يترقى حتى ولي الوزارة والحجوبية ونيابة غزة ونيابة صفد في الأيام الناصرية، وإليه تنسب مدرسة الحاجب، ودار الحاجب، خارج باب النصر من القاهرة، وكان بكتمر من أغنياء الأمراء الكثري المال المعروفين بالشح.
وتوفي ضياء الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الإسكندراني المصري في يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان، ومولده في نصف ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة سمع من ابن عبد الدائم والمجد بن عساكر وابن أبي اليسر وجماعة.
وتوفي عز الدين أبو يعلى حمزة بن المؤيد أبي المعالي بن المظفر بن أسعد بن حمزه بن أسد بن علي بن محمد بن القلانسي، بدمشق، سمع الحديث وصار رئيس الشام، وولى وزارة دمشق.
وتوفي الأديب سعد الدين سعيد بن منصور بن إبراهيم الحراني المصري بمصر وله شعر جيد.
وتوفي الشيخ جلال الدين أبو بكر عبدا لله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصاري الدلاصي إمام الجامع الأزهر، بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة وكان يعتقد فيه الخير ويتبرك بدعائه.

وتوفي قاضي القضاة بدمشق علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي في يوم

السبت رابع عشر ذي القعدة، ودفن بسفح قاسيون، قدم من بلاد الروم إلى دمشق في سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فدرس بها مدة، ثم توجه إلى القاهرة فسكنها، وولي مشيخة الشيوخ بخانكاه سعيد السعداء، وتصدى للاشتغال بالعلم، وصنف شرح الحاوي في الفقه وغيره، ثم ولي قضاء دمشق فباشره حتى مات بها، وولي بعده قضاء دمشق علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي.

وتوفي نجم الدين محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي بمصر، ناب في القضاء، ودرس وشرح التنبيه في الفقه، وكان معتقداً فيه الخير.

وتوفي جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطي الأشموني المولد والدار عرف بالوجيزي لقراءته كتاب الوجيز في الفقه، ولي قضاء الجيزة وقليوب، ومات في رجب، وهو أحد مشايخ الفقهاء الشافعية.

وتوفي معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبدالله بن حشيش صاحب ديوان الجيش. بمصر يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة، كان بارعاً في الفقه والنحو واللغة والأدب، كريماً له شعر جيد، ومولده سنة ست وستمائة.

وتوفي الأمير حسام الدين لاجين الصغير، بقلعة البيرة، ولي نيابة غزة، ثم نيابة البيرة، وبها مات.

وتوفي الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي المصري بحماة، تنقل في عدة ولايات، وكان جواداً كريماً كثيرا المال ممدوحاً.

وتوفي فتح الدين أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم الكناني العسقلاني المعروف بالدبوسي المسند المعمر، بالقاهرة في جمادى الأولى وقد جاوز التسعين سنه حدث عن جماعة تفرد بالرواية عنهم.

وتوفي الأمير عز الدين أيبك الخطيري أمير أخور، في ثالث عشري ذي القعدة.

وتوفي الأمير غرلوا الركني بقوص في ثالث ربيع الآخر.

وتوفي الأمير ساطلمش الفاخر في ثالث ذي الحجة، وأنعم بإمرته على كوجبا الساقي.

وتوفي الأمير لاجين الإبراهيمي أمير جاندار، في تاسع عشرى ذي الحجة، وأنعم بإمرته على برسبغا.

وتوفي ناصر الدين محمد بن حنا في يوم السبت حادي عشر ذي الحجة.

وتوفي الطواشي نصر شيخ الخدام بالمدينة النبوية ومقدم المماليك السلطانية، يوم الخميس عاشر رجب واستقر عوضه في المشيخة وتقدمة المماليك الطواشي عنبر السحرتي وكانت مدة تقدمته تسعة أشهر.

ومات عز الدين القيمري في يوم السبت حادي عشرى ذي القعدة.

سنة ثلاثين وسبعمائة

أهلت بيوم الأربعاء، والسلطان بناحية سرياقوس، وكان مسيرة إليها في سابع عشرى ذي الحجة.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام، فبالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته على عادته وفي يوم السبت: رابعه استقر علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأخناني قاضي الإسكندرية في قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن علاء الدين على القونوي واستقر عوضه في قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوي.

وفي سادسه: استقر الأمير بكتمر العلائي الأستادار في نيابة غزة، وسار إليها، عوضاً عن عز الدين أيبك الجمالي، ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة، عوضاً عن لاجين الحسامي المنصوري بحكم وفاته. وأنعم على بهادر

الدمرداش بإقطاع الأمير بكتمر نائب غزة.

وفي رابع عشره: توجه الأمير تنكز إلى دمشق، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وكتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى.

وفي عشريه: قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده.

وفي تاسع صفر: توجه السلطان إلى جهة الصعيد، وصحبته صاحب حماة، فخيم قريباً من الأهرام، وعاد في ثالث عشره، من أجل وعك بدنه، لظهور دمل في جسده. وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى حادي عشريه، ثم سار فمر ببلاد الصعيد.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة لإقامة الجمعة بها، فأفتوه بجواز ذلك، فرتب آقوش خطيباً قرر له في كل شهر خمسين درهماً، ورتب ستة نفر عملهم مؤذنين، لكل واحد عشرة درهم في كل شهر، ولقارئ يقرأ القرآن الكريم يوم الجمعة في مصحف أعده له مبلغاً سماه، وأقيمت الخطبة بها في يوم الجمعة حادي عشريه، فكان يوماً مشهوداً.

وجعل آقوش المعاليم المذكورة من عقار وقفه على ذلك. وفي هذا الشهر تصدق الأمير المذكور بنحو ثلاثة ألاف أردب من الغلال.

وفي خامس ربيع الآخر: عاد السلطان إلى قلعة الجبل، بعد أن انتهى في مسيره إلى هدينة هو من الصعيد الأعلى.

وفي ثامنه: سار المؤيد صاحب حماة من ظاهر القاهرة عائداً إلى حماة.

وفي خامس عشريه: سار السلطان إلى نواحي قليوب يريد الصيد، فبينا هو في ذلك اذ تقنطر عن فرسه وانكسرت يده وغشي عليه ساعة وهو ملقى على الأرض، ثم أفاف وقد نزل إليه الأمير أيدغمش أمير أخور والأمير قماري أمير شكار وأركباه، فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته وعاد السلطان إلى قلعة الجبل في عشية الأحد ثامن عشريه، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته، فتقدم رجل من المحبرين يعرف بابن بوستة وقال بجفاء وعامية طباع: "تريد تفيق سريعاً اسمع مني .فقال له السلطان: "قل ما عندك"، فقال: "لا تخل أحداً يداويك غيري بمفردي وإلا فسد حال يدك مثل ما سلمت رجلك لابن السيسي أفسدها. وأنا ما أخلي شهراً يمضي حتى تركب وتلعب بيدك الأكرة. فأغضى السلطان عن جوابه، وسلم إليه يده، فتولى علاجه بمفرده، فبطلت الخدمة مدة سبعة وثلاثين يوماً.

ثم عوفي السلطان، فزينت القاهرة ومصر في يوم الأحد رابع جمادى الآخرة، وتفاخر الناس في الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها، وأقامت أسبوعاً تفنن أهل البلدين فيه بأنواع الترف. ونزلت ست حدق في عدة من الخدام والجواري حتى رأت الزينة، وقد اجتمع أرباب الملاهي في عدة أماكن بجميع آلات المغني .هذا والأفراح بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع، ومع هذا فالبشائر من ضرب الكوسات مستمرة، وكذلك طبلخاناه الأمراء، فلم يبق أمير إلا وعمل في بيته فرحاً .وأنعم السلطان وخلع على كثيرين من أرباب الوظائف من الأمراء والمماليك السلطانية.

ثم خرج السلطان إلى القصر الأبلق، وفرق مثالات على الأيتام، وعمل سماطاً جليلاً، وخلع على جميع أرباب

الوظائف. وأنعم السلطان على المجبر بعشرة ألاف درهم، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء، فلم يتأخر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وإعطائه المال، فحصل له ما يجل وصفه، وكانت هذه الأيام مما يندر وقوع مثله.

وفي خامس عشره: قدمت رسل ريدافرنس في طلب القدس وبلاد الساحل، وعدقم مائة وعشرون رجلاً، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم.

وفيه: سار الأمير أقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية يبشر بعافية السلطان، فدقت في جميع ممالك الشام البشائر، وعملت بها الأفراح وحصل لأقبغا من سائر أصناف المال ما يجل وصفه، بحيث بلغت قيمته نحو مائة ألف دينار.

وفيه: عزل علم الدين الإسنائي عن قضاء الإسكندرية، لمضادته الأمير بيربر الجمدار نائب الثغر.

وفي يوم الإثنين سادس عشريه: أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى وأنعم عليه بخيل وثياب، بعدما أقام في الاعتقال خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً. فلما ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين بهادر آص، وأنعم بتقدمته بدمشق على الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، وأخرج إلى دمشق، وأنعم على بهادر المعزى بإقطاع سنجر المذكور.

وفي هذه المدة وقع بدمشق اضطراب في عيار الذهب، فإنه تغير ونقص، وغرم الناس فيه جملة كثيرة. وصادر الأمير تنكز أهل دار الضرب، وأخذ منهم خمسائة ألف درهم، وتقرر سعر الدينار من تسعة عشر درهماً إلى أحد وعشرين درهماً، وأن يكون صرف الدينار الجديد بخمسة وعشرين درهماً.

وفي العشرين من شهر رجب: قدمت رسل أبي سعيد بن خربند للهناء بعافية السلطان، فأكرموا وأعيدوا في سابع عشريه. وقدمت أيضاً رسل الشيخ حسن الجلايري نائب أبي سعيد بعد رحيل المذكورين، فأدوا رسالتهم وأعيدوا في آخره.

وفي هذا الشهر: أحرقت كنيسه الممكية بمصر، حتى صارت عمدها الرخام جيراً، وكان بجانبها مسجد لم تصبه النار، فرسم للنصارى بإعادتها، فأعيدت.

وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلي الحاجب عرفت بدار آقوش نميلة ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع من أربها، واشترى قوصون أيضاً ما حولها، وهدم ذلك وشرع في بناء جامع فبعث إليه السلطان بشاد العمائر والأسرى لنقل الحجارة ونحوها، فتنجزت عمارته. وجاء الجامع من أحسن المبان وهو بحارة المصامدة خارج باب زويلة، قريباً من بركة الفيل وولي بناء منارتيه رجل من أهل توريز، أحضره معه الأمير أيتمش، فعملهما على منوال مأذن توريز. ولما كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة به في يوم الجمعة حادي عشر شهر رمضان، وخطب به يومئذ قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني وخلع عليه الأمير قولون بعد فراغه وأركبه بغلة، ثم استقر في خطابته فخر الدين محمد بن شكر. وفيها قصد الأمير قوصون أن يتملك حمام قتال السبع وهي الحمام المجاورة في وقتنا هذا لباب الجامع الذي يدخل إليه من الشارع، وكانت من وقف قتال السبع فاحتالوا لحل وقفها بأن هدموا جانباً منها، وأحضروا شهوداً قد بينوا معهم ذلك ليكتبوا محضراً بأن الحمام خراب لا ينتفع به، وهو يضر بالدار والمار والخط، والمصلحة في بيع أنقاضه، ليؤدي هذه

الشهادة عند قاضي القضاة تقي الدين أحمد بن عمر الحنبلي حتى يحكم بيعه على مقتضي مذهبه فعندما شرع الشهود في كتابة المحضر المذكور امتنع أحدهم من وضع خطه فيه، وقال: والله ما يسعني من الله أن أدخل باكر النهار في هذا الحمام وأتطهر فيه وأخرج وهو عامر، ثم أشهد بعد ضحوة نهار أنه خراب"، وانصرف، فاستدعي غيره، فكتب وأثبت المحضر على الحنبلي. فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور من ولد قتال السبع، وجدد عمارته.

وفي ذي الحجة: استقر الأمير بدر الدين بيلبك المحسني في ولاية القاهرة، عوضاً عن أيدمر الزراق.

وفي يوم الخميس سابع عشر رمضان: قدم يوسف الكيمياوي إلى مصر. وكان من خبر هذا الرجل أنه كان نصرانياً من أهل الكرك فأسلم، ومضى إلى دمشق بعدما خدع بمدينة صفد الأمير بهادر التقوى حتى انخدع له وأتلف عليه مالاً جزيلاً، فلما ظهر له أمره سجنه مدة، ثم أفرج عنه. فاتصل يوسف بالأمير تنكز نائب الشام، وقصد خديعته فلم ينخدع له، وأمر والي دمشق بشنقه، فصاح وقال: "أنا جيت للسلطان حتى أملأ خزانته ذهباً وفضة". فلم يجد تنكز بداً من إرساله إلى السلطان، فقيده وأركبه البريد مع بعض ثقاته، وكتب بخبره وحذر منه. فلما اجتمع يوسف بالسلطان مال إلى قوله، وفك قيده، وأنزله عند الأمير بكتمر الساق وأجري عليه الرواتب السنية، وأقام له عدة من الخدم يتولون أمره، وخلع عليه، وأحضر له ما طلب من الحوائج لتدبير الصنعة، حتى تم ما أراده. فحضر يوسف بين يدي السلطان، وقد حضر الفخر ناظر الجيش والتاج اسحاق وابن هلال الدولة والأمير بكتمر الساقي في عدة من الأمراء، والشيخ إبراهيم الصائع وعدة من الصواغ، فأوقدوا النار على بوطقة قد ملئت بالنحاس والقصدير والفضة حتى ذاب الجميع، فألقي عليه يوسف شيئاً من صنعته، وساقوا بالنار عليها ساعة، ثم أفرغوا ما فيها فإذا سبيكة ذهب كأجود ما يكون، زنتها ألف مثقال فأعجب السلطان ذلك إعجاباً كثيراً، وسر سروراً زائداً، وأنعم على يوسف بهذه الألف مثقال، وخلع عليه خلعة ثانية، وأركبه فرساً مسرجاً ملجماً بكنبوش حرير، وبالغ في إكرامه، ومكنه من جميع أغراضه. فاتصل به خدام السلطان، وقدموا له أشياء كثيرة مستحسنة، فاستخف عقولهم حتى ملكها بكثرة خدعه، فبذلوا له مالاً جزيلاً. ثم سبك يوسف للسلطان سبيكة ثانية من ذهب، فكاد يطير به فرحاً، وصار يستحضره بالليل ويحادثه، فيزيده طمعاً ورغبة فيه، فأذن له أن يركب من الخيول السلطانية ويمضي حيث شاء من القاهرة ومصر، فركب وأقبل على اللهو، وأتاه عدة من الناس يسألونه في أخذ أموالهم، طمعاً في أن يفيدهم الصنعة أو يغنيهم منها، فمرت له أوقات لا يتهيأ لكل أحد مثلها من طيبتها. ثم إنه سأل أن يتوجه إلى الكرك، لإحضار نبات هناك، فأركبه السلطان البريد، وبعث معه الأمير طقطاي مقدم البريدية، بعدما كتب إلى نائب عزة ونائب الكرك بخدمته وقضاء ما يرسم به والقيام بجميع ما يحتاج إليه من ديوان الخاص، فمضى يوسف إلى الكرك وأبطأ خبره، ثم قدم وقد ظهر كذبه للسلطان، فضيق عليه.

وفي تاسع عشر شوال: قدمت رسل الملك المجاهد على من اليمن بهدية، وفيها فيلان، فأنكر السلطان عليهم من أجل أن المجاهد قبض على رسول ملك الهند وأخذ هدية السلطان ثم قتله، وأمر بهم فسجنوا.

وفي ليلة السبت سادس عشر ذي القعدة: أخرج السلطان من في القاهرة ومصر من الجذمى والبرصان، وأمرهم بسكنى الفيوم.

وفيه: أخرب الأمير تنكز نائب الشام الحوانيت المجاورة لباب النصر خارج دمشق من ضيق الطريق، حتى وصل الهدم إلى الجسر تجاه البحر، وحفر حتى أخرج الأساسات، فصار فضاء.

وفيه: جدد الأمير قوصون خطته بالجامع بخط المصلى.

وفيه: ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع الذي عرف باسمه، بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة.

وفيه: ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي في عمارة مدرسة بجوار داره، قريباً من درب ملوخيا بالقاهرة، ووقف عليها أوقافاً جليلة.

وفيه ابتدا علاء الدين طقطاي أحد مماليك السلطان في عمارة جامع بين السورين من القاهرة، وسماه جامع التوبة، لكثرة ما كان هناك من الفساد، وأقام به خطبة للجمعة.

وفي يوم الأربعاء خامس ذي الحجة: استقر ناصر الدين بن المحسني في ولاية القاهره، وقد نقل إليها من ولاية المنوفية، عوضاً عن عز الدين الزراق.

وفي يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة، قتل الأمير الدمر أمير جندار بمكة وكان من خبر ذلك أن أمير الركب العراقي في هذه السنة كان من أهل توريز يعرف بمحمد الحجيج، وكان يتقرب من أولاد جوبان، فترقى بهم إلى معرفة السلطان بورسعيد، فعظم أمره وجعله من ندمائه، وبعثه رسولا إلى مصر غير مرة. فأعجب به السلطان الناصر ولاق بخاطره إلى أن بلغه عنه أنه تعرض في مجلس أبي سعيد لشيء ذكر مما يكرهه السلطان فتنكر له وأسر ذلك في نفسه، فلما بلغه أنه سار أمير الركب العراقي كتب إلى الشريف عطفة بن أبي نمى سر ان يتحيل في قتله، فلم يجد عطيفة بداً من امتثال ما أمر به، وأطلع ولده مبارك بن عطيفة ومن يثق به على ذلك، وتقدم إليهم بأعمال الحيلة فيه.

فلما قضى الحاج النسك عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولي إلى مصر، ومعه جماعة، في يوم الأربعاء ثاني عشر ذي الحجة. وتأخر الأمير سيف الدين خاص ترك أمير الحاج، والأمير الدمر جاندار، والأمير أحمد ابن خالة السلطان، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة، ومعهم بقية حجاج مصر. فلما حضروا للجمعة وصعد الخطيب المنبر، أراد الشريف عمل ما رسم له به، وأخذ العبيد في إثارة الفتنة بين الناس ليحصل الغرض بذلك .وأول ما بدأوا به أن عبثوا ببعض حاج العراق، وخطفوا شيئاً من أموالهم. وكان الشريف عطيفة جالساً إلى جانب الأمير خاص ترك أمير الركب، فصرخ الناس بالأمير ألدمر وليس عنده علم بما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة، وكان مع ذلك شجاعاً حاد المزاج قوي النفس، فنهض ومعه من المماليك، وقد تزايد صراخ الناس، وأتى الشريف وسبه، وقبض بعض قواده و أخرق به، فلاطفه الشريف فلم يلن. واشتد صياح الناس، فركب الشريف مبارك بن عطيفة في قواد مكة بآلة الحرب، وركب جند مصر. فبادر خليل ولد الأمير ألدمر وضرب أحد العبيد، فرماه العبد بحربة قتله، فاشتد حنق أبيه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فقتل .ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عطيفة، وقد قصد ركب العراق وعليه آلة حربه، فقال له" .ويلك تريد أن تثير فتنة، وهم أن يضربه بالدبوس، فضربه مبارك بحربة كانت في يده أنفذها من صدره فخر صريعاً، وقتل معه رجلان من جماعته. فركب أمير الركب عند ذلك ونجا بنفسه، ورمي مبارك بن عطيفة بسهم في يده فشلت. واختبط الناس بأسرهم، وركب أهل مكة سطح الحرم، ورموا أمير أحمد ابن خالة السلطان ومن معه بالحجارة، وقد أفرغ

نشابه بين يديه هو ومن معه، ورمي بها حتى خلص أيضاً، وفر أمير ركب العراق وتحير الشريف عطيفة في أمره، ومازال يداري الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة، وتوجهوا إلى بلادهم.
وكان من غريب الاتفاق أن في يوم الجمعة الذي قتل فيه ألدمر كأنما نودي في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بقتل ألدمر في فتنة كانت بمكة في هذا اليوم، وتحدث الناس بذلك حديثاً فاشياً إلى أن بلغ السلطان وأمراء الدولة. فلم يعبأوا به وجعلوه من ترهات العامة.

وأغرب من ذلك أن الأمير علم الدين سنجر كان كاشفاً بالغربية من نواحي القاهرة، فلما عاد مترله بعد صلاة عيد الأضحى وافاه أحد غلمانه وقد حضر اإيه من القاهرة، فأخبره أنه أشيع بالقاهرة أن فتنة كانت بمكة قتل فيها الأمير ألدمر أمير جندار، فسخر من قوله وقال: "هذا كلام لا يقبله عاقل، وأخذ الخبر ينتشي حتى تحدث به كل أحد.
واتفق في هذه السنة أنه وصل صحبة حاج العراق فيل من جهة الملك أبي سعيد يحمل محملهم، فتشاءم الناس به وقالوا: "هذا عام الفيل، فكان من الفتنة بمكة وقتل ألدمر ما كان. فلما قارب حاج العراق ذا الحليفة من المدينة النبوية وقف الفيل وتقهقر، فضربوه ليسير، فصار كلما أكره على أن يتقدم إلى جهة المدينة تأخر إلى ورائه. هذا وهم يضربونه وهو يتأخر إلى أن سقط ميتاً، وذلك في ثالث عشرى ذي الحجة. ويقال إنه بلغت الثفقة على هذا الفيل منذ خرج من العراق إلى أن هلك زيادة على ثلاثين ألف درهم، ولم يعرف مقصد أبي سعيد في بعثه الفيل إلى مكة.
وفيها نقل شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجد بن حمدان الشهير بابن النقيب الشافعي من قصاء طرابلس إلى قضاء القضاة بحلب، عوضاً عن فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم المعروف بابن البارزي بعد وفاته، واستقر في قضاء طرابلس شمس الدين محمد بن المجد. وفيها بلغت زيادة ماء النيل عشرة أصابع من ثمانية عشر ذراعاً .وكان وفاؤه يوم الأحد خامس عشرى شوال، وهو تاسع عشر مسرى.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن نعمة بن الحسن بن علي المعروف بابن السحنة الحجار الصالحي الدمشقي في خامس عشرى صفر، ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد صار مسند الدنيا، وتفرد بالرواية عن ابن الزبيدي وابن الليثي مدة سنتين لا يشاركه فيها أحد، وسمع الناس عليه صحيح البخاري أكثر من سبعين مرة، وقدم القاهرة مرتين وحدث بها.
وتوفي الأمير سيف الدين بهادر آص أحد أمراء الألوف، بدمشق في تاسع عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر الجمقدار، وكان شجاعاً مقداماً في الحرب، ولي نيابة صفد، وكان له أربعة أولاد، منهم اثنان أمراء، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخاناه.
وتوفي الأمير سيف الدين بلبان الكوندي المهمندار الدوادار بدمشق في نصف جمادى الأولى وكان أحد الأمراء العشروات.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان الصرخدي الظاهري أحد أمراء الطبلخاناه، بالقاهرة في العشرين من جمادى الآخرة، وقد تجاوز الثمانين، وكان خيراً.

وتوفي الأمير قلبرص بن الحاج طيبرس الوزيري بدمشق ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكركند، في سابع ربيع الآخر، كان من كبار الأمراء.

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان الكوندكي أحد أمراء دمشق، في سابع عشرى شعبان، وخرج طيبغا حاجي على إقطاعه، وكان جواداً.

وتوفي الأمير سيف الدين ألدمر أمير جندار مقتولاً، بمكة في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة، وله خارج باب زويلة من القاهرة حمامات، وكانت أمواله جزيلة.

وتوفي القاضي علاء الدين علي ابن القاضي تاج الدين أحمد بن محمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر، في يوم الأربعاء خامس عشر المحرم، بعدما أصابه مرض الفالج مدة سنة كاملة، وهو ملازم بيته، وكان ذا سعادة جليلة وحرمة وافرة وجاه عريض، ويضرب به المثل في الحشمة.

وتوفي الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأسدي الغرناطي الأندلسي بالقاهرة قافلاً من الحج، وكان صاحب فنون من قراءات وفقه ونحو وأدب وتاريخ.

وتوفي ناصر الدين شافع بن محمد بن علي بن عباس بن اسماعيل الكناني العسقلاني، سبط ابن عبد الظاهر، في سابع عشري شعبان بعدما عمي، وكان أديباً مشاركاً في عدة علوم، وله عدة مصنفات ونظم جيد ونثر مليح، وهو أحد كتاب الإنشاء.

وتوفي سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، في يوم السبت سابع عشرى رمضان، ولي نظر البيوت ونظر الرواتب، ثم ولي الوزارة في أيام بيبرس وسلار، ثم صرفه الملك الناصر لما قدم من الكرك وصادره، فلزم بيته حتى مات.

وتوفي الأمير سيف الدين قدادار والي القاهرة، في سادس عشر صفر وأنعم بإمرته على الأمير طاجار القبجاقي، وأصله من مماليك الأمير برلغي وترقى إلى أن ولي ولاية الغربية وولاية البحيرة وولاية القاهرة، وتمكن فيها تمكناً زائداً، وكان جريئاً على الدماء، ثم صرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسن وأقام في داره إلى أن خرج إلى الحج وهو ضعيف، ثم قدم فلزم الفراش حتى مات.

وتوفي الأمير بلبان الديسني في خامس عشر ربيع الأول، وأنعم بأمرته على برلغي. وتوفي الأمير كجكن الساقي في سادس صفر، وأنعم بإقطعاعه على سنقر الخازن. وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه في ثاني عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على بكمان.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن الروم شيخ خانكاه بكتمر الساقي في يوم الأحد ثالث عشرى ذي الحجة، وولي عوضه الشيخ زاده الدوقاني.

وتوفي الشيخ زين الدين أيوب بن نعمة الكحال البالسي في ذي الحجة، وقد أناف على التسعين، حدث بمصر ودمشق عن المرسي والرشيد العراقي في آخرين، وانفرد في الرواية.

وتوفي ركن الدين عبد السلام بن قطب الدين عبد القادر بن محمد بن أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ

عبد القادر الكيلاني في أخر جمادى الآخرة بدمشق، قدم القاهرة مراراً، وخالط الأمراء، وكانت له مكارم.
وتوفي فخر الدين أبو عمرو عثمان بن الجمال أحمد بن محمد بن عبدالله الظاهر في رجب، ودفن بزاوية أبيه خارج باب البحر من القاهرة، ومولده سنة سبعين وستمائة سمع الحديث من جماعة كثيرة وحدث.

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

أهلت بيوم الإثنين: وفي ثالث المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بما وقع بمكة من الفتنة وقتل الأمير ألدمر أمير جندار وولده، فتعجب الناس من صحة ما أشيع بالقاهرة من قتل ألدمر في يوم قتله. فشق على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطفة أمير مكة وولده وقواده.
وفي ثاني عشره: خلع على الأمير عز الدين أيدمر العلائي الجمقدار المعروف بالزراق، المستقر في ولاية القاهرة، ورسم له أن يكون أمير جندار ثم خلع على الأمير سيف الدين أرنبغا السلحدار، واستقر أمير جندار عوضاً عن ألدمر.
وفي تاسع عشريه: استقر فخر الدين محمد تاج الدين محمد بن مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين الشافعي في قضاء الإسكندرية، وتوجه إليها في عاشر ربيع الأول.
وفي المحرم هذا: قدم الحاج، وأخبروا بكثرة الفتن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة وقوة رميثة على عطيفة ونهبه مكة وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يلق ركب الحجاج، فكتب بحضوره. فلما ورد المرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشق ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بني حسن من مكة. وتقدم السلطان إلى الأمير سيف الدين أيتمش أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعين معه من الأمراء الأمير طيدمر الساقي والأمير أقبغا آص، والأمير أقسنقر، والأمير طرقش والأمير طقتمر الأحمد والأمير طقتمر الصلاح وأربعة عشر من مقدمي الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة .استدعى السلطان الأمير أيتمش بدار العدل، وقال له بحضرة القضاة: "لا تدع في مكة أحداً من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم، وناد بها من أقام منهم حل دمه. ثم أحرق جميع وادي نخلة، وألق في نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة، وخرب ما حول مكة من المساكن، وأخرج حرم الأشراف منها، وأقم بها بمن معك حتى يأتيك عسكر أخر". فقام في ذلك قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني ووعظ السلطان وذكره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقر الأمر على أن كتب لرميثة أمان وتقليد بإمرة مكة .وسار العسكر من ظاهر القاهرة في نصف صفر، وعدهم سبعمائة فارس.
وفي سابع ربيع الأول: توجه السلطان إلى سرياقوس، فأقام بها أياماً، ثم سار إلى البحيرة والمنوفية، ومضى على الجيزة إلى البهنساوية، وعاد إلى قلعة الجبل في حادي عشر ربيع الآخر.
وفي يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول. استقر شرف الدين أبو محمد عبدالله ابن الحسن بن عبدالله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي في قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر بعد وفاته.

وفي مستهل ربيع الآخر: تولى علاء الدين الطويل المنوفية، ثم بطل ذلك، وتولى فخر الدين أياس الدواداري المنوفية في اليوم المذكور.

وفي جمادى عشريه: خلع على ركن الدين الكركر واستقر في ولاية قوص"عوضاً عن غرس الدين خليل أخي طقصبا.

وفي ثالث عشريه :سار السلطان إلى ناحية طنان، وأقام هناك أياماً، ثم عاد إلى الجيزة، فأقام بها عدة أيام. ثم توجه السلطان إلى الحمامات، ثم رجع فدخل قلعة الجبل في رابع جمادى الأولى .وقدم عليه في سفره هذا رسل الملك أبي سعيد بن خربندا.

وفي حادي عشريه أيضاً :استقر الأمير عز الدين أيدمر العلائي المعروف بأستادار ألطبغا الحاجب في ولاية الوجه البحري وكان والي أسيوط ومنفلوط.

وفي يوم الإثنين سابع عشريه: مات الأمير أرغون الدوادار نائب حلب، فخلع على الأمير علاء الدين ألطبغا الصالحي بنيابة حلب في يوم الخميس أخره، وتوجه إليها.

وفي جمادى الأولى: مرض القاضي تاج الدين إسحاق ناظر الخاص.

وتوفي يوم الإثنين أول جمادى الآخر. وترك القاضي تاج الدين من الأولاد علم إبراهيم ناظر الدولة، وشمس الدين موسى وسعد الدين ماجد، بعدما وصي بهم الفخر ناظر الجيش، فتوسط الفخر لهم مع السلطان إلى أن استدعي من الغد شمس الدين موسى وخلع عليه وقرره في نظر الخاص ووكالة السلطان عوضاً عن أبيه، وقد كان ينوب عنه في حياته، وأقر السلطان أخاه علم الدين إبراهيم في نظر الدولة، وأقر علاء الدين بن هلال الدولة في شد الدواوين وشد الخاص، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

و فيه استقر علاء الدين محمد بن نصر الله الجوحري شاهد الخزانة فيما كان بيد شمس الدين موسى قبل ولايته نظر الخاص.

و فيه استقر جمال الدين يوسف أخو قنغلي في ولاية الشرقية، بسفارة الأمير بكتمر الساقي، واستقر أخوه شجاع الدين قنغلي في ولاية البهنساوية.

وفي يوم السبت سادسه: خلع على عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر في وكالة السلطان عوضاً عن التاج إسحاق ناظر الخاص بعد وفاته.

وفي سابع جمادى الآخرة: قدم الأمير أيتمش بالعسكر المجرد إلى مكة، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام. وكان من خبرهم أنهم لما قدموا مكة كان الشريف رميثة قد جمع عرباً كثيرة يريد محاربتهم، فكتب إليه الأمير أيتمش يعرفه بأمان السلطان له وتقليده إمرة مكة، ويحثه على الحضور إليه ويرغبه في الطاعة، ويحذره عاقبة الخلاف ويهدده على ذلك، ويعرفه بما أمر به السلطان من إجلاء بني حسن وأتباعهم عن مكة. فلما وقف رميثة على ذلك اطمأن إلى الأمير أيتمش وأجابه بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أن غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف هو ومن معه ألا يغدره، وأن يقرضه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوضها من إقطاعه. فتقرر الحال على أن يبعث إليه الأمير أيتمش عشرة أحمال من الدقيق والشعير والبقسماط وغيره، ومبلغ خمسة ألاف درهم، فقدم حينئذ.

فلما قارب رميثة مكة ركب الأمير أيتمش بمن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلفوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم وحلفوا له أيماناً مؤكدة، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس رميثة تشريف السلطان، وتقلد إمارة مكة، وعزم على تقدمة شي ء للأمراء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية،

وكتبوا إلى السلطان بعود الشريف إلى الطاعة، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة. فلما وصلوا دخل الأمير أيتمش على السلطان، فشكره على ما كان منه.
وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني حاضراً، فأكثر من الثناء على أيتمش، وقال: هذا الذي فعله هو الإسلام."

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام في يوم الإثنين سادسه، ومعه الأمير سيف الدين أرقطاي نائب صفد. فأكرم السلطان الأمير أرقطاي وقربه، وتقدم إلى جميع الأمراء أن يقدموا له التقادم، فقدم له كل أحد على قدر همته، وأنعم السلطان على أحد ولديه بإمرة طبلخاناه، وعلى الآخر بإمرة عشرة. وكان سبب قدومه من صفد أن الأمير تنكز لما توجه في السنة الخالية من دمشق يريد القدوم على السلطان على عادته، ركب الأمير أرقطاي من صفد ليلقاه من رأس اللجون، ومد له سماطاً جليلاً، وركب إلى لقائه، فلم ينصفه الأمير تنكز في السلام عليه، وسار حتى قرب من السماط فلم يلتفت إليه ولا نزل له، ومر من غير أن يأكل منه. فشق ذلك على أرقطا وقيل لتنكز إنه قد انكسر خاطره من الأمير، فقال: "ومن قال له يعمل هذا،؟ فبلغ ذلك السلطان، فعتبه عند حضوره على ما كان منه لأرقطا وقال له: وماذا كان يصيبك لو أكلت طعامه؟ وأمره ان يحضره صحبته إذا قدم في السنة الآتية، وكتب لأرقطاي أن يحضر مع الأمير تنكز فلما خرج الأمير تنكز من دمشق في هذه السنة، وتلقاه أرقطا أكرمه تنكز ومضى به إلى مصر، ثم سافرا إلى محل كفالتهما في يوم الثلاثاء سادس عشرة.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رجب: توجه الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير، والأمير بيغرا، والأمير ملكتمر السرجواني. وقد استقر في نيابة الكرك، بإبراهيم ولد السلطان إلى مدينة الكرك ليقروه بها، فوصلوا به إليها، وعادوا منها ومعهم أحمد ابن السلطان، وكان قد توجه قبل ذلك إلى الكرك، فقدموا به قلعة الجبل في يوم السبت سادس عشر شعبان، ومعه الأمير بهادر البدري نائب الكرك .فختن الأمير أحمد ابن السلطان يوم الإثنين ثامن عشرة، بعد وصوله بيومين.
وفيه قدمت رسل ملك الهند، وكان مجيؤهم من جهة بغداد، فأكرموا وخلع عليهم، وساروا في أخره.
وفي يوم الأربعاء خامس رمضان: أفرج عن الشريف ودي أمير المدينة النبوية، وعن خرص ابن أخيه وكانا قد اعتقلا بقلعة الجبل في أول شوال سنة تسع وعشرين، فرتب لهما راتب حسن مدة، ثم أنعم عليهما بإقطاع في الشام، وسارا إليها، فمات خرص، ثم ولي ودي إمرة المدينة.
وفي هذا الشهر: فر يوسف الكيمياوي من سجنه، فنودي عليه بالقاهرة ومصر، وسرحت البطائق على أجنحة الحمام لولاة الأعمال بتحصيله.
وفي عاشره: خلع على الأمير ملكتمر السرجواني واستقر في نيابة الكرك، عوضاً عن بهادر البدر وسافر من يومه.
وفي يوم السبت خامس عشره. حمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر آنوك ولد السلطان إلى بنت الأمير بكتمر الساقي: وهو عشرة آلاف دينار، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة، ومائة نافجة مسك، وألف مثقال عنبر خام، ومائة شمعة موكبية، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة.
وسلم ذلك إلى الأمير أيدغمش أخور، والأمير طقتمر الخازن دوادار القاضي شمس الدين موسى ناظر الخاص،

وألبس الثلاثة تشاريف جليلة، وتوجهوا بذلك إلى بيت الأمير بكتمر الساقي فكان يوماً مشهوداً. وعقد العقد، وعملت المهمات والأفراح الملوكية.
وفي يوم الإثنين نصف شوال: رسم بعزل نواب قضاة القضاة الأربعة بالقاهرة ومصر، وكانت عدقم قد بلغت نحو الخمسين نائباً، فعزلوا بأجمعهم.
وفي أول ذي القعدة: سار الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق، رسولاً إلى أبي سعيد ملك العراق.
وفي يوم الأحد ثالث عشره: كتب كتاب الأمير ملجك ابن أخت الأمير قوصون على بنت الأمير تنكز نائب الشام. وحملت إليه من دمشق، وصحبتها أموال جزيلة وتحف جليلة، فعملت أفراح سنية مدة أيام.
وفيه أيضاً كان وفاء النيل وهو خامس عشرى مسري.
وفي سابع عشره: استقر شهاب الدين الإقفهسي في نظر الدولة، عوضاً عن تقي الدين عمر بن محمد بن السلعوس.
وفي يوج الإثنين خامس ذي الحجة: أسلم من الكتاب النصارى المهذب كاتب الأمير بكتمر الساقي والنشو مستوفي الدولة، والعلم بن فخر الدولة مستوفي الدولة أيضاً.

وفي يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان الذي استجده، وقد كملت عمارته. وكان قد رسم في أول هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهري وتجديد عمارته، وفوض ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسن فهدمها وبا ع أخشابها بمائة ألف درهم وألفي درهم، واهتم في عمارة جديدة، فكمل البناء في مدة شهرين، وجاء كأحسن شي ء يكون. فخلع عليه السلطان، وفرق على الأمراء الخيول المسرجة الملجمة.
وفي هذا الشهر: قبض على يوسف الكيمياوي بمدينة أخميم، وحمل مقيداً، فوصل إلى قلعة الجبل في رابع عشريه. ومثل يوسف بين يدي السلطان، فسأله عن المال، فقال: عدم مني. فسأله السلطان عن صناعته فقال: كل ما كنت أفعله إنما هو خفة يد فعوقب عقوبة شديدة بالضرب، ثم حمل إلى خزانة شمائل سجن أرباب الجرائم بجوار باب زويلة من القاهرة، فمات ليلة الأحد خامس عشريه، فسمر وهو ميت وطيف به القاهرة على جمل في يوم الأحد.
وكان قد عزم السلطان على أن يؤمر ولده أحمد المحضر من الكرك، فركب الأمير بكتمر الساقي وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين في خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق، وأمر معه أيضاً ثلاثة أمراء عشراوات في يوم الإثنين سادس عشريه. وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسني والي القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزينوا القاهرة، زينوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل، وجلس أرباب الملهى في عدة أماكن يضربون بألاقم فرحاً بتأمير أحمد ابن السلطان.
واتفق في هذه السنة توالي الأفراح، لأجل عافية السلطان، وتزويج ولده أنوك، وتزويج ملجك ابن أخت قوصون، وتأمير أحمد بن السلطان.
وفيه ورد الخبر بإفساد العرب ببلاد الصعيد قطعهم الطريق، فاستدعي ظلظية متولي الشرقية، وخلع عليه، واستقر في كشف الوجه القبلي، فسار في تجمع كبير، وأوقع بأهل الصعيد، وقتل كثيراً من العربان، و لم يراع أحداً من الأمراء في بلاده، فعظمت مهابته، وخاف كل أحد بادرته.

وفي سابع عشره :نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وعين الأمير أرنبغا أمير جندارا، للسفر مع الأمير أحمد ابن السلطان. وخرج طلب الأمير أحمد ومعه الأمراء والحجاب، فسار إلى الكرك، وسلمه الأمير ملكتمر السرحواني نائبها، وأمر بتربيته وتأديبه.

وفيه قدمت رسل ملك البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان، ويسأل أن يبعث إليه سيفاً وسنجقاً ليقهر به أعداءه. فأكرمت رسله، وجهزت له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب، مقندس على مفرج سكندري وكلفتاه زركش وشاش بطرفين رقم وحياصة ذهب، وكلاليب ذهب، وسيف محلى وسنحق سلطاني أصفر مذهب.

وفيها كثرت الشكاية من جمال الدين عبدا لله ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني بكثرة لعبه، ورفعت فيه عدة قصص للسلطان. فبعث السلطان إلى أبيه على لسان الفخر ناظر الجيش يأمره بكفه عن ذلك، فلم ينته عن لعبه، فرسم بسفره من القاهرة إلى الشام، فسار على خيل البريد.

وفيها ولي عز الدين بن عبد العزيز ابن قاضي القضاه بدر الدين محمد بن جماعة وكالة بيت المال ونظر جامع أحمد بن طولون ونظر المدرسة الناصرية.

وفيها وصل إلى حلب نمر الساجور، بعد ما أنفق عليه مال كبير، فسر به أهل حلب سروراً زائداً.

وفيها ملك أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني مدينة فاس من بلاد المغرب، بعد موت أبيه.

ومات فيها من الأعيان

شهاب الدين صمغار ابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، في ثالث عشر المحرم، فأنعم بإمرته وهي طبلخاناه على بهادر بن قرمان.

وفي يوم السبت ثامن عشره: توفي الشيخ صبيح التكروري بدمشق، وقد حدث بالقاهرة ودمشق مراراً عن النجيب الحراني وغيره.

وتوفي الشيخ عفيف الدين عبدالله بن محيي الدين عبدالله بن الصاحب صفي الدين إبراهيم بن هبة الله العسقلاني بطريق مكة الخميس ثاني عشره، ومولده بمصر، وكان يشهد بدمشق على الحكام وفي الأملاك بغير أجرة، ولا يقبل هدية لأحد.

وتوفي أمير علي أخو قطلوبك أحد أمراء العشراوات، في سابع عشريه، فأنعم بإمرته على أمير جمال بن طقزدمر.

وتوفي الشيخ تاج الدين أبو عبدالله محمد بن العماد محمد بن التاج أبي الحسن علي ابن أحمد بن علي القسطلاني بالقاهرة في يوم الجمعة تاسع عشريه.

وتوفي شمس الدين عبد اللطيف بن خليفة العجمي أخو الوزير نجيب الدولة وزير قازان غريقاً ببركة الفيل خارج القاهرة، في سلخه، وكان يعرف العلوم العقلية.

وتوفي محيي الدين محمد عبد العزيز بن علي بن محمد الحراني الحنبلي ابن أخي قاضي القضاة شرف الدين الحراني

بالقاهرة في حادي عشره.

وتوفي الأمير بكتمر بن كرأي في خامس صفر.

وتوفي الأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار، في يوم الأحد سادسه، ودفن خارج باب النصر من القاهره، وكان أحد أمراء الألوف، وتزوج خوند دلنبية بنت طاجي مطلقة السلطان، وأنعم بإمرته على تمربغا السعدي، وكان كثير الأكل كثير النكاح.

وتوفي زين الدين محمد بن محمد بن أبي بكر محمد بن علي القسطلاني في سابعه.

وتوفي قاضي القضاة عز الدين أبو عبدالله محمد بن تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي بدمشق في يوم الأربعاء، وولي قضاء الحنابلة بدمشق بعده شرف الدين أبو محمد عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن عبد الغني المقدسي.

وتوفي الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، في يوم الثلاثاء خامس عشر صفر، وأنعم على ساطلمش الجلالي بإقطاعه.

وتوفي الأمير سيف الدين طرجي الساقي أمير مجلس، في يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر، وأنعم بطبلخاناته على أولاجا، واستقر الأمير طقزدمر عوضه أمير مجلس. في سادس عشر ربيع الآخر.

وتوفي المسند بدر الدين المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبي بكر علي الحنفي في يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة، وهو أخو من حدث عن سبط ابن السلفي.

وتوفي الأمير حسام الدين لاجين زيرباج الجاشنكير، في يوم الإثنين رابع عشر صفر.

وتوفي الأمير بغجار الساقي في رابع ربيع الأول، وأنعم بطلبخاناته على أمير عمر بن أرغون النائب.

وتوفي سنجر البرواني أحد أمراء الطبلخاناه، في الحمام فجأة يوم السبت ثامن ربيع الآخر، فأنعم بإمرته على أيدمر العلائي.

وتوفي ضياء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن ربيعة الأذرعي الشافعي بالرملة في ثالث عشريه، ومولده بنابلس في سنة ست وأربعين وستمائة، وكان قاضياً ستين سنة، ونظم كتاب التنبيه في الفقه، فبلغ ستة عشر ألف بيت، وله أزجال ومو شحات.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري يوم الأربعاء ثامن رجب، وهو أحد مقدمي الألوف.

وتوفي الآمير نور الدين محمود بن هلال الدولة الريداني أحد أمراء العشرات، بدمشق.

وتوفي الأمير أرغون الدوادار نائب حلب، بها في ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر، ومات ابنه ناصر الدين محمد قبله، وقدم إلى القاهرة أربعة من أولاده.

وتوفي جمال الدين أبو عبدالله بن عبد الواحد بن الخضر المعروف بابن السابق الحلبي في ليلة الأحد رابع عشريه فجأة بحلب ومولده بالإسكندرية سنة خمس وستين وستمائة، ولي نظر بعلبك ونظر بيت المال بدمشق.

وتوفي الشيخ المسند شرف الدين أبو العباس أحمد بن فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبي المجد العدوي في ليلة الأربعاء ثامن عشريه، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة، وأبوه عبد المحسن ينسب جامع ابن الرفعة بين القاهرة ومصر.

وتوفي القاضي عز الدين الخضر بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكاري بالأشمونين في عاشره، بعد عزله من قضائها، وقد نيف على التسعين.
وتوفي القاضي تاج الدين علي بن نظام الدين يوسف ابن القاضي الموفق فخر الدين ابن علي ابن القاضي الأمين مفضل بن مقدام بن محمود بن يعقوب اللخمي في تاسع عشريه، بعدما كف بصره، ولي نظر الخزانة الكبرى ودرس بمدرسة الصاحب صفي الدين بن شكر بالقاهرة والمدرسة، وكان مقدام قاضي دمياط وناظرها أيام خلفاء القاهرة، وهو أخو شكر.
وتوفي الأمير علاء الدين علي بن آل ملك المجاهد إسحاق ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في ثامنه خارج مدينة مصر، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة.
وتوفي الأمير ظلظيه والي الولاة بالوجه القبلي في يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة، واستقر عوضه الأمير غرس الدين خليل أخو طقصبا الناصري.
وتوفي مجد الدين إبراهيم بن لفيتة ناظر الدولة، بعد عزله في ثامن عشره، فجأة بعدما خرج من الحمام ولبس ثيابه وشرب قدح شراب.

وتوفي المقرئ نور الدين أبو الحسن علي بن المقرئ شرف الدين محمد بن مجاهد المعروف بابن الوارب أمام الجامع الحاكمي في سادسه، وهو أحد مشايخ القرءات السبع.
وتوفي الشيخ الزاهد موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم بن جعفر بن محمد ابن إبراهيم بن ثعلب الجعفري المالكي بمصر ليلة الأحد ثانيه، ودفن بالقرافة، وكان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف.
وتوفي تاج الدين إسحاق ويدعى عبد الوهاب ناظر الخاص، في يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة، وولي نظر الخاص بعد القاضي كريم الدين الكبير وباشر بسكون زائد وانجماع وسياسة، وقام بمهمات عظيمة، وولي بعده وكالة بيت المال عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وولي نظر خزانة الخاص علاء الدين محمد بن نصرالله بن محمد بن عبد الوهاب الجوهري وولي المكين بن قزوينة استيفاء الصحبة والخاص.
وتوفي الأمير سيف الدين أبو بكر بن المهراني في سادسه.
وتوفي ضياء الدين أحمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي في ليلة الثلاثاء تاسعه، وبيده تدريس الزاوية الخشابية بجابع مصر.
وتوفي تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدماميني رئيس التجار الكارمية، في ثالث عشرى جمادى الآخرة، وقد قارب ثمانين سنة، وترك مائة ألف دينار عينا.
وتوفي الأمير حسام الدين طرنطاي دوادار كتبغا، ليلة الأحد ثامن عشريه فجأة، وكان له ثراء واسع جداً.
وتوفي نور الدين علي بن محمد بن عبد الواحد الحنفي أمين الحكم، بالحسينية ظاهر القرافة في سلخه.
وتوفي فخر الدين عثمان إبراهيم بن مصطفى التركماني الحنفي في حادي عشر شهر رجب، وهو يلي نيابة النظر بالمارستان المنصوري.
وتوفي القاضي جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن عبد الرزاق المالك أحد نواب القضاة المالكية، في ثامن عشريه.

وتوفي تقي الدين عمر بن السلعوس ناظر الدولة، بعد عزله في سادس عشرى ذي القعدة.
وتوفي الأمير ركن الدين عمر بن الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري في تاسع عشر ذي الحجة بدمشق.
وتوفي زين الدين عمر بن نجم الدين البالسي الشافعي مدرس المدرسة الطيبرسية، في سلخه، فولي عوضه أخوه نور الدين علي.
ومات بلبان المهمندار عتيق الدواداري في يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر.
ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو ابن أبي بكر بن حمامة، في ذي الحجة، وقام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن علي فكانت مدته إحدى وعشرون سنة.

سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله الجمعة: فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار وسلامة الحجاج، وأن الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي على خطة.
وفي سابع عشرة: توفي مغلطاي المذكور عند نزوله بسطح عقبة أيله، فصبر وحمل إلى القاهرة، فوصلها ليلة الخميس حادي عشريه، ودفن من غده بمدرسته قريباً من درب ملوخيا. واستقر عوضه في الأستادارية الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد وخلع عليه يوم الثلاثاء سادس عشريه، وأقر ألطقش مملوك الأفرم على نيابة الأستادارية. ثم بعد أيام أضيف إلى الأمير أقبغا تقدمة المماليك السلطانية مع الأستادارية، من أجل أنه وجد بعض المماليك وقد نزل من القلعة إلى القاهرة، إذ تنكر السلطان لما حدث من نزول بعض المماليك من القلعة إلى القاهرة، وضرب كثيراً من طواشية الطاق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير وهو يومئذ الطواشي شجاع الدين عنبر السحرتي تهاونه حتى وقع ما وقع، وصرفه بالأمير أقبغا. فضبط أفبغا طباق المماليك بالقلعة، وضرب عدة منهم ضرباً مبرحاً، وبالغ في إهانة الخدام أيضاً، فلم يجسر أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته.
وفيها استقر الأمير سيف الدين بهادر الدمرداشي رأس نوبة الجمدارية، عوضاً عن الأمير أقبغا عبد الواحد، بحكم انتقاله إلى الأستدارية، وكان الأمير بهادر قد حظي عند السلطان حظوة مكينة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه: دار نقيب الجيش والحاجب بجامع القلعة على الأمراء وهم ينتظرون الصلاة، وقبضوا على من معهم من مماليك دمرداش بن جوبان وسجنوهم. وذلك أن الأمير طرغاي الجاشنكير كان عنده جماعة، فبلغه من بعض مماليكه أنه سمع أحد مماليك دمرداش يقول لآخر: أقد درنا على الصبيان الجميع، واتفقنا على كلمة واحدة، فقم والبس قماشك، فميعادنا باب القلة عند خروجهم من الجامع. فنقل ذلك لمخدومه الأمير طرغاي فبادر وقبض على من عنده من مماليك دمرداش، ونهض إلى السلطان وأعلمه بالخبر، فسر بذلك .واستدعى السلطان نقيب الجيش والحاجب، وأسر إليهما أن يقبضا على من حضر من مماليك دمرداش بالجامع، ويتتبعا من غاب منهم، فقبض على الجميع قبل إقامة الصلاة. ثم جمع الأمراء بعد الصلاة عند السلطان، وعرفهم السلطان ما نقله الأمير طرغاي، وأمر السلطان أمير جندار بعقوبة من قبض عليه فعوقبوا، ثم قتل بعضهم وسجن باقيهم، فإنهم اعترفوا وهم في العقوبة بأنهم أرادوا أخذ ثأر استاذهم دمرداش وقتل الأمراء،

لتصير لهم بذلك سمعة في بلاد المشرق. فخالف على نفسه الأمير بهادر الدمرداش وتحرز من السلطان.
شهر صفر أوله يوم الأحد: وفي يوم الإثنين، ثالث عشريه: استدعى السلطان الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الإمير ناصر الدين أنوك فأذعنوا لذلك كلهم، فرسم بركوبه بشعار السلطنة، وأحضرت الخلع لأرباب الوظالف. ثم انثنى عزم السلطان عن ذلك، وأبطل الجميع، ورسم أن يلبس آنوك شعار الأمراء، ولا يطلق عليه اسم السلطنة، فركب آنوك وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز ذهب وشربوش مكلل مزركش. وخرج آنوك من باب القرافة والأمراء في خدمته حتى مر بسوق الخيل تحت القلعة، فباس الأرض، وطلع من باب الإسطبل إلى باب السر فطلع منه، ونثرت عليه الدنانير والدراهم. وخلع على الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمد والأمير أيدغمش أمير أخور خلع أطلس، وخلع أيضاً على بقية أرباب الوظائف، ومد لهم سماط عظيم، وعملت الأفراح الجليلة مدة أيام.
وكان قد رسم بعمل المهم لعقد الأمير آنوك على زوجته بنت بكتمر الساقي فعقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار، المقبوض منه عشرة ألاف دينار.
وفيه تقدم السلطان إلى الأمير علاء الدين بن هلال الدولة بجمع الدواوين، ليختار منهم من يستخدمه لآنوك، فإنه أنعم عليه بإقطاع الأمير مغلطاي الجمالي، فحضر من الغد عدة من الدواوين، فأخذ السلطان يسأل كلاً منهم ويتعرف خبره إلى أن وقع اختياره على شرف الدين النشو فإنه كان قد وقف بين يديه غير مرة في محاققة في خدمة الأمراء، فأعجبه كلامه ومحاققته، ورسم أن يكون من جلة المستوفين. فلما حضر النشو في هذا اليوم أشار السلطان لابن هلال الدولة أن يستخدمه بديوان الأمير آنوك، ويكون الأمير سيف الدين ألطنقش أستادارا له، وخلع عليهما ونزلا.
شهر ربيع الأول أوله يوم الإثنين: في سادسه: قدم الحاج أحمد بن سنقر رسولاً من الملك أبي سعيد، وعلى يده كتاب بسبب الخطة والمصاهرة. فأجيب بأن ذلك يحتاج إلى مهلة، وأخذ ما معه من الهدية .وهي جمال بخاتي ثلاثة قطر، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشرة مماليك، وعشر جوار جنكيات، وعشرة دبابيس، وأعيد في ثاني عشريه.
وفيه كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر ومعه نائب حماة، لحضور مهم الأمير أنوك على الأمير بكتمر الساقي، فشرع الأمراء في الاحتفال للمهم، وبعثوا إلى دمشق لعمل التحف.
شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين: في عاشره: قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بعد وفاة أبيه بها، وله من العمر نحو العشرين عاماً، فأكرمه السلطان وأقبل عليه. وكان والده لما توفي بحماة أخفى أهله موته، وسارت أم الأفضل إلى دمشق وترامت على الأمير تنكز نائب الشام، وقدمت له جوهراً رائعاً، وسألته في إقامه ولدها الأفضل مكان أبيه، فقبل تنكز هديتها، وكتب في الحال إلى السلطان بوفاة المؤيد، وتضرع إليه في إقامة ابنه مكانه. فلما قدم البريد بذلك تأسف السلطان على المؤيد، وكتب إلى الأمير تنكزلإجابة سؤاله وتجهيز ابن المؤيد إلى مصر، فجهزه تنكز إلى السلطان، فقابله من الإنعام وإدرار الأرزاق بنظير ما كان لأبيه.

وفي يوم الخميس خامس عشريه. ركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين، وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية، وفد نشرت على رأسه الأعلام الثلاثة، منها واحد خليفتي أسود، واثنان سلطانيان أصفران،

وعليه خلعة أطلس بطرز ذهب، وعلى رأسه شربوش، وفي وسطه حياصة ذهب بثلاثة بيكارات. وسار الأفضل في موكب جليل بالقاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل، وقبل الأرض بين يدي السلطان بالقصر. ثم جلس الأفضل فخلع على الأمراء الذين مشوا في خدمته: وهم الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمد والأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور، والأمير طغجي أمير سلاح، والأمير تمر رأس نوبة، وقد لبس كل منهم أطلسين. وخلع الأفضل، على الأمير شجاع الدين عنبر مقدم المماليك طرد وحش وخلع على جميع أرباب الوظائف أيضاً، وكان يوماً مشهوداً.

ولقبه السلطان يومئذ بالملك الأفضل وجهزه إلى بلاده.

وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: خرجت التجريدة لكبس الإطفيحية، وفيها نحو خمسة عشر أميراً.

وفي أول شعبان: قدم تنكز نائب الشام، لحضور عرس الأمير آنوك ابن السلطان.

وفيه رسم بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية. ووقع الشروع في عمل الإخوان فأقام المهم سبعة أيام بلياليها. واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه، فكان أمراً عظيماً.

فلما كمانت ليلة السابع منه: جلس السلطان على باب القصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد، ومعهم الشموع، فإذا قدم الواحد ما أحضره من الشمع قبل الأرض وتأخر. ومازال السلطان بمجلسه حتى انقضت تقادمهم، فكانت عدتها ثلاثة ألاف وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة ألاف وستون قنطاراً، فيها ما عني به ونقش نقشاً بديعاً تنوع في تحسينه، فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولي فإنه اعتنى بأمرها وبعث إلى عملها بدمشق، فجاءت من أبدع شيء.

ثم جلس السلطان في ليلة الجمعة حادي عشر شعبان وهي ليلة العرس على باب القصر، وأشعلت تلك الشموع بأسرها. وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه، وأقبل الأمراء جميعاً وكل أمير يحمل بنفسه شمعه وخلفه مماليكه تحمل الشمع، فتقدموا على قدر رتبهم، وقبلوا الأرض واحداً بعد واحد طول ليلهم، حتى إذا كان أخر الليل نهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء، فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبلن الأرض واحدة بعد أخر وهي تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعاً. ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن، فرقصن حسن أيضاً واحدة بعد واحدة، والمغاني تضربن بدفوفهن، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقف الحرير يلقى على المغنيات، فحصل لهن ما يحل وصفه، ثم زفت العروس.

وجلس السلطان من بكرة الغد، وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لإمرأة كل أمير من الأمراء بعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام.

فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذبح فيه الغنم والبقر والخيل والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفاً، وعمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار، وبلغت قيمة ما حمله الأمير بكتمر الساقي مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية.

وفي يوم الأربعاء رابع رجب: استقر الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق مهمندار، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزي بعد وفاته.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: استقر شرف الدين موسى بن التاج اسحاق في نظر الجيش، بعد وفاة الفخر محمد

بن فضل الله واستقر شرف الدين عبد الوهاب النشو في نظر الخاص، عوضاً عن شرف المذكور، في يوم الخميس تاسع عشره.
وكان الفخر لما اشتد به المرض بلغه عن موسى بن التاج إسحاق أنه سعى في نظر الجيش فشق عليه ذلك، وركب وقد انتهك من شدة المرض، ودخل على السلطان وقال: "ما أزعجت نفسي إلا لنصحك، ولأوصيك بعائلتي وأولادي وعندي ذخيرة للسطان، فأما نصيحتى فهي أن أولاد التاج إسحاق تواصوا على أكل مال آل آص والدولة، والعمل على السلطان. وبالغ الفخر في الوقيعة فيهم، وعرف السلطان أنه ادخر عشرة ألاف دينار وشيئاً من الجواهر، وجميع ذلك للسلطان، فشكره السلطان، وأثر فيه كلامه في أولاد التاج إسحاق.

ثم قام الفخر وعاد إلى داره، ثم طلب بعد ثلاثة أيام الأمير علاء الدين بن هلال الدولة، ودفع إليه ورقة مختومة وأوصاه أن يدفعها إلى السلطان بعد موته، فأوقف ابن هلال الدولة السلطان عليها وتركها عنده. فمات الفخر من الغد، فنزل ابن هلال الدولة وأولاد التاج إسحاق وعدة من الأمراء إلى بيت الفخر وأحاطوا به. فوجدا فيه عشرة ألاف دينار، وهي التي عين الفخر، وموضعها للسلطان، ووجدوا معها جواهر.
فعادوا بذلك إلى السلطان، ومعهم لؤلؤ مملوك الفخر، فأمره السلطان أن يعرفه بما لأستاذه من الأموال، وهدده تهديداً كبيرا، فالتزم أنه لا يخفي شيئاً. ونزل لؤلؤ فكتب عدة أوراق اشتملت على أصناف من البضائع للتجارة، وعلى عدد بساتين ودواليب ومعاصر بأرض مصر وضياع بالشام كدمشق وحماة وحلب وغزة والقدس وغيرها منها ما وقفه ومنها ما هو غير وقف. فأوقع السلطان الحوطة على جميع موجوده بديار مصر، وكتب إلى نواب الشام بمثل ذلك، ورسم ببيع الأصناف، فبلغت قيمة ما وجد له ألف ألف درهم سوى ما تركه السلطان لأولاده.
وكان النشو في ابتداء أمره يتخدم لابن هلال الدولة شاد الدواوين، ويتردد إليه كثيراً ويبالغ في خدمته، فاستخدمه ابن هلال الدولة في الأشغال، وقدمه إلى السلطان، وشكر من كتابته، إلى أن استخدمه السلطان مستوفياً، فصار النشو يعد من إنشاء ابن هلال الدولة. ثم إنه لما أسلم تسمى بعبد الوهاب، وتلقب بشرف الدين، فعندما استقر عند الأمير آنوك ابن السلطان صار يخلو بالسلطان ويحادثه في أمر الدولة. ويكثر من الوقيعة في الدواوين، حتى أثر كلامه في نفس السلطان، وتصور في ذهنه منه أنه يحصل له مالاً كثيراً فما هو إلا أن استقر في نظر الخاص حتى أخذ يغري السلطان بأولاد التاج إسحاق حتى غيره عليهم، فعزل السلطان شرف الدين موسى من نظر الجيش في نصف شعبان بعد عشرين يوماً من توليته، وولي مكين الدين إبراهيم بن قزوينة عوضه، وأمر بالقبض على شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم ولدي التاج ومصادرتهما، فقبض عليهما في يوم الخميس سابع عشر شعبان.
وذلك أنه اتفق أن السلطان. استدعى ابن هلال الدولة، وأسر إليه أن الأمراء اذا دخلو إلى الخدمة وخرجوا يمضي ومعه الشهود وناظر بيت المال، ويحاط على بيوت أولاد التاج إسحاق. فلما جلس القضاة، ووقف الأمراء وأرباب الدولة بالخدمة وشرف الدين موسى بن التاج إسحاق فيهم - التفت السلطان إلى القضاة وأخذ في الثناء على شرف الدين، وقال في أخر كلامه: "أنا ربيت هذا وعملته كاتبي" فانفض أهل الخدمة وهم يستعظمون هذا من السلطان في حق ناظر الجيش، وحل موسى في أعينهم. فما هو إلا أن جلس موسى بديوان

الجيش من القلعة حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على بيته، وأن رسل الديوان على باب ديوان الجيش، وبلغ الخبر أيضاً إلى أخيه علم الدين إبراهيم وهو جالس والدواوين بين يديه، فنظر فإذا جماعة من الرسل قد وقفوا مرسمين عليه، فأغلق كل منهما دواته، وجلس ينتظر الموت إلى العصر. ثم صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة، وهي تشتمل على شيء كثير جداً منها لزوحة علم الدين إبراهيم أربعمائة سروال. فسلم شرف الدين موسى وعلم الدين لإبراهيم بن هلال الدولة، وأحضرت المعاصير، وسئل موسى عن صندوق ذكر أنه أخذه من تركة أبيه، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة ألف دينار صارت إلى أبيه من جهة المكين الترجمان بعد موته، فأنكر موسى ذلك وحلف عليه. فرق له ابن هلال الدولة و لم ينله بمكروه، فأنكر عليه شرف الدين النشو عبد الوهاب ترك عقوبته، فما زال ابن هلال الدولة يدافع عنه وهو يحمل المال من قبله ومن قبل أخيه شيئاً بعد شيء.

وفي ثاني شعبان: خلع السلطان على شرف الدين أبي بكر بن شمس الدين محمد بن الشهاب محمود، كاتب سر في كتابة السر بديار مصر، عوضاً عن القاضي محيي الدين ابن فضل الله. واستقر ابن الشهاب محمود محيي الدين في كتابة السر بدمشق، وخلع عليه بذلك بعدما طيب السلطان خاطره وأثنى عليه وشكره. وكان ابن الشهاب محمود قد قدم مع الأمير تنكز، ومثل بين يدي السلطان، فأعجب بشكله، وأخذ تنكز يثني عليه بأنه أمين مأمون الغائلة. وكان محيي الدين بن فضل الله قد ثقل سمعه، فوقع اختيار السلطان أن ينقله إلى دمشق، ويولي بين يديه عوضه ابن الشهاب محمود، فحدث السلطان الأمير تنكز في ذلك، فما وسعه إلا موافقة غرض السلطان فيما أحب.

وفيه رسم للأمير تنكز بالعود إلى دمشق، فتوجه من القاهرة يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان.

وفي يوم الأحد عشريه: خلع السلطان على القاضي مكين الدين بن قزوينة واستقر في نظر الجيش، عوضاً عن شرف الدين موسى بن التاج ناظر الخاص، وقد نقل ابن قزوينة إليها من استيفاء الخاص ونظر ديوان ابن السلطان ونظر ديوان الأمير بشتاك.

وفيه أمر النشو ناظر الخاص وابن هلال الدولة شاد الدواوين بتجهيز السلطان إلى سفر الحجاز، فشرعا في طلب العربان وإعداد الإقامات من البقسماط والدقيق والشعير وغير ذلك.

وفيه رسم للملك الأفضل صاحب حماة بالتوجه إلى بلده صحبة الأمير تنكز.

وفي يوم الأربعاء ثاني شعبان: استدعى السلطان الأمير صلاح الدين يوسف المهمندار وخلع عليه، واستقر دوادارا عوضاً عن الأمير يوسف الجاي بعد موته، واستقر عوضه في المهمندارية الأمير سيف الدين جاريك مملوك قفجق الجوكندار.

وفيه وقع الجد في أمر السفر إلى الحجاز، وكتبت أوراق بأسماء الخواتين وبعض السراري وبعض الأمراء ليكونوا صحبة السلطان في سفره. وكتب إلى نواب الشام باستدعاء ما يحتاج إليه، فشرعوا في عمل ذلك وحملوه، وهو عدة أصناف وكثير من الهجن بسلاسل الذهب والفضة، وعدة من الخيول، وقدم أيضاً عامة أمراء مصر والشام تقادم جليلة على قدر مراتبهم وقدمت تقادم أمراء العربان من آل فضل وآل مهنا وآل عيسى وتنافسوا بأجمعهم في تقادمهم، وقصد كل أحد أن يمتاز على الآخر. واستدعى السلطان الأمير موسى بن مهنا ليسافر في

الصحبة، وحشر جميع الصناع من القاهرة ومصر للعمل في هذا المهم.
وفيه نقل موسى بن التاج إسحاق وأخوه إبراهيم من عند ابن هلال الدولة إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني والي القاهرة. ورسم له بعقوبة موسى حتى يحضر الصندوق. فأمره النشو أن يبسط عليهما أنواع العذاب، ويضرب موسى بالمقارع، فاستأذن السلطان على ذلك، وعرفه ما أمره به النشو" فمنعه السلطان من ضربه بالمقارع، لكنه يهدده ويضربه تحت رجليه نحو خمس عشرة ضربة. فبعث النشو عندما نزل من القلعة من يحضر ضرب موسى بالمقارع، غير أن ابن المحسني عمل بما أشار به السلطان، فأحضر موسى وهدده، وأمر به فبطح وضرب بالعصي نحو عشرين ضربة، فتنكر عليه النشو واشتد حنقه عليه.
وفي سادس رمضان: أفرج عن الأمير مغلطاي بعدما سجن عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام.
وفي شوال: خرج محمل الحاج إلى البركة على العادة، مع الأمير عز الدين أيدمر الخطيري أمير الركب، ورحل في عشريه. وكان السلطان قد ركب في ثامن عشره، تزل بسرياقوس ثم استقبل بالمسير إلى الحجاز في الإثنين خامس عشريه بعدما قدم حرمه صحبة الأمير طقتمر في عدة من الأمراء. واستناب السلطان على ديار مصر سيف الدين ألماس الحاجب، ورسم له أن يقيم في داره، وجعل الأمير أقبغا عبد الواحد داخل باب القلة، برسم حفظ الدور، وجعل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بالقلعة وأمره ألا يتزل منها حتى يحضر، وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه، وتقدم إليهم ألا يعودوا منها حتى يرجع من الحجاز.

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة، وكان قد قدم يوم الأحد سادس عشرى شعبان ومن الأمراء جنكلي بن البابا، والحاج آل ملك وبيبرس الأحمد وبهادر المعزي وأيدغمش أمير أخور، وبكتمر الساقي وطقزدمر، وسنجر الجاولي وقوصون، وطايربغا، وطغاي تمر، وبشتاك، وأرنبغا، وطغجي وأحمد بن بكتمر الساقي وصوصون، وبهادر الناصر وجركتمر بن بهادر، وطيدمر الساقي وأقبغا آص الجاشنكير، وطقتمر الخازن، وطوغان الساقي وسوسن السلحدار، وبلك، وبيبغا الشمسي وبيغرا، وقماري وتمر الموسوي وأيدمر أمير جاندار وبيدمر البدري وطقبغا الناصري وأيتمش الساقي وأياز الساقي وألطقنش وأنس، وأيدمر ددقمان، وطبيغا المحمدي وجاريك، وقطز أمير آخور، وبنيدمر، وأيبك، وأيدمر العمري ويحيي ابن طايربغا، ومسعود الحاجب، ونوروز، وكجلي وبرلغي وبكجا ويوسف الدوادار، وقطلقتمر السلحدار، ونانق، وساطلمش وبغاتمر، ومحمد بن جنكل وعلي بن أيدغمش، وألجاي وأقسنقر الناصر وقرا، وعلاء الدين علي بن هلال الدولة، وتمربغا العقيلي وقماري الحسن وعلي بن أيدمر الخطيري وطقتمر اليوسفي وكل هؤلاء مقدمون وطبلخاناه، ومن أمراء العشرات علي بن السعيد وصاروجا النقيب، وآقسنقر الرومي وأياجي الساقي وسنقر الخازن، وأحمد بن كجكن، وأرغون العلائي وأرغون الإسماعيلي وبغا، ومحمد بن الخطير وأحمد بن أيدغمش، وطشبغا، وقليجي. وحج مع السلطان أيضاً قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني، وحج أيضاً عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وموافق الدين الحنبلي وعز الدين بن الفرات الحنفي وفخر الدين النويري المالكي، وكانوا أربعتهم يتزلون في خيمة واحدة، فإذا تقدمت إليهم فتوي كتبوا عليها، وهذا من غريب الاتفاق. وقدم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة، ومعه مائة رجل من الحجارين حتى وسعها وأزال وعرها، ومن يومئذ سهل صعودها.

وفيها بلغ ماء النيل عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعاً.
وفيها طلب الشيخ شمس الدين الأصفهاني من دمشق على البريد إلى القاهرة.
وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، بالحسينية خارج القاهرة.
وفيها استقر علاء الدين علي بن منجا في قضاء الحنابلة بدمشق.
وفيها قبض على الصاحب شمس الدين غبريال، وأحيط بأمواله وأسبابه.
وكان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، وذلك في يوم الأربعاء حادي عشر ذي القعدة وهو ثاني عشر مسرى. وبلغ ثمانية عشر ذراعاً وإحدى عشر أصبعاً.

ومات فيها من الأعيان

الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ويلقب خرز الوزير، عند نزوله من سطح العقبة، في يوم الأحد سابع عشر المحرم، وحمل إلى القاهرة، فدفن بخانكاته، في يوم الخميس حادي عشريه، وهو من المماليك الناصرية، نقله السلطان وهو شاب من الخاصكية إلى أمرة بهادر الإبراهيمي المعروف بربرابة نقيب المماليك، وبعثه في مهماته، ثم ولاه أستاداراً ووزيراً، وحكمه في جميع المملكة، وكان جواد عارفاً يميل إلى الخير حشماً، وانتفع به جماعة كثيرة في ولايته، لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المال، فقصده الناس لذلك، وكان إذا ولي أحداً وجاء من يزيد عليه عزله وولي الذي زاد بعدما يعلم أنه قد استوفى ما قام له به من المال، ومن لم يستوف ذلك لا يعزله، ولم يصادر أحداً في مدة ولايته، ولا عرف أنه ظلم أحد، بل كانت أيامه مشكورة، وكان المستولي عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، وترك عدة أولاد من ابنة الأمير أسندمر كرجي نائب طرابلس، وإليه تنسب مدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة.
وتوفي الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل علي بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي صاحب حماة، في سابع عشرى المحرم، عن نحو ستين سنة، كان أولاً بدمشق من جملة أمرائها، ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح، ثم لقبه بالملك المؤيد، وأركبه في القاهرة بشعار السلطنة والأمراء مشاة في خدمته حتى الأمير أرغون النائب وقام بجميع ما يحتاج إليه، وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض، وكتب هو إليه" :أخوه محمد بن قلاوون"، وكان كريماً فاضلاً في الفقه والطب وغير ذلك، وله عدة مصنفات، منها تاريخ جيد، وله شعر بديع.

وتوفي برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الربيعي الجعبري شيخ القراءات في شهر رمضان.
وتوفي صدر الدين أحمد بن محمد بن عبدالله الدندري الشافعي في ليلة الجمعة ثامن جمادى الآخر. وكان من شيوخ القراءات وفضلاء الفقهاء بقوص.
وتوفي الأمير سيف الدين الجاي الدوادار، يوم الإثنين مستهل شعبان.
ومات الديستي والكنجار في يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول.
وتوفي القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش، يوم الأحد سادس عشر رجب.
وتوفي سونتاي نوين حاكم ديار بكر، عن نحو المائة سنة، وحكم بعده علي بادشاه خال بوسعيد.

و توفي ياقوت بن عبدالله الحسني الشاذلي تلميذ أبي العباس المرسي ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة، وكان شيخاً صالحاً مباركاً ذا هيئة ووقار، لم يخلف في الإسكندرية مثله.
وتوفي الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوي بطنطا في ذي الحجة، وله شهرة بالصلاح، ويقصد للزيادة والتبرك به.
ومات الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودي يوم السبت سابع ذي القعدة، بعد خروجه من السجن بقليل.

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

في ثامن المحرم: قدم الأمير بلك الجمدار المظفري مبشراً بسلامة السلطان، فدقت البشائر، وخلعت عليه خلع كثيرة، واطمأن الناس بعدما كانت بينهم أراجيف، وعينت الإقامات للسلطان والأمراء.
وكان السلطان لما قرب في مسيره من عقبة أيلة بلغه اتفاف الأمير بكتمر الساقي على الفتك به مع عدة من المماليك، فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر، فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقي فإنه أشار بإتمام السفر، وشنع عوده قبل الحج. فسير السلطان ابنه آنوك وأمه إلى الكرك، صحبة الأمير ملكتمر السرجواني نائب الكرك وكان قدم إلى العقبة، ومعه ابنا السلطان أبو بكر وأحمد ثم مضى السلطان في يوم هو محترز غاية التحرز، بحيث أنه ينتقل في الليل عدة مرات من مكان إلى أخر، ويخفي موضع مبيته من غير أن يظهر أحداً على ما نفسه مما بلغه، إلى أن وصل إلى ينبع. فتلقاه الأشراف من أهل المدينة بحريمهم، وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحريمه، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى أن نزل خليص في ثلاثين مملوكاً إلى جهة العراق.
فلما قدم السلطان مكة أكثر بها من الإنعام على الأمراء، وأنفق في جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهباً كثيراً وعم بصدقاته أهل الحرم. فلما قضي النسك عاد يريد مصر، فلما وصل إلى المدينة النبوية هبت بها في الليل ريح شديدة جداً ألقت الخيم كلها، وتزايد اضطراب الناس، وفر منهم عدة من المماليك، واشتدت ظلمة الجو، فكان أمراً مهولاً. فلما كان النهار سكن الريح، فظهر أمير المدينة بمن فر من المماليك، فخلع السلطان عليه، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال وغيره .وبعث السلطان بالمماليك إلى الكرك، وكان أخر العهد بهم.
وقدم السلطان إلى القاهرة في يوم السبت ثامن عشر المحرم، بعدما ورد الخبر بموت بكتمر الساقي وولده وكثرت الإشاعات. وقد خرج معظم الناس في لقائه، بحيث غلقت أسواق القاهرة ومصر، وخرج شرف الدين النشو، فبسط الشقاق الحرير والزر بفت التي جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة من بين العروستين إلى باب الإصطبل. فلما توسط السلطان بين الجبلين صاحت العامة: هوإياه؟ ما هوإياه؟ بالله اكشف لثامك وأرنا وجهك. وكان السلطان قد تلثم، فحسر اللثام عن وجهه، فصاحوا بأجمعهم: "الحمد لله على السلامة"، وبالغوا في إظهار الفرج به والدعاء له، فسره ذلك منهم. وصعد السلطان القلعة، فدقت البشائر وعملت الأفراح ثلاثة أيام. وكانت حجة السلطان هذه يضرب بها الأمثال: أبيع بمكة فيها الأردب من الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهماً، وأبيع البقسمات بالعدل، فكان يقف كل رطل منه بفلس واحد، وأبيع السكر كل رطل بدرهمين، والعلبة الحلوى بثلاثة دراهم .وقدمت تنكز نائب الشام افي خليص، فعمت الناس وأنعم السلطان

على جميع أهل مكة، وكان إنعامه على الشريف رميثة بخمسة آلاف دينار، وعلى زوجته بخمسمائة دينار، وذلك سوى ما أنعم به على البنات وغيرها. فقدم له رميثة مائة فرس، وألف رأس من الغنم، فرد الجميع وأخذ منها فرسين لا غير.

وفي يوم الإثنين عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وخلع على جميع الأمراء والمقدمين، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة.

وفيه منع السلطان النشو من التعرض لمباشري بكتمر الساقي وسائر ألزامه، وطلب المهذب كاتب بكتمر، وألزمه بكتابة ما خلفه، فوجد له ستة وثلاثون ألف أردب غلة، ومن السلاح والجوهر وغيره ما زادت قيمته على مائة ألف دينار، واتهم موسى الصير في أنه خصه مما سرقه مباشروه خمسة وعشرون ألف دينار. ثم عرض السلطان مماليك بكتمر، وأخذهم جماعة، وأنعم على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله ومغله، ثم زوجه زوجته بعد وفاء عدتها.

وفي ثالث عشريه: سافر الأفضل صاحب حماة.

وفيه قدم البريد من تنكز نائب الشام بتهنئة السلطان بقدومه سالماً، وطلب الإذن له في القدوم إلى القاهرة، وشكا تنكز من الأمير طينال نائب طرابلس، لترفعه عليه وخرق حرمته، وإعراضه عما يكاتبه فيه. فأجيب بالشكر والإذن له بالحضور، وعزل طينال واستقر الأمير قرطاي عوضه، ونقل طينال إلى نيابة غزة إهانة له. وركب الأمير يبغوا البريد لتقليد المذكورين، وقد أوصاه السلطان إلى رأي من طينال كراهة لنيابة غزة يقبضه ويحضر به مقيداً.

وفيه كتب بإضافة غزة إلى نيابة الشام، وأن نائبها يكاتب نائب الشام فيما يعن له من الأمور، ولا يكاتب السلطان.

وفي يوم الإثنين خامس صفر: قدم الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام باستدعاء، وخلع عليه واستقر في نظر الشام ونظر الخاص بها وذظر الأوقاف، عوضاً عن الشمس غبريال، وكتب توقيعه من إنشاء الصلاح خليل بن أيبك الصفدي وسافر في حادي عشره.

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جنكلي بن البابا بإمرة طبلخاناه، وأنعم بعشرة على أخيه.

وفي هذا الشهر: كثرت مصادرات النشو للناس: فأقام من شهد على التاج إسحاق أنه تسلم من المكين الترجمان صندوقاً فيه ذهب وزمرد وجوهر مثمن، فرسم لابن المحسني بعقوبة موسى بن التاج إسحاق حتى يحضر الصندوق. وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبع حواشي ابن التاج إسحاق، فقدم قنغلي والي البهنسا وقتشمر والي الغربية، وفخر الدين إياس متولي المنوفية، وعدة من المباشرين، فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال.

وفي يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين بيغرا لتقليد الأمير شهاب الدين قرطاي نيابة طرابلس، عوضاً عن طينال، وقد نقل قرطاي إليها من أمرة بدمشق، واستقر طينال في نيابة غزة.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرى جمادى الأولى : قدم الأمير تنكز نائب الشام، فأكرمه السلطان إكراماً زائداً على عادته.

وفيه تفاوض شرف الدين أبو بكر محمد بن الشهاب محمود كاتب السر والأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، حتى توحش ما بينهما، وارتفعا إلى السلطان. فسأل كاتب السر أن يعود إلى الشام، فأجيب إلى ذلك، وكتب بطلب محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر بدمشق، ليستقر في كتابة السر.

وفيه قدم البريد بموت قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ناظر الجيش بدمشق، فتروى السلطان أياماً فيمن يولي عوضه، إلى أن تعين فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبدالله بن أحمد بن علي بن الحلي، فخلع عليه في أول صفر، وسافر إليها في تاسع عشر صفر.

وفي تاسع جمادى الآخرة: خلع على الأمير تنكز خلعة السفر، وتوجه إلى دمشق، وصحبته ابن الحلي ناظر الجيش، وشرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السر.

وفي سلخ جمادى الآخرة: قدم محيي الدين يحيى بن فصل الله العمري من دمشق بأولاده، فخلع عليه، واستقر في كتابة السر عوضاً عن ابن الشهاب محمود، وخلع على أولاده.

وفيه قدم ناظر حلب وعامة مباشريها، فتسلمهم ابن هلال الدولة لعمل الحساب وسبب ذلك أنه لما مات فندش ضامن دار الطعم وعداد الأغنام بحلب، قام بعده من ضمن الجهتين فسعى بدر الدين لؤلؤ الحلبي مملوك فندش في الضمان، فلم يجب إليه لسوء سيرته، فكتب إلى السلطان بأنه يعين في جهة مباشري حلب أموالاً عظيمة أهملوها وصالحوا عليها فطلبوا لذلك. وكان لؤلؤ قد حضر إلى القاهرة، فعينه السلطان شاد الدواوين بحلب، فسافر إليها صحبه الأمير سيف الدين جركتمر الناصر وأخذ في كشف أحوال المباشرين ومحاققتهم بناء عن أمر السلطان.

وفيه قدم المخلص أخو النشو من كشف الدواليب والزراعات بالوجه القبلي فأغرى النشو السلطان بمباشري الوجه القبلي وأنهم فرطوا في مباشراتهم، وأتلفوا عدة أموال للسلطان. فكتب بالحوطة على جميع مباشري الوجه القبلي شاديه وعماله وشهوده والمتحدثين، وحملهم وحمل الأمير أحمر عينه وإيقاع الحوطة على موجوده كله وكان قديم المباشرة في الدواليب، وله سعادة جليلة وحمل عز الدين أيبك شاد الدواليب وكان أيضاً صاحب أموال جزيلة فأوقعت الحوطة على أموال الجميع، وحملوا إلى القاهرة.

وفيه طلب النشو تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته، وركب إلى دار القند، واعتبر أوزان القنود الواصلة إلى الأمراء من معاصرهم وغيرها، وكانت شيئاً كثيراً. وكان السلطان قد رسم للأمراء بمسامحتهم بما عليها للديوان، فألزم النشو مباشريهم بما عليهم للديوان عنها، و لم يمتثل ما في المراسيم السلطانية من مسامحتهم. ثم ركب النشو إلى السلطان، وعرفه بأن الذي للديوان على القنود التي اعتبرها في يومه مبلغ ستة ألاف دينار، وأنه كل قليل يرد للأمراء من القنود مثل ذلك وأكثر منه، وأن مال السلطان يذهب في هذا وأمثاله، فإن الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء شيئاً كثيراً. فأثر ذلك في نفس السلطان، ومكن النشو من عمل ما يختاره، وألا يسامح أحداً بشيء مما عليه للديوان فشق ذلك على الأمير قوصون، وحدث السلطان في إمضاء ما رسم له به من المسوح عن القند فلم يجبه السلطان إلى ذلك، ووعده أنه يعوضه عليه بأكثر منه. فانكفت الأمراء عن السؤال، وعظم النشو بهذا في أعين الناس.

واستدعى النشو ابن الأزرق ناظر الجهات وكان ظلوماً غشوماً فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار،

وطرح عليهم قماشاً استدعي به من الإسكندرية بثلاثة أمثال قيمته، وأخرق بمن عارضه منهم، وحمل النشو للسلطان من هذا وشبهه أموالاً عظيمة.
وفيه قدم الصاحب شمس الدين عبدالله غبريال بن أبي سعيد بن أبي السرور من دمشق فألزم بحمل أربعين ألف دينار وضعها كريم الدين عنده ليتجر له بها، وحمل ما أخذه في مباشرته من مال السلطان، وكان ذلك بإغراء النشو. فقام في أمره الأمير بتشاك والأمير قوصون حتى يقرر عليه ما يحمله من غير أهنة، فحمل ألف ألف درهم.
وعمت مضرة النشو الناس جميعاً، وانتمى إليه عدة من الأشرار، ونموا على الكافة من أهل القبلي والوجه البحري ودلوه على من عنده شيء من الجواري المولدات لشغف السلطان بهن، فحملت إليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن، وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضاً، فدهى الناس منه بلاء عظيم.
وفى سلخ شوال: أخرج صلاح الدين الدوادار على البريد منفياً إلى صفد، وخلع على سيف الدين بغا الدوادار الصغير عوضه، وسبب ذلك أنه كان مترفعاً، يعامل رفقاءه بشمم وتكبر. وكان شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيي بن فضل الله كاتب السر يباشر عن أبيه وعن جده في مزاحة وقوة نفس فسلك صلاح الدين معه مسلكه مع ابن الشهاب محمود، فلم يحتمل شهاب الدين ذلك منه، وصار بينهما شنان، إلى أن اتفق في بعض الأيام ذكر السلطان الفخر ناظر الجيش، فترحم عليه، فقال صلاح الدين: "يا خوند لا تترجم على ذلك، فإنه ما كان مسلماً. فغضب السلطان من معارضته له، وقال: "والله يا صلاح الدين هو أيضاً كان يقول عنك أنك لست بمسلم، وتبين في وجه السلطان الغضب، وانفض المجلس. فذكر بعد ذلك صلاح الدين عند السلطان فقال عنه: "ذاك ما يتحدث عن أحد بخير"، فانتهز ابن فضل الله الفرصة في صلاح الدين، ومازال به حتى أبعده السلطان وعزله في يوم الأربعاء حادي عشر رمضان، وأقام سيف الدين بغا دوادارا عوضه، ثم أخرج صلاح الدين أميراً بصفد في سلخ شوال.

وفي هذه السنة: أخذ الأمير قوصون دار الأمير بيسري بالقاهرة وكانت وقفاً فعمل محضر بشهود القيمة أن قيمتها مبلغ مائة وتسعين ألف درهم وتكون الغبطة للأيتام عشرة ألاف درهم، فكملت مائتان ألف فحكم القاضي شرف الدين الحراني الحنبلي ببيعها وشراء عقار بثمنها .وهذا بعد أن كان كتاب وقف بيسري لها فيه من الشهود عدة اثنين وسبعين عدلاً، منهم تقي الدين ابن دقيق العيد، وتقي الدين بن رزين، وتقي الدين ابن بنت الأعز، وذلك قبل بلوغهم درجة القضاء، فكان هذا مما شنع ذكره، فإنها دار يجل وصفها ويتعذر وجود مثلها.
وفيها عمل السلطان باب من خشب السنط الأحمر، وصفحه بفضة زنتها خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم ومضى به الأمير سيف الدين، برسبغا الساقي إلى مكة، فقلع باب الكعبة العتيق، وركب هذا الباب وأخذ بنو شيبة الباب العتيق، وكان من خشب الساسم المصفح بالفضة، فوجدوا عليه ستين رطلاً من فضة تقاسموها، وترك خشب ذلك داخل الكعبة، وعليه اسم صاحب اليمن في الفردتين، واحدة عليها: اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي.
وفي يوم الأربعاء حادي عشرى ذي القعدة وحادي عشر مسرى : كان وفاء النيل، وبلغ سبعة عشر ذراعاً

وثماني أصابع.
وفيها هدمت قاعة الصاحب وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل، ورسم أن تكون دار الوزارة وقاعة الإنشاء بدار التيابة .وكانت دار الوزارة قد عمرت في الأيام الأشرفية برسم ابن السلعوس.
وفي عشرى ذي الحجة: قبض الأمير ألماس الحاجب وأخوه قرا، وسجنا مقيدين، ثم أخرج قرا إلى الإسكندرية في رابع عشريه.
وفي حادي عشريه: خلع على الأمير بدر الدين مسعود بن خطير، واستقر حاجباً عوضاً عن ألماس.

ومات فيها من الأعيان

ناظر الجيش بدمشق قطب الدين بن موسى بن أحمد بن الحسن المعروف بابن شيخ السلامية عن اثنتين وتسعين سنة.
ومات الأمير شمس الدين سنقر المرزوقي في يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان.
وتوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة الحموي الشافعي في حادي عشر جمادى الأولى وهو معزول، بعدما عمي.
وتوفي شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري الشافعي صاحب كتاب التاريخ، في الحادي والعشرين من رمضان.
ومات الأمير أحمد بن بكتمر الساقي بوادي عنتر من طريق الحجاز في المحرم، واتهم السلطان بأنه سمه، فحمل مصبراً.

ومات الآمير بكتمر الساقي بعد موت ولده بثلاثة أيام، وكان موت ولده الأمير أحمد في ليلة الثلاثاء سابع المحرم ورحل إلى نخل فدفن بها وموت الأمير بكتمر يوم الجمعة عاشر المحرم وقد حمل إلى عيون القصب، فدفن بها ثم نقل بكتمر وولده إلى خانكاته من القرافة بالقاهرة، فدفنا بها يوم الأحد سابع ربيع الآخر واتهم السلطان بأنه سم بكتمر أيضاً، وذلك أنه كان قد عظم أمره بحيث أن السلطان في هذه الحجه كان معه ثلاثة ألاف ومائة عليقة، وكان مع بكتمر ثلاثة ألاف عليقة، وبلغت عدة خيوله مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل، وكان عليق خيله دائماً ألفاً ومائة عليقة كل يوم. فلما توجه مع السلطان إلى الحج وشي به أنه يريد قتل السلطان، فتحرز السلطان على نفسه غاية التحرز، وكان فيه من الدهاء والمكر ما لا يوصف، فأخذ يدبر على بكتمر ويلازمه بحيث عجز بكتمر أن ينظر إلى زوجته، فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه، وإذا نزل جلس معه، فإن مضى إلى خيامه بعث في طلبه، بحيث إنه استدعي به وهو يتوضأ بواحد بعد الآخر من الجمدارية، حتى كمل عنده عدة اثنى عشر جداراً. فلما ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان في تلك الليلة اغتيال بكتمر وولده، وأعد لذلك جماعة، فهجموا على أحمد بن بكتمر فلم يتمكنوا منه، واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعاً، فمروا في طلبهم فداخل الصبي منهم فزع كثير غشي عليه منه. وزاد احتراز السلطان على نفسه، وتقدم بأن تنام الأمراء بمماليكهم على بابه. وسار السلطان من المدينة، فيقال إنه سقى الصبي ماء باردا في مسيره كانت فيه منيته، ثم بعد قليل سقي بكتمر بعد موت ولده مشروباً، فلحق به. واشتهر ذلك، حتى أن زوجة بكتمر لما مات

صاحت، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر: "ياظالم أين تروح من الله، ولدي وزوجي، زوجي كان مملوكك، ولدي إيش كان بينك وبينه، وكررت هذه مراراً، فلم يجبها. وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا الكبير المقفي بما فيه كفاية، إذ هو كتاب تراجم ووفيات، كما أن هذا كتاب حوادث وماجريات.

ومات علم الدين المشطوب، يوم الأحد تاسع عشرى ذي القعده.

ومات جمال الدين أبو الحسين بن محمود بن أبي الحسين محمود بن أبي سعيد بن أبي الفضل بن أبي الرضا الربعي البالسي إمام السلطان، في سابع عشر رمضان، ومولده سابع عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة، واسمه كنيته، وكان فاضلا، كتب بخطه كتباً كثيرة.

ومات جدي الشيخ محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزي بدمشق في ثامن عشرى ربيع الأول وكان فقيهاً حنبلياً محدثاً جليلاً، سمع بعلبك من زينب بنت كندي وبدمشق من عمر بن القواس وجماعة وحدث وكتب بخطه كثيراً وقرأ كثيراً وقدم القاهرة، وعد من أعيان الفقهاء المحدثين.

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

في أول المحرم: أحيط بحواصل الأمير ألماس الحاحب، وكان قبض عليه وعلى أخيه الأمير قرا وسبب التغير على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز، وسكن في دار النيابة بالقلعة، وسكن الأمير أقبغا عبد الواحد داخل باب القلة من القلعة، فحفظ أقبغا عليه أشياء غير بها قلب السلطان لوجدة كانت بينه وبين ألماس: منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك، لميل كل منهما إلى الآخر، ومنها كثرة أفعال ألماس للأمور القبيحة، من انهماكه في الميل إلى الأحداث وإسرافه في ذلك، حتى إنه كان بجوار دار النيابة مسجد ففتح منه باباً وصار يعبر بالأحداث من ذلك إليه، واشتد شغفه بغلام يدعى عمير من أولاد الحسينية، وأكثر من النزول من القلعة وجمع الأويراتية مع المذكور للشرب، هذا مع ما حفظ عليه من الكلام السيء في وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكرة، فإنه غرس بساتين بناحيتي بهواش والنعناعية من المنوفية، وجلب عدداً كثيراً من الخنازير وسمنهم بها، وباعهم على الفرنج ببضائع، وحمل سلاحاً كثيراً إلى بلاد الشرق تعوض به أصنافاً للمتجر، فاتسعت أمواله وتكثر بها، وقال غير مرة للأمراء: "عندي الذهب والدراهم ومن فيكم مثلي، وزاد في هدا المعنى وأقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه، ويسعى به إلى السلطان حتى غيره عليه. ويقال أن السلطان وجد فيما خلفه الأمير بكتمر الساقي جزدان فيه كتب من جملتها كتاب ألماس إليه يتضمن أنني أحفظ لك القلعة حتى يرد على لك ما أعتمده فلم يصبر له السلطان على هذا.

ولما قبضه السلطان، وقبض على أخيه قرا وكان ظالماً غشوماً خماراً نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة لضبط موجوده، فوجد له ستمائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوس، وأربعة آلاف دينار مصرية، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير، وبعض جوهر، وعدة أشياء ثمينة، وقبض على عبد له رباه صغيراً، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بقتل ياسور أحد ملوك المغل وقت رمي الجمرات. وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خربندا لما قتل جوبان أراد إقامة ياسور لأنه من عظماء القان، فخوف من شجاعته، وأن جوبان كان يريد إقامته في الملك، فنفر منه أبو سعيد، ثم إنه استأذنه في الحج فأذن له، وقام له بما يليق به. ثم طلب أبو سعيد المجد السلامي وكتب إلى السلطان يعرفه بأمر ياسور، ويخوفه منه أن يجتمع عليه المغل، ويسأله قتله. فدفع السلامي كتاب أبي سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامي فقدم على السلطان أول ذي القعدة من السنة الماضية، فأركبه السلطان النجيب في عاشره إلى مكة، ومعه كتاب إلى الأمير برسبغا الحاجب وقد حج من مصر بطلب الشريف رميثه وموافقته سراً على قتل ياسور فقدم قطلوبك مكة أول ذي الحجة، فلم يوافق رميثة على ذلك، واعتذر بالخوف. فأعد برسبغا بعض نجابته من العربان لذلك، ووعده بما ملأ عينه. فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور في ثاني يوم النحر لرمي الجمار، ركب برسبغا أيضاً فعندما قارب ياسور الجمرة وثب عليه النجاب، وضربه فألقاه إلى الأرض، وهرب نحو الجبل، فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضاً، خشية من أن يعترف عليه. فاضطرب حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قتيل في دمائه، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حل بصاحبهم، فتبرأ برسبغا من ذلك وأظهر الترغم له، وقرر عندهم. "أن هذا الذي قتل هو من له عليه ثأر أو أحد غرمائه، وإنكم كفيتم أمره، فإني أخذت لكم بثأره وقتل قاتله". فانصرفوا عنه وفي نفوسهم منه شيء، ومازالو له بالمرصاد وهو منهم محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من المصريين بالمدينة النبوية، فأمن برسبغا على نفسه، وتقدم الحاج إلى السلطان مع المبشرين.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جاريك المهندار، واستقر حاجباً وترتب عوضه مهمندارا الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي شاد الشراب خاناه.

وفي عشرى رجب: خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير أخو الأمير بدر الدين مسعود الحاجب واستقر حاجباً، وكان قد قدم من دمشق في سابع عشرى ربيع الآخر.

وفي يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة: قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة، وقدم مملوكه يستأذن في دخوله كما هي عادته، فرسم له بسرعة الحضور، وألا يتحدث في شيء من أمر ابن هلال الدولة، فإن السلطان قد تغير عليه، فقدم.

وفي هذه الأيام: شفع الأمير قوصون في عود جمال الدين عبدالله ابن قاضي القضاة جلال الدين من دمشق، بدخلة أبيه عليه في ذلك، فأجابه السلطان. وقدم جمال الدين إلى القاهرة على البريد، فأقبل على عادته من اللهو، وعثر داراً على النيل بجوار دار أبيه، وتجاهر بما لا يليق. فتقدم أمر السلطان إلى ابن المحسني والي القاهرة أن يتحيل في كبسه وإشهاره، وأحس عبدالله بذلك، فكف عما كان يعانيه من اللعب.

وفي يوم السبت نصف رجب: قدم بدر الدين لؤلؤ الحلبي مملوك فندش بفاء مفتوحة ونون ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة بعدها شين معجمة وسيف الدين الأكز من الشام. فأحضرهما السلطان، وطلب مباشري حلب وهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسين والقاضي جمال الدين بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش، وعمه المحيي عبد القادر عامل المحلولات، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازي، والحاج علي بن السقا، وغيرهم. فحاققهم لؤلؤ والي في رميهم بأخذ الأموال السلطانية، وجاهرهم بالسوء من القول

بين يدي السلطان، والتزم بأنه إن مكن منهم استخلص منهم مائة ألف دينار. فطلب النشو بعد إخراجه، ووقع الكلام بينه وبين السلطان في ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال، فأخذ النشو يقرر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم، ويتحصل من هذا إذا ضبطت عليها في كل سنة للديوان زيادة على مائتي ألف دينار، وأنه لا يتمكن مع قيام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئاً من ذلك المال، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشر للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيلاً وأنه فقير ليس له مال يبرطل به له ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان، وأنه لو سلم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالاً، لكنه يخشاهم أن يغيروا السلطان عليه. ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم، مما أخذوه في مباشراتهم من مال السلطان. فأذن له السلطان في عمل ما يختاره، وأن يتصرف في الدولة ولا يبالي بأحد، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنع من يعارضه.

ثم استدعى السلطان بالمخلص أخي النشو، ورتبه مباشراً عند الأمير سيف الدين ألناق، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجاز واستخدم صهره ولي الدولة عند الأمير أرغون شاه وخلع عليهم.

وانبسطت يد النشو، واشتدت وطأته، وأخذ في التدبير على ابن هلال الدولة، ورتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة، وأنه أهمل في المحافظة على أمور السلطان، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان. وندب النشو لتحقق ذلك أمين الدولة بن قرموط المستوفي والشمس بن الأزرق ناظر الجهات، وقرر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال، وطلب المباشرين للمحاققة، فجمعهم السلطان. فبرز قرموط وواجهه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور، وبرطل بالأموال، ونحو هذا من القول، فأثر كلامه في نفس السلطان، وصرف المباشرين، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره بأن يلزم بيته. وخلع على الأكز واستقر شاد الدواوين عوضاً عن ابن هلال الدولة، وخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبي ليكون مستخلص الأموال، وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة، وطلبا الضمان والكتاب والمعاملين وأرباب الوظائف.

ورتبت على ابن هلال الدولة أوراق. مما أهمله وفرط فيه، وطلب وصودر هو وجميع ألزامه، وقبض على مقدم الدولة خالد بن الزراد ومن يلوذ به، فحملوا الأموال. وخلع على ابن صابر واستقر مقدم الدولة. واشتد لؤلؤ على أهل حلب وأهل مصر، وعسفهم وتجاوز المقدار في عقوبة المصادرين خصوصاً أولاد التاج إسحاق.

وفي يوم الخميس ثالث رجب: سافر الأمير تنكز نائب الشام، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وتوجه صحبته الأمير آقول الحاجب، ليستقر حاجب الحجاب بدمشق.

وفي يوم الأحد خامس المحرم: استقر الأمير تجماس الجوكندار المنصوري الملقب بشاش في نيابة حمص، عوضاً عن بهادر السنجري بحكم وفاته.

وفي يوم الأحد أول المحرم: أفرج عن الأمير بهاء الدين أصلم، وعن أخيه الأمير قرمجي.

وفيه أيضاً أفرج عن الأمير بكتوت القرماني. وكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجي سته سنين وثمانية أشهر، ومدة اعتقال القرماني سبع سنين وسبعة شهور.

وفي سادس المحرم: رسم للأمير جمال الدين آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك بنيابة طرابلس، بعد موت قرطاي وخلع عليه في تاسعه، وسافر في تاسع عشره. وكان ذلك لأمور: منها صحبته مع الأمير ألماس الحاجب،

ومنها ثقله على السلطان، فإن السلطان كان يجله ويحترمه ويقوم له كلما دخل إلى الخدمة، ومنها معارضته للسلطان في أغراضه، لاسيما في أمر النشو، فإنه كان يبلغ السلطان كثرة ظلمه وقبح سيرته في الناس. فأراد السلطان أن يستريح منه، فخلع عليه وبعث له بألف دينار، وأخرج برسبغا مسفراً له على العادة. فلما وصل برسبغا به إلى طرابلس وعاد، خلع السلطان عليه واستقر حاجباً صغيراً. وفيه خلع على الأمير مسعود بن خطير، واستقر حاجباً كبيراً عوضاً عن الأمير ألماس.

وفي يوم الخميس ثاني شعبان: استقر أيدكين الأزكشي البريدي في ولاية القاهرة، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن المحسني بسفارة النشو. فعظمت مهابته، وكبس عدة بيوت من بيوت الناس، صار يتنكر في الليل ويمشي في أزقة القاهرة، فإذا سمع صوت غناء أو ريح خمر في بيت كبسه وأخذ من أهله مالاً كثيراً بحسب حالهم. واعتنى به النشو، ومكنه من عمل أغراضه، فنال به مقاصد كثيرة. منها أن بعض تجار قيسارية جهاركس بالقاهرة تأخر له في الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحو تسعين ألف درهم. وألح على النشو في المطالبة بها مع كثرة انهماكه في اللهو، فقبضه أيدكين وهو غير حاضر الذهن، وسجنه في دار الولاية، واستدعى بالعدول ليكتب عليه مشروحاً بأنه سكران ويشهره، فافتدى منه بأن أشهد عليه أنه أبر بيت المال مما له عليه، موقع هذا الإبراء من النشو ومن السلطان بمكان ولما شنع أمر أيدكين شكاه الأمير قوصون إلى السلطان، فتغير السلطان على قوصون وقال له: "أنتم كلما وليت أحداً ينفعني أردتم إخراجه ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت، وأسمعه مع ذلك ما يكره. ثم أضيفت إليه ولاية مصر في تاسع شعبان، ولم يجمع الولايتين أحد قبله.

وفي يوم الأحد عشرى ذي الحجة: قدم الأمير مهنا بن عيسى وسبب قدومه أن السلطان كان يحرص على قدومه إليه، ويبذل لأولاده الأموال العظيمة، فيرغبونه في القدوم على السلطان، وهو يأتي ذلك عليهم. فكان إذا أعيا السلطان أمره طرده من البلاد، حتى طرده أربع مرات، وكانت تجرد له العساكر فتخرجه، ثم تحضر أولاده وتصلح أمره، فيعود إلى البلاد، ثم يأخذ السلطان في استجلابه فلا يأتي له. فيعود إلى إخراجه، و كان السلطان يبعث في طلب الخيول منه، فيرسلها إلى السلطان، فتحمل إليه أثمانها بزيادة كثيرة وما زال أمره على هذا الحال إلى أن قدم موسى وأحمد وفياض أولاده إلى القاهرة، وبالغ السلطان في الإنعام عليهم، فحلفوا له على إحضار أبيهم إليه. فلما أتوا أباهم اجتمعوا عليه مع عمومتهم، وأرادوه على الحضور إلى السلطان بجهدهم فلم يوافقهم، فكاتبوا السلطان بأمرهم معه، فكتب السلطان إلى نائب حلب بإخراجه من البلاد فسار مهنا إلى أبي سعيد بالعراق، فأكرمه وأجله عند قدومه، فتعمد وزيره مع المجد السلامي عليه حتى فارق بلادهم رعاية لخاطر السلطان، وكتبا بذلك إلى السلطان، فسره ذلك ولما عاد مهنا من العراق تلقاه ابنه موسى فوجد أنه قد أزمع أمره على القدوم على السلطان، فلم يشعر الأمير تنكز نائب الشام إلا ومهنا قد قدم عليه هو والملك الأفضل محمد صاحب حماة، فركب إلى لقائه وأنزله بالقصر الأبلق. وقدم البريدي إلى السلطان بخبر قدومه فكاد يطير فرحاً به. ثم أركبه الأمير تنكز والملك الأفضل خيل البريد، وسيرهما إلى السلطان. فحملت للأمير مهنا الإقامات، وجنبت له الخيول، وضربت له الخيم، وخرج أمير :اندار والمهمندار إلى لقائه، وركب الأمير بشتاك له إلى قبة النصر خارج القاهرة، وسار به إلى باب السر من القلعة، فإذا الأمير قوصون قد وقف به في انتظاره، فأخذ بيده حتى عبر إلى السلطان فرحب به السلطان وأكرمه، وعتبه على فراره منه، فاعتذر مهنا وذكر أن

قدومه بسبب رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأمره له بالقدوم. فسر السلطان بذلك وخلع عليه وعلى من معه مائة خلعة، ورد إليه أمرته، وزاد في إقطاعه. وأنزله السلطان بالميدان وأمر له بسماط جليل فسم له فيه، فلم يأكل منه شيئاً، واعتذر بأن عادته أكل لبن الجمال وقرص الملة لا غير. ثم طلع مهنا إلى السلطان في خامس يوم من قدومه، فأنعم عليه بقرية دومة من عمل دمشق، لتكون له ولأولاده من بعده واتفق موت أسندمر العمري فوجد له تسعة ألاف دينار مصرية، وطلع بها النشو فسلمها لحاجب منها إنعاماً على مهنا برسم زوادته. وكتب له القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله منشوراً بدومة، ثم سافر.

وفي ذي الحجة: ركب أيدكن والي القاهرة إلى النجيلة خارج القاهرة وهي يومئذ متنزه العامة، وبدايرها أخصاص للفرجة وكبسها وقت المغرب، فما قبض على أحد إلا وسلبة ثيابه وتركه عارياً، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً وجمع الباعة من الغد بثمنه، فبلغ خمسة عشر ألف درهم.

وفي هذه السنة: جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالاً كثيرة وعشرين فرساً، وخربت عدة دور.

وفيها استقر جمال الدين عبدالله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير في كتابة السر بدمشق، عوضاً عن شرف الدين أبي بكر بن محمد بن الشهاب محمود.

وفي يوم عرفة: استقر نجم الدين بن أبي الطيب في الوكالة بدمشق، واستقر عز الدين، بن منجا في نظر جامع بني أمية، واستقر في حسبة دمشق عماد الدين بن الشيراز وخلع عليهم جميعاً.

وفيها ورد الخبر من بغداد بان صاحبها ألزم النصارى ببغداد أن يلبسوا العمائم الزرق، واليهود أن يلبسوا العمائم الصفر اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة.

وفيها ولى تدريس الشافعي بالقرافة شمس الدين محمد بن القماح بعد وفاة المجد حرمي، واستقر عوضه في وكالة بيت المال النجم الأسعردي المحتسب، وفي تدريس المدرسة القطبية بهاء الدين بن عقيل.

وفيه استقر علاء الدين مغلطاي في تدريس الحديث بالمدرسة الظاهرية، بعد موت فتح الدين محمد بن سيد الناس، بعناية قاضي القضاة جلال الدين محمد بن القزويني فاستعظم الناس ذلك، وقالوا: "ويه ويه تولى درس الحديث مغلطية."

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى ستة عشر ذراعاً.

ومات فيها من الأعيان

الأمير ألماس الحاجب الناصري، كان جاشنكيرا، وتنقل حتى صار حاجب الحجاب في محل النائب، لشغور منصب النيابة بعد الأمير أرغون، وكان أكابر الأمراء يركبون معه في خدمته، ويجلس في باب القلة، ويقف الحجاب بين يديه، فلما قبض عليه وحبس، قطع عنه الطعام ثلاثة أيام، ثم خنق في ليلة الثاني عشر من صفر، حمل من الغد حتى دفن بجامعه، وكان أغتم لا يعرف بالعربية شيئاً.

وتوفي وكيل بيت المال ومدرس الشافعي مجد الدين حرمي بن هاشم بن يوسف العامري الفاقوسي الفقيه الشافعي عن محو سبعين سنة، في يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة، ولي وكالة بيت المال ونيابة الحكم، وبرع في الفقه والأصول، ودرس بالشافعي.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر عثمان الأذرعي المعروف بالزرعي في سادس صفر بالقاهرة، عن مرض السكتة، وهو يومئذ قاضي العسكر، مولده بأذرعات سنة خمس وأربعين وستمائة. ومات الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل، في خامس عشرى ربيع الأول، فرسم بعده بالإمرة لسيف بن فضل.

ومات الملك الظاهر أسد الدين عبدالله بن المنصور نجم الدين أيوب بن المظفر يوسف ابن عمر بن علي بن رسول متملك اليمن، بعدما قبض عليه الملك المجاهد بقلعة دملوه، وصار يركب في خدمته، ثم سجنه مدة شهرين، ثم خنقه بقلعة تعز.

وتوفي قاضي الحنفية بحماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أحمد بن يحيى المعروف بابن العديم، عن خمسة وأربعين سنة.

ومات الأمير طغاي تمر العمري زوج ابنة السلطان، ليلة الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير صوصون أخو الأمير قوصون أحد الألوف، في ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى.

وتوفي الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري الأشبيلي العلامة المتقن المصنف الأديب البارع، في يوم السبت الحادي عشر من شعبان.

ومات الأمير قرطاي الأشرفي نائب طرابلس، وقد جاوز ستين سنة، بها في ثامن عشرى صفر.

ومات أمير طبر جمال الذين يوسف بن علم الدين، في ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، وكان من أمراء العشراوات.

ومات الأمير بدر الدين بيليك أبو غدة وكان أحد أستادارية السلطان، ومن أمراء الطبلخاناه، في ليلة الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير يوسف الدين خاص ترك الناصري أحمد مقدمي الألوف، في عاشر وجب بدمشق.

ومات الأمير عز الدين أيدمر دقماق العلائي نقيب الجيش، وكان أحد المماليك الأشرفية، ليلة الأحد سادس رجب، واستقر عوضه في نقابة الجيش الأمير صار وجانقيب المماليك، واستقر المماليك عوضاً عن صاروجا محمد بن لاجين المحمدي.

ومات الأمير قجماس الجوكندار المعروف بشاش نائب حمص أحد أمراء البرجية.

ومات الأمير بلبان طرنا أمير جاندار وكان نائب صفد، في حادي عشرين الأول، وهو من أمراء الألوف بدمشق. ومات القاضي صدر الدين سليمان بن إبراهيم ابن سليمان بن دواد بن عتيق بن عبد الجبار المالك قاضي الشرقية والغربية، في حادي عشرى شعبان، وبعثه السلطان رسولاً إلى بغداد.

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

في يوم الأحد رابع المحرم: قبض على الطواشي شجاع الدين عنبر السحرتي مقدم المماليك، بسعاية النشو، وأنعم بطبلخاناته علي الطواشي سنبل قلي واستقر نائب المقدم. وخلع على الأمير آقبغا عبد الواحد باستقراره في تقدمة المماليك، مضافاً إلى الأستادارية. فعرض آقبغا الطباق، وأخرج من كان من الأتباع الأويراتية في خدمة المماليك، وضرب جماعة من المماليك السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم من إخراج أتباعهم، ونفوا إلى صفد.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرى جمادى الأولى: عزل أيدكين والي القاهرة، لتغير الأمير قوصون عليه، وأخرج إلى الشام منفياً.

وفيه طلب بلبان الحسامي البريدي أحد مماليك طرنطاي النائب إلى حضرة السلطان، فلم يجد فرساً يركبه، فركب حماراً إلى القلعة، فخلع عليه واستقر والي القاهرة عوضاً عن أيدكن، وأخرج له فرس.

و فيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، فركب على البريد الأمير بيبرس السلاح دار إلى الإسكندرية، وقدم بهم في يوم الإثنين ثاني عشرين رجب: وهم الأمير بيبرس الحاجب، وله في السجن من سنة خمس وعشرين، والأمير طغلق التتري أحد الأمراء الأشرفية، وله في السجن ثلاث وعشرون سنة، من سنة اثنتي عشرة، فمات بعد أسبوع من قدومه، والأمير غانم بن أطلس خان، وله في السجن من سنة عشر، مدة خمس وعشرون سنة، والأمير برلغي الصغير، وله في السجن من سنة اثنتى عشره، والأمير بلاط الجوكندار، والأمير أيدمر اليونسي أحد الأمراء البرجية المظفرية، والأمير لاجين العمري والأمير طشتمر أخو بتخاص، والأمير بيبرس العلمي من أكابر الأمراء البرجية، وقطلوبك الأوجاقي والشيخ علي مملوك الأمير سلار، والأمير تمر الساقي نائب طرابلس، أحد المنصوريه، وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة، فكانت مدة سجنه إحدى وعشرين سنة. فأنعم على تمر الساقي بطبلخاناه في الشام، وأنعم على بيبرس الحاجب بأمرة في حلب، عوضاً عن أقسنقر شاد العمائر، فسافر في سابع شعبان وكان قد رسم بالقبض على آقسنقر، فقبض عليه وسجن بقلعة حلب، وأحيط بموجوده ورسم للأمير غانم أن يقيم بالقاهرة.

وفي هذه السنة: قدمت رسل أزبك بكتابه يعتب فيه بسبب طلاق خاتون طولبية بنت تقطاي أخي أزبك، التي قدمت من جهته، وتزويجها من بعض المماليك، وطلب أزبك عودها إليه فأجيب بأنها قد ماتت، وسير إليه بهدية. وكانت قد مات زوجها الأمير صوصون، فزوجها السلطان للأمير عمر بن أرغون النائب، في يوم الإثنين تاسع عشر المحرم، ودخل عليها ليلة الجمعة حادي عشرى صفر .وقد كانت تحت السلطان ثم طلقها، فتزوجها الأمير منكلي بغا، ثم الأمير صوصون، ثم تزوجت بعمر هذا.

وفي ثاني عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جركتمر رأس نوبة الجمدارية بنيابة غزة، عوضاً عن الأمير طينال، وسافر في عشريه.

وفيه نقل طينال لنيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير آقوش نائب الكرك، وهي ولايته الثانية.

وفي سادس عشره: توجه الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته، بعدما خلع عليه، وكان قد قدم صحبة مهنا، وتأخر بسبب الصيد مع السلطان.

وفي يوم الخميس رابع ربيع الأول: أنعم السلطان على ولده أبي بكر بإمرة، فركب بالشربوش من إصطبل الأمير قوصون، وسار في الرملية إلى باب القرافة، وطلع إلى القلعة من الباب المعروف بباب القرافة، والأمراء والخاصكية بخدمته، وعمل الأمير قوصون يومئذ لهم مهما عظيماً في إصطبله.

وفي يوم الخميس نصف جمادى الآخره: قبض على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك، وهو يومئذ نائب طرابلس وسجن بقلعة صرخد، ثم نقل في مستهل شوال إلى الإسكندرية فسجن بها، ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة، وأخذ موجوده كله وموجود حريمه، وعاقب أستادراه.

واستقر عوضه في نيابة طرابلس الأمير طينال على عادته، ونقل بكتمر العلائي إلى نيابة حمص، عوضاً عن بشاش المتوفي.
وسبب ذلك أنه تراءى بطرابلس مركب للفرنج في البحر، فركب العسكر إلى الميناء، فدفعت الريح المركب عن الميناء ثم أخذ الأمير آقوش في تجديد عمارة مركب هناك، وأنفق فيه من ماله أربعين ألف درهم، فقدمت مركب الفرنج، فركب العسكر في المركب المستجد، وقاتلوا الفرنج، فقتلوا منهم جماعة وغنموا مركبهم بما فيها. فادعى صاحبها أنه تاجر قدم بتجارته .فنهبت أمواله وقتلت رجاله، وذكر عنه بعض التجار أنه متحرم لا تاجر، وأنه قدم في السنة الماضية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها مركباً. فكتب آقوش بذلك إلى السلطان، فأجيب بالشكر وحمل الفرنجي إلى السلطان، فحمله آقوش مقيداً على البريد. فأكثر الفرنجي من التظلم، وتبرأ من التحرم في البحر، وأنه قدم بتجارة وهدية للسلطان، فظلمه نائب طرابلس وأخذ ما كان معه من التحف وغيرها، فصدقه السلطان، وكتب بإعادة مركبه إليه وجميع ما أخد له، فأجاب النائب بأن المذكور حرامي يقطع الطريق على المسلمين، فلا يسمع السلطان قوله، وكتب إليه بالتأكيد في رد المركب عليه، فردها النائب عليه، وشق ذلك عليه. ثم طلب آقوش الإعفاء من نيابة طرابلس فأجيب بتخييره بين نيابة صرخد وبعلبك، وبعث السلطان إليه الأمير برسبغا الحاجب، فسار به إلى دمشق، فقبض عليه تنكز بدار السعادة، وحمله إلى صرخد.

وفي صفر :هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل، وهدم المطبخ أيضاً. وجدد السلطان عمارة الجامع، وصار يقف بنفسه كل يوم، وندب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد. فحمل إليه العمد العظيمة من الأشمونين ووسع موضعه، فأدخل فيه قطعة من حارة مختص والطشتخاناه، ورخمه جميعه، وظل العمل جارياً في هذا الجامع حتى كمل في أخر شعبان على أكمل هندام وأبدع ترتيب. ووقف عليه السلطان حوانيت القلعة وغيرها، ورتب فيه القراء والمؤذنين والقومة، وانتخبهم بنفسه بعدما عرض طوائفهم، فصلى فيه أول شهر رمضان.
وفيه جدد السلطان عمارة المطبخ بالحجر، وزاد في سعته.
وفيها خرج البريد بطلب بدر الدين محمد بن التركماني من طرابلس، ليباشر مع النشو، فأفرج عنه يوم السبت رابع عشر رجب، وكان له سنة وتسعة أيام موسم عليه بالقلعة، وهو يحمل المال.
وسبب ذلك أن الأمير تنكز نائب الشام لما قدم على عادته في عاشر رجب، وعرفه السلطان همة النشو ولؤلؤ في تحصيل الأموال التي كانت مهملة ضائعة ورطل بها، ذكر له تنكز نائب الشام ما تجدد من المظالم، وحسن له طلب ابن التركماني لضبط ما عساه يخفي عن السلطان من الأموال التي تؤخذ، ووضع من لؤلؤ بأنه مملوك ضامن وكان الأكز ولؤلؤ تسلما الولاة والمباشرين والكتاب وأولاد التاج إسحاق وابن هلال الدولة وأقاربه كما تقدم، وأخرقا بهم: فحمل قشتمر والي الغربية ثمانين ألف درهم، وأفرج عنه بعناية سنجر الخازن، فإنه صهره، وضرب قنغلي والي البهنسا عدة مرار حتى حمل خمسة وسبعين ألف درهم، وضرب فخر الدين أياس الدويداري بالمقارع، فحمل ثلاثمائة ألف درهم، وهلك تحت العقوبة أيضاً شاد سوق الغنم، بعدما أخد منه نحو مائتي ألف درهم، وأخذ من خالد المقدم مبلغ ثلاثمائة وثلانين ألف درهم، بعدما ضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً، ثم أفرج عنه على أن يحمل كل يوم عشرة ألاف درهم، فحمل في مدة شهر مائة ألف درهم، وأخذ من بكتوت الصائغ مائة ألف درهم، ومن عبد الرزاق وولده نحو مائة ألف درهم، وأخذ من ألزام ابن هلال الدولة نحو مائة

وخمسين ألف درهم. وحمل ابن خلال الدولة ثلاثمائة ألف وعشرة آلاف درهم من غير أن يضرب، واتهمه النشو بأنه أخذ من الأهراء أربعة آلاف أردب فولا، وأخذ من مخلف الأمير ألماس الحاجب حياصة، فظهرت براءته من ذلك. وشق على النشو سلامته من الضرب، وبذل جهده في ضربه، والله يدفع عنه بما كان فيه من كثرة الصدقة. فرماه النشو بعد ذلك بأنه كان يتحدث مع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بأنه يتسلطن، ويجتمع معه على ذلك، ومعه منجم قدم به من دمشق، واستخدمه في بيت السلطان، فطلب المنجم وقتل في السجن، ومنع متولي القاعة جميع الذين يجلسون بالطرقات ويضربون بالرمل من التكسب بذلك. ورسم بضرب ابن هلال الدولة حتى يقر على نائب الكرك بما قيل عنه، فرفق به الأكز وضربه مقرعه واحدة، ثم ضربه بالعصا قليلاً وهو يحلف بالطلاق الثلاث أنه ليس عنده علم بما رمي به.

ثم إن النشو تنكر على مستوفي الدولة أمين الدين قرموط، وعلى رفيقه ابن أبي الزين، من أجل أن قرموط أكثر من الاجتماع بالسلطان، فخاف عاقبته. وأغرى النشو به السلطان وقرر في دهنه أنه جمع كثيراً من مال السلطان لنفسه، وأن خالداً المقدم يحاققه ورفيقه على أنه أخذ مائة ألف دينار. فقبض عليهما في رابع ربيع الأول، وقبض معهما على الشمس ابن قزوينة، والعلم المستوفي والنشو كاتب الرواتب، والبرهان ابن البرلسي ورفيقه ابني الأقفاصي ناظر الدولة. وقام خالد المقدم بمحاققتهم، والتزم أنه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار، فعوقب وضرب بالمقارع .فقال خالد للأكز ولؤلؤ: "هذا جلد ما يقر، اضربوا ولده قدامه حتى يزن المال، فإنه ما يهون به ضرب ولده. فلما ضرب قرموط أمر الأكز بإحضار ولده وضربه، فضرب وهو يتحسر عليه جزاء بما تقدم منه. فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين في حلقومه ليهلك، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه، فأسرف الأكز في عقوبته وعقوبة رفقائه، وضرب القصب في أظفار ابن أبي الزين. ثم خرج النشو إلى الإسكندرية.

فقدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الأربعاء حادي عشر رجب، وهو مقدمه العاشر، فقام في خلاص ابن هلال الدولة، وساعده الأمير قوصون حتى أفرج عنه. ثم قدم النشو من الإسكندرية، فشق عليه أن ابن هلال الدولة قد أفرج عنه، وأغرى به السلطان حتى أمر الوالي بإحضاره إلى القلعة، وخرج إليه الأكز وأخرق به، وبلغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحد شنقه، فنزل وأقام بالقرافة منجمعاً بها عن الناس. وأفرج عن أقاربه وألزمه وعن تجار الشرابشيين، بعدما كتب النشو عليهم إشهادات بأنهم لا حق لهم في جهة بيت المال، وكان قد تجمع لهم عن ثمن تشاريف مبلغ بخمسمائة ألف درهم على الخزانة، فذهب عليهم وصودروا مع ذلك واحتج عليهم النشو بأنهم ربحوا على السلطان فيما تقدم أموالاً جمة، وضرب منهم جماعة بالمقارع، واستأصل أموال كثير منهم.

وفيه كتب إلى نائب الشام بعد سفره في يوم السبت حادي عشر رجب بحمل علاء الدين علي بن حسن المرواني والي بر دمشق، لستقر في كشف الشرقية بتعيين الأمير مسعود بن خطير. فقدم المرواني وخلع عليه بكشف الوجه البحري، فكبس البلاد، وجمع ستين رجلاً من المفسدين، ووسطهم بمدينة بلبيس .وعلقهم على الخشب وأحدث عقوبات مشنعة: منها أنه كان ينعل الرجل في قدميه كما ينعل الفرس، ويمشيه حتى يشهره، ومنها أنه كان يعلق الرجل في خطاف من حديد يحتكه حتى يموت فأرهب الناس بالشرقية والغربية والبحيرة والمنوفية

وأشوم بكثرة أثاره المهولة فيها.

وفيها صرف شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق، وكتب نائب الشام يطلب غيره، فعين السلطان لكتابة السر بدمشق جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير، من جملة الموقعين بعد عرضهم، وخلع عليه ووصاه وصايا كثيرة.

وفي خامس رمضان: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركماني فلم يقبل عليه السلطان، وذلك بسعاية النشو عليه أنه جمع من المباشرات أموالاً جمة، وأن متاجره الآن بطرابلس تنيف على مائة ألف دينار، وأن عنده من الكتاب من يحقق في جهته مبلغ مائتي ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان، فترل ابن التركماني ولزم بيته. وفي تاسع عشر شوال. خلع علي بالشريف عطيفة بن أبي نمي الحسني وكان قد قدم وشكا من أخيه رميثة أمير مكة، فأشرف بينهما في الإمرة.

وفيها اشتدت العقوبة على أولاد التاج إسحاق، وعلى قرموط ورفيقه، حتى أظهروا مالاً كثيراً . وأنعم على لؤلؤ بإمرة طبلخاناه، وكثرت الخلع عليه من السلطان، وعظم البلاء به.

وفيها أقام النشو رجلاً لمرافعة الأمير شهاب الدين أحمد بن المحسني والي دمياط، بأنه أخرب أساساً قديماً في البحر بين البرجين، كانت عليه طلسمات تمنع بحر الملح عن النيل، حتى تلفت طلسمات وغلب البحر على النيل، فتلفت البساتين، وأنه نال من ثمن حجارة هذا الأساس مالاً كثيراً. فأحضر وتسلمه لؤلؤ، فضرب بالمقارع واستخرج منه جملة مال.

وفيها قبض النشو على زوجة موسى بن التاج إسحاق، وعوقبت وهي حامل عقوبة شديدة على إحضار المال، حتى طرحت ما في بطنها ولداً ذكراً، وقبض أيضاً على أولاد ابن الجيعان كتاب الإسطبل. وذلك أن النشو كانت له عجائز يتجسسن في بيوت الكبار، فبلغنه عن أولاد ابن الجيعان أن نساءه يذكرن كثرة ظلمه وعسفه، وأنهن يدعون عليه، وبلغنه أيضاً أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى في نظر الجيش، والآخر يسعى في نظر الخاص. فطلب النشو كاتب الإسطبل منهم، وألزمه بكتابة حساب الإسطبل، فامتنع عليه وخاشنة في القول. فسعى به النشو إلى السلطان حتى قال له مشافهة من شباك القصر: " لم لا تعمل حساب الإسطل، وتعطيه الناظر؟، يعني النشو، فقال: "يا خوند بدل ما تطلب حساب العبي والمقاود، اطلب حساب الذهب الذي يدخل في خزائنك "، وأغلظ في حق النشو حتى قال له: "ونعمة مولانا السلطان أظهر في جهتك مائتي ألف دينار"، فقامت قيامة النشو، وانفض المجلس على ذلك. فمازال النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم إلى لؤلؤ، فعاقبهم حتى هلكوا وأخذ موجودهم، فلم يكتف بذلك، فقبض على أقاربهم وألزامهم، وصودر جماعة بسببهم.

وفيه خلع علي علاء الدين علي بن حسن المرواني الكاشف، واستقر في ولاية القاهرة عوضاً عن بلبان المحسني. وتولى المرواني هدم قناطر السباع التي عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر وزيدت في سعتها عشرة أذرع، وأعيدت أحسن ما كانت، وركبت السباع التي كانت عليها من عهد الظاهر على حالها.

وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه ألطنبغا المارديني شغفاً زائداً وقاه، فأحب أن ينشئ له جامعاً تجاه ربع الأمير سيف الدين طغي خارج باب زويلة، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم. فانتدب السلطان لذلك النشو، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم: "الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء ومازال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما في

مكاتيبهم من الثمن، وكانوا قد أنفقوا في عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتد لهم منها بشيء. وقام الماريني في عمارة الجامع حتى تم في أحسن هندام، فجاء مصرفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره. وخطب به الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبري من غير أن يتناول له معلوماً. وفيها عمرت قلعة جعبر المعروفة قديماً بدوسر وكانت قد تلاشت بعد أخذ المغل لها، فلما كملت رتب في نيابتها الأمير صارم الدين بكتوت السنجري نائب الرحبة وفيها وقعت قصة بدار العدل تتضمن الوقيعة في النشو، وتذكر ظلمه وتسلط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم، وتعشق صهره ولي الدولة لشاب تركي. وكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميراً الذي شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النشو، وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة، فلم يقبل السلطان فيه قول قوصون أو غيره من الأمراء لمعرفته بكراهتهم له. فلما قرئت عليه القصة قال: "أنا أعرف من كتبها وأستدعي النشو ودفعها إليه، وأعاد له ما رماه به الأمير قوصون. فحلف النشو على براءة أقاربه من هذا الشاب، وإنما هذا ومثله مما ينقله حواشي الأمير قوصون إليه، ليبلغه قوصون إلى السلطان حتى يتغير خاطره، ويوقع به وبأقاربه، وبكى وانصرف. فطلب السلطان الأمير قوصون وأنكر عليه إصغاءه لما يقال في النشو، ونقله للسلطان حتى يتغير عليه مع منفعته به، وأخبره بحلف النشو. فحلف قوصون أن النشو يكذب في حلفه، ولئن قبض على هذا الشاب وعوقب ليصدقن السلطان في تعيينه من يعاشره من أقارب النشو.

فغضب السلطان، وطلب الأمير بدر الدين مسعود بن خطير الحاجب، وأمره بطلب الشاب وضربه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابة أسمائهم، وألزمه ألا يكتم عنه شيئاً منهم، فطلبه ابن خطير وأحضر إليه المعاصير، فأملى عليه عدة كثيرة من الأعيان، منهم ولي الدولة، فخشي مسعود على الناس من الفضيحة، وقال للسلطان: "هذا الكذاب ما ترك أحد في المدينة حتى أعترف عليه، وإنني أعتقد أنه يكذب عليهم. وكان السلطان حشم النفس يكره الفحش فقال" :يا بدر الدين من ذكر من الدوارين؟ فقال: "والله يا خوند! ما خلى من خوفه أحداً حتى ذكره. فرسم السلطان بإخراج عمير وأبيه إلى غزة وكتب إلى نائبهما أن يقطعهما خبزاً هناك.

واتفق أيضاً أن طيبغا القاسمي من المماليك الناصرية كان يسكن بجوار النشو، وله مملوك جميل الصورة، فاعتشر به ولي الدوله من إخوة النشو، فترصده أستاذه حتى هجم يوماً عليهم وهو معهم، فأخذ منهم وخرج فبلغوا النشو ذلك، فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طيبغا القاسمي يعشق مملوكه، ويتلف عليه ماله ثم إنه هجم وهو سكران على بيتي وحريمي وقد شهر سيفه، وبالغ في السب.

وكان السلطان يمقت على السكر، فأمر في الحال باخراج طيبغا ومملوكه إلى الشام منفياً.

وفيها قدم إبراهيم ابن السلطان من الكرك، يوم الإثنين ثالث ذي الحجة.

وفيها أمر السلطان بإنشاء قناطر بناحية شيبين القصر على بحر أبي المنجا، فأنشئت تسع قناطر في شعبان، وتقدم السلطان إلى الأمراء بحمل الحجارة إليها، فحمل كل من الأمراء ما وظف عليه من ذلك وفيها وقع بالمدينة النبوية وباء، فكان يموت في كل يوم خمسه عشر بمرض الخوانيق، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة.

وفيها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعاً وإحدى عشر أصبعاً، فعم نفعه عامة الأراضي، وكان الوفاء يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة، وهو سادس عشر مسرى.

ومات فيها من الأعيان

بهاء الدين أبو بكر بن محمد بن سليمان بن حمايل المعروف بابن غانم كاتب السر بطرابلس، في ثامن صفر بها.
وتوفي الواعظ شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير.بمصر يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، عن أربع وثمانين سنة، حدث عن الحافظ عبد العظيم وغيره .ومات الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة، وهو معزول، يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، عن نحو تسعين سنة، أصله من المماليك المنصورية قلاوون، وترقى حتى صار خازناً ثم شاد الدواوين ثم والي، ثم استقر والي القاهرة وشاد الجهات، فأقام عدة سنين، وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل، وكان حسن السيرة، ومات عن نحو تسعين سنة، وتربته بالقرب من قبة الشافعي بالقرافة.
ومات الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسري بسجنه في الإسكندرية في جمادى الأولى بعد ما أقام به أربع عشرة سنة.
وتوفي الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم الحنفي، وله تاريخ مصر مقفى وشرح البخاري وشرح السيرة النبوية للحافظ عبد الغني ومشيخة في عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ.
وتوفي زين الدين عبد الكافي بن الضياء علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي بالمحلة الكبرى وهو على قضائها، وهو والد التقي السبكي.
ومات الملك العزيز عثمان بن المغيث عمر ابن العادل أبي بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي بالقاهرة ومولده سنة اثنين وخمسين وستمائة.
ومات الأمير طغلق الأشرفي السلاح دار، بالقاهرة، بعد الإفراج عنه بأسبوع.
ومات الصاحب شمس الدين عبد الله واسمه غبريال أبي سعيد بن أبي السرور الأسلمي ناظر الشام، بعدما صودر اتضع حاله حتى استجدى من الأمراء ونحوهم،و كان النشو يغري به السلطان بأنه يكذب، وأن تسلمه أظهر له مالاً كبيراً، فاشتملت تركته على ألف درهم، وبسببها استطال النشو على السلطان، وصار قوله عنده لا ينقض.
وتوفي المسند أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الخلاطي الوان المؤذن بالجامع الآموي في حادي عشرى ربيع الأول بدمشق، سمع بمصر والشام والحجاز، وحدث عن جماعة.
ومات محمد بن بكتوت الظاهري القلندري بطرابلس في خامس عشر ربيع الأول، كان كاتباً مجوداً ويذكر أنه كتب على ابن الوحيد، وكان يضع المحبرة في يده اليسرى والمجلد من كتاب الكشاف للزمخشري على زنده، ويكتب منه ما شاء الله وهو يغني ولا يغلط، وكان عند المؤيد بحماة مده، ثم طرده.
وتوفي شيخ الكتابة بهاء الدين محمود بن الخطيب محيي الدين محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمي المعروف بابن خطيب بعلبك الدمشقي بها في سلخ ربيع الأول، عن سبع وأربعين سنة.
ومات الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا، في يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة بسلمية ودفن بها، عن ثمانين سنة، وترك ستة عشر ولداً وكان عفيفاً مشكور السيرة.
وتوفيت ناصرية إبنة إبراهيم بن الحسين السبكي والدة التقي بعد زوجها زين الدين عبد الكافي السبكي بأربعين

يوماً، حدثت عن علي بن الصواف، ودفنت بالقرافة.
وتوفيت زينب بنت الخطيب يحيى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، عن سبع وثمانين سنة، وقد تفردت بالرواية عن جماعة و قتل ترمشين بن دوار المغل صاحب بلخ وبخارا وسمرقند ومرو وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وأبطل المكوس وعدل في رعيته، وملك بعده بزان.

سنة ست وثلاثين وسبعمائة

في المحرم: قدم مملوك المجد السلامي من العراق بكتاب أستاذه وصحبته بيرم رسول بوسعيد، فترلا بدار الضيافة، وسافرا يوم الخميس خامس عشريه. وكان الكتاب يتضمن أن بوسعيد مرض، فتصدق بمال كثير، وكتب بإسقاط المكوس من توريز وبغداد والموصل، بواسطة الوزير محمد بن الرشيد، وأن سديد الدولة ديان اليهود مر بقارئ يقرأ قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً" فوقف واستعاده قراءهًا، وبكى بكاء شديدا، وقد اجتمع عليه الناس، ثم أعلن بكلمة الإسلام، فارتجت بغداد لإسلامه، وغلقت أسواقها، وخرج النساء والأولاد، فأسلم بإسلامه ستة من أعيان اليهود، وسارعت العامة ببغداد إلى كنائس اليهود، فخربوها ونهبوا ما فيها.
وفيها تم بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامعه من داخل باب القرافة، وتمت عمارة حمامها أيضاً. فقرر قوصون في مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني في يوم الخميس ثاني صفر، وعمل بها سماط جليل.
وفي يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر: توجه السلطان إلى الوجه القبلي حتى وصل إلى دندرا، وعاد فطلع القلعة في يوم الخميس خامس جمادى الأولى، وكانت غيبته خمسة وأربعين يوماً.
وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية، واستقر عوضه سيف الدين طاجار المارديني، ثم أخرج بغا عن إمرة عشرة بصفد، في ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر. وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثياباً بضعفي قيمتها كما هي عادته، فرفع قصة للسلطان على يد بغا، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله .فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر، وقال له: "كم تشكو الناس منك اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان. فقال: "يا خوندا هذا ما يشتكي من أمر القماش، لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار، وقد هرب مني وأنا أتطلبه. وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر - وهي من جواري الشهيد الملك الأشرف خليل - ماتت عنده، وخلفت نحو مائة ألف دينار وما بين جواهر وغيرها، فأخذ الجميع و لم يظهر السلطان على شيء. ثم التفت النشو إلى التاجر وقال له: "بحياة رأس السلطان ما كنت متزوجاً بفلانة؟" - يعني الجارية المذكورة - فقال: "نعم!." فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال، فأخذه ابن صابر وشهره بالقاهرة، وعاقبه بالقيسارية مراراً حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم. ثم تحول النشو على بغا وسعى به أنه يأخذ البراطيل، وكان السلطان لا يرتشي ويمقت من يرتشي ويعاقبه أشد العقوبة، فأثر كلامه عند السلطان حتى أخرجه. وسعى النشو أيضاً بطقتمر الخازن حتى

غير السلطان عليه، وأخرجه إلى قلعة حلب نائباً بها في تاسع عشرى رجب. وفي يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة: رسم للأمير سيف الدين أيتمش المحمدي بنيابة صفد، عوضاً عن أرقطاي المرسوم بنقله إلى مصر، فخلع عليه يوم السبت حادي عشره، وودع السلطان يوم الإثنين ثاني عشر رجب. وخرج أيتمش إلى الريدانية، ثم رحل منها يوم الخميس خامس عشره، فقدم صفد يوم السبت ثامن شعبان. وقدم الأمير أرقطاي إلى قلعة الجبل يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته، وأكرمه السلطان.

وفيه أخرج بلبان الحسامي والي القاهرة كان - إلى ولاية دمياط ثامن عشره، واستقر عوضه في ولاية القاهرة علاء الدين بن حسن المرواني وهو والي الولاة بالوجه البحري يومئذ.

وفي ليلة ثالث عشر رجب: قبض على ابن هلال الدولة، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسن وأخرجا إلى الإسكندرية بسعاية النشو عليهما.

وسببه أن الناس توقفت أحوالهم في القاهرة من جهة الفلوس، وتحسنت أسعار الغلال، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة. فوجد النشو سبيلاً إلى القول، ورمي ابن هلال الدولة بأنه تحول من القرافة إلى جوار ناصر الدين بن المحسني بخط البندقانيين من القاهرة، وأنهما يجتمعان ليلاً ويندبان عدة من العامة لإغلاق دكاكين القاهرة والتعنت في أمر الفلوس، وأن ناصر الدين بن المحسني قد باطن جماعة من الحرامية على الفتك بي وأن إقامة الإثنين بالقاهرة توجب فساداً كبيراً. ومازال النشو بالسلطان حتى إخرجهما بعدما قبض عليهما، وكان ابن هلال الدولة من ثالث عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين في الترسيم بالقلعة، ثم أخرج بدر الدين والد ابن المحسني وإخوته إلى طرابلس.

وفي يوم الثلاثاء ثالث رمضان: دخل الأمير الشريف بدر الدين ودي بن جماز ابن شيحة الحسني أمير المدينة النبوية، شاكياً من ابن أخيه طفيل بن منصور بن جماز أنه لم يوافق على ما رسم به من شركتهما في الإمرة.

وكان قد رسم في سادس عشر المحرم لودي بنصف الإمرة شركة بينه وبين ابن أخيه طفيل، وخلع عليه وكتب له توقيع بواسطة الأمير شرف الدين موسى بن مهنا عند قدومه، فقدم طفيل من المدينة في جمادى الأولى ليكون بمفرده في الإمرة، فلم يجب إلى ذلك. ثم آل الأمر إلى أن استقر ودي بمفرده في الإمرة بغير شريك، وخلع عليه في عاشر شوال، وتوجه مع الركب، ورسم لطفيل بإقطاع في بلاد حوران بالشام، فسكنها بعياله.

وفي تاسع شهر رمضان: أنعم على إبراهيم ابن السلطان بإمره، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك به إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وعمل مهم عظيم. وألبس الأمير إبراهيم الشربوش على العادة، وشق القاهرة في موكب جليل، وقد زينت بالشموع والقناديل حتى صعد القلعة.

وفيها رافع التاج كاتب الأمير بكتوت التاج محيي الدين بن فضل الله كاتب السر وولده شهاب الدين أحمد بورقة قرأها السلطان، تتضمن أنهما عزلاه بغير علم السلطان. فطلبهما السلطان وأوقفهما عليهما، فعرفاه أن هذا كان يكتب الإنشاء بغزة، فكتب تواقيع بغيره بذلك بمقتضى قصة مشمولة بالخط الشريف، وأحضرا القصة، فأخرج الرجل، ووجد النشو طريقاً للوقوع في ابن فضل الله، فتسلط عليه بالكلام السيئ.

وفيها اشتدت وطأة النشو على الناس، وابتكر مظلمه لم يسبق إليها. وهي أنه ألزم الصاغة ودار أهل الضرب ألا يبتاع أحد منهم ذهباً، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب، ليصك بصكة السلطان ويضرب دنانير

هرجة، ثم تصرف بالدراهم، فجمع من ذلك مالاً كبيراً للديوان. ثم تتبع النشو الذهب المضروب في دار الضرب، فأخذ ما كان منه للتجار والعامه، وعوضهم عنه بضائع، وحمل ذلك كله للسلطان. وانحصر ذهب مصر بأجمعه في دار الضرب، فلم يجسر أحد على بيع شيء منه في الصاغة ولا غيرها. ثم إن السلطان استدعى منه بعشرة ألاف دينار، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره، فنزل النشو وألزم أمين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام، وطلب منه عشرة ألاف دينار قرضاً في ذمته، فدله على مبلغ أربعمائة ألف درهم لأيتام الدواداري تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال، فأخذها منه وعوضه عنها بضائع. ثم بعث النشو إلى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائي المالكي في تمكينه من مال أولاد الأمير أرغون النائب، وهو ستة ألاف دينار، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال: " السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام فرد عليه: بأن السلطان إنما يطلب المال الذي سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها، فإن الحساب يشهد علي بما سرقه من الخزانة،،وقام في فورة إلى السلطان، ومازال به حتى بعث إلى القاضي يلزمه يحمل المال الذي سرقه أخوه من الخزانة، ويقول له: أنت إيش كنت من مملوكي؟ فلم يجد قاضي القضاة بداً من تمكين النشو من أخذ المال.

وفيها أمر السلطان أيضاً بتشديد العقوبة على أولاد التاج إسحاق وألزامهم.

وفيها تحركت أسعار الغلال من نصف جمادى الآخرة، وارتفع القمح من خمسة عشر درهماً الأردب إلى عشرين درهماً، ثم إلى ثلاثين درهماً، فوقفت أحوال الناس. وارتفع القمح إلى أربعين درهماً، فأمسك الأمراء وغيرهم من البيع طلباً للفائدة، فخاف السلطان عاقبة ذلك، فطلب نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعردي المحتسب وقد بلغ الأردب خمسين درهماً وأنكر عليه، وأقام معه والي القاهرة علاء الدين علي بن حسن المرواني وكان ظالماً غشوماً. فضرب الوالي عدة من الطحانين والخبازين بالمقارع، فاشتد الأمر، وغلقت الحوانيت بالقاهرة ومصر، وتعذر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة.

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة. ونودي بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهماً الأردب، ومن باع بأكثر من ثلاثين نهب ماله، وتقدم السلطان إلى الأمراء بألا يخالفوا ذلك .فأمسك مباشرو الأمراء أيديهم عن البيع، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئاً، فاشتد الأمر. وباع السماسرة الأردب بستين وبسبعين خفية، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على أنها جراية لمخاديمهم، وما هي إلا مبيع بما ذكر.

فاهتم السلطان بالغلاء، وشق عليه ما بالناس من ذلك، وعلم أن أكثر الغلال إنما هي للأمراء، فطلب ضياء الدين يوسف أبي بكر بن محمد الشهير بالضياء ابن خطيب بيت الآبار الشامي ناظر المارستان وناظر الأوقاف، وقد اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته، وفوض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منهما، وأكد عليه في القيام بما ندبه إليه، وخلع عليه في ثالث جمادى الآخرة. ونزل الضياء ومعه الأكز شاد الدواوين إلى مصر، فكان يوماً مشهوداً .وأول ما بدأ به الضياء أن ختم شون الأمراء كلها، بعد أن كتب ما فيها من عدة الأرادب، وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمئونته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغل الجديد،ثم طلب الشماسرة والأمناء والكيالين، وأشهد عليهم ألا تفتح شونة إلا بإذنه.

وصار الضياء يركب في كل يوم إلى شونة، ويخرج ما فيها، فيبدأ بتكفية الطحانين، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهماً، فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك. ثم بلغ الضياء أن سمساري الأميرين قوصون وبشتاك باعا بأكثر من ذلك، فاستدعي الأمير الأكز إلى مصر فضربهما بالمقارع واشهرهما. ثم عرف الضياء السلطان بأمرهما، فاشتد غضبه، وطلب الأمير قوصون حضرة الأمراء، وصرخ عليه: "ويلك أنت تريد أن تخرب على مصر؟ وتخالف مرسومي؟ وسبه ولعنه، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه، وصار يقول: هاتوا أستاداره فسارع النقباء لإحضاره ومن شره غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول هاتوا أستاداره، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر. وارتجت القلعة بأسرها، وخاف الأمراء كلهم، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان. فلم يكن أسرع من حضور قطلو أستادار قوصون، فأمر السلطان الأكز بضربه بالمقارع، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب، خوفاً عليه من إفحاش الأكز في ضربه، فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب.

ثم بلغ الضياء أن الأمير طشتمر الساقي أخرج من شونته أربعمائة أردب، فأنكر على ديوانه، وحلف أنهم إن لم يعيدوا الأربعمائة أردب إلى الشونة، وإلا عرف السلطان ذلك، فلما بلغ الأمير طشتمر هذا رد الغلة إلى الشونة.

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواح ويحملوا ما بها من الغلال، بحيث لا يدعون غلة في مطمورة ولا مخزن، ولا أحد عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلانين درهماً ونودي بالقاهرة ومصر: من كان عنده غلة ولا يبيعها نهبت.

وكان قد بلغ السلطان أن الأجناد عندهم غلال، وهم يبيعونها بالويبة، فباع بعضهم بعد النداء، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئاً. فنم عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم السوقة الحرافيش عليه وتنهبه، ومنهم من يغمز عليه فيأتيه الوالي ويخرج غلته حتى تفرق على الطحانين. وأقيم في كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتب له، وعمل معدل كفاية البلد في كل يوم، وفرق القمح فيهم على قدر كفايتهم، فسكن ما كان بين الناس من العناء في طلب الخبز، ومن ضرب الطحانين والخبازين.

فلما كان في آخر شهر رجب: قدم من الشام أربع ألاف غرارة قمح. ثم قدم في أخر شعبان أحمال كثيرة من بلاد الصعيد، وتبعها الحمل في البر والبحر من الشرقية والغربية والبحيرة. وخاف أرباب الغلال على أنفسهم، فأخرجوها للبيع، حتى إذا أهل شهر رمضان قدمت التراويج في أوائل الحصاد. ووافق ذلك النداء على النيل بالزيادة، فعبرت المراكب فيه بالغلال إلى ساحل مصر، وزفت بالمغاني ،وكان الخبز يباع ستة أرطال بدرهم، فبيع من الغد ثمانية أرطال بدرهم. فلم ينسلخ لشهر رمضان حتى فرج الله عن عباده، ونزل السعر قليلاً قليلاً، بعدما ظن كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا، فسلم الله بمنه.

وفي يوم الأربعاء رابع عشر شوال: قدم رسل الملك موسى الذي ملك بعد أربا كاؤن ورسول علي بادشاه. فخلع عليهما وأنعم على جماعته بمال كثير.

فلما كان يوم الجمعة: ركبوا من القلعة بعد الصلاة، ومضوا فزاروا الإمام الشافعي والسيدة نفيسة، وعادوا إلى التربة المنصورية بين القصرين، فزاروا قبر السلطان الملك المنصور قلاوون، وعدوا المارستان وطلعوا إلى القلعة،

ودقت الكوسات عند نزولهم منها ثم عند عودهم إليها، وسافروا في تاسع عشريه. وملخص كتبهم الخبر بموت ملك الشرق القان بوسعيد ابن القان محمد خربندا بن أرغون أبغا ابن عدو الله هولاكو بن طلوخان ابن عدو الله جنكز خان، بالباب الحديد وهو متوجه إلى لقاء أزبك خان، وأنه قام من بعده أربا كاؤن بن صوصا بن سنجقان بن ملكتمر بن أريغبغا أخي هولاكو بمساعدة الوزير غياث الدين بن رشيد الدين. فلم يوافقه علي بادشاه حاكم بغداد في الباطن، واستمال أولاد سونتاي فلم يوافقوه، فجمع علي بادشاه المغل عليه، وكتب إلى السلطان الناصر يعده بأنه يسلم بغداد ويكون نائباً عنه بها، وسأله في إعانته بنجدة على أولاد سونتا تكون مقيمة على الفرات. ففرح السلطان بذلك وأجابه بالشكر، وبعث إليه خمسة قواقل وخمسة سيوف. فقوي عزم علي بادشاه، وركب إلى أولاد سونتاي ،فاجتمعوا على الشيخ حسن بن أقبغا أيلخان سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو المعروف بالشيخ حسن بك الكبير النوين - بالأردو، وعرفوه انتماء علي بادشاه لصاحب مصر ونصرته له. فكتب الشيخ حسن الكبير إلى السلطان يرغبه في نصرته على علي بادشاه، ويمت إليه بقرابته من أمه، فمطل بالجواب رجاء حضور خبر علي بادشاه. فقدم الخبر بأن علي بادشاه لما ركب لحرب أولاد سونتاي بلغه اجتماعهم والشيخ حسن مع عدة من الأمراء، وأن أربا كاؤن هرب لتفلل أصحابه عنه، وأشيع عنه أنه قتل. وقوي علي بادشاه بمن أنضم إليه من المغل، فسار أولاد سونتاي والشيخ حسن إلى جهة الروم، وانفرد علي بادشاه بالحكم في الأردو، وأقام موسى بن علي بن بيدو بن طرغاي بن هولاكو على تخت الملك.

وفي يوم الأربعاء سابع شوال: تغير السلطان على الأمير الأكز شاد الدواوين، وضربه وحبسه مقيداً. وسبب ذلك أن الأمير قوصون غضب على الأكز من أجل أنه أخرق بقطلو أستاداره، عندما با ع شماسرة القمح بأزيد من ثلاثين درهماً الأردب، فعندما رأه في الخدمة السلطانية سبه، فر د عليه الأكز رداً فاحشاً سبه فيه كما سبه، فاشتد حنق قوصون منه و هم أن يلكمه، فبدر إليه وهم في ذلك، وإذا بالسلطان قد جلس وسمع الجلبة، فتقدم إليه الأكز وعرف بما فعله سمسار قوصون وضربه له، وأن قوصون غضب علي بسبب ذلك، وشتمني .فكان من السلطان في حق قوصون ما تقدم ذكره، وصار يقول: "إذا كان مملوكي يفعل شيئاً بغير مرسومي ويعترض على أي حرمة تبقي لي؟ وحط على قوصون. فتأخر قوصون عن الخدمة آخر النهار، فاستدعاه السلطان بجمدار، فوجده محموماً، وأقام بالحمى ثلاثة أيام، فبعث إليه الأمير بشتاك وطيب خاطره، وهو يشكو مما جرى عليه، فما زال به حتى دخل إلى الخدمة، فأقبل السلطان عليه، ووعده بالإيقا ع بالأكز. ثم طلب السلطان النشو بعد ذلك، وحدثه في أمر الأكز وغض منه، فعين النشو له لؤلؤا عوض الأكز وقام عنه، وطلب لؤلؤا وعرفه ما دار بينه وبين السلطان وكان لؤلؤ خفيفاً أحمق، فوضع من الأكز ودخل من الغد إلى السلطان مع الأكز، وأخذ يجبهه بالكلام ويرافعه وينكيه، حتى حرج منه وسبه. فغضب السلطان بسبب ذلك، وأمر به فضرب بين يديه، وقيد وسجن بالزردخاناه، وخلع على لؤلؤ عوضه في شد الدواوين، وخلع على شمس الدين إبراهيم بن قزوينة، ورسم لهما أن يمتثلا ما يرسم به النشو، ولا يعملا شيئاً إلا بمشورته، ونزلا. فأول ما بدأ به لؤلؤ أن أوقع الحوطة على موجود الأكز، وقبض على مباشريه، وعاقب موسى ابن التاج اسحاق، ونو ع عذابه تقرباً لخاطر النشو، وعاقب قرموط وطالبه بحمل المال.

وفي ثاني عشر ذي القعدة: استقر علاء الدين كندغدي العمري في ولاية القلعة، عوضاً عن بيبرس الأوحدي.

وفيها سقط طائر حمام بالميدان، وعلى جناحه ورقة تضمنت الوقيعة في النشو وأقاربه، والقدح في السلطان بأنه قد أخرب دولته. فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً، وطلب النشو وأوقفه على الورقة، وتنمر عليه لكثرة ما يشكى منه فقال: "ياخوند الناس معذورون وحق رأسك لقد جاءني خبر هذه الورقة ليلة كتبت وهذه فعلة العلم أبي شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها في بيت الصفي كاتب الأمير قوصون، وقد اجتمع هو وأقاربه. وأخذ النشو يعرف السلطان بما كان من أمر سعيد الدولة في أيام بيبرس الجاشنكير، وأغراه به حتى طلبه، وسلمه إلى الوالي علاء الدين علي بن حسن المرواني فعاقبه عقوبة مؤلمة. وطلب السلطان الأمير قوصون وعنفه على فعل الصفي كاتبه، فطلبه قوصون وهدده، فحلف بكل يمين على براءته مما رمي به فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة، وقبض عليهم بسبب أبي شاكر، ونوع العذاب عليهم بيد الوالي وخرب دورهم وحرثها بالمحراث. وقبض النشو على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة، ثم أفرج عنه بعناية الأمير أقبغا عبد الواحد، وعذب ابن الأزرق ناظر الجهات.

واشتدث وطأة النشو على الناس جميعاً، وأوحش ما بينه وبين الأمراء كلهم، وثلب أعراضهم عند السلطان، حتى غيره عليهم.

ثم رتب النشو ضامن دار الفاكهه في أن وقف للسلطان، وسأل أن يسامح بما تأخر عليه، فإن دار الفاكهة أوقف حاله فيها، من أجل أن الأعناب الواصلة من ناحية مرصفا وغيرها عصرت خمرا بناحية شبرا، فتعطل ما كان يؤخذ منها للديوان. فطلب السلطان النشو ولؤلؤاً، وسألهما عن ذلك وعن ناحية شبرا، فقالا: "هي للأمير بشتاك، وديوانه إبراهيم جمال الكفاة هو الذي يعصر فيها". فرسم للوالي ولؤلؤ أن يكسرا جميع ما بشبرا من جرار الخمر، وإحضار من هي عنده، فطلب لؤلؤ أستادار بشتاك وأخرق به، فشق ذلك على، بشتاك وشكاه للسلطان، فلم يلتفت إلى شكواه، وقال: "أستادارك وديوانك يعصران الخمر ويتجوهان بك؟ ونحو هذا ومضى الوالي ولؤلؤ إلى شبرا، وكسرا فيها ألف جرة خمر، ووجدت جرار كثيرة عليها ختم المخلص أخي النشو، ووجد له أيضاً قند وستمائة جرة فيها خمر عتيق، وكان معهم أستادار الأمير بشتاك، فاشتد عليهم واستطال، فداريا الحال حتى بلغا السلطان ما أرضاه، وسكت عن ذلك.

ثم ندب النشو بكتوت من مماليك الخازن وهو يومئذ شاد شونة الأمير بشتاك لمرافعة إسماعيل أستادار بشتاك وإبراهيم جمال الكفاة ديوانه، فخلا بكتوت ببشتاك وعرفه أن المذكورين أخذا من الخصوص خمسة ألاف أردب، ومبلغ خمسين ألف درهم، وأخذا من الشونة مائة ألف درهم عندما رسم السلطان ببيع الأردب بثلاثين درهماً، فباعوه بستين وبسبعين درهماً، وذكر به أشياء من هذا النوع. فانفعل له بشتاك وبلغ السلطان ذلك، وأحضر بكتوت معه، فطلب السلطان جمال الكفاة وإسماعيل، وطلب النشو أيضاً وذكر له ما قال بكتوت، وأثنى عليه وشكره، فاشتد بأسه وأخذ يجبه مباشري بشتاك بما رماهم به. فثبت جمال الكفاة لمحاققته، وكان مقداماً طلق العبارة، وقال للسلطان: أنا المطلوب بكل ما يقوله هذا فبدأ النشو يذكر من أوراق المرافعة ما يتعلق بالخصوص، فأجاب بأن الذي تولى قبضها الأستادار ومماليكه مع مباشري الناحية، وهذه أوراقهم مشمولة بخطوط العدول، والمقبوض منها أزيد مما كان يقبض في أيام الأمير بكتمر الساقي بكذا وكذا. ثم ذكر جمال الكفاة حديث مبيع الشونة، فقال: منذ باشرت عند الأمير ما تزلت إلى الشونة، والذي أبيع منها كذا وكذا

أردب، بحضور شاهد ديوان الأمير، ومعه شاهداً إضافة وأربعة أمناء وسماسرة من جهة المحتسب. والسلطان يحضرهم ويكشف من دفاترهم عما قلته، فإن وجده بخلاف ما قلته كان في جهة وكان جزائي الشنق. فلما فلج جمال الكفاة بالحجة، قال بكتوت: ياخوند هذا يعصر أربعة آلاف جرة خمر في شبرا فنهره السلطان وقال له. إيش صح من كلامك حتى يصح هذا، وأمر به فأخرج، وعرف بشتاك بأن النشو قد ندبه لذلك، فأسرها في نفسه.

فالتفت النشو بعد ذلك إلى جهة الأمير أقبغا عبد الواحد، ونم عليه للسلطان بأن معامل ناحيتي أبيار والنحراوية قد انكسر عليه مال نحو ثمانين ألف درهم، من جهة أن الأمير أقبغا صار يأخذ من قزازي ناحية طوخ مزيد التي في إقطاعه عن التفاصيل التي تعمل بها ما كان يؤخذ عليها إذا حملت إلى أبيار والنحراوية، وأنه عمل ختما باعه بدل ختم السلطان يختم به التفاصيل المذكورة، وذكر له عنه أشياء تشبه هذا، وأحضر بالحسام العلائي شاد أبيار والنحراوية ليحاقق آقبغا. فأمر السلطان بإحضار آقبغا وأغلظ له، وأمر الشاد بمحاققته، فجبهه بما رماه به النشو واستطال عليه، فخاف آقبغا ولم يأت بعذر يقبل، فطرده السلطان عنه، وأخذ يضع منه والأمير بشتاك يسد خلله حتى كف عن القبض عليه. فشق ذلك على الخاصكية ووقعوا في النشو، وقد علموا أن ذلك من أفعاله.

وفيها قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير أيتمش نائب صفد، من أجل أنه ما يمتثل أمره، ويستبد بغير مراجعته فأجيب بمراعاته وإكرامه. فلم تطل مدة أيتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوماً ومات، فخلع على الأمير طشتمر الساقي واستقر في نيابة صفد، وزيد على إقطاع النيابة، وأنعم على ولديه بإمرتين.

وفيها خلع على الأمير طيبغا حاجي واستقر في نيابة غزة عوضاً عن جركتمر في سابع عشرى ذي الحجة، ونقل جركتمر إلى نيابة حمص.

وفيها أخرج الأكز على إمرة طبلخاناه بدمشق، في يوم الثلاثاء حادي عشرى ذي القعدة، فكانت مدة اعتقاله شهراً ونصف شهر.

وفيها عزل الجمال ابن الأثير من كتابة السر بدمشق إلى القاهرة، واستقر عوضه علم الدين محمد بن القطب.

وفي ثالث عشر ذي القعدة: نقل الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان من سكنه بمناظر الكبش إلى قلعة الجبل، وأنزل حيث كان أبوه الحاكم نازلاً، فسكن برج السباع دائماً بعياله، ورسم على الباب جاندار بالنوبة، وسكن ابن عمه إبراهيم في برج بجواره ومعه عياله، ورسم عليه جاندار الباب، ومنعا من الاجتماع بالناس.

وفي ثالث عشرى ذي القعدة: استقر عز الدين أيبك الحسامي البريدي أحد مقدمي الحلقة في ولاية قطيا، عوضاً عن الأمير علاء الدين ألطبرس الدمشقي الزمردي، واستقر ألطبرس من جملة أمراء العشرات.

وفي أول ذي الحجة: قدم الملك الأفضل صاحب حماة، وحصل من الاحتفال به أكثر من كل مرة.

وفي ثالثه: استقر الشيخ محمد القدسي في مشيخة خانكاه الأمير بشتاك، وعملت فيها وليمة عند فراغ بنائها.

وفي يوم عيد النحر: أقيم على مملكة العراق محمد يلقطلو بن تيمور بن عنبرجي ابن منكوتمر بن هولاكو، وقام بأمره الشيخ حسن بك الكبير، فحاربه الملك موسى في رابع عشره، فانهزم موسى بعدما قتل بينهما خلائق، وقتل علي بادشاه مدبر دولة موسى وكانت هذه الوقعة قريباً من توريز عند بلدة ناوشهر على جبل الأداغ.

وفيها استقر الأمير بكتاش في نقابة الجيش، بعد وفاة صاروجا.
وفيها انتهت زيادة الميل إلى ثمانية عشر ذراعاً.

ومات فيها من الأعيان

القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغلي ملك التتار، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والروم، في ربيع الآخر بأذربيجان، وقد أناف على الثلاثين، وكانت دولته عشرين سنة، كان جلوسه على التخت في أول جمادى الأولى سنة سبع عشر بمدينة السلطانية، وعمره إحدى عشرة سنة، وكان جميلاً كريماً، يكتب الخط المنسوب، ويجيد ضرب العود، وصنف مذاهب في النغم، وأبطل عدة مكوس، وأراق الخمور ومنع من شربها، وهدم كنائس بغداد وورث ذوي الأرحام، فإنه كان حنفياً، ولم تقم بعده للمغل قائمة.

ومات أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادي القرطبي العشاب، وزير أبي يحيى زكريا اللحياني متملك تونس بالإسكندرية في شهر ربيع الأول، وقد برع في النحو، وحدث.

وتوفي عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد القلانسي محتسب دمشق بها.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن برق، والي دمشق بها.

وتوفي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبدالله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني كاتب الدست بقلعة الجبل، ثم كاتب السر بحلب، في ذي القعدة، ومولده سنة إحدى وسبعين وستمائة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك مسجوناً بالإسكندرية، في يوم الأحد سابع جمادى الأولى.

ومات الأمير أيتمش المحمدي نائب صفد، في ليلة الجمعة سادس عشر ذي القعدة. ومات الأمير بلبان الحسامي والي دمياط الذي كان والي القاهرة، وهو أخو بدر الدين المحسني في نصف شهر رمضان، وهو في الاعتقال.

ومات الأمير علاء الدين الشيخ علي التتري مملوك سلار، في يوم الخميس خامس ربيع الآخر.

ومات نقيب الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن صاروجا، فجأة وهو في الصيد فحمل إلى القاهرة، ودفن يوم الثلاثاء.

ومات الأمير سيف الدين ألناق الناصري هو أحد مقدمي الألوف، في ثامن عشرى شوال.

وتوفي الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بلبان بن عبدالله البيسري شيخ زاوية أبي السعود، ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر، وكان يلي مشيخة زاوية أبي السعود، ثم عزل عنها، وهو أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي فلما قبض على بيسري أقام الشيخ سيف الدين بهذه الزاوية مدة خمس وخمسين سنة.

وتوفي علاء الدين بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن الجوجري ناظر الخزانة، في تاسع المحرم.

وتوفي أمين الدين عبد المحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن الصابوني بمصر، وقد بلغ ثمانين سنة، وانفرد برواية أشياء.

وتوفي شيخ الكتابة عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن بالقاهرة عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفي تقي الدين سليمان سليمان بن موسى بن بهرام السمهودي الفقيه الشافعي الفرضي العروضي الأديب عن ثمانين سنة بناحية سمهود.

ومات الأمير سنقر النوري نائب بهسنا، وترك اثنين وعشرين ذكراً وأنثى وستين سرية.

وتوفي الشيخ الصالح المعمر الرحلة شمس الدين محمد ابن المحدث محب الدين محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي البغدادي في سابع المحرم بدمشق، عن اثنتين وتسعين سنه.

ومات علم الدين قيصر العلائي في يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة، وقتل أربا كاؤن سلطان العراق وأذربيجان والروم،وكان القان بوسعيد لما مات أقام الوزير غياث الدين محمد أربا كاؤن هذا لأنه من ذرية جنكز خان، وقد قتل أبوه ونشأ في غمار الناس، فقتل أربا كاؤن بغداد خاتون، وجبي الأموال، وقصد أن يأخذ بلاد الشام، فهلك دون ذلك بعد شهيرات من جلوسه على التخت، وكان يتهم بأنه كافراً، وأقيم بعده موسى بن علي بن بيدو بن طوغاي بن هولاكو.

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

المحرم أوله السبت :

في سابعه :رسم بنيابة صفد للأمير طشتمر البدري أحد مقدمي الألوف، عوضاً عن أيتمش المحمدي وتوجه ومعه طاجار الدوادار في ثالث عشره.

وفي ثاني عشرة: قدم الخبر بالواقعة التي كانت قرب توريز على ما تقدم ذكره.

ثم قدم في سابع عشره: مضر بن خضر رسول الشيخ حسن بك الكبير ابن أمير حسين، وهو ابن أخت غازان، وهو القائم بأمر محمد بن يلقطون بن عنبرجي فخلع عليه، وسافر في ثالث صفر.

وفي سابع عشر المحرم: عقد عقد الأمير أبي بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طقزدمر أمير مجلس، بدار الأمير قوصون.

وفي يوم الخميس عشريه: وهو يوم النوروز كان وفاء النيل. وانتهت الزيادة في سابع عشر بابه إلى سبعة عشر ذراعاً وستة عشر إصبعاً.

وفي سادس عشرى المحرم: قدم الأمير سيف الدين طينال نائب طرابلس، وأخلع عليه عند وصوله، وسافر سلخ صفر، فكانت إقامته ثلاثة وثلاثين يوماً.

وفيها كتب بأخبار آل مهنا وآل فضل لعدة من أمراء الشام تنكز والأمير نائب الشام، وذلك من أجل أن العرب قطعوا الطريق على قافلة وأخذوا ما فيها، فلما ألزم آل مهنا بذلك اعتذروا بأن الذي فعل هذا عرب زبيد، وليسوا من عرب الطاعة. وفيها كانت واقعة الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان، في شهر المحرم، وذلك أنه نسبت إليه عظائم: منها أنه قال في ميعاده بجامع مصر إن السجود للصنم غير محرم، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرش شيخه على بعض الصحابة، وشهد عليه بها. واستؤذن السلطان عليه فمكن منه، فترامى على الأمير جنكلي بن البابا، والأمير الحاج آل ملك، والأمير أيدمر الخطير حتى حكم بتوبته، ومنع من الوعظ، هو والشيخ زكي الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري وجماعة من الوعاظ.

وفيه قدم ركب الحاج على العادة، وأخبروا بأن الشريف رميثة كان قد أقام ببطن مر، وأقام أخوه الشريف

عطيفة بمكة، فتسلط ولده مبارك على المجاورين، وأخذ مال التجار، فركب إليه رميثة وحاربه، فقتل بينهم جماعة، وفر رميثة، ودلك في ثامن عشرى رمضان من السنة الماضية.

وفيها قبض على الأمير بهادر البدري بدمشق، وضرب وسجن، لجرأته على الأمير قطلوبغا الفخري وعلى الأمير تنكز نائب الشام وإفحاشه لهما.

وفيها أجدبت زراعة الفول، فألزم النشو سماسرة الغلال ألا يباع الفول إلا للسلطان فقط، فتضرر أرباب الدواليب.

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب بالوجه القبلي وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتي ألف درهم وألف أردب غلة. فرافع ابن زعازع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو، فاقتضى رأيه فصادره ابن زعازع لكثرة ماله، وأوقع الحوطة على موجوده، وكتب إلى متولي البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة. فلف والي البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها في القطران، وأشعل فيها النار، ثم عراه ولوحه على النار، حتى أخذ منه ما قيمته ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ووجد له أربعمائة مرجية بفرو، ومائة وعشرين جارية، وستين عبداً، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمبلغ مائة درهم، واحتج النشو لمصادرته بأنه وجد كنزاً.

وفيها كتب بطلب الأمير سنجر الحمصي.

وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة حلب الأغنام حتى أبيع الرطل بدرهم وربع، وسبب ذلك أن النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها، فكتب إلى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام. ثم إن النشو أستجد للسواقي التي بالقلعة أبقاراً، وأحضر أبقارها التي قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التي ضعفت بالدواليب، وطرحها على التجار والباعة بقياسر القاهرة ومصر وأسواقها، حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصه منها شيء على قدر حاله، فبلغ كل رطل منها درهمين وثلثاً، ورميت تلك الأبقار على الطواحين والحمامات كل رأس بمائة درهم، ولا تكاد تبلغ عشرين درهماً، فبلي الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة.

واتفق أن النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج إسحاق، حتى رسم بضربه إلى أن يموت، فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيباً حتى سقط كالميت، ثم ضرب من الغد أشد من ذلك، وحمل على أنه قد مات، فسر النشو بذلك سروراً زائداً، وذهب ليرى موسى وهو ميت، فوجد به حركة. وفي أثناء طلب السلطان إحضار الأمير لؤلؤاً، فأخبره بأن موسى قد بدأ يئن وبعد ساعة يموت، فرسم ألا يضرب بعد ذلك، فشق هذا على النشو.

وفي سابع عشرى صفر: ابتدئ بهدم الطبقة الحسامية المجاورة لدار النيابة بالقاهرة، وكانت قد عمرت سنة ثمان وثمانين وستمائة وفي رابع عشر ربيع الأول: قدم حمزة رسول الملك محمد بن بلقطلو بن عنبرجي وصحبته عماد الدين السكري نائب علي بادشاه بالموصل، فأدوا رسالتهم وسافروا أول ربيع الآخر.

وفي ثامن عشر ربيع الأول. سافر الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته بحماة، وكان قد حضر في مستهل ذي الحجة من السنة الحالية.

وفي تاسع عشريه: وصلت رسل الملك موسى وسافروا في نصف ربيع الآخر.

وفي سلخ ربيع الأول: عزل بدر الدين بن التركماني عن الكشف بالوجه البحري .وفي ثالث ربيع الآخر: قدم رسول ملك الحبشة.

وفي خامس عشره: قدم الأمير سيف الدين أبو بكر البابيري وخلع عليه بولاية القاهرة عوضاً عن ابن التركماني.
وفي سادس عشره: استقر نكبيه البريدي في ولاية قطيا، عوضاً عن أيبك الحسامي بإمره عشرة.
وفي سلخ جمادى الأولى: قدم مراد قجا رسول أزبك ملك الترك، فأقام خمسة أشهر ونصف شهر، وسافر في رابع عشر ذي القعدة، ومن ثالث ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة لم يحضر من عند أزبك إلا هذا.
وفي سادس عشرى جمادى الآخرة: استقر بهاء الدين قراقوش الجيشي في ولاية البهنساوية، عوضاً عن علي بن حسن المرواني.
وفيها هدمت دار النيابة بالقلعة، وهي التي عمرت في الأيام المنصورية قلاوون، سنة سبع وثمانين وستمائة، وأزيل ألشباك الذي كان يجلس فيه طرنطاي النائب، وذلك في يوم الأحد ثامن ربيع الآخر.
وفيها أغرى النشو السلطان بالصفي كاتب الأمير قوصون، بأنه يظهر في جهته للديوان عما كان يحضر إليه من أصناف المتجر أيام مباشرته بديوان الأمير قجليس، وهو جملة كثيرة، وإن بعض الكتاب يحاققه على ذلك.
فطلب السلطان الأمير قوصون وأغلظ في مخاطبته، وقال: "كاتبك يأكل مالي وحقوقي وينجوه بك"، وذكر له ما قال عنه النشو، فتخلى عنه قوصون ولم يساعده. فأمر السلطان النشو ولؤلؤاً والمستوفين أن يمضوا إلى عند الأمير قوصون، ومعهم الرجل المحاقق للصفي ويطالعوا السلطان بما يظهر، فاجتمعوا لذلك، وقام المرافع للصفي فلم يظهر لما ادعاه صحة.
وفي يوم الثلاثاء ثاني رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام والسلطان بسرياقوس، فطلع وهو معه في يومه إلى القلعة، وهي القدمة الحادية عشرة، وسافر في ثاني عشريه.
وفي يوم عشريه: عزل شهاب الدين بن الأقفهسي وعلاء الدين البرلسي عن نظر الدولة، وولي شمس الدين بن قزوينه النظر بمفرده، وكان بطالاً، ورسم له ألا يتصرف في شيء إلا بعد مشاورة شرف الدين النشو ناظر الخاص.
وفي تاسع عشريه: استقر علاء الدين بن الكوراني في ولاية الأشمونين، عوضاً عن أبي بكر الردادي نقل إليها من ولاية أشموم الرمان.
وفيها عدم فرو السنجاب، فلم يقدر على شيء منه لعدم جلبه. فأمر النشو بأخذ ما على التجار من الفرجيات المفراة، فكبست حوانيت التجار والبيوت، حتى أخذ ما على الفرجيات من السنجاب. فبلغ النشو وقوع التجار فيه ودعاؤهم عليه، فسعى عند السلطان عليهم، ونسب جماعة منهم إلى الربا في المقارضات، وأنهم جمعوا من ذلك ومن الفوائد على الأمراء شيئاً كثيراً وأن عنده أصناف الخشب والحديد وغيره واستأذنه في بيعها عليهم. فأذن له السلطان، فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيراً من أرباب الآموال، ووزع عليهم من ألف دينار كل واحد إلى ثلاثة آلاف دينار، ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفاً من الأصناف، فبلغت الجملة خمسين ألف دينار، عاقب عليها غير واحد بالمقارع حتى أخذها.

وقام عدة من الأمراء الأكابر في حق جماعة من التجار فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولاً. وقامت ست حدق وأم آنوك ابن السلطان في رفع الخشب عن تاجر ألزمه النشو بألفي دينار، وعرفتاه بظلم النشو، وهو أن هذا

الخشب قيمته مبلغ ألفي درهم. فطلب السلطان النشو وأنكر عليه ذلك وتجهم له، فانصرف على غير رضى ثم ندب النشو رجلاً مضى إلى ذلك التاجر وسأله في قرض مبلغ مال، فأخذ التاجر في الشكوى مما به من إلزامه بألفي دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو، فقال له الرجل: "أرني الخشب فإني محتاج إليه"، فلما رأه أعجبه واشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر، فامتلأ التاجر فرحاً، وأشهد عليه بذلك. ومضى الرجل ليأتي بثمن الخشب، فدخل على النشو وأخبره الخبر، ودفع إليه نسخة المبايعة، فقام من فوره إلى السلطان وأعلمه أنه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة ألف درهم. فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو، فاغتر البائس وأخذ يقول: "ظلمني وأعطاني خشباً بألفي دينار يساوي ألفي درهم. فقال له السلطان: "وأين الخشب،؟ قال: بعته بالدين، فقال النشو: "قل الصحيح فإن هذه معاقدتك ببيعه فلم يجد بداً من الاعتراف. فحنق عليه السلطان، وقال "ويلك تقيم الغاثة وأنت تبيع بضاعتي بفائدة، ثم أمر النشو بضربه وأخذ الألفي دينار منه مع مثلها، وعظم النشو عند السلطان ثم عبر السلطان إلى نسائه وسبهن، وعرفهن ما جرى وقال: "مسكين النشو ما وجدت له أحداً يحبه كونه ينصحني ويحصل مالي.

وفيها ترافع يعقوب الأسلمي مستوفي الجهات والأمير بن المجاهدي والي دمياط فرسم بمصادرتهما، فعوقبا عقوبة شديدة، وغرما مالاً جزيلاً.

وفيها كثر ضبط علم الدين سنجر الجاولي لأوقاف المارستان، وتوقفه فيما يصرف منه للصدقات. فأنكر السلطان عليه ذلك، وقال له" :المارستان كله صدقة"، و لم يقبل له عذراً.

وفيها امتنع ابن الأقفهسي ناظر الدولة من الكتابة على توقيع الضياء المحتسب، وقد عمل معلومة على الجوالي فشق ذلك على السلطان، وأمر الأمير طاجار الدوادار أن يبطحه ويضربه، ويقول له: "كيف يعلم السلطان على شي ء وتأبى أن تكتب عليه!!، فضربه ضرباً مؤلماً. وكان السلطان لا يتغاضي في خرق حرمته، ويعاقب من فعل ذلك. وفيها شكا المماليك السلطانية من تأخر كسوتهم، فطلب النشو وألزمه بحمل كسوتهم من الغد، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار. فنزل النشو وألزم الطيبي ناظر المواريث بتحصيل خمسة ألاف دينار، وبعث المقدمين إلى الأسواق، ففتحوا حوانيت التجار، وأخذوا كسوة المماليك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك، وأخذوا مركباً لبعض الكارم فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها. وأحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعردي -وقد مات وترك زوجة وابنة ابن - وأخذت كلها.، وأخذت وديعة من تركته لأولاد أيتام تحت حجره، مبلغها نحو خمسين ألف درهم، وأنفقت في يومها على المماليك والخدام. وفتحت قيسارية جهاركس، وأخذ منها مقاطع الشرب برسم الكسوة.

فارتجت المدينة بأهلها، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا، فصارت مفتحة والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر إلا باك أو شاك أو صائح أو نائح، فكانا يومين شنعين. وعول أرباب الحوانيت على وقع ما فيها وخلوها، فعرف النشو السلطان ذلك، فنودي: "من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق ففتحوها. ثم أخرج النشو من الأهراء عشرة ألاف أردب قمحاً، وطرحها على أصحاب الطواحين والأبازرة، وقبض على ابن فخر السعداء ناظر قليوب، وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم.

وفي جمادى الأولى: استدعى الضياء ابن خطيب بيت الآبار محتسب مصر، وخلع عليه واستقر في حسبة القاهرة،

مضافاً لما بيده من نظر الأوقاف ونظر المارستان عوضاً عن نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردي. وكان الشهاب أحمد بن الحاج علي الطباخ قد سعى في حسبة القاهرة، وقام معه الأمير بشتاك والأمير قوصون والأمير أقبغا عبد الواحد، فلما ولي السلطان الضياء رسم أن يستقر ابن الطباخ في حسبة الدخان على الطباخين والحلاويين ونحوهم، وخلع عليه وجلس في دكة الحسبة، وعرض أرباب الدخان. وأنزل الضياء الحلاويين والفكاهين ألا يشعلوا سرجهم في الليل بالزيت الحار، وألزم حواس الحمامات بعمل فوط سابغة طويلة، ورتب القبانيين في جهات معينة، بجلس كل قباني في موضع من البلد.

وفيه قدم خليل بن الطرفي من أمراء التركمان بناحية أبلستين، وقدم سبعمائة إكديش وعدة تحف وسأل أن يستقر في نيابة الأبلستين بألف فارس وعشرة أمراء، فقبلت تقدمته وخلع عليه، وكتب منشوره بذلك.

وفيه قدم من جهة بدر الدين لؤلؤ الفندشي الحلبي شاد الدواوين ثلاثة ألاف رأس من الغنم الضأن، فمشت حال الدولة، وصارت سبباً للوقيعة بين لؤلؤ وبين النشو. وتحدث لؤلؤ مع الأمير بشتاك أنه إن أسلم إليه النشو وحاشيته قام بأربعمائة ألف دينار منهم، فقامت قيامة النشو ومازال بالسلطان حتى غيره عليه. واتفق مع ذلك وصول سنجر الحمصي من حلب باستدعاء، فأجلسه السلطان وعرض عليه شد الدواوين، فقبل الأرض وطلب الإعفاء منها، وكان أميناً ناهضاً، فلم يزل السلطان به حتى خلع عليه، واستقر عوضاً عن لؤلو في رابع جمادى الآخرة. فأول ما بدأ به سنجر أن قبض على لؤلو، وأوقع الحوطة على بيته وألزمه بالحمل، وأخذت حواصله وهو يورد شيئاً بعد شيء.

وفي يوم الأربعاء جمادى عشرى ربيع الأول: أفرج عن الخليفة من سجنه بالقلعة، فكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر وسبعة أيام. ثم أمر به فأخرج إلى قوص، ومعه أولاده وابن عمه، وكتب لوالي قوص أن يحتفظ بهم. وكان سبب ذلك أن السلطان لما نزل عن الملك في سنة ثمان وسبعمائة، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس وقلده المستكفي بالسلطنة، نقمها عليه السلطان الناصر وأسرها له ثم لما قام السلطان لاسترجاع ملكه، جدد المستكفي للمظفر الولاية، ونسبت في السلطان أقوال إليه حملت السلطان على التحامل عليه. فلما عاد السلطان إلى الملك في سنة تسع وسبعمائة أعرض عن المستكفي كل الإعراض، و لم يزل يكدر عليه المشارب حتى تركه في برج بالقلعة، في بيته وحرمه وخاصته، فقام الأمير قوصون في أمره، وتلطف بالسلطان إلى أن أنزله إلى داره. ثم نسب إلى ابنه صدقة أنه تعلق ببعض خاصة السلطان، وأن ذلك الغلام يتردد إليه، فنفي الغلام وبلغ السلطان أنه هو يكثر من اللهو في داره التي عمرها على النيل بخط جزيرة الفيل، وأن أحد الجمدارية يقال له أبو شامة جميل الوجه ينقطع عنده ويتأخر عن الخدمة، فقبض على الجمدار وضرب، ونفي إلى صفد، وضرب رجل من مؤذني القلعة - اتهم أنه كان السفير بين الجمدار وبين الخليفة - حتى مات، واعتقل الخليفة كما تقدم. ثم لما أفرج عنه اتهم أنه كتب على قصة رفعت إليه "يحمل مع غريمه إلى الشرع"، فأحضره السلطان إلى القلعة ليجتمع به بحضرة القضاء، فخيله قاضي القضاة جلال الدين القزويني من حضوره أن يفرط منه كلام في غضبه يصعب تداركه. فأعجب السلطان ذلك، وأمر به أن يخرج إلى قوص، فسار صحبة الأمير سيف الدين قطلوا تمرقلي في يوم السبت تاسع عشر ذي الحجة، بجميع عياله وهم مائة شخص. وكان مرتبه في كل شهر خمسة ألاف درهم، فعمل له بقوص ثلاثة ألاف درهم، ثم استقر ألف درهم، فاحتاج حتى باع نساؤه ثيابهن.

وفيها كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبي بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طقزتمر، واحتفل السلطان لقدومه احتفالاً زائداً. وكانت عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار، ما بين خلع وإنعام، فرسم أن يكون في هذه السنة مبلغ سبعين ألف دينار. ثم خرج السلطان لملاقاته، ونزل قصور سرياقوس حتى سقط الطائر بتزول الأمير تنكز إلى الصالحية، فركب الأمير قوصون إلى لقائه، وصحبته جميع ما يليق من الأطعمة والمشروب، فلما لقيه مد بين يديه سماطاً جليلاً إلى الغاية، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس. فركب السلطان إليه ومعه أولاده، وقدم إليه الحاحب ليخبره بأنه لا يترجل عن فرسه حتى يرسم له، وتقدمت أولاد السلطان إليه أولاً. فلما قرب تنكز نزل السلطان عن فرسه إلى الأرض على حين غفلة من الأمراء، فألقوا أنفسهم عن خيولهم، وألقي تنكز نفسه إلى الأرض، وعدا في مشيه جهد قدرته، وهو يقبل الأرض ويقوم إلى أن قبل رجلي السلطان، وقد دهش ، فقال له السلطان: اركب فرسك .وركب السلطان والأمراء وسايره وهو يحادثه، فلم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكة من التعظيم ما فعله السلطان في هذا اليوم مع الأمير تنكز. وكان العرس يوم الإثنين سلخ صفر، والدخول ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.
وفي خامس عشر شعبان: توجهت التجريدة إلى بلاد سيس وخراب مدينة.
وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلي بادشاه بطلب النجدة على الشيخ حسن الكبير وطغاي بن سونتاي وأولاد دمرداش ليكون علي بادشاه نائب السلطنة ببغداد. فاستشار السلطان نائب الشام والأمراء، واستقر الرأي على تجريد العسكر نحو سيس فإن تكفور نقض الهدنة بقبضه على عدة مماليك وإرسالهم إلى مدينة آياس فلم يعلم خبرهم وقطع الحمل المقرر عليه، ويكون في ذلك إجابة علي بادشاه إلى ما قصده من نزول العسكر قريباً من الفرات، مع معرفة الشيخ حسن "بأنا لم نساعد علي بادشاه عليه، وإنما بعثنا العسكر لغزو سيس. وعمل مقدم العسكر الأمير أرقطاي ويكون في الساقة، ويتقدم الجاليش صحبة الأمير طوغاي الطباخ ومعهما من الأمراء قباتمر وبيدمر البدري وتمر الموساري وقطلوبغا الطويل، وجوكتمر بن بهادو وبيبغا تتر حارس الطير، ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخري مقدم الجيش الشامي. وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس إلى ناحية جعبر، فإذا وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً إلى سيس، فيكون في ذلك صدق ما وعد به علي بادشاه، وبلوغ الغرص من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة في ثاني عشر شعبان، وتوجه الأمير تنكز إلى محل ولايته.
وفيها أفرج عن طرنطاي المحمدي بعدما أقام في السجن سبعاً وعشرين سنة وأخرج إلى دمشق، وأفرج عن علاء الدين بن هلال الدولة، وأخرج إلى الشام، وأفرج عن ابن المحسني وأخرج إلى طرابلس، وذلك في يوم الجمعة ثاني رمضان. وكان ابن هلال الدولة وابن المحسني معتقلين بالإسكندرية من ثالث عشر رجب سنة ست وثلاثين، فخلع السلطان عليهما، ورسم أن يقيم ابن المحسني مع أبيه بطرابلس، ويقيم ابن هلال الدولة بدمشق، فسار كل منهما في حادي عشريه صحبة بريدي وكان هذا كله بشفاعة نائب الشام.
وفيها كتب سنجر الحمصي شاد الدواوين أوراقاً بما على السلطان من القرض للتجار، فبلغ ألفي درهم، فلم يعترف السلطان بها، وقال: "هذه أخذها الدواوين على اسمي"، ورسم أن توزع على المباشرين فتزل بهم من ذلك شدة، وحملوا المبلغ شيئاً بعد شيء، وكان هذا من فعلات النشو بهم.
وفيها رسم ألا يضرب أحد بالمقارع، وطردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين، وكانوا قد كثرت

مضرتهم، واشتد تسلطهم على الناس، وحصلوا من ذلك مالاً كبيراً. وكان هذا بسفارة سنجر الحمصي فكثر الثناء عليه.
وفيه توجه النشو ليتفقد ناحية فارس كور والمنزلة ودمياط، فقبض على علاء الدين بن توتل والي أشوم، وعلى أقبغا والي المحلة، وصادرهما فأخذ من والي أشوم خمسين ألف درهم، ومن والي المحلة مائة ألف درهم.

وفيه كتب النشو بالحوطة على مباشري المعاصر والدواليب، وجميع أعمال الصيد والفيوم وألزم ابن المشنقص مدولب مطبغ الأمير قوصو بمائة ألف درهم، واحتج بأنه يعمل الزغل في السكر والعسل، فحنق من ذلك قوصون، وقام مع السلطان في أمره حتى أفرج عنه. فشق هذا على النشو، وأثبت محضراً على القاضي ابن مسكين بأن أبا الدراليب مات على غير الملة، وأن ابنه لا يستحق إرثه، بحكم أنه لبيت المال، وطلع بالمحضر إلى السلطان.، فطلب السلطان قوصون وأغلظ عليه، فاحتد قوصون وهال. "أنا ما أسلم مالي الذي عنده. فوهب السلطان قوصون ما أثبته النشو، فأوقع الحوطة على جميع موجوده، وأخذه.
وفيها وقفت العامة للسلطان في الفار ضامن المعاملات، وشكوا ما أحدثه على القصب والمقاثي وصاحوا : "يكفينا النشو، فلا تسلط علينا الفار وتحبسه وتكتب على قيده مخلد، وتضمن غيره بناقص عشرة ألاف درهم، فطلب السلطان النشو وأنكر عليه، ورسم لسنجر الحمصي أن يضرب الفار، ويحبسه ويكتب على قيده مخلد، ويضمن غيره بناقص عشرة ألاف درهم، ففعل ذلك، ومشت أحوال الناس.
وفيها طرح النشو الفدان القلقاس على القلاقسية بألف ومائتي درهم، وصادر الشماسرة، وأخذ عدة مخازن للتجار، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها، وعوض أربابها سفانج على الخشب والبوري فكان منها مخزن فيه حديد قومه بخمسين ألف درهم على المارستان، فأبى الأمير سنجر الجاولي ناظر المارستان أن يأخذه، فألزمه السلطان بأخذه للوقف فأخذه، ووزن ثمنه.
وفي ثالث عشر شوال. قدمت مفاتيح القلاع التي كانت بيد صاحب سيس. وهي آياس الجوانية، وآياس البرانية، والهارونية، وكوارة وحميصة ونجيمة وسرفندكار، فرسم بخراب بعضها، وأقامت النواب بباقيها.
وفي تاسع ذي القعدة: أضيف شد الصيارف للأمير نجم الدين بن الزيبق عوضاً عن بهادر البكتمري ، ثم أضيف إليه مع ذلك ولاية مصر، عوضاً عن شمس الدين جنغر ابن بكجري.
وفي تاسع عشره: خلع علي شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد ابن قاضي القضاه تاج الدين ابن بنت الأعز، واستقر في حسبه مصر، عوضاً عن القاضي ضياء الدين محتسب القاهرة.
وفي سادس ذي الحجة: استقر نجم الدين أيوب في ولاية الفيوم، عوضاً عن بهادر أستادار الجمالي، وكان أيوب هذا أستادر الأكز.
وفيه قدم الخبر بأن القان موسى لما كانت الواقعة بينه وبين الشيخ حسن الكبير، وانكسر هو وعلي بادشاه، صار إلى بغداد وصادر الناس بها، ثم خرج علي بادشاه إلى الموصل، فسار إليه الشيخ بمن معه ولقبه شمالي توريز، فكانت حرب شديدة فر منها القان موسى وقتل علي بادشاه وخلق كثير، فكانت دولتهما ثلاثة أشهر. ولما انكسرت عساكرهما مضى الشيخ الكبير إلى بغداد فملكها، وقد أقام سلطاناً محمد بن يلقطلو بن هلاكو بن عنبرجي وبعث الشيخ حسن إلى السلطان بهدية، فأكرم رسله وجهزهم بهدية سنية، وكتب بتهنئة.

وفيه خلع علي نجم الدين داود بن أبي بكر محمد بن الزبيق، واستقر في ولاية الصناعة والأهراء، وخلع علي صلاح الدين محمد بن علي بن صورة، واستقر في نظر الأهراء رفيقاً له.

وفي يوم الإثنين ثاني عشر رمضان: ركب النشو على عادته في السحر، فاعترضه في طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي الذي ولي قوص وقيل أبو بكر بن الناصري محمد وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو، وسقطت عمامة النشو عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خر إلى الأرض ونجا الفارس، وفي ظنه أن رأس النشو قد سقطت عن بدنه. فغضب السلطان من ذلك، ولم يحضر السماط، وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائحية، فقطب ذراعه بست إبر وجبينه باثنتي عشرة إبرة. وألزم السلطان والي القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو، وأغلظ على الأمراء بالكلام، ومازال يشتد ويحتد حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به، ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ، فطلب السلطان ابن المرواني والي القاهرة، ورسم بمعاقبة الكتاب الذين في المصادرة على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضرب لؤلؤ ضرباً مبرحاً، وعوقب العلم أبو شاكر وعلق والمقايرات في يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتاب، وحرثت بيوتهم وأخذ رخامها، وخرجت بالمحاريث لإظهار ما فيها من الخبايا. ثم أن النشو عوفي من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخلع عليه ونزل وقد رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبي بكر شداد بن صابر أن يمشي في ركابه، ومعه عشرة من رجاله، وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا في ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل النشو إلى القاهرة كان أول ما بدأ به أن عاقب المقدمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

وفي حادي عشرى ذي الحجة: سافر خواجا عمر وسرطقطاي مقدم البريدية بهدية إلى أزبك، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجواري من بلاد الترك. وفيها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيري على شاطئ النيل بمنية بولاق، وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور. وأصل بناء هذا الجامع أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكوره داراً على النيل، ثم انتقلت تلك الدار بعد موته إلى ابن الأزرق، فعرفت بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى الله، فلما صادره النشو باعها فيما باعه. فاشتراها الأمير أيدمر الخطيري بثمانية آلاف درهم، وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعاً أنفق فيه مالاً جزيلاً، وأخذ أراضي حوله من بيت المال، وأنشأ عليها الحوانيت والرباع والفنادق، وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره. فلما تم بناء الجامع قوي عليه النيل، فهدم جانباً منه، فأنشأ الخطيري تجاهه زريبة رمى بها ألف مركب موسوقة بالحجارة، وسماه جامع النوبة، فجاء من أحسن مباني مصر وأبدعها وأنزهها. فلما أفرج عن ابن الأزرق ادعي أنه كان مكرهاً في بيعه، فأعطاه الخطيري ثمانية آلاف درهم أخرى ، فمازال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية، وحبسه، فمات بعد قليل في حبسه.

وفيها فرغ بناء جامع الأمير سيف الدين بشتاك، بخلاف قبو الكرماني على بركة الفيل خارج القاهرة، وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ومسالمة الكتاب. وعمر بشتاك تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج، ورتب فيها شيخاً وصوفية، وقرر لهن المعاليم الجارية، ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط على الطريق المسلوك،

فجاء من أحسن شيء بنى، وتحول كثير من النصارى من هناك.
وفيها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاهّا التي أقطعت للأمراء.
وفيها خلع علي عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان، واستقر في وكالة بيت المال، عوضاً عن نجم الدين الأسعردي مضافاً لما بيده من وكالة الخاص.
وفيه استقر جمال الدين بن العديم في قضاء الحنفية بحماة، عوضاً عن التقي محمود ابن محمد بن الحكيم.
وفيها مات متملك تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن من عبد الواد الزياني قتيلاً في محاربة سلطان المغرب أبي الحسن المريني أخر شهر رمضان، بعدما ملك نيفا وعشرين سنة.
وفيها وقع الغلاء في جمادى الأولى، وأبيع الأردب القمح بأربعين درهماً . والشعير بثمانية وعشرين درهماً ، والفول باثنين وثلاثين درهماً، والبرسيم الأخضر كل فدان بنحو مائة وسبعين درهماً، والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح.

وفيها كبست الفيوم في أخريات جمادى الأولى وأحضر منها ألف ومائتان فرس. ثم قدم والي الفيوم وأمراء العربان، وأحضروا ستين حمل سلاح، ومائة فرس وغير ذلك. وفي سابع ذي الحجة: وردت الفصاد بأن الملك موسى قدم إليه من خراسان طغاي تمر، وسارا لمحاربة محمد بن عنبرجي، فانكسرا في رابع عشر ذي القعدة، واستقل محمد بالملك، وكانت الوقعة قريبا من السلطانية بموضع يقال له صولق.
وفي رابع عشريه: استقر الجمالي عبدالله أخو ظلظية في ولاية البحيرة، عوضاً عن الغرس خليل.

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين إبراهيم بن محمد بن علي بن مطهر بن نوفل التغلبي الأدفوي بعد كف بصره، في يوم عرفة بأدفو، وله شعر.
وتوفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم، بدمشق في ثالث عشر المحرم، وله شعر ونثر، ورحل إلى مصر وغيرها.
وتوفي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن الخولي القوصي الشافعي بقوص. ومات الأمير سيف الدين الأكز بدمشق، في نصف رمضان.
وتوفي الشيخ الإمام القدوة أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج الفاسي المغربي العبدري الفقيه المالكي عرف بابن الحاج في العشرين من جمادى الأولى، ودفن بالقرافة وقد علت سنه، وكانت جنازته عظيمة، وحدث، وكان زاهداً صالحاً، وأخذ عن جماعة منهم الشيخ أبو عبدالله محمد بن سعيد بن أبي جمرة، وصنف كتاب المدخل، جامع في بابه.
ومات الأمير عز الدين أيدمر الخطيري أحد الأمراء مقدمي الألوف المنسوب إليه جامع الخطيري في أول رجب، كان مملوك الخطير الرومي والد الأمير مسعود بن خطير ثم انتقل إلى الملك المنصور قلاوون، فرقاه حتى صار من أجل الأمراء البرجية، وكان جواداً كبير الهمة فيه خير كثير.
ومات الأمير أزبك الحموي في يوم الأربعاء خامس عشرى ذي القعدة على أياس، وقد بلغ مائة سنة، فحمل إلى

حماة ودفن بها، وكان مهاباً كثير العطاء.
ومات الأمير بغا الدوادار بصفد منفياً، وكان مشكور السيده.
وتوفي عمر بن الشيخ برهان الدين أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزي البعلى الصوفي، ببعلبك في ذي القعدة، ومولده في ثاني عشر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة سمع من المسلم بن عدلان، وحدث، وسمع منه الأمير الواني وابن الفخر وغيرهما.
ومات الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين خطيب جامع الحاكمي من سويقة لاريش في يوم الخميس العشرين من شوال، فكانت جنازته عظيمة جداً لكثرة صلاحه، وقبره يزار خارج باب النصر.
وتوفي المحدث محب الدين عبدالله بن أحمد بن المحب المقدسي في ربيع الأول بدمشق، حدث عن الفخر وغيره.
وتوفي شيخ الحنابلة بنابلس شمس الدين عبدالله بن العفيف محمد بن يوسف، في ربيع الآخر.
ومات أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي في ثاني شوال برملة، فدفن بالقدس، ومولده في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة، حدث بالسيرة النبوية عن خطيب مردا.
وتوفي علاء الدين علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم الدمشقي المنشأ، في ثالث المحرم بتبوك، وهو عائد من الحج.
وتوفي الشيخ محمد بن عبدالله بن المجد إبراهيم المرشدي صاحب الأحوال والمكاشفات، بناحية منية المرشد في ثامن رمضان.
وتوفي ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري الواعظ، في يوم الإثنين رابع عشرى المحرم.
وتوفي شيخ الخانكاه الناصرية سعيد السعداء كمال الدين أبو الحسين علي بن حسن بن علي الحويزاني في خامس عشر صفر، واستقر عوضه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجواني.
وتوفي محتسب القاهرة ووكيل بيت المال نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردي، في يوم الجمعة خامس عشر شعبان.
وتوفي نجم الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن الأمير، أحد كتاب الدرج، في يوم الثلاثاء رابع عشرى المحرم.
وتوفي سعد الدين سعيد بن الشيخ محيي الدين محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن عبد الله عرف جده بابن أكنس البغدادي المنجم كاتب التقاويم، وكانت له إصابات في النجامة عجيبة، وكانت وفاته في خامس عشر صفر.
وتوفي مسند مصر شرف الدين يحي بن يوسف المقدسي والمعروف بابن المصري عن نيف وسبعين سنة بمصر.

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

أول المحرم: قدم مبشرو الحاج بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار وحسن سيرة الأمير شمس الدين، آقسنقر السلاح دار أمير الحاج.

وفي يوم الخميس ثالث عشريه: قدمت عساكر التجريدة من بلاد سيس. وكان من خبر ذلك أنهم لما ساروا من القاهرة في ثاني عشر شعبان، وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز، ولم يعبأ تنكز بالأمير أرقطاي مقدم العسكر لما في نفسه منه. ومضوا إلى حلب. فقدموها في رابع عشرى رمضان، وأقاموا بها يومين فقدم الأمير قطلوبغا الفخري بعساكر الشام، وقد وصل إلى جعبر ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر، ومعهم الأمير علاء الدين ألطبغا نائب حلب، وهو مقدم على العسكر جميعاً، حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سيس، وقد تقدمهم الأمير مغلطاي الغزي إليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان. فقدم عليهم البريد من دمشق بأن تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان، فلترد المجانيق وجميع ألات الحصار إلى بغراس. وليقم العسكر على مدينة أياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في أمرهم وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سيس، ومعهم عسكر ابن فرمان فتركوها أوحش من بطن حمار، فبعث تكفور رسله في البحر إلى دمياط، فلم يأذن السلطان لهم في القدوم عليه، من أجل أنهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم، فعادوا إلى تكفور. فبعث تكفور بهدية إلى تنكز نائب الشام، وسأله منع العسكر من بلاده، وأنه يسلم القلاع التي من وراء نهر جهان جميعاً للسلطان. فكاتب تنكز السلطان بذلك، وبعث أوحد المهمندار إلى الأمير علاء الدين ألطبغا نائب حلب وهو المقدم على العسكر جميعاً بمنع الغارة ورد الآلات إلى بغراس، فردها ألطبغا وركب بالعسكر إلى آياس، فقدمها يوم الإثنين ثاني عشر شوال. وكانت آياس قد تحصنت، فبادر العسكر وزحف عليها بغير أمره فكان يوماً مهولاً، جرح فيه جماعة كثيرة. واستمر الحصار إلى يوم الخميس خامس عشره، وأحضر نائب حلب خمسن نجاراً وعمل زحافتين وستارتين ونادى في الناس بالركوب للزحف. فاشتد القتال حتى وصلت الزحافات والرجال إلى قريب السور، بعدما استشهد جماعة كثرة. فترجل الأمراء عن الخيول لأخذ السور، وإذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام، فعادوا إلى مخيمهم فبلغهم أوحد المهنمدار أن يكفوا عن الغارة، فلم يوافقوه على ذلك، واستقر الحال على أن تسلموا أياس بعد ثمانية أيام.

فلما كان اليوم الثامن أرسل تكفور مفاتيح القلاع، على أن يرد ما سبي ونهب من بلاده، فنودي برد السب فأحضر كثير منه، وأخرب الجسر الذي نصب على نهر جهان. وتوجه الأمير مغلطاي الغزي فتسلم قلعة كوارة وكانت من أحصن قلاع الأرمن، ولها سور مساحته فدان وثلث وربع فدان، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعاً بالعمل، وأنفق تكفور على عمارته أربعمائة ألف وستين ألف دينار.

وتسلم العسكر آياس، وهدم البرج الأطلس في ثمانية أيام، بعدما عمل فيه أربعون حجاراً يومين وليلتين حتى خرج منه حجر واحد. ثم نقب البرج وعلق على الأخشاب، وأضرمت فيه النار، فسقط جميعه، وكان برجاً عظيماً، بلغ ضمانه في كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين ألف دينار حساباً عن كل يوم ألف دينار سوى خراج الأراضي. وكان ببلدة آياس أربعمائة خمارة وستمائة بغي وكان بها في ظاهرها ملاحة تضمن كل سنة بسبعمائة ألف درهم، ولها مائتي وستة عشر بستاناً تغرس فيها أنواع الفواكه، ودور سورها فدانان وثلثا فدان.

ثم رحل العسكر عن آياس بعدما، قاموا عليها اثنين وسبعين يوماً، فمر نائب حلب على قلعة نجيمة وقلعة سرفندكار وقد أخربهما مغلطاي الغزي حتى عبر بالعسكر إلى حلب في رابع عشرى ذي الحجة.

فعاد العسكر إلى مصر، وقد مرض كثير منهم، ومات جماعة. فأكرم السلطان الأمير أرقطاي وخلع عليه، وبعث

تشريفاً إلى نائب حلب. وأقطع السلطان أراضي سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من أمراء الشام، وأمر فيها جماعة من التركمان والأجناد، فاستعملوا الأرض في الفلاحة، وحطوا عنهم من الخراج، فعمرت ضياعها. وضمت بعض عجائز الأرمن ألف درهم كل يوم، فلم يوافق السلطان على ذلك. وعمل في كل قلعة من قلاع الأرمن نائب، ورتب فيها عسكر. ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم، وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين، ومهادنتهم عشر سنين.

وفيها كالت حرب بين خليل الطرفي وبين خليل بن دلغادر على أبلستين، انتصر فيها ابن دلغادر .فانتمى الطرفي إلى نائب الشام. ووعد على نيابة الأبلستين بألفي إكديش، وإقامة ثلاثين أمير طبلخاناه. فعني به نائب الشام حتى قدم إلى قلعة الجبل، وخلع عليه، وكتب له ثلاثون منشوراً بإمريات جماعة عينهم، وخلع على جميع من معه، وسار.

وقدم الخبر بأن القان موسى لما فر بعد قتل علي بادشاه لحق بخراسان، فقام معه طغاي تمر أميرها، وجمع له. فسار إليه الشيخ حسن الكبير وأولاد دمرداش، ولقوه بالقرب من سلطانية، فانكسر موسى وقتل من أصحابه.

فاختل في هذه الفتن حال بغداد والموصل وديار بكر، وقوي أرتنا نائب المغل ببلاد الروم، لشغل المغل عنه بما هم فيه.

وفيها بعث النشو من كشف عن أرباب دواليب القند، فوجد لأولاد فضيل كثير من القند، ومنه أربعة عشر ألف قنطار قند عملت في هذه السنة، وبلغت زراعتهم في كل سنة ألف وخمسمائة فدان من القصب، كانوا فيما سلف يصالحون المباشرون على أن قندهم ألف قنطار يؤدون ما عليها للديوان .فلما علم النشو ذلك أوقع الحوطة على حواصلهم، وحمل القند إلى دار القند، وكتب عليهم حججاً بثمانية آلاف قنطار للسلطان. فلما تخلصوا منه وجدوا لهم حاصلاً لم يظفر به النشو، وفيه عشرة آلاف قنطار قند. وصادر النشو شاد دواليب الخاص بالصعيد، وأخذ منه مائة وستين ألف درهم حملها للسلطان.

وفيها أنعم السلطان في يوم واحد على أربعه من مماليكه بمائتي ألف دينار مصرية، وهم قوصون وألطنبغا وملكتمر الحجازي وبشتاك، وأنعم على موسى بن مهنا بضيعة بألف ألف درهم، وكان قد قدم له فرساً. فشق ذلك على النشو، وقال: "خاطرت بروحي في تحصيل الأموال، وهو يفرقها.

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، وكان قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك، فعقد له السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طايربغا، وعقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلي بن البابا، وذلك في العشرين من ربيع الآخر. وسير السلطان لكل أمير بألف وخمسمائة دينار وثوب أطلس.

وفيه سعى النشو بقاضي الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البلبيسي شيخ خانكاه بهاء الدين أرسلان، من أجل أنه عارضه في أخذ أموال الأيتام، ورماه بأنه أخذ مالاً للأيتام اشترى بها عدة جواري. فطلب البلبيسي من الإسكندرية وسلم إلى ابن المرواني والي القاهرة ليخلص منه مال الأيتام، فقام بأمره الأمير جنكلي بن البابا والحاج آل ملك والأحمدي حتى توجه الضياء المحتسب وأقوش البريدي للكشف عنه، فلم يظهر لما رمي به صحة، وأكثر ما عيب عليه أنه مطرح الاحتشام يمشي في الأسواق لشراء حاجته، فأفرج عنه.

وفيه ولد للسلطان ابنه صالح من زوجته بنت الأمير تنكز، فعمل السلطان لها بشخاناه وداير بيت ونحو ذلك

بمائة ألف وأربعين ألف دينار وعمل لها الفرح مدة أسبوع، حضره نساء الأمراء، وما منهن إلا من عين لها السلطان تعبية قماش على قدر رتبة زوجها. فحصل للمغاني شيء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل واحدة منهن عشرة ألاف درهم، سوى التفاصيل الحرير والمقانع والخلع. وقدم من الأمير تنكز نائب الشام لابنته مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار. وفي هذا المهم استعمل السلطان للخركاه الواصلة إليه من بلاد الشرق ثوباً من حرير أطلس وردي ورصعه باللؤلؤ والجواهر، وأسبل عليها ستراً، فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار واثني عشر ألف دينار، فنامت فيها النساء. وبلغ مصروف خمسمائة ألف دينار، فكان شيئاً لم يسمع بمثله في الدولة التركية.

وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السحان، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين. فركب الوالي في طلبهم، فلم يظفر منهم سوى برجل أقطع، فشنقه.

وفيها استدعى السلطان من بلاد الصعيد بألفي رأس من الضأن، واستدعى من الوجه البحري بمثلها، وشرع في عمل حوش برسمها ويرسم الأبقار البلق، فوقع اختياره على موضع من قلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قطعت منه بالحجارة لعمارة القاعات التي بالقلعة حتى صار غوراً عظيماً وطلب السلطان كاتب الجيش ورتب على كل من الأمراء المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بحسبه، وأقام الأمير، قبغا عبد الواحد شادا، وأن يقيم معه من جهة كل أمير أستاداره بعدة من جنده، وألزم الأمراء بالعمل، ورسم لوالي القاهرة بتسخير العامة. فأقام الأمير أقبغا عبد الواحد في خيمته على جانب الموضع، واستدعى أستادارية الأمراء واشتد عليهم، فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، ونزل كل أستادار بخيمته ومعه دوابه ورجاله، فقسمت عليهم الأرض قطعاً معينة لكل واحد منهم، فجدا في العمل ليلاً ونهاراً. هذا وأقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم، ويخرق بأستادارية الأمراء، ويضرب بعضهم، ويضرب أكثر أجنادهم. ووكل المقدم عنبر السحرتي بالرجال، وكان ظالماً غشوماً بهم وكلفهم السرعة في أعمالهم، من غير أن يوجد لهم رخصة ولا مكنهم من الاستراحة .وكان الوقت صيفاً حاراً، فهلك كثير منهم في العمل لعجز قدرتهم عما كلفوه. ومع ذلك كله والولاة تسخر من تظفر به من العامة، وتسوقه إلى العمل، فيزل به البلاء ما لا قبل له به، ولا عهد له بمثله. وكان أحدهم إذا عجز وألقى بنفسه إلى الأرض، رمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته، هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل.

وكان الأمير ألطنبغا المارديني قد مرض، وأقام بالميدان على النيل أياماً حتى برئ وطلع إلى القلعة من باب القرافة. فاستغاث به الناس وسألوه أن يخلصهم من هذا العمل، فتوسط لهم عند السلطان حتى عفى السلطان الناس من السخرة، وأفرج عمن قبض عليه منهم. فأقام العمل سنة وثلاثين يوماً إلى أن فرغ منه، وأجريت إليه المياه، وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البلق. وبنيت به بيوت للأوز، فبلغ ثمن البقل المصروف من الديوان برسم أكل فراخها في كل يوم مائة وخمسين درهماً، وعند فراغ العمل من الحوش وترتيبه استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطاً جليلاً، وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم.

وفيها وصل من متجر الخاص ستمائة قطعة قطران، طرحت على الزياتين وأصحاب المطابخ بمائتي درهم القطعة. ثم طرح النشو أيضاً ألف مقطع شرب بحساب ثلاثمائة درهم المقطع، وقيمته ما بين مائة وخمسين ومائة وستين

درهماً المقطع. ثم طرح النشو ثياب المماليك الخلقة وأخفافهم العتيقة على أربابها بأغلى ثمن.
وفيها جد النشو في السعاية بالصفي كاتب قوصون عند السلطان، وأنه يلزمه في كل سنة للديوان عن متاجره وزراعاً نحو مائتي ألف درهم، حتى ألزم السلطان الأمير قوصون بمصادرته وأخذ ماله لنفسه فأوقع قوصون الحوطة على جميع ماله. وسعى النشو أيضاً بقطلو أستادار قوصون أنه لما توجه إلى الشام لزمه مال كثير بما أتلفه من مال معاصر الغور، وعما أخذه من المباشرين حتى تلفت الأقصاب، فقبض عليه قوصون، وألزمه بالحمل حتى با ع داره وثيابه.
ثم بعث السلطان إلى قضاة القضاة ألا يثبت أحد منهم محضراً باستحقاق ميراث حتى يرسم لهم بذلك. وسببه أن صدر الدين الطيبي لما ولاه النشو نظر ديوان المواريث التزم له بحمل لأموال الكثيرة، وصار يحتاط على أموال التركات، ويحملها إلى النشو من غير أن يعطي الورثة منها شيئاً فإن كان للوارث جاه وكان له ولد معروف ألزمه أن يثبت نسبه من الميت واستحقاقه لميراثه، فإذا أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، فيماطل بذلك مدة ولا ينال غرضه، فلما فحش الأمر في هذا بلغ السلطان، فأنكر على النشو ذلك، فدافع عن نفسه بأعذار قبلت منه، ثم رسم السلطان للقضاة ألا يثبتوا من ذلك شيئاً إلا بمرسومه، فاشتذ الأمراء على الناس، وصارت التركة تنهب بحضرة الوارث ولا يجد سبيلاً إليها فإن عجز الطيبي عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث وشدة بأسه رماه عند النشو بأن مورثه لقي ووجد لقية مال في بيته، فيلزم الوارث بإحضار ذلك حتى يترك ميراثه.

وفيها كتب مرسوم بمساحة ضمان جهات دمشق بما عليهم من البواقي للديوان ومبلغه مائتان ألف درهم، فأهملت من الحساب.
وفيها أنعم السلطان على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضيا ع من فتوح سيس، وهي قلعة كوارة وقلعة نجيمة وقلعة سرفندكار، ورسم أن يحمل إليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون ألف غرارة غلة برسم تقاويها وتخضيرها، وعين لكل ضيعة ما يكفيها، وكتب مراسيم لكل جهة بما هو مقرر عليها.
وفيها أوقع الأمير تنكز بعلم الدين محمد بن القطب كاتب السر بدمشق، وضربه وصادره بمرافعة الأمير حمزة التركماني وأخذ منه عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم.
وفيها أعرس أحمد ابن السلطان بابنة الأمير طايربغا من غير عمل مهم. وأعرس كذلك يوسف ابن السلطان بابنة الأمير جنكلي بن البابا.
وفيها أنعم على قطلوبرس أستادار بكتمر الساقي بإمرة طبلخاناه، وتسلم أمير أحمد ابن السلطان وتوجه به إلى الكرك، فتوجه الأمير بيغرا إلى الكرك على النجب حتى أحضر جميع ما كان بها من المال.
وفيها اتضع سعر الغلال حتى أبيع الأردب القمح الصعيدي بعشرة دراهم، والبحري بثمانية دراهم، والفول والشعير كل أردب بستة دراهم، وكسدت الغلال. فكان رزق الله أخو النشو - وهو كاتب الأمير ملكتمر الحجازي وولي الدولة صهره - وهو كاتب الجدي - يطرحان القمح بزيادة درهمين الأردب ويأخذان ثمنه بعسف وظلم، فتوقفت أحوال الجند لرخص السعر. وسعى النشو بالضياء المحتسب أن الدقيق والخبز سعرهما بالنسبة إلى القمح غال، فرسم لوالي القاهرة أن يطلب المحتسب والطحانين ويعمل معدل القمح عنده، فلم يجد

في الأسعار تفاوتاً بين القمح والخبز.

وفي سابع عشر صفر: قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغوري محتسب بغداد وفخر الدين محمود نائب الحلة. وعدة من الأعيان في خمسمائة عليقة. فقدم الوزير للسلطان هدية سنية .فيها حجر بلخش يزن سبعة وعشرين درهماً ،فخلع عليه وعلى الغور وأنعم على محمود نائب الحلة بإمرة طبلخاناه بدمشق، وعلى وزير بغداد بإمرة طبلخاناه بديار مصر، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بعد وفاة طايربغا.

وكان سبب قدومهم أن نجم الدين هذا كان تمكن ببغداد وكثر ماله، فلما قدم علي بادشاه إلى بغداد ومعه القان موسى وصادر أهلها، ثم جمع العساكر وخرج بعث بشمس الدين السهروردي نائب بغداد، وقد كتب له أسماء ليأخذ مالهم، منهم نجم الدين ابن شروان، فخر الدين محمود نائب الحلة. فلما بلغهم ذلك تواطئوا على قتله والخروج إلى مصر، وخرجوا إلى لقائه، واحتفوا به وساروا معه، ثم بدره نجم الدين بسيفه فضربه ضربة حلت عاتقه، فسقط إلى الأرض، وأخذت السيوس أصحابه، فارتجت بغداد بأهلها. وفي الوقت نادى نجم الدين بالأمان، ولا يتحرك أحد فقد كان لنا غريم قتلناه ، وأخرج هو وأصحابه حريمهم وأموالهم، ومروا بهم على حمية من بغداد، وكتبوا إلى الأمير تنكز نائب الشام يستأذنونه. فبعث تنكز البريد إلى السلطان بخبرهم، فأجيب بإكرامهم إلى القاهرة، فحمل إليهم من الإقامات ما يليق بهم حتى قدموا عليه، ثم سيرهم مكرمين.

وفيها أنعم على آقسفقر بخبز طنجي السلاح دار، وأنعم على قماري أمير شكار بتقدمة ألف.

وفيه أنشأ السلطان قصراً للأمير يلبغا اليحياوي وقصراً للأمير ألطبغا المارديني تجاه حمام الملك السعيد قريبا من الرميلة تحت القلعة، وأخذ لذلك من إسطبل الأمير أيدغمش قطعة ومن إسطبل الأمير طشتمر الساقي قطعة، ومن إسطبل الأمير قوصون قطعة، ونزل بنفسه حتى مرر أمره. وتقدم السلطان إلى الأمير قوصون أن يشتري الأملاك المجاورة لإسطبله بالرميلة تحت القلعة، ويضيفها إلى إسطبله، وأمر أن يكون باب الإسطبلين اللذين أنشأهما أيضاً للأميرين يلبغا وألنبغا تجاه حمام الملك السعيد، وأقام آقبغا عبد الواحد شادا بعمارة القصرين. فاشترى قوصون عدة أملاك وسع بمواضعها في اسطبله، وطرح النشو أنقاضها بأغلى الأثمان، وجعل قوصون باب إسطبله من الرميلة تجاه القلعة. وأنفق النشو على القصرين جميع ما يحتاج إليه في عمارتها.

وفيها قدمت عدة تجار من الشام بثياب بعلبكي كثيرة، فختم عليها وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس. ثم أمر النشو بأخذها جميعها بقيمة اختارها، ثم طرحها على تجار القاهرة بثلاثة أمثال قيمتها، وألزم مباشري الختم ألا يختموا قماشاً حتى يستأذنوه .فقدم قفل عقيب ذلك فيه تاجر من جهة الأمير بشتاك، فأخذ قماشه فيما أخذ، وطرح الجميع على التجار. فادعى ذلك التاجر أن قماشه إنما هو للأمير بشتاك، فضربه النشو ضرباً مبرحاً، فشق ذلك على بشتاك وشكا أمره إلى السلطان. وكان النشو قد بلغ السلطان أن تاجراً يحضر كل سنة القماش على اسم الأمير بشتاك بغير مكس، حتى وجب عليه للديوان مائة ألف درهم، وقد أكسر معاملة السلطان، وأنه قد أخذ ما أحضره من القماش ،فانفعل السلطان لكلامه.

وفيها عزل قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني. وسبب ذلك ولده جمال الدين عبدالله، وما كان عليه من كثرة اللهو والشره في المال، وأخذه الرشوة من القضاة ونحوهم، وتبسطه في الترف، حتى إنه قد اقتنى عدة

كثيرة من الخيول ورتب لها عدة من الأجاقية والركابين وسابق بها. وكان جمال الدين شغف أيضاً بسماع الغناء ومعاشرة الأحداث من أولاد الأكابر ومماليك الأمراء، وتجاهر بالمنكرات. فرمعت فيه للسلطان تتضمن شعراً بما هو عليه، فأخرجه السلطان إلى الشام، ثم أعاده بسعي أبيه بعد مدة بسفارة الأمير بكتمر الساقي فلم يقم إلا نحو السنة، وزاد في قبح السيرة فأخرجه السلطان ثانياً، وأقام سنة. فلم يطلق أبوه غيبته عنه، وكان قد فتن به حتى أنه لشدة حبه إياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة، فسأل السلطان في عوده مشافهة، وضمن توبته، فأعاده السلطان إلى القاهرة، فأنشأ بجوار بيت أبيه على النيل داراً كلف قضاة الأعمال فيها لحمل الرخام وغيره، واستدعى لها الصناع من الشام، وبالغ في اتقانها، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة ألف درهم. وبلغ السلطان ذلك، فحدث الأمراء بما بلغه، وأنكر على القاضي بتمكين ولده من هذا، فبعث الأمير عز الدين أيدمر الخطيري إلى القاضي يعنفه ويشنع عليه، ويلومه على إنفاق ولده هذا المال الكبير، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمر به هذه الدار فإن سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا إلى السكنى على النيل. ثم إنه أيضاً اشترى في القاهرة داراً، وجددها بما يزيد على مائتي ألف درهم، فكثر الكلام فيه. هذا مع جفائه للناس، وقوة نفسه، وسوء سيرته وسيرة إخوته أيضاً وتغافل أبيهم عنهم، وتصاممه عن الشكوى فيهم فكتب في القاضي عدة أوراق للسلطان، ونسب فيها إلى أنه لا يولي نائباً عنه في بلد حتى يجتمع بأولاده، وشنع فيها أن القضاة في أيامه إنما تلي بالبراطيل، وتتزايد في الولايات. و كان السلطان لا يرشى ويعاقب من يرتشي أشد العقوبة، فكان يراعي القضاة لما في نفسه من إجلالهم وتعظيمهم، إلى أن نعاط أمر أولاد القاضي جلال الدين القزويني وكثرت القصص فيهم وفي مملوكه. وعمل حسن الغزي الشاعر فيهم قصيدة شنيعة، وأوصلها إلى شهاب الدين أحمد بن فضل الله، فقصد نكاية القزويني وقال للسلطان عنها وقرأها عليه، فأثرت في السلطان وغيرته على القزويني ومنها، وهي طويلة :

بجده يلتقط الدراهما	قاض على الأيام سل صارماً
جردهم فانتهكوا المحارما	وسن من أولاده لها دماً
	والشبل في المخبر مثل الأسد
بامرأة الكامل مشغوف شقي	وابنه البدري خطيب جلقي
منابر الإسلام إلا متقي	بادره بالعزل فليس يرتقي
	متزر ثوب العفاف مرتد
أزل عن الملة هذي الغمة	يا ملك الإسلام يا ذا الهمة
فإنه حجاج هذي الأمة	واحلل بعبد الله سيف النقمة
	واردعه ردع كل مفسد

فلما حضر القضاة إلى دار العدل على العادة لم يؤذن لهم في دخوله، وعندما نزلوا بعث السلطان إلى القزويني مع الدوادار بأن نائب الشام شكا من ابن المجد قاضي دمشق، وقد اقتضى رأية أن تسافر إلى دمشق قاضياً، كما كنت، فإنه استحى وجهه منك ومن الأمراء والناس، وكلما عرفك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه فإذا حضرت بدار العدل استعف من القضاء بحضرة الأمراء. واعلم أني آمر نائب الشام أنه إذا رأى أولادك على

سيرة مرضية قابلهم بما يستحقونه.

فلما كان يوم الخميس: وحضر قاضي القضاة القزويني دار العدل، سأل الحاجب أن يسأل له السلطان في تمكينه من التوجه إلى دمشق، فإن مصر لم توافقه ولا وافقت أهله، فأذن له السلطان في ذلك. ونزل القزويني فأخذ في وفاء دينه، وكان عليه لجهة وقف التربة الأشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة مبلغ مائتي ألف درهم وثلاثين ألف درهم فباع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها، وكانت نفيسة. فباعوا من صنف الأواني الصيني بمبلغ أربعين ألف درهم، وباع عبدالله إحدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم الجارية إلى أربعة آلاف، وباع من اللؤلؤ والجواهر والزركش ما قيمته زيادة على مائة وعشرين ألف درهم، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين ألف درهم وأدوا ما عليهم من الدين للأيتام وغيرهم. وسار قاضي القضاة بأهله وأولاده إلى دمشق، وصحبته ستون زوج محاير على الجمال، في كل محارة امرأة. وتأسف الناس على فراقه، لمحبتهم له مع بغضهم لأولاده، فإنه كان كريماً جواداً سخياً، له صدقات ومراعاة لأرباب البيوت، يهب الألف درهم، ولم يعرف في دولة الأتراك بمصر قاض له مثل سعادته، ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمته، وكان سفره في جمادى الآخرة.

وفي يوم الأحد ثامن عشره :استدعى عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي وخلع عليه، واستقر قاضي القضاة عوضاً عن الجلال القزويني. وكان السلطان قد جمع بين يديه القضاة والفقهاء وفيهم عز الدين وحدثهم فيمن يصلح للقضاء، وقد تعين عندهم شمس الدين محمد بن عدلان. فلم يلتفت إليه السلطان، وذكر لهم عز الدين فأثنوا عليه خيراً. وكان السلطان من أيام بدر الدين محمد بن جماعة يلهج بذكر ابنه عز الدين، ويقول: "لولا أنه شاب لوليته القضاء."

وخلع فيه أيضاً على حسام الدين الحسن بن محمد الغوري القادم من بغداد، واستقر في قضاء القضاة الحنفية، عوضاً عن برهان الدين إبراهيم بن علي بن عبد الحق، ونزلا في موكب جليل. وكان سبب عزل ابن عبد الحق أولاده، فإنهم ساروا سيرة أولاد القزويني، فكان السلطان يقول: ولينا قضاة جياداً أفسدهم، ورسم بسفر ابن عبد الحق وأولاده أيضاً إلى الشام، فسافروا. وكانت قد وقعت الشكوى في ابن القاضي الحنبلي من بيعه أوقاف الأيتام وأخذ أثمانها، وإتلافه في المحرمات، فطلب والده تقي الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدس وسئل عن مال الأوقاف التي باعها، فاعتذر بما لا يقبل، وسأل المهلة. فأمر السلطان متولي القاهرة بتسليمه وضربه حتى يحضر المال جميعه، فأهانه ورسم عليه. وأخذ السلطان يقول للأمراء. "انظر ماذا جرى علينا من أولاد القضاة، وذكر ابن القاضي الحنبلي وما كان منه، وهم أن يوقع به وبابنه المكروه، فتلطفوا به في أمرهما. والستر على القاضي لكبر سنه وشهرته. فعين الأمير جنكلي بن البابا لولاية الحنابلة موفق الدين عبدالله بن محمد بن عبد الملك المقدسي فطلبه السلطان وخلع عليه مع رفيقه.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: طلع القضاة الأربعة وقبلوا يد السلطان، واستأذن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعي في عزل نواب الحكم، فإنهم جيعهم إنما ولوا ببذلهم المال الجزيل لولد القزوين وأنهم قد أفسدوا في الأعمال فساداً كبيراً، فأجابه السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى. فنزل ابن جماعة وكتب بعزل قضاة الوجه القبلي والبحري بأسرهم، وعزل فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر،

وولي عرضه بهاء الدين عبد الله بن عقيل، وعين لقضاء الأعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم، فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته، واستخلف عنه في القضاء تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي وضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوي، وعزل الضياء المحتسب من نظر الأوقاف حتى لم يدع أحداً بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزويني. فانكف عن الناس بدلك شر كبير وفساد كثير. وسار رفقاؤه الحنفي والحنبلي مثل سيرته في التراهة والصيانة.

وفيها فوض نظر الوقف الشافعي للشيخ برهان الدين إبراهيم الصائغ.

وعقيب ذلك قدم البريد من الشام بألفين وخمسمائة دينار من وقف الأشرفية. فأخذها النشو وعرف السلطان بها، وأنه تعوض عنها لجهة الوقف فيما بعد فأخذها السلطان منه.

وفيها جمع النشو الطحانين وعرفاء الجمالة، وطرح عليهم ما زرع بناحية قليوب من الفول الأخضر والبرسيم، بحساب ثلاثمائة درهم الفدان الفول، والبرسيم بمائتي درهم، وضرب جماعه منهم بالمقارع، لأجل شكواهم إياه للسلطان. وطرح النشو مبلغ مائتي ألف درهم فلوساً نحساً ضرب إسكندرية وتروجة وفوة وبلاد الصعيد على التجار وأرباب المعاملات، فوقفت الأحوال. وذلك أن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد، وقد كثر فيها الزغل من الرصاص ونحوه، وصار الفلس الكبير يقص ثلاث قطع ويخرج بثلاثة فلوس، فصارت الباعة تردها، وتحسن سعر الغلة دراهم الأردب. فقام والي القاهرة في ذلك وضرب جماعة ونودي أن يرد الفلس المقصوص والرصاص، ولا يتعامل به، فمشت الأحوال.

وفيه قدم البريد من الأمير تنكز نائب الشام. ومعه مبلغ عشرين ألف دينار الذي أخذ من علم الدين بن القطب كاتب السر بدمشق، فخلع السلطان على جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن الأثير، واستقر في كتابة السر بدمشق عوضاً عن ابن القطب.

وفيها اتفق بدمشق أن قاضيها شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الأربلي كان غير مرضي الطريقة، فلما عزل واستقر القزويني عوضه، ركب ابن المجد قبل أن يبلغه العزل يريد مكاناً، فنفرت بغلته من كلب خرج عليها في الطريق، وألقته عن ظهرها، فاندق عنقه، وسر الناس بذلك.

وفيها عزل الضياء من حسبة القاهرة، بسعاية النشو به ورميه له بمحبة الأحداث، وخلع على الشريف شرف الدين علي بن حسين بن محمد نقيب الأشراف، واستقر عوضه، بعدما أقامت القاهرة أياماً بغير محتسب.

وفيها أفرج عن الأمير آقسنقر شاد العمائر من حبسه بحلب، وأنعم عليه بطلبخاناه في دمشق، بعناية الأمير قوصون.

وفيها قدم البريد بأن جبار بن مهنا توجه في جماعته إلى بلاد الشرق، وصار في جملة الشيخ حسن الكبير، بسبب أنه لما قدم بهديته إلى السلطان لم يجد منه إقبالاً فكتب إلا إخوته بترجيعه إلى البلاد.

وفيها قدم البريد بأن الشيخ حسن الكبير قد جمع العساكر لمحاربة أرتنا صاحب بلاد الروم، وأن جبار بن مهنا التزم له بجمع العرب، وأنه كتب له تقليداً بالإمرة على العرب. فقدم بعد ذلك كتاب أرتنا ومعه هدية، ويسأل فيه أن يكون نائب السلطان في بلاد الروم، وأنه يضرب السكة باسمه، ويقيم دعوته على منابره. فخلع على رسله وأنعم عليهم، وكتب له تقليد بنيابة الروم من انشاء الشريف شهاب الدين الحسين ابن قاضي العسكر.

وكان الحامل لابن أرتنا على ذلك أنه عظم شأنه ببلاد الروم، وكثف جمعه حتى خافه الشيخ حسن الكبير أن ينفرد بمملكة الروم، فأخذ في التأهب لمحاربته. وكان ابن دلغادر قد تمكن بأراضي أبلستين، وكثرت زراعاته بها، وأخذ يتخطف من أطراف الروم، فخشى أرتنا منه أن ينازعه في مملكة الروم، أو يكون مع الشيخ حسن الكبير فرأى الاتجاه إلى السلطان أقوى له وأسلم، فإنه إما يمده بعسكر يتقوى به على أهل الشرق، أو يأوي إلى بلاده إن انهزم.

وفيها بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير ذلك، ويدعون الله عليه. فلم يزل النشو بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من الوعظ، وأخرج رجلاً كردياً كان للناس فيه اعتقاد إلى الشام.

وفيها قدم المجد السلامي من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن الكبير باستدعاء السلطان له، وقد كلفه الشيخ أن يقوم له بالصلح بينه وبين السلطان، وجهز معه هدية جليلة.

وفيها قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه وزير أبي سعيد، فأكرمه السلطالن وأنعم عليه، وأخرج له راتباً بدمشق، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بها، عوضاً عن برسبغا العادل وأنعم على برسبغا بتقدمة آقول الحاجب بعد موته.

وفيها ندب النشو أحد مباشري العمائر السلطانية لمرافعة الأمير آقبغا عبد الواحد، فأنهى للسلطان عنه أنه عمر جميع عمائر من مال السلطان، وثبت لمحاققته، فلم يجد آقبغا جواباً.

وفيها استقر الأمير أخو ظلظية في كشف الوجه البحري عوضاً عن الأمير سيف الدين أبي بكر بن سليمان البابيري وأخرج البابيري إلى دمشق بطلب الأمير تنكز له، وكانت إقامته في كشف الوجه البحري سنة، سار فيها سيرة سيئه.

وفي ليلة الإثنين ثاني عشرى ربيع الآخر: سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم مدة ستة أيام، فتهدم منه عدة أماكن، وسال الجبل وأعقب المطر رياحاً عاصفة، واشتد البرد بخلاف العادة، وسقط الثلج بسبخة بردويل حتى جهلت الطريق، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهماً وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهماً. واشتد الريح بناحية دمياط في بحر الملح حتى غلب على النيل، ووصل الماء إلى شار مساح وفارس كور.

وفيها كثر تسخير الناس للعمل في عمائر السلطان بالقلعة، وقبض عليهم من بين القصرين وهم نيام، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح، فابتلي من ذلك ببلاء عظيم، وكثرت الغاثة، فلم يجسر أحد من الأمراء يكلم السلطان فيه.

وفي يوم الإثنين رابعه: خلع علي علاء الدين علي بن محيي الدين يحيى بن فضل الله، واستقر في كتابة السر عوضاً عن أبيه بعد وفاته، وركب معه الحاجب أمير مسعود والدواداو طاجار إلى داره.

وفي ثاني عشرى رمضان: قدمت الحرة بنت السلطان أبي الحسن علي بن عثمان ابن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية، نزل لحملها من الإسطبل السلطاني ثلاثون قطاراً من بغال النقل سوى الجمال، وكان من جملتها أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتان بغل، وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها، وكان جملتها أيضاً أبقار

عدقما اثنان وأربعون رأساً، ومنها سرجان من ذهب مرصع بجوهر، وفيها اثنان وثلاثون بازاً، وفيها سيف قرابه من ذهب مرصع، وحياصة ذهب مرصع، وفيها ستمائة كساء وغير دلك من القماش الغالي. وكان قد خرج المهمندار إلى لقائهم، وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح، وهم جمع كبير جداً . وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها، سوى الجوهر واللؤلؤ، فإنه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار.

ثم نقلت الحرة إلى الميدان بمن معها، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمهم وفضل عنهم. فكان مرتبهم في كل يوم عدة ثلاثين رأساً من الغنم، ونصف أردب أرزاً، وقنطار حب رمان، وربع قنطار سكراً، وثماني فانوسيات شمع، وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم، وكانت أجرة حمل أثقال ركبها قد بلغت ستين ألف درهم. ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاقم، حتى على الرجال الذين قادوا الخيول. وحمل إلى الحرة من الكسوة ما يجل قدره، وقيل لها أن تملي ما يحتاج إليه، فقالت إنه لا يعوزها شيء، إنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا.

فتقدم السلطان إلى النشو والي الأمير آقبغا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك، واستخدما لها السقائين والضوية، وهيئا كل ما تحتاج إليه في سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط، وطلبا الجمالة لحل جهازها وأزودقما. وندب السلطان معها جمال الدين متولي الجيزة، وأمره أن يرحل بها في ركب لها بمفردها قدام المحمل، ويمتثل كل ما تأمر به، وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة.

وفيه تجهز الأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا الماردييي وخوند طغاي زوجة السلطان وست حدق، وعدة من الدور ومن الخدام، لسفر الحجاز.

وفيه قرر الأمير علم الدين سنجر الجاولي شهاب الدين أحمد العسجدي في تدريس الحديث بالقبه المنصورية بين القصرين، بعد وفاة زين الدين عمر بن الكتاني. فتعصب عليه القضاة وجماعة من شيوخ العلم، وطعنوا في أهليته، ورفعوا قصة للسلطان بالقدح فيه. فلما قرئت على السلطان بدار العدل سأل السلطان من القضاة عنه، فثلبه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فقام الجاولي بمعارضة القاصي وأثنى عليه، فرسم السلطان أن يعقد له مجلس ويطالع بأمره. فاجتمع القضاة وكثير من الفقهاء بالمدرسه المنصورية، وجبه بعضهم الجاولي بالغض من العسجدي ورماه ركن الدين محمد بن محمد بن القوبع بأنه لحن في قراءة الفاتحة ثلاث مرات فقام قاضي القضاة حسام الدين الغوري في نصرة العسجدي وأثنى عليه، وقال: أنا أحكم بأهليته لهذه الوظيفه، فدار بينه وبين ابن جماعة مقاولة فيها فحش، وانفضوا على ذلك. فأعلم الغوري طاجار الدوادار بأن القوم تعصبوا على العسجدي وأنه يحكم بأهليته، فبلغ ا!سلطان ذلك. فلما حضرا سأل السلطان عما جرى في المجلس من ابن جماعة والجاولي فتفاوضا وعارض كل منهما الآخر،فمال السلطان إلى قول ابن جماعة، ومنع العسجدي من التدريس. فشق ذلك على الجاولي وهم بعزل نفسه من نظر المارستان، فحذره الأمراء عاقبة ذلك. وفيها عمل جسر بالنيل على حكر ابن الأثير، وسببه أن الميل قوي على ناحية بولاق خارج القاهرة، وهدم جامع الخطيري حتى احتيج إلى تجديده، وحتى احتيج إلى أن رسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل الزرابي لجميع تلك

الدور، وألا يؤخذ عليها حكر. فبنى صاحب كل دار زربية تجاه داره فلم يفد ذلك شيئاً. فكتب بإحضار مهندسي البلاد القبلية وبلاد الوجه البحري، فلما تكاملوا ركب السلطان النيل وهم معه، وكشف البحر. فاتفق الرأي على أن يحفر الرمل الذي بالجزيرة حتى يصير خليجاً يجري فيه الماء، ويعمل جسر في وسط النيل يكون سداً يتصل بالجزيرة، فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء في الخليج الذي حفر، وكان قدامه سد عال يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن سد القاهرة إلى بر ناحية منبابة،وعاد السلطان إلى القلعة. وخرجت البرد من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدين، وطلبت الحجارون بأجعهم لقطع الحجارة من الجبل - وكانت تلك الحجارة تحمل إلى الساحل وتملأ بها المراكب، وتغرق المراكب وهي ملأنة بالحجارة حيث يعمل الجسر -. فلم يمض عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواح فتسلمهم الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير برسبغا الحاجب. ورسم لوالي القاهرة ووالي مصر بتسخيرهم للعمل، فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم، وزادا في ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع في السحر، ومن الأسواق، فتستر الناس ببيوتهم خوفاً من السخرة.

ووقع الاجتهاد في العمل، واشتد الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخر إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة، فتردم عليه الرمال، فيموت من ساعته. واتفق هذا لخلائق كثيرة جدا وآقبغا راكب في الحراقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة، والسلطان يترل إليهم ويباشرهم، ويغلظ على آقبغا ويحمله على السرعة واستنهاض العمل حتى أكمل في مدة شهرين. وغرق فيه اثنا عشر مركباً وسق كل مركب ألف أردب. وكانت عدة المراكب التي أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل - ورميت في البحر حتى صار جسراً يمشي عليه ثلاثة وعشرين ألف مركب حجر، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات والحلفاء ونحو ذلك.
وحفر الخليج بالجزيرة، فلما زاد النيل جرى في الخليج الذي حفر، وتراجع الماء حتى قوي على بر منبابة وبر بولاق التكرور، فسر السلطان بذلك.

وفيها استأذن الأمير ملكتمر الحجازي والأمير يلبغا اليحياوي السلطان في المسير إلى الإسكندرية بطيور السلطان الجوارح، ليتصيدا في البرية. فرسم للنشو بتجهيزهما، فخاف من دخولهما إلى الإسكندرية أن يبلغهما عنه من أعدائه ما إذا نقلاه للسلطان تغير عليه. فعرف النشو السلطان أن مراكب التجار قد وصلت، وأنه يحتاج إلى السفر حتى يأخذ ما عليها للديوان ويقوم أيضاً بخدمة الأميرين، فأذن له في السفر، فسافر من ليلته . وبدا للسلطان أن يبعث الأمير بشتاك بالطيور - ومعه الأمير قماري أمير شكار، والأمير ألطبغا المارديني - ويعوض يلبغا والحجازي بركوب النيل في عيد الشهيد، فسافر الأمراء الثلاثة. وكان عيد الشهيد بعد يومين، فركب يلبغا والحجازي المراكب في النيل للفرجة، وخرجت مغاني القاهرة ومصر بأسرها، وهتكوا بما كان خافياً مستوراً من أنواع اللهو، وقد حشر الناس للفرجة من كل جهة. وألقى الأمراء للناس في مراكبهم من أنواع الأشربة والحلاوات وغيرها ما يتجاوز الوصف، فمرت ثلاث ليال بأيامها كان فيها من اللذات وأنواع المسرات ما لا يمكن شرحه.
ولما قدم الأمراء بالطيور إلى ظاهر الإسكندرية أخرج النشو إلى لقائهم عامة أهلها بالعدد والآلات الحربية، وركب إليهم حتى عبروا المدينة، فكان يوماً مشهوداً. ثم خرجوا بعد يومين، وقد قدم النشو لهم من الأسمطة

وأنواع القماش ما يليق بهم. وأخذ النشو في مصادرة أهل الإسكندرية، وطلب عشرة ألاف دينار من الصيارفة قرضاً في ذمته، وطلب من ثلاثة تجار عشرة ألاف دينار، ثم إنه غرم ابن الربعي المحتسب بها خمسة آلاف دينار، سوى ما ضرب عليه الحوطة من موجوده، وضربه ضرباً مبرحاً وسجنه، فمات بعد قليل في السجن، ثم عاد النشو إلى القاهرة.

وقدم الخبر من ماردين بكثرة جمع الشيخ حسن الصغير وأولاد دمرداش، وأنهم على حركة لحرب طغاي بن سونتاي بديار بكر، فإذا بلغوا مرادهم منه عدوا الفرات إلى أخذ حلب.

وفيها طلب الأمير طرغاي الطباخي واستقر في نيابة حلب عوضاً عن ألطنبغا.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرى شوال: قدم موسى بن مهنا طائعاً، وقدم عدة خيول، وورد صحبته طائفة من عرب البحرين بخيول قومت بمبلغ خمسمائة ألف وستين ألف درهم وقومت خيل موسى بخمسمائة ألف درهم، سوى ما جرت العادة به من الإنعام عليه، وأنعم عليه بعشرين آلف دينار أيضاً. وقومت من جهة أهل برقة بأربعمائة ألف درهم، وقومت مماليك وجواري قدم بها التجار بستمائة ألف درهم. وكانت جملة ذلك كله، ما عدا ما أنعم به على موسى بن مهنا ألفا ألف درهم وستون ألف درهم، منها مائة ألف دينار مصرية ونيف وعشرين ألف دينار، وأحيل بذلك على النشو.

ولما كمل قصر يلبغا وقصر المارديني جاءا في أحسن هيئة، فإن السلطان كان يترل إليهما بنفسه ويرتب عمارهما .فعمل أساس قصر يلبغا أربعين ذراعاً وبسطه حصيراً واحداً، فجاء مصروفه أربعمائة ألف درهم. وكان جملة المصروف على هذا القصر أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم، من ذلك لازورد خاصة بمائة ألف د رهم. فركب السلطان إليه يوم فراغه وأعجب به، وأنعم على يلبغا بتقدمة طرغاي الطباخي نائب حلب، وفيها عشرة أزواج بسط - منها زوج بسط حرير -وعدة أواني بلور وغيره، وعدة خيول، وجمال بخاتي. وتقدم السلطان إلى الأمير آقبغا عبد الواحد بعمل سماط في قصر يلبغا، فترل إليه ونزل النشو أيضاً حتى تهيأ ذلك، وحضر الأمراء كلهم، فأكلوا وشربوا يومهم إلى العصر. ثم خلع السلطان على أحد عشر أميراً أحد عشر تشريفاً أطلس. وأركبوا الخيول بسروج الذهب، وخلع على بقية الأمراء ما بين خلع كاملة وأقبية، وأركبوا أيضاً الخيول المثمنة بسروج الذهب والفضة على قدر مراتبهم. وتولى السلطان تعبية ذلك بنفسه، فكان مهماً عظيماً: ذبح فيه ستمائة رأس من الغنم، وأربعون رأساً من البقر، وعشرون فرساً، وعمل فيه برسم المشروب ثلاثمائة قنطار من السكر.

وفي يوم الإثنين سابع عشرى رمضان: هبت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية، وأظلم الجو منها، وسقطت دور كثيرة. ثم سقط برد أسود مر الطعم، جاءت به الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهماً، ووجد فيه واحدة على قدر النارنجة، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك إلى قدر البندقة. وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحصد كثير منه من أصله، وهلكت منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة جميز في غاية الكبر وقد سقط في وسطها برده على هيئة الرغيف وهي سواء - فشقتها نصفين كما يشق المنشار، ووجدت بقرة مطروحة قد قطع ظهرها ببردة شقته نصفين. وتلفت زروع ثمانية وعشرين بلداً، فجمع زرعها وحمل إلى السلطان مع فلاحيها، واستغاثوا بالسلطان، فرسم لمتولي الغربية أن يكشف تلك

النواح ويحرر ما أصابتها الجائحة منها، ويحط خراجه عن الفلاحين، فامتثل ذلك.
وفيه قدم البريد من قوص بأن السماء احمرت في شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمر ساعة وتسود ساعة وتبيض ساعة، إلى أن طلع الفجر، فجاء مطر لم يعهد في تلك البلاد. وقدم البريد أيضاً بأنه هبت ريح بأسوان ألقت عامة البيوت وكثيراً من النخل، وهبت أيضاً بعرب قمولة، فألقت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة، وقدم بذلك محضر ثابت على قاضيها.
وخرج ببلاد منفلوط فأر عظيم جداً فحصد الزرع حصداً، وأتلف جرون الغلال، بحيث كان يذهب ربع الجرن في ليلة واحدة. فصار الناس يبيتون بالمشاعل على طول الليل، وهم يقتلون الفأر ثم يتولى أمر النهار طائفة أخر وهم لا يفترون عن قتله، ثم يحمل ما قتل منه في شباك، ويحرق بالنار على بعد، وفيهم من يلقيه إلى النيل، فأقاموا مدة شهرين يحملون في الشباك كل يوم نو مائة حمل .وشوهد منه عجب: وهو أن جمعاً عظيماً من فيران بيض خرجوا حتى ملاوا الأرض، فخرج مقابلهم فيران سود، واصطفوا صفين في أرض مساحتها فدنان، ثم تصايحوا وحمل بعضهم على بعض واقتتلوا ساعة، وانكسرت الفيران السود، وتبعهم البيض يقتلونهم حتى مزقوهم في تلك الأراضي ،وكان بمحضر عالم كبير من الناس فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فانكسر للسلطان بناحية منفلوط بسبب الفأر نحو ستين ألف أردب فول.
وفيها رفعت قصة إلى السلطان تتضمن أن الأمير ملكتمر الحجازي يركب النيل ومعه أرباب الملاهي في عدة من المماليك السلطانية، وأنهم يفعلون كل فاحشة ويأخذون حرم الناس. فاشتد غضب السلطان، وطلب الحجازي وأخرق به، وهدده بالقتل إن عاد يركب النيل، وأخرج السلطان ممن كان يعاشره من المماليك ستة وثلاثين رجلاً إلى البلاد الشامية على البريد من يومهم، وأخرج من الغد أربعين مملوكاً من أصحابه بسبب شربهم الخمر، وفيها تقدم السلطان إلى ولي القلعة ألا يمكن أميراً من النزول إلا بمرسوم، وأمر نقيب الجيش فدار على الأمراء كلهم وأعلمهم ألا ينزل أحد منهم من القلعة إلا بمرسوم السلطان، ومن نزل فلا يبيت إلا بالقلعة. وركب أمير مسعود الحاجب - ومعه والي القاهرة - وهدم مرامي النشاب التي بناها الأمراء لرمي النشاب خارج القاهرة، وطلب جميع صناع النشاب ومنعهم من عمل النشاب الميداني وبيعه لسائر الناس، وأمر بدكاكين البندقانيين فغلقت، ومنع من عمل أقواس البندق وبيعها، وقصد السلطان بذلك كف أسباب اللهو، فإنه كان يكره من يلعب ويلهو عن شغله وخدمته.
وفيها شفع الأمير موسى بن مهنا في لؤلؤ وغيره من المصادرين، فرسم السلطان لشاد الدواوين بكتابة أسمائهم - وكانوا خمسة وثلاثين رجلاً، ومنهم قرموط وأولاد التاج، فأفرج عنهم، أما خلا قرموط وأولاد التاج.
وفيها أنشأ الأمير أقبغا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلي وألزم الصناع بالعمائر السلطانية أن يعملوا فيها يوماً من الأسبوع بغير أجرة، فكان يجتمع في كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر، ويعملون نهارهم. وحمل لها أقبغا جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان، وأقام بها من مماليكه شادا لم ير أظلم منه، فعسف الصناع وضربهم.

وفيها توقفت زيادة النيل عندما قرب الوفاء، ثم نقض، فارتفع سعر الغلال حتى بلغ القمح عشرين درهماً الأردب. ثم تراجع النيل ووفي ستة عشر ذراعاً، بعدما زاد ثلاثة أيام متوالية أربعة أذرع ونصف ذراع. وتلفت

بسبب ذلك غلال كثيرة في الأجران، فإنه زاد زيادة متتابعة على حين غفلة. وكانت سنة شديدة، واتفق فيها من الأمطار والفأر والمصادرات وغير ذلك عدة محن.

ومات فيها من الأعيان

مجد الدين إبراهيم بن الأجل أبي هاشم علي بن الصدر الأديب أبي طالب محمد بن محمد بن محمد الفامغار - المعروف بابن الخميمي - في سادس عشر جمادى الأولى، ومولده سنة تسع وأربعين وستمائة، وحدث عن أبيه والرشيد العطار وغيره.

ومات الأمير إبراهيم ابن السلطان في رابع عشرى ذي القعدة، ودفن بتربة عمه الصالح علي بن قلاوون، بالقرب من المشهد النفيسي.

وتوفي الطيب الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدي بالفاهرة عن سبع وسبعين سنة، وله نظم جيد.

وتوفي الشيخ زين الدين عمر بن الجمالي أبي الحزم بن عبد الرحمن بن يونس المعروف بابن الكتاني الدمشقي شيخ الشافعية، بالقاهره في يوم الأربعاء سادس عشر رمضان.

وتوفي قاضي القضاة الشافعي بدمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبدالله بن الحسين بن علي الأربلي الشافعي بعد ما ألقته بغلته بأسبوع، في جمادى الأولى بدمشق.

وتوفي الشيخ زكي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الجليل المعروف بابن القوبع - القرشي التونسي المالك صاحب الفنون الكثيرة، بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

توفي شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجواني في حادي عشرى المحرم، ودفن بالقرافة.

وتوفي شيخ الإسلام شرف الدين هبة الله ابن قاضي حماة نجم الدين عبد الرحيم بن أبي الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد المعروف بابن البارزي الشافعي قاضي حماة، في نصف ذي القعدة، ومولده في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير طغجي.

ومات الأمير أقول الحاجب.

ومات الأمير ظلظية كاشف الوجه القبلي.

ومات كاتب السر محيي الدين بن يحيى ابن فضل الله بن مجلي العمري في يوم الأربعاء تاسع رمضان.

وتوفي جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة، وكان قد ولي قضاء دمشق بعد علم الدين الأخنائي ثم عزل.

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

في أول المحرم: قبض على امرأة خناقة، وقتلت.

وفيها قدم رسل الملك أزبك صحبة الأمير سرطقطاي مقدم البريدية بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان،

فجهزت إليه هدية، وأنعم على رسله وأعيدوا وكان سرطقطاي قد توجه رسولاً إلى أزبك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وفيها قدم الخبر بأن القان الكبير عزم على المسير إلى العراقين، وقدم أمامه عسكراً ليسير إذا أخذ العراق إلى الشام. فسار ثماني مراحل، وبعث الله على ذلك العسكر ريحاً سوداء، ثم صارت زرقاء تشتعل ناراً، فيسقط الفارس وفرسه ميتين عند هبوبها، وتمادى هبوبها يومين، وكانوا زيادة على مائة ألف فارس، فلم يرجع منهم إلى القان إلا نحو عشرة آلاف وهلك باقيهم .فسر السلطان بذلك.

وفيها قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء السلطان، وقد كثرت شكاية الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية، وقد شفع فيه الأمير تنكز نائب الشام فقدم الأفضل للسلطان والأمراء تقادم جليلة، ثم سافر إلى بلده بعد ما وصاه السلطان بحضرة القضاة، وعدد ذنوبه، وأخبره أنه قبل فيه شفاعة نائب الشام، ثم خلع عليه وسفره.

وفيها اشترى بدر الدين أمين الحكم ملكاً لبعض الأيتام، فحضر إليه العلم القراريطي

شاد القراريط يطلب منه موجب الديوان عن الملك المذكور، فأفضي الحال بينهما إلى مفاوضة .بمجلس قاضي القضاة عز الدين بن جماعة، أطلق فيها العلم لسانه بما أوجب تعزيره، فانصرف إلى النشو وعرفه أنه لما طالب أمين الحكم بالقراريط عزره ابن جماعة وكشف رأسه، فحرك ذلك منه كامناً كان في نفسه من ابن جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وشنع عليه بأن أمين الحكم لما امتنع من دفع القراريط عن الملك أخرج إليه العلم مرسوم السلطان وعليه محمد بن قلاوون، فأخذه منه ورماه بالأرض عند النعال، وقال: أتجعل في مجلس الحكم الباطل حقاً لتأخذ أموال الأيتام، ثم كشف رأسه وضربه بالدرة. فغضب السلطان وطلب أمين الحكم، وأمر طاجار الدوادار بضربه، فضربه على باب القصر بالقلعة والنشو جالس ضرباً مؤلماً وقطع أكمامه، وشهره بالقلعة ونودي عليه: هذا جزاء من يمنع الحقوق السلطانية، وألزم بحمل عشرين ألف درهم، ورسم عليه، فقام بخمسة عشر ألف درهم.

وفي شهر ربيع الأول: قبض على أوحد الدين شيخ خانكاه بيبرس وهو بالروضة تجاه مصر على حال غير مرض، وأخرج إلى القدس منفياً.

وفيها قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طرندة من بلاد الروم، وأخذ ما فيها من الأموال، وأن الأمير تنكز بعث إليها الأمير علاء الدين علي بن صبح. فسر السلطان بذلك، وبعث بتشريف لابن دلغادر، وشكره وأثنى عليه.

وفيه استقر الأمير بكتمر العلائي الأستادار في نيابة حمص، بعد وفاة الأمير جركتمر.

وفيه أخرج الأمير منكلي بغا الفخري إلى دمشق، واستقر من مقدمي الألوف بها.

وفيه أنعم على كل من قطليجا الحموي وطاجار الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفي ربيع الآخر: قدم الأمير ألطنبغا نائب حلب، وصحبته تقدمة جليلة، وأخلع جليلة عليه عند وصوله، وعزل عن نيابة حلب، واستقر من كبار الأمراء بالديار المصرية.

وفي تاسعه: سارت الحرة المغربية عائدة إلى بلادها، بعد قضاء حجها.

وفي حادي عشر جمادى الأول: قدم الأمير تنكز نائب الشام. وذلك أن ابنته التي تحت السلطان قرب وضع

حملها، فكتب السلطان يستدعيه - ومعه أهله وأولاده - لأجل مهم ابنته وتقدم السلطان إلى النشو بعمل بشخاناه ودابر بيت من حرير مخمل، ويزركشهما بمائة ألف دينار، وأمره أن يجهز خمسين تشريفاً للأمراء، منها ثلاثة وعشرين تشريفاً أطلس بحوائص ذهب كاملة، وبقيتها ما بين طرد وحش ومصمط، و طلب إليه أيضاً أن يجهز ما تحتاج إليه النفساء، وما يحتاج إليه من السروج ونحوها، وما يحتاج إليه المهم مما يبلغ زيادة على ثلاثمائة ألف دينار.

فأخذ النشو في التدبير لذلك، ورتب جهاته من ثمن سكر وعسل وقندر وقماش وخشب يطرحه على الناس، وعمل أوراقاً بمظالم اقترحها بلغت جلتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة، وأعلم بها السلطان من الغد. وطرح النشو ما عنده من البضائع على الناس بمصر والقاهرة، حتى زلزلهما بكثرة العقوبة، ولم يراع أحداً فخنق من ذلك الأمير الحاج، آل ملك، وبلغ السلطان ما نزل بالرعية من الظلم، فلولا ما كان من ملاطفة الأمراء في الحال لكان له وللسلطان شأن غير مرضي.

فلما قدم البريد بتوجه الأمير تنكز من غزة إلى القاهرة، بعث السلطان بالأمير قوصون إلى لقائه ومعه المطبخ، وركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ومعه أولاده فنزل قوصون السعيدية، وهيأ الأسمطة الجليلة، وتلقى الأمير تنكز وترجل إليه، فنزل الأمير تنكز أيضاً، ومشيا خطوات حتى تعانقا، وركبا إلى الخيمة التي نصبها السلطان للأمير تنكز. فلما انقضى السماط ركب تنكز فتلقاه أولا أولاد السلطان، فترجل لهم، ثم سار وهم معه، فتلقاه السلطان وأكرمه غاية الكرامة. ثم سار السلطان من الغد وطلع قلعة الجبل، وخلع عليه وعلى أولاده وأمرهم، فدخلوا وأهليهم إلى الدور.

وفيه رسم بخروج الأمير ألطنبغا نائب حلب إلى نيابة غزة وخلع عليه، فاتهم الأمير تنكز بأنه حمل السلطان على ذلك.

ونزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافوري من القاهره، وجهز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء، وحملها من الغد، وكانت شيئاً يجل عن الوصف: فيها من صنف الجوهر ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن الزركش عشرون ألف دينار، ومن أواني البلور وتعابي القماش والخيل والسروج والجمال البخاتي ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار. فلما انقضت نوبة التقادم أدخله السلطان إلى الدور حتى رأى ابنته، وقبلت يده. ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهن بتقبيل يده، وهو يقول لهن واحدة بعد واحدة: "بوسي يد عمك، ثم عين منهن اثنتين لولدي تنكز. فقبل تنكز الأرض وخرج والسلطان يحادثه.

وتقدم السلطان إلى النشو بتجهيز تنكز إلى الصعيد للصيد، ثم ركب وتوجه إلى بلاد الصعيد وتنكز معه، فكان من إكرامه له في هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله. فلما عاد السلطان أمر النشو بتجهيز كلفة عقد ابني تنكز على ابنتيه، وكلفة سفر تنكز إلى الشام. فأخذ النشو أموال التجار وغيرهم، وجمع أربعة عشر ألف دينار، حمل منها برسم المهر أربعة آلاف دينار وجهز تنكز باثني عشر ألف دينار. وعقد لولدي تنكز على ابنتي السلطان في بيت الأمير قوصون، بحضرة القضاة والأمراء.

ثم ولدت ابنة تنكز من السلطان بنتاً، فسجد تنكز لله شكراً بحضرة السلطان، وقال: وا لله يا خوند !كنت أتمنى أن تكون المولودة بنتاً، فإنها لو وضعت ذكراً كنت أخشى من كمال السعادة .فإن السلطان تصدق علي بما

غمرني به من السعادة، فخشيت من كمالها.
وأخذ السلطان مع النشو في تجهيز تنكز على عادته، وأمره أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابي، ورتب السلطان ذلك بنفسه، فكانت قيمته مائة وخمسين ألف دينار عيناً، وكان تنكز قد أقام مدة شهرين، وراتبه السلطاني في كل يوم أربعة آلاف درهم.
فلما وادع تنكز السلطان سأله في إعفاء الأمير كجكن من الخدمة، وأن ينعم عليه بسفر لؤلؤ الحلبي إلى الشام ليستقر في شد عداد الأغنام، وأن ينقل الأمير بيبرس الحاجب من حلب إلى دمشق، وأن ينعم على قرمشي بإمرة ويستقر حاجباً بدمشق عوضاً عن علاء الدين بن صبح فأجابه السلطان إلى ذلك كله، وكتب له تقليداً بتفويض الحكم في جميع المماليك الشامية بأسرها، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته: أعزالله أنصار المقر الشريف، بعدما كانت "أعزالله أنصار الجناب، وأن يزاد في ألقابه: الزاهدي العابدي العالمي كافل الإسلامي أتابك الجيوش. وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة ألاف درهم، وحصل لها من الدور ثلاث بدلات زركش وثلاثون تعبيه قماش وأربع بدلات مقانع، وخمسمائة دينار، مبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم. ثم كان آخر ما قال له السلطان: "أيش بقى لك حاجة، أو في نفسك شيء أقضيه قبل سفرك؟ فقبل تنكز الأرض، وقال: والله يا خوند ما بقي شيء أطلبه الا أن أموت في أيامك، فقال السلطان: لا إن شاء الله. يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك، أو أكون بعدك بقليل.
فقبل تنكز الأرض وانصرف، وقد حسده جميع الأمراء، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزة .واتفق ما قاله السلطان، فإنه لم يقم بعد موت تنكز إلا قليل، ومات كما سيأتي ذكره.
وفيها أنعم على الأمير يلبغا اليحياوي بالمنزلة من أعمال أشوم، فركب إليها النشو وحفر لها ترعة، وأخرق بمتولي أشوم، وألزم أقبغا السيفي متولي الغربية بمائة ألف درهم.
وفيه استقر علاء الدين علي بن الكوراني في ولاية الغربية عوضاً عن آفبغا السيفي واستقر شهاب الدين بن الأز كشي في ولاية الأشمونين عوضاً عن ابن الكوراني واستقر نجم الدين أيوب في ولاية الشرقية، عوضاً عن ابن الأزكشي.
وفي مستهل جمادى الأولى: صلى صلاة الغائب بمصر والقاهرة على قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني فاستقر عوضه الشميخ تقي الدين علي بن السبكي.
وفيه أخرج آقوش الزيني إلى حلب.
وفبه أخرج الأمير عز الدين أيدمر العمري إلى صهيون، وأنعم بإقطاعه على ولده أبي بكر، فأحاط النشو بموجوده، وأخذ له ثمانين ألف دينار.

وفيه قدم البريد بأن التركمان ساقوا إلى دمشق عشرين ألف رأس من الغنم ليبيعوها بالقاهرة، فلما حضرت رسم ألا يؤخذ منهم المقرر وهو أربعة دراهم الرأس يؤخذ عن كل مائة درهم خمسة دراهم. وكان التركمان قد شكوا من أزدمر والي بهنسا فكشف عنه فوجد أنه كثر ظلمه وأخذه لأموال الرعية، فأحيط بضياعه وأمواله، وأنعم ببعض ضياعه على الأمير تنكز نائب الشام، ووقف بعضها على قلعة طرندة ببلاد الروم.
وفيها قدم الشريف مبارك بن عطيفة بخيله، فسجن مع أبيه، لكثرة إفساده بالحجاز وفيها اتفق موت ابنة الأمير

الكبير شمس الدين إلدكز المنصوري - زوجة الأمير ناصر الدين بن المحسني بعد عودها من طرابلس، عن بنت وأخت وزوج، فأخذ النشو جميع مخلفها، وكان شيئاً كثيراً.

وفيها مات بعض الكتاب وترك بيتاً على الخليج، فلم يجسر أحد يشتريه إلى أن قلبته ابنة الأمير قطز بن الفارقاني لتشتريه فلم يعجبها، فألزمها النشو أن تشتريه بمائة ألف درهم، فمازالت به حتى صالحها على شيء حملته وتركها.

وفيها هلك بطريق النصارى الأقباط، فنزل النشو في الكنيسة وأخذ كل ما فيها كل حاصل ذهب وفضة وشمع وغيره.

وفيها ماتت امرأة ظلظية الكاشف، وقد تزوجت بعده وخلفت ولداً ذكراً، فأخذ النشو موجودها كله بحجة أن ظلظية أخذ مال السلطان وتركه بعد موته عندها.

وفيها ظفر النشو بحلي لنساء أمين الدين قرموط، فأغري به السلطان حتى سلم ولده وصهره وأهله لوالي القاهرة.

وفيها جدد النشو الطلب على أولاد التاج إسحاق، وعوقب نساءهم حتى مات بعضهن من العقوبة.

وفيها طلب النشو المال الحاصل بالمارستان المنصوري فقام الأمير سنجر الجاولي في ذلك، حتى أن ابتيع للوقف من أراضي بهتيت من الضواحي مائتان وخمسون فداناً وأربعمائة ألف درهم، وحملت إلى النشو.

وفيها قبض على شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله، في رابع عشرى شعبان. وسببه أن الأمير تنكز لما سأل السلطان أن يولي علم الدين محمد ابن القطب أحمد بن مفضل كاتب السر بدمشق، وأحابه السلطان وخلع عليه، حدث شهاب الدين السلطاني في أمره، وقال: هدا رجل قبطي لا يدري هذه الصناعة، فلم يعبأ بقوله. ثم رسم السلطان أن تكثر ألقاب علم الدين ويزاد في معلومه، فامتنع شهاب الدين من ذلك واحتد خلقه، وفاجأ السلطان بقوله كيف يكون رجل أسلمى ملته كاتب السر، وتزيد في حامكيته، ما يفلح من يخدمك، وخدمتك علي حرام، ونهض من بين يدي السلطان قائماً. فما شك الأمراء في أن السلطان يضرب عنقه، فرعى فيه حق أبيه و لم يؤاخذه. ودخل شهاب الدين على أبيه محيي الدين وعرفه ما كان منه، فخاف خوفاً شديداً، وقام مع الأمراء في ترقيع هذا الخرق، ودخل إلى السلطان فقبل الأرض وطلب العفو، فعرفه السلطان أنه لأجله حلم عليه وصفح عنه، ورسم أن يدخل ابنه علاء الدين علي في المباشرة عنه، عوضاً عن شهاب الدين. فاعتذر محيي الدين بأن ابنه علاء الدين صغير لا ينهض أن يقوم بأعباء الوظيفة، فقال: السلطان: أنا أربيه كما أعرف .فباشر علاء الدين عن أبيه إلى أن مات أبوه، وشهاب الدين منقطع بداره طول تلك المدة من الغبن.

فلما كان في يده هذه السنة شكا قاضي القضاة عز الدين بن جماعة أنه كتب توقيع لابن الأنصاري برجوعه إلى مباشرته، ورماه بقوادح. فطلب السلطان الأمير طاجار وأنكر عليه، فأحال على علاء الدين بن فضل الله أنه أعطاه قصته. فطلب السلطان علاء الدين وأنكر عليه، فاعتذر بأن أخاه شهاب بعث بها إليه فاستقبح ردها عليه فقال له السلطان: لا تكن تسمع من أخيك، فإنه نحس وما يقعد حتى أفعل به وأفعل به فلم تمض إلا أيام حتى رفع شهاب الدين قصة يشكو فيها كثرة كلفه، ويطلب الإذن بالتوجه إلى دمشق، فذكر السلطان بنفسه، وأمر به فقبض عليه، وحمل إلى القلعة. ورسم السلطان لطاجار والدوادار أن يعريه في قاعة الصاحب، ويضربه حتى

يلزم بحمل عشرة ألاف دينار، أو يموت تحت العقوبة، فعندما عراه طاجار رجف فؤاده وارتعدت مفاصله، فإنه كان ترفاً ذا نعمة لم تمر به شدة قط، فكتب خطه بعشرة ألاف دينار. ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ له نحو خمسين ألف درهم، وباع قماشه وأثاثه وأملاكه بدمشق حتى حمل مائة وأربعين ألف درهم، وسكن الطلب منه.

وفيها وشى النشو بالأمير أقبغا عبد الواحد أن له خمسة ألاف رأس من الغنم، قدمت من بلاد الصعيد ورعت براسيم الجيزة، ومضت إلى الغربية فرعت الزرع فطلبه السلطان وأخرق به، فلولا شاء الله أن يتلطف الأمير بشتاك في أمره وألا أوقع به المكروه.

وفيها خلع على الأمير عز الدين أيدمر كاشف الوجه القبلي واستقر في كشف الوجه البحري.

وفيها أنشأ السلطان القناطر بجسر شيبين. وذلك أن بلاد الشرقية كانت لا تروى إلا من بحر أبي المنجا، وفي أكثر السنين تشرق بلاد العلو منها، مثل مرصفا وسنيت وكان للأمير بشتاك بها ناحية شرقت، فركب السلطان للنظر في ذلك وصحبته المهندسون، وكشف عدة مواضع، وكان له بصر جيد وحدس صحيح، فوقع اختياره على عمل جسر من شيبين إلى بنها العسل، وتعمر عليه قناطر لتحبس الماء، فإذا فتح بحر أبي المنجا امتلأت المخازن رجع الماء إلى هذا الجسر ووقف عليه، فوافقه المهندسون على ذلك. ورجع السلطان إلى القاهرة، فكتب إلى الأعمال بجمع اثني عشر ألف راجل وتجهيز مائتي قطعة جراريف. فلم تمض إلا أيام حتى قدم مشدو البلاد بما عليهم من الرجال، وشرعوا في العمل حتى تم في ثلاثة أشهر، وكان يصرف في كل يوم أجرة رجال وثمن كلف مبلغ أربعين ألف درهم من مال النواحي التي للأجناد. فلما كانت أيام النيل أبطل السلطان وفتح عوضه سد شيبيني، فرويت البلاد كلها، وروي ما لم يكن يروى قبل ذلك واستنجزت عدة أماكن.

وفيها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الكرك، وإسرافه في العطاء لواحد منهم اسمه الشهيب، وكان جميل الصورة، وقد هام به أمير أحمد غراماً وهتك فيه. فلم يخرج أحد من الأمراء إلى لقائه، فطلع مع بكتاش النقيب وحده، فتلقاه طاجار من باب القلة، ودخل به حتى قبل الأرض، ووقف واسعة، ثم رسم له بتقبيل اليد، ومضى إلى الدور من غير أن يقبل السلطان عليه. وأمر السلطان بعقوبة الشاب الذي كان يهواه حتى يحضر المال الذي وهبه له، فبعث أحمد إلى الأمراء بسببه حتى عفى عنه ومازال يجد في أمره إلى أن أذن له أن يدخل عليه ويقيم عنده.

وفيها أنعم السلطان على الأمير ملكتمر الحجازي بإقطاع بهادر المعزي بعد موته، وزاده النحراوية وكانت عبرتها في الشهر سبعين ألف درهم.

وفيها توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس، لكشف البلاد التي أنعم بها عليه، فمر على حماة، ونادى بها ألا يقف أحد لملك الأمراء بقصة، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة، وخلع على صاحب حماة .ومضى تنكز إلى حلب ودخل بلاد سيس، فأهدى إليه تكفور هدية سنية مع أخيه، فقبلها وخلع عليه، وعمر تنكز تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال، وعاد.

وفيها عملت أوراق بما على الدولة من الكلف، فبلغت نحو مائتين وثمانين ألف درهم في الشهر، فوفر السلطان منها ما يصرف للمباشرين والأمراء من التوابل، ووفر شيئاً من مصروف العمائر، ووفر الدجاج المرتب برسم

السماط والمخافي الخاصة بالسلطان، والمخافي التي تحمل الطيور المطبوخة؟ كل يوم إلى الأمراء وعدقما سبعمائة طائر في كل يوم، فكانت جملة ما توفر في كل شهر مبلغ تسعين ألف درهم. واتفق بعد ذلك أن السلطان طلب أربعة أطيار دجاج، فكتب بها وصول من بيت المال، فاستقبح الناس ذلك، ونسب توفير ما توفر إلى النشو.

وفيها التزم النشو بتدبير الدولة، على أن يتسلم الجهات، فأجيب إلى ذلك. فطلب السلطان الشمس نصر الله وخلع عليه، واستقر به نظر الجهات عوضاً عن، وخلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام، واستقر به نظر الدولة، عوضاً عن العلم بن فخر الدولة، وولي استيفاء الصحبة كريم الدين أخو تاج الدين المذكور. وجلس النشو في قاعة الصاحب بالقلعة، وضرب يعقوب مستوفي الجهات بالمقارع، وألزمه بمال كثير، وألزم جميع مباشري الدولة من الكتاب والشهود والشادين بحمل معاليمهم المقررة لهم عن أربعة أشهر، واحتج عليهم بأنهم أهملوا مال السلطان، فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر وقطع عليق جميع الأمراء والدواوين وبعض الخاصكية، وطلب أرباب الأموال من أهل النواح وأوقع الحوطة على موجودهم، ولم يدع من يشار إليه بغني أو زراعة إلا وألزمه بمال .حتى مشى على والي المحلة، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالاً كثيراً فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم. وكتب النشو لجميع الولاة بشراء الشعير، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب، وعن الحمل التبن درهماً. فشكا الجند ذلك، فلم يلتفت السلطان إليهم.
وفيها استقر المخلص أخو النشو مباشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وخلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمائة درهم، وجهز له حمار بألف درهم، وعدته بخمسمائة درهم.
وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين وبين الروم، قتل فيها خمسمائة نفس، ونهب ابن دلغادر من أموال الروم شيئاً كثيراً رد منه بعدما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وجمال.
وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه القبلي والوجه البحري حتى خرج في ذلك عن الحد، وادغر الناس على اختلاف طبقاتهم.
وفيها استقر زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلقيائي في قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن فخر الدين عثمان بن علي بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين.
وفيها استقر شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصاري المصري في كتابه السر بحلب، عوضاً عن تاج الدين محمد بن الزين خضر.
وفيها حدثت زلزلة بطرابلس في رجب، هلك فيها ستون إنساناً.
وفيها انتهت زيادة النيل ستة عشر ذراعاً وعشر أصابع، فلم ترو الأراضي كلها، وغرق كثير منها، وتحسنت أسعار الغلال، وكانت سنة كثيرة الحوادث.

ومات فيها من الأعيان

جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المكين الإسنائي الفقيه الشافعي بإسنا وقد جاوز السبعين في شوال.
وتوفي الأديب أبو المعالي خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجي المصري عن تسع وسبعين سنة.

وتوفي خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.
وتوفي قاضي الشافعيه بحلب فخر الدين عثمان بن زين الدين علي بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين الفقيه الشافعي بالقاهرة في المحرم، وله مصنفات في الفقه والأصول.
وتوفي علاء الدين علي بن بلبان الفارسي الجندي الفقيه الحنفي بالقاهرة عن أربع وستين سنة.
ومات أمير علي بن أمير حاجب، كان والي مصر، وأحد أمراء العشرات، وكانت وفاته وهو معزول، وقد عني بجمع القصائد النبوية، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلداً.
ومات الأمير سيف الدين بهادر المعزي أحد أمراء الألوف، في ليلة الجمعة تاسع شعبان، وبلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النشو.
ومات علم الدين عبدالله بن كريم الدين الكبير.
ومات ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن علي المعروف بابن الحلي بالقدس، وكان قد قدم إليها، فولي عوضه نظر الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان الحلبي.
وتوفي قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم القزويني الشافعي بدمشق في يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة، ومولده بالموصل في سنة ست وستين وستمائة.
ومات الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزلي بخليص وهو محرم في رابع ذي الحجة، عن أربع وسبعين سنة.
ومات الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر بعدما ولي بالقاهرة شد الخاص وشد الأوقاف وشد المارستان وشد الدواوين، وصار يضاهي الوزراء.

ومات السعيد بن الكردوش، وأخذ له النشو بعد موته خمسة عشر ألف دينار.
ومات الأمير بدر الدين بيليك المحسني بطرابلس، بعدما كان والي القاهرة.
وتوفي المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي عن إحدى وثمانين سنة.
وتوفي بدر الدين محمد بن عز الدين محمد بن عبد القادر ابن الصائغ الأنصاري الدمشقي الشافعي.

سنة أربعين وسبعمائة

في يوم السبت مستهل المحرم: قدم رسول الأمير يوسف بن أتابك الكردي صاحب الجبال ووطاة نصيبين يخبر بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب في الانتماء إلى السلطان وضرب السكة في بلاده باسمه، وطلب نجدته بعسكر يتسلم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها، وأن يشرف بصناجق سلطانية عليها اسم السلطان لتعينه في غاراته، فأجيب بالشكر، وجهزت له هدية وخيول وسلاح.
وفيه: قدم الخبر بكثرة الفتن والغارات والاختلاف ببلاد المشرق، من نحو الصين وبلاد الخطا إلى ديار بكر.
وفيه: قدم مبشرو الحاج برخاء الأسعار وسلامة الحاج.
وفي يوم الأحد ثانيه: قدم الأمير بشتاك من الحج، وطلع القلعة بعد الظهر في اثني عشر رجلاً منهم أربعة نجابة

وصحبته الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب. وكان السلطان والأمراء أجيبوا لنواب قد قدموا له عند سفره شيئاً يجل عن الوصف، فبعث السلطان له مائتي ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختياً وستين جملاً. فلما قدم مكة فرق في الأمراء مالاً كثيراً، فبعث إلى كل من الأمراء المقدمين ألف دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، وفرق في الأجناد، وبعث إلى بيوت الأمراء بمال كثير، ثم استدعى المجاورين جميعهم والأشراف وغيرهم من أهل مكة والزيالعة، وفرق فيهم المال، و لم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفاً، فكان جملة ما فرق بشتاك ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، سوى ما وصل إليه في المراكب من الغلال. فلما قدم بشتاك المدينة النبوية بعد قضاء نسكه فعل بها خيراً كثيراً ومضى منها إلى الكرك فتلقاه الأمير شطى بن عبية أمير آل عقبة في أربعمائة فارس من عربه وأضافه، ثم سار بشتاك ومعه الأمير شطى ومن معه من العرب إلى العقبة وقدم إلى القاهرة ثاني المحرم كما تقدم.

وفي رابع عشريه: قدم ركب الحاج.

وفيه انقطع مقطع بالقناطر التي أنشأها السلطان على جسر شيبين، فركب إليه الأمير برسبغا الحاحب، وجمع له من النواحي أربعة آلاف رجل، واستدعى بالأخشاب والصواري من دار الصناعة بمصر، وغرق فيه عدة مراكب. فأقام برسبغا اثنين وعشرين يوماً حتى سد المقطع، وبلغ المصروف عليه في ثمن مراكب غرقت وثمن صواري وحجارة وجير وجبس وحلفاً وأجرة رجال ثلاثين ألف دينار، غير سخر البلاد.

وفيها قدم زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائي قاضي حلب باستدعاء، فولى عوضه برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعني.

وفي هذا الشهر: وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير يلبغا اليحياوي وأخت خوند زاد وزوجة السلطان، فعمل لها السلطان مهما عظيماً، أقامت الأفراح سبعة أيام بلياليها، ولم يبق أحد من الأمراء إلا وبعث بزوجته، ففرق السلطان في نساء الأمراء جميعهن ما بين خمسمائة دينار إلى أربعمائة دينار إلى ثلاثمائة الواحدة. وكان السلطان قد عمل للنفساء قبل ولادتها داير بيت وبشخاناه ونحو ذلك بعشرين ألف دينار، وعمل لها عصابة مرضعة بأنواع الجواهر قومت بخمسين ألف دينار، وأنعم على زوجها بثلاثة آلاف دينار.

وفي يوم الإثنين ثاني صفر: قبض على النشو، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله، وعلى أخيه المخلص، ورفيقه مجد الدين، وعلى صهره ولي الدولة.

وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو في الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد، خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة، ورتب مع أصحابه ذلك. وكانت عادته في كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيدله ظل منهم على آبدة، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده، فكان مما اقترحه أن رتب أوراقاً تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عيناً، وقرأها على السلطان: ومنها التقاوي السلطانية المخلدة بالنواحي من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاوون في إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها مائة ألف وستون ألف أردب، سوى ما في بلاد السلطان من التقاوي ومنها الرزق الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك، وهي مائة ألف فدان وثلاثون آلف فدان وقرر

النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوي السلطانية المذكورة، بأن يلزم متولي كل إقليم باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطه نصف ما هو وقف عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان، ومنها أراضي الروضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقي الأقصاب ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان - وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضي الروضة للخاص، وأن يقاس ما أبيع منها، ويؤخذ ممن هي بيده تفاوت قيمتها، أو تجدد عليه إجارة للسلطان بالقيمة، ومنها أرباب الرواتب السلطانية، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلمانهم ونساؤهم، ويكتبونها باسم زيد وعمرو، ومنها ما هو مرتب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات - وقرر النشو مع السلطان عرض جميع أرباب الرواتب والنظر في تواقيعهم، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحق على ما بيده، وأخذ تواقيع من عداهم وإلزامه بحل جميع ما استأداه من تاريخ توقيعه إلى أخر وقت، ومنها ذكر حواصل الأمير أقبغا عبد الواحد، وتفصيل ماله من أملاك وأراضي ومتاجر ومرتبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر، وتفصيل ما حمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف - وذكر النشو العمائر التي عمرها أقبغا من ديوان السلطان وما له لبلاد الشام، وجملتها وحدها خمسمائة ألف دينار، سوى ما له بديار مصر، ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم، وتفصيل أملاكه. وقرر النشو مع السلطان القبض على آقبغا وطاجار، فوافقه السلطان على ذلك.

وكان أول ما بدأ به النشو أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها من مذدرعها وأراضي دورها، وألزم أرباب الدور التي بها بإحضار كتب دورهم، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها، ووكل ابن صابر باستخراج ذلك منهم، وأخذ عن البروز في الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم.

وأمر النشو مباشري الجوالي بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب إلى جميع الأعمال يحمل مال الجوالي إلى خزانة الخاص، ومن تعجل منها شيا يستعاد منه، فجمع من ذلك مالاً كبيراً. فانزعج الناس كلهم، ولم يتجاسرأحد من الأمراء على السلطان في الحديث معه في ذلك، حتى ذكر السلطان لهم أن له نحو آلف أردب غلة في البلاد وأنه يريد أخذها، فتلطف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدي وجنكلي بن البابا حتى سمح بأن يتمهل بطلبها حتم يفرغ الحرث ويقبض المغل.

فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم، وألزم المباشرين بعمل الحساب وحمل ما تحت أيدهم من ذلك، وألزم جميع أرباب الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث البريد إلى الأعمال بذلك، وألزم ديوان الأحباس بكتابة الرزق كلها، فزلزل أرض مصر قبليهما وبحريها، و لم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون، فإنهما كانا إذا بعثا إليه في شفاعة رد عليهما رداً جافياً وأغلظ على رسلهما.

فاتفق الخاصكية جميعاً عليه، وندبوا للحديث مع السلطان الأمير يلبغا اليحياوي والأمير ملكتمر الحجازي

وغيرهما، فصار كل منهم يسمع السلطان قبح سيرة النشو وهو يتغافل، إلى أن حدثه يلبغا وهو يومئذ أخص الخاصكية عنده، وقال عنه: "يا خوند والله النشو يضرك أكثر ما ينفعك فتخيل السلطان من كلامه.

واتفق وصول الأمير قرمجي الحاجب من دمشق، فأعاده السلطان سريعاً ليستشير الأمير تنكز نائب الشام في أمر النشو، وأنه قد بعضه أهل الدولة كلهم، مع كثرة نفعه لي ثم وجد السلطان عدة أوراق في حق النشو قد رميت له من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها :

أيا ملكا أصبح في نشوة   من نشوة الظالم في نشيه

أنشيته فلتنشئن ضغائنا   سترى غباوتها بصحبة غيه

حكمته فحكمت أمراً فاسداً   وتوحشت كل القلوب لفحشه

سترى بوارقها إذا ما أظلمت   وتحكمت أيدي الزمان ببطشه

ودستندمن ندامة كسعية   يوما إذا ذبح الخروف بكبشه

فلما قرأها السلطان تغير لونه ومزقها. ووجد السلطان ورقة أخرى فيها.

أمعنت في الظلم وأكثرته   وزدت يا نشو على العالم

ترى من الظالم فيكم لنا   فلعنة الله على الظالم

وعن قريب عاد قرمجي في سادس عشرى المحرم، وأخبر عن نائب الشام بأنه قد استفيض ما ذكره السلطان من بغض مماليكه للنشو، وأن التجار وأرباب الأموال في خوف شديد من ظلمه، ورأى السلطان فيه أعلى. وكان يوم وصوله بالقلعة منظراً مهولاً، فإنه اجتمع بها أرباب الرواتب والصدقات، وفيهم الأرامل والأيتام والزمناء والعميان، وصاروا في بكاء ونحيب، فتقطعت القلوب حسرات رحمة لهم. وشغل الله النشو عنهم بنفسه، فحد له قولنج وهو بخزانة الخاص.

فأمر السلطالن الناس أن ينصرفوا ويحضروا أول الشهر، ومن تأخر شطب على اسمه. فترل بعد الظهر من القلعة، وتفرقوا تلك الليلة بالجوامع في القاهرة ومصر، وهي ليلة سابع عشرى المحرم، للدعاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، فإنه كان قد توقف توقفاً زائداً فلما قرب الوفاء نقص واستمر على نقصه أياماً، فصرفوا دعاءهم على النشو طول ليلتهم، وكانوا جموعاً كثيرة إلى الغاية. فأصبح النشو مريضاً، وانقطع بداره حتى فرغ المحرم، فحذره الفاضل شمس الدين محمد بن الأكفاني مع قطع مخوف في أول صفر، يخشى منه إراقة دمه.

فلما كان يوم الأحد أول صفر: ركب النشو إلى القلعة، وبه أثر المرض في وجهه، فقرر مع ا!سلطان إيقاع الحوطة على أقبغا عبد الواحد من الغد. فتقرر الحال على أنه يجلس على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتاك من الخدمة جلس معه على باب الخزانة ثم قاما إلى بيت آقبغا وحاطا بموجوده كله.

فلما عاد النشو إلى داره عبر إلى الحمام ليلة الإثنين، ومعه ابن الأكفان فأمر بعض عبيده السود أن يحلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه، ليكون ذلك حظه من القطع المخوف، ففعل به ذلك، وتباشروا بما دفع الله عنهم بهذا، وباتوا ليلتهم في لذات ومسرات.

هذا وقد كان الأمير يلبغا اليحياوي قد وعك جسمه، فقلق السلطان لمرضه، وأقام عنده لكثرة شغفه به. فقال له يلبغا فيما قال: "يا خوند قد عظم إحسانك لي ووجب نصحك علي والمصلحة القبض على النشو، وإلا دخل

عليك الدخيل، فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترقب غفلة منك، وقد عرفتك ونصحتك قبل أن أموت، وبكى. فبكى السلطان لبكائه، وقام وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقته بيليغا وطلب بشتاك وعرفه أن الناس قد كرهوا النشو، وأنه عزم على الإيقاع به، فخاف بشتاك أن يكون ذلك امتحاناً من السلطان، فوجد عزمه قوياً في القبض. واقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضاً، فقوي عزم السلطان على ذلك، ومازال به حتى قرر معهما أخذه.

وأصبح النشو يوم الإثنين ثاني صفر وفي ذهنه أن القطع الذي خوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفاني من إسالة الدم، فعلق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز، وركب إلى القلعة. وجلس النشو بين يدي السلطان على عادته وأخذ معه في القبص على أقبغا عبد الواحد كما قرره، فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده، فقام. وطلب السلطان المقدم ابن صابر، وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يدعوا أحداً من حواشي النشو وأقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلهم. وأمر السلطان الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشو من داخلها، فظن النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود أقبغا عبد الواحد، فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكتمر الحجازي فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر.
وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدي والأمير بيغرا والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.
وأخذ السلطان للأمراء: وكم تقولون النشو نهب أموال الناس الساعة ننظر المال الذي عنده، وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمراء على تحسينهم مسك النشو خوفاً من أن لا يظهر له مال، سيما قوصون وبشتاك من أجل أنهما كانا قد بالغا في الحط عليه وإغراء السلطان به، فكثر قلقهما ولم يأكلا طعاماً، وبعثا في الكشف عن الخبر. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أن حريم النشو في بستان بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامرأته وأخته وولديه وسائر أهله، وعندهم مائتا جنبة عنب وقند كثير ومعاصر، وهم في عصر العنب. فختموا على الدور والحواصل، ولم يتهيأ لهم نقل شيء منها.
هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال، وقد أشعلوا الشموع، ورفعوا على رءوسهم المصاحف ونشروا الأعلام، وهم يضجون ويصيحولن استبشاراً وفرحاً بقبض النشو، والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه، واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك.
فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه. وذلك أنه لما قبض عليه تسلمه الأمير قوصون، ووكل به أمير شكار، فسجنه أمير شكار في بعض خزائن بيته، وبات يحرسه حتى طلع الفجر، ثم قام أمير شكار للصلاة.
فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكيناً ووضعها في نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده، فلم يشعر أمير

شكار إلا وهو يشخر وقد تلف. فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضرباً مبرحاً إلى أن علم السلطان بالخبر، فلم يكترث به.
وفي يوم الإثنين: المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر، فقال الكمال جعفر الأدفوي في يوم الإثنين هذا، وفي معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات :

إن يوم الإثنين يوم سعيد   فيه لاشك البرية عيد

أخذ الله فيه فرعون جهراً   وغدا النيل في رباه يزيد

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصري في معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى وزيادة النيل، هذه الأبيات :

لقد ظهرت في يوم الإثنين آية   أزالت بنعماها عن العالم البوسا

تزايد بحر النيل فيه وأغرقت   به آل فرعون وفيه نجا موسى

وفيه زاد النيل بعد توقفه، فقال في ذلك علاء الدين بن فضل الله كاتب السر :

في يوم الإثنين ثاني الشهر من صفر   نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا

يا أهل مصر نجا موسى ونيلكم   طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا

وذلك أنه كان قد نقص، فلما قبض على النشو زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع.

وفي يوم الثلاثاء ثالث صفر: نودي بالقاهرة ومصر: بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو.
وفيه أخرج رزق الله أخو النشو في هيئة تابوت امرأة حتى دفن في مقابر النصارى خوفاً عليه من العامة.
وفيه أدخل الأمير بشتاك على السلطان وطلب الإعفاء من تسليم النشو إليه، خشية مما جرى على أخيه. فأمره السلطان أن يهدده على إخراج المال، ثم يسلمه لابن صابر. فأوقفه بشتاك وأهانه. فالتزم أنه إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال، فسبه ثم سلمه لابن صابر. فأخذه ابن صابر ليمضي به إلى قاعة الصاحب، فتكاثرت العامة تؤيد رجمه حتى طردهم نقيب الجيش وأخرجه ابن صابر في زنجير بعنقه حتى أدخله قاعة الصاحب، والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة، والنقباء تطردهم.
وفيه طلب السلطان جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتاك، وخلع عليه واستقر في نظر الخاص عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنشو، بعد تمنعه. ورسم له أن يتزل للحوطة على النشو وأقاربه، ومعه الأمير آقبغا والأمير برسبغا وشهود الخزانة. فتزل جمال الكفاة بتشريفة وركب بغلة النشو، حتى أخرج حواصله .وقد أغلق الناس الأسواق وتجمعوا من كل موصع، ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهي وأرباب الخيال، بحيث لم يوجد حانوت مفتوح نهارهم كله. ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة، وصاحوا صيحة حتى انزعج السلطان، وأمر الأمير أيدغمش بطردهم.
ودخل الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية، والفان وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفي درهم إلى ألف درهم، وسبعون فص بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة

ألاف درهم إلى ألفين، وقطعتان زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف، وستون حبلاً من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمائة مثقال، ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمنة، وكف مريم مرصع بجوهر، وصليب ذهب مرصع، وعدة قطع زركش سوى حواصل لم تفتح. فخجل السلطان لما رأى ذلك، وقال للأمراء: لعن الله القبط ومن يأمنهم أو يصدقهم.

وذلك أن النشو كان يظهر الفاقة بحيث يقترض الخمسين درهماً والثلاثين درهماً حتى ينفقها. وبعث في بعض الليالي إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربي رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، ويذكر له أنه طرقه ضيف ولم يجد ما يعشيه به.

وقصد بذلك أن يكون له شاهداً بما يدعيه من الفقر. فلما كان في بعض الأيام شكا النشو للسلطان الفاقة وابن المغربي حاضر، فذكر أنه اقترض منه في ليلة كذا مائة درهم، فمشى ذلك على السلطان، وتقرر في ذهنه أنه فقير لا مال له، وصار السلطان يذكر ذلك كل قليل للأمراء.

واستمر الأمراء يترلون كل يوم لإخراج حواصل النشو، فوجد له من الأواني الصيني والبلور والتحف السنية شيء كثير.

وفيه ولي الموفق نظر البيوت.

وفيه ولي المجد بن المعتمد ديوان الأمير ملكتمر الحجازي.

وفي يوم الخميس خامسه: زينت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام، وعملت بها أفراح كثيرة، ونظم فيه العامة عدة أزجال وبلاليق وأظهروا من الخيال واللهو ما يجل وصفه.

ووجدت مآكل كثيرة في حواصل النشو: منها نحو مائتي مطر مملوءة ملوحة وثمانين مطر جبن، وأحمال كثيرة من سواقة الشام، ولحم كثير من لحم الخترير، وأربعة ألاف جرة خمر، سوى ما نهب. ووجد له أربعمائة بدلة قماش جدد، وثمانون بدلة مستعملة، وزراكش ومفرجات كثيرة. ووجد له ستون بغلطاق نسائي مزركش، ومناديل زركش عدة كثيرة. ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندري مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد اختلسه، وكثير من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قبض عليهم. ووجد له مملوك تركي وكان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا، وكان قد خصى أيضاً أربعة عبيد فماتوا. فطلب الذي خصاهم، وضرب بالمقارع وجرس. وتتبعت أصحاب النشو، وضرب منهم جماعة وشهروا.

وفي يوم الإثنين تاسعه: خلع على نجم الدين أيوب الكردي أستادار الأكز وهو يومئذ والي الشرقية، واستقر والي القاهرة عوضاً عن علاء الدين علي بن المروان وأحيط بموجود ابن المرواني وصودر.

وفيه خلع أيضاً على عز الدين ممدود بن علاء الدين علي بن الكوران واستقر في ولاية مصر.

وفيه خرج البريد بطلب الصاحب أمين الدين وزير الشام من دمشق.

وفيه وجد لأخوة النشو ذخائر نفيسة: منها لصهره ولي الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش، وستة وثلاثون مرملة مكللة بالجواهر الرائعة، وإحدى عشر عنبرية مكللة بلؤلؤ كبار، وعشرون طراز زركش، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد وكوافي زركش، قوم الجميع بأربعة وعشرين ألف دينار.

وفيه ضرب المخلص اخو النشو ومفلح عبده بالمقارع، فأظهر المخلص الإسلام.

وفي يوم الأربعاء رابعه وثالث عشرى مسرى: وفي وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، وفتح الخليج من الغد على العادة.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: قدم أمين الدين من دمشق على البريد وطلع إلى بين يدي السلطان من الغد. وأجلسه السلطان وحادثه، وخلع عليه خلعة الوزارة، بطرحة خبعة القدوم، فترل أمين الدين إلى داره، وتردد الناس إليه.

وفيه أفرج عن الصفي كاتب الأمير قوصون، وأعيدوا إلى ديوان قوصون عوضاً عن علاء الدين ابن الحراني.

وفيه خلع على ابن الحران واستقر في نظر الشام، عوضاً عن أمين الدين.

وفي هذه السنة: لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الأكرة، فإن الأمراء لما تأخرت عقوبة النشو تنكروا السلطان وتنكر لهم.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرى ربيع الأول: وجدت ورقة بين فرش السلطان، فيها: المملوك بيرم الناصح للسلطان يقبل الأرض، وينهي أنني أكلت رزقك، وأنت قوام المسلمين، ويجب على كل أحد نصحك، وأن بشتاك وآقبغا قد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك، فاحترس على نفسك.

وكان الأمير بشتاك في هذا اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد، فطلب السلطان الأمير قوصون والأمير آقبغا، وأوقفهما على الورقة فكان عقل آقبغا ان يختلط من شدة الرعب، وأخذ قوصون يعرف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه. فأخرج السلطان البريد في الحال لرد الأمير بشتاك، فأدركه بإطفيح وقد مد سماطه، فقام ولم يمد يده إلى شيء منه، وجد في سيره حتى دخل على السلطان. فأوقفه السلطان على الورقة، فتنصل مما رمي به كما تنصل آقبعا، واستسلم وقال: هذه نفسي ومالي بين يدي السلطان وإنما حمل من رماني بذلك الحسد على قربي من السلطان وعظيمم إحسانه إلي، ونحو هذا حتى رق له السلطان، وأمره أن يعود إلى طلبه ويتوجه إلى جهة قصده، فسار.

ثم طلب السلطان ديوان الجيش، ورسم له أن يكتب كل من اسمه بيرم ويحضره إلى الأمير آقبغا. فارتجت القلعة والقاهرة لطلب المذكورين وعرضهم وتهديدهم وأخذ خطوطهم، ليقابل بها كتابة الورقة. فلما أعيا آقبغا الظفر بالغريم وهو يراجع السلطان في أمرهم، اتهم النشو أنها من مكايده. واشتد قلق السلطان وكثر انزعاجه، بحيث لم يستطع أن يقر بمكان واحد.

ثم طلب السلطان والي القاهرة لالا، وأمره أن يهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشاب، وينادي: من عمل نشاباً شنق، فامتثل ذلك. وخرجت أيضاً جميع مرامي النشاب، وغلقت حوانيت القواسين. ونزل الأمير برسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم، وعرفهم عن السلطان أن من رمي بالنشاب من مماليكهم أو حمل قوساً كان أستاذه عوضاً عنه في التلاف، وألا يركب احد من الأمراء بسلاح ولا تركاش نشاب.

وبينا الناس في هذا الهول الشديد، إذ دخل شخص يعرف بابن الأزرق كان أبوه ممن مات في عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال الكفاة - وطلب الورقة ليعرفهم من كتبها. فقام والي القاهرة، إلى السلطان ومعه الرجل، فلما وقف عليها قال :يا خوند هذه خط محمد الخطاب وهو رجل عند ولي الدولة صهر النشو، يلعب معه النرد ويعاقره الخمر فطلب المذكور، وحاققه الرجل محاققة طويلة، فلم يعترف، فعوقب عقوبات مؤلمة إلى أن أقر بأن ولي الدولة أمره بكتابتها، فجمع بينه وبين ولي الدولة، فأنكر ذلك. وطلب ولي الدولة أن يرى الورقة، فلما

رأها حلف جهد أيمانه أنها خط ابن الأزرق لينال عرضه من أجل أن النشو قتل أباه، وحاققه على ذلك.
فاقتضى الحال عقوبة ابن الأزرق، فاعترف أنها كتابته، وأنه أراد أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله. فعفا السلطان عن ابن الأزرق، وأمر بحبس الخطابي.
ورسم السلطان لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا وأذن للأجناد في حمل النشاب في السفر لا غيره.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدثوا مع السلطان في يوم الخميس رابع عشريه في أمر النشو، فابتدأ الأمير علم الدين سنجر الجاولي وقبل الأرض وقال: حاشا مولانا السلطان من شغل الخاطر وضيق الصدر فقال السلطان: يا أمراء، هؤلاء مماليكي أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل، وقد بلغني عنهم ما لا يليق.
فقال الجاولي: حاشا لله أن يبدو من مماليك السلطان شيء من هذا غير أن علم مولانا السلطان محيط بأن ملك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتاب، وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من جهة الوزراء .ومولانا السلطان ما يحتاج في هذا إلى أن يعرفه أحد بما جرى لهم، ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه، فوافقه الجميع على ذلك. فضرب في هذا اليوم المخلص أخو النشو بالمقارع مع ليلة الجمعة حتى هلك يوم الجمعة العصر، ودفن بمقابر اليهود، ثم ماتت أمه عقيبه.
وقتل بعدها ولي الدولة عامل المتجر ورمي إلى الكلاب.
هذا والعقوبة تتنوع للنشو حتى هلك في يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر، فوجد بغير ختان .وكتب به محضر، ودفن في مقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم، ووكل بقبره من يحرسه مدة أسبوع خوفاً من العامة أن تخرجه وتحرقه. فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر.
ثم أحضر ولي الدولة صهر النشو ليعاقب، وهو بخلاف ولي الدولة عامل المتجر الذي تقدم، فدل على ذخائر للنشو ما بين ذهب وأواني في صندوق كبير. وطلبت جماعة بسبب ودائع اتهموا بها عندهم للنشو، وشمل الضرر غير واحد منهم.
وكان موجود النشو سوى الصندوق المذكور شيئاً كثيراً وعمل لمبيعه تسع وعشرون حلقة، أخرها حلقة لا يوجد لها مثل، إذ بلغت خمساً وسبعين ألف درهم، فكان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتي ألف دينار.
ووجد لولي الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار، ولولي الدولة صهر النشو زيادة على ثمانين ألف دينار وبيعت للنشو دور بمائة ألف درهم ثم ركب الأمير آقبغا إلى دور أل النشو بالمصاصة من مصر ومعه الأسر وخربها كلها حتى سوى بها الأرض، وحرثها بالمحاريث في طلب الخبايا، وحملت أنقاضها ورخامها، فلم يوجد بها من الخبايا إلا القليل.
وفي ثالث عشره: أفرج عن القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله العمري من سجنه بقلعة الجبل، بعدما أقام مسجوناً سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً.
وسبب الإفراج عنه أنه كان في السجن كاتب قد سجن على تزوير خط السلطان وكان قد قبض عليه في أيام مباشرة شهاب الدين لوظيفة كاتب السر، ورسم السلطان بقطع يده، فمازال شهاب الدين يتلطف في أمره حتى عفي من قطع يده وسجن.

فاتفق في هذا الوقت أنه رفع قصة ينهي فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكر السلطان شيئاً من خبره، فقيل له إن شهاب الدين يعرف خبره، فبعث إليه في ذلك وطالعه بأمره، فأفرج عن الكاتب وعن شهاب الدين، ونزل شهاب الدين إلى داره.

وفيه خلع على الأمير عز الدين أيدمر الزراق، واستقر في ولاية ثغر الإسكندرية عوضاً عن بيبرس الجمدار الركني.

وفيه توجه جمال الكفاة ناظر الخاص، والأمير نجم الدين وزير بغداد، والأمير بيغرا، والأمير طيبغا المجدي لإيقاع الحوطة على موجوده. وذلك أن ابن الصاوي شاد معدن الزمرد رفع فيه أن يربح في سنة من صنف الخمر وحده ثلاثين ألف دينار، وأن له بالإسكندرية عقاراً كثيراً من جملته ثلاثون بستاناً أقلها بألف دينار. فوجد أكثر ما قيل عنه صحيح، فحمل إلى القاهرة، وتعصب له عدة من الأمراء حتى تقرر عليه حمل عشرين ألف دينار، فحملها وأفرج عنه.

وفيه نودي بالقاهرة أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهماً بعدما كان بعشرين درهماً وسبب ذلك أن جمال الكفاة ناظر الخاص عمل أوراقاً بما على السلطان للتجار، فكان مبلغ ألف ألف دينار. فأجاب السلطان بأن النشو ذكر أنه وفى التجار ما لهم، وقصد ألا يعطهم شيئاً، فأشار عليه جمال الكفاة بوفاء جماعة منهم، وأن يحسب عليهم الدينار بخمسة وعشرين درهماً وما عدا هذه الجماعة لا يدفع لهم شيء، فتوقفت أحوال الناس لزيادة سعر الذهب. ولما نزل جمال الكفاة إلى دار القند بمصر ابتهج الناس به، فطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكريين بعشرة دراهم القنطار.

ووقع ببلاد البحيرة والغربية مطر عظيم فيه برد كبار، تلف به عدة مزارع وكثير من الأغنام، وهبت مع ذلك رياح عاصفة ألقت النخل.

وفيها فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد، بجوار الجامع الأزهر. وبلي الناس في عمارتها ببلايا كثيرة: منها أن الصناع كان قد قرر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوماً في الأسبوع بغير أجرة، فكانوا يتناوبون بها العمل سخرة، ومنها أنه حمل لها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية، فكانت ما بين غضب وسرقة. ومع ذلك فإنه ما نزلها قط إلا وضرب وفيها من الصناع عدة ضرباً ومؤلماً فيصير ذلك الضرب زيادة على شدة عسف مملوكه الذي أقامه شادا بها. فلما تمت جمع بها القضاة والفقهاء، ولم يول بها أحداً، وكان الشريف المحتسب قد عمل لها بسطا بنحو ستة آلاف درهم، على أن يلي تدريسها، فلم يتم له ذلك.

وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولاكو بن طولي بن جنكزخان متولي العراق، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان، وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاي بن سونتاي في الصلح بينه وبين الشيخ حسن فأجيب إلى ذلك، ووعد بتجهيز العسكر. وركب أمير أحمد قريب السلطان إلى طغاي ومعه هدية لينظم الصلح بينه وبين الشيخ حسن.

وفيه فرغت عمارة الخان الذي أنشأه الأمير طاجار الدوادار بجينين من طريق الشام، وعمل به حوض ماء للسبيل يجري إليه الماء، وعمل به حماماً وعدة حوانيت يباع بها ما يحتاج إليه المسافر، فكثر النفع به.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الآخر: ركب السلطان إلى قصوره بسرياقوس ومضى إلى خانكاته، وقد تقدمه إليها الشيخ شمس الدين محمد الأصفهاني والقوام الكرماني وجماعة من صوفية سعيد السعداء .فوقف السلطان على الباب بفرسه، وخرج إليه جميع صوفيتها، ووقفوا بين يديه، فسألهم من يختاروه شيخاً لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي فلم يعينوا أحداً. فولى السلطان مشيخة الشيوخ بها الركن الملطى خادم المجد الأقصرائي.

وفيها قدم الخبر بأن أرتنا لم يقم الخطبة ببلاد الروم للسلطان ولا ضرب السكة، فكتب بالغارة على أطراف بلاده. فقدم رسوله بهدية فيها خركاة كسوتها من داخلها، ومن خارجها حرير أطلس، ودايرها فرو سمور، وبسطها حرير قومت بثلاثين ألف درهم، ومعها ثلاثون إكديشاً، وأربعة سناقر، وعشرة بزاة وعشرة صقور، وستون تفصيلة حرير، ومع ذلك كتاب يتضمن الشكوى من غارة التركمان على أطراف بلاده. فأجيب بأن ذلك بسبب أنه لم يقم الخطبة ولا ضرب السكة باسم السلطان في بلاده، كما أخبر به.

وفيها انقطع السلطان عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوماً، لشغل خاطره بمرض الأمير يلبغا اليحياوي وملازمته له.

وفيها ادعى صلاح الدين يوسف بن المغربي الحكيم على أولاد الملوك بمبلغ عشرة آلاف درهم عند قاضي القضاة حسام الدين الغوري تعجلوها منه عن أرض بروضة مصر. وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها في ديوان الخاص، فوجب حقه على أولاد الملوك فلم يوافق القاضي على سجنهم وجرت بينه وبين ابن المغربي مفاوضة جرى فيها على عادته من السفه، فلم يرخص له ابن المغربي. وآل الأمر إلى أن خرج الغوري من المدرسة الصالحية ماشياً، وجمع الحنفية ليطلعوا إلى السلطان ويشكوا من ابن المغربي. ومشى الغوري بالشارع وبيده عكاز وكان يوماً مطيراً - والعامة تنظر به وبجماعته، وقد سبقه ابن المغربي وشكاه إلى السلطان. فبعث السلطان إليه الأمير طاجار، فوجده قد طلع إلى القلعة ماشياً ليمين حلف بها، فبلغه طاجار الرسالة، وأراده أن يرجع، فأبى أن ينصرف حتى يجتمع بالسلطان. فلم يمكنه السلطان من ذلك، وواعده إلى دار العدل، فلما لم يجد سبيلاً إلى الاجتماع به عاد، وطلع يوم الخدمة إلى دار العدل. واستدعى السلطان أولاد الملوك، وادعى عليهم ابن المغربي فألزمهم بالمال، وتسلمهم برسبغا الحاجب، حتى أدوه لابن المغربي بعد إخراق وإهانة بالغة.

وفيه عمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوي فيه من الأطعمة والأشربة والحلاوات ومشروب السكر ما يجل وصفه. واستدعى السلطان لحضوره جميع صوفية الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف، وأخرج من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف درهم أفرج بها عن المسجونين على دين، وأخرج للأمير يلبغا ثلاث حجورة بمائة ألف درهم، وحياصة ذهب مرصعة بالجواهر، وأفرج عن شعبان قريب ألماس.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين علي بن الكوراني والي الغربية، واستقر كاشف الوجه القبلي عوضاً عن أخي ظلظيه، لشكوى الجند منه.

واستقر أسندمر مملوك القنجقي في ولاية الغربية عوضاً عن ابن الكوراني، بتعيين الأمير برسبغا الحاجب.

وفيها جهزت التعابي من الخزانة لنائب الشام ونائب حلب ونائب حماة ونائب طرابلس، على العادة في كل سنة. ورسم بتجهيز تعبئة للأمير ألطنبغا نائب غزة وأنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف درهم

وألف غرارة من غلة وحمل إليه ألف دينار وتعبئة قماش وتشريف كامل.
وفيها خلع على الأمير نكبيه البريدي متولي قطيا، واستقر في ولاية الإسكندرية عوضاً عن الزراق لاستعفائه منها.
وفيه قدم أمير أحمد من بلاد الشرق، وقد عقد الصلح بين طغاي بن سونتاي وبين الشيخ حسن الكبير.
وفيها طلبت النساء المغاني وصودرن ما بين ثلاثة آلاف درهم و ألف درهبم الواحدة، وسجن بالحجرة أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء، وتزوج بقيتهن. وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش، وعمر له بها حوشاً لطيوره وموضعاً يتتره به، وأحضر إليه مغنية تعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك. فأسر السلطان للأمير آقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغاني والضامنة بالإنكار على المغاني حضورهن مجالس الخمر وإقامة الفتن، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه في أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك.
فلما وقع ذلك شق على آنوك امتناع الزهرة عنه عدة أيام، ومازال حتى أتته سراً، ولهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقي ، حتى علمت أمه بذلك، فلشفقتها عليه ترخصت له، وأمكنته من هواه. فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغل بال السلطان عنه، وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا، وألقيت إلى السلطان. فنم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك، فبلغه السلطان، فدخل إلى الدور واستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف، فمنعته أمه وجواريه .فأرعد آنوك من الخوف، ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلائي، وأقام طيبغا المجدي عوضه، ورسم ببيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش.
وفيه قدم أبو بكر ابن السلطان من الكرك باستدعاء، ومعه هدية قيمتها نحو مائتي ألف درهم، بعد ما أخذ أموال الناس بها على سبيل القرض، وكان يقتل من يمتنع عليه ويصادره، فمات جماعة من الناس تحت العقوبة.
وفيه توجه جمال الدين الكفاة ناظر الخاص إلى الإسكندرية وأوقع الحوطة على دور بيبرس الجمدار الركني نائب الإسكندرية بعد موته، فوجد له عدة دور وحوانيت وعشرين بستاناً باعها بخمسمائة ألف وستين ألف درهم، وعاد.
وفيها قوى الماء على الجسر الذي استجده السلطان بناحية شيبين، وصارت البلاد الواطئة تستبحر .فاقتضى رأي السلطان عمل زريبة كالجسر ترد قوة الماء، فندب لعملها الأمير بيبغا حارس الطير. وفرض السلطان لذلك على البلاد عن كل دينار ثمن درهم، فجبي نحو أربعمائة ألف درهم. وجمعت البناة والفعلة، وعملت أقمنة الجير والجبس والطوب حتى تمت الزريبة في طول زيادة على ثلاثين آلف قصبة. فعظم النفع بها، وشمل الري عدة أراض ما كانت تروى قبل ذلك إلا في الأنيال العالية، وزاد ارتفاع النواحي بري الأراضي. وبطل سد بحر أبي المنجا، وتأخر فتحه بعد أوانه بعشرة أيام، وقام مقامه سد قناطر شيبين، وبطل ما كان من ركوب الناس وفرجهم في فتح أبي المنجا، وأراح الله تعالى مما كان يعمل فيه يوم فتحه من المنكرات والفواحش.
وفيه توجه الأمير بشتاك بآنوك وأبي بكر ولدي السلطان إلى العباسة، وحضر بهما بعد أيام.

ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوي والأمير بشتاك بطيور السلطان إلى البحيرة، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه.

فدخلوا إلى الإسكندرية، وقد تقدمهم جمال الكفاة إليها وجهز لهم الإقامات والتعابي والإنعامات، فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا. فأنعم السلطان على يلبغا يوم وصوله بناحية سوهاي من الصعيد، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار، وكتب بتمكين أهل الاسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة، والإفراج لهم عن السلاح، وذلك بشفاعة يلبغا.

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، وأنه وجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم.

وفيها توقفت الأحوال بسبب صرف الذهب، وعدم وجود الفضة من بين الناس في الأسواق. فأخرج السلطان من الخزانة ألف درهم فضة فرقت مدة شهر في الصيارف، وأخذ عنها ذهب، فمشت الأحوال قليلاً ثم توقفت.

وفيها قدمت طائفة من العجم لهم زي غريب، على رءوسهم أقباع طوال جداً، من فوقها عمائم مضلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده. فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بخانكاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان في أمرهم، فولي زاده مشيخة الخانكاه الركنية بيبرس، فباشرها وعمل بها في كل ليلة جمعة سماعاً قام به الأمير قوصون.

وفي رابع عشرى شوال: رحل ركب الحاج من بركة الحاج، صحبة الأمير بكا الخضري. وكانت العادة أن يرحل الركب في سادس عشره، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقاً بالها، فأخر الرحيل في رابع عشريه، ليوافي الحجاج بمكة أول ذي الحجة، واستمر ذلك فيما بعد. وسار أيضاً الأمير أقبغا عبد الواحد إلى الحج بأهله.

وفيها تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرندة وأقام بها الدعوة للسلطان. وذلك أن مرجان الخادم نائب طرندة من قبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه في مهم له، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير علي بن الكركري، وإبراهيم كندلكي، وقرأ خليل بن البكي، وابن قرا، في زهاء أربعين رجلاً وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بجبال إليها، فقتلوا من بها من جماعة أرتنا، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر. فكتب إلى السلطان بذلك، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام، فبعث إليها تنكز وعمرها، ولم تزل قلعة طرندة بأيدي سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق.

وفيها هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوي إلى الغاية، وعلقت منه نار في أراضي الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيجة من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشريه: وقع بدمشق في أول الليل حريق بالدهشة شرقي الجامع الأموي، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع، وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجملون الرصاص. فبادر الناس جميعاً إليه، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز في مدة يومين بلياليها.

ثم وقع أيضاً في ليلة السبت أول ذي القعدة: حريق أخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق، وكان أمراً مهولاً مدة يومين بلياليها. فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس، وعدمت أموالاً عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغة ألف وستمائة ألف دينار، وخربت أماكن كثيرة.

فبينا الناس في ذلك إذ وجدت ورقة فيها: المملوك الناصح تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام

المكين كاتب الجيش، فقبض على المذكور وعوقب، فاعترف على أستاذه عدة من كتاب النصارى، وأحضروا بين يدي الأمير تنكز، فأقروا جميعاً بذلك.
فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم، وكتب عليهم محضراً ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصراني كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقدار أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلي كاتب الأمير بهادر آص والمكين يوسف عامل الجيش وصحبتهما راهبان أحدهما اسمه ميلاني والآخر اسمه عازر، وفدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعلمان صناعة النفط.

فاجتمعوا في بستان المكين يوسف، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط، وعملوا كعكات، وتنكروا في لباسهم، ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا في جوانبها، وابتاعوا منها قماشاً ودفعوا ثمنه لصاحبه، وجعلوا القماش عنده وديعة، وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة، فوقع منها ذلك الحريق، ثم دفعوا إلى الجرائحي النصراني الذي على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات، فرمي بها في دكان داخل القيسارية، فكان منها الحريق الثاني، وأن الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت حتى سيرهم العامل بها في مركب إلى قبرص وأرخ المحضر بعشرى ذي القعدة، وحمل إلى السلطان.
ثم سمر الجماعة في يوم السبت ثاني عشرى ذي القعدة، بعدما عوقبوا عقوبات عظيمة، وعددهم أحد عشر رجلاً: وهم المكين يوسف بن مجلي عامل الجيش وأخوه، والمكين جرجس كاتب الحوطات، والمكين كاتب بهادر آص، وسمعان، وأخوه بشارة، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار، والعلم عامل بيروت، والجرائحي، وجزاران نصرانيان، وشخص يعرف بسبيل الله، وكان هذا الرجل بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزي غريب يلبس جلداً، ويحمل على كتفه زيراً نحاساً أندلسياً، وبيده شربات كذلك، ويقول بلسان غتمي: سبيل الله، ويسقي الناس بغير جعل، فمن الناس من اعتقده، ومنهم من اتهم أنه جاسوس، ثم خرج هذا الرجل حاجاً، وقدم دمشق وأقام بها يسقي الماء، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق ولما سمروا وسطوا بعد يومين، ووجد لهم ما ينيف على آلف درهم، أنفق منها في عمارة منارة الجامع والدهشة.
فكتب السلطان إلى تنكز ينكر عليه قتل النصارى، وأن في ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد إليهم من التجار المسلمين وقتلهم، ويأمر بحمل ما وجد من الماء، وأن يجهز بناته اللاتي عقد لأولاد السلطان عليهن.
فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق، وأن المال الذي وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع، وجهر قرمجي بذلك فلم يرض السلطان، وتغير على قرمجي، وكتب معه إليه بأنه لابد من تجهيز بناته. ثم أركب السلطان الأمير طاجار الدوادار على البريد إلى دمشق بملطفات، في يوم الجمعة ثاني عشرى ذي الحجة، وكان طاجار قد ثقل عليه أمر تنكز، وأخذ في زواله، وجعل توجهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته.
وكان قد بلغ تنكز تغير السلطان عليه، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعبر ويخرج إليها بحجة أنه يتصيد. فقدم عليه طاجار قبل ذلك في يوم الأحد رابع عشره، وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله، فتغير الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار.

وعاد طاجار إلى السلطان في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة قبل الصلاة، فأغرى السلطان به، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق. فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس الأحمدي والأمير جنكلي بن البابا والأمير أرقطاي والأمير طقزدمر في آخرين، وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة، وأنه يبعث إليه تجريدة مع الأمير جنكلي والأمير بشتاك والأمير أرقطاي والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قماري أمير شكار والأمير قماري أخو بكتمر الساقي والأمير برسبغا الحاجب.

ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة، ومن الطبلخاناه ملكتمر السرجواني وقباتمر الجمدار المظفري وبلك الجمدار المظفري وبكا الخصري ومحمد بن الأمير جنكلي وأمير علي بن صغريل وأمير أحمد الساقي قريب السلطان ونيررز وطقتمر قلي وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطيبغا المجدي وطاجار الدوادار وبغاتمر وتمربغا العقيلي وطقتمر الصلاحي وجركتمر بن بهادر وسيف الناصري وطقبغا الناصري وبيبغا حارس الطير وأيتمش الناصري وأباجي الوافد وأرلان التتري الوافد وملكتمر السعيدي وأمير محمود بن خطير وخمسون نفراً من مقدمي الحلقة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، وجلس السلطانية، وجلس السلطان وعرضهم. ثم جمع السلطان في يوم السبت عشريه الأمراء جميعهم، وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبي بكر من بعده، وطلب الأجناد من النواحي للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة.

وحمل السلطان لكل مقدم آلف مبلغ آلف دينار ولكل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حلقة آلف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذة وغير ذلك.

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا في يوم السبت هذا، فقرر معه السلطان القبض على تنكز وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز.

وبعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى ألطنبغا الصالحي نائب غزة وسيف الدين طشتمر نائب صفد والي أمراء دمشق، بملطفات كثيرة، وأخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص، واهتم بأمر تنكز اهتماماً زائداً، وكثر قلقه وتنغص عيشه. وخرج العسكر إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذي الحجة، وكان حلاوة الأوجاقي قد قدم على الأمير ألطنبغا الصالحي نائب غزة بملطفه، وفيه أنه قد استقر في نيابة الشام عوضاً عن تنكز، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق، وأن الأمير طشتمر نائب صفد قد كتب إليه بالركوب إلى دمشق، ليركب هو والأمير قطلوبغا الفخري ، ويقبضا على تنكز، فسر ألطنبغا بذلك ووجه حلاوة إلى صفد، فقدمها ليلة الإثنين ثالث عشريه أول الليل، وأوقف الأمير طشتمر على ملطفه فركب في ساعته في ثمانين فارساً، وساق إلى دمشق.

واجتمع طشتمر مع قطلوبغا الفخري وسنجر البشمقدار وبيبرس السلحدار، وكان قد قدم حلاوة إلى أمراء دمشق بكرة يوم الثلاثاء وهو متنكر، وأوصل الملطفات إلى أصحابها، وقد سبقته ملطفات الأمير ألطنبغا من غزة.

فاتفق ركوب الأمير تنكز في ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصا في خواصه للنزهة، وبينما هو في ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد فعاد إلى دار السعادة، وألبس مماليكه السلاح، فلم يكن بأسرع من أن أحاط به أمراء دمشق. ووقع الصوت بوصول طشتمر نائب صفد، فخرج العسكر إلى لقائه، وقد نزل مسجد القدم. فأمر

طشتمر جماعة من الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه، فدخل عليه منهم تمر الساقي وطرنطاي والبشمقدار وبيبرس السلاح دار، وعرفوه مرسوم السلطان وأخذوه وأركبوه إكديشاً، وساروا به إلى نائب صفد، وهو واقف بالعسكر في ميدان الحصا، وقبض على جنغيه وطعيه مملوكي تنكز وسجنا بالقلعة. وأمر طشتمر بتنكز فأنزل عن فرسه على ثوب سرج وقيده قرمجي مملوكه، وأخده الأمير بيبرس السلاح دار، وتوجه به إلى الكسوة، فحدث له إسهال ورعدة خيف عليه منه الموت، وأقام بها يوماً وليلة، ثم مضى به بيبرس إلى القاهرة، ونزل الأمير طشتمر نائب صفد بالمدرسة النجيبية.

وتقدم بهادر حلاوة عندما قبض على تنكز ليبشر السلطان فقدم ليلاً بلبيس والعسكر نازل عليها، وعرف الأمير بشتاك ثم سار إلى السلطان، فقدم ومعه أحد مماليك السلطان ومملوك طاجار الدوادار في خامس عشريه وأخبره الخبر، فسر سرورا كثيراً. وكتب السلطان بعود العسكر من بلبيس خلا الأمير بشتاك والأمير أرقطاي والأمير برسغبا الحاجب وجماعة، فإنهم يتوجهون إلى دمشق، وأن يقيم الأمير بيغرا أمير جندار والأمير قماري أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم الأمير تنكز، فيدخلا به.

فعاد العسكر من بلبيس، وتوجه بشتاك ورفيقاه إلى دمشق، فركب معهم الأمير ألطنبغا من غزة، فلقوا الأمير تنكز على بيسان.

وفيها فرغ قصر الأمير سيف الدين بشتاك الناصري، بخط بين القصرين من القاهرة. وذلك أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسري وجدد عمارته، أحب الأمير بشتاك أن يعمل له قصراً تجاه قصر بيسري، فدل على دار الأمير بكناش الفخري الصالحي أمير سلاح، وهي أحد قصور الخلفاء الفاطميين التي اشتراها بكتاش من ذريتهم، وأنشأ بها دوراً وإسطبلات، وأبقى ما وجد فيها من المساجد، فشاور بشتاك السلطان على أخدها، فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بكتاش وأرضاهم، وأنعم له السلطان بأن كانت داخلها برسم الفراشخاناه السلطانية، وأخذ دار أقطوان الساقي بجوارها وهدم الجميع، وأنشأ قصراً مطلاً على الطريق ارتفاعه أربعون ذراعاً وأساسه أربعون ذراعاً، وأجرى إليه الماء يترل من شادروان إلى بركة .وأخرب بشتاك في عمل هذا القصر أحد عشر مسجداً وأربعة معابد أدخلها فيه، ولم يجدد منها سوى مسجد الفجل وقد سمي هذا المسجد بذلك الاسم من أجل أن قيمه يعرف بالفجل، وأنشأ خاناً تجاه خان الزكاة، ثم با ع بشتاك هذا القصر لزوجته التي كانت تحت بكتمر الساقي. وفيها خطب للخليفة الواثق بالله إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بأمر الله.

وذلك أن الخبر قدم في يوم الجمعة ثاني عشر شعبان بموت الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بقوص في مستهل شعبان، بعد موت ابنه صدقة بقليل، وأنه اشتد جزعه عليه، وأنه قد عهده لولده أحمد بشهادة أربعين عدلاً وأثبت قاضي قوص ذلك. فلم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم في يوم الإثنين خامس عشرى شعبان، وأجلسه بجانبه وحادثه، ثم قام إبراهيم وخرج معه الحجاب بين يديه، ثم طلع إلى السلطان في يوم الإثنين ثالث عشر رمضان، وقد اجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم في الخلافة وأمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليته، وأن المستكفي عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلاً وحاكم قوص، ويحتاج إلى النظر في عهده. فكتب السلطان بطلب أحمد وعائلة أبيه، وأقام الخطباء بديار مصر والشام نحو أربعة أشهر لا يذكرون في خطبهم الخليفة. فلما قدم أحمد من قوص لم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم

وعرفه قبح سيرته، فأظهر التوبة منها والتزم بسلوك طريق الخير، فاستدعى السلطان القضاة في يوم الإثنين وعرفهم أنه أقام إبراهيم في الخلافة، فأخذ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة يعرفه سوء أهليته للخلافة، فأجاب بأنه قد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد وليته فاشهدوا علي بولايته.

ورتب له السلطان ما جرت به العادة، وهو ثلاثة آلاف وخمسمائة وستون درهماً وتسعة عشر أردب شعيراً في كل شهر، فلم يعارضه أحد. وخطب له في يوم الجمعة سادس ذي القعدة. ولقب بالواثق بالله أبي اسحاق، فكانت العامة تسميه المستعطي فإنه كان يستعطى من الناس ما ينفقه، وشهر بارتكاب أمور غير مرضية.

وفيها استقر في قضاء الشافعية برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعني، عوضاً عن زين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائي.

وفيها استقر ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يشوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي في كتابة السر بحلب، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن القطب المصري.

وفيها استقر الشيخ حسن الكبير بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين وهو سبط القان أرغون بن أبغا بن هولاكو، في مملكة بغداد، قدم إليها من خراسان، وكان الشيخ حسن الصغير بن دمرداش إذ ذاك حاكم توريز.

وكان قاع النيل في هذه السنة أربعة أذرع وخمسة أصابع، وانتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعاً وتسعة عشر أصبعاً.

ومات فيها من الأعيان شهاب الدين أحمد بن عيسى بن جعفر الأرمنتي المصري عرف بابن الكمال في جمادى الأولى، سمع من الأبرقوهي، وكان ثقة.

وتوفي الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني الشافعي ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول، وله شرح التنبيه في الفقه وغيره، وولي مشيخة خانكاه بيبرس.

وتوفي الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمرالله أبو العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن أبي علي بن الحسن العباسي، بمدينة قوص، عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوماً، وفي خامس شعبان، وكانت خلافته تسعاً وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً، وكان حشماً كريماً فاضلاً.

وتوفي خطيب أخميم علم الدين علي، وكان له مال كثير وإفضال كثير. أضاف السلطان مرتين وكفاه بجميع ما يحتاج إليه، وأهدى إلى جميع الأمراء، وعمر مدرسة بمدينة أخميم ومات الأمير ركن الدين بيبرس الأوحدي والي القلعة، أحد المماليك المنصورية، في يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول .ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير عز الدين أيدمر الخطيري، وكان خيراً.

ومات بدمشق الأمير آقسنقر مشد العمارة، المنسوب إليه قنطرة آقسنقر على الخليج خارج القاهرة، والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر ومات الأمير علم الدين علي بن حسن المرواني والي القاهرة، في ثاني عشر رجب بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة، وكان سفاكاً أفاكاً ظلوماً غشوماً، اقترح في ولايته عقوبات مهولة: منها نعل الرجل في رجليه بالحديد كما تنعل الخيل، ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابرات العلاج في رجليه، فتنخلع أعضاؤه ويموت، وقتل خلقاً كثيراً من الكتاب وغيرهم في أيام النشو، ولما حملت جنازته وقف عالم عظيم لرجمه، فركب الوالي وابن صابر المقدم حتى طردهم.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الدوادار الناصري بدمشق، وكان خيراً فاضلاً.
ومات الأمير بهادر البدري نائب الكرك، وهو منفي بطرابلس.
وتوفي شرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر القيراطي الشافعي، بالقاهرة عن سبعين سنة، تصدر بالجامع الأزهر، وباشر قضاء دمياط.
وتوفي جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزي الحراني الشافعي قاضي دمياط، كان فقيهاً أديباً شاعراً خطيباً.
وتوفي الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي شيخ الشيوخ، في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر وقد أناف على السبعين بخانكاه سرياقوس.
ومات الأمير ركن الدين بيبرس الركني المظفري، كاشف البحيرة ووالي ثغر الإسكندرية، عن مال كثير.
ومات شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله المعروف بالنشو ناظر الخاص، في يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر، كان أبوه يكتب عند الأمير بكتمر الحاجب وهو ينوب عنه، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركتمر الجمدار، ثم ولي استيفاء الدولة، ثم باشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وأكره حتى أظهر الإسلام، وولي نظر الخاص السلطاني، فبلغ ما لم يبلغه أحد من الأقباط في دولة الترك، وتقدم عند السلطان على كل أحد، وخدمه جميع أرباب الأقلام، وكان محضر سوء لم يشتهر عنه شيء من الخير، وجمع من الأموال ما لم يجمعه وزير للدولة التركية، وكان مظفراً، ما ضرب على أحد إلا ونال غرضه منه بالإيقاع به وتخريب دياره، وقتل على يديه عدة من الولاة والكتاب، واجتهد غاية جهده في قتل موسى بن التاج إسحاق، وعاقبة ستة أشهر بأنواع العقوبات، من الضرب بالمقارع والعصر في كعابه وتسعيطه بالماء والملح وبالخل والجير وغير ذلك مع نحافة بدنه ومرضه بالربو والحمى، فلم يمت، وعاش التاج موسى هذا ثلاثين سنة بعد هلاك النشو.
ومات مجد الدين رزق الله بن فضل الله أخو النشو، خدم وهو نصراني في استيفاء الخاص أيام أخيه، ثم أسلم على يد السلطان في سنة ست وثلاثين كرهاً، وخدم عند الأمير ملكتمر الحجازي، فعظم شأنه وفعل خيراً، فلما قبض على أخيه قبض عليه معه، فذبح نفسه في ثالث صفر.

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

في يوم الثلاثاء سابع المحرم: وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعف، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار، وأنزل من القلعة بمكان ضيق حرج. وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون في الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك وبعث إليه السلطان يهدده حتى يعترف بما له من المال، ويذكر من كان موافقاً على العصيان من الأمراء.

فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكتمر الساقي، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة. فأمر السلطان في الليل فأخرج مع ابن صابر المقدم وأمير جندار، وحمل في حراقة بالنيل إلى الإسكندرية، فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدم، في يوم الثلاثاء خامس عشره.
وفي يوم الإثنين سادسه: قدم الأمير بشتاك والأمير ألطنبغا الصالحي إلى دمشق فيمن معهما من الأمراء وقد

خرج الناس إلى لقائهم، فكان يوماً مشهوداً. ونزل الأمير ألطنبغا بدار السعادة، ونزل الأمير بشتاك بالميدان. ثم قبض على الأمير صاروجا المظفري ألجيبغا العادلي، وطلب من ألزام تنكز مملوكاه جنغيه وطغيه، وسلما للأمير برسبغا، فعاقبهما أشد عقوبة على المال، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وألجيبغا، ثم وسط جنغيه وطغيه بسوق الخيل، وأكحل صاروجا.

وتتبعت أموال تنكز، فوجد له ما يجل وصفه، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق، تولى البيع فيها الأمير ألطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاي، وهما أعدى عدو له، وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر.

وظهر له من التحف السنيه ما يعز وجود مثله. منها مائتا منديل زركش، ومائة حياصة مرصعة بالجوهر، وأربعمائة حياصة ذهب، وستمائة كلفتاه، وثمانية وستون بقجه بها بدلات ثياب زركش، وألفا ثوب أطلس ومائتا تخفيفة زركش وذهب مختوم أربعمائة ألف مثقال. واشتملت جملة ما أبيع له على مائتي ألف دينار، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار.

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتي وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتي رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهباً. ووجد له من الثياب الصوف ومن النصافي ما لا ينحصر، وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعدما أخذ. لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير.

ووجد لألجيبغا العادلي مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، وألف ومائتي دينار وأصناف كثيرة، فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم، وصودر جماعه من ألزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفي ألف درهم.

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق، وقدم قلعه الجبل، فخلع عليه وأكرم إكراماً زائداً.

ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخري باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد، فخلع عليه بنيابة حلب، عوضاً عن طرغاي الجاشنكير.

وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته، وكتب بحضور طرغاي من حلب.

وفيها استقر الأمير أرقطاي في نيابة طرابلس عوضاً عن طينال، وأقام طينال بدمشق.

وفيها استقر الأمير أقسنقر السلاري في نيابة صفد، عوضاً عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا في داره بخط الكافوري، وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة، ما بين أواني صيني ومسك وعود وغير ذلك، أقام في بيعه مدة أربعة أشهر، وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفي دينار، سوى ما أنعم به على الأمراء.

ووجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين ألف دينار، وثلاثين حمل سلاح، ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار، وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار.

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن في سيره إلى ناحية جعبر، فمنعه السلطان من ذلك، لما في تلك البلاد من الغلاء، وألح تنكز في الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: والله لقد تغير عقل أستاذنا، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع مني لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد

أولاده، وأقوم أنا بتدبير أمره، ويبقى هو مستريحاً. فكتب بذلك جركتمر للسلطان، وكان يتخيل بدون هذا، فأسر في نفسه منه شيئاً.
واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولاً إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتاباً إلى تنكز، فخنق تنكز لعدم مكاتبته، ورد رسوله من دمشق.

فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، ويسال ألا يطلع تنكر على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمور أوجبت شدة تغيره عليه، واتفق أيضاً أن غضب تنكز على جماعة من مماليكه، وضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك فكتب منهم جوبان وكان أكبر مماليكه الأمير قوصون يشفع به في الإفراج عنه من سجن الشوبك. فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب إلى تنكز يشفع في جوبان فلم يجب عن أمره بشيء، فكتب إليه ثانياً وثالثاً، فلم يجب، فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: ما تقولون في هذا الرجل؟ هو شفع عندي في قاتل أخي فقبلت شفاعته، وأخرجته من السجن وسيرته إليه يعني طشتمر آخا بتخاص وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعي وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان فأفرج عنه.
وكان تنكز رحمه الله في نيابة دمشق قد أزال المظالم، وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات، وبالغ في العقوبة على ذلك حتى قتل فيه. وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع. واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة. وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وحدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت وجدد عمارة الجامع الأموي ، وعمر أوقافه، وأصلح تقاسيم المياه بعد ما كانت فاسدة ونظف مجاريها ووضح طرقها، وهدم الأملاك التي استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرقات المسلوكة. وألزم والي المدينة أن يعلمه. ممن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم، فتعذر وجود الخمر في أيامه، و لم يكن يوجد. واستجد ديواناً للزكاة، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت. وانكفت الولاة في أيامه عن الظلم، وأحبته العامة ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين في أعمالهم، ومنعهم أيضاً من الاجتماع في الفرج والمتنزهات وغيرها، فصاروا إذا وكبوا في المواكب لا يقدر أحد منهم يكلم رفيقه وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر، وإذا اخرج تنكز إلى سفر لا يتأخر منهم أحد، سواء قال له: أخرج أو لم يقل له. ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له أو تمشي في خدمته، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكاتبوا السلطان إلا ويكاتبوه، وأن ترد مكاتباتهم للسطان عليه بغير ختم ليقف عليها، فإن أرضته بعث بها إلى السلطان وإلا ردها. وأضيف إليه أمر صفد وغزة وكان مغرماً بالصيد، بحيث يركب له في السنة ثلاث مرات، أخرها تعدية الفرات في الشتاء، فإذا ضرب الحلقة لشتمل على ثلاثمائة غزال ونيف، وعلى مائتي رأس من بقر ونعام، وغير ذلك.
وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال وعدى الفرات مراراً، فاتفق أنه عدى مرة، فحمل إليه الشيخ حسن الكبير وابن سونتاي الهدايا الجليلة، وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والتركمان والعربان بأجعهم.

وكانت أولاد دمرداش في أعمال توريز، ماذا بلغهم مسيره رحلوا خوفاً منه، حتى يبلغهم عوده إلى دمشق.
فلما كانت أخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السر وغيرهم، ومن الضمان والعرفاء. واتخذ الأملاك، وأخذ عدة أوقاف من أولاد الملوك، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم. وسخر الفلاحين، وقطع الزكاة. وأخرق بكثير من الأمراء، وأخرج منهم جماعة عن دمشق، وبالغ في العقوبة، وساء خلقه كثيراً. وكانت مدة نيابته ثمانياً وعشرين سنة وأشهراً.
وفيه طلب شهاب الدين أحمد بن فضل الله، وخلع عليه بكتابة السر بدمشق، بعدما خلفه السلطان عوضاً عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني. فقدم ابن فضل الله إلى دمشق، وقد كاد الأمير برسبغا الحاجب أن يقطع يد ابن القيسراني بمرسوم السلطان، بعدما صادره، فقام في ذلك ابن فضل الله حتى أفرج عنه.
وفيه طلب أيضاً شمس الدين موسى بن التاج إسحاق، وخلع عليه، واستقر في نظر الجيش بدشق، عوضاً عن فخر الدين محمد بن الحلي بعد موته.

وأخرجت له بغلة النشو التي كان يركبها، وجهز من الخزانة حتى سافر، فباشر الجيش بعفة زائدة، وأبطل ما كان يستهديه من قبله.
وفيه قبض على الأمير مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش، وسلم للأمير برسبغا الحاجب، وطلب جمال الكفاة ناظر الخاص، وخلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص، ولم يجمعهما أحد قبله، ثم أفرج عن ابن قروينة بعدما حمل مائة وثلاثين ألف درهم، بشفاعة الأمير بشناك.
وفيه قبض على الصاحب أمين الدين أبي سعيد عبدالله بن تاج الرياسة بن الغنام وسلم إلى الأمير برسبغا، ورسم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز فعاقبه برسبغا، وعاقب ولده تاج الدين أحمد ناظر الدولة، وأخاه كريم الدين أبا شاكر مستوفي الصحبة، وأخذ أموالهم، ثم خنق أمين الدين.
وفي يوم الجمعة حادي عشرى ربيع الآخر: مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين، وكان يوماً مهولاً، نزل في جنازته جميع الأمراء. وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء، ورتبت القراء على قبره بجار لهم في كل شهر من وقف وقفته على قبره، وأقامت سنة تعمل في كل ليلة جمعة على قبر مجتمعاً يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة، وتمد لهم الأسمطة الجليلة.
وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا بإقطاع آنوك.
وفي هذه السنة: كثر وقوع الحريق بالنواحي في أجران الغلال بنواحي قليوب وسنديون وبلاد الغربية والبحيرة ولم يعلم من أين هو. ثم وقع بالقاهرة في أماكن منها ربع طقزدمر بدار التفاح، فاستعد الناس لذلك.
وفي أخريات جمادى الآخرة: هبت ريح شديدة من بحر الإسكندرية، فاقتلعت نخلاً كثيراً، وهدمت دوراً عديدة، ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركباً، وصار يقذف المركب إلى البر حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء. وكل ذلك جميع أراضي مصر قبليها وبحريها وأرض برقة.
وفيه نقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحري إلى كشف الوجه القبلي، وفيه نقل علاء

الدين علي بن الكوراني إلى ولاية الغربية.

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش، وصحبته عدة من المهندسين، وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد، ويحفر في وسط الشرق المعروف بالرصد عشرة أبار عمق كل بئر نحو أربعين ذراعاً يركب عليها السواقي حتى يجري الماء من النيل إلى القناطر التي تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء.

وأقام السلطان الأمير آقبغا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحري رباط الآثار، ومروا به وسط بستان الصاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهدمت عدة بيوت كانت هناك، وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهماً عظيماً.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعي، فوكب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام، ولم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده، وأخرجه منفياً إلى صرخد وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده، فرجع من سرياقوس.

وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبي بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم، فتوجه الأمير طيبغا المجدي إلى الكرك، وأحضر طلب أبي بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني، واستقر في نيابة الكرك، وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثاً ولا حكماً بين اثنين. وفيه قدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب، فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها.

وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتي نفر، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصاً، جعل بعضهم في الطباق، وأسكن منهم عدة القلعة، وأمر منهم جماعة وفرق في الأمراء منهم جماعة.

وفيها جدد السلطان جامع راشدة، وقد تهدم أكثر جدرانه.

وفيها ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رحبة باب العيد من القاهرة، وكان سعته نحو عشر فدادين، وشرع قوصون في عمارته سبع قاعات، لكل قاعة إصطبل. وفيها قدم الخبر بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.

وفيها استقر ركن الدين بيبرس السلاح دار أحد أمراء الألوف بدمشق في نيابة أياس، عوضاً عن مغلطاي الغزي بعد موته.

وفيها شنعت القالة بسوء سيرة الطائفة الأقباعية بخانكاه بيبرس، فرسم السلطان بنفيهم ونفي شيخهم، فأخرجوا منها بأجمعهم. واستقر في المشيخة بها الشيخ شيرين. وفيه خرج الأمير بشتاك إلى البلاد الشامية ليتصيد، وقد كتب إلى النواب بملاقاته وتعبية الإقامات له.

وفيها توجه بكلمش المارديني على البريد بهدية لصاحب ماردين فيها عشر ألاف دينار، وعشرة رءوس من الخيل ومائتا قطعة قماش، وأربعة فهود.

وفيها قدم الخبر باختلال حال البريد، من كثرة ركوب التجار والعرب البريد، فرسم ألا يركب البريد إلا من

يأذن له السلطان في ركوبه، ويكون معه ورقة بتمكينه من ذلك، وأن يفتش بقطيا كل من ورد، فمن وجد معه ورقة وكتب لغير السلطان أخذت منه وحملت إلى السلطان.

وفيها ركب أمير أحمد الساقي قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية: منها طلب رهائن طغاي سونتاي والشيخ حسن بك الكبير، وكانا قد سألا أن يجهز السلطان عسكراً ليسلماه بلاد الشرق، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهناً على العسكر، فجهز ابن سونتاي ولده برهشين، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه ابراهيم شاه إلى حلب.

وفيه استقر الأمير بهاء الدين أصلم في نيابة صفد، عوضاً عن أقسنقر السلاري، ونقل آقسنقر إلى نيابة غزة، عوضاً عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى دمشق، وأنعم عليه بإقطاع بيبرس السلاح دار المستقر في نيابة أياس.

وفيه أنعم على الأمير أبي بكر ابن السلطان بإقطاع الأمير أصلم، ورسم للأمير بشتاك أن يتولى أمره، فاستخدم له الوافدية من حلب وغيرهم، حتى أكمل عدته .وعمل السلطان الأمير ألطنقش مملوك الأفرم أستاداره، وزوجه بابنة الأمير ملكتمر الساقي التي كانت تحت أخيه آنوك، وبنى عليها.

وفيه رسم بطلب أجناد الحلقة من الأعمال، فلما تكامل حضورهم تقدم السلطان إلى الأمير برسبغا بعرضهم، فكتبت أوراق بعبرة كل خبز. ثم جلس السلطان بالإيوان، وعرض عليه جماعة كبيرة من المشايخ ومن المحارفين، فقطع الجميع وكتب بإقطاعاتهم مثالات المماليك السلطانية أرباب الجوامك .وعرض برسبغا بقية الأجناد بالقلعة وفتش عن ثيابهم التي هي عليهم، وقد كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبيس وبساتينها وحوانيتها، وأوراق بمتحصل المعادي ببولاق، وأوراق بجهات النطرون، وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة. فرسم السلطان أن يوفر الجميع، وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر أخبارهم، وينعم بها على الأمير ألطنبغا المارديني، ليكون وقفاً على جامعه خارج باب زويلة، وعلى الأمير بشتاك ليكون وقفاً على جامعه المطل على بركة الفيل.

فلما تم عرض الأجناد قطع السلطان منهم الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات، وفرق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية، وأخرج بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد، فكانت مدة العرض شهرين، أولها مستهل رمضان وأخرها سلخ شوال.

وكتب إلى الأعمال بحمل ما توفر عن الأجناد من الإقطاعات لبيت المال.

وفيه كتبت أوراق بأسماء المجردين إلى بلاد الشرق: وهم الأمير برسبغا الحاجب والأمير كوكاي السلاح دار، والأمير طوغاي الجاشنكير، والأمير قماري أمير شكار، ومعهم جماعة كثيرة، ورسم أن يكون خرجهم إلى توريز في نصف ذي الحجة. فاشتد ذلك على الناس، وكثر الدعاء على السلطان بسبب قطع أرزاق الجند.

وفيه كتب بتجهيز عساكر دمشق وحلب وغيرهما للتجريدة إلى توريز، صحبة الأمير طشتمر نائب حلب، ويكون معه عامة أمراء التركمان والعربان.

فتجهز الأمراء والأجناد بمماليك الشام، وبرز نائب حلب بمخيمه إلى ظاهر المدينة وأقام ينتظر قدوم عساكر مصر. فأصبح السلطان في مستهل ذي الحجة وبه وعك من قرف حدث عنه إسهال لزم منه الفراش خمسة أيام، فتصدق بمال جزيل، وأفرج عن المسجونين بسجن القضاة والولاة بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال.

وفي يوم الأربعاء سادسه: قدم برهشين بن طغاي بن سونتاي وإبراهيم شاه ابن أخي الشيخ حسن الكبير، في مائتي فارس، فأنزلوا بالميدان، وأجريت لهم الرواتب السنية.

ثم أحضروا بين يدي السلطان في يوم الجمعة ثامنه وفيهم قاضي بغداد وقاضي الموصل وقاضي ديار بكر، فقدموا كتاب طغاي وكتاب الشيخ حسن الكبير، ونسخة أيمانهما وأيمان عامة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعايش بطاعة السلطان، وأنهم من جنده ومقاتلة من عاداه، وقدموا الخطبة التي خطب بها للسلطان في بغداد والموصل وديار بكر.

فقرئ ذلك كله على السلطان، فعرفهم السلطان أنه رسم بتجهيز العسكر إليهم، وبعد عشرة أيام يستقل بالسفر نحو بلادهم ثم خلع السلطان على الجميع، ورسم لنقيب الجيش باستعجال الأمراء والأجناد في الحركة للسفر، فشرعوا في تجهيز أمرهم. وكانت الأحوال متوقفة لقلة وجود الدراهم ورد الباعة من التجار والمتعيشين الذهب لغلو صرفه، فشق ذلك على الناس مشقه زائدة.

وفيه قوي الإسهال بالسلطان، ومنع الأمراء من الدخول إليه، فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج لهم السلام من أمير جندار عن السلطان فانصرفوا.

وكثر الكلام إلى يوم الإثنين ثاني عشر، فخف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع للأمراء، ووجهه متغير.

فلما انقضت الخدمة نودي بزينة القاهرة ومصر، وجمعت أرباب الملاهي بالقلعه وجمع الخبز الذي بالأسواق، وعمل ألف قميص، وتصدق السلطان بذلك مع جملة مال.

وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سروراً بعافية السلطان، وعمل الأمير ملكتمر الحجازي نفطاً كثيراً في سوق الخيل تحت القلعة، والسلطان قاعد لنظره، فاجتمع الناس من كل جهة لرويته.

وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقبابها المحمولة على الجمال، ولعبوا بالرماح تحت القلعة. وخرجت الركابة والكلابزية وطائفة العتالين والحجارين إلى سوق الخيل للعب، ثم داروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع هم والطبلكية فحصل لهم شيء كثير جداً، بحيث جاء نصيب مهتار الطبلخاناه ما قيمته ثمانون ألف درهم، وحصل لأرباب الملاهي مالا ينحصر.

وفيه رسم بعرض الجند المجردين في غد، فطلعوا إلى القلعة. وبينا هم في انتظار العرض إذ قدم إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردين بكتابه يتضمن أن أولاد دمرداش لما بلغهم طلب الشيخ حسن الكبير وطغاي بن سونتاي من السلطان أن يجهز لهم عسكراً ليأخذ البلاد، وأنهما حلفاً له وحلفاً أهل البلاد وخطباً باسمه على منابر بغداد والموصل، ركبوا إلى محاربتهما، فطلب منهم الشيخ حسن الكبير الصلح، وحلف لهم وسار إليها طائعاً، فأكرموه وكتبوا لطغاي بن سونتاي أماناً، واتفقوا على أن يعدوا الفرات إلى الشام.

وأشار صاحب ماردين ألا تخرج التجريدة إلى توريز، فإنه ليس لسيرها فائدة .فتفرقت الأجناد من القلعة بغير عرض، وبعث السلطان من ليلته بجواب صاحب ماردين، واقتضى رأيه أن يكشف عما ذكره، فإن برهشين بن طغاي اتهمه في ذلك.

فالما كان نصف ليلة: العيد هبت ريح عاصفة ألقت الزينة، ثم أمطرت مطراً عظيماً أتلف كثيراً من الزينة.

وكانت عامة ببلاد الشرقية والغربية والمنوفية، ونزل بتلك الأعمال برد كبار قتل من الغنم والدجاج كثيراً، وتلفت غلال كثيرة كانت بالأجران، فإنه كان في شهر بشنس.

وأصبح يوم الأحد: يوم العيد، وقد اجتمع الأمر لخروج السلطان إلى صلاة العيد، وقد قوي به الإسهال وأجمع رأيه على ألا يشهد صلاة العيد، فمازال به الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان. وأمر السلطان قاضي القضاة عز الدين عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز في خطته، مما هو إلا أن صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه، فقام وركب إلى الفصر، وأقام يومه. ثم قدم البريد من حلب بصحة الخبر بصلح الشيخ حسن الكبير وطغاي مع أولاد دمرداش، فانزعج السلطان لذلك انزعاجاً شديداً، واضطرب مزاجه، فحدث له إسهال دموي.

وأصبح يوم الإثنين: وقد منع الناس من الاجتماع به ثم أشاع الأمير قوصون والأمير بشتاك أن السلطان قد أعفى الأجناد من التجريدة إلى توريز، ونودي بذلك في يوم الخميس رابع عشره، ففرح الناس فرحاً زائداً، إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان انتكس، فساءهم ذلك. وأخذ الأمراء في إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة، فارتجت المدينة وماجت بأهلها.

واستعد الأمراء لاسيما قوصون وبشتاك، فإن كلاً منهم أحترز من الآخر وجمع عليه أصحابه، وأكثروا من شراء الأزيار والدنان وملأوها ماء، وأخرجوا القرب والروايا والأحواض، وحملوا إليهم البشماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير، خوفاً من وقوع الحرب ومحاصرة القلعة. فكان يوماً مهولاً، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق، ونهبوا الحوانيت التي تحت القلعة وسوق صليبة جامع ابن طولون. فارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهماً إلى ثلاثين درهماً، وغلق التجار وأرباب المعايش حوانيتهم خوفاً من وقوع الفتنة. هذا وقد تنكر ما بين قوصون وبشتاك، واختلفا حتى كادا يقتتلان. وبلغ ذلك السلطان فزاده مرضاً على مرضه، وكثر تأوهه وتقلبه من جنب إلى أخر، وهوس بذكر قوصون وبشتاك نهاره. ثم استدعى السلطان بهما، فتنافسا بين يديه في الكلام فأغمي عليه، وقاما من عنده على ما هما عليه.

فاجتمع في يوم الإثنين ثامن عشره الأمير جنكلي والأمير آل ملك والجاولي والأحمدي وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم مملوكا إلى قوصون وبشتاك ليأخذا لهم الإذن على العبور على السلطان، فأخذوا لهم الإذن. فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولي وآل ملك للسلطان كلاماً حاصله أن يعهد أن أحد أولاده، فأحاب إلى ذلك، وطلب ولده أبا بكر، وطلب قوصون وبشتاك، وأصلح بينهما. ثم جعل السلطان ابنه أبا بكر سلطانا بعده، وأوصاه بالأمراء، وأوصي الأمراء به، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطاناً، وجعل قوصون وبشتاك وصييه، وإليهما تدبير ابنه أبي بكر وحلفهما.

ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية، وأكد على ولده في الوصية بالأمراء، وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام، وهم طيبغا حاجي وألجيبغا العادلى وصاروجا، ثم قام الأمراء. فبات السلطان ليلة الثلاثاء، وأصبح وقد تخلت عنه قوته، وأخذ في النزع يوم الأربعاء، فاشتد عليه كرب الموت حتى مات أول ليلة الخميس حادى عشريه، وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام. وأمه أشلون بنت سكناي بن قراجين

بن جيغان، وقدم سكناي هو وأخوه قرمشي بن قراجين في سنة خمس وسبعين وستمائة، صحبة سنجر الرومي في أيام الظاهر بيبرس، فتزوج الأمير قلاوون بابنة سكناي، في سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها. زوجه إياها عمها قرمشى، فولدت الناصر محمدا على فراش الملك المنصور قلاوون في الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة. وأقيم الناصر في السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف خليل سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وعمره تسع سنين ثم خلع في سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين، وجري له ما تقدم ذكره إلى أن حضر من الكرك، وأعيد إلى الملك ثانيا. فأقام في الملك إلى سنة ثمان وسبعمائة، وخرج يريد الحج، فتوحه إلى الكرك غيظاً من حجر سلار وبيبرس عليه .فقام بيبرس في السلطة ثم اضطربت أموره، وقدم الناصر من الشام إلى مصر، فملك مرة ثالثة في شوال سنة تسع وسبعمائة واستبد الناصر من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوماً، كانت له فيها سير وأنباء كما تقدم .وكان الناصر أطول ملوك زمانه عمراً وأعظمهم مهابة: فإنه أول ما بدأ به بعد قدومه من الكرك القبض على الأمراء البرجية وغيرهم في يوم واحد، وعدهم زيادة على ثلاثين أميراً.

وأوقع مهابته في القلوب بالقتل وأخذ الأموال، فمنهم من قتله جوعاً وعطشاً، ومنهم من أتلفه بالخنق، ومنهم من غرقه، ومنهم من نفاه، ومنهم من سجنه فأقام مسجوناً العشرين سنة فما دونها. وأكثر الناصر من جلب المماليك والجواري، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال، ووصف لهم حلي المماليك والجواري وسيرهم إلى بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد. فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم، وأنعم على تلك المماليك في يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم. و لم تكن هذه عادة من تقدمة من الملوك، فإنهم كانوا إذا قدم لهم المملوك عرفوا جنسه، ثم أسلموه إلى الطواشي المقدم فيضيفه إلى جنسه من المماليك، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة، ويمرنه في الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية، وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكي، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط. ثم يدرج المملوك في الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة دنانير، فإذا التحق بالرحال أقيم ذلك الوقت في وظيفة من الوظالف اللائقة به، فيقوم بها على ما ينبغي من الأدب الذي تأدب به في صغره، ثم يترقى المملوك، فإذا وصل إلى مترلة كبيرة ورتبة عالية عرف مقدارها، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم فأعرض الملك الناصر عن هذا وكان يسفه رأي الملوك فيه، ويقول إذا عرض له بشيء من ذلك وبقي يبلغ المملوك قصده من أستاذه أو أستاذه منه إذا فعل معه هذا، بل إذا رأي المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسي بلاده، ورغب في أستاذه.

فأكثر التجار من جلب الممالليك إليه، فطار في البلاد فعل السلطان معهم، فأعطى المغل أولادهم وبناقم وأقاربهم للتجار، وباعوهم منهم رغبة في سعادة مصر، فبلغ ثمن المملوك على التاجر ما بين عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألف درهم، ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم وقدموا إلى مصر. فكان السلطان يدفع في المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها، واقتدي به الأمراء في ذلك، حتى إن بعض أمرائه كان له مملوك حظي كان له في كل يوم ثمانون عليقة وكان لأمير أخر مملوك حظي له في كل يوم أربعون عليقة. وكان في الأمراء من يبلغ خاصة في كل سنة زيادة على مائتي ألف دينار، مثل بكتمر وقوصون وبشتاك، ومن

عداهم يزيد خاصه على مائة ألف دينار في السنة، ومنهم من ينقص عن دلك.
وشغف السلطان الناصر أيضاً بالخيل، فجلبت له من البلاد، لاسيما خيول العرب آل منها وآل فضل، فإنه كان يقدمها على غيرها، ولهذا كان السلطان يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب في خيولهم، ويتغالى في أثمانها.
وكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوي أخدوها منه بأغلى القيم، وأخذوا من السلطان مثلى ما دفعوه فيها.
وكان له في كل طائفة من طوائف العرب عين يدله على من عنده منهم الفرس السابق أو الأصيل حتى يأخذها بأكثر مما في نفس صاحبها من الثمن .فتمكنت منه بذلك العربان، ونالوا المترلة العلية، وحظوا بأنواع السعادات في أيامه .وكان يكره خيول برقة فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية في الجودة، وما عدا ذلك منها إذا حملت إليه فرقه بخلاف خيول العرب آل مهنا وآل فضل، فإنه كان لا يسمح بها إلا للخاصكية.
وكانت له معرفة بالخيل وأنسابها وذكر من أحضرها ومبلغ ثمنها، بحيث يفوق فيها من عداه. وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير أخور: هات الفرس الفلانية التي أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا". ولما اشتهرت رغبته فيها بين العرب جلبت له من بلاد العراق ومن البحرين والحسا والقطيف وبلاد الحجاز، وتقرب بها إليه عامة طوائف العرب، وجلبوها له. وكان إذا جاءه شيء منها عرضه، ودفع في الفرس العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين آلف درهم، سوى الإنعام على مالكها، وكان صاحب الفرس إذا اشتد عليه زاده حتى يرضيه، فإذا أخذ ثمن فرسه وأراد السفر إلى بلاده أنعم عليه بتفاصيل ثياب تصلح له ولعياله، سوى السكر ونحوه. وطالما وزن كريم الدين الكبير في أثمان خيول العربان التي جلبت للسلطان دفعة واحدة مبلغ ألف ألف درهم، ومبلغ خمسمائة ألف درهم، ودون ذلك.

وكانت خيول مهنا وأولاده فيها ما بلغ الفرس منها إلى ستين ألف وسبعين ألف درهم وفي حجورتهم ما بلغ ثمانين ألف وتسعين ألفاً ومائة ألف درهم. وبلغ ثمن بنت الكرتا التي أحضرها محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا للسلطان، سنة خمس عشرة وسبعمائة مائة ألف درهم وضيعة بثمانين ألف درهم. وأقطع السلطان الناصر عرب آل مهنا وآل فضل بسبب الخيل عدة ضياع بأراضي حماة وحلب، سوى أثمانها.
فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئاً له قدم عليه في معنى أنه جاء ليدله على فرس عند فلان يقال إلا كذا، ويعظم أمرها عنده، فيكتب السلطان من فوره بطلب تلك الفرس، فيشتد صاحبها ويمتنع من قودها، ثم يقترح ما شاء من الضياع، ولايزال حتى يبلغ غرضه، وصار ذلك معروفاً فيما بينهم. وكان السلطان الناصر أول من اتخذ من ملوك الأتراك ديواناً للإصطبل، عمل له ناظر وشهوداً وكتاباً لضبط أسماء الخيل وشياتها وأوقات ورودها وأسماء أربابها. ومبلغ ثمنها ومعرفة سواسها، وغير ذلك من أحوالها وكان لايزال يتفقد الخيول، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار بعد ما يحمل عليها حصاناً يختاره، ويأمر بضبط تاريخ نزوه، فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها، ومع ذلك فإنه كان يرغب في الفرس الذي يجلب إليه أكثر مما توالد عنده. فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا في أيامه، وكثرت سعادتها واتسعت أحوالها بالأموال والضياع، وحملتهم الدالة حتى طلبوا من السلطان الناصر بلاد أمراء حلب وحماة ودمشق، فأنعم بها عليهم، وعوض الأمراء عنها، حتى صاروا من القوة والكثرة بحيث يخافهم من عداهم من سائر العرب. وشمل الغنى عامتهم، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتيهم أو مصائفهم تكون أموالهم من الذهب

والفضة ملء رقاب الجمال، إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التي لا تدخل تحت حصر. ولبسوا في أيامه الحرير الأطلس المعدني بالطرز الزوكشي والشاشات المرقومة بالطرز، ولبسوا القرصيات بالطرز الزركشي والداير الباولي والإسكندري المطرز بالذهب وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع، وعمل لهن الشنابر المشهرة بأكر الذهب، والأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهن القماش السكندري والشرب والشمع، وعمل لهن البراقع المزركشة والمسك وأنواع الطيب.

وذلك بعدما كان لبس أمرائهم إلى آخر الأيام المنصورية قلاوون الطراطير الحمر من تحت العمائم الشامية من القطن، وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجي.

وأول من لبس منهم طرد وحش مهنا بن عيسى في أيام المنصور لاجين لموده بينهما، فأنكر الأمراء ذلك، فاعتذر لهم لاجين بتقدم صحبته له وأياديه عنده، وأنه أراد أد يكافئه على ذلك. وقدم مهنا وأخوه في أيام تحكم بيبرس وسلار في الدولة، فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب، ويترلا عما بأيديهما عوضاً عنها، فغضب الأمين سلار من ذلك، وقال: يا عرب وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد وتعملوها لكم إقطاعا، وهمرهما، فخرجا من عنده على حالة غير مرضية. ولما عدى الظاهر بيبرس الفرات، وكسر المغل، وكان معه مهنا بن مانع بن حذيفة في ألفين من عربه وكانوا يقفون على مخائص الفرات، ويتقدمون بين يدي العسكر خوفاً من غرقهم.

فلما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب سأل مانع أبو مهنا الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال. فلما تحدث قلاوون في ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشيء حتى حضر مانع في الخدمة مع الأمراء، فقال له: ويلك يا بدوي نحس وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدت، وتبرطل السلطان على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً وأكثر من هذا وشبهه، فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه. فخالف السلطان الناصر سيرة من تقدمه من الملوك في أمر العرب حتى قال له صفرة بن سليمان بن مهنا: لقد أفسدت علينا نسواننا، يريد لكثرة ما غمرهن السلطان بالمال. وأرسل له مرة بن مهنا مع قاصده يقول له: خف الله في المسلمين وبيت المال، فإنك تفرقه على العرب ونسائهم وصغارهم. فكيف يحل لك هذا، ومتى سمعت عن بدوية أها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفي يدها سوار من حديد، وإن شمت طيباً فمن زاد بهذا لها؟ فو الله لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم وأطمعتهم في شيء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك. ونحو ذلك من العتب.

ومات السلطان الناصر وفي الجشارات ثلاثة آلاف فرس، يعرض في كل سنة عليه فيدفعها ويسلمها للركابين من العربان لرياضتها، ثم ينعم بأكثرها على الأمراء والخاصكية، ويفرح بذلك، ويقول: هذه فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة، عمرها كذا وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا وكان يتقدم إلى الأمراء أن يضمروا الخيول، ويرتب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس في كل سنة يضمرها، ويسير للأمير أيدغمش أمير أخور أن يضمر خيلاً من غير أن يعلم الأمراء أها للسلطان بل يشيع أها له، ويرسلها للسباق مع خيل الأمراء في كل سنة.

وكان عند الأمير قطلوبغا الفخري حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية. وكان السلطان يرسل إلى مهنا وأولاده أن يحضروا بالخيل السبق عندهم للسباق ثم يركب إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة فيما

بين قلعة الجبل وقبة النصر، ويرسل الخيل وعدها دائماً ما ينيف على مائة وخمسين فرساً، إلى أن بعث، مهنا مع ولديه سليمان وموسى حجرة شهباء على أنها إن سبقت كانت للسلطان، وإن سبقت ردت عليه، بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويها الذي قادها فلما ركب السلطان والأمراء، ووقفوا على العادة ومعهم أولاد مهنا بالميدان، وأرسلت الخيل من البركة كما جرت به العادة، ركب البدوي حجرة مهنا الشهباء عريا بغير سرج، وقد لبس قميصاً ولاطية فوق رأسه. فأقبلت الخيل تتبع بعضها بعضاً، وهي قدام الجميع وبعدها على قرب منها حصان لأيدغمش يعرف بهلال. فلما وقف البدوي بالشهباء بين يدي السلطان صاح بصوت ملأ الخافقين.
السعادة لك اليوم يا مهنا، لا شقيت وألقى نفسه إلى الأرض من شدة التعب، ثم قدم الحجرة للسلطان.
فكان هذا دأب السلطان الناصر في كل سنة. وترك السلطان الناصر أيضاً بالإسطبلات أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس، ما بين حجورة ومهارة وفحولة وأكاديش ، وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة ألاف ونيف، سوى أتباعها. وكان يحب الصيد، فلم يدع أرضاً تعرف بصيد الطير إلا وأقام بها صيادين مقيمين في البرية أوان الصيد.
وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسناقر والبزاة، حتى كثرت السناقر في أيامه، فصار كل أمير عنده منها عشرة سناقر وأقل وأكثر. وجعل لها بازدارية جوندارية وأقطع عدة منهم الإقطاعات، وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والكساوي وغير ذلك.
وترك بعد موته مائة وعشرين سنقراً لخاصه، ولم يعهد مثل هذا لملك قبله بمصر، بل كان في الأيام المنصورية سنقر واحد، فإذا ركب السلطان في الموكب كان بازداره أيضاً راكباً والسنقر على يده.
ولما توجه الأمير حسام الدين طرنطاي لحصار سنقر الأشقر بصهيون سأل أن يكون هذا السنقر في طلبه، ليتجمل به من غير أن يتصيد به ولا يرميه على صيد.
وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر، وترك ثمانين جوقة كلاب الصيد بكلابزيتها، وكان قد اتخذ لها موضعاً بالجبل.

وعني السلطان الناصر أيضاً بجمع الأعنام، وأقام لها خولة وكان يبعث في كل سنة الأمير آقبغا عبد الواحد في عدة من المماليك السلطانية ليكشف المراحات من قوص إلى الجزيرة، ويأخذ منها ما يتخيره من الأغنام، وكان يجرد أيضاً إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأغنام. وعمل السلطان لها حوشاً بقلعة الجبل، وأقام لها خولة نصارى من الأسرى.
وعني أيضاً بالإوز، وأقام لها عدة من الخدم والجواري، وجعل لها جايرا بحوش الغنم. فبلغت عدة الأغنام التي تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس، سوى أتباعها. فاقتدى به الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جداً في عامة أرض مصر قبليها وبحريها.
وكان السلطان الناصر كثير العنايه بأرباب وظائفه وحواشيه من الأمير آخورية والأوجاقية، وغلمان الإصطبل والبزدارية، والفراشين والخولة والطباخين. فكان إذا جاء أوان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مع أمير أخور وأوجاقي وسايس وركبدار، وترقب عودهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شح الأمير عليهم في عطائه تنكر له وبكته بين الأمراء ووبخه.

وقرر أن يكون أمير أخور الكبير بينهم بقسمين، ومن عداه بقسم واحد. وكان أيضاً إذا بعث إلى أحد من الأمراء طيراً مع أمير شكار أو أحد من البزدارية يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كامله بحياصة ذهب وكفلتاه زركش، فيعود بها ويقبل الأرض بين يدي السلطان، فيستدنيه ويفتش خلعته.
وكانت عادته أن يبعث يوم النحر أغنام الضحايا إلى الأمراء مع الأبقار والنوق، فبعث مرة صحبة بعض الخولة النصارى إلى الأمير بيبغا حارس الطير ثلاثة كباش، فأعطاه بيبغا عشرة دراهم فلوساً، فعاد الخولي إلى السلطان فقال له: "وأين خلعتك فطرح الفلوس بين يديه وعرفه بها، فغضب وأمر بعض الخدام أن يسير بالخولي إلى بيبغا، ويقول له: قال لك السلطان: لا فتح الله عليك برزق. ويلك أما كان عندك قباء ترميه على غلامي؟. وخله يلبسه طرد وحش. فلما بلغه الخادم ذلك ندم وأخذ يعتذر، وألبس الخولي قباء طرد وحش.
وكانت حرمته ومهابته قد تجاوزت الحد، حتى إن الأمراء إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث منهم رفيقه بكلمة واحدة، ولا يلتفت نحوه، خوفاً من مراقبة السلطان لهم.
وكان لا يجسر أن يجتمع مع خشداشه في نزهة ولا غيرها، من رمي النشاب ونحوه، فإذا بلغه اجتماع أحد مع أخر أسر ذلك في نفسه، وأمسكه أو نفاه.
وخرب السلطان الناصر عدة مرار مرامي النشاب، ومنع المماليك من الرمي، وأغلق حوانيت البندقانيين وصناع قسي النشاب وقسي البندق، ونادى من عمل قوس بندق شنق. وخرب مرة دكاكينهم، من أجل أن مملوكاً رمي بالبندق فوقعت في عين امرأة قلعتها .ولقي غازان عهلي فرسخ من حمص، ثم كانت له وقعة شقحب المشهورة ودخل بعساكره بلاد سيس، وقرر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم في السنة كما كان، بعد امتناعهم من حمله. وغزا ملطية وأخذها، وغزا بلاد سيس بعسكر مصر ثلاث مرات بعدما أمر التركمان بالغارة عليها - وخرب بلادهما حتى قرر عليهم الخراج ستمائة ألف درهم في كل سنة، ومنعوا الخراج مرة، فبعث العسكر وأخذ مدينه أياس، وخرب البرج الأطلس وسبعة حصون، وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد. وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج، وغزا بلاد اليمن وبلاد عانة والحديثة في طلب مهنا. وبعث العساكر في طلب الشريف حميضة نحو الحسا والقطيف وجرد إلى مكة والمدينة العساكر لتمهيدها، ومنع أهلها من حمل السلاح بها.
وعمر قلعة جعبر بعد خرابها، وأجرى نهر حلب إلى المدينة، وعمر دمشق. وولى بلاد الروم نيابة لأرتنا، وخطب له بها وبماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا وبغداد وغيرها من بلاد الشرق، وهو بكرسي ملك مصر. وأتته هدية ملوك المغرب والهند والصين والحبشة والتكرور والنوبة والترك والروم والفرنج.

وكان السلطان الناصر على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور، فلم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا في انبساطه وكان يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، وإذا غضب على أحد لا يذكر له ذلك. وكان يقتصد في لباسه، فيلبس كثيراً البعلبكي والنصافي المتوسط، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر، ويركب بالسرج المسقط بالفضة التي زنتها دون المائة درهم، وعباءة فرسه إما تدمري أو شامي ليس فيها حرير.
وكان مفرط الذكاء، يعرف جميع مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم، ويعرف بهم الأمراء، وكذلك مماليكه لا يغيب

عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته.

وكان يعرف أيضاً غلمانه وحاشيته على كثرة عددهم، ولا يفوته معرفة أحد من الكتاب، فإذا أرد أن يولي أحداً مكاناً أو يرتبه في وظيفة استدعى جميع الكتاب إلى بين يديه، واختار منهم واحد أو أكثر من غير أن يرجع فيهم إلى أحد، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف.

وكان فيه تؤدة، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك في نفسه، وتروى فيه مدة طويلة، وهو ينتظر له ذنباً يأخذه به، كما وقع له في أمر كريم الدين الكبير والأمير أرغون النائب والأمير طغيه وغيرهم، فإنه أقام عدة سنين يريد القبض عليهم وهو يتأنى ولا يعجل، إلى أن عثر لهم على ذنوب توجب له أخذهم بها، حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع في أيامه خراب أو خلل، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل.

وكان يستبد بأمور مملكته، ويتفرد بالأحكام، حتى أنه أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده. وكان يكره أن يقتدي بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك. وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه، ويبعد من يشربه من الأمراء عنه.

وبلغ السلطان الناصر من الكرم والجود والأفضال وسعة العطاء غاية تخرج عن الحد، فوهب في يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهباً، ولم يزل مستمر العطاء لخاصكيته ما بين عشرة ألاف دينار ونحوها.

وسئل النشو: هل أطلق السلطان يوماً ألف ألف درهم؟ قال: نعم كثيراً .وأنعم في يوم على بشتاك بألف ألف درهم في ثمن قرية، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم في ثمن القريتين. واشترى من الرقيق في مدة أولها شعبان سنة اثنين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين بأربعمائة ألف دينار وسبعين ألف دينار.

وكان ينعم على تنكز في كل سنة يتوجه إليه بما يزيد على ألف ألف درهم، وأنعم يوماً على قوصون بزردخاناه بكتمر الساقي، وقيمة ما فيها ستمائة ألف دينار، أخذ السلطان من الجميع سرجاً واحداً وسيفاً واحداً.

ولما تزوج قوصون بابنته حمل إليه الأمراء شيئاً كثيراً، ثم بعد ذلك زوج ابنته الأخرى بطغاي تمر وقال: ما نعمل له عرساً، لأن الأمراء يقولون هذه مصاردة بحسن عبارة، ونظر إلى طغاي تمر فرأه وقد تغير. فقال للقاضي تاج الدين إسحاق ناظر الخاص: يا قاضي اعمل لي ورقة بمكارمة الأمراء في عرس قوصون، فعمل ورقة وأحضرها، فقال: كم الجملة؟، فقال: خمسون ألف دينار، فقال: أعط نظيرها من الخزانة لطغاي تمر، وهذا سوى ما دخل مع الزوجة من الجهاز.

وجرى يوماً عند السلطان ذكر عشرين ألف دينار، فقال يلبغا اليحياوي: يا خوند أنا والله عمري ما رأيت عشرين ألف دينار، فلما راح من عنده طلب النشو وقال له. احمل الساعة إلى يلبغا عشرين ألف دينار، وجهزها مع الخازندارية، وجهز خمسة تشاريف أحمر أطلس بكلفات زركش وطرز زركش وحوائص ذهب ليخلع ذلك عليهم.

وكان راتب مطبخه، ورواتب الأمراء والكتاب الذين هم على مطبخه، في كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم. وكانت نفقات العمائر الراتب لها في كل يوم ألفا درهم، سوى ما يطرأ.

وبالغ السلطان الناصر أخيراً في مشترى المماليك :فاشترى صرغتمس بخمسة وثمانين ألف درهم، سوى تشريف أستاذه، وغير ما كتب له من المسامحة، وأما العشرة والعشرين والثلاثين فكثير. وغلا الجواهر واللؤلؤ في أيامه .

وبذل في أثمان الخيل ما لم يسمع بمثله. وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله.

وعرفت رغبته في الجواهر، فجلبها إليها التجار من الأقطار، وشغف بالسراري، فحاز منهن كل بديعة الجمال. وجهز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم، فكان أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار: منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلق به بمائة ألف دينار، وبقية ذلك ما بين جواهر ولألئ وأواني ونحو ذلك. ثم إنه زوجهن من مماليكه: مثل الأمير قوصون، والأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا المارديني، والأمير طغاي تمر، والأمير عمر بن النائب وغيرهم، وجهز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك وبأكثر منه.
واستجد النساء في أيامه المقنعة والطرحة بنحو عشرة ألاف دينار، وبما دون ذلك إلى خمسة، ألاف درهم، والفرجيات بمثل ذلك. واستجد أيضاً في أيامه للنساء الخلاخيل الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، والقباقيب الذهب المرصعة بالجواهر، والأوطية المرصعة، والأزر الحرير، فكانت قيمة إزار المرأة من أحاد النساء ألف درهم، عنها نحو الخمسين ديناراً مصرية.
وكان السلطان الناصر يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر، وبذلك كان ينال مقاصده منهم ويبلغ أغراضه فيهم، فإنه كان يعم نواب الملك والخواتين بما يبهرهم به من المصاغ والجواهر والقماش الإسكندري المناسب لهم.
واتفق أنه جهز مرة لأبي سعيد بن خربندا صحبة الأمير أيتمش المحمدي هدية عظيمة جداً، فقال له الفخر ناظر الجيش: قد اغنى الله السلطان عن هؤلاء فإنهم في طاعته عن أن يبعث لهم بهذا المال. فقال له: اسكت يا قاضي فخر الدين والله لو علمت الذي أعلمه ما قلت هذا. اعلم يا قاضي أن المال الذي أسيره إليه ما يجي ء قدر ثمن الروايا وكلف السقايين الذين يذهبون معي في البيكار، وأكون قد وفرت نفسي وعسكري.
ولم يعهد في أيام ملك قبله ما عهد في أيامه من مسالمة الأيام له، وعدم حركة الأعداء براً وبحراً وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه وكان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداوية، لكثرة بذله لهم الأموال.
وكان يحب العمارة، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة، فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم. وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختار.
و لم يكن من قبله من الملوك في الإنفاق على العمارة كذلك، بل أراد المنصور قلاوون مرة أن يبني مصطبة عليها رفرف يقيه حر الشمس ليجلس عليها، فكتب له الشجاعي على تقدير مصروفها أربعة ألاف درهم، فتناول الورقة من يد الشجاعي ومزقها وقال: أقعد في مقعد بأربعة ألاف انصبوا لي صيواناً إذا نزلت، ولا أخرج من بيت المال لمثل هذا شيئاً. وكذلك كان الظاهر بيبرس ومن قبله لا يستهون بالمال، وإنما يدخرونه صيانة وخوفاً، و لم يعرف لآحد منهم أنه أنعم بألف دينار جملة واحدة.
وراك السلطان الناصر أرض مصر والشام، وأبطل عدة مظالم من المكوس والضمانات: مثل ساحل الغلة، وكان عليه ستمائة جندي، ما منهم إلا من له في كل سنة ما بين ثمانية ألاف درهم إلى ستة ألاف درهم، سوى ما عليه للأمراء، ومثل الحقوق التي كانت على الأسربة إذا كسحت، وعليها أيضاً عدة أجناد فرتب لهم في كل سنة جملة لكل منهم، ومثل جهات ابن البطوني، وكان هذا الرجل يأخذ على رد العبيد والجواري الآبقين ضريبة،

ويقيم من تحت يده رجالاً على الطرقات لرد الهاربين، ويقوم للديوان في كل سنة بمال. وأبطل السلطان غير ذلك من المكوس، كما تقدم عند عمل الروك.

وكان السلطان الناصر متسع الحال. بلغ راتبه من اللحم في كل يوم لمطبخه ومرتب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم.

واستجد في أيامه عمائر كثيرة: منها حفر خليج الإسكندية من بحر فوة في مدة أربعين يوماً، عمل فيه فوق المائة ألف رجل من أهل النواحي، فاستجد عليه عدة سواقي، وبساتين في أراضي كانت سباخا، فصارت مزارع قصب السكر والسمسم، وعمرت هناك الناصرية، ونقل إليها مقداد بن شماس بأولاده وعدقم مائة ولد ذكر، واستمر الماء طول السنة بخليج الإسكندرية .وأنشأ الميدان تحت القلعة، وأجرى له المياه، وغرس فيه النخل والأشجار، ولعب فيه بالكرة في كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية، وعمر فوقه القصر الأبلق. وأخرب البرج الذي عمره أخوه الأشرف خليل على الإصطبل، وجعل فوقه رفرفا، وترك أصله من أسفله، وعمر بجانبه برجاً نقل إليه المماليك. وغير باب النحاس بالقلعه، ووسع دهليزه. وعمر في الساحة قدام الإيوان طباقاً للأمراء والخاصكية، وغير الإيوان مرتين، وفي المرة الثالثة أقره على ما هو عليه الآن، وحمل إليه العمد الكبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم المباني الملوكية. وعمر بالقلعة دوراً للأمراء الذين زوجهم ببناته، وأجرى إليها المياه، وعمل بها الحمامات، وزاد في باب القلة من القلعة باباً ثانياً. وعمر حارة مختص، وعمر الجامع بالقلعة والقاعات السبع التي تشرف على الميدان وباب القرافة لأجل سكنى سراريه. وعمر المطبخ، وجعل عمائره كلها بالحجارة خوفاً من الحريق. وعزم أن يغير باب القلعة المعروف بالمدرج، ويعمل له دركاه، فمات قبل ذلك. وعمل في القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وجاير الأوز، وغير ذلك، فأوسع فيها نحو خمسين فداناً. وعمر الخانكاه بناحية سرياقوس ورتب بها مائة صوفي لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه. وعمر القصور بالقرب منها، وعمل لها بستاناً حمل إليها الأشجار من دمشق وغيرها، فصار به عامة فواكه الشام .وحفر الخليج الناصري خارج القاهرة حتى أوصله إلى سرياقوس، فعمر على هذا الخليج عدة قناطر: منها قنطرة بفمه عند الميدان أنشأها الفخر ناظر الجيش، وقنطرة قدادار والي القاهرة، وغير ذلك، فصار بجانبي الخليج عدة بساتين، وعمرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا. وعمرت في أيام السلطان الناصر جزيرة الفيل وناحية بولاق بعدما كانت رمالاً ترمي بها المماليك النشاب، وتلعب الأمراء فيها بالكرة، فصارت كلها دوراً وقصوراً وجوامع وأسواق وبساتين.

وبلغت البساتين بجزيرة الفيل زيادة على مائة وخمسين بستاناً، بعدما كانت نحو العشرين بستاناً. واتصلت العمارة على ساحل النيل من منية الشيرج إلى جامع الخطيري، إلى حكر ابن الأثير وزريبة قوصون، إلى منشأة الكتبة ومنشأه المهراني، إلى بركة الحبش، حتى كان الإنسان يتعجب لذلك، فإنه كان يعهد هذا كله تلال رمل وحلفاء، فصار لا يرى فيه قدر ذراع إلا وفيه بناء.

وعمرت في أيامه أيضاً القطعة التي فيما بين قبة الإمام الشافعي إلى باب القرافة، بعدما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخدام، فتحصل به اجتماعات جليلة للتفرج عليهم، إلى أن أنشأ السلطان تربة الأمير بيبغا التركماني.

فعمر ذلك كله ترباً وخوانك، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش، لا يوجد بها قدر ذراع بغير عمارة، وتنافس الأمراء في ذلك حتى بلغوا في عمارته مبلغاً عظيماً إلى الغاية وعمر في أيامه أيضاً الصحراء التي فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر وكان هناك ميدان القبق من عهد الظاهر بيبرس، برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به، وبرسم سباق الخيل.

وأول من عمر فيه الأمراء قراسنقر تربة، وعمل لها حوض ماء للسبيل يعلو مسجد، ثم اقتدى به الأمراء والأجناد وغيرهم حتى امتلأ الميدان من كثيرة العمائر.

وعمر السلطان لمماليكه عدة قصور: منها قصر الأمير طقتمر الدمشقي بحدرة البقر، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم، فلما مات طقتمر أنعم به السلطان على الأمير طشتمر حمص أخضر، فزاد فيه.

ومنها قصر الأمير بكتمر الساقي على بركة الفيل، فعمل أساسه أربعين ذراعاً، وارتفاعه عن الأساس مثلها، فزاد مصروفه على ألف ألف درهم. ومنها الكبش حيث كانت عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب فعمله السلطان سبع قاعات برسم نزول بناته وسراريه فيها للتفرج على ركوب السلطان إلى الميدان الكبير، ولم ينحصر ما أنفق فيها لكثرته. ومنها إصطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة، حيث كان إصطبل الأمير سنجر البشمقدار، وإصطبل سنقر الطويل. ومنها قصر بهادر الجوباني، بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش. ومنها قصر قطلوبغا الفخري، وقصر ألطنبغا المارديني وقصر يلبغا اليحياوي وهو أجل ما عمره من القصور، انصرف على أساسه خاصة عن ثمن جير وحجر وأجرة مائة وثلاثين ألف درهم، وعمل نزوله في الأرض ثلاثين ذراعاً، واحتيج فيه إلى زنة عشرة آلاف درهم لازورد لدهان سقوفه، ثمنها مائة ألف درهم.

وعمر الأمراء في أيام السلطان الناصر عدة دور: منها دار الأمير أيدغمش أمير آخور، ودار آقبغا، ودار طقزدمر، ودار بشتاك على النيل وهي تشتمل على ربع كبير فوق زريبة بجوار جامع طيبرس، وقصر بشتاك بالقاهرة، وقد ذكرت هذه القصور والدور في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمطار ذكراً مستوعباً لأخبارها.

وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة، وعمل على كل بلد بها جسراً أو قنطرة وكانت أكثر بلادها تشرق لعلوها، فعمل جسر أم دينار في ارتفاع اثنتي عشرة قصبة، أقام العمل فيه مدة شهرين، فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضي كلها، وعم النفع بها. وقوي بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بحراً يتصل بالجيزة وخرج في أراضيها عدة مواضع زرعت بعدما كانت شاسعة، أخذ منها قوصون وبشتاك وغيرهما عدة أراضي عمروها ووقفوها، واستجد السلطان على بقيتها ثلاثمائة جندي.

واستجدت في أيامه عدة أراضي بنواحي الشرقية وفوة وشباس، أقطعت لعدة أجناد وعمل أيضاً جسر شيبين، فزاد بسببه خراج الشرقية. وعمل جسراً خارج القاهرة حتى رد النيل على منية الشيرج وغيرها، وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل، وكثر عددها. وأحكم السلطان عامة أرض مصر قبليها وبحريها بالترع والجسور، حتى أتقن أمرها، وكان يوكب إليها برسم الصيد في كل قليل، ويتفقد أحوالها، وينظر في جسورها وتراعها وقناطرها بنفسه، بحيث أنه لم يدع في أيامه موضعاً منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه. وكان له سعد في جميع

أعماله، فكان يقترح المنافع من قبله بعد أن كان يزهده فيما يأمر به حذاق المهندسين، ويقول بعضهم.يا خوند الدين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح لفعلوه، فلا يلتفت إلى قولهم، ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد، فتأتيه أغراضه على ما يحب ويختار، فزاد في أيامه خراج مصر زيادة هائلة في سائر الأقاليم.
وكان إذا سمع بشراقي بلد أو قرية من القرى أهمه ذلك، وسأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرة، بل كلما وقع بصره عليه، ولا يزال يفحص عن ذلك حتى يتوصل إلى ريها بكل ما تصل قدرته إليه. كل ذلك وصاحبها لا يسأله في شيء من أمرها، فيكلمه بعض الأمراء في ذلك فيقول: هذه قريتي، وأنا الملزوم بها والمسؤل عنها، فكان هذا دأبه، وكان يفرح إذا سأله بعض الأجناد في عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوي أو غير ذلك، وينبل ذلك الرجل في عينه، ويفعل له ما طلبه من غير توقف ولا ملل في إخراج المال، فإن كلمه أحد في ذلك فيقول: فلم نجمع المال في بيت المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره، فهذه كانت عوائده.
وكذلك فعل بالبلاد الشامية، حتى إن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل له نائباً، وسمي بملك الأمراء، و لم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة، ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل يطول الشرح في ذكر ذلك.
وأنشأ السلطان الناصر الميدان الكبير على النيل وخرب ميدان اللوق الذي أنشأه الظاهر بيبرس، وعمله بستاناً حملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها، فكانت فواكه تحمل إلى الشراب خاناه السلطانية. ثم أنعم به على الأمير قوصون، فبنى تجاهه على الزريبة المعروفة بزريبة قوصون، ووقفهما. واقتدى به الأمراء في العمارة، فأخذ قوصون بستان بهادر رأس نوبة ومساحته خمسة عشر فداناً وحكر للناس، فبنوه دوراً، وعرف بحكر قوصون.

وحكر السلطان حول البركة الناصرية أراضي البستان، فعمره الناس وسكنوا فيه. وحكر الأمير طقزدمر بجوار الخليج بستاناً مساحته ثلاثون فدانا، وبني له قنطرة عرفت به وعمل هناك حماماً وحوانيت، فصار حكراً عظيماً للمساكين. وحكر الأمير آقبغا عبد الواحد بستاناً بجوار بركة الفيل، فعمر عمارة محميرة بعدما كان مقطع طريق، فصار قدر مدينة كبيرة، وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنينات ظاهر القاهرة وحكروها. وحكرت الدادة حدق - وهي المعروفة باسم ست مسكة القهرمانة - حكرين عرفاً بها، فجاءا من أحسن الأحكار، وأنشات لكل واحد منهما جامعاً تقام به الجمعة. فأنافت الأحكار التي استجدت في أيامه على ستين حكراً، حتى لم يوجد موضع بحكر، واتصلت العمارات من خارج القاهرة إلى جامع ابن طولون والمشاهد، وقد ذكرنا أيضاً هذه الأحكار في كتاب المواعظ والاعتبار ذكراً شافياً.
وفي أيامه عمر الأمير قوصون بالقاهرة وكالة حيث كانت دار تعويل البوغاني.
وعمر الأمير طشتمر حمص أخضر ربعاً بجوار حدرة البقر، وهو الذي عمر قيسارية الحريريين بجوار الوراقين من القاهرة.
وعمر الأمير بكتمر الساقي . بمدينة مصر ربعين وحوانيت على النيل ودار وكالة ومطابخ سكر. وعمر الأمير طقزدمر دار التفاح خارج باب زويلة، والربع الذي فوقه. وتجددت عدة جوامع في أيامه أنافت على ثلاثين جامعاً، منها الجامع الناصري بقلعة الجبل جدده السلطان الناصر وأوسعه، والجامع الجديد الناصري ظاهر من على النيل، وجامع المشهد النفيسي، وجامع الأمير كراي المنصوري بآخر الحسينية، وجامع الأمير طيبرس نقيب

الجيش على النيل بجوار خانكاته، - وهو الذي عمر أيضاً مدرسة بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الأمير بدر الدين محمد بن التركماني بالقرب من باب البحر وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل، وهو الذي عمر جامعاً آخر خلف خص الكيالة ببولاق، وجامعاً ثالثاً بالروضة، وجامع كريم الدين خلف الميدان، وجامع شرف الدين الجاكي بسويقة الريش، وجامع أمير حسين بالحكر، - وقد بني له قنطرة على الخليج - وجامع الأمير قيدان الرومي بقناطر الوز، وجامع دولت شاه مملوك العلائي بكوم الريش، وجامع الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك بطرف الحسينية، وجامع ناصر الدين الحراني الشرابيشي بالقرافة، وجامع الأمير آقسنقر شاد العمائر قريباً من الميدان، وجامعاً خارج باب القرافة عمره جماعة من العجم، وجامع النوبة بباب البرقية - عمره مغلطاي أخو الأمير ألماس، وجامع بنت الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة المستجدة وعمر ما حوله أملاكاً كثيرة -، وجامع الأمير ألماس بالقرب من حوض ابن هنس، وجامع الأمير قوصون خارج القاهرة، وجامعه خارج باب القرافة، وجامع الأمير عز الدين أيدمر الخطيري على النيل ببولاق، وجامع أخي صاروجا بشون القصب، و جامع الحاج آل ملك بالحسينية، وجامع الأمير بشتاك على بركة الفيل تجاه خانكاته، وجامع ست حدق فيما بين قنطرة السد وقناطر السباع، وجامع ست مسكة قريباً من قنطرة آقسنقر، وجامع الأمير ألطبغا المارديني خارج باب زويلة، وجامع مظفر الدين بن الفلك بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع جوهر السحرتي قريباً من باب الشعرية، وجامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة.

واستجد بدمشق في أيام السلطان الناصر أيضاً جامع كريم الدين وجامع شمس الدين غبريال، وجامع الأفرم، وجامع تنكز، وجامع يلبغا.

وجددت الخطب في أيامه بعدة مواضع: فجدد نائب الكرك خطبة بالمدرسة الصالحية، وجدد طقزدمر خطة بالمعزية بمصر. وتجددت خطة بزاوية فخر الدين بن جوشن خارج باب النصر، وجدد نجم الدين أبو بكر بن غازي دلال المماليك خطبة بمسجد فيما بين باب البحر وبولاق، وجددت خطة بجامع محمود بالقرافة بعدما كان تربة. وأخر ما عمره السلطان السواقي بالرصد، فمات و لم يكمل عملها، إلا أنه في أخر أيامه أقام النشو، فأفرط في الظلم.

وشغف السلطان الناصر أيضاً بحب الجواري ، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجواري المولدات وحملهن إليه، وأخذهن حتى من المغنيات، فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتي وصيفة. وكان يكره ممالك أبيه وأخيه، ومازال بهم حتى فنوا في أيامه. وكان لا يمكن مماليكه بالاجتماع بالفقهاء، وتعنت على أجناد الحلقة وعرضهم وقطع منهم جماعة، فمات عقيب ذلك. ورسم بعد موته بغلق حوانيت بين القصرين، وطردت الناس بأجعهم من هناك. وحمل في محفة، وأخرج من القلعة، ومروا به من وراء السور إلى باب النصر، ومعه من الأمراء بشتاك وملكتمر الحجازي وأيدغمش وعدة من الخاصكية.

ثم شقوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية، وقدامه بعض الحراس تضيء عليه بمسرجة زيت حار، ثم لحقه فانوس فشيعه إلى المدرسة المنصورية. وحمل إلى القبة بها وغسل وحنط، وكفن من المارستان، وقد اجتمع الفقهاء والقراء، ثم دفن على أبيه.

وترك السلطان الناصر من الأولاد محمداً وابراهيم، وعليا، وأحمد، وأبا بكر، وكجك، ويوسف، و شعبان، ورمضان، وإسماعيل، وحاجي وحسيناً، وحسناً وصالحاً، وسبع بنات، فولي السلطة من أولاده ثمانية: وهم أبو

بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجي ، وصالح و حسن.
وكانت نوابه بديار مصر كتبغا وسلار، وبيبرس الدوادار، وبكتمر الجوكندار وأرغون الدوادار، و لم يستنب بعد أرغون أحد.
وكانت وزراؤه سنجر الشجاعي، وتاج الدين محمد بن حنا، وفخر الدين عمر بن الخليلي، وسنقر الأعسر، وعز الدين أيبك البغدادي، ومحمد بن الشيخي ، وأيبك الأشقر - وسمي المدبر، وسعد الدين محمد بن عطايا، وضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائي ، وبدر الدين محمد بن التركماني وأمين الدين عبد الله بن الغنام، وبكتمر الحاجب، ومغلطاي الجمالي. و لم يستوزر بعد الجمالي أحداً.
وكانت قضاته تقي الدين محمد بن دقيق العيد وبدر الدين محمد بن جماعة وجمال الدين سليمان الزرعي وجلال الدين محمد بن القزويني وعز الدين عيد العزيز بن جماعة.
وكان كتاب سره شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، وعلاء الدين علي بن الأثير، ومحي الدين يحيى بن فضل الله، وعلاء الدين علي بن فصل الله.
كان دواداريته عز الدين أيدمر، وأرغون، وأرسلان، وألجاي، ويوسف بن الأسعد، وبغا، وطاجار.
وكان نظار جيشه بهاء الدين عبد الله بن أحمد الحلي، والفخر محمد بن فضل الله القبطي، وقطب الدين مرسي بن شيخ السلامية، وشمس الدين موسى بن التاج إسحاق، والمكين إبراهيم بن قروينة، وجمال الكفاة إبراهيم .تم ذلك.

السلطان أبو بكر بن الملك الناصر

السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون جلس على تخت السلطنة بالإيوان من قلعة الجبل بعهد أبيه له صبيحة توفي والده، من يوم الخميس حادي عشرى ذي الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور، وجلسوا حوله، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طقزدمر الحموي - زوج أمه - نائب السلطة بديار مصر، وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه في الرأي الأمير بشتاك.
ورسم بتجهيز التشاريف والخلع، وعين الأمير قطلو بغا الفخري لتعزية نواب الشام بالسلطان الناصر محمد، والبشارة بسلطنة ابنه وتحليفهم. ويكون صحبته تقاليدهم فتوجه من يومه.
وفيه نودي بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله، فسر الناس ذلك، فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة، وألا يكون معاملتهم إلا بالذهب.
وفيه أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف، وكان النشو قد أخذها منهم، وصار ينفق فيهم من بيت المال.
وفيه كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم، وألا يرمي على بلاد الأجناد شعير ولا تبن.
وفي يوم الخميس ثامن عاشريه: أنعم على عشرة بإمريات طبلخاناة.
وفي يوم السبت سلخه: جمع القضاة بجامع القلعة للنظر في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان وإعادته إلى الخلافة، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار وغيره.
فاتفقوا على إعادته، لعهد أبيه إليه بالخلافة. . بمقتضي مكتوب ثابت على قاضي قوص.

وفيه، فرقت التشاريف والخلع على الأمراء. ليلبسوها في يوم الخدمة من العام المقبل. وفيه أقيم الأمير قرصون في تدبير أمور الدولة.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين الحاج قطز الظاهري ، أحد أمراء الطبلخاناة، وقد أناف على مائة سنة وهو أخر من بقي من المماليك الظاهرية بيبرس وكان مشكوراً.
ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين حنكلي بن البابا، في يوم الرابع والعشرين من رجب. وكان فقيهاً أديباً شاعراً جواداً.
وتوفي الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام تحت العقوبة مخنوقا، يوم الجمعة رابع جمادى الأولى .ووزر الصاحب أمين الدين ثلاث مرات، وباشر نظر الدولة واستيفاء الصحبة والدولة، وخدم من الأيام الأشرفية فولي. بمصر ودمشق وطرابلس، وحسن إسلامه وكان رضي الخلق.
ومات الأمير علاء الدين مغلطاي العزي نائب أياس والفتوحات الأندلسية بها وكان مشكور السيرة.
ومات طوغان الشمسي سنقر الطويل وإلى الأشمونين وشاد الدواوين بمصر والشام، وهو منفي بالشام وكان ظالماً غشوماً مذموم السيرة.
ومات الأمير آنوك ابن السلطان الناصر محمد، في يوم الجمعة سابع ربيع الأول، فاشتد حزن والده السلطان عليه.
وتوفي الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبي طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمالي أبي القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمي الحلبي الشافعي بمصر. تزهد بعد الرياسة والاشتغال بالعلم وكتابة الخط المنسوب، وحج ماشياً من دمشق، وجاور بمكة مراراً، وقدم مصر سنة اثنتين وثلاثين، وأقام بها حتى مات. وكان لا يقبل لأحد شيئاً، ويقيم حاله من وقف أبيه بحلب، وتزيا بزي الصوفية، وكان فيه مروءة، وله مكارم وصدقات، وله شعر جيد.
وتوفي افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمي الحنفي شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، في يوم الخميس السادس عشر المحرم. وكان بارعاً في النحو شاعراً.
وتوفي عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ابن محمد بن الفرات، أحد نواب القضاة الحنفية، في ليلة الجمعة ثاني عشرى ذي الحجة.
وتوفي أوحد الدين بالقدس في رابع عشرى شعبان.
ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نائب حلب، ببلاد المراغة، وقد أقطعه إياها ابو سعيد بن خربندا. وكان موته بمرض الإسهال وقد أعيا الملك الناصر قتله، وبعث إليه كثيراً من الفداوية، فصانه الله منهم، بحيث قتل من الفداوية بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداوياً. ولما بلغ السلطان الناصر محمد موته قال: وا لله ما كنت أشتهي موته إلا من تحت سيفي، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودي ولكن الأجل حصين.
وكانت له مع الفداوية أخبار طويلة: منها أن السلطان الناصر محمد أعطى يونس التاجر مالاً كثيراً، وبعثه إلى

توريز ليتخذ له بها أصحاباً يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية فيأووا عنده، وعرف يونس بمقاصده. ثم إن السلطان تلطف مع صاحب مصياف، وبذل له مالاً كثيراً حتى ندب له من الفداوية طائفة. فبعثهم السلطان إلى يونس فأواهم وأعلمهم بالغرض، فانتظروا وقتاً يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب النوين الكبير جوبان يريد مدينة توريز، وركب آقوش الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه. فخرج اثنان من الفداوية، أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر، فبدر أحدهما وضرب آقوش الأفرم، فاتقى الضربة بيده، وكان عليه قرضية، فانشق كمه وجرحت يده، وجبن الآخر عن قراسنقر، لقتل الفدواي. ووقع الحذر، وكبست الفنادق والخانات بتوريز، وقبض على يونس، فقام الوزير ناصر الدين خليفة بن خواجا علي شاه معه حتى تخلص من القتل. ولم يصب قراسنقر بسوء، وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته واحترسا على أنفسهما

ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة، وله معرفة بأهل مصياف، فتتبع نواحي توريز حتى ظفر بفداوي رسله السلطان الناصر محصد لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقربه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له في كل شهر ثلاثمائة درهم، وخدم عنده فراشاً رفيقاً لأخيه، وزاد في الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذ الفداوي قراسنق بما ندب إليه من قتله، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداوية. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة، فكبسوا على جماعة ممن دلهم عليهم، فظفروا، بواحد، وفر بعضهم، وقتل بعضهم نفسه، وجيء بالفداوي المقبوض عليه، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشيء.

واشتد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء، وقصاد السلطان تطالعه بذلك في كل وقت، إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم، فأحضر نائب بغداد التاجر وألزمه بإحضارهما، فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه، وأخرجه من بغداد .فبعث التاجر بطائفة من الفداوية لقتله، وقتل قراسنقر، فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد، وأقاموا في الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينا نائب بغداد يوماً وقد مر في الشارع، إذا وثب عليه أحد الفداوية وصاح. ياللملك الناصر، وضربه بالخنجر في صدره، ومر يعدو فلم يقدر عليه. وعاد الفداوي إلى مصياف، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشتد حذرهما، وألزم قراسنقر فراشه وأخاه الفداوي حتى دلاه على أربعة من الفداوية، فقبض عليهم، فاعترف أحدهم، وحكى له المنبر بنصه فقتلوا وشهروا. وأقام رجال جوبان مدة في طلب الفداوية، فلم يدخل منهم أحد إلا ظفر به. فلما قدم المجد السلامي إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير، واتصل بالسلطان، أقامه السلطان عيناً له ببلاد الشرق، وبعثه بالهدايا والتحف. فصحب المجد السلامي جوبان والوزير، ولزمهما، وطالع السلطان بالأحوال. ثم بعث السلطان إليه بعدة من الفداوية، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم المجد السلامي توريز قبض بها على ثلاثة من أربعة من الفداوية، وفر الرابع الذي معه كتاب السلطان إليه. فعوقب الثلاثة حتى ماتوا، ولم يعترفوا بشيء ووصل الذي فر إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى. فمازال السلامي يقرر الصلح بين الوزير خواجاً علي شاه وجوبان وبين السلطان إلى أن تم، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوي.

ثم حدث أنه بينما قراسنقر في عدة من أمراء الساحل يتصيد إذ وثب عليه من خلفه فداوي وضربه، فوقعت الضربة في خاصرة الفرس، ألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فسلم، وقتل أصحابه الفداوي. ثم لما توجه الأمير

أيتمش بن عبدالله المحمدي الناصري في المرة الثانية إلى أبي سعيد بعث السلطان الناصر في أثره فداويين قبض على أحدهما، وقتل الأخر نفسه، فلم يعترف المقبوض عليه بشيء حتى مات قتلاً بحضور أيتمش. وعتب جوبان على أيتمش بسبب ذلك، وأنه وقع الصلح على ألا يدخل أحد من هؤلاء إلينا، فاعتذر أيتمش بأن هؤلاء إلينا كانوا فداوية فقد كانوا في البلاد من قبل تقرير الصلح، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم فمشى ذلك على جوبان، وأعيد أيتمش إلى مصر.

فلما عاد المجد السلامي أيضاً بعث السلطان إلى مصياف بالإنكار على الفداوية في تأخر قضاء شغله، فأرسلوا إليه رجلاً منهم ليقوم بما يؤمر به، فخلا به السلطان وعرفه مقاصده، وأنزله عند كريم الدين بحيث لا يراه أحد، فكان راتبه في كل يوم خروفاً يأكله كله في كشك من أول النهار، ثم يأكل في وسط النهار دجاجاً أو أوزاً أو لحماً مشوياً، ثم يتعشى بثلاثة ألوان من الطعام، ويشرب في كل يوم ستين رطلاً من الخمر. فأقام الرجل الفداوي على ذلك أربعة وثلاثين يوماً، ثم سافر لقصده. وتسلم القاصد الذي يدله على الغريم السكين ليعطها للرجل الفداوي، وقد ختمت. وتوجه السلامي أيضاً بهدية جليلة، فوصل الجميع إلى البلاد. وخفي أمر الفداوي حتى كان يوم عيد الفطر، ودخل الناس يهنؤن أبا سعيد وجوبان، وفيهم قراسنقر، ثم انصرفوا بعد أكلهم إلى الوزير خواجا علي شاه، وأكلوا طعامه. ثم بعث السلامي إلى الفداوي فأحضره، وأوقفه بطريق قراسنقر، ودخل رفيقه حتى ينظر وقت فراغ قراسنقر من الطعام ليعرف به الفداوي. فاتفق أن قراسنقر قام ومشى إلى أثنا الدهاليز، وقد سبقه القاصد وعرف به الفداوي، وأعطاه السكين ووصف له شكله وزي ثيابه، وقال له هو أول من يركب. فعندما وضع قراسنقر رجله في الركاب استدعاه الوزير، فعاد، وقد قام دمرداش نائب الروم من المجلس، وكان فيه شبه من قراسنقر وخلعته التي عليه حمراء مثل خلعة قراسنقر فعندما ركب دمرداش وتوسط الطريق مر بالفداوي، فظنه قراسنقر، فألقى نفسه من سطح كان فوقه، فصار على كفل الفرس وصاح بسعادة السلطان الملك الناصر محمد، وضربه في رقبته ألقاه عن فرسه قتيلاً. وقام الفداوي يعدو، فأدركه القوم وأحضروه إلى جوبان، فاتهم بأنه كان مع السلامي، فلولا لطف الله به وعناية الوزير لقتل السلامي شر قتلة وقتل الفداوي بعد ما عوقب أشد العقوبة، ولم يعترف بشيء.

ومما حدث كذلك أنه بينا قراسنقر في بعض الأعياد، وقد خرج مع أمراء المغل من حضرة أبي سعيد إلى عند جوبان، إذ وثب عليه فداوي، فألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فوقع الفداوي عليه وضربه بالسكين فأخطأه، ووقعت السكين في الأرض. فقطع الفداوي فوق صدر قراسنقر قطعاً، وأقيم قراسنقر وقد خرب شاشه، وطاحت الكلفتاه عن رأسه، وكان عقله أن يذهب.

وكان قراسنقر أحد مماليك المنصور قلاوون، عمله كوكندار، ثم ترقى حتى ولي نيابة حلب، ونيابة دمشق. وكان كبير القدر، بشوش الوجه، صاحب رأي وتدبير ومعرفة، وبلغت عدة مماليكه ستمائة مملوك. وكان كثير العطاء لا يستكثر على أحد شيئاً، وكان مهاباً كثير المال، وترك ولدين هما أمير علي، وأمير فرج، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بخط رحبة باب العيد من القاهرة، ودار قراسنقر بحارة بها الدين.

ومات الأمير تنكز نائب الشام، يوم الثلاثاء نصف المحرم.

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد: ففي يوم الإثنين ثانيه: خلع على جميع الأمراء والمقدمين في الموكب بدار العدل، وذلك أن الأمراء طلعوا بخلعهم التي فرقت عليهم كما تقدم، وطلع القضاة فاجتمعوا بدار العدل. وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي الربيع سليمان على الدرجة الثالثة من تحت السلطنة، وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته سوداء مرقومة. ثم خرج السلطان من باب السر على العادة، فقام الخليفة والقضاة ومن كان جالساً هناك من الأمراء. وجلس السلطان على الدرجة الأولى دون الخليفة، فقام الخليفة وافتتح الخطة بقوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربي، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما ثفعلون. ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال: "فوضت إليك جميع أحكام المسلمين، قلدتك ما تقلدته من أمور الدين، ثم تلا قوله تعالى: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

وجلس الخليفة فجيء في الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده، وقلده سيفاً عربياً. وأخذ علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرع منه، ثم قدمه للخليفة، فكتب عليه، ثم كتب بعده القضاة بالشهادة عليه. ثم قدم السماط، فأكل الأمراء وانفضت الخدمة.

وفي يوم الأربعاء رابعه: كان ابتداء زيادة النيل.

وفي يوم الخميس خامسه: قدم الأمير بيغرا من عند أمير أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون وقد حلف بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور.

وفيه أنعم على الأمير بيلك العلائي الساقي بإمرة البرواني، وأنعم بعشرته على مغلطاي أمير شكار، وأنعم على بزلار الساقي بطبلخاناة أمير حاج ملك بن أيدغمش.

وفي عصر يوم الأحد ثامنه: قبض على أمير بشتاك الناصري وذلك أنه طلب أن يستقر في نيابة الشام، ودخل على الأمير قوصون وسأله في ذلك، وأعلمه أن السلطان الناصر محمد كان قبل موته وعده بها وألح بشتاك في سؤاله، وقوصون يدافعه ويحتج عليه أنه قد كتب إلى ألطنبغا الصالحي نائب الشام تقليداً باستقراره في نيابة الشام على عادته، فلا يليق عزله سريعاً. فقام بشتاك عنه وهو غير راض، فإنه كان قد توهم من قوصون، وخشي منه لما كان بينهما قديماً من المنافرة، ولأنه قد صار المتحكم في الدولة، فطلب أن يخرج من مصر، ويبعد عنه. فلما لم يوافقه قوصون على ذلك سعى فيه بخاصكية السلطان، وحمل إليهم مالاً كثيراً في السر، وبعث إلى الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على قصده، فمازالوا بالسلطان حتى أنعم له بنيابة الشام. وطلب السلطان الأمير قوصون وأعلمه بذلك، فلم يوافقه وغض من بشتاك، وأخر ما قرره مع، السلطان أنه يحدث الأمراء في ذلك، ويعده بأنه يولي بشتاك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخري بنسخة اليمين من الشام. فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتاك نيابة الشام، فأخذوا في الثناء عليه والشكر، فاستدعاه السلطان وطيب خاطره، ووعده بها عند قدوم قطلوبغا، وتقدم إليه بان يتجهز للسفر.

فظن بشتاك أن ذلك صحيح، وقام مع الأمراء من الخدمة، وأخذ في عرض خيوله، وبعث لكل من أكابر الأمراء

المقدمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسين من الخيل بالقماش .الفاخر، وبعث معها أيضاً الهجن المهرية.
ثم بعث بشتاك إلى الأمراء الخاصكية، مثل ملكتمر الحجازي، وطاجار بن عبدالله الناصري الدوادار، ويلبغا اليحياوي، وألطبغا المارداني، وتنكز بغا بن عبد الله المارديني، شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف، وفرق عدة من الجواري في الأمراء، بحيث لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه، ثم فرق بشتاك على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جاريه من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه، بعد ما شورهن باللؤلؤ والزركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جداً. وفرق بشتاك من شونته على الأمراء اثني عشر ألف أردب غلة، وزاد حتى وقع الإنكار عليه، واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقته هذه حجرين من حجارة معاصر قصب السكر، بما فيها من القنود والأعمال والأبقار والأغلال والآلات، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة في أرض ملك له، فأدهش الأمراء بكثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من مماليكه.
ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك، وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال لهم: إذا قبضوا على أخدوا مالي، وأنا أحق به منهم أن أفرقه وأسر به إذا بذلته، ويبقى لي مكارم على الناس أذكر بها، وإذا سلمت فالمال كثير. هذا وقد قام قوصون في أمر بشتاك، ومازال بالسلطان حتى قرر معه القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخري. وأشاع قوصون أن بشتاك يريد القبض على قطلوبغا، فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه ما وقع من تجهيز بشتاك، وأنه على عزم من أن يلقاك في طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس.

واتفق من الأمر العجيب أن بشتاك خرج إلى حوشه بالريدانية خارج القاهرة، ليعرض هجنه وجماله، فطار الخبر إلى قطلوبغا الفخري بأن بشتاك قد خرج إلى الريدانية "في انتظارك، فاستعد ولبس السلاح من تحت ثيابه، وسار وقد تلقاه عدة من مماليكه وهو على أهبة الحرب. وعرج قطلوبغا عن الطريق، وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتاك، وكان عند بشتاك علم من قدومه. فلما قرب قطلوبغا من الموضع الذي فيه بشتاك لاحت له غبرة خيله، فحدس أنه قطلوبغا قد قدم، فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه السلام، ويعرفه أن يقف حتى يأتيه ليجتمع به. فلما بلغ قطلوبغا ذلك زاد خوفه من بشتاك، وقوي عنده صحة ما بلغه عنه، فقال للمملوك: سلم على الأمير، وقل له لا يكن اجتماعي به ولا بأحد حتى أقف قدام السلطان، ثم بعد ذلك اجتمع به. فمضى مملوك بشتاك، وفي ظن قطلوبغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه، فأمر مماليكه أن يسيروا قليلاً قليلاً، وساق بمفرده مشواراً واحداً إلى القلعة. ودخل قطلوبغا على السلطان وبلغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه. ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء ما اتفق له مع بشتاك، وأنه كان يريد معارضته في طريقه وقتله، فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتاك.
فلما كان عصر هذا اليوم، دخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر، وفيهم الأمير بشتاك، وأكلوا السماط، تقدم الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طقزدمر الناصري الساقي إلى بشتاك، وأخذا سيفه وكتفاه. وقبض معه على أخيه أيوان وعلى طولوتمر ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلوذان به. وقيدوا جميعاً. وسفروا إلى الإسكندرية في الليل صحبة الأمير أسندمر العمري. وقبض على جميع مماليكه، وأوقعت الحوطة على دوره

وإصطبلاته، وتتبعت غلمانه وحاشيته.

وأنعم من إقطاع بشتاك على الأمير قوصون بخصوص الشرق زيادة على إقطاعه، وأخذ السلطان المطرية ومنية ابن خصيب وشبرا. وفرق السلطان بقية إقطاع بشتاك على ملكتمر الحجازي وغيره من الأمراء.

فلما أصبحوا يوم الإثنين تاسعه قبض على المجد السلامي، واقم بأن لبشتاك عنده جواهر مودعة.

وفيه حملت حواصل بشتاك، وهي من الذهب مائتا ألف دينار مصرية، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائص الذهب والكلفتاه الزركش شيء كثير جداً. ومن الغلال أحد عشر ألف أردب، سوى ما تقدم ذكره مما أنعم به شتاك وفرقه.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه إلى طرابلس، لنقله كلاماً بين الأمراء، ولميلة مع شتاك.

وفي الخميس ثاني عشره أنعم على كل من شعبان ورمضان أخوي السلطان بإمرة وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب وأنعم من الغد بإمرته على أخيه جمال الدين عبد الله بن الحاجب.

وفي يوم الإثنين ثالث عشريه: خلع على الأمير طقزدمر، واستقر في نيابة السلطانة، فجلس في دست النيابة، وحكم وسرف الأمور.

وفيه أيضاً خلع على الأمير نجم الدين محمود بن علي بن شروين المعروف بوزير بغداد، واستقر في الوزارة.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه: قدم محمل الحاج من الحجاز، صحبة ملكتمر الحجازي وفيه أيضاً قدم الأمير ناصر الدين محمد بن بيلبك الحسني من دمشق على البريد بالاستدعاء.

وفيه أنعم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكتمر الساقي أحد العشرات، بإمرة طبلخاناة وقدم البريد من حلب بأن الأمير بن فياض وسليمان بن مهنا وأخوقما قطعوا الطريق على التجار، عندما بلغهم أن أميرهم موسى بن مهنا قد قبض عليه، بعد موت السلطان الناصر محمد، وكان موسى قد خلع عليه وسافر.

وفي يوم الإثنين سلخه: قبض على الأمير أقبغا عبد الواحد وأولاده، وخلع على الأمير طقتمر الأحمدي، وأستقر أستادار عوضه. وسبب ذلك أنه في أيام السلطان الملك الناصر قد ولي الأستادارية وتقدمة المماليك وشد العمائر، وتحكم في سائر الأمور وأرباب الأشغال، وعظمت مهابته. فاتفق أنه غضب على فراش له، وضرباً مبرحا كما هي عادته. فخدم الفراش عند أبي بكر ابن السلطان، ليحميه من آقبغا، فبعث آقبغا في طلبه، فمنعه أبو بكر، وأرسل مع مملوكه يقول له: أريد أن قبني هدا الفراش فأغلظ آقبغا على المملوك وسبه، وقال قل له يرسل الفراش وهو جيد له وكان أبو بكر قبل ذلك خرج من الخدمة السلطانية إلى بيته، وآقبغا يضرب مملوكاً، فوقف وشفع فيه، فلم يعبأ به آقبغا، ولا قبل شفاعته، وسار واقفاً وآقبغا قاعد، فانصرف أبو بكر وقد خجل. فلما أعاد مملوكه جواب آقبغا غضب وحلف لئن صار سلطاناً ليصادرنه وليضربنه بالمقارع، وحمى الفراش من آقبغا. فلما أفضت السلطة إليه بعد موت أبيه، عرف الأمير قوصون والأمير طقزدمر النائب بيمينه، فأجابه قوصون إلى مصادرته أولاً قبل ضربه، وأراد بذلك مدافعة عنه، فقبض عليه ورسم للأمير طيبغا المجدي والأمير نحم الدين بلبان الحسامي البريدي والي القاهرة بإيقاع الحوطة على موجوده، وسلم ولده الكبير للمقدم إبراهيم بن صابر. فبات آقبغا ليلته بغير أكل وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر، فتحدث له الأمراء أن يترل في ترسيم طيبغا المجدي ليتصرف في أموره، فترل صحبته، وأخذ في بيع موجوده. وكان مما أبيع له سراويل لزوجته بمائتي ألف

درهم فضه، وقبقاب وخف نسائي وسرموجة لامرأته بخمسة وسبعين ألف درهم فثار به جماعة ممن ظلمهم في أيام تحكمه، وطلبوا حقوقهم منه، وشكوه. فأقسم السلطان لمن لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة، ففرق فيهم مائتي الف درهم حتى سكتوا عنه.

وفي يوم الأحد سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين بلبان الحسامي البريدي لقلة حرمته. وخلع على نجم الدين واستقر في ولاية مصر.

وفيه قدم الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير من الشام على البريد، باستدعاء.

وفيه رسم لابن المحسني والي القاهرة أن يستخلص من خالد وابن معين مقدمي دار الوالي مالاً، من أجل طمعهما وكثرة تحكمهما.

وفيه أيضاً قبض على الصدر الطيبي ناظر المواريث، وسلم إلى الوالي على مال يحمله، فعاقبه الوالي حتى حمل مالاً جزيلاً.

وفي يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير بدر أمير مسعود، واستقر حاجبا عوض عن الأمير برسبغا على إمرته بغير وظيفة.

وفي يوم الأربعاء تاسعه: قبض على مقدم الدولة إبراهيم بن صابر، وسلم لمحمد بن شمس الدين المقدم، وأحيط بأمواله. فوجد له نحو تسعين حجرة في الجشار، ومائة وعشرين بقرة في الزرايب، ومائتي كبش، وجوقتين كلاب سلوقية، وعدة طيور جوارح مع بزدارية، ووجد له من الغلال وغيرها شيء كثير، فعوقب وحمل المال شيئاً بعد شيء.

وفيه جهز ابن طغيه وقريب الشيخ حسن كجك، وسفرا وكتب إلى نواب الشام بإكرامهما.

وفيه وقع بين قاضي القضاة حسام الدين الغوري الحنفي وبين موفق الدين ناظر الدولة، بسبب معلومه، وقد توقف صرفه، فكتب قاضي القضاة حسام الدين إليه ورقة يذكر فيها مساوئ الكتاب، وأفحش القول فيهم. فشق ذلك على موفق الدولة وعلى بقية الكتاب، وبلغوا السلطان عنه تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله.

فلما كان الغد يوم الخميس عاشره: وحضر القضاة بدار العدل على العادة تكلم القاضي الغوري مع السلطان بالتركي في الكتاب بقوادح، وطعن في إسلامهم. فغضب السلطان منه، واستدعى الوزير بعد الخدمة، وأنكر عليه ما وقع من الغوري، وقال: لولا أنه من بلدك وإلا كنت ضربته بالمقارع، لكن إكرامه لك، فاطلبه وحذره ألا يعود لمثلها. فطلبه الوزير وعتبه عتباً شديداً.

وفيه قدم البريد من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقي نائب حلب بخروج زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وموافقته لأرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب، وأنه قد قوي بالأبلستين وجمع جمعاً كثيراً، وسأل الأمير طشتمر أن ينجد بعسكر من مصر.

وفيه رسم السلطان بضرب أقبغا عبد الواحد بالمقارع، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فاشتد حنقه، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته.

وفيه شفع الأمير ملكتمر الحجازي في ولي الدولة أبي الفرج بن الخطير صهر النشو، فأفرج عنه، واستسلمه الحجازي، وخلع عليه، وجعله صاحب ديوانه.

وفيه عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتي في بيت السلطان، وكتب علاء الدين كاتب السر صداقهما، فخلع عليه وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظرات أن يجهزهما بمائة ألف دينار، وشرع في عمل المهم للعرس.

وفي يوم السبت تاسع عشره :ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور أبي بكر، وخلعوه من الملك في يوم الأحد عشريه، وأخرج أبو بكر هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جركتمر.

وسبب ذلك أن السلطان قرب الأمير يلبغا اليحياوي، وشغف به شغفاً كثيراً، ونادم الأمير ملكتمر الحجازي، واختص به وبالأمير طاجار الدوادار وبالشهابي شاد العمائر وبالأمير قطليجا الحموي، وجماعة من الخاصكية، وعكف على اللهو وشرب الخمور وسماع الملاهي. فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره، لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر .فحملوا الأمير طقزدمر النائب على محادثته في ذلك وكفه عنه، فزاده لومه إغراء، وأفحش في التجاهر باللهو حتى تحدث به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامة. وصار السلطان يطلب الغلمان في الليل، ويبعثهم لإحضار المغاني، فغلب عليه الشراب في بعض لياليه، فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش يا أمير آخور هات لي ابن عطعط فقال أيدغمش: يا خوند ما عندي فرس بهذا الاسم فنقل ذلك السراخورية والركابية، فتداولته الألسنة .فطلب قوصون الأمير طاجار والشهابي شاد العمائر، وعنفهما وقال: سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات، ويحضر إليها البغايا والمغاني، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا .فبلغوا السلطان كلام قوصون، وزادوا في القول، فأخذ جلساؤه من الأمراء في الوقيعة في قوصون والتحدث في القبض عليه، وعلى الأمير قطلوبغا الفخري والأمير بيبرس الأحمدي والأمير طقزدمر النائب. فنم عليهم الأمر يلبغا اليحياوي لقوصون وكان قد استماله بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية، وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه في يوم الجمعة وقت الصلاة.

فانقطع قوصون عن الصلاة، وأظهر أن برجله وجعاً، وبعث في ليلة السبت يعرف الأمير بيبرس الأحمدي بالخبر، ويحثه على الركوب معه. وطلب قوصون المماليك السلطانية، وواعدهم على الركوب صحبته، وملأهم بكثرة مواعيده إياهم، وبعث إلى الأمير الحاج آل ملك، والأمير جنكلي بن البابا. فلم يطلع الفجر حتى ركب قوصون من القلعة من باب السر في مماليكه ومماليك السلطان، وسار نحو الثغرة، وبث مماليكه في طلب الأمراء. فأتاه جركتمر بن بهادر في إخوته، وبرسبغا بيبرس، والأحمدي، وقطلوبغا الفخري. وأخذوا أقبغا عبد الواحد من ترسيم طيبغا المجدي، فسار معه المجدي أيضاً. ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر، ودقوا طبلخاناهم، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم.

هذا والسلطان وندماؤه في غفلة الوهم وغيبة سكرهم، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم، وعرفوهم ما دهوا به. فبعث السلطان طاجار إلى طقزدمر النائب يسأله عن الخبر، ويستدعيه، فوجد عنده جنكلي بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة. فامتنع طقزدمر من الدخول إلى السلطان، وقال: أنا مع الأمراء حتى أنظر عاقبة هذا الأمر، وقال لطاجار: أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم، قل للسلطان يجمع مماليكه ومماليك أبيه حوله فعاد طاجار وبلغ السلطان ذلك، فخرج السلطان إلى الإيوان وطلب المماليك، فصارت كل طائفة تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلة حتى

صاروا نحو الأربعمائة مملوك، وصاروا يداً واحدة من باب القلة إلى باب القلعة، فإذا هو قد أغلق فرجعوا إلى النائب طقزدمر بعد ما أخرقوا بوالي باب القلعة، وأنكروا عليه وعلى من عنده من الأمراء. فقال لهم طقزدمر: السلطان ابن أستاذكم جالس على الكرسي وأنتم تطلبون غيره، فقالوا. ما لنا أستاذ إلا قوصون .ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا، ومضوا إلى باب القرافة، وهدموا منه جانباً وخرجوا، فإذا خيول بعضهم واقفة. فركب بعضهم، وأردف عدة منهم، ومشى باقيهم إلى قبة النصر. ففرح بهم قوصون والأمراء، وأمر لهم بالخيول والأسلحة، واوقفهم مع أصحابه .وبعث الأمير مسعود بن خطير الحاجب إلى السلطان يطلب منه ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي وطاجار وغيره، ويعرفه أنه أستاذهم وابن استاذهم، وأنهم على طاعته، وأنهم إنما يريدون هؤلاء، لما صدر عنهم من الفساد ورمي الفتن وطلع الأمير مسعود إلى القلعه، فوجد السلطان في الإيوان، وهؤلاء الأمراء حوله في طائفة من المماليك، فقبل الأرض، وبلغه الرسالة. فقال السلطان: لا كيد ولا كرامة لهم، ولا أسير مماليكي ومماليك أبي لهم، وقد كذبوا فيما نقلوه عنهم، ومهما قدروا عليه يفعلوه. فما هو إلا أن خرج عنه أمير مسعود حتى اقتضى رأيه أن يركب بمن معه، وينزل من القلعة ويطلب النائب طقزدمو ومن عنده من الأمراء، ويدق كوساته. فتوجه إلى الشباك وأمر أيدغمش أمير آخور أن يشد الخيل للحرب، فأعلمه أنه لم يبق بالإصطبل غلام ولا سايس ولا سراخوري يشد فرساً واحداً فبعث إلى النائب طقزدمو يستدعيه، فامتنع عليه.

ثم بعث قوصون الأمير بلك الجمدار والأمير برسبغا إلى النائب طقزدمر يعلمانه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه وإلا زحف على القلعة وأخذهم غصبا. فبعث طقزدمر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم، فعلم السلطان أن النائب وأمير أخور قد خذلاه، فقام ودخل على أمه .فلم يجد الغرماء بداً من الإذغان، وخرجوا إلى النائب طقزدمر، وهم ملكتمر الحجازي وآلطنبغا المارديني ويلبغا اليحياوي وطاجار الدوادار والشهابي شاد العمائر وبكلمش المارديني وقطليجا الحموي، فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصور صحبة بلك وبرسبغا. فلما رأهم قوصون صاح في الحاجب أن يرجلهم عن خيولهم من بعيد، فأنزلوا مترلاً قبيحاً، وأخذوا حتى وقفوا بين يديه، فعنفهم ووبخهم، وأمر بهم فقيدوا، وعملت الزناجير في رقابهم والخشب في أيديهم.

ثم نزل قوصون والأمراء في خيم ضربت لهم عند قبة النصر، واستدعى طقزدمر النائب، والأمير جنكلي بن البابا، وأيدغمش أمير أخور، والوزير، والأمراء المقيمين بالقلعة. واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه وإخوته من القلعة، فتوحه برسبغا في جماعة إلى القلعة، وأخرج المنصور وأخوته، وهو سابع سبعة، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس وبقجة قماش. وأركبهم برسبغا إلى شاطئ النيل، وأنزلهم في الحراقة، وسافر بهم جركتمر بن بهادر إلى قوص، و لم يترك برسبغا في القلعة من أولاد السلطان إلا كجك. وسلم قوصون الأمراء المقيدين إلى والي القاهرة، فمضى بهم إلى خزانة شمايل بالقاهرة، وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوي، فإنه أفرج عنه. وكان يوماً عظيماً بالقلعة والقاهرة، من تألم الناس على أولاد السلطان والأمراء وكثرة البكاء والعويل.

وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة يوم الأحد عشريه إلى القلعة، واتفقوا على إقامة كجك. فكانت مدة سلطنة المنصور أبي بكر تسعة وخمسين يوماً ومن حين قلده الخليفة أربعين يوماً.

ومن الاتفاق العجيب أن الملك الناصر أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان وأولاده إلى قوص مرسماً عليهم،

فقوصص بمثل ذلك، وأخرج الله أولاده مرسماً عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه، وهو قوصون مملوكه وثقته ووصيه على أولاده، فليعتبر العاقل ويتجنب أفعال السوء.

السلطان علاء الدين كجك

السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون أقيم سلطاناً في يوم الإثنين حادي عشرى صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ولم يكمل له من العمر خمس سنين، وأمه أم ولد اسمها أردو، تترية الجنس .ولقب كجك بالملك الأشرف، وعرضت نيابة السلطنة على الأمير أيدغمش أمير أخور فامتنع وامتنع منها، فوقع الاتفاق على إقامة الأمير قوصون في النيابة، فأجاب وشرط على الأمراء أن يقيم على حاله بالأشرفية من القلعة، ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة. فأجابوه إلى ذلك، فاستقر من يومه نائب السلطان، وتصرف في أمور الدولة فقال في ذلك بعض الشعراء :

خلف وبينهم الشيطان قد نزغا   سلطاننا اليوم طفل والأكابر في

ان تبلغ السؤل والسلطان مابلغا   فكيف يطمع من مسته مظلمة

وفي يومه: أفرج عن الأمير ألطنبغا المارديني، وخلع على الأمير مسعود بن خطير واستمر حاجباً على عادته.
وفي ليلة الأربعاء: أخرج بالأمير طاجار، والأمير قطلوبغا الحموي، والأمير ملكتمر الحجازي، والشهابي شاد العمائر، من خزانة شمايل، جملوا إلى ثغر الإسكندرية، فستجنوا بها وتوجه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب، لتحليف النائب والأمراء والأجناد وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بسبب ذلك، والأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماه لتحليف من فيها، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند من المغارم.
وفي يوم الخميس رابع عشريه: ركب الأمير قوصون في دست النيابة، وترجل له الأمراء، فكان موكباً عظيماً.
وفيه أنفق الأمير قوصون في العسكر لكل مقدم ألف من الأمراء ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة خمسمائة دينار، ولكل أمير عشرة مائتي دينار، ولكل مقدم حلقة خمسين دينار، ولكل جندي خمسة عشر دينار.
وفي يوم السبت سادسه عشرية: سمر والي الدولة أبو الفرج بن الخطير صهر النشو. وسببه أنه لما أفرج عنه كثرت الإشاعة بأن الأمير ملكتمر الحجازي يستقر به في نظر الخاص، وأنه ينهض بما ينهض به النشو، وأنه صار يخلو بالسلطان المنصور أبي بكر ويحادثه في أمور الدولة، وأنه كثر نزول ملكتمر الحجازي وغيره من الأمراء إلى بيته ليلاً، وحضوره عنده إلى مجالس اللهو. واتهم الملك المنصور أبي بكر بأنه نزل إليه أيضاً. فنقل ذلك أعداؤه من الكتاب إلى الأمير قوصون، وأغروه به إلى أن كان من قيامه على السلطان ما كان، فقبض على والي الدولة وسجنه، فقام الكتاب في قتله حتى أجابهم قوصون إلى ذلك، فطلب ابن المحسني والي القاهرة. طوائف من العامة وألزمهم ان يشعلوا الشموع من بعد صلاة الصبح خارج باب زويلة، وأخرج وإلى الدولة من خزانة شمايل، وسمره على جمل تسميراً فاحش بمسامير خافية، وأمر فنودي عليه: هذا جزاء من يرمي الفتن ويتحدث فيما لا يعنيه ويفسد عقول الملوك. وشهر والي الدولة والشموع بين يديه بالقاهرة ومصر، فطافوا به الأزقة والشوارع وهو ساكت يتجلد، فإذا مر بالشهود في الحوانيت أو بجمع من القضاة صاح: يا جماعة اشهدوا لي أنني مسلم،

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا أموت عليها فكان يوماً مشهوداً. ولم يزل والي الدولة على ذلك أياماً حتى مات وقال فيه بعصهم.

قبيح فعل كما رأوه قد أخلف النسو صهر سوء

فأغلقوه وسمروه أراد للشر فتح باب

وكانت عدة الشموع التي أشعلت يوم تسميره ألفا وخمسمائة شمعة.

وفي يوم الخميس مستهل ربيع الأول: أنعم الأمير قوصون على أحد وعشرين رجلاً من المماليك السلطانية بإمريات، منهم ستة طبلخاناة والبقية عشرات.

وفي يوم الجمعة تاسعه ويوافقه أ ول أيام النسيء: وفي النيل ستة عشر ذراعاً، وفتح سد الخليج بكرة يوم السبت. فنقص الماء أربعة أصابع، ثم رد النقص وزاد أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً في يوم الخميس خامس عشره، فسر الناس بذلك سروراً زائداً.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره: توجه الأمير طوغان لإحضار أحمد ابن السلطان الناصر محمد من الكرك محتفظاً به، لينفى إلى أسوان وسبب ذلك ورود كتاب ملكتمر السرجواني نائب الكرك يتضمن أن أحمد قد خرج عن طوعه، وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وانهماكه في معاقرة الخمر، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله، وطلب الإعفاء من نيابة الكرك.

وفي يوم السبت سابع عشره: خلع على الأمير طقزدمر النائب، واستقر في نيابة حماة عوضاً عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيد الأيوبي، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف في دمشق.

وفيه أنعم الأمير أقبغا عبد الواحد بإمرة في دمشق، ورسم بسفره إليها.

وفي يوم الخميس ثاني عشريه: خلع على جميع الأمراء وأهل الدولة بدار العدل وقد أجلس السلطان على التخت، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم، وقبلوا يده. فكانت عدة الخلع يومئذ ألف خلعة ومائتي خلعة، وكان يوماً مشهوداً.

وفيه توجه جركتمر بن بهادر إلى أسوان، للاحتفاظ على المنصور أبي بكر وإخوته وكان قد حضر إلى القاهرة هو وغيره ممن توجه لتحليف نواب الشام بنسخ حلفهم.

وفي تاسع عشريه: ورد البريد من الكرك بكتاب أحمد ابن السلطان يتضمن أنه لا يحضر حتى يأتيه الأمراء الأكابر إلى الكرك ويحلفهم، ثم تحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك، ويحضر هو بعد ذلك وينتصب سلطاناً. فأجيب من الغد بأنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه، وجهزت له هدية سنية، وأنه يحضر إلى القاهرة حتى تعمل المصلحه وفيه أفرج عن الشريف مبارك بن عطيفة.

وفيه أنعم على عشرة من مماليك السلطان بإمريات، ونودي بالقاهرة بألا يرمى على أحد من التجار والباعة شيء من البضائع.

وفيه قبض على بدوي معه كتاب أمير يحيى بن ظهير بغا المغلي لأحمد ابن السلطان الناصر محمد يحذره من دخول مصر، وأنه متى دخل إليها قتل، فأنكر قوصون على أمير يحيى ذلك، فزعم أنه كتاب أخته زوجة أحمد.

وفيه ورد كتاب عبد المؤمن والي قوص يخبر بوصول المنصور أبي بكر وإخوته، وأنه ركب في خدمته. فلما عاد

عبد المؤمن من خدمته بعث إليه المنصور بخمسمائة دينار، فكتب الأمير قوصون جوابه بالاحتراس عليه.
وفيه أخذت أمور قوصون تضطرب. وذلك أنه ألزم المماليك السلطانية بالمشي في خدمته، كما كانوا في الأيام الناصرية يمشون في خدمة السلطان الناصر محمد، فلم يوافقوه على ذلك، وكان قوصون مع كثرة إحسانه قد ألقى الله بغضته في قلوب الناس جميعاً حتى صاروا يلهجون بها.
وفي يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر: قدم من الكرك الأمير شرف الدين ملكتمر السرجواني نائبها، والأمير طرغاي الطباخي، وأخبرا بامتناع أحمد من الحضور، وأنه أقام على الخلاف.
وفي يوم الجمعة خامس عشره: اجتمع الأمراء للمشورة في أمر أحمد ابن السلطان حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه.

وفي يوم السبت سادس عشره: ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين المماليك السلطانية. وذلك أنه أرسل يستدعي من الطواشي مقدم المماليك مملوكاً من طبقة الزمردية جميل الصورة، فمنعه خشداشيته أن يخرج من عندهم. فتلطف بهم الطواشي المقدم حتى أخذه، ومضى به إلى قوصون وبات عنده. وطلب قوصون من الغد نحو أربعة أو خمسة مماليك، ومنهم شيخو وصرغتمش وأيتمش عبد الغني فامتن خشداشيتهم من ذلك، وقام منهم نحو المائة مملوك، وقالوا: نحن مماليك السلطان ما نحن مماليك قوصون. وأخرجوا الطواشي المقدم على أقبح صورة. فمضى الطواشي المقدم إلى قوصون وعرفه ذلك، فأخرج إليهم الأمير برسبغا الحاجب وشاورشي دواداره في عدة من مماليكه ليأتوه بهم، فإذا بالمماليك السلطانية قد تعصبوا مع كبارهم، وخرجوا على حمية إلى باب القلة يريدون الأمير بيبرس الأحمدي، فإذا به راكب .فمضوا إلى بيت الأمير جنكلي بن البابا، فلقوه في طريقهم، فتقدموا إليه وقالوا له .نحن مماليك السلطان مشتري ماله، كيف نترك ابن أستاذنا ونخدم غيره، فينال غرضه منا، ويفضحنا بين الناس؟ وجهروا بالكلام الفاحش. فتلطف بهم جنكلي فلم يرجعوا عما هم عليه، فحنق منهم وقال لهم: أنتم الظالمون بالأمس لما خرجتم قلت لكم أنا ونائب السلطان طقزدمر ارجعوا إلى خدمة أستاذكم، قلتم ما لنا أستاذ غير قوصون، والآن تشكون منه فاعتذروا ومضوا، وقد حضر الأمير بيبرس الأحمدي فاجتمعوا به، وتوجهوا إلى منكلي بغا الفخري، فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون، فأرادوا أن يوقعوا به، فكفهم الفحري عنه، ومازال يتلطف بهم.
هذا وقوصون قد بلغه خبرهم، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء، فمازال به من عنده من الأمراء حتى سكن إلى بكرة النهار، فكانت ليلة مهولة بالقلعة. ثم طلب قوصون جنكلي والأحمدي والفخري وبقية الأمراء إليه، وأغراهم بالمماليك السلطانية. فبعثوا بأمير مسعود إليهم ليحضرهم، فإذا جمعهم قد كثف وكثر، فلم يلتفتوا إليه، فعاد. وخرج إليهم ألطنبغا المارداني وقطلوبغا الفخري وهما أكبر الناصرية - ومازالا بهم حتى أخذا من وقع عليه الطلب، ودخلا بهم إلى قوصون، فقبلوا يده، فقام لهم وقبل رءوسهم وطيب خاطرهم ووعدهم بكل خير، وانصرفوا وفي الظن أنه قد حصل الصلح، وذلك يوم السبت المذكور.
فلما كانت ليلة الإثنين: وقت الغروب تحالف المماليك السلطانية على قتل قوصون وبعثوا إلى من بالقاهرة منهم، فبات قوصون وقد بلغه ذلك على حذر. وركب قوصون يوم الإثنين ثامن عشره الموكب مع الأمراء تحت القلعة، وطلب أيدغمتش أمير أخور وأخذ يلوم الأمراء على إقامته في نيابة السلطنة، وهم يترضونه

ويعدونه بالقيام معه. فأدركه الأمير بيبرس الأحمدي، وأعلمه بان المماليك السلطانية قد اتفقوا على قتله، فمضى بالموكب مع الأمراء إلى جهة قبة النصر. فارتجت القلعة، وغلقت أبوابها، ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة، وكسروا الزردخاناه. وقد امتلأت الرميلة بالعامة، وصاحوا: يا ناصرية، فأجابهم المماليك من القلعة. ثم رجعوا إلى باب إصطبل قوصون وهجموا عليه، وكسروا من كان يرجمهم من أعلاه .فبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن معه من الأمراء، فأوقعوا بالعامة حتى وصلوا إلى سور القلعة، فرماهم المماليك السلطانية بالنشاب لحماية العامة. فقتل أمير محمود صهر الأمير جنكلي بن البابا بسهم، وقتل معه أخر. ووصل الأمراء إلى إصطبل قوصون، وقد بدأ النهب فيه، فقتلوا من العامة جماعة كبيرة، وقبضوا على جماعة. فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء، وكفوا عن الحرب، وفتحوا باب القلعة. فطلع إليها الأمير برسبغا الحاجب، وأنزل ثمانية من أعيان المماليك إلى قوصون، وقد وقف بجانب زاوية تقي الدين رجب تحت القلعة. فوسط قوصون واحداً منهم اسمه صربغا، فإنه هو الذي فتح خزائن السلاح وألبس المماليك، وأمر به قوصون فعلق على باب زويلة وشفع الأمراء في البقية، فسجنوا بخزانة شمايل مقيدين. ورسم بتسمير عدة من العامة، فسمر منهم تسعة على باب زويلة، وأمر بالركوب على العامة وقبضهم، ففروا حتى لم يقبض منهم على حرفوش واحد. ثم طلع الأمير قوصون إلى القلعة قريب العصر، ومد له وللأمراء سماط، فأكلوا. وبقيت الأطلاب وأجناد الحلقة تحت القلعة إلى أخر النهار، فكان يوما مشهوداً، وكانت جملة من قتل فيه من الفئتين ثمانية وخمسين رجلاً.

وفي ليلة الثلاثاء: طلع الأمير برسبغا في جماعة إلى طباق المماليك بالقلعة، وقبضوا على مائة مملوك منهم، وعملوا في الحديد، وسجنوا بخزانة شمايل، فمنهم من قتل، ومنهم من نفي من مصر.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره: سمر تسعة من العوام.

وفي يوم الأربعاء عشريه: سمر ثلاثة من الطواشية على باب زويلة، في عدة من الحرافيش. وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر، وقابلته المماليك أخذت الطواشية في الصياح على نسائه، وأفحشوا في سبهن. فمات أحدهم تحت العقوبة وأفرج عن الإثنين.

وفيه عرضت مماليك الطباق، وأنعم على مائتي مملوك منهم بإقطاعات كثيرة المتحصل، وعين جماعة منهم للإمريات. وأكثر قوصون من الإحسان إليهم، والإنعام عليهم.

وفيه قدم البريد من دمشق بكتب أحمد ابن السلطان إلى نائب الشام، وهي مختومة لم تفك، فإذا فيها أنه كاتب الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب وغيره من النواب، وأنهم قد اتفقوا معه، وأكثر أحمد من الشكوى من قوصون. فأوقف قوصون الأمراء عليهما، ومازال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك.

وفيه فرقت المماليك التي كانت الفتنة بسببهم على خشداشيتهم، فسلم صرغتمش إلى الأمير ألطنبغا المارداني، وسلم أيتمش لأيدغمش أمير آخور، وسلم شيخو إلى أرنبغا السلاح داره وفي يوم الجمعة ثاني عشريه: قدم البريد من الكرك بأن أحمد ابن السلطان لم يوافق طرغاي الطباخي على القدوم معه، وأن طرغاي توجه من الكرك عائداً بغير طائل. وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن أحمد عزم على السير إلى مصر، وطلب السلطنة. فكثر الاضطراب، ووقع الشروع في تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخري، واستحلفه قوصون، وبعث إليه عشرة ألاف دينار، وعين معه الأمير قماري أخو بكتمر الساقي، ومعهما أربعة وعشرون

أميراً، ما بين طبلخاناة وعشرات، وأنفق عليهم جميعاً ثم بعث قوصون إلى قطلوبغا الفخري بخمسة آلاف دينار عند سفره، وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى أناخ بالريدانية في يوم الثلاثاء خامس عشريه.

ولم يكن الأمراء راضين بسفرهم، بل أشار الأمير آل ملك والأمير جنكلي بن البابا على قوصون بألا يحرك ساكناً فلم يقبل، فأشارا عليه بأن يكتب إلى أحمد يعتبه على مكاتبته نائب الشام، فكتب إليه بذلك، فأجاب بأن طرغاي الطباخي أسمعه كلاماً فاحشاً وأغلظ عليه في القول، فحمله على مكاتبة نائب الشام، وأن الأمير قوصون والده بعد والده، ونحو هذا من القول.

وفيه قدم الأمير أزدمر الكاشف، ومعه ابن حرجا خولي الأغنام السلطانية تحت الاحتفاظ، فأخذ منه ألف ألف درهم من غير أن يضرب، لكثرة أمواله وسعادته.

وفيه قدم الخبر من شطي بن عبية أمير العرب بأن أحمد ابن السلطان الناصر قد اختلفت عليه مماليكه، وقتلوا الشاب الذي كان يهواه ويعرف بشهيب، من أجل أنه كان يهينهم.

وفيه أفرج عن مماليك دمرداش الذين بعثهم السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد ورسم بتفرقتهم على الأمراء.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول: ركب الأمير نائب قوصون نائب السلطنة إلى سرياقوس وصحبته الأمراء على جاري العادة.

وفيه خلع على ضياء الدين يوسف. بن خطب بيت الآبار، وأعيد إلى حسبة القاهرة.

وفي هذا الشهر: ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب عليه، وسببه أنه شق عليه إخراج أولاً السلطان الملك الناصر إلى الصعيد، ويجهز العسكر لقتال أحمد ابن السلطان. وكان قد بعث إليه أحمد يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه، ويطلب منه النصرة عليه. فكتب طشتمر حمص أخضر إلى الأمراء وإلى قوصون بالعتب، فقبض على قاصده بقطيا، وسجن. وكتب قوصون إلى الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم في الفتنة، وأنه لا يصغي إلى قوله، وحمل إليه أنعاماً كثيراً، فأجاب بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

وفيه أيضاً تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير أخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض مماليك أمير علي بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس في عدة من مماليك قوصون على أيدغمش. فأخذ أيدغمش في الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياماً بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا سير قوصون في سوق الخيل يغلق أيدغمش باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ قوصون تغير أيدغمش عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سبباً، فمازالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعه، وعرف قوصون بحضرتهم ما بلغه، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خبر، وتصالحا. فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بحبسه، فاتهم قوصون بقتله.

وفيه قدم الخبر من جركتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبي بكر، وشكى من ترفعه وتعاظمه عليه، فكتب بطلب عبد المؤمن والي قوص على البريد، فلما قدم خلع عليه قوصون، وأكثر من الإنعام عليه، وقرر

معه ما يعمله، وأعاده على البريد وكتب إلى جركتمر بن بهاد بمساعدته على ما هو بصدده.
وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح إلا شباكاً يطل على الدركاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد. وزاد قوصون في راتب سماطه كثيراً من الحلوى والدجاج ونحو ذلك، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية، بحيث لم يمنع أحداً من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بباب القلعة موضع النيابة، في موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس.
وفيه قدم الخبر من عبد المؤمن والي قوص بأن المنصور أبا بكر وجد في نفسه تغيراً، وفي جسمه توعكاً، لزم الفراش منه أياماً، ومات. ثم قدم جركتمر بن بهادر وأخبر بذلك، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله.
وفيه قدم الخبر من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم، وأن التبن بلغ أربعين درهماً الحمل. ثم قدم الخبر بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخري على الكرك، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاء، فأقام العسكر نحو العشرين يوماً في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلط أهل الكرك عليهم بالسب واللعن، وكثرت غاراتهم في الليل عليهم، وتقطيع قربهم وروايهم.
هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخري بالأموال، ويحرضه على لزوم الحصار.
وفيه قدم البريد من عند ألطبغا الصالحي نائب دمشق بأن تمر الموساوي قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب.
فكتب قوصون بالقبض عليه، وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى ألطبغا الصالحي نائب دمشق أن يطالع بالأخبار، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف، وعابه، وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان، فأجابه بأعذار غير مقبولة.
ثم قدم الخبر من شطي بن عبية أمير العرب بأن قطلوبغا الفخري قد خامر بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطاناً ولقبوه بالملك الناصر، وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل في طاعة أحمد، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخري ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بان الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد.

وكان الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام قد أحس بشيء من هذا، فاحترس على الطرقات حتى ظفر بقاصد طشتمر حمص أخضر نائب حلب على طريق بعلبك، ومعه كتب من هؤلاء الأمراء إلى أحمد، فبعث ألطنبغا بهذه الكتب إلى قوصون فقدمت ثاني يوم ورود كتاب شطي بمخامرة قطلوبغا الفخري، فإذا فيها لملكي الناصري فاضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم بما وقع وأوقفهم على الكتب، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخري في هذه السفرة أربعين ألف دينار، سوى الخيل والقماش والتحف.
وفيه رسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين إلى الكرك، فمازال به الأمراء حتى كف عن ذلك.

وألزم مباشريهم بحمل حواصلهم وصار في أمر مريج. ثم كتب قوصون إلى ألطنبغا الصالحي نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص، ونائب صفد، ونائب طرابلس، وكتب إليهم بالسمع والطاعة له، وحمل قوصون النفقات إلى العساكر الشامية. فخرج الأمير ألطنبغا الصالحي نائب الشام من دمشق بالعسكر في جمادى الآخرة، فتلقاه الأمير أرقطاي نائب طرابلس على حمص، وصار من جملته، وأخبره بكتاب طشتمر حمص أخضر نائب حلب يدعوه لموافقته، وأنه أبى عليه. ثم كتب الأمير ألطنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة ليحضر معه، فاعتذر بأنه من وجع رجله ما يقدر على الركوب، وكان قد وافق نائب حلب فبعث إليه نائب الشام بقبول عذه، وحلفه على طاعة السلطان الأشرف كجك، وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخري، ولا يخرج من حماة حتى يعود ألطنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك.

وعندما بلغ طشتمر حمص أخضر نائب حلب مسير ألطنبغا نائب الشام إليه بالعساكر، استدعى ابن دلغادر، فقدم عليه حلب، واتفق معه على الخروج إلى الأبلستين، وسار به ومعه ما خف من أمواله، وأخذ أولاده ومماليكه. فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب ألطنبغا نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج عن حلب، وقاتلوه عدة وجوه، فلم ينالوا منه غرضاً، وقتل من الفريقين خمسة نفر، وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر حمص أخضر إلى الأبلستين كتب إلى أرتنا يستأذنه في العبور إلى الروم، فبعث إليه أرتنا بقاضيه وعدة من ألزامه، وجهز له الإقامات. فمضى طشتمر حمص أخضر إلى قيصرية، وتوجه أرتنا لمحاربة دمرداش بعد أن رتب للأمير طشتمر في كل يوم ألفي درهم.

وأما الطنبغا الصالحي نائب الشام، فإنه قدم إلى حلب، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر حمص أخضر، وأنه استولى على حلب .فقدم كتابه في يوم الأربعاء ثاني رجب، صحبة أطلمش الكريمي، فأخرجه قوصون في رابعه إلى الشام لكشف الأخبار.

وفي خامسه: خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخاناة والعشرات، ولبس معهم الأمير قوصون تشريف النيابة، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية، فان يوماًمشهوداً.

وفي يوم الإثنين ثامنه: فرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة قطلوبغا الفخري، وعدهم اثنان وثلاثون أميراً، منهم أمراء طبلخاناة ستة عشر، وأمراء عشرات سته عشر، وأميران مقدمان. وأعطى قوصون إمرياهم لأربعة وثلاثين أميراً، عوضاً عن أولئك.

وفي يوم الأربعاء عاشره: نزل الوزير نجم الدين وناظر الخاص جمال الكفاة إلى بيوت الأمراء المجردين، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وخيولهم، ففرقها قوصون على الأمراء المستجدين. وأخرج قوصون أيضاً إقطاعات أولاد الأمراء المجردين، ومماليكهم ومن يلوذ بهم من أجناد الحلقة، لجماعة سواهم.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشريه: قدم الأمير الشيخ علي بن دلنجي القازاني أحد الأمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخري من الكرك إلى دمشق، ومواقعته مع ألطنبغا نائب الشام، وأنه فر منه في ليلة الوقعة، فخلع عليه قوصون خلعة كاملة بكلفتاه زركش وحياصة ذهب.

وكان من خبر ذلك أن ألطنبغا الصالحي نائب الشام لما دخل حلب استولى على حواصل طشتمر حمص أخضر

وأسلحته وخيوله وجماله، وباع ذلك على أهل حلب. وبينا هو في ذلك إذ بلغه دخول قطلوبغا الفخري إلى دمشق بمن معه من العسكر، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه أقسنقر السلاي نائب غزة، وأصلم نائب صفد، ومن تأخر بدمشق من الأمراء، وهم شيخو البشمقدار وتمر الساقي، وأن آقسنقر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر، واستولى على القصر المعيني بلد قوصون بالغور، وأخذ ما فيها من القند والسكر وغير ذلك، وقبض على نوابه وأمواله وغلاله وأن قطلوبغا الفخري أخذ في تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والأجناد، وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه في غد دخوله، فركب وتلقاه وقوي به. واستخدم قطلوبغا الفخري جنداً كبيراً، ونادى بدمشق: من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالاً كثيراً من التجار وأرباب الأموال، وأكره قاضي القضاة تقي الدين ابن السبكي حتى أخذ مال الأيتام، وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين، فلم يبق أحد بدمشق إلا وغرم المال على قدر حاله. فجمع قطلوبغا الفخري مالاً عظيماً، وأتته جماعات من الجند والتركمان أوراقاً من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والبطالين لإقطاعات بالحلقة، فتجهزوا جميعهم بالخيل والأسلحة. وحلف قطلوبغا الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد، وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفتية ورقاب الخيل والكنابيش والسروج والغاشية والقبة والطير، وسائر ما يحتاج إليه من أبهة السلطنة وجهز الكوسات والبغال. وكتب قطلوبغا إلى الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابه بالشكر والثناء، وبعث إليه موسى بن التاج إسحاق بمال، وسأل أن يكون ناظر الخاص على ما كان عليه أبوه في أيام أبيه السلطان الملك الناصر محمد. فأحابه قطلوبغا إلى ذلك، وأقام بدمشق يدبر أمره، وطلب ابن صبح نائب صفد، وبعثه لجمع العشير والجبلية من بلاد صفد وطرابلس وغيرها، فأتاه منهم جمع كثير. وكتب قطلوبغا إلى سليمان بن مهنا أن يعرف بسير ألطنبغا الصالحي من حلب، فكتب الأمير ألطنبغا يعرف الأمير قوصون بذلك فازداد اضطرابه، وجمع الأمراء. فاتفق الرأي على تجريد أمراء إلى غزة، فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين علي بن طغريل في جماعة وأجيب الأمير ألطنبغا نائب الشام على يد أطلمش الكريمي بأن يسير من حلب إلى قتال قطلوبغا الفخري بدمشق، فتوجه أطلمش على البريد من البرية لانقطاع الدرب، ووصل إلى حلب، وعرف ألطنبغا الخبر، فسار ألطنبغا منها حتى قدم حمص، وقد خرج قطلوبغا الفخري من دمشق إلى خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجبلية والعشير على الجبلين، ووقف هو بالعسكر في وسط الطريق.

وأما ألطنبغا الصالحي فإنه حلف من معه، وسار من حمص حتى قرب من قطلوبغا، وعدة الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس. فتمهل ألطنبغا كراهة لسفك الدماء، وراسل قطلوبغا مدة ثلاثة أيام، فلم يتم بينهما أمر، وبعث قطلوبغا إلى جماعة من أصحاب ألطنبغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه.

فلما تعبت الرسل وملت العساكر من شدة البرد، بعث ألطنبغا في الليل عدة ممن معه على طريق المرج ليهجموا على قطلوبغا من ورائه، ويلقاهم هو من أمامه. وركب ألطنبغا من الغد، فمال كل أمير ممن معه إلى جهة قطلوبغا، وصاروا من جملته. فلم يبق مع ألطنبغا سوى أرقطاي نائب طرابلس، وأسنبغا بن بكتمر البوبكري وأيدمر المرقبي من أمراء دمشق، فانتهزوا على طرلق صفد إلى جهة غزة، والقوم في أثرهم، بعد أن كانت بينهم وقبة هائلة انهزم فيها ألطنبغا نائب الشام، وهرب فيها من معهم، وخلصوا هم بأنفسهم. وعاد قطلوبغا الفخري إلى دمشق منصوراً. وكتب مع البريد إلى الأمير طشتمر حمص أخضر يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور، وأنه

في انتظاره بدمشق، وحلف قطلوبغا الفخري من معه للملك الناصر أحمد .وأمر الخطاء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه وكتب يعرفه بذلك. وبعث قطلوبغا إليه تقدمة جليلة، واستحثه على المسير إلى دمشق ليسير في خدمته إلى مصر، وبعث بخطوط الأمراء إليه.

وأما ألطنبغا الصالحي نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة ومعه أرقطاي وطرنطاي البشمقدار فيمن معهم، فتلقاهم الأمير برسبغا ومن معه. وكتب ألطنبغا إلى قوصون بذلك، فقامت، وقبض على أخوة أحمد شاد الشرابخاناة، وعلي قرطاي أستادار قطلوبغا الفخري.

ثم قدم على قوصون كتاب قطلوبغا الفخري يعنفه على إخراج أولاد السلطان الناصر محمد وقتل المنصور أبي بكر، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد، ويشير عليه بأن يختار بلداً يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد في تقليده إياها. فقام قوصون وقعد، وجمع الأمراء، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة. فجهز قوصون لكل من ألطنبغا الصالحي نائب الشام وأرقطاي نائب طرابلس ثلاثين بدلة وثلاثين قباء مسنجبة بطرازات زركش، ومائتي خف ومائتي كلفتاه، وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما، وجهز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بدلات وأقبية بسنجاب، وكسوة لمماليكهم وأتباعهم .وأخذ قوصون في الإنعام على المماليك السلطانية، وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام. وأخرج أربعمائة قرقل وزرديات وخوذ وغيرها، وأنعم على جماعة من المماليك بإمريات، وغير إقطاعات جماعة منهم بإقطاعات المجردين، وكتب إلى الأمراء بمسيرهم من غزة، وهيأ لهم الإقامات والخيول، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم.

فبينا قوصون في ذلك إذ ركب الأمراء عليه، في ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب وقت عشاء الآخرة. وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه، لأمور بدت منه، منها قتل الأمير بشتاك، ثم قتل الملك المنصور أبي بكر، ثم وقوع الوحشة بينه وبين أيدغمش، فأخذ أيدغمش في التدبير عليه. ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخري على ألطنبغا الصالحي نائب الشام ما كان، فكتب قطلربغا إلى أيدغمش سراً بأنه سلطن أحمد، وحرضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

وكان قوصون قد احتفل لقدوم ألطنبغا الصالحي نائب الشام ومن معه، وفتح ذخيرة السلطنة، وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصكية وما فرقه فيهم وفي العسكر ستمائة ألف دينار. فشاع بأنه يريد أن يتسلطن، فخاف أيدغمش وغيره من تحكمه في السلطنة، وحرض الخاصكية حتى وافقه الأمير ألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوي، في عدة من المماليك السلطانية، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلي بن البابا، أنهم يسيرون جميعاً إلى الكرك عند قدوم ألطنبغا الصالحي نائب الشام وخروجهم إلى لقائه.

فلما كان يوم الإثنين: ركب قوصون في المركب تحت القلعة على العادة، وطلب الأمير يلجك ابن أخته، وأخرج إلى لقاء نائب الشام - وقد ورد الخبر بنزوله على بلبيس - ليأتي به سريعاً. فوافى يلجك الأمير ألطنبغا الصالحي ومن معه على بلبيس، فلم يوافقه على السرعة، وقصد أن يكون حضوره في يوم الخميس أول شعبان. وبات ألطنبغا ليلة الثلاثاء على بلبيس وركب من الغد ونزل سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه

محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وصنجقه في نحو مائة مملوك قد وافوه، وأعلموه أن في نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون، وحصروه في القلعة، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم.

وكان من خبر ذلك أن قوصون لما بعث يلجك ليأتيه بنائب الشام سريعاً، تواعد أيدغمش ومن وافقه على أن يركبوا في الليل إلى الكوك. فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السر، ونزلوا إلى أيدغمش بالإصطبل. ومضى كل واحد إلى إصطبله فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلابهم في سوق الخيل تحت القلعة، وهم ألطنبغا الماردايي ويلبغا اليحياوي وبمادر الدمرداشي والحاج آل ملك والجاولي وقماري الحسني أمير شكار وأرنبغا وآقسنقر السلاري. وبعثوا إلى إصطبلات الأمراء مثل جنكلي بن البابا وبيبرس الأحمدي وطرغاي الطاخي وقياتمر وغيرهم، فأخرجوا أطلاب الجميع إليهم. وخرج لهم أيدغمش بماليكه ومن عنده من الأوجاقية، فوقفوا جميعاً ينتظرون نزول قوصون إليهم، حتى يمضوا إلى الكرك. فأحسن قوصون بهم، وقد انتبه، فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة، فأتاه منهم اثني عشر أميراً منهم جنكلي ابن البابا والأحمدي وطرغيه وقباتمر والوزير. ولبست مماليكه التي كانت عنده بالقلعة، وسألته أن يترل ويدرك إصطبله، ويجتمع بمن فيه من مماليكه وكان يعتز بهم، فإنهم كانوا سبعمائة مملوك، وطالما كان يقول: إيش أبالي بالأمراء وغيرهم عندي سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض، فلم يوافقهم قوصون لما أراد الله به، وأقام إلى أن طلع النهار. فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطلخاناة السلطانية وأخرج لهم الكوسات. ودق أيدغمش حربياً، ونادى: معاشر أجناد الحلقة ومماليك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا فأتاه جماعة كثرة من أجناد الحلقة والمماليك، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر. فنادى أيدغمش: "ياكسابة عليكم بإصطبل قوصون، انهبوه فأحاطوا به ومماليك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلفوا منهم عدة كثرة. فركب مماليك يلبغا اليحياوي أعلا بيت يلبغا حيث مدرسة السلطان حسن الآن، ورموا مماليك قوصون بالنشاب مساعدة للعوام، وجرحوا منهم جماعة، وحالوا بينهم وبين العامة. فهجم العامة عند ذلك على إصطبل قوصون، ونهبوا ركب خاناته وحواصله، وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكايدة شديدة، وطلعوا إليه. فخرجت مماليك قوصون على حمية، وشقوا القاهرة، وصاروا إلى ألطنبغا الصالحي نائب الشام. فبعث أيدغمش في أثرهم إلى ألطنبغا نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم، وأن يمنعوا مماليك قوصون من الاختلاط بهم، فإن الأمير يلبغا اليحياوي والأمير آقسنقر قادمان في جميع كبير لأخذ مماليك قوصون وحاشيه. فأمر ألطنبغا نائب الشام مماليك قوصون ويلجك وبرسبغا أن يكونوا على حدة. ولبس الجميع، وأخذ برسبغا وجماعته نحو الجبل، فلقيهم يلبغا اليحياوي ومن معه، وكان ذلك بعدما أمسك قوصون، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح، وهم في جمع كبير.

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما في إصطبل قوصون من الخيل والسروج وألات الخيل والذهب وغير ذلك، وقوصون ينظر ويضرب يداً على يد، ويقول يا أمراء هذا تصرف جند؟ ينهب هذا المال جميعه؟ وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون. فبعث قوصون إلى أيدغمش بأن هذا المال عظيم، وهو ينفع

المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادي بنهبه؟ فرد جوابه: نحن قصدنا أنت، ولو راح هذا المال وأضعافه. هذا والقلعة مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون يرمون الأشرفية بالنشاب إلى قرب العصر، والعامة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة. فألقى حينئذ قوصون بيديه، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد خذلوا، فدخل عليه بلك الجمدار وملكتمر السرجواني يأمرانه أن يقيم في موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك، فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بداً من الإذعان، وأخذ يوصي الأمير جنكلي على أولاده. وأخذ قوصون وقيد، ومضوا به إلى البرج الذي كان به بشتاك، ورسم عليه جماعة من الأمراء .وكان الذي تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار وجنكلي بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب.

وأما ألطنبغا الصالحي نائب الشام ومن معه، فإن برسبغا ويلجك والقوصونية لما فارقوه سار هو وأرقطاي نائب طرابلس والأمراء يريدون القلعة. فأشار الأمير ألطنبغا نائب الشام على الأمير أرقطاي نائب طرابلس أن يرد برسبغا ويلجك والقوصونيه وبقالل أيدغمش، فإنه ينضم إليهم جميع حواشي قوصون ويأخذون أيدغمش، ويخرجون قوصون ويقيمونه كبيراً لهم ويخرجونه إلى حيث يختار، ويقيمون سلطاناً أو ينتظرون قدوم أحمد، فلم يرافقه أرقطاي لعفته عن سفك الدماء. فلما وافيا تحت القلعة وأيدغمش واقف في أصحابه، أقبل إليها أيدغمش وعانقهما، وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة، فطلعا. وأمر أيدغمش فقبض على ابن المحسني والي القاهرة، وأحضره والأمراء واقفون تحت القلعة، فأنزله عن فرسه وسجنه بالقلعة، بعدما كادت العامة أن تقتله لكونه من جهة قوصون، ثم أرسل أيدغمش الأمير آقسنقر والأمير قازان في عدة مماليك وراء برسبغا ويلجك ومن معهما. وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء، وقرر معهم تسفير قوصون في الليل إلى الإسكندرية، والقبض على ألطنبغا الصالحي نائب الشام وأرقطاي نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، وتسفير الأمير بيبرس الأحمدي والأمير جنكلي بن البابا لإحضار السلطان من الكرك.

وفي يوم الأربعاء، سلخه: خرج الحصني بواب المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بإعلام خليفتية ومصحف على رأسه، وهو ينادي بصوت عال: يا مسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل. فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضي القضاة حسام الدين الغوري الحنفي بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه ودخلوا عليه. ففر منهم حسام الدين إلى السطح وهو في أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه ونتفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار حسام الدين بقاضي القضاة موفق الدين الحنبلي، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامة منه وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي. معكم مرسوم بنهبي قالوا: لا لكن سلمنا الغوري فقيل لهم: هذا غريم السلطان قد صار عندي، وأنتم قد أخذتم ماله، ومازال بهم حتى انفضوا عنه وشنع الحال في النهب، وكان ذلك من سوء تدبير أيدغمش، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل قوصون لغرضه، فوجدوا فيه ما لا يكاد يوصف. وبلغ ذلك مماليك الأمراء والأجناد فأتوهم ووقفوا لانتظار من يخرج بشيء حتى يأخذوه، فإن امتنع من دفعه إليهم قتلوه. فوحد لقوصون أربع سراري نهب جميع مالهن، وحملت أكياس الذهب والفضة ونثرت بالدهليز والطرق. فأخذ مماليك أيدغمش وغيره شيئاً كثيراً من المال ونزلت مماليك يلبغا اليحياوي من سور إصطبله وقووا على الناس، واقتسموا الذهب وأخرجت النهابة من البسط

الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئاً كثير، قطعوها قطعاً وتقاسموها، وكسروا أواني البلور والصيني وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللحم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب بحاصله.

وكان بحاصل قوصون لما نهب ما ينيف على أربعمائة ألف دينار ذهباً في أكياس، ومن الحوايص والزركش والأواني ما بين أطباق وخونجات زيادة على مائة ألف، ومن حلي النساء ما لا ينحصر، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر بما ينيف على مائة ألف دينار، ومائة وثلاثين زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعاً وثلاثون ذراعاً، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز وستة عشر زوجاً من عمل الشريف بمصر، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها، ونوبة خام جميعها أطلس معدني قص. فانحط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهماً الدينار، من كثرة ما صار في الأيدي، بعدما كان الدينار بعشرين درهماً، ولأن أيدغمش نادى في القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهباً لتاجر أو صيرفي أو متعيش يقبض عليه ويحضر به إليه، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف. وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئاً كثيراً من ذلك. ثم إن العامة بعد نهب إصطبل قوصون وقصره، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه، وتركوه خراباً مضوا إلى خانكاته بباب القرافة، فمنعهم أهلها من النهب، فمازالوا حتى فتحوها ونهبوها، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئاً، وقطعوا بسطها، وكسروا رخامها، وخربوا بركتها، وأخذو الشبابيك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر. ثم مضوا إلى بيوت مماليك قوصون، وهم حشد عظيم، فنهبوها وأحرقوها وما حولها حتى بيعت الغلة بستة دراهم كل أردب من القمح وتتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزريبة وبركة قرموط وغير ذلك، وباعوا الأمتعة والأواني والثياب بأبخس ثمن، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصوني فللحال يذهب جيع ماله. وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد، وشمل الخوف كل أحد، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب، فأمر بسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهره والعامة مجتمعة على باب الصالحية في نهب بيت قاضي القضاة حسام الدين الغوري، فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم بالمقارع. وأشهروهم، فانكفوا عن النهب.

وفي ليلة الخميس: أخرج الأمير قوصون من سجنه بالقلعة، في مائة فارس حتى ركب النيل، ومضى إلى الإسكندرية.

وكان قوصون في أول أمره على حاله، وفي أوسطه وأخره من أعاجيب الزمان ومما قيل فيه :

قوصون قد كانت له رتبة	تسمو على بدر السما الزاهر
فحطه في القيد أيدغمش	من شاهق عال على الطائر
ولم يجد من ذلة صاحباً	فأين عين الملك الناصر
صار عجيباً أمره كله	في أول الأمر وفي الآخر

وفي يوم الخميس أول شعبان: خلع السلطان الملك الأشرف كجك من السلطة، وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهي، وتدبير أمور الدولة كلها إلى قوصون .وكان إذا حضرت العلامة أعطى قلماً في يده، وجاء فقيهه الذي يقرئ أولاد السلطان، فكيف العلامة والقلم في يد السلطان.

السلطان شهاب الدين أحمد

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحي أمه اسمها بياض، كانت تجيد الغناء، وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة. وكانت شهرتها قوية، ولها بالناس اجتماعات في مجالس أنسهم. فلما بلغ السلطان الناصر محمد خبرها اختص بها، وحطت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه. ثم تزوجها الأمير ملكتمر السرجواني، وقد مضى من أخباره جملة. فلما استولى الأمير أيدغمش على الدولة بعد قوصون، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف كجك في يوم الخميسي أول شعبان، بعث الأمير جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمدي والأمير قماري أمير شكار إلى السلطان أحمد بالكرك بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع، ويستدعونه إلى تحت ملكه، وضربوا اسمه على أملاك قوصون جميعها، وأعلن بالدعاء له في خانكاه سعيد السعداء.

وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا المارداني ويلبغا اليحياوي وبهادر الدمرداش واستدعوا بقية الأمراء.

وفيه قبض على ألطنبغا الصالحي نائب الشام وعلى أرقطاي نائب طرابلس ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما. وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناة وقياتمر أحد مقدمي الألوف وجركتمر بن بهادر وغيره، حتى كانت عدة من قبض عليه في هذا اليوم خمسة وعشرين أميراً.

وفيه قبض على مزين مغربي كان حاقق جركتمر بن بهادر بأنه هو الذي قتل الملك المنصور، وكتب بذلك أيضاً إلى الأمير قطلوبغا الفخري.

وفيه طلب أيدغمش جال الدين يوسف والي الجيزة، وخلع عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامة في نهب بيت بعض مماليك قوصون، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: وليت على الناس قوصوني ما يخلي منا أحد، وعرفوه ما وقع. فبعث أيدغمش الأوجاقية إليه في طلبه، فوجدوه بالصليبة يريد القلعة، فصاحت عليه الغوغاء، قوصوني يا غيرية على الملك الناصر ورجموه من كل جهة. فقامت الجبلية والأوجاقية في ردهم، فلم يطيقوا ذلك، وجرت بينهم الدماء. فهرب الوالي إلى إصطبل ألطنبغا المارداني، وحمته مماليك ألطنبغا من العامة. فطلب أيدغمش الغوغاء، وخيرهم فيمن يلي، فقالوا نجم الدين الذي كان قبل ابن المحسني، فطلبه وخلع عليه، فصاحوا: بحياة الملك الناصر عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه، ومكنا منهما. فأذن لهم في نهبهما، فشرع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاي بالقاهرة، فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه.

وفي يوم الجمعة ثانيه: دعي على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد.

وفي يوم الإثنين خامسه: تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا بأيدغمش: زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر، ونجيء صحبته، فكتب لهم مرسوماً بالإقامة والراتب في كل منزلة، وتوجهوا

مسافرين من الغد.

وفي يوم الأربعاء سابعه: وصل الأمراء الذين كان سجنهم قوصون من سجن الإسكندرية، وهم ملكتمر الحجازي وقطليجا الحموي، وأربعة وخمسون نفراً من المماليك السلطانية. ومن الغريب أن الحراقة التي سارت بهؤلاء الأمراء إلى الإسكندرية، لما قبض عليهم قوصون، هي الحراقة التي سار فيها قوصون إلى الإسكندرية حتى سجن بها. وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيداً خرج والي الثغر ليتسلمه وقد ركب بالأمراء عندما أفرج عنهم ليتوجهوا إلى القاهرة، فسلموا على قوصون، فبكى واعتذر لهم مما صدر منه في حقهم. وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم، بحيث غلقت الأسواق يومئذ حتى طلعوا إلى القلعة. فتلقت خوند الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازي بجواريها وخدامها، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحاً به، وجارتها أختها امرأة قوصون في عويل وبكاء وصياح هي وجواريها وخدامها، كما كان بالأمس لما انتصر قوصون على الحجازي والأمراء، في بيته الأفراح والتهاني، وفي بيت الحجازي البكاء والعويل، وكان في ذلك عبرة للمعتبر.

وفيه قدم كتاب الأمراء المتوجين إلى الكرك، وهم جنكلي بن البابا وبيبرس الأحمدي وقماري، بأنهم لما وصلوا إلى الكرك نزلوا بظاهرها، وبعث كل منه بمملوكه يعرف السلطان أحمد بقدومه. فبعث إليهم السلطان رجلاً من نصارى الكرك فقال: يا أمراء، السلطان يقول لكم إن كان معكم كتب فهاتوا، أو مشافهة قولوها: وفي الحال عادت مماليكهم، ولم يمكنوا من الاجتماع بالسلطان، وقيل لهم إن السلطان قد سير كتابه إلى الأمراء. فدفعت الكتب إلى النصراني فمضى بها، ثم عاد من أخر النهار بكتاب مختوم، وقال عن السلطان إنه قال: سلم على الأمراء، وعرفهم أن يقيموا بغزة إلى أن يرد لهم ما يعتمدوه كذا.

وحضر مملوك من قبل السلطان يأمر الأمير قماري بالإقامة على ناحية الصافية، وبعث إليه بخاتم.

وجاء في كتاب الأمراء المتوجهين إلى الكرك أنهم وجدوا الكتاب يتضمن إقامتهم على غزة، والاعتذار عن لقائهم، فعاد الأميران جنكلي بن البابا وبيبرس الأحمدي إلى غزة. فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من وقته إلى الأمير قطلوبغا الفخري يسأله أن يستحث السلطان في قدومه إلى تخت ملكه، وكتب إلى الأمراء بانتظار السلطان، وعرفه بمكاتبته للفخري. وأخذ أيدغمش في تجهيز أمور السلطنة، وأشاع قدوم السلطان خوفاً من إشاعة ما عامل به الأمراء، فيفسد عليه ما دبره.

فلما قدم البريد إلى دمشق بكتاب أيدغمش وافى قدوم كتاب السلطان أيضاً من الكرك يتضمن القبض على الأمير طرنطاي البشمقدار والأمير طينال، وحمل مالهم إلى الكرك.

وكان الأمير قطلوبغا الفخري قد ولى طينال نيابة طرابلس، وطرنطاي نيابة حمص فاعتذر في جوابه طينال في شغل بحركة الفرنج، وأشار بألا يحرك ساكن في هذا الوقت، وسأل سرعة حضور السلطان ليسير بالعسكر في ركابه إلى مصر، وأكثر الأمير فطلوبغا الفخري من مصادرة الناس بدمشق.

وفي يوم السبت حادي عشرة: كان حضور يلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب صحبة آقسنقر الناصري من الصعيد.

وفي خامس عشره: استقر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق في نظر الخاص.

وفيه أخرج الأمير قطلوبغا الفخري الإقطاعات بأسماء الأجناد، وعزل وولي، وكان دواداره يعلم عنه.
وفي هذه الأيام: قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب من بلاد أرتنا إلى دمشق، فتلقاه الأمير قطلوبغا الفخري وأنزله في مكان يليق به، وبعث قطلوبغا من يومه بالأمير آقسنقر السلاري نائب غزة ليتلقى الأمراء.
وفيه قدم كتاب السلطان من الكرك إلى قطلوبغا الفخري يتضمن قدوم الأمراء من مصر، وأنه لم يجتمع بهم، وأنه في انتظار قدوم الأمير طشتمر حمص أخضر من بلاد أرتنا إلى حلب، وأنه لا يخرج من الكرك قبل ذلك.
فكتب قطلوبغا الفخري الجواب بقدوم طشتمر، وأشار على السلطان بسرعة الحركة إلى دمشق. وأخذ الفخري في تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان، وفي ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق، فيركب في خدمته بالعساكر إلى مصر، فلم يشعر إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة. فشق ذلك عليه، وسار من دمشق بعساكرها، وبمن استجده من أهل الطاعة حتى قدم غزة في عدد كبير، فلتقاه جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمدي والأمير قماري.
وكان قدوم قاصد السلطان من الكرك لكشف من في السجون من الأمراء، فمضى إلى الإسكندرية بسبب ذلك، وورد كتابه على الأمير أيدغمش بالشكر على ما فعله، وجعل له أن يحكم حتى يحضر السلطان.
وفيه قبض على خمسة وثمانين من مماليك قوصون، فقيدوا وسجنوا بخزانة شمايل.
وفي يوم الثلاثاء عشريه: قبض على ولد الأمير جركتمر بن بهادر وعمره نحو اثنتي عشرة سنة، إرضاء لأم المنصور أبي بكر.
وفي الخميس سلخه: وصل عبد المؤمن والي قوص مقيداً، صحبة شجاع الدين قنغلي المتوجه إلى قوص، وكان قد توجه لإحضاره، وكتب إلى الوافدية أجناد قوص، والي العربان بأخذ الطرقات عليه. فلما قدم قنغلي إلى قوص ركب ليلاً بالوافدية، وأحاط بدار الولاية، فلبس عبد المؤمن سلاحه، وألبس جماعته، وقاتل قنغلي ورجاله حتى نجا منهم، وهم في أثره يومين وليلتين، يأخدون من انقطع من أصحابه، حتى أمسكوه وقيدوه. وعندما وصل ابن المؤمن إلى القاهرة خرجت العامة إلى رؤيته، وقصدوا قتله، فأركب إليه الأمير أيدغمش جماعة حتى حموه، وأتوا به إلى القلعة، فلما طلعها أقامت أم المنصور أبي بكر العزاء، وأمر به فسجن.
وفي ليلة الجمعة أول شهر رمضان: نزلت أم المنصور أبي بكر من القلعة، ومعها مائة خادم ومائة جارية لعمل العزاء: فدخلت بيت جركتمر بن بهادر ونهبت ما فيه، وألقته إلى من تبعها من العامة، ففرت حرم جركتمر منها حتى نجت من القتل.
وفي يوم الثلاثاء خامسه: تفاوض الأميران ملكتمر الحجازي ويلبغا اليحياوي حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب. فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من ينكسر من الفريقين، فلم يزل الأمير أيدغمش بهم حتى كفوا عن القتال، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية، فقبضوا على جماعة منهم، وأودعهم السجن.
وفي سادسه: قبض على جماعة من القوصونية.

وفي يوم الخميس سابعه: قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص، وعدهم ستة .فركب الأمراء إلى لقائهم، وهرعت العامة إليهم. فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جركتمر، فصاحت

العامة: "هذه تربة الذي قتل أستاذنا الملك المنصور، وهجموها، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب. فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والي الجيزة الذي تولى القاهرة، وقتل ركبة رمضان ابن السلطان، فرفسه برجله وسبه، وقال: أتنسى ونحن في الحراقة عند توجهنا لقوص، وقد طلبنا مأكلاً من الجيزة، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله، ما عندنا شيء؟ فصاحت به العامة: لله مكنا من نهبه، هذا قوصوني، فأشار بيده أن انهبوا بيته، فتسارعوا في الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهري من الحسينية، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح. فقامت إخوته ومن يلوذ به في دفع العامة بالسلاح، وبعث الأمير أيدغمش أيضاً بجماعة ليردهم عن النهب، وخرج إليهم نجم الدين والي القاهرة، وكان أمراً مهولاً قتل فيه من العامة عشرة رجال، وجرح خلق كثير، ولم ينتهب شيء.

وفي يوم الأحد عاشره: قدم مملوك الأمير قطلوبغا الفخري ومملوك الأمير طقزدمر بوصول العساكر إلى غزة في انتظار قدوم السلالان إليهم من الكرك، وأن يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها على العادة. فجمعوا بالميدان، وأخرجت نسخة اليمين المحضرة، فإذا هي تتضمن الحلف للسلطان، ثم للأمير قطلوبغا الفخري. فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا حتى ابتدأ الأمير أيدغمش وحلف، فتبعه الجميع خوفاً من وقوع الفتنة، وجهزت نسخة اليمين إلى قطلوبغا.

وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.

وأما العسكر الشامي فإنه أقام بغزة، وقد جمع لهم نائبها آقسنقر الإقامات من بلاد الشوبك وغيرها، حتى صار عنده ثلاثة آلاف غرارة من الشعير وأربعة ألاف رأس من الغنم، غير ذلك مما يحتاج عليه. وكتب الأمراء إلى السلطان بقدومهم صحبة مماليكهم مع الأمير قماري أمير شكار، فساروا إلى الكرك، وقد قدمها أيضاً الأمير يحيى بن طايربغا صهر السلطان برسالة الأمير أيدغمش يستحثه على المسير إلى مصر، فأقاموا جميعاً ثلاثة أيام لم يؤذن لهم في دخول المدينة. ثم أتاهم كاتب نصراني وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن البصال، وهؤلاء الثلاثة هم خاصة السلطان من أهل الكرك، فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب. فشق ذلك على الأمير قماري، وقال لهم: معنا مشافهات من الأمراء للسلطان، ولابد من الاجتماع به. فقالوا: لا يمكن الاجتماع به، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة أن تعلمونا بها. فلم يجدوا بداً من دفع الكتب إليهم، وأقاموا إلى غد. فجاءهم كتب مختومه، وقيل للأمير يحيى.اذهب إلى عند الأمراء بغزة، فساروا جميعاً عائدين إلى غزه، فإذا في الكتب الثناء على الأمراء، وأن يتوجهوا إلى مصر، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده، ويسبقهم. فتغيرت خواطرهم، وقالوا وطالوا، وخرج قطلوبغا الفخري عن الحد وأفرط به الغضب، وعزم على الخلاف. فركب إليه الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب والأمير جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمدي، ومازالوا به حتى كف عما عزم عليه، ووافق على المسير، وكتبو بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش، وتوجهوا جميعاً من غزة يريدون مصر.

وكان أيدغمش قد بعث ولده بالخيل الخاص إلى السلطان، فلما وصل الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل، ورسم بعوده إلى أبيه. وأخرج السلطان من الكرك رجلاً يعرف بأبي بكر البزدار ومعه رجلان ليبشروا بقدومه، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش في يوم الإثنين خامس عشريه، بلغوه السلام من السلطان، وعرفوه أنه قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب، وأنه يصابح أو يماسي، فخلع عليهم أيدغمش، وبعثهم إلى الأمراء

فأعطاهم كل من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم وأعطاهم بقية الأمراء على قدر حالهم، وخرج العامة إلى لقاء السلطان.

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشريه: قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتي ليلاً من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه. وجلس أيدغمش وألطنبغا الماردايي حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشريه، أقبل السلطان في نحو العشرة رجال من أهل الكرك، وقد تلثم وعليه ثياب مفرجة، فتلقوه وسلموا عليه، فلم يقف معهم، وأخذ جماعته ودخل بهم. ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة ومصر.

واستدعى السلطان الأمير أيدغمش في بكرة يوم الجمعة، فدخل إليه وقبل له الأرض فاستدناه السلطان وطيب خاطره، وقال له: أنا ما كنت أتطلع إلى الملك، وكنت قانعاً بذلك المكان، فلما سيرتم في طلبي ما أمكنني إلا أن أحضر كما رسمتم، فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانياً.

ثم كتب أيدغمش عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدومه إلى مصر، وأنه في انتظارهم، وكتب علامته بين الأسطر المملوك أحمد بن محمد، وكتب إليهم أيدغمش أيضاً. وخرج مملوكه بذلك على البريد، فلقيهم على الورادة، فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان، وكتبوا إلى أيدغمش بأن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرياقوس، ليتفقوا على ما يفعلونه.

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان السماط، ومنع الأمراء من طلوع القلعة، ورسم أن يعمل كل أمير سماطه في داره، و لم ينزل لصلاة العيد، وأمر الطواشي عنبر المسحرتي مقدم المماليك ونائبه الطواشي الإسماعيلي أن يجلسا على باب القلعة، ويمنعا من يدخل عليه. وخلا السلطان بنفسه مع الكركيين، فكان الحاج علي إخوان سلار إذا أتى مع الطعام على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البزدار، وأطعماه ششني، وتسلما منه السماط، وعبرا به إلى السلطان، ووقف خوان سلار ومن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

وحدث جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه وقد عرض له وجع في رأسه، فوجده جالساً وإلى جانبه شاب من أهل الكرك جالس، وبقية الكركيين قيام، فوصف له ما يناسبه، وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة.

وفي يوم الأحد تاسع شوال: قدم الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طشتمر حمص أخضر، وجميع أمراء الشام وقضاتها، والوزراء ونواب القلاع، في عالم كبير حتى سدوا الأفق، ونزل كثير منهم تحت القلعة في الخيم. وكان قد خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاولي وألطنبغا الماردايي، وأخذ قطلوبغا الفخري يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه في زي العربان، واختصاصه بالكركيين، وإقامة أبي بكر البزدار حاجباً. وأنكر أيدغمش ذلك على السلطان غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقته على خلعه ورده إلى مكانه، فلم يمكنه الأمير طشتمر حمص أخضر من ذلك، وساعده الأمراء أيضاً، ومازالوا به إلى أن أعرض عما هم به.

فلما كان يوم الإثنين عاشره: ألبس السلطان، وجلس على تخت الملك، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجيع الأمراء والمقدمين. وعهد إليه الخليفة، وقبل الأمراء الأرض

على العادة، ثم قام العالمان على قدميه، فتقدم الأمراء وباسوا يده واحداً بعد واحد، على مراتبهم، وجاء الخليفة بعدهم، وقضاة القضاة ما عدا الحسام حسن بن محمد الغوري، فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذن لهم على العادة، جمع عليه صبي من صبيان المطبخ السلطاني جمعاً كبيراً من الأوباش، لحقد كان في نفسه عليه عندما تحاكم هو وزوجته عنده، فإنه أهانه، وضربه وهجم هذا الصبي على القضاة بأوباشه، ومد يده إلى الغوري من بينهم، فأقامه الأوباش وحرقوا عمامته، وقطعوا ثيابه، وهم يسحبونه ويصيحون عليه: يا قوصوني ثم ضربوه بالنعال ضرباً مؤلماً، وقالوا له: يا كافر يا فاسق فارتجت القلعة، وأقبل علم دار حتى خلصه منهم، وهو يستغيث: يا مسلمين! كيف يجري هذا على قاض من قضاة المسلمين. فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش، وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم، وبعث طائفة من الأوجاقية فساروا بالغوري إلى منزله، ولم يحضر الموكب. فثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحية ونهبوه، وكان يوماً شنيعاً. وفي يوم الخميس ثالث عشره: خلع على جميع الأمراء الكبار والصغار ومقدمي الحلقة، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار، وعلى الأمير قطلوبغا الفخر بما حضر صحبته من الشام، وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة، ونزل في موكب عظيم. وكان قد قدم معه من أمراء الشام سنجر الجمقدار وتمر الساقي وطرنطاي البشمقدار وأقبغا عبد الواحد، وتمر الموساوي والجلالي وابن قراسنقر وأسنبغا ابن البو بكري، وبكتمر العلائي وأصلم نائب صفد.

وفيه طلب السلطان الوزير نجم الدين، ورسم له أن يكون يوسف البزدار ورفيقه مقدمي البزدارية ومقدمي الدولة، وخلع السلطان عليهما كلفتاه زركش وأقبية طرد وحش بحوائص ذهب فحكما في الدولة وتكبرا على الناس، وصارا فيهم بحمق زائد، وصارا لا يأتمران بأمر الوزير، ويمضيان ما أحبا. وصحبهما كثير من الأشرار، وعرفوهما بأرباب الأموال، فشملت مضرتهما كثيراً من الناس، وانهمكا في اللهو، فثقل أمرهما على الكافة.

وفي عصر يوم السبت خامس عشره: خلع على الأمير طشتمر حمص أخضر، واستقر في نيابة السلطنة بديار مصر، فجلس والحجاب قيام بين يديه، والأمراء في خدمته. فكان أول ما بدأ به أن قلع الشباك الذي كان يجلس فيه قوصون، وخلع الخشب الذي عمله في باب القلعة، وباشر النيابة بحرمة وافرة.

وفي يوم الخميس سابع عشره: أخرج السلطان محمل الحاج.

وفيه أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي والي قوص من السجن، وسمر على باب المارستان المنصوري من القاهرة بمسامير جافية شنعة، وطيف به مدة ستة أيام، وهو يحادث الناس في الليل بأخباره. فمما حدثهم به أنه هو الذي ركب حتى ضرب النشو كما تقدم ذكره، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه. وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول أسأل الصبر، وينشد كثيراً.

ونحن أغلظ أكباداً من الإبل يبكى علينا ولا نبكي على أحد

فلما كان يوم السبت ثاني عشريه: شنق عبد المؤمن على قنطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب.

وكان عبد المؤمن من السلامية بالعراق، فبعثه المجد السلامي إلى السلطان الناصر محمد مرارا حتى عرف عنده. ثم تنكر عبد المؤمن علي المجد السلامي ورافعه إلى السلطان حتى تغير عليه، وكتب إلى أبي سعيد بإحضاره. فأثبت المجد السلامي محضراً على عبد المؤمن بأنه رافضي كافر قتال الأنفس، وقدم به على السلطان وتحاقق

معه. فتعصب قوصون لعبد المؤمن حتى بطلت حجة المجد السلامي عليه مع ظهورها، فاختص عبد المؤمن بقوصون، ولبس الكلفتاه، ثم ولي قوصون. وكان شجاعاً فاتكاً، يتجاهر بالرفض، ويقول إذا حلف على شيء: وحياة مولاي علي.

وفي هذه الأيام: أخرج بأحد وعشرين أميراً إلى الإسكندرية، صحبه الأمير طشتمر طلليه، منهم أرقطاي نائب طرابلس، وجركتمر بن بهادر، وابن المحسني والي القاهرة، وأسنبغا بن البوبكري، ويلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب. فلما وصلوا إلى الثغر وسجنوا به، قتل قوصون وألطنبغا الصالحي نائب الشام، وجركتمر بن بهادر، وبرسبغا الحاجب.

وفيه رسم للأجناد الذين استخدمهم قطلوبغا الفخري بعودهم إلى دمشق بطالين، فكثر تشكيهم، ووقفوا للنائب فلم تسمع لهم شكوى.

وفيه أكثر السلطان من الإنعام على أهل الكرك حتى خرج عن الحد، وعزم على مسك بيبرس الأحمدي وغيره من الأمراء، فاحترزوا على أنفسهم إلى أن وقع الكلام مع السلطان في شيء من ذلك فاجتمع عنده الأمراء، وابتدأ الحاج آل ملك في طلب بلد يتوجه إليه، وسأل نيابة حماة، فخلع عليه في يوم الخميس عشريه واستقر في نيابة حماة، عوضاً عن طقزدمر. وخلع السلطان على بيبرس الأحمدي، واستقر في نيابة صفد، وعلى أقسنقر واستقر في نيابة غزة.

وفي يوم الإثنين مستهل ذي القعدة: سار الأمير الحاج آل ملك إلى نيابة حماة.

وفيه خلع السلطان على الأمير قطلوبغا الفخري، واستقر في نيابة الشام، وعلي الأمير أيدغمش بنيابة حلب.

وفي يوم الثلاثاء: استقر قماري أمير أخور، عوضاً عن أيدغمش أحمد شاد الشرابخاناه أمير شكار، عوضاً عن قماري، واستقر أقبغا عبد الواحد في نيابة حمص .وفيه رسم السلطان أن يستقر سنجر البشمقدار وتمر الساقي من جملة أمراء مصر.

وفيه أنعم السلطان على قراجا بن دلغادر، وقد قدم إلى مصر بإنعامات كثيرة، وكتب له بالأمرية على التركمان، وتوجه إلى نيابة الإبلستين.

وفي يوم الأحد سابعه: خرج الأمير أيدغمش متوجهاً إلى نيابة حلب.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: خرج الأمير قطلوبغا الفخري متوجهاً إلى دمشق، ومعه من تأخر من عسكر الشام. وخرج الأمير طشتمر حمص أخضر النائب ومعه جميع الأمراء لوداعه، ومد له سماطاً عظيماً.

وفي يوم السبت عشريه: قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة، وسبب ذلك أنه أكثر من معارضة السلطان بحيث تغلب عليه ورد مراسيمه، وصار يتعاظم ويظهر من الترفع على الأمراء والأجناد ما لا يحتمل مثله، وإذا شفع إليه أحد من الأمراء رد شفاعته ولم يقبلها، ولا يقف لأمير إذا دخل إليه، واذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هي باسمه، وأخرق به. وقرر طشتمر مع السلطان أنه لا يمضي من المراسيم السلطانية إلا ما يختاره، وتقدم إلى الحاجب بألا يقدم أحد قصة إلى السلطان حتى يكون حاضراً، ومنع ذلك، فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان في غيبته وتقدم جماعة من المماليك لطلب ما يزيد في مراتبهم، فرسم طشتمر أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه، ولم يمكن المماليك السلطانية من أخذ شيء.

وأخذ طشتمر إقطاع الأمير بيبرس الأحمدي وتقدمته لولده، فكرهته الناس. وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها في بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف. وانفرد طشتمر بأمور الدولة، وحط على الكركيين، وقصد منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهيأ له ذلك. وكان ناصر الدين المعروف بفأر السقوف قد توصل بالكركيين حتى استقر بفضل توصيتهم في وظيفة إمام السلطان يصلي به، وصار كذلك ناظر المشهد النفيسي، عوضاً عن تقي الدين علي بن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجامع القلعة.

وخلع السلطان علي ناصر الدين بغير علم النائب طشتمر، فبعث إليه طشتمر عدة نقباء ونزع عنه الخلعة، وسلمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم. فضربه ابن صابر عرياناً ضرباً مبرحاً، واستخرج منه أربعين ألف درهم، ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش وقطلوبغا الفخري، بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع إلى القلعة.

وأخذ طشتمر قصر معين بالغور من مباشري قوصون، وأحاط بما فيه من القند والعسل والسكر، وغير ذلك. فكثر حنق السلطان منه وتغيره عليه، إلى أن قرر مع المقدم عنبر السحرتي والأمير أقسنقر السلاري في القبض عليه وعلى قطلوبغا الفخري، وأن يستدعي مماليك بشتاك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة، ويقطعهم إقطاعات بالحلقة، ليصيروا من جملة المماليك السلطانية، خوفاً من حركة طشتمر النائب فعارض طشتمر السلطان فيهم، فرتب السلطان عدة مماليك بداخل القصر للقبض عليه.

وكان مما جدد طشتمر في نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بمماليكها، وبسط من باب القصر بسطاً إلى داخله، فكان الأمير لا يدخل القصر وقت الخدمة إلى مبفرده، فدخل هو أيضاً بمفرده ومعه ولداه إلى القصر، وجلس على السماط على العادة. فعندما رفع السماط قبض كشلي السلاح دار أحد المماليك وكان معروفاً بالقوة على كتفيه من خلف ظهره قبضاً عنيفاً، وبدر إليه جماعة فأخذوا سيفه، وقيدوه وقيدوا ولديه. ونزل أمير مسعود الحاحب في عدة من المماليك السلطانية، فأوقع الحوطة على بيته، وأخذ مماليكه جميعهم فسجنهم.

وخرج في الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألطنبغا المارداني والأمير أروم بغا السلاح دار، ومعهما من أمراء الطبلخاناة والعشرات نحو من خمسة عشر أميراً، ومعهم من المماليك السلطانية وغيرهم ألف فارس، ليقبضوا على قطلوبغا الفخري نائب الشام. وكتب السلطان إلى الأمير أقسنقر الناصري نائب غزة بالركوب معهم بعسكره، فجمع من عنده ومن في معاملته من الجبلية. وكان قطلوبغا الفخري قد ركب من الصالحية فبلغه مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض ثقاته، فساق إلى قطيا وأكل بها شيئاً، ورحل وقد استعد حتى تعدى للعريش، فإذا أقسنقر بعسكر غزة في انتظاره على الزعقة. وكان ذلك وقت الغروب، فوقف كل منهما تجاه أصحابه حتى أظلم الليل فسار الفخر بمن معه وهم ستون فارساً على البرية.

فلما أصبح آقسنقر علم أن الفخري فاته، فمال أصحابه على أثقال الفخري فنهبوها، وعادوا إلى غزة.

واستمر الفخري ليلته ومن الغد حتى انتصف النهار وهو سائق، فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة ألاف دينار، وقد وصل بيسان وعليها الأمير أيدغمش نازل. فترامى عليه الفخري وعرفه بما جرى، وأنه قطع خمسة عشر بريداً في مسير واحد. فطيب أيدغمش خاطره، وأنزله في خام ضرب له، وقام له بما يليق به، فلما جنه الليل أمر به فقيد وهو نائم، وكتب بذلك إلى السلطان مع بكا الخضري.

وكان السلطان لما بلغه هروب قطلوبغا الفخري تنكر على الأمراء، واقمهم بالمخامرة عليه، وهم أن يمسكهم في يوم الإثنين تاسع عشريه، فتأخر عن الخدمة الجاولي وجماعة، فلما كان وقت الظهر بعث السلطان لكل أمير أربعين طائر أوز، وسأل عنهم، ثم بعث أخر النهار إليهم، بأمرهم أن يطلعوا من الغد. فقدم بكا عشية يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة ومعه سيف قطلوبغا الفخري فسر السلطان بذلك، وكتب بحمله إلى الكرك. فلما طلع الأمراء إلى الخدمة في يوم الثلاثاء ترضاهم، وبشرهم بمسك قطلوبغا الفخري، ثم أخبرهم أنه متوجه إلى الكرك، وأنه يعود بعد شهر. وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك، فأخرج في ليلة الأربعاء طشتمر حمص أخضر في محارة بقيده، ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون بحفظه، وعين مع المقدم عنبر السحرتي عدة من المماليك.

وتقدم السلطان إلى الخليفة بعدما ولاه نظر المشهد النفيسي، عوضاً عن ابن القسطلاني، أن يسافر معه إلى الكرك. ورسم لجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، ولعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، أن يتوجها معه إلى الكرك، وركب معه الأمراء من قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانيه، بعدما ألبس ثمانية من المماليك خلع الإمريات على باب الخزانة. وخلع السلطان على آقسنقر السلاري، وقرره نائب الغيبة، وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان، واستقر قاضي العسكر، وخلع علي زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر البسطامي، واستقر به قاضي القضاة الحنفية، عوضاً عن حسام الدين الغوري.

فلما قارب السلطان قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم، ورجعوا عنه .فترل عن فرسه، ولبس ثياب العربان، وهي كاملية مفرجة وعمامة بلثامين، وساير الكركيين، وترك الأمراء الذين معه وهم قماري والحجازي وأبو بكر بن أرغون النائب مع المماليك السلطانية والطلب. وتوجه السلطان على البرية إلى الكرك، ولبس معه إلا الكركيين ومملوكين، وهم في أثره، فقاسوا مشقة كبيرة من العطش وغيره، حتى وصلوا ظاهر الكرك، وقد سبقهم السلطان إليها، وقدمها في يوم الثلاثاء ثامنه، فكتب السلطان إلى الأمراء بمصر يعرفهم ذلك، ويسلم عليهم، فقدم كتابه يوم الخميس سابع عشره.

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحداً من العسكر أن يدخل المدينة سوى علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر، وجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، فقط. ورسم السلطان أن يسير الأمير المقدم عنبر السحرتي بالمماليك إلى قرية الخليل عليه السلام، وأن يسير قماري وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس. ثم رسم السلطان أن ينتقل المقدم بالمماليك إلى غزة، لغلاء السعر بالخليل.

وفي أثناء ذلك وصل أمير علي بن أيدغمش بالأمير قطلوبغا الفخري مقيداً إلى غزة، وبها العسكر المجهز من مصر، ومضى به إلى الكرك. فبعث السلطان إليه من تسلم الفخري منه، وأعاده إلى أبيه، ولم يجتمع به فسجن قطلوبغا الفخري وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك، بعد ما أهين الفخري من العامة إهانة بالغة ونكل به نكالاً فاحشاً. وفيه كتب السلطان لآقسنقر نائب غزة بإرسال حريم قطلوبغا الفخري إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسيره بيوم، فجهزهن آقسنقر إليه، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن، وبالغوا في الفحش والإساءة.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر السلاري نائب الغيبة بمصر أن يوقع الحوطة على موجود طشتمر حمص أخضر،

وقطلوبغا الفخري، ويحمل ذلك إليه بالكرك.

وكان السلطان إذا رسم بشيء جاء كاتب كركي لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب ذلك ويناوله للكاتب، فيأخذ عليه علامة السلطان. ويبعثه حيث رسم وأما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة، فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم غزة ومعه قطلوبغا الفخري، أراد الأمير ألطنبغا المارداني أن يؤخره عنده بغزة، حتى يراجع فيه السلطان. فلم يوافقه ابن أيدغمش، وتوجه إلى الكرك، فرحل المارداني وبقية العسكر عائدين إلى القاهرة، فقدموها يوم السبت خامس ذي الحجة.

وفيه أخذ السلطان في تحصين الكرك وشحنها بالغلال والأقوات وأخرج بكتمر العلائي منها إلى طرابلس ومحمد أبوه إلى صفد.

وفي هده السنة: أخرج حسام الدين حسن الغوري من مصر بعد عزله من قضاء القضاة الحنفية، فتوجه إلى العراق. وسبب ذلك أنه كان قد توحش ما بينه وبين القضاة الثلاثة، لقبح أفعاله. وكان إذا جلس مع السلطان احتوى عليه وخاطبه باللسان التركي، ونكب على القضاة. وكان يتجرأ على الناس ويضع منهم، ولا يزال ينصر المرأة على زوجها إذا شكته إليه حتى يخرج في ذلك عن الحد. فادعت امرأة عنده على زوجها بما استحق من صداقها وكسوتها، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المنجم في كل سنة دينار. فاستدناها منه، وأمرها فكشف عن وجهها وأعجبته، وقال لأبيها وكان قد حضر معها: يا مدمغ! مثل هذه تزوجها بدينار كل سنة؟ والله يا مدمغ يساوي مبيتها كل ليلة مائة درهم! والتفت القاضي إلى زوجها: وقال. يا تيس! تستغلي هذه بهذا القدر؟ والله أنت أدمغ من أبيها، هذه يساوي مبيتها كل ليلة مائة درهم.

وحكى القاضي الغوري عن نفسه في مجلس الأمير قوصون بحضرة الأمراء، أنه لما كان محتسباً ببغداد وقف على حانوت حلواني قد حل صاحبه تمرا وقصره حتى أبيض فسأل عنه، فقال هذه قسب وقصرته بالبيض، فقال له: ويلك! مجنون أنت؟ أنا عندي جارية سوداء، لي عشر سنين أقصرها بالبيض، وما ابيضت. وادعت امرأة على زوجها عنده بحق وجب عليه، فكتب بحبسه، فقال له الزوج: "والمرأة أيضاً تكون برواق البغدادية حتى أحصل لها حقها، فقال له الغوري ويلك! أنت مجنون؟ أنا أكون أحق من البغدادية بهذي، وتكون عندي أحفظها، وأشار لنقيبه فأخذ المرأة إلى طبقته، وأقامت عنده مدة حتى أصلح أمرها مع زوجها.

وكان القاضي الغوري إذا تداعى عنده اثنان يأمر موقعه فيكتب ما يقول أحدهما في غيبة الآخر، فإذا انتهى كلامه أخرجه، وأحضر خصمه فيكتب أيضاً ما يقول. وكذلك إذا شهد عنده جماعة فرق بينهم، وكتب ما يقول كل واحد على انفراد، فكانت المحاكمة لا تنتهي عنده إلا بعد مدة. وكان من الغي على جانب كبير.

ودعى مرة إلى عقد نكاح أولاد الأمراء هو والقضاة الثلاثة، فلما دخل معهم وقد فرش البيت بالحرير والزركش تجنب القضاة الجلوس على ذلك، وتنجوا عنه. فجلس هو على مقعد حرير مزركش، وقال: يا جماعة الجند أتبصروا كذا فعل هؤلاء يدعوا كذا الجلوس على هذا الحرير، وأقسم با لله لو قدروا عليه باعوه في الأسواق، وأكلوا ثمنه فضحك من في المجلس، ونزل بالقضاة من الخجل ما لا يعبر عنه، وتقدم إليه مرة مديون وضامنه في الدين ضمان إحضار، فادعى عليه غريمه، فاعترف بما عليه، وأقر الضامن له بضمانه. وكان المديون رث الهيئة زري الحال، فصاح القاضي: أخرجوا هذا المعثر من قدامي، ونظر إلى ضامنه وقال. أعط هذا ماله.

فقال: يا مولانا هذا غريمه أحضرته إليه، فقال: هاتوا الجحش - يعني الفلقة-، واقتلوا هدا حتى يعطي المال وأنت تلبس المسنجب والفرجيات واللباس الرفيع حتى أحوج هذا أن يعطي ماله لمعثر"، فلم يجد الضامن بداً من التزامه بالمال خوفاً من الإخراق.
ورأى القاضي الغوري مرة رجلاً بيده فروجين، قد مسك أرجلهما بيده، وصارت رأسهما إلى أسفل، فأمر به أن يصلب، فمازال به الناس حتى ضربه ضرباً مؤلماً، وتركه .وألزم القاضي الغوري الشهود أن يكون في كل مسطور شهادة أربعة، وأن يكتبوا سكن المديون، ومجونه وجنونه كثير، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة.
فلما رسم بعزله أثبتت عليه محاضر توجب إراقة دمه، فقام بعض الأمراء معه، ومازال ببعض قضاة الشافعية حتى حكم بحقن دمه وتسفيره من مصر.
وفي هده السنة: اتفقت واقعة غريبة، وهي أن رجلاً بواردياً يقال له محمد بن خلف - بخط السيوفيين من القاهرة - قبض عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى المحتسب، فوجد بخزنه من فراخ الحمام والزرازير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وسته وتسعين، من دلك فراخ حمام عدة ألف ومائة وستة وتسعين فرخاً، وزرازير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد نتنت وتغيرات ألوانها. فأدب وشهر، وأتلفت كلها.
وفيها قدم الأمير بيبرس الأحمدي نائب صفد بمن معه إلى دمشق، وليس بها نائب. فجاء مرسوم السلطان من الكرك بمكة، فقبض عليه أمراؤها، وأنزلوه بقصر تنكز.

ومات في هذه السنة من الأعيان

جمال الدين إبراهيم بن أيبك الصفدي، أخو الصلاح الصفدي، في رابع جمادى الآخرة بدمشق. وكان يتقن عدة صنائع، وسمع بالقاهرة والشام، وشد أطرافاً من الحساب والفرائض، وغير ذلك.
ومات السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي، مقتولاً بقوص، وحمل رأسه إلى قوصون.
ومات الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحي نائب دمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وربي عند السلطان الناصر محمد، وتوجه معه إلى الكرك.
فلما عاد الناصر إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة، وعمله جاشنكيره، ثم ولاه حاجباً، ونقله من الحجوبية إلى نيابة حلب، بعد موت أرغون النائب، فسار سيرة مشكورة. ثم عزله السلطان الناصر في سبيل رضى الأمير تنكز، وأقدمه إلى مصر، ثم ولاه غزة. ثم ولاه قوصون نيابة الشام، وآل أمره إلى أن مات مسجوناً بالإسكندرية.
ومات القان أزبك بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكز خان، ملك الططر بالمملكة الشمالية، بعدما حكم بها مدة ثمان وعشرين سنة، وقام بعده ابنه جاني بك خان. وكان أزبك قد أسلم وحسن إسلامه.
وتوفي قاضي القضاة الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعني.
ومات الأمير بشتاك الناصري مقتولاً بالإسكندرية، في ربيع الآخر. وكان إقطاعه سبع عشرة إمرة طبلخاناة، تعمل مائتي ألف دينار كل سنة. وأنعم عليه الناصر محمد في يوم بألف ألف درهم، وكان راتب سماطه كل يوم

خمسين رأس غنم وفرساً، لابد من ذلك، وكان كثير التيه، لا يحدث مباشريه إلا بترجمان، ويعرف بالعربي ولا يتكلم به.
ومات الأمير طاجار الدوادار، قتلاً.

ومات الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، قتلاً.
ومات أمير علي ابن الأمير سلار، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر.
ومات الأمير سيف الدين قوصون مقتولاً بسجن الإسكندرية. رقاه السلطان الناصر محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب في ثلاثمائة فارس صفين، قدام كل صف رجل يضرب بالقبز كما يركب ملوك المغل، وكان يفرق كل سنة ثلاثين حياصة ذهب ومائة قباء بسنجاب، ويفرق في عيد الأضحى ألف رأس غنم وثلاثمائة رأس بقر.
وتوفي خطيب الجامع الأموي بدمشق بدر الدين محمد ابن قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني.
ومات وكيل بيت المال بدمشق نجم الدين محمد بن عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن أبي الطيب الدمشقي.
وتوفي الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل بن الأفضل علي ابن المظفر محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان صاحب حماة، وكان باشرها عشر سنين، ثم نقل إلى إمرة مائة بدمشق، فمات بها في ليلة الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.
ومات الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل ابن ربيعة أمير آل فضل، بتدمر.
ومات الأمير بيبرس السلاح دار الناصري نائب الفتوحات، بأياس.
ومات شرف الدين ابن الملك المغيث صاحب الكرك، بالقاهرة.
ومات عز الدين أيبك، يوم الإثنين تاسع المحرم.
ومات الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف القضاعي المزي الدمشقي بها، عن ثمان وثلاثين سنة.
ومات الأمير عز الدين الكبكي، يوم الأربعاء، ثامن عشر المحرم.
ومات الأمير تمر الساقي، يوم الأحد ثامن عشرى ذي العقدة.
وتوفي تاج الدين بن الفكهاني المالكي، يوم الإثنين سابع ذي الحجة.
ومات مسمراً والي الدولة أبو الفتوح بن الخطير، وكان قد تزوج وهو نصراني بابنة شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص، قبل اتصاله بالسلطان الناصر محمد، فلما تولى النشو نظر الخاص عظم والي الدولة، وتقدم على أخوة النشو، وباشر عند عدة من الأمراء، فلما أمسك النشو أمسك معه، وصودر هو وأخوه الشيخ الأكرم، ومازالا في الحبس حتى أفرج عنهما في مرض السلطان الناصر محمد الذي مات فيه، وفي جملة من أفرج عنه. وخدم أبو الفتوح عند ملكتمر الحجازي إلى أن نكب، وسمر في يوم السبت سادس عشرى صفر. وكان جميل الوجه حسن الخلق، يذوق الأدب، ويحفظ الأشعار والوقائع، ويعرف الأحاجي والتصحيف.
ومات الأمير بدر الدين لؤلؤ الحلبي. وكان ضامن حلب، وقدم القاهرة غير مرة ورافع أهلها إلى أن سلمهم

السلطان له، فعاقبهم وأخذ أموالهم. ثم ولي شد الدواوين بحلب، فكثر شاكوه، فتسلمه الأكز مشد الجهات بديار مصر، ثم نقل إلى شد الدواوين بالقاهرة، وعزل وأخرج بعد محنة إلى حلب شاد الدواوين. ثم ضرب بالمقارع حتى مات، قال ابن الوردي :

أضحى يصادر سادةً وصدورا   أشكو إلى الرحمن لؤلؤاً الذي

فمتى أشاهد لؤلؤاً منثورا   نثر الجنوب بل القلوب بسوطه

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

أهلت والناس في أمر مريج لغيبة السلطان بالكرك، وعند الأمراء تشوش كبير، لما بلغهم من مصاب قطلوبغا الفخري. وصار الأمير أقسنقر نائب الغيبة في تخوف، فإنه بلغه أن جماعة من مماليك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك الركوب للموكب أياماً حتى اجتمعوا عنده، وحلفوا له. ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتاباً في خامس المحرم، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. وبعثوا به الأمير طقتمر الصلاحي، فعاد جوابه في حادي عشره: "بأنني قاعد في موضع أشتهي، وأي وقت أردت أحضر إليكم. وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به، وأنه بعث من أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.

وفيه قدم الخبر بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخري، وذلك أنه قصد أن يقتلهما بالجوع، فأقام يومين بلياليهما لا يطعمان طعاماً. فكسرا قيدهما، وقد ركب السلطان للصيد، وخلعا باب السجن ليلاً، وخرجا إلى الحارس وأخذ سيفه وهو نائم، فأحس بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه، فأخذوهما. وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم في زي العربان، ووقف على الخندق وبيده حربة، وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات. فأمر السلطان يوسف بن البصارة ورفيقه بضرب أعناقهما، وأخذ يسبهما ويلعنهما، فردا عليه رداً قبيحاً، وضرب رقابهما، فاشتد قلق الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد، وأكد في ذلك، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقاً مع الأمراء على ما يكون من المصالح.

فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل، في يوم الأربعاء حادي عشريه، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوماً، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون، وإقامته بمصر مدة شهرين وأيام.

وكانت سيرته سيئة، نقم الأمراء عليه فيها أموراً، منها أن رسله التي كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأسراره أوباش أهل الكرك، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها، ومنها تحكمهم على الوزير وغيره، وحجبهم السلطان حتى عن الأمراء والمماليك وأرباب الدولة، فلا يمكن أحداً من رؤيته سوى يومي الخميس والإثنين نحو ساعة. ومع ذلك فإنه جمع الأغنام التي كانت لأبيه، والأغنام التي كانت لفوصون، وعدهًا أربعة ألاف رأس وأربعماية من البقر التي استحسنها أبوه. وأخذ الطيور التي

كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها، وحملها على رءوس الحمالين إلى الكرك. وساق الأغنام والأبقار إليها، ومعهم عدة سقائين وسائر ما يحتاج إليه.وعرض الخيول والهجن، وأخذ ما اختاره منها، ومن البخاتي وحمر الوحش والزراف والسباع، وسيرها إلى الكرك .وفتح الذخيرة، وأخذ ما فيها من الذهب والفضة، وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التي جمعها أبوه في مدة سلطنته. وتتبع جواري أبيه حتى عرف المتمولات منهن، فكان يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة، فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها، ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سلب أكثرهن ما بأيديهن، وعرض الركاب خاناه، وأخذ جميع ما فيها من السروج واللجم والسلاسل الذهب والفضة، ونزع ما عليها من الذهب والفضة. وأخذ الطائر الذهب الذي على القبة، وأخذ الغاشيه الذهب وطلعات الصناجق، وما ترك بالقلعة مالاً حتى أخده. وشنع في قتل أمراء أبيه، وأتلف موجودهم، وأحضر حريم طشتمر حمص أخضر من حلب وقد تجهزن للمسير، فأخذ سائر ما معهن، حتى لم يترك عليهن سوى قميص وسروال لكل واحدة. وأخذ أيضاً جميع ما مع حريم قطلوبغا الفخري، حتى لم تجد زوجته سرية تنكز ما تتقوت به، إلى أن بعث لهم جمال الكفاة شيئاً تجملوا به إلى القاهرة.

السلطان عماد الدين أبو إسماعيل

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي.

جلس على تخت الملك يوم الخميس ثاني عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك، لأنه بلغهم عنه أنه لما أخرجه الأمير قوصون فيمن أخرج إلى قوص أنه كان يصوم يومي الإثنين والخميس، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن، مع العفة والصيانة عما يرمي به الشباب من اللهو واللعب. وحلف له الأمراء والعساكر، وحلف لهم السلطان ألا يؤذي أحداً، ولا يقبض عليه بغير ذنب يجمع على صحته. ودقت البشائر، ولقب بالملك الصالح عماد الدين، ونودي بالزينة.

وفيه فرق السلطان أخباز الأمراء البطالين ورسم بالإفراج عن المسجونين، وكتب بذلك إلى الوجه القبلي والوجه البحري، وألا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل. وفيه أخرج السلطان عدداً كبيراً من سجون القاهرة ومصر، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية.

وفيه استقر الأمير أرغون العلائي زوج أم السلطان الصالح رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان. واستقر الأمير آقسنقر السلاري نائب السلطنة. وفي يوم الجمعة ثالث عشريه: دعي للسلطان على منابر مصر والقاهرة، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان، وتوجه بذلك طقتمر الصلاحي.

وفيه كتب تقليد الأمير أيدغمش نيابة الشام، واستقر عوضه في نيابة حلب الأمير طقزدمر الحموي نائب حماة . واستقر في نيابة حماه الأمير علم الدين سنجر الجمولي.

وفيه كتب السلطان بحضور الحاج آل ملك، وحضور الأمير بيبرس الأحمدي إلى القاهرة.

وفيه كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه في السلطنة، لأنهم

علموا أن الملك الناصر أحمد ليس له رغبة في ملك مصر، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك، فهي بحكمك وملكك ورغب إليه في أن يبعث القبة والطير والغاشية والنمجاة، وتوجه بكتاب السلطان الأمير قبلاي.
وفيه خرج الأمير بيغرا ومعه عدة أمراء وأوجاقية، لجر الخيول السلطانية من الكرك.
وفي يوم الأربعاء ثامن عشريه: قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية، وعدتهم ستة وعشرون أميراً، منهم قياقر، والمرقبي، وطيبغا المحمدي، وابن طوغان جق، ودقماق وأسنبغا بن البوبكري، وابن سوسون، وناصر الدين محمد بن المحسني والي القاهرة، وأمير علي بن بهادر، والحاج أرقطاي نائب طرابلس.
في يوم الخميس تاسع عشريه: وقفوا بين يدي السلطان، فرسم أن يجلس أرقطاي مكان الجاولي وأن يتوجه البقية على أمريات ببلاد الشام.
وفي يوم السبت أول صفر :قدم من غزة الأمير قماري، والأمير أبو بكر بن أرغون النائب، والأمير ملكتمر الحجازي، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والمقدم عنبر السحرتي، والمماليك السلطانية، مفارقين للناصر أحمد.
وفيه توجه الأمير طقزدمر الحموي لنيابة حلب.
وفي يوم الإثنين ثالثه: خلع على الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب حماة خلعة السفر، وخلع على أمير مسعود بن خطير خلعة السفر لنيابة غزة.
وفيه خلع على بدر الدين محمد بن محيي الدين بن يحيى بن فضل الله، واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضاً عن أخيه شهاب الدين أحمد.
وفيه رسم بسفر مماليك قوصون ومماليك بشتاك إلى البلاد الشامية متفرقين، وكتب للنواب بإقطاعهم الأخباز شيئاً فشيئاً.
وفيه استقر الأمير جنكلي بن البابا في نظر المارستان، عوضاً عن الجاولي.
وفيه جلس الأمير آقسنقر السلاري النائب بدار النيابة، بعد ما عمرها وفتح بها شباكاً، ورسم له أن يعطي الأخباز من ثلاثمائة إلى أربعمائة دينار، ويشاور فيما فوق ذلك.
وفيه استقر المكين إبراهيم بن قروينة في نظر الجيش، وعين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص، عوضاً عن جمال الكفاة، ناظر الجيش والخاص، لغيبته بالكرك، فقام الأمير جنكلي في ابقاء الخاص علي جمال الكفاة حتى يحضر.
وفي يوم الخميس سادسه: توجه الأمير سنجر الجاولي وأمير مسعود بن خطير، إلى محل ولايتهما.
وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناة، وعلى خليل بن خاص ترك بإمرة طبلخاناة، ونودي بأن أجناد الحلقة، ومماليك السلطان وأجناد الأمراء، لا يركب أحد منهم فرساً بعد عشاء الآخرة، ولا يقعدوا جماعة يتحدثون.
وفي يوم الإثنين رابع عشريه: خلع على جميع الأمراء، كبيرهم وصغيرهم.
وفي يوم الثلاثاء خامس عشريه: قدم علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر، ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبي الركب، ومن الكرك، مفارقين للناصر أحمد. بحيلة دبرها جمال الكفاة. وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفاً من حضورهم إلى مصر، ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة، فبذل جمال الكفاة مالاً جزيلاً ليوسف بن البصارة حتى مكنهم من الخروج من المدينة. وأسر إليه السلطان الناصر أنه يبعث من

يقتلهم ويأخذ ما معهم، فعرجوا في مسيرهم عن الطريق صحبة بدوي من عربان شطي إلى أن قدموا غزة، فخلصوا ممن خرج في طلبهم. فأقبل عليهم الأمراء والسلطان، وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم.

وفي يوم الخميس سابع عشريه: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب في الجانبين، وكسرت عدة جرار خمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالي، فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج، فرجموه وردوه رداً قبيحاً إلى أن احتمى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأساءوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالي على باب الجمالية، ونودي من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئاً بالشنق.
وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع في بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصري إلى ثمانية دراهم نقرة، وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى في العراء عجزاً عن مواراته، وفنيت الدواب عندهم.
ثم عقب هذا الغلاء جراد عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة، فاض بما هناك ضرراً شديداً بالغاً، وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملأ الطرقات، وتحسنت أسعار بلاد الشام.
وفي هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقي من بنت تنكز، وأصدقها عشرة ألاف دينار. وخلع السلطان على الأمير قماري وجميع أقاربها، وعمل مهماً عظيماً، ورسم أن يعمل لها بشخاناه وداير بيت زركش بثمانين ألف دينار.
وفيه أنعم السلطان على الأمير أرقطاي بتقدمة ألف، فطلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطاي أيام نيابته، فذكر أنه نهب له شيء كثير، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقاً، وفيها نحو اثني عشر جوشنا، وفيها بركصطوانات حرير قيمة الواحدة منها زيادة على عشرين ألف درهم، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شيء كثير. فكتب إلى نواب الشام يتتبع من معه شيء من ذلك، وحمله إليه. وفيه أخرج الأمير قرمجي الحاجب إلى صفد حاجباً، بسؤاله.
وفيه خلع علي قراجا وأخيه أولاجا، واستقرا حاجبين.
وفيه سأل الأمير آقسنقر السلاري الإعفاء من النيابة، فلم يعف.
وفي يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول: قدم الأمير الحاج آل ملك، من حماة.
وفيه قبض على فياض بن مهنا، لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه، وسجن بالقلعة.
وفيه رسم للأمير طقتمر الأحمدي بنيابة طرابلس، بحكم وفاة الأمير طينال.
وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلي بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبي بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله في مصرف المارستان. فلم يوافقه الضياء، واحتج بأن لهذا مصرفاً عينه واقفه لقراء وخدام، ووافقه القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبي بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفر بمعاليم ما بين خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفي.

وفيه وشى الخدام للسلطان بقاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم. فرسم للطواشي محسن الشهابي والطواشي كافور الهندي بأن يتحدثا في المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسي، وكتب لهما توقيع بذلك، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة الناصرية بين القصرين، وبنظر جامع القلعة. فشق ذلك على ابن جماعة، وسعى عند الأمير أرغون العلائي، فلم ينجح سعيه.

وفيه استقر سيمف الدين وأخوه، من آل فضل على أخباز آل مهنا، لسليمان بن مهنا وأخوته، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشريه: رسم للأمير ألطنبغا المارداني بنيابة حماة، عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وخلع عليه وركب البريد من يومه، وسار في خمسة من مماليكه، وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلائي.

وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولي إلى نيابة غزة، عوضاً عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناة بدمشق.

وفيه قدم خبر من شطي بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه: خلع علي شجاع الدين عزلوا والي الأشمون، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين، واستمر نجم الدين على إمرته.

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا، وهي أول، التجاريد. وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعاف مستمر، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته، وهجمت عليها، وأوقعت الحوطة على جميع موجودها، وضربت عدة من جواريها ليعترفوا عليها. فلم يكن غير قليل حتى عوفي السلطان، فرسم بزينة القاهرة ومصر، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.

وفي يوم الجمعة خامس عشريه وهو آخر توت: انتهت زيادة النيل إلى ثمانية ذراعاً وتسعة أصابع.

وفيه قامت الزينة لعافية السلطان، ثم انتكس السلطان وعوفي.

وفي يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى: قدم الأمير بيبرس الأحمدي نائب صفد. وكان من خبره أن الناصر أحمد لما كان بالكرك قبل خلعه كتب لآقسنقر نائب غزة أن يركب إلى صفد ويقبض عليه، وأنه كتب لأمراء صفد بالاحتفاظ عليه. فبلغ ذلك الأحمدي من عيونه، فركب ليلاً بمن معه وهو مستعد، وخرج من صفد. فتبعه عسكرها، فمال عليهم وقتل منهم خمسة، وجرح جماعة وهو منهم. فبلغ ذلك آقسنقر نائب غزة، وقد قرب من صفد، فكر راجعاً إلى غزة، وكتب بالخبر إلى السلطان الناصر أحمد. ومر الأحمدي سائراً إلى دمشق، وفيها الأمير بيبرس الحاجب وطرنطاي الحاجب. فنزل الأحمدي ميدان الحصا، وخرج الأميران المذكوران في عدة من العسكر إليه فسلموا عليه وتوجعوا له، ثم عادوا. فقدم في ثاني يوم قدومه كتاب السلطان الناصر أحمد على نائب دمشق بإكرامه واحترامه، ثم قدم من الغد يوسف بن البصارة بكتاب السلطان الناصر أحمد إلى أمراء

دمشق، بأنه قد طلب بيبرس الأحمدي إلى الكرك فعصى، وخرج من صفد بعد ما قتل جماعة منها، وأمرهم بأخذ الطرقات عليه ومسكه وحمله إلى الكرك. فأخذوا في أهبة الحرب، وركبوا لقتاله في يوم الخميس ثامن المحرم، وبعثوا إليه سراً يعرفونه بما ورد عليهم. فركب الأحمدي إلى لقائهم حتى تراءى الفريقان، فبعث إليه الأمراء بعض الحجاب يعلمه بمرسوم السلطان فيه، فأعاد الجواب باني طالع للسلطان إذا كان على كرسي ملكه بمصر، وأسير إليه وفي عنقي منديل، ليعاقبني أو يعفو عني. وأما سلطان يقيم بالكرك، ويضرب رقاب الأمراء، ويهتك حريمهم ويخرجهم بحيث يتصدق الناس عليهم، ثم يطلبني إليه، فلا سمع ولا طاعة. وهأنا لا أسلم نفسي حتى أموت على فرسي، ومن كان في نفسه مني فليأت إلى قتالي.

فلما سمعوا جوابه أمرهم ابن البصارة بأن يهجموا عليه ويمسكوه، فاحتجوا عليه بأن المرسوم لا يتضمن قتاله، وهذا الذي قلته يحتاج إلى قتال شديد. ولكنا نكتب إلى السلطان بما اتفق، ونستأذنه في قتاله، ونمتثل ما يرسم به، وتكفلوا له بحفظه حتى يعود بالجواب، فمشى ذلك عليه، وسار بكتبهم .واجتمع الأمراء بالأحمدي، وكتبوا إلى أمراء مصر بما اتفق، وكتبوا لأيدغمش نائب حلب وللحاج آل ملك بحماة، وعرفوا الجميع أن هذا الأمر إن تمادى بهم ركبوا جميعهم وعبروا لبلاد العدو، فكان هذا أكبر الأسباب في خلع الناصر أحمد. و لم يزل بيبرس الأحمدي بدمشق حتى كتب إليه الملك الصالح أن يقدم إلى مصر، فقدمها واستقر على إقطاعه.

وفي هذا الشهر: عزل أقبغا عبد الواحد من نيابة حمص، وأنعم عليه بإمرة مائة بدمشق.

وفي يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة: خرج أروم بغا السلاح دار لنيابة طرابلس، غضباً عليه لمكاتبته الناصر أحمد له.

وفيه كتب بقدوم طقتمر الأحمدي إلى القاهرة.

وفيه قبض على جمال الكفاة ناظر الجيش والخاص، والموفق ناظر الدولة، والصفي ناظر البيوت، وزجماعة من الكتاب، وسلموا لشاد الدواوين.

وفيه قبض على ابن رخيمة مقدم الوالي وسبب القبض على جمال الكفاة كراهة آقسنقر السلاري النائب له، لنقله للسلطان أخباره، مع توقف الدولة على الوزير، وكثرة شكوى المماليك والخدام.

وكان السلطان قد كثر إنعامه على الخدام وحواشيهم، وعلى جواريه، ورتب لهم رواتب كبيرة، وأنعم عليهم بعدة رزق. وصار كثير من الناس يحملون إلى الخدام الهدايا، لتستقر لهم الرواتب والمباشرات وغيرها. فكثرت كلف الوزير وطلب الإعفاء، فرسم له ألا يمضي إلى بما كان بمرسوم الشهيد الملك الناصر محمد، فوفر ألفاص وأربعمائة دينار في كل شهر .وأخذ النائب يغري الأمير أرغون العلائي بجمال الكفاة، فتعين موسى بن التاج إسحاق لنظر الخاص بسعي الخدام، وتعين أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر لنظر الجيش. وإبراهيم بن يوسف هذا كان من سامرة دمشق، كتب عند الأمير بكتمر الحاجب فأسلم، ثم كتب بعد مسك بكتمر عند بهاء الدين أرسلان الدوادار، ثم بعد موته عند الأمير طشتمر حمص أخضر، ومن بعد موته كتب عند الأمير قماري أستادار. ثم طلب هو وموسى بن التاج في يوم الإثنين حادي عشرة ليخلع عليهما، فقام الأمير جنكلي بن البابا والحاج آل ملك وأرقطاي في مساعدة جمال الكفاة، وتلطفوا بالنائب حتى كف عنه، على أن يحمل مالاً هو ورفيقه. فالتزم جمال الكفاة. بمائة ألف دينار، وخلع عليه وعلى بقية الممسوكين، فحمل المال شيئاً

بعد شيء، ثم أعفى عما بقي منه.

وفيه قدم أياز الساقي على البريد بموت أيدغمش نائب الشام فجأة، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموي في نيابة الشام، ويستقر عوضه في نيابة حلب ألطنبغا المارداني، ويستقر يلبغا اليحياوي عوضه في نيابة حماة. فكتب بذلك في يوم الخميس رابع عشره، وخرج يلبغا اليحياوي إلى نيابته بحماة، ومعه كل من يلوذ به.

وفيه قدم كتاب سليمان بن مهنا يسأل في الإفراج عن أخيه فياض، ورد ما أخرج عن آل مهنا من الإقطاعات، وإلا سار بعربه إلى الشرق. فأعيدت الإقطاعات إلى مهنا وأولاده، وأوقف إفراج فياض على ضمانه إياه.

وفيه أنعم على الأمير أرغون العلائي بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم.

وفيه أنعم على الأمير بهادر الدمرداشي بثلاثة بلاد، زيادة على ما بيده.

وفيه قدم الخبر بأن قاضي القضاة الشافعي بدمشق تقي الدين السبكي لما أراد أن يخطب بالجامع الأموي لم يرض به أهل دمشق خطيباً، وكرهوا خطته، ولم يؤمنوا على دعائه، وصاحوا عليه صياحاً منكراً، وترك جماعة الصلاة، وقالوا ما نصلي خلفك، فثارت عليه العامة. فلما كانت الجمعة الثانية جرى أفحش ما جرى في الأولى، فآل الأمر إلى أن أشهد على نفسه أنه ترك الخطابة.

وفيه قدم الخبر بأن شطي وثب عليه رجل وهو مع العسكر على الكرك، فضربه بحربة أرداه عن فرسه فحمل إلى بيوته، وأن العسكر في شدة من الأمطار وقلة الواصل إليهم، وأن الناصر أحمد رد جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق. فكتب السلطان لأحمد بتعداد مساوئه، وتهديده بتخريب الكرك حجراً حجراً، وكتب بمسير عسكر غزة وصفد إلى نجدة الأمير بيغرا، وحمل الغلال والإقامات، وحشد العربان معهم، ومحاصرة الكرك.

وفيه أفرج عن فياض بن مهنا بمساعدة الأمير الحاج آل ملك، وسلم إلى الأمير أقسنقر السلاري النائب حتى يحضر كتاب أخيه سليمان بن مهنا.

وفيه أنعم على أرغون العلائي بإقطاع قماري بعد موته، واستقر تمر الموساوي أمير شكار عوضاً عن قماري.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فقدم عليه التقي السبكي قاضي دمشق، فأقبل عليه السلطان والأمراء. فلما عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياماً حتى استرخت أعضاؤه، وصار العلائي وآقسنقر النائب يدبران أمور الدولة.

وفيه ورد الخبر بعافية شطي، وأنه ركب مع العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن الناصر أحمد، وسأل أن يمهل حتى يكاتب السلطان، ليرسل من يتسلم منه القلعة، فرجعوا عنه. فلم يكن غير قليل حتى استعد، وقاتل بمن معه، فخرج جركتمر المارداني ليجهز ألفي راجل من غزة وصفد.

وفيه أنعم على فياض بالعود إلى بلاده، فتوجه إليها بعدما حلف على التزام الطاعة، وألا يتعرض لأمور التجار.

وفي رابع عشره: أخرج جماعة من الأمراء إلى الشام، منهم ملكتمر السرجواني وبكا الخضري، وقطلقتمر، وأباجي، ويحيى بن ظهير الدين بغا وأخيه، ثم أعيد ملكتمر من يومه.

وفيه قدمت رسل متملك الخطا، وقد خرجوا من بلادهم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، ومعهم كتاب للسلطان الملك الناصر محمد، يتضمن أن بعض الفقراء قدم عليهم وأقام عندهم مدة، وهم يسجدون للشمس عند طلوعها، فمازال ينكر عليهم ذلك ويدعوهم إلى الإسلام حتى عرف به الملك، فأحضره إليه وسمع كلامه،

ودعاه إلى الإسلام وهداه الله إليه وأسلم، فبعث رسله إلى مصر في طلب كتب العلم وإرسال رجل عارف يعلمهم شرائع الإسلام، فإن الرجل الذي هداهم به مات. فأقبل السلطان الملك الصالح إسماعيل عليهم، وخلع عليهم، ورسم بتجهيز الكتب العلمية لهم.

وفي يوم الإثنين ثاني رجب: أنعم على أربعة بإمريات طبلخاناة، منهم أمير حاجي ابن الناصر محمد.

وفيه أنعم على خمسة بإمريات عشرة، ونزلوا إلى المدرسة المنصورية على العادة بالقاهرة، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني، واستقر في الوزارة عوضاً عن نجم الدين محمود بن علي بن شروان وزير بغداد، لتوقف أحوال الدولة وشكوى المماليك السلطانية من تأخر جوامكهم.

وفي يوم الأربعاء رابعه: كانت فتنة رمضان أخي السلطان، وذلك أنه كان قد أنعم عليه بتقدمة ألف، فلما خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة، وتحدث مع جماعة من المماليك في إقامته سلطاناً. فلما مرض السلطان بالاسترخاء قوي أمره، وأشاع ذلك، وراسل بكا الخضري ومن خرج معه من الأمراء، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر. فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أرغون العلائي، فلم يعبأ به إلى أن أهل رجب جهز الأمير رمضان خيله وهجنه بناحية بركة الحبش، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء. فبلغ الأمير أقسنقر أمير أخور عند الغروب من ليلة الأربعاء ما هم فيه من الحركة، فركب بمن معه، وندب عدة من العربان ليأتوه بخبر القوم إذا ركبوا. فلما أتاه خبرهم ركب وسار إليهم، وأخذهم عن أخرهم من خلف القلعة ليلاً، وساقهم إلى الإصطبل .وعرف أقسنقر أمير أخور السلطان وأرغون العلائي من باب السر بما فعله إليهما، فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم. واتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده، والاحتفاظ بهم .فلما طلع الفجر خرج أرغون العلائي من بين يدي السلطان، وطلب الإخوة، ووكل ببيت رمضان حتى طلعت الشمس وصعد الأمراء الأكابر باستدعاء، وأعلمو بما وقع، فطلبوا رمضان إليهم فامتنع من الحضور، وهم يلحون في طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم، فعادوا عنه إلى أرغون العلائي.

فبعث أرغون عدة من الخدام والمماليك لإحضاره. فخرج رمضان في عشرين مملوكاً إلى خارج باب القلة، وسأل عن النائب أقسنقر السلاري، فقيل له أنه عند السلطان مع الأمراء، فمضى إلى باب القلعة، وسيوف أصحابه مصلتة، وركب من خيول الأمراء، ومر بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة، فلم يجد أحداً من الأمراء، فتوجه جهة قبة النصر. ثم وقف رمضان ومعه بكا الخضري، وقد اجتمع الناس عليه.

وبلغ السلطان والأمراء خبره، فأخرج بالسلطان محمولاً بين أربعة لما به من الاسترخاء، وركب النائب وآقسنقر أمير أخور وقماري أخو بكتمر. وأقام أكابر الأمراء عند السلطان، ووقفت أطلابهم تحت القلعة، وضربت الكوسات حربيا، ونزل النقباء في طلب الأجناد. فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه من أجناد الحسينية ومن مماليك بكا ومن العامة، وبعث يخبر السلطان بذلك، فمن شدة انزعاحه نهضت قوته، وقام على قدميه يريد الركوب بنفسه، فقام الأمراء وهنؤه بالعافية، وقبلوا له الأرض، وهونوا عليه أمر أخيه. فأقام السلطان إلى بعد الظهر، والنائب يراسل رمضان ويعده الجميل، ويخوفه العاقبة، وهو لا يلتفت إلى قوله. فعزم النائب على الحملة عليه بمن معه، وسار فلم يثبت العامه والمتجمعه من الأجناد مع رمضان، وانفلوا عنه، فانهزم رمضان هو وبكا الخضري في عدة من المماليك، وتوجهوا نحو البرية، والأمراء في طلبه، ثم عاد النائب إلى السلطان فلما كان بعد عشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر برمضان وبكا، وقد أدركوهما بعد المغرب عند

البويب، ورموا بكا بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه، وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق، فوكل برمضان من يحفظه، وأذن للأمراء بتزولهم بيوقمم، فتزلوا وطلعوا بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة.

وجلس السلطان وطلب مماليك رمصان، فأحضروا. وأمر السلطان بحبسهم، وحبسوا أياماً، ثم فرقوا على الأمراء.

وفيه رسم لجمال الكفاة بتجهيز التشاريف للأمراء الأكابر، فحمل إلى كل من الأمير جنكلي بن البابا، والأمير بيبرس الأحمدي والأمير بيبرس الحاج آل ملك، والأمير قماري، والأمير أرقطاي، تشريف كامل وألف دينار، وللنائب أقسنقر السلاري تشريف وألفا دينار وفرسان، ولمقدمي الحلقة تشاريف بأقبية ساذجة مروزي، لأجل إعادقم، فإنها كانت بغاليطق ملونة.

وفي يوم الخميس ثاني عشر: أمر السلطان ستة أمراء.

وفي يوم الإثنين سادس عشره: قدم الأمير بيغرا ومن معه من العسكر المجرد لقتال الناصر أحمد، بعد ما حاربوه. وكان قد جرح منهم جماعة، وقلت أزوادهم، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية، ولما مثلوا بالخدمة خلع عليهم.

وفيه كتب السلطان باستقرار طرنطاي البشمقدار في نيابة غزة، عوضاً عن الجاولي، وقدم الجاولي إلى مصر.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشريه: وسط الأمير بكا الخضري، ومعه مملوكان من المماليك السلطانية، بسوق الخيل تحت القلعة.

وفي هذا الشهر: استجد السلطان بالقلعة عمارة جليلة، وأقام أقجبا الحموي شاد العمائر، وقرر على أرباب الدواوين رخاماً يحملونه إليها. وقصد بذلك محاكاة عمارة الملك المؤيد بحماة المعروفة بالدهشية. فتوجه أقجبا وأبجيج المهندس إلى حماة حتى عرفا ترتيبها. وكتب السلطان إلى حلب بطلب ألفي حجر أبيض، وألفي حجر أحمر من دمشق فحملت وسخر لها الجمال. فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثني عشر درهماً من حلب. ووقع الاهتمام في العمل، فكان المصروف في العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم.

وفي هذا الشهر: أيضاً وقف السلطان الملك الصالح ثلثي ناحية سندبيس، من القليوبية، على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادماً.

وفي يوم الخميس رابع شعبان: قدم الأمير علم الدين سنجر الجاولي من غزة.

وفيه قدم البريد بموت الأمير أرنبغا نائب طرابلس، فعملت عليه أوراق بحقوق سلطانية مبلغها ألفا ألف درهم.

وفيه قدمت أولاد الأمير أيدغمش من دمشق، فألزموا بتفاوت الإقطاعات التي انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق، فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولاً وعصابة مرصعة لأمهم بلغت مائة ألف درهم. وباعوا حمام أيدغمش أبيهم خارج باب زويلة إلى خوند طغاي، وعدة أملاك أيضاً.

وفي يوم السبت ثالث شوال: توفي الأمير بهادر الجوباني.

وفي عاشره: توجه الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي في ألفي فارس تجريدة لقتال الناصر أحمد بالكرك، وهي ثاني تجريدة. وكتب بخروج تجريدة من دمشق، وحمل المنجنيق ونصبه على الكرك.

وفي يوم الإثنين ثاني عشريه: صار نقل الأير يلبغا اليحياوي إلى حماة مع طلبه، فركب الأمير أرغون العلائي في

عدة من الأمراء حتى زين خيله زينة عظيمة، ورتبها بنفسه، وشقوا القاهرة، وكتب لهم بالإقامات في الطرقات.
وفيه أيضاً أعيد نجم الدين محمود وزير بغداد إلى الوزارة، وأعفي ملكتمر السرجواني منها لتوقف أحوال الدولة. وخلع علي جمال الكفاة، واستقر مشير الدولة، بسؤال وزير بغداد في ذلك، فترلا معاً بتشاريفهما. وصار جمال الكفاة يطلع بكرة النهار إلى باب القلعة ومعه الوزير، فيصرفان الأشغال. وطلب جمال الكفاة ضمان جميع الجهات وزاد في كل جهة نحو العشرين ألف درهم ومنع أن يحمل شيء من مال الجيزة، ولا يصرف منها إلا بمرسوم السلطان، فمشمت أحوال الدولة.
وفي يوم الأربعاء خامس ذي القعدة: استقر لاجين أمير أخور، عوضاً عن الأمير آقسنقر الناصري. وسبب ذلك أنه سأل أن يتزوج بخوند أردو أم الأشرف كجك، فأجيب إلى ذلك وتزوج بها، وكانت جميلة الصورة .ثم بعد زواجها بأيام سأل الأمير أقسنقر أن يمشي صرغتمش الناصري في خدمته، وكان قد اشتراه السلطان الناصر محمد بنحو مائة ألف درهم، دفع عنها السلطان قريباً من نحو خمسة ألاف دينار مصرية، لجماله، وبسببه كانت فتنة الأمير قوصون مع المماليك السلطانية، لما طلبه بالليل. وكان آقسنقر يهواه وهو يترفع عليه، فاستشار السلطان الأمير أرغون العلائي
في إرسال صرغتمش إلى آقسنقر، فأنكر ذلك. ثم طلب السلطان صرغتمش، وعرفه بطلب أقسنقر له، فامتنع أشد امتناع، وقال: أقتل نفسي، ولا أمضي إليه وأمشي في خدمته فبعث السلطان إلى قماري والحجازي والنائب آقسنقر السلاري وعرفهم بذلك كله، فكلهم أنكر على آقسنقر الناصري طلبه صرغتمش وصابه، وأخذ الحجازي يتلطف بآقسنقر الناصري حتى كف عن طلبه على كره.
ثم رسم السلطان لآقسنقر الناصري أن يتوجه مع التجريدة إلى الكرك، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسائة جمل. وأخذ الأمراء في حمل التقادم إليه على حسب هممهم حتى لم يبق إلا سفره. ثم تخيل الأمير أرغون العلائي من سفره أن يخامر مع الناصر أحمد، فبعث إليه يمنعه من السفر، فشق عليه ذلك ولم يوافق، فأرسل إليه السلطان الأمير قماري أستادار، فتلطف به حتى وافق بشرط الإعفاء من الأمير أخورية فأعفي، وسكن الحجازي بالأشرفية من القلعة، وتحول آقسنقر إلى دار الحجازي.
وفي هذه السنة: بعث أرتنا صاحب الروم بهدية جليلة صحبة قاضي الروم، وسأل أن تجري على ما كان عليه الأمر في أيام الشهيد السلطان الناصر محمد من تجهيز التقليد بنيابة الروم.
وفيها رتب السلطان دروساً للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية، ووقف عليها وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا من الشرقية، فاستقر ذلك، وعرف بوقف الصالح. وفيها استقر علاء الدين علي بن عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعي في قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن البرهان إبراهيم الرسعني. ثم صرف الزرعي ببدر الدين إبراهيم بن الصد، أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المصري.
وفيها ولدت امرأة بدمشق مولوداً، برأسين وأربعة أيدي.
وفيها كان بعرفة يوم عرفة فتنة بين العرب والحجاج من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة. وسببها أن الشريف رميثة بن أبي نمى أمير مكة شكا من بني حسن إلى أمير الحاج. فركب أمير الحاج في يوم عرفة بعرفة لحربهم، وقاتلهم وقتل من الترك ستة عشر فارساً، وقتل من جماعة بني حسن عدة، وانهزم بقيتهم، فنفر الناس من عرفة على تخوف، ولم ينهب لأحد شيء، ولا تزال بنو حسن بمنى .ثم رحل الحاج بأجمعهم يوم النفر الأول،

ونزلوا الزاهر خارج مكة، وساروا منه ليلاً إلى بطن مرو. وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي الحجة: رسم بتجريد الأمير أبي بكر بن أرغون النائب والأمير أصلم، والأمير أرنبغا.
وبلغت زيادة النيل في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

ومات فيها من الأعيان

برهان الدين إبراهيم بن محمد السفاقسي المالكي في ذي الحجة، وله إعراب القرأن، وشرح ابن الحاجب في الفقه.
ومات الأمير أرنبغا الناصري، نائب طرابلس.
ومات الأمير أيدغمش الناصري، نائب الشام.
ومات الأمير بيبرس الأحمدي الحاجب وهو بدمشق، في رجب. وهو أحد المماليك الناصرية، ترقى في الخدم حتى صار أمير أخور، ثم عزل بأيدغمش، واستقر حاجباً. وتجرد إلى اليمن، ثم لما عاد سجن في العشرين من ذي القعدة سنة خمس وعشرين، وأقام معتقلاً تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه في ثاني عشرى رجب سنة خمس وثلاثين. وأخرج إلى حلب أميراً بها، ثم نقل إلى إمرة بدمشق، في سنة تسع وثلاثين، فمازال بها حتى مات. وله دار بالقاهرة داخل باب الزهومة بحارة العدوية، وحفيده أمير علي بن أمير أحمد بن الحاجب المقرئ.
ومات الأمير بكا الخطيري مقتولاً، في رابع عشرى رجب.
ومات الأمير بهادر الجوباني رأس نوبة.
ومات الأمير قماري أمير شكار، يوم الإثنين خامس جمادى الأولى.
ومات الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد وحلب، مقتولاً بالكرك.
ومات الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل أمير آل فضل، بظاهر سلمية.
ومات الأمير طينال نائب صفد ونائب غزة ونائب طرابلس، وهو بصفد، في يوم الجمعة رابع ربيع الأول.
وتوفي تاج الدين أبو المحاسن عبد القادر بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى اليماني المخزومي الشافعي الأديب الكاتب، بالقدس عن ثلاث وستين سنة. قدم القاهرة وأقام بها، وله شعر جيد.
ومات الحاجب صلاح الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بابن البرهان.
وتوفي فخر الدين محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكي، بمصر عن سبعين سنة.

وتوفي المقرئ بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقي، شيخ القراء بها، عن خمس وسبعين سنة.
ومات الأمير قطلوبغا الفخري نائب الشام، مقتولاً بالكرك.
ومات سعد الملك مطرف، في حادي عشرين جمادى الأولى.

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج، وأخبر بكثرة ما كان في هذه الحجة من المشقات. وذلك أنه لما كان يوم عرفة تنافر أشراف مكة مع الأجناد من مصر، فركبوا لحرابهم بكرة النهار، ووقفوا للحرب صفين. فمشى الشريف عجلان بينهم، فلم تطعه الأشراف، وحملوا على الأجناد وقاتلوهم، فقتل منهم ومن العامة جماعة.
وأبلى الشريف عجلان بن عقيل وأبلى كذلك الأمير أيدمر بلاء عظيماً، فعاتبه بعض مماليك الأمير بشتاك، ورماه بسهم في صدره ألقاه عن فرسه، وقتل معه أيضاً جماعة، وآل الأمر. إلى نهب شيء كثير، ثم تراجع عنهم الأشراف.
وفيه قدم عيسى بن فضل بقود أخيه سيف بن فضل على عادته. وكان سليمان بن مهنا قد سافر إلى بلاده فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأنزله منزلة حسنة.
وفي يوم السبت سادسه: قدم من الكرك الطواشي صفي الدين جوهر ورفيقه مختار، فارين من الناصر أحمد.
وفي يوم الأحد سابعه: خرج المجردين إلى الكرك من القاهرة، صحبة الأمير أصلم والأمير بيبغا حارس الطير.
وفي يوم الأربعاء عاشره: قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير أقسنقر السلاري نائب السلطنة، والأمير بيغرا أمير جاندار صهره، والأمير قراجا الحاجب، وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بسجنهم في الإسكندرية.
وفيه خرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك، فأدركهم على السعيدية، فطيب خواطرهم، وأعلمهم بالقبض على الأمراء، وعاد سريعاً، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادي عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على الأمير طيبغا الدوادار الصغير. وسبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير أقسنقر السلاري كان في نيابته لا يرد قصة ترفع إليه فقصده الناس من الأقطار، وسألوه الرزق والأراضي التي أنهوا أنها لم تكن بيد أحد، وكذلك نيابات القلاع وولايات الأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة. فلم يرد أحد سأله شيئاً من ذلك، سواء كان ما أنهاه صحيحاً أم باطلاً. فإذا قيل له هذا الذي أنهاه يحتاج إلى كشف تغير وجهه، وقال: "ليش تقطع رزق الناس؟. فإذا كتب بالإقطاع لأحد، وحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه وسأله في إعادته، قال له: رح خذ إقطاعك، أو يقول له: نحن نعوضك. ففسدت الأحوال، ولاسيما بالمملكة الشامية، فكتب النواب بذلك للسلطان، فكلمه السلطان فلم يرجع، وقال: "أنا أي من طلب مني شيئاً أعطيته، وما أرد قلمي عن أحد. بحيث أنه كانت تقدم له القصة وهو يأكل فيترك أكله ويكتب عليها من غير أن يعرف ما فيها، فأغلظ له بسبب ذلك آقسنقر الناصري أمير أخور. واتفق مع ذلك أنه وشى به أنه يباطن للناصر أحمد، ويواصل كتبه إليه، فقرر أرغون العلائي مع السلطان مسكه، فمسك هو وحاشيته.
وفي يوم الجمعة ثاني عشره: خلع السلطان علي الأمير الحاج آل ملك، واستقر في نيابة السلطنة، عوضاً عن آقسنقر السلاري. وكان العلائي قد قرر مع السلطان أن يعرض على الأمراء نيابة السلطنة، فأول من عرضت عليه الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا فامتنع، فقالوا بعده للأمير الحاج آل ملك، فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه. فلما طلع الأمير الحاج آل ملك لصلاة الجمعة على العادة، اشترط على السلطان ألا يفعل شيئاً في المملكة إلا برأيه، وأنه يمنع الخمر من البيع، ويقيم منار الشرع، وأنه لا يعارض فيما يفعله. فقبل السلطان شروطه، ولبس الأمير الحاج آل ملك تشريف النيابة بجامع القلعة، بعد صلاة الجمعة. وأنعم عليه السلطان زيادة على إقطاع النيابة بناحيتي المطرية والخصوص، ومتحصلهما اربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.
وفي يوم السبت ثالث عشره: خلع السلطان علي منكلي بغا الفخري، واستقر أمير جندار، عوضاً عن بيغرا.

وفيه فتح شباك النيابة، وجلس فيه الأمير الحاج آل ملك للمحاكمات. فأول ما بدأ به أن أمر والي القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود بالقاهرة، ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى، ويريق ما هناك من الخمور، ويخربها حتى يجعلها دكاً وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ حانة، بعد ما كانت سجناً يسجن فيه الأمراء والجند والمماليك، كما أن خزانة شمائل سجن لآرباب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق. فلما كانت دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوده من الكرك، وشغف بكثرة العمارات، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل، وجماعة كثيرة بخزانة البنود. فملأ أولئك الأرمن خزانة البنود حتى بطل السجن بها، وعمرها السلطان الناصر مساكنا له، وتوالدوا بها، وعصروا الخمور بحيث أنهم عصروا في سنة واحدة اثنتين وثلاثين ألف جرة، باعوها جهاراً وكان لحم الخنزير يعلق عندهم على الوضم، ويباع من غير احتشام. واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات، فيأتيهم الفساق ويظلون عندهم الأيام على شرب الخمور ومعاشرة الفواجر والأحداث ففسدت حرم كثيرة من الناس وكثير من أولادهم وجماعة من مماليك الأمراء فساداً شنيعاً، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليها، أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن بخزانه البنود لا يقدر أن يأخده منهم، ولو كان من كان.

فقام الأمير الحاج آل ملك في أمرهم، وفاوض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في فسادهم غير مرة، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب السلطان عليه، وقال له: يا حاج! كم تشتكي من هؤلاء، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم فشق ذلك عليه، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكاناً، وعمره داراً، وأنشأ بجانبها جامعاً، وحماماً وربعاً وحوانيت. وبقيت في نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان، فنزل والي القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها، وكسروا أواني الخمر، فكانت شيئاً يجل وصفه كثرة، وهدموها واشترى أرضها الأمير قماري من بيت المال، وتقدم إلى الضياء المحتسب أن ينادي بتحكيرها، فرغب الناس في أرضها واحتكروها، وبنوها دوراً وطواحين وغيرها.

وقد ذكرنا أخبار خزانة البنود في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ذكراً شافياً، فكان يوم هدم خزانة البنود يوماً مشهوداً من الأيام المشهورة المذكورة، عدل هدمها فتح طرابلس وعكا، لكثرة ما كان يعمل فيه بمعاصي الله.

ثم طلب النائب والي القلعة، وألزمه أن يفعل ذلك ببيوت الأسرى من القلعة، فمضى إليها وكسر جرار الخمر التي بها، وأنزلهم من القلعة، وجعلهم مع نصارى خزانة البنود في موضع بجوار الكوم. فيما بين جامع ابن طولون ومصر، فنزلوه واتخذوا به مساكنهم، واستمروا بها إلى اليوم.

وكانت الأسرى التي بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في أمر عمائره، وكانوا في فساد كبير مع المماليك وحرم القلعة فأراح الله منهم.

ثم رسم الأمير الحاج آل ملك النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجزيرة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

واقترح الأمير الحاج آل ملك في نيابة اقتراحات كثرة، منها أنه منع من مكاتبة ولاة الأعمال إلا بعد أن يبعث الوالي أن كان للشاكي حق شرعي، وجعل عوض المكاتبة له كتابة الشكوى خلف قصة المشتكي، وكثيراً ما كان يرد الشكاة إلى الولاة والكشاف، وصار يكنب لجميع الولاة يعتمد.
ورسم الأمير الحاج آل ملك لأولي نيابته بإبطال جميع الملعوب، وهي جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن يقال له كمجتي. له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المعالجين والمصارعين والمثاقفين والملاكمين والمشابكين، وعلى المقامرين على اختلاف أنواع القمار، وعلى القرادة والدبابة الذين يلعبون بالقرود والدب وغير ذلك من أنواع اللعب، فبطل ذلك كله.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك أيضاً جهة ابن البطوني، وهي جهة سلطانية لها ضامن عليه مال مقرر يأخذه من كل من رد عليه عبده أو أمته، إذا أبقوا فكان يتعدى حتى يأخذ من يجده من العبيد والإماء قد مضى لمولاه في حاحة، ويحبسه عنده حتى يصالحه مولاه على مال يدفعه إليه، فبطل ذلك.
وأبطل الأمير الحاج آل ملك النزول عن الإقطاعات والمقايضات بهذه بعد أن فشى ذلك بين الأجناد، حتى إن جندياً قايض أخر بإقطاعه ومبلغ ألفين وخمسمائة درهم أقبضه منها ألفين، فألزمه الأمير الحاج آل ملك بحمل الألفين لبيت المال، فانكف الأجناد عن المقايضات.
ومقت الأمير الحاج آل ملك من يرفع إليه قصة بطلب زيادة، فرفع له علاء الدين بن القلنجقي أحد الأمراء العشرات قصة يسأل فيها زيادة على إقطاعه، فوقع له عليه بمائتي فدان من الجبل الأحمر، زيادة على ما بيده.
ومنع الأمير الحاج آل ملك من مكاتبة نواب الشام وكتابة التواقيع السلطانية لأهل الشام، وكتب مرسوم السلطان إلى الممالك الشامية بإبطال العمل بما كتب به من بعد وفاة السلطان الملك الناصر محمد، ولا يعتمد إلا على المراسيم المستقرة إلى حين وفاته، ليبطل بذلك ما كان في نيابة أقسنقر السلاري فبطلت جماعة كثيرة بأيديهم مراسيم سلطانية منصورية وأشرفية وصالحية تجددت بعد السلطان الناصر محمد، وأخذت منهم.
وفي يوم الخميس ثامن عشره: قدم محمل الحاج.
وفي يوم الأربعاء رابع عشريه: نودي بتحكير خزانة البنود، فشرع الناس في تحكيرها.
وفي يوم الخميس خامس عشريه: رسم السلطان أن يعاد على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف ما أخذ له في نيابة الأمير طشتمر حمص أخضر، وخلع عليه بحسبة مصر، عوضاً عن ابن بنت الأعز، بشفاعة الأمير ملكتمر الحجازي، فأعيد له مبلغ أربعين ألف درهم من بيت المال.
وفيه قدم شهاب الدين أحمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق بطلب، لكثرة شعاته فقام أخوه علاء الدين علي بن فضل الله في أمره حتى أعيد إلى دمشق معزولاً، من غير مصادرة، ورتب له ما يكفيه.
وفيه أنعم على عدة من المماليك السلطانية بإمريات، منهم شيخو العمري، وألطنبغا برناق.
وفي هذا الشهر: كثر تخوف الناس من منسر انعقد بالقاهرة، وذلك أن رجال هذا المنسر كبسوا عدة بيوت، وكتبوا أوراقاً يطلبون فيها مالاً من الأغنياء، ومتى لم يبعث لنا ذلك كنا ضيوفك وأعيا الوالي أمرهم فاتفق أنهم كبسوا بيتاً ببولاق، وكان أهله قد أنذروا بهم، فاستعدوا لهم وتركوا أبوابهم مفتوحة، فدخلوا نصف الليل، وإذا بالنشاب قد وقع في صدورهم، فأصاب منهم ثلاثة، ورجع باقيهم منهزمين. فخرج منهم أيضاً اثنان والطلب

في أثرهما، فقتل منهما واحد وقبضوا منهم على ثلاثة، وأتوا بهم الوالي، فأقروا على جماعة بالجزيرة وغيرها، فتتبعوا إلى أن ظفر بجماعة سمروا وشهروا.

وفيه قدم الرجل الصالح أحمد الزرعي، فأكرمه الأمير جنكلي بن البابا، وجمع بينه وبين السلطان. فسأل الزرعي أن تعفى بلده زرع من المغارم والسحر، وأقام أياماً ثم عاد إلى الشام.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل، فأكرمه السلطان، وكتب له ببلدة زرع حسب سؤاله، وسافر فمات قبل أن يستغلها.

وفيه قدم أيضاً أحمد بن مهنا وسيف بن فضل، بقود.

وفيه وصلت رسل متملك الهند بهدية فيها فصان ياقوت، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك، وذكر لهم أن ولاية الملك لابد أن تكون من الخليفة. وسأل متملك الهند أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند ليكون نائباً عن السلطان بتلك البلاد، وأن يبعث السلطان إليهم رجلاً يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك .فأكرمت الرسل، وطلب من الخليفة أن يكتب تقليداً لمرسلهم بسلطنة الهند، فكتب له تقليد جليل، ورسم بسفر ركن الدين الملطي شيخ الخانكاه الناصرية بسرياقوس مع الرسل .وفيه قدم البريد من حلب بطلب ناصر الدين محمد بن صغير الطبيب، ليعاج الأمير ألطنبغا المارداني، فأخرج على البريد، وقدم حلب يوم الثلاثاء سلخه، وقد احتضر الأمير ألطنبغا، فمات من الغد، فعاد ابن صغير بعد يومين من حلب.

وفي تاسع عشريه: رسم بتجريد الأمير جنكلي بن البابا، والأمير آقسنقر الناصري، والأمير أبي بكر بن أرغون النائب، والأمير طيبغا المجدي إلى الكرك.

وفي ثاني عشر صفر: قدم الخبر بوفاة الأمير ألطنبغا المارداني نائب حلب، فصلي عليه صلاة الغائب بجامعه، وقرئت له ختمة شريفة.

وفيه عقد مشور عند السلطان فيمن يلي حلب، فأشار الأمير أرغون العلائي باستقرار الأمير يلبغا اليحياوي في نيابة حلب، وأن يستقر عوضه في نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدي، وأن يستقر بلك الجمدار في نيابة صفد، عوضاً عن طقتمر الأحمدي. وعين أرغون شاه للسفر بتقليد الأمير يلبغا، وأن يتوجه الأمير أحمد لإحضار حريم المارداني وأمواله من حلب.

وفي رابع عشريه: توجه الأمير ألطنبغا برناق، بتقليد طقتمر نائب حماة.

وفي يوم السبت خامس عشريه: قدم الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي ومن معهما من المجردين التجريدة الثانية إلى الكرك، فركب الأمراء إلى لقائهم. وكان قبل ذلك بيومين ورد كتاب الأمير أصلم بأنه قدم إلى الكرك بمن معه، وخرج الأمير بيبرس الأحمد بمن معه، وطلب أن يقوى بعسكر. فكتب إلى ولاة الأقاليم للخروج إلى الكرك بطلبهم، ونزل النقباء إلى الأمراء المعينين للسفر بخروجهم.

وفي يوم الخميس سلخه: خرج الأمير بلك الجمدر من القاهرة، لنيابة صفد.

وفي يوم الإثنين رابع ربيع الأول: خرج الأمير جنكلي بن البابا والأمير أقسنقر الناصري وملكتمر السرجواني وأمير عمر بن أرغون النائب، في أربعة ألاف فارس، تقوية للأمير أصلم، وهي التجريدة الرابعة للكرك. وتوجه

صحبتهم عدة حجارين ونقابين ونفطية، وتوجه السلطان بعد سفرهم إلى سرياقوس على العادة.
وفيه اشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والي القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه. ونودي بالقاهرة ومصر من أحضر سكراناً أو أحداً معه جرة خمر خلع عليه. فقعد العامة لشربة الخمر بكل طريق، وأتوه مرة بجندي قد سكر، فضربه وقطع خبزه، وخلع على من أحضره.
وقبض العامة أيضاً على بعض مماليك الأمراء، وقد أحضر جرة خمر في مركب، فضربه وقطع خبزه. وأخذ النائب كثيرا من شربة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج، ومن المراكب، ومن البيوت، فضربهم عرايا، وكشف رءوسهم، وصب عليهم الخمر وشهرهم. ونادى من اشترى عنباً بالقنطار قبض عليه، ويؤتى به إليه. فعرفه شاد الدواوين أن متحصل الديوان من معاملة العنب مائة ألف درهم، وقد بطلت، فلم يلتفت إليه، وتنجز مرسوم السلطان بالمساجة بذلك. وبعث النائب في خفية من اشترى له عنباً بدرهمين، فجاءه عشرة أرطال فطلب المحتسب، وأنكر عليه كيف يكون العنب بهذا السعر وقد منعنا من اعتصاره.
ومنع الأمير الحاج ملك النائب أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية خمراً، فقام في ذلك جمال الكفاة، وذكر أنه يتحصل من ذلك في السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، ومازال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك.
وأبطل الأمير الحاج آل ملك النوايح من القاهرة ومصر، فقامت الضامنة عند الأمير قماري الأستادار في إعادة النوايح، وخوفت أن جهته تبطل، وكان مرصده للحاشية، فمازال الأمير قماري يكلم الأمير الحاج آل ملك حتى أعادها.
وفي هذا الشهر: قام قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة على إمام الجامع الأزهر، وحبسه. وسبب ذلك أنه كان يلي نظر الجامع، فأخرجه عنه قاضي القضاة وولاه للقاضي الحنبلي، فتعصب جماعة للإمام حتى أعاده آقسنقر السلاري النائب إلى نظر الجامع. فشق ذلك على القضاة، وتنكروا له، فقام رجل وأنهى إليهم أن الإمام من خمس وعشرين سنة وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم بأن زعم أنه صلى الله عليه وسلم انهزم في بعض غزواته، وكتب بذلك محضراً وأثبته. وشنعوا بذلك عليه، وأخذوه من الجامع إلى الحبس، فقام الشيخ خليل المالكي والقوام الكرماني قياماً زايداً حتى وصل إلى السلطان والأمراء أن بين القضاة وبينه عداوة، بسبب نظر الجمع، من قديم. فطلب القضاة إلى القلعة بحضرة السلطان، وحدثهم السلطان في أمره، فوقعوا فيه وقيعة قبيحة، وأنه قد وجب قتله، وقد حكم بعزله من الإمامة. فمازال السلطان بهم حتى حكم الحنفي بتعزيره، فعزر واستمر على وظيفته. وكثرت القالة في ابن جماعة بسببه، فإنه كانت له سمعة عند الخدام، وتتردد إليه أم السلطان.

وفيه خلع علي نجم الدين أيوب، وأعيد لولاية القاهرة، عوضاً عن شجاع الدين غرلو، وأخرج غرلو إلى الشوبك، عوضاً عن ألطنقش.
وفي يوم الخميس عشر: قدم الخبر بوصول المنجنيق من صفد إلى الكرك، وأنه هرب من خدام أحمد ومماليكه نحو ستة وأربعين نفراً، ثم قدموا في حادي عشريه، فخلع عليهم.
وفي رابع عشر ربيع الآخر: قدم الخبر بوصول جنكلي بن البابا وأقسنقر الناصري إلى الكرك بمن معهما، في يوم

السبت سابعه، فزحفوا من غدهم، وقاتلوا قتالاً شديداً جرح فيه بالغ وجماعة، وعدة قتلوا، وجرح كثير.
فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة، فسر السلطان بذلك، وبعث إلى الأمراء المجردين خمسين حجاراً.
وفيه قدم رسول حسن بن دمرداش بن جوبان بهدية، وسأل أن يبعث إليه برمة أبيه، فاعتذر السلطان عن ذلك بأنه لم يعرف له قبراً.
واتفق في زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول وهو سابع عشر مسرى فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج، وطلع من الأسربة. فركب الوالي إلى بولاق، وركب النائب إلى جسر بركة الحبش في عدة من الأمراء، وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن بعض الجسور.
وفاض النيل من جهة قناطر الأوز، فكتب لوالي الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع اللؤلؤة فكثر تقطع الجسور، وتعبت الولاة في سدها حتى تقطعت جميعها بالوجه القبلي والوجه البحري. وفسدت الأقصاب، والنيلة والقلقاس، وسائر الزراعات الصيفية، والمخا زن.
وفيه قدم الخبر بكثرة الفساد والمجاهرة بالخمور وأنواع الفسوق بدمشق، وقلة حرمة نائبها الأمير طقزدمر الحموي، وتغلب مماليكه وتحكمهم عليه وسوء سيرتهم، فكتب بالإنكار عليه. واتفق بظاهر القاهرة أمر اعتني بضبطه، وهو أنه كان بناحية اللوق كوم يعرف بكوم الزل يأوي إليه أهل الفسوق من أوباش العامة، فأخذ بعضهم منه موضعاً ليبني له فيه بيتاً، فشرع في نقل التراب منه، فبينا هو يحفر إذ ظهر له إناء فخار فيه مكاتيب دار كانت في هذا البقعة، وتدل على أنه كان به أيضاً مسجد، ورأى أثار البنيان. فأشاع بعض شياطين العامة - وكان يقال له شعيب، أنه رأى في نومه أن هذا البنيان على قبر بعض الصحابة رضي الله عنهم، وأن من كراماته أنه يقيم المقعد ويرد بصر الأعمى، وصار يصيح ويهلل ويظهر اختلال عقله. فاجتمعت عليه الغوغاء، وأكثروا من الصياح، وتناولوا تلك الأرض بالحفر حتى نزلوا فيها نحو قامتين، فإذا مسجد له محراب .فزاد نشاطهم، وفرحوا فرحاً كبيراً، وباتوا في ذكر وتسبيح. وأصبحوا وجمعهم نحو الألف إنسان، فشالوا ذلك الكوم، وساعدهم النساء، حتى إن المرأة كانت تشيل التراب في مقنعها، وأتاهم الناس من كل أوب، ورفعوا معهم التراب في أقبيتهم وعمائمهم، وألقوه في الكيمان، بحيث تهيأ لهم في يوم واحد ما لا تفي مدة شهر بنقله.
وحفر شعيب حفرة كبيرة، وزعم أنها موضع الصحابي، فخرج إليه أهل القاهرة ومصر أفواجاً، وركب إليه نساء الأمراء والأعيان، فيأخذهن شعيب وينزلهن تلك الحفرة لزيارتها، وما منهن إلا من تدفع الدنانير والدراهم. وأشاع شعيب أنه أقام الزمنى، وعافى المرضى، ورد أبصار العميان، في هذه الحفرة، وصار يأخذ جماعة ممن يظهر أنه من أهل هذه العاهات، وينزل بهم إلى الحفرة، ثم يخرجهم وهم يسبحون الله أكبر الله أكبر، ويزعمون أنهم قد زال ما كان بهم.
فافتتن الناس لتلك الحفرة، ونزلت أم السلطان لزيارتها، و لم تبق أمرأة مشهورة حتى أتتها وصار للناس هناك مجتمع عظيم، بحيث يسرج به كل ليلة نحو مائتي قنديل، ومن الشموع الموكبية شيء كثير. فقامت القضاة في ذلك مع الأمير أرغون العلائي والأمير الحاج آل ملك النائب، وقبحوا هذا الفعل، وخوفوا عاقبته، حتى رسم لوالي القاهرة أن يتوجه إلى مكان الحفره ويكشف أمرها، فإن كان فيها مقبور يحمل إلى مقابر المسلمين ويدفن به سراً، ثم يعفى الموضع. فلما مضى إليه ثارت به العامة تريد رجمه، وصاحوا عليه بالإنكار الشنيع حتى رماهم الجند بالنشاب، فتفرقوا، وهرب شعيب ورفيقه العجوي، ومازال الحفارون يعملون في ذلك المكان إلى أن انتهوا

فيه إلى سراب حمام، و لم يجدوا هناك قبراً ولا مقبوراً، فطموه بالتراب، وانصرفوا. وفد انحلت عزائم الناس عنه، بعدما فتنوا به، وضلوا ضلالاً بعيداً، وجمع شعيب ورفيقه كثيراً من المال والثياب شيئاً طائلاً.

وفيه توجه أيدمر الشمسي لكشف أحوال الكرك.

وفي يوم الأحد سابع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير أصلم، وأبو بكر بن أرغون النائب، وأروم بغا، من تجريدة الكرك بغير إذن، واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات في أصحابهم وقلة الزاد عندهم. فقبل السلطان عذرهم، ورسم الأمير طقتمر الصلاحي وتمر الموساوي، في عشرين مقدماً من الحلقة وألفي فارس، فساروا خلقه، وهي التجريدة الخامسة.

وفيه قدم البريد من حلب أنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة سنقر وصلاح الدين الدوادار إلى جهة سيس لحرب أهلها من الأرمن، لمنعهم الخراج.

تركمان الطاعة، وأغاروا معهم، وأثروا في أهل سيس آثار قبيحة.

وفيه نودي من قبل الأمير الحاج آل ملك نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلي بهم، فعملوا أنخاخاً وحصروا برسم فرشها للصلاة في الأسواق.

وتوجه السلطان في هذه الأيام إلى سرياقوس على العادة، ورسم بلعب الرمح بين يديه. فاجتمع غواة لعب الرمح، وحضر طيدمر الملكي وابن الطرابلسي الرماح وقطز الشمسي، ومن ضاهاهم، وتكافحوا. فظهر ابن الطرابلسي يومئذ على سائرهم، وأنعم عليه.

وفيها ترك الأمير طقبغا الناصري إمريته، وتزيا بزي الفقراء، فلزمه بحكم الديوان أربعمائة ألف درهم، حمل منها مباشروه ثلاثمائة ألف.

وفيها رسم باستقرار الأمير سيف الدين بن فضل أمير الأمراء في الإمرية، عوضاً عن سليمان بن مهنا، بعد موته.

وفيها كتب بمنع أحمد بن مهنا من القدوم إلى مصر، فرده نائب الشام من دمشق وعاد إلى أهله. فاتفق أحمد بن مهنا مع فياض على إقامة فتنة.

وفيها تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر الحموي نائب الشام، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازي بالمهر إلى دمشق، فقدمها في سادس عشر جمادى الآخرة، وقد تلقاه الأمير طقزدمر، فدفع إليه المهر وهو مائة ألف درهم. وعاد الأمير ملكتمر الحجازي من دمشق من غير أن يأخذ لأحد شيئاً هدية، فبعث له الأمير طقزدمر الحموي ألفي دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل. وأنعم عليه السلطان بألفي دينار، وخيول وغيرها. وفيه قدم الخبر بخروج فياض وآل مهنا عن الطاعة، وإغارتهم على عرب سيف بن فضل، وأخذهم قفلاً من بغداد إلى نواحي الرحبة، كان فيه لرجل واحد ما قيمته نحو مائتي ألف دينار، سوى ما لغيره من التجار.

وفيه قدم الخبر بأن سليمان شاه حاكم الأردو جرت بينه وبين أرتنا ملك الروم حرب انتصر فيها أرتنا، وقتل عدة من أصحاب سليمان شاه، وغنم ما معهم، وهزم باقيهم. وفي مستهل رجب: عاد الأمير جنكلي بن البابا والأمير آقسنقر الناصري من تجريدة الكرك إلى القاهرة، فأكرمهما السلطان لكثرة بلائهما في الكرك، وخلع عليهما.

وفيه قدم البري بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن أنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد وبرق

أعقبته زلزلة عظيمة، سمع حسها من نصف ميل عن حلب، وهو حس مزعج يرجف القلوب. فهدم من القلعة اثنا وثلاثون برجاً سوى البيوت، وهدم من قلعة البيرة أكثر من نصفها، وكذلك من قلعة عين تاب وقلعة الراوند وبهسنا وبلاد منبج وقلعة المسلمين. فخرج أهل حلب إلى ظاهرها، وضربوا الخيم، وغلقت سائر أسواقها، وفي كل ساعة يسمع دوي جديد. ثم إنهم تجمعوا عن أخرهم، وكشفوا رءوسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة، وهم يضجون بالدعاء والابتهال إلى الله برفع هدا المقت. فأفاموا على ذلك أياماً إلى خامس عشريه حتى رفع الله ذلك عنهم، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فكتب بتجديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية. وقدم الخبر من الكرك بأن العساكر أخذت على طرقها كلها بالاحتفاظ وأخدت أغناماً كثيرة لأهلها، وقتلت جماعة من الكركيين. فرسم بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولي، والأمير أرقطاي، والأمير قماري أستادار، وعشرين أمير طبلخاناه وعشرات، وثلاثين مقدم حلقة، وأنفق السلطان فيهم. فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في ألفي فارس، وهي التجريدة السادسة، وتوجه معهم عدة حجارين ونفطية.

وفيه خلع على الأمير طرغاي الطباخي، واستقر في نيابة طرابلس بعد موت رسغاي السلاح دار، وكتبت أوراق ديوانية بما يلزم رسغاي بحكم الديوان، ويشتمل على ألفي ألف درهم.

وفيه استقر علاء الدين علي بن محمد بن الأطروش السقطي في حسبة دمشق، بعناية الأمير أرغون العلائي، فشنع الناس بسبب ولايته، لجهله بالأمور الشرعية.

وفي أول شعبان: ورد كتاب الناصر أحمد من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طشتمر حمص أخضر، وأنه إن رسم بحضوره حضر، وإن رسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له في الملك. وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب، وفي ضمنهما كتب الناصر أحمد إليهما بختمها، وهي تشتمل على معنى ما ذكر في كتابه. فتوجه إليه الأمير طشتمر طلليه بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئناً فليسير ما أخده من المال والخيل وغير ذلك، ويبعث يوسف بن البصارة أيضاً، وإلا هدمت عليه الكرك حجراً حجراً، وأسر إلى طلليه أن يتحيل في القبض على أحمد.

وفي مستهل رمضان: فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش، وجلس فيها السلطان وبين يديه جواريه. فأكثر من الإنعام والعطاء، وكان قد اختص بالمملوك بيبغا الصالحي، وأمره وخوله في نعم جليلة، وزوجه بابنة الأمير أرغون العلائي، وهي أخت السلطان لأمه، وعمر له حوانيت خارج باب القرافة. وكثر استيلاء الجواري والخدام على الدولة وعارضوا النائب، وأبطلوا ما أحبوا إبطاله مما يرسم به، حتى صار يقول لمن يطلب شيئاً: رح إلى الطواشية ينقضي شغلك، فإذا بلغهم ذلك أهدروا مكانته وردوا أفعاله.

وفي سابعه: توجه الأمير آقسنقر الناصري لنيابة طرابلس، بعد موت الأمير طوغاي الطباخي، وقد تنكر السلطان له وتغير عليه.

وفي عشريه: رحل محمل الحاج من البركة، وقد قدم من حجاج المغاربة زيادة على عشره ألاف إنسان، ومن حجاج بلاد التكرور نحو خمسة ألاف نفر، وحج الطواشي عنبر السحرتي لالا السلطان، في تجمل كثير.

وفيه أعاد الناصر أحمد الأمير طشتمر طلليه بجواب غير طائل، ومن غير أن يجتمع به. وقدم معه وبعده من الكركيين عدة أشخاص، فمرروا مع السلطان مخامرقم على الناصر أحمد، وطلبوا إقطاعات عديدة لهم ولأصحابهم. فكتب لهم السلطان بها، وأعيدوا بإنعامات جليلة. فقدم الخبر بأن يوسف بن البصارة بعثه الناصر أحمد من الكرك ليحضر إلى مصر، فوجد قتيلاً في أثناء طريقه، واقم الناصر أحمد أنه بعث من قتله خوفاً منه أن ينم عليه لأخيه، وأحاط الناصر أحمد بموجوده، فوجد له أربعة وعشرين ألف دينار، وثلاثين حياصة ذهب، وثلاثين كلفتاه زركش، سوى لؤلؤ وقماش وغير ذلك. فوقع الاتفاق على أن يجرد السلطان إلى الكرك عدة عساكر من مصر والشام.

وفي يوم الإثنين ثامن ذي القعدة: قدم بالغ ومشايخ الكرك طائعين، فأنعم السلطان عليهم وعادوا في حادي عشره، ومعهم عدة من المماليك السلطانية ليسلموهم قلعة الكرك.

وفيه رسم بتجريدة سابعة فيها الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي، والأمير كوكاي، وعشرون أمير طبلخاناة، وسته عشر أميراً. وكتب بخروج عسكر من دمشق، ومعهم منجنيق وزحافات. وحمل السلطان إلى الأمير بيبرس الأحمدي ألفي دينار، وإلى كوكاي ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناة أربعمائة دينار، ولكل أمير عشره مائتا دينار. وأرسل السلطان أيضاً مع الآمير بيبرس الأحمدي أربعة ألاف دينار لأجل من عساه يترل من الكرك، وجهزت تشاريف كثيرة. وأقام الأمراء في طريقهم نحو شهرين، وخرج معهم ستة ألاف رأس من البقر والغنم، ومائتا رأس جاموس ونحو ألفي راجل. فاستعد لهم الناصر أحمد، وجمع الرجال، وأنفق فيهم مالاً كثيراً وجمع الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك، وركب المنجنيق الذي كان بها.

وفيه قدم سليمان ابن مهنا بقوده، فخلع عليه.

وفي مستهل ذي الحجة: عرض السلطان الخيل ليختار فرساً يركبه يوم العيد، وأحضر عشرة من النقاراتية، فدقوا كوساقم عند العرض .فظن العسكر أنها حربية، فركبوا تحت القلعة، وتجمعت العامة على عادقم، وغلقت الأسواق. فركب إليهم نقيب الجيش ولامهم على ركوبهم، وردهم.

وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفاً من الفتنة. ولهجت العامة بقولهم: يا ولد خرا للعيد وغنوا به في الأسواق. فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلي يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

وفي هذه الأيام: أعيد ضمان الملعوب من العلاج والصراع واللكلم والسعاة، ونحو ذلك. وأعيد ضمان ابن البطوني، وضمن بزيادة عشرة ألاف درهم.

وفيها قبض بدمشق على الأمير آقبغا عبد الواحد في عدة من الأمراء وسجنوا، لميلهم إلى الناصر أحمد.

وفيها اختلت مراكز البريد، فجمع لها ثمانمائة فرس، بعث السلطان منها مائتي فرس، وأخذ من كل أمير مائة أربعة أرؤس، ومن كل أمير طبلخاناة فرسين، ومن كل أمير عشرة فرساً واحداً، وأخذ من الموقعين عدة أفراس.

وفيها نهبت منية السيرج، وذلك أن جماعة من الفقراء المتعبدين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر، وهم معظم أهل المنية، وبالغوا في الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانياً أسال دمه، ودخل إلى صلاة الجمعة

بالجامع. فتجمع النصارى، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة، وضربوهم، فثار المسلمون بهم، فأثخنهم ضرباً، ومالوا على بيوتهم فنهبوها. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير الحاج آل ملك النائب، فبعث الحجاب والوالي، فقبضوا على جماعة كثيرة، وردوا كثيراً مما نهب، وحملوا الذين قبض عليهم، وفيهم عدة من الأجناد، فضربوا وسجنوا وقطعت أخبازهم. وأقامت المنية خراباً وبيوتها مهدمة نحو الشهرين، حتى عاد أهلها إليها.

وفي هذه السنة: نافق عربان الصعيد، واقتتلوا وقطعوا الطريق، فقتل بينهم نحو الألفي رجل. فركب الأمير علاء الدين علي بن الكوراني، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم، فلم يثبتوا له وفروا منه، فأخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح. وفيها احتربت الدعاجية والسعديون، فقتل بينهم خلق كثير جداً، فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحري، وقتل منهم أعداداً كثيرة.

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات، فلم يطق الأمير سيف بن فضل رده ومنعه، لعجزه عن آل مهنا.

وفيها اشتد الحصار على الكرك، وضاقت على الناصر أحمد ومن معه لقلة القوت عندهم وتخلى عنه أهل الكرك، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وعامة بلاد العراق، وبلغ الرغيف ببغداد ديناراً عراقياً، عنه ستة دراهم، والرطل اللحم بدينار ونصف.

وفيها استقر بيبغا ططر في نيابة غزة، عوضاً عن طرنطاي البشمقدار.

وفيها استقر طرنطاي حاجباً بالقاهرة.

وفيها جرد الأمير يلبغا اليحياوي نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر، فلقيهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة .فركب يلبغا بعساكر حلب وسار إليه، ففر منه ابن دلغادر إلى جبل، وترك أثقاله فنهبها العسكر، وقتلوا كثيراً من تركمانه، وظفروا ببعض حرمه، وتبعوه إلى الجبل، وصعدوه .فقاتلهم ابن دلغادر، وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله، وتقنطر عنه يلبغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له، وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالإنكار على نائب حلب، وتعنيفه على ما فعله.

وفيها استقر المكين إبراهيم بن مزونية في نظر دمشق، عوضاً عن التاج ابن الصاحب أمين الملك .واستقر موسى بن التاج إسحاق في نظر حلب، وأستقر زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلة بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصاري الدمشقي، في قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن بدر الدين بن الخشاب، وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة.

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدها، لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحي الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التي فسد بها الأقصاب والزراعات الصيفية .فلما أدرك الشعير هاف من السموم، وهاف كثير من الفول أيضاً وبعض القمح، وتحسن السعر حتى بلغ الأردب درهماً، بعد ما كان بعشرة دراهم.

وفيها بلغت زيادة النيل عشرين ذراعاً وخمسة عشر أصبعاً.

ومات فيها من الأعيان

زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبي المنا القناوي الشافعي، وقاضي قنا، وكان يتصدق في السنة بألف دينار في يوم واحد.

وتوفي برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الحق، قاضي القضاة الحنفية بديار مصر، وهو مقيم بدمشق.

ومات إبراهيم بن صابر المقدم.

وتوفي المحدث شهاب الدين أحمد بن علي بن أيوب بن علوي المستولي، وقد جاوز الثمانين، حدث عن الأبرقوهي، وكان ورعاً خيراً.

وتوفي شهاب الدين أحمد بن أبي الفرج الحلبي، بالقاهرة، حدث عن النجيب، والأبرقوهي، والرشيد بن علان وغيره، ومولده في رمضان سنة خمس وستين وستمائة. وتوفي المسند شهاب الدين أحمد بن كشتغدي المعزي.

ومات الأمير أقسنقر السلاري قتلاً بحبس الإسكندرية، تنقل في الخدم إلى أن ولي نيابة صفد ونيابة غزة، ثم نيابة السلطنة بديار مصر.

ومات الأمير ألطنبغا المارداني وهو في نيابة حلب، وهو الذي أنشأ جامع المارداني خارج باب زويلة.

ومات الأمير ألطنبغا العلمي الجاولي، الفقيه الشافعي، الأديب الشاعر، أصله مملوك ابن باخل، ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولي، فعرف به، وعمله دواداره وهو نائب غزة، ثم تقلبت به الأحوال حتى مات بدمشق في ربيع الأول، وشعره جيد.

وتوفي شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ومصر، في ربيع الأول.

وتوفي علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفي المصري ناظر الخاص بدمشق، سابع عشرى جمادى الآخرة، عن سبعين سنة بها، وكان كاتب قراسنقر، وله شعر.

ومات الأمير طوغاي الطباخي نائب حلب وطرابلس، في شهر رمضان.

وتوفي شهاب الدين عبد اللطيف بن عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز، المعروف بابن المرحل، الحراني الأصل، النحوي، بالقاهرة، وقد جاوز الستين.

وتوفي الشيخ المعتقد عبد الكريم في ربيع الأول، ودفن بالقرافة.

وتوفي المسند المحدث علاء الدين علي بن قيران السكري، ومولده في سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ومات الأمير عيسى بن فضل الله بن أخي مهنا، ولي إمرة العرب بعد موسى بن مهنا، ثم عزل بسليمان بن مهنا، ومات بالقريتين، ودفن بحمص.

وتوفي تقي الدين محمد بن القطب عبد اللطيف بن الصدر يحيى بن أبي الحسن علي ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي، وهو أحد الفقهاء النحاة للقراء.

وتوفي الإمام شمس الدين محمد بن العماد أحمد بن عبد الهادي بن عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، في جمادى الأولى بدمشق، عن تسع وثلاثين سنة.

ومات طغاي بن سوناي بالمشرق، قتلاً.

ومات الأمير أقبغا عبد الواحد الأستادار، في محبسه بالإسكندرية، وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بجوار الجامع

الأزهر.
وقتل الشيخ حسن بن دمرداش بن جوبان بن بلك، بتوريز في رجب، وكان داهية صاحب حيل ومكر، وأفنى عدة كثيرة من المغل.
ومات طغاي بن سوناي. ومن أخباره أنه لما مات أبوه، ووثب بعده علي باشا خان بوسعيد، حاربه طغاي حتى قتله، فقتله إبراهيم شاه بن بارنباي، يوم عاشوراء.

سنة خمس وأربعين وسبعمائة

أهلت والعسكر في حركة اهتمام بالسفر إلى الكرك، وقد تعين الأمير بغا الفخري، والأمير قماري، والأمير طشتمر طلليه، للتوجه بهم .وألزم السلطان كل أمير مائة مقدم ألف بإخراج عشرة مماليك، ولم يوجد في بيت المال ولا الخزانة ما ينفق عليهم منه، فأخذ مالاً من تجار العجم ومن بيت الأمير بكتمر وجماعة أخرين على سبيل القرض، وأنفق فيهم.
وفي يوم السبت مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشره: خرج المجردون إلى الكرك.
وفي رابع عشريه :قدم محمل الحاج، وقد قاسى الحاج في سفرهم مشقات كبيرة من قلة الماء وغلاء الأسعار، بحيث أبيعت الويبة من الشعير بأربعين درهماً عنها ديناران، والويبة الدقيق بخمسون درهماً، والرطل البشماط بثلاثة دراهم. وأبيع الأردب القمح في مكة بمائتي درهم، وبلغ الجمل بمنى إلى أربعمائة وخمسين درهماً، لقلة الجمال. وكان من أسباب ذلك أن الشريف عجلان بن رميثة خرج إلى جدة، ومنع تجار اليمن من عبور مكة، فعز بها صنف المتجر، وهلك كثير من مشاة الحاج.

وفيه أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها، وكانت أموال الناصر أحمد قد نفذت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه. وأخذ بالغ - وهو أجل ثقاته من الكركيين - في العمل عليه، وكاتب الأمراء ووعدهم أنه يسلم إليهم الكرك، وسأل الأمان. فكتب إليه عن السلطان أمان، وقدم إلى القاهرة كما تقدم في السنة الخالية، ومعه مسعود وابن آبي الليث، وهؤلاء أعيان مشايخ الكرك، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضي، وكانت جملة ما طلبه بالغ بمفرده نحو أربعمائة وخمسين ألف درهم في السنة، وكذلك أصحابه، ثم أعيدوا بعد ما حلفوا، وقد بلغ الناصر أحمد خبرهم، فتحصن بالقلعة، ورفع جسرها، وصاروا هم بالمدينة ومكاتباتهم ترد على العسكر. فلما ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون، لم يكن غير ساعة حتى انهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخلها العسكر أفواجاً واستوطنوها، وجدوا في قتال أهل القلعة عدة أيام، والناس تنزل منها شيئاً بعد شيء، حتى لم يبق مع الناصر أحمد عشرة أنفس، فأقام يرمي بهم على العسكر. وكان الناصر أحمد قوي الرمي شجاعاً، إلى أن جرح في ثلاثة مواضع. وتمكنت النقابة من البرج، وعلقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع. وكان الأمير سنجر الجاولي قد بالغ أشد مبالغة في الحصار، وبذل فيه مالاً كثيراً، فلما هجم العسكر على الناصر أحمد، في يوم الإثنين ثاني عشرى صفر، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية، وقد تنكب قوسه وشهر سيفه. فوقفوا وسلموا عليه، فرد عليهم السلام وهو متجهم،

وفي وجهه جرح وكتفه يسيل دماً. فتقدم إليه الأمير أرقطاي والأمير قماري في آخرين، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة، ورتبوا له طعاماً، فأقام يومه وليلته، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئاً إلى أن سألوه في أن يأكل، فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له عثمان، فأتوه به فأكل عند ذلك.

وخرج ابن الأمير بيبغا الشمسي حارس الطير بالبشارة، وعلى يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل يوم السبت ثامن عشريه، فدقت البشائر سبعة أيام. ثم قدم أيضاً ابن الأمير قماري، ثم بعده أرلان ومعه النمجاه.

ثم أخرج الأمير منجك السلاح دار ليلاً من القاهرة على النجب، لقتل الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل منجك إليه من أخرج الشاب من عنده، وخنقه في ليلة رابع ربيع الأول، وقطع رأسه. وسار منجك من ليلته و لم يعلم الأمراء ولا العسكر بشيء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة بعيدة فقدم منجك بعد ثلاث إلى القلعة ليلاً، وقدم الرأس بين يدي السلطان، وكان ضخماً مهولاً له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته، وبات مرجوفاً.

وفيه طلب الأمير قبلاي الحاجب، ورسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن ياتيه نائب لها، وكتب بعود الأمراء والعساكر، وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك سنتين وشهراً وثمانية أيام.

وكان جمال الكفاة قد تقدم في الدولة تقدماً زائداً، فإنه ولي الخاص ثم نظر الجيش، فباشرهما جميعاً. وتمكن في أيام السلطان الملك الصالح تمكناً عظيماً، سببه أن السلطان اشتد شغفه بجارية مولدة يقال لها اتفاق، كانت تجيد ضرب العود، وأخذته عن عبد علي العواد العجمي، فرتبه جمال الكفاة عند السلطان حتى صار يجلس معها عند السلطان.

وكان السلطان يخشى من الأمير أرغون العلائي، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطا لاتفاق، فأسر ذلك لجمال الكفاة، فصار يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سراً، فينعم به على اتفاق. وكذلك كان السلطان قد أسر للوزير نجم الدين هواه في اتفاق، فكان أيضاً يحمل إليه في الباطن الأشياء النفيسة، ولا كما يحمله جمال الكفاة. فعلت رتبة جمال الكفاة، بحيث أن الوزير نجم الدين امتنع عن مباشرة الوزارة ما لم يكن جمال الكفاة يلاحظه. ثم رسم السلطان لجمال الكفاة أن يكون مشير الدولة، وكتب له في توقيعه الجناب العالي، بعدما امتنع علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر من ذلك، وتوحش ما بينهما بسببه. فرسم السلطان أن يكتب له ذلك، فعظمت رتبته، وارتفعت مكانته إلى أن تعدى طوره، وأراد أن ينخلع من زي الكتاب إلى هيئة الأمراء، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف، ولم يبق إلا ذلك فشق على الأمراء هذا الأمر.

وكان جمال الكفاة قد تنكر عليه الأمير أرغون العلائي، بسبب إقطاع عينه لبعض أصحابه، فأجاب بأن السلطان قد أخرجه، فغضب العلائي وبعث إليه دواداره ومعه حياصة من ذهب، وأمره أن يقول له عنه: أنت ما بقيت تعطي شيئاً إلا ببرطيل، وهذه الحياطة برطيلك، خذها واقض شغل هذا الرجل فلم يسمح جمال الكفاة له بالإقطاع، وقام مع السلطان حتى عرف العلائي مشافهة بأنه هو الذي أخرج الإقطاع فأسرها العلائي في نفسه، وأخذ يغري به النائب الحاج آل ملك والأمراء، فمال معهم الوزير، وصاروا جميعهم واحداً عليه ورتبوا له مهالك ليقتلوه بها، منها أنه يباطن الناصر أحمد ويكاتبه، ويتصرف في أموال الدولة باختياره، وقد ضيعها

كلها، فإنه كان ناظر الجيش ومشير الدولة، وأنه يتحدث مع السلطان في الأمراء، ويقع فيهم ويثلب أعراضهم عنده. وأخذ الوزير يعلم السلطان والعلائي بأن سائر ما يخبره السلطان به من محبته لاتفاق يخبر به الوزير، ونقل عنه من ذلك أشياء تبين للسلطان صحته. فانحطت بذلك مكانته عند السلطان، ورسم بقتله بعد أخذ ماله، فقبض عليه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وعلى أولاده وزوجته. وقبض معه على الصفي الحلي موسى كاتب قوصون وناظر البيوت، وعلى الموفق عبد الله بن إبراهيم ناظر الدولة.

ونزل المجدي إلى بيت جمال الكفاة، وأوقع الحوطة عليه بما فيه، ونزل تمر الموساوي فأوقع الحوطة على بيت الصفي، وعني الوزير بالموفق فلم يعاقب. ونوعت العقوبات لجمال الكفاة والصفي، وضربت أولاد جمال الكفاة وهو يراهم ضرباً مبرحاً بالمقارع، وعصرت نساؤه ونساء الصفي وأخذت أموالهم. فرفع خالد المقدم قصة للسلطان ذكر فيها أنه إن شد وسطه، وأقيم في التقدمة، أظهر لهم مالاً كثيراً من مال جمال الكفاة.. فطلب ورسم بشد وسطه، ونزل إليهم، فأظهر لجمال الكفاة بتهديده إياه صندوقاً فيه ما قيمته نحو عشرين ألف دينار خالد، وكان مودعاً بعض جيرانه بالمنشية، ولم يظهر له بعد ذلك شيء.

وفيه خلع على الضياء المحتسب، واستقر في نظر الدولة عوضاً عن الموافق، على كره منه لذلك.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة الكرك، فاشتدت العقوبة على جمال الكفاة خشية من الشفاعة فيه، وضرب مائة وعشرين شيباً، وسلم لخالد المقدم فخنقه في ليلة الأحد سادس ربيع الأول، ودفن في يوم الأحد بجوار تربة ابن عبود. فكانت مدة مصادرته أحداً وعشرين يوماً، ومدة مباشرته خمس سنين وشهراً وأيام. وعوقب الصفي موسى عقوبة عظيمة، وعصر في أصداغه، وضرب بالمقارع حتى أنتن بدنه كله، فلم يمت. وأفرج عن الموفق بواسطة الوزير، وخلع عليه في اليوم المذكور، واستقر في نظر الخاص، بعد ما عين العلائي علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور مستوفي الصحبة لنظر الخاص، فلم يتهيأ له لسفره ببلاد الشام.

وفيه خلع على أمين الدين إبراهيم بن يوسف السامري كاتب طشتمر، واستقر في نظرالجيش.

وفيه خلع على علم الدين بن مهلول، واستقر في نظر الدولة عوضاً عن الضياء المحتسب، لاستعفائه وعدم تناوله معلوم النظر، وأعيد الضياء المحتسب إلى نظر المارستان.

وفي يوم الخميس سابع عشره: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً.

وفيه قدم البريد من حلب باتفاق فياض وابن دلغادر أمير الأبلستين بمحاصرة قلعة طرنده، وأخذها من أرتنا وبها أمواله، ثم سيرهما إلى حلب. وطلب نائب حلب تجريد العسكر إليه، فرسم بتوجه الأمير مكتمر الحجازي، والوزير نجم الدين محمود، والأمير طرنطاي الحاجب، وخمسين مقدماً من مقدمي الحلقة، بألف فارس من أجناد الحلقة، وجهزت نفقاتهم، ثم بطلت التجريدة.

وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدام والجواري، ومن يلوذ بهم ومن يعنون به، فكثرت شكاية الوزير من ذلك. وكتب أوراق بكلف الدولة ومتحصلها، فكانت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم في السنة، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف درهم. وقرئت الأوراق على السلطان والأمراء، فرسم أن يستقر الحال على ما كان عليه إلى حين وفاة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبطل ما استجد بعده، وأن تقطع توابل الأمراء والكتاب حتى الكماج السميذ. فعمل بدلك شهر واحد، وعادت الرواتب على ما

كانت عليه حتى بلغ مصروف الحوائج خاناه في كل يوم إثنين وعشرين ألف درهم، بعد ما كانت في الأيام الناصرية ثلاثة عشر ألف درهم.

وبينا النائب جالس يوماً إذ قدم له مرسوم عليه علامة السلطان، براتب لحم وتوابل وكماجتين عيد، باسم ابن علم الدين .فقال النائب لصاحب المرسوم: ويلك، أنا نائب السلطان قد قطعت الكماجة التي لي، فعسى بجاهك تخلص لي كماجة، وتزايد الأمر في ذلك، فلم يمكن أحد رفعه وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجواني، واستقر في نيابة الكرك، وجهز معه عدة صناع لعمارة ما انهدم من قلعتها، وإعادة البرج إلى ما كان عليه. ورسم أن يخرج معه مائة من مماليك قوصون وبشتاك الذين كان الناصر أحمد أسكنهم بالقلعة بالقاهرة، ورتب لهم الرواتب، وأن يخرج منهم مائتان إلى دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد وحلب. فأخرجوا جميعاً في يوم واحد، ونساؤهم وأولادهم في بكاء وعويل، وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها، فكان يوماً شنيعاً.

وقدم الخبر من ماردين بأن فياض بن مهنا فارق ابن دلغادر، وقصد بلاد الشرق ليقوي عزم المغل على أخذ بلاد الشام. فمنعه صاحب ماردين من ذلك، وشفع إلى السلطان فيه أن يرد إليه إقطاعه الذي كان بيده قبل الإمرية، فقبلت شفاعته، وكتب برد إقطاعه المذكور.

وفيه كتب بطلب الأمير سيف بن فضل على البريد.

وفيه قام الأمير ملكتمر الحجازي في خلاص الصفي موسى كتاب قوصون حتى أفرج عنه، وخلع عليه واستقر في ديوانه، بعدما أشرف على الهلاك.

وفيه أفرج أيضاً عن أهل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري واستقر في الوزارة عوضاً عن جمال الكفاة.

وفي خامس عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد، بطلبه الإعفاء لتوقف الحال.

وفيه قدم الخبر بوفاة حديثة بن مهنا، وأن أخاه فياض بن مهنا سار عن ماردين وكبس سيف بن فضل أمير الملا، فقتل جماعة من أصحابه، ونهب أمواله، وأسر أخاه.

وفيه تنكر الأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازي على الأمير آل ملك النائب، بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور أو مرسوم بمرتب ليكتب عليه بالاعتماد ينكره من ذلك، وإذا سأله أحد إقطاعاً أو مرتباً قال له: يا ولدي رح إلى باب الستارة أبصر طواشي، أو توصل لبعض المغاني تقضي حاجتك ودله بعض العامة على موضع تباع فيه الخمر والحشيش، فأحضر أولئك الذين يبيعونهما، وضربهم في دار النيابة بالقلعة بالمقارع، وشهرهم، وخلع على ذلك العامي، وأقامه عنه في إزالة المنكر، فصار يهجم البيوت لأخذ الخمور منها.

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر. خلع على شجاع الدين غرلو، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين. فمنع شجاع الدين ذلك الرجل العامي من التعرض للناس، وأدبه. فطلبه الأمير الحاج آل الملك النائب، وأنكر عليه منعه له فأحضر ذلك الرجل من الغد رجلاً معه جرة خمر، فكشف النائب رأسه وصبها عليه، وحلق لحيته على باب القلعة بحضرة الأمراء، فعابوا عليه ذلك. وأخذ الأمير أرقطاي يلوم الأمير الحاج آل ملك النائب، وينكر عليه، فتفاوضا في الكلام، وافترقا على غير رضى.

واتفق أن الأمير ملكتمر الحجازي كان مولعاً بالخمر، ويحمل إليه الخمر على الجمال إلى القلعة .فمرت الجمال بالنائب وهو بشباك النيابة، فبعث نقيباً لينظر أين تدخل، ويأتيه بالجمال. فلما دخلت الجمال بيت الحجازي،

وتسلم الشربدار ما عليها، وقد فطن الجمال بالنقيب، تغيب في داخل البيت، وعرف الأمير ملكتمر الحجازي الخبر فأحضر الأمير ملكتمر النقيب، وضربه ضرباً مؤلماً، فقامت قيامة الأمير الحاج آل ملك النائب، وتحدث مع الأمير أرغون العلائي في الخدمة، وأنكر على الحجازي تعاطيه الخمر. فأتاه الحجازي وفاوضه مفاوضة كثيرة، وقام مغضباً، والأمير أرغون العلائي ساكت، فلم يعجب النائب من العلائي سكوته، وانفضوا على غير رضى، فطلب النائب الإذن في سفره إلى الحجاز، فرسم له بذلك ثم منع منه، وترضاه السلطان حتى رضي وأبطل حركته للحج.

واتفق أن حسن بن الرديني الهجان قتل ليلاً في بيته بسوق الخيل من منسر كبس عليه، وقد خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس، فاقم ولده بذلك عيسى بن حسن الهجان وبالغاً الأعرج، لعداوة بينهما وبين أبيه، فقبض عليهما إلى النائب، فعراهما وأ!راد أن يضربهما بالمقارع فمازالا به حتى أمهلهما أياماً عينها، ليكشفوا عن القاتل، فسعيا بالأمراء حتى أفرج عنهما معارضة للنائب، ومنع من طلبهما. وأنعم على ولد حسن بإقطاع أبيه ووظيفته، فاشتد حنق النائب، وأطلق لسانه بالكلام.

وفيه قدم سيف بن فضل، فأكرمه السلطان، وكتب إلى نائب الشام بالقبض على أحمد بن مهنا إذا قدم عليه. وكان فياض قد بعثه ليأخذ له الأمان من السلطان، فيوم قدم دمشق أمسك هو وابن أخيه، وحبسا بالقلعة ترضية للأمير سيف. فجمع فياض عربه يريد أخذ دمشق، فجرد النائب له عشرة أمراء، فرجع عن مقصده.

وبلغ ذلك الأمير أقسنفر الناصري نائب طرابلس، فشق عليه سجن أحمد بن مهنا، فإنه كتب فيه للسلطان، وأنه ضمن دركه ودرك فياض. فأجيب أقسنقر بقبول شفاعته، ورسم بحضورهما إلى مصر، فاتفق من مكة ما اتفق.

وقدم الخبر بنفاق عربان الوجه القبلي، وقطعهم الطرقات على الناس، وامتداد الفتن بينهم نحو شهرين قتل فيها خلق عظيم، وأن عرب الفيوم أغار بعضهم على بعض، وذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم، فقتل بينهم قتلى كثيره. وأخربوا ذات الصفا، ومنعوا الخراج في الجبال، وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الفيوم، فلم يلتفت أمراء الدولة لذلك، لشغلهم بالصيد ونحوه.

وفيه نقل غرلو من ولاية القاهرة إلى سد الدواوين، والدولة في غاية التوقف. فاستجد غرلوا من الحوادث أن من طلب ولاية، أو شد جهة، يحمل مالاً بحسب وظيفته إلى بيت المال. وعرف غرلو السلطان أن هذا المال كان يحمل للناظر والمباشرين، وأنه تنزه عن ذلك، وأظهر نهضة وأمانة.

وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العشير ببلاد الشام، وقطعهم الطرقات، لقلة حرمة الأمير طقزدمر نائب الشام. فانقطعت طرقات طرابلس وبعلبك، ونهبت بلادهما .وامتدت الفتنة بين العشير زياده على شهر، قتل فيها خلق كثير. ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة.

وفيه توقفت أحوال القاهرة من جهة الفلوس، وتحسن سعر أكثر المبيعات. وذلك أن المعاملة بالفلوس كانت بالعدد، فكثر فيها الفلوس الخفاق وانتدب جماعة لشراء النحاس الخلق بدرهمين الرطل، وقصه فلوسا خفافاً، فبلغ الرطل منها عشرين درهماً. وصار الرصاص يقطع على هيئة الفلوس، ويخلط بها. وجلب كثير من فلوس الشام وهي واسعة، فكانت تقطع ست قطع كل منها فلس، إلى أن أفحش ذلك، وكثر التعنت فيها. فطلب السلطان المحتسب والوالي وأنكر عليهما، فقبضا على كثير من الباعة، وضربوا عدة منهم بالمقارع وشهروهم،

فتحسنت الأسعار كلها. فألزم المحتسب سماسرة الغلال ألا يزيدوا في سعر الغلة شيئاً، فلم يتجاسر أحد منهم أن يزيد شيئاً في السعر. ثم نودي ألا يؤخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة السلطان، وما عدا ذلك يؤخذ بحساب كل رطل درهمين، ولا يقبل فيه نحاس ولا رصاص .فشريت الفلوس، وأخذ منها ما عليه السكة السلطانية، وتعامل الناس بها عدداً، ووزنوا في المعاملة الفلوس الخفاف بالرطل على حساب درهمين كل رطل، ففقدت بعد قليل. ثم ألزم الناس بحمل ما عندهم من الفلوس إلى دار الضرب، فضربت فلوساً جداً. و لم يكن في الدولة حاصل يحمل لدار الضرب، كما هي العادة، لتوقف أمرها.

وفيه قدم الأمير جركتمر الحاجب من كشف الغلال، وقد حصل من متوفر غلال العربان ببلاد الشام أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس على العادة.

وفيه قبض على المقدم خالد، ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ لسوء سيرته.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر، وأخوه وابن عمه، بكتابه، وأنعم عليه بزيادة من أراضي حلب.

وفي نصف شعبان: قدمت الحرة، أخت صاحب الغرب في جماعة كثيرة، وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام، وأن يدعوا لها الخطباء في يوم الجمعة في خطبهم، ومشايخ الصلاح وأهل الخير، بالنصر على عدوهم، وأن يكتسب لأهل الحرمين بذلك. وذلك أن في السنة الخالية كانت بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة، قتل فيها ولده، ونصره الله بمنه على العدو، وقتل كثيراً منهم، وملك منهم الجزيرة الخضراء. فعمر الفرنج مائتي شيني، وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين بالجزيرة، وأوقعوا بهم عي حين غفلة. فاستشهد عالم كبير، ونجا أبو الحسن في طائفة من ألزامه بعد شدائد. وملك الفرنج الجزيرة، وأسروا وسبوا وغنموا شيئاً يجل وصفه، ثم مضوا إلى جهة غرناطة، ونصبوا عليها مائة منجنيق، حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها، وهادنوا مدة عشر سنين.

وقدمت رسل البنادقة من الفرنج بهدية، وسألوا الرفق بهم والمنع من ظلمهم، وألا يؤخذ منهم إلا ما جرت به عادتهم، وأن يمكنوا من بيع بضائعهم على من يختارونه.

فرسم لناظر الخاص ألا يتعرض لبضائعهم ولا يأخذ منها شيئاً إلا بقيمته ولا يلزمهم بشراء ما لا يختارون شراءه وأن يأخذ منهم على كل مائة دينار ديناران وكانوا يؤدون عن المائة أربعة دنانير ونصف دينار ليكثر الفرنج من بلادهم جلب البضائع.

وفي مستهل شهر رمضان :توقفت أحوال الدولة في كل شيء، وعجز الوزير عن لحم المعاملين وجوامك المماليك وسكرهم الجاري به العادة في شهر رمضان. وكان السكر الجاري في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون ألف قنطار فبلغ في هذا الشهر ثلاثة آلاف قنطار ونيف، ولم يوجد في بيت المال شيء لكثرة الزيادات في الرواتب. وعز وجود السكر لتلاف القصب فيما مضى فرسم بقطع راتب الأمراء والمماليك وأرباب الوظائف كلهم ولم يصرف سكر إلا لنساء السلطان فقط وكتبت أوراق بكلف الدولة فمنع جميع ما استجد بعد السلطان الناصر محمد وكتب بذلك مرسوم سلطاني، فتوفر في كل يوم أربعة آلاف رطل لحم، وستمائة كماج سميذ، وثلاثمائة أردب شعير، وفي كل شهر مبلغ ألف درهم، وفي السنة عدة كساوى. وأضيف سوق الخيل والجمال والحمير إلى الدولة، وعوض مقطوعها بأرض سيلا من أعمال الفيوم، وبناحية سمنديون من القليوبية،

وبناحية فيشة من الغربية خلا ماهو فيها لقضاة القضاة، عوضاً عما كان لهم على الجوالي.
وفي هذا الشهر: خلع علي تقي الدين سليمان بن علي بن عبد الرحيم بن سالم بن مراحل، واستقر في نظر دمشق وكان قد طلب إلى مصر عوضاً، عن المكين إبراهيم ابن قروينة باستعفائه.

وفيه كتب بنقل ناصر الدين محمد بن المحسني من طرابلس إلى دمشق، واستقراره في وظيفة الشد رفيقاً لابن مراحل. فضبطا الجهات ضبطاً كبيراً، وقطعا من موقعي دمشق نحو العشرين قد استجدوا ومنهم ابن الزملكاني وابن غانم وابن الشهاب محمود وأولاده وجمال الدين بن نباتة المصري وقطعا كثيراً من البريدية، وحملا كسوة المماليك على العادة، وهي ألفا ثوب بعلبكي سوى البطائن وغيرها.
وفيه مات بدوه الططري، ففرق إقطاعه على ثمانين من المماليك السلطانية ووفرت جوامكهم ورواتبهم، وأخرج عدة منهم إلى الكرك.
وفيه رسم بعرض أجناد الحلقة على النائب، ليوفر منهم إقطاع الشيخ العاجز والجندي المستجد .فطلب الأجناد من الأقاليم، ونودي من تأخر عن العرض قطع خبزه، فقام الأمراء في ذلك حتى بطل.
وفي يوم الخميس تاسع عشريه: أفرج عن الأمير بيغرا، وعن الأمير قراجا والأمير أولاجا، من سجن الإسكندرية، وتوجهوا إلى دمشق. ثم رسم لبيغرا بالإقامة بالقاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف.
وفيه رسم أن تكون نفقة المماليك والأوجاقية والأيتام بين يدي الطواشي المقدم فوفر منهم عدة.
وفيه أنعم على الأمير طرنطاي البشمقدار بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجاولي، بعد موته.
وفيه أنعم بإقطاع طرنطاي على الأمير بيبغا ططر نائب غزة، ورسم بحضوره.
وفيه خلع على الأمير علم الدين أيدمر الزراق، واستقر في نيابة غزة، وأنعم بإقطاعه على ابن بكتمر الساقي.
وفيه أنعم بإقطاع الأمير ألطنقش، بعد موته، على أرغون الصغير صهر أرغون العلائي.
وفيه توجه ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير طيبغا المجدي.
وفي مستهل ذي القعدة: قدمت خوند بنت الأمير طقزدمر نائب الشام، وزوجة السلطان الصالح إسماعيل، فدخل عليها.
وفي يوم الإثنين حادي عشريه: عزل الضياء أبو المحاسن يوسف بن أبي بكر بن محمد ابن خطيب بيت الآبار الشامي، من نظر المارستان المنصوري، واستقر عوضه علاء الدين بن الأطروش.
وفي يوم السابع من ذي الحجة: انفرد العلم بن سهلول بوظيفة نظر الدولة، بعد ما التزم بحمل ألف دينار لبيت المال.
وفيه عزل موسي بن التاج إسحاق، لتوقف حال الدولة، وكثرة تقلقه وكراهة الناس له، لظلمه وتغييره قواعد كثيرة.
وفيه قدم كتاب التاج محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنباي موقع طرابلس بحدوث سيل عظيم، لم يعهد مثله فيما تقدم.
وفيها كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة، وأنفقوا على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم، فإنه أقام يسقط أسبوعين.

وفيها زاد عاصفة حتى خرب عدة بيوت وفيها تواتر سقوط البرد بأرض مصر، مع ريح سوداء، وشعث عظيم، وبرق ورعد سهول. ثم أعقب ذلك عالم شديدة الحر، بحيث تطاير منها شرر أحرق رءوس الأشجار، وزريعة الباذنجان وبعض الكتان، حتى اشتد خوف الناس، وضجوا إلى الله تعالى. وجاء مطر غزير، ثم برد فيه يبس لم يعهد مثله، فكانت أراضي النواحي تصبح بيضاء من كثرة الجليد، وهلك من شدة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها. وأمطرت السماء خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء في مزارع القصب قدر ذراع، وعم ذلك أرض مصر قبليها وبحريها، ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة، وقلت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط، والخلجان وبركة الفيل وغيرها، لموتها من البرد.

فتلفت في هذه السنة بعامة أرض مصر وجميع بلاد الشام بالأمطار والثلوج والبرد، وهبوب السمائم وشدة البرد، من الزروع والأشجار، والبائهم والأنعام والدور، ما لا يدخل تحت حصر، مع ما ابتلي به أهل الشام من تجريد عساكرها وتسخير أهل الضياع وتسلط العربان والعشير، وقلة حرمة السلطنة مصراً وشاماً، وقطع الأرزاق وظلم الرعية .وبلغت زيادة النيل في هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعاً.

وفيه قدم سيف الدين بلطوا مبشراً بسلامة الحجاج، في خامس عشرى ذي الحجة.

ومات فيها من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي في شعبان، ببرشانة من الأندلس، قدم القاهرة، وأخذ عن جماعة، وولي ببلده قضاء عدة مواضع.

وتوفي قاضي القضاة الحنفية بدمشق جلال الدين أحمد بن الحمام أبي الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازي، عن بضع وسبعين سنة بدمشق.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش، في يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة، وكان مشكوراً.

ومات الأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه الشافعي، في يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسته فوق جبل الكبش، أصله من مماليك جاول أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان المنصور قلاوون. وأخرج في أيام الأشرف خليل إلى الكرك، فاستقر في بحريتها. وقدم في أيام السلطان العادل كتبغا إلى مصر بحال زري، فسلمه كتبغا إلى مملوكه بتخاص، ليكون نائبه بالحوائج خاناه، وتنقل حتى قدمه الأمير سلار وقربه، ثم ولي نيابة غزة، وصار من أكبر أمراء مصر. وله مدرسة على جبل الكبش بجوار جامع ابن طولون، وجامع بقرية الخليل عليه السلام، وجامع بغزة، ومارستان وخان ببيان، وخان بقاقون، وله مصنفات وفضائل كثيرة.

ومات الأمير طقصبا الظاهري، وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

ومات الأمير ألطنقش أستادار السلطان الناصر محمد، وهو من مماليك الأفرم. فلما توجه الأفرم إلى بلاد التتار قدم هو إلى القاهرة، فقبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرية طبلخاناه. ثم عمل أستاداراً صغيراً، مع أستادارية آنوك ابن السلطان الناصر محمد.

ومات الأمير أرغون عبد الله.

ومات الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصري، بطرابلس، ولي نيابة الإسكندريه، وكشفت الجيزة، ثم دوادارية السلطان الناصر محمد، وكان كاتباً شاعراً ضابطاً.
ومات الأمير سنجر الجقدار أحد المماليك المنصورية، وقد أسن.
ومات محمد شرف الدين الرديني الهجان، قتلاً.
ومات الأمير طرنطاي المحمدي بدمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، ومن جملة من وافق على قتل الأشرف خليل. وسجن سبعاً وعشرين سنة، ثم أخرج إلى طرابلس أمير عشرة، ثم نقل إلى دمشق.
ومات الأمير بكتمر العلائي أحد المنصورية أيضاً، بعدما ولي أستاداراً ونائب حمص، ونائب غزة، ثم نائب حمص، وبها مات.
ومات الأمير كندغدي الزراق المنصوري بحلب، وهو رأس الميسرة، ومقدم العساكر المجردة إلى سيس.
ومات الأمير بلبان الشمسي أحد المنصورية، بحلب.
ومات فتح الدين صدقة الشرابيني، عن مال ومعروف كثير، في يوم الأحد ثاني شوال.
ومات جمال الكفاة إبراهيم مشير الدولة وناظر الخاص والجيش، تحت العقوبة في ليلة الأحد سادس ربيع الأول. وكان أولاً يباشر في بعض البساتين على بيع ثمرته، وتنقل في خدمة ابن هلال الدولة. ثم خدم بيدمر البدري وهو خاصكي خبزه في محلة منوف يكتب على باب إلى أن تأمر، فباشر عنده ثم قرره السلطان الملك الناصر محمد في الاستيفاء، ثم أقامه في ديوان الأمير بشتاك بعد موت المهذب إلى أن قتل النشو، فولاه نظر الخاص بعده. ثم أضاف إليه السلطان الناصر محمد نظر الجيش، عوضاً عن المكين إبراهيم، فنهض بهما. ولاحظته السعود حتى انتقضت أيامه، فزال سعده، وعوقب حتى هلك. وكان يتحدث بالتركي والنوبي والتكروري وله مكارم كثيرة.
ومات خالد بن الزراد المقدم، في يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، تحت العقوبة، وكان ظالماً.
وتوفي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان المعروف بابن النقيب الشافعي، قاضي القضاة بحلب، وهو معزول بدمشق، عن نيف وثمانين سنة.
وتوفي الشيخ أثر الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، إمام وقته في النحو والقراءات والآداب في ثامن عشرى صفر.
وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملي إلى حلب.
وفيه قدم طلب الأمير أرقطاي مع ولده.
وفي يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاي الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.
وفي هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلي، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدواداري.
وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فأر السقوف إلى ضماد جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مخلد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجوناً إلى أن أفرج عن المحابيس في أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه في جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه

الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمي الدولة من مشاركته في التكلم في الجهات، ونودي له في القاهرة ومصر، فزاد في المعاملات ثلاثمائة ألف درهم في السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاي غزة، فاحتال على أدي حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدي في بني عمه لتهنئة قبلاي بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بني عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى علي بن سنجر. بأني قد قبضت على عدوك ليكون لي عندك يد بيضاء فسر سنجر بذلك، وركب إلى قبلاي، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاي من غده ومعه أدي وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم في يوم الإثنين حادي عشره، فضربوا على باب القلة بالمقارع ضرباً مبرحاً وألزم أدي بألف جمل ومائتي ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سمر هو وبنو عمه في يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسطوا بها. فثار أخو أدي، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجي ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله في اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجي بذلك إلى الفاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته.

وفي مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضاً قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفي هذا الشهر: فرغت القيسارية التي أنشأها تاج الدين المناوي، بجوار الجامع الطولوني، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتاً.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالاً من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبا بمكة، ومبلغ عشرة ألاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة. وخرج معه حاج كثير جداً، وحمل الأمراء من الغلال في البحر إلى مكة عدة ألاف أردب.

وفي مستهل ذي القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجي نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة ألاف جمل. ووجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال في العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفي نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلي، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير أقجبا للمنوفية، وتوجه أراي أمير أخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية وفيه طلب الأمير مغلطاي أمير أخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضاً من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه في الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون مرتبها في كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم .فرسم بكتابة أوراق

بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل في السنة عشرة ألاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذي خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاي أمير آخور، فإنه غضب وقال :من يحاقق الدواوين على قولهم؟.

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموي من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصي.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزراق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار في الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب، لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفي دينار.

وخرج الأمير صرغتمش أيضاً، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة ألاف دينار .وتوجه الأمير شيخو أيضاً، ورسم له بثلاثة ألاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاي أمير أخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار في السنة.

فدخل الأمير شيخو في سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهي أن التاج إسحاق ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكاناً لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكاناً لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفي مستهل ذي الحجة: عوفي علم الدين عبد الله بن زنبور، وخلع عليه، بعد ما أقام أربعين يوماً مريضاً، تصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراق بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحري وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضي الرزق - للخدام والجواري وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشيء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضاً.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن .وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصاناً طوالاً تخب أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم مما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك في إبطالها، وطلب والي القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادي، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خف المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التي يجب منعها، فقوي بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.
وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطعوا أكمام النساء، ونادى في القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أخرق بها وأخذ ما عليها.
واشتد الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على سور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهاباً لهن وتخويفاً.
وطلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولاً تعمل، ونودي من با ع أزاراً حريراً أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وأنكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى أنه نودي على إزار حرير بثمانين درهماً فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.
وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوي في قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين علي بن أبي البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الزرعي في قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح.
وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء في جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثي ذراع، وبقي على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعاً وإحدى وعشرين أصبعاً. ثم رد النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين إصبعاً في يوم عيد الصليب.
وفيه أضا ع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.
ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة، فشكي من الولاة للوزير، فلم يلتفت لمن شكاهم.
ومات فيها من الأعيان شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكاري بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، في ثاني عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيراً، ودرس القراءات والحديث ومات النحوي شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النسائي الأندرشي بدمشق، وله شرح سيبويه في أربعة أسفار.
ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعدما ولي استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم ولي نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالاً حتى مات.
ومات الأمير أرغون شاه الناصري نائب الشام، مذبوحاً، في ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول رباه

السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية، ثم استمر بعد وفاته أستاداراً أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد، وولي بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جفيفاً قوي النفس شرس الأخلاق، مهاباً جائراً في أحكامه، سفاكاً للدماء غليظاً فحاشاً كثير المال. وأصله من بلاد الصين، حمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جوبان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدي.

ومات الأمير أرقطاي المنصوري، بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشي فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثماني عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجرد إلى أياس. ثم ولي نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولي نيابة حلب، ثم طلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولي نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات في طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير ألجيبغا المظفري نائب طرابلس، موسطاً بدمشق، في يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقتل معه أيضاً الأمير أياس، وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد ابن قلاون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجباً بدمشق، ثم نائباً بصفد، ثم نائباً بحلب، ثم أميراً بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره.

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفي، بعد ما عمي.

ومات قاضي الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح.

وتوفي نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي القرشي الأصفوني الشافعي، بمنى في ثالث عشر ذي الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره.

وتوفي قاضي القضاة علاء الدين علي بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، المعروف بابن التركماني الحنفي، في يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة.

وله كتاب الرد النقي في الرد على البيهقي وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاوون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو في مذهبه غلواً زائداً.

وتوفي قاضي الحنابلة بدمشق، علاء الدين علي بن الزين أبي البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموي أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاوون، وترقى صار من جملة الأمراء. ثم ولي نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياماً ومات، وكان سيء السيرة.

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الأخنائي المالكي، في ليلة الثالث من صفر.

ومات الأمير نوغيه البدري والي الفيوم.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهي زوجة الأمير طاز. وتركت مالاً عظيماً، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته قبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتباً عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولي الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر داراً جليلة بحارة زويلة من القاهرة.

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبي حفص في ذي القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بني مرين صاحب فاس، وملك تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل، فقام أبو العباس المذكور وملك تونس ملك أبيه.

سنة ست وأربعين وسبعمائة في المحرم:

قدم كتاب أرتنا يتضمن اتضاع أمر أولاد دمرادش، ويغض من نائب حلب على ما فعله مع ابن دلغادر.

وفي عشريه: قدم محمل الحاج، فتحرك عزم السلطان للحج، وكتب إلى بلاد الشامية بابتياع ستة آلاف جمل وألفي رأس غنم، وجميع ما يحتاج إليه من العبي والأقتاب ونحو ذلك. وتوجه الأمير طقتمر الصلاحي بسبب ذلك، وكتب إلى الكرك والبلقاء بحضور العربان بجمالهم، وأن يحمل إلى عقبة أيلة ألفا غرارة شعير، وما يناسب ذلك من الأصناف.

فقدمت طائفة من العربان، وقبضوا مالاً ليجهزوا جمالهم، إلى أن أهل ربيع الآخر تغير مزاج السلطان، ولزم الفراش؛ فلم يخرج للخدمة أياما. وكثرت القالة، وتعنت العامة في الفلوس، وتحسن السعر.

وأرجف بالسلطان، فغلقت الأسواق، حتى ركب الوالي والمحتسب وضربوا جماعة وشهروهم. فاجتمع الأمراء، ودخلوا على السلطان، وتلطفوا به حتى أبطل الحركة للحج؛ وكتب بعود طقتمر من الشام، واستعادة المال من العربان. وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان، واتفق مع عدة من المماليك، وقد أنقطع خبر السلطان عن الأمراء. فكتب بالإفراج عن المسجونين بالأعمال، وفرقت صدقات كثيرة ورتب جماعة لقراءة صحيح البخارى، فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على الأمير الحاج آل ملك النائب، فتحرز منه.

وأخذ الأمراء والأكابر في توزيع أموالهم وحرمهم في عدة مواضع، ودخلوا على السلطان، وسألوه أن يعهد إلى أحد من إخوته. فطلب الأمير الحاج آل ملك النائب وبقية الأمراء، فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد اتفق الأمير أرغون العلائي مع جماعة على إقامة شعبان، فرق فيهم مالاً كثيراً، فأنه كان ربيبه، أي ابن زوجته، وشقيق السلطان الصالح إسماعيل. وقام مع الأمير أرغون من الأمراء غرلو، وتمر الموساوى؛ وامتنع الأمير الحاج آل ملك النائب من إقامة شعبان. وصار الأمراء حزبين، فقام النائب في الإنكار على الكلام في هذا، وقد اجتمع مع الأمراء بباب القلعة، وقبض على غرلو وسجنه، وتحالف هو والأمير أرغون العلائي وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

وتوفي السلطان في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، فكتم موته. وقام شعبان إلى أمه، ومنع من إشاعة موت أخيه، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره. فخرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلى بغا، ليسعوا عند الأمير أرقطاى

والأمير أصلم.

وكان الأمير الحاج آل ملك النائب والأمراء قد علموا من بعد العصر أن السلطان في النزع، فاتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوقم بالمدينة .فدخل الجماعة على أرقطاى ليستميلوه لشعبان، فوعدهم بذلك، ثم دخلوا على أصلم أجابهم، وعادوا إلى شعبان وقد ظنوا أن أمرهم قد تم.

فلما أصبح يوم الخميس خرج الأمير أرغون العلائي، والأمير ملكتمر الحجازي، والأمير تمر الموساوي، والأمير طشتمر طلليه، والأمير منكلى بغا الفخري، والأمير أسندمر. وجلسوا بباب القلة، فأتاهم الأميران أرقطاى وأصلم، والوزير نجم الدين محمود، والأمير قمارى استادر؛ وطلبوا الأمير الحاج آل ملك النائب، فلم يحضر إليهم، فمضوا كلهم إلى عنده، واستدعوا الأمير جنكلى بن البابا، واشتوروا فيمن يولونه السلطة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى المماليك السلطانية، ويسألهم من يختارونه، " فأن من اختاروه رضيناه " فعاد جوابهم مع الحاجب أهم رضوا بشعبان سلطانا، فقاموا جميعاً ومعهم الأمير الحاج آل ملك النائب إلى داخل باب القلة.

وكان شعبان قد تخيل من في دخولهم عليه، وجمع المماليك، وقال: " من دخل قتلته بسيفي هذا، وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقيمني عنه" فسير الأمير أرغون العلائي إليه، وبشره وطيب خاطره. ودخل الأمراء عليه، وسلطنوه انقضت أيام الصالح.

وكان السلطان الصالح في ابتداء دولته على دين وعفاف، إلا أنه كان في أيامه ما ذكر من قطع الأرزاق، وكثرة حركة عساكر مصر والشام في التجاريد. وشغف السلطان الصالح مع ذلك بالجواري السود، وأفرط في حب اتفاق، وأسرف في العطاء لها وقرب أرباب الملاهي، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين،.

حتى أنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمه في مائتي امرأة الأكاديش، بثياب الأطلس الملون، وعلى رءوسهن الطراطير الجلد البلغاري المرصع بالجواهر واللآلى، وبن أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكامليات الحرير، ويلعبن بالكرة، وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال يمكن حكايتها، وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم.

واستولى الخدام الطواشية في أيامه على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتي اللالا في السلطان، وركبوا الخيول الرائعة، ولبسوا الثياب الفاخرة، وأخذوا من الأراضي عدة رزق. واقتنى السحرتي البزاة والسناقر ونحوها من الطيور والجوارح، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بثياب الحرير المزركشة، واتخذ له كفاً مرصعاً بالجوهر، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب في خدمته، حتى ثقل أمره، فأنه أكثر من شراء الأملاك، والتجارة في البضائع، وأفرد له ميداناً يلعب فيه بالكرة، وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزاً أو رزقة يقول له: "النائب ما له حكم، رح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشي فلأن الدين والطواشي فلأن الدين يقضوا لك حاجتك."

وكان متحصل الدولة مع هذا كله في أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلا، ومصروف العمارة لا يزآل جملة مستكثرة في كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من بلاد

الشام وغيرها، ثم عمل فيها من أوأني الذهب وألفضة ومن ألفرش ما يجل وصفه؛ ومنذ فرغت عمارها لم ينتفع بها أحد، لشغفه بالغناء والجواري، سيما اتفاق .ولما ولدت منه اتفاق ولدا ذكرا عمل لها مهما تناهى فيه، حتى بلغ الغاية التي لا توصف عظمة.

وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة.ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك بعد قتله بها، فلما قدم بين يديه ورآه بعد غسله، اهتز وتغير لونه وذعر، حتى أنه بات ليلته يراه في نومه، ويفرغ فزعاً شديداً.

وتعلل السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد، وما برح يعتريه الأرق ورؤية الأحلام المفزعة، وتمادى مرضه وكثر إرجافه، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، في ليلة الجمعة.

وكان السلطان الصالح إسماعيل رقيق القلب، زائد الرأفة والشفقة، كريماً جواداً، مائلاً إلى الخير. وبلغ من العمر نحو العشرين سنة، منها مدة سلطته ثلاث سنين وشهرأن وأحد عشر يوماً.

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي

لما اشتد مرض أخيه شقيقه السلطاد الملك الصالح عماد الدين، ودخل، عليه الأمير أرغون العلائي في عدة من الأمراء، ليعهد بالسلطنة من بعده إلى أحد، كان الأمير أرغون العلائي غرضه في أن يعهد لشعبان، من أجل أن أمه كانت زوجته. فلم يحب الأمير آل ملك النائب وجماعة من الأمراء إلى الدخول على السلطان الصالح إسماعيل كراهة منهم في شعبان، لما كان قد اشتهر عنه من المظالم. فقآل الصالح إسماعيل بعدما بكى وأبكى الأمراء: " سلموا على النائب والأمراء، وعرفوهم أني أن مت يولوا أخي شعبان " فلما مات الصالح، واقتضى رأى الأمراء أن يعرفوا رأى المماليك السلطانية، وكان جوابهم إقامة شعبان، حضر الأمراء إلى باب القلة، واستدعوا شعبان، وأركبوه بشعار السلطنة، ومشوا في ركابه، والجاويشية تصيح على العادة، حتى إذا قرب من الإيوأن لعب ألفرس تحته وجفل من تصايح الناس، فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع الإيوأن، فتفاءل الناس عن فرسه أنه لا يقيم في السلطة الا يسيرا.

ولما طلع السلطان شعبان الإيوأن والأمراء بين يديه، جلس على كرسى السلطنة وباس الأمراء له الأرض، وأحضروا المصحف ليحلفوا، فحلف لهم أولاً أنه لا يؤذيهم، ثم حلفوا بعده، وذلك في يوم الخميس رابع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين وسبعمائة.

ولقب بالملك الكامل، ودقت البشائر، ونودى بسلطنته في القاهرة ومصر، وخطب له في الغد على منابر ديار مصر، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرا وشاما.

وفي يوم الإثنين ثامنه: جلس السلطان شعبان بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء، وخلع على الخليفة والأمراء والقضاة.

وفيه كتب بطلب الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس، فسآل الأمير قمارى الأستادار أن يستقر عوضه في نيابة طرابلس، وتشفع بالأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازي. فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه في يوم الخميس حادي عشرة، وخرج من فوره على البريد.

وفيه خلع على الأمير أرقطاى، واستقر في نيابة حلب عوضاً عن يلبغا اليحياوي، وخرج على البريد.

وفيه طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء من نيابة السلطنة، وقبل الأرض، وسآل نيابة الشام، عوضاً عن الأمير طقزدمر، وأن ينقل طقزدمر إلى مصر فأجيب ذلك، وكتب بإحضار طقزدمر.

وفي يوم السبت ثالث عشره: خلع على الأمير الحاج آل ملك النائب، واستقر في نيابة الشام عوضاً عن طقزدمر. وأخرج من يومه على البريد، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، وأن يكون ولده وابن أخيه ألفارس بحلب .وسبب ذلك أن الأمير أرغون العلائي لما قام في سلطنة شعبان هذا، قآل له الأمير الحاج آل ملك: "بشرط ألا يلعب بالحمام"، فلما بلغ السلطان شعبان ذلك نقم عليه.

وفيه رسم بطلب شجاع الدين غرلو من دمياط، فقدم في يومه. وخلع عليه شاد الدواوين. فتزل غرلو إلى دار الولاية، وقبض بيده على أطواق الأمير جمآل الدين يوسف وإلى القاهرة، وأقامه من مجلس حكمه، وأخرجه من داره، وأركبه حمارا إلى القلعة. وسبب ذلك أنه لما قبض على غرلو تقدم يوسف هذا وأمسك سيفه، وقطعه من وسطه، فكافأه غرلو على ذلك. وقبض غرلو معه على ابن أخيه وإلى الجيزة، فما زالا يحملأن المآل حتى بلغ حملها خمسين ألف درهم، سوى عدد سلاح وغير ذلك، فأفرج عنهما بعد أيام، وبعد شفاعة جماعة من الأمراء.

وفيه كتب بنقل الأمير يلبغا اليحياوي من نيابة حلب إلى ليابة دمشق، فدخلها يوم السبت ثأني عشر جمادى الأولى، وباشر نيابتها.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان بعرض أحوآل الدولة للنظر في تدبيرها فترك ما استجد من المصروف في العمائر بالقلعة والقاهرة، ورسم أن تسلم الأغنام التي استجدها أخوه الملك الصالح لجماعة المتعاملين في اللحم وبتثمينها عليهم، فكانت عدمًا تسعة عشر ألف رأس ونيف؛ وضبط السلطان أحوال المملكة.

وفيه رسم بسفر الأمير طرنطاى البشمقدار نائباً بحمص، وأنعم بتقدمته على بيبغا ططر.وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرقطاى المستقر في نيابة حلب على أرغون شاه، وخلع عليه، واستقر أستادار عوضاً عن قمارى المستقر في نيابة طرابلس.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خأناه هو وإخوته إلى صفد، من أجل أنهم كانوا ممن نام مع الأمير الحاج آل ملك النائب وقمارى الأستادار في منع شعبان من السلطنة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن زنبور، واستقر في نظر الخاص عوضاً عن الموفق عبد الله بن إبراهيم وخلع على كاتبه فخر الدين بن السعيد، واستقر عوضه في استيفاء الصحبة؛ وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى ترك بغير مصادرة وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحي من الشام بالمال الذي فرق على العرب، وبسبب حمل الغلال إلى مكة، وهو مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه رسم بعزل تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراجل من نظر درهم، واستقر عوضه بهاء الدين بن أبو بكر بن شكر.

وفيه قدم الأمير آقسنقر الناصري من طرابلس، وخلع عليه؛ وسئل نيابة السلطنة بديار مصر،فامتنع أشد الإمتناع، وحلف أيمأناً مغلظة ألا يليها.

وفيه خطب السلطان الكامل شعبان ابنة الأمر بكتمر الساقى، فامتنعت أمها من إجابته، واحتجت عليه بأن أختها تحته، ولا يجمع بين أختين، وأنه بتقدير أن يفارقها، فأنه شغف باتفاق حظية أخيه الصالح إسماعيل شغفاً

زائداً. ثم قالت أمها: "ومع ذلك فقد تغير حال المخطوبة من شدة الحزن، فأن أول من أعرس عليها أنوك بن السلطان الناصر محمد، فمات عنها وهى بكر لم يمسها؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر، وقتل؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل، ومات عنها أيضاً، فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزوج في مدة يسيرة." فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذه الكلام، وطلق أختها، وأخرج جميع ما كان لها في ليلته، ثم عقد عليها ودخل بها.

وفيه كتب بالإفراج عن أحمد بن مهنا، وعن أبن أخيه سليمان من قلعة دمشق.

وفيه أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بتقدمة ألف، وعلى ابن أصلم بإمرية طبلخأناه.

وفي مستهل جمادى الأولى: خلع السلطان الكامل شعبان على الأمراء المقدمين والطبلخأناه، وأنعم على ستين مملوك بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب، وفرق الخيول على الأمراء برسم الميدأن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا وابن أخيه، مخلع عليهما، وأعيد أحمد إلى إمرية العرب فقدم حاجب سيف بن فضل يخبر بأنه وصل إلى غزة بقوده؛ فكتب بقدومه سريعا، فقدم ومعه مائة فرس مثمنة سوى الهجن وغيرها. فخلع عليه، و لم ينعم له بالإمرية، ولا أنصف في أثمأن خيوله.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان أن يتوفر إقطاع النيابة للخاص.

وفيه خلع السلطان على الأمير بيغرا، واستقر حاجباً كبيراً ليحكم بين الناس. ورسم له السلطان أن يجلس بين يديه موقعين لكتابة الكتب للولاة، وهما رضى الدين بن الموصلي وابن عبد الظاهر.

وفيه قبض على جمال الدين يوسف وإلى القاهرة، وعلى أبن أخيه ونائبه حمود، بسعاية غرلو شاد الدواوين . وكشف غرلو رءوسهم، وضرب حمودا بالمقارع ضربا مبرحا، فوعد بأن يحضر له مالًا قد دفنه بالجيزة، فسيره صحبة أعوأنه ليأتيه بالمال فلما ركب حمود النيل وتوسطه، والقى بنفسه فيه، فغرق. فرسم بالإفراج عن جمال الدين وابن أخيه، بعناية الأمراء به.

وفي يوم السبت: نزل السلطان إلى الميدأن على العادة في كل سنة، فكان يوما مشهودا.وفيه خلع السلطان على الشريف عجلأن بن رميثة بن أبي نفي الحسني، واستقر أمير مكه.

وفيه عاد السلطان من آخر النهار على العادة إلى القلعة.

واستدعى السلطان في يوم الإثنين غرلو شاد الدواوين، بحضرة الأمراء والوزير، ورسم له أن يرتب بلاد الخاص، ويخرج من إقطاع النيابة وغيره بلاد المماليك السلطانية أرباب الجوامك الكبار، لتتوافر جوامكهم. فأفردت خمس نواح أقطعت لمائة مملوك، وطلبوا حتى فرقت عليهم المثالات، فردوها من الغد على السلطان، وقد وقفوا جميعاً فاشتد غضبه، وطلب الطواشي المقدم وأهأنه، ورسم له بضربهم وطردهم؛ فما زال به الأمراء حتى رسم أن الطواشي يضرب منهم جماعة، وأن يفرق النواحى على ثمأنين منهم، وأنعم على العشرين بإقطاعات أخر .فأقاموا مدة على الإمتناع حتى ضرب منهم جماعة كثيرة، وأنزلوا من القلعة إلى القاهرة، وقطع جميع راتبهم من لحم وغيره.

ورفع غرلو على الحاج على الطباخ المعروف بإخوأن سلار أنه يأكل كثيراً مما في المطبخ السلطاني، وأن له في كل يوم على المسلمين خمسمائة درهم، ولولده أحمد ثلاثمائة درهم، سوى الأطعمة وغيرها. فرسم السلطان

للأمير أرغون شاه أستادار بمصادرته، فأوقع الحوطة على موجوده، وأهأنه. وكان المذكور قد خدم السلطان الناصر محمد في الكرك، فلما عاد إلى السلطنة أقامه إخوأن سلار، وسلم له المطبخ، فنال سعادة جليلة، لاسيما في المهمات والأفراح التي كان السلطان الناصر محمد يعملها لأولاده ومماليكه وحواشيه، طول تلك المدة. فكان أقل ما يحصل له في كل مهم ما ينيف على عشرة آلاف درهم، مع كثرت تلك المهمات. ولما عمل مهم ابن بكتمر الساقي على بنت تنكز نائب الشام، طلب السلطان الناصر محمد الحاج على هذا في آخر المهم، وقال له: "يا حاج على رح الساعة اعمل لى خروف رميس في لون كذا"، فولى عنه وهو متنكر قد عبس وجهه. فصاح به السلطان ليرجع، وقال له: "مالك معبس الوجه؛" فقال: " كيف ما أعبس وقد أحرمتني الساعة عشرين ألف درهم؛" قال: " كيف أحرمتك؛ " قال: "عندي رءوس وأكارع وكروش وأعضاد، وكل ما سرقته من هذا المهم، أريد أن أقعد أبيعه. فقلت لي: رح اطبخ، فيتلفوا الجميع". فتبسم له السلطان، وقال. "لا رح اطبخ، وضمأنهم على". فلما ذهب الحاج على طلب السلطان وإلى مصر ووالي القاهرة، وأمرهما بطلب الزفورية إلى القلعة، وتفرقة تلك الأسقاط فيهم، فبلغ ثمنها ثلاثة وعشرين ألف درهم. فهذا أعزك الله متحصل مهم واحد من آلاف، سوى ما له في كل يوم من جهة المطبخ، وهو خمسمائة درهم، في مدة بضع وثلاثين سنة، كم أراد النشو أن يتمكن منه، والسلطان الناصر محمد يمنعه.

ولما قبض عليه وجد له خمسة وعشرون ملكا؛ فاخذت أم السلطان داره التي على البحر، وكانت من الدور العظيمة، وأخذت اتفاق داره التي بالمحمودية من القاهرة وإليه ينسب جامع الطباخ، على بركة السقاف بخط باب اللوق؛ فتعطل الجامع أياماً مدة القبض عليه، فأنه كان يقوم به من غير أن يفرد له وقفاً وأخذت أملاكه كلها، وضرب ابنه أحمد، وألزم ببيع موجوده، وحمل وهو وأبوه مالهم إلى بيت المال، ثم شفع فيه الأمير ملكتمر الحجازي، فأفرج عنه ولزم بيته بطالا.

وفي هذا الشهر صودر جماعة من أهل قوص اتهموا بأنهم وجدوا خبية مال، وأخذت أملاكهم وغيرها وصودر الجماعة الذين كتبوا في محضر وفاة السلطان المنصور أبي بكر أنه مات بقضاء الله وقدره، وأخذ جميع موجودهم، فأقروا أن المحضر زور، وأنهم أكرهوا حتى كتبوا ما لم يعاينوه.

وفيه وشى بابنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير أن في دارها بالقاهرة خبية مال، فحفر فيها نحو قامة، فلم يوجد شيء.

وفي يوم السبت خامس عشريه: قدم الأمير طقزدمر من دمشق في محفة وهو مريض، بعدما خرج الأمير أرغون العلائي إلى القائه، فوجده غير واع، ودخل عليه الأمراء وهو قد أشفي على الموت. ولما دخل طقزدمر القاهرة على تلك الحال أخذ أولاده في تجهيز تقدمة جليلة للسلطان، تشتمل على خيول وتحف وجواهر؛ فقبلها السلطان، ووعدهم بخير.

وفيه أنعم السلطان الكامل شعبان على الأمير أرغون الصالحي بتقدمة ألف، ورسم أن يقال له أرغون الكاملي، ووهب له في أسبوع واحد ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف أردب من الأهراء. ورسم له بدر شاد الشرابخأناه، وأن يعمر له من مال السلطان بجواره قصر على بركة ألفيل، ويطل على الشارع، وأقام السلطان الأمير آقجبا شاد العمائر على عمارته وفي هذا الشهر: شرع الأمير غرلو شاد الدواوين يستخدم الولاة والكتاب على مال يحمل لبيت المال، فلم يل أحد بعد ذلك الا .بمال. واستجد غرلو أيضاً مالا في المقأيضأت والنزولات عن

الإقطاعات، يحمل لبيت المال. وجعل على عبرة الدينار دينارا، فاذا كان الإقطاع عبرة مائة دينار حمل عنه لبيت المال مائة دينار، ولم يلتفت السلطان لقول الأمراء، وأجابهم بأن هذا كان يأخذه ديوأن الجيش.
وفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخر: ركب السلطان إلى السرحة بسرياقوس، ومعه حريمه. فنصبت لهن الخيم في البساتين، وأخليت المناظر التي للأمراء حتى نزل أكثرهن بها.

وفي يوم الجمعة: قدم أولاد الأمير طقزدمر إلى سرياقوس بخبر وفاة أبيهم، فلم يمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه، فدفن بخأنكاته بالقرافة. وأخذت خيله وجماله وهجنه إلى الإصطبل السلطاني، وقيدت إلى سرياقوس على العادة. ورسم السلطان أن تعمل أوراق بمتوفر إقطاع طقزدمر وما عليه من حقوق القنود، وسائر ما سومح به مما عليه للديوأن في حياته من جميع الأصناف، فلم تزل أولاده تقدم التقادم الجليلة حتى وعدوا بتقدمة سلطانية.
وفيه خلع على الأمير رسلأن بصل، واستقر حاجباً ثأنياً مع بيغرا، ورسم له أن يحكم بين الناس.
وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوأني، واستقر في نيابة الكرك؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طلليه، وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاي.
وفيه طلب السلطان العربأن الذين اتهموا بقتل ابن الرديني، وأخذ منهم مائة ألف درهم مصادرة.
وفيه مات الأشرف كجك، عن اثنتي عشرة سنة. واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله في مضجعه، على يد أربعة خدام طواشية.
وفيه قدم طلب الأمير آقسنقر طرابلس، فسار السلطان من سرياقوس حتى لقيه على بلبيس، ومنع الخدام أن تعرف زوجته أم كجك بوفاته. واختار الأمير آقسنقر من طلبه عدة خيول وجمال بخاتي وهجن، وقدمها للسلطان مع جواهر سنية وتحف بديعة، فخلع عليه السلطان، وأنعم على ولد ابن اخيه بطبلخأناه أبيه، وعمره أربع سنين.
وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة، بعدما تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والإعلأن بألفواحش، وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حأنة.
وفيه عزل تاج الدين ابن الصاحب أمين الدين بن الغنام، من نظر البيوت. وذلك أنه علم باجتهاد السلطان في تحصيل المال فضبط البيوت، ووفر فيها عشرين ألف درهم، وأعلم السلطان بها من غير علم أرغون شاه الأستادار. فتنكر عليه أرغون شاه فضربه، فسعى عليه أفلاطون كاتب سنجر الجمقدار عند غرلو بألفي دينار، فولاه عوضه، وولى أيضاً ابن وجه الطوبة نظر الأوقاف الصالحية إسماعيل، بعدما حمل لبيت المال خمسمائة دينار، وفيه طولب الموفق عبد الله بن إبراهيم بحمل مائة ألف درهم. وسبب ذلك أنه عثر على أنه باع من أراضي الخاص إلى طغيتمر الدوادار .بمائة ألف درهم، فباعها طغيتمر لابن زعازع بالبهنساوية، وألزم كل من طغيتمر وابن زعازم أيضاً بحمل مائة ألف درهم .وفيه عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان شعبان على أرغون شاه أستادار، وعقد لزوجة أرغون شاه ابنة آقبغا - وقد بأنت منه من مدة - على بيبغا روس.
وفيه رسم بإبطال المقأيضات والنزولات عن الإقطاعات، بقيام الأمراء في ذلك مع السلطان، لكرة ما فيه من المفاسد. وكتب إلى البلاد الشامية أن من مات من الأجناد أو أرباب المراتب يطالع بوفاته، ليخرج السلطان

إقطاعه أو مرتبه، فامتثل ذلك.

وفيه ألزم من بيده رزقه من أرض مصر، أو أرض استأجرها، أن يقوم عن كل فدان.بمائة وخمسين درهماً.فأخذ من ذلك مال كثير، قام غرلو باستخراجه. فازدادت مكانته عند السلطان، وعظم قدره بين الناس، وأنتمى إليه جماعة، وصاروا يغرونه بأرباب الأموال، ويفتحون له أبواب المظالم .واستدعى غرلو طغيتمر متولى البهنسي، وألزمه بحمل أربعمالة ألف درهم، وأخرق به.

وقدم جمال الدين سليمان بن ريان من حلب، وبذل في نظر الجيش بها ألف دينار حملت إلى بيت المال، ووعد بمائتي إكديش. فخلع عليه، وتوجه معه بريد لإحضار الخيل.

وفيه رسم بقطع جميع ما هو مرتب على الحوائج خاناه من التوابل للأمراء والكتاب وغيرهم. وطلب عدة من مباشري الوجه القبلي والوجه البحري، سلموا إلى غرلو فصادرهم.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الحرب بين الشيخ حسن صاحب بغداد وبين سلطان شاه وأولاد دمرداش، انتصر فيها الشيخ حسن. والتجأ سلطان شاه إلى ماردين، فحصره الشيخ حسن بها أياما، وأفسد ضياعها، ثم سار عنها بغير طائل.

وفيه هم السلطان أن ينعم على غرلو بإمرة مائة، وتولية الوزارة ونيابة دار العدل فلم يوافقه الأمير أرغون العلائي على ذلك، وأبطل أمره.

وفيه عمل السلطان داير بيت حرير مزركش، عمل فيه مبلغ أربعين ألف دينار وعمل أيضاً لحريمه عشرين بغلوطاق صدر، في كل بغلوطاق ألف دينار زركش.

وفي عشري رجب: خلع على فخر الدين بن السعيد، واستقر في نظر الخاص، عوضاً عن علم الدين بن زنبور. وخلع على ابن زنبور، واستقر كما كان في استيفاء الصحبة فكانت مدة مباشرة ابن زنبور نظر الخاص نيفاً وثمانين يوماً.

وفيه عزم على إنشاء مدرسة موضع خان الزكاة، ونزل الأمير أرغون العلائي والوزير لنظره. وكان الناصر محمد قد وقفه، فلم يوافق القضاة على حله.

وفي مستهل شعبان: استقر تاج الدين محمد بن المزين خضر بن عبد الرحمن في كتابة السر بدمشق، عوضاً عن بدر الدين محمد بن فضل الله.

وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر، وعمل لها مهماً مدة سبعة أيام بلياليها، اجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً. وكانت فيه عدة جوق مغاني، حصل لهن من الذهب والفضة وتفاصيل الحرير شيء يجل وصفه؛ وبلغ نصيب ضامنة المغاني. بمفردها ثمانين ألف درهم، سوى بقية المغاني.

وفيه استقر تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر دمشق، عوضاً عن بهاء الدين أبي بكر ابن سكرة، بعد موته. وكان ذلك بعناية الأمير أرغون العلائي، فأنه كان بعد عزله من نظر الدولة ولاه نظر الخاص بدمشق، ثم انتقض أمره.

وفي مستهل شهر رمضان :خلع على قشتمر وإلى الجيزة، واستقر شاد الدواوين رفيقا للأمير غرلو.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزيبق، بولاية الجيزة.وفيه استقر الشيخ شمس الدين

محمد بن اللبان في تدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبة الشافعي بالقرافة، عوضاً عن ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى، بعد وفاته. وكان ذلك بعناية الأمير جنكلى بن البابا، والأمير آقسنقر، بعدما استقر فيه تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي بسفارة قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فنزل ابن اللبان ودرس، ومعه الأمير أرغون الكاملي وعدة أمراء، وجماعة القضاة والفقهاء. وكان ناصر الدين فاز السقوف محتسب مصر مقيماً بقاعة التدريس، فأخرجه ابن اللبان منها، وطالبه باجرتها مدة سكنه. فرتب ناصر الدين على ابن اللبان فتيا نسبه فيها إلى قوادح، وأراد الدعوى عليه، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه قدم الشريف من مكة يريد أن يستقر شريكا لأخيه عجلان في إمرة مكة. وأحضر ثقبة قودا فيه عدة خيول، فوعد بخير.

وفيه قدمت رسل خليل بن دلغادر بتقدمته وكتابه، وقد عاد إلى الطاعة بحسن سياسة الأمير أرقطاى نائب حلب؛ فخلع على رسله، وجهز له تشريف.

وفيه أخذت أم السلطان من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج ودولابها.

وفيه قدمت الحرة من بلاد الغرب بهدية سنية تريد الحج، فرسم بتجهيزها.

وفيه أخذ السلطان من وزير بغداد دولابين، جعلهما باسم اتفاق، وعوضه عنهما ما ابتاعهما به، وهو مبلغ ثمانية وعشرين ألف درهم .وتبرع وزير بغداد للسلطان.مما أنفقه عليهما، وهو مائة ألف درهم.

وفيه قدم الخبر من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين أمير يقال له طرفوش، أقامه الأمير يلبغا اليحياوي ضدا لابن دلغادر، وأغراه به ووعده بإمرته على التركمان واقتتل طرفوش وابن دلغادر، فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقائع قتل فيها من الفريقين. خلائق. فلما قدم الأمير أرقطاى إلى حلب تلطف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يجهد حتى أصلح بينه وبين طرفوش.

ثم التفت الأمير أرقطاي إلى جهة الأمير فياض بن مهنا، وقد كثر عبثه وفساده وأخذه قفول التجار. وبذل الأمير أرقطاى جهده حتى قدم عليه فياض بن مهنا بظاهر حلب فتلقاه وأنزله، وبالغ في إكرامه، وأخذ عليه العهود والمواثيق بالإقامة على الطاعة، ثم جهزه إلى بلاده. وكتب الأمير أرقطاي بذلك إلى السلطان، فسر به سروراً زائداً، فأنه كان في قلق من أخبار فياض، وعلى عزم أن يجرد العسكر إليه ويورى بقصد سيس. وأخذ فياض في تجهيز القود إلى السلطان، وسيره، فقدم وفيه سبعون فرسا قامت عليه بألف ألف درهم، وخمسون هجينا وعشر مهريات، وعبي وغير ذلك. ثم قدم فياض عقيب قوده، فأكرمه السلطان وأحسن إليه، وأنزله.

وفي هذا الشهر: أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى، في يوم السبت سابع عشريه. فضربها الأمير نجم الدين أيوب أستادار الأكر ووالي القاهرة بالمقارع على ساقيها، ثم قطع يدها في باب زويلة.

وفي مستهل شوال: رسم للأمير أرغون الكاملي بزيارة القدس، وأنعم عليه.بمائة ألف درهم. وكتب إلى نواب الشام بالركوب إلى خدمته، وحمل التقادم له، وتجهيز الإقامات في المنازل إلى حين عوده. ورسم أن ينادي.بمدينة بلبيس وأعمالها أنه من قال عنه أرغون الصغير شنق، وألا يقال إلا أرغون الكاملي. فشهر النداء بذلك في الأعمال الشرقية، فامتثل الناس ذلك؛ وتوجه الأمير علاء الدين علي بن ملغريل في خدمته.

وفيه ركب حريم السلطان إلى ناحية الجيزة للنزهة، وصحبتهم الأمير آقسنقر فأقام بهم حتى خرج محمل الحاج

صحبة مغلطاي أمير شكار، ثم عادوا.

وحج في هذه السنة عدة من نساء الأمراء، وبالغن في زينة محفاتهن ومحايرهن وألبسوا جمالهن الحرير والقلائد المرصعة والمقاود الحرير المزركشه، وفي أيدهن خلاخل الذهب، وعليهن العبي الحرير والأجلة الزركش، حتى خرجن في ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها، وتشبه بهن غيرهن من النساء. ولم يعهد أن عمل مثل هذا ولا قريب منه فيما تقدم، فأنهن خلعن على الهجانة والسقائين الأقبية الطرد وحش، فأنكر فعلهن الناس، وذكره قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة في خطبة العيد بالقلعة وصرح بالإنكار، وصدع بالوعظ.

وفيه قدم تقي الدين سليمان بن مراجل من دمشق، وابن قرناص من حلب فبذل ابن قرناص في نظر حلب نحو ألفي دينار حتى رسم له به، عوضاً عن ابن الموصلي. فبعث ابن الموصلي ابنه بهديه سنية فيها جوارى حسان، وزوج بسط حرير، فقام غرلو معه وأوصله بالسلطان، فقبل هديته، وبسط الحرير بالدهيشة، وأقر ابن الموصلي على حاله؛ فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوما بألفي دينار.

وقام الأمير أرغون العلائي في حق ابن مراجل حتى خلع عليه، واستقر في نظر الدولة، وأجلسه السلطان بين يديه، وغرلو قائم على يديه. فتفاوضا في الكلام، بحيث قال الأمير أرغون العلائي لغرلو" :أنت شاد بعصاتك، إذا عينت لك سالا للسلطان تستخرجه " وانصرفا من المجلس، وكل منهما يترفع على الآخر.

فاشتد ابن مراجل على الكتاب، وألزمهم بعمل الحساب، ورسم عليهم؛ وكتب بطلب مباشر الشام. فلما كان بعد ثلاثة أيام تكاشف هو غرلو، وترافعا إلى السلطان؛ فأخرق السلطان بغرلو، وألزمه أن يمتثل ما يرسم له به ابن مراجل، ولا يتعداه.

وفيه قدم من دمشق علاء الدين الفرع وتوصل إلى السلطان، وقدم له تقدمة جليلة، وسأله في قضاء دمشق، عوضاً عن تقي الدين السبكي، فرسم له به، ففام الأمير جنكلى ابن البابا مع السلطان في استقرار السبكي على عادته حتى أجابه، وعوق توقيع الفرع، وعوض عن تقدمته الأوقاف بدمشق.

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه إلى سيس بطلب الحمل، وقد كان تكفور كتب في الأيام الصالحية بأن بلاده خربت، فسومح بنصف الخراج. فلما وصل إليه قاصد نائب حلب جهز الحمل، وحضر كبير دولته ليحلفوه أنه ما بقى أسير من المسلمين في مملكته، كما جرت العادة في كل سنة بتحليفه على ذلك .وكان في أيديهم عدة من المسلمين أسرى، فبيت مع أصحابه قتلهم في الليلة التي تكون خلفه في صحبيتها، فقتل كل أحد أسيره في أول الليل. فما هو إلا أن مضى ثلثا الليل خرجت في الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوادء، معها رعد وبرق أرعب القلوب. وكان من جملة الأسرى عجوز من أهل حلب في أسر المنجنيقي، ذبحها عند المنجنيق، وهي تقول " :اللهم خذ الحق منهم" فقام المنجنيقي يشرب الخمر مع أهله بعد ذبحها، حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسهم. فسقطت الشمعة وأحرقت ما حولها، حتى هبت الريح تطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل.بما فيه، وتعلقت النيران مما حوله حتى بلغت موضع تكفور، ففر بنفسه. واستمرت النار مدة اثني عشر يوماً، فاحترق أكثر القلعة؛ وتلف المنجنيق كله بالنار، وكان هو حصن سيس، ولم يعمل مثله واحترق المنجنيقي وأولاده الستة وزوجته، واثني عشر رجلاً من أقاربه. وخربت سيس، وهدم سورها ومساكنها، وهلك كثير من أهلها، وعجز تكفور عن بنائها.

وفيه نافقت العربان بالوجه القبلي والفيوم، وكثرت حروبهم وقطعهم الطرقات، فلم يمكن خروج العسكر إليهم، فأنه كان اوأن المغل، خوفاً عليه.

وفي مستهل ذي القعدة: قدم علاء الدين الحراني من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام. وفيه قدم الخبر بأنه ثارث ريح زرقاء شديدة في بلاد برقة، وأعقبها مطر عظيم جداً يوماً كاملاً. ثم نزل برد قدر بيص الحمام مجوف وبعضه مثقوب من وسطه. وتمادى حتى وصل إلى الإسكندرية والبحيرة والغربية والمنوفية والشرقية، وأفسد من الدور والزروع شيئاً كثيراً سيما الفول، فأنه تلف عن آخره؛ ونزلت صاعقة فأحرقت نخلة في دار. وقدم الخبر أن الأمير أرغون الكاملي لعب بالكرة في ميدان غزة وتوجه بعد أيام إلى القدس .فقدم عليه نائب الشام بتقدمته، ثم تواردت تقادم النواب من حلب إلى عزة ثم خرج الأمير أرغون الكاملي من القدس، فكتب بسرعة قدومه، فلما وصل قطيا خرج السلطان إلى لقائه بسرياقوس، ولعب معه في الميدان بالكرة، وقد سر بقدومه؛ ثم سار به السلطان إلى القلعة.

وفيه خلع على الأمير قبلاي، واستقر في نيابة الكرك، عوضاً عن ملكتمر السرجواني لشدة مرضه، وكتب بإحضاره.

وفيه كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جري السعاة، وتظاهر أرباب الملعوب بفنون لعبهم. وتزايد شلاق الزعر، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلمأنهم وعبيد الكتاب على الناس، وصاروا كل يوم يقفون للضراب، فتسفك بينهم دماء كثيرة، وتنهب الحوانيت بالصليبة خارج القاهرة وإذا ركب إليهم وإلى القاهرة لا يعبئون به، فإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعاً؛ فاشتد قلق الناس من ذلك، ولم يجسر أحد ينكر شيئاً من هذا.

وفيه أعرس بعض الطواشية ببعص سرارى السلطان بعد عقده عليها، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جواري بيت السلطان. وجلبت العروس على الطواشي، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده، فكان أمراً شنيعاً.

وفي مستهل ذي الحجة: قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس الحاجب، وعلاء الدين بن سعيد فكتب باستقرار الأمير بدر الدين الأمير مسعود بن خطير حاجبا عوضاً عن ألماس، وأنعم على مملوك ابن سعيد بطبلخاناه، بعد بذل نحو ستة آلاف دينار.

وفيه اشتهر أخذ البراطيل للسلطان، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب.

وفيه قدم ابن سالم قاضي القدس، وقد عزله السبكي وأثبت عليه محصرا أنه باع أيتاما من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى. وما زال ابن سالم يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان، ومثلها لمن سعى له. وفيه كثرت الإشاعة باتفاق الحاج الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا نائب الشام على المخامرة، فجهز الأمير الحاج آل ملك محضراً ثابتاً على قاضي صفد بالبراءة مما رمى به، فأنكر السلطان عليه هذا. وجهز منجك السلاح دار للكشف عما ذكره فاتفق قدوم بعض مماليك الأمير الحاج آل ملك فاراً منه، خوفاً أن يضربه على شربه الخمر، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو. فزاد هذا السلطان كراهة فيه، وأخرج منجك على البريد إليه. فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه وأنعم على منجك بألفي دينار سوى الخيل والقماش.

وفيه نودي بالقاهرة ومصر الا يعارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاعيب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.

وفيه ركب الأمير طقتمر الصلاحي البريد، ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة، وألا يصرف لأحد منهم شيئا، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم، برسم سفر السلطان للحجاز، ويشتري بذلك الجمال ونحوها، مما يحتاج إليه السلطان في سفره فمنعت الرواتب من الفقراء وغيرهم لم يصرف لأحد منهم الدرهم الفرد، فكثر ابتهالهم وتضرعهم إلى الله تعالى في الدعاء على من قطع أرزاقهم.

وفيه كتب بعد موت الأمير جنكلى بن البابا بقدوم الأمير آل ملك إلى القاهرة من صفد، ليستقر على إقطاع جنكلى، وتوجه إليه منجك لإحضاره.

وفي يوم السبت تاسع عشريه: أمسك الأمير أينبك أخو قمارى، ثم أفرج عنه من يومه.

وفيه استقر نجم الدين إبراهيم بن العماد علي بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى في قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن أبيه.

وفيه كتب باستقرار الأمير سيف الدين أراق الفتاح نائب غزة في نيابة صفد، عوضاً عن الأمير الحاج آل ملك.

ومات فيها من الأعيان فخر الدين أحمد بن الحسن بن الجار بردى، شارح البيضاوى.

ومات الأمير ألماس الناصري الحاجب، بدمشق.

ومات بهاء الدين أبو بكر بن موسى بن سكرة ناظر الدواوين بدمشق، في عاشر شعبان بها، عن ستين سنة.

وتوفي الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون.

ومات الأمير طقزدمر الحموى، وأصله من مماليك المؤيد إسماعيل بن علي صاحب حماة، بعثه للناصر محمد وهو شاب، فخطى عنه ورقاه حتى صار أمير مجلس، وزوجه بابنته. ثم ولي نيابة السلطنة في أيام المنصور أبي بكر، وولي نيابة حلب ودمشق، ثم قدم إلى القاهرة، ومات بها مستهل جمادى الآخرة؛ وله تنسب خانكاه طقزدمر بالقرافة وتوفي بدر الدين محمد بن محيي الدين بن فضل الله العمري الدمشقي كاتب السر، بدمشق في سادس عشري رجب.

وتوفي تاج الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر الأردبيلي الشافعي، مدرس المدرسة الحسامية طرنطاي بالقرافة. وكان إماما في الفقه والعربية والأصول، والجدول والحساب والمنطق؛ وقد اشتد صممه، وأنتفع بالقراة عليه جماعة.

وتوفي القاضى ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المناوي الشافعي، أحد نواب الحكم عند قاضي القضاة الشافعية، بالقاهرة في يوم السبت سادس رمضان، وتجاوز تسعين سنة.

ومات الأمير بيبرس الأحمدي أحد المماليك المنصورية البرجيه، في يوم الثلاثاء ثالث عشري المحرم، وهو في عشر الثمانين. وكان جركسي الجنس، تنقل حتى صار من أمراء الألوف في وظيفة أمير جاندار، ثم ولى نيابة صفد وطرابلس؛ وكان كريماً شجاعاً قوي النفس دينا، لم يركب قط فرسا إلا فحلاً ولم يركب حجرة قط.

ومات الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا العجلى، أتابك العساكر، في يوم الإثنين سابع عشري ذي الحجة. قدم

القاهرة سنة ثلاث وسبعمائة، وتنقل حتى صار رأس الميمنة. وله حفدة كبيرة، و لم ير أعف منه في الأمراء، مع الصدق في الديانة والحلم، والوقار وكثرة الصدقات فكان يخرج كل سنة ثمانية آلاف أردب من القمح، ومبلغ ثمانين ألف درهم، في وجوه البر، سوى زكاة ماله.

وتوفي تقي الدين محمد بن همام بن راجي الشافعي، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة، وهو مصنف كتاب سلاح المؤمن وغيره.

وفيه ضربت عنق ششملم وعنق رفيقه، وفي يوم الإثنين عاشر رجب.

ومات الشريف رميثة بن أبي نمى بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة أمير مكة، يوم الجمعة ثامن ذي القعدة .بمكه

سنة سبع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين أول المحرم: قدم منجك مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعي الأمير الحاج آل ملك، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه بها وقيد .وقيل كان القبض عليه يوم الخميس عشري ذي الحجة، بغزة.

وفي أوله أيضاً قدم الأمير ملكتمر السرجواني من الكرك وهو مريض، فمات عند مسجد تبر ظاهر القاهرة؛ ودخل إليها ميتاً، فدفن بتربته.

وفيه أيضاً قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك من صفد؛ فأمسك من ساعته، وسجن.

وفيه أيضاً خلع على الأمير أسندمر العمري، واستقر في نيابة طرابلس.

وفي يوم السبت سادسه: قدم الأمير الحاج آل ملك نائب صفد، والأمير قمارة نائب طرابلس، مقيدين إلى قليوب. وركبا النيل إلى الإسكندرية، واعتقلا بها. وكان الأمير طقتمر الصلاح قد قبض على قمارى بطرابلس، وقيده وبعثه على البريد، وأوقع الحوطة على موجوده وفيه قبض على آينبك أخي قمارى، وعلى نصرات وغلبك وحواشيهم، وأحيط بموجودهم.

وفيه ركب مغلطاي الأستادار إلى صفد لإيقاع الحوطة على موجود الأمير الحاج آل ملك، وركب الطواشي مقبل التقوى لإحضار موجود قمارى من طرابلس وألزم مباشروهما بحمل جميع أموالهما، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف أردب غلة وألزم ولده.بمائة ألف درهم، وأخذ لزوجته خبية غمز عليها فيها أشياء جليلة وأخذ لزوجة قمارى صندوق فيه مال جزيل.

وفيه استقر الأمير رسلان بصل في نيابة حماة عوضاً عن طقتمر الصلاحي، ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرقطاي .وكتب بقدوم أرقطاى، وتوجه في ذلك الأمير قطلوبغا الكركي، ومعه التقليد فأنعم عليه أرقطاى بمائة ألف درهم، وأنعم عليه طقتمر بألف وخمسمائة دينار، وعشرة آلاف درهم، ومائتي قطعة قماش، وعشرة أرؤس من الخيل، وخلعة السلطان، وخمسمائة أردب غلة من مصر، قيمتها مائة ألف درهم

وفي عشريه: قدم الأمير ارقطاي من حلب، فخلع عليه، واستقر عوضًا عن الأمير جنكلى بن البابا رأس الميمنة.

وفيه خلع السلطان على أرغون العلائي زوج أمه، واستقر في نظر المارستان المنصوري، عوضاً عن الأمير جنكلى بن البابا. فترل إليه أرغون، وأعاد جماعة ممن قطعهم ابن الأطروش بعد موت الأمير جنكلى. وأنشأ

أرغون بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم، ووقف عليه وقفا بناحية من الضواحي وفيه أنعم السلطان على طغريل بتقدمة ألف، وعزل تقي الدين سليمان بن مراجل من نظر الدولة، وقد كرهه الناس.

وفيه خلع على الأمير نجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد، وأعيد إلى الوزارة، وكانت شاغرة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، واستقر في نظر الدولة، عوضاً عن ابن مراجل. وعزل جميع من ولاه ابن مراجل من الشاميين وغيرهم، وأهينوا، وألزموا بحمل ما أخذوا من المعاليم، ونزعت أخفافهم. وألزم ابن مراجل بحمل جميع ما استأده من المعلوم، وبثمن الخلعة والبغلة والدواة، وقومت عليه بأزيد قيمة، وأرادوا أهانته بكل طريق وفيه استقر ابن سهلول في الاستيفاء، كما كان أولاً. واستقر النشو بن ريشة مستوفيا.

وفيه قدم الأمير مغلطاى.مما وجد للأمير الحاج آل ملك، وهو مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم، وأربعة آلاف دينار. ووجد له أيضاً ثمن غلة مبتاعة. بمكة نحو مائة ألف وثلاثين ألف أردب، ونحو عشرين ألف جلد حبشي. ووجد له عشرون فرسا، سوى ما أرصده للتقدمة، وعدمًا سبعون فرساً، سوى الهجن والبخاتى، ونحو عشرين بقجة قماش. ووجد له أربعة عشر قطار بخاتى، أنعم بها على أربعة عشر خادماً فشق ذلك على الأمراء.

وفيه قدم مقبل من طرابلس بجميع قماش نساء الأمير قمارى، وما وجده له، وفيه زنة سبعين مثقال من الجواهر، فرقه السلطان على اتفاق وغيرها، وفيه مبلغ أربعين ألف درهم وثلاثة آلاف دينار، وزركش بنحو مائتي ألف درهم.

وفي مستهل صفر: قدم ابن زعازع من البهنسا، وسعى ببعض الكتاب حتى سلم إليه على مائة ألف درهم، فعاقبه حتى مات. فاتهم ابن زعازع بأنه أخذ له مالاً كبيراً، وخرج الأمير مغلطاي إلى البهنسا وقبض عليه، وأخذ منه ألفي ألف ومائة وستين ألف درهم، ومائتي جارية، وستين عبداً وستين فرساً، وألفا وثمانمائة فدان على سبيل الرزق، سوى القنود والأعمال والمعاصر؛ ثم سمره مغلطاي وشهره في النواحي.

وفيه قدم طلب الأمير الحاج آل ملك؛ ففرقت مماليكه على الأمراء، ونزل بعضهم في البحرية.

وفيه أخرج مماليك قمارى من الحلقة.

وفيه انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملي وإصطبله الأعظم، وأنفق فيه مال عظيم، وأخد فيه من بركة النيل نحو العشرين ذراعا. فلما عزم أرغون الكاملي على النزول إليه مرض، فقلق السلطان لمرضه، فبعث له فرساً وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه. وأخرج الأمير أرغون العلائي أيضاً عشرة آلاف درهم تصدق بها عنه، وأفرج عن أهل السجون، وركب السلطان لعيادته بالميدان.

وفيه اهتم السلطان بالسفر إلى الحجاز، ورسم بحمل مائة ألف وخمسين ألف أردب شعير وندب لها الأمير عز الدين أزدمر الكاشف فألزم الأمير عز الدين أزدمر الفلاحين بالوجه البحري عن آخرهم بحمل شعير على حساب كل أردب بسبعة دراهم، وكتب لآل مهنا بالشام أن يسيروا الهجن المخبورة، فقدم حيار بن مهنا ومعه قود جليل، فقبل منه، وقومت خيوله بمائتي ألف درهم. ثم قدم أحمد بن مهنا أيضاً، بقود غير طائل.

وفي يوم الجمعة رابع عشريه: ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير بكتمر الساقى.

وفي يوم السبت خامس عشريه: أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك، وعن أخيه قمارى، وألزما بيوتهما.

وفي مستهل ربيع الأول: قدم البريد بانتشار الجراد بأعمل دمشق والبلقاء، ورعيه زروعهم وقد أدرك الشجر، وأنه عم البلد حتى وصل إلى الرمل وقرب من الصالحية؛ فهلك الشعر عن آخره.
وفيه تحسن سعر الغلة، حتى أبيع الأردب القمح بثلاثين درهما.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس، وأحضر عنده، الأوباش، فلعبوا باللبخة، وهي عصى كبار حدث اللعب في هذه الدولة، وقتل في اللعب بها جماعة. فلعبوا بها بين يديه، وقتل رجل رفيقه، فخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بخبز في الحلقة واستمر السلطان بلعب الكرة في كل يوم، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجواري. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال" :خلوا كل أحد يعمل ما يريد."
فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلائي فيه مع السلطان، حتى عاد إلى القلعه وقد تظاهر الناس بكل قبيح، ونصبوا أخصاصا في جزيرة بولاق والجزيرة الوسطانية التي سوها حليمة، بلغ مصروف كل خص فيها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم. وعمل كل خص بالرخام والدهان البديع، وزرع حوله المقائي والرياحين، وأقام بها معظم الناس من الباعة والتجارة وغيرهم، وكشفوا ستر الحياء، وبالغوا في التهتك.مما تهوى أنفسهم في حليمة، وفي الطمية وتنافسوا في أرضها حتى كانت كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهماً، فيبلغ الفدان الواحد منها بثمانية آلاف درهم، ويعمل فيها ضامن يستأجر منها الأخصاص. فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء، وغرقت الجزيرة فاجتمع فيها من البغايا والأحدا وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته، وأنفق الناس بها أموالا تخرج عن الحد في الكثرة. وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلا، إلى أن قام الأمير أرغون العلائي في أمرها قياماً عظيماً، وأحرق الأخصاص على حين غفلة، وضرب جماعة وشهرهم، فتلف بها مال عظيم جداً وفي هده الأيام: قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض، وصار من بولاق إلى منشاة المهراني ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقاً واحداً. وبعد على السقائين طريق الماء، فألهم صاروا يأخذون الماء من قريب ناحية منبابة وبلغت الراوية الماء إلى درهمين، بعد نصف وربع درهم؛ فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلائي.
فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة، وانكشاف ما تحت بيوت البحر من الماء، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك، فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة النيل واقتضى الرأى أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر، ويرمي من بر الجيزة إلى المقياس، حتى يصير جسرا يعمل عليه، ويدفع الماء إلى الجهة التي أنحسر عنها. فنقلت الأتربة في المراكب، والقيت هناك إلى أن بقي جسراً ظاهراً، وتراجع الماء قليلا إلى بر مصر؛ فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر.
وفيه لعب السلطان مع الأمراء بالكرة في الميدان من القلعة، فاصطدم الأمير بيبغا الصلاحي مع آخر سقطا معاً عن فرسيهما إلى الأرض. ووقع فرس بيبغا على صدره، فانقطع نخاعه، ومات لوقته، فأنعم بإقطاعه على قطلوبغا الكركي.
وفيه قدم الشريف عجلان بن رميثة من مكة وصحبته القود، فمنع من الأنعام عليه بعادته عند قدومه بقوده، وهى أربعة آلاف درهم. وكتب إلى أخيه ثقبة ألا يعارض وأن يحضر إلى القاهرة.
وفيه كتب إلى نائب حماة بإيقاع الحوطة على الأملاك والأراضي التي تقدم بيعها من الملك المؤيد إسماعيل ومن

ولده، فألها أبيعت بدون القيمة، فقام أربابها بقيمة المثل وحصل منهم ثلاثمائة ألف درهم.

وفيه قدم علاء الدين بن الحراني ناظر دمشق، وشكا من قطع طقتمر الصلاحي مرتبات الناس ببلاد الشام .فلم تسمع شكواه، ورسم له ألا يصرف لأحد مرتبا ولا حوالة يحال بها على مال الشام، بل يوفر الجميع لمهم السفر للحجاز. ثم عاد علاء الدين بن الحراني إلى دمشق، وتوجه صحبته تقي الدين سليمان بن مراجل، بشفاعته له في السفر.

وفيه قدمت رسل ابن دلغادر بكتاب يتضمن أنه أخذ قلعة كانت بيد الأرمن، إحتوى على ما فيها وقتل أهلها، فأنعم عليه بها.

وفيه أخرج الأمير ايتمش عبد الغني أحد الطلبخاناه على البريد، منفيا إلى الشام.

وفيه ولد السلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز، فدقت البشائر. ونزل الأمير قطلوبغا الكركي إلى الأمراء يبشرهم، فلبس من أربعة وعشرين أميراً مقدماً أربعة وعشرين تشريفاً أطلس بحوائصها، سوى الذهب والفضة والخيل والتفاصيل. وأعفى قطلوبغا مقدمين من الأخذ منهما، وهما علاء الدين علي بن طغريل وبهادر العقيلي، من أجل ألهما أخذا الإمرة عن قريب. وأنعم عليه السلطان مع ذلك من الأهراء بخمسة عشر ألف أردب غلة، فاشتد حد المماليك له على ما ناله من السعادة فلم يطل عمر هذا المولود، ومات.

وفيه اشتدت المطالبة على أهل النواحي بالجمال والشعير والأعدال والأخراج والعبي، بسبب سفر السلطان للحجاز. وكثرت مغارم أهل النواحي للولاة والرقاصين، وشكا أرباب الإقطاعات ضرر بلادهم للسلطان، فلم يلتفت لهم. وقام في ذلك الأمير أرغون شاه أستادار مع الأمير أرغون العلائي، في التحدث مع السلطان في إبطال حركة السفر، حتى تفاوضا بسببه وتنافرا. فحدث الأمير أرغون العلائي السلطان في تركه السفر، فلم يصغ لقوله، وكتب باستعجال العرب بالجمال، واستحثاث طقتمر الصلاحي فيما هو بصدده من ذلك.

وفيه أوقع السلطان الحوطة.على أموال الطواشي عرفات، وأخرج إلى الشام. وقصد السلطان أخذ أموال الطواشي كافور الهندي، فشفعت فيه خوند طغاى، فأخرج إلى القدس. وكان عرفات وكافور من خواص السلطان الملك الناصر محمد ونالا سعادة عظيمة؛ وبنى كافور تربة عظيمة بالقرافة.

وفيه نفي أيضاً ياقوت الكبير، وكافور المحرم، وسرور الدماميني.

وفي ثامن عشره: نفي أيضاً من الطواشية دينار الصواف، ومختص الخطائي.

وأهل ربيع الآخر: ففيه قدم الخبر.بموت تاج الدين محمد بن الزين خضر بن محمد ابن عبد الرحمن كاتب السر بدمشق، فرسم أن يستقر عوضه في كتابة السر بدمشق ناصر الدين محمد بن يعقوب عبد الكريم بن أبي المعالي، وأن يستقر جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود كاتب السر بحلب، على عادته.

وفيه اشتد فساد العربان بالصعيد والفيوم والإطفيحية، فأخرج الأمير غرلو إلى إطفيح فأمن غرلو شيخ العربان مغنى، وأخذ في التحيل على نمي حتى قبض عليه، وسلمه لمغنى، فعذبه عذاباً شديداً. فثارت أصحابه، وكبسوا الحي وتلك النواحي، وكسروا عرب المغنى، قتلوا منهم ثلاثمائة رجل وستين امرأة، وذبحوا الأطفال، ولهبوا الأجران وهدموا البيوت، ولحقوا بعربان الصعيد والفيوم فكانت عدة من قتل منهم في هذه السنة نحو الألفي انسان، لم يفكر أحد في أمرهم، ولا فيما أفسدوه.

وفيه مات ولد السلطان من ابنة الأمير تنكز، فولد له في يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه، وسر به سروراً زائداً، وقصد أن يعمل له مهما وتدق البشائر فمنعه الأمير أرغون العلائي من ذلك، فعمل فرحا مدة سبعة أيام .وكان السلطان قد عمل لاتفاق على ولادها بشخاناه ودابر بيت، وغشاء مهد الولد وقماطه، عمل فيهم مبلغ ستة وثمانين ألف دينار. وحصل لآرباب الملهى أيام ألفرح من خلع الخوانين عليهم البغالطيق بداير زركش، وباولى وطرازات زركش وغير ذلك، ما يعظم قدره. ومع ذلك مات الولد يوم سابعه.

وفيه مات يوسف بن السلطان الناصر محمد، واتهم السلطان بقتله.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحي من الشام، ومعه مبلغ ألف ألف درهم، لتتمة جملة ما حمل من الشام ألف ألف وستمائة ألف درهم، مما توفر من المرتبات التي اقتطعت وجيء من الأعمال بالصنف، وذلك سوى الأصناف المستعملة برسم السفر.

وفيه ورد كتاب الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام، مما اتفق بها من أخذ الأموال وانقطاع الجالب إليها، وأن الرأي تأخير السفر إلى الحجاز في هذه السنة فقام الأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازة في تصويب رأي نائب الشام، وذكرا ما حدث ببلاد مصر من نفاق العربان، وضرر الزرع، وكثرة مغارم البلاد. وما زالا حتى رجع السلطان عن السفر، وكتب لنائب الشام بقبول رأيه في ذلك، وكتب إلى الأعمال باسترجاع ما قبضه العرب من كرى الجمال ورمى البشماط الذي عمل على الباعة.

فلم يوافق هذا غرض نساء الساطان ووالدته؛ وأخذت والدته في تقوية عزمه على السفر حتى قوي، وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لابد من السفر للحجاز، وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه .واشترى السلطان الجمال، وطلب الكاشف، ورسم له عربان مصر وتفرقة المال عليهم، لكرى أحمال الشعير والدقيق والبشماط. فتجدد الطلب على الناس، وحملت الغلال إلى الطحانين لعمل البشماط والدقيق، واستعيد ما رمي من دلك. فتحسن سعر الغلة، واختلت النواحي من العنف في الطلب، ورفعت أجرة الجمل إلى العقبة عشرة دراهم وإلى ينبع ثلاثين درهما، وإلى مكة خمسين درهماً واشتغل الناس بهذا المهم، وتوقفت أحوال أرباب المعايش، وقل الواصل من كل شيء.

وأخذ الأمراء في أهبة السفر، وقلقوا لذلك، وسألوا الأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازي في الكلام مع السلطان في إبطال سفره، وتعريفه رقة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك في نوبة الناصر أإحمد، ومن خراب بلادهم لطلب الكشاف والولاة فلاحيها بالشعير وغيره فكلما السلطان بذلك، فاشتد غضبه وأطلق لسانه؛ فما زالا به حتى سكن غضبه؛ فرسم من الغد الحج لجميع الأمراء بالتأهب للسفر، ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة. فاشتد الأمر على الناس بديار مصر وبلاد الشام، وكثر دعاؤهم لماهم فيه من السخر والمغارم.

وتنكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه وبلغ الأمير يلبغا اليحياوي قتل يوسف أخي السلطان، وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافق لأغراض نسائه، فجمع أمراء دمشق، وحلفهم على القيام معه، وبرز إلى ظاهر دمشق في نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرنطاي البشمقدار نائب حمص، والأمير أراق الفتاح نائب صفد، والأمير أستدمر نائب حماة، والأمير بيدمر البدري نائب طرابلس. فاجتمعوا جميعاً ظاهر

دمشق مع عسكرها، وكتبوا بخلع الملك الكامل، وظاهروا بالخروج عن طاعته. وكتب الامير يلبغا اليحياوي نائب الشام إلى السلطان: "إني أحد الأوصياء عليك، وإن مما قاله الشهيد رحمه الله لي وللأمراء في وصيته، إذا أقمتم أحداً من أولادي و لم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد، وقتلت أخاك، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر: وصرت تبيع أخبار الأجناد بالفضة" وذكر الأمير يلبغا اليحياوي له أموراً فاحشة عملها، فقدم كتابه في يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى. فلما قرأه السلطان الكامل تغير تغيراً زائداً، وأوقف عليه الأمير أرغون العلائي. بمفرده، فقال له" :والله لقد كنت أحسب هذا، وقلت لك فلم تسمع قولي"، وأشار عليه بكتمان هذا. وكتب الكامل الجواب يتضمن التلطف في القول، وأخرج الأمير منجك على البريد إلى الأمير يلبغا اليحياوي في ثاني عشريه، ليرجعه عما عزم عليه، ويكشف أحوال الأمراء؛ وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإطال السفر.

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء، والمماليك، فأشار الأمير أرغون العلائي على السلطان بإعلام الأمراء الخبر. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاي، ومعه من الأمراء منكلى بغا الفخري أمير جاندار، وآقسنقر الناصري، وطيبغا المجدي، وأرغون الكاملي، وأمير علي بن طغريل النوغاي، وابن طقزدمر، وابن طشتمر، وأربعين أمير طبلخاناه، وعشرين أمير عشرة، وأربعين مقدم حلقة. وحملت النفقة إليهم: لكل مقدم ألف دينار، ماعدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار؛ وكتب بإحضار الأجناد من البلاد فقدم كتب منجك من الغور .بموافقة النواب لنائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تفيد فأنه يقول أن أمراء مصر معه. وقدم كتاب نائب الشام أيضاً - وفيه خط أمير مسعود بن خطير، وأمير علي بن قراسنقر، وقلاوون، وحسام الدين البقشمدار - يتضمن: "أنك لا تصلح للملك، وأنك أنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء"، وعدد ما فعله.

ثم قال: "ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا .والمصلحة أن تعزل نفسك."

فاستدعى السلطان الكامل الأمراء، وحلفهم على طاعته، ثم أمرهم بالسفر إلى ، فخرجوا من الغد، وخرج طلب منكلى بغا الفخري، وبعده أرغون الكاملي.

وعندما وصل أرغون الكاملي تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليشه إلى الأرض، فصاحت العامة: " راحت عليكم ياكاملية"، وتطيروا بأنهم غير منصورين. وأخذ المجردون في الخروج شيئاً بعد شيء، وتقدم حلاوة الأوجاقي يوم الخميس عشريه، وأخبر بأن منجك ساعة وصوله دمشق قبض عليه يلبغا اليحياوي نائب الشام، وسجنه بالقلعة. فبعث السلطان الطواشي سرور الزيني لإحضار أخويه أمير حاجي وأمير حسين؛ فاعتذر بوعكهما، وبعثت أمهاتهما إلى الأمير أرغون العلائي والأمير الحجازي يسالأهما في التلطف مع السلطان في أمرهما.

فبلغت الأمير أرغون بعض جواري زوجته، أم السلطان الكامل، أنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه وقال: " إلهي أعطيتني الملك، ومكنتني من آل ملك وقمارى، وبقي العلائي والحجازي، فمكنى منهما حتى أبلغ غرضى فيهما"؛ فأقلقه ذلك. ثم دخل الأمير أرغون العلائي على السلطان في خلوة، فإذا هو متغير الوجه مفكر.

فبدره السلطان بأن قال له" :من جاءك من جهة إخوتي أنت والحجازي"؛ فعرفه أن النساء دخلن عليهما، وطلبت أن يكون السلطان طيب الخاطر على أخويه ويؤمنهما فأهما خائفان. فرد عليه السلطان جواباً جافياً، ووضع يده في السيف ليضربه به، فقام عنه لينجو بنفسه.

وعرف الأمير أرغون العلائي والأمير ملكتمر الحجازي بما جرى له، وشكا من فساد السلطنة. فتوحش خاطر كل منهما، وأنقطع العلائي عن الخدمة وتعلل. وأخذت المماليك أيضاً في التنكر على السلطان، وكاتب بعضهم الأمير يبلغا اليحياوي نائب الشام، واتفقوا بأجمعهم حتى اشتهر أمرهم وتحدثت به العامة؛ ووافقهم الأمير قراسنقر.

فألح السلطان في طلب أخويه، وبعث قطلوبغا الكركي في جماعة حتى هجموا عليهما ليلاً؛ فقامت النساء ومنعوهما منهم .فهم السلطان أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما، فجيء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشريه، فأدخل بهما إلى موضع، ووكل بهما، وقام العزاء في الدور عليهما. وهمت المماليك بالثورة والركوب للحرب.

وفي يوم الاثنين مستهل جمادى الآخر: خرج الأمير أرقطاى بطلبه، حتى وصل طلبه إلى باب زويله، ووقف مع الأمراء في الموكب تحت القلعة، وإذا بالناس قد اضطربوا. ونزل الأمير ملكتمر الحجازي سائقاً يريد إصطبله، وتبعه الأمير أرغون شاه أيضاً إلى جهة إصطبله. وسبب ذلك أن السلطان جلس بالإيوان على العادة، وقد بيت مع ثقاته القبض على الأمير ملكتمر الحجازي والأمير أرغون شاه إذا دخلا، وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة. فخرج طغيتمر الدوادار ليأذن لهما، فأشار لهما بعينه أن يذهبا وكان قد بلغهما التنكر عليهما، فقاما من فورهما ونزلا إلى خيولهما، فلبسا وسارا إلى قبة النصر، وبعث الأمير ملكتمر الحجازي يستدعي آقسنقر من سرياقوس، فما تضحى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر.

وطلب السلطان الأمير أرغون العلائي واستشاره، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب ومعه الأمير أرغون العلائي وقطلوبغا الكركي وتمر الموساوي، وعدة من المماليك. وأمر السلطان فدقت الكوسات حربيا، ودارت النقباء على أجناد الحلقه والمماليك ليركبوا، فركب بعضهم.

هذا وقد قدم آقسنقر إلى قبة النصر، وصار السلطان في جميع كبير من العامة، وهو يسألهم الدعاء، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق. وسار السلطان في ألف فارس حتى قابل الأمراء، فأنسل عنه أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس. فبز له آقسنقر ووقف معه، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة، فاجابه إلى ذلك وبكى. فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء، وعرفهم ذلك. فلم يرض أرغون شاه، وبدر ومعه قرابغا وصمغار وبزلار وغرلو في أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان، وسيروا إلى الأمير أرغون العلائي أن. يأتيهم، ليأخذوه إلى عند الأمراء. فلم يوافق الأمير أرغون العلائي على ذلك، فهجموا عليه، وفرقوا من معه، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض؛ فضربه يلبغا أروس بسيف قطع خده، وأخذ أسيراً، فسجن في خزانة شمايل وفر السلطان الكامل شعبان إلى القلعة، واختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلائي.

وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير حاجي وأمير حسين من سجنهما، وقبلوا يد أمير حاجي، وخاطبوه بالسلطة. وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه، حيث كان أخويه مسجونين؛ ووكل به قرابغا القاسمي وصمغار.

ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجي وأمير حسين حتى كان غداءهما، وعمل سماط السلطان على العادة. فوقعت الضجة، وقد مد السماط فركب السلطان شعبان من غير أكل. فلما انهزم شعبان وقبض عليه، وأقيم أخوه أمير حاجي بدله، مد السماط بعينه له فأكل معه حاجي؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل، فأكله في السجن ثم قتل شعبان في يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر، ودفن عند أخيه يوسف، ليلة الخميس فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً، وكثر التظاهر فيها بالمنكرات، لشغفه باللهو، وعكوفه على معاقرة الخمر، وسماع الأغاني واللعب، وبيعه الإقطاعات والولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حي.بمال الآخر، فإذا وقف من أخرج إقطاعه قيل له:"نعوض عليك" وأخذ الأمراء على شعبان تمكينه الخدام والنساء من التصرف في المملكة، والتهتك في التره والصيد، واللعب بالكرة بالهيئات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات، حتى أن حريمه إذا نزلن إلى نزهة تبلغ عندهن الجرة الخمر إلى ثلاثين درهماً وشره حريم شعبان فيما في أيدي الناس من الدواليب والأحجار، والبساتين والدور، ونحوها.
فأخذت أمه معصرة وزير بغداد، وأخذت إتفاق أربعة أحجار وأخدت أمه أيضاً من وزير بغداد منظرة على بركة الفيل.
وحدث في أيامه أخذ خراج الرزق، وزيادة القانون، ونقص الأجاير؛ وأعيد ضمان أرباب الملاعيب. و لم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار، وخمسمائة ألف درهم. وكان مع ذلك مهاباً سيوساً، متفقداً لأحوال المملكة، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة؛ وكان حازماً ذا رأي واحتياط ومحبة لجمع المال، وفيه قيل :

في عاجل كانت بلا آجل   بيت قلاوون سعاداته

دين قد استوفاه بالكامل   حل على أملاكه للردى

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحي الألفي سجنه أخوه شعبان الكامل كما تقدم، ومعه أخوه حسين .فلما انهزم شعبان من الأمراء مر وهو سائق في أربعة مماليك إلى باب السر، فوجده مغلقا والمماليك بأعلاه، فتلطف بهم حتى فتح له أحدهم، ودخل ليقتل أخويه، فلم يفتح الخدام له الباب، فمضى إلى أمه.
وصعد الأمراء إلى القلعة، وقد قبضوا على الأمير أرغون العلائي، وعلى الطواشي جوهر السحرتى اللالا، وأسندمر الكاملي، وقطلوبغا الكركى، وجماعة ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة، وطلبا أمير حاجي، فادخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما. وبشرا حاجي بالظفر. ثم دخل الأمير أرغون شاه إلى حاجي، وقبل له الأرض، وقال له: "باسم الله، اخرج أنت سلطاننا "، وسار به وبحسين إلى الرحبة، وأجلسه على باب الستارة.
ثم طلب الأمير أرغون شاه شعبان الكامل حتى وحده قائما بين الأزيار، وقد اتسخت ثيابه؛ فأخرجه إلى الرحبة، وأدخله إلى الدهيشة حتى سجنه بها، حيث كان حاجي.
وطلب الأمير أرغون شاه الخليفة والقضاة، وأركب حاجي من باب الستارة إلى الإيوان وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم حتى جلس حاجي على سرير الملك، في يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة. ولقب حاجي بالملك المظفر، له من العمر خمس عشرة سنة. وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحلف لهم أولا أنه لا يؤذي أحداً منهم، ولا يخرب بيت أحد، وحلفوا له على طاعته. وركب الأمير بيغرا البريد ليبشر الأمير يلبغا اليحياوي

نائب الشام، ويحلفه وأمراء الشام.
وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحي من المغارم، ورماية الشعير والبرسيم.
وفيه حمل الأمير أرغون العلائي إلى الإسكندرية.
وفي يوم الأربعاء ثالثه: قبض على الشيخ علي الدوادار، وعلى عشرة من الخدام الكاملية، وسلموا إلى شاد الدواوين. وسلم له أيضاً الطواشي جوهر السحرتى وقطلوبغا الكركي ومقبل الرومي، وألزموا بحمل الأموال التي أخذوها من الناس على قضاء الأشغال، فعذبوا بأنواع العذاب، ووقعت الحوطة على موجودهم.
وفيه قبض على الأمير تمر الموساوي، وأخرج إلى الشام
وفيه أمر بأم الكامل وزوجاته، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة وعرضت جواري دار السلطان، فبلغت عدقمن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء.
وفيه أحيط بموجود إتفاق، وأنزلت من القلعة. وكانت سوداء حالكة السواد اشترقما ضامنة المغاني بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغاني.بمدينة بلبيس، وعلمتها الضرب بالعود على عبد علي العواد، فمهرت فيه . وكات إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء، قدمتها ضامنة المغاني لبيت السلطان، فاشتهرت فيه، حتى شغف بها الصالح إسماعيل وتزوج بها. ثم لما تسلطن شعبان الكامل باتت عنده من ليلته، لما كان في نفسه منها أيام أخيه، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف في زمالها لامرأة غيرها، حتى أنه عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا، وعرضه ستة أذرع، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية سوى البشخاناه والمخاد والمساند. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة بداير زركش وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم، وأقلها بخمسة آلاف درهم، إلى غير ذلك مما يجل وصفه.
وفيه وفر من مصروف الحوائج خاناه في كل يوم أربعة آلاف درهم.
وفيه رسم بإعادة الأملاك التي أخذها حريم الكامل لأربابها؛ فاستعاد الوزير نجم الدين معصرته، وأخذ من اتفاق وغيرها ما أخذته من الناس.
وفيه نودي في القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعيب جميعهم.
وفي عاشره: وجد صندوق مفتاحه تحت يد الشيخ علي الدوادار،. فيه براني فضة مختومة، وأحقاق فتحت بحضرة الأطباء، فإذا هي سموم قاتلة. فعرض العذاب على الشيخ علي حتى اعترف أن المزين المغربي الذي أقامه الكامل رئيس الجرائحية ركب ذلك. فاحترق بالنار قدام الايوان وكان هذا المغربى تعرف بأولاد السلطان وهم بقوص، وقدم معهم؛ فلما تسلطن شعبان الكامل تقرب إليه بعمل السموم وصناعة الكيمياء.
وكان قد قدم في الأيام الناصيرية محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية إلى ملكتمر، الحجازي فأعجبته مصر وأسلم، وعرف بآقسنقر الرومي. وأنعم عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة، وما زال.بمصر إلى أيام شعبان الكامل فتقرب إليه آقسنقر الرومي بعمل الفلك والشعبذة، واختص به، وقام مع المغربي في عمل السموم؛ وخرج على البريد مرارا لإحضار الحشائش القاتلة من بلاد الشام، حتى ركبت بين يدى الكامل وفيه نقل علم الدين عبد الله بن زنبور من نظر الدولة إلى نظر الخاص، عوضاً عن فخر الدين بن السعيد.
وفيه قبض على ابن السعيد، وألزم بحمل مال.
وفيه خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم، واستقر في نظر الدولة وخلع على سعد الدين بن جرباش،

واستقر في الاستيفاء، عوضاً عن ابن ريشة.
وفيه قبض على أقطوان متولي الأهراء، والصناعة، وشد الأوقاف الصلاحية، ونظر الحرمين، وسلم لشاد الدواوين، فأنه كان تجاه أستاذه الطواشي شجاع الدين اللالا، واجتمع له خمس عشرة وظيفة، وبعد صيته واشتدت حرمته.
وفيه قدم بيغرا من الشام، وقد لقى الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام، وقد برز خارج دمشق يريد المسير إلى مصر بالعساكر فسر الأمير يلبغا اليحياوي سروراً زائداً بإزالة الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجي، وعاد إلى دمشق، وحلف الأمراء على العادة.
وأقام يلبغا اليحياوي الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان حاجي وسير دنانير ودراهم منها وكتب يهنئ السلطان حاجي بجلوسه على تخت الملك.
وشكا الأمير يلبغا اليحياوي من نائب حلب، ونائب غزة ونائب قلعة دمشق مغلطاي المرتيني، ومن نائب قلعه صفد قرمجي، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه في طاعة شعبان الكامل. فرسم بعزل طقتمر الأحمدي نائب حلب، وقدومه إلى مصر، واستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه في نيابة حلب، واستقرار الأمير أسندمر العمري نائب حماة في نيابة طرابلس، والقبض على مغلطاي المرتيني نائب قلعة دمشق، وعلى قرمجي نائب قلعة صفد، وعزل نائب غزة، وأن يحضر الأمير أيتمش عبد الغني وقطليجا الحموي إلى مصر، واستقرار أمير مسعود بن خطير في نيابة غزة، واستقرار طقتمر الصلاحي في نيابة حمص.
وكان الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام لما عاد إلى دمشق، عمر قبة عند مسجد القدم حيث كان قد برز، وسماها قبة النصر؛ وهي التي تعرف بقبة يلبغا.

وفي رابع عشره: خلع علي بمنبر السحرتي، واستقر مقدم المماليك، عوضاً عن محسن الشهابي.
خلع على مختص الرسولى، واستقر زمام الدور، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.
وفيه قبض على ممدود بن الكوراني أمير طبر، وعلى أخيه علاء الدين علي بن الكوراني واستقر جمال الدين يوسف وإلى الجيزة عوضه أمير طبر، وعزل علاء الدين الكوراني من كشف الوجه القبلي.
وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرغون العلائي على الأمير أرغون شاه.
وفيه أنعم على كل من الأمير أصلم والأمير أرقطاي بزيادة اقطاعه.
وفيه استقر علاء الدين بن الأطروش في حسبة دمشق، وتدريس الخاتونية.
وفيه أنعم على ابن الأمير تنكز بإمرة طبلخاناه، وعلى أخيه بإمرة عشرة.
وفيه أنعم على ابن الأمير ألطنبغا نائب حلب، بإمرة عشرة في دمشق.
وفي يوم الإثنين خامس عشره: أمر السلطان ثمانية عشر أميراً، فكان يوماً مشهوداً كثر فيه جميع الناس عند نزولهم إلى القبة المنصورية على العادة.
وفي سابع عشرة: أخرج آقجباي إلى حماة.
وفي يوم الخميس ثالث شهر رجب: خلع على الأمير أرقطاى، واستقر نائب السلطان باتفاق الأمراء عليه، بعدما تمنع من ذلك تمنعاً كثيراً، حتى قام الحجازي بنفسه وأخذ السيف، وأخذ أرغون شاه الخلعة، ودارت

الأمراء حوله وألبسوه على كره منه. فخرج الأمير أرقطاى في موكب عظيم حتى جلس في شباك دار النيابة، وحكم بين الناس فرسم له بزيادة ناحيتي المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة.

وفيه توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة.

وفيه خرج الأمير بيدمر البدرى إلى نيابة حلب.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريه. خلع على الأمير قطليجا، واستقر في ولاية القاهرة، وفيه نقل من تسليم شاد الدواوين إلى تسليم والي القاهره ستة خدام، وهم نصر الهندي، وأنس، وفاتن الصالحي، وسرور الزيني، وعنبر سيغا، وجوهر السحرتى اللالا، ومعهم المزين المغربي، ونصراني راهب. ورسم بتسميرهم جميعاً، فأخرجوا من الغد ليسمروا بسوق الخيل تحت القلعة، وأقعدوا على الجمل وربطوا. فشفع فيهم الأمراء فأنزلوا ومضوا بهم ماشين إلى خزانة شمايل؛ ثم أفرج عنهم في يقية يومهم، ونفوا من مصر وكان القمح قد تحسن في الدولة الكاملية من أول السنة، هو وجميع الغلال، وبلغ خمسة وخمسين درهماً الأردب، وبلغ الشعير اثنين وعشرين درهماً الأردب، والفول عشرين درهما. فانحط سعر القمح في الأيام المظفرية إلى خمسة وثلاثين درهماً، ونقص من بقية الغلال ثلث سعرها، فتيامن الناس به.

وفيه أخذت الباعة تتعنت في الفلوس، وترد الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال، وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه، فنودي برد القصوص من الفلوس، ورد الرصاص والنحاس الأصفر منها، وألا يؤخذ إلا ما عليه سكة. وترافقوا بالناس، و يضرب أحد منهم بسبب ذلك، فمشت الأحوال.

وفيه قدم الأمير أيتمش عبد الغني، والأمير قطليجا الحموي. فرسم لأرغون الكاملي بلزوم بيته، وأخرجت تقدمته، وعوض عنها بطبلخاناه يأكلها وهو في بيته.

وفي مستهل شعبان :ابتدأ مرض الأمير بهاء الدين أصلم، فأقام أياماً ومات؛ فأنعم بإمرته على طغيتمر النجمي الدوادار. وأخذ إقطاعه - وهو عبرة مائة ألف وأربعين ألف دينار فسلخ منه مبلغ أربعين ألف دينار، وأضيفت لديوان الخاص.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل، فخلع عليه، ووعد بإمرة العرب، وقبلت خيوله التي صار للسلطان به أنس.

وفيه خلع على الأمير تمربغا العقيلي، واستقر في نيابة الكرك عوضاً عن الأمير قبلاي باستعفائه.

وفيه قدم نغيه مملوك المحسني، من برقة فاراً. وكان قد ورد في الأيام الكاملية أن قايد شيخ برقة مات، بعدما خالف عليه أقاربه. فسمي نغيه في إقطاعه وأن يكون أمير برقة ويأخذ العداد على العادة، ويقوم بخمسين فرساً. فأنعم عليه بذلك، وتوجه إلى عداد الأغنام بالعسف، حتى جمع منها شيئاً كثيراً، واقتنى الجمال والخيل.فلما بلغ أهل برقة قتل الملك الكامل شعبان ثاروا به، وقتلوا من أجناده ثلاثين رجلاً، وفر بنفسه إلى القاهرة.

وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والي القاهرة على باب زويلة. وذلك أنه نصب خشبتين وعمل فيهما بكرتين، وأرخى فيهما سلباً، ليرتفع فيهما المجرمين حتى يهلكا، فأزيلتا. ورسم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيمان البرقية خارج سور القاهرة.

وفيه أخرج الأمير بيغرا لكشف الجسور بالوجه القبلي، والأمير أرلان لكشف الجسور بالوجه البحري.

وفي يوم الإثنين خامس عشري: خرج الأمير أرغون شاه أستادار على البريد، لنيابة صفد وسبب ذلك تكبره

وتعاظمه في نفسه، وتحكمه على السلطان فيما يرسم به، ومعارضته، وفحشه في مخاطبة السلطان والأمراء، حتى كرهته النفوس وعزم السلطان على مسكة، فتلطف به النائب الأمير أرقطاى حتى تركه، وخلع عليه بنيابة صفد وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على المقامرة وأنعم بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازي، وأعطى ناحية بوتيج زيادة عليه.

وفيه استقر الصاحب تقي الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال في الشام عن ابن الحراني، وكان بمصر من الأيام الكاملية شعبان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا في طلب إمرة العرب، فلم يقبل السلطان عليه.

وفي يوم الأحد أول شوال: .تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه.

وفي آخره طلبت إتفاق إلى القلعة، فطلعت بجواريها مع الخدام، وتزوج بها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجري شاهد الخزانة .وبنى السلطان عليها من ليلته، بعدما جليت عليه، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت، فأنعم عليها السلطان بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعمائة ألف درهم.

وفي ثامنه: أنعم السلطان على طنيرق أحد مماليك أخيه يوسف بتقدمة ألف، ونقله من الجندية إلى التقدمة لجماله وحسنه؛ فكثر كلام المماليك بسبب ذلك وفيه رسم بإعادة ما خرج عن إتفاق وخدامها وجواريها من الرواتب، وطلب عبد على العواد معلم إتفاق إلى القلعة، فغنى للسلطان، فأنعم عليه بإقطاع في الحلقة زيادة على ما بيده، وأعطاه مائتي دينار وكاملية حرير بفرو سمور.

وأنهمك السلطان في اللهو، وشغف باتفاق حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط حبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فمازال به الأمير أرقطاى النائب حتى رجع عن دلك ورسم السلطان في يوم الجمعة سادسه بعد الصلاة أن يخلع على قطليجا الحموي، واستقراره في نيابة حماة، عوضاً عن طيبغا المجدي، وخلع أيضاً على أيتمش عبد الغني، فاستقر في نيابة غزة؛ وخرجا من وقتها على البريد.

وفيها جلس السلطان والأمير أرقطاي النائب لعرض المماليك، وانتقى من كل عشرة اثنين وزاد إقطاعاتهم وأكرمهم، وقدم منهم جماعة. وقصد السلطان عرض أجناد الحلقة، فتلطف به الأمير أرقطاى النائب حتى كف عن عرضهم.

وفيه قدم الخبر بغلاء الأسعار بدمشق، حتى أبيع الخبز كل رطلين بدرهم، والقمح كل غرارة .بمائة وسبعين، وفيه تأخر المطر بعامة بلاد الشام.

وتوقفت أحوال الدولة، من كثرة رواتب الخدام والقهرمانات والعبيد والغلمان، وزيادتها عما كانت عليه في الأيام الكاملية .فأشار غرلو بأن توزع على المباشرين جامكية شهرين يقبضها المعاملون، فوزعت عليهم، واحتال بها المعاملون فمشت الأحوال قليلاً. وكان غرلو قد تمكن من السلطان، وصار يدخل مع الخاصكية، فإذا أشار بشيء قبل قوله.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر بهديته، فخلع عليه؛ وجهزت له خلعة مع بريدي فأخذها نائب الشام، ومنع من حملها إليه، فأنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره والقبض عليه.

وفي ذي القعدة: توجه أحمد بن مهنا عائدا إلى بلاده، من غير طائل وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى، فخص كل جوقة خمسة آلاف درهم. ونثر السلطان على العروس عند جلائها الذهب، وصبحها من الغد بألفي دينار، بعدما زاد لها في جهازها بمبلغ ستين ألف دينار.
وفيه خلع على سيف بن فضل بإمرة العرب، وأنعم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم في السنة من إقطاع أحمد بن مهنا، وأعيد إلى بلاده، فسار إليها.
وفي مستهل ذي الحجة: توجه الأمير ملكتمر الحجازي للصيد، وصحبته خمسة عشر أميرا.
وفيه تقدم الأمير طقتمر الصلاحي من حلب، فلم تطل إقامته حتى مات.
وفيه قتل قرمجي بن أقطوان نائب قلعة صفد، بدمشق في شعبان؛ وأخذ ماله.
وفيه قدم حمل سيس، بحق النصف.

وخرجت هذه السنة وقد مر بالناس فيها شدائد من غلاء الأسعار لغلال مصر والشام ونفاق العربان، وتوقف النيل، واختلاف الدولة.
ومات فيها من الأعيان الأمير بهاء الدين بن أصلم، أحد المماليك المنصورية قلاوون، في يوم السبت عاشر شعبان؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة.
ومات الأمير بيدمر الأشرفي، أحد أمراء دمشق.
ومات الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، مقتولاً بالاسكندرية في الأيام الكاملية؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة، في يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخر. وأصله من كسب الأبلستين في الأيام الظاهرية بيبرس، سنة ست وسبعين وستمائة، فاشتراه قلاوون وهو أمير، ومعه سلار. وأهدى قلاوون سلاراً لولده علي، وآل ملك للسعيد بركة بن الظاهر زوج ابنته. فأعطاه الملك السعيد لكوندك، ثم سار بعده لعلي بن قلاوون، وترقى حتى صار نائب السلطنة زمن السلطان عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد. وله تنسب مدرسة آل ملك بالقاهرة، وجامع آل ملك بالحسينية؛ وكان خيراً ديناً.
وتوفي تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي المصري كاتب السر بدمشق، في ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر، وقد أناف على الستين.
ومات الأمير قمارى أخو بكتمر الساقي مقتولاً، وقد ولى أستادارا، وعمل نائب طرابلس، وذكر أنه كان في بلاده راعي غنم.
ومات الأمير ملكتمر السرجواني نائب الكرك، في يوم الإثنين مستهل المحرم خارج القاهرة، وقد قدم مريضاً.
وتوفي الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب، في يوم الخميس نصف شعبان.
ومات الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ إبراهيم الجعبري، يوم الخميس سلخ ذي الحجة ومات الشيخ عبد الله بن علي بن سليمان بن فلاح عفيف الدين بن عبد الرحمن اليافعي اليمني الشافعي، في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة.
ومات ملك تونس أبو بكر بن محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص، في ليلة الأربعاء ثاني رجب، بعد ما ملك ثلاثين سنة تنقص شهراً وسبعة أيام، وأقيم بعده ابنه أبو حفص عمر.

ومات الأمير طقتمر الصلاحي أحد خواص شعبان الكاملي؛ وكان من أعين أمراء مصر، ثم أخرج لنيابة حمص، فمات بها.

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

يوم الثلاثاء أول المحرم: ركب السلطان في أمرائه الخاصكية، ولعب بالكرة في الميدان تحت القلعة، فغلب الأمير ملكتمر الحجازي، فلزم بعمل وليمة في سرياقوس للسلطان، ذبح فيها خمسمائة رأس غنم، وعشرة أفراس، وعمل أحواضاً مملوءة بالسكر المذاب، وجمع سائر أرباب الملهى؛ وحضر إليه السلطان والأمراء.
وفيه قدم كتاب أسندمر العمرى نائب طرابلس يسأل الإعفاء، فأجيب إلى ذلك. وخلع على الأمير منكلى بغا الفخري أمير جاندار، واستقر في نيابة طرابلس، وسار في يوم الإثنين حادي عشريه.
وفي هذا الشهر: وقف جماعة للسلطان، وشكوا من بعد الماء وانحساره عن بر مصر والقاهرة حتى غلت روايا الماء. فرسم بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة ألف وعشرين ألف درهم، جبيت من أرباب الأملاك المطلة على النيل، حسابا عن كل دراع خمسة عشر درهماً، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع. وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف ابن.خطيب بيت الآبار.
وفيه توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجواري، وأخذهم بأرض بهيتت من الضواحي، وبأرض الجيزة وغيرها، بحيث أخذ مقبل الرومي عشرة آلاف فدان من شاسع البحيرة، قام السلطان والأجناد بكلفة جسورها.
وفيه فرق السلطان نصف إقطاع منكلى بغا الفخري، وتأخر نصفه.
وفيه قدم الأمير بيغرا من كشف الجسور؛ فخلع عليه، واستقر أمير جاندار عوضاً عن منكلى بغا الفخري.
وفيه قدم الأمير أسندمر العمري من طرابلس، فأنعم عليه ببقية إقطاع مكلى بغا الفخري وفي خامس عشريه: قدم الحاج، وأخبروا برخاء أسعار مكة، وحسن سيرة الشريف عجلان.
وفيه قدم تجار اليمن والهند، وكان الفلفل قد عز وجوده بالقاهرة حتى بلغ الرطل ستة وأربعين درهما، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف، فأبيع عند قدوم الحاج بخمسة دراهم الرطل.

ووقع اختلاف في أمر الوقوف بعرفة، فإن الوقفة كانت عند أهل مكة يوم الجمعة، على ما ثبت.بمكة على قاضيها، بحضور قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وغيره من حجاج مصر والشام والعراق. وكان يوم عرفة.بمصر والإسكندرية يوم الخميس، فقام الشيخ علاء الدين علي بن عثمان التركماني الحنفي في الإنكار على ابن جماعة، وأفتى أن حج الناس فاسد، ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقه الحجاج من الأموال، وأنه يجب على الحجاج كلهم أن يقيموا محرمين لا يطئوا نسائهم ولا يمسوا طيبا حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى. وشنع بذلك عند الأمراء، وأظهر الحزن على الناس، والأسف على ما أنفقوه من أموالهم. فشق ذلك على الأمير طغيتمر الدوادار، من أجل أن زوجته حجت فيمن حج، وأخذ خط ابن التركمان.بما تقدم ذكره. فغضب الشافعية، وأنكروا مقالته وردوها. وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلساً في ذلك، ويطلب ابن التركماني

ويدعى عليه بما أفتى به، مما لا يوجد في كتب الحنفية، فراجعه الناس عن ذلك مخافة الشناعة.

وفيه رسم لمقبل الرومي أن يخرج إتفاقا وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة، بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئاً من الجوهر والزركش، وأن يقلع عصابة اتفاق عن رأسها ويدعها عنده. وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنعت قالتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك: الصالح إسماعيل، والكامل شعبان والمظفر حاجي، وتنافسوا فيها، واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية وسبب ذلك أن الأمراء الخاصكية قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهم إنكار الأمراء الكبار والمماليك على السلطان شدة شغفه بالنسوة الثلاث المذكورات، وأنهماكه على اللهو بهن، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء، وإتلافه الأموال العظيمة في العطاء لهن ولأمثالهن، فعرفا السلطان إنكار الأمراء عليه إعراضه عن تدبير الملك، وخوفوه عاقبة ذلك؛ فتلطف به، وصوب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء وأخرجهن وفي نفسه حزازات لفراقهن، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم؛ فأحب أن يتعوض عنهن. بما يلهيه ويسليه واختار صنف الحمام، وأنشأ حضيراً بأعلى الدهيشة، ركبه على صوار وأخشاب عالية، وملأه بأنواع الحمام؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم.

وقدم البريد من حلب بأن صاحب سيس جهز مائتي أرمني إلى ناحية أياس، فلما قربوا من كوار ليهجموا على قلعتها قاتلهم أربعون من المسلمين؛ فنصرهم الله على الأرمن، وقتلوا منهم خمسين، وأسروا ثلاثين، وهزموا باقيهم. فقتل بكوار عدة ممن أسر، وحمل بقيتهم إلى حلب؛ فكتب بالإحسان إلى أهل كوار والإنعام عليهم.

واتفق بمدينة حلب أن الأمير بيدمر البدري لما قدمها ترفع على الأمراء، وعزل الولاة والمباشرين، بعدما أخذ تقادمهم، واستبدل بهم غيرهم بمال قاموا له به؛ واشتدت وطأة حاشيته.

على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم. ثم بلغه أن رجلاً من الأعيان مات عن ابنة وترك مالا جزيلا، وأوصى أن تتزوج ابنته بابن عمها. فرغب بعض الناس في زواجها، وبذل لأوليائها مالا كثيراً حتى زوجوها منه بغير رضاها فلم ترض به وكرهته كراهة زائدة، حتى قالت لأهلها: " أن لم تطلقوني منه وإلا كفرت "؛ فأحضروها إلى بعض القضاة، وجددوا إسلامها. فطلب الأمير بيدمر ابن عمها، وضربه بالمقارع ضرباً مبرحاً، وضرب المرأة أيضاً ضربا شنيعاً، وقطع أنفها وأذنيها، وشهرها بحلب؛ فتألم الناس لها ألماً كبيراً، ووصل خبرها إلى أمراء مصر، فقام صمغار وقرابغا وأصحابهما قياما كبيراً في الإنكار على بيدمر.

وصادف مع ذلك ورود كتاب الأمير أرغون شاه نائب صفد، يتضمن أن ابن طشتمر كاتب أرتنا نائب الروم بأن يتوجه إليه، وأن يقيم عنده. فظفر الأمير أرغون شاه بقاصده، وأخذ منه الكتاب، وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة، فأجيب بالشكر والثناء وكتب إليه أصحابه بأن يبعث تقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته إلى غير صفد، فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر بمائة ألف درهم، وغير ذلك من الأصناف؛ فأعجبت السلطان، وشكره. فأخذ صمغار وقرابغا وأصحابهما في ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له، وما فعله بالمرأة وابن عمها، وتحسين ولاية أرغون شاه عوضه؛ فإنه سار في أهل صفد سيرة جميلة، ولم يقبل لأحد تقدمة، وجلس للحكم بين الناس، وأنصف في حكمه حتى أحبه أهل صفد. فرسم بقدوم أرغون شاه ليستقر في نيابة حلب، وحضور الأمير بيدمر من حلب فقدم أرغون شاه صحبة طنيرق، فأكرمه السلطان، وخلع عليه يوم الإثنين تاسع

عشرى صفر بنيابة حلب، عوضاً عن بيدمر البدري؛ ورسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم، وأن تكون مكاتباته للسلطان، وكنب لنائب الشام بذلك.
وتوجه الأمير أرغون شاه إلى حلب في يوم الخميس ثالث ربيع الأول، فقدم دمشق على البريد في سادس عشره، ونزل مصر معين الدين حتى قدم طلبه من صفد في أبهة زائدة، وخيوله بسروج ذهب مرصعة وكنابيش ذهب، وقلائد مرصعة.
وكان بيدمر قد رأى في منامه المرأة التي فعل بها ما فعل، وهى تقوله له: "أخرج عنا" ، وكررت ذلك ثلاث مرات، وقالت له: "قد شكوتك إلى الله تعالى، فعزلك " فأنتبه مرعوباً، وبعث إليها لتحالله، وبذل لها مالا فلم تقبله، وامتنعت من محاللته. فقدم خبر عزله بعد ثلاثة أيام من رؤياه، وقدم إلى القاهرة صحبة طنيرق؛ وقد أوصل طنيرق الأمير أرغون شاه إلى حلب، وسر به أهل حلب سروراً كبيراً.
وفيه ارتفعت الأسعار بالشام، فبلغت الغرارة بدمشق مائتين وخمسين درهماً؛ وذلك أن الجراد انتشر من بعلبك إلى البلقاء، ورعى الزروع.
وفيه كثر عبث العربان بأرض مصر، وكثر سفكهم للدماء، ونهب الغلال من الأجران، مع هيف الغلة.
وفيه اشتد احتراق النيل، وقل ماؤه حتى تأخر حمل الغلال في المراكب فارتفع السعر من ثلاثين درهماً الأردب من القمح إلى خمسة وخمسين، وبلغ الشعير خمسة وعشرين درهماً الأردب، والفول عشرين درهماً.
وفيه استقر أمير علي بن طغربل حاجبا بدمشق عوضاً عن أياس؛ واستقر أياس في نيابة صفد.
وفيه ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فأخذ من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس، ومن كل أمير طبلخاناه فرسان، ومن كل أمير عشرة فرس واحد وكشف عن البلاد المرصدة برسم البريد، فوجدت ثلاث بلاد منها وقف إسماعيل بعضها، وأخرج باقيها إقطاعات، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلداً تعمل في كل سنة عشرين ألف درهم، وثلاثة آلاف أردب غلة، وجعلها مرصدة لمراكز البريد.
وفيه قدم الخبر بأن أرتنا نائب الروم بعث يستدعي أحمد بن مهنا، وأرسل إليه هدية، فأبى أن يجيب.
واتفق أن أخا سيف بن فضل قصد فياض بن مهنا، وقد سار إليه من دمشق بمبلغ ثمانين ألف درهم ثمن خيول قدمها للسلطان، فأخذه منه وقصد قتله. فركب فياض لما بلغه ذلك وأغار على جمال سيف وآل فضل وساقها، وهي نحو خمسة عشر ألف بعير.فبعث سيف يطلب من نائبي دمشق وحلب عسكراً يقاتل آل مهنا فلم ينجداه.
وفيه كتب الأمير أرغون شاه نائب حلب في حق سيف، فإنه لا طاقة له بآل مهنا.فرسم بقدوم سيف وآل مرا، وقدوم أحمد بن مهنا؛ ووعد أحمد بالإمرة، وخرج الأمير قطلوبغا الذهبي لذلك.
وفيه قدم ابن الأطروش من دمشق، وقد عزل من الحسبة، وكتب نائب الشام يذم فيه وفي عصر يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر: قتل الأمير آقسنقر الناصري، والأمير ملكتمر الحجازي؛ وأمسك الأمير، بزلار، والأمير صغار، والأمير أيتمش عبد الغني.

وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها من عنده، وتشاغل عنهن بالحمام، صار يحضر إلى الدهيشة والأوباش، وتلعب بالعصا لعب صباح، ويحضر الشيخ علي بن الكسيح مع حظاياه، فيسخر له، وينقل إليه أخبار الناس. فشق ذلك على الأمراء، حدثوا أجيبغا وطينرق، وكانا عمدة السلطان وخاصكيته فيما يفعله

السلطان، وأن الحال قد فسد فعرفا السلطان ذلك، فاشتد حنقه وأطلق لسانه، وقام إلى السطح وذبح الحمام بحضرهما، وقال: " والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور"، وأغلق باب الدهيشة؛ وأقام غضبانا يومه وليلته.
وكان الأمير غرلو قد تمكن منه، فأعلمه بما وقع، فوقع في الأمراء وهونهم عليه، وجسره على الفتك بهم، والقبض على الأمير آقسنقر الناصري النائب. فأخذ السلطان في تدبير ما يفعله، وقرر ذلك مع غرلو. ثم بعث السلطان بعد أيام طنيرق إلى الأمير آقسنقر الناصري النائب، في يوم الأربعاء خامس ربيع الآخر، ويعرفه أن قرابغا القاسمي وصمغار وبزلار وأيتمش عبد الغني قد اتفقوا على الفتنة، "وعزمي أن أقبض عليهم"، فوعد برد الجواب غداً على السلطان في الخدمة وأشار عليه من الغد بالتثبت في أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم فعرفه السلطان من الغد يوم الجمعة بأنه صح له بإخبار بيبغاروس، وبين له أنهم تحالفوا على قتله فأشار عليه أن يجمع بينهم وبين بيبغاروس، حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد.
وكان الأمر على خلاف هذا، فإنه اتفق مع غرلو، وعنبر السحرتي مقدم المماليك، على مسك الأمير آقسنقر الناصري، والأمير ملكتمر الحجازي يوم الأحد، وأظهر للنائب أنه يريد القبض على قرابغا وصمغار، وبزلار وأيتمش.
فلما كان يوم الأحد تاسع عشره: حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة بعد العصر، ومد السماط، وإذا بالقصر قد ملئ بسيوف مسللة من خلف آقسنقر والحجازي، وأحيط بهما وبقرابغا، وأخذوا إلى قاعة هناك فضرب الحجازي بالسيوف، وبضع هو وآقسنقر وفر صمغار وأيتمش عبد الغني، فركب صمغار فرسه من باب القلعة ومر، واختفى أيتمش عند زوجته. فخرجت الخيل وراء صمغار، حتى أدركوه خارج القاهرة وأخذ أيتمش من داره فارتجت القاهرة، وغلقت الأسواق وأبواب القلعة. وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب أرقطاى والوزير نجم الدين محمود بن شروين قريب المغرب، فاشتهر ما جرى.
وفيه رسم بالقبض على مرزه علي، وعلى محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه، وأولاد أيدغمش، وأولاد قمارى. وأخرجوا إلى الإسكندرية، وهم وبزلار وأيتمش وصمغار، لأنهم من ألزام الحجازي ومعاشريه، فسجنوا بها.
وفيه أخرج آقسنقر والحجازي في ليلة الإثنينعشريه على جنويات، فدفنا بالقرافة وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس في دست عظيم، ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والممسوكين وأموالهم، وطلع بجميع خيولهم إلى الإصطبل السلطاني، ونزل ومعه ناظر الخاص حتى أخرج حواصلهم. وضرب غرلو عبد العزيز الجوهري صاحب آقسنقر، وعبد المؤمن أستاداره بالمقارع، وأخذ منهما مالاً جزيلا. فخلع عليه السلطان قباء من ملابسي آقسنقر بطراز زركش عريض، وأركبه حصان الحجازي بسرج ذهب وخلا به يأخذ رأيه فيما. يفعله. فأشار عليه بأن يكتب إلى نوابي، الشام بما جرى، ويعدد لهم ذنوبا كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم.
فكتب السلطان إلى الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام، على يد الأمير آقسنقر المظفري أمير جاندار. وقدم آقسنقر المظفر على الأمير يلبغا اليحياوي في ثامن عشريه، فكتب يلبغا بتصويب رأي السلطان فيما فعله، وهو في الباطن غير ذلك. وعظم على الأمير يلبغا قتل ملكتمر الحجازي وآقسنقر الناصري، وتوحش خاطره، وجمع الأمراء بعد يومين بدار السعادة، وأعلمهم بما ورد عليه. وكتب يلبغا إلى النواب بذلك، فبعث الأمير ملك آص إلى حمص وحلب، وبعث الأمير طيبغا القاسمي إلى طرابلس؛ فجاءه ليلة الجمعة مستهل جمادى الأولى من زاده وحشه، فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه. وانتقل يلبغا يوم الجمعة إلى القصر، فترل به، وشرع في

الاستعداد للخروج عن طاعة السلطان، ونزل إلزامه حوله بالميدان.
وأخذ السلطان المظفر حاجي يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم، وأمر جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغني وتقدمته، وأصبح هو المشار إليه في الدولة، وعظمت نفسه إلى الغاية.

وفيه أخرج ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب، لكثرة لعبه؛ وأنعم بتقدمته على الأمير طاز.
وفيه تولى غرلو مبيع قمش الأمراء وسائر موجودهم.
وفيه قدم الخير بكثرة حشود العربان بالصعيد وبلاد الفيوم، وشدة فسادهم، وتعذر السفر من قطعهم الطرقات على المسافرين. فلم يعبأ السلطان بذلك، لاشتغاله بلهوه، وتلفته إلى أخبار نواب الشام، لتخوفه من خروجهم عن طاعته للقبض على الأمراء وقتلهم فقدمت أجوبتهم. بما يظهر منه تصويب رأي السلطان فيما فعله، فلم يطمئن ورسم بخروج العسكر إليه.
وفيه رسم السلطان بخروج العسكر إلى البلاد الشامية ورسم في عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء مقدمين، وهم طيبغا المجدي، وملك الجمدار، والوزير نجم محمود بن شروين، وطنغرا، وأيتمش الناصري الحاجب، وكوكاي، والزراق، ومعهم مضافوهم من الأجناد. وكتب بطلب الأجناد من النواحي، وكان وقت إدراك المغل؛ فصعب ذلك على الأمراء، وارتجت القاهرة بأهلها لطلب السلاح وآلات للسفر.
وكتب السلطان إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدي النجابة بالتيقظ لحركات الأمير يلبغا اليحياوي، فأشار الأمير أرقطاى؛ النائب بطلب يلبغا ليكون. بمصر، فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل من نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب. فكتب بطلبه على يد الأمير سيف الدين أراى أمير آخور؛ وعند سفر أراي قدمت كتب نائب حماة ونائب طرابلس ونائب صفد بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء، وبعثوا للسلطان بكتبه إليهم. فكتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبغا، وأعلمه أنه ولاه نيابة الشام؛ فقام أرغون شاه في ذلك أتم قيام، وأظهر ليلبغا أنه معه.
ولما وصل الأمير سيف الدين أراى إلى الأمير يلبغا اليحياوي، في يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى، إذا في كتاب السلطان طلب يلبغا ليكون رأس أمراء المشورة، وأن نيابة الشام أنعم بها على أرغون شاه نائب حلب وظن الأمير يلبغا اليحياوي أن استدعاءه حقيقة، وقرأ كتاب السلطان، فأجاب بالسمع والطاعة، وأنه إذا وصل الأمير أرغون شاه إلى دمشق توجه منها إلى مصر، وكتب الجواب بذلك، وأعاد الأمير سيف الدين أراى سريعا. فأتت قصاد أمراء دمشق إلى الأمير سيف الدين أراى في عوده، لتعرف فيما جاء به عليهم، فأعلمهم بعزل يلبغا بأرغون شاه، فتحللت عزائم الأمراء عن يلبغا. وتجهز يلبغا وبزر إلى الجسورة ظاهر دمشق، في خامس عشره وكانت ملطفات السلطان وردت إلى الأمراء في عشية يوم الخميس بإمساكه فركبوا وقصدوه، ففر منهم بمماليكه وأهله، وهم في أثره إلى خلف ضمير.
وأما الأمير سيف الدين أراى فأنه قدم إلى السلطان، فقدم الخبر في غد قدومه بأن يلبغا جمع ثقاته من أمراء الشام وأغراهم بالسلطان، وأنه إن مضى إليه قتله كما قتل الأمراء، وأنه جمع أمره على التوجه إلى أولاد دمرداش ببلاد الشرق.
وركب الأمير يلبغا في يوم الجمعة خامس عشره، ومعه الأمير قلاوون، والأمير سيفه، والأمير محمد بن بك بن

جمق، في مماليكهم؛ وخرجوا بآلة الحرب، فاضطرب الناس بدمشق. وركب العسكر في طلبه، وقد سار نحو القريتين ودخل البرية حتى وصل حماة، بعد أربعة أيام وخمس ليالي. فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره، وتلقاه ودخل به إلى المدينة، وقبض عليه وعلى من معه؛ وكتب بذلك إلى السلطان فسر به سروراً كبيراً وأمر بإبطال التجريدة؛ وكتب بحمله إلى مصر.

ثم خرج الأمير منجك السلاح دار لقتله، فلقى آقجبا الحموي وصحبته يلبغا اليحياوي وأبوه، وقد نزل بقاقون. فصعد منجك مع يلبغا إلى قلعتها، وقتله في يوم الجمعة عشريه وجهز رأسه إلى السلطان. وتوجه منجك إلى حماة، وجهز الأمير قراكز والأمير أسندمر أخوى يلبغا اليحياوي، والأمير طقطاى دواداره، والأمير جوبان مملوكه، إلى السلطان مقيدين؛ وكان أبوه الأمير طابطا حمل مقيداً من فاقون إلى السلطان.

وفيه قدم الخبر بأن أحمد بن مهنا وفياضاً وفوازاً وقمارى كانوا بحلب لما قبض على يلبغا بحماة، فركبوا بجمعهم يريدون آل مرا، وقد نزلوا قريباً من سيف بن فضل فركب سيف بآل مرا وآل علي إلى لقائهم، فلم يطقهم وفر، فنهبوا أبياته، وأخذوا منها خمسمائة حمل دقيق، وساقوا خمسة عشر ألف بعير. ومر سيف على وجهه إلى القاهرة، فطلع إلى السلطان وبكى بين يديه بكاء كثيراً، فتنكر السلطان على أولاد مهنا. فقدم كتاب الأمير أرغون بالثناء عليهم، لخدمتهم السلطان في أمر يلبغا أتم الخدمة، وقدم أحمد بن مهنا عقيب ذلك، فلم ير من السلطان إقبالاً.

وفي يوم الأحد خامس عشريه: أخرج بالوزير نجم الدين محمود، والأمير بيدمر البدري نائب حلب كان، والأمير طغيتمر الفخري الدوادار، إلى الشام وسببه أن غرلو لما كان شاد الدواوين حقد على الوزير نجم الدين وعلى طغيتمر الدوادار، فحسن للسلطان أخذ أموالهما. فذكر السلطان للنائب أرقطاى عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكاتبون يلبغا اليحياوي، فأشار عليه بإبعادهم عنه، وأن يكون الوزير نائب غزة، وبيدمر نائب حمص، وطغيتمر بطرابلس؛ فأخرجهم أرقطاى على البريد .فلم يعجب غرلو ذلك، وأكثر من الوقيعة في الأمير أرقطاى النائب حتى غير السلطان عليه، ومازال به حتى بعث أرغون الإسماعيلي نائب غزة بقتلهم. فدخل أرغون الإسماعيلي معهم إليها وقت العصر، فقتلوا ليلاً؛ وتمكن غرلو من أموالهم.

وتزايد أمر غرلو، واشتدت وطأته؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه وأخذ غرلو في العمل على علم الدين بن زنبور ناظر الخاص وعلى علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر، وحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما؛ فتلطف الأمير أرقطاى النائب في أمرهما حتى كف عنهما. فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى خاف غرلو، ورجع يصانعه بالمال.

وفيه توجه مقبل الرومي لقتل المسجونين بالإسكندرية بإشارة غرلو، فقتل أرغون العلائي وقرابغا القاسمي، وتمر الموساوى، وصمغار، وأيتمش عبد الغني.

وفيه أفرج عن أولاد قمارى وأولاد أيدغمش؛ وأخرجوا إلى الشام.

وفيه قدم الأمير منكلى بغا الفخري من طرابلس، وأنعم عليه بتقدمة ألف واستمر السلطان على الأنهماك في لهوه، وصار يلعب في الميدان تحت القلعة بالكرة في يومي الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان على النيل في يوم السبت. فلما كان آخر ركوبه الميدان رسم بركوب الأمرء المقدمين. بمضافيهم، ووقوفهم صفين من الصليبة إلى

فوق الإصطبل، ليرى العسكر. فضاق الموضع عنهم، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه وجمعت أرباب الملهى ورتبوا في عدة أماكن بالميدان؛ ونزلت أم السلطان في جمعها، وأقبل الناس من كل جهة. فبلغ كراء كل طبقة في ذلك اليوم مائة درهم، وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتي درهم وكل حانوت خمسين درهما، وكل موضع إنسان بدرهمين، فكان يوماً لم يعهد في ركوب الميدان.

وفيه أخرج سيف بن فضل من القاهرة مرسماً عليه، لكلام نقله عن الأمير أرقطاى النائب وفي يوم الخميس سابع جمادى الآخر: وصل رأس يلبغا اليحياوي.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: قبض على غرلو، وقتل. وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم، فأنه كان يخلو بالسلطان ويشر عليه بما يمضيه، فلا يخالفه في شيء وعمله السلطان أمير سلاح، فخرج عن الحد في التعاظم، وجسر السلطان على قتل الأمراء، وقام في حق الأمير أرقطاى النائب يريد القبض عليه وقتله، وأخذ المماليك الناصرية والصالحية والكاملية بكمالهم، واستمالهم لتجديد دولة مظفرية. وقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة، ليقوم عنه بتديرها، ويتوفر السلطان على لذاته. وأغراه أيضاً بالجيبغا وطنيرق، وهما أخص الناس بالسلطان، حتى تغير عليهما. وبلغ ذلك ألجيبغا، وتناقله المماليك، فتعصبوا عليه، وراسلوا الأمراء الكبار حتى حدثوا السلطان في أمره، وخوفوه عاقبته، فلم يعبا السلطان بقولهم، فتنكروا بأجمعهم على السلطان، وصاروا إلباً عليه بسبب غرلو، إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته. فاستشار الأمير أرقطاى النائب في أمر غرلو، وعرفه ما يخاف من غائلته، فلم يشر عليه بشيء، وقال له: "لعل الرجل قد كثرت حساده على تقريب السلطان له، والمصلحة التثبت في أمره " كان الأمير أرقطاي النائب عاقلا سيوسا، يخشى من معارضة غرض السلطان فيه. فاجتهد ألجيبغا وعدة من الخاصكية في التدبير على غرلو، وتخويف السلطان منه ومن عواقبه، حتى أثر قولهم في نفسه. وأقاموا أحمد شاد الشرابخاناه - وكان مزاحا - للوقيعة فيه فأخذ في خلوته مع السلطان بذكر كراهة الأمراء لغرلو وموافقة المماليك لهم وأنه يريد أن يدبر الدولة ويكون نائب السلطان، وليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطاناً، ويخرج قوله هذا في صورة السخرية والضحك. وبالغ في ذلك على عدة فنون من الهزؤ إلى أن قال: "وإن خلاه السلطان رحنا كلنا الحبوسات من بعده" فانفعل السلطان لكلامه، وقال: "أنا الساعة أخرجه وأعمله أمير آخور" ثم مضى أحمد إلى الأمير أرقطاى النائب، وعرفه ما كان منه، وما قاله السلطان، وجسره على الوقيعة في غرلو. فاستشار السلطان الأمير أرقطاى النائب في غرلو ثانيا، فأثنى عليه وشكره، فعرفه وقوع الخاصكية فيه، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور، فقال أرقطاي" غرلو شجاع جسور، لا يليق أن يكون أمير آخور "فكأنه أيقظ السلطان من رقدته، وأخذ معه فيما يوليه، فأشار بولايته غزة، فقبل السلطان ذلك وقام عنه فاصبح السلطان بكرة يوم الجمعة، وقد بعث طنيرق إلى الأمير أرقطاى النائب بأن يخرج غرلو إلى غزة. فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة، وجلس على باب القلة، فبعث الأمير أرقطاي النائب بطلبه فقال: "مالي عند النائب شغل وما لأحد معي حديث غير أستاذي السلطان " وأرسل النائب يعرف السلطان جواب غرلو له بطلبه، فغضب السلطان، وقال لمغلطاى أمير شكار والأمراء أن يعرفوه عن السلطان بتوجهه إلى غزة، وإن امتنع يمسكوه. فلما صار غرلو داخل القصر لم يحدثوه بشيء، وقبضوا عليه وقيدوه، وسلموه لألجيبغا، فأدخله إلى بيته بالأشرفية فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة

على العادة قتلوا غرلو، وهو في الصلاة واخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فقالوا عنه أنه قال: "ما أروح مكاناً" فأراد سل سيفه وضرب الأمراء به، وأنهم تكاثروا عليه فلما سلم نفسه حتى قتل. فعز قتله على السلطان، وحقد عليهم قتله، ولم يظهره لهم وتقدم السلطان بإيقاع الحوطة على حواصله، فكان يوما عظيماً بالقلعة والمدينة، معظم الناس إلى تحت القلعة، فشوهد يومئذ من اجتماعهم أمر مهول. وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض، فأتاه الناس أفواجاً ليروه ونبشوا عليه، وجروه بحبل في رجله إلى تحت القلعة. وأتوا بنار ليحرقوه، وصار لهم ضجيج عظيم. فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم، فضربهم الوالي بالمقارع، وأخذ منهم غرلو ودفن؛ و لم يظهر له كبير مال.

وفيه قدم الخبر بدخول الأمير أرغون شاه إلى دمشق، في يوم الثلاثاء سابع عشره صحبة متسفرة الأمير آقسنقر جاندار فعرض يوم دخوله أهل السجون، ووسط وسمر منهم عدة من أرباب الجرائم، وألزم جميع من له إقطاع بحلب أو حماة أو طرابلس أو غيرها من البلاد الشامية أن يتوجه إلى محل خدمته، ولا يقيم بغيره، وأنعم الأمير أرغون شاه على متسفره بخمسة عشر فرساً، منها خمس عربيات مسرجات ملجمات، وأحد عشر إكديش، وجارية بخمسة آلاف درهم وأربعين ألف درهم، ومائة قطعة قماش وتشريف النيابة بكماله وسيفه المحلى، وكتب له بألف أردب غلة من مصر، وكان الأمير أرغون شاه أعطاء بحلب ألف وخمسمائة دينار. فأقام آقسنقر بدمشق نحو ثلاثة أشهر ولم يسأله في ولاية ولا عزل إلا أجابه، فرجع بمال عظيم.

وفيه أفرج عن ابن طشتمر من صفد، وأنعم عليه بإمرة في دمشق.

وفيه نقل أمير مسعود بن خطير من نيابة غزة إلى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير منكلى بغا الفخري.

وفيه استقر الأمير فخر الدين أياس حاجب دمشق في نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرغون شاه.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فأقام أياما وعاد.

وفي يوم الإثنين سادس عشر رجب: أخرج لاجين أمير آخور إلى دمشق، على إقطاع قلاوون.

وفيه أخرج منجك السلاح دار واستقر حاجباً بدمشق، عوضاً عن أمير علي بن طغربل وفيه أنعم على اثني عشر من المماليك بإمرات، ما بين طبلخاناه وعشرات بمصر والشام.

وفيه أعيد الأطروش إلى الحسبة، عوضاً عن الضياء، ورتب للضياء ما يقوم به.

وفيه عمل الإستيمار بما على الدولة من الكلف، وما يتحصل .فوجدت الكلف ثلاثة أمثال ما كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، ومرتب الحوائج خاناه في كل يوم مقدار اثنين وعشرين ألف رطل لحم، ونفقات المماليك مبلغ مائتين وعشرين ألف درهم، بعدما كانت تسعين ألف درهم. فرسم السلطان بقطع ما استجد من الرواتب بعد موت السلطان الناصر محمد، فمازال به الأمير أرقطاى النائب يخوفه سوء عاقبة قطع الأرزاق، ويعرفه أن أحداً من الملوك ما قرئ عليه الإستيمار وقطع شيئاً إلا وأصابه ما يكره في دولته، حتى رسم باستمرار الرواتب على حالها.

وفيه وزع على مباشري الجهات مبلغ ستمائة ألف درهم، خص مقدمي الدولة منها مائة ألف درهم.

وفيه رسم أن يكون في كل معاملة شاهد وكاتب؛ واستقر قطلوابغا شاد الجهات بالقاهرة، وابن المزوالي شادا بجهات مصر.

وفيه قدم على بن طغربل من دمشق.

وفيه أنعم على الأمير بيبغا روس عند قدومه من سرحة العباسة بألفي دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل بسروج ذهب.

وفي مستهل شعبان: خرج الأمير طيغا المجدي، والأمير أسندمر العمري، والأمير أرغون الكاملي، والأمير بيبغا روس، والأمير بيبغا ططر، إلى الصيد، ثم خرج الأمير أرقطاى النائب بعدهم إلى الوجه القبلي بطور السلطان. ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان.

فخلا الجو للسلطان، وأعاد حضير الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد أرباب الملاعيب من الصراع، والثقاف، والشباك وجرى السعاة، والنطاح بالكباش، ومناقرة الديوك والقمارى وغير ذلك من أنواع الفساد، ونودي بإطلاق اللعب بذلك في القاهرة ومصر. فصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف، من الفراشين والبابية، ومطيري الحمام؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية.

وبينا هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سيبها، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة فجفلت الحمام على مقاصرها وتطايرت. فجرد السلطان، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

وكان السلطان أيضاً يلعب مع العوام، ويلبس تبان جلد، ويتعرى من ثيابه كلها ثم يلعب معهم بالعصى، ويلعب بالرمح وبالكرة. فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد الدهيشة، ويحضر في الليل على العواد، ويأخذ عنه الضرب بالعود، ويتجاهر بما لا يحمد.

وشغف السلطان بكيدا حتى كان لا يكاد يفارقها، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية، فاشتراها لها بمائة ألف درهم. وكانت هذه الزربية في غاية الحسن، قد أنفق عليها النشو أموالاً عظيمة، وصارت بعد النشو إلى إمرأة الأمير بكتمر الساقي، اشتراها لها الأمير بشتاك بنحو الألف درهم، إلى أن طلبتها كيدا فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها، فتركتها له، فرسم لها بمائة ألف درهم، وكاتبها على الأملاك باسم كيدا فلم يهن بها، ووقعت نار في دار رزق الله جعلتها دكاً.

وفيها ارتفع سعر القمح من أربعين درهماً للأردب إلى خمسين، وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلى ثمنها. وتوقفت الأحوال، وقلت الغلال، وكثرة قدوم أهل النواحي إلى القاهرة حتى ضاقت بهم فكانوا كذلك مدة سنة، مع كثرة المناسر في البلاد والقاهرة، وقوة المفسدين وقطاع الطريق بأرض مصر وبلاد القدس ونابلس، وفتنة العشير بعضهم مع بعض.

وفي نصفه: توجه ألجيبغا وأحمد شاد الشرابخاناه إلى الصيد، فأخذ السلطان في التدبير على أخيه حسين ليقتله، وأرصد له عدة خدام ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه، فتمارض واحترس على نفسه، فلم يجدوا منه غفلة.

وفي سابع عشره: استقر في الخلافة أبو بكر بن أبي الربيع سليمان، ونعت بالمتعصم بالله أبي الفتح، بعد موت أبيه.

وفي أخريات شعبان: قدم الأمراء والأمير أرقطاى النائب قبل أوانهم من الصيد شيئاً بعد شيء، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان في غيبتهم.

وفي يوم السبت رابع رمضان: زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة.
وفيه قدم ابن الحراني من دمشق بمال يلبغا اليحياوي، فتسلمه الخدام وأنعم السلطان من ليلته على كيدا حظته بعشرين ألف منه سوى الجواهر واللآلى، ونثر الذهب على الخدام والجواري، فاختطفوه، وهو يضحك منهم، وفرق السلطان على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ، وصار يحذفه لهم، وهم يترامون عليه ويأخذونه، بحيث لم يدع منه شيئاً سوى القماش والتفاصيل والآنية والعدد، فإنها صارت إلى الخزانة. فكانت جملة ما فرقه السلطان ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، وجواهر وحلياً، وزركشاً ومصاغاً، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار.
فعظم ذلك على الأمراء، وأخذ ألجيبغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر. فغضب السلطان، وأمر آقجبا شاد العمائر بخراب حضير الحمام، وأحضر الحمام وذبحها واحداً واحداً بيده، وقال لألجيبغا وطنيرق: والله لأذبحنكم كلكم كما ذبحت هذا الحمام، وتركهم وقام. فبات ليلته وأصبح ففرق جماعة من خشداشية ألجيبغا وطنيرق في البلاد الشامية واستمر على إعراضه عن الجميع وقال لحظاياه وعنده معهن الشيخ على الكسيح: والله ما بقى هنا لي عيش وهذان الكذا وكذا بالحياة، يعنى ألجيبغا وطنيرق، فقد أفسدا على ما كان فيه سرور، واتفقا على، ولابد من ذبحهما. فنقل ذلك الشيخ على الكسيح لألجيبغا، فإنه الذي كان أوصله بالسلطان، وقال له مع ذلك: خذ لنفسك، فوالله لايرجع عنك ولاعن طنيرق. فطلب ألجيبغا صاحبه طنيرق حتى عرفه ذلك، فأخذا في التدبير على السلطان، وأخذ السلطان في التدبير عليهما.
وفيه أخرج السلطان الأمير بيبغا روس للصيد بالعباسة، فإنه كان صديقاً لألجيبغا وتنمر السلطان على طنيرق واشتد عليه، وبالغ في تهديده. فبعث طنيرق وألجيبغا إلى طشتمر طلليه، وما زالا به حتى وافقهما. ودار طنيرق على الأمراء، وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان، وتوقع منه أن يفتك به. وأغراهم طنيرق بالسلطان، فصاروا معه يداً واحدة، وكلموا الأمير أرقطاى النائب في موافقتهم، وأعلموه أنه يريد القبض عليه، وأكثروا من تشجيعه إلى أن أجابهم وتواكدوا جميعاً في يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب في يوم الأحد ثاني عشره.

فبعث السلطان في يوم السبت يطلب الأمير بيبغا روس من العباسة، وقرر مع الطواشي عنبر مقدم المماليك أن يعرف المماليك السلاح دارية أن يقفوا متأهبين، فإذا دخل بيبغا روس وقبل الأرض ضربوه بسيوفهم، وقطعوه قطعاً. فعلم بذلك ألجيبغا، فبعث إلى بيبغا يعلمه بما دبره السلطان من قتله، ويعرفه بما وقع من اتفاق الأمراء عليه، بكرة يوم الأحد على قبة النصر. واستعدوا ليلتهم، ونزل ألجيبغا أولهم من القلعة وتلاه بقية الأمراء فكان آخرهم ركوباً الأمير أرقطاى النائب. وتوافوا بأجمهم عند مطعم الطير، وإذا بيبغا قد وصل إليهم، فأحضروا مماليكهم وأطلابهم، وبعثوا في طلب بقية الأمراء، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر.
فأمر السلطان بدق الكوسات، وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء، وجمع عليه طنيرق وشيخو وأرغون الكاملي وطاز، ونحوهم من الخاصكية فحضر إليه أجناد الحلقة ومقدموها، وعدة من الأمراء. وأرسل السلطان يعتب

الأمير أرقطاي النائب على ركوبه، فرد جوابه بأن مملوكك الذي ربيته ركب عليك، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت مماليك أبيك، وأخذت أموالهم، وهتكت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقي، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد فرد السلطان الرسول إليه يستخبره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لابد أن يسلطنوا غيره، فقال: ما أموت إلا على ظهر فرسي، فقبضوا على رسوله، وهموا بالزحف إليه، فمنعهم الأمير أرقطاي النائب.

فبادر السلطان بالركوب إليهم، وأقام أرغون الكاملي وشيخو في الميسرة، وأقام عدة أمراء في الميمنة، وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر. فكان أول من تركه الأمير أرغون الكاملي و الأمير ملكتمر السعيدي، ثم الأمير شيخو. وأتوا الأمير أرقطاي النائب والأمراء، وتلاهم بقيتهم، حتى جاء الأمير طنيرق، والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

وبقي السلطان في نحو عشرين فارساً، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألجيبغا، فولى فرسه وانهزم عنهم، فأدركوه وأحاطوا به. فتقدم إليه بيبغا روس، فضربه السلطان بطير، فأخذ الضربة بترسه، وحمل عليه بالرمح. وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه فكان بيبغا روس هو الذي أرداه، وضربه طنيرق جرح وجهه وأصابعه. وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومي تحت الجبل، وذبحوه من ساعته قبل العصر. ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توسل إلى الأمراء، وهو يقول: بالله لا تستعجلوا على قتلي، وخلوني ساعة، فقالوا: فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك.

وصعد الأمراء إلى القلعة في يومهم، ونادوا في القاهرة بالأمان والاطمئنان، وباتوا بها ليلة الإثنين، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير أرغون شاه نائب الشام بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيمونه سلطاناً. فأصبحوا وقد اجتمع المماليك على إقامة حسين بن الناصر محمد بن قلاوون في السلطة، ووقعت بينه وبينهم مراسلات. فقبض الأمراء على عدة من المماليك، ووكلوا الأمير طاز بباب حسين، حتى لا يجتمع به أحد، وغلقوا باب القلعة، وهم بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء. وقصد المماليك إقامة الفتنة فخاف الأمراء تأخير السلطة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن بن الناصر محد بن قلاوون، فتم أمره.

فكانت مدة المظفر حاجي سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً، وعمره نحو عشرين سنة وكان شجاعاً جريئاً على الدنيا، منهمكاً في الفساد، كثير الإتلاف للمال.

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن محمد بن قلاوون الألفي أمه أمة تدعى كدا، ماتت وهو صغير، فربته خوند أردو، ودعوه قماري حتى كان من أمر أخيه حاجي ما كان .وطلب المماليك إقامة حسين في السلطة، وبات ليلة أكثرهم بالمدينة ليخرجوا إلى قبة النصر فقام الأمراء بسلطة حسن هذا وأركبوه بشعار السلطنة، في يوم الثلاثاء، رابع عشرى رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وأجلسوه على تخت الملك بالإيوان، لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى.

فقال السلطان للأمير أرقطاى نائب السلطة: يا بة! ما اسمي قمارى، إنما اسمي حسن، فقال أرقطاى: يا خوند! والله إن هذا اسم حسن على خيرة الله فاستقرت سلطنته وحلف له الأمراء على العادة، وعمره يومئذ إحدى

عشرة سنة.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره :اجتمع الأمراء، وأخرج لهم دينار الشبلي المال، فنقل إلى الخزانة.

وفيه طلب خدام المظفر وعبيده، ومن كان يعاشره من الفراشين ومطيري الحمام، وسلموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذوه من المال. فأقر الخدام أن الذي خص كيدا في مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار، ومائتين وعشرين ألف درهم وخص، العواد نحو ستين ألف درهم، وخفي الإسكندر بن كتيلة الجنكي نحو الأربعين ألف درهم، وخص العبيد والفراشين ومطيري الحمام نحو مائة ألف درهم. وأظهر بعض الخدام حاصلاً تحت يده، فيه لؤلؤ وجوهر قيمته زيادة على مائة ألف دينار، وفيه تحف وتفاصيل وزركش وبدلات ثياب بنحو مائة ألف دينار.

وفي يوم الخميس سادس عشره: قبض على الأمير أيدمر الرزاق، والأمير قطز أمير آخور، والأمير ملك، وأخرج قطز لنيابة صفد، وفيه قطعت أخباز عشرين خادماً، وخبز عبد على العواد، وإسكندر بن كتيلة الجنكي.

وفيه طلبت دبيقة مغنية عرب الجيزة، وكانت تخايل بالقلعة، وطلبت ضامنة المغاني أيضاً، وألزمتا بمال في نظير ما حصل لهما من بيت المال.

وفي يوم الأحد تاسع عشره: عرضت جميع الجواري اللاتي بالقلعة، ورسم بتزوج من أعتق منهن، وفرق باقيهن.

وفيه قبض على الطواشي عنبر السحرتي، وعلى الأمير آقسنقر أمير جاندار زوج أم المظفر. وفيه عرضت المماليك أرباب الوظائف، وأخرج منهم جماعة.

وفيه أحيط بأموال كيدا، وأموال بقية الحظايا، وأنزلن من القلعة.

وفيه كتبت أوراق. بمرتبات الخدام والعبيد والجواري، وقطعت كلها.

وكان أمراء المشورة والتدبير تسعة، وهم بيبغا روس القاسمي، بألجيبغا المظفري، ومنكلى بغا الفخري، وطشتمر طلليه، وأرقطاى النائب، وطاز، وأحمد شاد الشرابخاناه، وأرغون الإسماعيلي فاستقر شيخو العمري رأس نوبة كبير وشارك الأمراء في تدبير أمور المملكة.

وفيه استقر مغلطاي أمير آخور، عوضاً عن قطز.

وفيه أفرج عن بزلار.

وفيه أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه.

وفيه جهزت التشاريف لنواب الشام، وكتب إليهم بما وقع.

وفيه وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية، وتقليل المصروف بسائر الجهات، وكتبت أوراق. بما على الدولة من الكلف.

وفيه أخذ الأمراء في تتبع طائفة الجراكسية من المماليك، وقد كان المظفر قربهم إليه بسفارة غرلو، فأنه كان جركسي الجنس. وجلبهم المظفر من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء، وقوى أمرهم، وصار منهم أمراء وأصحاب أخباز وتميزوا بكبر عمائمهم، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد. فطلبوا الجميع، وأخرجوهم منفيين خروجاً فاحشاً. وفي يوم الإثنين ثاني شوال: ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات في الحلقة من أرباب الصنائع، ورسم بقطع أخبازهم فشفع الأمراء في كثير منهم، ولم يقطع غير عشرين جندياً.

وفيه قدم جواب الأمير أرغون شاه نائب الشام بموافقته، ورضاه بما وقع، وغض من فخر الدين أياس نائب حلب. وكان الأمير أرقطاى نائب السلطة قد أراد من الأمراء أن يعفوه من النيابة، ويولوه بلداً من البلاد، فلم يوافقوا على ذلك. فلما ورد كتاب الأمير أرغون شاه نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب، فأنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة، وطلب الأمير أرقطاى نيابة حلب فأجال الأمراء الرأي في ذلك إلى أن اتفقوا عليه. فلما كان يوم الخميس خامسه واجتمعوا لخدمة، خلع الأمير بيبغا روس القاسمي واستقر في نيابة السلطنة، عوضاً عن أرقطاي.وخلع على أمير أرقطاي، واستقر في نيابة حلب عوضاً عن فخر الدين أياس ، وخرج بتشريفهما.فجلس بيبغا روس في دست النيابة، وبيبغا جالس دونه.
وفي يوم السبت سابعه: قدم أمير منجك اليوسفي السلحدار أخو النائب بيبغا روس من الشام فرسم له بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر وزيراً وأستادارا. وخرج في موكب عظيم والأمراء في خدمته، فصار حكم مصر للأخوين بيبغا روس ومنجك السلاح دار.

وفي يوم الثلاثاء عاشره: سار أرقطاى متوجها إلى حلب، وصحبته الأمير كشلي الأدريسي متسفرا.
وكان قد رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية، فنقلوا إلى القاهرة .ودفن الأمير قمار أخيه الأمير بكتمر الساقي، قبلى القرافة. ودفن الأمير أرغون العلائي بخانكاته من القرافة. ودفن الأمير قوصون بخانكاته داخل باب القرافة. ودفن الأمير بشتاك الجاولي، فوق جبل الكبش. ودفن الأمير ملكتمر الحجازي في يوم الإثنين سابع عشري رمضان،.بموضع من قصر الزمرد عند رحبة باب العيد من القاهرة، أنشأته له زوجته ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية ودفن الملك الأشرف كجك بجماع آقسنقر من التبانة قريباً من القلعة، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر. وأخرج يوسف وشعبان ورمضان الناصر محمد، ودفنوا.بمواضع أخرى. وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله، فدفنوه بتربتهم .ونقل جماعة كثير سواهم، و لم يعهد مثل ذلك في الدولة التركية.
وفيه خلع على الشيخ علاء الدين علي بن الفخر عثمان بن إبراهيم المارديني، المعروف بابن التركماني الحنفي، واستقر في قضاء القضاة الحنفية.بمصر، عوضاً عن زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطائي.
وفيه رسم بكتابة أوراق بكلف الدولة، وفر منها مبلغ ستين ألف درهم في كل شهر من جامكية المماليك. وقطعت جوامك الخدم والجواري والبيوتات، ووفر كثير من رواتب لزوجات السلطان وكيدا واتفاق، وقطعت رواتب المغاني. وقطع من الإصطبل السلطاني جماعة،ما بين أمير آخورية وسر آخورية وسياس وغلمان، ووفر من رواتب عليق الخيول نحو خمسين أردبا في اليوم. وقطعت الكلابزية، وكانوا خمسين جوقة كلاب، فاستقروا جوقتين .وقطعت رواتب كثير من الأسرى والعتالين والمستخدمين في العمائر، وأبطلوا العمائر من بيت السلطان.، واستقر مصروف الحوائج خاناه في كل يوم ثمانية عشر ألف درهم، بعدما كان أحداً وعشرين ألف درهم فتوفر منه ثلاثة آلاف درهم.
وفيه رسم ألا يستقر في كل جهة إلا شاد وعامل وشاهد واحد.
واشتد الوزير منجك على أرباب الدواوين، وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم، وقاموا له بتقادم تليق به؛ فلم يمضى شهر حتى أنس بهم، واعتمد عليهم في أموره كلها.
واستدعى الوزير منجك أيضاً ولاة الأقاليم، والزم آقبغا والي المحلة.بمائة ألف درهم، وولى أسندمر القلنجيقى

الغربية، ثم عزله وولى قطليجا مملوك بكتمر؛ وولي أسندمر القاهرة، وأضاف له الجهات يتحدث فيها.
وفيه أنعم على أمير أرغون الكاملي بتقدمة ألف، وأنعم بإقطاعه على يلجك ابن أخت قوصون.
وفيه قدم سيف فخر الدين أياس نائب حلب على يد عمر شاه. وقد قبض عمر شاه على أياس، وأحضره إلى القاهرة، فحمل إلى الإسكندرية.
وفيه قدم الخبر بكثرة فساد العربان بالصعيد والفيوم، فخرج ابن طقزدمر ومعه خمسة أمراء طبلخاناه إلى الوجه القبلي، وخرج بكلمش أمير شكار في عده أمراء إلى الفيوم.
وفيه استقر طغيه في ولاية قوص، عوضاً عن إسماعيل الوافدي وقد فر بأمواله من قوص. ثم نقل طغيه إلى كاشف الوجه القبلي، عوضاً عن علاء الدين على بن الكوارني؛ واستقر ابن المزوق في ولاية قوص. واستقر مجد الدين موسى الهذباني في ولاية الأشمونين، عوضاً عن ابن الزركشي .واستقر قطلومش في ولاية الجيزة.
فتسامع الناس بولاية الوزير منجك الأعمال بالمال، وأنه قد انفتح باب الأخذ والعطاء، فهرعوا إليه من حلب ودمشق وسائر النواحي، ورتب الوزير ببابه جماعة لاستقضاء الناس وقضاء أشغالهم - وفي أول ذي القعدة: قدم الخبر بأن الأمراء المجردين أوقعوا بالعرب، وقتلوا منهم جماعة، ونهبوا ما وجدوه، فانهزم باقيهم إلى جهة الواحات.
وفيه توقفت أحوال الدولة وتحسن السعر، فاتفق الأمراء ورتبوا لنفقة السلطان في كل يوم مائة درهم تكون بيده. فكان خادمه يحضر في كل يوم إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخزانة، وهو جالس بخزانة الخاص من القلعة، يطالبه. بمائة درهم، فيكتب لمباشري الخزانة بصرف جامكية السلطان وصلا يأخذه صيرفي الخزانة عنده، ويزن للخادم المائة درهم، فيدخل بها إلى السلطان ليتوسع بها فيما يعن له. وكان هذا راتبه كل يوم ولم يسمع .بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك، ويصرف الأمور بالعزل والولاية، وتحمل إليه أموال مصر والشام، ولا يتصرف منها في شيء.

وذلك أن الأمراء تحالفوا - بعد خروج الأمير أرقطاى النائب إلى حلب - أن يكونوا يدا واحدة وكلمتهم واحدة، ولا يدخل بينهم غريب، وأن يكون الأمير شيخو إليه أمر خزانة الخاص، ويراجعه علي الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص ويتصرف بأمره، وأن يكون الأمير بيبغا روس يتحدث في المملكة، فيخرج الإقطاعات للأجناد والإمرات للأمراء .بمصر والشام، وإليه يرجع أمر نواب الشام أيضاً، وأنهم يجتمعون للمشورة بين يدي السلطان فيما يتجدد، وألا يدعوا السلطان يتصرف في المال، ولا ينعم على أحد، ولا يمكن من شيء يطلبه، فمشت الأمور على هذا.
وفيه وقف نحو المائتين ممن كان بخدمة الأمراء للنائب بيبغا روس يشكون البطالة ففرقوا على كل أمير مائة ثلاثة نفر، وعلى كل أمير طبلخاناه اثنين، وعلى كل أمير عشرة واحدا، ومن لم يكن من الأمراء عنده إقطاع محلول يرتب للواحد منهم مائة درهم وأردبين غلة في الشهر. فمن الأمراء من قبل، ومنهم من أبى أن يقبل منهم أحداً
وفيه تراسل المماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا، فقبض على أربعين من الجراكسة، وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية ثم قبض على ستة، وضربوا قدام الإيوان بالقلعة ضرباً مبرحاً، وقيدوا وحبسوا بخزانة شمايل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان، وتم الاتفاق على أن الأمراء إذا أنفضوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة المقدمين إلى القصر، دون من عداهم من بقية الأمراء، ونفذوا الأمور على اختيارهم، من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء في ذلك. وكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلى بغا الفخري، والأمير بيغرا، والأمير بيبغا ططر، والأمير طيبغا المجدى، والأمير أرلان، وسائر الأمراء، فيمضون لحالهم إلا أمراء المشورة والتدبير، وهم الأمير بيبغا النائب والأمير شيخو العمري، والوزير منجك، والأمير ألجيبغا المظفري، والأمير طاز، والأمير طنيرق، فإنهم يدخلون إلى القصر وينفذون أحوال الدولة بين يدي السلطان، بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم، فتمضي الأمور على ذلك، ولا يشاركهم أحد في شيء من أحوال الدولة.

وفيه قدم الأمير كشلي الإدريسي من حلب، في تاسع عشره، بكتاب الأمير أرقطاى نائب حلب أنه قدمها في ثانيه؛ فكانت جملة ما أنعم به عليه من ذهب وخيل وقماش نحو مائة ألف درهم.

وفيه كتب لنائب الشام أرغون شاه أن يعمل برأيه في نيابة دمشق، ويتحكم في جميع الأحوال من غير مشاورة.

وفي مستهل ذي الحجة: قدم الأمراء المجردون الوجه القبلي، وقد أثروا آثارا قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حق، فإن أرباب الجرائم فروا في البرية فأوقعوا بأصحاب الزروع.

وفيه كتب لطغيه كاشف الوجه القبلي برمي الشعير على بلاد الأمراء والأجناد، وجباية عشرة آلاف أردب منها بسعر عشرة دراهم الأردب؛ فطلب طغيه مقطعي البلاد، وفرق فيهم المال، و لم يعف أحدا.

واتفق في هذه السنة حدوث حر شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام، ثم أعقب الحر ريح من جهة برقه مرت ببلاد البحيرة والغربية تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس الزرع لبساً حتى أيس الناس منه. فبعث الله مطراً مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشد من الأول والزرع مبتل، فلصق بالزروع واستمر عليها. وقد خامر اليأس من الزروع قلوب الناس، وتيقنوا الهلاك، فتدارك الله الناس بلطفه، وبعث نداً كثيراً في الأسحار، فأنحل التراب عن أخره، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف.

وفيه قدم كثير من أهل دمشق للسعي من باب الوزير منجك في المباشرات، منهم ابن السلعوس، وصلاح الدين بن المؤيد وابن الأجل، وابن عبد الحق، فولى ابن الأجل نظر الشام وتوجه إلى دمشق، فضربه الأمير أرغون شاه نائب الشام ضرباً مؤلماً، وأخذ خلعته، وكتب بسببه إلى مصر يغض منه؛ فرسم أن من طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام شنق وأخذ ماله.

وفيه استقر جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلاتي في قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن شرف الدين محمد بن أبي بكر بن ظافر بعد وفاته.

وفي هذه السنة: استجد.بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباحي، وولي قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض ولم يكن بها قبل ذلك مالكي ولا حنبلي، فاكتمل بها أربعة قضاة.

وفيها كان الغلاء بأرض مصر والشام، حتى بيعت غرارة القمح في دمشق بثلاثمائة درهم؛ ثم أنحط السعر.

وفيها توقف النيل في أوائل أيام الزيادة، فارتفع سعر الغلال. ثم توالت الزيادة حتى كان الوفاء في رابع جمادى

الأولى، وهو تاسع مسرى، وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعاً واثنين وعشرين إصبعاً. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب، فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهم، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما.

ومات فيها من الأعيان تقي الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقي، بها في ليلة الجمعة سادس رجب. وقد ولي بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست، ثم نظر النظار؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا، في يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به، وزوجه ابنته، وجعله أمير شكار، ثم نائب غزة.وأعيد بعده في أيام الصالح إسماعيل في مصر، وعمل أمير آخور. ثم استقر في نيابة طرابلس مدة، وأحضر إلى مصر في أيام شعبان الكاملي، وعظم قدره ودبر الدولة في أيام المظفر حاجي حتى قتله. وكان كريماً شجاعاً، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريباً مكن القلعة.

ومات الأمير بيدمر البدري مقتولا بغزة، في أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية، وولي نيابة حلب، واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريباً من المشهد الحسيني.

وتوفي قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيى الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسي، عن تسع وسبعين سنة، بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره.

ومات أمير علي بن الأمير قراسنقر.

وتوفي قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبي بكر بن ظافر عبد الوهاب الهمداني، في ثالث الحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفي الحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث والتاريخ وغير ذلك، في ثالث ذي القعدة ومولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومات الأمير الوزير نجم الدين بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، مقتولا بغزة في أوائل جمادى الآخر. قدم من بغداد إلى القاهرة، وولي الوزارة ثلاث مرات فشكرت سيرته، وعرف بالمكارم. وله خانكاه بالقرافة، بجوار تربة كافور الهندي.

ومات قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل، الكرماني الحنفي بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان بارعاً في الفقه والنحو والأصول، وله شعر.

ومات الأمير نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزيبق، بدمشق في سادس رجب؛ وتنقل في ولايات مصر والشام.

ومات أمير بني عقبة بدر الدين شطي بن عبية، ليلة عيد الأضحى؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته.

ومات الأمير طرنطاى البشمقدار، في شعبان.

ومات الأمير ملكتمر الحجازي مقتولا، في تاسع عشر ربيع الآخر. وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزوري، فبذل له فيه السلطان الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامي.بمكة، لما حج ابن الشهرزورى. وقدم به المجد السلامي إلى السلطان الناصر محمد فلم ير.بمصر أحسن منه ولا أظرف، فعرف بالحجازي، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته، وكان مدمن الخمر مرتبه منه

في كل يوم زنة خمسين رطلاً. لم تسمع منه كلمة فحش قط،، ولا توسط بسوء أبدا، مع سخاء النفس وعدم الشر.

ومات الأمير طغيتمر النجمي الدوادار، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق.

ومات الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام قتلا، بقاقون وهو من المماليك الناصرية الذين شغف بهم السلطان الناصر محمد، وعمر له الدار العظيمة التي موضعها الآن مدرسة السلطان حسن، وولي نيابة حلب، ثم نيابة دمشق، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، و لم يكمله، فكمل بعد موته. وكان كريما، يبلغ إنعامه في كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب

ومات إسماعيل وأولاده قتلا بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون العلائي أحد المماليك الناصرية. رقاه السلطان الملك الناصر محمد، وزوجه أم ابنيه شعبان وإسماعيل، وعمله لالا أولاده فدبر الدولة في أيام ربيبه الصالح إسماعيل، وشكرت سيرته، ثم قام بدولة شعبان الكامل حتى قتل، وإليه تنسب خانكاه العلائي بالقرافة. وكان كريما، ينعم في السنة. بمائتين وثلاثين فرسا، ومبلغ أربعين ألف دينار، على الأمراء، وغيرهم.

وقتل أيتمش عبد الغني، وتمر وقراجا، وصمغار.

وقتل بقلعة الجبل الأمير شجاع الدين غرلو، في خامس عشر جمادى الآخرة. وكان من أرمن قلعة الروم، ويدعى أنه جركسي الجنس. وقدم مصر، وخدم في جملة أوجاقية الأمير بهادر المغربي، وصار بعده أوجاقيا عند الأمير بكتمر الساقي، ثم عمله أمير آخور حتى مات بكتمر ثم خدم الأمير بشتاك، ثم تنكر عليه بشتاك، وضربه لتحامقه، وأخرجه فولى ولاية أشمون، ثم استقر في ولاية القاهرة، وانتقل إلى وظيفة شاد الدواوين، وأحدث مظالم كثيرة. وجمع الجراكسة على المظفر حاجي، لأنهم من جنسة وعظم في الدولة المظفرية حتى قتل كما تقدم.

وقتل السلطان المظفر حاجي في مدة أربعين يوماً أحداً وثلاثين أمير، منهم أحد عشر أمراء ألوف.

وقتل متملك تونس أبو حفص عمر بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حقص، في جمادى الآخرة؛ فكانت مدته نحواً من أحد عشر شهراً.وكان قد بويع أخوه العباس أحمد، في تاسع رمضان سنة سبع وأربعين، ثم قتل بعد سبعة أيام.

ومات الشيخ حسن بن النوين أرتنا ملك الروم، في شوال.

سنة تسع وأربعين وسبعمائة

أهلت بيوم الثلاثاء، وهو الخامس من برمودة، والشمس في الدرجة التاسعة عشر من برج الحمل، أول برج فصل الربيع.

في يوم الثلاثاء أول المحرم: قدم الخبر بقتل إسماعيل الوافدي والي قوص، بعد فراره منها وقد جمع عليه عدة من الوافدية يريد تملك بلاد السوادن، فحاربوه وقتلوه ومن معه بأسرهم، وأخذوا منهم مالا كبيراً.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكوراني، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن أسندمر القلنجقى بعد موته - وأخرج ابن الكوراني من السجن أربعين مسجوناً وفعل بهم من القتل والقطع ما توجبه جرائمهم شرعاً.

وفيه قبض على الشيخ علي الكسيح نديم المظفر حاجي، وضرب بالمقارع والكسارات ضربا عظيما، وقلعت

أضراسه وأسنانه شيئاً بعد شيء في عدة أيام، ونوع له العذاب أنواعاً حتى هلك .وكان شنع المنظر، له حدبة في ظهره وحدبة في صدره، كسيحاً لا يستطع القيام، إنما يحمل على ظهر غلامه. وكان يلوذ بألجيبغا المظفري وهو مملوك، فعرف به ألجيبغا الملك المظفر حاجي، فصار يضحكه. وصار المظفر يخرج عليه، ويعاقره الشراب، فتهبه الحظايا شيئاً كثيراً. ثم زوجه المظفر حاجي بإحدى حظاياه، وصار يسأله عن الناس، فينقل له أخبارهم على ما يريد، وداخله في قضاء الأشغال فخافه الأمراء وغيرهم خشية لستانه، وصانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث أنه إذا دخل خزانة الخاص لابد أن يعطيه ناظر الخزانة منها شيئاً له قدر، ويدخل عليه الخاص حتى يقبله منه. وإذا دخل إلى النائب أرقطاى استعاذ من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروبا، وقضى شغله الذي جاء بسببه، وأعطاه ألف درهم من يده، واعتذر إليه فيقول للنائب: "ها أنا أدخل على ابني السلطان، فأعرفه أحسانك". فلما زالت دولة المظفر حاجي عنى به ألجيبغا، إلى أن شكاه عبد العزيز العجمي - أحد أصحاب الأمير قراسنقر - على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل قراسنقر حتى خلصه منه فتذكره أهل الدولة، وسلموه إلى الوالي فعاقبه، واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

وفيه رجمت العامة ابن الأطروش المحتسب. وسببه أن السعر لما تحسن بلغ الخبز ستة أرطال وسبعة أرطال بدرهم؛ عمل بعض الخبازين خبزا، ونادى عليه ثمانية أرطال بدرهم، فطلبه المحتسب وضربه، فثارت العامة به، ورجموا بابه حتى ركب الوالي وضرب منهم جماعة.

وفيه توحش ما بين الأمير شيخو والأمير بيبغا روس نائب السلطان. وسببه أن نفقة السلطان المائة درهم دخلت إليه على العادة، فطلب منه أحد المماليك ثلاثمائة درهم، فبعث إلى الأمير شيخو يطلب منه ذلك، فقال لقاصده: "أيش تعمل بالدراهم؛ وأيش له حاجة بها؛ وما ثم هذا الوقت شيء". فعز عليه ذلك لما بلغه، وأرسل يطلب هذا المبلغ من النائب بيبغا روس، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم. فقامت قيامة شيخو وأقام أياما لا يحدث النائب بيبغا روس، حتى دخل بينهما الوزير منجك، وسأل عن سبب الغضب على النائب. فقال له شيخو" :أنا ما كان عندي دراهم أسيرها للسلطان لكن حفظت ما اتفقنا عليه، فعمل النائب وجهه أبيض عند السلطان، وسود وجهي"؛ فما زال به الوزير منجك حتى رضي.

وفيه قدم الخبر بوقوع الحرب بين سيف بن فضل وعمر بن موسى بن مهنا أسر فيها سيف، وقتل أخوه وجماعة من أصحابه.

وفيه توقف أمر الدولة على الوزير منجك فقطع ستين من السواقين ووفر لحمهم ومعلومهم وكسوتهم وعليقهم وقطع كثيراً من الركابين والنجابة، وقطع كثيراً من المباشرين، حتى وفر في كل يوم أحد عشر ألف درهم.

وفتح ابن منجك باب المفايضات بالأخباز والنزولات عنها، وأخذ من ذلك مالا كثيراً وحكم على أخيه الأمير بيبغا روس النائب بتمشية هذا، فاشترى الإقطاعات كثير من العامة.

وفيه قدم خبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم، هلك فيه خلق كثير.

وفيه مات ثلاثة ملوك في شهر واحد، وأن جماعة منهم ركبوا البحر إلى بعض الجزائر، فهلكوا عن آخرهم.

وفي رابع عشريه: قدم الحاج.

وفي خامس عشريه: قبض على الطواشي عنبر السحرتي مقدم المماليك في الدولة المظفرية؛ وكان قد أخرج إلى

المقدس، وحج منه بغير إذن، وقدم القاهرة .فأنكر عليه حجه بغير إذن، وأخذت أمواله؛ ثم أخرج إلى القدس.
وفي يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: عزل الأمير منجك من الوزارة. وسبب ذلك أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الاسكندرية بالحمل على العادة، فوقع الاتفاق على تفرقته في الأمراء، فحمل إلى الأمير بيبغا روس النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى الأمير شيخو ثلاثة آلاف دينار، ولجماعة من الأمراء كل واحد ألف دينار ولجماعة أخرى منهم كل أمير ألف دينار فامتنع شيخو من الأخذ، وقال: " أنا ما يحل لي أن أخذ من هذا شيئاً وقدم أيضاً حمل قطيا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة المماليك فأخذ الوزير منجك من الحمل أربعين ألف، وزعم أنها كانت قرضاً في نفقة المماليك. فوقف المماليك إلى الأمير شيخو، وشكوا الوزير بسببها فحدث الأمير شيخو الوزير في الخدمة ليردها، فلم يفعل، وأخذ في الحط على ابن زنبور ناظر الخاص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستادرية. وألح منجك في ذلك عدة أيام، فمنعه شيخو من ذلك، وشد من أزر ابن زنبور، وقام بالمحاققة عنه، حتى غضب منجك بحضرة الأمراء في الخدمة. فمنع الأمير بيبغا روس النائب الوزير منجك من التحدث في الخاص، وانفض الجمع، وقد تنكر كل منهما على الآخر. فكثرت القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الاعفاء من النيابة، وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدأ وأعاد حتى طال الكلام. ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة واستقراره أستادارا وشادا على عمل الجسور في النيل.
وفيه طلب الأمير أسندمر العمري المعروف برسلان بصل من كشف الجسور، ليتولى الوزارة. فخلع عليه في يوم الإثنين رابع عشريه خلعة الوزارة، و خرج إلى قاعة الصاحب، وجلس والموفق ناظر الدولة والمستوفون، وطلب جميع المشدين وأرباب الوظائف.
وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشربخاناه إلى نيابة صفد وسبب ذلك أنه كان قد كبر في نفسه، وقام مع المماليك على المظفر حتى قتل. ثم أخذ في تحريك الفتنة، واتفق مع ألجيبغا وطنبرق على الركوب. فبلغ الأمير بيبغا روس النائب الخبر، فطلب الإعفاء من النيابة وذكر ما بلغه. ورمى أحمد شاد الشرابخاناه بأنه صاحب فتن، ولابد من إخراجهم من بينهم؛ فطلب أحمد وخلع عليه، وأخرج من يومه.
وفي يوم الثلاثاء خامس عشريه: اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمي، وقرأوا القرآن ودعوا الله. ثم اجتمعوا ثانياً في عصر النهار، فبعث الله مطراً كثيراً.

وفي يوم الأربعاء سادس عشريه: أنعم على الأمير منجك بتقدمة أحمد شاد الشرابخلناه.
وفي يوم الخميس سابع عشريه: امتنع النائب من الركوب في الموكب، وأجاب بأنه ترك النيابة .فطلب إلى الخدمة، وسئل عن سبب تغيره، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إثارة الفتنة، وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه، وأشار لألجيبغا وطنيرق .فأنكرا ما ذكر عنهما، فحاققهما الأمير أرغون الكاملي أن ألجيبغا واعده بالأمس على الركوب في الغد إلى الموكب، ومسك بيبغا روس النائب والوزير منجك فعوتب ألجيبغا على هذا، فاعتذر بعذر لم يقبل منه، وظهر صدق ما رمي به؛ فخلع عليه بنيابة طرابلس، وعلى طينرق بإمرة في دمشق، وأخرجا من يومهما. فقام في حق طينرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفي من السفر، وتوجه ألجيبغا لطرابلس، في ثاني ربيع الآخر بعدما أمهل أياما؛ فأقام الأمراء على حذر وقلق مدة أيام.

وكان ماء النيل قد نشف فيما بين مدينة مصر ومنشأة المهراني إلى زربية قوصون وفم الخور، وفيما بين الروضة والجزيرة الوسطى؛ وصار في أيام احتراق النيل رمالاً وكان قد ركب في الأيام الماضية جماعة من الأمراء والمهندسين ورؤساء المراكب للكشف عن ذلك، وقاسوا ما بين الجيزة والمقياس ليعملوه جسرا. فقال الريس يوسف: "ما يستد هذا البحر أبدا، ومتى ما سديتوه مال على الجيزة وأخربها" ورأى الأمير طقزدمر النائب أن عمل هذا الجسر يدفع قوة الماء إلى بر مصر وبولاق، ويخرب ما هناك من الأملاك. فقام الأمير ملكتمر الحجازي في شكر رجل عنده قد تكفل بسد ذلك، وقام الأمير طغيتمر النجمي بشكر رجل آخر. فرسم بإحضار الرجلين، ونزل النائب والوزير لعمل ذلك، وهما معهما فاستدعى صاحب الحجازي بالخشاب والصواري الكبار والحلفاء، وطلب مراكب لتملأ بالحجارة حتى يغرقها من جهة المقياس ويعمله سداً، ثم يرجع إلى السد الثاني فيسده بالتراب، وطلب الأبقار والجراريف فخالفه الآخر صاحب طغيتمر، وقال بل يسد من بستان الذهبي إلى رأس الجزيرة والتزم أنه لا يصرف عليه سوى أربعة آلاف درهم فسخر منه جميع من حضر، النائب كيف يكون هذا، فذكر أنه يسده بالحلفاء والخوص فعادوا إلى السلطان المظفر حاجي، فالتزم له أن يسد الجسر .مما تقدم ذكره، على أن يعطيه إقطاعاً، ويرتب له لحماً وعليقاً، وأن لم يسده شنقه السلطان.

فرسم للأمير أسندمر الكاشف ولشاد العمائر بالوقوف معه في العمل، فاستدعى الرجل بأخشاب وحلفاء وخوازيق، وطلب الرجال، وابتدأ العمل من موضع قليل الماء تجاه بستان الذهبي، ورمى فيه التراب والحلفاء ودكه بالرمال مدة أسبوع. وكلما سد موضعاً بالنهار قطعه الماء بالليل وعاد كما كان؛ فظهر جهله، وقصد السلطان تأديبه حتى شفع فيه النائب.

فقام صاحب الحجازي بالعمل، وكتب تقدير ما يحتاج إليه من صواري وأخشاب وغيرها مائة وخمسين ألف درهم، وذلك عن ثمن خمسمائة صاري، وألف حسنية وألف حجر عرض ذراعين في مثلها، وخمسة آلاف شنف وغير ذلك فرسم بجباية ذلك من الأملاك التي على شاطئ النيل من رأس الخليج إلى آخر بولاق، فاستخرج منها هو سبعين ألف درهم؛ وكان من انتقاض الدولة المظفرية ما كان.

فلما كان في سنة تسع وأربعين هذه وقع الكلام في ذلك، فأراد الأمير شيخو أن يكون عمله على الأمراء والأجناد وفلاحي البلاد، فلم يوافقه الأمير منجك، واحتج بقرب زيادة النيل، وأن الغلات قد تعطل حملها في النيل من النواحي لقلة الماء في مواضع الحمل، والتزم بعمله من غير أن يسخر فيه أحدا. فيكب الأمير بيبغا روس النائب والأمير شيخو والأمير منجك وعامة الأمراء إلى الجزيرة، وقاسوا منها إلى المقياس، ليعمل هناك جسر. فذكرت البحارة أن هذا الموضع لا يمكن سده لكثرة كلفه، وأنهم إن سدوه أضر ببلاد الجيزة، وقوى الماء على جهة مصر، وأضر وأتلف ما على النيل من الدور فسفه الأمير منجك رأيهم، ورد قولهم، والتزم للأمراء بسده. فعادوا وقدروا مصروفه على الأمراء والأجناد والكتاب وأصحاب الأملاك، وسائر الناس وكتب أوراق من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والأمراء وعبر إقطاعاتهم. وفرض على كل مائة دينار درهم واحد، وفرض على كل أمير من أمراء الألوف ما بين أربعة آلاف درهم إلى خمسة آلاف درهم، وفرض على بقية الأمراء الطبلخاناه والعشرات بحسبهم. ورسم أن يؤخذ من كل كاتب أمير مقدم مبلغ مائتي درهم، ومن كل كاتب أمير طبلخاناه مائة درهم. وفرض على كل حانوت من حوانيت التجار والباعة درهم، وعلى كل

دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما درهمان، وعلى كل بستان عشرة دراهم الفدان، وبعضها أخذ منه عن كل فدان عشرون درهماً، وعلى كل حجر من حجارة الطواحين خمسة دراهم. وجبى من كل صهريج ماء بتربة أو مدرسة ما بين عشر دراهم إلى خمسة دراهم، ومن كل تربة ما بين ثلاثة دراهم إلى درهمين وضقعت الأملاك التي استجدت من الدور والبساتين وغيرها، فيما بين بولاق إلى كوم الريش ومنية السيرج، والأحكار التي عمزت على الخليج الناصري، وبركة الطوابين المعروفة ببركة الرطلى، وقنطرة الحاجب وأرض الطبالة، وجامع حكر أخي صاروحا وقيست كلها وأخذ عن كل ذراع خمسة عشر درهماً، وأخذ من أقمنة الطوابين والفواخير.

وطلب مباشرو أوقاف الشافعي وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف، وألزموا بمال. وكتب بطلب الرهبان من الديارات بالأعمال، وقرر على كل منهم ما بين المائتي درهم إلى المائة درهم، وأن يؤخذ عن كل نخلة ببلاد الصعيد درهم. وجبى من المتعيشين في القاهرة ومصر ما بين درهم كل واحد إلى عشرة دراهم، ومن كل قاعة ثلاثة دراهم، ومن كل طبقة درهمان، ومن كل مخزن أو اسطبل درهم، ومن كل فندق وخان بحسبه. وقرر على ضامنة المغاني خمسة آلاف درهم.

وعمل موضع المستخرج من الناس خان مسرور بالقاهرة، وشاد المستخرج الأمير تلك. وعمل لكل جهة من هذا الجهات شاد وكاتب، وعدة أعوان من الرسل وصيرفي.

فارتجت أحوال المدينتين وأعمالهما وبطلت الأسباب لسعى الناس فيما عليهم وتسلطت العرفاء والضمان وأصحاب الرباع والرسل على كل أحد، فلم يبق رجل ولا امرأة حتى جبوا منه، وكان الواحد منهم يغرم للرقاص والصيرفي والشاد، ويعطي أجرة الشهود الذين يشهدون عليه أنه قام.مما عليه.

وشرع منحك في جميع الأصناف المحتاج إليها، وضرب له خياماً على جانب النيل بالروضة. ونودي في الناس من أراد العمل فله درهم ونصف، وثلاثة أرغفة خبز؛ فاجتمع له خلائق، وعمل لهم موضعاً يستظلون فيه حر الشمس؛ ورفق منجك بهم في العمل. وأقام منجك عدة من الحجارين لقطع الحجارة من الجبل، ونقلها إلى الساحل، وحملها في المراكب لبر الجيزة، لعمل جسر من الجيزة إلى المقياس. ورتب منجك عمل جسر آخر من الروضة إلى الجزيرة الوسطى، وأقام الأخشاب بجانبي كل جسر منهما، وردم التراب والحجارة في وسطه مع الحلفاء، ورتب جمال السلطان لقطع الطين من بر الروضة ورميه بوسط الجسر؛ وأقام على كل جهة شادين ومستحثين. وأقام منجك الصارم شاد العمائر على العمل، ورسم ألا يتاخر عنه صانع، والزم تجار مصر وغيرهم بنقل التراب إلى الجسر؛ فكان الرجل منهم يغرم في نقل التراب ما بين الخمسمائة إلى آلاف درهم؛ ورميت عشر مراكب مملوءة حجارة في وسط جسر المقياس. ولم يزل العمل مدة أربعة أشهر، أولها مستهل المحرم وآخرها سلخ ربيع الآخر.

وكان منجك قد حفر أيضاً خليجاً تحت الدور من موردة الحلفاء إلى بولاق فلما زاد النيل جرى الماء فيه، ودخلته المراكب الصغار. ففرح الناس به، وسروا سرورا زائدا، ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة. غير أن الشناعة قامت على منجك، لكثرة ما جبى من الأموال العظيمة، حتى أراد بيبغا روس النائب منعه من ذلك، فلم يقبل منه، ولم يتم من العمل سوى ثلثيه وقويت الزيادة، فبطل العمل.

وكان القاع في هذه السنة أربعة أذرع، ونودي في أول الزيادة بإصبعين، ثم بعشر أصابع، ثم بخمسة عشر

إصبعا، ثم بثمان، ثم بعشرين. ولم تزل الزيادة تقوى حتى غرقت المقاتي، والتقى البحر برأس الخليج الذي استجد فيه الماء. ثم علا الماء على الجسر، وكاد يقطعه.

فركب منجك ومعه والي الجيزة وخلائق من العامة والأمراء، وردمه بالتراب، فاندفع الماء إلى جهة الميدان وزربية قوصن. فكان قياس جسر الجزيرة الوسطى مائتي قصبة في عرض ثماني قصبات، وارتفاع أربع قصبات، وطول جسر المقياس مائتين وثلاثين قصبة، وعدة ما رمى فيه من المراكب الحجر اثنا عشر ألف مركب، سوى التراب والطين؛ وغرم عليه ما لا يمكن حصره. ويقال إنه جبى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار، فإن الرجل كان يفرض عليه درهمان، فيغرم فيما تقدم ذكره عشرة دراهم.

وفي يوم الإثنين خامس عشر ربيع الآخر: أعيد الأمير منجك اٍ لى الوزارة، باستعفاء أسندمر العمرى، لتوقف أحوال الدولة.

وفيه أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائى، وطيبغا المظفرى، ومنكلى بغا المظفرى وفُرقوا ببلاد الشام.

وفيه قدم من جهة أَولاد جوبان قاصد.بمال لعمارة عين جوبان بمكة، وإجراء الماء إليها وقد انقطع. فلم توافق الأمراء على ذلك، وعينوا فارس الدين قريب ال ملك لعمارتها، صحبة الرجبية. ورُسم لقاضى القضاة عز الدين بن جماعة بالإنفاق عليها من مال الحرمين فأًخذ فى الاهتمام للسفر.

وفيه خلع على أيتمش الناصرى الحاجب، واستقر أمير جاندار.

وفيه خلع على الأمير جركتمر، واستقر نائب الكرك، بعد وفاة تمربغا العقيلى وفيه قدمت هدية الأمير شاه نائب الشام وقوده، بزيادة عما جرت به العادة، وهى مائة وأربعون فرسًا بعبى تدمرية، فوقها أجلة أطلس، ومقاود سلاسلها فضة، ولواوين بحلق فضة، وأربعة قطر هجن سلاسل مقاردها الحرير من فضة وذهب، وأكوارها مغشاة بذهب، وأربعة كنافيش ذهب عليها ألقاب السلطان، وتعابى قماش مفتخر. و لم يدع الأمير أرغون شاه نائب الشام أحدًا من الأمراء المقدمين، ولا من أرباب الوظائف حتى الفراش ومقدم الاسطبل، ومقدم الطبلخاناه والطباخ، حتى بعث إليهم هدية. فخلع على مملوكه عدة خلع، وكُتب إليه بزيادة على اٍقطاعه، ورسم له بتفويض حكم الشام اٍليه، يعزل ويولى بحسب اختياره.

وفيه خلع على صدر الدين الكازاتى بمشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقرس عرضاعن الركن الملطى. وكان هذا الرجل قد ورد اٍلى مصر، وأقام بها لا يؤبه له حتى نيابة بيبغا روس ووزارة منجك، فتردد إليهما، وأظهر التزهد ومعرفة العلم، وصنف كتابًا على مذهب الحنفية بالتركى، وقدمه لهما، فراج به عندهما، وكان قد تحرك للحنفية حظ منذْ أعوام. ثم سألهما صدر الدين هذا فى مشيخة الشيوخ، جْمع بيبغا روس النائب الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى وعامة صوفية الخوانك وشمايخها بجامع القلعة وعرفهما الأمير قبلاى الحاجب عن الأمير بيبغا روس النائب أن الركن الملطى له منذ غاب سبع سنين، وقد ثبتت عنده وفاته، وعين عوضه الكازاتى ة فأنكروا بأجمعهم ولايته، ووضعوا منه فشق ذلك على الأمير بيبغا روس النائب ورسم بحضورهم بعد العصر في الخدمة. فلما حضروا خلع بيبغا روس على الكازاتي، فلم يتكلم أحد منهم فنزل وهم معه.

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن المجدي بإمرة طبلخاناه أيضا.

وفي جمادى الأولى: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ثم خرج إلى ناحية سرياقوس في أول جماد الأولى، وأقام بها أياما. فكثر تسلط السراق على الناس، فوكل بهم الوزير منجك عرب بني صبرة بإقطاعات، وندبهم

للركوب في الليل، ودركهم تلك الأراضي.

وفي مستهل رجب: جهز لعمارة عين جوبان من مال الحرمين مبلغ مائتي ألف درهم.

وفيه قدم الخبر بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش، وانتصر فيها أولاد دمرادش، وقتلوا كثيراً من عسكر الشيخ حسن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا، فخلع عليه، واستقر في إمرة العرب، وتوجه إلى بلاده وهو مريض وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمري بإمرة كوكاى المنصوري، بعد موته؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير نوروز.

وفيه أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك، وعوض عنها ناحية برما، وهي مثلا بوصير.

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتي، بعد موته.

وفيه ولي الوزير مازان الغربيه، وولي ابن سلمان منوف عوضا عن مازان وولي صلاح الدين بن العنتابي البهنساوية، وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار.

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة.

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة.

وفيه وفر إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين، وأقطع المماليك، وأنعم عليه باقطاع الأمير جركتمر.

وفيه وفرت جوامك جماعة ورواتبهم.

وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعي في الوظائف.بمال، فلم يرد أحداً؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بألف عليقة.

وفيه توجه ببيغا روس النائب إلى العباسة، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار، وأتته تقادم جليلة.

وفي هذا الأيام: كثر سقوط الدور التي على النيل، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته في ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره، إلى أن كان الوفاء في يوم الجمعة أول جمادى الأولى، وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته، وتوقف أياماً؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب خمس أصابع، فقلق الناس قلقا زائداً. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه؛ وثبت على سبعة عشر ذراعا وثمان عشرة إصبعا. فشمل الري البلاد وانحط سعر الغلال. فلما أخذ ماء النيل في الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئاً بعد شيء، ثم سقط أحد عشر بيتا بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقيلة، فإن الماء لما عمل الجسر الذي تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق، وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها، وذهب فيها مال كبير للناس في الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافي، وقطعة من ربع الخطيرى، وعدة دور.

وفيه كثرت الأخبار بوقوع الوباء في عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. فكثر الوباء حتى بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس.

وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بواد في ناحية توريز أفاعي ذات

خلق عظيم من الطول والضخامة، وقد اجتمع منها عدد كثير جداً. وصارت فرقتين، واقتتلت يوما كاملا حتى دخل الليل فافترقوا، ثم عادوا من الغد بكزة النهار إلى القتال، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى، وقتلت منها مقتلة عظيمة، وانهزم باقيها، فلم تدع في هزيمتها حجراً إلا قصمته، ولا شجراً إلا قلعته من أصله، ولا حيوانا إلا أتلفته؛ فكان منظراً مهولا.

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده، وفيه اثنان وسبعون فرسا، أقلها بعشرة آلاف درهم، وأوسطها بعشرين ألفا، وأغلاها بثلاثين ألفا، سوى الهجن وغيرها. وقدم صحبته أحمد طظر أمير بني كلاب، وندا أمير آل مرا؛ فأكرم ندا وأحمد طظر، وأعيدا إلى بلادهما؛ وقبض على فياض، وأخذت خيوله وما معه، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه قدم الخبر بقتل الأمير صعبه كاشف الوجه القبلي، فيما بين عرك وبني هلال، وقتل كثير من أصحابه، وأخذ ما معهم. وشن العرب بعد قتله الغارات على البلاد، وأمعنوا في نهب الغلال وقطع الطرقات، وذلك بعد دخولهم سيوط ونهبها. فعين عشرة أمراء للتجريدة، ثم تأخر سفرهم خوفاً على الزرع وفي ثالث ذي الحجة: أخرج الأمير طشبغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت له مع علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر؛ أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر، ودخلا على الأمير شيخو كذلك. فأنكر شيخو عليه ذلك، وبقي بطالا، وعمل قطليجا الأرغوني دواداراً عوضه.

وفيه أنعم على جاورجي مملوك قوصون بإمرة عشرة، وعلى عرب بن ناصر الدين الشيخي بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم محمل سيس بحق النصف، لخراب البلاد من كثرة الفناء بها.

وفيه كتب بولاية حياد بن مهنا إمرة العرب.

وفيه قدم الخبر بخروج عشير الشام عن الطاعة، وكثرة الحروب بينهم، وقتل بعضهم بعضا، ونهب الغرد ونابلس، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك.

وفيه أخرج يلجك قريب لنيابة غزة عوضاً عن أحمد الساقي؛ وقدم أحمد الساقي إلى مصر.

وفيه انحلت إقطاعيات كثيرة لموت الناس، فوفر الوزير جوازك الحاشية ورواتبها؛ وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال، والمرتبين في الصدقات، والكتاب والموقعين، والمماليك السلطانية، على قدر ما بأسمائهم.

وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودي ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة، وبرد الرصاص والنحاس الأصفر، فمشت الأحوال.

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصري عوضاً أمير جندار، واستقر الأمير قبلاوي حاحب الحجاب عوضا عن أيتمش. وفيه استقر ابن الأطروش في قضاء العسكر على مذهب أبي حنيفة، ولم يعرف أحدا قبله ولي هذا .بمصر؛ واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي في قضاء العسكر على مذهب الشافعي.

وفيه استقر خاص ترك بن طغيه الكاشف في ولاية منفلوط، واستقر مجد الدين موسى بن الهذباني والي الأشمونين في كشف الوجه القبلي، بعد قتل طغيه بم ونقل محمد ابن أياس الدويداري من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية.

وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف في قضاء الشافعية بحلب عوضا عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصابغ، بعد وفاته .واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبي السفاح كاتب السر بحلب، عوضا عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

وفيها وجد للشيخ حسن متولي بغداد بدار الخلافة دفينا في خربة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهباً.

فكانت سنة كثيرة الفساد في عامة أرض مصر والشام، من كثرة النفاق، وقطع الطريق، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وانفراده وأخيه الأمير بيبغا روس النائب بالتدبير، دون كل أحد.

ومع ذلك فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الإسلام مثله، فإنه ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء في الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر في شعبان ورمضان وشوال، وارتفع في نصف ذي القعدة.

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف نفس في كل يوم.

وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر. وكان الموت بالطاعون يبصق الإنسان دماً، ثم يصيح ويموت؛ وعم مع ذلك الغلاء الدنيا جميعها.

ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني أدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى أخرها ستة أشهر، وهي بلاد الخطا والمغل، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدقم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، في مشاتيهم ومصايفهم، وفي مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفاً مرمية فوق الأرض، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أزبك ثم حملت الريح نتنتهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، و لم يبق بذاك الإقليم من يحكمه.

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم في طريقهم؛ وبدت فرس منهم بعد موقم عائدة إلى جبالهم، فأخذ بقية من تأخر بها في تتبع آثارهم حتى تعرف خبرهم، فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا، فأخذهم الموت أيضاً في طريقهم، ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل، فماتوا مع أهاليهم جميعاً إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم، فأصابهم الوباء.

وعم الوباء بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففني أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفاً من الموت، فلم يجدوا أرضاً إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعاً.

وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور في يوم واحد.بموضع واحد مائة وثمانون نفساً؛ وخلت سيس وبلادها.

ووقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فنيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكاً في مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، و لم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين.

ووقع الوباء ببغداد أيضاً، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طلوعاً، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة؛ فكتب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر.

وفي أول جمادى الأولى: ابتدأ الوباء بأرض حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وباد أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع. و لم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة. ولم يبق.بمدينة لد أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملآنة بجيف الموتى. ولم يدخل الوباء معرة النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم. وأول ما بدأ الوباء بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بثرة فيخر صريعاً ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعا. ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيراً. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة.

وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثاني المحرم إلى رابع صفر - على ما ورد في كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده، ويوجد أخر قد مات وفي يده ما يبذره، وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نفرا لإصلاح أرضه، فماتوا واحداً بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نفر لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعرش، وترك غزة خالية.

ومات أهل قطا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالي وغلامين من أصحابه وحاربة عجوز. وبعث الوالي يستعفي، فولى الوزير عوضه مبارك أستادار طغجى.

وعم الوباء بلاد الفرنج، وابتدأ في الدواب، ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من في أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعاً من بعد العصر إلى المغرب، خوفا أن يبيد الموت الفرنج، فتملك المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قصبة فغرق كثير من مراكبهم وتكسرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا، وهلك لهم ثلاثة ملوك واستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذي ملكوه عليهم رابعاً بجماعته في مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يمض عليهم في البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم في المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن أخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موقمم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارقمم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحداً؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم

بها وماتوا.
وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجد ركابها بها أحدا، وإن صدفت أحدا في بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصبر بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون في البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت.
وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجراً وثلاثون رجل، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، و لم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعاً بالثغر، وعم الموت أهل حزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم .فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقي منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.
وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها منتنا قد اسود. وتغير أيضاً ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها. وشمل الوباء أيضاً أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضاً شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.
وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية.
وكل الموت أهل البرلس ونستراوه، وتعطل الصيد من البحرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المراكب ويعود من بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبه قدر البندقة قد اسودت.
ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم.
وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، ولا يوجد من يدفنها وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لقلتهم؛ وصارت الفنادق تجد من يحفظها.

وعم الوباء جميع تلك الأراضي، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضم الزرع وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم

الدولة في جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد، وأخذوا مالاً كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين .وكان ابتداء الوباء من أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقي ألحنا، وماتت الدواب والمواشي وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتلأت مساجد بلبيس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقي من باعتها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرحت الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها، وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعايش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها. وبقيت المراكب في البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكاً ميتاً، فكان يوجد في السمكة كبة. وهلكت الأبقار الخيسية والجاموس في المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضاً الكبة.

وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس في برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح في نصف الليل شديدة جداً، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة في وادي دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ في اليوم ألفا ومائتي إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة في البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضي دمشق تقي الدين السبكي رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: "اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه"؛ فعرفهم قاضي دمشق ذلك. فاجتمع الناس في المساجد، وفعلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقاراً وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودي في دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموي، فصاروا إليه جميعاً، وقرأوا به صحيح البخاري في ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رءوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

وابتدأ الوباء في القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم في الباعة، حتى كثر عدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتاً وجباً في يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف في كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس في أقل من أسبوع؛ فشرع الناس في فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: " اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبث بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك. ياذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام"، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس

ودمشق.
وفي شعبان :تزايد الوباء في القاهرة، وعظم في رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع في الجوامع للدعاء.

وفي يوم الجمعة سادس رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويقنتون في صلواقم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه، في يوم الأحد ثامنه.
وفيه مات الرحل الصالح عبد الله المنوفي، فصلى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلىسرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس، وحدث في شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس في بدنه بحرارة، ويجد في نفسه غثيان، فيبصق دماً ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعاً بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعاً، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.
ولم يحتج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراقم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموقم.
وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صبحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرقا تصطدم، والأموات تختلط.
وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي من القاهرة، فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.
وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين داراً خالية. وبقيت الأزقة والدروب. مما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئاً انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس .وحصرت عدة من صلى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وبلغت عدقا ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات

على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد. وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل، كثير من الناس صناعاقم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وعمل جماعة من الناس مدراء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهماً؛ فلم يمتع أكثرهم بذلك، وماتوا.

ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردقا من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته؛ فوجد في بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولا، وإلى الجبل عرضاً. وامتلأت مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على الترب، لعجزهم عن تواريهم. وكان أهل البيت يموتون جميعا وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئاً بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دوراً وأثاثاً وأموالا من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم.مما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحداً عمل فرحاً في مدة الوباء، ولا سمع صوت غناء.

وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد.

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار في طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد في هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

وشمل في آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها. ولم يدخل الوباء ثغر أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنساناً. وطلب بناحية بمجورة شاهد فلم يوجد، وخرج من مدينة أخميم شاهد مساحة مع قاضيها بقياسين، لقياس بعض الأراضي؛ فعندما وضعت القصبة للقياس سقط أحد القياسين فحمله رفيقه إلى البلد، فسقط بجنبه ومات؛ وأخذت الشاهد الحمى.

واجتمع ثلاثة بناحية أبيار، وكتبوا أوراقاً بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه؛ فطلعت الأوراق.بموت واحد بعد آخر، فمات الثلاثة على ما طلع في الأوراق، وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة.

وكانت البزداريه إذا رمت طيراً من الجوارح على طائر ليصيده، وجد الصيد وفيه كبة كالبندقة؛ ولم تذبح أوزة ولا شيء من الطيور إلا وجد فيه كبة. ووجدت طيور كثيرة في الزروع ميتة، ما بين غربان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا نتفت وجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود والذئاب والأرانب والإبل وحمر الوحش والخنازير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة.وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغربان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شيء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها.

وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم في أمر الزرع، فإن الوباء ابتدأ في آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تحرث في أراضي الرملة وغزة والساحل، وإذا به يخر ميتا والمحراث في يده، ويبقى بقره بلا صاحب.

ثم كان الحال كذلك بأراضي مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فني الفلاحون، ولم يبقى منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلمانهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ نصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيوهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه.

وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والإسكافية والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا تكلفتاه والقباء.

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شيء. فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضي. و لم يوجد أحد يشتري القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحي القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت .وتركت.ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناي وطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعي دوابه، ولا من يعملها دريسا.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحي أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجيء منهم الخراج، فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرا، ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهماً الأردب.

وتعطلت أكثر الصنائع، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل و لم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن، واتضعت أسعار المبيعات كلها، حتى كانت الفضة النقرة التي يقال لها.بمصر الفضة الحجر، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملية. وبقي الدينار بخمسة عشر درهما، بعدما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهماً في كل شهر، بعد ثلاثين درهماً. فنودي بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم، لقلة الرحال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهماً.

ويقال إن هذا الوباء أقام على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة، وقد أكثر الناس من ذكره في أشعارهم، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردي من مقامة عملها :

سبع يمد إليك ضبعه إسكندرية ذا الوبا

من السبعين سبعه صبراً لقسمتك التي تركت

وقال :

وحماها عن أصلح الله دمشقاً

مسبه

تقتل النفس بحبه نفسها خست إلى أن

وقال :

وقد بدا في حلبا   إن الوبا قد غلبا

كاف ورا قلت وبا   قالوا له عي الورى

وقال :

ويصول في العقلاء كالمجنون   الله أكبر من وباء قد سبا

فعجبت للمكروه في المسنون . سنت أسنته لكل مدينة

وقال :

شرها أرض مشقه   حلب والله يكفي

تقتل الناس ببزقه   أصبحت حبة سوء

وقال :

فقلت يردى هوى الفساد   قالوا فساد الهواء يردى

نادى عليكم بها المنادي   كم سيئات وكم خطايا

وقال :

وهذا يودع إخوانه   فهذا يوصى بأولاده

وهذا يجهز أكفانه   وهذا يهيئ أشغاله

وهذا يلاطف جيرانه   وهذا يصالح أعداءه

وهذا يخالل من خانه   وهذا يوسع إنفاقه

وهذا يحرر غلمانه   وهذا يحبس أملاكه

وهذا يغير ميزانه   وهذا يغير أخلافه

وقد كاد يرسل طوفانه ألا إن هذا الوبا قد سبا

سوى رحمة الله عبدانه   ولا عاصم اليوم من أمره

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدي :

قد جال من قطيا إلى بيروت   قد قلت الطاعون وهو بغزة

وحكمت يا طاعون بالطاغوت   أخليت أرض الشام من سكانها

وقال :

يا عام تسع وأربعينا لما افترست صحابي

بل كنت سبعاً يقينا ما كنت والله تسعاً

وقال :

فالنفس من سكرته طافحة دارت من الطاعون كاس الفنا

لأنه يثبت بالرائحة قد خالف الشرع وأحكامه

وقال :

الطاعون فيها ذا زناد وارى أسفي على أكناف جلق إذ غدا

والظلم زاد فصار بالقنطار الموت أرخص ما يكون بحبة

وقال :

من بعد ما شهد البرية أنسها أما دمشق فإنها قد أوحشت

ضربت بطاعون عظيم نفسها تاهت بعجب زائد حتى لقد

وقال :

وما فاتت الآذان وقعة طعنه تعجبت من طاعون جلق إذ غدا

على أنه قد مات من خلف أذنه فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعا

وقال :

يحاذي بالسلامة كل شرط رعى الرحمن دهرا قد تولى

فجا طاعونهم من تحت إبط وكان الناس في غفلات أمر

وقال :

فالكل مغتبق به أو مصطبح يا رحمتا لدمشق من طاعونها

أو ما تراه بغير سكين ذبح كم هالك نفث الدما من حلقه

وقال :

لم يخل منها في الورى بقعه مصيبة الطاعون قد أصبحت

مدينة أخلاه في جمعه يدخل في المترل لو أنه

وقال الأديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي :

فتك امرئ ظلوم حقود إن هذا الطاعون يفتك في العالم

ويسرق العباد نحو اللحود ويطوف البلد شرقاً وغرباً

مل قهراً وحل نظم العقود قد أباح الدما وحرم جمع الش

وسبا عقل والد بوليد كم طوى النشر من أخ عن أخيه

وقال :

عين أجرى الدموع فوق الخدود أيتم الطفل أنكل الأم أبكى ال

ت تشق القلوب قبل الجلود بسهام يرمي الأنام خفيا

وتلبث يقول هل من مزيد كما قلب زدت في النقص أقصر

مخلص الحمد للولي الحميد إن أعش بعده فإني شكور

كم قتيل كما قتلت شهيد وإذا مت هنئوني وقولوا

وقال الأديب جمال الدين محمد بن نباتة المصري :

فما في المقام للمرء رغبه سر بنا عن دمشق ياطالب العيش

فيها كل نفس بحبه رخصت أنفس الخلائق بالطاعون

وقال الصلاح خليل بن أيبك الصفدي أيضاً :

وأذهل الوالد والوالده قد نغص الطاعون عيش الورى

أطفأهم في نفخة واحده كم مترل كالشمع سكانه

وقال :

في زمان طاعونه مستطير لا تثق بالحياة طرفة عين

والبرايا لها فراش يطير فكأن القبور شغلة شمع

وقال الأديب إبراهيم المعمار :

هذا أوان الموت ما فاتا يا طالب الموت أفق وانتبه

ومات من لا عمره ماتا قد رخص الموت على أهله

وقال :

فقدت فيه الأحبة قبح الطاعون داء

كل نفس بحبيبه بيعت الأنفس فيه

ومات في هده السنة خلائق من الأعيان، منهم برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدي الشافعي، يوم الثلاثاء تاسع عشري شوال؛ ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة، أخذ القراءات على التقي الصائغ، وسمع الحديث من الأبرقوهي، وأخذ الفقه عن العلم العراقي، وبرع فيه، وفي الأصول والنحو وغيره؛ ودرس وأقرأ، وخطب بجامع أمير حسين، واشتهر بالصلاح.

وتوفي برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن علي الحكري، شيخ الإقراء، في يوم عيد النحر. أخذ القراءات عن

التقي الصائغ، ونور الدين علي بن يوسف بن حرير الشنطوفي.

وتوفي الأديب إبراهيم بن علي بن إبراهيم المعمار.

ومات شهاب الدين أحمد بن عز الدين أيبك بن عبد الله الحسامي المصري الدمياطي، نسبة إلى جده لأمه الشافعي الجندي.

ومات الأديب المادح شهاب الدين أحمد بن مسعود بن أحمد بن ممدود السنهوري أبو العباس الضرير؛ كانت له قدرة زائدة على النظم، وشعره كثير.

ومات الأمير أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل ابن ربيعة، أمير آل فضل بسلمية، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفي كاتب السر بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن فضل الله بن علي العمري، في تاسع ذي الحجة بدمشق؛ ومولده بها في ثالث شوال سنة سبعمائة. عرف الفقه على مذهب الشافعي، ودرس العربية؛ وبرع في الإنشاء والتاريخ، وقال الشعر الجيد، وصنف عدة كتب في التاريخ والأدب، وباشر كتابة السر بديار مصر عن أبيه في حياته، ثم استقل في كتابة السر بدمشق.

وتوفي شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس بن ظهير الأنصاري المصري الشافعي، يوم عيد النحر بالقاهرة. درس بالخشابية والمشهد الحسيني، وبرع في الفقه؛ وعظمت شهرته ومات أحمد بن الأمير آقبغا عبد الواحد.

ومات الأمير أحمد بن الأمير أصلم.

ومات شهاب الدين أحمد بن الوجيه المحدث.

وتوفي شهاب الدين أحمد بن ميلق الشاذلي.

ومات الأمير أحمد بن الأمير جنكلى بن البابا، قريبا من عقبة أيلة، بعد عوده من الحج وتوفي شهاب الدين أحمد بن الغزاوي، ناظر الأوقاف المارستان، بطريق الحجاز.

وتوفي المسند زين الدين أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الرحبي الحنبلي، بدمشق؛ ومولده سنة ست وستين وستمائة.

وتوفي الشيخ المعتقد أبو بكر بن النشاشيبي ومات الأمير آقبغا أخو الأمير طقزدمر الحموي.

ومات الأمير أسندمر القلنجقي، والي القاهرة.

ومات الأمير إسماعيل الوافدي، والي قوص، مقتولا.

ومات الأمير إلمش الجمدار، الحاجب بدمشق، وكان مشكورا.

ومات الأمير بلك المظفري الجمدار، أحد أمراء الألوف، في يوم الخميس رابع عشرى شوال.

ومات الأمير برلغي الصغير، قريب السلطان الملك المنصور قلاوون. قدم إلى القاهرة صحبة القازانية سنة أربع وسبعمائة، فأنعم عليه بإمرة، وتزوج ابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، وعمل له مهم عظيم، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة. ثم قبض عليه بعد زوال المظفر بيبرس، وامتحن، وحبس عشرين سنة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بتقدمة ألف فمات بعد أيام.

ومات الأمير بلبان الحسيني أمير جاندار، وهو من المماليك المنصورية قلاوون، وقد أناف على الثمانين.

ومات الأمير بكتوت الفرماني أحد المماليك المنصورية قلاوون، وكان أحد الأمراء البرجية، ثم ولي شد الدواوين بدمشق، وحبس؛ ثم أنعم عليه بطبلخاناه في ديار مضر؛ وكانت به حدبة فاحشة، وولع بتتبع المطالب وعمل الكيميا.

ومات الأمير تخمان.

ومات الأمير تمربغا العقيلي نائب الكرك، في جمادى الآخرة؛ وكان مشكور السيرة وتوفي كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي الإدفوي الفقيه الشافعي الأديب الفاضل، له كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد، وغيره؛ وشعره جيد.

ومات الأمير وداد بن الشيباني، متولى إياس؛ وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير سنقر الرومي المستأمن. قدم رسولا من الفرنج في الأيام الناصرية محمد قلاوون، فأسلم وأنعم عليه بإمرة عشرة. ثم اختص بالصالح إسماعيل وأخيه شعبان الكامل، واتهم بأنه ركب لهما السموم؛ فقبض عليه بعد انقضاء أيام المظفر حاجي؛ ونفي. ثم أحضر، وأنعم عليه بإمرة.

ومات الأمير ناصر الدين خليفة، وزير البلاد القانية علي شاه، في سادس عشرى جمادى الأولى، بدمشق؛ وكان قد قدم من بلاد المشرق، وأعطي إقطاعاً.

وتوفي نجم الدين سعيد بن عبد الله الدهلي بكسر الدال المهملة، الفقيه الحنبلي الحافظ، خامس عشرى ذي القعدة؛ وله كتاب تفتيت الأكباد في واقعة بغداد. ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة، وقدم من بغداد إلى القاهرة، وسمع ودأب وصنف، فبرع في الحديث ومعرفة التراحم.

وتوفي جمال الدين أبو الربيع سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان الحلبي، ناظر الجيش بها وبدمشق.

ومات شيرين بن شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فولى بعده نجم الدين الملطي فمات عن قريب.

ومات الأمير طشتمر طلليه، أحد الأمراء المقدمين، في شوال؛ وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال في أخر كلامه طلليه وهو من المماليك الناصرية.

ومات الأمير طغاي الكاشف مقتولا، فقدم الخبر بقتله يوم الخميس ثالث عشرى ذي القعدة.

وماتت خوند طغاي أم آنوك، وتركت مالا كبيراً وألف جارية وثمانين طواشيا؛ وأعتقت الجميع؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء.

وتوفي الصفي عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزيز سرايا بن ناقا بن عبد الله السنبسي الحلي الأديب الشاعر، آخر يوم من ذي الحجة؛ ومولده خامس ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة؛ قدم القاهرة مرتين.

وتوفي تاج الدين عبد الرحيم بن قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن محمد عبد الكريم القزويني الشافعي، خطيب الجامع الأموي بدمشق، وتوفي معه أخوه صدر الدين عبد الكريم.

وتوفي الرجل الصالح عبد الله المنوفي المالكي، في يوم الأحد ثامن رمضان، وقبره خارج القاهرة يقصد للتبرك به.

وتوفي المسند بهاء الدين علي بن عمر بن أحمد المقدسي الصالحي الدمشقي وقد أناف على الثمانين؛ حدث عن ابن البخاري وغيره.

ومات أمير علي بن طغريل الإيغاني، أحد أمراء الألوف.

ومات أمير علي بن الأمير أرغون النائب.

وتوفي شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين علي بن محمود بن حميد القونوي الحنفي، في رابع رمضان.

وتوفي زين الدين عمر بن داود هارون بن يوسف بن علي الحارثي الصفدي، أحد موقعي الدست - وقد أناف على الستين - بالقاهرة برع في الفقه على مذهب الشافعي، وفي العربية والإنشاء، ونظم الشعر.

وتوفي زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي المغربي الحلبي، المعروف بابن الوردي، الفقيه الشافعي، وهو ناظم الحاوي؛ وقد جاوز الستين، وكانت وفاته بحلب، في تاسع عشرى ذي الحجة.

وتوفي زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامري الغري الشافعي، . بمدينة بلبيس، عن إحدى وسبعين، باشر بالكرك وعجلون وقوص وبلبيس، وبرع في الفقه.

وتوفي زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلقيائي الشافعي، قاضي حلب وصفد، وبها مات عن نحو سبعين سنة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن طقصو؛ وكان فاضلا، صنف في الموسيقا وغيره. ومات الطواشي عنبر السحرتي اللالا مقدم المماليك، منفياً بالقدس.

ومات الأمير قطز أمير آخور ونائب صفد، وهو من جملة الأمراء بدمشق، يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة ومات الأمير قرونه من الأويراتية.

ومات الأمير قطليجا السيفي البكتمري، متولي الإسكندرية، ووالي القاهرة.

ومات الأمير كوكاي السلاح دار المنصوري؛ وترك زيادة على أربعمائة ألف دينار.

وتوفي قاضي الشافعية بحلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصاري، وقد أناف على السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الفقيه الشافعي عن ست وثمانين سنة، بالقاهرة.

وتوفي شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردي الفقيه الشافعي، عن تسع وستين سنة.

وتوفي شمس الدين محمد المعروف بابن الكتاني الشافعي.

وتوفي عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البلبيسي الشافعي، قاضي الإسكندرية في الأيام الناصرية، وهو معزول، في يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان.

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس.

ومات شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطي، وناظر بيت المال، وهو باني جامع الأسيوطي بخط جزيرة الفيل.

وتوفي الشيخ شمس الدين محمد الأكفاني الحكيم، صاحب التصانيف، في يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال.

وتوفي شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطيب؛ وله شعر جيد.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الأصفهاني، الفقيه

الشافعي ذو الفنون، بالقاهرة، في ذي القعدة؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة.
ومات الأمير شرف الدين محمود بن خطير، أخو أمير مسعود.
ومات نكباي البريدي أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ ولي قطيا وإسكندرية، ثم أنعم عليه بطبلخاناه، واستقر مهمنداراً، وإليه تنسب دار نكباي خارج مدينة مصر على النيل، وعني بعمارهّا، فلم يمتع بها.
وتوفي الشيخ المعتقد يوسف المرحلي.
ومات نور الدين الفرج.
وتوفي نور الدين الفرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشافعي: شارح منهاج البيضاوي، في ثالث عشر جمادى الآخرة، بدمشق.

سنة خمسين وسبعمائة

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء.
وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق، على إمرة طبلخاناه.
وفيه اجتمع رأي كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين بن عثمان التركماني، بعد موت والده في تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره، فأجيبوا إليه.
وطلب جمال الدين، وخلع عليه، واستقر قاضي القضاة الحنفية، ونزل إلى المدرسة الصالحية؛ وعمره دون الثلاثين سنة.
وفيه قدم الحاج، وفهم قاضي القضاة زين الدين عمر البسطامي. فترك قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن التركماني تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون، فشكره الناس على هذا.
وفيه وقدم أيضاً قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركماني بابنته.
وفيه وقدم أيضاً الأمير فارس الدين، وقد نازعه عرب بني شعبة في عمارة عين جوبان، فجمع لهم وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيراً وهزمهم؛ وقتل له مملوكان؛ وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلة وكان الغلاء بمكة شديداً بلغت الويبة من الشعير إلى سبعين درهما، فهلك كثير من الجمال؛ ووقع بمكة والمدينة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادي.
وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي واستقر في قضاء القضاة المالكية، عوضاً عن عمه تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأخنائي، بعد موته.

وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك .وكان يوجد في الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور خالية، لا يعرف لها ملاك، فختم عليها. وتتبع الوالي الفنادق والمخازن ودار الوكالة والحواصل والشون وفعل فيها كذلك وفيه قدم الخبر بنفاق العشير وعرب الكرك، وذلك أن عشير بلاد الشام فرقنان - قيس، ويمن - لا ينفقان قط، وفي كل قليل يثور بعضهم على بعض ويكثر قتلاهم، فيأتي

إليهم من السلطان من يجبيهم الأموال الكثيرة. فلما وقع الفناء في الناس ثاروا على عادهم، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين. فجرد إليهم النائب - أعني الأمير أرغون شاه نائب الشام - ابن صبح مقدم الجبلية في عدة من الأمراء، فلم يظفر بهم، وأقام بالعسكر على اللجون وأخذ العشير في الغارات على بلاد القدس والخليل ونابلس، فكتب نائب غزة بمساعدة العسكر.

وفيه اشتدت الفتنة أيضاً في بلاد الكرك بين بني نمير وبني ربيعة، فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان لما أعياه أمرهم وتحصنهم بجبالهم المنيعة أخذ في الحيلة عليهم، وتقدم إلى شطي أمير بني عقبة، وإلى نائب الشام ونائب غزة ونائب الكرك، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ويوقعون بهم؛ فقبضوا على كثير منهم، وقتلوا في جبالهم خلقا كثيراً منهم، وحبسوا باقيهم حتى ماتوا. فسكن الشر بتلك الجهات إلى أن كانت فتنة الناصر أحمد بالكرك، عاد بنو نمير وبنو ربيعة إلى ما كانوا عليه من الفساد، وقوي أمرهم. فركب إليهم الأمير جركتمر نائب الكرك، وطلع إليهم فقاتلوه، وقتلوا من أصحابه عشرة، وكسروه أقبح كسرة؛ فكتب لنائب الشام الأمير أرغون شاه بتجهيز عسكر لقتالهم.

وفي صفر: أنعم على عرب بن ناصر الدين الشيخي بإمرة طبلخاناه، وعلى شاورشي دوادار قوصون بإمرة عشرة.

وفي أول ربيع الأول: قدم قود الأمير جبار بن مهنا، صحبة ولده نعير.

وفيه قدم البريد من غزة بركوب نائبها على العشير، وكبسهم ليلا، وأسر أكثرهم، وقتل ستين منهم، وتوسيط الأسرى بغزة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشريه: شنقت جارية رومية الجنس خارج باب النصر، عند مصلى الأموات. وسبب ذلك أنها كانت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوي فاتفقت مع عدة من الجواري على قتل سيدتها، وقتلوها ليلا بأن وضعن على وجهها مخدة، وحبس نفسها حتى ماتت، وأقمن من الغد عزاءها، وزعمن أنها ضربت بدم. فمشت حيلتهن على الناس أياماً، إلى أن تنافسن على قسمة المال الذي سرقنه، وتحدثن بما كان، وأعترفن على الجارية التي تولت القتل، فأخذت وشنقت، وهي بإزارها ونقابها. وأخذ من الجواري ما معهن من المال، وكان جملة كثيرة. و لم يعهد بمصر امرأة شنقت سوى هذه.

وقد وقع في أيام المنصور قلاوون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضي بهن إلى موضع توهمن أن به من يعاشرهن بفاحشة، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدهم، وقتلوها وأخذوا ثيابها. فاشتهر بالقاهرة خبرها، وعرفت بالخناقة؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والي القاهرة حتى قبض عليها، و سمرها.

ووقع أيضاً في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء، فقبض عليها، وسمروا وسمرت معهم؛ فكانت تقول - وهي مسمرة يطاف بها على الجمال في القاهرة - إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها: "أه يا قحاب، لو عشت لكن لأفنيتكن، ولكن ما عشت."

وفي يوم الأربعاء تاسع عشريه: قدم الخبر بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام، وكان شأنه مما يستغرب.

وذلك أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشريه لم يشعر الأمير أرغون شاه، وقد نزل بالقصر الأبلق من الميدان خارج مدينة دمشق، ومعه أهله، وإذا بصوت قد وقع في الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمعهم. ودارت

النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان. فركبوا جميعاً إلى سوق الخيل تحت القلعة، فوجدوا الأمير ألجيبغا المظفري نائب طرابلس، وإذا بالأمير أرغون شاه ماش، وعليه بغلوطاق صدر وتخفيفة على رأسه، وهو مكتف بين مماليك الأمير فخر الدين أياس.

وذلك أن ألجيبغا لما قدم من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة، وركب معه الأمير فخر الدين أياس السلاح دار، ثم ركب أياس بأصحابه، وأحاط بالقصر الأبلق، وطرق بابه وعلم الخدام بأنه قد حدث أمر مهم، فأيقظوا الأمير أرغون شاه؛ فقام من فرشه، وخرج إليهم، فقبضوا عليه، وقالوا حضر مرسوم السلطان بمسكه، والعسكر واقف. فلم يحسر أحد يدفع عنه، وأخذه أياس وأتى به ألجيبغا. فسلم أمراء دمشق على ألجيبغا، وسألوه عن الخبر، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس، وقبض أرغون شاه وقتله والحوطة على موجوده؛ وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك؛ فأجابوا بالسمع والطاعة، وعادوا إلى منازلهم؛ ونزل ألجيبغا بالميدان.
وأصبح يوم الخميس: فأوقع ألجيبغا الحوطة على موجود أرغون شاه؛ وأصبح يوم الجمعة أرغون شاه مذبوحا. فكتب ألجيبغا محضراً بأنه وجد مذبوحاً والسكين في يده، فأنكر الأمراء ذلك عليه، و كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى القلعة على العادة، واتهموه فيما فعل، وركبوا لحربه يوم الثلاثاء ثامن عشريه. فقاتلهم ألجيبغا، وجرح الأمير مسعود بن خطير، وقطعت يد الأمير ألجيبغا العادلي، وقد جاوز تسعين سنة.
وولي ألجيبغا نائب طرابلس، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله؛ وتوجه نحو المزة، وصحبته الأمير أياس الذي كان نائب حلب، ومضى إلى طرابلس.
وسبب ذلك أن أياس لما عزل من نيابة حلب بأرغون شاه، وأخذت أمواله وسجن، ثم أفرج عنه واستقر من جملة أمراء دمشق وأرغون شاه نائبها. وكان أرغون شاه يهينه ويخرق به. واتفق أيضاً إخراج ألجيبغا المظفري من القاهرة إلى دمشق أميراً بها، فترفع عليه أرغون شاه وأذله، فاتفق مع أياس على مكيدة. وأخذ ألجيبغا في السعي لخروجه من دمشق عند الأمراء، وبعث إلى الأمير بيبغا روس نائب السلطان وإلى أخيه الوزير منجك هدية سنية، فولوه طرابلس كما تقدم، وأقام بها إلى أن كتب يعرف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق، وطلب أن يكتب لنائب الشام يردهم إلى طرابلس، فكتب له بدلك. فشق على أرغون شاه أن ألجيبغا لم يكتب إليه يسأله، وإنما كتب إلى السلطان والأمراء دونه، وكتب إلى ألجيبغا بالإنكار عليه، وأغلظ له في القول، وحمل البريد إليه مشافهة شنيعة؛ فقامت قيامة ألجيبغا عند سماعها، وفعل ما فعل.
ولما قدم خبر قتل الأمير أرغون شاه ارتاع الأمراء، واتهم بعضهم بعضا. فخلف كل من شيخو والنائب بيبغا روس على البراءة من قتله، وكتبوا إلى ألجيبغا بأنه قتل أرغون بمرسوم من، وإعلامهم. بمستنده في ذلك؛ وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة.
وكان ألجيبغا وأياس قد وصلا إلى طرابلس، وخيما بظاهرها فقدمت في غد وصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراز على ألجيبغا حتى يرد مرسوم السلطان، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان، "ومشت حليته علينا"، وكتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العربان.بمسك الطرقات عليه. فركب عسكر طرابلس بالسلاح، ووقفوا تجاه ألجيبغا، وأحاطوا به. فوافاهم كتاب السلطان بمسكه، وقد صار عن طرابلس، فساروا

خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت، فإذا أمراء العربان، وأهل بيروت واقفون في وجهه .فوقف ألجيبغا نهاره، ثم كر راجعاً، فقابله عسكر طرابلس، فقبض عليه وفر أياس، فلم يقدر عليه. ووقعت الحوطة على مماليك ألجيبغا وأمواله، وأخذ الذي كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فاعتذر بأنه أكره على ذلك، وأنه غير الألقاب وكتب أوصال الكتاب مقلوبة حتى يعرف أنه مزور. وحمل ألجيبغا مقيد إلى دمشق. فقبض نائب بعلبك على أياس، وقد حلق لحيته ورأسه واختفي عند بعض البصارى، وبعث إلى دمشق فحبسا بقلعتها، وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء.

وكان قد ركب الأمير قجا السلاح دار البريد إلى دمشق بأمر السلطان، فأخرج أياس وألجيبغا ووسطهما، وعلقهما على الخشب يوم الخميس حادي عشري ربيع الآخر. وكان عمر ألجيبغا نحو تسع عشرة سنة، وهو ما طر شاربه.

وفيه كتب باستقرار الأمير أرقطاى نائب حلب في نيابة الشام، عوضا عن أرغون شاه. واستقر الأمير قطليجا الحموي نائب حماة في نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرقطاى واستقر أمير مسعود بن خطير في نيابة طرابلس، عوضا عن ألجيبغا المظفري.

وفيه قدم طلب أرغون شاه ومماليكه وموجوده، ثم وصل طلب ألجيبغا ومماليكه وأمواله وأموال أياس؛ فتصرف الوزير منجك في الجميع.

وفيه قدم الخبر.بموت الأمير أرقطاي نائب الشام، فكتب باستقرار الأمير قطليجا نائب حلب في نيابة الشام، وتوجه ملكتمر المحمدي بتقليده. فقدم الخبر بأن ملكتمر المحمدي قدم حلب وقطليجا متغير المزاج، فأخرج ثقله بريد دمشق، وأقام بظاهر حلب مدة أسبوع ومات، فأراد بيبغا روس النائب منجك إخراج الأمير طاز لنيابة الشام، والأمير مغلطاي أمير آخور لنيابة حلب؛ فلم يوافقا على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع. فخلع على الأمير أيتمش الناصري واستقر في نيابة الشام، عوضاً عن قطليجا، في يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى، وتوجه إليها وخرج الأمير قماري الحموي إلى دمشق، وجمع أمراءها، وقبض على كثير منهم، وقيدهم وسجنهم.

وفي هذه الأيام: توقفت أحوال الدولة، وقطعت مرتبات الناس من اللحم والشعير، وصرف للماليك السلطانية عن كل أردب شعير خمسة دراهم، وقيمته اثنا عشر درهما.

وفي عاشر جمادى الآخر: خرحت التجريدة إلى قتال العشير والعربان. وسببه كثرة فسادهم ببلاد القدس ونابلس. وكان قد قبض على أدى بن فضل أمير جرم، وسجن بقلعة الجبل، ثم أفرج عنه بعناية الوزير منجك. فجمع أدى وقاتل سنجر بن علي أمير ثعلبة فمالت حارثة مع أدى، ومالت بنو كنانة مع سنجر، وجرت بينهم حروب كثيرة، قتل فيها خلائق، وفسدت الطرقات على المسافرين. فخرحت إليهم عساكر دمشق، فلم يعبئوا بهم. فلما ولي الأمير يلجك غزة استمال أدى بعد أيام، وعضده على ثعلبة؛ واشتدت الحروب بينهم، وفسدت أحوال الناس .فركب يلجك بعسكر غزة ليلا، وطرق ثعلبة، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، وألقوه عن فرسه إلى الأرض، وسحبوه إلى بيوتهم فقام سنجر بن علي أمير ثعلبة عليهم حتى تركوا قتله، بعد أن سلبوا ما عليه، وبالغوا في إهانته، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد يلجك إلى غزة، وقد اتضع قدره وتقوى العشير.بما أخذوه من عسكره، وعز حانبهم، فقصدوا الغور، وكبسوا القصير المعيني، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال

المعاصر، ونهبوا جميع ما فيه من القنود والأعمال والعسكر وغيره، وذبحوا الأطفال على صدر الأمهات .وقطعوا الطرقات، فلم يدعوا أحداً يمر من الشام إلى مصر حتى أخذوه. وقصدوا القدس، فخلى الناس منه ومن الخيل ثم قصدوا الرملة ولد فانتهبوها؛ وزادوا في التعدي، وخرحوا عن الحد، والأخبار ترد بذلك.

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دلنجي نيابة غزة، وأبقى على إقطاعه بمصر، وخلع عليه وأخرج إليها وكتب بخروج ابن صبح من دمشمق على ألفي فارس، وتجهز الوزير منجك ومعه ثلاثة أمراء من المقدمين، وهم المحمدي وأرغن الكاملي وطقتمر فسار قبلهم لاجين أمير آخور في جماعة من طريق عقبة أيلة، في يوم السبت رابع عشره.

وبينما الوزير ومن معه في أهبة السفر إذ قدم الخبر أن الأمير قطيلجا توجه من حماه إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرقطاي فوحد طلب أرقطاى وقد برز خارج حلب يريد القاهرة، فأعاقه لعمل محاسبة إقطاع النيابة بحلب، وركب بحلب موكبا. ثم ركب الأمير قطليجا الموكب الثاني، ونزل وفي بدنه تغير؛ فلزم الفراش أسبوعاً ومات. فسأل أرغون الكاملي أن يستقر عوضه في نيابة حلب، فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه في يوم الخميس؛ وأنعم بتقدمة على الأمير قطلوبغا الذهبي، ورسم بسفره في يوم الخميس المذكور.

وخرج الوزير منجك في تجمل عظيم، وقد كثرت القالة في أنقضاء مدته ومدة أخيه الأمير بيبغا روس، وأن الأمير شيخو وطاز ومغلطاي وغيرهم من الأمراء قد اتفقوا عليهما حتى بلغهما ذلك، وأن الوزير منجك قصد إبطال التجريدة.

وهذا وقد قدم الوزير النجابة لكشف أخبار العشيرة، فلما رحل عن بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة ركبت بأجمعها، ودخلت برية الحجاز، لما بلغهم مسير العسكر إليهم، فنهب أدى كثيراً منهم، وانفرد في البلاد بعشيرة. فعاد الوزير بمن معه، وعبر القاهرة في ثاني عشريه بعد أربعة أيام. وكان قد حصل للوزير في هذه الحركة من تقادم الكشاف والولاة والأمراء والمباشرين ما ينيف على مائة ألف دينار، فتلقته العامة بالشموع، وابتهجوا بقدومه، وأتته الضامنة بجميع أرباب الملاهي، وكان من الأيام المشهورة.

وفي مستهل رجب: قدم الخبر بأن الأمير دلنجي نائب غزة بلغه كثرة جميع العشير، وقصدهم نهب لد والرملة؛ فركب إليهم ولقيهم قريباً من لد، متزل تجاههم، وما زال يراسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرهم، فقبضهم وعاد إلى غزة، وقد تفرق جمعهم، فوسطهم كلهم.

وفيه توحه طلب الأمير أرغون الكاملي إلى حلب.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاى مع ولده وفي يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاي الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشر.

وفي هذا الشهر: غير الوزير ولاة الوجه القبلي، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدواداري.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم.

وفيه أعيد فار السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مخلد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجونا إلى أن أفرج عن المحابيس في أيام الصالح إسماعيل، فافرج عنه في جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه

الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمي الدولة من مشاركته في التكلم في الجهات، ونودى له في القاهرة ومصر، فزاد في المعاملات ثلاثمائة ألف درهم في السنة.
وفيه قدم الأمير قبلاي غزة، فاحتال على أدى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمأنت العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أدى في بنى عمه لتهنئة قبلاي بشهر الصوم فساعة وصوله اليه قبض عليه وعلى بني عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: "بأني قد قبضت على عدوك ليكون لي عندك يد بيضاء، فسر سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أدى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم في يوم الإثنين حادي عشره، فضربوا على باب القلة بالمقارع ضرباً مبرحاً وألزم أدى بألف رجل ومائتي ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سمر هو وبنو عمه في يوم الإثنين خامس عشريه وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسطوا بها. فثار أخو أدى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله في اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجي بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته، وفي مستهل شوال :توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.
وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بحملة كبيرة تبلغ خمسين ألف في درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.
وفي هذا الشهر: فرغت القيسارية التي أنشأها تاج الدين المناوي، بجوار الجامع الطولوني، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.
وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالا من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان.بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة. وخرج معه حاج كثير جداً، وحمل الأمراء من الغلال في البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.
وفي مستهل ذي القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على البرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل .ووحد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال في العمائر حتى هلك أكثرهم.
وفي نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوحه القبلي، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوحه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.
وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية
وفيه طلب الأمير مغلطاي أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضاً من الجيزة ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون مرتبها في كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق. بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل في السنة عشرة آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان

الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذي خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار .فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاي أمير آخور، فإنه غضب وقال: "من يحاقق الدواوين على قولهم؟."

وفيه قدم طلب الأمير قطليجا الحموي من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصي.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزراق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار في الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفي دينار.

وخرج الأمير صرغتمش أيضاً، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير بيبغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاي أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار في السنة فدخل الأمير شيخو في سرحته إلى الإسكندرية، فتلقته الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهي أن التاج إسحاق ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك وفي مستهل ذي الحجة: عوفي علم الدين عبد الله بن زنبور، وخلع عليه، بعد ما أقام أربعين يوماً مريضاً، تصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمائة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحري وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضي الرزق - للخدام والجواري وغيرهن سبعمائة ألف الف أردب، وألف ألف وستمائة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعبرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشيء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضاً.

وفيها أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تخب أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهن في ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك في إبطالها، وطلب والي القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، ؛ وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادي، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خف المرأة وسرموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة

التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البابية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطعوا أكمام النساء، ونادى في القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أحرق بها وأخذ ما عليها.
واشتد الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء، وعليهن القمصان الطوال، ارهابا لهن وتخويفا.
وطلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسراميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودي من باع إزاراً حريراً أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها .وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثة، وانكف التجار عن بيع الأزر الحرير وشرائها، حتى إنه نودي على إزار حرير بثمانين درهماً فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.
وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوي في قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبي البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.
وفيه استقر نجم الدين محمد الأزرعي في قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح.
وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء في جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثي ذراع، وبقى على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين اصبعاً. ثم رد النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعاً وثلاثاً وعشرين اصبعاً في يوم عيد الصليب.
وفيه أضاع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد.
ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يلتفت لمن شكاهم.

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكاري بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، في ثاني عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيراً، ودرس القراءات والحديث ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النشائي الأندرشي بدمشق، وله شرح سيبويه في أربعة أسفار.
ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعد ما ولي استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم ولي نظر الجيش مرتين، وصودر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات ومات الأمير أرغون شاه الناصري نائب الشام، مذبوحا، في ليلة الخميس رابع ربيع الأول رباه السلطان الناصر محمد بن قلاون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستادارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صفد، وولي بعدها

نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جفيفاً قوي النفس شرس الأخلاق، مهابا جائراً في أحكامه، سفاكا للدماء غليظاً فحاشاً كثير المال وأصله من بلاد الصين، حمل إلى أبو سعيد بن خربندا، فأخذه دمشق خواجا بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى ومات الأمير أرقطاى المنصورى بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى.
وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رباه الطواشي فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صفد، فأقام بها ثماني عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجرد إلى أياس. ثم ولي نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولي نيابة حلب، ثم طلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات في طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة ومات الأمير ألجيبغا المظفري نائب طرابلس، موسطاً بدمشق، في يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقتل معه أيضاً الأمير أياس وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرحه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجباً بدمشق، ثم نائبا بصفد، ثم نائبا بحلب، ثم أميراً بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفي بعد ما عمى.
ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح.
وتوفي نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي القرشي الأصفوني الشافعي،.بمنى في ثالث عشر ذي الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره.
وتوفي قاضي القضاة علاء الدين علي بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، المعروف بابن التركماني الحنفي في يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة. وله كتاب الرد النقي في الرد على البيهقي وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاون يكره منه اجتماعه بالأمراء، وكان يغلو في مذهبه غلواً زائداً.
وتوفي قاضي الحنابلة بدمشق، علاء الدين علي بن الزبن أبي البركات بن عثمان ابن أسعد بن المنجا التنوخي، عن ثلاث وسبعين سنة.
ومات الأمير قطليجا الحموي أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاون، وترقى صار من جملة الأمراء. ثم ولي نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيىء السيرة.
وتوفي قاضى القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الأخنائي المالكي، في ليلة الثالث من صفر ومات الأمير نوغيه البدري والي الفيوم.
وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهي زوجة الأمير طاز .وتركت.مالا عظيماً، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملته فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول .كان أبوه كاتباً عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولي الإستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جليلة بحارة زويلة من القاهرة وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبي حفص في ذي القعدة، وكان فد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن.يعقوب بن عبد الحق ملك بني مرين صاحب فاس، وملك تونس وإفريقية ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور وملك تونس ملك أبيه.

سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

أهل المحرم والناس في بلاد عظيم من فأر السقوف ضامن الجهات، فإنه أحدث حوادث قبيحة في دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات، وزاد في ضرائب المكوس، وتمكن من الوزير منجك تمكنًا زائداً، حتى كان يقول: "هذا أخي" وكثرت الشكاية منه، ووقفت العامة فيه للسلطان، فلم يتغير الوزير عليه وفيه أوقع الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بكاتب سرها زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح وضربه وسجنه. فاستقر عوضه فيكتابة السر بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين، المعروف بابن قاضي العسكر.

وفيه أوقع الشيخ حسن نائب بغداد والأمير حيار بن مهنا بطائفة من العرب، وقتل منهم نحو المائتين، وأسر كثيراً منهم، ففر عدة منهم إلى الرحبة. فطلب الأمير حيار من أزدمر النوري نائب الرحبة تمكينه منهم، فأبى عليه، فكتب فيه الأمير حيار إلى السلطان، فعزله، وفيه اقتتل موسى بن مهنا وسيف بن فضل، فانهزم سيف، ونهبت أمواله.

وفيه ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاي أمير آخور وبين الوزير منحك، بسبب الفار الضامن، وقد شكى منه . فطلبه مغلطاي من الوزير عندما احتمى به، فلم يمكنه منه وفيه قدم صاحب حصن كيفا، والخواجا عمر بن مسافر، بعد غيبة طويلة. فسر به الأمير شيخو، لأنه هو الذي جلبه من بلاده، ونسب إليه، فقيل له شيخو العمري. وأكرم صاحب حصن كيفا، وروعي في متجره، وكان من جملته ثلاثمائة ألف جلد سنجاب. فقدم صاحب حصن كيفا عدة تقادم للأمراء، فبعثوا إليه.بمال كثير، و بعث إليه الأمير شيخو ألف دينار، وتعبئة قماش، وبعث إليه الوزير منجم بألفي دينار وقماش كثير، وأنزله في بيته، وبعث إليه الأمير بيبغا روس وغيره، ثم عاد بعد شهر إلى بلاده.

وفيه كمل صهريج الوزير منجك على الثغرة تحت القلعة، واشترى له من بيت المال ناحية بلقينة من الغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، أنعم عليه بها، ووقفها على صهريجه. وكانت بلقينة مرصدة لجوامك الحاشية، فعوضوا عنها.

وفي رابع عشريه: قدم الأمير فارس الدين بالحجاج، وكانوا لما قدموا مكة نزلت رهم شدة من غلاء الأسعاء وقلة الماء، بحيث أبيعت الراوية بعشرين درهما، حتى هموا بالخروج منها ونزول بطن مرو. فبعث الله في تلك الليلة مطرا استمر يومين وليلة، حتى امتلأت الآبار والبرك، وقدم عدة قوافل؛ فانحل السعر قليلا. وحصل لهم

خود من عبور المدينة النبوية؛ وذلك أن الشريف أدى لما عزل بالشريف سعد، جمع العربان، وهجم المدينة قبل قدوم سعد إليها، وأخذ أموال الخدام وودائع الشاميين وقناديل الحجرة الشريفة وأموال الأغنياء وغيرهم، وخرج.

وفيه أفرج عن عيسى بن حسن الهجان، وكان قد قبض عليه وسجن، بسبب أنه مالا هو وعربه جماعة العايد المفسدين من العربان، وأحيط بأمواله. وكان فد كثرت سعادته، فإنه كان مع الناصر محمد بن قلاوون في الكرك، فلما عاد إليه ملكه سلمه الهجن وحكمه فيها، فطالت أيامه وكثرت أمواله. وتسلم بعده الهجن جمال الدين نفر، فقام الوزير حتى أفرج عنه، ورد عليه إقطاعه، وأنعم على جماعة من عربه بإقطاعات.

وفي مستهل صفر: قدمت رسل أرتنا نائب الروم، وسأل أن يكتب له تقليد نيابة الروم على عادته، فكتب له، وأكرم رسوله.

وفيه تنافس الوزير منجك والأمير مغلطاي، واستعد كل منهما بأصحابه للآخر، فقام الأمير شيخو حتى أخمد الفتنة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشريه: وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القاهرة، فأحرقت دار هناك. فركب الأمير علاء الدين علي بن الكوراني لإطفائها على العادة، وكان الهواء شديداً، والدور متلاصقة، فاشتد لهب النار بحيث رؤى من القلعة. فركب الوزير منجك، والأمير بيبغا روس النائب، والأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير مغلطاى، والأمير قبلاى حاجب الحجاب، وغيرهم من الأمراء بمماليكهم، وأتوا إلى الحريق، ونزلوا عن خيولهم، ومنعوا العامة من النهب فامتدت النار من دكاكين البندقانيين إلى دكاكين الرسامين ودكاكين الفقاعين والفندق المجاور لها، والربع علوة. وتعلقت.بما نجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير، فأحرقت الربع، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين، إلى بير الدلاء التي كانت تعرف قديما ببئر زويلة فأحرقت النار الدكاكين والربع المجاور لدار الجوكندار، ولم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وعظم الأمر، والأمراء جميعهم على أرجلهم.بمن معهم، والمقيدون بالمساحي بين أيديهم تهدم الدور وتطفي النار، والناس في أمر مريج.

وبينا أصحاب الدار في نقلة متاعهم خوفا من وصول النار إليهم، إذا بالنار قد ظهرت عندهم، فينجون بأنفسهم، ويتركون أموالهم، حتى شمل الهدم والحريق ما هنالك من العمائر. ولم يبق بالقاهرة سقاء إلا وأحضر لإطفاء الحريق، وكانت الجمال تحمل الروايا بالماء من باب زويلة إلى البندقانيين. واستمرت النار يومين وليلتين، وجميع الأمراء وقوف حتى خف اللهب. فوكل بالحريق بعض الأمراء مع الوالي، ومضى بقيتهم إلى بيوتهم، وبهم من التعب ما لا يوصف. فأقامت النار بعد انصرافهم ثلاثة أيام وهي تطفا، فكان حريقا مهولا، ذهب فيه من الأموال ما لا ينحصر.

وامتد الحريق إلى قيسارية طشتمر وربع بكتمر، ثم صارت النار توجد بعد ذلك في مواضع عديدة من القاهرة وظواهرها. ووجد في بعض المواضع التي بها الحريق كعكات زيت ومطران، ووجد في بعضها نشابة في وسطها نفط. وكان أكثر الأماكن تقع النار بسطحها، و لم يعرف من فعل ذلك فنودي باحتراس الناس على أملاكهم من الحريق، فلم يبق جليل ولا حقير حتى اتخذ عنده أوعية ملأها ماء. و لم يزل الحريق في الأماكن إلى أثناء شهر ربيع الأول، فقبض في هذه المدة على كثير من أوباش العامة، وقيدوا ليكونوا عونا على إطفاء الحريق، ففر

معظمهم من القاهرة. ثم نودي ألا يقيم بالقاهرة غريب، ورسم للخفراء تتبعهم وإحضارهم.

وتعب والي القاهرة في مدة الحريق تعباً لا يوصف، فإنه أقام مدة شهر لا يكاد ينام هو وحفدته، فإنه لا يخلو وقت من صيحة تقع بسبب الحريق، فذهبت دور كثيرة. ثم وقع بعد شهر. بمصر حريق في شونة حلفاء، بجوار مطابخ السلطان وبعدة أماكن.

وفي يوم السبت حادي عشرى ربيع الأول: سمر حمام وعبده الذي كان يحمل سلاحه، وثلاثة نفر. وكان قد عظم فساده، وكثر هجومه على الدور وأخذ ما فيها وقتل من يمنعه، وأعيا الولاة أمره حتى أوقعه الله وكفى شره.

وفي أول ربيع الآخر: قبض على أحمد بن أبي ريد، ومحمد بن يوسف، مقدمي الدولة. وسبب ذلك أن ابن يوسف حج في السنة الماضية على ستة قطر جمال، وثلاثة قطر هجن بطبل وبيزه كما حج الأمراء، بحيث كان معه نحو مائتي عليقة. ولما قدم ابن يوسف إلى القاهرة أهدى للوزير منجك، والنائب بيبغا روس، والأمير طاز والأمير صرغتمش، الهدايا الجليلة القدر، و لم يهد إلى الأمير شيخو، ولا إلى الأمير مغلطاي شيئا. فعاب عليه الناس ترك مهاداة شيخو، فحمل إليه بعد مدة هدية سنية، فردها عليه وقال: "هذا ماله حرام". ثم بعد أيام وقف جماعة من الأجناد، وشكوا في الولاة طمعهم وفساد البلاد، فأنكر الأمراء على الوزير منج سيرة ولاة الأعمال، وتعرضوا لهم بأنهم ولوا بالبر أطيل، فاحتاجوا إلى نهب أموال الناس وأخذ الأمير شيخو في الحط على مقدمي الدولة، وأنكر كثرة ما أنفقه ابن يوسف في حجته، وأن ذلك جميعه من مال السلطان فقام الأمراء في مساعدة شيخو، وعددوا ما يشتمل عليه ابن يوسف من لعبه ولهوه وانهماكه في اللذات، فلم يجد الوزير بدا من موافقتهم على عزل الولاة، ومسك المقدمين أحمد بن أبي زيد ومحمد بن يوسف، فقبض عليهما، وألزما بحمل المال وطلب ابن سلمان متولي المنوفية، وألزم.بمال، واستقر عوضه ابن فنغلي واستقر في ولاية الشرقية ابن الجاكي، وعزل أسندمر منها.

وفي يوم الخميس رابع عشريه: خرج إلى الأطفيحية سبعة أمراء ألوف، وعشرون أمير طبلخاناه، وقت العصر بأطلابهم، فيهم الوزير منجك والأمير طاز وسبب ذلك أن الأمير بيبغا روس فأمر بهم، فقيدوا وحبسوا وأعاده النائب إلى الأطفيحية، فقبض الأمير.

عرب بن الشيخي كان بالإطفيحية مقيماً بها، فاستمال العرب حتى وثقوا به، وأتاه منهم نحو عشرين رجلا، فقبض عليهم وركب بهم إلى القاهرة، وأوقفهم بين يدي النائب الأمير عرب بن الشيخي على خمسة أخر وقيدهم، فأتاهم ليلا عدة من العربان وفكوا قيودهم، وكبسوا خيمته، ففر إلى القاهرة، ومالوا على موجوده وانتهبوه. فعظم ذلك على الأمراء، وخرجوا إلى الأطفيحية. وقد بلغ العرب خبرهم، فارتفعوا إلى الجبال، فقبض الأمراء على نحو مائة من الأوباش وأهل البلاد، وقطعوا جميع ما هناك من شجر المغل، وخربوا السواقي، وعادوا بعد ثلاثة أيام، في يوم الثلاثاء تاسع عشريه. فعادت العربان بعد رجوع العسكر، وأكثروا من قطع الطريق.

وفي نصف جمادى الأولى: وصلت أم الأمير بيبغا روس النائب، وأم الأمير أرغون الكاملي نائب حلب وأبوه، وعدة من أقاربهم. فركب النائب وتلقاهم من سرياقوس، وسر بهم.

وفيه أخرج أمير أحمد الساقي إلى حلب؛ لسوء سيرته في كشف الجسور بالغربية.
وفيه قدم قود جبار بن مهنا، وقود سيف بن فضل صحبته. ثم قدم الأمير جبار بعده، فأقام أياما وعاد إلى بلاده.
وفيه قدم كتاب الملك الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز، يتضمن السلام والتودد. فأكرم رسوله، وأعيد بالجواب، وأرسل السلطان بعده إليه والي الشيخ حسن صاحب بغداد رسولين.
وفيه قدم الخبر بان الأمير أرغون الكاملي نائب حلب ركب إلى التركمان، وقد كثر فسادهم، فقبض على كثير منهم، وأتلفهم، وأوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على ألفي فارس في طلب نجمة أمير الأكراد، فلما قرب منه بعث صاحب ماردين يشير بعود العسكر، خوفاً من كسر حرمة السلطة. فعاد موسى الحاجب بهم إلى حلب، من غير لقاء. فتنكر الأمير أرغون على موسى الحاجب، وكتب يشكو منه وفيه قدم الخبر بأن الهذباني الكاشف واقع عرب عرك وبني هلال، فهزموه أقبح هزيمة، وجرحوا فرسه، وقتلوا عدة من أصحابه، وأخذوا الطلب.بما فيه من خيل وغيرها، وأنه نزل بسيوط، وطلب تجريد العسكر إليه؛ فاقتضى الرأي تأخير التجريدة حتى يفرغ تأخير الأراضي بالزرع.

وفي رجب:.سار ركب الحجاج الرجبية، فلقوا الشريف عجلان بالعقبة، وقد أخرجه أخوه ثقبة من مكة. فقدم عجلان إلى القاهرة، ودخل على السلطان، وطلب منه تجريد عسكر معه فلم يجب إلى ذلك. ورسم له بشراء مماليك، واستخدام الأجناد البطالين، فشرع في ذلك. وقدم كتاب أخيه ثقبة يشكو منه، فكتب لعجلان توقيع بإمرة مكة.بمفردة، واشترى أربعين مملوكا، واستخدم عشرين جندياً، وأنفق فيهم خمسمائة درهم كل واحد، ثم استجد عجلان طائفة أحرى حتى صار في مائة فارس. وحمل معه حملين نشاباً وقسياً ونحوها، وسافر إلى مكة مستهل رمضان، فأخذ الأمير بيبعا روس والأمير طاز في الحركة للحج.
وفيه توجه السلطان لسرحة سرياقوس.
وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبي بإقطاع الأمير لجحين أمير آخور، بعد إمرته، وأنعم لإمرته وتقدمته على عمر بن أرغون النائب.
وفيه أخرج بكلمش أمير شكار لنيابة طرابلس، عوضا عن أمير مسعود بن خطير، وكتب بإحضار أمير مسعود.
وفيه هجم ابن معين بعربه على الأطفيحية، فقاتله أهلها، فكسرهم بعد أن قتل منهم عدة قتلى كبيرة تبلغ المائتي رجل.
وفيه قدم حمل سيس بحق النصف؛ لخراب بلادهم.
وفيه قدم كتاب الشريف ثقبة، وصحبته محضر ثابت يتضمن الشكر من سيرته، وتكذيب عجلان فيما نقل عنه، فكتب باستقراره شريكا لأخيه عجلان.
وفيه كتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالا، حتى ينحل من الإقطاع ما يليق به. فعاد من الرملة إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ورسم بجلوسه فوق الأمراء المقدمين.
وفيه خلع على الأمير فارس الدين ألبكي، واستقر في نيابة غزة، بعد موت دلنجي وأنعم بإمرته على أخيه، وأنعم على قطليجا الدوادار بإمرة طبلخاناه.
وفيه قدم قرا وأشقتمر المتوجهين إلى الشيخ حسن، وإلى الأشرف دمرداش بن جوبان، بكتابيهما. وذكر الشيخ

حسن في كتابه أن دمرداش إنما طلب الود مكراً منه، فإن رسوله إنما قدم مصر لكشف أمر عسكرها، فإنه طمع في أخذ البلاد.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بعشرة آلاف أردب شعير وخمسين ألف درهم بناحية طموه من الجيزية، زيادة على إقطاعه.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة؛ ليتم صوم شهر رمضان بها.

وفيه تواردت تقادم نواب الشام والأمراء بديار مصر على الأمير بيبغا روس؛ لحركته للحج.

وفي شوال: قدم السلطان من بر الجيزة إلى القلعة.

وفي خامس عشره: خرج محمل الحاج إلى بركة الحاج، صحبة الأمير بزلار أمير سلاح.

وخرج طلب الأمير بيبغاروس النائب بتجمل زائد، وفيه مائة وخمسون مملوكا معدة بالسلاح، وخرج طلب الأمير طاز، وفيه ستون فارسا. فرحل النائب قبل طاز بيومين، ثم رحل الأمير طاز بعده، ثم رحل بزلار بالحجاج ركباً ثالثاً في عشريه وفي يوم السبت رابع عشره: عزل الأمير منجك من الوزارة، وكان الأمير شيخو قد خرج إلى العباسة. وذلك أن السلطان بعد توجه الأمير شيخو طلب القضاة والأمراء، فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم: "يا أمراء هل لأحد على ولاية حجر، أو أنا حاكم نفسي؟". فقال الجميع: " يا خوند ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان، وهو مالك رقابنا. فقال: " إذا قلت لكم قولا ترجعوا إليه؟" فقالوا جميعاً: "نحن في طاعة السلطان، وممتثلون ما يرسم به". فالتفت إلى الحاجب، وقال: "خذ سيف هذا". وأشار إلى منجك، فأخذ سيفه، وأخرج وقيد ونزلت الحوطة على أمواله مع الأمير كشلي السلاح دار، فوجد له خمسون حمل جمل زردخاناه، و لم يوجد له كثر مال، فرسم بعقوبته، ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وساعة قبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخو من العباسة، على لسان بعض الجمدارية، وإعلامه بمسك منجك. فقام الأمير منكلي بغا والأمير مغلطاي في منعه من الحضور، ومازالا يخيلان السلطان منه حتى كتب له مرسوم بنيابة طرابلس، على يد طينال الجاشنكير فلقيه طينال قريب بلبيس، وقد عاد صحبة الجمدارية، وأوقفه على المرسوم، فأجاب بالسمع والطاعة وبعث شيخو يسأل في الإقامة بدمشق، فكتب له بخبز الأمير بلك بدمشق وحضور بلك، فتوجه شيخو إليها وفيه قبض على الأمير عمر شاه الحاجب، وأخرج إلى الإسكندرية وفيه أنعم على الأمير طنيرق باستقراره رأس نوبة كبيراً

وفيه قبض على حواشي منجك، وعلى عبده عنبر البابا، وصودر. وكان عنبر البابا قد أفحش في سيرته مع الناس، وشره في قطع المصانعات، وترفع ترفعا زائدا. فضرب ضرباً مبرحا، وأخذ منه نحو سبعين ألف درهم وفيه ضرب بكتمر شاد الأهراء، فاعترف للوزير باثني عشر ألف أردب غلة، اشتراها منجك من أرباب الرواتب والصدقات، على حساب ستة دراهم الأردب وسبعة دراهم.

وفي مستهل ذي القعدة: قبض على ناظر الدولة والمستوفين، وألزموا بخمسمائة ألف دينار. فترفق في أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم، وزعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين، من الكتاب والشهود والشادين ونحوهم، وألزم كل منهم بحمل معلومه عن ستة أشهر. فاشتد شاد الدواوين في استخراجها، وأخرق بجماعة منهم والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء والمقدمين بالخلع من ماله، وقيمتها خمسمائة ألف درهم، وفصلها وعرضها على السلطان .فبعث السلطان بها إلى

الأمراء، وركبوا بها الموكب، وقبلوا الأرض، فكان موكباً جليلا وفيه قبض على أسندمر كاشف الوجه القبلي، وناصر الدين محمد بن الدواداري متولي المحلة والغربية، وألزم ابن الدواداري بحمل مائة ألف درهم.

وفيه قبض على الفأر الضامن، وضرب بالمقارع، وأخذ منه جملة مال، وسجن.

وفي يوم السبت ثامنه: خلع على الأمير بيبغا ططر حارس الطير، واستقر في نيابة السلطنة عوضا عن بيبغا روس، بعد ما عرضت على أكابر الأمراء، فلم يقبلها أحد. وتمنع بيبغا ططر تمنعاً كبيراً، ثم قبلها.

وفيه استقر الأمير مغلطاي رأس نوبة، عوضاً عن طينرق. وأطلق له التحدث في أمور الدولة كلها، عوضاً عن الأمير شيخو، مضافا إلى ما بيده من التحدث في الإصطبل.

وفيه استقر الأمير منكلى بغا الفخري رأس المشورة أتابك العساكر، وأنعم على ولده بإمرة. ودقت الكوسات وطبلخاناه الأمراء بأجمعها، وزينت القاهرة ومصر يوم الأحد تاسعه، واستمرت ثمانية أيام وفيه قدم الخبر صحبة الأمير طشبغا الدوادار من دمشق، بأن الأمير شيخو لما قدم دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة، أظهر طينال كتابا بأن يستقر شيخو على إمرة بلك السلامي، وتجهز بلك إلى القاهرة. فقدم من الغد الأمير أرغون التاجي بإمساكه، فقيد وأخرج من دمشق. وكان شيخو لما قدم تلقاه النائب وأخرج له كتاب السلطان بمكة، وإرساله صحبة الأمير طيلان. فحل شيخو سيفه بيده، وقال " :وأي حاجة إلى غدونا إلى الشام، كفي هتكنا في مصر. ثم قال للنائب: "والله يا أمير ما أعرف لي ذنباً غير أني كنت جسرا بينهم، أمنع بعضهم من الوصول إلى بعض"، فقيد، وتسلمه طيلان ليسير به إلى مصر، وسلم سيفه لطشبغا وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين، وعلى شهاب الدين أحمد بن علي بن صبح؛ وتسلم سيفهما طشبغا.

وفيه أركب قطلوبغا، فخرج أخوه مغلطاي رأس نوبة إلى لقائه.

وفيه قدم الأمير شيخو إلى قطيا، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة وأوصله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه خلع على طشبغا، واستقر على ما كان عليه دواداراً. وتصالح هو وعلاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر بحضرة الأمراء، وبعث كل منهما إلى الآخر هدية. وكان لما أمسك منجك خرج الأمير قردم إلى الأمير طاز وأمير بزلار أمير الركب بكتاب السلطان، يتضمن القبض على الوزير منجك، وأنهما يحترسان على الأمير بيبغاروس.وكتب بيغا روس بتطييب خاطره وإعلامه بتغير السلطان على أخيه لأمور صدرت منه اقتضت مسكه، وأنه مستمر على نيابة السلطنة، فإن أراد العود عاد، وان أراد الحج حج. فركب الأمير قردم يوم القبض على الوزير منجك الهجن وقت العصر، وأوصل طاز وبزلار كتابيهما، ومضى إلى بيبغاروس وقد نزل سطح العقبة. فلما قرأ بيبغاروس الكتاب وجم، ثم قال: "كلنا مماليك السلطان" ، وخلع على الأمير قردم، وكتب جوابه بأنه ماض لأداء الحج. ثم إن السلطان رسم للأمير صرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، بعد أن عزله من وظيفة الجمدارية، هو وأمير على، وكانا من جملة حاشية شيخو.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره: أمسك الأمير عمر شاه الحاحب، والأمير آقبغا البالسي .وأخرج عمر شاه إلى الإسكندرية، ونفي أقبغا البالسي وطشتمر القاسمي إلى طرابلس. وأخرج أمير على إلى الشام، وأخرج الأمير صرتمش لكشف الجسور بالصعيد.

وفيه ألزم أستادار بيبغا روس بكتابة حواصله، وندب الأمير؛ آقجبا الحموي لبيع حواصل منجك .وأخذت

جواري النائب بيبغا روس ومماليكه، وجواري منجك ومماليكه، إلى القلعة. وطلع من مماليك منجك خمسة وسبعون مملوكاً صغاراً، وطلع من جواري بيبغا روس خمس وأربعون جارية، فلما وصلن إلى دار النيابة بالقلعة صحن صيحة واحدة، وبكين فأبكين من هناك.

وفي يوم الجمعة رابع عشره: نفي ابن العرضي إلى حماة، بعد ما صورد.

وفيه خلع على بابان السناني نائب البيرة، وقد حضر منها، واستقر أستادارا، عوضا عن الأمير منجك الوزير.

وفيه قدم الخبر أن الأمير أحمد الساقي نائب صفد خرج عن الطاعة .وسببه أنه لما قبض على الوزير منجك، خرج الأمير قمارى الحموي، وعلى يده ملطفات لأمراء صفد بالقبض على أحمد، فبلغه ذلك من هجان جهزه إليه أخوه فندب الأمير أحمد الساقي طائفة من مماليكه لتلقى قمارى. وطلب نائب قلعه صفد وديوانه، وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من غلة، فأمر لمماليكه منها بشيء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل في البلاد، وبعثهم ليأخذوا ذلك، فعندما طلعوا القلعة شهروا سيوفهم وملكوها فقبض الأمير أحمد الساقي على عدة من الأمراء، وطلع بحريمه إلى القلعة وحصنها، وأخذ مماليكه قمارى، وأتوه به فكتب السلطان لنائب عزه ونائب الشام تجريد العسكر إليه، ورسم بالإفراج عن فياض بن مهنا وعيسى بن حسن الهجان أمور العايد، وخلع عليه وجهز، وأخذت الهجن من جمال الدين بقر أمير عرب الشرقية، وأعيدت إلى علي بن حسن.

وكانت الأراجيف قد كثرت بأن الأمير طاز قد تحالف هو والأمير بيبغا روس بعقبة أيله، فخرج الأمير فياض وعيسى بن حسن أمير العايد؛ ليقيما على عقبة أيلة، بسبب بيبغا روس. وكتب لعرب شطي وبني عقبة وبني مهدي بالقيام مع الأمير فضل، وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى العقبة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن قزمان بنيابة الإسكندرية، عرضاً عن بكتمر المؤمني.

وفيه خلع على الأمير أرلان أمير آخور، واستقر في نيابة الكرك، عوضا عن جركتمر. وأنعم على جركتمر باستقراره حاجباً بحلب، عوضاً عن موسى الحاجب، لشكوى نائب حلب منه.

وفي يوم الأربعاء سادس عشريه: قدم سيف الأمير بيبغا روس، وقد قبض عليه.

وذلك أنه لما وردعليه الكتاب.بمسك أخيه منجك اشتد خوفه، وطلع إلى العقبة، ونزل المنزلة فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار ركبا للقبض عليه، فركب.بمن معه من الأمراء والمماليك بآلة الحرب. فقام الأمير عز الدين إزدمر الكاشف. بملاطفته، وأشار عليه ألا يعجل، وأن يكشف عن الخبر أولا فبعث الأمير بيبغا روس نجاباً في الليل لذلك، فعاد وأخبروا أن الأمير طاز مقيم بركبه، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد لابس عدة الحرب، فقلع الأمير بيبغا روس السلاح هو ومن معه، وتلقى طاز وسأله عما تخوف منه، فأوقفه طاز على كتاب السلطان إليه. فلم ير بيبغا روس فيه ما يكره فاطمأن، ورحل كل منهما بركبه من العقبة. فأتت الأخبار إلى الأمراء باتفاف طاز وبيبغا روس، فكتب السلطان إلى طاز بزلار أمير الركب بالقبض على بيبغا روس قبل دخول مكة، وتوجه إليهما طيلان الجاشنكير، وقد رسم له أن يتوجه مع بيبغا روس إلى الكرك

وجرد فياض وعيسى بن حسن إلى العقبة، ثم خرج الأمير أرلان.بمضافية تقوية لهما. فلما قدم طيلان على طاز وبزلار كتبا إلى أزدمر الكاشف يعلمانه.بما رسم به لهما من مسك بيبغا روس، ويؤكدان عليه في استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب وبقية من مع بيبغاروس، وتعجيزهم عن القيام معه، فأخذ أزدمر الكاشف في تنفيذ ذلك. ثم كتب طاز وبزلار لبيبغا روس أن يتأخر لسماع مرسوم السلطان، حتى يكون

دخولهم مكة جميعاً فأحس بيبغا روس بالشر، وهم بالتوجه إلى الشام، فمازال أزدمر الكاشف به حتى رجعه عن ذلك .وعند نزول بيبغا روس المويلحة قدم طاز وبزلار، فتلقاهما وأسلم نفسه من غير ممانعة، فأخذوا سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله إلى الكرك. فرغب بيبغا روس إلى طاز أن يحج معه، فأخذه صحبته محتفظا به، وكتب بذلك إلى السلطان فتوهم السلطان ومغلطاى أن طاز قد مال مع بيبغاروس. وتشوشا تشوشاً زائداً ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد في صفد، وظنوا أنه مناظر لبيبغا روس فأخرج طيلان ليقيم على الصفراء حتى يرد الحجاج إليها، فيمضي بيبغا إلى الكرك وفي يوم الخميس سابع عشريه: خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، خلعة الوزارة، مضافاً لما معه من نظر الخاص ونظر الجيش، بعد ما امتنع، وشرط شروطاً كثيرة وخرج ابن زنبور في موكب عظيم، فركب بالزنارى الحرير الأطلس إلى داره بمصر، فكان يوما مذكوراً.
وفيه خلع على الأمير طنيرق بنياية حماة، عرضا عن أسندمر العمري.
وفي يوم السبت تاسع عشريه: جلس الوزير علم الدين بن زنبور بشباك قاعة الصاحب من القلعة، وفي دست الوزارة. وجلس الموفق ناظر الدولة قدامه، ومعه جماعة المستوفين. فطلب ابن زنبور جميع المباشرين، وقرر معهم ما يعتمدونه، وطلب محمد بن يوسف، وشد وسطه على عادته، وطلب المعاملين، وسلفهم على اللحم وغيره. وأمر فكتبت أوراق من بيت المال والأهراء، فإنه لم يكن بهما درهم واحد ولا أردب غلة، وقرأها على السلطان والأمراء. وشرع في عرض الشادين والكتاب وسائر أرباب الوظائف، وتقدم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر في النواحي، واهتم بتدبير الدولة. ورسم على بدر الدين ناظر البيوت، وألزمه بمال لشيء كان في نفسه منه، وولى عوضه فخر الدين ماجد بن قرونه صهره نظر البيوت. ورسم لأولاد الخروبي النجار. بمصر بتجهيز راتب السكر لشهر المحرم، وأنفق في بيت السلطان جامكية شهر، فطلع إلى الحوائج خاناه السكر والزيت والقلوبات وسائر الأصناف.
وفيه أفرج ابن زنبور عن الفأر الضامن بسفارة الأمير ملكتمر المحمدي، وضمنه الجهات بزيادة خمسين ألف درهم وضمن الفأر معاملة الكيزان من الأمير طيبغا المجدي، بزيادة ثلاثين ألف درهم.
وفيه حمل علاء الدين بن فضل الله كاتب السر تقليد الوزارة إلى الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور، ونعت فيه بالجناب العالي. وكان جمال الكفاة قد سعى أن يكتب له ذلك زمن السلطان الصالح إسماعيل، فلم يرض كاتب السر، وشح به. فخرج الصاحب وتلقى كاتب السر، وبالغ في إكرامه، وبعث إليه تقدمة سنية.
وفي مستهل ذي الحجة: خلع على بكتمر المؤمني نائب الإسكندرية، واستقر شاد الدواوين.
وفيه خلع على سعد الدين رزق الله، ولد الوزير علم الدين، واستقر بديوان المماليك. وفيه التزم الوزير علم الدين بين يدي السلطان والأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم، ويباشر ابنه أيضا بغير معلوم، ويوفر ذلك للسلطان.

وفيه قدم الخبر بأن هند وأحد الأكراد استولى على بلاد الموصل، وصار في جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركماني، فاستنابه وتقوى به وركب من مندر إلى سنجار وتحصن بها، وأغار على الموصل ونهب وقتل، ومضى إلى الرحبة وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردين ونهبها. فخرجت إليه عساكر الشام، وحصروه بسنجار ومعهم عسكر ماردين، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هند الأمان، على أنه يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه ونجمة في عقد الصلح، وبقطع قطيعة يقوم بها كل سنة، فأمنه العسكر، وسروا عنه بأخيه ونجمة إلى

حلب؛ فحمل نجمة ورفيقه إلى مصر، فلما نزلا منزلة قانون هرب نجمة.

وفي خامسه: رسم بعرض أجناد الحلقة، وخرجت البريدية إلى النواحي لإحضار من بها منهم، فحضروا، وابتدئ بعرضهم بين يدي النائب بيبغا ططر حارس الطير في يوم السبت حادي عشره. وسبب ذلك دخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع في جملة أجناد الحلقة، وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات، حتى فسد العسكر. فرسم لنقيب الجيش بطلب المقدمين ومضافيهم، وإحضار الغائبين، وحذروهم من إخفاء أحد منهم. وتقرر العرض بين يدي السلطان في كل يوم مقدمين. بمضافيهما، ثم رسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير أن يتولى ذلك، فطلع إليه عدة أيتام مع أمهاتهم، ما بين أطفال تحمل على الأكتاف وصغار وشباب، وجماعة من أرباب الصنائع. فساءه ذلك، وكره أن يقطع أرزاقهم، ومضى يومه بالتغاضي، وصرفهم جميعاً على أن يحضروا من الغد. وتحدث بيبغا ططر حارس الطير مع الأمراء في إبطال العرض، فعارضه منكلي بغا الفخري، وأشار بأن العرض فيه مصلحة، فإن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذب عن المسلمين، فلو تحرك العدو ما وجد في عسكر مصر من يدفعه فلم توافقه الأمراء على ذلك، وخرج الأمير قبلاى الحاجب على لسان السلطان بإبطال العرض، وقد اجتمع بالقلعة عالم كبير، فكان يوماً مهولا من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع.

وفيه قدم الخبر بنزول عسكر دمشق وطرابلس على صفد، وزحفهم عليها عدة أيام، جرح فيها كثير من الأجناد، ولم ينالوا من القلعة غرضا، إلى أن بلغهم القبض على بيبغا روس. وعلم بذلك الأمير أحمد الساقي نائب صفد من هجانته، فانحل عزمه، فبعث إليه بكلمش نائب طرابلس يرغبه في الطاعة، ودس إلى من معه في القلعة حتى حاصروا عليه، وهموا. بمسكه. فوافق الأمير أحمد الساقي على الطاعة، وحلف لنائب طرابلس، ونزل إليه.بمن معه. فسر السلطان بذلك، وكتب بإعانته وحمله.

وفي عاشره :كانت الوقعة.بمنى، وقبض على المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر أبو سعيد المنصوري عمر بن رسول صاحب اليمن فكان من خبر ذلك أن ثقبة لما بلغه استقرار أخيه عجلان في إمرة مكة، توجه إلى اليمن، وأغرى المجاهد بأخذ مكة وكسوة الكعبة. فتجهز المجاهد، وسار يريد الحج في جحفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة، وقد سبق حاج مصر. فلبس عجلان آلة الحرب، وعرف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن، وحذرهم غائلته .فبعثوا إليه بأن "من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة، وقد ابتدعت من ركوبك والسلاح حولك بدعة لا يمكنك أن تدخل بها، وابعث إلينا ثقبة ليكون عندنا حتى تنقضي أيام الحج، ثم نرسله إليك " فأجاب المجاهد إلى ذلك، وبعث ثقبة رهينة، فأكرمه الأمراء، وأركبوا الأمير طقطاي في جماعة إلى لقاء المجاهد، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاحداريته من المشي معه بالسلاح، ولم يمكنوهم من حمل الغاشية. ودخلوا به مكة، فطاف وسعى، وسلم على الأمراء واعتذر إليهم، ومضى إلى منزله وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة، وعادوا إلى الخيف من منى، وقد تقرر الحال بين الشريف ثقبة وبين المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أرقعاهما بأمير الركب ومن معه، وقبضا على عجلان، وتسلم ثقبة مكة. فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادم المجاهد سائراً، فبعث يستدعيه فلم يأته، وضرب مملوكه - بعد مفاوضة جرت بينهما - بحربة في كتفه فماج الحاج، وركب بزلار وقت الظهر إلى طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب المجاهد بعسكره للحرب، وظهرت لوامع أسلحتهم، فركب طاز وبزلار والعسكر. وأكثرهم.

بمكة.

فكان أول من صدم أهل اليمن الأمير بزلار وهو في ثلاثين فارساً، فأخذوه في صدورهم إلى أن أرموه قرب خيمة. ومضت فرقة منهم إلى جهة طاز، فأوسع لهم، ثم عاد عليهم وركب الشريف عجلان والناس، فبعث طاز لعجلان "أن احفظ الحاج، ولا تدخل بيننا في حرب، ودعنا مع غريمنا"؛ واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر. فركب أهل اليمن الذلة، والتجأ المجاهد إلى دهليزه، وقد أحيط به وقطعت أطنابه، وألقوه إلى الأرض. فمر المجاهد على وجهه ومعه أولاده، فلم يجد طريقاً، ولديه إلى بعض الأعراب، وعاد بمن معه وهم يصيحون : "الأمان يا مسلمين" فأخذوا وزيره، وتمزقت عساكره في تلك الجبال، وقتل منهم خلق كثير، ونهبت أموالهم وخيولهم حتى لم يبق لهم شيء، وما انفصل الحال إلى غروب الشمس .وفر ثقبة بعربه، وأخذ عبيد عجلان جماعة من الحجاج فيما بين مكة ومنى، وقتلوا جماعة .فلما أراد الأمير طاز الرحيل من منى سلم أم المجاهد وحريمه لعجلان، وأوصاه بهن وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظاً به، وبالغ في إكرامه، وصحب معه أيضا الأمير بيبغا روس مقيداً، وبعث الأمير طنطاي مبشراً. ولما قدم الأمير طاز المدينة النبوية قبض على الشريف طفيل وكان قاع النيل في هذه السنة أربعة أذرع ونصف ذراع. وتوقفت الزيادة حتى ارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهماً إلى عشرين درهماً، ثم زاد النيل في يوم واحد أربعا وعشرين إصبعا، ونودي من الغد بزيادة عشرين إصبعاً، ثم بزيادة خمسة عشر إصبعا، ثم ثماني أصابع. واستمرت الزيادة حتى بقي من ذراع الوفاء ثلاثة أصابع، فتوقف ستة أيام، ثم وفى الستة عشر ذراعاً في يوم الإثنين ثاني عشرين مسرى. وزاد بعد ذلك إلى خامس توت، فبلغ سبعة عشر ذراعاً، وهبط فشرقت بلاد كثيرة، وتوالى الشراقي ثلاث سنين شق الأمر فيها على الناس من عدم الفلاحين وخيبة الزرع بخلاف ما يعهد، وكثرة المغارم والكلف، وظلم الولاة وعسفهم، وزيادة طمعهم في أخذ ما بذلوا مثله حتى ولوا، مع نفاق عرب الصعيد، وطمعهم في الكشاف والولاة، وكسر المغل، وعنتقهم في إعطائه الأجناد، ورمي الشعير على البلاد من حساب سبعة دراهم الأردب، وحمله إلى الأهراء، فحمل نحو الأربعين ألف أردب شعيراً، ونحو خمسة آلاف أردب برسيما.

وفيه خلع على ملك تونس أبو العباس الفضل بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبي حفص، في ثامن عشر جمادى الأولى، فكانت مدته ستة أشهر، فقام بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر.

ومات في هذه السنة من الأعيان الأمير سيف الدين دلنجي نائب غزة. قدم القاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم عليه بإمرة عشره، ثم إمرة طبلخاناه، وولي غزة بعد يلجك فأوقع بالعشير، وقويت حرمته.

ومات الأمير لاجين أمير آخور.

وتوفي فخر الدين محمد بن على بن إبراهيم بن عبد الكريم المصري الفقيه الشافعي بدمشق، في ثالث عشر ذي القعدة، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة، وخرج من القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة، وسكن دمشق، وبرع في الفقه والعربية وغير ذلك. وكان يتوقد ذكاء، بحيث أنه حفظ مختصر ابن الحاجب مع تعقد ألفاظه في تسعة عشر يوماً، ودرس وأفتى وأفاد وتوفي العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي في ثالث عشر رجب، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. وبرع في عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية، وغير ذلك. ولزم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بعد عوده من القاهرة سنة اثنتي

عشرة وسبعمائة حتى مات، وأخذ عنه علماً جماً، فصار أحد أفراد الدنيا، وتصانيفه كثيرة، وقدم القاهرة غير مرة ومات ابن قرقمان صاحب جبال الروم ومات الحسين بن خضر بن محمد بن حجي بن كرامة بن بختر بن على بن إبراهيم ابن الحسين بن إسحاق بن محمد الأمير ناصر الدين، المعروف بابن أمير الغرب التنوخى، في نصف شوال. وولى عوضه ابنه زين الدين صالح، وولايته ببلاد الغرب من بيروت. وأول من وليها منهم كرامة بن بختر في أيام نور الدين محمود بن زنكي، فسمي كرامة أمير الغرب.

سنة اثنتين في خمسين وسبعمائة

في يوم الخميس رابع المحرم: قدم الأمير أسندمر العمري من حماة.

وفي يوم الجمعة خامسه: قدم الأمير أرغون الكاملي من حلب بغير مرسوم، فخلع عليه، وأنزل بالقلعة وسبب ذلك أنه كان قد أشيع بحلب القبض عليه، وأشيع بمصر أنه خامر، فكره تمكن موسى حاجب حلب، لما بينهما من العداوة، ورأى أن وقوع المكروه به في غير حلب أخف عليه؛ فركب من حلب وقدم مصر ففرح السلطان بقدومه، لما كان عنده من إشاعة عصيانه وفيه قدم عيسى بن حسن الهجان من العقبة، بكتاب الأمير فياض يتضمن حضور طقطاى ورفيقه مبشرين، وأنه عوقهما بالعقبة، وبعث ما على يديهما من الكتب، وأن طيلان لفي الحاج ينبع، فكتب بإحضار طقطاى ورفيقه.

وفيه قدم الخبر بأن طيلان تسلم الأمير بيبغا روس من الأمير طاز، وتوجه به إلى الكرك من بدر. فسر السلطان والأمراء بذلك، وكتب بإعادة العسكر من العقبة.

وفيه توجه الأمير فياض بن مهنا إلى أهله، وسير إليه منشوره بإمرة العرب، عوضاً عن جبار، صحبة قطلوبغا أخي الأمير مغلطاى؛ ليسافر به إلى بلاده.

وفي رابع عشره: خلع على الضياء يوسف الشامي، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن ابن الأطروش، بسفارة النائب الأمير بيبغا ططر حارس الطير، لكلام نقله ابن الأطروش للوزير ابن زنبور، فسبه وأهانه، وتحدث في عزله وعود الضياء.

فعرض الضياء حواصل المارستان، فلم يجد بها شيئاً، وكتب بذلك أوراقاً، وأوقف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب عليها. فترل النائب معه إلى المارستان، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان، وأحضر ابن الأطروش، وطلب كتاب الوقف وقرأه، حتى وصل فيه القارئ إلى قوله: "عن الناظر التعمم، ويكون عارفاً بالحساب وأمور الكتابة". فقال الضياء لابن الأطروش: "قد سمعت ما شرطه الواقف فيك، وأنت عامي مشهور ببيع الخرائط لا تدري شيئاً مما شرطه الواقف". وناوله ورقة حساب ليقرأها، فقام إليه بعض الفقهاء، وقال: "هذا معه تدريس وإعادة، وأنا أسأله عن شيء، فإن أجاب استحق المعلوم". وأخذته الألسنة من كل جانب، فقال النائب: "يا قوم! هذا رجل عامي، وقد أخطأ، وما بقي إلا الستر عليه فاعترف ابن الأطروش أنه لا يدري الحساب، وأنه عاجز عن المباشرة، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبداً، بإشهاد كتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوادح شنيعة، ومازال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه ثم قام النائب لكشف أحوال المرضى، فوجدت فرشهم قد تلفت، ولها ثلاث سنين لم تغير، فسد النائب خلله وانصرف.

وفيه قبض على مستوفي الدولة الأسعد حربة، وكريم الدين أكرم بن شيخ وسلما لشاد الدواوين فضرب شاد الدواوين ابن شيخ، وعاقبه حتى وزن مائة وستين ألف درهم، تتمة ثلاثمائة ألف درهم، ووزن حربة مالا جزيلا. واستقر عوضهما تاج الدين ابن ريشة، والعلم كاتب آل ملك.

وفي يوم السبت عشريه: قدم الأمير طاز من الحجاز بمن معه، وصحبته الملك المجاهد، والشريف أدى أمير المدينة، بعد ما سافر ولحق باليمن، وقدم مع المجاهد إلى مكة. فخرج الأمير مغلطاي إلى البركة ومعه الأمراء، ومد له سماطاً جليلا، وقبض على من معه من الأمراء الذين كانوا من جماعة الأمير بيبغا روس، وقيدوهم، وهم فاضل أخو بيبغا روس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب. وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج عنه إقطاعه، ولزم بيته وفي يوم الإثنين عشريه: طلع الأمير طاز بالمجاهد إلى القلعة، فقيد عند باب القلعة، ومشى بقيده حتى وقف مع العموم بالدركاه - تجاه النائب، والأمراء جلوس - وقوفاً طويلا، إلى أن خرج أمير جاندار يطلب الأمراء على العادة، فدخل معهم وخلع السلطان على الأمير طاز، ثم أخذ المجاهد، وأمر به مقبل الأرض ثلاث مرات. وطلب السلطان الأمير طاز وسأل عنه، فمازال طاز يتشفع في أمر المجاهد إلى أن أمر بقيده ففك، وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاى، وأجريت له الرواتب السنية، وأقيم له من يخدمه.

وفيه أنعم على الأمير طاز بمائتي ألف درهم وفيه قبض على الأمير حسين الططرى وولده، وأخرج مع الأمراء الممسوكين إلى الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أرغون الكاملي، واستقر في نيابة حلب على عادته، ورسم أن يكون موسى الحاجب بحلب نائباً بقلعة الروم.

وفي يوم الإثنين خامس عشريه :حضر المجاهد الخدمة، وأجلس تحت الأمراء.

وفيه ألزم المجاهد بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من الكارم، ثم بعد ذلك ينعم له بالسفر إلى بلاده.

وفيه قدم المجردون من العقبة بسبب بيبغا روس.

وفي يوم الخميس ثامن عشريه: قدم الأمير قطلوبغا الكركي، ومعه أمير أحمد الثائر بصفد، فأرسل إلى الاسكندرية، فسجن بها.

وفي يوم الإثنين تاسع عشريه: خلع على الأمراء اليمنيين المقيدين، وعلى المجاهد صاحب اليمن بالإيوان وقبل الأرض عدة مرار. وكان الأمير طاز والأمير مغلطاي تلطفا في أمره حتى أعفى من حمل المال، وقربه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرهاً فقبل المجاهد الأرض، وسر بذلك، فأذن له أن ينزل من القلعة إلى إصطبل الأمير مغلطاى، ويتجهز للسفر. وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال. فبعث له الأمراء مالا جزيلا، وشرع في القرض من الكارم تجار مصر واليمن فبعثوا له عدة هدايا، وصار يركب حيث شاء، وفيه خلع على ابن بورقية، واستقر في حسبة مصر عوضاً عن ولي الدين.

وفي يوم الخميس ثاني صفر: ركب المجاهد في الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة بالإيوان مع الأمراء والنائب فكان موكباً عظيماً، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم وخلع السلطان على المقدمين، وطلعوا إلى القلعة، وأجناد الحلقة معهم. واستمر المجاهد يركب في الخدمة مع النائب في سوق الخيل، ويطلع إلى الخدمة بالقلعة وفيه خلع على الأمير

صرغتمش، واستقر رأس نوبة على ما كان عليه، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاي وفيه قبض على محمد بن يوسف مقدم الدولة، وسلم لشاد الدواوين، وأفرد محمد ابن زيد بالتقدمة.
وفي يوم السبت ثامن عشره: برز المجاهد صاحب اليمن بثقله إلى الريدانيه؛ ليسافر إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين. وكتب السلطان إلى الشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبنى شعبة وغيرهم من العربان بالقيام في خدمته، وخلع عليه أطلس، فوعد المجاهد بإرسال الدية والمال، وقرر على نفسه حملا في كل سنة وأسر السلطان إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريبه.بمنعه من المضي، ويطالع بأمره. فرحل المجاهد من الريدانية خارج القاهرة، في يوم الخميس ثالث عشريه، ومعه عدة مماليك اشتراها، وكثر من الخيل والجمال وفي مستهل ربيع الأول: قدم الأمير قطلوبغا مستقر الأمير فياض بن مهنا، وقد أنعم عليه. بمائة ألف درهم، وثلاثين فرساً، وخمسين جملا، وقماش كثير.
وفيه قدم الخبر بلين الأمير أيتمش المصري نائب الشام، وضياع أحوال الشام، وكثرة قطع الطرقات، وأن أهل الشام سموه " ايش كنت أنا "، وأن أحوال شمس الدين موسى بن التاج إسحاق الناظر توقفت. ووقع جراد مضر بالزرع، أفسد أكثرها، وأن الغرارة القمح ارتفعت من ثمانين إلى مائة وعشرين درهماً.
ووقع بحماة سيل لم يعهد مثله، وخرب السيل أماكن كثيرة.
وفيه قدم الأمير قطلوبغا الذهبي من الوجه القبلي، وقد عجز عن مقاومة الأحدب.
وفيه قدم الخبر بقتل الشريف سعد بن ثابت أمير المدينة النبوية. وسببه أن الشريف أدى لما نهب المدينة وفر إلى اليمن، وصار عند صاحبها المجاهد حتى قدم مكة، ترامى على الأمير طاز إلى أن أخذ له أمانا من السلطان وقدم معه ومثل بين يدي السلطان وفي عنقه منديل الأمان فقيل له: "إنما أمنك على نفسك، وأما الأموال التى أخذتها من أهل المدينة ومن الحجج فلابد من ردها إلى أربابها."
فجمع أدى ولده وطرق سعد بن ثابت ليلا وحاربه فقتل سعد وكتب باستقرار فضل ابن قاسم عوضه.
وفي مستهل ربيع الآخر. كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد وهي زوجة آقسنقر الناصري المقتول زمن المظفر حاجي على الأمير طاز، ثم كان بعد ذلك عرس الأمير تنكز بغا، وأعرس جماعة من الأمراء و عمل السلطان لكل منهم مهما يليق به، فأقامت الأفراح طول الشهر، وأنعم السلطان على طاز وعلى تنكز بغا بثلاثمائة ألف درهم، وأنعم على كل من الأمير مغلطاي رأس نوبة، والأمير منكلى بغا الفخري. وفيه أخرج الأمير نوروز على إمرة طبلخاناه، بدمشق. وسببه أنه لما قدم من الشام أنعم عليه بتقدمة ألف، فصار يتحدث مع السلطان في المشور، وترفع على الأمراء.
وفيه قدم سيف بن فضل، بقوده.

وفي ليلة الثلاثاء رابعه: قدم الخبر بأن الأمير قشتمر أمسك المجاهد صاحب اليمن بينبع، بعد ما فر بنفسه، وترك ثقله. ثم قدم قشتمر في يوم السبت خامس عشره، وأرسل المجاهد إلى الكرك، فسجن بها.
وفي أول جمادى الأولى: قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان بسبب الصلح، فأنزلوا بصهريج منجك ثلاثة أيام، و لم يمكن أحد من الاجتماع بهم. ثم مثلوا بين يدي السلطان، وأعيدوا بجوابهم.
وفيه خلع على الأمير أرغون الإسماعيلي، واستقر في نيابة غزة، عوضاً عن فارس الدين ألبكي. وقدم فارس

الدين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.
وفيه خرجت العرب المعروفة ثعلبة من أماكنها، وتفرقوا في البلاد.
فوقفت أحوال مراكز البريد، فإن درك البريد عليهم فسعى ابن طلدية في ولاية الشرقية وتكفل برد ثعلبة، فخلع عليه بولايتها.
وفيه ركب الأمير طاز لكبس عرب الأطفيحية، وقد اشتد ضررهم وكثر قطعهم الطريق، فلم يظفر منهم بأحد، وتعلقوا بالجبال.
وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أياما، فبلغ طاز ومغلطاى ومنكلى بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، وأنه قد اتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر المارديني وتنكز بغا على ذلك، وأن ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمراتهم .فواعدوا أصحابهم، واتفقوا مع الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، والأمير طيبغا المجدي والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد سابع عشري جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر. فخرج السلطان إلى القصر الأبلق، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: "أنت اتفقت مع مماليكك على مسكنا، ولابد من إرسالهم إلينا. فبعث السلطان إليهم تنكز بغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وبعثوهم إلى خزانة كايل، فسجنوا بها. فشق ذلك على السلطان، وبكى، وقال: "قد نزلت عن السلطنة"، وسير إليهم النجاة، فسلموها للأمير طيبغا المجدي. وقام السلطان إلى حريمه، فبعث الأمراء الأمير صرغتش، ومعه الأمير قطلوبغا الذهبي وجماعة؛ ليأخذه ويحبسه. فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق، ودخلوا إلى الناصر حسن وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخاً عظيما، وصاحت ست حدق على صرغتمش صياحاً منكراً، وسبته، وقالت: "هذا جزاؤه منك". فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة، فلما رأه الخدام والمماليك تباكوا عليه بكاءاً كثيراً. وطلع صرغتمش به إلى رواق فوق الإيوان، ووكل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء. وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين، ومدة استبداده تسعة أشهر، وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة، وإليه أمر خزانة الخاص - ومرجع ذلك إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص - والأمير بيبغاروس نائب السلطة، وإليه حكم العسكر وتدبره والحكم بين الناس، والأمير منجك الوزير الأستادار مقدم المماليك، وإليه التصرف في أموال الدولة، والمتولي لتربيته خوند طغاي أم آنوك، وفي خدمته ست حدق. ورتب له في كل يوم مائة درهم تصرف لخدامه من خزانة الخاص، فكان كذلك في طوع الأمراء، يصرفونه على حسب اختيارهم، إلى أن نفرت نفوس الأمراء الخاصكية من الوزير منجك، وحسدوه على ما هو فيه، وكان أشدهم عليه حقدا الأمير مغلطاي والأمير طاز. وكان الأمير شيخو يفهم عنه إلى أن خرج الأمير بيبغا روس إلى الحج، وخرج الأمير شيخو إلى السرحة بالعباسة، وقع الاتفاق على ترشيد السلطان، ومسك منجك كما تقدم. فاستبد السلطان بالتصرف، وأخذ أموال الأمراء المقبوض عليهم، وفرقها في خواصه. ثم اختص بطاز، وبالغ في الإنعام عليه، واستخص قشتمر وألطنبغا وملكتمر وتنكز بغا، وجعلهم ندماءه في الليل ومشيريه في النهار، فلم يكن يفارقهم أبداً ليلا ولا نهاراً، وسوغهم من الأملاك، وأنعم عليهم من الجواهر والأموال بشيء جليل إلى الغاية، وأعرض عن الأمراء، فلم يلتفت إليهم حتى كان ما كان من خلعه.

وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم بالنواحي، وخربت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرحت عربان العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتد فسادهم وكثر قطعهم الطرقات. وكان الفناء العظيم الذي لم يعهد مثله، وتوالي شراقي الأراضي، وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل الأحدب ببلاد الصعيد والعجز عنه، وقتل عرب الصعيد طغية الكاشف، وهزيمتهم الهذباني وأخذ ثقله. فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشاً، إلا أن الناصر حسن كان في نفسه مفرط الذكاء، ضابطاً لما يدخل إليه ويصرفه كل يوم، عارفاً متديناً شهماً، لو وجد ناصراً ومعيناً لكان أجل الملوك.

السلطان الملك الصالح

صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاون أمه بنت الأمير تنكز نائب الشام، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن، في يوم الإثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. وذلك أن الأمراء لما حملت إليهم النمجاة، باتوا ليلة الإثنين بإصطبلاتهم، وبكروا يوم الإثنين إلى القلعة، واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة، واستدعوا به .فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة، وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة، ورفعت الغاشية بين يديه. وكان الأمير طاز والأمير منكلى بغا الفخري آخذين بشكيمة الفرس حتى جلس على التخت. وحلفوا له، وحلفوه على العادة، ولقبوه بالملك الصالح، ونودي بسلطنته في القاهرة ومصر.

وكان النيل قد نقص عندما كسر، فرد نقصه، ونودي عليه هذا اليوم بزيادة ثلاثة أصابع من سبعة عشر ذراعاً، فتباشر الناس بولايته.

وفيه نقل السلطان أخاه حسن الناصر إلى حيث ساكنا، ورتب في خدمته جماعة وطلب أخاه أمير حسين وأكرمه، ووعده بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه.

وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة.

وفيه دقت البشائر، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه طلب الأمير مغلطاي والأمير طاز مفاتيح الذخيرة، ليعتبروا ما فيها، فوجد شيء يسير.

وفيه رسم للوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بتجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة، فجهزها.

وفيه وقف الأمير طاز، وسأل الأمراء والسلطان في الإفراج عن الأمير شيخو، فرسم به.وكتب كل من مغلطاي وطاز إليه كتاباً، فبعث مغلطاي بكتابه، أخاه قطلوبغا رأس نوبة، وبعث طاز الأمير طقطاي صهره. وجهزت الحراقة لإحضار شيخو من الإسكندرية، في يوم الثلاثاء تاسع عشرينه.

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاى، فإن الأمير طاز دخل عليه في ذلك، ومضى إلى بيته، فاعتذر إليه بأنه يخشى من خلاصه على نفسه، فحلف له طاز أيمانا مغلظة أنه معه على كل ما يريد، ولا يصيبه من شيخو ما يكره، وأن شيخو إذا حضر ما يعارضه من في شيء من أمر المملكة، "وإني ضامن له في هذا"؛ وما زال به حتى

وافق على الإفراج عنه، وكتب إليه مع أخيه. فشق ذلك على الأمير منكلى بغا الفخري، وعتب مغلطاي على موافقته لطاز، وأوهمه أن بحضور شيخو يزول عنهم ما هم فيه، حتى تقرر ذلك في ذهنه، وندم على ما كان منه، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رحب، وركب الأمراء في الموكب على العادة، أخذ منكلى بغا يعرف الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء الكبار ما دار بينه وبين مغلطاى، وخيلهم من حضور شيخو إلى أن وافقوه، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة. فابتدأ الأمير بيبغا حارس الطير النائب بحديث شيخو، وأنه رجل كبير، ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كبيرة. فتكلم منكلى بغا ومغلطاي والأمراء، وطاز ساكت قد اختبط لتغير مغلطاي ورجوعه عما وافقه عليه. وأخذ طاز يتلطف به، فصمم مغلطاي على ما هو عليه، وقال: "ما لى وجه أنظر به شيخو، وقد أخذت منصبه بعد ما مسكته، وسكنت بيته ." فوافقه الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب، وقال لناظر الجيش: "اكتب له مثالا بنيابة حماه، وانتقال طنبرق لنيابة حلب"، وقال لكاتب السر. "اكتب كتابا بعوده من طريقه إلى نيابة حماه" فكتب ذلك، وتوجه به أيدمر الدوادار من وقته وساعته في حراقته. وعين لسفر شيخو إلى حماة عشرون هجينا ليركبها ويسير عليها، وانفضوا، وفي نفس طاز ما لا يعبر عنه. فاجتمع هو وصرغتمش وملكتمر وجماعة، واتفقوا جميعاً وبعثوا إلى مغلطاي بأن "منكلى بغا رجل فتنى، وما دام بيننا لا نتفق أبداً". فلم يصغ مغلطاي إلى قولهم، واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه. فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفية من القلعة حيث سكنه، وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلى بغا، وتحالفا على ذلك. فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادار مغلطاي يفتح ما صدر منه، ويهول عليه الأمر بأنه متى أبعد منكلى بغا وحضر شيخو أخذ لا محالة، فمال إليه. وبلغ الخبر منكلى بغا، بكرة يوم الجمعة ثانيه، فواعد الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء على الاجتماع في صلاة الجمعة؛ ليقع الاتفاق على ما يكون. فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاي عما تقرر بينه وبين طاز ليلا، فاستعد للحرب، وواعد الأمير ملكتمر المحمدي والأمير قردم الحموي ومن هوى هواهم، واستمالوا مماليك بيبغا روس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجاء الخلاص أستاذيهم وشد الجميع خيولهم.

فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلى بغا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير وجماعة، وقرر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم في دار النيابة، ويقبضوا عليهما. فلما أتاهم الرسول بطلبهما أحسا بالشر، وقاما ليتهيئا للحضور، وصرفا الرسول على أنهما يكونان في أثره، وبادر إلى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها، واستدعوا من معهم من المماليك السلطانية، ولبسوا السلاح. ونزل صرغتمش بمن معه من باب السر، ليمنع من يخرج من إصطبلات الأمراء، ودخل طاز على السلطان حتى يركب به للحرب، فلقى الأمير صرغتمش في نزوله الأمير أيدغدي أمير آخور، فلم يطق منعه، وأخذ بعض الخيول من الإصطبل، وخرج فوجد خيله وخيل من معه في انتظارهم. فركبوا إلى الطبلخاناه، فإذا طلب منكلى بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر، فألقوه عن فرسه وجرحوه في وجهه، وقتلوا حامل الصنجق، وشتتوا كل الجميع. فما استتم هذا حتى ظهر طب مغلطاي مع مماليكه، ولم يكن لهم علم.بما وقع على طلب منكلى بغا. فصدمهم صرغتمش.بمن معه صدمة بددهم، وحرح جماعة منهم، وهزم بقيتهم. ثم عاد صرغتمش ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم، فمال عليها ليأخذها. وامتدت أيدي أصحابه إليها، فقتلوا

الغلمان، وقد عظم الصياح، وانعقد الغبار، وإذا بالنائب بيبغا ططر حارس الطير ومغلطاى ومنكلى بغا وبيغرا ومن معهم قد نزلوا، وركبوا خيولهم .وكانوا لما أبطأ عليهم مجيء طاز وصرغتمش بعثوا في استعجالهما، فإذا الأبواب مغلقة، والصيحة داخل باب القلة، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب، فما توسطوا القلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم. فأسرعوا إليهم وركبوا، فشهر مغلطاي سيفه، واقتحم.بمن معه على صرغتمش ومن معه؛ ومر النائب بيبغا ططر حارس الطير وبيغرا ورسلان بصل يريد كل منهم اصطبله. فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاي كسرة قبيحة، وجرح كثير من أصحابه، وفر إلى جهة قبة النصر وهم في أثره، وانهزم منكلى بغا أيضاً وكان طاز لما دخل على السلطان عرفه أن الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الناصر حسن إلى السلطنة، وأخذه في مماليكه، ونزل به من باب السر إلى الإصطبل.
واستدعى السلطان بالخيل ليركب، فقعد به أيدغدي أمير آخور، واحتج بقلة السروج، فإنه كان مماثلاً لمغلطاي؛ فأخذ المماليك ما وجدوه، وخرجوا بالسلطان، ودقت الكوسات. فاجتمع إليه الأمراء والأجناد والمماليك السلطانية من كل جهة، حتى عظم جمعه، فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد غلقت، والرميلة قد امتلأت بالعامة. وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر حتى يعرف خبر صرغتمش، فوافى قبة النصر بعد المغرب.
وأما صرغتمش فإنه تمادى في طلب مغلطاي ومنكلى بغا حتى أظلم الليل، فلم يشعر إلا.بمملوك الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاي عنده في بيت آل ملك بالحسينية، فبعث جماعة لأخذه. ومر صرغتمش في طلب منكلى بغا، فلقيه الأمير محمد بن بكتمر الحاجب، وعرفه أن منكلى بغا نزل قريباً من قناطر الأميرية، ووقف يصلي، وأن طلب الأمير مجد الدين موسى الهذباني كان قد جاء من جهة كوم الريش. ولحق بالأمير منكلى بغا الأمير أرغون المكي في جماعة، فقبضوا عليه وهو قائم يصلي، وكتفوه بعمامته، وأركبوه بعد ما نكلوا به. فلم يكن غير قليل حتى أتوا به وبمغلطاي، فقيدا وسجنا بخزانة شمائل، ثم أخرجا إلى الإسكندرية، ومعهما ابن منكلى بغا، فسجنوا بها، وأقبل صرغتمش ومن معه إلى السلطان بقبة النصر، وعرفه بمسك الأميرين، فسر سروراً كبيراً، ونزل هو والأمراء وباتوا عند قبة النصر.
وركب السلطان بكرة يوم السبت ثالثه إلى القلعة، وجلس بالإيوان، ودخل الأمراء فهنأوه السلامة، ونودي بالزينة. وفي الحال كتب باستدعاء الأمير شيخو، وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه. ونزلت البشائر إلى بيوت شيخو وبيبغا روس ومنجك، وكان يوما مذكورا، وبات الأمراء على تخوف.

وأما شيخو، فإن حراقة أخي طاز وطقطاي وافت الاسكندرية يوم الخميس أول رجب، فخرج شيخو من السجن وهو ضعيف، وركب الحراقة في الخليج، وأهل الإسكندرية في فرح وسرور بخلاصه .فوافاه كتاب صرغتمش بأنه "إذا أتاك أيدمر بمرسوم توجهك إلى حماة لا ترجع، وأقبل إلى القاهرة، فأنا معك"، فتغير لقراءته، وعلم أنه قد حدث في أمره حادث. فلم يكن غير ساعتين حتى لاحت له حراقة أيدمر، فمر وهو مقلع، وأيدمر منحدر إلى أن تجاوزه، وهو يصيح ويشير.بمنديله، فلا يلتفتون إليه. واستمرت حراقة شيخو طول الليل وأيدمر في أثره، فلم يدركه إلا بكرة يوم السبت. فعندما طلع إليه أيدمر، وعرفه ما رسم له من عوده إلى حماة، وقرأ المرسوم الذي على يده، وإذا بالخيل على البر تتبع بعضها بعضاً، والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته وإعلامه.بما وقع من الركوب، ومسك مغلطاي ومنكلى بغا فسر شيخو بذلك سروراً كثيراً، وسار إلى

أن أرسى بساحل بولاق، في يوم الأحد رابعه.
وكان الناس قد خرجوا يوم السبت إلى لقائه، وأقاموا ببولاق ومنبابه .ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه. فلما رأوا الحراقة صاحوا ودعوا له، وتلقته مراكب أصحابه. وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء المراكب إلى مائة درهم، وما وصلت الحراقة إلا وحولها فوق الألف مركب. وركب الأمراء إلى لقائه، وزينت الصليبة، وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه. فسار شيخو في موكب عظيم إلى الغاية، لم ير مثله لأمير، إلى أن صعد القلعة. ودخل شيخو على السلطان، فأقبل عليه، وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفاً جليلا، وخرج شيخو إلى مترله والتهاني تتلقاه.
وفيه فرقت الخلع على الأمراء، وركبوا بها إلى الخدمة، في يوم الإثنين خامسه.
وفي يوم الأربعاء سابعه: رسم بإخراج الأمير بيبغا ططر حارس الطير نائب السلطنة، والأمير بيغرا. فترل الحاحب إلى بيت آل ملك بالحسينية، وأخرج منه النائب؛ ليسير إلى نيابة غزة. وأخرج بيغرا من الحمام إخراجاً عنيفاً؛ ليتوجه إلى حلب. فركبا من فورهما، وسارا وفيه قبض على الطيب أحد أمراء الطبلخاناه من أصحاب مغلطاي، وقيد وسجن.
وفيه أخرج أيدغدي أمير آخور إلى طرابلس، بطالا وفيه كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك
وفي عاشره: ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، ولعب فيه بالكرة، فكان يوماً مشهوداً.
وفيه وقف الناس في الفأر الضامن، ورفعوا فيه مائة قصة. فقبض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضرباً كثيراً، وهو يحمل المال، فوجدت له خبية فيها نحو مائتي ألف درهم حملت إلى بيت المال.
وفيه قبض على النائب بيبغا ططر حارس الطير في طريقه، وسجن بالإسكندرية.
وفي يوم الأحد حادي عشره. وصل الأمراء من سجن الإسكندريه، وهم سبعة. منجك الوزير، وفاضل أخو بيبغا روس، وأحمد الساقي نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التتري وولده، ومحمد بن بكتمر الحاجب. فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم، وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدي السلطان. ونزلوا إلى بيوتهم، فامتلأت القاهرة بالأفراح والتهاني ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية، من الخيول والتعابي القماش والبسط وغيرها، فكان الذي بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس، ومبلغ ألفي دينار وفي يوم الإثنين ثاني عشره: خلع على الأمير قبلاي الحاجب، واستقر في نيابة السلطنة عوضاً عن بيبغا ططر حارس الطير.
وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد، ونهبهم الغلال ومعاصر السكر، وكبسهم البلاد، وكثره حروبهم، بحيث قتل منهم ألف رجل، وأن ابن مغنى حشد وركب في البر والبحر. وامتنع الناس من سلوك الطرقات، وأنه متى لم يبادر الأمراء إلى حربه لا يحصل للأراضي تخضير، وكان زمن النيل. فطلب عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف، وأعيد له إقطاعه من الأمير قندس أمير آخور، وخلع عليه، واستقر في كشف الوجه القبلي. وخلع على مملوك أسندمر، واستقر في كشف الإطفيحية، وأنعم عليه بإقطاع ابن بيبغا ططر حارس الطير النائب.
وأنعم على فارس الدين ألبكي نائب غزة بتقدمة ألف، ورسم بخروجه صحبة أزدمر الأعمى الكاشف، وعين معه ستة أمراء طبلخاناه.

وفي يوم الخميس خامس عشره: قدم الأمير بيبغا روس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان، فخلع عليه ونزل بيبغا روس إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تقدمة تليق به.
وفي يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان، ومعه الأمير بيبغا روس، وعليه التشريف، وصحبته الأمراء. فلعب السلطان بالكرة، وعاد إلى القلعة آخر النهار.
وفي يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على الأمير بيبغا روس، واستقر في نيابة حلب عوضا عن أرغون الكاملي. واستقر أرغون الكاملي في نيابة الشام، عوضا عن أيتمش الناصري وفيه خلع أيضا على أمير أحمد الساقي شاد الشرابخاناه ونائب صفد، واستقر في نيابة حماة، عوضا عن طنبرق. ورسم طنبرق إلى حلب أمير طبلخاناه، ثم رسم أن يكون بطالا بدمشق وفيه خلع على الوزير علم الدين بن زنبور خلعة الاستمرار، وركب قدام المحمل بالزناري في موكب عظيم. ولم يركب أحد من الوزراء قدام المحمل سوى ابن السلعوس، في أيام الأشرف خليل، وأمين الملك بن الغنام في أيام الناصر محمد، مرة واحدة.
وفيه أحيط بموجود ست حدق، ووكل بها. وكتب موجودها، وألزمت.بمال كبير سوى موجودها، ثم أفرج عنها، ولم يؤخذ لها شيء.
وفي يوم الجمعة أول شعبان: خلع على محمد بن الكوراني بولاية مصر والصناعة، عوضا عن بلاط.
وفي يوم الأحد ثالثه: سافر الأمير بيبغا روس إلى نيابة حلب، وأمير أحمد إلى نيابة حماة وفيه كتب باستقرار منجك في نيابة صفد، فسأل الإعفاء، وأن يقيم بجامعه بطالا؛ فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخو. فاسترد أملاكه التي أنعم بها على المماليك والخدام والجواري، ورم ما تشعت من صهريجه، واستجد به خطبة، وولي زين الدين البسطامي في خطابته وفيه خلع على عمر شاه، واستقر حاحب الحجاب، عوضاً عن النائب قبلاي وفيه أنعم على طشتمر القاسمي بتقدمة ألف، واستقر حاجباً ثانياً.
وفيه أنعم على جماعة من المماليك السلطانية، بإمرات.
وفي يوم الخميس سابعه: قدم أمير على المارديني، وأنعم عليه بتقدمة بيغرا.
وفيه أخرج أقجبا الحاحب الحموي، وطينال الجاشنكير، وملكتمر السعيدي، وقطلوبغا أخو مغلطاى، وطشنبغا الدوادار، وفرقوا ببلاد الشام.
وفي يوم السبت تاسعه: وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الغد، ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب فبعث إليه الأمراء تقادم كثيرة، وتوجه.وكانت أمه رجعت من مكة بعد مسكه، وأقامت في مملكة اليمن ابنه الملك الصالح، وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بابنها المجاهد صاحب اليمن أن يقرضوه ما يحتاج إليه، وختمت على مالهم من أصناف المتجر بعدن وزبيد وتعز فقدم قاصدها، وقد قبض على المجاهد ثانيا، وسجن بالكرك.
وفي يوم الإثنين ثاني عشره: وصل الأمير أيتمش الناصري من الشام، فقبض عليه من الغد وفي يوم الجمعة ثاني عشريه: خرج الأمير فارس الدين ألبكي، ومعه الأمير آينبك، وأربعة أمراء طبلخاناه، صحبة الأمير أزدمر الأعمى الكاشف إلى الوجه القبلي، بسبب نفاق العربان، في تجمل كبير.
وفي مستهل شهر رمضان: قدم الشريف ثقبة، بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان، فخلع عليه، واستقر في إمارة مكة.بمفرده. أنعم عليه الأمير طاز بقرض ألف دينار، وأقرضه الأمير شيخو عشرة آلاف درهم. واقترض

ثقبة من التجار مالا كثيراً، واشترى الخليل والسلاح والمماليك، واستخدم عدة مماليك.
وفيه رسم بسفر الحسام لاجين العلائي مملوك آقبغا الجاشنكير وأستادار العلائي صحبة ثقبة؛ ليقلده بمكة.
وفيه رسم بإبطال رمى والبرسيم والشعير على أهل النواحي، ونقش المرسوم على رخامة بجانب باب القلة، وكتب بذلك إلى الولاة.
وفيه خلع على ابن الأطرش، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضا عن الضياء، بعناية جماعة من الأمراء به؛ لكثرة مهاداته لهم.
وفيه أخرج أيدمر الدوادار وعدة من المماليك إلى الشام.
وفيه قدم الخبر بخروج عيسى بن حسن الهجان عن الطاعة، وامتنع بجماعته في الوادي.
وفي شوال: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام بالحط على قاضي القضاة تقي الدين السبكي وأنه حكم بترع وقف من أصحابه وأعاده ملكا، وطلب الأمير أرغون الكاملي أن يعقد لذلك مجلس فيه قضاة مصر وعلماؤها بين يدي السلطان.

وكان من خبر ذلك أن أرغون لما ولى نيابة الشام خرج علاء الدين الفرع إلى لقائه قريب حلب، وأغراه بالسبكي، وقدح فيه وفى ولده بقوادح حتى غير خاطره. فلما لقيه السبكي لم يجد منه إقبالا، وبقي على ذلك إلى أن وقف جماعة بدار العدل يشكون من السبكي أن لهم وقفا من عهد أجدادهم، وأقطع للأجناد ثم استرجعوه منهم، وثبت وقفه على قاضي القضاة المالكي بدمشق، فانتزعه السبكي منهم، وسلمه لمن كان قديماً في يده بالملكية، وسألوا عقد مجلس. فلما اجتمع القضاة والفقهاء لذلك، قام الفرع وجماعة في العصبية على السبكي، وشنعوا عليه. فأجاب السبكي بأنه "ثبت عندى أن يكون في يد مالكه، وقد حكم بذلك. وهأنا، ومن ينازعني فيما حكمت؟"، فلم ينازعه أحد. فطلب الأمير أرغون الكاملي قضاة القضاة، فحضروا إلا عز الدين بن جماعة، فإنه تعذر حضوره. وقرئ عليهم كتاب النائب بحضرة الشيخ بهاء الدين أحمد إبن السبكي، فأظهر كتاب أبيه بصورة الواقعة، وهى أن أجداد الشكاة ادعوا الوقفية في ضيعة كذا، فوقفها أبناءهم من بعدهم، ثم أقطعت بعد وفاتهم لجماعة من الجند فادعى الشيخ تقي الدين البوسي لما قدم من بعلبك أنها ملكه وبيده، وأنه ابتاعها من أهلها قبل وفاتهم، وأثبت كتاب مشتراه وتسلمها، وأن الشراء كان سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وبقي إلى سنة أربع وتسعين. فأظهر قوم كتاب وقفها وأثبتوه وتسلموها، فسمي البوسي في سنة أربع وسبعمائه واستعاد الضيعة منهم، بعد منازعا عقد فيها عدة مجالس. فأخذها تنكز منهم، ثم استردها البوسى، فلم يزل إلى هذا الوقت وقف أهل الوقف، وأثبتوه على قاضي المالكية جمال الدين المسلاتى. فأثبت الآخرون أن المسلاتي كانت بينه وبين البوسي عداوة لا يجوز معها أن يحكم كل وأخذوا الضيعة. فتحاكم الفريقان إلى السبكي، فحكم باستقرار يد الملاك، وأبقى كل ذي حجة على حجته. فتنازع ابن السبكي والتاج المناوي طويلاً وانقضوا، وأخذ السبكي خطوط جماعة من المفتين بصحة حكم أبيه. ثم اجتمعوا ثانياً، وحضر قاضي القضاة عز الدين بن جماعة، وانتدب للنظر في ذلك بمفرده. فادعى قوام الدين أمير كاتب الحنفي فساد حكم السبكي، وتعصب عليه تعصبا زائداً. وذلك أنه لما قدم قوام الدين دمشق، وبها يلبغا اليحياوي نائبا اختص به، وأخذ ينهاه عن رفع يديه في الركوع، وأن هذا لا يجوز، وصلاته التي صلاها كذلك باطلة يجب عليه إعادتها فسأل

يلبغا ابن السبكي عن ذلك، فأنكر مقالة القوام.
واشتهر بين الأمراء والأجناد مقالة القوام، وكثرت القالة فيها. فطلب السبكي القوام ومنعه من الإفتاء، واقتضى رأي ابن جماعة النظر في من شهد بالعداوة، وفيمن، شهد بالوقفية، فكتب بذلك لنائب الشام.
وفيه ارتفع سعر اللحم، ووقف حال المعاملين بحيث أخذوا الأغنام من أربابها بغير ثمن. فأبطل الوزير المعاملين، واشترى الأغنام بالثمن الناض وكانت عادة اللحم من أربعين درهما إلى خمسين درهما القنطار، وأكثر ما عهد بستين درهما القنطار. فبلغ في هذه الأيام بتعريف الحسبة إلى مائة وأربعين، ومائة وخمسين درهماً، وأبيع في الحوانيت كل رطل بخمسة دراهم سوداء، عنها درهم وثلث درهم كاملية.
وتعذر وجود الغنم، فكتب في البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام، وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام. وكتب إلى ولاة الوجه القبلي والوجه البحري بحمل الأغنام، فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر.
وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس، فانحط سعر اللحم.
وفي خامس عشره: سار محمل الحاج، صحبة الأمير طيبغا المجدي. وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والفيوم والوجه البحري، وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة، وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير، وفيهم ملكهم.فسأل ملكهم الإعفاء من الدخول على السلطان، فأعفي، وسار بقومه إلى الحج، مستهل ذي القعدة.
وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردي بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى قدم عليه، فتلقاه وأكرمه، ثم قبض عليه، وضرب عنقه بيده، وقتل من معه.

وفيه قدم الخبر بان الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء في عدة مواضع، وركب ومعه الأمير آينبك ليلا، وصاح العربان من عرك صباحاً، وقتل منهم جماعة، وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بني هلال أعداء عرك، فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكتر.بمسك الطرقات على عرك، وركب ومعه الأمير فارس الدين والأمراء، وأسندمر المتوفي الإطفيحية، إلى الجبل؛ وقد لقيه الأحدب في حشد كبير، فلم يثبت الأحدب وانهزم من رمي النشاب، وترك أثقاله وحريمه. ونادى الأمير أزدمر. "يا بنى هلال دونكم أعداءكم"، فمالوا عليهم يقتلون، وينهبون الواشي والغلال والدقيق والقرب والروايا، وسلبوا الحريم، حتى امتلأت أيدي بني هلال وأيدي الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان، وأن البلاد قد خضرت أراضيها، وأطاع عربانها العصاة، وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة.
وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن.
وفيه ضيق على الناصر حسن، وسدت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظاً زائداً.
وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريباً من الأهرام.
وفي أول ذي الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعاً بأمان، فخلع عليه.
وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهماً الأردب؛ وانحط سعر اللحم، فأبيع بدرهم الرطل.
وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة.

وفي هذه السنة: استقر في قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيى التلمساني، عوضاً عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحي. واستقر في قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم، بعد وفاة أبيه. واستقر في كتابة السر بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود، عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضي العسكر، وقدم الشريف إلى القاهرة.

ومات فيها من الأعيان قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم، كاتب الإنشاء، في أواخر شعبان، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر؛ وكان كثير العبادة.

وتوفي الشريف أدى صاحب المدينة النبوية، في السحن.

ومات الأمير طشبغا الدوادار، بدمشق؛ وكان فاضلا ديناً.

وتوفي قاضي الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الحسن ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة المعروف بابن العديم، عن ثلاث وستين سنة، منها في قضاء حماة عشر سنين، وفي قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة.

وتوفي تاج محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشي الفقيه الشافعي، بدمشق، في يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة، نشأ بالقاهرة، واستوطن بدمشق.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدي أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالصعيد. فحمل ميتا إلى القاهرة، وقدم في يوم الإثنين ثاني عشري رمضان.

ومات علاء الدين على بن محمد بن مقاتل الحراني، ناظر الشام، في عاشر رمضان بالقدس.

وتوفي شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني موقع الدست، وصاحب المدرسة بسويقة الصاحب من القاهرة، وبها قبره.

ومات الشيخ.ابن بدلك في يوم الأحد سابع عشرى شوال.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن الكويك، في داره ليلة السبت سادس عشرى ذي الحجة، ذبحه الحرامية.

ومات آقبغا والي المحلة، يوم الخميس تاسع عشرى ذي الحجة.

ومات ملك المغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن محيو بن أبي بكر بن حمامة، في ثالث عشري ربيع الآخر. وقام بعده ابنه أبو عنان فارس، وكانت مدته احدى وعشرين سنة.

سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

في أول المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن الشريف ثقبة لما نزل بطن مر، وتدم إلى مكة متسفر الحاج حسام الدين لاجين، وعرف الشريف عجلان بانفراد أخيه ثقبة بالإمرة، امتنع الشريف عجلان من تسليمه مكة. وعاد حسام الدين إلى ثقبة، فأقاما حتى قدم الحاج صحبة الأمير طيبغا المجدى. فتلقاه ثقبة، وطلب منه أن يحارب معه عجلان، فلم يوافقه على محاربته، فأسمعه ما لا يليق، وهدده أنه لا يمكن الحاج من دخول مكة. وقام ثقبة عنه وقد اشتد غضبه، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح. فاجتمع أمير الركب، وقاضي القضاة عز الدين بن جماعة - وكان قد توجه صحبة الركب للحج - واتفقا على إرسال الحسام إلى عجلان ومعه ابن جماعة.

فجرت لهم معه منازعات، آخرها أن تكون الإمرة شركة بينه وبين أخيه ثقبة. وعادا إلى بطن مر، وقررا ذلك مع ثقبة حتى رضي، وساروا جميعاً إلى مكة. فتلقاهم عجلان على العادة، وأنصف ثقبة، وأنعم عليه بسبعين ألف درهم. وكانت الوقفة بعرفة يوم الجمعة، وجاور قاضي القضاة عز الدين بن جماعة. ولقي الحاج من عبيد مكة شراً كثيراً.

وفيه قدم الخبر أن المجاهد قدم إلى تعز في ثامن عشري ذي الحجة الماضية، واستولى على ملكه. وكانت أمه قد ضبطت البلاد في غيبته، وأنفقت عند قدومها مائة ألف دينار للشريف الزيدي صاحب صنعاء، ولأهل الجبال ولأكابر المملكة، حتى أقامت ابن المجاهد، واسمه الصالح. ثم قبضت عليه، وساست الأمور، ووفت ما اقترضه المجاهد من التجار بمصر.

وفيه قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف والأمراء من بلاد الصعيد، فركب الأحدب وكبس ناحية طما على بني هلال، وقتل منهم جماعة، ونهب ما وجد. فتوجه إليهم الأمير بلبان السناني الأستادار بمضافيه، والأمير قمارى الحموي الحاحب، وعدة من أولاد الأمراء في مستهل صفر؛ ليقيموا حتى يتم قبض المغل.

وفيه استقر ابن عقيل في ولاية البهنسي، واستقر بيبغا الشمسي في ولاية إطفيح. وكانتا مع أسندمر مملوك أزدمر الأعمى الكاشف، فعادت العربان بعد عزل أسندمر إلى ما كانت عليه من الفساد.

وفي يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول: قدم الأمير أيتمش الناصري من سجن الإسكندرية، وخرج من القاهرة في يوم السبت ثالث عشره إلى صفد بطالا.

وفي حادي عشريه: نفي الأمير قردم أمير آخور إلى صفد، ثم أنعم عليه بإقطاع يلك الحسني الأرغوني الحاجب، وأن يحضر يلك إلى مصر، فلما حضر يلك هذا - ويعرف بيلك الشحنة - أنعم عليه بإقطاع قردم.

وفيه استقر يلك الحسني الأرغوني الحاحب أمير آخور، عوضاً عن قردم على إقطاعه، وهو حاحب.

وفي يوم الخميس رابع عشريه: أخرج الأمير ألطنبغا العلائي شاد الشرابخاناه، إلى حلب.

وفي هذا الشهر: شرع الأمير طاز في عمارة قصر وإسطبل تجاه حمام الفارقاني، بجوار المدرسة البندقدارية، وأدخل فيه عدة أملاك .وتولى عمارته الأمير منجك، وحمل إليها الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئاً كثيراً.

وفيه ابتدأ الأمير صرغتمش عمارة إصطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط، قريباً من الجامع الطولوني، وأدخل فيه عدة دور، وحمل إليه الناس ما يحتاج اليه من الرخام وغيره.

وفيه عوفي الأمير قبلاي النائب، وركب الموكب. وكان منذ استقر في النيابة مريضا بوجع المفاصل، لم يركب فرسا، وإنما يجلس في شباك النيابة للحكم بين الناس. ومشت في ولايته المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، فزاد فساد الأجناد بكثرة دخول أرباب الصنائع فيهم. وفحش ذلك حتى نزل مقدمو الحلقة عن التقدمة، وقام جماعة نحو الثلاثمائة رجل عرفوا بالمهيسين على الإقطاعات، وصاروا يطوفون على الأجناد، ويبذلون لهم الرغبات في النزول عن إقطاعاتهم.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة كبير، في رتبة الأمير شيخو باختياره. وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم، ما عدا مال الخاص، فإن الأمير شيخو متحدث فيه، وما عدا أمور الوزارة. فقصده الناس، وكثرت مهابته، وعارض الأمراء في جميع أفعالهم. وأراد صرغتمش ألا يعمل شيء إلا من بابه وبإشارته، فان تحدث غيره في عزل أو ولاية غضب، وأبطل ما تحدث فيه، وأخرق بصاحبه.

وفيه اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

وفيه قدم الخبر من مكة بأن الأسعار بها غلت حتى بلغ الأردب القمح ثلاثمائة درهم، والشعير مائتي درهم، والراوية الماء بأربعة دراهم مسعودية فأغاثهم الله تعالى في أول يوم من المحرم بمطر استمر ثلاثة أيام، فانحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهماً، والراوية الماء بنصف وربع مسعودي؛ لجريان ماء عين جوبان.
وفيه قدم الخبر بنفاق عرب الصعيد ونهبهم سقط ميدان وقتل أهلها، ونهب بلاد سودى بن مانع، وأن أهل منفلوط رجموا الوالي. فألزم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف بالخروج إليهم، وأنعم عليه بألف أردب شعير وأربعين ألف درهم، قبضها وسافر.
وفيه قدم الخبر أن طائفة الزيلع كانت عادتهم حمل قطيعة في كل سنة إلى ملك الحبشة، من تقادم السنين. فقام فيها عبد صالح ومنعهم من الحمل، وشنع عليهم إعطاءهم الجزية وهم مسلمون لنصراني، ورد رسول ملك الحبشة. فشق ذلك على ملك الحبشة، وخرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم. فلما صار على يوم منهم قام العبد الصالح تلك الليلة يسأل الله تعالى كفاية أمر الحبشي، فاستجاب دعاءه. وعندما ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو - حتى كاد الرجل لا يرى صاحبه -مقدار ساعة، ثم انقشع الظلام، وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بحمرة، وأعقبه رمل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم، ونزل من بعده حيات كبيرة جداً، فقتلت منهم عالماً كثيراً. فعاد بقيتهم من حيث أتوا، وهلك في عودهم معظمهم دوابهم، وكثير منهم.
وفيه تزايد تسلط الأمير صرغتمش رأس نوبة، وكثر ترفعه. فتنكر له الأمراء، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم، وإعادة الناصر حسن، ومسك شيخو وطاز، وانفرد صرغتمش بالكلمة فقلق طاز - وكان حاد الخلق - وهم بالركوب، فمنعه شيخو، فاحترز طاز وشيخو. وأخذ صرغتمش في التبرئ مما رمى به، وحلف للأمير شيخو والأمير طاز، فلم يصدقه طاز وهم به. فقام شيخو قياماً كبيراً حتى أصلح بينهما، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش، فركب إليه وتصافيا.
وفيه خلع على جرجى الدوادار، واستقر حاجبا، عوضا عن طشتمر القاسمي باستعفائه.
وفيه ركب الأمير ضروط البريد؛ لطلب جمال وهجن للسلطان من الأمير فياض بن مهنا، فإن جمال السلطان قلت، بحيث أنه لما خرج إلى السرحة اكترى له جمالا كثيرة لحمل ثقله، ومنع أمير آخور الكتاب والموقعين وغيرهم مما جرت به عادتهم من حمل أثقالهم على جمال السلطان.
وفيه قدم الخبر بفتنة الفرنج الجنوية والبنادقة، وكثرة الحروب بينهم، من أول المحرم إلى آخر ربيع الآخر .فقل الواصل من بلاد الفرنج، إلى الإسكندرية، وعز وجود الخشب، وغلا وتعذر وجود الرصاص والقصدير والزعفران. وبلغ المن بعد مائتي درهم إلى خمسمائة، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. ثم قدم الخبر بأن البنادقة انتصرت على الجنوية، وأخذت لهم واحداً وثلاثين غراباً بعد قتل من بها.
وفيه قدم الشيخ أحمد الزرعي من الشام، فبالغ الأمير شيخو والأمير طاز في إكرامه.
وفيه قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريز بكتابه، يخبر أنه قد حسن إسلامه هو وأخوته وأقاربه، والتزم سيرة العدل في رعيته، وترك ظلمهم. وشكا الأشرف دمرداش من كثرة الاختلاف بينهم حتى

هلك رعيته، وطلب أن يبعث إليه. ممن نزح عن بلاده من التجار، وكتب إليهم أمانا، وأن أرتنا نائب الروم قد أفسد بلاده، ومنع التجار أن تسير إليهم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما. وكان قد قدم إلى مصر والشام في هذه السنة وما قبلها كثير من تجار العجم؛ لسوء سيرة الولاة فيهم، فعرض عليهم أمان الأشرف دمرداش، فلم يوافقوا على العود إلى بلاده.

وفيه رسم للأمير جرجي الحاجب أن يتحدث في أمر أرباب الديوان، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية، فاستمر ذلك فيما بعد. وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل، وذكروا أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا لما نزل بهم من جور التتار، وأنهم باعوا بضائعهم لعدة من تجار القاهرة، فأكلوها عليهم، وأرادوا إثبات إعسارهم على القاضي الحنفي، وهو في سجنه، وقد فلس بعضهم. فرسم لجرجي بإخراج غرماء التجار من السجن، وخلاصهم مما في قبلهم، وأنكر على القاضي الحنفي ما عمله، ومنع من التحدث في أمر التجار والمديونين. فأخرج جرجي التجار من السجن، وأحضر لهم أعوان الوالي، وضربهم، وخلص منهم المال شيئاً بعد شيء ومن حينئذ صارت الحجاب بالقاهرة وبلاد الشام تتصدى للحكم بين الناس، فيما كان من شأن القضاة الحكم فيه. وفيه ركب عرب إطفيح على بيبغا الشمسي، ونهبوا ما معه وهزموه، وخرجوا عن الطاعة، فجرد إليهم طائفة من الأمراء.
وفي هذه السنة: رتب الأمير شيخو في كل ليلة جمعة وقتاً يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة، ويقوم الشيخ علي بن الركبدار المادح، فينشد من مدائح الصرصري ونحوه ما يطربهم، وينصرفون بعد أكلهم.
وفيه كثرت الإشاعة بمدينة حلب أن الأمير بيبغا روس نائبها يريد الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذك، وقبض على عدة من العامة سمرهم وشهرهم، ثم أفرج عنهم.
وفيها رتب الأمير شيخو في الجامع الذي أنشأه للشيخ أكمل الدين محمد الرومي الحنفي مدرساً وشيخ صوفية، وقرر له في كل شهر أربعمائة درهم، وجعل عنده عشرين فقيهاً. وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الزولي، ونقله من مذهب الشافعي إلى مذهب الحنفي. وجعل به درساً للمالكية أيضاً، وولي تدريبه نور الدين السخاوي، وقرر له ثلاثمائة درهم في كل شهر. ورتب به قراء ومؤذنين، وغير ذلك من أرباب الوظائف، وقرر لهم معاليم بلغت جملتها في الشهر ثلاثة آلاف درهم.
وفيه قدم الشريف طفيل بن أدى من المدينة النبوية، يطلب تركة سعد في الإمارة.
وفيه قدم صدر الدين سليمان بن محمد بن قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق، فخلع عليه، واستقر في توقيع الدست.
وفي عاشر جمادى الآخرة: خلع على الأمير شيخو، وأعيد رأس نوبة، عوضاً عن صرغتمش. فعند لبسه التشريف قدم البشير بولادة بعض سراريه ولداً ذكراً، فسر به سروراً زائداً؛ لأنه لم يكن له ذكر.
وهنأه الأدباء بعدة قصائد، منها أبيات فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج، قال :

تحف به النجابة والسعود — بأيمن ساعة قدم الوليد
فيوم وروده بشرى وعيد — مبارك غرة ميمون وجه
إليه قبل أن تأتي المهود — لقد كادت سروج الخيل

تأتى

تماما يستنير به الوجود	هلال سوف تستجليه بدراً
تروع من بسالته الأسود	وشبل سوف يبدو وهو ليث
ثمار كلها كرم وجود	وزهرعن قريب منه تجنى
وجوهرة تزان بها العقود	وفجر سوف يظهر منه صبح
كذلك فرعك الزاكي يسود	وأبناء الكرام هم الكرام
ويا من سعيه سعي حميد	أيا من نفعه عم البرايا
إلى أبوابه يأوى الطريد	ومن للملك منه أجل ذخر
ولم تكتم مواضيها الغمود	ومن لولاه لم تسكن خطوب
وأيده وإن رغم الحسود	ومن قد شد للإسلام أزرا
يسرك فيه ذو العرش المجيد	لقد وافاك مولود كريم

وفي هذا اليوم: قدم البريد من صفد بأن في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى ظهر بقرية حطين، من عمل صفد، شخص ادعى أنه السلطان أبو بكر المنصور ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومعه جماعة تقدير عشرة أنفار فلاحين فبلغ ذلك الأمير علاء الدين ألطنبغا برناق نائب صفد، فجهز إليه دواداره شهاب الدين أحمد، وناصر الدين محمد بن البتخاصي الحاجب، فأحضره. فجمع له النائب الناس والحكام، فادعى أنه كان في قوص، وأن واليها عبد المؤمن لم يقتله، وأنه أطلقه، وركب في البحر، ووصل إلى قطيا، وبقي مخفياً في بلاد غزة إلى الآن، وأن له دادة مقيمة في غزة، عندها النمجاة والقبة والطير فقال النائب: "إذا كنت في تلك الأيام جاشنكيراً، وكنت أمد السماط بكرة وعشياً، وما أعرفك؟". فأقام مصرا على حاله، وانفسدت له عقول جماعة، وما شكوا في ذلك. فكشف أمره من غزة، فوجدت المرأة التي ذكر أنها دادته، واعترفت أنها أمه، وأنه يعتريه جنون منذ سنين في كل سنة مرتين وثلاثا. وذكر أهل غزة أنه يعرف بأبي بكر بن الرماح، وله سيرة قبيحة، وأنه ضرب غير مرة بالمقارع. فكتب بحمله، فخشبه نائب صفد في يديه ورجليه، وجعل الحديد في عنقه، وحمله إلى السلطان. فقدم قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثامن عشره، فسئل بحضرة الأمراء، فخلط في كلامه، وهذي هذياناً كثيراً. ثم قدم بين يدي السلطان، فتكلم بما سولت له نفسه. فسمر في يوم الخميس عشريه تسمير سلامة، وشهر بالقاهرة ومصر. فكان في تلك الحالة يتحدث أنه كان سلطانا، ويقول: "اشفقوا على سلطانكم، فعن قليل أعود إليكم". فاجتمع حوله عالم كثير، وأتوه بالشراب والحلوى، وحادثوه. فكان إذا أتى اليه أحد بالماء حتى يشربه يقول له: " اشرب ششني، وإذا رأى أميراً قال: "هذا مملوكي ومملوك أبي". ويقول: " لي أسوة بأخي الناصر أحمد، وأخي الكامل شعبان وأخي المظفر حاجي الكل قتلوهم". وأقام على الخشب يومين، ثم حبس في ثالثه، فاستمر في الحبس على حاله، فقطع لسانه.

وفيه ادعى شخص بالقاهرة النبوة، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولداً ذكراً يخبر بصحة نبوته. فقيل له " :إنك لبئس النبي". فقال: "لكونكم لبئس الأمة". فسجن، وكشف عن أمر؛ فوجد له اثنا عشر يوماً

منذ خرج من عند الممرورين بالمارستان، وأنه أخذ غير مرة وهو مجنون، فعمل عند الممرورين وفي يوم الإثنين رابع عشريه: سمر ابن مغنى، ومعه جماعة قبض عليهم الأمير مجد الدين بن موسى الهذباني. الكاشف، من معدية زفتية.

وفي مستهل رجب: قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف، وقد كمل تحضير أراضي الوجه القبلي، واطمأن أهله. وطلب أزدمر الإعفاء من كشف الوجه القبلي، فخلع عليه واستقر في كشف الوجه البحري، عوضاً عن مجد الدين بن موسى الهذباني.

وفيه قدم كتاب الملك المجاهد على من اليمن بوصوله إلى بلاده، وأنه جهز تقدمته، وأوفي التجار أموالهم التي اقترضها، وأنه أطلق مراكب التجار لتسير، إلا أنه منعها أن ترسى بجدة وتعبر إلى مكة كراهة في أمرائها.

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام، يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير، بكتابه إلى أخيه الأمير بيبغا روس نائب حلب، يحسن له الحركة. وقد أرسله الأمير أرغون الكاملي، فإذا فيه أنه قد اتفق مع سائر الأمراء على الأمر، "وما بقي إلا أن تركب وتتحرك". فاقتضى الرأى التأني حتى يحضر الأمراء والنائب من الغد إلى الخدمة، ويقرأ الكتاب عليهم، ليدبروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق.

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطلب فلم يوجد، وذكر أتباعه أنه من عشاء الآخرة لم يعرفوا خبره. فركب الأمير صرغتمش في عدة من الأمراء، وكبس بيوت جماعة، فلم يوقف له على خبر. وافتقدوا مماليكه، ففقد منهم اثنان. فنودي عليه في القاهرة، وهدد من أخفاه. وأخرج عيسى بن حسن الهجان في جماعته من عرب العايد على النجب لأخذ الطرقات عليه، وكتب إلى العربان ونواب الشام وولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدر عليه، فكبست بيوت كثيرة. وكان قد خرج في يوم الخميس حادي عشره الأمير فارس الدين ألبكي بألفه، والأمير طشتمر القاسمي بألفه إلى غزة، فأخر أمرهم

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه: قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير بيبغا روس نائب حلب، واتفاقه مع الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس فجرد في يوم السبت سابع عشريه جماعة من الأمراء وأجناد الحلقة إلى الصعيد، منهم عمر شاه الحاجب، وقماري الحاجب، ومحمد بن بكتمر الحاجب، وشعبان قريب يلبغا. وكتب لبيبغا روس نائب حلب بالحضور إلى مصر، على يد سنقر وطيدمر من مماليك الحاج أرقطاي وكتب معهما ملطفات لأمراء حلب تتضمن أنه إن امتنع عن الحضور فهو معزول، ورسم لهما أن يعلما بيبغا بذلك أيضا مشافهة بحضرة الأمراء فقدم البريد من دمشق.بموافقة ابن دلغادر لبيبغا روس، وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، وهم طاز وشيخو وصرغتمش وبزلار وأرغون الكاملي نائب الشام. فرسم للنائب بيبغا ططر حارس الطير بعرض مقدمي الحلقة، وتعيين مضافيهم من عبرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها؛ ليسافروا. فقدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب في جمع كبير من التركمان، فركب بيبغا روس وقد واعد نائب حماة ونائب طرابلس على مسيرة أول شعبان، وأنهم تلقوه بعساكرهم على الدستن.

فركب الأمير أرقطاى الدوادار الكبير البريد.بملطفات لجميع أمراء حلب وحماة ونائب طرابلس، فقدم دمشق وبعث بالمطلفات لأصحابها، فوجد أمر بيبغا روس قد قوي، ووافقه النواب والعساكر وابن دلغادر تركمانه

وكسابته، وجبار بن مهنا بعربانه فكتب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام بأن سفر السلطان لابد منه، " وإلا خرج عنكم جميعه" . فاتفق رأي الأمراء على ذلك، وطلب الوزير علم الدين عبد الله ابن زنبور، ورسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيزه الإقامات في المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج اليه من التجار، فطلب الكارم وباعهم غلالا من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدة أصناف أخرى، وكتب إلى مغلطاي بالإسكندرية بقرض أربعمائة ألف درهم، فأجاب إليها. وأخذ من ابن منكلى بغا ستمائة ألف درهم، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأخذ من الأمير بيبغا ططر حارس الطير النائب مائة ألف درهم قرضاً، ومن الأمير بلبان السناني أستادار مائة ألف درهم. فلم يمضي أسبوع حتى جهز الوزير جميع ما يحتاج اليه، وحمل الشعير إلى العريش، وحمل في الخزانة أربعمائة تشريف، منها خمسون أطلس بحوائص ذهب وخرج الأمير طاز في يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار، والأمير كلتاي أخو طاز، وفارس الدين ألبكي ثم خرج الأمير طيبغا المجدي وابن أرغون النائب، في يوم السبت خامسه وخرج الأمير شيخو في يوم الأحد سادسه في تجمل عظيم، فبينا الناس في التفريج على طلبه إذ قيل قبض على منجك. وسبب ذلك أن الأمير طاز رحل في يوم السبت، فلما وصل بلبيس قيل له إن رجلا من بعض أصحاب منجك صحبة شاروشي مملوك قوصون، فطلبهما طاز، وفحص عن أمرهما، فرأى به بعض شيء فأمر بالرجل ففتش، فإذا معه كتاب منجك لبيبغا روس تضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه أخفي نفسه، وأقام عند شاورشى أياما، ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام القصرى أستاداره، وهو مقيم حتى يكشف خبره، وهبر يستحثه على الخروج من حلب. فبعث الأمير طاز بالكتاب إلى الأمير شيخو، فوافى والأطلاب خارجة. فطلب الأمير شيخو الحسام القصرى، وسأله فأنكر، فأخذ الأمير صرغتمش وعاقبه، ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه، فإذا منجك ومملوكه، فأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة؛ فسفر إلى الإسكندرية.

وفي يوم الإثنين سابعه: ركب السلطان إلى الريدانية، وجعل الأمير قبلاي نائب الغيبة ورتب أمير علي المارديني في القلعة، ومعه الأمير كشلي السلاح دار؛ ليقيما داخل القلعة، ويكون على باب القلعة الأمير أرنال والأمير قطلوبغا الذهبي، ورتب الأمير مجد الدين موسى الهذباني مع والي القاهرة لحفظها. واستقل السلطان بالمسير من الريدانية يوم الثلاثاء ثامن شعبان بعد الظهر، فقدم البريد بأن الأمير طقطاي الدوادار خرج من دمشق يريد مصر، وأن الأمير أرغون الكاملي نائب الشام لما بلغه خروج بيبغا روس من حلب في ثالث عشر رجب، ومعه قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن في انتظاره، عزم أرغون كذلك على لقائه. فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه، فاحترس على نفسه، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب. ثم اقتضى رأي أمير مسعود بن خطير أن النائب لا يلقى القوم، وأنه ينادى بالعرض للنفقة في منزلة الكسوة، ويركب اليها، فإذا خرج العسكر إليه.بمنزلة الكسوة منعهم من عبور دمشق، وسار بهم إلى الرملة في انتظار قدوم السلطان. ففعل أرغون ذلك، وأنه مقيم على الرملة بعسكر دمشق، فإن ألطنبغا برناق نائب صفد سار إلى بيبغا روس في طاعته، وأن بيبغاروس وصل إلى حماه، واجتمع مع نائبها أحمد، وبكلمش نائب طرابلس، وسار بهم إلى حمص، فلقيه مملوك أرقطاى بكتاب السلطان ليحضر، فقبض عليهما وقيدهما، وسار يريد دمشق، فبلغه مسير السلطان بعساكره، واشتهر ذلك في عسكره، وأنه قد عزل من نيابة

حلب، فانحلت عزائم كثير ممن معه، وأخذ في الاحتفاظ بهم والتحرر منهم، إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس رجب، فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة. فبعث بيبغا روس إلى الأمير أياجي نائب القلعة يأمره بالإفراج عن الأمير وقردم، وأن يفتح أبواب المدينة.

ففتح أياجي أبواب دمشق، و لم يفرج عن قردم. فركب أمير أحمد نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد، ليعبرا على الضياع، فواقى نجاب بخبر مسك منجك، ومسير السلطان من خارج القاهرة. وعاد أحمد وبكلمش في يوم الإثنين رابع عشره، وقد نزل الأمير طاز بمن معه المزيريب فارتج عسكر بيبغا روس، وتواعد فراجا بن دلغادر وجبار ابن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس يومئذ إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما، وسارا فركب بيبغا روس في أثرها، فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره حتى دقت البشائر بالقلعة، وأعلن أهلها بأن الأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام وافيا، وأن الأمير شيخو والسلطان ساقه. فبهت بيبغاروس، وتفخد عنه من معه، وركب عائداً إلى حلب في تاسع عشر شعبان فكانت إقامته أربعة وعشرين يوماً، أثر أصحابه فيها بدمشق وأعمالها آثاراً قبيحة، من النهب والسبي والحريق والغارات على الضياع من حلب إلى دمشق، كما فعل المغول أصحاب غازان. فبعث السلطان الأمير أسندمر العلائي والي القاهرة ليبشر بذك، فقدم إلى القاهرة يوم الجمعة خامس عشريه. فدقت البشاثر وطبلخاناه الأمراء، وزينت القاهرة سبعة أيام. وجبى من الأمراء والدواوين والولاة ومقدمي الحلقة الذين لم يسافروا ثمن الشقق الحرير التى تفرش إذا قدم السلطان، وكان قدم إليه من صفد الأمير أيتمش الناصري، فكان يرجعه عن كثير من ذلك وأما السلطان فإنه التقى مع الأمير أرغون الكاملي نائب الشام على بدعرش من عمل غزة، وقد تأخر معه الأمير طاز.بمن معه. فدخل السلطان بهم إلى غزة؛ وخلع على نائب الشام، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم، وأنعم على أمير مسعود بألف دينار، وأنعم على كل من أمراء الألوف بدمشق بألفي دينار، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بعشرة آلاف درهم، وعلى كل من أمراء العشرات بخمسة آلاف درهم، فكانت جملة ما أنفق فيهم ستمائة ألف درهم.

وتقدم الأمير شيخو والأمير طاز والأمير أرغون الكاملي نائب الشام.بمن معهم إلى دمشق، وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر. وتبعهم السلطان، فكان دخوله دمشق في يوم الخميس مستهل رمضان، وقد خرج الناس إلى لقائه، وزينت المدينة زينة حفلة، فكان يوماً مشهوداً. ونزل السلطان بالقلعة، ثم ركب منها في غده يوم الجمعة ثانيه إلى الجامع الأموي في موكب جليل، حتى صلى به الجمعة. وكان الأمراء قد مضوا في طلب بيبغا روس، فقدم خبرهم في يوم الإثنين خامسه بنزول الأمير شيخو والأمير طاز على حمص، وأنه قد بلغهم مسك بيبغا روس وأمير أحمد نائب حماه وجماعة. فدقت البشائر بالقلعة، ثم تبين كذب هذا الخبر وفي يوم الأربعاء سابعه: رسم بعود أجناد الحلقة ومقدميها وأطلاب الأمراء إلى القاهرة، فخرجوا فيه من دمشق أرسالا. وكانت جماعة من العسكر قد تخلفوا بغزة، فقدموا القاهرة في رابعه، وقدم الأجناد وأطلاب الأمراء إلى القاهرة في خامس عشريه وأما بيبغا روس فإنه قدم حلب في تاسع عشري شعبان، وقد حفرت خنادق تجاه أبوابها، وغلقت الأبواب وامتنعت القلعة، ورمته رجالها بالمنجنيق والحجارة، وتبعهم من فوق الأسوار من الرجال بالرمي عليه. وصاحوا عليه فبات.بمن معه، وركب من الغد يوم الخميس أول شهر رمضان للزحف على المدينة، وإذا بصياح عظيم، والبشائر تدق في القلعة، والرجال يصيحون: "يا منافقين! العسكر وصل".

فالتفت بيبغا روس بمن معه، فإذا البيارق والصناجق نحو جبل جوشن فانهزموا بأجمعهم نحو البر. ولم يكن ما رأوه على حبل جوشن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وطرابلس وحماة كانوا مختفين من عسكر بيبغا روس عند خروحه من دمشق، فساروا في أعقابه رجاء أن يدركهم عسكر السلطان. فلما حضر بيبغا روس إلى حلب أجمعوا على كبسه، وراسلوا أهل جبل بانقوسا بموافاقم، وجمعوا عليهم كثيراً من العربان. وركبوا أول الليل، وترتبوا بأعلا جبل حوشن، ونشروا الصناجق. فعندما أشرقت الشمس ساروا، وهم يصرخون صوتاً واحداً، فلم يثبت بيبغا روس ولا أصحابه، وولوا ظناً منهم أنه عسكر السلطان. فإذا أهل بانقوسا قد أمسكوا عليهم طرق المضيق، وأدركهم العسكر، فتبددوا وتمزقوا، وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم يكن أحد ينظر رفيقه. فأخذهم العرب وأهل حلب قبضاً باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال، وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب.
ونجا بيبغا روس بنفسه، وامتلأت الأيدي بنهب ما كان معه، وهو شيء يجل عن الوصف؛ لكثرته وعظم قدره. وتتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه، وأخرجوهم من عدة مواضع، فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل، والأمير ألطنبغا العلائي مشد الشرابخاناه، وألطنبغا برناق نائب صفد، وملكتمر السعيدي وشادي أخو أمير أحمد نائب حماة، وطيبغا حلاوة الأوجاقي، وابن أيدغدي الزراق أحد أمراء حلب، ومهدي شاد الدواوين بحلب، وأسنباى قريب بن دلغادر، وبهادر الجاموس، وقلج أرسلان أستادار بيبغا روس، ومائة من مماليك الأمراء؛ فقيد الجميع وسجنوا. وتوجه مع بيبغا روس أمير أحمد نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، وطشتمر القاسمي نائب الرحبة، وآقبغا البالسي، وصصمق، وطيدمر، وجماعة تبلغ عدقم نحو مائة وستة عشر فدخل الأمراء حلب، وبعثوا بالمماليك إلى دمشق، وتركوا الأمراء المقيدين بسجن القلعة. وركب الحسام العلائي إلى طرابلس، فأوقع الحوطة على موجود نائبها، بكلمش؛ وتم إيقاع الحوطة بحماة على موجود أمير أحمد.

وكتب الأمراء إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه، والقبض على بيبغا روس ومن معه، وكان بيبغا روس قد قدم عليه، فركب وتلقاه، وقام له بما يليق به. فلما وقف قراجا بن دلغادر على كتب الأمراء أجاب بأنه ينتظر في القبض عليه مرسوم السلطان به، وارسال الأمان لبيبغا روس، وأنه مستمر على إمرته، فلما حهز له ذلك امتنع من تسليمه. فطلب رمضان من أمراء التركمان، وخلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر وإقطاعه. وعاد الأمراء من حلب، واستقر بها الأمير أرغون الكاملي نائباً، عوضاً عن بيبغا روس وقدموا دمشق ومعهم الأمراء المسجونون، يوم الجمعة سلخ رمضان، وركبوا مع السلطان لصلاة العيد، والأمير مسعود بن خطير حامل الجتر على السلطان حتى عبر الميدان فصلى بهم تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي قاضي العسكر صلاة العيد، وخطب ومد السماط بالميدان، فكان يوماً مذكوراً.
وفي يوم الإثنين ثالثه: جلس السلطان بطارمة قلعة دمشق، ووقف الأمير شيخو وطاز وسائر الأمراء بسوق الخيل تحت القلعة. وأخرج الأمراء المسجونون في الحديد، ونودي عليهم: "هذا جزاء من يخامر على السلطان، ويخون الإسلام" ووسطوهم واحداً بعد واحد، وهم ألطنبغا برناق، وطيبغا حلاوة، ومهدي شاد الدواوين بحلب، وأسنبغا التركماني، وألطنبغا الثلاثي شاد الشرابخاناه، وشادي أخو أمير أحمد نائب حماه، وأعيد ملكتمر السيدي إلى السجن وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين بدمشق، وساطلش الجلالي، ومصطفى، والحسام مملوك أرغون شاه، وأمير علي بن طرنطاي البشمقدار، وابن جودى، وقردم أمير آخور، وأخرجوا إلى

الإسكندرية، ومعهم ملكتمر السعيدي، ونفي مقبل نقيب الجيش إلى طرابلس وفيه خلع على الأمير أيتمش الناصري، واستقر في نيابة طرابلس، عوضاً عن بكلمش. وأنعم على أمير مسعود بن خطير بإقطاع قردم، وأنعم على كل من ولديه بإمرة طبلخاناه واستقر الأمير طنيرق في نيابة حماة، عوضاً عن أمير أحمد الساقى. واستقر شهاب الدين أحمد بن صبح في نيابة صفد، ورسم بإقامة الأمير طيبغا المجدي بدمشق، على إمرة.

وتوجه الأمير يلبك والأمير نوروز إلى مصر.

وفي يوم الجمعة سابعه: صلى السلطان الجمعة، وخرج من دمشق يريد مصر. فكانت إقامته بها سبعة وثلاثين يوماً.

وأما القاهرة فإن مماليك الأمراء وأجنادهم كانت تركب في مدة غيبة السلطان كل ليلة من عشاء الآخرة، وتتفرق في نواحي المدينة وظواهرها، لحفظ الناس فإذا رأوا أحدا يمشى ليلا حبسوه، حتى يتبين أمره، ولم يبق حانوت ولا زقاق إلا وعليه قنديل يشمل طول الليل. وطلب الأمير قبلاي النائب مقدمي الوالي، وألزمهم أن يقوموا بجميع ما يصرف في القاهرة وظواهرها. وانتدب الأمير مجد الدين موسى الهذباني، والأمير ناصر الدين محمد بن الكوراني؛ لحفظ مدينة مصر. ورتب جماعة لحفظ بيوت المتجر، في البر والبحر. فلم يعدم لأحد شيء سوى سرقة متاع من حانوت يهودي، فضرب الأمير قبلاى النائب مقدمي الوالي بالمقارع حتى أحضروا متاع اليهودي له.

واتفق أن ابن الأطروش محتسب القاهرة مر بسوق الشرابشيين، وابن أيوب الشرابيشي في حانوته .وكان أيوب هذا يعتريه جنون في بعض الأحيان، فأخذ يسب المحتسب ويهزأ به، ثم وثب اليه وألقاه عن بغلته، وركب صدره. فما خلصه الناس منه إلا بعد جهد، وأقاموه من تحت ابن أيوب، وقد تباعدت عمامته وانكشف رأسه. فطلع ابن الأطروش إلى الأمير قبلاي النائب، وأخبره.بما جرى عليه، فأحضر الأمير قبلاى ابن أيوب، وضربه وحبسه.

وفيه حدثت زلزلة في رمضان، والناس في صلاة العشاء الآخرة.

وفي سابع عشره: خرج الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبي، والأمير علم دار إلى الصعيد في البر والبحر، بسبب نفاق العربان، وقطع الطرقات على المسافرين، وتشليح الأجناد.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال: قدم السلطان، ومشى بفرسه على شقاق الحرير التي فرشت له، وخرج الناس إلى لقائه ورويته، فكان يوماً مشهوداً لم يتفق مثله لأحد من أخوة السلطان الذين تسلطنوا.

وعندما طلع السلطان القلعة تلقته أمه وجواريه وأخوته، ونثر عليه الذهب والفضة، وقد فرشت له طريقه بشقاق الحرير الأطلسي، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهاني. وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة :

يطوى له الأرض البعيد النازح   الصالح الملك العظيم قدره

فالأرض تطوى دائماً للصالح   لاتعجبوا من طيها لمسيره

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء، وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم .فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم

ليس لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتناً قد اسود. وتغير أيضاً ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها.

وشمل الوباء أيضاً أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع الاسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح وغلفت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركباً عليه طير يحوم في غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضاً شيء كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت .بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عم أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس نستراوه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فيموت أكثرهم في المركب، ويعود من بقي منهم، فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيتان البطارخ شيء منتن، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودت ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقثائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحري، لا يوحد من يدفنها .وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالي كان لا يجد من يشكو إليه، وكان القاضي إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لقلتهم، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. وعم الوباء جميع تلك الأراضي، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضم الزرع.

وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفي الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيراً لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضم الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكوراني والي مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودي عليهن. ونقل ما في دور صهري ابن زنبور، وسلما لشاد الدواوين .

وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت، وابن السعيد لنظر الدولة، وقشتمر مملوك طقزدمر لشد الدواوين.

وفي يوم الأحد تاسع عشريه: خلع عليهم. فأقبل الناس إلى طلب الأمير صرغتمش للسعي في الوظائف، فولي أسعد حربة استيفاء الدولة، وولي كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش. وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين، وهم الفخر بن قزوينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة، والفخر مستوفي الصحبة، والفخر ابن الرضي كاتب الإصطبل، وابن معتوق كاتب الجهات، وأكرم الملكي. وطلب التاج ابن لفيتة ناظر المتجر وناظر المطبخ، وهو خال ابن زنبور، فلم يوجد، وكسبت بسببه عدة بيوت حتى أخذ. وصار الأمير صرغتمش يترل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة، وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة فأعياهم كثرة ما وجدوا له. وتتبعت حواشي ابن زنبور، وهجمت دور كثيرة بسببهم، عدم لأربابها مال عظيم.

وفي يوم الإثنين مستهل ذي القعدة: قدم البريد من نائب حلب بمائة وعشرين منشوراً للتركمان، ويستأذن في تجريد عسكر حلب إلى ابن دلغادر.

وفيه نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالمصاصة وعدم منه ركغاً دل عليه، فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار حملها إلى القلعة. وطلب الأمير صرغتمش ابن زنبور، وضربه عرياناً، فلم يعترف بشيء، فترل إلى بيته، وضرب ابنه الصغير وأمه تراه في عدة أيام حتى أسمعته كلاماً جافياً؛ فأمر بها، فعصرت.

وأخذ ناظر الخاص في كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم والقند والسكر والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع في بيع ذلك. هذا، والأمير صرغتمش يترل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة، ليكون ذخيرة للسلطان. فبلغت عدة الحمالين الذين حملوا النصافي والتفاصيل، وأواني الذهب والفضة، والبلور والصيني والكفت، والسنجاب والملابس الرجالية والنسائية، والزراكش والجواهر واللالىء، والبسط الحرير والصوف، والفرش والمقاعد، وأواني الذهب والفضة زنة ستين قنطاراً، ومن الجوهر زنة ستين رطلا، ومن اللؤلؤ كيل أردبين، ومن الذهب الهرجة مبلغ ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف دينار، ومن الحوائص ستة آلاف حياصة، ومن الكلفتاه الزركش ستة آلاف كلفتاه، ومن ملابس ابن زنبور نفسه عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط، ومن الصنج لوزن الذهب والفضة بقيمة خمسين ألف درهم، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش. ووجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب عاملة ستة آلاف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمسة وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم في السنة. ووجد له مائة عبد، وستون طواشي وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب في النيل، وأملاك قومت بثلاثمائة ألف دينار، ورخام بمائتي ألف درهم، ونحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدة خمسمائة. ووجد له اثنان وثلاثون مخزناً، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف دينار. ووجد له سبعة آلاف نطع وخمسمائة حمار، ومائتا بستان، وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نهب، وسوى ما اختلس، على أن موجوده أبيع بنصف قيمته .ووجد له في حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألف درهم، وفي الأهراء نحو عشرين ألف أردب وكان مبدأ أمره أنه باشر استيفاء الوجه القبلي، وتوجه إليه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزراق، وهو كاشف. فنهض فيه، وشكرت سيرته، إلى أن عرض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب في أيام النشو ليختار منهم من يوليه كاتب الإصطبل؛ وكان ابن زنبور من جملتهم، وهو شاب، فأثنى عليه الفخر ناظر

الجيش، وساعده الأكوز. فخلع عليه السلطان الناصر محمد، واستقر به كاتب الإصطبل، عوضاً عن ابن الجيعان فنال في مباشرة الإصطبل سعادة طائلة. وأعجب به السلطان لفطنته، وشكره من تحت يده، حتى مات السلطان الناصر محمد.

ثم استقر ابن زنبور مستوفي الصحبة في أيام المنصور أبي بكر، وانتقل منها في وزارة نجم الدين محمود وزير بغداد إلى نظر الدولة. ثم أخرجه جمال الكفاة لكشف القلاع، فقدم إلى مصر بعد موته. ثم استقر في نظر الخاص بعناية الأمير أرغون العلائي؛ ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجمع بعد مدة إليهما الوزارة. ولم يتفق لأحد قبله بالجمع بين الوظائف الثلاث

وعظم ابن زنبور إلى الغاية، حتى أنه كان إذا خرجت الخيول لأرباب الوظائف من إصطبل السلطان، يخرج له ثلاثة أرؤس، وإذا خلع عليه خلع عليه ثلاث خلع. ونفذت كلمته، وقويت مهابته، وفخمت سعادته، واتجر في جميع الأصناف حتى في الملح والكبريت، وربح في سنة واحدة من المتجر زيادة على ألف ألف درهم، منها في صنف الزيت الحار خاصة مائة ألف وعشرة آلاف .فكثرت حساده، وعادته الكتاب لضبطه، وأحصوا عليه جميع ما يتحصل له.

فلما ولى الأمير صرغتمش بعد الأمير شيخو رأس نوبة، أغروه به، فإنه كان يحمل لشيخو مال الخلص، وهو الذي عمر له العمارة التي على النيل من ماله، وكان يقوم له بما يفرقه من الحوائص على مماليكه ونحو ذلك، حتى تغير صرغتمش وصار صرغتمش يسمع شيخو الكلام .الكثير بسببه، فيقول له: "قد كثرت القالة فيك بسبب ابن زنبور، وأنه يحمل إليك كل ما يتحصل من الخاص، وأنه قد كثر ماله. فلو مكنتني أخدت للسلطان مالا ينقصه". فيدافع شيخو عنه، ويعتذر له بأنه إذا قبض عليه لا يجد من يسد مسده، وإن كان ولابد فيقرر عليه النشو مال يحمله، وهو على وظائفه. وبينما هو في ذلك إذ قدم خبر مخامرة بيبغا روس، فاشتغل عنه صرغتمش، وخرج إلى الشام، وفي نفسه منه ما فيها. وصار صرغتمش يتجهم لابن زنبور، ويسمعه ما يكره، إلى أن أرجف.بمسكه، وهو يسترضيه، ويحمل له أنواع المال فلا يرضى، حتى أعيى ابن زنبور أمره. وحدث ابن زنبور شيخو بدمشق.بما هو فيه مع صرغتمش، فطب شيخو خاطره بأنه مادام حياً لا يتمكن منه أحد؛ فركن لقوله. وأخذ صرغتمش يغري الأمير طاز بابن زنبور حتى وافقه على مسكه، فقوى به على شيخو؛ ووكل يثقله لما توجه من دمشق من يحرسه، وهو لا يشعر فلما وصل السلطان خارج القاهرة أشيع أنه يعبر من باب النصر ويشق القاهرة، فاجتمع لرؤيته عالم عظيم، وأشعلوا له الشموع والقناديل .فدخل ابن زنبور على بغلة رائعة بزناري أطلس، في موكب جليل إلى الغاية، وبين يديه جميع المتعممين من القضاة والكتاب، وقد أعجب بنفسه إعجاباً كثيراً، والناس تشير إليه بالأصابع. فكانت تلك نهايته، وقبض عليه كما تقدم.

وانتدب جماعة بعد مسك ابن زنبور للسعي في هلاكه، وأشاعوا أنه وجد في بيته عدة صلبان، وأنه لما دخل إلى القدس في سفرته هذه بدأ بكنيسة القيامة، فقبل عتبتها، وتعبد فيها، ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء في بابه، و لم يصل فيه، وكانت صدقته على النصارى بكنيسة القيامة، ولم يتصدق على أحد من فقراء المسلمين بالقدس. فأثبتوا في ذهن صرغتمش أنه باق على النصرانية، ورتبوا فتاوى تتضمن أنه ارتد عن الإسلام. وكان أحل من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوي، وبدر الدين ناظر الخاص، والصواف تاجر صرغتمش. فأول ما بدأوا به من نكايته أن حسنوا لصرغتمش حتى بعث إليه الصدر

عمر وشهود الخزانة، فشهدوا عليه في مكتوب، أن جميع ما بيده من الدور والبساتين والأراضي ما وقفه منها وما هو طلق - جميعه اشتراه من مال السلطان دون ماله، وأنه ملك للسلطان ليس فيه شيء قل أو جل. ثم حسنوا له ضر به، فأمر به فأخرج بكرة يوم وفي عنقه باشة وجتزير، وضرب عرياناً قدام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أعيد إلى موضعه، وعصر، وسقى الماء والملح. ثم سلم لشاد الدواوين، وأمر بقتله، فنوع عقوبته. فمنع الأمير شيخو من قتله، فأمسك عنه، ورتب له الأكل والشرب، وغيرت عنه ثيابه، ونقل من قاعة الصاحب إلى بيت الأمير صرغتمش.

وفي يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة: قبض على الأمراء قمارى الحموي، وشعبان قريب يلبغا، ومحمد بن بكتمر الحاحب، ومأمور، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، ماعدا شعبان فإنه أخرج إلى دمشق.

وفيه قدمت رسل الأشرف بن جوبان أنه يريد محاربة أرتنا نائب الروم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما، فأجيب عن ذلك.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: قدم الأمير ناصر الدين بن المحسني.

وفي أول ذي الحجة: قرر على أتباع ابن زنبور مال، وأفرج عنهم، فكانت جملة ذلك ستمائة وسبعين ألف درهم.

وفي خامسه: وصل أمير علي المارديني نائب الشام إلى دمشق، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازاندر متسفره، وركب أمير على الموكب على العادة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشريه: قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقي نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، من عند ابن دلغادر، وقد قبضهما. فدخلا حلب في حادي عشريه، وسجنا بقلعتها، فأجيب الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بالشكر والثناء، وأنه يشهر المذكورين بحلب، ويقتلهما، وجهز لنائب حلب خلعة.

وفيه قدم الخبر من غزة بكثرة الأمطار التي لم يعهد بغزة مثلها، وأنه هدم عدة بيوت كثيرة منها على أهاليها، وسقط نصف دار النيابة، وسكن النائب بجامع الجاولي، وتلف ما زرع من كثرة المياه. ثم سقط ثلج كثير حتى تعدى العريش.

وفيه كانت الأمطار بأراض كثيرة جداً، وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل، وبأراضي الجيزة.

وأما النيل فان القاع جاء ثلاثة أذرع وثلث، وتوقفت الزيادة أياماً. ثم زاد في كل يوم ما بين أربعين وثلاثين وعشرين إصبعاً، حتى كان الوفاء، في يوم الثلاثاء حادي عشري جمادى الآخرة، وثالث عشر مسرى، ونودي بزيادة عشر أصابع من سبعة عشر ذراعا، وانتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر أصبعاً.

وفيها وقع بدمشق حريق عظيم، عند باب جيرون، عدم فيه الباب النحاس الأصفر الذي لم ير مثله، ويزعم أهل دمشق أنه من بناء جيرون بن سعيد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح.

وفيها ولي الأمير بكتمر المؤمني شاد الدواوين، عوضاً عن الأمير يلك أمير آخور بعد موته بغزة. وكان قد توجه إلى الحجاز، فتوجه النجاب لإحضاره حتى قدم، واستقر بعناية الأمير شيخو وتعيينه له.

وفيه تولى نظر خزانة الخاص قاضي القضاة تاج الدين محمد بن محمد بن أبي بكر الأخنائي، ثم استعفي منها بعد القبض على ابن زنبور، فولى عوضه تاج الدين الجوجري.

ومات فيها من الأعيان أرتنا نائب الروم من قبل بوسعيد.
وتوفي بدر الدين حسن بن علي بن أحمد الغزي، المعروف بالزغاري، الدمشقي الأديب الشاعر، عن نيف وخمسين سنة بدمشق، في ليلة الخميس حادي عشر رجب، ومولده سنة ست وسبعمائة.
وتوفي العضد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقي، شارح المختصر والمواقف. ولي قضاء مملكة أبي سعيد.
وتوفي الأمير فاضل أخو بيبغا روس بحلب، وكان عسوفاً.
ومات الأمير يلك أمير آخور بغزة، وهو عائد إلى القاهرة وتوفي شمس الدين محمد بن سليمان القفصي، أحد نواب المالكية بدمشق.
وتوفي بهاء الدين محمد بن علي بن سعيد، والمعروف بابن إمام المشهد، الفقيه الشافعي بدمشق، في ثامن عشرى رمضان، وقد أناف على الستين، وولي حسبة دمشق، وقدم القاهرة.
وتوفي شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر، المعروف بابن القيسراني، كاتب السر لدمشق، وهو بطال، عن نيف وخمسين سنة.
وتوفي ناظر الخزانة تاج الدين ابن بنت الأعز.
ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك الحسني، والي دمياط. وكان فقيهاً شافعياً، شاعراً أديباً، نظم كتاب التنبيه في الفقه، وكتب عدة مصنفات ومات الأمير منكلى بغا الفخري، قدم الخبر بوفاته مستهل جمادى الأولى.
ومات الحاج عمر مهتار السلطان، يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى.
ومات سيف الدين خالد بن الملوك بالقدس، في أول رمضان.
ومات الأمير تمر بغا، ليلة الأربعاء رابع عشري رحب.

سنة أربع وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم، أوله الخميس: فيه قدم الخبر من متولي مدينة قوص بقدوم رسل الملك المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن علي بن رسول متملك اليمن، إلى عيذاب، بهدية. فتوحه الأمير آقبحا الحموي لملاقاتهم، وصحبته الإقامات من الأنزال والعلوفات والطبائخ، ونحو ذلك.
وفي يوم الأربعاء سابعه: قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير قراجا بن دلغادر مقدم التركمان، فسر أهل الدولة بذلك.

وفيه قدم الأمير جنتمر أخو طاز برأسي الأمير بكلمش والأمير أحمد الساقي، وقد قتلا بحلب.

وفي هذا الشهر: حملت رمتا والد الأمير طاز، وأخيه جركس. وكان أبوه قدم إلى مصر من بلاد الترك في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، فتلقاه وأكرمه، وأدخله في دين الإسلام وختنه .ثم توجه أبوه هذا بعد مدة عائداً إلى بلاده، بحجة أن يسوق بقية أهله، فهلك بالمعرة، ودفن بها، فبنى نائب حلب على قبره تربة. ثم لما توجه الأمير طاز بالعسكر إلى حلب، هلك أخوه جركس، فدفنه بالمعرة مع أبيه، ثم بدا له في نقلهما إلى مصر، فنقلهما في هذا الشهر، ودفنهما خارج باب المحروق، ظاهر القاهرة، في تربة أنشأها هناك، ورتب بها القراء وغير ذلك من أرباب الوظائف، وجعل لها أوقافاً دارة، وعمل لقدومهما عدة مجتمعات ختم فيها القرآن الكريم على قبريهما.

وحصر تلك المجتمعات معه الأمراء والأعيان، فاحتفل لذلك احتفالا زائداً.
وفي ثامن عشره: قدم شيخ الشيوخ زكي الدين الملطي من بلاد الهند، فتلقاه طوائف الناس، وطلع قلعة الجبل. فخلع عليه بين يدي السلطان، وحمل على بغلة رائعة بزنارى، واستقر على ما كان عليه في مشيخة الخانكاه الناصرية بسرياقوس. وقد تقدم سفره في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين، فكانت غيبته بالهند عشر سنين وتسعة أشهر، وعاد بغير طائل. ولم يرض الأمير صرغتمش بولايته.
وفي يوم السبت سابع عشريه: أعيد الوزير ابن زنبور إلى تسليم قشتمر شاد الدواوين، وأمر بقتله، فعاقبه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل أشد عقوبة. فشق ذلك على الأمير شيخو، وعتب الأمير طاز والأمير صرغتمش، وأغلظ في القول، ومنع من التعرض لابن زنبور، وأخرجه بعد المغرب من ليلة الإثنين تاسع عشريه، وحمله في النيل إلى قوص .وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر.
ولما قدم الحاج أخبروا أن الشريف عجلان مضى قبل قدوم الحاج إليه من مكة يريد جدة؛ لأخذ مكس التجار الواردين في البحر. فبعث اليه أخوه ثقبة يطلب نصيبه من ذلك، فأبى عجلان أن يدفع له شيئاً، فركب إليه ولقيه. فلما نزلا غدر ثقبة بعجلان، وقبض عليه وقيده، وأسلمه لمن يحفظه، وركب ليأخذ أموال عجلان من وادي نخلة. فلما أبعد ثقبة في السير أفرج الموكلون بعجلان عنه، وأطلقوه، فرمى نفسه على عرب بالقرب منه، وتذمم منهم. فأنزلوه عندهم، وأركبوه ليلا، وصاروا به إلى بني حسن وبني شعبة؛ وأقام عجلان معهم خارج مكة حتى قدم الحاج. وكان قد بلغ ذلك ثقبة، فعاد يريد عجلان، ففاته.
ومن الأخبار كذلك أن الحاج لما قدم مكة لم يجد بها أحداً من بني حسن ولا من العبيد، وأن أسعار مكة رخية، وأن المجاهد باليمن منع التجار من المجيء إلى مكة غيظا من أمرائها.
وفي أول صفر: قام الأمير صرغتمش في أمر أوقاف ابن زنبور يريد حلها وبيعها، وقد حسن له ذلك الشريف شرف الدين علي بن الحسين بن محمد نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوي، ولقناه في ذلك أموراً يحتج بها، منها أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما قبض على كريم الدين الكبير أراد أخذ أوقافه، فلم يوافقه على ذلك قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فندب السلطان من شهد على كريم الدين بإشهاده له على نفسه أن جميع ما ملكه من العقار وغيره - وقفه وطلقه - هو من مال السلطان دون ماله. فلما ثبت ذلك بطريقة صارت أملاك كريم الدين بأجمعها للسلطان، فأقر ما كان منها وقفاً على حاله، وسماه الوقف الناصري، وتصرف فيما ليس بوقف.

فلما اجتمع القضاة الأربعة بدار العدل من قلعة الجبل في يوم الخدمة السلطانية على العادة، كلمهم الأمير صرغتمش في حل أوقاف ابن زنبور، فاشتد عليه قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة في الإنكار لذلك، وساعده قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي، وجبه صرغتمش بكلام خشن، وقال له: "أخربت البلد بشرك يا صبي". هذا وصرغتمش يحاججهم، ويذكر قضية أوقاف كريم الدين، فأجاباه بأن كريم الدين كانت بيده جميع أموال السلطان كلها، ما بين خزانته وحواصله ومتاجره، يتصرف فيها برأيه، فلهذا ساغ أن يثبت الإشهاد عليه بأن جميع أملاكه وعقاراته وغيرها إنما هي من مال السلطان دون ماله. وأما من له مال من متجر، أو اكتسبه من مباشرة ونحوها، فليس لأحد أن يتعرض لماله، ولا يجوز نقض شيء وقفه من ذلك، ولا

أخذ ما ملكه أو وهبه من يد من هو في أيديهم، فإن جميع تصرفاته في ماله سائغة بطريقها. فذكر لهم صرغتمش أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاطر عماله، ومال الوزير جميعه إنما هو مال السلطان. فعرض له قاضي القضاة عز الدين بذكر الشريفين علي بن حسين وأبي العباس الصفراوي، وقال يا أمير" :إن كنت تبحث معنا في هذه المسألة بحثنا معك، وإن كان أحد ذكرها لك فليحضر حتى نناظره فيها، فإنه ما قصد بذكر هذه المسألة إلا مصادرة سائر الناس، وأخذ أموالهم" ، وقاموا على الامتناع والإنكار على من يريد هذا ونحوه.

وكان صرغتمش قد وعد أم السلطان بالدار المعروفة بالسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور، فبعث لقاضي القضاة عز الدين في ذلك، فخوفها عاقبة ذلك، ومازال بها حتى أعرضت عن طلبه. فشق ذلك على الأمير صرغتمش، واشتد حنقه حتى مرض عدة أيام مرضا خيف عليه منه، فتصدق بأموال جزيلة على الفقراء، وافتك أهل السجون. وفي أثناء ذلك اتفق الأميران شيخو وطاز على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة، ليقل شره وتنحط رتبته، ويعود الأمير شيخو رأس نوبة. فلما عوفي صرغتمش نزل من القلعة إلى إصطبله المجاور لمدرسته، فأشعلت له الشموع، وفرح به سكان الصليبة، وتصدق صرغتمش.بمال كبير.

وفيه اجتمع الأمراء بالقصر بين يدي السلطان، في الخدمة على العادة، وذكروا أمر توقف حال الدولة من قلة حاصل بيت المال وخزانة الخاص، وأن الوقت محتاج إلى نظر الأمير شيخو. وكان الأمير شيخو منذ خرج من وظيفة رأس نوبة، ووليها الأمير صرغتمش، ترك التحدث في أمر الدولة لصرغتمش، وصار كالمشير .فلما عينه الأمراء في هذا اليوم للتحدث كما كان امتنع عليهم، فمازالوا به حتى ألبوه التشريف، وولي على عادته، بعد ما شرط عليهم ألا يتحدث أحد في أمر جليل ولا حقير غيره، فأجابوا إلى ذلك.

وفيه خلع أيضاً على الأمير ناصر الدين محمد بن بدر الدين بيليك المحسني، واستقر مشير الدولة، رفيقا للصاحب موفق الدين، على قاعدة الأكوز في الدولة الناصرية.

وفيه استقر سيف الدين قطلو شاد الدواوين أمير طبلخاناه، كما كان لؤلؤ مع الأكوز، وقيل للوزير ألا يفصل أمراً دونهما، وخرجوا من الخدمة. فجلس ابن المحسني من داخل الشباك بدار الوزارة من القلعة تجاه الوزير، وأمر بكتابة كلف الدولة. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخو، فصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات. وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات في الإقطاعات، فبطل ذلك بعد ما كان قد فحش الأمر فيه، وأخذ كتاب الجيش منه مالا جزيلا. فتعطل كتاب الجيش بسبب ذلك ولاسيما بعد أن رسم لهم ألا يأخذوا رسماً في كل منشور أو محاسبة سوى ثلاثة دراهم، وكان رسم ذلك عشرين درهماً.

وفيه استقر أن الوزير والمشير ونحوهما يحضرون كل يوم إلى مجلس الأمير شيخو، ويطالعونه.بما تحصل وانصرف، ويحضر إليه ناظر الجيش من الأشغال ما شاء، حتى تعطل حكم الأمير قبلاي نائب السلطنة.

وفي ربيع الأول: ورد الخبر بوصول الصاحب علم الدين بن زنبور إلى قبرص سالما، وقد نفي إليها.

وفيه رفعت يد ناظر الخاص من وقف الصالح إسماعيل وفوض نظره إلى الأمير عز الدين أزدمر الخازندار.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير بيبغا روس إلى حلب وقتله، فكتب إلى الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بالشكر والثناء، وعمل وحمل اليه تشريف، وأمر أن يعمل الحيلة في إحضار قراجا بن دلغادر، وجهز إليه تشريف برسمه، وتقليد تقدمة التركمان فاستدعاه الأمير أرغون الكاملي نائب حلب ليلبس التشريف السلطاني، ويقرأ عليه

التقليد بحضرة أمراء حلب، فاعتذر عن حضوره.
فلما قدم كتاب الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بذلك، كتب له بالركوب اليه ومحاربته، فاعتذر بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سير إليه بيبغا روس لا يحاربه. فشق ذلك على الأمراء، وكتبوا إليه بالإنكار عليه، وجهز له الأمير عز الدين طقطاي الدوادار، ومعه الكتب إلى نواب الشام بنجدة الأمير أرغون الكامل نائب حلب على قتال ابن دلغادر، فسار طقطاي في يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الآخر.
وفيه انحطت رتبة الشريف أبي العباس الصفراوي، بمنع الأمير شيخو له من عبوره إلى داره وصعوده إلى القلعة. فثار عليه أعداؤه، ونفوه من الشرف، وشنعوا عليه؛ فالتجأ الشريف أبو العباس إلى الأمير طاز حتى كف عنه من يقاومه.
وفي يوم الخميس رابعه: سمر عيسى بن حسن شيخ العايد.
وفيه أعرس الأمير أخو طاز بابنة الأمير آقسنقر، أنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتي قطعة قماش، وعمل له مهم جليل.
وفيه قدم من المدينة النبوية جماعة يشكون من قاضيها شمس الدين محمد بن سبع، فعين عوضه بدر الدين ابراهيم بن أحمد بن عيسى الخشاب، فلم يجب حتى اشترط ألا يقيم بها سوى سنة واحدة، وأن تستقر وظائفه التي بالقاهرة بيد نوابه؛ فأجيب بدر الدين إلى ذلك، وولي قضاء المدينة.
وعزل أيضا عن قضاء الإسكندرية لسوء سيرته، وولي عوضه الربعي.
وفيه استقر صدر الدين سليمان بن عبد الحق في نظر الأحباس، عوضاً عن شمس الدين بن الصاحب.
وفي يوم السبت حادي عشر ربيع الآخر: قدمت رسل المجاهد صاحب اليمن، ومعهم ابنه الملك الناصر، وعمره إحدى عشرة سنة. فأنزلوا بالميدان، ونزل اليهم الأمير طاز حتى عرضت عليه الهدية، ثم تمثلوا بين يدي السلطان بهديتهم، قدر ستين رأساً من الرقيق بقية ثلاثمائة ماتوا، ومائتي شاش، وأربعمائة قطعة صيني، ومائة وخمسين نافجه مسك وقرن زباد وعدة تفاصيل، ومائة وخمسين قنطاراً من الفلفل وأشياء ما بين زنجبيل وعنبر وأفاويه، وفيل واحد؛ وذلك سوى هدية لكل من الأمير شيخو، وطاز، وقبلاي نائب السلطنة، وللوزير علم الدين بن زنبور. فحملت الهدية السلطانية إلى الصاحب موفق الدين؛ فلم يرض الأمراء بذلك، فإن هدية المؤيد للملك الناصر محمد بن قلاوون كان فيها قدر ألفي شاش.
ومع ذك فإنه أنفق على الرسل منذ قدموا عيذاب إلى وصلوا إلى الميدان نحو مائتي ألف درهم، وخلع على الجميع وتقرر لهم في كل يوم خمسمائة درهم، و لم يبق أحد من الأمراء، حتى عمل لهم ضيافة.
وفي يوم الجمعة سابع عشره: صلى قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة بالسلطان الجمعة على العادة، ثم اجتمع بالسلطان وعنده الأمير شيخو، واستعفي من القضاء، فإنه عزم على الحج والمجاورة، واعتذر بكبر سنه. فلم يجب إلى ذلك، فما زال يتلطف ويترفق حتى -أجيب، بشرط أن يعين للقضاء من يختاره. فعين صهره وخليفته على الحكم قاضي العسكر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي، فولاه السلطان القضاء، وأشهد عليه بذلك في غيبته؛ وانفضوا على ذلك .فامتنع المناوي من القبول، فما زال به قاضي القضاة عز الدين حتى قبل، في يوم السبت ثامن عشره. وولي المناوي سهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي المعروف بالسين وغيره، فبادر الناس للسعي في وظائفه، وكانت جليلة، وكتب المناوي لبهاء الدين أحمد بن تقي الدين بن علي بن

السبكي بقضاء العسكر.

وما أذن عصر يوم السبت حتى اجتمع عند الأمير شيخو نحو ستين قصة رفعت اليه بالسعي في وظائف المناوي، فقام قاضي القضاة جمال الدين عبد الله الحنفي، وقاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي، في عود ابن جماعة إلى القضاء؛ ومازالا بالأمير شيخو حتى بعث بالأمير عز الدين أزدمر الخازندار إليه، فتلطف به إلى أن أجاب إلى استقراره في القضاء على عادته، وأنه يتوجه إلى الحجاز، ويستخلف على الحكم والأوقاف إلى أن يعود أو تدركه الوفاة. فاستدعي ابن جماعة في يوم الإثنين خامس عشريه، وجددت له ولاية ثانية، وخلع عليه، ونزل في موكب عظيم إلى داره.

وفي يوم السبت: المذكور توجه عز الدين أيدمر السناني إلى الشام، وقدم الأمير طقطاى الدوادار من حلب، وقد ألزم الأمير أرغون الكاملي نائب حلب حتى سار لحرب ابن دلغادر وأتاه نواب القلاع حتى صار في عشرة آلاف فارس، سوى الرجالة والتركمان. ونزل الأمير أرغون الكاملي على الأبلستين، فنهبها وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر، وقد امتنع بجبل عال، فقاتلوه عشرين يوماً، فقتل فيها وجرح عدد كثير من الفريقين. فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا بن دلغادر، وقاتلهم صدرا من النهار قتالا شديداً، فاستمر القتل في تركمانه، وانهزم إلى جهة الروم، فأخذت أمواله ومواشيه. وصعد العسكر إلى جبل، فوجدوا فيه من الأغنام والأبقار ما لا يكاد ينحصر، فاحتووا عليها، بحيث ضاقت أيديهم عنها، وأبيع الرأس من البقر بعشرين إلى ثلاثين درهماً، والرأس من الضان بثلاثة دراهم، والإكديش من أربعين إلى خمسين درهماً. وسبيت نساؤه ونساء تركمانه وأولاده، وبيعوا بحلب وغيرها بالهوان، فكانت خيار بناته تباع بخمسمائة درهم؛ وظفروا بدفائن فيها مال كبير.

وفي هذا الشهر: أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح في الملة الإسلامية، فأحضر إلى القاضي تاج الدين المناوي، وسأله المناوي عن سبب قدومه، فقال: "جئت أعرفكم أنكم لستم على شيء، ولا دين الا دين النصرانية، وما قلت هذا إلا لكي أموت شهيداً" فضربه المناوي بالمقارع ضرباً مبرحاً مدة أسبوع، وهو يقول: " عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء"، فيقول له: "ما أعجل عليك غير العقوبة ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته.

وفيه قدم البريد من حلب بأن ابن دلغادر لما انهزم تبعه العسكر، وأسروا ولديه ونحو الأربعين من أصحابه، ونجا بخاصة نفسه إلى ابن أرتنا، وقد سبق الكتاب إليه بإعمال الحيلة في قبضه. فأكرمه ابن أرتنا وأواه، ثم قبض عليه وحمله إلى حلب، فدخلها وسجن بقلعتها في ثاني عشرى شعبان. فكتب إلى الأمير أرغون الكاملي نائب حلب بحمله إلى مصر، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم، منها ثلاثمائة ألف من مال دمشق، وباقيه من مال حلب. وأعفي الأمير أرغون من تسيير القود الذي جرت عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال البخاتي والهجن والعراب ومن البغال والقماش والجواري والمماليك، وقيمته خمسمائة ألف درهم. فعظم بذلك شأن الأمير أرغون الكاملي نائب حلب، فإنه مع صغر سنه كان له أربعة مماليك أمراء، وله ولد عمره ثلاث سنين أمير مائة مقدم ألف، فلما مات هذا الولد أضيفت تقدمته إلى إقطاع النيابة، وكان لأربعة من أخوته القادمين من البلاد وأقاربه أربع إمرات.

وفي ثالث جمادى الآخرة: سافر الأمير حسام الدين طرنطاي إلى البلاد الشامية، بعدة خيول لنواب الشام.

وفي خامسه: عزل الأمير بكتمر المؤمني أمي آخور، واستقر عوضه الأمير قنلس.

وكان من خير آل مهنا أنهم قووا وفخم أمرهم، حتى صار من أولاد مهنا بن عيسى وأولادهم نحو مائة وعشرة، ما منهم إلا ومن له إمرة وإقطاع. فبطروا، وشنوا الغارات على البلاد، وقطعوا الطرقات على التجار حتى امتنعت السابلة، وذلك بعد موت السلطان الملك الناصر محمد فقبض على فياض وسجن، واستقرت الإمرة لأخيه جبار، فسكن الشر، وسافرت القوافل .ثم خلص فياض من السجن، بشفاعة الأمير مغلطاي أمير آخور، وركب من القاهرة، ولحق بأهله، فلما خامر بيبغا روس كتب له بالإمرة، فبعث أولاده بتقدمته. ثم قدم سيف بن فضل، فولي الإمرة، وعزل فياض، فلم يحرك ساكناً حتى توجه الأمير أرغون الكاملي نائب حلب لقتال ابن دلغادر، فكثر طمعه وفساده. ثم ركب جبار وفياض ابنا مهنا إلى إقطاعاتهم التي خرجت عنهم لسيف بن فضل وبريد بن تتر، وقسموها ورفعوا مغلاتها. فلم يطق سيف معارضتهم، لقوتهم وكثرة جمعهم، فبعث يعرفهم أن هذه البلاد قد أقطعها له السلطان، فردا عليه جواباً جافياً. فكتب إليهما الأمير أرغون الكاملي نائب حلب يعتب عليهما، فلم يذعنا له، فكتب إلى السلطان والأمراء بذلك، فكتب إليهما بالقدوم إلى الحضرة، فاعتذرا عن الحضور. فتوجه الأمير قشتمر الحاحب لإحضار الجميع على البريد في نصف شعبان، فلم يوافقاه، وأجابا بالاعتذار، فعاد قشتمر. وقدم عمر بن موسى بن مهنا به بقوده، وسعى في الإمرة، فأدركه سيف بن فضل بعد حضور الأمير قشتمر، وسعى حتى استقر على إمرته شريكا لعمر بن موسى.

وفيه أيضاً كثر عبث العربان ببلاد الصعيد، وقووا على المقطعين، وقام من شيوخهم رجل أحدب، فجمع جمعاً كبيراً، وتسمى بالأمير .فقدم الخبر في شعبان بأنهم كبسوا ناحية ملوى، وقتلوا بها نحو ثلاثمائة رجل، ونهبوا المعاصر، وأخذوا حواصلها وذبحوا أبقارها، وأن عرب منفلوط والمراغة وغيرهم قد نافقوا، وقطعوا بعض الجسور بالأشمونين. فوقع الاتفاق على الركوب عليهم بعد تخضير الأراضي بالزراعة، وكتب إلى الولاة بتجهيز الإقامات.

وفي يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة: عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التي عمرها برأس الصليبة عندما كملت، حضرها السلطان وجميع الأمراء، فلما انقضى السماط قدم الأمير طاز للسلطان أربعة أرؤس خيل مسرجة ملجمة بسروج ذهب وكنابيش ذهب مطرز، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين، ولمن عداهما من الأمراء كل واحد فرساً، ولم يعهد قبل ذلك أن أحداً من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير.

وفيه ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس، ومعه محضر ثابت على قاضيها، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت بثلاثة أزواج و لم يقدر واحد منهم على بكارتها، من غير مانع منهم، وظنوا أنها رتقاء وطبقوها واحداً بعد واحد. فلما بلغت خمس عشرة سنة غر ثدياها، واعتراها النوم ليلا ونهاراً، وصار يخرج من فرجها شيء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وأنثيين فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع، و لم يبق إلا العقد عليها، فأطلعت أمها على أمرها، فاشتهر ذلك بطرابلس، وأعلم به الأمير أيتمش النائب، فكتب به محضراً وجهزه إلى السلطان.

وبرز المذكور بين الناس، وتسمى عبد الله، وسار إلى دمشق، ووقف بين يدي نائبها أمير علي، فسأله عن حاله فأخبره بما ذكر فأخذه الحاجب كجكن عنده، وأخبر أنه احتلم ثلاث مرات منذ صار ذكراً، في مدة ستة أشهر.

ثم نبتت له لحية سوداء، وصار من جملة الأجناد، ولم تبق فيه من سمات النساء شيء سوى كلامه، فإن فيه أنوثة فكتب بإحضاره إلى مصر، فكان هذا من عجائب صنع الله. وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير في تاريخه أنه اجتمع به.

وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة، وكانت تعمل بدار الطراز، فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم. وأضيف إليها أراضي أخر مما تغل في السنة مبلغ ستين ألف درهم واستقر نظرها لوكيل بيت المال فاستمر ذلك فيما بعد.

وفيه قدم الأمير طيبغا المجدي من دمشق، فلزم بيته، وبقي على إقطاعه الذي بدمشق.

وفي يوم الخميس خامس عشرى رمضان: وصل مقدم التركمان قراجا بن دلغادر، وهو مقيد في زنجير، فأقيم بين يدى السلطان، وعددت ذنوبه. ثم أخرج إلى الحبس، فلم يزل به إلى أن قدم البريد من حلب بأن جبار بن مهنا استدعى أولادا بن دلغادر في طائفة كبيرة من التركمان،. لينجدوه على سيف. وكان سيف قد التجأ إلى بني كلاب، فالتقى الجمعان على تعبئة، فانكسر التركمان وقتل منهم نحو سبعمائة رجل، وأخذ منهم ستمائة إكديش. فكتب السلطان من سرياقوس - وكان بها - إلى النائب قبلاي بقتل ابن دلغادر، فأخرجه من السجن إلى تحت القلعة ووسطه، في يوم الإثنين رابع عشر ذي القعدة، بعد ما أقام مسجوناً ثمانية وأربعين يوماً.

وفيه عزل ركن الدين عن مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس، وأعيد.

وأما العربان، فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدي السلطان في أمرهم، فتقرر الحال على التجريد إليهم، فرسم للأمير سيف الدين بزلار العمري أن يتوجه إلى قوص بمضافيه، وللأمير سيف الدين أرلان والأمير قطلوبغا الذهبي أن يتوجها. بمضافيهما إلى ألواح، وتتمة ثلاثة عشر مقدماً. بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه، وأن يكون مقدمهم الأمير شيخو، وجهزت الإقامات براً وبحراً. فأخذ العرب حذرهم، فتفرقوا واختفوا، وقدمت طائفة منهم إلى مصر، فأخذوا، وكانوا عشرة. فقبض ما وجد معهم من المال، وحمل لأمير جندار، فإنهم كانوا فلاحيه، وأتلفوا.

فلما برز الحاج إلى بركة الحجاج ركب الأمير شيخو، وضرب حلقة على الركب، ونادى من كان عنده بدوي وأخفاه حل دمه، وفتش الخيام وغيرها، فقبض على جماعة، فوسط بعضهم وأفرج عن بعض. ثم لما عاد السلطان إلى الجيزة كبست تلك النواحي، وحذر الناس من إخفاء العربان، فأخذ البحري والبري، وقبضت خيول تلك النواحي وسيوف أهلها بأسرها. وعرضت الرجال، فمن كان معروفا أفرج عنه، ومن لم يعرف أقر في الحديد، وحمل إلى السجن. ورسم أن الفلاحين تبيع خيولهم بالسوق، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج فبيعت عدة خيول، وأورد أثمانها للمقطعين، والفرس الذي لم يعرف له صاحب حمل إلى إصطبل السلطان.

وكتب للأمير عز الدين أزدمر، الكاشف بالوجه البحري، أن يركب ويكبس البلاد التي لأرباب الجاه، والتي يأويها أهل الفساد فقبض على جماعة كثيرة ووسطهم، وساق منهم إلى القاهرة نحو ثلاثمائة وخمسين رجلا، ومائة وعشرين فرساً، وسلاحاً كثيراً. ثم أحضر الأمير أزدمر من البحيرة ستمائة وأربعين فرساً، فلم يبق بالوجه البحري فرس، ورسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم، فركب الأميران طاز وصرغتمش.بمن معهما إلى البلاد، وقد مر أهلها، واختفى

بعضهم في حفائر تحت الأرض .فقبضوا النساء والصبيان، وعاقبوهم حتى دلوهم على الرجال، فسفكوا دماء كثيرين، وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفي، وأخذت عدة أسلحة.

واتفق لناحية النحريرية أنه شهد على بعض نصاراها أن جده كان مسلما، فحكم قاضيها بإسلامه، وحبسه حتى يسلم. فاجتمع النصارى إلى الوالي، وأخرجوا الحبيس ليلا، فتصايحت العامة من الغض بالقاضي فغضب الوالي من ذلك، وطلب القاضي لينكر عليه ما فعله فقامت العامة مع القاضى، وأغلقوا الحوانيت، واجتمعوا ليرجموا الوالي. فجمع لهم الوالي أيضاً ليوقع بهم، فحملوا عليه وهزموه حتى خرج من البلد، وهدموا كنيسة كانت بها حتى لم يبق بها جدار قائم، وأحرقوا ما بها من الصلبان والتماثيل، وعمروها مسجداً ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وهموا يأخذون النصارى، فهربوا منهم، وكان يوماً مهولا .فكتب الوالي إلى الأمراء والوزير بالشكاية من القاضي، وأنه ضيع مال السلطان، وهو خمسمائة ألف درهم، بتعرضه للنصراني حتى ثارت بسببه الفتنة. وكتب النصارى أيضا إلى الحسام أستادار العلائي - وقد ترقى حتى صار أمير طبلخاناه -، فقام مع النصارى، وحدث الأمير شيخو، وشنع على القاضي، وسعى في إلزامه لإعادة الكنيسة من ماله. فطلب القاضي والوالي فحضرا، وعقد مجلس حضره القضاة الأربعة بجامع القلعة، ومعهم الوزير وغيره من أهل الدولة، فانتصب الحسام لمخاصمة قاضي النحريرية، ومازالوا حتى انفضوا على غير رضى فأغرى الأمير شيخو بقيام القضاة مع قاضي النحريرية، وهول الأمر، فانعقد المجلس بين يديه، وقد امتلأ غضبا على القاضي. فعندما استقر بهم المجلس أغلظ شيخو على القاضي، وأخذ الحسام ينهره ويخزيه بالقول، وساعده على هذا الأمير عز الدين أزدمر كاشف الوجه البحري حتى يتبين الغرض. فامتعض لذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد شيخ الجامع الشيخوني يومئذ، وله اختصاص زائد بالأمير شيخو، وأخذ يتكلم معه بالتركية في إنكار ما قام فيه الحسام من إعادة الكنيسة، وتعصبه على القاضي للنصارى، وخوف الأمير عاقبة ذلك. فشاركه الحسام في الكلام مع الأمير، وجرى على عادته في إعادة الكنيسة، فصدعه الأكمل بالإنكار، وزجره ومنعه من الكلام في هذا، وقال له: "ما يحل السلام عليك، فإنك فد خرحت من الإسلام بتعصبك للنصارى". ومازال الشيخ أكمل الدين يلح في الكلام حتى رسم الأمير شيخو بالكشف عن الواقعة، لينظر من تعدى من الرجلين - القاضي أو الوالي، ووكل بهما من يحفظهما حتى يحضر الكشف عن أمرهما. فلما حضر الكشف من والي المحلة، وكان قد حسن أمرهما بأن ذكر أن كلا منهما أساء التدبير، رسم بعزل الوالى والقاضي.

وفيه رسم بتجريد أجناد الحلقة إلى بلاد الصعيد، فعرض النائب قبلاي مقدمي الحلقة وعين منهم تسعين مقدماً، اختار منهم خمسة وعشرين مقدماً، مع كل مقدم عشرون من أجناد الحلقة؛ لتكون عدة الجملة خمسمائة فارس، فبينما هم في تجهيز أمرهم إذ ورد كتاب الأمير بأنه لا يحتاج إلى ذلك، فبطلت تجريدهم.

وفيها كثرت المناسر بظاهر القاهرة في مدة غيبة السلطان، وكبسوا عدة دور، وركبوا الخيل، وضاقت بهم الرجالة، فعظم الضرر بهم. وتتبع الوالي آثارهم حتى ظهر أنهم في ناحية بلبيس، فكبس عليهم، وقبض منهم جماعة اعترفوا بعد - عقوبتهم على بقية أصحابهم؛ فتتبعهم الولاة بالنواحي حتى أخذوهم. ورتب في أثناء ذلك أربعة أمراء، وأضيف إليهم عدة من أجناد الحلقة، للطواف بالليل خارج القاهرة. وركب الوالي بجماعته طول الليل في القاهرة، وسمر عدد كثير من أهل الفساد بالقاهرة، ووسط خلق في النواحي. وكتب إلى جميع أعمال

الوجه البحرى بألا يدعوا عندهم مفسداً، ولا أحداً ممن يتجمع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم، ومن آواهم حل دمه. وحذر أيضاً من اقتناء الخيل بجميع الأعمال، وألزموا بإحضارها. فاشتد طلب الولاة لذلك، وقبض على جمع كبير، وأخذت خيول وأسلحة كثيرة.

وفيها استسقى أهل دمشق، لتأخر نزول المطر بعامة بلاد الشام، حتى بلغت الغرارة من القمح إلى مائة وعشرين درهماً، بعد ما كانت بثمانين درهماً. فأغيثوا من ليلتهم، وأمطروا كثيرا مدة أسبوع، فترل سعر القمح في يومه عشرين درهما للغرارة.

وفيها كثرت تزويرات المساطير وغيرها، فقام في ذلك قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي، وتحدث مع الأمير شيخو فيه حتى رسم له بالفحص عن ذلك، ومقابلة من يفعله بما يستحقه. فكبس قاضي القضاة عدة بيوت، وأخرج منها تزاوير كثيرة، وقبض على جماعة وعاقبهم وسجنهم، ولم يقبل فيهم شفاعة أحد من الأمراء. واشتد الطلب على ابن أبي الحوافر، فإنه كان عجباً في محاكاة الخطوط، وكبست داره، فوجد فيها من تزويره كتب كثيرة، و لم يقدر عليه لاختفائه.

وفيها قدم نفيس الدواداري الداودي اليهودي التبريزي؛ لمعالجة الأمير قبلاى النائب من ضربان المفاصل، ومعه ولداه، وهو في ختروانة وتعاظم. فادعى دعوى عريضة، وأراد أن يركب بغلة، فلم يمكن من ذلك.

وفيها ولدت امرأة طفلين ملتصقين، لكل منهما ثلاثة أيدي وثلاثة أرجل، وليس لهما قبل ولا دبره وفيها انحطت الأسعار بأرض مصر، حتى بيع الأردب من القمح من عشرة دراهم الى خمسة عشر درهماً.

وفيها فشت الأمراض في الناس بالاسكندرية والوجه البحري كله والقاهرة مدة شهرين، وبلغ عدة الموتى في كل يوم ما بين الخمسين إلى الستين.

وفيها ولد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وفيها توجه ركب الحجاج صحبة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاحب، وحج من الأمراء الأمير سيف الدين كشلى، والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين طقطاي، والأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقي، والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر، وحج الخليفة المعتضد بالله أبو بكر، وحج قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والشيخ بماء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل. وأسر السلطان والأمراء مدبرو الدولة إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على الشريف ثقبة، ويقرروا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بطن مر، ومضى عجلان إلى لقائهم شكا إلى الأمراء من أخيه ثقبة، وذكر ما فعله معه، وبكى. فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم ثقبة في قواده وعبيده، فألبسوه خلعة على العادة، ومضوا حافين به نحو مكة، وهم يحادثونه في الصلح مع أخيه عجلان، ويحسنون له ذلك، وهو يأبى موافقتهم حتى أيسوا منه. فمد الأمير كشلى يده إلى سيفه فقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه، وأخدوه ومعه ابن لعطيفة، وآخر من بني حسن، وكبلوهم بالحديد، ففر القواد والعبيد. وأحضر عجلان، وألبس التشريف؛ وعبروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان .وسلم ثقبة للأمير أحمد بن آل ملك، فسر الناس بذلك. وكثر حلب الغلال وغيرها، فانحل السعر عشرين درهما الأردب. وقبض على إمام الزيدية أبي القاسم محمد بن أحمد اليمني، وكان يصلي في الحرم بطائفته، ويتجاهر، ونصب له منبراً في الحرم يخطب عليه يوم العيد

وغيره بمذهبه. فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ليرجع عن مذهبه، فلم يرجع وسجن، ففر إلى وادي نخلة، فلما انقضى موسم الحاج حمل الشريف ثقبة مقيداً إلى مصر وبلغ النيل في زيادته إلى ستة عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراعاً، بعد ما توقف في ابتداء الزيادة .وكان الوفاء يوم الأحد تاسع رجب، وهو ثامن عشر مسرى، وفتح الخليج على العادة.

ومات في هذه السنة ممن لهم ذكر ومات فيها أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر، وولي نظر الجيش في أيام الصالح إسماعيل، ثم عزل وتوجه إلى القدس حتى أقدم الأمير شيخو، وعمله ناظر ديوانه، فمات قتيلا بحلب في رابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكلمش نائب طرابلس، في أول المحرم. وأصله من مماليك صاحب ماردين، بعثه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فترقى في خدمته، وأنعم عليه إلى أن ولى نيابة طرابلس في الأيام المظفرية، وكان من أمره ما ذكره.

ومات الأمير أحمد بن الساقي نائب حماة، في أول المحرم. وأصله من الأويرانية، وبعثه نائب البيرة في الأيام الناصرية، فأعطاه السلطان للأمير بكتمر الساقي، ثم أنعم عليه السلطان بعد موت بكتمر بإمرة عشرة، ولقبه بأحمد الساقي، ثم أنعم عليه بإمره طبلخاناه، وعمله شاد الشراب خاناه. وتنقل بعد موت السلطان، فعمل أمير شكار في الأيام المظفرية، ثم أخرج لنيابة صفد، ثم ولي نيابة حماة، حتى كان من أمره ما كان، وكان شجاعاً أهوج جهولا مقداماً.

ومات الأمير بيبغا روس القاسمي، أحد المماليك الناصرية. توفي السلطان الناصر محمد ابن قلاوون وهو من خاصكيته، فترقى حتى صار في الأيام الصالحية إسماعيل أمير طبلخاناه، وتمكن منه حتى كان الصالح لا يفارقه ساعة واحدة. ثم أنعم عليه في الأيام الكاملية شعبان بتقدمة ألف، ثم كان من قبضه على المظفر حاجي ما كان. ثم ولي في الأيام الناصرية حسن نيابة السلطنة، فشكرت سيرته فيها، ثم قبض عليه بطريق الحجاز وسجن، ثم أفرج عنه. وولى نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان حتى لحق بقراجا بن دلغادر، فاخذه وبعث به إلى حلب، فقتل بها ومات الأمير ألجيبغا العادلي، في سابع ربيع الآخر بدمشق؛ وكان فارسا جواداً ومات الأمير شعبان قريب يلبغا اليحياوي. وكان من جلة خواص ألماس الحاجب، فسجن عند مسكه مدة، ثم نفي إلى صفد. وأنعم عليه بعد مدة بإمرة، وتوجه إلى حلب في نيابة يلبغا اليحياوي، ثم سجن بعد موت يلبغا اليحياوي مدة، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرة، وقدم مصر، ثم توجه إلى دمشق، فمات بها.

ومات الأمير بيغرا المنصوري أحد أمراء الألوف بديار مصر، وهو بطال بحلب، وكان خيراً، ولى الحجوبية بمصر، فشكرت سيرته لجودة عقله ومات الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير الرومي، في سابع شوال، ومولده ليلة السبت سابع جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق. ترقى في خدمة الأمير تنكز نائب الشام، وولي حاجباً بالقاهرة، ثم ولى نيابة غزة وطرابلس غير مرة؛ وكان مشكوراً.

ومات الشريف أمير ينبع عيسى بن حسن الهجان، في رابع ربيع الآخر.

ومات قراجا ين دلغادر في رابع عشر ذي القعدة.

ومات الشيخ إبراهيم بن الصائغ، في رابع عشرى رجب.

ومات عمر بن مسافر الخواجا ركن الدين، أستاذ الأمير شيخو وغيره من المماليك العمرية؛ في عشرى ربيع الآخر.

ومات الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور بقوص، في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة.

ومات أسعد خربه، مستوفي الصحبة، وهو أحد مسالمة الكتاب، في عشرى ذي القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبي أحد موقعي الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عبد الوهاب الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمري، أحد موقعي الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح، كاتب سر حلب بها.

ومات صدر الدين محمد بن الشرف محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي أبو الفتح الشيخ المسند المعمر. حدث عن النجيب وغيره. ومولده سنة أربع وستين وستمائة. حدثنا عنه شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن وتوفي إمام الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون إمام الدين بن زين الدين بن المحدث أمين الدين أبي المعالي بن الإمام القدوة قطب الدين أبي بكر بن الفقيه أبي العباس القيسي القسطلاني، بالقاهرة في المحرم، ومولده بمكة سنة إحدى وسبعين وستمائة ومات جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الإمام شمس الدين أبي محمد أبي عبد الله ابن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن سلطان المقدسي النابلسي، ثم الدمشقي الحنبلي، في رجب. ومولده بنابلس، في سنة إحدى وتسعين وستمائة، حدث عن جماعة.

ومات الفقيه المحدث تقي الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر نجم الطائي. ومات القيراطي المصري ثم الدمشقي الشافعي، في شوال. حدث بالقاهرة ودمشق ودرس بهما.

وقتل حسن بن هند، وهو الحاكم بمدينة سنجار، وبالموصل، قتله صاحب ماردين، وكانت عساكر الشام حاصرته، ثم عادت عنه.